مجموعة مؤلفات فضيلة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله الراجحي (١٢)

منحة الملك الجليل

شرح

صحيح محمد بن إسماعيل

الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة بن الأحنف الجعفي البخاري

ولد سنة ١٩٤هـ - وتوفي سنة ٢٥٦هـ

متن صحيح البخاري

تم ضبطه على النسخ الخطية لرواية أبي ذر الهروي

تأليف

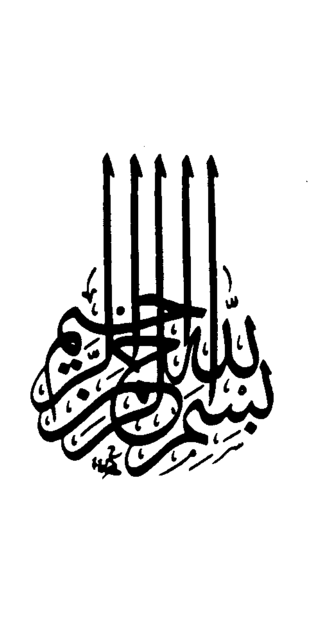
عبد العزيز بن عبد الله الراجحي

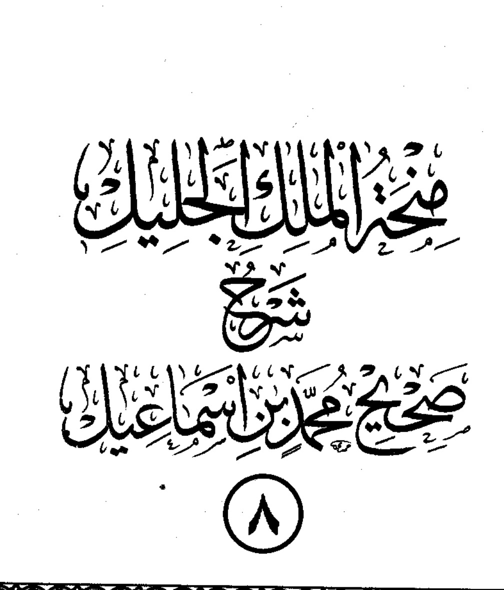
مركز عبد العزيز بن عبد الله الراجحي للاستشارات والدراسات التربوية والتعليمية بالرياض

المجلد الثامن

بقية كتاب المغازي وكتاب التفسير

دار التوحيد للنشر


بسم الله الرحمن الرحيم


منحة الملك الجليل
شرح
صحيح محمد بن إسماعيل
٨

الطَّبْعَةُ الأولى

١٤٣٤هـ - ٢٠١٣م

ترخيص رقم (٣٨٩)

المملكة العربية السعودية

الرياض ١١٣١٢ ص.ب: ٢٤٥٩٦٠

٠٠٩٦٦١٤٤٥٥٩٩٥ - ٠٠٩٦٦٥٠٩٢٤٢٤٢٥

http://shrajhi.com - info@shrajhi.com

دار التوحيد للنشر

الرياض - المملكة العربية السعودية

هاتف: ٠٠٩٦٦١٢٦٧٨٨٧٨ فاكس: ٠٠٩٦٦١٤٢٨٠٤٠٤

darattawheed@yahoo.com

بقية

كتاب المغازي



المَتْنُ

[٤٧/ ٥٥] غزوة الفتح في رمضان

• [٣٩٩٥] حدثنا عبدالله بن يوسف، قال: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، قال: أخبرني عبيدالله بن عبدالله بن عتبة، أن ابن عباس أخبره، أن رسول الله ﷺ غزا غزوة الفتح في رمضان.

قال: وسمعت ابن المسيب يقول مثل ذلك.

• [٣٩٩٦] وعن عبيدالله بن عبدالله، أخبره أن ابن عباس قال: صام رسول الله ﷺ، حتى إذا بلغ الكديد الماء الذي بين قديد وعسفان أفطر، فلم يزل مفطرا حتى انسلخ الشهر.

• [٣٩٩٧] حدثني محمود، قال: أخبرنا عبدالرزاق، قال: أخبرنا معمر، قال: أخبرنا الزهري، عن عبيدالله بن عبدالله، عن ابن عباس، أن النبي ﷺ خرج في رمضان من المدينة ومعه عشرة آلاف؛ وذلك على رأس ثمان سنين ونصف من مقدمه المدينة، فسار مَن معه من المسلمين إلى مكة يصوم ويصومون، حتى بلغ الكديد - وهو ماء بين عسفان وقديد - أفطر وأفطروا.

قال الزهري: وإنما يؤخذ من أمر رسول الله ﷺ الآخر فالآخر.

• [٣٩٩٨] حدثنا عياش بن الوليد، قال: حدثنا عبدالأعلى، قال: حدثنا خالد، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: خرج النبي ﷺ في رمضان إلى حُنَيْنٍ والناس مختلفون؛ فصائم ومفطر، فلما استوى على راحلته دعا بإناء من لبن أو ماء، فوضعه على راحته - أو راحلته - ثم نظر الناس فقال المفطرون للصُّوَّم: أفطروا.

وقال عبدالرزاق: أخبرنا معمر، عن أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس، خرج النبي ﷺ عام الفتح.

وقال حماد بن زيد، عن أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ.

• [٣٩٩٩] حدثنا علي بن عبدالله، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن مجاهد، عن طاوس، عن ابن عباس قال: سافر رسول الله ﷺ في رمضان فصام حتى بلغ عسفان، ثم دعا بإناء من ماء فشرب نهارا ليريه الناس، فأفطر حتى قدم مكة، قال: وكان ابن عباس يقول: صام رسول الله ﷺ في السفر وأفطر، فمن شاء صام، ومن شاء أفطر.

الشرح

قوله: «غزوة الفتح في رمضان» هكذا جزم المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أنها كانت في رمضان وهذا بالاتفاق، وكذلك غزوة بدر كانت في رمضان وكذلك أشهر غزوات المسلمين بعد النبي ﷺ كانت في رمضان، فرمضان شهر الانتصارات.

وذكر المؤلف حديث ابن عباس رضي الله عنهما من طرق متعددة:

• [٣٩٩٥] هذه الطريق الأولى عن ابن عباس حيث قال: «**أن رسول الله ﷺ غزا غزوة الفتح في رمضان**» أي: في السنة الثامنة من الهجرة.

قوله: «**قال: وسمعت ابن المسيب يقول مثل ذلك**» قائل هذا هو الزهري وهو موصول بالإسناد المذكور.

• [٣٩٩٦] قوله: «**وعن عبيدالله بن عبدالله**» هذا أيضا موصول بالإسناد المذكور.

وقوله: «**حتى إذا بلغ الكديد**» فسر الكديد بأنه: «**الماء الذي بين قديد وعسفان**».

قوله: «**أفطر، فلم يزل مفطرا حتى انسلخ الشهر**» وكذلك أيضا لم يزل يقصر الصلاة حتى انسلخ الشهر فظل تسعة عشر يوما يقصر الصلاة ويفطر في رمضان.

• [٣٩٩٧] هذه هي الطريق الثانية للحديث وفيه: «**أن النبي ﷺ خرج في رمضان من المدينة ومعه عشرة آلاف**» أي: متجها إلى مكة لفتحها.

قوله: «**وذلك على رأس ثمان سنين ونصف من مقدمه المدينة**» هذا وهم والصواب سبع سنين ونصف كما نبه عليه الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ؛ لأن النبي ﷺ غزا هذه الغزوة في السنة الثامنة من الهجرة.

قوله: «**قال الزهري: وإنما يؤخذ من أمر رسول الله ﷺ الآخر فالآخر**» يعني: الآخر من أمره أنه أفطر ﷺ في السفر فدل على مشروعية الفطر في السفر.

• [٣٩٩٨] هذه الطريق الثالثة عن ابن عباس قال: «**خرج النبي ﷺ في رمضان إلى حنين والناس مختلفون**» واستشكل قوله: «إلى حنين» فقال بعضهم: لعلها وهم والصواب: خرج إلى مكة في رمضان؛ فإن النبي ﷺ غزا حنينا بعد فتح مكة في شوال وليس في رمضان.

وقال بعضهم: «إلى حنين» يعني: التي وقعت بعد الفتح.

وقال بعضهم : إنه يجوز أنه يكون خرج إلى حنين في بقية رمضان وهذا بعيد ؛ لأن النبي ﷺ خرج من المدينة في رمضان وبقي في مكة بقية رمضان يقصر الصلاة ولم يخرج إلى حنين إلا بعد رمضان فهو إما أن يقال : إنه وهم ، أو يقال : إلى حنين يعني التي وقعت عقب الفتح .

• [٣٩٩٩] هذه الطريق الرابعة عن ابن عباس قال : **«سافر رسول الله ﷺ في رمضان فصام حتى بلغ عسفان ، ثم دعا بإناء من ماء فشرب نهارا ليريه الناس فأفطر حتى قدم مكة»** وجاء في رواية أخرى أن النبي ﷺ أمرهم بالفطر ليتقووا على العدو فقال : **«إنكم مصبحو عدوكم والفطر أعون لكم فأفطروا»** فكانت رخصة ، ثم نزل منزلا آخر فأمرهم أن يفطروا أيضا قال : **«فأفطروا إنكم مصبحو عدوكم»**(١) ، ثم بلغه أن أناسا صاموا بعد ذلك فقال : **«أولئك العصاة أولئك العصاة أولئك العصاة»**(٢) فدل على وجوب الفطر في جهاد العدو ليتقووا على ملاقاته فهو أعون لهم .

وأما من سافر في غير الجهاد فهو مخير بين الفطر وبين الصيام كما قال ابن عباس : **«فمن شاء صام ، ومن شاء أفطر»** .

وللمسافر أحوال :

الحالة الأولى : أن يكون مسافرًا للجهاد فيجب عليه الفطر ؛ لأن صومه يضعفه عن الجهاد ، والفطر أقوى له وأعون على العدو فيجب عليه الإفطار ، وإذا صام فهو آثم ، ولهذا قال النبي ﷺ : **«أولئك العصاة أولئك العصاة أولئك العصاة»** .

الحالة الثانية : أن يكون السفر لغير الجهاد ولكن يكون معه مشقة كأن يكون الوقت حارا ففي هذه الحالة يستحب له الفطر ويكره في حقه الصيام لما ثبت : أن النبي ﷺ كان في سفر فرأى رجلا قد ظلل عليه يعني سقط من شدة الحر فقال : من هذا؟ فقالوا : رجل صائم فقال عليه الصلاة والسلام : **«ليس من البر الصيام في السفر»**(٣) .

الحالة الثالثة : أن يكون السفر لغير الجهاد والصوم غير شاق عليه ففي هذه الحالة يخير بين الصيام وبين الفطر ، فله أن يصوم وله أن يفطر لحديث ابن عباس : **«فمن شاء صام ، ومن شاء**

---

(١) أحمد (٣/ ٣٥) ، ومسلم (١١٢٠) .
(٢) مسلم (١١١٤) .
(٣) أحمد (٣/ ٣١٩) ، والبخاري (١٩٤٦) ، ومسلم (١١١٥) .

أفطر» ، ولما ثبت أنه في كثير من أسفار النبي ﷺ كان من الصحابة الصائم والمفطر فلا يعيب الصائم على المفطر ولا يعيب المفطر على الصائم[١] .

واختلف العلماء في أيهما أفضل؟ على ثلاثة أقوال :

القول الأول : أن الصوم أفضل ؛ لأنه أسرع في براءة الذمة ولأنه في رمضان أعون له إذا صام مع الناس ، ولأنه فعل النبي ﷺ كما في بعض الأحاديث : خرج النبي ﷺ في سفر وإن أحدنا ليضع يده على رأسه من شدة الحر وما فينا صائم إلا رسول الله ﷺ وعبد الله بن رواحة[٢] .

القول الثاني : أن الفطر أفضل ؛ لأن فيه قبولًا للرخصة وفي الحديث : **«إن الله يحب أن تؤتى رخصه كما يكره أن تؤتى معصيته»**[٣] .

القول الثالث : أن الفطر والصيام على حد سواء .

وقالت طائفة من أهل العلم : إن الصيام لا يصح ، وهذا قول ضعيف مرجوح .

أما إذا سافر في أثناء اليوم في رمضان فقال بعض العلماء : لا يجوز له أن يفطر وإنما يتم ذلك اليوم .

والصواب أنه يجوز له أن يفطر ؛ لأن النبي ﷺ أفطر في أثناء اليوم[٤] .

وكذلك يجوز له أن يفطر إذا سافر في أثناء رمضان خلافا لبعض العلماء القائلين بأنه لا يجوز له أن يفطر إلا إذا أدركه رمضان في السفر .

وقول الزهري : **«وإنما يؤخذ من أمر رسول الله ﷺ الآخر فالآخر»** ظاهره أنه يرى أن الفطر أفضل ؛ لأنه هو الآخر من فعل النبي ﷺ .

* * *

---

(١) أحمد (٣/ ٢٤) ، والبخاري (١٩٤٧) ، ومسلم (١١١٨) .
(٢) أحمد (٥/ ١٩٤) ، والبخاري (١٩٤٥) ، ومسلم (١١٢٢) .
(٣) أحمد (٢/ ١٠٨) .
(٤) أحمد (١/ ٣٣٤) ، والبخاري (١٩٤٤) ، ومسلم (١١١٣) .

المتن

[٤٨/ ٥٥] أين رَكَزَ النبي ﷺ الراية يوم الفتح

• [٤٠٠٠] حدثني عبيد بن إسماعيل، قال: حدثنا أبو أسامة، عن هشام، عن أبيه، لما سار رسول الله ﷺ عام الفتح فبلغ ذلك قريشا - خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء يلتمسون الخبر عن رسول الله ﷺ، فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مر الظهران، فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة، فقال أبو سفيان: ما هذه؟ لكأنها نيران عرفة، فقال بديل بن ورقاء: نيران بني عمرو، فقال أبو سفيان: عمرو أقل من ذلك، فرآهم ناس من حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم، فأتوا بهم رسول الله ﷺ، فأسلم أبو سفيان، فلما سار قال للعباس: «**احبس أبا سفيان عند حطم الخيل حتى ينظر إلى المسلمين**»، فحبسه العباس، فجعلت القبائل تمر مع النبي ﷺ؛ تمر كتيبة كتيبة على أبي سفيان، فمرت كتيبة فقال يا عباس: من هذه؟ قال: هذه غفار، قال: ما لي ولغفار، ثم مرت جهينة فقال مثل ذلك، ثم مرت سعد بن هُذَيْم فقال مثل ذلك، ثم مرت سليم فقال مثل ذلك، حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها، قال: من هذه؟ قال: هؤلاء الأنصار، عليهم سعد بن عبادة معه الراية، فقال: سعد بن عبادة: يا أبا سفيان، اليوم يوم الملحمة، اليوم تستحل الكعبة، فقال أبو سفيان: يا عباس، حبذا يوم الذمار! ثم جاءت كتيبة وهي أقل الكتائب فيهم رسول الله ﷺ وأصحابه، وراية النبي ﷺ مع الزبير، فلما مر رسول الله ﷺ بأبي سفيان قال: ألم تعلم ما قال سعد بن عبادة؟ قال: «**ما قال؟**» قال: كذا وكذا، فقال: كذب سعد؛ ولكن هذا يوم يعظم الله فيه الكعبة، ويوم تكسى فيه الكعبة، قال: وأمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحجون.

• [٤٠٠١] قال عروة: فأخبرني نافع بن جبير بن مطعم، قال: سمعت العباس يقول للزبير بن العوام: يا أبا عبدالله، هاهنا أمرك رسول الله ﷺ أن تركز الراية؟ قال: وأمر رسول الله ﷺ يومئذ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة من كَدَاء، ودخل النبي ﷺ من كُدًا فقتل من خيل خالد بن الوليد يومئذ رجلين: حبيش بن الأشعر، وكرز بن جابر الفهري.

• [٤٠٠٢] حدثنا أبو الوليد ، قال : حدثنا شعبة ، عن معاوية بن قرة ، قال : سمعت عبدالله بن مغفل يقول : رأيت رسول الله ﷺ يوم فتح مكة على ناقته وهو يقرأ سورة الفتح يرجع ، وقال : لولا أن يجتمع الناس حولي لرجعت كما رجع .

• [٤٠٠٣] حدثنا سليمان بن عبدالرحمن ، قال : حدثنا سعدان بن يحيى ، قال : حدثني محمد بن أبي حفصة ، عن الزهري ، عن علي بن حسين ، عن عمرو بن عثمان ، عن أسامة بن زيد أنه قال زمن الفتح : يا رسول الله ، أين ننزل غدًا؟ قال النبي ﷺ : **«وهل ترك لنا عَقِيلٌ من منزل؟»** ، ثم قال : **«لا يرث الكافر المؤمن ، ولا يرث المؤمن الكافر»** .

قيل للزهري : من ورث أبا طالب؟ قال : ورثه عقيل وطالب .

قال معمر ، عن الزهري : **«أين ننزل غدا؟»** في حجته .

ولم يقل يونس : حجته ، ولا : زمن الفتح .

• [٤٠٠٤] حدثنا أبو اليمان ، قال : أخبرنا شعيب ، قال : حدثنا أبو الزناد ، عن عبدالرحمن ، عن أبي هريرة ، عن النبي ﷺ قال : **«منزلنا إن شاء الله – إذا فتح الله – الخيف ، حيث تقاسموا على الكفر»** .

• [٤٠٠٥] حدثنا موسى بن إسماعيل ، قال : حدثنا إبراهيم بن سعد ، قال : حدثنا ابن شهاب ، عن أبي سلمة ، عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ – حين أراد حُنَيْنَ : **«منزلنا غدا إن شاء الله بخيف بني كنانة ، حيث تقاسموا على الكفر»** .

• [٤٠٠٦] حدثنا يحيى بن قزعة ، قال : حدثنا مالك ، عن ابن شهاب ، عن أنس بن مالك ، أن النبي ﷺ دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه المغفر ، فلما نزعه جاء رجل فقال : ابن خطل متعلق بأستار الكعبة ، فقال : **«اقتله»** .

قال مالك : ولم يكن النبي ﷺ – فيما نرى والله أعلم – يومئذ محرمًا .

• [٤٠٠٧] حدثنا صدقة بن الفضل ، قال : حدثنا ابن عيينة ، عن ابن أبي نجيح ، عن مجاهد ، عن أبي معمر ، عن عبدالله قال : دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب ، فجعل يطعنها بعود في يده ويقول : «﴿ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَزَهَقَ ٱلۡبَٰطِلُ﴾ [الإسراء : ٨١] ، ﴿ جَآءَ ٱلۡحَقُّ وَمَا يُبۡدِئُ ٱلۡبَٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ : ٤٩]» .

• [٤٠٠٨] حدثني إسحاق، قال: حدثنا عبدالصمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثنا أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة، فأمر بها فأُخرجت، وأُخرج صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما من الأزلام، فقال: **«قاتلهم الله، لقد علموا ما استقسما بها قط»**، ثم دخل البيت فكبر في نواحي البيت، وخرج ولم يصل فيه.

تابعه معمر، عن أيوب، وقال وهيب: حدثنا أيوب، عن عكرمة، عن النبي ﷺ.

الشرح

• [٤٠٠٠] **ذكر قصة مجيء جيش النبي ﷺ وغزوه مكة وأنه بغتهم في بلدهم؛ لأنهم نقضوا العهد.**

وجاء في الحديث أن النبي ﷺ دعا الله أن يبغتهم في مكة وجعل له عيونا يمنعون وصول الخبر إلى قريش[1].

وبلغ قريشا أن النبي ﷺ خرج، ولكنهم لم يبلغهم الخبر بلوغا واضحا، لذلك **«خرج أبو سفيان بن حرب وحكيم بن حزام وبديل بن ورقة يلتمسون الخبر عن رسول الله ﷺ»** وهم لا يعلمون أنه ﷺ عندهم وقريب منهم، فبغتهم النبي ﷺ.

وقوله: **«فأقبلوا يسيرون حتى أتوا مر الظهران»** وكان النبي ﷺ قد نزل وكانوا في الليل **«فإذا هم بنيران كأنها نيران عرفة»** يعني: كأنها نيران أهل الموسم في الحج.

قوله: **«فقال أبو سفيان: ما هذه؟»** يقول ذلك لحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء **«لكأنها نيران عرفة فقال بديل بن ورقاء: نيران بني عمرو»** أي: هذه نيران بني عمرو **«فقال أبو سفيان: عمرو أقل من ذلك»**. وكان في جيش رسول الله ﷺ حرس **«فرآهم ناس من حرس رسول الله ﷺ فأدركوهم فأخذوهم»** يعني: أخذوا أبا سفيان وحكيم بن حزام وبديل بن ورقاء.

---

(١) «السنن الكبرى» للبيهقي (٩/ ٢٣٣).

قوله : «**فأتوا بهم رسول الله ﷺ فأسلم أبو سفيان**» وفي بعض الروايات : «أنهم أسلموا جميعًا ورجع صاحباه» وفي بعضها : «أن العباس أخذ أبا سفيان» وفيها أيضًا : أن رسول الله ﷺ رآه فقال له : «**أتشهد أن لا إله إلا الله قال : وتشهد أن محمدا رسول الله**» قال : بأبي أنت وأمي ما أحلمك وأكرمك وأوصلك ، أما هذه ففي النفس منها شيء ، قال العباس : ويحك ، أسلم قبل أن تضرب عنقك ، فشهد شهادة الحق وأسلم[١] .

قوله : «**عند حطم الخيل**» أي : مرورها وازدحامها ، وفي رواية : «**عند خطم الجبل**»[٢] بالخاء المعجمة أي : أنف الجبل .

قوله : «**حتى ينظر إلى المسلمين**» يعني : ينظر إلى الكتائب حتى يتقوى إيمانه ؛ لأنه حديث الإسلام فلا يزال فيه بقية جاهلية .

قوله : «**فحبسه العباس ، فجعلت القبائل تمر مع النبي ﷺ ؛ تمر كتيبة كتيبة**» الكتيبة : قطعة من الجيش . فكان أبو سفيان كلما مرت كتيبة سأل العباس فيخبره «**فمرت كتيبة فقال يا عباس : من هذه؟ قال : هذه غفار قال : ما لي ولغفار ، ثم مرت جهينة فقال مثل ذلك ، ثم مرت سعد بن هديم فقال مثل ذلك ، ثم مرت سليم فقال مثل ذلك حتى أقبلت كتيبة لم ير مثلها**» يعني : كتيبة عظيمة .

قوله : «**اليوم يوم الملحمة**» يعني اليوم يوم المقتلة العظمى «**اليوم تستحل الكعبة**» عند ذلك تأثر أبو سفيان فقال : «**يا عباس ، حبذا يوم الذمار**» يعني : يوم الهلاك .

قوله : «**كذا وكذا**» يقصد قول سعد بن عبادة رضي الله عنه «**اليوم يوم الملحمة ، اليوم تستحل الكعبة**» .

قوله : «**كذب سعد**» أي : أخطأ ، ففيه إطلاق الكذب على الإخبار بغير ما سيقع ولو كان القائل بناه على غلبة الظن منه ، كما في الحديث : «**صدق الله وكذب بطن أخيك**»[٣] يعني : أخطأ .

---

(١) «المعجم الكبير» (٨/ ٩ – ١٢) ، و«سيرة ابن هشام» (٥/ ٥٨ – ٦٠) .

(٢) الطبراني في «الكبير» (٨/ ٩) ، والبيهقي في «الكبرى» (٩/ ١١٩) .

(٣) أحمد (٣/ ١٩) ، والبخاري (٥٦٨٤) ، ومسلم (٢٢١٧) .

قوله : «**قال : وأمر رسول الله ﷺ أن تركز رايته بالحجون**» أي : أمر النبي ﷺ بأن تؤخذ الراية من سعد وتعطى لابنه عقوبة وتأديبًا له لما قاله ، وهذا هو شاهد الترجمة .

• [٤٠٠١] جاء في هذا الحديث قوله : «**وأمر رسول الله ﷺ يومئذ خالد بن الوليد أن يدخل من أعلى مكة**» وهذا مخالف للأحاديث الصحيحة : «أن النبي ﷺ دخل مكة ودخل من أعلاها وخرج من أسفلها»[١] ولعله حصل انقلاب على الراوي ، فدخل خالد من أسفل مكة من كدًا بالضم والقصر ، وأما كداء فبالفتح والمد ، وهناك مكان آخر يقال له : كدي بالضم والتصغير .

ولهذا قال العلماء : يستحب لمن قدم مكة في الحج والعمرة أن يدخل من كداء وأن يخرج من كدى ؛ اقتداء بالنبي ﷺ .

والحديث فيه دليل على أن مكة فتحت عنوة وهذا هو الصواب من أقوال أهل العلم ولهذا جاء عن خالد بن الوليد : أوبشت قريش أوباشا قال النبي ﷺ : «**إذا رأيت أحدا فاحصدهم حصدا حتى تلقاني على الصفا**»[٢] . وذهب الإمام الشافعي[٣] إلى أنها فتحت صلحا . ومن العلماء من قال : إن الأمر موهم .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «وقد تمسك بهذه القصة من قال : إن مكة فتحت عنوة» .

وهذا هو قول الجمهور وهو الصواب .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «وهو قول الأكثر وعن الشافعي ورواية عن أحمد أنها فتحت صلحا لما وقع هذا التأمين ولإضافة الدور إلى أهلها ولأنها لم تقسم ولأن الغانمين لم يملكوا دورها وإلا لجاز إخراج أهل الدور منها» .

فهذه حجة الإمام الشافعي[٤] أنها فتحت صلحا لما وقع أن الرسول أمنهم وقال لهم : «**من أغلق بابه فهو آمن**»[٥] ولأن الدور أضيفت إلى أهلها ولأنها لم تقسم بين الغانمين ولأن

---

(١) أحمد (٦/ ٤٠) ، والبخاري (١٥٧٧) ، ومسلم (١٢٥٨) .
(٢) «فتح الباري» (٨/ ١٢) ، و«تفسير القرطبي» (٢/ ٣٥٢) .
(٣) انظر «مغني المحتاج» (٦/ ٥٠) .
(٤) انظر «مغني المحتاج» (٦/ ٥١) .
(٥) أحمد (٢/ ٥٣٨) ، ومسلم (١٧٨٠) .

الغانمين لم يملكوا دورها وإلا لو كانت فتحت عنوة لجاز إخلاء الدور من أهلها ؛ لأنها صارت غنيمة للمسلمين ولا تؤجر ولا تباع .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «وحجة الأولين ما وقع من التصريح من الأمر بالقتال ووقوعه من خالد بن الوليد رضي الله عنه وبتصريحه ﷺ بأنها أحلت ساعة من نهار ونهيه عن التأسي به في ذلك وأجابوا عن ترك القسمة بأنها لا تستلزم عدم العنوة فقد تفتح البلد عنوة ويمن على أهلها ويترك لهم دورهم وغنائمهم» .

يعني لا يلزم من كونها فتحت عنوة أن تقسم ؛ لأن النبي ﷺ مَنَّ على أهلها وترك لهم دورهم وغنائمهم .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «لأن قسمة الأرض المغنومة ليست متفقا عليها بل الخلاف ثابت عن الصحابة رضوان الله عليهم فمن بعدهم وقد فتحت أكثر البلاد عنوة فلم تقسم وذلك في زمن عمر وعثمان رضي الله عنهما مع وجود أكثر الصحابة وقد زادت مكة عن ذلك بأمر يمكن أن يدعى اختصاصها به دون بقية البلاد وهي أنها دار النسك ومتعبد الخلق وقد جعلها الله تعالى حرما سواء العاكف فيه والباد . وأما قول النووي : احتج الشافعي بالأحاديث المشهورة بأن النبي ﷺ صالحهم بمر الظهران قبل دخول مكة ففيه نظر» .

والإمام النووي رَحِمَهُ اللَّهُ شافعي المذهب وكذلك الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ شافعي المذهب ، لكن النووي رَحِمَهُ اللَّهُ عنده تعصب للمذهب وكثيرًا ما يستدل للشافعي ، أما الحافظ فأقل تعصبا منه ، فقول النووي : «احتج الشافعي بالأحاديث المشهورة بأن النبي ﷺ صالحهم بمر الظهران قبل دخول مكة» فيه نظر ؛ لأن النبي ﷺ جاء لفتح مكة فكيف يصالحهم؟!

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «لأن الذي أشار إليه إن كان مراده ما وقع له من قوله ﷺ : **«من دخل دار أبي سفيان فهو آمن»**[1]» كما تقدم وكذا : **«من دخل المسجد»**[2] كما عند ابن إسحاق فإن ذلك لا يسمى صلحا إلا إذا التزم من أشير إليه بذلك الكف عن القتال . والذي ورد في الأحاديث الصحيحة ظاهر في أن قريشا لم تلتزم ذلك ؛ لأنهم استعدوا للحرب كما ثبت في

(١) أحمد (٢/ ٥٣٨) ، ومسلم (١٧٨٠) .
(٢) أبو داود (٣٠٢٢) .

حديث أبي هريرة عند مسلم «أن قريشا وبشت أوباشا لها وأتباعا فقالوا : نقدم هؤلاء فإن كان لهم شيء كنا معهم وإن أصيبوا أعطيناه الذين سألنا»[١] .

فقال النبي ﷺ : **«أترون أوباش قريش»** ثم قال بإحدى يديه على الأخرى أي : احصدوهم حصدا **«حتى توافوني بالصفا»** قال : فانطلقنا فما نشاء أن نقتل أحدا إلا قتلناه[٢] ، وإن كان مراده بالصلح وقوع عقد به فهذا لم ينقل ولا أظنه عنى إلا الاحتمال الأول وفيه ما ذكرته» .

فالحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ يرد على النووي رَحِمَهُ اللَّهُ فيما احتج به للشافعي[٣] بأنها فتحت صلحا ؛ لأن النبي ﷺ صالحهم بمر الظهران .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «وتمسك أيضًا من قال : إنه مبهم بما وقع عند ابن إسحاق في سياق قصة الفتح» .

هذا قول ثالث في المسألة : أن الأمر مبهم يحتمل أن يكون صلحا ويحتمل أن يكون عنوة .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «فقال العباس : لعلي أجد بعض الحطابة أو صاحب لبن أو ذا حاجة يأتي مكة فيخبرهم بمكان رسول الله ﷺ ليخرجوا إليه فيستأمنوه قبل أن يدخلها عنوة» الحطابة : الذين يحتطبون .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «ثم قال في القصة بعد قصة أبي سفيان : **«من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن أغلق عليه بابه فهو آمن»**[٢] فتفرق الناس إلى دورهم وإلى المسجد . وعند موسى بن عقبة في المغازي وهي أصح ما صنف في ذلك عند الجماعة ما نصه : أن أبا سفيان وحكيم بن حزام قالا : يا رسول الله كنت حقيقا أن تجعل عدتك وكيدك بهوازن فإنهم أبعد رحما وأشد عداوة فقال ﷺ : **«أما إني لأرجو أن يجمعهما الله لي فتح مكة وإعزاز الإسلام بها وهزيمة هوازن وغنيمة أموالهم»** فقال أبو سفيان وحكيم : فادع الناس بالأمان أرأيت إن اعتزلت قريش فكفت أيديها آمنون هم؟ قال : **«من كف يده وأغلق داره فهو آمن»** قالوا : فابعثنا نؤذن بذلك فيهم ، قال : **«انطلقوا فمن دخل دار أبي سفيان فهو آمن ومن دخل دار حكيم فهو**

---

(١) مسلم (١٧٨٠) .

(٢) أحمد (٢/ ٥٣٨) ، ومسلم (١٧٨٠) .

(٣) انظر «مغني المحتاج» (٦/ ٥٠ ، ٥١) .

آمن» ودار أبي سفيان بأعلى مكة ودار حكيم بأسفلها فلما توجها قال العباس : يا رسول الله إني لا آمن أبا سفيان أن يرتد فرده حتى تريه جنود الله قال : **«أفعل»** فذكر القصة[١] . وفي ذلك تصريح بعموم التأمين فكان هذا أمانا منه لكل من لم يقاتل من أهل مكة فمن ثم قال الشافعي : كانت مكة مأمونة ولم يكن فتحها عنوة والأمان كالصلح وأما الذين تعرضوا للقتال أو الذين استثنوا من الأمان وأمر أن يقتلوا ولو تعلقوا بأستار الكعبة ، فلا يستلزم ذلك أنها فتحت عنوة .

ويمكن الجمع بين حديث أبي هريرة في أمره ﷺ بالقتال وبين حديث الباب في تأمينه ﷺ لهم بأن يكون التأمين علق بشرط وهو ترك قريش المجاهرة بالقتال لما تفرقوا إلى دورهم ورضوا بالتأمين المذكور لم يستلزم أن أوباشهم الذين لم يقبلوا ذلك وقاتلوا خالد بن الوليد ومن معه فقاتلهم حتى قتلهم وهزمهم أن تكون البلد فتحت عنوة ؛ لأن العبرة بالأصول لا بالأتباع وبالأكثر لا بالأقل ولا خلاف مع ذلك أنه لم يجر فيها قسم غنيمة ولا سبي من أهلها ممن باشر القتال أحد وهو مما يؤيد قول من قال : لم يكن فتحها عنوة وهو عند أبي داود بإسناد حسن عن جابر أنه سئل هل غنمتم يوم الفتح شيئا؟ قال : لا .

وجنحت طائفة منهم الماوردي إلى أن بعضها فتح عنوة لما وقع من قصة خالد بن الوليد المذكورة» .

وهذا قول رابع في المسألة : أن بعضها فتحت عنوة وبعضها فتحت صلحا .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «وقرر ذلك الحاكم في الإكليل والحق أن صورة فتحها كان عنوة ومعاملة أهلها معاملة من دخلت بأمان . ومنع جمع منهم السهيلي ترتب عدم قسمتها وجواز بيع دورها وإجارتها على أنها فتحت صلحا .

أما أولا : فلأن الإمام مخير في قسمة الأرض بين الغانمين إذا انتزعت من الكفار وبين إبقائها وقفًا على المسلمين ولا يلزم من ذلك منع بيع الدور وإجارتها .

وأما ثانيا : فقال بعضهم : لا تدخل الأرض في حكم الأموال ؛ لأن من مضى كانوا إذا غلبوا على الكفار لم يغنموا الأموال فتنزل النار فتأكلها وتصير الأرض عموما لهم كما قال الله تعالى :

---

(١) البيهقي في «دلائل النبوة» (٥/ ٣٩) .

﴿ٱدۡخُلُواْ ٱلۡأَرۡضَ ٱلۡمُقَدَّسَةَ ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ الآية [المائدة : ٢١] وقال تعالى : ﴿وَأَوۡرَثۡنَا ٱلۡقَوۡمَ ٱلَّذِينَ كَانُواْ يُسۡتَضۡعَفُونَ مَشَٰرِقَ ٱلۡأَرۡضِ وَمَغَٰرِبَهَا﴾ الآية [الأعراف : ١٧٣] والمسألة مشهورة فلا نطيل فيها هنا وقد تقدم كثير من مباحث دور مكة في «باب توريث دور مكة» من «كتاب الحج» .

وأشكلت هذه المسألة على كثير من العلماء وممن أشكل عليهم فضيلة الشيخ محمد بن العثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ فلما سئل هل يجوز بيع دور مكة؟

قال : «المسألة مشكلة علي وأنا أذكر لكم الخلاف والأقوال فيها» ، ثم ذكر ما فيها من أقوال ثم قال : « ما ظهر لي - يعني الأمر - ومن كان عنده أموال فلا ينبغي له أن يشتري عقارات في مكة وإنما يشتريها في غير مكة ؛ لأن الأمر فيه شبهة» .

والصواب أنها فتحت عنوة وليس في الأمر إشكال ؛ لأن الإمام مخير بين قسمتها وبين وقفها ولأن مكة لها خصوصية خاصة وهي أن الله تعالى جعلها دار النسك ومتعبد الخلق وحرمًا آمنًا سواء العاكف فيه والباد .

• [٤٠٠٢] قوله : «وهو يقرأ سورة الفتح يرجع» قال العلماء : الترجيع هو ترديد القارئ الحرف في الحلق ، ومثل بعض العلماء بأن تقول : ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾ آآآ [الفتح : ١] .

قوله : «لولا أن يجتمع الناس حولي لرجعت كما رجع» هو قول معاوية بن قرة ، والمعنى : لرجعت كما رجع عبدالله بن مغفل عندما كان يحكي ترجيع النبي ﷺ للآية : ﴿إِنَّا فَتَحۡنَا لَكَ فَتۡحٗا مُّبِينٗا﴾ .

وقال شيخنا رَحِمَهُ اللَّهُ الترجيع هو : التكرار بخشوع وتدبر ولم أر أحدا قال هذا فقد ذكر الشراح أن الترجيع : ترديد الحرف في الحلق وكأن المقصود منه التخشع والتدبر .

وقد روي أن النبي ﷺ جلس يردد آية حتى الصباح [1] ، وهي قوله تعالى : ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَ﴾ [المائدة : ١١٨] .

• [٤٠٠٣] في هذا الحديث - حديث أسامة بن زيد - أن النبي ﷺ قيل له زمن الفتح : «يا رسول الله ، أين ننزل غدًا؟ قال النبي ﷺ : وهل ترك لنا عقيل من منزل؟» أي : لم يترك عقيل لنا شيئًا .

---

(١) أحمد (٥/ ١٤٩) ، والنسائي (١٠١٠) ، وابن ماجه (١٣٥٠) .

وفيه أن النبي ﷺ أقر الكفار على ما بأيديهم من الأموال والعقارات ولم يرد على المسلمين يوم فتح مكة أموالهم ولا دورهم ورباعهم ؛ وذلك أن أبا طالب كان قد وضع يده على ما خلفه عبد الله والد النبي ﷺ ؛ لأنه كان شقيقه فلما مات أبو طالب ورثه عقيل وطالب ؛ لأنهما كافران ولم يرثه علي ؛ لأنه مسلم والنبي ﷺ قال : «**لا يرث الكافر المؤمن ، ولا يرث المؤمن الكافر**» .

قوله : «**قيل للزهري : من ورث أبا طالب؟ قال : ورثه عقيل وطالب**» ؛ ذلك لأنهما كافران ثم أسلم عقيل بعد ذلك ومات طالب على دين قومه قبل بدر .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «وكان أبو طالب قد وضع يده على ما خلفه عبد الله والد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأنه كان شقيقه وكان النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عند أبي طالب بعد موت جده عبد المطلب فلما مات أبو طالب ووقعت الهجرة ولم يسلم طالب وتأخر إسلام عقيل استوليا على ما خلف أبو طالب ومات طالب قبل بدر وتأخر عقيل فلما تقرر حكم الإسلام بترك توريث المسلم من الكافر استمر ذلك بيد عقيل فأشار النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى ذلك وكان عقيل قد باع تلك الدور كلها واختلف في تقرير النبي ﷺ عقيلا على ما يخصه هو فقيل : ترك له ذلك تفضلا عليه وقيل : استمالة له وتأليفا وقيل : تصحيحا لتصرفات الجاهلية كما تصحح أنكحتهم» .

والأقرب أن النبي ﷺ أقرهم على ما كانوا عليه ؛ تصحيحًا لتملك أهل الجاهلية وتصرفاتهم ، فأقرهم ﷺ على ممتلكاتهم وأنكحتهم ، فلما أسلموا لم يفسخ لهم عقد ملكية أو عقد زواج ، وحتى لم يجدد لهم العقد فأقرهم على ما كانوا عليه .

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ : «وفي قوله : «**وهل ترك لنا عقيل من دار**» إشارة إلى أنه لو تركها بغير بيع لنزل فيها وفيه تعقب على الخطابي حيث قال : إنما لم ينزل النبي ﷺ فيها ؛ لأنها دور هجروها في الله تعالى بالهجرة ، فلم يرد أن يرجع في شيء تركه لله تعالى ، وفي كلامه نظر لا يخفى والأظهر ما قدمته وأن الذي يختص بالترك إنما هو إقامة المهاجر في البلد التي هاجر منها كما تقدم تقريره في أبواب الهجرة لا مجرد نزوله في دار يملكها إذا أقام المدة المأذون له فيها وهي أيام النسك وثلاثة أيام بعده ، والله أعلم» .

• [٤٠٠٤] عن أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: **«منزلنا إن شاء الله إذا فتح الله الخيف»** الخيف: ما انحدر عن غلظ الجبل وارتفع عن مسيل الماء يعني الوادي، ومعنى الكلام أن الرسول ﷺ أراد أن ينزل بالخيف.

قوله: **«حيث تقاسموا على الكفر»** يعني المكان الذي تقاسمت فيه قريش وتحالفت وتعاقدت على أن يحاصروا بني هاشم ولا يبايعونهم ولا يآكلونهم ولا يشاربونهم ولا يناكحونهم حتى يسلِّموا النبي ﷺ لهم، فحصرت بنو هاشم ودخل معهم بنو عبد المطلب في الشعب مؤمنهم وكافرهم ثلاث سنين حتى أصابتهم شدة في هذا الوادي، فالنبي ﷺ يقول: هذا الوادي الذي أقاموا فيه شعائر الكفر نريد أن ننزل فيه ونظهر فيه شعائر الإسلام.

• [٤٠٠٥] عن أبي هريرة قال: **«قال رسول الله ﷺ - حين أراد حنين»** لعل ذكر حنين وهم من بعض الرواة؛ والصواب: حين أراد فتح مكة.

قوله: **«منزلنا غدا إن شاء الله بخيف بني كنانة، حيث تقاسموا على الكفر»** تقاسموا يعني تحالفوا، ويقصد المكان الذي تقاسمت قريش وتحالفت فيه على الكفر وعلى القطيعة حيث حصروا بني هاشم حصارا اقتصاديا حتى يسلموا لهم النبي ﷺ، وكأن النبي ﷺ يقول: هذا المكان الذي تقاسموا فيه وأظهروا فيه شعائر الكفر سننزل فيه غدا إن شاء الله لنظهر فيه شعائر الإسلام.

• [٤٠٠٦] قوله: **«أن النبي ﷺ دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه المغفر»** لأنه دخلها لا يريد النسك وإنما يريد القتال.

وفيه دليل على أن من دخل مكة لا يريد النسك يجوز له أن يدخل بغير إحرام خلافا لمذهب الحنابلة(١)، فالحنابلة يقولون: كل من أراد أن يدخل مكة فعليه أن يحرم، ولا يجوز لأحد أن يدخل مكة إلا بإحرام، إلا من دخل لقتال، وكذلك من يكثر ترداده كالحطاب وما أشبه ذلك، وما عداهم فإنه يجب على كل من يدخل مكة أن يحرم.

والصواب أنه لا يجب الإحرام إلا على من أراد النسك، والدليل على هذا حديث ابن عباس أن النبي ﷺ لما وقت المواقيت قال: **«هن لهن، ولمن أتى عليهن من غير أهلهن ممن أراد الحج**

---

(١) انظر «الفروع» (٣/ ٢٨١ - ٢٨٢).

والعمرة»[1] ومفهومه أن من لم يرد الحج والعمرة فإنه لا يجب عليه الإحرام ؛ ولذلك فالنبي ﷺ دخل مكة يوم الفتح وعلى رأسه المغفر .

قوله : «**ابن خطل متعلق بأستار الكعبة**» يعني : محتمٍ بها ، فقال : «**اقتله**» ؛ وذلك لأن النبي ﷺ أهدر دمه فقال : «**إذا وجدتم ابن خطل فاقتلوه ولو كان متعلقا بأستار الكعبة**»[2] ؛ لأنه كان يهجو النبي ﷺ .

وكل من هتك حرمة الحرم بالقتل أو الزنا يقتص منه بمكة ؛ ولهذا تقام الحدود بمكة ، أما من فعل شيئا خارج الحرم ، ثم دخل الحرم فهذا هو الذي يؤمن .

قوله : «**ولم يكن النبي ﷺ - فيما نرى والله أعلم - يومئذ محرمًا**» وهذا هو الصواب ؛ لأن النبي ﷺ جاء لفتح مكة فلا يريد النسك ؛ ولذلك لم يكن محرما .

• [٤٠٠٧] هذا الحديث حديث أبي معمر عن عبد الله .

قوله : «**دخل النبي ﷺ مكة يوم الفتح وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب**» سميت نصبا ؛ لأنها تنصب للعبادة .

قوله : «**فجعل يطعنها بعود في يده**» يطعن : بضم العين وفتحها ، والضم سماعي ، وأما القياس فبالفتح ؛ لأن القاعدة أن الفعل إذا كان ثاني حروفه حرف حلق فتح في المضارع ، تقول : طعن يطعَن ، ذهب يذهَب ، وفي بعض الروايات : «يشير إليها»[3] ، «ويقول : ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ﴾ [الإسراء : ٨١] ﴿ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴾ [سبأ : ٤٩]» فتتساقط على وجوهها .

ولعل النبي ﷺ أشار إلى البعض وطعن البعض ، وفعل ذلك بأمر الله ، والله هو الذي أسقطها ، وفي ذلك معجزة للنبي ﷺ وعلم من أعلام نبوته .

• [٤٠٠٨] هذا الحديث فيه «**أن رسول الله ﷺ لما قدم مكة أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة فأمر بها فأخرجت ، وأخرج صورة إبراهيم وإسماعيل في أيديهما من الأزلام**»

---

(١) أحمد (١/ ٢٣٨) ، والبخاري (١٥٢٤) ، ومسلم (١١٨١) .
(٢) أبو داود (٢٦٨٣) ، والنسائي (٤٠٦٧) ، وأصل قصة قتل ابن خطل في «الصحيحين» .
(٣) «المعجم الكبير» (١٢/ ٤٥٢) ، و«سيرة ابن هشام» (٥/ ٨٠) .

وهذه الأزلام كان يستقسم بها المشركون، وهي ثلاثة أقداح يديرونها: واحد مكتوب عليه: افعل، وواحد: لا تفعل، وواحد: غفل، فإذا أرادوا سفرا أو تجارة أو غيرها استقسموا بتلك الأقداح، فإذا خرج افعل مضى، وإذا خرج لا تفعل أحجم، وإذا خرج الثالث الغفل أجلوا الأمر الذي كانوا يريدون فعله حتى يخرج واحد من الاثنين: افعل، أو: لا تفعل.

قوله: «**فقال: قاتلهم الله، لقد علموا ما استقسما بها قط**» أي: قاتل الله المشركين لقد علموا أن إبراهيم وإسماعيل لم يستقسموا بالأزلام أبدًا.

قوله: «**ثم دخل البيت فكبر في نواحي البيت، وخرج ولم يصل فيه**» هذا حديث ابن عباس أن النبي ﷺ لما دخل في جوف الكعبة كبر في نواحيها ولم يصل، أما في حديث بلال - كما سيأتي - أن النبي ﷺ دخل، وصلى ركعتين بين العمودين، وجعل بينه وبين الجدار الغربي ثلاثة أذرع[1].

وقد جمع العلماء بين الحديثين بأن بلالا مثبت للفعل وابن عباس ناف له، والمثبت مقدم على النافي؛ لأن معه علما خفي على ابن عباس، وأخذ العلماء من حديث بلال أن المصلي إذا لم يكن له سترة ومرَّ أمامه لأكثر من ثلاثة أذرع فلا يضر.

قوله: «**أبى أن يدخل البيت وفيه الآلهة**» وفي الحديث الذي قبله: «وحوله ستون وثلاثمائة نصب» ففي الحديث الأول أن الأصنام كانت حول البيت، وفي هذا الحديث أن الأصنام كانت في البيت وسط الكعبة.

ونجمع بين الحديثين بأن الذي حول البيت من الأصنام غير الذي بالداخل، فالذي حول البيت هي النصب التي نصبت للعبادة والذبح للأصنام عليها، والذي بالداخل الصور التي على الجدران، وسيأتي في حديث آخر: أنه رأى فيه صورة إبراهيم فأمر بها فمحيت ولكن بقيت فيها بقية ثم محاها[2].

---

(١) أحمد (٦/ ١٣)، والبخاري (٥٠٤ - ٥٠٦)، ومسلم (١٣٢٩).

(٢) أحمد (١/ ٣٦٥)، والبخاري (٣٣٥٢).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «ووقع في رواية ابن أبي شيبة ، عن ابن عيينة : «صنمًا» بدل «نصبًا»[(١)] ، ويطلق النصب ويراد به الحجارة التي كانوا يذبحون عليها للأصنام ، وليست مرادة هنا ، وتطلق الأنصاب على أعلام الطريق» .

ويؤخذ من الحديث أن الإنسان لا يصلي إذا كانت أمامه صورة ، لكن الصلاة صحيحة .

وقد يقول قائل : إن النبي ﷺ دخل مرتين ، وفي المرة الأولى امتنع لوجود الصور ثم رجع في المرة الثانية ، فنرد عليه بأن النبي ﷺ ما دخل البيت إلا مرة واحدة يوم الفتح ؛ ولهذا خرج حزينا وقال : **«إني أخاف أن أكون قد شققت على أمتي»**[(٢)] يعني خوفا من أن تقتدي به الأمة وتتزاحم على دخول الكعبة ، ولذلك لم يدخل النبي ﷺ البيت في حجة الوداع ، ولما قالت عائشة : أريد أن أصلي في الكعبة قال لها النبي ﷺ : **«صَلِّي فِي الْحِجْرِ ؛ فَإِنَّهُ مِنَ الْكَعْبَةِ»**[(٣)] .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «وفي الحديث كراهة الصلاة في المكان الذي فيه صور لكونها مظنة الشرك وكان غالب كفر الأمم من جهة الصور» .

وإذا صلى في المكان الذي فيه صور أو في الثوب الذي فيه صورة أو فيه صليب ، فهل تصح صلاته؟ فيه خلاف : فمن العلماء من قال : تصح صلاته ، ومنهم من قال : لا تصح .

❊ ❊ ❊

---

(١) الأزرقي في «أخبار مكة» (١/ ٩١) .

(٢) أحمد (٦/ ١٣٧) ، وأبو داود (٢٠٢٩) واللفظ له ، والترمذي (٨٧٣) ، وابن ماجه (٣٠٦٤) .

(٣) أحمد (٦/ ٩٢) ، وأبو داود (٢٠٢٨) ، والترمذي (٨٧٦) ، والنسائي (٢٩١٢) .

المتن

[٤٩/ ٥٥] دخول النبي ﷺ من أعلى مكة

وقال الليث : حدثني يونس ، قال : أخبرنا نافع ، عن عبدالله بن عمر ، أن رسول الله ﷺ أقبل يوم الفتح من أعلى مكة على راحلته مردفا أسامة بن زيد ، ومعه بلال ، ومعه عثمان بن طلحة من الحجبة ، حتى أناخ في المسجد ، فأمره أن يأتي بمفتاح البيت ، فدخل رسول الله ﷺ ومعه أسامة بن زيد ، وبلال ، وعثمان بن طلحة ، فَمكُث فيه نهارا طويلا ، ثم خرج فاستبق الناس ، فكان عبدالله بن عمر أول من دخل فوجد بلالا وراء الباب قائما ، فسأله : أين صلى رسول الله ﷺ؟ فأشار له إلى المكان الذي صلى فيه ، قال عبدالله : فنسيت أن أسأله كم صلى من سجدة؟

• [٤٠٠٩] حدثنا الهيثم بن خارجة ، قال : حدثنا حفص بن ميسرة ، عن هشام بن عروة ، عن أبيه ، أن عائشة أخبرته ، أن النبي ﷺ دخل عام الفتح من كَدا التي بأعلى مكة .

تابعه أبو أسامة ووهيب في كَدا .

• [٤٠١٠] حدثني عبيد بن إسماعيل ، قال : حدثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن أبيه ، دخل النبي ﷺ عام الفتح من أعلى مكة من كَدا .

الشرح

قوله : **«دخول النبي ﷺ من أعلى مكة»** هذه الترجمة دليل على أن النبي ﷺ دخل مكة يوم الفتح من أعلاها ، وتدل على أن الحديث السابق : «أن خالدا دخل من أعلاها» وهم ؛ فخالد رضي الله عنه دخل من أسفلها والنبي ﷺ دخل من أعلاها[١] .

وحديث ابن عمر فيه أن النبي ﷺ صلى داخل الكعبة حيث قال : **«ومعه أسامة بن زيد وبلال وعثمان بن طلحة ، فمكث فيه نهارا طويلا ، ثم خرج فاستبق الناس فكان عبدالله بن عمر أول من دخل ، فوجد بلالا وراء الباب قائما ، فسأله : أين صلى رسول الله ﷺ؟ فأشار**

---

(١) البخاري (٤٢٨٠).

له إلى المكان الذي صلى فيه، قال عبد الله: فنسيت أن أسأله كم صلى من سجدة؟» وحديث ابن عباس السابق فيه: أن النبي ﷺ كبر في نواحيها ولم يصل، والمثبت مقدم على النافي.

• [٤٠٠٩] قوله: «من كدا التي بأعلى مكة» فيه نص على أن النبي ﷺ دخل مكة من أعلاها.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «تابعه أبو أسامة ووهيب في كداء» أي روياه عن هشام بن عروة بهذا الإسناد، وقالا في روايتهما: دخل من كداء، أي بالفتح والمد».

• [٤٠١٠] وهذه رواية أبي أسامة التي سبق ذكرها.

قوله: «كدا» مقصورة بغير همزة، وفي نسخة أخرى بالهمز «كداء».

* * *

المَتْنُ

[٥٠/ ٥٥] منزل النبي ﷺ يوم الفتح

• [٤٠١١] حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنا شعبة، عن عمرو، عن ابن أبي ليلى: ما أخبرنا أحد أنه رأى النبي ﷺ يصلي الضحى غير أم هانئ؛ فإنها ذكرت أنه يوم فتح مكة اغتسل في بيتها ثم صلى ثمانِ ركعاتٍ، قالت: لم أره صلى صلاة أخف منها، غير أنه يتم الركوع والسجود.

الشَّرْحُ

• [٤٠١١] وابن أبي ليلى من كبار التابعين، وقد أدرك أم هانئ الصحابية القرشية فقد ماتت في خلافة معاوية.

قوله: **«اغتسل في بيتها، ثم صلى ثمان ركعات»** وهذه ركعات خفيفة إلا أنه أتم الركوع والسجود، وهذه الصلاة اجتمع فيها ثلاثة أمور: صلاة الفتح، وصلاة الشكر، وصلاة الضحى، وهذا دليل على أن السنن قد تتداخل، فله أن يصلي ركعتين وينوي بهما سنة تحية المسجد وسنة الوضوء وسنة الراتبة، وإذا صلى السنة الراتبة أجزأت عن تحية المسجد وعن سنة الوضوء، وإذا نواها لهذه السنن كلها يكون أفضل.

وكان النبي ﷺ يصلي الضحى أحيانا ويتركها أحيانًا[١]، وكان ذلك والله أعلم مراعاة لأمته خشية أن تفرض عليهم، وقد ثبت أنه ﷺ أوصى أبا الدرداء[٢] وأبا هريرة رضي الله عنهما بصلاة الضحى[٣] والمشروع المداومة على صلاة الضحى عملا بأمر النبي ﷺ لأبي هريرة وأبي الدرداء، خلافا لمن كره المداومة عليها من العلماء، فبعض العلماء يقول: يكره المداومة على صلاة الضحى؛ لئلا تشتبه بالصلاة الواجبة، والصواب أنه لا يكره؛ لأن الإنسان يعلم أن صلاة الضحى مستحبة وليست واجبة.

* * *

(١) أحمد (٣/ ٢١)، والترمذي (٤٧٧).
(٢) أحمد (٦/ ٤٤٠)، ومسلم (٧٢٢).
(٣) أحمد (٢/ ٢٥٨)، والبخاري (١١٧٨)، ومسلم (٧٢١).

المتن

[٥١/ ٥٥] باب

• [٤٠١٢] حدثني محمد بن بشار، قال: حدثنا غندر، قال: حدثنا شعبة، عن منصور، عن أبي الضحىٰ، عن مسروق، عن عائشة، كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده: **«سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي»**.

• [٤٠١٣] حدثنا أبو النعمان، قال: حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فقال بعضهم: لم تدخل هذا الفتىٰ معنا ولنا أبناء مثله؟ فقال: إنه ممن قد علمتم، قال: فدعاهم ذات يوم ودعاني معهم، قال: وما رُئيتُه دعاني يومئذ إلا ليريهم مني، فقال: ما تقولون في: **﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾** [النصر: ١-٢]- حتىٰ ختم السورة -؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري، أو لم يقل بعضهم شيئا، فقال لي: ابنَ عباس، أكذاك تقول؟ قلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له، **﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾** فتح مكة، فذلك علامة أجلك، **﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾**، قال عمر: ما أعلم منها إلا ما تعلم.

• [٤٠١٤] حدثنا سعيد بن شرحبيل، قال: حدثنا ليث، عن المقبري، عن أبي شريح العدوي، أنه قال لعمرو بن سعيد - وهو يبعث البعوث إلىٰ مكة -: ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولا قام به رسول الله ﷺ الغد من يوم الفتح، سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين يتكلمُ به؛ إنه حمد الله وأثنىٰ عليه، ثم قال: **«إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس، لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما، ولا يعضد بها شجرا، فإن أحد ترخص لقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا له: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم، وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب»**، فقيل لأبي شريح: ماذا قال لك عمرو؟ قال: قال: أنا أعلم بذلك منك. يا أبا شريح، إن الحرم لا يعيذ عاصيا، ولا فارا بدم، ولا فارا بخربة.

قال أبو عبدالله: الخربة البلية.

• [٤٠١٥] حدثنا قتيبة، قال: حدثنا ليث، عن يزيد بن أبي حبيب، عن عطاء بن أبي رباح، عن جابر بن عبدالله، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول عام الفتح وهو بمكة: «**إن الله ورسوله حرم بيع الخمر**».

الشرح

• [٤٠١٢] قوله: «**كان النبي ﷺ يقول في ركوعه وسجوده**» بعد فتح مكة، وبعد أن نزلت سورة: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر: ١]: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**» قالت عائشة: يتأول القرآن.

وهذا وجه مناسبة الأحاديث للترجمة؛ لأن الله ﷻ أمره بأن يسبح إذا فتحت مكة، فالله ﷻ يقول: ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ أي: فتح مكة ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ۝ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر: ٢ - ٣] أي: فاستعد للقائنا فقد انتهت مهمتك في الدنيا، فبلغت الرسالة وأديت الأمانة، فكان ﷺ يقول: «**سبحانك اللهم ربنا وبحمدك، اللهم اغفر لي**».

• [٤٠١٣] هذا الحديث فيه دليل على أن نزول سورة النصر فيه إعلام بقرب أجل النبي ﷺ كما فهم ابن عباس.

قوله: «**لم تدخل هذا الفتى معنا ولنا أبناء مثله؟**» كان عمر رضي الله عنه يدخل ابن عباس - وكان صغيرا - مع الأشياخ والكبار، فقال بعضهم: كيف يأتي هذا الصغير ويدخل معنا ولنا أبناء مثله؟ فأراد أن يريهم مكانته ومنزلته من العلم، وأن الله فتح عليه استجابة لدعوة النبي ﷺ: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»[1]، فجمعهم مرة وسألهم فقال: «**ما تقولون في** ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ۝ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ﴾ [النصر: ١ - ٢] **حتى ختم السورة؟ فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وقال بعضهم: لا ندري**»، فقال لابن عباس: ما تقول؟ قال: أقول: «**هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه الله له**» فقال عمر: «**ما أعلم منها إلا ما تعلم**»، فبين عمر رضي الله عنه لهم فضل ابن عباس رضي الله عنهما مع صغر سنه، وعند ذلك علموا أن عمر ما أدخله معهم إلا لمكانته من العلم.

---

(١) أحمد (١/ ٢٦٦) واللفظ له، والبخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٤٧٧).

• [٤٠١٤] هذا الحديث لأبي شريح فيه أنه نصح عمرو بن سعيد، وكان أميرا على المدينة من قبل يزيد بن معاوية.

قوله: «**وهو يبعث البعوث إلى مكة**» أي: يرسل الجيوش إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير، فنصح أبوشريح – الصحابي الجليل – هذا الأمير عمرو بن سعيد وقال له: لا يجوز لك أن تقاتل بمكة، ولا يجب أن ترسل الجيوش إليها، ولا تسفك الدم بها، وقد تلطف الصحابي مع الأمير فقال: «**ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولا**»، وقوله: «**أحدثك**» مجزوم في جواب الطلب، فينبغي للإنسان أن يخاطب الأمراء بما يناسبهم، ويتلطف معهم، ولا يغلظ لهم القول، فالصحابي الجليل أبو شريح العدوي تلطف مع عمرو بن سعيد، وكان أميرا ظالما للمدينة من قبل يزيد بن معاوية.

وقوله: «**الغد من يوم الفتح**» يعني اليوم التالي ليوم الفتح.

وقوله: «**سمعته أذناي ووعاه قلبي وأبصرته عيناي حين يتكلمُ به**» يعني أنه متأكد مما يقول وليس عنده شك فيه.

وقوله: «**إنه حمد الله وأثنى عليه**» يعني: الرسول ﷺ.

وقوله: «**ثم قال: إن مكة حرمها الله ولم يحرمها الناس**»، وجاء في الحديث الآخر: «**إن هذا البلد حرمه الله يوم خلق السموات والأرض**»(١)، وأما حديث: «**إن إبراهيم حرم مكة**»(٢) فالمراد أنه أظهر تحريمها وبلغه للناس، وهذا هو الجمع بين الحديثين.

وقوله: «**لا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دما، ولا يعضد بها شجرا**» فمكة لها خصوصيات، فلا يسفك فيها الدم، ولا يعضد فيها الشجر، ولا ينفر فيها الصيد، ولا يقاتل فيها.

وقوله: «**فإن أحد ترخص لقتال رسول الله ﷺ فيها فقولوا له: إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم**» فالحديث واضح في أنه إذا جاء أحد يحتج بقتال الرسول ﷺ في مكة يقال له: «**إن الله أذن لرسوله ولم يأذن لكم**» فالرسول مأذون له من أجل الفتح، وأنتم لم يؤذن لكم.

---

(١) أحمد (١/ ٢٥٩)، والبخاري (١٨٣٤)، ومسلم (١٣٥٣).
(٢) أحمد (٤/ ٤٠)، والبخاري (٢١٢٩)، ومسلم (١٣٦٠).

وقوله : **«وإنما أذن لي فيها ساعة من نهار»** هذه الساعة من الضحى إلى العصر حتى يتم الفتح ، فالمراد بالساعة جزء من الزمن قد يطول وقد يقصر ، وليست الساعة المعروفة اليوم ، ومن ذلك الساعات المذكورة يوم الجمعة أنه **«من راح في الساعة الأولى فكأنما قرب بدنة»**(١) الحديث ، هذه الساعات من طلوع الفجر -أو من طلوع الشمس- إلى دخول الخطيب ، وهي خمس ساعات ، وتطول في الصيف وتقصر في الشتاء .

قوله : **«أنا أعلم بذلك منك يا أبا شريح ، إن الحرم لا يعيذ عاصيا ، ولا فارا بدم ، ولا فارا بخربة»** وهذا رد قبيح من عمرو بن سعيد ، رد به على نصح أبي شريح له ، فيقول : أنا أعلم بمراد هذا الحديث منك ، فالحرم لا يعيذ عاصيًا ، وابن الزبير عاصٍ ولابد من قتاله ، والحرم لا يعيذ فارًّا بدم ، ولا فارًّا بخربة ، وكان الواجب على هذا الأمير أن يسلم لله ﷻ ولرسوله ﷺ ويقول : سمعا وطاعة ، فأبو شريح أعلم منه ؛ لأنه صحابي وأعلم بمراد رسول الله ﷺ ، ولكن هذه عادة الأمراء الظلمة ، يردون ردا قبيحا ، فعمرو بن سعيد قد عصى الرسول ﷺ بهذا التأويل الفاسد .

• [٤٠١٥] الشاهد لمجيء هذا الحديث في الترجمة قوله : **«عام الفتح»** حيث نادى النبي ﷺ بأن الله حرم بيع الخمر ، والخمر محرمة من قبل عام الفتح ، لكن هذا زيادة تبليغ .

***

(١) أحمد (٢/ ٤٦٠) ، والبخاري (٨٨١) ، ومسلم (٨٥٠) .

المتن

[٥٢/ ٥٥] مُقام النبي ﷺ بمكة زمن الفتح

• [٤٠١٦] حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا سفيان، ح. وحدثنا قبيصة، قال: حدثنا سفيان، عن يحيى بن أبي إسحاق، عن أنس، أقمنا مع النبي ﷺ عشرة نقصر الصلاة.

• [٤٠١٧] حدثنا عبدان، قال: أخبرنا عبدالله، قال: أخبرنا عاصم، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: أقام النبي ﷺ بمكة تسعة عشر يوما يصلي ركعتين.

• [٤٠١٨] حدثنا أحمد بن يونس، قال: حدثنا أبو شهاب، عن عاصم، عن عكرمة، عن ابن عباس، أقمنا مع النبي ﷺ في سفر تسع عشرة نقصر الصلاة. وقال ابن عباس: ونحن نقصر ما بيننا وبين تسع عشرة، فإذا زدنا أتممنا.

الشرح

قوله: «مقام النبي ﷺ بمكة زمن الفتح» مُقام بمعنى إقامة، يعني: مدة الإقامة التي أقامها النبي ﷺ في مكة زمن الفتح، أما الْمَقام بالفتح فهو مصدر ميمي.

• [٤٠١٦]، [٤٠١٧]، [٤٠١٨] ذكر المؤلف رحمه الله حديث أنس رضي الله عنه، فقال: **«أقمنا مع النبي ﷺ عشرة نقصر الصلاة»** لكن هذا الحديث ليس في زمن الفتح، وإنما هو في حجة الوداع، ثم ذكر حديث ابن عباس وهو في زمن الفتح، والترجمة في مقام النبي ﷺ في زمن الفتح، فكيف أتى المؤلف رحمه الله بحديث أنس الخاص بحجة الوداع؟ هل وهم المؤلف في ذلك؟

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «أدخله ولم يفصح بذلك تشغيلا للأذهان».

والذي يظهر لي والله أعلم أن البخاري رحمه الله أراد أن يجمع بين حديث أنس وحديث ابن عباس، فالبخاري رحمه الله كان دقيقا جدا، فلم يدخل هذا الحديث في الترجمة غفلة منه، وإنما أراد أن يبين أن حديث أنس في حكم من نوى الإقامة، وحديث ابن عباس في حكم من لم ينو الإقامة، ففي حديث أنس عزم النبي ﷺ على أن يقيم أربعة أيام ابتداء من الرابع عشر، وأقام بالأبطح إلى اليوم الثامن عشر فجعل يقصر الصلاة، فأخذ العلماء من هذا أن

المسافر إذا أقام بمكان أكثر من أربعة أيام فإنه يتم إذا نوى الإقامة، وأما أربعة أيام فأقل فإنه يقصر.

وأما حديث ابن عباس فهو فيما إذا لم ينو الإقامة.

قوله: «**ونحن نقصر ما بيننا وبين تسع عشرة، فإذا زدنا أتممنا**» أي: يقول ابن عباس: إن النبي ﷺ أقام بمكة زمن الفتح تسعة عشر يومًا يقصر الصلاة، فإذا زدنا على التسعة عشر نتم الصلاة.

والأقوال متعددة في قصر المسافر للصلاة أو إتمامها، وقد سبق أن ذكرها الحافظ رحمه الله في «**قصر صلاة المسافر**»، وتقرب من عشرين قولا، قال بعض العلماء: إذا نوى أكثر من ثلاثة أيام أتم، وذهب بعض العلماء إلى رأي ابن عباس رضي الله عنهما، فرأوا أن مدة القصر للمسافر المقيم في مكان ما تسعة عشر يوما، فإذا زاد على ذلك أتم، وبعضهم قال: اثنا عشر يوما، وبعضهم قال: عشرة أيام، وبعضهم قال: عشرون يوما، واستدلوا بوقائع حصلت للنبي ﷺ، وذهب جمهور العلماء إلى أن مدة القصر للمسافر المقيم أربعة أيام فقط؛ لحديث أنس هذا الذي ذكره المؤلف، فإنه أقام بالأبطح أربعة أيام، فإذا زاد عليها فإنه يتم، أما إقامته ﷺ عام الفتح وإن كانت تسعة عشر يوما فهي إقامة عارضة؛ لتثبيت قواعد التوحيد، وإزالة شعائر الكفر، وتوطيد الفتح، فالأصل هو إتمام الصلاة، فإذا حدث الشك رجعنا إلى الأصل؛ لأنه أحوط، فمذهب جمهور العلماء أحوط.

وذهب بعض العلماء إلى أن المسافر يقصر ما لم ينو الإقامة المطلقة، ولو أقام شهورا أو سنين، فإذا أقام في مكة أو أي مكان أشهرا أو سنين فإنه يقصر ويأخذ بالرخصة، فما دام أنه لم ينو الاستيطان والإقامة المطلقة فإنه لا يزال مسافرا، واستدلوا بأن ابن عمر رضي الله عنه أقام بأذربيجان ستة أشهر يقصر الصلاة، وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله[1]، واختيار الشيخ محمد بن العثيمين رحمه الله أيضا.

ولا شك أن ما ذهب إليه الجمهور هو الأرجح والأحوط؛ لأن الصلاة أمر عظيم فلابد أن يحتاط المسلم لهذه العبادة، فعلى قول شيخ الإسلام رحمه الله لا يوجد وقت محدد لقصر صلاة

(١) انظر «الفتاوى الكبرى» (٢/ ٣٤٢).

العمال الذين أقاموا بالعشر سنين ؛ لأنهم لا يزالون مسافرين ، فإذا فاتت أحدهم الصلاة ، أو صلى وحده فإنه يقصر الصلاة ، وله أن يفطر في رمضان ، وهذا قول لا تطمئن إليه النفس ، ومثل ذلك الطلاب الذين يدرسون ، يأتي الطالب مثلا إلى الجامعة الإسلامية يدرس فيها عشر سنين ، وهو مسافر على قول شيخ الإسلام رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، فإذا فاتته الصلاة يصلي وحده ويقصر في هذه المدة كلها ، وله أن يفطر في رمضان .

وينتهي القول بأن البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يأت بحديث أنس غفلة ، وإنما أراد أن يجمع بينه وبين حديث ابن عباس ، هذا هو الظاهر - والله أعلم - وإن لم يذكر ذلك الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ ولا غيره .

***

المتن

[٥٣/ ٥٥] باب

وقال الليث : حدثني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني عبدالله بن ثعلبة بن صُعَير ، وكان النبي ﷺ قد مسح وجهه عام الفتح .

• [٤٠١٩] حدثني إبراهيم بن موسىٰ ، قال : أخبرنا هشام ، عن معمر ، عن الزهري ، عن سُنينَ أبي جميلة ، أخبرنا ونحن مع ابن المسيب قال ، وزعم أبو جميلة أنه أدرك النبي ﷺ وخرج معه عام الفتح .

• [٤٠٢٠] حدثنا سليمان بن حرب ، قال : حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن أبي قلابة ، عن عمرو بن سلمة قال : قال لي أبو قلابة : ألا تلقاه فتسأله؟ قال : فلقيته فسألته ، فقال : كنا بماء ممر الناس ، وكان يمر بنا الركبان فنسألهم : ما للناس ما للناس؟ ما هذا الرجل؟ فيقولون : يزعم أن الله أرسله ، أوحىٰ إليه ، أوصى الله كذا ، فكنت أحفظ ذلك الكلام فكأنما يُقرَأ في صدري ، وكانت العرب تلوم بإسلامهم الفتح ، فيقولون : اتركوه وقومه ؛ فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق ، فلما كانت وقعة أهل الفتح بادر كل قوم بإسلامهم ، وبدر أبي قومي بإسلامهم ، فلما قدم قال : جئتكم والله من عند النبي ﷺ حقا ، فقال : صلوا صلاة كذا في حين كذا ، وصلاة كذا في حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكثركم قرآنا ، فنظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنا مني ؛ لما كنت أتلقىٰ من الركبان ، فقدموني بين أيديهم وأنا ابن ست أو سبع سنين ، وكانت علي بردة كنت إذا سجدت تقلصت عني ، فقالت امرأة من الحي : ألا تغطوا عنا است قارئكم؟ فاشتروا فقطعوا لي قميصا ، فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص .

• [٤٠٢١] حدثنا عبدالله بن مسلمة ، عن مالك ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، عن عائشة ، عن النبي ﷺ ، ح . وقال الليث : حدثني يونس ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني عروة بن الزبير ، أن عائشة قالت : قال عتبة بن أبي وقاص : عهد إلى أخيه سعد أن يقبض ابن وليدة زمعة ، وقال عتبة : إنه ابني ، فلما قدم رسول الله ﷺ مكة في الفتح أخذ سعد بن أبي وقاص ابن وليدة زمعة ، فأقبل به إلى النبي ﷺ ، وأقبل معه عبد بن زمعة ، قال سعد : هذا ابن أخي عهد

إلي أنه ابنه ، قال عبد بن زمعة : يا رسول الله ، هذا أخي ، هذا ابن زمعة ولد على فراشه ، فنظر رسول الله ﷺ إلى ابن وليدة زمعة فإذا أشبه الناس بعتبة بن أبي وقاص ، فقال رسول الله ﷺ : **«هو لك ، هو أخوك يا عبدُ بن زمعة»** ؛ من أجل أنه ولد على فراشه ، وقال رسول الله ﷺ : **«احتجبي منه يا سودة»** ؛ لما رأى من شَبَهِهِ عتبة بن أبي وقاص .

قال ابن شهاب : قالت عائشة : قال رسول الله ﷺ : **«الولد للفراش ، وللعاهر الحجر»** .

قال ابن شهاب : كان أبوهريرة يصيح بذلك .

• [٤٠٢٢] حدثنا محمد ، قال : أخبرنا عبدالله ، قال : أخبرنا يونس ، عن الزهري ، قال : أخبرني عروة بن الزبير ، أن امرأة سرقت في عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح ، ففزع قومها إلى أسامة بن زيد بن حارثة يستشفعونه ، قال عروة : فلما كلمه أسامة فيها تلون وجه رسول الله ﷺ ؛ فقال : **«أتكلمني في حد من حدود الله؟!»** ، قال أسامة : استغفر لي يا رسول الله ، فلما كان العشي قام رسول الله خطيبا ؛ فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : **«أما بعد ، فإنما أهلك الناس قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه ، وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد ، والذي نفس محمد بيده ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»** ، ثم أمر رسول الله ﷺ بتلك المرأة فقطعت يدها ، فحسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت ، قالت عائشة : وكانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ .

• [٤٠٢٣] حدثنا عمرو بن خالد ، قال : حدثنا زهير ، قال : حدثنا عاصم ، عن أبي عثمان ، قال : حدثني مجاشع قال : أتيت النبي ﷺ بأخي بعد الفتح ، قلت : يا رسول الله ، جئتك بأخي لتبايعه على الهجرة ، قال : **«ذهب أهل الهجرة بما فيها»** ، فقلت : على أي شيء تبايعه؟ قال : أبايعه على الإسلام ، والإيمان ، والجهاد ، فلقيت أبا معبد بعد - وكان أكبرهما - فسألته ، فقال : صدق مجاشع .

• [٤٠٢٤] حدثنا محمد بن أبي بكر ، قال : حدثنا فضيل بن سليمان ، قال : حدثنا عاصم ، عن أبي عثمان النهدي ، عن مجاشع بن مسعود قال : انطلقت بأبي معبد إلى النبي ﷺ ليبايعه على الهجرة ، قال : **«مضت الهجرة لأهلها ، أبايعه على الإسلام ، والجهاد»** ، فلقيت أبا معبد فسألته ، قال : فقال : صدق مجاشع .

وقال خالد : عن أبي عثمان ، عن مجاشع ، أنه جاء بأخيه مجالد .

• [٤٠٢٥] حدثني محمد بن بشار، قال: حدثنا غندر، قال: حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن مجاهد

قلت لابن عمر: أريد أن أهاجر إلى الشام، قال: لا هجرة، ولكن جهاد، فانطلق فاعرض نفسك؛ فإن وجدت شيئا وإلا رجعت.

وقال النضر: أخبرنا شعبة، قال: أخبرنا أبو بشر، سمعت مجاهدا، قلت لابن عمر، فقال: لا هجرة اليوم، أو بعد رسول الله ﷺ. مثله.

• [٤٠٢٦] حدثنا إسحاق بن يزيد، قال: حدثنا يحيى بن حمزة، قال: حدثني أبو عمرو الأوزاعي، عن عبدة بن أبي لبابة، عن مجاهد بن جبر المكي، أن ابن عمر كان يقول: لا هجرة بعد الفتح.

• [٤٠٢٧] حدثنا إسحاق بن يزيد، قال: حدثنا يحيى بن حمزة، قال: حدثني الأوزاعي، عن عطاء بن أبي رباح قال: زرت عائشة مع عبيد بن عمير فسألها عن الهجرة، فقالت: لا هجرة اليوم، كان المؤمن يفر أحدهم بدينه إلى الله وإلى رسوله ﷺ؛ مخافة أن يفتن عليه، فأما اليوم فقد أظهر الله الإسلام، فالمؤمن يعبد ربه حيث شاء، ولكن جهاد ونية.

• [٤٠٢٨] حدثنا إسحاق، قال: حدثنا أبو عاصم، عن ابن جريج، قال: أخبرني حسن بن مسلم، عن مجاهد، أن رسول الله ﷺ قام يوم الفتح فقال: **«إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض؛ فهي حرام بحرام الله إلى يوم القيامة، لم تحل لأحد قبلي، ولا تحل لأحد بعدي، ولم تُحْلَلْ لي قط إلا ساعة من الدهر، لا ينفر صيدها، ولا يعضد شوكها، ولا يختلى خلاها، ولا تحل لقطتها إلا لمنشد»**، فقال العباس بن عبدالمطلب: إلا الإذخر يا رسول الله؛ فإنه لا بد منه للقين والبيوت، فسكت ثم قال: **«إلا الإذخر، فإنه حلال»**.

• [٤٠٢٩] وعن ابن جريج قال: أخبرني عبدالكريم، عن عكرمة، عن ابن عباس، بمثل هذا أو نحو هذا.

رواه أبو هريرة عن النبي ﷺ.

الشَّرْحُ

الشاهد لمجيء هذا الحديث في الترجمة قوله : «قد مسح وجهه عام الفتح» .

وعبد الله بن ثعلبة بن صعير كان موجودا يوم الفتح ، فهو من أصحاب النبي ﷺ ؛ فالذي أدرك النبي ﷺ وآمن به يعتبر صحابيًّا وإن كان صغير السن .

• [٤٠١٩] قوله : «وخرج معه عام الفتح» هذا هو الشاهد لمجيء الحديث في هذه الترجمة أنه خرج مع النبي ﷺ في عام الفتح .

والظاهر من هذا الحديث أن أبا جميلة اثنان ، أحدهما سنين ، والآخر أدرك النبي ﷺ وخرج معه عام الفتح ، وذكر معاوية أنه حج معه حجة الوداع .

• [٤٠٢٠] وهذه القصة يحكيها عمرو بن سلمة الجرمي من بني جرم ، والراوي عنه أبو قلابة ، والراوي عن أبي قلابة أيوب .

وقوله : «قال لي أبو قلابة» القائل أيوب .

وقوله : «ألا تلاقاه فتسأله» يعني تسأل عمرو بن سلمة عن قصته كيف قدم للصلاة وهو صغير؟

وقوله : «فلقيته» يعني لقيت عمرو بن سلمة ، فسألته كيف قدمت للصلاة وأنت صغير؟

وقوله : «كنا بماء ممر الناس» يعني : كان سكنهم بماء على طريق الناس الذين يأتون من عند النبي ﷺ .

وقوله : «وكان يمر بنا الركبان» يعني : الذين أتوا من عند النبي ﷺ .

وقوله : «فنسألهم ما للناس؟ ما للناس؟ ما هذا الرجل؟» يعني : محمدا ﷺ .

وقوله : «فيقولون : يزعم أن الله أرسله» يعني أوحى إليه ، فقال عمرو بن سلمة رضي الله عنه : «فكنت أحفظ ذلك الكلام فكأنما يقرأ في صدري» .

قوله : «فكأنما يقرأ» يعني : يثبت ، وفيه روايات : «يقر»[١] من القرار والثبات ، و«يغرى»[٢] من الإلصاق .

---

(١) البخاري (٤٣٠٢) .

(٢) الطبراني في «الكبير» (٧/ ٤٨) ، والدارقطني في «السنن» (٢/ ٤٢) .

وقوله : **«وكانت العرب تلوم بإسلامهم الفتح»** يعني : تنتظر فتح مكة .

وقوله : **«فيقولون: اتركوه وقومه؛ فإنه إن ظهر عليهم فهو نبي صادق»** فالعرب والقبائل تأخروا وتوقفوا عن الإسلام ، وقالوا : لم تسلم قريش وهم قوم النبي ﷺ ، فانظروا قومه فإن ظهر عليهم وأسلموا فهو نبي صادق ، وإن غلبوه ولم يسلموا فليس على الحق فلا نسلم ، فلما فتحت مكة ودخلوا في دين الله أفواجا جاءت القبائل من كل مكان يسلمون ؛ ولهذا سمي هذا العام عام الوفود .

وقوله : **«وبدر أبي قومي بإسلامهم»** يعني أن أباه بادر فأسلم قبل قومه .

وقوله : **«فلما قدم»** يعني من عند النبي ﷺ مسلما ليخبرهم أنه أسلم ويأمرهم بالإسلام ، فقال لهم : **«جئتكم والله من عند النبي ﷺ حقا»** فأسلموا ، فنقل لهم عن رسول ﷺ أنه قال : **«صلوا صلاة كذا في حين كذا ، وصلاة كذا في حين كذا ، فإذا حضرت الصلاة فليؤذن أحدكم وليؤمكم أكثركم قرآنا»** ففيه مشروعية الأذان ، وفيه مشروعية تقديم الأكثر قرآنا .

وقوله : **«فلم يكن أحد أكثر قرآنا مني»** لما أراد قوم عمرو بن أبي سلمة أن يقدموا أحدا يصلي بهم نظروا فلم يكن أحد أكثر قرآنا منه ، وكان صبيا صغير السن .

قوله : **«لما كنت أتلقى من الركبان»** كان هذا هو سبب تقدم عمرو بن أبي سلمة على غيره في حفظ القرآن والإمامة في الصلاة ، أنه كان يتلقى الركبان العائدة من عند النبي ﷺ ، فيسألهم ويحفظ عنهم ، ويقر ما يحفظه في صدره .

وقوله : **«فقدموني بين أيديهم»** يعني : إماما لهم أصلي بهم **«وأنا ابن ست أو سبع سنين»** والأقرب أنه ابن سبع سنين ؛ لأنه يوافق حديث : **«مروا أولادكم بالصلاة لسبع»** .

وقوله : **«وكانت علي بردة كنت إذا سجدت تقلصت عني»** أي : يلبس قطعة قماش لكنها قصيرة فوق الركبة أو تحت الركبة بقليل ، فإذا سجد ظهرت عورته - وليس عليه سروال وليس عنده غير هذه البردة كما قال النبي ﷺ : **«أولكلكم ثوبان؟»** [(١)] فبعض الصحابة كان يصلي وعليه إزار ، وهو قطعة من القماش يشد بها النصف الأسفل والكتفين ، فكانوا فقراء

---

(١) أحمد (٢/ ٣٤٥) ، والبخاري (٣٥٨) ، ومسلم (٥١٥) .

ليس عندهم شيء، ولذلك ظهر شيء من عورة عمرو بن أبي سلمة رضي الله عنه - **«فقالت امرأة من الحي»** وقد جاءت وهو ساجد وهم ساجدون: **«ألا تغطوا عنا است قارئكم؟»** والاست يعني: المقعدة.

قوله: **«فاشتروا فقطعوا لي قميصًا»** أي: صنعوا له قميصا وافيا يستر جسمه.

قوله: **«فما فرحت بشيء فرحي بذلك القميص»** أي: كان عمرو بن أبي سلمة صغير السن وقتئذ ففرح بذلك القميص فرحا شديدا.

والحديث فيه كثير من الفوائد:

الأولى: صحة إمامة الصبي.

الثانية: صحة مصافة الصبي إذا كان مميزا؛ لأنه وقع في زمن النبي ﷺ، ولم ينزل بالنهي عنه وحي.

وإذا قال قائل: إن النبي ﷺ ما علم بذلك، نقول: إذا كان النبي لا يعلم فالله يعلم، فلا يمكن أن يقر أحدهم في زمن النبوة على غير حق؛ ولهذا قال جابر: «كنا نعزل والقرآن ينزل»(1) فلو كان شيء نهي عنه لنهى عنه القرآن، فما وقع في زمن النبوة ولم ينكره النبي ﷺ فهو حق.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وفي الحديث حجة للشافعية في إمامة الصبي المميز، وهي خلافية مشهورة، ولم ينصف من قال: إنهم فعلوا ذلك باجتهادهم ولم يطلع النبي ﷺ على ذلك؛ لأنها شهادة نفي، ولأن زمن الوحي لا يقع التقرير فيه على ما لا يجوز».

الثالثة: أن ما قد يبدو من العورة عند السجود بسبب قصر الثوب -إذا لم يجد المصلي غيره- معفو عنه، وهذا القول أولى من قول من استدل بهذا الحديث على أن ستر العورة في الصلاة ليس شرطا لصحتها بل هو سنة، فهذا ليس بصحيح.

وإذا انكشفت عورة المصلي وطال وفحش وقت انكشافها بطلت الصلاة ولو كان المكشوف شيئا يسيرا، وإن كان في زمن قصير وأزاله فلا يضر.

---

(1) أحمد (٣/ ٣٠٩)، والبخاري (٥٢٠٩)، ومسلم (١٤٤٠).

فستر العورة شرط لصحة الصلاة ، ومثل ذلك الذي يصلي بغير وضوء وهو لا يعلم ، ثم علم فإنه يعيد الوضوء والصلاة ، وكالذي صلى إلى غير القبلة بغير اجتهاد فهو يعيد الصلاة ، أما إذا اجتهد فلا إعادة ، فلابد من الإتيان بالشروط .

• [٤٠٢١] الشاهد للإتيان بهذا الحديث في الترجمة أن هذه القصة حصلت في زمن الفتح ولهذا قال : «قدم رسول الله ﷺ مكة في الفتح» فكل شيء يقع في زمن الفتح يذكره المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه الترجمة .

وهذا الحديث فيه أن زمعة كان له وليدة - يعني أمة - يطؤها - ومن يمتلك الأمة كان له أن يتسراها وتسمى فراشا له وله أن يزوجها فزمعة كان له هذه الوليدة يطؤها فأتت بولد ، وهذا الولد اختصم فيه يوم الفتح عبد بن زمعة وسعد بن أبي وقاص ، وكل يدعي هذا الولد ، فعبد بن زمعة يقول : «يا رسول الله هذا أخي ، هذا ابن زمعة ، ولد على فراشه» فأمه وليدة لأبي يطؤها ويجعلها فراشا ، وقال سعد بن أبي وقاص : يا رسول الله «هذا ابن أخي» عتبة بن أبي وقاص «عهد إلي أنه ابنه» وكان أخوه عتبة توفي ، وقد ادعى أنه زنى بأمة زمعة وأن هذا الولد له ، وخلق من مائه بدليل أنه يشبهه ، فنظر إليه النبي ﷺ فإذا هو يشبه عتبة بن أبي وقاص .

وسعد بن أبي وقاص صحابي جليل ، لكنه لم يكن يعرف الحكم الشرعي في هذا الولد ، فدافع عن وصية أخيه ، وطلب الولد الذي يدعي أخوه أنه ولده من الزنا بهذه الأمة على عادة الجاهلية .

فلما نظر النبي ﷺ للولد وجده أكثر الناس شبها بعتبة بن أبي وقاص ، فقال ﷺ : «هو لك ، هو أخوك يا عبد بن زمعة» فالحكم الشرعي أن المرأة إذا كانت فراشا لزوجها سواء كانت حرة أو أمة ، ثم ولدت ولدا فإنه يكون له ، ولو تخلل ذلك زنا ؛ لأن النبي ﷺ قال : «الولد للفراش وللعاهر الحجر» وهذه قاعدة وحكم شرعي ، فالعاهر هو الزاني له الخيبة والخسارة ولا يعطى ولدا ، بل يقام عليه الحد ويوبخ ويؤدب ، ومع ذلك لما رأى النبي ﷺ أنه يشبهه احتاط فقال لسودة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وهي من أمهات المؤمنين وزوج النبي ﷺ وهي أخت عبد بن زمعة : «احتجبي منه يا سودة» وفي الحديث الآخر : «أنها احتجبت عنه ولم يلقها حتى توفاها الله»[1] ، فصارت سودة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تحتجب عنه وهو أخوها احتياطا ؛ لأنه يشبه الزاني الذي زنا بوليدة زمعة .

---

(١) أحمد (٦/ ٢٢٦) ، والبخاري (٢٢١٨) .

والزاني لا ينسب له الولد ولو لم تكن المرأة التي زنا بها في ذمة زوج ، أو ليست فراشا لرجل فيكون ولد الزنا ليس له أب ، ويسمى باسم عام ، فيقال : عبد الله بن عطاء الله ، فالزاني معتد مجرم له الخيبة والخسران ولا يعطى الولد ولا ينسب إليه ويقام عليه الحد إما بالبينة أو بالإقرار ، وهذا لقول النبي ﷺ : **«الولد للفراش وللعاهر الحجر»** ، والعاهر هو الزاني .

• [٤٠٢٢] الشاهد في هذه القصة أنها حصلت في غزوة الفتح ، وكل ما وقع في غزوة الفتح يذكره المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه الترجمة .

وهذا الحديث رواه عروة بن الزبير عن عائشة رضي الله عنها **«أن امرأة سرقت في عهد رسول الله ﷺ في غزوة الفتح ففزع قومها»** أي : خافوا أن تقطع يدها ، وهي شريفة حسيبة نسيبة ، وشق عليهم ذلك ، ووصل الخبر إلى النبي ﷺ أنها سرقت ، فالنبي ﷺ لابد أن يقيم عليها الحد ، وفي رواية : **«أنها تستعير المتاع وتجحد فأمر النبي ﷺ بقطع يدها»**[1] .

فلما رأوا ذلك قالوا : نبحث عن واسطة للنبي ﷺ وننظر أحدا يتوسط لها لعلها لا يقام عليها الحد فقالوا : الوسيط هو أسامة بن زيد حب رسول الله ، فالنبي ﷺ يحبه حبا شديدا ، فجاء أسامة وكلم النبي ﷺ وقال : يا رسول الله لو عفوت عنها ، فلما كلم أسامة النبي ﷺ تلون وجه رسول الله ﷺ وتغير وغضب وقال : **«أتكلمني في حد من حدود الله ؟»** يخاطب أسامة رضي الله عنه .

فالرسول ﷺ يحب أسامة ، والمحبة مكانة عظيمة ، لكنه ﷺ لا يرائي أحدا في أمر من أوامر الله ولو كان حبيبه ، فخاف أسامة وقال : **«استغفر لي يا رسول الله »** فلقد أخطأت **«فلما كان العشي قام رسول الله خطيبا ؛ فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : أما بعد فإنما أهلك الذين قبلكم أنهم كانوا إذا سرق فيهم الشريف تركوه وإذا سرق فيهم الضعيف أقاموا عليه الحد»** ثم أقسم النبي ﷺ وهو الصادق وله ألا يقسم ، لكنه ﷺ أقسم لتأكيد المقام **«والذي نفس محمد بيده ، لو أن فاطمة بنت محمد سرقت لقطعت يدها»** وهي أحب الناس إليه ﷺ ، ثم أمر رسول الله ﷺ بتلك المرأة فقطعت يدها ، ثم حسنت توبتها بعد ذلك وتزوجت ، فقالت عائشة رضي الله عنها : **«وكانت تأتي بعد ذلك فأرفع حاجتها إلى رسول الله ﷺ»** .

والحديث فيه : مشروعية الخطبة للإمام أو نائبه إذا حدث أمر مهم .

---

(١) أحمد (٦/ ١٦٢) ، ومسلم (١٦٨٨) .

وفيه : مشروعية حمد الله والثناء عليه في الخطبة ، وكذلك قول : أما بعد .

وفيه : تحريم الشفاعة في الحدود ، وأنه لا يجوز لإنسان أن يشفع عند الإمام أو السلطان في إقامة الحد؛ فقد جاء في الحديث : **«إذا رفعت الحدود إلى السلطان فلعن الله الشافع والمشفع فيه»**(١) .

والحديث فيه أيضًا : وجوب إقامة الحد على الشريف والضعيف ، وأن التفريق بينهما سبب هلاك الناس ، فكان سبب إهلاك بني إسرائيل أنهم يفرقون بين الشريف والضعيف ، فالشريف لا يقيمون عليه الحد ، والضعيف يقيمون عليه الحد ، ثم قالوا بعد ذلك : نريد أن نصنع شيئا عاما للشريف والضعيف ، فغيروا حكم الله وصار إذا زنى فيهم واحد حمموه ، وأركبوه على حمار ووجهه مقلوب ، وفضحوه واكتفوا بذلك ، ثم لما رفع اليهودي واليهودية اللذان زنيا إلى النبي ﷺ قال : **«اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه»**(٢) فأقام الحد عليهما .

ولا بأس بالعفو عن الحد قبل أن يصل الأمر إلى السلطان ؛ للحديث الآخر : **«تعافوا الحدود فيما بينكم فما بلغني من حدّ فقد وجب»**(٣) يعني : قبل أن يرفع إلى السلطان أو إلى القاضي يمكن أن يعفو عنه أهل الحي فيما بينهم ، ولاسيما إذا لم يكن للجاني سوابق فيؤدبونه أو يوبخونه أو ينصحونه أو يضربونه تأديبًا له فيما بينهم ، ويأخذون عليه تعهدا ألا يفعل ذلك مرة أخرى .

• [٤٠٢٣] هذا الحديث فيه أن مجاشعا رضي الله عنه قال : **«أتيت النبي ﷺ بأخي بعد الفتح»** وهذا هو الشاهد لإتيان المؤلف رحمه الله بهذا الحديث في هذه الترجمة أن هذه القصة وقعت بعد الفتح .

قوله : **«لتبايعه على الهجرة»** أي : الهجرة من مكة إلى المدينة ، **«قال : ذهب أهل الهجرة بما فيها»** يعني : كانت الهجرة قبل فتح مكة ، وكان واجبٌ على من أسلم أن يهاجر من بلده إلى المدينة حتى ينصر الله وينصر رسوله وينصر المؤمنين ويكثر سوادهم ، لكن لما فتحت مكة انتهت الهجرة ، وبقيت الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام ؛ ولهذا قال

---

(١) الطبراني في «الأوسط» (٢/ ٣٨٠) ، والدارقطني في «السنن» (٣/ ٢٠٥) .
(٢) أحمد (٤/ ٢٨٦) ، ومسلم (١٧٠٠) .
(٣) أبو داود (٤٣٧٦) ، والنسائي (٤٨٨٦) .

النبي ﷺ في حديث آخر : «**لا هجرة بعد الفتح ولكن جهاد ونية**»[١] يعني : لا هجرة من مكة إلى المدينة ؛ لأنه بعد فتح مكة صارت مكة بلدا إسلاميًا ، والمدينة بلد إسلامي فليس هناك هجرة .

قوله : «**أبايعه على الإسلام، والإيمان، والجهاد**» يعني : يلتزم بالإسلام والإيمان والجهاد في سبيل الله أما الهجرة من مكة إلى المدينة فقد انتهى أمرها .

قوله : «**فلقيت أبا معبد**» في رواية أخرى : «معبدًا»[٢] .

• [٤٠٢٤] قوله : «**مضت الهجرة لأهلها**» يعني : من مكة إلى المدينة ، ولكن بقي المبايعة على الإسلام والجهاد ، فعليه أن يلتزم بالإسلام ويجاهد في سبيل الله أما الهجرة فقد انتهت .

• [٤٠٢٥] قوله : «**لا هجرة**» يعني : لا هجرة من مكة إلى المدينة «**ولكن جهاد**» ونية .

قوله : «**فاعرض نفسك**» يعني : إن قدرت على الجهاد والصبر والمثابرة «**فانطلق فاعرض نفسك فإن وجدت شيئًا وإلا رجعت**» يعني فانطلق وانظر هل لديك قوة ونشاط واستعداد للجهاد فجاهد وإلا فاجلس .

قوله : «**لا هجرة اليوم، أو بعد رسول الله ﷺ**» ظاهره أنه لا هجرة مطلقا ، وهذا ليس بصحيح ، فبإجماع العلماء أن الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام باقية ، وإنما الهجرة المنفية هي من مكة إلى المدينة بعد الفتح .

• [٤٠٢٦] قوله : «**لا هجرة بعد الفتح**» يحتمل أنه لا هجرة من مكة إلى المدينة ، ويحتمل أنه لا هجرة مطلقا ، والأول هو المراد ، فقد أجمع العلماء على بقاء الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام .

• [٤٠٢٧] قوله : «**لا هجرة اليوم**» المقصود بها : لا هجرة من مكة إلى المدينة ، أما الهجرة من بلد الشرك إلى بلد الإسلام فباقية .

---

(١) أحمد (١/ ٢٢٦) ، والبخاري (٢٧٨٣) ، ومسلم (١٣٥٣) .

(٢) أحمد (٣/ ٤٦٩) ، والبخاري (٤٣٠٦) .

وقوله : **«كان المؤمن يفر أحدهم بدينه إلى الله وإلى رسوله ﷺ»** يعني لما كانت مكة بلاد كفر كان المؤمن فيها يفر بدينه إلى الله ﷻ وإلى رسوله ﷺ ويهاجر إلى المدينة مخافة أن يفتن ، فكفار قريش كانوا يفتنون المؤمنين عن دينهم ، فهاجر المؤمنون إلى المدينة فرارا بدينهم ونصرة لله ولرسوله ﷺ .

قوله : **«فأما اليوم»** لما فتحت مكة **«فقد أظهر الله الإسلام، فالمؤمن يعبد ربه حيث شاء»** أي : يعبد ربه في مكة أو في المدينة ؛ فقد فتحت مكة ودخل الناس في دين الله أفواجا .

قوله : **«ولكن جهاد ونية»** يعني أنه بقي اليوم الجهاد والنية الطيبة ، فإذا نوى الإنسان نية صالحة كتب الله له ما نواه كأن ينام وينوي أن يتقوى به على العبادة فإن الله يكتب له هذه النية ، وكذلك إذا أكل أو شرب ليتقوى بها على طاعة الله ويؤدي الواجب ، أما الهجرة من مكة إلى المدينة فقد انتهى أمرها بفتح مكة .

والأصل في الجهاد أنه فرض كفاية إلا في ثلاثة أحوال :

الأولى : إذا هجم العدو على بلد .

الثانية : إذا وقف المجاهد في الصف .

الثالثة : إذا استنفر الإمام الناس .

ففي هذه الأحوال يكون فرض عين .

أما الاستعداد للجهاد والتهيؤ له فهذا شيء آخر ، وهذه مسألة لابد منها ؛ فقد قال النبي ﷺ : **«من مات ولم يغز ولم يحدث نفسه بغزو مات على شعبة من نفاق»**(١) .

• [٤٠٢٨]، [٤٠٢٩] الشاهد من الحديثين للترجمة أنه كان يوم الفتح ، وجاء فيه : **«أن رسول الله ﷺ قام يوم الفتح»** ، وفي اللفظ الآخر : **«يوم افتتح مكة»**(٢) .

قوله : **«إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض»** يعني أن الله هو المحرم وجاء في الحديث الآخر : **«إن إبراهيم حرم مكة وإني حرمت المدينة»**(٣) يعني : أن الله ﷻ هو المحرم

---

(١) أحمد (٢/ ٣٧٤) ، ومسلم (١٩١٠) .

(٢) أحمد (٤/ ٣٢) ، والبخاري (١٨٣٤) .

(٣) أحمد (٤/ ٤٠) ، والبخاري (٢١٢٩) ، ومسلم (١٣٦٠) .

والرسول ﷺ هو الذي أظهر تحريم المدينة ، وكذلك إبراهيم عليه السلام أظهر تحريم مكة ، وهكذا نجمع بين الأحاديث .

وقوله : «**فهي حرام بحرام الله إلى يوم القيامة**» فقطع الشجر وتنفير الصيد وقتله وأخذ اللقطة في مكة حرام بخلاف البلدان الأخرى فإنه حلال .

وقوله : «**لم تحل لأحد قبلي ، ولا تحل لأحد بعدي ، ولم تَحْلَلْ لي قط إلا ساعة من الدهر**» يعني أبيح القتال للنبي ﷺ في مكة ساعة من الدهر ، وفي اللفظ الآخر : «**ساعة من النهار**»[1] وجاء بيان هذه الساعة أنها من الضحى إلى العصر ، والمراد بالساعة جزء من الزمن يطول أو يقصر كما جاء في الحديث : «**من راح في الساعة الأولى** – يعني يوم الجمعة – **فكأنما قرب بدنة . . .**»[2] الحديث ، وجعلها خمس ساعات طويلة ثم يدخل الإمام في الساعة السادسة ، وتطول هذه الساعات في الصيف وتقصر في الشتاء .

وقوله : «**لا ينفر صيدها**» هذا مما حرمه الله في مكة ، قال بعض السلف : معناه : لا تنفر الصيد من الظل وتجلس مكانه وإذا كان تنفير الصيد حرام فقتله حرام من باب أولى .

وقوله : «**ولا يعضد شوكها**» يعني : لا يقطع الشوك .

وقوله : «**ولا يختلى خلاها**» يعني لا يحش الحشيش الأخضر أما اليابس فلا بأس بحشه ، وكذلك يختلى الشوك المؤذي ، وكذلك ما استنبته الآدميون وما يزرعونه وما يبذرونه فلا بأس بقطعه ، لكن الحشيش الذي ينبت في المطر والشجر بغير فعل الإنسان فلا يقطع .

وإذا كان الشجر يأمن والطير يأمن وله حرمة ، فحرمة الآدمي أعظم عند الله من باب أولى ، فلا يجوز إيذاء المؤمنين بترويعهم أو سرقتهم أو حبسهم أو ضربهم أو قتلهم بغير حق .

وكان أهل الجاهلية يحترمون الحرم وهم على شركهم فكان الواحد منهم إذا دخل مكة ولقي قاتل أبيه لا يعرض له بشيء حتى يخرج من الحرم فإذا خرج من الحرم قتله ، ولما أراد المشركون قتل خبيب أخرجوه من الحرم ثم قتلوه تعظيما للحرم .

---

(١) أحمد (٢/ ٢٣٨) ، والبخاري (١١٢) ، ومسلم (١٣٥٥) .
(٢) أحمد (٢/ ٤٦٠) ، والبخاري (٨٨١) ، ومسلم (٨٥٠) .

وقوله : «**ولا تحل لقطتها إلا لمنشد**» يعني اللقطة الضائعة لا تحل في مكة إلا لمعرف يعرفها مدىٰ الدهر وإلا فلا يأخذها .

وقوله : «**إلا الإذخر يا رسول الله**» يعني استثن لنا الإذخر ؛ فإننا نحتاجه والإذخر نبت ضعيف يجعل مكان الخلل في الخشب وفي السقف .

قوله : «**فإنه لابد منه للقين والبيوت**» القين هو الحداد ، فالإذخر وقود الحدادين فهو يشعل فيه النار لإحماء الذهب أو الحديد وكذلك البيوت حين تسقف بالخشب تحتاج ما يسد به الخلل بين الخشب ، وفي اللفظ الآخر : «فإنه لقينهم ولبيوتهم»[1] وفي بناء القبور يجعل أيضا بين اللبنات ، فسكت النبي ﷺ حتىٰ جاءه الوحي باستثنائه فقال النبي ﷺ : «**إلا الإذخر ، فإنه حلال**» .

* * *

(١) أحمد (١/ ٣١٥) ، والبخاري (١٨٣٤) ، ومسلم (١٣٥٣) .

المتن

[٥٤/ ٥٥] قول الله ﷻ: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ٢٥-٢٧]

• [٤٠٣٠] حدثنا محمد بن عبدالله بن نمير، قال: حدثنا يزيد بن هارون، قال: أخبرنا إسماعيل، رأيت بيد ابن أبي أوفى ضربة، قال: ضربتها مع النبي ﷺ يوم حنين، قلت: شهدت حنينًا؟ قال: قبل ذلك.

• [٤٠٣١] حدثنا محمد بن كثير، قال: أخبرنا سفيان، عن أبي إسحاق، قال: سمعت البراء وجاءه رجل فقال: يا أبا عمارة، أتوليت يوم حنين؟ قال: أما أنا فأشهد على النبي ﷺ أنه لم يول، ولكن عجل سرَعان القوم، فرشقتهم هوازن، وأبو سفيان بن الحارث آخذ برأس بغلته البيضاء يقول: **«أنا النبي لا كذبْ، أنا ابن عبد المطلب»**.

• [٤٠٣٢] حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، قيل للبراء وأنا أسمع: أوليتم مع النبي ﷺ يوم حنين، فقال: أما النبي فلا، كانوا رماة، فقال: **«أنا النبي لا كذب، أنا ابن عبد المطلب»**.

• [٤٠٣٣] حدثني محمد بن بشار، قال: حدثنا غندر، قال: حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، سمع البراء وسأله رجل من قيس: أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ فقال: لكِن رسولُ الله ﷺ لم يفر، كان هوازنُ رماةً وإنا لما حملنا عليهم انكشفوا، فأكببنا على الغنائم فاستقبلنا بالسهام، ولقد رأيت النبي ﷺ على بغلته البيضاء وأن أبا سفيان بن الحارث آخذ بزمامها، وهو يقول: **«أنا النبي لا كذب»**.

قال إسرائيل وزهير: نزل النبي ﷺ عن بغلته.

• [٤٠٣٤] حدثنا سعيد بن عفير، قال: حدثني الليث، قال: حدثني عقيل، عن ابن شهاب، ح. وحدثني إسحاق، قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن أخي ابن شهاب، قال: محمد بن شهاب، وزعم عروة بن الزبير أن مروان والمسور بن مخرمة أخبراه، أن رسول الله ﷺ قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين، فسألوه أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم، فقال لهم رسول الله ﷺ: **«معي من ترون، وأحب الحديث إلي أصدقه، فاختاروا إحدى**

الطائفتين : إما المال ، وإما السبي ، وقد كنت استأنيت بكم» ، وكان أنظرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة حين قفل من الطائف ، فلما تبين لهم أن رسول الله ﷺ غير راد إليهم إلا إحدى الطائفتين قالوا : فإنا نختار سبينا ، فقام رسول الله ﷺ في المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله ، ثم قال : **«أما بعد ، فإن إخوانكم قد جاءونا تائبين ، وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم ، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل»** ، فقال الناس : قد طيبنا ذلك يا رسول‌الله ، فقال رسول الله ﷺ : **«إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن ، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم»** ، فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ ، فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا ، هذا الذي بلغني عن سبي هوازن .

• **[٤٠٣٥]** حدثنا أبو النعمان ، قال : حدثنا حماد بن زيد ، عن أيوب ، عن نافع ، أن عمر قال ، يا رسول الله ، ح . وحدثني محمد بن مقاتل ، قال : أخبرنا عبدالله ، قال : أخبرنا معمر ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر قال : لما قفلنا من حنين سأل عمر النبي ﷺ عن نذر كان نذره في الجاهلية اعتكافٍ ، فأمره النبي ﷺ بوفائه .

وقال بعضهم : حماد ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر .

ورواه جرير بن حازم وحماد بن سلمة ، عن أيوب ، عن نافع ، عن ابن عمر ، عن النبي ﷺ .

• **[٤٠٣٦]** حدثنا عبدالله بن يوسف ، قال : أخبرنا مالك ، عن يحيى بن سعيد ، عن عمر بن كثير بن أفلح ، عن أبي محمد مولى أبي قتادة ، عن أبي قتادة قال : خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين ، فلما التقينا كانت للمسلمين جولة ، فرأيت رجلا من المشركين قد علا رجلا من المسلمين فضربته من ورائه على حبل عاتقه بسيف فقطعت الدرع ، وأقبل علي فضمني ضمة وجدت منها ريح الموت ، ثم أدركه الموت فأرسلني ، فلحقت عمر بن الخطاب فقلت : ما بال الناس؟ قال أمرُ الله ، ثم رجعوا فجلس النبي ﷺ فقال : **«من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه»** ، فقلت : من يشهد لي؟ ثم جلست ، فقال النبي ﷺ مثله ، فقلت : من يشهد لي؟ ثم جلست ، قال : ثم قال النبي ﷺ مثله ، فقمت فقال : **«ما لك يا أبا قتادة؟»** ، فأخبرته ، فقال رجل : صدق ، وسلبه عندي فأرضه مني ، فقال أبو بكر : لاهاءَ الله إذن لا يعمد إلى أسد من

أسد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه ، فقال النبي ﷺ : **«صدق ، فأعطه»** ، فأعطانيه ، فابتعت به مخرَفا في بني سلمة ، وإنه لأول مال تأثلته في الإسلام .

وقال الليث ، حدثني يحيى بن سعيد ، عن عمر بن كثير بن أفلح ، عن أبي محمد مولى أبي قتادة ، أن أبا قتادة قال : لما كان يوم حنين نظرت إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلا من المشركين ، وآخر من المشركين يختله من ورائه ليقتله ، فأسرعت إلى الذي يختله فرفع يده ليضربني وأضرب يده فقطعتها ، ثم أخذني فضمني ضما شديدا حتى تخوفت ، ثم ترك فتحلل ، ودفعته ثم قتلته ، وانهزم المسلمون وانهزمت معهم ، فإذا بعمر بن الخطاب في الناس ، فقلت له : ما شأن الناس؟ قال : أمر الله ، ثم تراجع الناس إلى رسول الله ﷺ ، فقال رسول الله ﷺ : **«من أقام بينة على قتيل قتله فله سلبه»** ، فقمت لألتمس بينة على قتيلي فلم أر أحدا يشهد لي ، فجلست ثم بدا لي فذكرت أمره لرسول الله ﷺ ، فقال رجل من جلسائه : سلاح هذا القتيل الذي يذكره عندي ، فأرضه منه ، فقال أبو بكر : كلا ، لا تعطه أضيبع من قريش ، وتدعُ أسدا من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله ﷺ ، قال : فقام رسول الله فأداه إلي ، فاشتريت منه خرافا ، فكان أول مال تأثلته .

الشرح

هذه الترجمة عقدها المؤلف رَحِمَهُ اللهُ لغزوة حنين قال : **«قول الله ﷻ : ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾** [التوبة : ٢٥]**»** ووقع في رواية النسفي : **«باب غزوة حنين وقول الله تعالى : ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾»** .

وحنين واد إلى جنب ذي المجاز قريب من الطائف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا ووقعت فيه معركة حنين ، وقال الله تعالى : **﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ﴾** يعني في غزوة حنين **﴿إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْئًا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾** يعني : أصاب المسلمين العجب بسبب الكثرة ؛ لأنهم بلغوا اثني عشر ألفا ؛ لأنهم كانوا في غزوة الفتح عشرة آلاف ، فلما أسلم أهل مكة وخرج النبي ﷺ إلى حنين تبعه ألفان من أهل مكة فصاروا اثني عشر ألفًا ، فقال بعضهم لبعض : لن نغلب اليوم من قلة ، فأصابتهم الهزيمة بسبب العجب .

فالعجب من أعمال القلوب السيئة، حيث يرى الإنسان أنه فوق الناس، فالواجب على العبد التواضع وازدراء النفس وعدم العجب؛ لأن نتيجة العجب كانت: ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ ففي غزوة بدر نصر الله المسلمين وهم ثلاثمائة وبضعة عشر، وكان المشركون ألفا -أي: ثلاثة أضعافهم- أما يوم حنين فكان المسلمون جمًّا غفيرًا، ولكن أعجبتهم أنفسهم فهزموا في أول الأمر.

قال الله ﷻ: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَنزَلَ جُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا وَعَذَّبَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَآءُ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٢٦] أي: تدارك الله ﷻ برحمته المؤمنين بعد ذلك فأنزل الله سكينته ونصرهم بجند من عنده فأمدهم الله بالملائكة وكان النصر لهم، ففي أول الأمر كانت الهزيمة والفرار ثم كروا على عدوهم وكان النصر من عند الله وسيأتي في الأحاديث سبب ذلك.

• [٤٠٣٠] قوله: **«قبل ذلك»** يعني شهدت ما قبل حنين، فهذا الحديث دليل على أن عبدالله بن أبي أوفى شهد حنينا وشهد ما قبلها.

• [٤٠٣١] قوله: **«يا أبا عمارة»** هي كنية البراء بن عازب رضي الله عنه، حيث سئل أفررتم عن رسول الله ﷺ يوم حنين؟ فقال: **«أما أنا فأشهد على النبي ﷺ أنه لم يول»** وهذا فيه أدب البراء رضي الله عنه مع النبي ﷺ، ويؤخذ منه أيضا أن الصحابة لم يفروا كلهم فقد بقيت بقية منهم مع النبي ﷺ، وفي الحديث إظهار لشجاعة النبي ﷺ، فقد أظهر نفسه للكافرين بعد أن فر أصحابه مدبرين، وكان النبي ﷺ على البغلة البيضاء ويقول: **«أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب»** وأبو سفيان بن الحارث بن عبد المطلب ابن عم النبي ﷺ، كان آخذا بزمام بغلة النبي ﷺ البيضاء يجرها حتى لا تتقدم، والنبي ﷺ يركضها لتتقدم تجاه العدو، وهذا من شجاعته ﷺ.

ويؤخذ من مجموع هذه الأحاديث وهذه الطرق التي ذكرها البراء رضي الله عنه ومما ذكره الحافظ رحمه الله عدة فوائد:

أولا: أن الصحابة لم يفروا كلهم بل بقي مع النبي ﷺ طائفة قليلة لم تفر؛ ولهذا لما قيل للبراء أفررتم عن رسول الله فقال: **«أما أنا فأشهد على النبي ﷺ أنه لم يول ولكن عجل سرعان القوم فرشقتهم هوازن»**.

ثانيا: أن الصحابة قد عادوا بعدما ناداهم النبي ﷺ، فقد أمر النبي ﷺ العباس بن عبدالمطلب رضي الله عنه - وكان جهوري الصوت - أن ينادي: يا أصحاب سورة البقرة، ويا أصحاب الشجرة، يا من بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة، فقالوا: لبيك، وعطفوا عليه عطف البقر على أولادها وعادوا، إذن فهذا لا يعتبر فرارا بل كالمتحيز إلى فئة لا يكون فارا إلا إذا نوى الفرار واستمر فراره.

ثالثا: أن فرار الصحابة وانهزامهم كان له أسباب منها:

الأول: أن المسلمين حملوا على هوازن أولا فانكشفت هوازن وانهزمت فأكب المسلمون على الغنائم فلما أكبوا على الغنائم استقبلوا بالسهام فانهزموا.

الثاني: أن مالك بن عوف رئيس هوازن سبق بهم إلى وادي حنين فأعدوا وتهيئوا في مضايق الوادي.

الثالث: أن العدو كان ضعف الصحابة في العدد وأكثر من الضعف.

الرابع: أن جمع هوازن وبني نصر - بالصاد المهملة - ما يكاد يخطئ لهم سهم فهم مهرة في الرمي، فرشقوا المسلمين بالنبل رشقا، وفي رواية لمسلم من طريق زكريا عن أبي إسحاق: «فرموهم برشق من نبل كأنها رِجل من جراد فانكشفوا»(١) أي: رموهم برشق متتابع فانكشفوا.

الخامس: أن النبي ﷺ أقبل حتى انحط بهم الوادي في عماية الصبح فثارت في وجوههم الخيل فشدت عليهم فانكفئوا منهزمين ثم تراجعوا بعد ذلك.

وقوله: **«أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب»** فيه جواز الانتساب إلى الجد، فأبو النبي ﷺ عبدالله وجده عبدالمطلب فانتسب إلى جده، فالانتساب إلى الجد انتساب للأب، لأن الجد أب؛ ولهذا قال الله تعالى عن يوسف: ﴿وَٱتَّبَعْتُ مِلَّةَ ءَابَآءِىٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾ [يوسف: ٣٨] وهؤلاء أجداد له فإبراهيم هو جده الأعلى وإسحاق الذي بعده وأبوه يعقوب ومع ذلك سماهم آباء، والسبب في أن النبي ﷺ انتسب إلى جده أن أباه ﷺ وهو عبدالله ليس معروفا فقد مات

(١) أحمد (٤/ ٢٨٩)، والبخاري (٢٩٣٠)، ومسلم (١٧٧٦) واللفظ له.

شابا بخلاف جده فإنه كان رئيسا لقريش وكان معروفا مشهورا ولهذا كان الرجل من الأعراب ينسب النبي ﷺ فيقول **«يا ابن عبد المطلب؟»**(١) كما قال ذلك ضمام بن ثعلبة، ولم يقل: ابن عبد الله لأن جده مشهور معروف.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: **«قوله: باب قول الله تعالى: ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** [التوبة: ٢٥ - ٢٧]**»** كذا لأبي ذر وساق غيره إلى قوله: **﴿ثُمَّ أَنزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُۥ﴾** ثم قال: إلى **﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾** ووقع في رواية النسفي: «باب غزوة حنين وقول الله ﷻ: **﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنكُمْ شَيْـًٔا وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾** إلى قوله: **﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾**» وحنين - بمهملة ونون مصغر - واد إلى جنب ذي المجاز قريب من الطائف بينه وبين مكة بضعة عشر ميلا من جهة عرفات، قال أبو عبيد البكري: سمي باسم حنين بن قابثة بن مهلائيل، قال أهل المغازي: خرج النبي ﷺ إلى حنين لست خلت من شوال، وقيل: لليلتين بقيتا من رمضان، وجمع بعضهم بأنه بدأ بالخروج في أواخر رمضان وسار سادس شوال وكان وصوله إليها في عاشره وكان السبب في ذلك أن مالك بن عوف النصري جمع القبائل من هوازن ووافقه على ذلك الثقفيون وقصدوا محاربة المسلمين فبلغ ذلك النبي ﷺ فخرج إليهم، قال عمر بن شبة في «كتاب مكة»: حدثنا الحزامي - يعني إبراهيم بن المنذر - حدثنا ابن وهب، عن ابن أبي الزناد، عن أبيه، عن عروة أنه كتب إلى الوليد: أما بعد فإنك كتبت إلي تسألني عن قصة الفتح فذكر له وقتها فأقام عامئذ بمكة نصف شهر ولم يزد على ذلك حتى أتاه أن هوازن وثقيفا قد نزلوا حنينا يريدون قتال رسول الله ﷺ وكانوا قد جمعوا إليه، ورئيسهم عوف بن مالك.

ولأبي داود بإسناد حسن من حديث سهل بن الحنظلية أنهم ساروا مع النبي ﷺ إلى حنين فأطنبوا السير فجاء رجل فقال إني انطلقت من بين أيديكم حتى طلعت جبل كذا وكذا فإذا أنا بهوازن عن بكرة أبيهم بظعنهم ونعمهم وشائهم قد اجتمعوا إلى حنين فتبسم رسول الله ﷺ وقال: **«تلك غنيمة المسلمين غدا إن شاء الله تعالى»**(٢).

---

(١) أحمد (٣/ ١٦٨)، والبخاري (٦٣).

(٢) أبو داود (٢٥٠١).

وعند ابن إسحاق من حديث جابر ﷺ ما يدل على أن هذا الرجل هو عبد الله بن أبي حدرد الأسلمي ﷺ .

قوله : ﴿وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ﴾ روى يونس بن بكير في زيادات المغازي عن الربيع بن أنس قال قال رجل يوم حنين : لن نغلب اليوم من قلة فشق ذلك على النبي ﷺ فكانت الهزيمة وقوله : ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ إلى آخر الآيات» .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «قوله تعالى : ﴿ثُمَّ وَلَّيْتُم مُّدْبِرِينَ﴾ فبين له أنه من العموم الذي أريد به الخصوص .

قوله : **«ولكن عجل سرعان القوم فرشقتهم هوازن»** فأما سرعان فبفتح المهملة والراء ويجوز سكون الراء وقد تقدم ضبطه في سجود السهو في الكلام على حديث ذي اليدين ، والرشق بالشين المعجمة والقاف : رمي السهام ، وأما هوازن فهي قبيلة كبيرة من العرب فيها عدة بطون ينسبون إلى هوازن بن منصور بن عكرمة بن خصفة - بمعجمة ثم مهملة ثم فاء مفتوحات -ابن قيس بن عيلان بن إلياس بن مضر» .

لعله قيس عيلان كما ذكر العيني بدون ابن .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «والعذر لمن انهزم من غير المؤلفة أن العدو كانوا ضعفهم في العدد وأكثر من ذلك وقد بين شعبة في الرواية الثالثة السبب في الإسراع المذكور قال : كانت هوازن رماة» .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «وفي حديث أنس عند مسلم وغيره من رواية سليمان التيمي عن السميط عن أنس قال : «افتتحنا مكة ثم إنا غزونا حنينا قال : فجاء المشركون بأحسن صفوف رأيت صف الخيل ثم المقاتلة ثم النساء من وراء ذلك ثم الغنم ثم النعم ، ونحن بشر كثير وعلى ميمنة خيلنا خالد بن الوليد ﷺ فجعلت خيلنا تلوذ خلف ظهورنا فلم نلبث أن انكشفت خيلنا وفرت الأعراب ومن تعلم من الناس»[1] .

ذكر أن هوازن اصطفت صفوفا أحسن ما تكون فصف الخيل أولا ثم صفوف المقاتلة ثم النساء من ورائهم ثم الغنم ثم الإبل فساقها الله كلها غنيمة للمسلمين ، وفعلوا ذلك حتى لا يفروا

---

(١) أحمد (٣/ ١٥٧) ، ومسلم (١٠٥٩) .

من المعركة فيقولون : لا نستطيع الفرار فنساؤنا معنا إن فررنا ضاعت نساؤنا وأولادنا ، فيجدوا في القتال ، وقد أشار عليهم دريد بن الصمة - وكان كبير السن مجربا الحروب - بألا يفعلوا ذلك وقال : لا تفعلوا هذا فالمنهزم لا يبقي على شيء ، فلم يطيعوه وكانت الهزيمة .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «وسيأتي للمصنف قريبا من رواية هشام بن زيد عن أنس قال : أقبلت هوازن وغطفان بذراريهم ونعمهم ومع رسول الله ﷺ عشرة آلاف ومعه الطلقاء ، قال : فأدبروا عنه حتى بقي وحده ﷺ . . . الحديث[١] ، ويجمع بين قوله : حتى بقي وحده وبين الأخبار الدالة على أنه بقي معه جماعة بأن المراد بقي وحده متقدما مقبلا على العدو والذين ثبتوا معه كانوا وراءه أو الوحدة بالنسبة لمباشرة القتال وأبو سفيان بن الحارث وغيره كانوا يخدمونه في إمساك البغلة ونحو ذلك ، ووقع في رواية أبي نعيم في الدلائل تفصيل المائة : بضعة وثلاثون من المهاجرين ، والبقية من الأنصار ، ومن النساء أم سليم وأم حارثة .

قوله : **«وأبو سفيان بن الحارث»** أي : ابن عبد المطلب بن هاشم وهو ابن عم النبي ﷺ ، وكان إسلامه قبل فتح مكة ؛ لأنه خرج إلى النبي ﷺ فلقيه في الطريق وهو سائر إلى فتح مكة فأسلم وحسن إسلامه وخرج إلى غزوة حنين فكان فيمن ثبت وعند ابن أبي شيبة من مرسل الحكم بن عتيبة قال : لما فر الناس يوم حنين . . .»[٢] .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «وفي الحديث من الفوائد حسن الأدب في الخطاب والإرشاد إلى حسن السؤال بحسن الجواب وذم الإعجاب ، وفيه جواز الانتساب إلى الآباء ولو ماتوا في الجاهلية» .

ذلك لقول النبي ﷺ : **«أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب»** .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «والنهي عن ذلك محمول على ما هو خارج الحرب ومثله الرخصة في الخيلاء في الحرب دون غيرها وجواز التعرض إلى الهلاك في سبيل الله ولا يقال : كان النبي ﷺ متيقنا للنصر لوعد الله تعالى له بذلك وهو حق لأن أبا سفيان بن الحارث قد ثبت معه آخذا بلجام بغلته وليس هو في اليقين مثل النبي ﷺ وقد استشهد في تلك الحالة

---

(١) البخاري (٤٣٣٧) .

(٢) «مصنف ابن أبي شيبة» (١٤/٥٢٦) .

أيمن ابن أم أيمن كما تقدمت الإشارة إليه في شعر العباس وفيه ركوب البغلة إشارة إلى مزيد الثبات ؛ لأن ركوب الفحولة مظنة الاستعداد للفرار والتولي وإذا كان رأس الجيش قد وطن نفسه على عدم الفرار وأخذ بأسباب ذلك كان ذلك أدعى لأتباعه على الثبات وفيه شهرة الرئيس نفسه في الحرب مبالغة في الشجاعة وعدم المبالاة بالعدو» فالنبي ﷺ شهر نفسه على بغلته البيضاء وهو يقول : **«أنا النبي لا كذب أنا ابن عبد المطلب»** .

- [٤٠٣٢]، [٤٠٣٣] سبق شرحهما في الحديث السابق .

- [٤٠٣٤] هذا الحديث فيه قصة سبي هوازن لما جاءوا تائبين ، وذلك في غزوة حنين فقد كانت غزوة حنين بين النبي ﷺ وبين قبائل هوازن ومن اتبعهم من الثقفيين حينما قصدوا محاربة المسلمين ، وكان رئيسهم عوف بن مالك النصري ، وقد انتصر المسلمون في أول الأمر وأكبوا على الغنائم ؛ فرشقتهم هوازن بالنبل فولوا مدبرين ، ثم بعد ذلك عاد المسلمون وغنموا غنيمة عظيمة ، فغنموا من الإبل أربعة وعشرين ألفا ، ومن الغنم أربعين ألف شاة ، وغنموا أيضا سبايا النساء والأطفال ، ثم إن النبي ﷺ أخر قسمة الغنيمة بضع عشرة ليلة ؛ رجاء أن يأتوا مسلمين حتى يرد إليهم سبيهم فلم يأتوا فقسم الغنيمة ، ثم أتوا بعد ذلك ، وطلبوا من النبي ﷺ أن يرد إليهم سبيهم وأموالهم فخيرهم النبي ﷺ بين أحد الأمرين إما الأولاد والنساء وإما الأموال فاختاروا النساء والأولاد .

ويروي هذا الحديث عروة بن الزبير عن مروان ومسور بن مخرمة أن وفد هوازن جاءوا مسلمين بعد بضع عشرة ليلة من هزيمتهم فسألوا النبي ﷺ أن يرد إليهم أموالهم وسبيهم - والمراد بالسبي النساء والأطفال - فقال لهم رسول الله ﷺ : **«معي من ترون»** يعني لست أنا الذي يختص بالغنيمة وحدي فالغنيمة للمسلمين جميعا والمسلمون عدد كثير وقد قسمت الغنيمة بينهم **«وأحب الحديث إلي أصدقه فاختاروا إحدى الطائفتين : إما المال وإما السبي»** أي : لما طلبوا الأمرين : السبي من النساء والأولاد والمال - أربعين ألف شاة وأربعة وعشرين ألف بعير - بين لهم النبي ﷺ أنه لا يرد عليهم الأمرين وإنما يرد عليهم أحدهما .

قوله : **«وقد كنت استأنيت بكم»** يعني : تأخرت في قسمة الغنيمة ؛ رجاء أن تأتوني مسلمين فلم تأتوا ، ولذلك قال الراوي : **«وكان أنظرهم رسول الله ﷺ بضع عشرة ليلة»** والبضع من ثلاث إلى تسع ، وذلك حين قفل من الطائف .

قوله : «**فلما تبين لهم أن رسول الله ﷺ غير راد إليهم إلا إحدى الطائفتين قالوا : فإنا نختار سبينا**» أي : لا نعدل بالنساء والبنين والأولاد شيئا ؛ فالنساء والبنين أهم من المال .

قوله : «**فقام رسول الله ﷺ في المسلمين فأثنى على الله بما هو أهله ثم قال : أما بعد**» فهذه عادة النبي ﷺ إذا حزبه أمر خطب فيبدأ الخطبة بالثناء على الله ﷻ ثم يقول : «**أما بعد**» ثم يدخل في موضوع الخطبة .

قوله : «**فإن إخوانكم قد جاءونا تائبين ، وإني قد رأيت أن أرد إليهم سبيهم ، فمن أحب منكم أن يطيب ذلك فليفعل ، ومن أحب منكم أن يكون على حظه حتى نعطيه إياه من أول ما يفيء الله علينا فليفعل**» يعني : من أحب أن يسمح لنا بِردّ السبي لهم مجانًا فليسلم ما بيده من النساء والبنين ، وإن أحب أن يتمسك بحقه فله ذلك فيعطينا ما بيده ونعوضه عنه من أول فيء يأتيه الله لنا ، وسيأتي في الحديث الآخر : «أنه أعطاهم عن الفريضة ست فرائض»[1] فلو جاءه مثلا امرأة يأخذ ست نساء بدلها .

قوله : «**فقال الناس : قد طيبنا ذلك يا رسول الله فقال رسول الله ﷺ : إنا لا ندري من أذن منكم في ذلك ممن لم يأذن ، فارجعوا حتى يرفع إلينا عرفاؤكم أمركم**» يعني تكلم الناس فقالوا : يا رسول الله سامحنا ، فقال النبي ﷺ : لا نعرف من سامح ممن لم يسامح فارجعوا حتى يبين ذلك لنا رؤساؤكم ، فرجع الناس فكلمهم عرفاؤهم ، ثم رجعوا إلى رسول الله ﷺ فأخبروه أنهم قد طيبوا وأذنوا ، وجاء في الحديث أن بعض الناس امتنعوا ومنهم الأقرع بن حابس وعيينة بن الحصن فبقوا على حظهم فسلموا ما بأيدهم إلى النبي ﷺ وعوضهم عنها .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ : «قوله : «**قام حين جاءه وفد هوازن مسلمين**» ساق الزهري هذه القصة من هذا الوجه مختصرة وقد ساقها موسى بن عقبة في المغازي مطولة ولفظه : «**ثم انصرف رسول الله ﷺ من الطائف في شوال إلى الجعرانة وبها السبي يعني سبي هوازن**»[2]» يعني : أخر النبي ﷺ تقسيم السبي وجعله في الجعرانة وذهب ليحاصر الطائف وبعد الطائف قسم الغنيمة ؛ ولهذا طلب بعض الأعراب - الذين لم يتمكن الإيمان من قلوبهم - حقهم ولم يصبروا لما تأخر النبي ﷺ عليهم في القسمة ، فقالوا ، يا رسول الله ، أعطنا حقنا .

---

(١) أحمد (٢/ ٢١٨) ، وأبو داود (٢٦٩٤) ، والنسائي (٣٦٨٨) .

(٢) «المغازي» (ص٢٩٠) .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «**«وبها السبي»** يعني : سبي هوازن وقدمت عليه وفد هوازن مسلمين فيهم تسعة نفر من أشرافهم فأسلموا وبايعوا ثم كلموه فقالوا : يا رسول الله إن فيمن أصبتم الأمهات والأخوات والعمات والخالات وهن مخازي الأقوام فقال : «سأطلب لكم وقد وقعت المقاسم فأي الأمرين أحب إليكم آلسبى أم المال»[(١)] قالوا خيرتنا يا رسول الله بين الحسب والمال فالحسب أحب إلينا ولا نتكلم في شاة ولا بعير» يعني : أولادنا ونساؤنا أحب إلينا من المال .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «فقال : **«أما الذي لبني هاشم فهو لكم وسوف أكلم لكم المسلمين»**[(٢)] فكلموهم وأظهروا إسلامكم فلما صلى رسول الله ﷺ الهاجرة قاموا فتكلم خطباؤهم فأبلغوا ورغبوا إلى المسلمين في رد سبيهم ثم قام رسول الله ﷺ حين فرغوا فشفع لهم وحض المسلمين عليه وقال : **«قد رددت الذي لبني هاشم عليهم»**[(٢)] فاستفيد من هذه القصة عدد الوفد وغير ذلك مما لا يخفى ، وقد أغفل محمد بن سعد لما ذكر الوفود وفد هوازن هؤلاء مع أنه لم يجمع أحد في الوفود أكثر مما جمع ، وممن سمي من وفد هوازن : زهير بن صرد كما سيأتي ، وأبو مروان ويقال : أبو ثروان أوله مثلثة بدل الميم ويقال بموحدة وقاف – وهو عم النبي ﷺ من الرضاعة ، ذكره ابن سعد – وفي رواية بن إسحاق حدثني عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده تعيين الذي خطب لهم في ذلك ولفظه : وأدركه وفد هوازن بالجعرانة وقد أسلموا فقالوا : يا رسول الله إنا أهل وعشيرة قد أصابنا من البلاء ما لم يخف عليك فامنن علينا من الله عليك وقام خطيبهم زهير بن صرد فقال : يا رسول الله إن اللواتي في الحظائر من السبايا خالاتك وعماتك وحواضنك اللاتي كن يكفلنك وأنت خير مكفول ثم أنشده الأبيات المشهورة أولها :

امنن علينا رسول الله في كرم فإنك المرء نرجوه وندخر

يقول فيها :

امنن على نسوة قد كنت ترضعها إذ فوك تملؤه من محضها الدرر»

---

(١) «المغازي» (ص٢٩٠) .

(٢) «مغازي موسى بن عقبة» (ص٢٩٠) .

لو أراد النبي ﷺ ما رد عليهم سباياهم لكن هذا تفضل منه ﷺ، فقد استعطفوه ورأى أن يرد عليهم سباياهم فطلب من المسلمين ذلك، فمنهم من اقتدى به ﷺ ومنهم من أبقى على حقه مثل عيينة بن حصن الفزاري والأقرع بن حابس وغيرهم من رؤساء القبائل الذين أسلموا حديثا، فردوا ما بين أيديهم وعوضوا عنه بأكثر منها بما يعادل ست مرات.

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: **«فقال الناس قد طيبنا ذلك»** في رواية موسى بن عقبة: **«فأعطى الناس ما بأيديهم إلا قليلا من الناس سألوا الفداء»**[1] وفي رواية عمرو بن شعيب المذكورة: **«فقال المهاجرون ما كان لنا فهو لرسول الله وقالت الأنصار كذلك»**[2]» يعني: أن الأنصار والمهاجرين سمحوا بدون مقابل فقد ثبت الإيمان في قلوبهم.

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال الأقرع بن حابس أما أنا وبنو تميم فلا وقال عيينة أما أنا وبنو فزارة فلا وقال العباس بن مرداس أما أنا وبنو سليم فلا» هذا لأنهم أسلموا حديثا فقد أسلموا يوم فتح مكة ثم خرجوا مع النبي ﷺ إلى هوازن، فغزوة حنين بعد فتح مكة مباشرة.

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «فقالت بنو سليم: بل ما كان لنا فهو لرسول الله قال فقال رسول الله ﷺ: **«من تمسك منكم بحقه فله بكل إنسان ست فرائض من أول فيء نصيبه فردوا إلى الناس نساءهم وأبناءهم»**»[3].

- [٤٠٣٥] هذا الحديث فيه وجوب الوفاء بما نذره المسلم في الجاهلية قبل إسلامه، فمن نذر نذرا في كفره ثم أسلم فإنه يفي بنذره في الإسلام لأنه نذر طاعة، فهذا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ نذر في الجاهلية قبل الإسلام أن يعتكف ليلة في المسجد الحرام فأمره النبي ﷺ بوفائه.

ومثل ذلك ثمامة بن أثال لما أخذته خيل النبي ﷺ وكان يريد العمرة فعندما أطلق أداها لكنه هنا لم يحرم بالعمرة.

---

(١) «مغازي موسى بن عقبة» (ص٢٩٠).
(٢) أحمد (٢/ ١٨٤)، والنسائي (٣٦٨٨).
(٣) أحمد (٢/ ٢١٨) واللفظ له، وأبو داود (٢٦٩٤)، والنسائي (٣٦٨٨).

• [٤٠٣٦] الشاهد لمجيء المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ بهذا الحديث في هذه الترجمة أن هذه القصة كانت في غزوة حنين، وهذه القصة وقعت لأبي قتادة رضي الله عنه وهو رضي الله عنه كان فارسا شجاعا من الشجعان.

قوله: «**خرجنا مع رسول الله ﷺ عام حنين فلما التقينا كانت للمسلمين جولة فرأيت رجلا من المشركين قد علا رجلا من المسلمين**» يعني: يريد أن يقتله، فأتاه أبو قتادة قال: «**فضربته من ورائه على حبل عاتقه بسيف فقطعت الدرع**» الذي عليه، وفي الحديث الآخر: «**أن هذا الرجل الذي ضربه ضخم وقوي**» فالتفت هذا الرجل المشرك وضم أبا قتادة ضمة شديدة حتى كاد أن يموت، فأدرك الموت هذا المشرك فتخلى عن أبي قتادة، فبعد أن ذهبت حرارة الضربة عن الرجل أحس بها، كما لو قطع أصبع أحد المحاربين أو غير ذلك ففي أول الأمر حرارة الجسم لا تجعله يحس بالألم لكنه بعد ذلك يزيد الإحساس بالألم عنده، فلما ضربه بالسيف لم يحس بالوجع فالتفت إليه فضمه يريد أن يقتله، حتى قال أبوقتادة: «**وجدت منها ريح الموت**» ثم أدرك المشرك الموت فأرسله وتخلى عنه.

قوله: «**فلحقت عمر بن الخطاب فقلت: ما بال الناس؟**» يعني: انهزموا وولوا مدبرين قال عمر: «**أمر الله**» يعني: حكم الله وقضاؤه.

قوله: «**ثم رجعوا**» يعني: عاد الناس بعد ذلك كما سيأتي أن النبي ﷺ نادى ندائين قال: «**يا معشر الأنصار**» عن يمينه وعن شماله فقالوا: لبيك فعطفوا عليه عطف البقر على أولادها ونادى النداء الثاني فتراجعوا ثم هزموا المشركين[١].

ثم بعد ذلك لما انتهت المعركة وجلس النبي ﷺ قال: «**من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه**» هذا من باب التشجيع للمجاهدين فالذي يقتل واحدا من المشركين ويأتي ببينة أنه قتله فله سلبه، والسلب ما يكون مع المشرك من سلاح ودرع وثياب يأخذها قاتله زيادة على حقه في الغنيمة.

فقام أبوقتادة وقال: «**من يشهد لي؟**» فلم يقم أحد فجلس، فقال النبي ﷺ مرة ثانية: «**من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه**» فقام أبو قتادة وقال: «**من يشهد لي؟**» فلم يقم أحد

---

(١) أحمد (١/ ٢٠٧، ٣/ ٢٧٩)، والبخاري (٤٣٣٧)، ومسلم (١٠٥٩، ١٧٧٥).

فجلس ثم أعاد النبي ﷺ مرة ثالثة فقال: «من قتل قتيلا له عليه بينة فله سلبه» فقام أبو قتادة فقال: «من يشهد لي؟».

قوله: «فقال رجل: صدق، وسلبه عندي فأرضه مني» يعني: هو صادق فيما قال، وأنا رأيته قتل شخصا وسلبه عندي فاترك لي سلبه.

وقوله: «لاهاءَ الله إذن لا يعمد إلى أسد من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله فيعطيك سلبه» لا: نافية، وهاء: حرف ينوب عن حرف القسم كأنه يقول: لا والله فحرف القسم يكون بالواو والباء والتاء والهاء والهمزة تقول والله وبالله وتالله وآلله وهاء الله فأبو بكر أقسم وقال: والله لا يعطيك سلبه.

وقوله: «أسد من أُسد الله» المفرد أسد -بفتح الهمزة والسين- والجمع أسد -بضم الهمزة وإسكان السين-يقال: أسد وأسود وكلاهما جمع.

وهذا الحديث فيه جواز كلام الرجل الوجيه عند العالم وعند ولي الأمر والإشارة فيما يرى فيه المصلحة فقد تكلم أبوبكر مع حضور رسول الله ﷺ لأن له مكانة ويشير إلى ما يرى فيه المصلحة.

وهذه شهادة من أبي بكر لأبي قتادة وأقره النبي ﷺ عليها وقال: «صدق، فأعطه» يعني: صدق أبو بكر فأعط أبا قتادة سلبه فقام الرجل وأعطى أبا قتادة السلب.

قوله: «فابتعت به مخرفا» يعني: لما أخذ أبو قتادة السلب باعه واشترى به حديقة، وقوله: «فابتعت» يعني: اشتريت، و«مخرفا» يعني: بستانا.

قوله: «في بني سلمة» بني سلمة بطن من الأنصار وهم قوم أبي قتادة فاشترى بهذا السلب حديقة كاملة بين قومه.

قوله: «وإنه لأول مال تأثلته في الإسلام» يعني: أول مال جمعته في الإسلام.

قوله: «وقال الليث...» هذه القصة هي السابقة ساقها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هنا، ولكن بلفظ آخر وفيها بعض الاختلاف، ففي القصة السابقة قال: «فرأيت رجلًا من المشركين قد علا رجلًا من المسلمين فضربته من ورائه على حبل عاتقه»، وفي هذه القصة قال: «نظرت إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلا من المشركين وآخر من المشركين يختله من ورائه ليقتله».

في هذا الحديث أن أبا قتادة ﵁ نظر إلى رجل من المسلمين يقاتل رجلا من المشركين وآخر من المشركين خلفه يريد أن يقتل المسلم فجاءه أبو قتادة ﵁ وأسرع إليه ليقتله فالتفت إليه المشرك ورفع يده ليضرب أبا قتادة فضرب أبوقتادة ﵁ يده فقطعها فأخذه المشرك فضمه ضما شديدا وكان المشرك قويا حتى تخوف أبوقتادة ﵁ الهلاك ثم تركه المشرك فقتله أبوقتادة .

قوله : **«ثم ترك»** يعني : تركني لما أدركه الموت وزالت عنه حرارة الحياة .

قوله : **«وانهزم المسلمون وانهزمت معهم»** يعني : انهزم المسلمون في أول الأمر .

قوله : **«أمر الله»** يعني : حكم الله وما قضى به ، ثم تراجع الناس بعد ذلك لما ناداهم النبي ﷺ ، ثم لما انتهت المعركة قال النبي ﷺ : **«من أقام بينة على قتيل قتله فله سلبه»** فقام أبوقتادة ﵁ ليلتمس بينة على قتيله فلم ير أحدا يشهد له ، فذكر أمره للنبي ﷺ ، **«فقال رجل من جلسائه : سلاح هذا القتيل الذي يذكره عندي ، فأرضه منه فقال أبو بكر : كلا ، لا تعطه أضيبع من قريش»** أضيبع : نوع من الطير ، أو النبات الضعيف وصفه أبوبكر ﵁ بالضعف والمهانة يعني : أنت لا ترتقي إلى قدر أبي قتادة فهو أسد من أسد الله وأنت مثلك مثل الطير الضعيف أو مثل النبات الضعيف .

وقوله : **«وتدع أسدا من أسد الله يقاتل عن الله ورسوله ﷺ»** هذه شهادة من أبي بكر ﵁ لأبي قتادة ﵁ ، بأنه أسد من الأسود يقاتل عن الله ورسوله ﷺ ، فأعطى النبي ﷺ أبا قتادة ﵁ سلب المشرك فاشترى به بستانا .

* * *

المَتْنُ

[٥٥/ ٥٥] غزوة أوطاس

• [٤٠٣٧] حدثني محمد بن العلاء، قال: حدثنا أبو أسامة، عن بريد بن عبدالله، عن أبي بردة، عن أبي موسىٰ قال: لما فرغ النبي ﷺ من حنين بعث أبا عامر علىٰ جيش إلىٰ أوطاسٍ، فلقي دريد بن الصمة، فقتل دريد وهزم الله أصحابه، قال أبو موسىٰ: وبعثني مع أبي عامر، فرمي أبو عامر في ركبته؛ رماه جشمي بسهم فأثبته في ركبته، فانتهيت إليه فقلت: يا عمِّ، مَن رماك؟ فأشار إلىٰ أبي موسىٰ، فقال: ذاك قاتلي الذي رماني، فقصدت له فلحقته، فلما رآني ولىٰ فاتبعته وجعلت أقول له: ألا تستحيي؟ ألا تثبت؟ فكف، فاختلفنا ضربتين بالسيف فقتلته، ثم قلت لأبي عامر: قتل الله صاحبك، قال: فانزع هذا السهم، فنزعته فنزا منه الماء، قال: يا ابن أخي، أقرئ النبي ﷺ السلام، وقل له: استغفر لي، واستخلفني أبو عامر على الناس، فمكث يسيرا ثم مات، فرجعت فدخلت على النبي ﷺ في بيته علىٰ سرير مُرَمَّلٍ وعليه فراش قد أثر رمال السرير بظهره وجنبيه، فأخبرته بخبرنا وخبر أبي عامر، وقال: قل له: استغفر لي، فدعا بماء فتوضأ، ثم رفع يديه فقال: «**اللهم اغفر لعبيد أبي عامر**»، ورأيت بياض إبطيه، ثم قال: «**اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك ومن الناس**»، فقلت: ولي فاستغفر، فقال: «**اللهم اغفر لعبدالله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما**».

قال أبو بردة: إحداهما لأبي عامر، والأخرىٰ لأبي موسىٰ.

الشَّرْحُ

هذا الباب في «**غزوة أوطاس**» وغزوة أوطاس لم يخرج فيها النبي ﷺ، وإنما أرسل سرية وعقد اللواء لأبي عامر ومعه أبو موسى الأشعري وقيل: إن وادي أوطاس هو وادي حنين، وقيل: إنه غيره، وهم بقية هوازن، فلما انهزموا انقسموا أقساما: طائفة ذهبت إلى الطائف، وطائفة إلىٰ بجيلة، وطائفة إلىٰ وادي أوطاس، فالذين تجمعوا في وادي أوطاس أرسل لهم النبي ﷺ سرية بقيادة أبي عامر لقتالهم ولم يخرج معها ﷺ، وإنما ذهب إلى الطائف لحصارها، فحاصرها النبي ﷺ مدة حتى انسلخ ذو القعدة وهو يحاصرهم.

• [٤٠٣٧] قوله: «لما فرغ النبي ﷺ من حنين» يعني: لما فاتت غزوة حنين «بعث أبا عامر على جيش إلى أوطاسٍ» وأبو عامر رضي الله عنه هو الأشعري وهو عم أبي موسى الأشعري رضي الله عنه بعثه النبي ﷺ على جيش إلى أوطاس.

قوله: «فلقي دريد بن الصمة فقتل دريد» دريد بن الصمة رجل مشهور، كان يحمل بالهودج لكبر سنه وكان عنده خبرة بالحرب وله جولات وصولات ويعرف الأرض حتى إنه إذا أنزلوه في الأرض وهو أعمى يشمها ويخبرهم ما هذه الأرض ويقول قد كان في يوم كذا وكذا حدث كذا وكذا وهو الذي قال لهوازن: إن المنهزم لا يلوي على شيء قاتلوا وحدكم فإن انتصرتم فبها وإن لم تنتصروا تكونوا أحرزتم نساءكم وأبناءكم؛ ذلك لما جمعوا للنبي ﷺ النساء والأموال حتى لا يفروا من المعركة، فقال قائد الجيش: لا، وعصاه فكانت النتيجة أن ساقهم الله سبيا للمسلمين.

ولهذا يقول العلماء: إن الشيخ الكبير الفاني لا يقتل في الحروب إلا إذا كان له رأي وخبرة في الحرب وأمورها مثل دريد هذا.

وفي المعركة رمي أبو عامر بسهم في ركبته، رماه جشمي وهو رجل من المشركين بسهم فأثبته في ركبته، فجاء أبو موسى إلى عمه فقال: «يا عم من رماك؟ فأشار إلى أبي موسى فقال: ذاك قاتلي الذي رماني فقصدت له فلحقته» أي: هرب فخجله أبوموسى وقال له: «ألا تستحيي؟ ألا تثبت؟ فكف» فأبو موسى يريد قتله فصار يخجله ويقول له: أيها الجبان ألا تستحي؟ حتى وقف ثم اختلفا ضربتين فقتله أبو موسى رضي الله عنه.

ثم رجع إلى عمه وقال قتلت الذي قتلك فقال: «فانزع هذا السهم»، فنزعه أبو موسى فخرج منه الماء فعرف أنه ميت، فقال أبلغ الرسول ﷺ وقل له يدعو لي، واستخلف أبا موسى على الناس، وبذلك صار أبوموسى الأمير على الجيش بدلا من عمه.

قوله: «فمكث يسيرا ثم مات» وذلك لعدم وجود ما يوقف نزف الدم، وقد أوصى ابن أخيه فقال: «أقرئ النبي ﷺ السلام وقل له استغفر لي».

فلما انتهت المعركة جاء أبو موسى رضي الله عنه ودخل على النبي ﷺ، فوجد النبي ﷺ على فراش من سعف النخل قد أثرت رُمَال السرير بظهره وجنبيه ﷺ.

وقوله: «سرير مرمّل» تنطق بالتشديد والتخفيف، يعني معمول بالرُّمَال وهي حبال الحصر التي تضفر بها الأسرة أما الآن فتتكون الأسرة من الخشب وغيره.

قوله: «فدعا بماء فتوضأ» فيه استحباب الوضوء للدعاء؛ لأن الدعاء عبادة، فيستحب للإنسان إذا أراد الدعاء أن يتوضأ ويستقبل القبلة ثم يدعو، فوضوء النبي ﷺ للدعاء يدل على الاهتمام به.

قوله: «ثم رفع يديه» فيه مشروعية رفع اليدين في الدعاء وأنه من أسباب الإجابة.

قوله: «ورأيت بياض إبطيه» فيه مبالغة في رفع اليدين حتى يرى بياض الإبطين؛ لأن النبي ﷺ كان عليه رداء على عادة العرب، فقد كانت عادتهم أن يلبسوا إزارا ورداء فإذا رفع يديه بقوة كشف بياض إبطيه فهذه ثلاثة أنواع من الاستحبابات.

ومن أسباب قبول الدعاء أيضا الثناء على الله بما هو أهله والصلاة على نبيه وحضور القلب.

وقد دعا النبي ﷺ لأبي عامر رضي الله عنه ودعا لأبي موسى رضي الله عنه فقال عند دعائه لأبي عامر: «اللهم اجعله يوم القيامة فوق كثير من خلقك» يعني: فوقهم في المرتبة، وهذا فضل عظيم فلما رأى أبو موسى ذلك قال: يا رسول الله، وادع لي، فقال النبي ﷺ: «اللهم اغفر لعبدالله بن قيس ذنبه، وأدخله يوم القيامة مدخلا كريما» فيا له من فضل عظيم، وهذه منقبة فاز بها أبو موسى وأبوعامر.

قوله: «إحداهما لأبي عامر، والأخرى لأبي موسى» هذا قول أبي بردة راوي الحديث عن أبي موسى.

* * *

المتن

[٥٦/ ٥٥] غزوة الطائف في شوال سنة ثمان
قاله موسى بن عقبة

• [٤٠٣٨] حدثنا الحميدي، سمع سفيان قال: حدثنا هشام، عن أبيه، عن زينب بنت أبي سلمة، عن أمها أم سلمة، دخل عليَّ النبي ﷺ وعندي مخنث، فسمعته يقول لعبدالله بن أبي أمية: يا عبدالله، أرأيت إن فتح الله عليكم الطائف غدا، فعليك بابنة غيلان؛ فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان، وقال النبي ﷺ: **«لا يدخلن هؤلاء عليكم»**.

قال ابن عيينة: وقال ابن جريج: المخنث هِيتٌ.

• [٤٠٣٩] حدثنا محمود، قال: حدثنا أبو أسامة، عن هشام بهذا وزاد: وهو محاصر الطائف يومئذ.

• [٤٠٤٠] حدثنا علي بن عبدالله، قال: حدثنا سفيان، عن عمرو، عن أبي العباس الشاعر الأعمى، عن عبدالله بن عَمْرو قال: لما حاصر رسول الله ﷺ الطائف فلم ينل منهم شيئا قال: **«إنا قافلون إن شاء الله»**، فثقل عليهم وقالوا: نذهب ولا نفتحه؟ وقال مرة: **«نقفل»**، فقال: **«اغدوا على القتال»**، فغدوا فأصابهم جراح، فقال: **«إنا قافلون غدا إن شاء الله»**، فأعجبهم، فضحك النبي ﷺ، وقال سفيان مرة: فتبسم.

قال: قال الحميدي: حدثنا سفيان كُلَّه بالخَبَر.

• [٤٠٤١] حدثني محمد بن بشار، قال: حدثنا غندر، قال: حدثنا شعبة، عن عاصم، قال: سمعت أبا عثمان قال: سمعت سعدا – وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله – وأبا بكرة وكان تسور حصن الطائف في أناس، فجاء إلى النبي ﷺ، فقالا: سمعنا النبي ﷺ يقول: **«من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام»**.

وقال هشام، أخبرنا معمر، عن عاصم، عن أبي العالية أو أبي عثمان النهدي، قال: سمعت سعدا وأبا بكرة عن النبي ﷺ.

قال عاصم: قلت: لقد شهد عندك رجلان حسبك بهما، قال: أجل، أما أحدهما فأول من رمى بسهم في سبيل الله، وأما الآخر فنزل إلى النبي ﷺ ثالث ثلاثة وعشرين من الطائف.

• [٤٠٤٢] حدثني محمد بن العلاء، قال: حدثنا أبو أسامة، عن بريد بن عبدالله، عن أبي بردة، عن أبي موسى قال: كنت عند النبي ﷺ وهو نازل بالجعرانة بين مكة والمدينة ومعه بلال، فأتى النبي ﷺ أعرابي فقال: ألا تنجز لي ما وعدتني؟ فقال له: أبشر، فقال: قد أكثرت علي من أبشر، فأقبل على أبي موسى وبلال كهيئة الغضبان فقال: **«رد البشرى، فاقبلا أنتما»**، قالا: قبلنا، ثم دعا بقدح فيه ماء فغسل يديه ووجهه فيه، ومج فيه، ثم قال: **«اشربا منه وأفرغا على وجوهكما ونحوركما وأبشرا»**، فأخذا القدح ففعلا، فنادت أم سلمة من وراء الستر أن أفضلا لأمكما، فأفضلا لها منه طائفة.

• [٤٠٤٣] حدثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا إسماعيل، قال: حدثنا ابن جريج، قال: أخبرني عطاء، أن صفوان بن يعلى بن أمية أخبره، أن يعلى كان يقول: ليتني أرى رسول الله ﷺ حين يُنزل عليه! قال: فبينا النبي ﷺ بالجعرانة وعليه ثوب قد أظل به معه فيه ناس من أصحابه، إذ جاءه أعرابي عليه جبة متضمخ بطيب، فقال: يا رسول الله، كيف ترى في رجل أحرم بعمرة في جبة بعدما تضمخ بطيب؟ فأشار عمر إلى يعلى بيده أن تعال، فجاء يعلى، فأدخل رأسه فإذا النبي ﷺ محمر الوجه يغط كذلك ساعة، ثم سري عنه، فقال: **«أين الذي يسألني عن العمرة آنفا؟»**، فالتمس الرجل فأتي به، فقال: **«أما الطيب الذي بك فاغسله ثلاث مرات، وأما الجبة فانزعها، ثم اصنع في عمرتك كما تصنع في حجك»**.

• [٤٠٤٤] حدثنا موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا وهيب، قال: حدثنا عمرو بن يحيى، عن عباد بن تميم، عن عبدالله بن زيد بن عاصم قال: لما أفاء الله على رسوله يوم حنين قسم في الناس في المؤلفة قلوبهم، ولم يعط الأنصار شيئا، فكأنهم وُجْدٌ؛ إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، أو كأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس، فخطبهم فقال: **«يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلالا فهداكم الله بي؟ وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟»** كلما قال شيئا قالوا: الله ورسوله أمن، قال: **«ما يمنعكم أن تجيبوا رسول الله»**، كلما قال شيئا قالوا: الله ورسوله أمن، قال: **«لو شئتم قلتم: جئتنا كذا وكذا، أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي إلى رحالكم؟ لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار، ولو سلك الناس واديا وشعبا لسلكت وادي الأنصار وشعبها، الأنصار شعار والناس دثار، إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»**.

• [٤٠٤٥] حدثني عبدالله بن محمد ، قال : حدثنا هشام ، قال : أخبرنا معمر ، عن الزهري ، قال : حدثني أنس بن مالك قال ، قال ناس من الأنصار حين أفاء الله على رسوله ما أفاء من أموال هوازن ، فطفق النبي ﷺ يعطي رجالا المائة من الإبل ، فقالوا : يغفر الله لرسول الله ، يعطي قريشا ويتركنا ، وسيوفنا تقطر من دمائهم ، قال أنس : فحدث رسول الله ﷺ بمقالتهم ، فأرسل إلى الأنصار فجمعهم في قبة من أدم ، ولم يدع معهم غيرهم ، فلما اجتمعوا قام النبي ﷺ فقال : **«ما حديث بلغني عنكم؟»** فقال فقهاء الأنصار : أما رؤساؤنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئا ، وأما ناس منا حديثة أسنانهم فقالوا : يغفر الله لرسول الله ؛ يعطي قريشا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم ، فقال النبي ﷺ : **«فإني أعطي رجالا حديثي عهد بكفر ؛ أتألفهم ، أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون بالنبي إلى رحالكم؟ فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به»** ، قالوا : يا رسول الله ، قد رضينا ، فقال لهم النبي ﷺ : **«ستجدون أثرة شديدة فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله ؛ فإني على الحوض»** ، قال أنس : فلم يصبروا .

• [٤٠٤٦] حدثنا سليمان بن حرب ، قال : حدثنا شعبة ، عن أبي التياح ، عن أنس قال : لما كان يوم فتح مكة قسم رسول الله ﷺ غنائم من قريش ، فغضبت الأنصار ، قال النبي ﷺ : **«أما ترضون أن يذهب الناس بالدنيا وتذهبون برسول الله؟»** قالوا : بلى ، قال : **«لو سلك الناس واديا – أو شعبا – لسلكت وادي الأنصار – أو شعبهم»** .

• [٤٠٤٧] حدثنا علي بن عبدالله ، قال : حدثنا أزهر ، عن ابن عون ، قال : أنبأنا هشام بن زيد بن أنس ، عن أنس قال : لما كان يوم حنين التقى هوازن ، ومع النبي ﷺ عشرة آلاف والطلقاء ، فأدبروا ، قال : **«يا معشر الأنصار»** ، قالوا : لبيك يا رسول الله وسعديك ، نحن بين يديك ، فنزل النبي ﷺ فقال : **«أنا عبدُ الله ورسوله»** ، فانهزم المشركون ، فأعطى الطلقاء والمهاجرين ، ولم يعط الأنصار شيئا ، فقالوا ، فدعاهم فأدخلهم في قبة ، فقال : **«أما ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون برسول الله ﷺ؟»** فقال النبي ﷺ : **«لو سلك الناس واديا وسلكت الأنصار شعبا ، لاخترت شعب الأنصار»** .

• [٤٠٤٨] حدثني محمد بن بشار ، قال : حدثنا غندر ، قال : حدثنا شعبة ، قال : سمعت قتادة ، عن أنس قال : جمع النبي ﷺ ناسا من الأنصار فقال : **«إن قريشا حديث عهد**

بجاهلية ومصيبة ، وإني أردت أن أُجيزَهم وأتألفهم ، أما ترضون أن يرجع الناس بالدنيا وترجعون برسول الله إلى بيوتكم؟» قالوا : بلى ، قال : **«لو سلك الناس واديا وسلكت الأنصار شعبا ، لسلكت وادي الأنصار - أو شعب الأنصار»** .

• [٤٠٤٩] حدثنا قبيصة ، قال : حدثنا سفيان ، عن الأعمش ، عن أبي وائل ، عن عبدالله قال : لما قسم النبي ﷺ قسمة حنين قال رجل من الأنصار : ما أراد بها وجه الله ، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته ، فتغير وجهه ثم قال : **«رحمة الله على موسى ، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر»** .

• [٤٠٥٠] حدثنا قتيبة بن سعيد ، قال : حدثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي وائل ، عن عبدالله قال : لما كان يوم حنين آثر النبي ﷺ ناسا ؛ أعطى الأقرع مائة من الإبل ، وأعطى عيينة مثل ذلك ، وأعطى ناسا ، فقال رجل : ما أريد بهذه القسمة وجه الله ، فقلت لأخبرن النبي ﷺ ، قال : **«رحم الله موسى ، قد أوذي بأكثر من هذا فصبر»** .

• [٤٠٥١] حدثني محمد بن بشار ، قال : حدثنا معاذ بن معاذ ، قال : حدثنا ابن عون ، عن هشام بن زيد بن أنس ، عن أنس بن مالك قال : لما كان يوم حنين أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم بنعمهم وذراريهم ، ومع النبي ﷺ عشرة آلاف من الطلقاء ، فأدبروا عنه حتى بقي وحده ، فنادى يومئذ نداءين لم يخلط بينهما ؛ التفت عن يمينه فقال : **«يا معشر الأنصار»** ، قالوا : لبيك يا رسول الله ، أبشر نحن معك ، ثم التفت عن يساره فقال : **«يا معشر الأنصار»** ، قالوا : لبيك يا رسول الله ، أبشر نحن معك ، وهو على بغلة بيضاء ، فنزل فقال : **«أنا عبد الله ورسوله»** ، فانهزم المشركون ، وأصاب يومئذ غنائم كثيرة ، فقسم في المهاجرين والطلقاء ، ولم يعط الأنصار شيئا ، فقالت الأنصار : إذا كانت شديدةٌ فنحن ندعى وتعطى الغنيمةُ غيرَنا ، فبلغه ذلك ، فجمعهم في قبة فقال : **«يا معشر الأنصار ، ما حديث بلغني؟»** فسكتوا ، فقال : **«يا معشر الأنصار ، ألا ترضون أن يذهب الناس بالدنيا وتذهبون برسول الله ﷺ تحوزونه إلى بيوتكم؟!»** قالوا : بلى ، قال النبي ﷺ : **«لو سلك الناس واديا وسلكت الأنصار شعبا لأخذت شعب الأنصار»** ، وقال هشام : قلت : يا أبا حمزة ، وأنت شاهد ذاك؟ قال : وأين أغيب عنه؟

الشَّرْح

• [٤٠٣٨]، [٤٠٣٩] قوله : «**وعندي مخنث**» المخنث : هو الذي يشبه المرأة ويكون له آلة ذكر وآلة أنثى ، فالمخنث يشبه المرأة في كلامه وحركاته ومشيته وليس له شهوة ولا مأرب في النساء ، فليس عنده شهوة من الأساس وكان يدخل على النساء ولا يحتجبن عنه ، فقد قال الله فيهم : ﴿**أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ**﴾ [النور : ٣١] فالمخنثون هم التابعون الذين يتبعون النساء ويدخلون عليهن و﴿**غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ**﴾ يعني : غير أولي الشهوة من الرجال فالمرأة تبدي لهم من زينتها فقد قال الله ﷻ : ﴿**وَلَا يُبۡدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوۡ ءَابَآئِهِنَّ أَوۡ ءَابَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآئِهِنَّ أَوۡ أَبۡنَآءِ بُعُولَتِهِنَّ أَوۡ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ إِخۡوَٰنِهِنَّ أَوۡ بَنِيٓ أَخَوَٰتِهِنَّ أَوۡ نِسَآئِهِنَّ أَوۡ مَا مَلَكَتۡ أَيۡمَٰنُهُنَّ أَوِ ٱلتَّٰبِعِينَ غَيۡرِ أُوْلِي ٱلۡإِرۡبَةِ مِنَ ٱلرِّجَالِ أَوِ ٱلطِّفۡلِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يَظۡهَرُواْ عَلَىٰ عَوۡرَٰتِ ٱلنِّسَآءِ**﴾ [النور : ٣١] فكل هؤلاء تبدي لهم المرأة زينتها ومنهم التابعون غير أولي الشهوة .

والمخنث أحيانا يكون مشكلا بأن يتصف بالذكورة والأنوثة في آن واحد ، وأحيانا غير مشكل بأن تغلب عليه صفات الذكورة أو صفات الأنوثة .

وفي هذا الحديث أن النبي ﷺ دخل على أم سلمة ﵂ وعندها هذا المخنث لأنه ليس له شهوة قالت فسمعه يقول لعبدالله بن أبي أمية –وهو أخو أم سلمة : «**يا عبدالله ، أرأيت إن فتح الله عليكم الطائف غدا فعليك بابنة غيلان**» وفي لفظ : «**غدًا أدلك على بنت غيلان**»[(١)] يعني : إذا فتح الله عليكم الطائف ووزعت نساء المشركين فعليك أن تختار ابنة غيلان لتكون من نصيبك «**فإنها تقبل بأربع وتدبر بثمان**» يعني : أنها سمينة ففي بطنها من جهة الأمام أربع طيات ، ولها من جهة الخلف ثمان طيات أربع منها جهة اليمين وأربع جهة اليسار ، وهذا يدل على أن له شهوة في النساء ، فلما سمع النبي ﷺ ذلك طرده وقال : «**لا يدخلن هؤلاء عليكم**» بعد ذلك ، لأن حاله تغيرت فوصفه الدقيق لهذه المرأة يدل على أن عنده شهوة للنساء ، وكان هذا المخنث اسمه : هيت .

---

(١) أحمد (٦/ ٣١٨) ، والبخاري (٥٢٣٥) ، ومسلم (٢١٨٠) .

والمخنث معذور في طبيعته، فقد خلقه الله ﷻ شبيهًا بالنساء في كلامه ومشيه، لكن الشخص الطبيعي العادي الذي يتخنث ويتعمد التشبه بالمرأة في كلامها أو في صفة من صفاتها الخاصة بها -مثلما يشاهد الناس في المسلسلات- فهذا حرام، فلا يجوز أن يمشي مشية المرأة ولا يتكلم كلام المرأة، فمن تشبه من الرجال بالنساء فهو ملعون، ففي الحديث: **«لعن رسول الله ﷺ المتشبهين من الرجال بالنساء والمتشبهات من النساء بالرجال»**[1].

إذن فالمخنث نوعان:

الأول: خلقه الله ﷻ مخنثا، مشيه كمشي المرأة وكلامه ككلامها وحركاته كحركاتها، فهذا معذور وليس له حيلة، وفي الغالب أنه لا تكون له شهوة ولا تحتجب عنه النساء.

الثاني: من يتشبه بالمرأة في لبسها وكلامها وحركاتها، فهذا ملعون.

والغالب أن المخنث الذي في الحديث كانت خلقته خلقة مخنث، خلقه الله هكذا، صوته كصوت المرأة وكلامه ككلامها ومشيته كمشيتها ولا شهوة له في النساء، وكان المخنثون موجودين على عهد النبي ﷺ، لكن هذا المخنث قد تغيرت حاله فطرده الرسول ﷺ وحجب زوجاته عنه.

ويجوز للخصي ألا تحتجب عنه المرأة، فإذا وجد أحد قطعت خصيتاه وليس له شهوة، فهذا لا تحتجب عنه النساء، هذا مع حرمة فعل الإخصاء.

أما الخدم الأجانب الذين يخدمون المسلمين في هذه الأيام فلا يعاملون معاملة المخنثين؛ لأن لديهم شهوة للنساء، فإذا كان هؤلاء المخنثون يمنعون من الدخول على النساء فسائق السيارة وغيره يمنع من باب أولى، فلا شك أن الأمر خطير وبه فتنة عظيمة، فالسائقون والخدم الذين امتلأت بهم البيوت يتساهل كثير من الناس في دخولهم على النساء سواء في المطبخ أو في غيره، ولا تحتجب النساء منهم، بل وقد يذهب بالمرأة وحدها إلى بعض الأماكن وهذا مما سبب الشر والفواحش.

• [٤٠٤٠] جاء في هذا الحديث أن حصار النبي ﷺ للطائف قد طالت مدته، ولم ينالوا منه شيئا فقال النبي ﷺ لأصحابه: **«إنا قافلون إن شاء الله»** يعني: سنرجع.

---

(١) أحمد (١/ ٣٣٩)، والبخاري (٥٨٨٥).

قوله : «فثقل عليهم وقالوا : نذهب ولا نفتحه؟» يعني : نرجع ولا نفتح الطائف بعد طول الحصار ومدته ولم ننل منه شيئا ، وقالوا مرة : «نقفل» فقال لهم النبي ﷺ : «اغدوا على القتال» .

قوله : «فغدوا فأصابهم جراح» لأن أهل الطائف كانوا يرسلون على أصحاب النبي ﷺ من وراء الحصار فيصيبونهم بالجراح ، ويرسل عليهم المسلمون شيئا فلا يصيبونهم فحصل لهم جراحات كثيرة فقال النبي ﷺ : «إنا قافلون غدا إن شاء الله فأعجبهم» .

قوله : «فضحك النبي ﷺ» يعني : ضحك من ضعفهم وعجزهم وهذه طبيعة البشر حيث ثقل عليهم الرجوع بغير فتح ثم لما أصيبوا بالجراح أعجبهم الرجوع ، «وقال سفيان مرة : فتبسم» أي : بدلًا من «فضحك» .

• [٤٠٤١] قوله : «سمعت سعدا وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله» يعني : سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ، وهذه منقبة له .

قوله : «وأبا بكرة وكان تسور حصن الطائف في أناس فجاء إلى النبي ﷺ» أبو بكرة رضي الله عنه هو مولى الحارث بن كندة الثقفي من عبيدهم فأسلم واسمه نفيع بن الحارث ، وقد نزل من حصن الطائف ، وكان قد نزل من الحصن ثلاثة وعشرون شخصا ، وقال النبي ﷺ : «من جاء من العبيد فأسلم فهو حر»[(١)] فجاءوا إلى النبي ﷺ ومنهم أبو بكرة رضي الله عنه تسور حصن الطائف وهرب منهم فأعتقه النبي ﷺ .

فروى هذا الحديث سعد وأبو بكرة رضي الله عنهما عن النبي ﷺ أنه قال : «من ادعى إلى غير أبيه وهو يعلم فالجنة عليه حرام» وهذا وعيد شديد على من انتسب من الأحرار إلى غير أبيه أو غير قبيلته ، فإنه من كبائر الذنوب ؛ لأن هذا من الأعمال الكفرية والجنة عليه حرام ؛ لأنه أنكر النعمة وجحد حق أبيه عليه ، وفي اللفظ الآخر : «ليس من رجل ادعى إلى غير أبيه إلا كفر»[(٢)] وهذا كفر أصغر لا يخرج المسلم عن الملة .

---

(١) أحمد (١/ ٢٤٨) .
(٢) أحمد (٥/ ١٦٦) ، والبخاري (٣٥٠٨) ، ومسلم (٦١) .

وكذلك من انتسب إلىٰ غير مواليه من الموالي، فقد جاء فيه الوعيد: **«من تولىٰ غير مواليه فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين»**(١) وفي لفظ آخر: **«ومن تولىٰ قومًا بغير إذن مواليه فعليه لعنة الله والناس أجمعين، لا يقبل منه صرف ولا عدل»**(٢) ففيه التحذير من الانتساب إلىٰ غير الأب فبعض الناس ينتسب إلىٰ غير أبيه حتىٰ يأخذ مالا بالتزوير فيجعل له اسمين مختلفين فيأخذ بهذا مالا أو أرضا ويأخذ بهذا مالا أو أرضا.

• [٤٠٤٢] قوله: **«بين مكة والمدينة»** قال بعضهم: إنه وهم والصواب أنها بين مكة والطائف، فالجعرانة معروفة قريبة من مكة أحرم منها للعمرة وقسم فيها غنائم حنين.

وحدثت هذه القصة والنبي ﷺ نازل الجعرانة ومعه بلال فأتى النبي ﷺ أعرابي فقال للنبي ﷺ: **«ألا تنجز لي ما وعدتني؟»** يحتمل أن هذا الوعد كان خاصا به ويحتمل أنه كان عاما وكان طلبه ليعجل له نصيبه من الغنيمة لأن النبي ﷺ تأخر في قسم غنائم هوازن فجمع الغنائم وجعلها في الجعرانة وذهب يحاصر الطائف أيامًا ثم رجع من الطائف ثم قسمها، فبعض الأعراب لم يصبر.

قوله: **«قد أكثرت علي من أبشر»** هذا علىٰ عادة الأعراب من العجلة وعدم الصبر ومن الجفاء كيف يقابل النبي ﷺ فيقول له هذا الكلام؟! فالنبي ﷺ تأثر من هذا القول وأقبل علىٰ أبي موسىٰ وبلال كهيئة الغضبان وقال: **«رد البشرىٰ»** يعني: هذا الأعرابي؟

قوله: **«فاقبلا أنتما، قالا: قبلنا»** صار خيرا ساقه الله إلىٰ أبي موسىٰ وبلال.

قوله: **«ثم دعا بقدح فيه ماء فغسل يديه ووجهه، ومج فيه، ثم قال: اشربا منه وأفرغا علىٰ وجوهكما ونحوركما وأبشرا»** فالرسول ﷺ غسل وجهه ومج في القدح فأفرغا علىٰ وجهيهما وشربا منه وأخذا القدح تبركا به.

قوله: **«فنادت أم سلمة من وراء الستر أن أفضلا لأمكما»** يعني: أفضلا لي شيئا تريد أن تشاركهم في هذا الخير **«فأفضلا لها منه طائفة»** وشربت منه وغسلت تبركا به؛ لما جعل الله من البركة في جسد النبي ﷺ.

---

(١) أحمد (١/ ٨١)، والبخاري (٣١٧٢)، ومسلم (١٣٧٠).

(٢) أحمد (١/ ١٢٦)، والبخاري (١٨٧٠)، ومسلم (١٥٠٨).

وأما قوله : «**من وراء الستر**» فلا شك أن هذا من أدلة وجوب الحجاب، وأدلة الحجاب كثيرة، ودعاة السفور الذين يريدون أن يخرجوا المرأة بغير حجاب يقولون : ليس هناك دليل، كيف ذلك والآية الكريمة : ﴿**وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ**﴾ [سورة الأحزاب : ٥٣] تدل على أن الحجاب أطهر لقلوب الرجال والنساء؟!

ومن الأدلة أيضًا حديث عائشة : «**فخمرت وجهي بجلبابي**»(١) والأدلة كثيرة لكن أبى دعاة السفور إلا أن يعارضوا هذه النصوص ويتبعوا أهواءهم وشهواتهم .

والشاهد من هذه القصة أنها حصلت والنبي ﷺ نازل بالجعرانة .

● **[٤٠٤٣]** هذه القصة وقعت في الجعرانة أيضًا وهي أن يعلى بن أمية كان يتمنى أن يرى النبي ﷺ وهو ينزل عليه الوحي فجاء أعرابي إلى النبي ﷺ وهو محرم وعليه جبة متضمخة بالطيب، ومن المعلوم أن المحرم لا يلبس الثياب ولا يضع من الطيب، فهذا فعل محظورَيْنِ من محظورات الإحرام : لبس المخيط – أي الجبة – وتضمخ بالطيب، فقال : «**يا رسول الله كيف ترى في رجل أحرم بعمرة في جبة بعدما تضمخ بطيب؟**» فسكت النبي ﷺ حتى نزل عليه الوحي .

وهذا فيه دليل على أنه لا يجوز لإنسان أن يتكلم إلا بعلم، فالرسول ﷺ وهو أشرف الخلق ما أجابه حتى جاءه الوحي من السماء .

قوله : «**فأشار عمر إلى يعلى بيده أن تعال**» لأن يعلى كان يتمنى أن يرى الرسول ﷺ حين ينزل عليه الوحي فأشار إليه عمر رضي الله عنه فأدخل رأسه على النبي ﷺ .

قال : «**فإذا النبي ﷺ محمر الوجه يغط**» أي : من شدة ثقل الوحي ثقل عليه .

قوله : «**ثم سري عنه**» يعني : ارتفع عنه الوحي .

قوله : «**أين الذي يسألني عن العمرة آنفًا؟**» فيه دليل على أنه ينبغي للإنسان إذا سئل عن شيء وكان عنده علم أن يجيب، وإذا لم يكن عنده علم فإنه يؤجل السائل حتى يبحث أو يحيله على غيره .

---

(١) أحمد (٦/ ١٩٤)، والبخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠) .

قوله : **«أما الطيب الذي بك فاغسله ثلاث مرات ، وأما الجبة فانزعها»** فيه دليل على أن من لبس المخيط أو تضمخ بالطيب جاهلًا أو ناسيا أو مكرها فإنه يغسل الطيب ويخلع المخيط وليس عليه شيء ؛ لأن النبي ﷺ لم يأمره بالفدية .

وأما المتعمد فإن عليه الفدية ، والفدية كما جاءت في حديث كعب بن عجرة لما حلق رأسه قال له النبي ﷺ : **«هل تجد شاة؟»** قال : لا ، قال : **«أطعم ستة مساكين أو صم ثلاثة أيام»**(١) فدل على أن الجاهل والناسي إذا فعل محذورًا فإنه معفو عنه لهذا الحديث .

قوله : **«اصنع في عمرتك كما تصنع في حجك»** يعني : فيما يمكن أن يتوافقا فيه مثل الطواف والسعي وإلا فمن المعلوم أن العمرة ليس فيها الوقوف بعرفة وليس فيها رمي الجمار .

وقد استدل بعضهم بقوله : **«اصنع في عمرتك كما تصنع في حجك»** على وجوب طواف الوداع في العمرة لأن الحج يصنع فيه طواف الوداع .

واحتج بهذا الشيخ محمد بن عثيمين رَحِمَهُ اللَّهُ وقال : هذا دليل على وجوب طواف الوداع في العمرة .

وجمهور العلماء على أن طواف الوداع مستحب للعمرة وليس بواجب ، وإنما يجب طواف الوداع في الحج وهذا الذي عليه الجمهور هو الصواب .

- [٤٠٤٤] هذه القصة وقعت بعد حنين لما أفاء الله على رسوله يوم حنين حين قسم الغنائم في الناس .

قوله : **«لما أفاء الله»** الفيء : هو الأموال والغنائم التي يغنمها المسلمون من الكفار في الحروب .

قوله : **«المؤلفة قلوبهم»** يعني : الذين أسلموا حديثًا حتى يتقوى إيمانهم فأعطى الأقرع ابن حابس وعيينة بن حصن وغيرهم ليتألف قلوبهم ولم يعط الأنصار شيئًا فكأنهم وجدوا في أنفسهم شيئًا .

---

(١) أحمد (٤/ ٢٤٢) ، والبخاري (١٨١٦) ، ومسلم (١٢٠١) .

قوله : «**كأنهم وجدوا إذ لم يصبهم ما أصاب الناس**» فخطبهم النبي ﷺ وقال لهم هذه المقالة : «**يا معشر الأنصار، ألم أجدكم ضلالًا فهداكم الله بي؟**» يعني جئتكم في المدينة وأنتم ضلال تعبدون الأوثان ، فهداكم الله بي إلى الإسلام .

قوله : «**وكنتم متفرقين فألفكم الله بي؟ وعالة فأغناكم الله بي؟**» يعني : كانت بينكم الحروب الطاحنة ، فألف الله بي بين قلوبكم ، وكنتم فقراء فأصبحتم أغنياء .

قوله : «**كلما قال شيئًا قالوا : الله ورسوله أمن**» وفي اللفظ الآخر : «**أنهم بكوا حتى أخضلوا لحاهم**»(١) أسفًا على ما صدر منهم .

قوله : «**لو شئتم لقلتم : جئتنا كذا وكذا**» يعني : جئتنا طريدًا فآويناك وفقيرًا فواسيناك ، لو شئتم أن تقولوا ذلك لقلتم .

ثم قال لهم ﷺ : «**أترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم؟**» يعني : هؤلاء أخذوا الشاة والبعير وذهبوا بها إلى بيوتهم وأنتم ذهبتم بالرسول ﷺ وفي اللفظ الآخر : «**فوالله ما تنقلبون به خير مما ينقلبون به**»(٢) أي : ما ترجعون به أفضل مما يرجعون به .

قوله : «**لولا الهجرة لكنت امرأ من الأنصار**» يعني : لولا الهجرة لكنت واحدًا منكم ، لكني من المهاجرين الذين هاجروا ، وهذا فيه دليل على أن المهاجرين أفضل من الأنصار ، وفيه بيان فضل الأنصار .

قوله : «**ولو سلك الناس واديًا وشعبًا لسلكت وادي الأنصار وشعبها**» هذه منقبة للأنصار ، أي : فلو سلك الناس واديًا وشعبًا لاتبعت وادي الأنصار .

قوله : «**الأنصار شعار والناس دثار**» الشعار : هو الثوب الذي يلي الجسد ويلاصقه ، والدثار : هو الثوب الذي فوقه ، والمراد أنهم أقرب الناس له ﷺ .

قوله : «**إنكم ستلقون بعدي أثرة فاصبروا حتى تلقوني على الحوض**» فيه علم من أعلام النبوة والمراد أنه في المستقبل سوف يحصل أن يفضل الأمراء من غيركم عليكم ويمنعونكم

---

(١) أحمد (٣/ ٧٦) .

(٢) أحمد (٣/ ١٦٥) ، والبخاري (٣١٤٧) ، ومسلم (١٠٥٩) .

حقكم في الأعطيات وفي الوظائف فاصبروا حتى تلقوني على الحوض، فوقع هذا كما أخبر ﷺ وجاء في الحديث الآخر كما سيأتي أن أنسًا قال: فلم نصبر؟[(١)].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: **«لما أفاء الله على رسوله يوم حنين»** أي أعطاه غنائم الذين قاتلهم يوم حنين وأصل الفيء الرد والرجوع ومنه سمي الظل بعد الزوال فيئًا لأنه رجع من جانب إلى جانب فكأن أموال الكفار سميت فيئًا لأنها كانت في الأصل للمؤمنين إذ الإيمان هو الأصل والكفر طارئ عليه فإذا غلب الكفار على شيء من المال فهو بطريق التعدي فإذا غنمه المسلمون منهم فكأنه رجع إليهم ما كان لهم وقد قدمنا قريبًا أنه ﷺ أمر بحبس الغنائم بالجعرانة فلما رجع من الطائف وصل إلى الجعرانة في خامس ذي القعدة وكان السبب في تأخير القسمة ما تقدم في حديث المسور رجاء أن يسلموا وكانوا ستة آلاف نفس من النساء والأطفال وكانت الإبل أربعة وعشرين ألفًا والغنم أربعين ألفًا».

يعني: كانت غنائم حنين ستة آلاف نفس من النساء والأطفال، وأربعة وعشرين ألفًا من الإبل وأربعين ألف شاة من الغنم.

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: **«قسم في الناس»** حذف المفعول والمراد به الغنائم ووقع في رواية الزهري عن أنس في الباب **«يعطي رجالًا المائة من الإبل»**[(٢)] وقوله: **«في المؤلفة قلوبهم»** بدل بعض من كل والمراد بالمؤلفة ناس من قريش أسلموا يوم الفتح إسلامًا ضعيفًا وقيل: كان فيهم من لم يسلم بعد كصفوان بن أمية».

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: **«ولم يعط الأنصار شيئًا»** ظاهر في أن العطية المذكورة كانت من جميع الغنيمة.

وقال القرطبي في المفهم: الإجراء على أصول الشريعة أن العطاء المذكور كان من الخمس ومنه كان أكثر عطاياه».

من المعلوم أن الغنيمة تقسم خمسة أخماس: خمس لله وللرسول يتصرف فيه النبي ﷺ ويعمل فيه ما يكون فيه صالح الإسلام والمسلمين، وخمس لقرابة الرسول، وخمس لليتامى، وخمس للمساكين وخمس لابن السبيل.

---

(١) أحمد (٣/ ١٦٥)، والبخاري (٣١٤٧)، ومسلم (١٠٥٩).
(٢) أحمد (٣/ ١٦٥)، والبخاري (٤٣٣١).

والنبي ﷺ أعطى عيينة بن حصن مائة من الإبل وأعطى الأقرع مائة من الإبل وهذا كثير .

فالراجح كما في قول القرطبي أن العطاء الذي أعطاه الرسول ﷺ للمؤلفة قلوبهم كان من الخمس الذي لله وللرسول .

وذهب ابن القيم[1] والحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ رحمهما الله إلى أنه من رأس الغنيمة .

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ : «وقد قال في هذه الغزوة للأعرابي : **«ما لي مما أفاء الله عليكم إلا الخمس والخمس مردود فيكم»**[2] أخرجه أبو داود والنسائي من حديث عبدالله بن عمرو وعلى الأول فيكون ذلك مخصوصًا بهذه الواقعة وقد ذكر السبب في ذلك في رواية قتادة عن أنس في الباب حيث قال : **«إن قريشًا حديث عهد بجاهلية ومصيبة وإني أردت أن أجبرهم وأتألفهم»**[3] .

قلت : الأول هو المعتمد وسيأتي ما يؤكده والذي رجحه القرطبي جزم به الواقدي ولكنه ليس بحجة إذا انفرد فكيف إذا خالف؟!» .

فرجح الحافظ أنه من أصل الغنيمة ، قال القرطبي : من الخمس وكذلك ابن القيم أيضًا رأى أنه من أصل الغنيمة والذي يظهر أن الراجح قول القرطبي وهو أن العطاء الذي أعطاه رسول الله ﷺ للمؤلفة قلوبهم من الخمس الذي لله ولرسوله وأما أربعة أخماس الغنيمة فقسمت بين الغانمين فهذا هو الذي يتمشى مع أصول الشريعة .

وما اختاره الحافظ وابن القيم من أن ذلك من الغنيمة وأنها قسمت في المؤلفة دون الغانمين فمرجوح لأن الخمس شيء كثير فكانت الغنيمة من الإبل أربعة وعشرين ألفًا ومن الغنم أربعين ألفًا فيكون الخمس ثمانية آلاف من الغنم وأربعة آلاف وثمانمائة بعير فبقي منها ألفان وأربعمائة .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «وقيل : إنما كان تصرف في الغنيمة لأن الأنصار كانوا انهزموا فلم يرجعوا حتى وقعت الهزيمة على الكفار ، فرد الله أمر الغنيمة لنبيه ، وهذا معنى القول السابق بأنه خاص بهذه الواقعة ، واختار أبو عبيد أنه كان من الخمس» .

---

(١) انظر «زاد المعاد» (٣/ ٤٨٤) .

(٢) أحمد (٤/ ١٢٧) ، وأبو داود (٢٦٩٤) ، والنسائي (٣٦٨٨) .

(٣) أحمد (٣/ ١٧٢) ، والبخاري (٤٣٣٤) ، ومسلم (١٠٥٩) .

ثم نقل الحافظ عن ابن القيم بيان الحكمة من غزوة الفتح والحكمة في كون هوازن حاربوا النبي ﷺ وفي تقسيم الغنائم .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «قال ابن القيم : اقتضت حكمة الله أن فتح مكة كان سببًا لدخول كثير من قبائل العرب في الإسلام وكانوا يقولون : دعوه وقومه فإن غلبهم دخلنا في دينه وإن غلبوه كفونا أمره فلما فتح الله عليه استمر بعضهم على ضلاله فجمعوا له وتأهبوا لحربه ، وكان من الحكمة في ذلك أن يظهر أن الله نصر رسوله لا بكثرة من دخل في دينه من القبائل ولا بانكفاف قومه عن قتاله ثم لما قدر الله عليه من غلبته إياهم قدر وقوع هزيمة المسلمين مع كثرة عددهم وقوة عددهم ليتبين لهم أن النصر الحق إنما هو من عنده لا بقوتهم ولو قدر ألا يغلبوا الكفار ابتداء لرجع من رجع منهم شامخ الرأس متعاظمًا» .

قوله : «ولو قدر ألا يغلبوا الكفار ابتداء» كأن «لا» هنا زائدة والتقدير : «أن يغلبوا الكفار ابتداءً» يعني : أن الله قدر الهزيمة عليهم أولًا ولو قدر أنهم انتصروا عليهم أولًا صار عندهم إعجاب بأنفسهم .

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «فقدر هزيمتهم ثم أعقبهم النصر ليدخلوا مكة كما دخلها النبي ﷺ يوم الفتح متواضعًا متخشعًا» .

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «واقتضت حكمته أيضًا أن غنائم الكفار لما حصلت ثم قسمت على من لم يتمكن الإيمان من قلبه لما بقي فيه من الطبع البشري في محبة المال فقسمه فيهم لتطمئن قلوبهم وتجتمع على محبته لأنها جبلت على حب من أحسن إليها ومنع أهل الجهاد من أكابر المهاجرين ورؤساء الأنصار مع ظهور استحقاقهم لجميعها لأنه لو قسم ذلك فيهم لكان مقصورا عليهم بخلاف قسمته على المؤلفة لأن فيه استجلاب قلوب أتباعهم الذين كانوا يرضون إذا رضي رئيسهم فلما كان ذلك العطاء سببًا لدخولهم في الإسلام ولتقوية قلب من دخل فيه قبل تبعهم من دونهم في الدخول فكان في ذلك عظيم المصلحة ولذلك لم يقسم فيهم من أموال أهل مكة عند فتحها قليلًا ولا كثيرًا مع احتياج الجيوش إلى المال الذي يعينهم على ما هم فيه فحرك الله قلوب المشركين لغزوهم فرأى كثيرهم أن يخرجوا معهم بأموالهم ونسائهم وأبنائهم فكانوا غنيمة للمسلمين ولو لم يقذف الله في قلب رئيسهم أن سوقه معه هو الصواب لكان الرأي ما أشار إليه دريد» .

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ : «فخالفه فكان ذلك سببًا لتصييرهم غنيمة للمسلمين ثم اقتضت تلك الحكمة أن تقسم تلك الغنائم في المؤلفة ويوكل من قلبه ممتلئ بالإيمان إلى إيمانه ثم كان من تمام التأليف رد من سبي منهم إليهم فانشرحت صدورهم للإسلام فدخلوا طائعين راغبين وجبر ذلك قلوب أهل مكة بما نالهم من النصر والغنيمة عما حصل لهم من الكسر والرعب فصرف عنهم شر من كان يجاورهم من أشد العرب من هوازن وثقيف بما وقع بهم من الكسرة وبما قيض لهم من الدخول في الإسلام ولولا ذلك ما كان أهل مكة يطيقون مقاومة تلك القبائل مع شدتها وكثرتها وأما قصة الأنصار وقول من قال منهم فقد اعتذر رؤساؤهم بأن ذلك كان من بعض أتباعهم ولما شرح لهم ﷺ ما خفي عليهم من الحكمة فيما صنع رجعوا مذعنين ورأوا أن الغنيمة العظمى ما حصل لهم من عود رسول الله ﷺ إلى بلادهم فسلوا عن الشاة والبعير والسبايا من الأنثى والصغير بما حازوه من الفوز العظيم ومجاورة النبي الكريم لهم حيًّا وميتًا وهذا دأب الحكيم يعطي كل أحد ما يناسبه انتهى ملخصًا» .

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ : «قوله : **«فاصبروا حتى تلقوني على الحوض»** أي يوم القيامة وفي رواية الزهري : **«حتى تلقوا الله ورسوله فإني على الحوض»**[1] أي : اصبروا حتى تموتوا فإنكم ستجدونني عند الحوض فيحصل لكم الانتصاف ممن ظلمكم والثواب الجزيل على الصبر» .

يعني : إن ظلمتم فاصبروا حتى تلقوني على الحوض فتلقوا جزاءكم وتأخذوا حقكم ممن ظلمكم عند الله ﷻ .

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ : «وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدم إقامة الحجة على الخصم وإفحامه بالحق عند الحاجة إليه وحسن أدب الأنصار في تركهم» ، فالرسول أقام الحجة عليهم وبين لهم وجه قسمه للغنائم .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «وحسن أدب الأنصار في تركهم المماراة والمبالغة في الحياء وبيان أن الذي نقل عنهم إنما كان عن شبانهم لا عن شيوخهم وكهولهم وفيه مناقب عظيمة لهم لما اشتمل من ثناء الرسول ﷺ البالغ عليهم وأن الكبير ينبه الصغير على ما يغفل عنه ويوضح له وجه الشبهة ليرجع إلى الحق ، وفيه المعاتبة واستعطاف المعاتب وإعتابه عن عتبه بإقامة حجة من عتب عليه والاعتذار والاعتراف ، وفيه علم من أعلام النبوة لقوله : **«ستلقون بعدي أثرة»** ،

(١) أحمد (٣/ ٢٢٤) ، والبخاري (٤٣٣١) ، ومسلم (١٠٥٩) .

فكان كما قال وقد قال الزهري في روايته عن أنس في آخر الحديث : «قال أنس : فلم يصبروا» ، وفيه : أن للإمام تفضيل بعض الناس على بعض في مصارف الفيء ، وأن له أن يعطي الغني منه للمصلحة وأن من طلب حقه من الدنيا لا عتب عليه في ذلك .

ومشروعية الخطبة عند الأمر الذي يحدث سواء كان خاصًا أم عامًّا وفيه جواز تخصيص بعض المخاطبين في الخطبة» ؛ وذلك لأن الرسول خصص الأنصار وجمعهم في خيمة وحدهم .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «وفيه تسلية من فاته شيء من الدنيا مما حصل له من ثواب الآخرة والحض على طلب الهداية والألفة والغنى وأن المنة لله ورسوله على الإطلاق وتقديم جانب الآخرة على الدنيا والصبر عما فات منها ليدخر ذلك لصاحبه في الآخرة والآخرة خير وأبقى» .

● [٤٠٤٥] هذا حديث أنس رضي الله عنه وفيه قصة هوازن وقسمة النبي ﷺ للغنائم في غزوة حنين .

قوله : **«قال ناس من الأنصار حين أفاء الله على رسوله : ما أفاء من أموال هوازن»** الفيء : هو المال الذي يأخذه المسلمون من أموال المشركين فإن كان بقتال سميت غنيمة ، وإن كانت بدون قتال يسمى فيئًا ، قال الله تعالى : ﴿ مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ ﴾ [سورة الحشر : ٧] فإذا كانت فيئًا من دون قتال فهي لله وللرسول تصرف في المصارف العامة وإن كانت بعد القتال يؤخذ الخمس من رأسها وتقسم الأربعة الأخماس على الغانمين .

وبعد غزوة هوازن غنم المسلمون أموالًا كثيرة من السبي ستة آلاف من النساء والأطفال ومن الإبل غنموا أربعة وعشرين ألفًا ومن الغنم أربعين ألف شاة وصار النبي ﷺ يقسمها فيمن أسلم حديثًا حتى يتقوى إسلامهم فيعطيهم ليتألفهم على الإسلام فأعطى رؤساء القبائل وصناديد قريش أعطى كل واحد مائة من الإبل ، أعطى الأقرع بن حابس مائة بعير وصفوان بن أمية مائة بعير وأعطى عيينة بن حصن الفزاري مائة بعير ، فهؤلاء رؤساء قبائل لهم مكانتهم ولهم تأثير على قبائلهم يطوعونهم فلهذا أعطاهم النبي ﷺ ليتقوى إسلامهم ولم يعط الأنصار شيئًا لأن الأنصار تقدم إسلامهم وثبت الإيمان في قلوبهم فوكلهم إلى إيمانهم وإسلامهم لكن بعض الشباب حديثي السن من الأنصار تأثروا بما حدث وتكلموا وقالوا : أعطى الرسول ﷺ أناسًا ولا يعطينا وسيوفنا تقطر من دمائهم نحن قاتلناهم في مكة حتى فتحت ثم خرجوا معنا ، فلما بلغت النبي ﷺ مقالتهم أرسل إليهم وجمعهم ثم خطبهم .

قوله : «**قبة من أدم**» يعني : خيمة من جلد .

قوله : «**ولم يدع معهم غيرهم**» يعني : دعا الأنصار خاصة .

قوله : «**فلما اجتمعوا قام النبي ﷺ فقال : ما حديث بلغني عنكم؟ فقال فقهاء الأنصار : أما رؤساؤنا يا رسول الله فلم يقولوا شيئًا**» يعني : كبارنا «**وأما ناس حديثة أسنانهم**» يعني : شباب صغار السن «**فقالوا : يغفر الله لرسول الله ؛ يعطي قريشًا ويتركنا وسيوفنا تقطر من دمائهم**» وهؤلاء ليس عندهم نظر ولا تأمل في الحكمة التي من أجلها أعطى النبي ﷺ ؛ لحداثة أسنانهم وقلة خبرتهم ، فقال النبي ﷺ : «**فإني أعطي رجالًا حديثي عهد بكفر ؛ أتألفهم**» يعني : أسلموا قريبًا وعهدهم بالكفر قريب ، وأتألفهم على الإسلام .

قوله : «**أما ترضون أن يذهب الناس بالأموال وتذهبون بالنبي ﷺ إلى رحالكم؟**» يخاطب الأنصار ويقول لهم : أما ترضون أن يذهب الناس بالإبل والبقر والغنم وأنتم تذهبون بالرسول ﷺ؟!

قوله : «**فوالله لما تنقلبون به خير مما ينقلبون به**» أقسم النبي ﷺ أن ما يرجعون به أفضل مما يرجع به غيرهم ، وفي لفظ آخر قالوا : «**يا رسول الله ، قد رضينا**»(١) ، وفي لفظ قال : «**يا معشر الأنصار إني جئتكم متفرقين فجمعكم الله بي وكنتم عالة فأغناكم الله بي**» بين فضله ﷺ عليهم ، فكان كلما قال شيئًا قالوا : «**الله ورسوله أمن حتى بكوا وأخضلوا لحاهم**»(٢) .

قوله : «**فقال لهم النبي ﷺ : ستجدون أثرة شديدة**» الأثرة : هي تفضيل الأمراء غيركم عليكم وإيثارهم في الأعطيات والوظائف .

قوله : «**فاصبروا حتى تلقوا الله ورسوله ؛ فإني على الحوض**» أي : اصبروا على الأثرة وعلى منعكم من حقكم بتفضيل غيركم عليكم حتى يتوفر لكم الأجر وتأخذوا حقكم كاملًا إذا لقيتم الله ورسوله يوم القيامة .

قوله : «**فقال أنس : فلم يصبروا**» هذه هي طبيعة الإنسان عدم الصبر ، والصابر يسكت ولا يتكلم ولا يطالب بحقه وإن كان له الحق .

---

(١) أحمد (٣/ ١٦٥) ، والبخاري (٣١٤٧) ، ومسلم (١٠٥٩) .
(٢) أحمد (٣/ ٧٦) ، والبخاري (٤٣٣٠) ، ومسلم (١٠٦١) .

وظاهر الأعطيات التي تألف بها النبي ﷺ قلوب الذين هم حديثو عهد بالإسلام أنها من الخمس، فالخمس شيء كثير.

والمسألة فيها خلاف كما ذكرنا سابقا؛ فبعضهم قال: من رأس الغنيمة كابن القيم(١) والحافظ وجماعة، وبعضهم قال: من الخمس وهو الأقرب.

• [٤٠٤٦] قوله: «**فغضبت الأنصار**» هذا عام أريد به الخصوص فليس المراد أنهم كلهم غضبوا وإنما غضب بعض الشباب صغار السن، أما كبار السن فلم يغضبوا، وإنما أسلموا لله ولرسوله.

• [٤٠٤٧] قوله: «**لما كان يوم حنين التقى هوازن ومع النبي ﷺ عشرة آلاف والطلقاء**» فالطلقاء: هم أهل مكة وكان عددهم ألفين فيكون الجميع اثني عشر ألفًا، عشرة آلاف ممن قدموا معه من المدينة وألفان من أهل مكة.

فغزوة حنين كانت بعد فتح مكة مباشرة، فتح النبي ﷺ مكة في رمضان ثم حدثت غزوة حنين في شوال بعدها مباشرة، ولم يتمكن الإيمان في قلوب الطلقاء فاحتاجوا إلى أن يتقوى إيمانهم فلهذا أعطاهم النبي ﷺ من الإبل والغنم.

قوله: «**فأدبروا**» يعني: انهزموا بعد أن رشقتهم هوازن بالنبل وكان رشقًا متتابعًا في الفجر قبل أن يتضح نور الصباح.

فلما انهزموا ناداهم النبي ﷺ وقال: «**يا معشر الأنصار**» **قالوا: لبيك يا رسول الله وسعديك، نحن بين يديك، فنزل النبي ﷺ**» ولعله نزل ليأخذ ترابًا ليرمي به وجوه القوم حتى ينهزموا.

قوله: «**فقال: أنا عبد الله ورسوله**» ورماهم بالحصى فانهزم المشركون فأعطى الطلقاء والمهاجرين، ولم يعط الأنصار شيئًا فكأنهم وجدوا في نفوسهم ضيقًا، وإنما أعطى الطلقاء من الغنيمة ليتقوى إيمانهم؛ فإنهم أسلموا حديثًا وما مضى عليهم إلا شهر، فأعطى أبا سفيان قائد الحروب مائة وأبو سفيان ما أسلم إلا في مكة حديثًا فذهب مع النبي ﷺ إلى حنين فأعطاه مائة من الإبل لأنه قائد للجيوش وله مكانته.

---

(١) انظر «زاد المعاد» (٣/ ٤٨٤).

والحديث فيه فضل الأنصار حيث قال النبي ﷺ: **«لو سلك الناس واديًا وسلكت الأنصار شعبًا، لاخترت شعب الأنصار»** فالرسول ﷺ مع الأنصار أينما ذهبوا، لو سلكوا واديًا والناس واديًا كان هو مع الأنصار.

- [٤٠٤٨] بين النبي ﷺ للأنصار سبب إعطائه المهاجرين وقريشًا دونهم قال: **«إن قريشًا حديث عهد بجاهلية ومصيبة»** جاهلية لأنهم أسلموا قريبًا فما مضى عليهم سوى شهر، ومصيبة لأنهم حصل لهم ما حصل – حسب ما يظنون أنه مصيبة – من فتح مكة عليهم وأنهم ذهب عنهم ما يعتقدونه من السلطان والزعامة فاعتبروا هذا مصيبة فهو يجبرهم ويتألفهم بهذه العطايا التي يعطيهم ولهذا قال: **«إني أردت أن أجيزهم وأتألفهم»**.
- [٤٠٤٩]، [٤٠٥٠] هذان الحديثان هما حديث واحد رواه عبدالله بن مسعود رضي الله عنه وساقه المؤلف من طريقين.

قوله: **«قال رجل من الأنصار»** لما قسم النبي ﷺ غنائم حنين وأعطى أبا سفيان بن حرب مائة من الإبل وأعطى عيينة بن حصن مائة من الإبل وأعطى الأقرع بن حابس وترك الأنصار، قال هذا الرجل: **«ما أراد بها وجه الله»**، وفي اللفظ الآخر: **«هذه قسمة ما أريد بها وجه الله»**(١) فهذا الرجل منافق وهو معتب بن قشير.

قوله: **«فأتيت النبي ﷺ فأخبرته»** هذا إخبار من باب النصيحة لله وللرسول وليس من باب الغيبة، **«فتغير وجه النبي ﷺ»** وفي اللفظ الآخر: لما كان يوم حنين آثر النبي ﷺ ناسًا؛ أعطى الأقرع بن حابس -وهو رئيس قبيلة بني تميم- مائة من الإبل، وأعطى عيينة بن حصن فقال هذا الرجل: **«ما أريد بهذه القسمة وجه الله، قال عبدالله بن مسعود: لأخبرن النبي ﷺ»**(١) وفي اللفظ الآخر: **«تغير وجهه حتى صار كالصرف»** وهو الصبغ الأحمر، حتى قال ابن مسعود: **«تمنيت أني لم أخبره»**(٢).

قوله: **«رحمة الله على موسى، لقد أوذي بأكثر من هذا فصبر»** يعني: أن بني إسرائيل آذوه قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾ [سورة الأحزاب: ٦٩] آذوه وقالوا: إنه آدر يعني: كبير الخصيتين.

---

(١) أحمد (١/ ٤١١)، والبخاري (٣٤٠٥)، ومسلم (١٠٦٢).
(٢) أحمد (١/ ٤٤١)، ومسلم (١٠٦٢).

فالحديث فيه التأسي بالأخيار ؛ لأن الرسول ﷺ تأسى بموسى عليه السلام لأن فيه عزاء وتسلية للإنسان إذا أصيب بمصيبة، فعليه أن يتعزى بأخبار الأخيار الذين يصبرون كالرسل والأنبياء والصالحين.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : «قوله : **«وأعطى عيينة»** أي : ابن حصن بن حذيفة بن بدر الفزاري قوله : **«وأعطى ناسًا»** تقدم ذكرهم في الكلام على المؤلفة قريبًا وفي هذه العطية يقول العباس بن مرداس السلمي كما أخرجه أحمد ومسلم والبيهقي في الدلائل من طريق عباية بن رفاعة بن رافع بن خديج عن جده رافع بن خديج أن رسول الله ﷺ : أعطى المؤلفة قلوبهم من سبي حنين مائة مائة من الإبل»[(١)].

أعطى النبي ﷺ المؤلفة قلوبهم لضعف إيمانهم فقد أسلموا حديثًا فأعطاهم ليتألف قلوبهم ويقوى إيمانهم، وهم أهل مكة الذين أسلموا حديثًا ورؤساء القبائل من هوازن وغطفان.

ثم قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : «فأعطى أبا سفيان بن حرب مائة».

هذا الذي كان يقود الجيوش في أحد أسلم وأعطاه مائة بعير ؛ ليقوى إيمانه لأنه أسلم حديثًا ما مضى عليه شهر ولهذا جاء في بعض الأحاديث أن النبي قال : **«تلومني في لعاعة من الدنيا أتألفهم على الإسلام»**[(٢)].

ثم قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : «وأعطى صفوان بن أمية مائة وأعطى عيينة بن حصن مائة وأعطى مالك بن عوف مائة وأعطى الأقرع بن حابس مائة».

أعطى النبي ﷺ خمسة من رؤساء القبائل، كل واحد أعطاه مائة بعير وهذه عطية عظيمة وثبت في الحديث أن النبي ﷺ **«أعطى رجلًا غنمًا بين جبلين»** غنم كثيرة تملأ الوادي أعطاها لشخص فذهب إلى قومه وكان رأسا فيهم فقال : **«يا قوم أسلموا فإن محمدًا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر»**[(٣)] فأثرت فيه العطية والمال فأعطى أبا سفيان بن حرب قائد الجيوش مائة بعير وأعطى صفوان بن أمية مائة بعير وأعطى عيينة بن حصن مائة بعير وأعطى مالك بن عوف مائة

---

(١) مسلم (١٠٦٠)، والبيهقي في «الدلائل» (٥/ ٢٤٨).
(٢) أحمد (٣/ ٧٦).
(٣) أحمد (٣/ ١٠٧)، ومسلم (٢٣١٢).

وأعطى الأقرع بن حابس مائة وأعطى علقمة بن علاثة مائة فهذه ستمائة وأعطى العباس بن مرداس أقل من مائة فتأثر لما نقصه وذكر أبياتا من الشعر فكمل له النبي ﷺ المائة .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «وأعطى الأقرع بن حابس مائة وأعطى علقمة بن علاثة مائة وأعطى العباس بن مرداس دون المائة» .

هذا هو السابع من الرؤساء ، ستة أعطى كل واحد منهم مائة والسابع نقصه قليلًا فتأثر .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «فأنشأ يقول :

أتجعل نهبي ونهب العبيـ ـد بين عيينة والأقرع»

والنهب هو المال الذي يأخذه من الغنيمة يعني : أتجعل عطيتي أقل من عطيتهم وأنا مثلهم ، فاعتبر أن هذا نقص له فكأنه يقول : إن الذي تضعه اليوم يا رسول الله لا يرفع ، والذي تجعله دون الناس يكون وضيعًا إلى يوم القيامة .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ :

«ومــا كــان حصــن ولا حــابس يفوقــان مــرداس في المجمــع»

ومرداس أبوه ، يعني : ما كان حصن ولا حابس يفوقان أباه في الشرف .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ :

«ومــا كنــت دون امــرئ مــنهما ومــن تضــع اليــوم لا يرفــع»

أي : من تضعه يا رسول الله اليوم لا يرفع ، فأنت حينما تنقصني من المال وضعتني ، وهو بذلك يستعطف الرسول حتى يكمل له المائة مثلهم فأكمل النبي ﷺ له المائة وصار مثلهم .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «وفي الحديث جواز المفاضلة في القسمة» فبعضهم أعطاه مائة وبعضهم أقل من مائة لأن النبي ﷺ يتألف على الإسلام حسب اجتهاده ولا يلزم التسوية بينهم .

ثم قال : «وفيه : الإعراض عن الجاهل» لأن النبي ﷺ أعرض عن هذا الجاهل الذي قال : **«تلك قسمة ما أريد بها وجه الله»** وهو معتب بن قشير وهو منافق ولم يعاقبه النبي ﷺ كما لم يعاقب عبدالله بن أبي ؛ لئلا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه ولأنه لا ينتصر لنفسه ﷺ ، حتى المرأة اليهودية التي سمته وجعلت له في اللحم سمًّا ما عاقبها لكن لما مات

الصحابي قتلها قصاصًا فهو لا ينتقم لنفسه عليه الصلاة والسلام، لكن بعد وفاة النبي ﷺ لا يترك الذي يسب الرسول ﷺ بل يقتل من قبل ولي الأمر ولا يعفىٰ عنه، فقد نهى النبي ﷺ عن قتل الرجل حين استأذن خالد رضي الله عنه النبي ﷺ أن يقتله فمنعه الرسول ﷺ وقال: «**إنه يصلي**» قالوا: كم من مصل وهو لا يريد وجه الله، فقال: «**إني لم أومر أن أنقب عن بطون الناس أو أشق بطونهم**»(١) وسيأتي هذا الحديث.

ثم قال: «وفيه: الصفح عن الأذىٰ والتأسي بمن مضىٰ من النظراء».

• [٤٠٥١] قوله: «**لما كان يوم حنين**»: يعني غزوة حنين وهو الوادي الذي وقعت فيه المعركة.

قوله: «**أقبلت هوازن وغطفان وغيرهم**» وهم قبائل معروفة «**بنعمهم وذراريهم**» النعم: الإبل، والذراري: النساء والأطفال، ساقها الله حتىٰ تكون غنيمة للمسلمين.

قوله: «**ومع النبي ﷺ**» أي: من الجيش «**عشرة آلاف من الطلقاء**»: وهم أهل مكة وسموا الطلقاء لأن النبي ﷺ أطلقهم ومنَّ عليهم، لما فتح مكة ما قتلهم والفاتح إذا فتح يقتل ويأسر لكن النبي ﷺ منَّ عليهم وأطلقهم قال لهم: «**ما تظنون أني فاعل بكم؟**» بعد العداء الشديد وبعد الأذىٰ وبعد الحروب وبعد فتح مكة وصارت السلطة للنبي ﷺ وهو الحاكم قالوا: أخ كريم وابن أخ كريم قال: «**اذهبوا فأنتم الطلقاء لا تثريب عليكم اليوم أقول لكم كما قال يوسف لإخوته: ﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ يَغْفِرُ ٱللَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ﴾**» [سورة يوسف: ٩٢]»(٢) هذا حلمه وخلقه ﷺ كما قال الله له: ﴿**وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ**﴾ [سورة القلم: ٤].

وتوجه النبي ﷺ بعد ذلك إلىٰ حنين لما سمع بأن حنينًا تجمعوا لقتاله توجه إليهم ومعه عشرة آلاف منهم الأنصار وأخذ معه من الطلقاء من أهل مكة ألفين فصار الجميع اثني عشر ألفًا.

قوله: «**فأدبروا عنه حتىٰ بقي وحده**» الصواب أنه بقي معه أناس، أما هذا فعلىٰ حسب علم أنس، وإلا فقد كان مع النبي ﷺ أبو بكر وعمر وأبو سفيان بن الحارث ابن عمه ينادي، أو يُحمل ذلك علىٰ أن أنسًا اعتبر العدد القليل الذين معه كأنه وحده.

---

(١) أحمد (٣/ ٤)، والبخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤).
(٢) «سيرة ابن هشام» (٥/ ٧٤)، و«فتح الباري» (٨/ ١٨).

فلما جاءوا كانت هوازن وغطفان قد عبئوا وتهيئوا وكمنوا له في مكامن وهيئوا أنفسهم، فجاءوهم بعد الفجر وقبل ظهور النور، فلما أقبلوا عليهم رشقوهم بالنبل رشقة واحدة، ففروا وأدبروا حتى بقي النبي ﷺ وحده.

قوله: **«فنادى يومئذ نداءين لم يخلط بينهما؛ التفت عن يمينه، فقال: يا معشر الأنصار... ثم التفت عن يساره فقال: يا معشر الأنصار»** نادى النبي ﷺ الأنصار لأنهم قد ثبت الإيمان في قلوبهم وهاجر إليهم النبي ﷺ ولم يناد أهل مكة لأنهم أسلموا حديثًا ولم يكن الإيمان قد رسخ بعد في قلوبهم، فقالوا: **«لبيك يا رسول الله أبشر نحن معك»** وفي اللفظ الآخر: **«أنهم عطفوا عليه عطفة البقر على أولادها»**[1] أي: جاءوا مسرعين، وفي اللفظ الآخر أنه أمر العباس أن ينادي وكان جهوري الصوت: **«يا أهل سورة البقرة فعطفوا عليه عطفة البقر على أولادها»**[2].

قوله: **«وهو على بغلة بيضاء فنزل»** أي: ليحثو في وجوههم التراب فينهزموا، **«قال: أنا عبدالله ورسوله، فانهزم المشركون وأصاب يومئذ غنائم كثيرة»** سبق أنها أربعون ألف شاة وخمس أو أربع وعشرون ألفًا من الإبل وستة آلاف من السبايا - النساء والأطفال - **«فقسم في المهاجرين والطلقاء، ولم يعط الأنصار شيئًا»**.

قوله: **«فقالت الأنصار»** هذا عام أريد به الخصوص يعني: قال الشباب الصغار منهم: **«إذا كانت شديدة فنحن ندعى وتعطى الغنيمةُ غيرَنا؟»** يعني: إذا كان القتال والحرب فنحن ندعى وإذا جاءت الغنائم يعطاها غيرنا، وهذا لقصر نظرهم وعدم تأملهم بسبب صغر السن **«فبلغه ذلك فجمعهم في قبة فقال: يا معشر الأنصار، ما حديث بلغني فسكتوا؟»**، فأرضاهم النبي ﷺ وبين فضلهم ومكانتهم وأنه ﷺ معهم حيثما كانوا.

قوله: **«وقال هشام»** يعني الراوي، وهو هشام بن زيد قال: **«يا أبا حمزة** -وهي كنية أنس- **أنت شاهد ذاك؟»** يعني: هذا المكان **«قال: وأين أغيب عنه؟»** يعني: كنت معهم ومع الأنصار.

* * *

---

(١) أحمد (١/ ٢٠٧)، وأبو عوانة (٤/ ٢٧٩)، والحميدي (١/ ٢١٨).

(٢) أحمد (١/ ٢٠٧)، والحميدي (١/ ٢١٨).

المتن

[٥٧/ ٥٥] بابُ السرية التي قبل نجد

• [٤٠٥٢] حدثنا أبو النعمان، قال: حدثنا حماد، قال: حدثنا أيوب، عن نافع، عن ابن عمر قال: بعث النبي ﷺ سرية قبل نجد فكنت فيها، فبلغت سِهامُنا اثني عشر بعيرا، ونفلنا بعيرا بعيرا، فرجعنا بثلاثة عشر بعيرا.

الشرح

• [٤٠٥٢] **قوله: «بعث النبي ﷺ سرية قبل نجد فكنت فيها» السرية: هي قطعة من الجيش تخرج للجهاد وليس فيها رسول الله ﷺ فإذا خرج معهم سميت غزوة، وهذه السرية كانت جهة نجد.**

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «هكذا ذكرها بعد غزوة الطائف والذي ذكره أهل المغازي أنها كانت قبل التوجه إلى فتح مكة... وكان أبو قتادة أميرها، وكانوا خمسة وعشرين وغنموا من غطفان بأرض محارب مائتي بعير وألفي شاة، والسرية بفتح المهملة وكسر الراء وتشديد التحتانية هي التي تخرج بالليل، والسارية التي تخرج بالنهار».

فكل واحد جاء باثني عشر بعيرًا غنيمة؛ حيث كان عددهم خمسة وعشرين، ونفلهم أمير الجيش بعيرا زيادة من الخمس فصار لكل واحد ثلاثة عشر بعيرًا.

* * *

المتن

[٥٨/ ٥٥] باب بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة

• [٤٠٥٣] حدثني محمود، قال: حدثنا عبدالرزاق، قال: أخبرنا معمر، ح. وحدثني نعيم، قال: أخبرنا عبدالله، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن سالم، عن أبيه قال: بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، فدعاهم إلى الإسلام، فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا، فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا، فجعل خالد يقتل ويأسر، ودفع إلى كل رجل منا أسيره، حتى إذا كان يوم أمر خالد أن يقتل كل رجل منا أسيره، فقلت: والله لا أقتل أسيري ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره، حتى قدمنا على النبي ﷺ فذكرناه، فرفع يديه فقال: **«اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد»**، مرتين.

الشرح

• [٤٠٥٣] هذا الحديث في قصة بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد إلى بني جذيمة، و**«جذيمة»** على وزن عظيمة، بعثه النبي ﷺ إليهم فدعاهم إلى الإسلام فأسلموا، ولكنهم لم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا فجعلوا يقولون: **«صبأنا صبأنا»** يعني: خرجنا من الدين الذي نحن فيه إلى دين الإسلام، فلم يفهم خالد من ذلك أنهم أسلموا فجعل يقتل منهم ويأسر، وقال لهم: اتركوا السلاح ودفع إلى كل واحد أسيرًا حتى إذا كان في بعض الأيام أمر خالد أن يقتل كل رجل أسيره فقتل كل واحد أسيره إلا عبدالله بن عمر وأصحابه قال: **«والله لا أقتل أسيري»** حيث قالوا: صبأنا **«ولا يقتل رجل من أصحابي أسيره»** حتى قدم على النبي ﷺ فذكروا له ذلك فعظم النبي ﷺ الأمر ورفع يديه وتبرأ من صنيع خالد فقال: **«اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد، مرتين»**.

وهذا الحديث فيه أن من قال: لا إله إلا الله، أو قال: أسلمت، من المشركين يكف عنه ويحكم بإسلامه، فإن التزم بالإسلام فهو مسلم، وإن لم يلتزم بالإسلام أو فعل ناقضًا من نواقضه عومل معاملة المرتد فيقتل من قبل ولاة الأمور.

وكان هذا مبلغ علمهم وفهمهم؛ لأن قريشا كانوا يقولون للذي يسلم صابئًا لأنه خرج من دينه إلى دين آخر، وأما ابن عمر فقد فهم ذلك فتوقف ولم يقتل أسيره فلما قدموا على النبي ﷺ شدد على خالد ورفع يديه وقال: **«إني أبرأ إليك مما صنع خالد»**.

وفيه أن النبي ﷺ أرسل عليًّا فوداهم كلهم، فدفع ديتهم من عنده من بيت المال حتى ميلغة الكلب وهو الإناء الذي يشرب فيه الكلب دفعه النبي ﷺ لأنهم قتلوا بغير حق ففيه دفع دية من قتل خطأ من قبل ولي الأمر، ولم يعزل النبي خالدًا لأنه مجتهد ولأنه قائد مظفر.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فلم يحسنوا أن يقولوا: أسلمنا فجعلوا يقولون: صبأنا صبأنا» هذا من ابن عمر راوي الحديث يدل على أنه فهم أنهم أرادوا الإسلام حقيقة ويؤيده فهمه أن قريشًا كانوا يقولون لكل من أسلم: صبأ حتى اشتهرت هذه اللفظة وصاروا يطلقونها في مقام الذم ومن ثم لما أسلم ثمامة بن أثال وقدم مكة معتمرًا قالوا له: صبأت قال: لا بل أسلمت فلما اشتهرت هذه اللفظة بينهم في موضع أسلمت استعملها هؤلاء، وأما خالد فحمل هذه اللفظة على ظاهرها لأن قولهم: صبأنا أي خرجنا من دين إلى دين ولم يكتف خالد بذلك حتى يصرحوا بالإسلام. وقال الخطابي: يحتمل أن يكون خالد نقم عليهم العدول عن لفظ الإسلام لأنه فهم عنهم أن ذلك وقع منهم على سبيل الأنفة ولم ينقادوا إلى الدين فقتلهم متأولًا قولهم، قوله: فجعل خالد يقتل منهم ويأسر في كلام ابن سعد أنه أمرهم أن يستأسروا فاستأسروا فكتف بعضهم بعضًا وفرقهم في أصحابه فيجمع بأنهم أعطوا بأيديهم بعد المحاربة قوله: ودفع إلى كل رجل منا أسيره أي من أصحابه الذين كانوا معه في السرية وفي رواية الباقر: فقال لهم خالد: ضعوا السلاح فإن الناس قد أسلموا فوضعوا السلاح فأمر بهم فكتفوا ثم عرضهم على السيف... قوله: **«اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد»** قال الخطابي: أنكر عليه العجلة وترك التثبت في أمرهم قبل أن يعلم المراد من قولهم: صبأنا».

وهذا مثل ما حصل لأسامة بن زيد لما رفع السيف على شخص قال: أسلمت فقتله أسامة فأنكر عليه النبي ﷺ قال: **«قتلته بعدما قال: لا إله إلا الله»** قال: يا رسول الله إنه قالها متعوذًا فقال: **«أشققت عن قلبه؟! كيف تفعل بلا إله إلا الله إذا جاءت يوم القيامة؟!»**(١).

---

(١) أحمد (٥/ ٢٠٧)، ومسلم (٩٦).

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «ثم دعا رسول الله ﷺ عليًا فقال : **«اخرج إلى هؤلاء القوم واجعل أمر الجاهلية تحت قدميك»**[١] فخرج حتى جاءهم ومعه مال فلم يبق لهم أحد إلا وداه وذكر ابن هشام في زياداته أنه انفلت منهم رجل فأتى النبي ﷺ بالخبر فقال : **«هل أنكر عليه أحد؟»**[٢] فوصف له صفة ابن عمر وسالم مولى أبي حذيفة» .

* * *

(١) البيهقي في «الدلائل» (٥/ ١٧٨) .

(٢) «فتح الباري» (٨/ ٥٧) .

المتن

[٥٩/ ٥٥] سرية عبدالله بن حذافة السهمي وعلقمة بن مُجَزِّز المدلجي

ويقال إنها سرية الأنصاري .

• [٤٠٥٤] حدثنا مسدد ، قال : حدثنا عبدالواحد ، قال : حدثنا الأعمش ، قال : حدثني سعد بن عبيدة ، عن أبي عبدالرحمن ، عن علي قال : بعث النبي ﷺ سرية واستعمل رجلا من الأنصار ، وأمرهم أن يطيعوه ، فغضب قال : أليس أمركم النبي ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا : بلى ، قال : فاجمعوا حطبا ، فجمعوا ، فقال : أوقدوا ، فأوقدوها ، فقال : ادخلوها ، فهموا وجعل بعضهم يمسك بعضا ويقولون : فررنا إلى النبي ﷺ من النار ، فما زالوا حتى خمدت النار ، فسكن غضبه ، فبلغ النبي ﷺ فقال : **«لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة ، الطاعة في المعروف»** .

الشرح

• [٤٠٥٤] في هذه القصة أن عبدالله بن حذافة كان أميرًا على السرية فلما كانوا ببعض الطريق كأنهم أغضبوه فقال : **«أليس أمركم النبي ﷺ أن تطيعوني؟ قالوا : بلى ، قال : فاجمعوا حطبًا»** قالوا : سمعًا وطاعة **«فجمعوا»** قال : أوقدوها نارًا فأججوها قال : ادخلوا فيها فاحرقوا أنفسكم فجعل بعضهم يمسك بعضًا ويقولون : نحن آمنا بالله ورسوله فرارًا من النار فكيف ندخلها؟! فلم يدخلوا النار حتى خمدت وسكن غضبه فلما جاءوا إلى النبي ﷺ أخبروه فقال النبي ﷺ : **«لو دخلوها ما خرجوا منها إلى يوم القيامة»** وهذا من باب الوعيد يعني : لو دخلوها وقتلوا أنفسهم وهو من الكبائر ؛ لصار لهم حكم القاتل لنفسه واتصل عذاب الآخرة بعذاب الدنيا ، وليس المراد الحكم عليهم بالخلود في النار .

قوله : **«الطاعة في المعروف»** فليس من المعروف أن يطاع أحد في المعاصي ، سواء كان أميرا أو أبا أو زوجا أو سيدا ، وقال ﷺ في الحديث الآخر : **«لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق»**[١] .

---

(١) أحمد (١/ ١٣١) .

فقد أخطأ أمير السرية وهو ليس معصوما وإن كان صحابيًّا، فقد يغلط الصحابي مثلما غلط بعض من شرب الخمر من الصحابة، ومثلما غلط من تكلم في الإفك كحسان وغيره، ومثلما غلط حاطب بن أبي بلتعة . . . وكتب إلى المشركين في خبر النبي ﷺ، ولكن الصحابة ولا سيما من شهد بدرًا مسددون وموفقون فإذا وقعوا في معصية يوفقهم الله لما يمحوها : إما بتوبة، وإما بابتلاءات، وإما بشفاعة النبي ﷺ، وإما بحسنات ماحية .

وهذا الحديث فيه مشروعية بعث الإمام السرايا وتأمير الأمير عليهم، وفيه أن الأمير لا يطاع في المعصية وكذلك الأب أو الزوج بالنسبة للمرأة أو السيد بالنسبة للمولى فلا يطاع في المعصية، وفيه أن الصحابة ليسوا معصومين فهذا صحابي لكنه أخطأ .

***

المتن

[٦٠/ ٥٥] بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع

• [٤٠٥٥] حدثنا موسى، قال: حدثنا أبو عوانة، قال: حدثنا عبدالملك، عن أبي بردة قال: بعث رسول الله ﷺ أبا موسى ومعاذ بن جبل إلى اليمن، قال: وبعث كل واحد منهما على مخلاف، قال: واليمن مخلافان، ثم قال: **«يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا»**، فانطلق كل واحد منهما إلى عمله، قال: وكان كل واحد منهما إذا سار في أرضه كان قريبا من صاحبه أحدث به عهدا فسلم عليه، فسار معاذ في أرضه قريبا من صاحبه أبي موسى، فجاء يسير على بغلته حتى انتهى إليه، وإذا هو جالس وقد اجتمع إليه الناس، وإذا رجل عنده قد جمعت يداه إلى عنقه، فقال له معاذ: يا عبدالله بن قيس، أيُّمَ هذا؟ قال: هذا رجل كفر بعد إسلامه، قال: لا أنزل حتى يقتل، قال: إنما جيء به لذلك فانزل، قال: ما أنزل حتى يقتل، فأمر به فقتل، ثم نزل، فقال: يا عبدالله، كيف تقرأ القرآن؟ قال: أتفوقه تفوقا، قال: فكيف تقرأ أنت يا معاذ؟ قال: أنام أول الليل، فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب الله لي، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي.

• [٤٠٥٦] حدثنا إسحاق، قال: حدثنا خالد، عن الشيباني، عن سعيد بن أبي بردة، عن أبيه، عن أبي موسى الأشعري، أن النبي ﷺ بعثه إلى اليمن، فسأله عن أشربة تصنع بها، فقال: **«ما هي؟»** قال: البتع والمزر، فقلت لأبي بردة: ما البتع؟ قال: نبيذ العسل، والمزر نبيذ الشعير، فقال: **«كل مسكر حرام»**.

رواه جرير وعبدالواحد عن الشيباني عن أبي بردة.

• [٤٠٥٧] حدثنا مسلم، قال: حدثنا شعبة، قال: حدثنا سعيد بن أبي بردة، عن أبيه قال: بعث النبي ﷺ جده أبا موسى ومعاذا إلى اليمن، فقال: **«يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا، وتطاوعا»**، فقال أبو موسى: يا نبي الله، إن أرضنا بها شراب من الشعير المزر، وشراب من العسل البتع، فقال: **«كل مسكر حرام»**، فانطلقا، فقال معاذ لأبي موسى: كيف تقرأ القرآن؟ قال: قائما وقاعدا وعلى راحلتي، وأتفوقه تفوقا، قال: أما أنا فأقومُ وأنامُ وأقومُ، فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي، وضرب فسطاطا فجعلا يتزاوران، فزار

معاذ أبا موسىٰ ؛ فإذا رجل موثق فقال : ما هذا؟ فقال أبو موسىٰ : يهودي أسلم ثم ارتد ، فقال معاذ : لأضربن عنقه . تابعه العقدي ووهب عن شعبة

وقال وكيع والنضر وأبو داود ، عن شعبة ، عن سعيد ، عن أبيه ، عن جده ، عن النبي ﷺ .

• [٤٠٥٨] حدثني العباس بن الوليد ، قال : حدثنا عبدالواحد ، عن أيوب بن عائذ ، قال : حدثنا قيس بن مسلم ، قال : سمعت طارق بن شهاب يقول : حدثني أبو موسىٰ قال : بعثني رسول الله ﷺ إلىٰ أرض قومي ، فجئت ورسول الله ﷺ منيخ بالأبطح ، فقال : **«أحججت يا عبدالله بن قيس؟»** قلت : نعم يا رسول الله ، قال : **«كيف قلت؟»** قال : قلت : لبيك إهلال كإهلالك ، قال : **«فهل سقت معك هديا؟»** قلت : لم أسق ، قال : **«فطف بالبيت ، واسع بين الصفا والمروة ، ثم حل»** ، ففعلت حتىٰ مشطت لي امرأة من نساء بني قيس ، ومكثنا بذلك حتى استخلف عمر .

• [٤٠٥٩] حدثني حبان ، قال : أخبرنا عبدالله ، عن زكرياء بن إسحاق ، عن يحيىٰ بن عبدالله بن صيفي ، عن أبي معبد مولى ابن عباس ، عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ لمعاذ بن جبل - حين بعثه إلى اليمن - : **«إنك ستأتي قوما أهل كتاب ، فإذا جئتهم فادعهم إلىٰ أن يشهدوا أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله ، فإن هم طاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم خمس صلوات في كل يوم وليلة ، فإن هم طاعوا لك بذلك فأخبرهم أن الله قد فرض عليهم صدقة تؤخذ من أغنيائهم فترد علىٰ فقرائهم ، فإن هم طاعوا لك بذلك فإياك وكرائم أموالهم ، واتق دعوة المظلوم ؛ فإنه ليس بينه وبين الله حجاب»** .

• [٤٠٦٠] حدثنا سليمان بن حرب ، قال : حدثنا شعبة ، عن حبيب بن أبي ثابت ، عن سعيد بن جبير ، عن عمرو بن ميمون ، أن معاذا لما قدم اليمن صلىٰ بهم الصبح ، فقرأ : ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾ [النساء : ١٢٥] ، فقال رجل من القوم : لقد قرت عين أم إبراهيم .

زاد معاذ، عن شعبة، عن حبيب، عن سعيد، عن عمرو، أن النبي ﷺ بعث معاذا إلى اليمن، فقرأ معاذ في صلاة الصبح سورة النساء، فلما قال: ﴿وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا﴾، قال رجل خلفه: قرت عين أم إبراهيم.

الشرح

قوله: «بعث أبي موسى ومعاذ إلى اليمن قبل حجة الوداع» كانت حجة الوداع في السنة العاشرة وهذا البعث كان في السنة التاسعة.

• [٤٠٥٥] هذا الحديث فيه أن النبي ﷺ بعث أبا موسى ومعاذًا إلى اليمن قبل حجة الوداع، بعثهما أميرين كل واحد منهما على مخلاف، قال: «واليمن مخلافان» يعني: إقليمان، كل واحد في إقليم ولعل بعضها في السهل أو بالجبل، وكان جهة معاذ العليا وهي صوب عدن، وجهة أبي موسى السفلى.

قوله: «يسرا ولا تعسرا، وبشرا ولا تنفرا» هذا التيسير والتبشير في حدود الشرع وهو مقيد النصوص الأخرى، وذلك لأن التيسير والتبشير سبب لقبول الإسلام والانقياد له، وفي الحديث الآخر: **«إن هذا الدين يسر»**[1] وقال ﷺ في الحديث: **«بعثت بالحنيفية السمحة»**[2].

ولا شك أن الأخذ بالأيسر مطلوب لا سيما إذا لم يكن هناك مخالفة للنص، أما إذا كان في المسألة دليل فيجب الأخذ به، فكان النبي ﷺ إذا خير بين أمرين اختار أيسرهما ما لم يكن إثمًا[3] كما في الحديث.

قوله: «فانطلق كل واحد منهما إلى عمله، قال: وكان كل واحد منهما إذا سار في أرضه كان قريبا من صاحبه أحدث به عهدا فسلم عليه» يعني: جدد العهد به وزاره وسلم عليه فصار حديث العهد به.

قوله: «فسار معاذ في أرضه قريبًا من صاحبه أبي موسى» في مرة من المرات.

---

(١) البخاري (٣٩).

(٢) أحمد (٥/ ٢٦٦).

(٣) أحمد (٦/ ١١٥)، والبخاري (٦٧٨٦)، ومسلم (٢٣٢٧).

قوله: «**فجاء يسير على بغلته حتى انتهى إليه وإذا هو جالس وقد اجتمع إليه الناس وإذا رجل عنده قد جمعت يداه إلى عنقه فقال له معاذ: يا عبدالله بن قيس أيُّم هذا؟**» استفهام، يعني: ما هذا الرجل المقيد؟

قوله: «**قال: هذا رجل كفر بعد إسلامه**» وفي الرواية الأخرى: «**كان يهوديا أسلم ثم ارتد**»(١) يعني: وسيقتل.

قوله: «**لا أنزل حتى يقتل قال: إنما جيء به لذلك فانزل**» وذلك والله أعلم من باب الحزم والصرامة في الحق والمبادرة في تنفيذ الأحكام حتى لا يتجرأ الناس على الكفر والمعاصي.

وسأل كل منهما صاحبه فقال معاذ لأبي موسى: «**يا عبدالله، كيف تقرأ القرآن؟ قال: أتفوقه تفوقًا**» يعني: يلازم أبو موسى القراءة ليلًا ونهارًا شيئًا بعد شيء، مأخوذ من فواق الناقة، وهو أن يحلب الناقة ثم يتركها حتى تدر ثم يحلب مرة أخرى، أما معاذ فقال: «**أنام أول الليل، فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم، فأقرأ ما كتب الله لي**» فمعاذ يجزئ الليل فيجعل جزءًا أول الليل للنوم وجزءا آخر الليل للقيام والقراءة؛ لما روى ابن عباس أن النبي ﷺ كان ينام من أول الليل إذا صلى العشاء أوى إلى فراشه وإذا كان نصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل قام يصلي(٢) وهو دأب الصالحين؛ ولهذا قال: «**فأقوم وقد قضيت جزئي من النوم فأقرأ ما كتب الله لي**» يعني: يقرأ في صلاته.

قوله: «**فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي**» هذه كلمة عظيمة من معاذ رضي الله عنه فهو يحتسب عادة النوم ليتقوى به على طاعة الله فتصير بالنية الصالحة عبادة، فالعادات كالأكل والشرب تصبح بالنية عبادات، وإنما ينام ليستفيد لأنه لو بقي طوال الليل قائما ما استطاع أن يقوم بعمل، فالمقصود من قولة معاذ رضي الله عنه التذاكر فيما ينفع وليس الرياء فقد يكون هناك ما يدعو إلى ذكر هذا الشيء وتكون فيه مصلحة فلولا أنهم تذاكروه لما بلغنا؛ مثلما قال

---

(١) أحمد (٤/ ٤٠٩)، والبخاري (٤٣٤٥).
(٢) أحمد (١/ ٢٤٢)، والبخاري (١١٤٦)، ومسلم (٧٣٩).

عثمان ﭬ لما اطلع على الناس : **«أسألكم هل قال رسول الله : من يشتري بئر رومة؟»** فاشتريتها بمالي هذا[١] .

وذكر الحافظ ابن حجر ﬔ أن هذا الحديث فيه دليل على أن أبا موسى كان عالمًا فطنًا حاذقًا ؛ ولهذا ولاه النبي ﷺ الإمارة ، واعتمد عليه عمر ثم عثمان ثم علي ﭭ ، وأما الخوارج والروافض فطعنوا فيه ونسبوا إليه الغفلة وعدم الفطنة لما صدر منه في التحكيم في صفين ، ونقل عن ابن العربي أنه قال : الحق أنه لم يصدر منه ما يقتضي وصفه بذلك وغاية ما وقع منه أن اجتهاده أداه إلى أن يجعل الأمر شورى ولهذا طعن الخوارج والروافض فيه وهذا من جهلهم وضلالهم ، ولقد طعنوا في الصحابة لأنهم أهل بدعة .

• [٤٠٥٦] هذا الحديث فيه بيان حكم عام وقاعدة عامة وهو تحريم كل مسكر فالعبرة بالإسكار قال ﷺ : **«كل مسكر حرام»** وفي اللفظ الآخر : **«كل مسكر خمر وكل خمر حرام»**[٢] فهذه قاعدة أن المسكر خمر من أي شيء كان سواء كان من مأكول أو مشروب أو مشموم ومن ذلك نبيذ العسل وهو البتع ونبيذ الشعير وهو المزر ونبيذ العنب ونبيذ التمر ويسمى المريس ، وهذه الأشربة إذا كانت قبل الإسكار فهي مباحة تُشرب فإذا وصلت إلى حد الإسكار بأن تخمرت وقذفت الزبد فيجب إتلافها لأنها تكون خمرا .

وكان النبي ﷺ ينبذ له النبيذ فيشربه في اليوم والغد وفي اليوم الثالث يهرقه أو يسقيه الخادم[٣] خشية أن يختمر .

• [٤٠٥٧] هذا حديث أبي موسى وقد سبق ، وفيه زيادة هنا قال : **«يسرا ولا تعسرا ، وبشرا ولا تنفرا ، وتطاوعا»** يعني : لا تختلفا ؛ وذلك لأن الاختلاف منفذ للأعداء وسبب في التفرق ، ثم سأل أبو موسى : هل يجوز شراب الشعير - ويسمى المزر - وشراب العسل - ويسمى البتع؟ فقال النبي ﷺ : **«كل مسكر حرام»** فطالما أسكر فهو حرام ، أما قبل الإسكار فلا بأس .

---

(١) أحمد (١/ ٧٤) ، والترمذي (٣٧٠٣) ، والنسائي (٣٦٠٨) .
(٢) أحمد (٢/ ١٦) ، ومسلم (٢٠٠٣) .
(٣) أحمد (١/ ٢٣٢) ، ومسلم (٢٠٠٤) .

قوله : «**فقال معاذ لأبي موسىٰ : كيف تقرأ القرآن؟ قال : قائما وقاعدا وعلىٰ راحلتي ، وأتفوقه تفوقا**» قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ : «أي : ألازم قراءته ليلًا ونهارًا شيئًا بعد شيء وحينًا بعد حين ، مأخوذ من فواق الناقة وهو أن تحلب ثم تترك ساعة حتىٰ تدر ثم تحلب وهكذا» .

فقال معاذ : «**أما أنا فأقوم وأنام وأقوم فأحتسب نومتي كما أحتسب قومتي**» يعني : إذا نام يحتسب نومته وينوي أن يتقوىٰ بها علىٰ طاعة الله ثم يقوم ويؤدي العمل .

قوله : «**وضرب فسطاطا**» أي : خيمة .

قوله : «**فجعلا يتزاوران ، فزار معاذ أبا موسىٰ ؛ فإذا رجل موثق**» أي : موثق اليدين إلىٰ عنقه .

قوله : «**فقال : ما هذا؟ فقال أبو موسىٰ : يهودي أسلم ثم ارتد فقال معاذ : لأضربن عنقه**» وسبق أنه قال : لا أنزل حتىٰ تضرب عنقه . فضربت عنقه ثم نزل معاذ ، وهذا من باب الحزم فينبغي أن تنفذ الأحكام في الجاني وألا تؤخر ؛ لأن التأخر مدعاة إلى التساهل ، ولأنه قد يأتي ما يمنع من إقامة الحد عليه .

- [٤٠٥٨] هذا حديث أبي موسىٰ رضي الله عنه ، وفيه أن أبا موسىٰ رضي الله عنه حج من اليمن حجة الوداع ، وكذلك حج علي رضي الله عنه أيضًا .

قال أبو موسىٰ رضي الله عنه : «**بعثني رسول الله ﷺ إلىٰ أرض قومي فجئت ورسول الله ﷺ منيخ بالأبطح**» الأبطح : الوادي الذي بين مكة وبين منىٰ ، ويسمى الآن العزيزية ، وهو الآن ليس واديًا فقد اتصل البنيان .

قوله : «**أحججت يا عبد الله بن قيس؟ قلت : نعم يا رسول الله قال : كيف قلت؟**» أي : في إحرامك .

قوله : «**قلت : لبيك إهلال كإهلالك**» يعني : كإهلال الرسول ﷺ .

وفيه دليل علىٰ جواز أن يهل الإنسان بما أهل به فلان ، فيقول : أهللت بما أهل به فلان – إذا كان يعرفه – ثم ينظر إذا كان أهل فلان بالحج أو بالحج والعمرة فيكون مثله ؛ ولهذا سأله ﷺ قال : «**فهل سقت معك هديا؟ قلت : لم أسق ، قال : فطف بالبيت ، واسع بين الصفا**

والمروة ثم حل»، وفيه دليل على أن من لم يسق الهدي فإنه يجوز له أن يفسخ نيته ويجعلها عمرة ويطوف ويسعى ويقصر ويتحلل، وهذا هو الأفضل له؛ ولهذا أمر النبي ﷺ أبا موسى رضي الله عنه أن يهل بالعمرة، وقال: طف واسع وقصر واجعلها عمرة ثم تحلل، وكذلك أمر النبي ﷺ جميع الصحابة الذين لم يسوقوا الهدي، أما من ساق الهدي فلا يتحلل حتى يذبح هديه.

قوله: **«ففعلت حتى مشطت لي امرأة من نساء بني قيس»** وفي لفظ آخر: **«حتى جئت إلى امرأة من بني قيس فمشطت رأسي»**(١) وهذه إحدى محارمه من أخواته أو عماته أو خالاته.

قوله: **«ومكثنا بذلك»** فيه أن أبا موسى صار يفتي بالتمتع في الحج وصار يأمر الذين لم يسوقوا الهدي بالتحلل، فقيل له بعد ذلك في خلافة عمر: إن عمر يفتي بالإفراد بالحج اجتهادًا منه وكذلك الصديق وكذلك عثمان فالخلفاء الثلاثة يفتون الناس بالإفراد بالحج حتى يهل بالعمرة في سفرة أخرى فلا يزال هذا البيت يحج ويعتمر، وفي الرواية الأخرى لما قيل لأبي موسى: إن عمر يفتي بخلاف ما تفتي - قال: **«أيها الناس اتئدوا فإن أمير المؤمنين قادم عليكم فائتموا به»**(٢) يعني: فانظروا ماذا يأمركم به، وفيه التأدب مع ولاة الأمور وترك الفتوى لفتوى ولي الأمر.

وما أمر به النبي ﷺ هو الأفضل، فليس كل أحد يستطيع أن يأتي بالعمرة في سفرة أخرى.

- [٤٠٥٩] هذا الحديث في بعث معاذ إلى اليمن وأن النبي ﷺ قال له: **«إنك ستأتي قوما أهل كتاب، فإذا جئتهم فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله»**، وجاء فيه وجوب الترتيب في دعوة الكفار وأهل الكتاب فالدعوة أولا إلى التوحيد ثم إلى الصلاة ثم إلى الزكاة، فالكفار لا يدعون أولا إلا إلى التوحيد، ولا يدعون قبله إلى الصلاة ولا إلى الزكاة ولا إلى غير ذلك؛ لأنها لا تقبل منهم حتى يوحدوا الله؛ ولهذا قال: **«فادعهم إلى أن يشهدوا أن لا إله إلا الله»** وفي لفظ: **«أن يوحدوا الله»**(٣).

---

(١) أحمد (٤/ ٣٩٥)، والبخاري (١٧٢٤)، ومسلم (١٢٢١).
(٢) أحمد (٤/ ٤١٠)، ومسلم (١٢٢١).
(٣) البخاري (٧٣٧٢).

ولم يذكر الحج ولم يذكر الصوم؛ فالحج فرض بعد ذلك.

وفي رواية أخرى فسر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ كلمة «**طاعوا**» فقال: «**طَوَّعَتْ: طاعت وأطاعت لغة، طِعت وطُعت وأطعت**»[1] وذلك على عادة البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير اللفظة الغريبة من القرآن إذا وافقت لفظة من الحديث، فأراد أن يفسر قول الله تعالى: ﴿**فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ**﴾ [المائدة: ٣٠].

فقوله: «**فإن هم طاعوا لك**» وفي رواية «**أطاعوا**»[2] وكلاهما صحيح، وأطاع بالهمزة للتعدي، فيقال: طاع يطيع من الثلاثي، ويقال: أطاع يطيع من الرباعي.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والحاصل أن طاع وأطاع استعمل كل منهما لازمًا ومتعديًّا».

• [٤٠٦٠] هذا الرجل لما سمع معاذا يقرأ: ﴿**وَٱتَّخَذَ ٱللَّهُ إِبْرَٰهِيمَ خَلِيلًا**﴾ [النساء: ١٢٥] قال كما في الرواية الأولى: «**لقد قرت عين أم إبراهيم**» أو قال كما في الثانية: «**قرت عين أم إبراهيم**» والأقرب أن الرجل الذي قال هذا جاهل، والجاهل بالحكم معذور، ويحتمل أنه لما سمع ذلك ذهل وسها من شدة استحضاره؛ فهو معذور، ولم يؤمر بإعادة الصلاة كما لم يأمر النبي ﷺ معاذ بن الحكم السلمي رضي الله عنه لما تكلم في الصلاة، فمن تكلم في الصلاة ناسيًا أو جاهلًا فصلاته صحيحة، أما لو تكلم متعمدًا فصلاته باطلة، ولهذا قال ﷺ: «**إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس**»[3].

وقال بعضهم: قد يكون أمره معاذ بالإعادة ولم ينقل، وكل هذا محتمل.

* * *

---

(١) البخاري (٤٣٤٧).

(٢) أحمد (١/ ٢٣٣)، والبخاري (١٣٩٥)، ومسلم (١٩).

(٣) أحمد (٥/ ٤٤٧)، ومسلم (٥٣٧).

المتن

[٦١/ ٥٥] بعث علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد إلى اليمن قبل حجة الوداع

• [٤٠٦١] حدثني أحمد بن عثمان، قال: حدثنا شريح بن مسلمة، قال: حدثنا إبراهيم بن يوسف بن إسحاق بن أبي إسحاق، قال: حدثني أبي، عن أبي إسحاق، سمعت البراء: بعثنا رسول الله ﷺ مع خالد بن الوليد إلى اليمن، قال: ثم بعث عليا بعد ذلك مكانه، فقال: **«مر أصحاب خالد: من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب، ومن شاء فليقبل»**، فكنت فيمن عقب معه، قال: فغنمت أواق ذوات عدد.

• [٤٠٦٢] حدثني محمد بن بشار، قال: حدثنا روح بن عبادة، قال: حدثنا علي بن سويد ابن منجوف، عن عبدالله بن بريدة، عن أبيه قال: بعث النبي ﷺ عليا إلى خالد ليقبض الخمس، وكنت أبغضُ عليا، وقد اغتسل، فقلت لخالد: ألا ترى إلى هذا؟ فلما قدمنا على النبي ﷺ ذكرت ذلك له، فقال: **«يا بريدة، أتبغض عليا؟»** فقلت: نعم، قال: **«لا تبغضْه؛ فإن له في الخمس أكثر من ذلك»**.

• [٤٠٦٣] حدثنا قتيبة، قال: حدثنا عبدالواحد، عن عمارة بن القعقاع بن شُبْرُمَةَ، قال: حدثنا عبدالرحمن بن أبي نعم، قال: سمعت أبا سعيد الخدري يقول: بعث علي بن أبي طالب إلى رسول الله ﷺ من اليمن بذهيبة في أديم مقروظ لم تحصل من ترابها، قال: فقسمها بين أربعة نفر: بين عيينة بن بدر، وأقرع بن حابس، وزيد الخيل، والرابع إما علقمة وإما عامر بن الطفيل، فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء، قال: فبلغ ذلك النبي ﷺ، فقال: **«ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء؛ يأتيني خبر السماء صباحا ومساء؟»** قال: فقام رجل غائر العينين، مشرف الوجنتين، ناشز الجبهة، كث اللحية، محلوق الرأس، مشمر الإزار، فقال: يا رسول الله، اتق الله، قال: **«ويلك، أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله؟!»**، قال: ثم ولى الرجل، قال خالد بن الوليد: يا رسول الله، ألا أضرب عنقه؟ قال: **«لا، لعله أن يكون يصلي»**، فقال خالد: وكم من

مصلي يقول بلسانه ما ليس في قلبه ، قال رسول الله ﷺ : **«إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ، ولا أشق بطونهم»** ، قال : ثم نظر إليه وهو مقفي وقال : **«إنه يخرج من ضئضئ هذا قوم يتلون كتاب الله رطبا لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»** ، وأظنه قال : **«لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود»** .

- [٤٠٦٤] حدثني المكي بن إبراهيم ، عن ابن جريج ، قال عطاء : قال جابر : أمر النبي ﷺ عليا أن يقيم على إحرامه .

زاد محمد بن بكر ، عن ابن جريج ، قال عطاء ، قال جابر : فقدم علي بن أبي طالب بسعايته ، فقال النبي ﷺ : **«بما أهللت يا علي؟»** ، قال : بما أهل به النبي ﷺ ، قال : **«فأهد وامكث حراما كما أنت»** ، قال : وأهدى له علي هديا .

- [٤٠٦٥] حدثنا مسدد ، قال : حدثنا بشر بن المفضل ، عن حميد الطويل ، قال : حدثنا بكر ، أنه ذكر لابن عمر ، أن أنسا حدثهم ، أن النبي ﷺ أهل بعمرة وحجة ، فقال : أهل النبي ﷺ بالحج ، وأهللنا به ، فلما قدمنا مكة قال : **«من لم يكن معه هدي فليجعلها عمرة»** ، وكان مع النبي ﷺ هدي ، **فقدم علينا علي بن أبي طالب** من اليمن حاجا ، فقال النبي ﷺ : **«بم أهللت؟ فإن معنا أهلك»** ، **قال** : أهللت بما أهل به النبي ﷺ ، قال : **«فأمسك ؛ فإن معنا هديا»** .

الشرح

هذا الباب في بعث النبي ﷺ علي بن أبي طالب وخالد بن الوليد رضي الله عنهما إلى اليمن ، واليمن بلدة واسعة الأرجاء ؛ ولهذا بعث النبي ﷺ أمراء عدة إلى اليمن منهم : علي وأبو موسى ومعاذ وخالد بن الوليد وغيرهم رضي الله عنهم .

وذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله حديثا عن علي رضي الله عنه أنه قال : **بعثني النبي ﷺ إلى اليمن فقلت : يا رسول الله ، تبعثني إلى قوم أسن مني وأنا حديث السن لا أحسن القضاء ، قال : فوضع يده على صدري ، وقال : «اللهم ثبت لسانه واهد قلبه»**[1] ، وقال : **«يا علي إذا جلس**

---

(١) أحمد (١/ ١١١) ، وابن ماجه (٢٣١٠) .

إليك الخصمان فلا تقض بينهما حتى تسمع من الآخر»[(١)] ، فينبغي للقاضي ألا يجلس لأحد الخصمين حتى يأتي الخصمان جميعًا ثم يسمع من هذا ويسمع من هذا .

• [٤٠٦١] ذكر حديث البراء وفيه أنه قال : «**بعثنا رسول الله ﷺ مع خالد بن الوليد إلى اليمن ، قال : ثم بعث عليا بعد ذلك مكانه**» يعني : بعث النبي ﷺ خالد بن الوليد رضي الله عنه إلى اليمن أميرًا ثم لما انتهت المدة رجع خالد رضي الله عنه وبعث عليًا رضي الله عنه مكانه ، فقال النبي ﷺ لعلي رضي الله عنه : «**مر أصحاب خالد : من شاء منهم أن يعقب معك فليعقب ، ومن شاء فليقبل**» قال البراء : «**فكنت فيمن عقب معه**» **قال الحافظ ابن حجر** رحمه الله : «وقال الخطابي : التعقيب هو أن يعود بعض العسكر بعد الرجوع ليصيبوا غزوة من الغد . . . وقال ابن فارس : غزاة بعد غزاة ، والذي يظهر أنه أعم من ذلك وأصله أن الخليفة يرسل عسكرًا إلى جهة مدة فإذا انقضت المدة رجعوا وأرسل غيرهم فمن شاء أن يرجع من العسكر الأول مع العسكر الثاني سمي رجوعه تعقيبًا» .

قال البراء : «**فغنمت أواق ذوات عدد**» ، وفي نسخة : «**أواقي ذوات عدد**»[(٢)] ، فهو رضي الله عنه ممن كان مع خالد بن الوليد رضي الله عنه ثم لما انتهت مدة خالد رجع من رجع ، وعقب البراء ورجع مرة ثانية مع علي رضي الله عنه فغنم أواقي ذوات عدد أي عديدة ، والأواقي جمع أوقية ، والأوقية مقدارها أربعون درهمًا .

• [٤٠٦٢] هذا حديث بريدة رضي الله عنه قال : «**بعث النبي ﷺ عليا إلى خالد ليقبض الخمس**» ومعلوم أن الخمس يؤخذ من رأس الغنيمة ثم يقسم خمسة أخماس : خمس لله وللرسول ، وخمس لقرابة الرسول ، وخمس لليتامى ، وخمس للمساكين ، وخمس لابن السبيل ، كما قال الله تعالى : ﴿**وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ**﴾ [الأنفال : ٤١] ، وعلي رضي الله عنه من أهل الخمس .

قوله : «**وكنت أبغض عليا ، وقد اغتسل**» يعني : اغتسل من وطء الجارية التي اختصها لنفسه من الخمس ، ومعلوم أن المسلمين إذا غنموا نساء المشركين صارت جواري وسبايا

---

(١) أحمد (١/ ١٤٩) ، وأبو داود (٣٥٨٢) ، والترمذي (١٣٣١) .

(٢) «فتح الباري» (٨/ ٦٦) .

لهم ، وإذا صار الإنسان في نصيبه امرأة فأول شيء يحدث بمجرد الغنيمة أن ينفسخ نكاحها من زوجها الكافر ، ثم بعد ذلك إذا وزعت على الغانمين وأصاب الإنسان في نصيبه أمة أو أمتين فله أن يتسراها ، وله أن يتزوجها وله أن يبيعها ، ولكن لابد أن يمضي عليها مدة حتى يستبرأ رحمها بحيضة ، فحيضة واحدة تكفيها خشية أن تكون حاملًا من زوجها الأول ، ثم إذا هي طهرت فله أن يتسراها وأن يطأها .

فعلي رضي الله عنه لما قبض الخمس كان فيها جارية فوطئها واغتسل ؛ فأنكر عليه بريدة رضي الله عنه وقال لخالد : **«ألا ترى إلى هذا؟!»** يعني يأخذ جارية ويطأها وكان يبغض عليًّا ، فلما قدم على النبي ﷺ ذكر ذلك له : **«فقال : يا بريدة ، أتبغض عليا؟ فقلت : نعم ، قال : لا تبغضه ؛ فإن له في الخمس أكثر من ذلك»** يعني : هو من أهل الخمس ، فهو من ذوي القربى ، وله في الخمس أكثر من الجارية ؛ فعند ذلك رضي بريدة رضي الله عنه ، وزال ما في نفسه .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : «وقد أورده الإسماعيلي من طرق إلى روح بن عبادة الذي أخرجه البخاري من طريقه فقال في سياقه : **«بعث عليًّا إلى خالد ليقسم الخمس»**[١] وفي رواية له : **«ليقسم الفيء فاصطفى علي منه لنفسه سبيئة»**[٢] : بفتح المهملة وكسر الموحدة بعدها تحتانية ساكنة ثم همزة أي : جارية من السبي ، وفي رواية له : **«فأخذ منه جارية ثم أصبح يقطر رأسه فقال خالد لبريدة : ألا ترى ما صنع هذا؟! قال بريدة : وكنت أبغض عليًّا»**[٣] ولأحمد من طريق عبدالجليل عن عبدالله بن بريدة عن أبيه : **«أبغضت عليًّا بغضًا لم أبغضه أحدًا وأحببت رجلا من قريش لم أحبه إلا على بغضه عليا ، قال : فأصبنا سبيًا فكتب»** أي : الرجل **«إلى النبي ﷺ : ابعث إلينا من يخمسه قال : فبعث إلينا عليا وفي السبي وصيفة هي أفضل السبي قال : فخمس وقسم فخرج ورأسه يقطر فقلت يا أبا الحسن : ما هذا؟ فقال : ألم تر إلى الوصيفة فإنها صارت في الخمس ثم صارت في آل محمد ﷺ ثم صارت في آل علي فوقعت بها»**[٤] .

---

(١) أحمد (٥/ ٣٥٩) .

(٢) النسائي في «السنن الكبرى» (٥/ ١٣٣) .

(٣) أحمد (٥/ ٣٥٩) ، والبخاري (٤٣٥٠) .

(٤) أحمد (٥/ ٣٥٩) .

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد استشكل وقوع علي على الجارية بغير استبراء وكذلك قسمته لنفسه»، يعني: ما مضىٰ مدة حتىٰ يستبرئها فلابد أن يستبرئها بحيضة، وهنا قسم ووطئها في الحال فكيف ذلك؟

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأما الأول فمحمول علىٰ أنها كانت بكرًا غير بالغ ورأىٰ أن مثلها لا يستبرأ كما صار إليه غيره من الصحابة ويجوز أن تكون حاضت عقب صيرورتها له ثم طهرت بعد يوم وليلة ثم وقع عليها وليس ما يدفعه»، يعني: يحتمل أحد أمرين إما أنها بكر، أو أنها حاضت يومًا وليلة، يعني: مدة قصيرة ثم وطئها.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما القسمة فجائزة في مثل ذلك ممن هو شريك فيما يقسمه كالإمام إذا قسم بين الرعية وهو منهم فكذلك من نصبه الإمام قام مقامه، وقد أجاب الخطابي بالثاني وأجاب عن الأول لاحتمال أن تكون عذراء أو دون البلوغ أو أداه اجتهاده أن لا استبراء فيها ويؤخذ من الحديث جواز التسري علىٰ بنت رسول الله ﷺ بخلاف التزويج عليها لما وقع في حديث المسور في **«كتاب النكاح»**».

وكان بغض بريدة لعلي رضي الله عنه لأجل أمر دنيوي وليس لأجل الدين، ولهذا زال ما في نفسه بعدما بين له النبي ﷺ الأمر.

• [٤٠٦٣] هذا الحديث فيه أن عليًا رضي الله عنه بعثه النبي ﷺ إلى اليمن.

قوله: **«بعث علي بن أبي طالب إلىٰ رسول الله ﷺ من اليمن بذهيبة في أديم مقروظ»** الأديم: الجلد، ومقروظ يعني: المصبوغ بالقرظ، والقرظ: نوع من الأدوية التي تجعل في الجلد حتىٰ يعالج بها ويزول ما فيه من الآثار، والذهيبة: القطعة من الذهب.

قوله: **«لم تحصل من ترابها»** يعني: مختلطة بالتراب وما صفيت منه.

قوله: **«فقسمها بين أربعة نفر»** أي: أرسلها إلى النبي ﷺ فقسمها النبي ﷺ بين أربعة نفر من رؤساء القبائل حتىٰ يتقوىٰ إسلامهم، والرسول ﷺ يوزع المال ليتألف القلوب على الإسلام وليس للهوىٰ ولا للشهوة.

قوله: **«بين عيينة بن بدر»** وهو رئيس قبيلة فزارة **«وأقرع بن حابس»** وهو رئيس قبيلة تميم **«وزيد الخيل، والرابع إما علقمة وإما عامر بن الطفيل»** وكل هؤلاء الأربعة رؤساء قبائل أسلموا حديثًا، فوزعها عليهم ليتألفهم على الإسلام ويطوعوا أفراد قبائلهم.

ولم يعط النبي ﷺ الأنصار أو المهاجرين ﭫ شيئًا؛ لأنهم ثبت الإيمان في قلوبهم ورسخ فليسوا بحاجة إلى أن يعطوا شيئًا من الدنيا، مثل ما سبق في غزوة حنين أن النبي ﷺ أعطى الطلقاء وأعطى رؤساء القبائل ولم يعط الأنصار شيئًا حتى تكلم بعض شباب الأنصار.

قوله: **«فقال رجل من أصحابه: كنا نحن أحق بهذا من هؤلاء»** هو لا يدري مراد رسول الله ﷺ؛ لذا قال: نحن أولى من هؤلاء الجفاة الأعراب، **«قال: فبلغ ذلك النبي ﷺ فقال: ألا تأمنوني وأنا أمين من في السماء؛ يأتيني خبر السماء صباحا ومساء؟»** يعني: ألا تأمنوني على توزيع هذا المال؟ أنا لم أوزعه لأجل الهوى ولكن وزعته عليهم لأتألفهم على الإسلام، وإذا كان الرسول ﷺ يقال له ذلك فكيف يرجو أحد السلامة من أذى الناس.

قوله: **«فقام رجل غائر العينين مشرف الوجنتين ناشز الجبهة كث اللحية محلوق الرأس مشمر الإزار»** أي: عيناه غائرتان في محاجرهما، والوجنتان تشرفان على الخدين ومرتفعتان وجبهته مرتفعة وشعر اللحية كثير والرأس محلوق بالموسى، وارتفع إزاره إلى نصف الساقين، وهذه سيما الخوارج.

قوله: **«يا رسول الله اتق الله»** وفي الرواية الأخرى قال: **«اعدل يا محمد؛ فإن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله»**[1] جاءت تسمية هذا الرجل في لفظ آخر وأنه ذو الخويصرة التميمي وهو أصل الخوارج.

قوله: **«ويلك! أولست أحق أهل الأرض أن يتقي الله؟!»** يعني: أنا أحق أهل الأرض بتقوى الله ﷻ **«قال: ثم ولى الرجل، قال خالد بن الوليد: يا رسول الله، ألا أضرب عنقه؟»** يعني: لأنه تنقص النبي ﷺ، وقد سبق أن النبي ﷺ لم ينتقم لنفسه؛ لئلا يتحدث الناس أن محمدًا يقتل أصحابه وكذلك لم يقتل اليهودية التي سمته، لكن لما أكل أحد الصحابة من الشاة المسمومة ومات قتلها قصاصًا[2] وكما لم يقتل عبدالله بن أبي رأس المنافقين، فكذلك لم يقتل الرسول ﷺ أحدًا ممن تظاهر بأنه من أصحابه حتى لا تكون سمعة سيئة ويقول الناس: إن محمدًا يقتل أصحابه؛ فيكون ذلك تنفيرًا عن الإسلام.

---

(١) أحمد (١/ ٤١١)، والبخاري (٣١٥٠)، ومسلم (١٠٦٢).

(٢) أبو داود (٤٥١٠).

وقال العلماء : إن بعد وفاة النبي ﷺ من سبه ﷺ لا يعفى عنه بل يقتل لأنه مرتد .

قوله : **«لا ، لعله أن يكون يصلي»** فيه إجراء الأحكام على الظاهر وأن المصلي لا يقتل إذا لم يفعل ناقضًا من نواقض الإسلام ، **«فقال خالد : وكم من مصلي يقول بلسانه ما ليس في قلبه ، قال رسول الله ﷺ : إني لم أومر أن أنقب عن قلوب الناس ولا أشق بطونهم»** يعني : أنا ليس لي إلا الظاهر ، ففيه أن أحكام الإسلام تجرى على الظاهر ؛ ولهذا فإن المنافق الذي يظهر الإسلام ويبطن الكفر تجري عليه أحكام الإسلام في الظاهر فيعتبر من المسلمين فيرث ويورث ويغسل ويدفن في مقابر المسلمين وإذا مات فهو في الآخرة في الدرك الأسفل من النار ، فله حكم في الدنيا وله حكم في الآخرة ، حكمه في الدنيا مع المسلمين التوارث والنكاح والتقسيم والأحكام ، أما إذا أظهر ما في نفسه من كفر وغير ذلك فيقتل .

قوله : **«ثم نظر إليه وهو مقفي»** يعني : لما ولى وهو يعطيهم قفاه **«وقال : إنه يخرج من ضئضئ هذا»** أي : هذا الشخص ، و**«ضئضئ»** تقال بالصاد وبالضاد ، وتعني من نسله وعقبه ، وقيل : المراد من جنسه ، فيكون هذا هو أصل الخوارج وسيأتي في الحديث الآخر أن قال عن الخوارج : **«سيماهم التحليق»**[(١)] يعني : يتعبدون بحلق الرأس بالموسى فلا يبقي أحدهم شيئًا أبدًا .

قوله : **«قوم يتلون كتاب الله رطبا لا يجاوز حناجرهم ، يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»** فيه دليل ظاهر على كفر الخوارج وهو أحد قولي العلماء وإحدى الروايتين عن الإمام أحمد[(٢)] وفي لفظ آخر : **«يمرقون من الدين ثم لا يعودون إليه»**[(٣)] .

قوله : **«لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل ثمود»** يعني : إدراك خروجهم ، فشبههم بثمود - وثمود قوم كفار ، وفي لفظ آخر : **«لأقتلنهم قتل عاد»**[(٤)] وعاد قوم كفار - فدل على كفرهم .

---

(١) أحمد (٣/ ٥) ، والبخاري (٧٥٦٢) .

(٢) انظر «كشاف القناع» (٦/ ١٦١) .

(٣) أحمد (٣/ ٦٤) ، والبخاري (٧٥٦٢) ، ومسلم (١٠٦٧) .

(٤) أحمد (٣/ ٦٨) ، والبخاري (٧٤٣٢) ، ومسلم (١٠٦٤) .

وأما جمهور العلماء فإنهم يرون أنهم مبتدعون وليسوا كفارًا ويقولون : أجمع الصحابة على معاملة الخوارج معاملة المبتدعة ولا يعاملون معاملة الكفار ؛ ولهذا لما سئل علي رضي الله عنه عن الخوارج أكفار هم؟ قال : من الكفر فروا .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : «قوله : **«يمرقون من الدين»** في رواية سعيد بن مسروق : **«من الإسلام»**[١] وفيه رد على من أول الدين هنا بالطاعة ، وقال : إن المراد أنهم يخرجون من طاعة الإمام كما يخرج السهم من الرمية ، وهذه صفة الخوارج الذين كانوا لا يطيعون الخلفاء ، والذي يظهر أن المراد بالدين الإسلام كما فسرته الرواية الأخرى ، وخرج الكلام مخرج الزجر وأنهم بفعلهم ذلك يخرجون من الإسلام الكامل» .

هذا هو تأويل الجمهور الذين لم يكفروا الخوارج فيقولون قوله : **«يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»** هذا خرج مخرج الزجر والتغليب ، وقالوا : هذا مثل قوله في الحديث الآخر **«من غشنا فليس منا»**[٢] ومثل : **«من حمل علينا السلاح فليس منا»**[٣] وقالوا : وهو مثل القاتل : ﴿**وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ**﴾ [النساء : ٩٣] والقاتل ليس بكافر ومثل وعيد آكل مال اليتيم بالنار : ﴿**ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَٰلَ ٱلْيَتَٰمَىٰ ظُلْمًا إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِى بُطُونِهِمْ نَارًا**﴾ [النساء : ١٠] فهم لا يكفرون ، وكل هذا من باب الزجر والوعيد .

وأما من كفرهم فأخذ بظاهر الحديث ، وقال : الحديث ظاهر في أنهم خرجوا من الدين ، وتكفيرهم هو اختيار شيخنا الشيخ عبدالعزيز بن باز رحمه الله .

ثم قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : «وزاد سعيد بن مسروق في روايته : **«يقتلون أهل الإسلام ويدعون أهل الأوثان»**[٤] وهو مما أخبر به ﷺ من المغيبات فوقع كما قال . . . وقد استشكل قوله : **«لئن أدركتهم لأقتلنهم . . .»** مع أنه نهى خالدًا عن قتل أصلهم ، وأجيب بأنه أراد إدراك خروجهم واعتراضهم المسلمين بالسيف ولم يكن ظهر ذلك في زمانه وأول

---

(١) أحمد (٣/ ٦٨) ، والبخاري (٧٤٣٢) ، ومسلم (١٠٦٤) .

(٢) أحمد (٣/ ٤٦٦) ، ومسلم (١٠١) .

(٣) أحمد (٢/ ٣) ، والبخاري (٦٨٧٤) ، ومسلم (٩٨) .

(٤) أحمد (٣/ ٦٨) ، والبخاري (٣٣٤٤) ، ومسلم (١٠٦٤) .

ما ظهر في زمان علي كما هو مشهور وقد سبقت الإشارة إلى ذلك في «**علامات النبوة**» واستدل به على تكفير الخوارج وهي مسألة شهيرة في الأصول وسيأتي الإلمام بشيء منها في «**استتابة المرتدين**».

• [٤٠٦٤] هذا الحديث ساقه المؤلف من طريقين وهو في قصة إهلال علي رضي الله عنه بالحج من اليمن وكان ذلك في حجة الوداع، حيث قدم علي رضي الله عنه وأهلّ بما أهلّ به النبي ﷺ، ولما سأله النبي ﷺ: «**قال: بما أهل به النبي ﷺ**» أي قال: اللهم لبيك إهلالا كإهلال النبي ﷺ.

وفيه دليل على أنه لا بأس أن يهل الإنسان بما أهل به غيره فيقول: أهللت بما أهل به محمد بن عبدالله ﷺ، ويبقى معلقًا، وينظر إذا كان محمد بن عبدالله ﷺ أهل بالعمرة وكان متمتعًا فإنه يكون مثله، وإذا كان أهل بالحج فإنه يكون مثله، وإن كان أهل بالحج والعمرة فإنه يكون مثله، فعلي رضي الله عنه جعل إهلاله معلقًا بإهلال النبي ﷺ، وقد أهل النبي ﷺ بالعمرة والحج؛ لأنه ساق الهدي فقال: «**فأهد وامكث حراما كما أنت**».

قوله: «**وأهدى له علي هديا**» أي: أتاه علي ببعض الهدي والنبي ﷺ ساق الإبل من المدينة فقد ساق ثلاثًا وستين وساق علي من اليمن سبعا وثلاثين، فكان الجميع مائة فعلي بقي على إحرامه كما فعل النبي ﷺ، وأما أبو موسى فقد أهل بمثل إهلال النبي ﷺ ولكنه لم يسق الهدي فأمره النبي ﷺ أن يتحلل كما مر.

• [٤٠٦٥] قوله: «**من لم يكن معه هدي فليجعلها عمرة**» فيه مشروعية فسخ الحج للقارن والمفرد وجعله عمرة ويتحلل.

قوله: «**فإن معنا أهلك**» يعني: زوجته فاطمة.

قوله: «**فأمسك**» يعني: ابق على إحرامك «**فإن معنا هديا**»، وقد ساق علي رضي الله عنه أيضًا هديًا من اليمن.

* * *

المتن

[٦٢/ ٥٥] غزوة ذي الخلصة

• [٤٠٦٦] حدثنا مسدد، قال: حدثنا خالد، قال: حدثنا بيان، عن قيس، عن جرير قال: كان بيت في الجاهلية يقال له ذو الخلصة، والكعبة اليمانية، والكعبة الشامية، فقال لي النبي ﷺ: **«ألا تريحني من ذي الخلصة؟»** فنفرت في مائة وخمسين راكبا، فكسرناه وقتلنا من وجدنا عنده، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فدعا لنا ولأحمس.

• [٤٠٦٧] حدثني محمد بن المثنى، قال: حدثنا يحيى، عن إسماعيل، قال: حدثنا قيس، قال: قال لي جرير: قال لي رسول الله ﷺ: **«ألا تريحني من ذي الخلصة؟»** وكان بيتا في خثعم يسمى كعبةُ اليمانية، فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحمس، وكانوا أصحاب خيل، وكنت لا أثبت على الخيل، فضرب في صدري حتى رأيت أثر أصابعه في صدري، وقال: **«اللهم ثبته، واجعله هاديا مهديا»**، فانطلق إليها فكسرها وحرقها، ثم بعث إلى رسول الله ﷺ، فقال رسول جرير: والذي بعثك بالحق ما جئتك حتى تركتها كأنها جمل أجرب، قال: فبارك في خيل أحمس ورجالها خمس مرات.

• [٤٠٦٨] حدثنا يوسف بن موسى، قال: حدثنا أبو أسامة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس، عن جرير قال: قال لي رسول الله ﷺ: **«ألا تريحني من ذي الخلصة؟»** فقلت: بلى، فانطلقت في خمسين ومائة فارس من أحمس، وكانوا أصحاب خيل، وكنت لا أثبت على الخيل، فذكرت ذلك للنبي ﷺ، فضرب يده على صدري حتى رأيت أثر يده في صدري، وقال: **«اللهم ثبته، واجعله هاديا مهديا»**، قال: فما وقعت عن فرس بعد، قال: وكان ذو الخلصة بيتا باليمن لخثعم وبجيلة، فيه نصب تعبد يقال له الكعبة، قال: فأتاها فحرقها بالنار وكسرها، قال: ولما قدم جرير اليمن كان بها رجل يستقسم بالأزلام، فقيل له: إن رسول الله ﷺ هاهنا؛ فإن قدر عليك ضرب عنقك، قال: فبينما هو يضرب بها إذ وقف عليه جرير، فقال: لتكسرنها ولتشهد أن لا إله إلا الله، أو لأضربن عنقك، قال: فكسرها وشهد، ثم بعث جرير رجلا من أحمس يكنى أبا أرطاة إلى النبي ﷺ يبشره بذلك، فلما أتى النبي ﷺ قال: يا رسول الله، والذي بعثك بالحق ما جئت حتى تركتها كأنها جمل أجرب، قال: فبرَّك النبي ﷺ على خيل أحمس ورجالها خمس مرات.

الشَّرْحُ

• [٤٠٦٦]، [٤٠٦٧]، [٤٠٦٨] هذه الأحاديث في غزوة ذي الخلصة، وذو الخلصة - كما بين الحديث الثالث - بيت في اليمن لقبيلة خثعم وبجيلة، فيه نصب تعبد يقال لها: الكعبة اليمانية باعتبار كونها باليمن ويقال لها الكعبة الشامية باعتبار أنهم جعلوا بابها مقابل الشام.

وجاء في الحديث أن النبي ﷺ بعث جريرا لهدم هذا المعبد الشركي وإزالته وقال: «ألا تريحني من ذي الخلصة؟» قال: نعم فركب في مائة وخمسين فارسا وكان لا يثبت على الخيل فضرب النبي ﷺ في صدره وقال: «اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا» فعند ذلك لم يقع عن فرس بعد ذلك.

وهذا من أعلام النبوة حيث إن النبي ﷺ لما ضرب صدره ثبت على الخيل وكان قبل ذلك لا يثبت.

وفيه منقبة لجرير حيث دعا له النبي ﷺ فقال: «اللهم ثبته واجعله هاديا مهديًّا»، فسار إليها في مائة وخمسين فارسا فكسرها وحرقها حتى صارت سوداء كأنها جمل أجرب فأرسل إلى النبي ﷺ رجلا يقال له: أبو أرطاة يبشره فلما أتى البشير للنبي ﷺ قال: «والذي بعثك بالحق ما جئتك حتى تركتها كأنها جمل أجرب» ففرح النبي ﷺ بذلك.

قوله: «فبرك النبي ﷺ على خيل أحمس ورجالها خمس مرات» يعني: دعا لهم بالبركة خمس مرات قائلًا: اللهم بارك في خيل أحمس ورجالها، وهذه منقبة لقبيلة أحمس التي منها جرير، وكان جرير سيدا وأميرا مطاعا فيهم ولهذا كما جاء في الحديث الآخر أنه قال: «ما استأذنت على النبي ﷺ فحجبني»(١) لأن النبي ﷺ يقدر الناس وينزلهم منازلهم إذا جاء جرير يأذن له في الحال وأما غيره من سائر الناس فقد يحجب بعض الشيء.

أما قوله ﷺ: «لا تقوم الساعة حتى تضطرب أليات نساء دوس عند ذي الخلصة»(٢) فالمعني هنا ليس هذه الكعبة المذكورة في الحديث وإنما المقصود قبر يعبد من دون الله ويسمى ذو الخلصة.

---

(١) أحمد (٤/ ٣٥٨)، والبخاري (٣٠٣٦)، ومسلم (٢٤٧٥).

(٢) أحمد (٢/ ٢٧١)، والبخاري (٧١١٦)، ومسلم (٢٩٠٦).

وجرير وجد عند هذا الصنم الذي يعبد رجلا يستقسم بالأزلام **«فقيل له : إن رسول رسول الله ﷺ هاهنا فإن قدر عليك ضرب عنقك ، قال : فبينما هو يضرب بها إذ وقف عليه جرير فقال : لتكسرنها ولتشهد أن لا إله إلا الله أو لأضربن عنقك ، قال : فكسرها وشهد»** أي : شهد أن لا إله إلا الله فخلى سبيله .

وكانوا يستقسمون بالأزلام في الجاهلية ، فيأتون بثلاثة أقداح قدح مكتوب عليه : افعل ، والثاني مكتوب عليه : لا تفعل ، والثالث مكتوب عليه : غفل ، فإذا أراد أحدهم سفرا أو زواجا أو تجارة يجيل الأقداح فإن خرج افعل مضى لسبيله وإن خرج لا تفعل أحجم وإن خرج الثالث الغفل أجالها حتى يخرج أحدهما فأبطل الإسلام ذلك كله وأبدل الله المسلمين عنه بالاستخارة والاستشارة بأن يستخير المسلم ربه ويستشير أهل الخبرة بدلا من الاستقسام بالأزلام قال الله تعالى : ﴿وَأَن تَسْتَقْسِمُوا بِالْأَزْلَامِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ﴾ [المائدة : ٣]

وأما قول الله ﷻ : ﴿لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ﴾ [البقرة : ٢٥٦] فقيل : إن هذه الآية منسوخة وقيل : إنها في أهل الكتاب خاصة ، ففعل جرير رضي الله عنه هنا من باب الجهاد في سبيل الله ، فهذا الرجل كان وثنيًا ليس من أهل الكتاب .

* * *

المَتْنُ

[٦٣/ ٥٥] غزوة ذات السلاسل وهي غزوة لخم وجذام قاله إسماعيل بن أبي خالد

وقال ابن إسحاق، عن يزيد، عن عروة: وهي بلاد بَلِيٍّ وعُذْرة وبني القَين.

• [٤٠٦٩] حدثنا إسحاق، قال: حدثنا خالد، عن خالد الحذاء، عن أبي عثمان، أن رسول الله ﷺ بعث عمرو بن العاصي على جيش ذات السلاسل، قال: فأتيته فقلت: أي الناس أحب إليك؟ قال: **«عائشة»**، قلت: من الرجال، قال: **«أبوها»**، قلت: ثم من؟ قال: **«عمر»**، فعد رجالا، فسكتُّ مخافة أن يجعلني في آخرهم.

الشَّرْحُ

قوله: **«غزوة ذات السلاسل»** سميت هذه الغزوة بغزوة ذات السلاسل لأن المشركين ارتبط بعضهم إلى بعض كالسلاسل مخافة أن يفروا، وقيل: إن بها ماء من السلسل.

• [٤٠٦٩] هذا الحديث صورته صورة المرسل لأن أبا عثمان النهدي تابعي لكن قول أبي عثمان لعمرو رضي الله عنه: **«فأتيته»** وصل للحديث وتقدم في **«مناقب أبي بكر»** موصولا عن أبي عثمان قال: **«حدثنا عمرو»**.

وعقد النبي ﷺ في هذه الغزوة اللواء لعمرو بن العاص رضي الله عنه وكان في الجيش أبو بكر وعمر رضي الله عنهما، ففيه تولية المفضول على الفاضل؛ لأن عمرو بن العاص ولاه النبي ﷺ، وفي جيشه أبو بكر وعمر رضي الله عنهما اللذين هما أفضل الناس بعد الأنبياء وهذا لا بأس به لأنه قد يصلح إنسان للإمارة والإمامة والخطابة ولكن لا يصلح لولاية الجيش، وهذا يصلح لولاية الجيش ولا يصلح للخطابة، فكل له اختصاصه؛ فخالد بن الوليد رضي الله عنه له خصوصية بالإقدام والكر والفر وهو سيف من سيوف الله فيولى قائدا ويكون تحته من هو أفضل منه، كذلك هنا عمرو بن العاص رضي الله عنه ولاه النبي ﷺ غزوة ذات السلاسل، وكان في الجيش أبو بكر وعمر رضي الله عنهما.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قوله: **«وهي غزوة لخم وجذام»** قاله إسماعيل بن أبي خالد وعند ابن إسحاق أنه ماء لبني جذام ولخم أما لخم فبفتح اللام وسكون المعجمة قبيلة كبيرة

شهيرة ينسبون إلى لخم واسمه مالك بن عدي بن الحارث بن مرة بن أدد وأما جذام فبضم الجيم بعدها معجمة خفيفة قبيلة كبيرة شهيرة أيضا ينسبون إلى عمرو بن عدي وهم إخوة لخم على المشهور، وقيل: هم من ولد أسد بن خزيمة.

قوله: «**وقال ابن إسحاق عن يزيد عن عروة هي بلاد بلي وعذرة وبني القين**» أما يزيد فهو ابن رومان مدني مشهور وأما عروة فهو ابن الزبير بن العوام، وأما القبائل التي ذكرها فالثلاثة بطون من قضاعة أما «**بلي**» فبفتح الموحدة وكسر اللام الخفيفة بعدها ياء النسب قبيلة كبيرة ينسبون إلى بلي بن عمرو بن الحاف بن قضاعة وأما «**عذرة**» فبضم العين المهملة وسكون الذال المعجمة قبيلة كبيرة ينسبون إلى عذرة بن سعد بن هذيم بن زيد بن ليث بن سويد بن أسلم بضم اللام بن الحاف بن قضاعة وأما بنو **القين** فقبيلة كبيرة أيضا ينسبون إلى القين بن جسر ويقال كان له عبد يسمى القين حضنه فنسب إليه وكان اسمه النعمان بن جسر بن شيع الله بكسر المعجمة وسكون التحتانية بعدها عين مهملة».

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: «**فعد رجالا**» في رواية علي بن عاصم قال: «**قلت في نفسي: لا أعود لمثلها أسأل عن هذا**».

قوله: «**فعد رجالا**» عد رجالا ولم يعده فسكت مخافة أن يجعله في آخرهم، فهو ظن أنه لما كان أميرا أنه من المقدمين في المحبة فلما أخبره أن أبابكر أفضل منه وعمر أفضل منه وعد رجالا سكت خشية أن يجعله آخرهم.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وفي الحديث جواز تأمير المفضول على الفاضل إذا امتاز المفضول بصفة تتعلق بتلك الولاية ومزية أبي بكر على الرجال وبنته عائشة على النساء وقد تقدمت الإشارة إلى ذلك في المناقب ومنقبة لعمرو بن العاص لتأميره على جيش فيهم أبو بكر وعمر وإن كان ذلك لا يقتضي أفضليته عليهم لكن يقتضي أن له فضلا في الجملة وقد روينا في فوائد أبي بكر بن أبي الهيثم من حديث رافع الطائي قال: بعث النبي ﷺ جيشا واستعمل عليهم عمرو بن العاص [١] وفيهم أبو بكر قال: وهي الغزوة التي يفتخر بها أهل الشام.

---

(١) «مختصر تاريخ دمشق» (٢/ ٣).

وروى أحمد والبخاري في «الأدب» وصححه أبو عوانة وابن حبان والحاكم من طريق علي بن رباح عن عمرو بن العاص قال: بعث إلي النبي ﷺ يأمرني أن آخذ ثيابي وسلاحي فقال: **«يا عمرو إني أريد أن أبعثك على جيش فيغنمك الله ويسلمك»** قلت: إني لم أسلم رغبة في المال قال: **«نعم المال الصالح للمرء الصالح»**[1] وهذا فيه إشعار بأن بعثه عقب إسلامه وكان إسلامه في أثناء سنة سبع من الهجرة».

* * *

(١) أحمد (٤/ ١٩٧)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٩٩)، وابن حبان (٨/ ٦)، والحاكم (٢/ ٣).

المتن

[٦٤/ ٥٥] ذهاب جرير إلى اليمن

• [٤٠٧٠] حدثني عبدالله بن أبي شيبة العبسي، قال: حدثنا ابن إدريس، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس، عن جرير قال: كنت باليمن فلقيت رجلين من أهل اليمن: ذا كلاع، وذا عمرو، فجعلت أحدثهم عن رسول الله ﷺ، فقال له ذو عمرو: لئن كان الذي تذكر من أمر صاحبك لقد مر على أجله منذ ثلاث، وأقبلا معي حتى إذا كنا في بعض الطريق رفع لنا ركب من قبل المدينة، فسألناهم فقالوا: قبض رسول الله ﷺ، واستخلف أبو بكر، والناس صالحون، فقالا: أخبر صاحبك أنا قد جئنا، ولعلنا سنعود إن شاء الله، ورجعا إلى اليمن، فأخبرت أبا بكر بحديثهم، قال: أفلا جئت بهم؟ فلما كان بعدُ قال لي ذو عمرو: يا جرير، إن بك علي كرامة، وإني مخبرك خبرًا: إنكم معشر العرب لن تزالوا بخير ما كنتم إذا هلك أمير تأمَّرْتُم في آخر، فإذا كانت بالسيف كانوا ملوكا يغضبون غضب الملوك، ويرضون رضا الملوك.

الشرح

هذا الباب في ذهاب جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه إلى اليمن، وكأن ذهابه هذا بعدما هدم الكعبة اليمانية وكان هذا متأخرا كما بين ذلك الحافظ ابن حجر رحمه الله وكان هذا قبيل حجة الوداع؛ فتوفي النبي ﷺ وجرير رضي الله عنه في اليمن.

• [٤٠٧٠] قوله: **«ذا كلاع»** بفتح الكاف وذا كلاع وذا عمرو من ملوك اليمن وكانا عزما على التوجه إلى المدينة فلما بلغهما وفاة النبي ﷺ رجعا إلى اليمن ثم هاجرا في زمن عمر رضي الله عنه.

لقي جرير رضي الله عنه هذين الرجلين من ملوك اليمن فجعل يحدثهم عن رسول الله ﷺ فقال له ذو عمرو: **«لئن كان الذي تذكر من أمر صاحبك»** يعني: إن كان حقا **«لقد مر على أجله منذ ثلاث»** يعني: لقد مات منذ ثلاثة أيام، وهذا قاله ذو عمرو عن اطلاع في الكتب القديمة؛ لأن اليمن بها يهود كما في قصة معاذ لما قال له النبي ﷺ: **«إنك تأتي قوما أهل كتاب...»**(١) فكأنهم وجدوا هذا في كتبهم القديمة وأنه إذا حصل كذا مات النبي ﷺ.

---

(١) أحمد (١/ ٢٣٣)، والبخاري (١٤٥٨)، ومسلم (١٩).

قوله : «**رفع لنا ركب من قبل المدينة**» يعني : جاء وفد من ناحية المدينة فسألهم عن النبي ﷺ .

قوله : «**قبض رسول الله ﷺ واستخلف أبو بكر والناس صالحون**» يعني : استخلف أبو بكر واصطلح الناس عليه والأمور مستتبة .

قوله : «**أخبر صاحبك**» يعني : أبا بكر «**أنا قد جئنا ولعلنا سنعود إن شاء الله**» قد جئنا يعني : توجهنا إلى المدينة لكن لما بلغهم وفاة النبي ﷺ رجعا إلى اليمن .

قوله : «**إن بك علي كرامة وإني مخبرك خبرا**» يعني : أنت لك منزلة عندي فأفيدك بفائدة .

قوله : «**إنكم معشر العرب لن تزالوا بخير ما كنتم إذا هلك أميركم تأمرتم في آخر فإذا كانت بالسيف كانوا ملوكا يغضبون غضب الملوك ويرضون رضا الملوك**» يعني : أنتم بخير ما دمتم ، إذا توفي أمير أمرتم آخر بدلا منه بدون قتال فتستتب الأمور ، وذلك أن القلوب تسلم من الضغائن والخلافات فيسلمون من النزاع والقتال ، فإذا كانت الإمارة بالسيف والقهر والغلبة وإراقة الدماء صار هؤلاء الخلفاء ملوكًا مثل ملوك الدنيا لهم أحوال من الرضا والغضب ولا يكون الأمر مستقيمًا ، وهذا مما يؤيد أنهم أخذوا هذا من الكتب القديمة .

* * *

المتن

[٦٥/ ٥٥] غزوة سيف البحر وهم يتلقون عيرًا لقريش وأميرهم أبو عبيدة بن الجراح

• [٤٠٧١] حدثنا إسماعيل، قال: حدثنا مالك، عن وهب بن كيسان، عن جابر بن عبدالله، أنه قال: بعث رسول الله ﷺ بعثا قبل الساحل فأمَّر عليهم أبا عبيدة بن الجراح وهم ثلاثمائة، فخرجنا فكنا ببعض الطريق فني الزاد، فأمر أبو عبيدة بأزواد الجيش فجمع، فكان مزودي تمر، فكان يقوتُنا كل يوم قليلا قليلا حتى فني، فلم يكن تصيبنا إلا تمرةٌ تمرةٌ، فقلت: ما تغني عنكم تمرة، فقال: لقد وجدنا فقدها حين فنيت، ثم انتهينا إلى البحر فإذا حوت مثل الظَّرِب، فأكل منه القوم ثمان عشرة ليلة، ثم أمر أبو عبيدة بضلعين من أضلاعه فنصبا ثم أمر براحلة فرُحِلت، ثم مرت تحتها فلم تصبهما.

• [٤٠٧٢] نا علي بن عبدالله، قال: نا سفيان، قال: الذي حفظناه من عمرو بن دينار، سمعت جابر بن عبدالله يقول: بعثَنا رسول الله ﷺ ثلاثمائة راكبٍ أميرُنا أبو عبيدة بن الجراح؛ نرصد عير قريش، فأقمنا بالساحل نصف شهر، فأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الْخَبَط، فسُمِّي ذلك الجيش جيش الخبط، فألقَى لنا البحر دابة يقال له العنبر، فأكلنا منه نصف شهر، وادَّهنا من وَدَكِه حتى ثابت إلينا أجسامنا، فأخذ أبو عبيدة ضِلَعًا من أضلاعه فنصبه، فعمد إلى أطول رجل معه - قال سفيان مرة: ضلعا من أضلاعه - وأخذ رجلا وبعيرا فمر تحته، فقال جابر: وكان رجل من القوم نحر ثلاث جزائر، ثم نحر ثلاث جزائر، ثم نحر ثلاث جزائر، ثم إن أبا عبيدة نهاه.

وكان عمرو يقول: أنا أبو صالح، أن قيس بن سعد قال لأبيه: كنت في الجيش فجاعوا، قال انحر: قال نحرت، قال: ثم جاعوا، قال: انحر، قال: نحرت، قال: ثم جاعوا، قال: انحر، قال: نحرت، قال: ثم جاعوا، قال: انحر، قال: نُهِيتُ.

• [٤٠٧٣] نا مسدد، قال: نا يحيى، عن ابن جريج، قال: أخبرني عمرو، أنه سمع جابرًا يقول: غزونا جيشَ الخبط وأُمِّر أبو عبيدة، فجعنا جوعًا شديدًا، فألقَى البحْر حوتًا ميِّتا

لم نر مثله ، يقال له : العنبر ، فأكلنا منه نصف شهر ، فأخذ أبو عبيدة عظما من عظامه فمر الراكب تحته .

• [٤٠٧٤] وأخبرني أبو الزبير ، أنه سمع جابرا يقول : فقال أبو عبيدة : كلوا ، فلما قدمنا المدينة ذكرنا ذلك للنبي ﷺ فقال : «**كلوا رزقا أخرجه الله ، أطعمونا إن كان معكم**» ، فآتاه بعضهم فأكله .

الشرح

قوله : «سيف البحر» يعني : ساحل البحر .

وهذه الغزوة كانت فيها شدة عظيمة وسمي هذا الجيش جيش الخبط ، وكان أميرها أبو عبيدة رضي الله عنه وذكر لها المؤلف ثلاث طرق .

• **[٤٠٧١]، [٤٠٧٢]، [٤٠٧٣]، [٤٠٧٤] قوله : «بعث رسول الله ﷺ بعثا» يعني سرية ، ليس فيهم النبي ﷺ ، وإذا كان فيهم النبي ﷺ تسمى غزوة ، وكانت السرية قبل الساحل .**

قوله : «فأمر عليهم أبا عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وهم ثلاثمائة ، فخرجنا فكنا ببعض الطريق فني الزاد ، فأمرهم أبو عبيدة بأزواد الجيش فجمع فكان مزودي تمر ، فكان يقوتنا كل يوم قليلا قليلا حتى فني» جاء تفسير ذلك في اللفظ الآخر أنه كان يعطيهم تمرة تمرة قال : ما تفعلون بها؟ قال : نمصها كما يمص الصبي[١] كل واحد يأخذ تمرة واحدة يمصها كما يمص الصبي ويشرب عليها الماء ثم بعد فترة يمصها ويشرب عليها الماء ويضربون الخبط وهو ورق الشجر في الأرض ويأكلونه معه وقد أصابهم جوع شديد كما في اللفظ الآخر : «وأصابنا جوع شديد حتى أكلنا الخبط»[٢] فسمي ذلك الجيش جيش الخبط والخبط : هو ورق السلم وهو شجر معروف يضربون به الأرض ويأكلونه .

فلما قيل لأحدهم : ما تفعل بهذه التمرة؟ قال : «لقد وجدنا فقدها حين فنيت» .

---

(١) أحمد (٣/ ٣١١) ، ومسلم (١٩٣٥) .

(٢) أحمد (٣/ ٣٠٨) ، والبخاري (٤٣٦١) ، ومسلم (١٩٣٥) .

وهذا فيه دليل على ما أصاب الصحابة من الشدة في أول الأمر ، ولكن لم يضرهم ذلك لما صبروا وجاهدوا في سبيل الله وآمنوا بالله ورسوله ونشروا دين الله فأفلحوا ﭬ .

وقوله : **«فإذا حوت مثل الظرب»** أي : مثل الجبل الصغير ، والمعنى أنهم لما أقبلوا على البحر وجدوا حوتا عظيمًا فأكلوا منه ثماني عشرة ليلة ، وفي لفظ آخر قال : **«أكلنا منه نصف شهر حتى ثابت أجسامنا بعد الشدة»**(١) يعني : حتى سمنا .

وهذا الحوت رزق رزقهم الله به فأكلوا منه وجلسوا مدة طويلة ثمانية عشر يوما ، وفي لفظ : **«أنهم ظلوا شهرا»**(٢) حتى إن أبا عبيدة نصب ضلعين من أضلاعه لما انتهى ورحل أعظم بعير وأطول رجل ركبه فمر من تحت الضلع ولم يمسه هذا الضلع فيه دليل على أن الضلع كبير مثل الجبل وجاء في الحديث الآخر **«أن أبا عبيدة جعل على نقب عينه ثلاثة عشر رجلا يستخرجون الدلاء من السمن»**(٢) فنقب العين كأنه بئر فيه دلاء تستخرج منه السمن .

فالبحر فيه عجائب ولهذا لما قدموا على النبي ﷺ فأخبروه قال : **«كلوا رزقا أخرجه الله أطعمونا إن كان معكم»** تطييبا لخاطرهم فأتى بعضهم بشيء منه فأكله ﷺ .

وذكر الشارح هنا من الفوائد مشروعية المواساة بين الجيش عند وقوع المجاعة .

قوله : **«وكان رجل من القوم نحر ثلاث جزائر»** هو قيس بن سعد بن عبادة ﭭ ، وكان كريمًا جوادًا في الجاهلية والإسلام هو أبوه ﭭ .

قوله : **«نهيت»** يعني : نهاه أبو عبيدة كما جاء في الحديث ؛ لأنه إذا نحر الإبل انتهت وهي مركوبهم فلم يجدوا ما يحملهم .

* * *

(١) أحمد (٣/ ٣٠٨) ، والبخاري (٤٣٦١) ، ومسلم (١٩٣٥) .
(٢) أحمد (٣/ ٣١١) ، ومسلم (١٩٣٥) .

المتن

[٦٦/ ٥٥] حجُّ أبي بكرٍ بالناس في سنة تسع

• [٤٠٧٥] حدثني سليمان بن داود أبو الربيع، قال: نا فليح، عن الزهري، عن حميد بن عبدالرحمن، عن أبي هريرة، أن أبا بكر الصديق بعثه في الحجة التي أمَّره النبي ﷺ عليها قبل حجة الوداع يوم النحر، في رهط؛ يؤذِّن في الناس: أن لا يحجَّ بعد العام مشرك، ولا يطوفَنَّ بالبيت عريان.

• [٤٠٧٦] حدثني عبدالله بن رجاء، قال: نا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: آخر سورة نزلت كاملةً: براءة، وآخر سورة نزلت خاتمة: سورة النساء؛ ﴿**يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي ٱلْكَلَٰلَةِ**﴾ [النساء: ١٧٦].

الشرح

• [٤٠٧٥] هذا الحديث في حج أبي بكر رضي الله عنه بالناس سنة تسع؛ حيث قدمه النبي ﷺ ثم حج النبي ﷺ في سنة عشر وكان أبو هريرة من المؤذنين الذين أرسلهم أبو بكر يؤذنون في الحج يوم العيد في منى بأربع كلمات: «**لا يحج بعد العام مشرك ولا يطوفن بالبيت عريان**» وفي رواية: «**ولا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة، ومن كان له عهد فهو ولي عهده، ومن لم يكن له عهد فمدته أربعة أشهر**»[(١)] وهذا خاص بالكفار إما أن يسلموا وإما أن يقاتلوا حتى يتأدب الناس؛ لأن النبي ﷺ لا يريد أن يرى المشركين يحجون ولا يريد أن يرى العراة فلهذا أرسل أبا بكر في السنة التاسعة ومعه مؤذنين في الناس ليعلموهم بما أراد رسول الله ﷺ.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «واستدل بهذا الحديث على أن فرض الحج كان قبل حجة الوداع، وذهب جماعة إلى أن حج أبي بكر هذا لم يسقط عنه الفرض بل كان تطوعا قبل فرض الحج. وقال ابن القيم في الهدي: ويستفاد أيضا من قول أبي هريرة في حديث الباب «**قبل**

---

(١) أحمد (٢/ ٢٩٩)، والترمذي (٨٧١).

حجة الوداع» أنها كانت سنة تسع لأن حجة الوداع كانت سنة عشر اتفاقا وذكر الواقدي أنه خرج في تلك الحجة مع أبي بكر ثلاثمائة من الصحابة» .

• **[٤٠٧٦]** هذا الحديث فيه بيان آخر ما نزل من القرآن .

قوله : **«آخر سورة نزلت كاملة»** سيأتي تفسير بيان ما فيه من الإشكال ، والغرض منها الإشارة إلى قوله تعالى : ﴿ **يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا** ﴾ [التوبة : ٢٨] هذا هو الشاهد أن الله أمر بإبعاد المشركين عن المسجد الحرام فلا يجوز للمشرك أن يدخل مكة أما المدينة فلا بأس ؛ ولهذا ربط النبي ﷺ ثمامة بن أثال وهو مشرك في المسجد النبوي ثلاثة أيام ثم أطلقه[١] ثم أسلم بعد ذلك ﵁ .

* * *

(١) أحمد (٢/ ٤٥٢) ، والبخاري (٤٣٧٢) ، ومسلم (١٧٦٤) .

المتن

[٦٧/ ٥٥] وفد بني تميم

• [٤٠٧٧] حدثنا أبو نعيم، قال: نا سفيان، عن أبي صخرة، عن صفوانَ بن مُحرِزٍ المازنيِّ، عن عمران بن حصين قال: أتىٰ نفر من بني تميم النبيَّ ﷺ، فقال: **«اقبلوا البشرىٰ يا بني تميم»**، قالوا: يا رسول الله، قد بشرتنا فأعطنا، فَرُئِي ذلك في وجهه، فجاء نفر من اليمن، فقال: **«اقبلوا البشرىٰ إذ لم يقبلْها بنو تميم»**، قالوا: قد قبلنا يا رسول الله.

الشرح

أراد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن يذكر الوفود الذين وفدوا من قبائل العرب على النبي ﷺ بعد فتح مكة، وكان ذلك في السنة التاسعة من الهجرة؛ لما فتحت مكة ودخل الناس في دين الله أفواجا تتابعت وفود العرب كل قبيلة ترسل وفدا يبايعون رسول الله ﷺ على الإسلام، وسمي ذلك العام عام الوفود وهذا الباب في **«وفد بني تميم»**.

• [٤٠٧٧] هذا الحديث فيه: أن الإنسان إذا بشر ينبغي له ألا يستعجل وألا يقول: أعطنا البشرىٰ بل يسكت وينتظر.

وفيه: أنه إذا قال الإنسان أعطنا ما بشرتنا به لم يكن قبل البشرىٰ كما في هذه الحالة.

وفيه: منقبة لأهل اليمن؛ حيث قبلوا البشرىٰ، وفاتت علىٰ بني تميم.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«وفد بني تميم»** أي: ابن مر - بضم الميم وتشديد الراء - بن أد - بضم الهمزة وتشديد الدال المهملة - بن طابخة - بموحدة مكسورة، ثم معجمة - بن إلياس بن مضر بن نزار، وذكر ابن إسحاق أن أشراف بني تميم قدموا على النبي ﷺ منهم عطارد بن حاجب الدارمي والأقرع بن حابس الدارمي والزبرقان بن بدر السعدي وعمرو بن الأهتم المنقري والحباب بن يزيد المجاشعي ونعيم بن يزيد بن قيس بن الحارث وقيس بن عاصم المنقري.

قال ابن إسحاق: ومعهم عيينة بن حصن، وكان الأقرع وعيينة شهدا الفتح ثم كانا مع بني تميم».

* * *

المتن

[٦٨/ ٥٥] باب

قال ابن إسحاق : غزوة عيينة بن حصن بن حذيفة بن بدر بن العنبر ، من بني تميم ، بعثه النبي ﷺ إليهم فأغار وأصاب منهم ناسا ، وسبى منهم نساءً .

• [٤٠٧٨] حدثني زهير بن حرب ، قال : نا جرير ، عن عُمارةَ بن القعقاع ، عن أبي زرعة ، عن أبي هريرة قال : لا أزال أحب بني تميم بعد ثلاثٍ سمعتُه من رسول الله ﷺ يقولُها فيهم : **«هم أشد أمتي على الدجال»** ، وكانت فيهم سبيَّة عند عائشة فقال : **«أعتقيها ؛ فإنها من ولد إسماعيل»** ، وجاءت صدقاتُهم فقال : **«هذه صدقات قوم - أو قومي»** .

• [٤٠٧٩] حدثني إبراهيم بن موسى ، قال : أنا هشام بن يوسف ، أن ابن جريج أخبرهم ، عن ابن أبي مليكة ، أن عبدالله بن الزبير أخبرهم ، أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ ، فقال أبو بكر : أَمِّرِ القعقاعَ بن معبدِ بن زرارةَ ، قال عمر : بل أمر الأقرع بن حابسٍ ، قال أبو بكر : ما أردتَ إلا خلافي ، قال عمر : ما أردتُ خلافَك ، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما ، فنزل في ذلك : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ﴾ [الحجرات : ١] حتى انقضت .

الشرح

قوله : **«وسبى منهم نساء»** وفي بعض النسخ : **«وسبى منهم سباء»** .

• [٤٠٧٨] هذا الحديث فيه : منقبة لبني تميم ففيهم هذه الخصال الثلاثة .

وفيه : دليل على أن بني تميم من ولد إسماعيل فهم من قحطان ؛ لأن العرب ينتسبون إلى قحطان وإلى عدنان ، فالعرب العاربة تنتسب إلى عدنان ، والعرب المستعربة تنتسب إلى قحطان ، وقد انقرضت العرب العاربة مثل طسم وثمود وجديس .

وفيه : جواز سبي العرب والرد على من قال : إنه لا يسبى إلا العجم ؛ فإن عائشة كان عندها سبية من بني تميم فقال النبي ﷺ : **«أعتقيها»** ، ولو كان لا يجوز سبي العرب لما أقر النبي ﷺ سبي هذه الجارية .

قوله : «**سبية**» يعني : الجارية المسبية ، ويقال سبية بالياء المشددة أو سبيئة بالتخفيف مع الهمز .

وهذا الحديث دليل واضح للرد على الأحناف وغيرهم الذين يقولون : العرب لا يسترقون[(١)] وإنما يسترق العجم ، والأدلة على هذا كثيرة من ذلك أن النبي ﷺ أغار على بني المصطلق ، فقتل مقاتلتهم وسبى نساءهم وذراريهم ، واصطفى لنفسه جويرية بنت الحارث رضي الله عنها[(٢)] وصارت أما للمؤمنين وهم من العرب .

وفيه : أن أبا هريرة رضي الله عنه كان يحب لبني تميم خصالا ثلاث :

الأولى : أن النبي ﷺ قال : «**هم أشد أمتي على الدجال**» فهذه منقبة لهم يعني في آخر الزمان إذا خرج الدجال فأشد الأمة عليه بنو تميم .

الثانية : أنهم من ولد إسماعيل .

الثالثة : أن النبي ﷺ أضافهم إلى نفسه فقال : «**صدقات قوم أو قومي**» والإضافة للتشريف والتكريم .

وفي حديث سابق أنهم لم يقبلوا البشرى ، وهذا لا يدل على كون بعض هذا الوفد ما قبلوا البشرى فلا يلزم من ذلك ذم بني تميم فهذا الحديث فيه مدحهم وذاك فيه ذم لهم فبعض الوفد الذين تعجلوا ولم يتريثوا بسبب الجفاء ، قالوا : «**بشرتنا فأعطنا**»[(٣)] .

• [٤٠٧٩] هذا الحديث فيه أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ ، فأشار عليه الصديق رضي الله عنه بأن يؤمر القعقاع بن معبد ، وأشار عمر بأن يؤمر الأقرع بن حابس ، وجاء في اللفظ الآخر : «**الصالحان أو الوليان كادا أن يهلكا فتماريا عند النبي ﷺ**»[(٤)] فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآيات : ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [الحجرات : ١] .

---

(١) انظر «المبسوط» (١٠/ ١١٨) .

(٢) أحمد (٢/ ٥١) ، والبخاري (٢٥٤١) ، ومسلم (١٧٣٠) .

(٣) أحمد (٤/ ٤٢٦) ، والبخاري (٣١٩٠) .

(٤) أحمد (٤/ ٦) ، والبخاري (٤٨٤٥) .

وفيه أنه لا ينبغي للإنسان أن يتقدم بين يدي الله ﷻ ورسوله ﷺ وأبوبكر وعمر ﭭ ليسا معصومين والله غفر لهما، وسميت سورة الحجرات بسورة الآداب أيضا، لما جاء فيها من آداب كريمة فقد قال الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُقَدِّمُواْ بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ۝١ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ١ - ٢] وقال سبحانه وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن جَآءَكُمۡ فَاسِقُۢ بِنَبَإٖ فَتَبَيَّنُوٓاْ﴾ [الحجرات: ٦] وقال عز من قائل: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَا﴾ [الحجرات: ٩] وقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ﴾ [الحجرات: ١١] وقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجۡتَنِبُواْ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلظَّنِّ﴾ [الحجرات: ١٢].

وإذا كان هذا في الخليفتين الوليين الصالحين المشهود لهما بالجنة ﭭ نهاهما الله ﷻ أن يتقدما بين يدي الله ورسوله، ولم يقل الصديق أو عمر ﭭ هذا إلا عن اجتهاد، فكل منهما اجتهد، وكل منهما لا يريد إلا الخير فكيف بمن قدم قول أحد على قول الله ﷻ ورسوله ﷺ للهوى أو للشهوة أو لمطامع دنيوية؟! لا شك أن الأمر أعظم وأشد.

* * *

المتن

[٦٩/ ٥٥] وفد عبد القيس

• [٤٠٨٠] حدثني إسحاق، قال: أنا أبو عامر العقدي، قال: نا قُرة، عن أبي جمرة، قلت لابن عباس: إن لي جرة تَنْتَبِذُ لي نبيذًا فأشربه حلوا في جرّ، إن أكثرت منه فجالست القوم فأطلت الجلوس خشيت أن أفتضح، فقال: قدم وفد عبدالقيس على رسول الله ﷺ، فقال: **«مرحبا بالقوم غير خزايا ولا الندامى»**، فقالوا: يا رسول الله، إن بيننا وبينك المشركين من مضر، وإنا لا نصل إليك إلا في أشهر الحرم، حدثنا بجمل من الأمر إن عملنا به دخلنا الجنة، وندعو به مَن وراءَنا، قال: **«آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع: الإيمانِ بالله، هل تدرون ما الإيمانُ بالله؟ شهادةُ أن لا إله إلا الله، وإقامُ الصلاة، وإيتاءُ الزكاة، وصومُ رمضان، وأن تُعطُوا من المغانم الخمسَ. وأنهاكم عن أربع: ما انتبذ في الدباء، والنقير، والحنتم، والمزفت»**.

• [٤٠٨١] نا سليمان بن حرب، قال: نا حماد بن زيد، عن أبي جمرة، قال: سمعت ابن عباس يقول: قدم وفد عبدالقيس على النبي ﷺ، فقالوا: يا رسول الله، إنَّا هذا الحي من ربيعة، وقد حالت بيننا وبينك كفار مضر، فلسنا نخلص إليك إلا في شهر الحرام، فمرنا بأشياء نأخذ بها، وندعوا إليها مَن وراءنا، قال: **«آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع: الإيمانُ بالله، شهادةُ أن لا إله إلا الله - وعقَد واحدةً - وإقامُ الصلاة، وإيتاءُ الزكاة، وأن تؤدوا لله خمس ما غنمتم، وأنهاكم عن الدُّباء، والنَّقير، والْحَنتَم، والمزَفَّت»**.

• [٤٠٨٢] نا يحيى بن سليمان، قال: حدثني ابن وهب، قال: أخبرني عمرو، ح. وقال بكر بن مضر: عن عمرو بن الحارث، عن بكير، أن كُريبًا مولى ابن عباس حدثه، أن ابن عباس وعبدالرحمن بن أزهر والمسور بن مخرمة أرسلوا إلى عائشة فقالوا: اقرأ عليها السلام منا جميعا، وسلها عن الركعتين بعد العصر، وإنا أُخبِرْنا أنَّكِ تُصلِّيهما، وقد بلغَنا أن النبي ﷺ نهى عنهَا، قال ابن عباس: وكنت أضرب مع عمر الناس عنهما، قال كريب: فدخلت عليها وبلغتها ما أرسلوني، فقالت: سل أم سلمة، فأخبرتهم، فردوني إلى أم سلمة بمثل ما أرسلوني إلى عائشة، فقالت أم سلمة: سمعت النبي ﷺ ينهى عنهما،

وأنه صلى العصر ثم دخل علي وعندي نسوة من بني حرام من الأنصار فصلاهما، فأرسلت إليه الخادم فقلت: قومي إلى جنبه فقولي: تقول أم سلمة: يا رسول الله، ألم أسمعك تنهى عن هاتين الركعتين فأراك تصليهما؟ فإن أشار بيده فاستأخري، ففعلت الجارية، فأشار بيده فاستأخرت عنه، فلما انصرف قال: **«يا بنت أبي أمية، سألت عن الركعتين بعد العصر؛ إنه أتاني أناس من عبدالقيس بالإسلام من قومهم فشغلوني عن الركعتين اللتين بعد الظهر، فهما هاتان»**.

• [٤٠٨٣] -حدثني عبدالله بن محمد الجعفي، قال: نا أبو عامر عبدالملك، قال: نا إبراهيم، هو: ابن طهمان، عن أبي جمرة، عن ابن عباس قال: أول جمعة جُمِّعت بعد جمعة جُمِعت في مسجد رسول الله ﷺ، في مسجد عبدالقيس بِجُواثَى مِن البحرين.

الشرح

هذا الباب في **«وفد عبد القيس»** وعبد القيس قبيلة كبيرة في البحرين ينتمون إلى عبد القيس بن أفصى – بوزن أعمى – بن دعمي بن جديلة بن أسد بن ربيعة بن نزار.

• [٤٠٨٠] قوله: **«قدم وفد عبد القيس»** لوفد بني عبد القيس على النبي ﷺ وفادتان: أولاهما قبل الفتح والثانية بعد الفتح، وهذا الحديث فيه الوفادة الأولى؛ ولهذا قالوا: **«إن بيننا وبينك المشركين من مضر»** وكانوا يسكنون البحرين والمراد بالبحرين هنا جميع دول الخليج كلها الأحساء والدمام والبحرين وقطر وعمان فليس المراد البحرين على حسب الجغرافيا الآن فكانت قريتهم بالبحرين وكانت أول قرية أقيمت فيها جمعة بعد المدينة فأول جمعة جمعت في الإسلام في المدينة النبوية أو أنها قبل أن يبنى مسجد النبي ﷺ، ثم الجمعة الثانية كانت في البحرين والتي في الأحساء في قرية تسمى جواثى، وهي موجودة الآن في الأحساء رأيناها فيها آثار المسجد والمكان الذي أقيمت فيه الجمعة، وكان عدد الوفد الأُول الذين وفدوا على النبي ﷺ ثلاثة عشر سألوه عن الإيمان وعن الأشربة.

والنبيذ عصير كعصير التمر ونبيذ التمر يسمى باللهجة العامية عندنا المريس التمر والعنب والشعير والبر يعصر أيضا، والآن وجدت أشربة كثيرة كالتفاح والبرتقال وغيره وكله يسمى نبيذًا، وكان العرب ينبذون حتى يكون الماء حلوا فكانوا ينبذون ويشربون منه في يومين أو ثلاثة يضعونه في إناء، فإذا كان في شدة الحر تخمر في اليوم الثالث في الغالب.

وكان النبي ﷺ ينبذ له فيشربه اليوم والغد، ثم في اليوم الثالث إما أن يهريقه أو يسقيه الخادم؛ خشية أن يختمر لكن لما وجدت ثلاجات أصبح العصير يحفظ فيها ولا يتخمر حتى لو وضع فيها أياما، لكن إذا كان في الحر وليس في ثلاجات فإن النبيذ يقذف الزبد ويتخمر.

قوله: **«إن لي جرة»** الجر إناء مطبوخ من فخار مثل الأزيار التي يبرد فيها الماء.

قوله: **«فأشربه حلوا في جر، إن أكثرت منه فجالست القوم فأطلت الجلوس خشيت أن أفتضح»** يعني: قد يتركه يومين أو ثلاثة وقد يتخمر في هذا الجر قال أخشى أن أفتضح لأني أصير منه في مثل حال السكارى.

قوله: **«مرحبًا بالقوم غير خزايا ولا الندامى»** يعني: لا تندمون ولا تخزون بل أنتم مكرمون على مجيئكم، ففيه مشروعية الترحيب بالوفود وأن ولي الأمر يرحب بالوفود.

قوله: **«إن بيننا وبينك المشركين من مضر، وإنا لا نصل إليك إلا في أشهر الحرم»** يعني: لا نستطيع أن نأتي إليك بسبب الكفار يقاتلوننا إلا إذا دخلت الأشهر الحرم وهي: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ثلاثة متوالية ورجب حيث تضع الحرب أوزارها فكان الكفار يوقفون الحرب فيها، فإذا دخلت هذه الأشهر جاءوا إلى النبي ﷺ حتى يأمنوا من القتال، أما في غيرها فيقاتلهم الكفار.

وهذا يوضح أن الكفار في الجاهلية كانوا يعظمون الأشهر الحرم ولا يقاتلون فيها، لكن كانوا إذا طالت عليهم الأشهر الحرم، واحتاجوا إلى القتال في المحرم أخروه إلى صفر وقاتلوا في محرم وقدموا صفرًا، وهذا هو النسيء فقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا﴾ [التوبة: ٣٧].

قوله: **«آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع»** هذا من جوامع الكلم الذي أوتيه النبي ﷺ، فقال: **«آمركم بأربع»** ما هي الأربع؟ قال: **«الإيمان بالله»** ثم فسر الإيمان بالله قال: **«هل تدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان، وأن تعطوا من المغانم الخمس»**.

وفيه أنه فسر الإيمان بالأعمال ففسره بشهادة أن لا إله إلا الله وتدخل فيها شهادة أن محمدا رسول الله؛ لأنه إذا أطلقت إحدى الشهادتين دخلت فيها الأخرى.

قوله : «**وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان ، وأن تعطوا من المغانم الخمس**» ففسر الشهادة بخمسة أشياء من الأعمال ، وهذا فيه دليل لما ذهب إليه جمهور أهل السنة من أن الإيمان إذا ذكر وحده دخل فيه الإسلام وشمل الأعمال كما في الحديث الصحيح : «**الإيمان بضع وسبعون شعبة فأعلاها قول لا إله إلا الله وأدناها إماطة الأذى عن الطريق والحياء شعبة من الإيمان**»[(١)] فذكر شعبة قولية وهي : الشهادة ، وشعبة عملية وهي : إماطة الأذى عن الطريق ، وشعبة قلبية وهي : الحياء ؛ فدل على أنه داخل في مسمى الإيمان الشعب القولية والعملية والاعتقادية .

فالشهادة إيمان وإسلام وإذا اجتمع الإسلام والإيمان كان الإسلام : الأعمال الظاهرة ، وكان الإيمان : أعمال القلوب ، كما في حديث جبريل : فإن جبريل لما سأل النبي ﷺ عن الإسلام فسره بالأعمال الظاهرة قال : «الشهادتان والصلاة والزكاة والصوم والحج» ، ولما سأل عن الإيمان فسره بأعمال القلوب : «**أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره**»[(٢)] فإذا اجتمع الإسلام والإيمان صار لكل واحد منهما معناه فيفسر الإسلام بالأعمال الظاهرة ويفسر الإيمان بالأعمال الباطنة وإذا أطلق أحدهما دخل فيه الآخر كما في قوله تعالى : ﴿**إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلْإِسْلَٰمُ**﴾ [آل عمران : ١٩] .

وهذا أيضا من أقوى الأدلة في الرد على المرجئة الذين يقولون إن الأعمال ليست داخلة في مسمى الإيمان فهذا صريح في الرد عليهم حيث فسر الإيمان بالأعمال .

قوله : «**وأنهاكم عن أربع : ما انتبذ في الدباء ، والنقير ، والحنتم ، والمزفت**» يعني : لا تجعلوا النبيذ في هذه الأشياء الأربع : الدباء ، والنقير ، والحنتم والمزفت ، فالدباء : القرع المستطيل ؛ تؤخذ اللبة التي في وسطه وتبقى يابسة صلبة يصب فيها النبيذ .

والنقير : جذع النخلة ؛ ينقر وينتبذ فيه .

والحنتم : طين الفخار المطبوخ مثل التي يسمونها الآن الأزيار يصب فيها الماء .

---

(١) أحمد (٢/ ٤١٤) ، والبخاري (٩) ، ومسلم (٣٥) .

(٢) أحمد (١/ ٢٨) ، والبخاري (٤٧٧٧) بنحوه ، ومسلم (٨) .

والمزفت : هو المطلي بالقار والزفت ؛ فهذه الأشياء الصلبة إذا انتبذ فيها نبيذ التمر أو نبيذ العسل أو نبيذ العنب أو نبيذ الشعير ومكث فيها ثلاثة أيام في الحر الشديد قد يختمر ، والإنسان لا يشعر فيسكر لأنها صلبة قوية ، فالإنسان لا يدري ؛ فلهذا نهاهم النبي ﷺ عن الانتباذ في الأشياء الصلبة .

ولكن يمكن الانتباذ في الأسقية والسقاء من الجلد يجعل فيه النبيذ ؛ لأنه إذا اختمر ومضى عليه يومان أو ثلاثة تشقق وتمزق ويصبح مثل الزبد ، أما الأشياء الصلبة فلا يؤثر النبيذ فيها فلا يشعر الإنسان به إذا اختمر فيشربه فيسكر .

وكان هذا في أول الإسلام ثم لما استقرت الشريعة وفقه الناس دين الإسلام نسخ النهي عن الانتباذ في هذه الأشياء الأربعة ، فقال النبي ﷺ : **«كنت نهيتكم عن الانتباذ في هذه الأشياء فانتبذوا في كل وعاء ولا تشربوا مسكرا»**(١) .

• [٤٠٨١] قوله : **«إنا هذا الحي من ربيعة»** يعني : نحن هذا الحي من ربيعة أو نخص هذا الحي .

قوله : **«وقد حالت بيننا وبينك كفار مضر»** يعني : بسبب القتال .

قوله : **«فلسنا نخلص إليك إلا في شهر الحرام»** والأشهر الحرم هي : ذو القعدة ، وذو الحجة ، والمحرم ، ورجب ، وسميت بذلك لتوقف العرب فيها عن الحرب ؛ فلهذا يستطيعون المجيء إلى النبي ﷺ .

وقوله : **«الإيمان بالله شهادة أن لا إله إلا الله وعقد واحدة»** يعني : فسر الإيمان بـ **«شهادة أن لا إله إلا الله وعقد واحدة»** بأصبعه ، **«وإقام الصلاة»** وعقد اثنين ، **«وإيتاءُ الزكاة»** وعقد ثلاثة ، **«وأن تؤدوا لله خمس ما غنمتم»** وعقد أربعة .

وقد أمرهم النبي ﷺ بهذه الأربعة لأنها أصول الإيمان فمن أدى هذه الأصول وقام بها واستقام عليها أدى الفروع ؛ لأن الفروع تابعة للأصول ، فقط طلبوا من النبي ﷺ أن يأمرهم بأمر فصل جامع يدخلهم الجنة ، وهذا من جوامع الكلم التي أوتيها النبي ﷺ .

---

(١) أحمد (٥/ ٣٥٥) ، ومسلم (٩٧٧) .

قوله : **«آمركم بأربع وأنهاكم عن أربع»** ظاهره أن الإيمان بالله واحدة من الأربع التي يذكرها النبي ﷺ ثم فسر الإيمان بأربعة أشياء أو بخمسة أشياء ولم يذكر الأمور الثلاثة .

• [٤٠٨٢] مناسبة هذا الحديث للباب هو مجيء وفد عبد القيس إلى الرسول ﷺ ، وفيه صلاة الركعتين بعد العصر .

وهذه القصة فيها : **«أن كريبًا مولى ابن عباس حدثه أن ابن عباس وعبد الرحمن بن أزهر والمسور بن مخرمة أرسلوا إلى عائشة فقالوا : اقرأ عليها السلام منا جميعًا»** ففيه دليل على إبلاغ السلام ولو للمرأة ، ولو كانت أجنبية إذا لم يكن هناك ريبة .

قوله : **«وسلها عن الركعتين بعد العصر»** فيه أخذ العلم ولو من المرأة ، وكان بعض المحدثين لهم شيخات من النساء تحدثهم من وراء حجاب ، فهؤلاء الصحابة ﷺ أخذوا العلم عن عائشة ، وكانت عائشة ﵂ أفقه امرأة ، حملت من العلم شيئًا كثيرًا وبلغته .

قوله : **«فإنا أخبرنا أنك تصليها»** فيه الاقتداء بالعالم وسؤاله عن الشيء الذي يفعله فهم رأوا عائشة ﵂ تصلي ركعتين بعد العصر ، وقالوا : أنت عالمة وفاضلة وفي بيت النبي ﷺ كيف تصلين ركعتين بعد العصر والنبي ﷺ نهى عن الصلاة في هذا الوقت وقال : **«لا صلاة بعد العصر حتى تغرب الشمس»**[(١)] .

قوله : **«وكنت أضرب مع عمر الناس عنها»** أي : إذا رأى أحدا يصلي بعد العصر يضربه ضرب تأديب .

قوله : **«فدخلت عليها»** يعني : على عائشة .

قوله : **«سل أم سلمة»** فيه أن العالم يرد العلم إلى من هو أعلم منه وذلك إذا لم يكن عنده علم ، أو إن كان غيره أولى منه بهذه المسألة ، أو هو أعلم منه بالأدلة فيحيل على العالم ؛ فعائشة ﵂ ردتهم إلى أم سلمة ﵂ ؛ لأن أم سلمة عندها علم بهذا الشيء فذهب كريب إلى من أرسلوه ، فأخبرهم بما قالت عائشة ﵂ ، قال : **«فردوني إلى أم سلمة بمثل ما أرسلوني إلى عائشة ، فقالت أم سلمة : سمعت النبي ﷺ ينهى عنها»** يعني : عن الركعتين

---

(١) أحمد (١/ ١٨) ، والبخاري (١٨٦٤) ، ومسلم (٨٢٧) .

بعد العصر «**وأنه صلى العصر، ثم دخل علي وعندي نسوة من بني حرام من الأنصار فصلاهما**» يعني: الرسول ﷺ ينهى عن الصلاة بعد العصر، ثم دخل وصلى ركعتين بعد العصر، قالت: «**فأرسلت إليه الخادم**» أي: الجارية «**فقلت: قومي إلى جنبه فقولي: تقول أم سلمة: يا رسول الله، ألم أسمعك تنهى عن هاتين الركعتين فأراك تصليهما؟**» تخاطب أم سلمة الجارية، «**فإن أشار بيده فاستأخري**» لأنه يصلي «**فأشار بيده فاستأخرت عنه**».

تنبيه: قد يقول بعض الناس الآن كيف تأتي الجارية إلى النبي ﷺ وتكون أمامه كاشفة؟! هل معنى ذلك أنه يجوز للخادمات الآن أن تتكشف أمام كفيلها؟ وما هو الفرق بين الجارية التي عند النبي ﷺ والخادمة الآن؟

والجواب: إن الجارية مملوكة للنبي ﷺ، وهذه المملوكة بالنسبة للسيد إن شاء باعها وإن شاء تسراها، والجارية ليست مثل الحرة فلا تتحجب إلا إذا خيف عليها الفتنة، وكان عمر إذا رأى الجارية تتحجب قال: يا لكع أتتشبهين بالحرائر؟ لأنها مال تباع وتشترى إلا إذا خيف عليها الفتنة.

أما الخادمات التي عندنا الآن فهن حرائر ولسن مملوكات وبعضهن لهن أزواج فهي أجنبية عن سيدها فلا تتكشف أمامه ولا يخلو بها في السيارة أو في البيت أو في أي مكان ولا يخلو بها أحد من أبنائه؛ فهي ليس كالجارية. واللاتي كن عند النبي ﷺ جواري جئن من السبي حيث كان الجهاد قائما، فإذا انتصر المسلمون على الكفرة سبوا نساءهم وذراريهم وأموالهم مثل غزوة أوطاس فقد غنموا ستة آلاف نفس من النساء والأطفال ووزعت على الجيش.

قوله: «**يا بنت أبي أمية سألت عن الركعتين بعد العصر**» يعني: أم سلمة ﵂، واسمها هند بنت أبي أمية.

قوله: «**إنه أتاني أناس من عبد القيس بالإسلام من قومهم فشغلوني عن الركعتين اللتين بعد الظهر فهما هاتان**» يعني: أن النبي ﷺ انشغل عن ركعتي السنة الراتبة بعد الظهر حتى دخل وقت العصر فقضاهما بعد العصر، واختلف العلماء في الركعتين بعد العصر قضاء عن الركعتين بعد الظهر هل يصليهما المسلم؟ وإذا صلاهما هل يداوم عليهما؟

فقال بعض العلماء : إنهما تقضيان ويداوم عليهما . ودليلهم أن النبي ﷺ صلاهما وداوم عليهما .

وقال آخرون : تقضيان ولا يداوم عليهما ؛ حيث إن المداومة خاصة بالنبي ﷺ .

وقال آخرون : لا تقضيان ولا يداوم عليهما ، وأنهما من خصوصية النبي ﷺ .

فهذه ثلاثة أقوال والقول الأخير هو الصحيح أنهما لا تصليان ولا يداوم عليهما ، وأنهما من خصوصية النبي ﷺ والدليل على ذلك ما روى أحمد بسند جيد عن أم سلمة رضي الله عنها **«أنها سألت النبي ﷺ عن الركعتين بعد العصر أنصليهما إذا فاتتا؟ قال : «لا»»**[1] .

فالسنن الرواتب تقضى إلى آخر الوقت فسنة الظهر إذا فاتت القبلية تقضى إلى دخول وقت العصر ، وسنة المغرب تقضى إلى دخول وقت العشاء ، وسنة العشاء تقضى إلى نصف الليل ، وسنة الفجر جاء ما يدل على أنها تقضى بعد الفجر مباشرة وتقضى بعد ارتفاع الشمس ، وهذا دليل على أن سنة الفجر خاصة مخير فيقضيها بعد الفجر مباشرة إذا كان ينشغل عنها بعد ذلك الوقت أو يقضيها بعد ارتفاع الشمس إذا لم يكن عليه مشقة .

• [٤٠٨٣] هذا الحديث منقبة لبني عبد القيس ؛ لأنهم أسلموا قديما فالنبي ﷺ أول ما قدم المدينة بنى المسجد وجمع أول جمعة في السنة الأولى من الهجرة وبنو عبد القيس أقاموا الجمعة الثانية في بلادهم وهي جواثى ، وهذا المسجد موجود الآن يزوره الناس على أنه أثر ، والمشهور أن جواثى اسم للأحساء والمنطقة الشرقية والدمام وتوابعه ودول الخليج وقطر والبحرين والإمارات .

* * *

(١) أحمد (٦/ ٣١٥) .

المتن

[٧٠/ ٥٥] باب وفد بني حنِيفةَ وحديثِ ثُمامةَ بن أُثالٍ

• [٤٠٨٤] حدثنا عبدالله بن يوسف، قال: نا الليث، قال: حدثني سعيد بن أبي سعيد، أنه سمع أبا هريرة قال: بعث النبي ﷺ خيلا قِبَل نجد، فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له: ثُمامة بن أثال، فربطوه بسارية من سواري المسجد، فخرج إليه النبي ﷺ فقال: **«ما عندك يا ثمامة؟»** فقال: عندي خيرٌ يا محمد؛ إن تقتُلْني تقتُلْ ذا دَم، وإن تُنعِم تُنعِم على شاكر، وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت، فتُرِك حتى كان الغدُ، ثم قال له: **«ما عندك يا ثمامة؟»** قال: ما قلتُ لك: إن تنعم تنعم على شاكر، فتركه حتى كان بعد الغد، فقال: **«ما عندك يا ثمامة؟»** قال: عندي ما قلت لك، قال: **«أطلقوا ثمامة»**، فانطلق إلى نخلٍ قريب من المسجد، فاغتسل ثم دخل المسجد، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، يا محمد، والله ما كان على الأرض وجهٌ أبغض إليَّ من وجهك، فقد أصبح وجهك أحب الوجوه إليَّ، والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك، فأصبح دينك أحب الدين إلي، والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك، فأصبح بلدك أحب البلاد إلي، وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشَّرَهُ النبي ﷺ، وأمَره أن يعتمر، فلما قدم مكة قال له قائل: صبوْتَ؟ قال: لا، ولكن أسلمتُ مع محمد رسول الله ﷺ، ولا والله لا تأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ.

• [٤٠٨٥] نا أبو اليمان، قال: أنا شعيب، عن عبدالله بن أبي حسين، قال: نا نافع بن جبير، عن ابن عباس قال: قدم مسيلمة الكذاب على عهد النبي ﷺ، فجعل يقول: إن جعل لي محمد من بعده تبعته، وقدمها في بشر كثير من قومه، فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس، وفي يد رسول الله ﷺ قطعة جريد، حتى وقف على مسيلمة في أصحابه فقال: **«لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها، ولن تَعْدُ أمر الله فيك، ولئن أدبرت ليعقرنك الله، وإني لأراك الذي أريت فيه ما رأيت، وهذا ثابت يجيبك عني»**، ثم انصرف عنه، قال ابن عباس: فسألت عن قول رسول الله ﷺ: **«إنك أرى الذي أريت فيه ما رأيت»**، فأخبرني أبو هريرة أن رسول الله ﷺ قال: **«بينا أنا نائم رأيت

في يدي سوارين من ذهب ، فأهمني شأنهما ؛ فأوحي إلي في المنام أن انفخهما ، فنفختهما فطارا ، فأولتهما كذابين يخرجان بعدي : أحدهما العنسي ، والآخر مسيلمة» .

- [٤٠٨٦] حدثني إسحاق بن نصر ، قال : نا عبدالرزاق ، عن معمر ، عن همام ، أنه سمع أبا هريرة يقول : قال رسول الله ﷺ : **«بينا أنا نائم فأُتيت بخزائن الأرض ، فوُضِع في كفَّيَّ سوَارين من ذهب ، فكَبُرا عليَّ ، فأوحَىٰ الله إليَّ أن انفخهما ، فنفختهما فذهبا ، فأولتهما الكذَّابيْن اللذين أنا بينهما : صاحبَ صنعاءَ ، وصاحبَ اليمامة»** .

- [٤٠٨٧] نا الصلت بن محمد ، قال : سمعت مهدي بن ميمون ، قال : سمعت أبا رجاء العطاردي يقول : كنا نعبد الحجر ، فإذا وجدنا حجرا هو أخيرُ منه ألقيناه فأخذنا الآخر ، فإذا لم نجد حجرا جمعنا جثوة من تراب ، ثم جئنا بالشاة فحلبنا عليه ثم طفنا به ، فإذا دخل شهر رجب قلنا : مُنْصِلُ الأسِنَّة ، فلا ندع رمحا فيه حديدة ولا سهما فيه حديدة إلا نزعناه فألقيناه شهر رجب ، وسمعت أبا رجاء يقول : كنت يوم بُعِث النبيُّ ﷺ غلاما أرعى الإبل على أهلي ، فلما سمعنا بخروجه فررنا إلى النار ؛ إلى مسيلمة الكذاب .



هذا الباب في **«وفد بني حنيفة»** وهو حنيفة بن لجيم بن صعب بن عدي بن بكر بن وائل وهي قبيلة من العرب كبيرة شهيرة ينزلون باليمامة في نجد ، ووفد بني حنيفة كان في السنة التاسعة من الهجرة لكن قصة ثمامة رضي الله عنه كانت قبل ذلك لأن ثمامة رضي الله عنه أسلم قديما .

- [٤٠٨٤] ذكر المؤلف رحمه الله قصة ثمامة بن أثال لأنه من بني حنيفة وإلا فوفد بني حنيفة في السنة التاسعة من الهجرة وأما قصة ثمامة وأخذ الصحابة له هذا كان قديما قبل فتح مكة بمدة .

وجاء في هذا الحديث أن النبي ﷺ بعث خيلا قبل نجد قبل فتح مكة بزمان فجاءت برجل من بني حنيفة يقال له : ثمامة بن أثال وكان سيدا مطاعا ورئيسا في بني حنيفة قومه .

قوله : **«فربطوه بسارية من سواري المسجد»** فيه جواز ربط الأسير المشرك في المسجد ، وأنه لا بأس بدخول المشرك المسجد إذا احتاج إلى ذلك كشرب ماء وما أشبه ذلك فلا حرج ،

إنما الممنوع دخول المشرك مكة، لقول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَا﴾ [التوبة: ٢٨] ومكة كلها مسجد، فكل الذي داخل الحرم يسمى مسجدا؛ لقول الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ﴾ [الحج: ٢٥] يعني: يصدون عن دخول مكة.

وهناك خط الآن يسميه العامة خط النصارى يأتي من طريق الطائف إلى جدة، فلا يمر بمكة، فغير المسلمين يمرون منه فيأتون من الطائف إلى جدة ولا يمرون بمكة.

أما المدينة، فلا بأس بدخول الكافر فيها وغيرها من المدن الأخرى يعني: لو دخل المسجد أو غيره فلا حرج، لكن لا ينبغي أن يؤمن الكافر على عمارة المسجد أو هندسة المسجد وما أشبه ذلك.

والحكمة في ربط ثمامة رضي الله عنه في مسجد النبي ﷺ ثلاثة أيام أن يسمع العلم ويسمع القرآن ويرى المصلين؛ ولذلك تأثر وصار هذا سببا في إسلامه رضي الله عنه.

قوله: **«إن تقتلني تقتل ذا دم»** يعني: ذا دم عظيم؛ لأنه رئيس في قومه له مكانته في المجتمع، **«وإن تنعم تنعم على شاكر»** دليل على أنه يقدر المعروف **«وإن كنت تريد المال فسل منه ما شئت»** لأنه سيد قومه عنده مال كثير، فتركه النبي ﷺ وسأله في اليوم الثاني والثالث وهو ثابت على مقالته؛ فعرف بذلك النبي ﷺ أنه رجل عاقل شاكر يقدر الأمور، وتوسم فيه الخير فأمر بإطلاقه، فقال: **«أطلقوا ثمامة فانطلق إلى نخل قريب من المسجد فاغتسل ثم دخل المسجد»**، فيه دليل على استحباب الاغتسال للإسلام لإقرار النبي ﷺ ثمامة رضي الله عنه على ذلك وليس بواجب، لأنه لما فتحت مكة أسلم جم غفير ولم يأمرهم النبي ﷺ بالاغتسال وكذلك ثمامة رضي الله عنه ما أمره النبي ﷺ بالاغتسال فقد فعل ذلك من نفسه.

وقوله: **«أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله»** فيه: دليل على أن الدخول في الإسلام إنما يكون بالشهادتين الشهادة لله تعالى بالوحدانية والشهادة للنبي ﷺ بالرسالة وهو أول واجب على المكلف.

وفيه: الرد على أهل الكلام من الأشاعرة وغيرهم الذين يقولون أول واجب الشك فيما حولك، ثم تنتقل من الشك إلى اليقين وبعضهم قالوا: إن أول واجب النظر والتأمل حتى

تصل إلى اليقين ، وهذا باطل فأول واجب على الإنسان الشهادتان ويؤيد هذا أن النبي ﷺ لما بعث معاذا إلى اليمن قال : **«إنك تأتي قوما أهل كتاب فليكن أول ما تدعوهم إليه شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله»**(١) .

وبالإسلام تتغير الأمور ويتغير مجرى حياة الإنسان وأفكاره فالإسلام ينقل الإنسان من الأفكار المنحرفة إلى الفكر السليم ولذلك قال ثمامة : **«والله ما كان على الأرض وجه أبغض إلي من وجهك»** لما كان على الكفر أما بعد الإسلام قال : **«أصبح وجهك أحب الوجوه إلي»** وقال : **«والله ما كان من دين أبغض إلي من دينك»** لما كان على الكفر **«فأصبح دينك أحب الدين إلي»** أي : بعد إسلامه ، وقال : **«والله ما كان من بلد أبغض إلي من بلدك»** لما كان على الكفر **«فأصبح بلدك أحب البلاد إلي»** أي : بعد إسلامه .

ومثال ذلك النصارى الذين أسلموا حديثًا فبعض القسيسين كانوا دعاة ليل نهار إلى النصرانية ثم بعد ذلك لما أسلموا تغيرت أحوالهم وصار لهم نشاط في الإسلام ولهم قوة في دين الله ، فهكذا يصنع الإسلام .

وقوله : **«وإن خيلك أخذتني وأنا أريد العمرة فماذا ترى؟ فبشره النبي ﷺ ، وأمره أن يعتمر»** فيه دليل على أن الكافر إذا عزم على فعل خير ثم أسلم يفعله ، وإذا نذر شيئا يقضيه ، فإن عمر قال : يا رسول الله إني نذرت أن أعتكف ليلة في المسجد الحرام في الجاهلية فقال النبي ﷺ : **«أوف بنذرك»**(٢) .

فلما قدم ثمامة مكة معتمرا عيره كفار قريش ، وقال له قائل : **«صبوت؟»** يعني : خرجت من دينك فهكذا ينبزون من أسلم ويقولون : صابئ ، فرد عليه ثمامة رضي الله عنه قال : **«لا ، ولكن أسلمت مع محمد رسول الله»** ثم عاقبهم فقال : **«ولا والله لا تأتيكم من اليمامة حبة حنطة حتى يأذن فيها النبي ﷺ»** كأنه فرض عليهم حصارا اقتصاديا ؛ لأن أهل مكة ما عندهم حبوب فهم في واد غير ذي زرع فتأتيهم الحنطة من نجد .

---

(١) أحمد (١/ ٢٣٣) ، والبخاري (١٣٩٥) ، ومسلم (١٩) .

(٢) أحمد (١/ ٣٧) ، والبخاري (٢٠٤٣) ، ومسلم (١٦٥٦) .

وفعل ثمامة رضي الله عنه بمنع الحنطة يستدل به على مقاطعة الكفار، فلا شك أن مقاطعة الكفار لها تأثير كبير، وقد حاصر الكفار المسلمين قديما لما حاصروا النبي ﷺ وبني هاشم في شعب ثلاث سنوات وقاطعوهم: لا يبيعونهم ولا يناكحونهم ولا يكلمونهم حتى يسلموا النبي ﷺ، فكما يحاصر الكفار المسلمين ويقاطعونهم فكذلك المسلمون يقاطعونهم؛ لأن العداوة بين المسلمين والكفار قائمة.

• [٤٠٨٥] هذا الحديث في «**وفد بني حنيفة**» كان هذا في السنة التاسعة من الهجرة.

قوله: «**قدم مسيلمة الكذاب على عهد النبي ﷺ**» يعني: مع وفد بني حنيفة، وكان في أول ظهوره وادعائه النبوة.

قوله: «**إن جعل لي محمد من بعده تبعته**» يعني: إن جعل لي الخلافة بعده تبعته الآن وإذا لم يجعل لي الخلافة بعده فلا أتبعه.

قوله: «**وقدمها في بشر كثير من قومه**» يعني: وفد بني حنيفة.

قوله: «**فأقبل إليه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس**» وكان ثابت رضي الله عنه خطيب النبي ﷺ كان يخطب بين يديه إذا جاءت الوفود، وكان يرفع صوته، ولما نزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] خاف ثابت؛ لأنه يرفع صوته بين يدي النبي ﷺ فجلس في بيته، وقال: إنه من أهل النار وإنه حبط عمله فسأل عنه النبي ﷺ فأخبروه، فقال: «**قولوا له إنه من أهل الجنة وليس من أهل النار**»(١)، وهذه بشارة وشهادة من النبي ﷺ لثابت بن قيس؛ وذلك لأنه إنما رفع صوته مضطرا حتى يسمعه الناس فكونه يرفع صوته بين يدي النبي ﷺ ليس منهيا عنه؛ إنما النهي عن الذي يرفع صوته فوق صوت النبي من باب الكلام، أما الذي يخطب الناس فهذا مستثنى للحاجة.

قوله: «**لو سألتني هذه القطعة ما أعطيتكها**» بيان لتحقيره، يعني: كيف أجعل الخلافة لك وأنت كذاب تدعي النبوة.

---

(١) أحمد (٣/ ١٣٧)، والبخاري (٣٦١٣)، ومسلم (١١٩).

قوله : «**ولن تعدُ أمر الله فيك**» يعني : مسيلمة .

قوله : «**ولئن أدبرت ليعقرنك الله**» هذا تهديد له .

قوله : «**وإني لأراك الذي أريت فيه ما رأيت**» يعني : ما أريت في المنام لأنه رأى في المنام مسيلمة الكذاب والأسود العنسي .

قوله : «**إنك أرى الذي أريت فيه ما رأيت**» يعني : رؤيا المنام .

قوله : «**بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب ، فأهمني شأنهما ؛ فأوحي إلي في المنام أن انفخهما**» انفخهما نفخ ينفُخ بضم الفاء سماعا وأما القياس انفَخهما نفخ ينفَخ كفتح يفتح ، والقاعدة أن الفعل إذا كان ثالثه حرف حلق فإنه يفتح ثانيه في الأمر والمضارع .

قوله : «**فأهمني شأنهما**» يعني : عظما علي وشقا علي .

وفيه : أن رؤيا الأنبياء وحي .

قوله : «**فأولتهما كذابين يخرجان بعدي أحدهما العنسي والآخر مسيلمة**» الأسود هو العنسي في اليمن ، ومسيلمة هو الكذاب الذي خرج في نجد .

• [٤٠٨٦] قوله : «**سوارين من ذهب**» لعل السر في كونه رآهما سوارين من ذهب أن الذهب له لمعان فكذلك هذان الكذابان عندهما بريق يموهان به على الناس حتى راج أمرهما ثم تبين حالهما وزال لبسهما .

قوله : «**فأولتهما الكذابين اللذين أنا بينهما صاحب صنعاء وصاحب اليمامة**» فالمدينة بين اليمن وبين نجد ، فالرسول ﷺ بين الأسود العنسي صاحب صنعاء ومسيلمة في نجد صاحب اليمامة .

وهذا الحديث فيه : أن لبس الذهب في المنام يئول بشر يكون ويحصل ، وإن نفخه حتى يطير دليل على زوال هذا الشر .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «ويؤخذ منه أن السوار وسائر أنواع الحلي اللائقة بالنساء تعبر للرجال بما يسوؤهم ولا يسرهم» .

• [٤٠٨٧] قوله : «**كنا نعبد الحجر**» يعني : في الجاهلية .

وقوله : «**فإذا وجدنا حجرا هو أخير منه ألقيناه فأخذنا الآخر**» هذا من جهلهم المطبق ، يعبدون الحجر ، فإذا وجدوا حجرًا أحسن منه رموا الحجر الأول ، وعبدوا الحجر الجديد .

قوله : «**فإذا دخل شهر رجب قلنا : منصل الأسنة فلا ندع رمحا فيه حديدة ولا سهما فيه حديدة إلا نزعناه فألقيناه شهر رجب**» مبالغة في عدم القتال في الأشهر الحرم تعظيما لها حتى لا يقاتلوا .

قوله : «**فلما سمعنا بخروجه**» كأن المراد فتح مكة .

قوله : «**فررنا إلى النار ؛ إلى مسيلمة الكذاب**» يعني : أن اتباع مسيلمة يوصل إلى النار هربوا من الإسلام إلى مسيلمة ثم من الله عليهم بالإسلام بعد ذلك .

والشاهد لمجيء هذا الحديث في الترجمة ذكر مسيلمة الكذاب الذي هو من بني حنيفة .

❋ ❋ ❋

المَتْنُ

[٧١/ ٥٥] قصة الأسود العنسي

• [٤٠٨٨] حدثني سعيد بن محمد الجرمي، قال: نا يعقوب بن إبراهيم، قال: نا أبي، عن صالح، عن ابن عبيدة بن نَشِيطٍ - وكان في موضع آخر اسمه عبدالله - أنَّ عبيدالله بن عبدالله بن عتبة قال: بلغَنا أن مسيلِمة الكذَّابَ قدم المدينة، فنزل في دار بنت الحارث، وكان تحته ابنة الحارث بن كريز وهي أم عبدالله بن عامر، فأتاه رسول الله ﷺ ومعه ثابت بن قيس بن شماس - وهو الذي يقال له: خطيب رسول الله ﷺ - وفي يد رسول الله ﷺ قضيب، فوقف عليه فكلمه، فقال له مسيلمة: إن شئتَ خليتَ بيننا وبين الأمر، ثم جعلتَه لنا بعدك، فقال النبي ﷺ: **«لو سألتني هذا القضيبَ ما أعطيتُكه، وإني لأُراك الذي أُريت فيه ما أُريت، وهذا ثابت بن قيس وسيجيبك عني»**، فانصرف النبي ﷺ.

• [٤٠٨٩] قال عبيدالله بن عبدالله: سألت عبدالله بن عباس عن رؤيا رسول الله ﷺ التي ذَكَر، فقال ابن عباس: ذُكِر لي أن النبي ﷺ قال: **«بينا أنا نائم أُريتُ أنه وُضِع في يديَّ إسْواريْن مِن ذهبٍ، ففَظِعْتُها وكَرِهْتُها فأُذن لي، فنفختُها فطارا، فأوَّلْتُها كذَّابيْن يَخرُجان»**، فقال عبيدالله: أحدهما العنسيُّ الذي قتله فَيْرُوزُ باليمن، والآخر مسيْلِمةُ الكذَّابُ.

الشَّرْحُ

• [٤٠٨٨] قوله: **«عن ابن عبيدة بن نشيط وكان في موضع آخر اسمه عبدالله»** يعني: اسمه عبد الله بن عبيدة في موضع آخر لكن هنا أبهم الاسم فقال: ابن عبيدة.

• [٤٠٨٩] قوله: **«ففظعتها وكرهتها»** يعني: اشتد علي الأمر، وعلمت أن الأمر فظيع يعني: كيف يكون في يدي سواران من ذهب وهي للنساء وذلك في النوم، والأقرب أن المعنى أنه ﷺ أصابته فظاعة، هذا محتمل.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «قوله : **«ففظعتهما وكرهتهما»** بفاء وظاء مشالة مكسورة» ضبطه القسطلاني بالضمة، وظاهره أنه بالفتح .

قوله : **«أحدهما العنسي الذي قتله فيروز باليمن والآخر مسيلمة الكذاب»** والذي قتل مسيلمة وحشي بن حرب رضي الله عنه الذي قتل حمزة رضي الله عنه عم النبي ﷺ .

ومناسبة ذكر هذا الحديث في هذه الترجمة تضمنه ذكر الأسود العنسي ، فكأن المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ ما وجد حديثًا على شرطه يخص الأسود العنسي فأتى بقصة مسيلمة .

* * *

المتن

[٧٢/ ٥٥] قصة أهل نجران

• [٤٠٩٠] حدثني عباس بن الحسين، قال: نا يحيىٰ بن آدم، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن صلة بن زفر، عن حذيفة قال: جاء السَّيد والعاقب صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يُلاعِناهُ، فقال أحدهما لصاحبه: لا تفعل، فوالله لئن كان نبيًا فلاعنًا لا نفلحُ نحن ولا عقبُنا من بعدنا، قالا: إنا نعطيك ما سألتنا، وابعث معنا رجلا أمينا، ولا تبعث معنا إلا أمينا، فقال: **«لأبعثن معكم رجلا أمينا حق أمين، حق أمين»**، فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ، فقال: **«قم يا أبا عبيدة بن الجراح»**، فلما قام قال رسول الله ﷺ: **«هذا أمين هذه الأمة»**.

• [٤٠٩١] حدثني محمد بن بشار، قال: نا محمد بن جعفر، قال: نا شعبة، قال: سمعت أبا إسحاق، عن صلة بن زفر، عن حذيفة قال: جاء أهل نجران إلى النبي ﷺ، فقالوا: ابعث لنا رجلا أمينا، فقال: **«لأبعثن إليكم رجلا أمينا حق أمين»**، فاستشرف لها الناس، فبعث أبا عبيدة بن الجراح.

• [٤٠٩٢] نا أبو الوليد، قال: نا شعبة، عن خالد، عن أبي قلابة، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: **«لكل أمة أمينٌ، وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»**.



هذه الترجمة في **«قصة أهل نجران»** لما وفدوا على النبي ﷺ، ونجران الإقليم المعروف يقول فيه الشراح: إنه بلد كبير على سبع مراحل من مكة إلى جهة اليمن يشتمل على ثلاث وسبعين قرية مسيرة يوم للراكب السريع.

• [٤٠٩٠] قوله: **«جاء السَّيد والعاقب صاحبا نجران إلى رسول الله ﷺ يريدان أن يُلاعِناهُ»** بأن يباهلاه ثم عدلا عن ذلك وخافا فقال أحدهما لصاحبه: **«لا تفعل، فوالله لئن كان نبيًا فلاعنًا لا نفلح نحن ولا عقبنا من بعدنا»**.

الملاعنة والمباهلة هي أن يجتمع الفريقان المتخاصمان بأبنائهم ونسائهم فيدعون على الكاذب، كما قال الله تعالى في كتابه في قصة وفد نجران: ﴿**فَقُلْ تَعَالَوْا نَدْعُ أَبْنَآءَنَا**

وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [آل عمران: ٦١] فيعاجل الكاذب بالعقوبة ولا يعيش أكثر من سنة، وقال بعض العلماء: يعيش أقل من شهر أو شهرين.

وقوله: «**إنا نعطيك ما سألتنا**» يعني: من الجزية.

وقوله: «**فاستشرف لها أصحاب رسول الله ﷺ**» استشرف أصحاب النبي ﷺ رغبة في هذا الوصف «**لأبعثن معكم رجلا أمينا حق أمين**» وليس رغبة في الولاية، فكل واحد منهم يتمنى أن يكون له هذا الوصف من النبي ﷺ.

وقوله: «**هذا أمين هذه الأمة**» هذه منقبة لأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قوله: «**إنا نعطيك ما سألتنا**» وفي رواية يونس بن بكير: «**أنه صالحهم على ألفي حلة ألف في رجب وألف في صفر ومع كل حلة أوقية**»[(١)]».

يعني: صالحوا النبي ﷺ بأن يدفعوا ألفي حلة وألفي أوقية والحلة ثوب مكون من قطعتين.

ثم قال رحمه الله: «وفي قصة أهل نجران من الفوائد أن إقرار الكافر بالنبوة لا يدخله في الإسلام حتى يلتزم أحكام الإسلام، وفيها جواز مجادلة أهل الكتاب وقد تجب إذا تعينت مصلحته وفيها مشروعية مباهلة المخالف إذا أصر بعد ظهور الحجة، وقد دعا ابن عباس إلى ذلك ثم الأوزاعي، ووقع ذلك لجماعة من العلماء، ومما عرف بالتجربة أن من باهل وكان مبطلا لا تمضي عليه سنة من يوم المباهلة، ووقع لي ذلك مع شخص كان يتعصب لبعض الملاحدة فلم يقم بعدها غير شهرين، وفيه مصالحة أهل الذمة على ما يراه الإمام من أصناف المال ويجري ذلك مجرى ضرب الجزية عليهم، فإن كلا منهما مال يؤخذ من الكفار على وجه الصغار في كل عام، وفيها بعث الإمام الرجل العالم الأمين إلى أهل الهدنة في مصلحة الإسلام، وفيها منقبة ظاهرة لأبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه. وقد ذكر ابن إسحاق أن النبي ﷺ بعث عليا إلى أهل نجران ليأتيه بصدقاتهم وجزيتهم»[(٢)].

---

(١) أبو داود (٣٠٤١).

(٢) انظر «الروض الأنف» للسهيلي (٤/ ٣٨٢).

• [٤٠٩١] قوله: «**لأبعثن إليكم رجلا أمينا حق أمين**» يعني: أمينا حقا فقدم الوصف على الموصوف.

• [٤٠٩٢] قوله: «**وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح**» فيه منقبة ومزية لأبي عبيدة ﷺ، وهذا الحديث أصل في بعث السفراء.

* * *

المتن

[٧٣/ ٥٥] قصة عمان والبحرين

• [٤٠٩٣] حدثنا قتيبة بن سعيد، قال: نا سفيان، سمع ابنُ المنكدر جابرَ بن عبدالله يقول: قال لي رسول الله ﷺ: **«لو قد جاء مال البحرين لقد أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا»** ثلاثا، فلم يقْدَم مال البحرين حتىٰ قُبض رسول الله ﷺ، فلما قدم علىٰ أبي بكر أمر مناديا فنادىٰ: من كان له عند النبي ﷺ دين أو عِدَة فليأتني، قال جابر: فجئت أبا بكر فأخبرته أن النبي ﷺ قال: **«لو جاء مال البحرين أعطيتك هكذا وهكذا»** ثلاثا، قال: فأعطاني، قال جابر: فلقيت أبا بكر بعد ذلك، فسألته فلم يعطني، ثم أتيته فلم يعطني، ثم أتيته الثالثة فلم يعطني، فقلت له: قد أتيتك فلم تعطني، ثم أتيتك فلم تعطني، ثم أتيتك فلم تعطني، فإما أن تعطيني وإما أن تبخل عني، فقال: أقُلْتَ تبخل عني؟ وأي داء أدوأُ من البخل! - قالها ثلاثا، ما منعتُك من مرة إلا أنا أريد أن أعطيَك.

• [٤٠٩٤] وعن عمرو، عن محمد بن علي، سمعت جابر بن عبدالله يقول: جئتُه فقال لي أبو بكر: عدها، فعددتها فوجدتها خمسمائة، فقال: خذ مثلها مرتين.

الشرح

• [٤٠٩٣] هذا الحديث في **«قصة عمان والبحرين»** ولم يجد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ علىٰ شرطه إلا هذا الحديث لهذه الترجمة، وهذا الحديث مع حديث: **«وإذا وعد أخلف»**[1] أصل في الوفاء بالوعد؛ فالنبي ﷺ وعد جابرا رضي الله عنه قال: **«لو قد جاء مال البحرين لقد أعطيتك هكذا وهكذا وهكذا ثلاثا»**، لكن توفي النبي ﷺ قبل أن يجيء مال البحرين، ثم جاء مال البحرين في زمن أبي بكر رضي الله عنه، وكان أبو بكر رضي الله عنه يقضي ديون وعدات النبي ﷺ، فقال: **«من كان له عند النبي ﷺ دين أو عدة فليأتني»** فجاءه جابر رضي الله عنه وقال له: لي وعد من النبي ﷺ أنه إذا جاء مال البحرين أعطاني ملء الكف ثلاث مرات، وكأن أبا بكر رضي الله عنه انشغل عنه في أول الأمر فسأله جابر رضي الله عنه ثلاث مرات ثم قال: **«فإما أن**

(١) أحمد (٢/ ١٨٩)، والبخاري (٣٣)، ومسلم (٥٩).

تعطيني وإما أن تبخل عني» فكبر ذلك على أبي بكر ﵁ قال: **«أي داء أدوأ من البخل؟»** يعني: أنت تقول إني أبخل عنك هذا لا يمكن أنا ما منعتك إلا لأعطيك، ثم أعطاه ثلاث مرات.

- [٤٠٩٤] قوله: **«خذ مثلها مرتين»** يعني لما قال أبوبكر لجابر ﵄: خذ ملء كفيك، فأخذها فعدها، فوجدها خمسمائة، قال له: **«خذ مثلها مرتين»** فأخذ ألفا وخمسمائة إنجازا لوعد النبي ﷺ.

* * *

المتن

[٧٤/ ٥٥] قدوم الأشعريين وأهل اليمن

وقال أبو موسى، عن النبي ﷺ: «**هم مني وأنا منهم**».

• [٤٠٩٥] نا عبدالله بن محمد وإسحاق بن نصر، قالا: نا يحيى بن آدم، قال: نا ابن أبي زائدة، عن أبيه، عن أبي إسحاق، عن الأسود بن يزيد، عن أبي موسى قال: قدمت أنا وأخي من اليمن، فمكثنا حينا ما نرى ابن مسعود وأمَّه إلا من أهل البيت؛ من كثرة دخولهم ولزومهم له.

• [٤٠٩٦] نا أبو نعيم، قال: نا عبدالسلام، عن أيوب، عن أبي قلابة، عن زهدمٍ قال: لما قدم أبو موسى أكرم هذا الحي من جرم وإنا لجلوس عنده وهو يتغدى دجاجًا، وفي القوم رجل جالس فدعاه إلى الغداء، فقال: إني رأيته يأكل شيئا فقذرته، قال: هلم، فإني رأيت النبي ﷺ يأكله، فقال: إني حلفت ألا آكله، فقال: هلم أخبرك عن يمينك، إنا أتينا النبي ﷺ نفر من الأشعريين، فاستحملناه فأبى أن يحملنا، فاستحملناه فحلف أن لا يحملنا، ثم لم يلبث النبي ﷺ أن أتي بنهب إبل، فأمر لنا بخمس ذود، فلما قبضناها قلنا: تغفلنا النبي ﷺ يمينه، لا نفلح بعدها أبدا، فأتيته فقلت، يا رسول الله، إنك حلفت أن لا تحملنا وقد حملتنا، قال: «**أجل، ولكن لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا أتيت الذي هو خير منها**».

• [٤٠٩٧] حدثني عمرو بن علي، قال: نا أبو عاصم، قال: نا سفيان، قال: نا أبو صخرة جامع بن شداد، قال: نا صفوان بن مُحْرِزٍ المازني، قال: نا عمران بن حصين قال: جاءت بنو تميم إلى رسول الله ﷺ، فقال: «**أبشروا يا بني تميم**»، قالوا: أما إذا بشرتنا فأعطنا، فتغير وجه رسول الله ﷺ، فجاء ناس من أهل اليمن فقال: «**اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها** بنو تميم». قالوا: قد قبلنا يا رسول الله.

• [٤٠٩٨] نا عبدالله بن محمد الجعفي، قال: نا وهب بن جرير، قال: نا شعبة، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن قيس بن أبي حازم، عن أبي مسعود، أن النبي ﷺ قال: «**الإيمان هاهنا** - فأشار بيده إلى اليمن - **والجفاء وغِلظ القلوب في الفدَّادين عند أصول أذناب الإبل، من حيث تطلُع قرنا الشيطان؛ ربيعةَ، ومُضرَ**».

• [٤٠٩٩] حدثني محمد بن بشار، قال: نا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن سليمان، عن ذكوان، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: **«أتاكم أهل اليمن، هم أرق أفئدة، وألين قلوبا، الإيمان يمان، والحكمة يمانية، والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل، والسكينة والوقار في أهل الغنم»**.

وقال غندر: عن شعبة، عن سليمان، سمعت ذكوان، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ.

• [٤١٠٠] نا إسماعيل، قال: حدثني أخي، عن سليمان، عن ثور بن زيد، عن أبي الغيث، عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: **«الإيمان يمان، والفتنة هاهُنا، هاهُنا يطلع قرن الشيطان»**.

• [٤١٠١] نا أبو اليمان، قال: أنا شعيب، قال: نا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: **«أتاكم أهل اليمن أضعف قلوبا، وأرق أفئدة، الفقه يمان، والحكمة يمان»**.

• [٤١٠٢] نا عبدان عن أبي حمزة، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة قال: كنا جلوسا مع ابن مسعود، فجاء خباب فقال: يا أبا عبدالرحمن، أيستطيع هؤلاء الشباب أن يقرءوا كما تقرأ؟ قال: أمَا إنك إن شئت أمرتُ بعضهم فيقرأ عليك، قال: أجل، قال: اقرأ يا علقمة، فقال زيد بن حُدير أخو زياد بن حدير: وتأمرُ علقمةَ أن يقرأ وليس بأقرئنا؟ قال: أمَا إنك إن شئت أخبرتك بما قال النبي صلى الله عليه في قومك وقومه، فقرأتُ خمسين آية من سورة مريم، وقال عبدالله: كيف ترى؟ قال: قد أحسن، قال عبدالله: ما أقرأ شيئا إلا وهو يقرؤه، ثم التفت إلى خباب وعليه خاتم من ذهب فقال: ألم يأن لهذا الخاتم أن يُلقَى؟ قال: أما إنك لن تراه عليَّ بعد اليوم، فألقاه.

رواه غندر عن شعبة.

الشرح

هذا الباب في ذكر **«قدوم الأشعريين وأهل اليمن»** وعطف أهل اليمن على الأشعريين من عطف العام على الخاص؛ لأن الأشعريين من أهل اليمن، وكان قدوم الأشعريين وأهل اليمن في فتح خيبر سنة سبع من الهجرة.

قوله: **«وقال أبو موسى، عن النبي ﷺ: هم مني وأنا منهم»** هذا معلق، وقد أتى به المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ مسندا في موضع آخر، وذلك أن النبي ﷺ قال: **«إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو

جمعوا ما معهم ثم اقتسموه بينهم؛ فهم مني وأنا منهم»[1] فهذا تحسين لفعلهم ومبالغة في اتفاقهم على الطاعة واتصال طريقهم، يعني أنهم يعطف بعضهم على بعض، ويواسي بعضهم بعضا، فإذا أرملوا في الغزو أو في السفر وقل طعامهم جمعوا ما عندهم، ثم يجعلونه في نطع، ثم يقتسمونه فيما بينهم بالسوية.

• [٤٠٩٥] قوله: **«قدمت أنا وأخي من اليمن، فمكثنا حينا ما نرى ابن مسعود وأمه إلا من أهل البيت؛ من كثرة دخولهم ولزومهم له»** في هذا منقبة لعبد الله بن مسعود وأمه، وملازمتهم للنبي ﷺ، فهم يدخلون على النبي ﷺ كأنهم من أهل البيت.

• [٤٠٩٦] في هذه القصة أن أبا موسى الأشعري رضي الله عنه كان عنده قوم جلوسا وهو يتغدى دجاجا، وفي القوم رجل جالس.

قوله: **«لما قدم أبو موسى أكرم هذا الحي من جرم»** يعني من قبيلة جرم، فدعاهم أبو موسى إلى الطعام **«وهو يتغدى دجاجًا»** فامتنع رجل فلم يأكل، وقال: **«إني رأيته يأكل شيئا فقذرته»** يعني لا أريد أن آكله من أجل ذلك، فقال له: **«هلم»** يعني تعال أقبل وكل؛ **«فإني رأيت النبي ﷺ يأكله»** يعني أن الرسول ﷺ كان يأكل الدجاج، فقال الرجل: **«إني حلفت ألا آكله»**، فقال له أبو موسى: **«هلم أخبرك عن يمينك»** يعني تعال أخبرك كيف تتصرف في يمينك، فإن اليمين لا تمنعك، كفر عن يمينك وكل.

قوله: **«إنا أتينا النبي ﷺ نفر من الأشعريين»** يعني أتينا النبي ﷺ نحن وجماعة من الأشعريين من اليمن.

قوله: **«فاستحملناه»** يعني: طلبنا منه إبلًا يحملنا عليها، وذلك في غزوة تبوك، فنحن فقراء نريد أن نجاهد مع النبي ﷺ لكن ليس عندنا شيء نحمل عليه.

قوله: **«فأبى أن يحملنا، فاستحملناه فحلف أن لا يحملنا»** يعني: امتنع النبي ﷺ أن يحملنا، وفي لفظ آخر قال: **«وافقناه وهو غضبان»**[2]، وفي لفظ آخر أن النبي ﷺ قال: **«ما عندي ما أحملكم، والله لا أحملكم»**[3].

---

(١) البخاري (٢٤٨٦)، ومسلم (٢٥٠٠).
(٢) أحمد (٤/ ٤٠١)، والبخاري (٤٤١٥)، ومسلم (١٦٤٩).
(٣) أحمد (٤/ ٤٠١)، والبخاري (٥٥١٨)، ومسلم (١٦٤٩).

قوله : «**ثم لم يلبث النبي ﷺ أن أتي بنهب إبل**» والنهب : الشيء المأخوذ من الغنيمة ، يعني يسر الله للنبي ﷺ وجاءه إبل من الغنيمة ، «**فأمر لنا بخمس ذود**» يعني خمسًا من الإبل ، وفي لفظ : «**غر الذرى**»(١) يعني : أسنمتها بيض .

قوله : «**فلما قبضناها قلنا : تغفلنا النبي ﷺ يمينه لا نفلح بعدها أبدا**» يعني كيف حلف الرسول ما يحملنا وحملنا؟! يجب أن ننبه النبي ﷺ على يمينه إذا لم ننبهه على يمينه لا نفلح أبدا ، قال أبو موسى : «**فأتيته فقلت : يا رسول الله ، إنك حلفت أن لا تحملنا وقد حملتنا ، قال : أجل**» تقرير ، يعني أنه يذكر اليمين «**ولكن لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا أتيت الذي هو خير منها**» .

هذا فيه دليل على أن اليمين لا تمنع من فعل الخير ، وأن الإنسان إذا حلف ألا يأكل طعام فلان أو لا يزور فلانا من أقاربه فليس له أن يلج في يمينه ، بل عليه أن يكفر عن يمينه ويزور قريبه ويصل رحمه ، وفي اللفظ الآخر يقول النبي ﷺ : «**إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا كفرت عن يميني وأتيتها**»(٢) وفي لفظ آخر «**إلا فعلت الذي هو خير وتحللتها**»(٣) وسواء حلف ثم كفر أو كفر ثم حلف ، فالأمر في هذا واسع .

• [٤٠٩٧] في هذا الحديث حديث عمران بن حصين رضي الله عنه أنه لما جاء بنو تميم قال لهم النبي ﷺ : «**أبشروا**» قالوا : «**أما إذا بشرتنا فأعطنا ، فتغير وجه رسول ﷺ**» واعتبر أنهم لم يقبلوا البشرى ، فجاء ناس من أهل اليمن فقال : «**اقبلوا البشرى إذ لم يقبلها بنو تميم ، قالوا : قد قبلنا يا رسول الله**» فصار قبولهم وبالا على بني تميم حيث لم يقبلوا البشرى .

وهذه منقبة لأهل اليمن حيث قبلوا البشرى ، وفيه أن من بشر بشيء فقال : بشرتني فأعطني فإنه لم يقبل البشرى حيث استعجل ، وإنما عليه أن يقول : قبلت ، وينتظر البشرى ، ولا يستعجل ، سواء كانت البشرى في الدنيا أو في الآخرة .

• [٤٠٩٨] قوله : «**الإيمان هاهنا فأشار بيده إلى اليمن**» فيه منقبة لأهل اليمن ، «**والجفاء وغلظ القلوب في الفدّادين**» وذلك لما فيهم من الجفاء .

---

(١) أحمد (٤/ ٣٩٨) ، والبخاري (٣١٣٣) ، ومسلم (١٦٤٩) .
(٢) أحمد (٤/ ٤٠١) ، والبخاري (٦٦٢٣) ، ومسلم (١٦٤٩) .
(٣) أحمد (٤/ ٤٠١) ، والبخاري (٣١٣٣) ، ومسلم (١٦٤٩) .

قوله : «**ربيعة ومضر**» قبيلتان مشهورتان بالجفاء ، وكذلك الأعراب فيهم الجفاء إلا من تفقه منهم وتعلم ، قال الله تعالى : ﴿**ٱلْأَعْرَابُ أَشَدُّ كُفْرًا وَنِفَاقًا وَأَجْدَرُ أَلَّا يَعْلَمُوا۟ حُدُودَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ**﴾ [التوبة : ٩٧] .

• [٤٠٩٩] قوله : «**أتاكم أهل اليمن ، هم أرق أفئدة ، وألين قلوبا ، الإيمان يمان ، والحكمة يمانية**» هذا فيه منقبة لأهل اليمن .

قوله : «**والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل ، والسكينة والوقار في أهل الغنم**» هذا ملاحظ مشاهد ، فأصحاب الإبل عندهم فخر وخيلاء وجفاء ، ويحتقرون أهل الغنم ، والذين يرعون الغنم عندهم سكينة وتواضع ؛ فالإنسان يستفيد من أخلاق من يخالط ، هؤلاء لما كانوا يخالطون الإبل ، والإبل فيها قوة وشيطنة صار فيهم الفخر والخيلاء ، والذين يخالطون الغنم صار فيهم الوداعة والسكينة والتواضع .

• [٤١٠٠] قوله : «**حدثنا إسماعيل ، قال : حدثني أخي ، عن سليمان ، عن ثور بن زيد**» ، هو المدني من رجال الشيخين ، وأما ثور بن يزيد الشامي فمن رجال البخاري فقط ، والأول أوثق .

قوله : «**الإيمان يمان ، والفتنة هاهنا ، هاهنا يطلع قرن الشيطان**» وأشار إلى المشرق ، وهو يشمل المشرق الأعلى والمشرق الأدنى ، والمشرق الأعلى : الترك والعراق وخراسان ، وحصلت فيه فتنة التتار وفتنة الرافضة والخوارج ، والمسيح الدجال يخرج بين الشام والعراق ، ويأجوج ومأجوج يخرجون من جهة الشرق ، كل فتنة من جهة الشرق ، والمشرق الأدنى : شرق المدينة نجد ، وحصلت فيه فتنة مسيلمة وبني حنيفة وسجاح ، وكذلك ربيعة ومضر من الشرق الأدنى وهم شر في الجفاء وعدم الاستجابة لله ولرسوله .

وقول النبي ﷺ : «**الإيمان يمان**» ، «**والحكمة يمانية**»(١) وقوله أيضًا : «**الفخر والخيلاء في أصحاب الإبل والسكينة والوقار في أهل الغنم**»(٢) ، ليس المراد كلهم ، فهذا وصف أغلبي لأهل اليمن في ذلك الوقت على عهدالنبي ﷺ ، فمن بقي على هذه الصفة بقي له هذا الوصف ، ومن خرج منها لم يكن كذلك .

---

(١) أحمد (٢/ ٢٣٥) ، والبخاري (٣٤٩٩) ، ومسلم (٥٢) .
(٢) أحمد (٢/ ٢٦٩) ، والبخاري (٤٣٨٨) ، ومسلم (٥٢) .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «**«الإيمان يمان»**، في رواية الأعرج التي بعدها: **«الفقه يمان»**[١]، وفي رواية ذكوان: **«والحكمة يمانية»**[٢]، وفي أولها وأول رواية ذكوان **«أتاكم أهل اليمن»**[٣]، وهو خطاب للصحابة الذين بالمدينة، وفي حديث أبي مسعود: **«والجفاء وغلظ القلوب في الفدادين»**[٤] إلخ، وفي رواية ذكوان عن أبي هريرة: **«والفخر والخيلاء في أصحاب الإبل»**، وزاد فيها: **«والسكينة والوقار في أهل الغنم»**[٥]، وزاد هنا في رواية أبي الغيث: **«والفتنة هاهنا حيث يطلع قرن الشيطان»** وهذا هو الحديث السادس، وسيأتي شرحه في **«كتاب الفتن»** إن شاء الله تعالى وتقدم شرح سائر ذلك في أول **«المناقب»** وفي **«بدء الخلق»**، وأشرت هناك إلى أن الرواية التي فيها **«أتاكم أهل اليمن»** ترد قول من قال: إن المراد بقوله **«الإيمان يمان»** الأنصار وغير ذلك».

يعني: بعضهم قال: **«الإيمان يمان»** المراد بهم الأنصار وهم الأوس والخزرج، فأصلهم يمانيون، كانوا يسكنون سبأ، فلما خرب السد تفرقوا، فبعضهم سكن المدينة، ومنهم من سكن الشام.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد ذكر ابن الصلاح قول أبي عبيد وغيره: إن معنى قوله: **«الإيمان يمان»** أن مبدأ الإيمان من مكة؛ لأن مكة من تهامة، وتهامة من اليمن، وقيل: المراد مكة والمدينة» وهذا قول أبي عبيد؛ ولهذا يسمى الركن اليماني لأنه جهة اليمن، والركن الشمالي يسمى الركن الشامي، كل ما كان عن يمين الكعبة وما كان وراء الكعبة وتهامة كلها يشمل اسم اليمن.

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقيل: المراد مكة والمدينة لأن هذا الكلام صدر وهو ﷺ بتبوك، فتكون المدينة حينئذ بالنسبة إلى المحل الذي هو فيه يمانية، والثالث واختاره أبو عبيد أن المراد بذلك الأنصار؛ لأنهم يمانيون في الأصل فنسب الإيمان إليهم لكونهم أنصاره، وقال ابن الصلاح: ولو تأملوا ألفاظ الحديث لما احتاجوا إلى هذا التأويل؛ لأن قوله:

---

(١) أحمد (٢/ ٢٧٧)، والبخاري (٤٣٩٠)، ومسلم (٥٢).
(٢) أحمد (٢/ ٢٥٢)، والبخاري (٤٣٨٨).
(٣) أحمد (٢/ ٣٨٠)، والبخاري (٤٣٨٨، ٤٣٩٠)، ومسلم (٥٢).
(٤) أحمد (٢/ ٤٠٧)، والبخاري (٣٣٠٢)، ومسلم (٥١).
(٥) أحمد (٢/ ٢٦٩)، والبخاري (٤٣٨٨).

«أتاكم أهل اليمن» خطاب للناس، ومنهم الأنصار؛ فيتعين أن الذين جاءوا غيرهم، قال: ومعنى الحديث وصف الذين جاءوا بقوة الإيمان وكماله ولا مفهوم له، قال: ثم المراد الموجودون حينئذ منهم لا كل أهل اليمن في كل زمان انتهى، ولا مانع أن يكون المراد بقوله: **«الإيمان يمان»** ما هو أعم مما ذكره أبو عبيد وما ذكره ابن الصلاح، وحاصله أن قوله: **«يمان»** يشمل من ينسب إلى اليمن بالسكنى وبالقبيلة، لكن كون المراد به من ينسب بالسكنى أظهر، بل هو المشاهد في كل عصر من أحوال سكان جهة اليمن وجهة الشمال، فغالب من يوجد من جهة اليمن رقاق القلوب والأبدان، وغالب من يوجد من جهة الشمال غلاظ القلوب والأبدان، وقد قسم في حديث أبي مسعود أهل الجهات الثلاثة: اليمن والشام والمشرق، ولم يتعرض للمغرب في هذا الحديث، وقد ذكره في حديث آخر فلعله كان فيه ولم يذكره الراوي إما لنسيان أو غيره والله أعلم.

وأورد البخاري هذه الأحاديث في الأشعريين؛ لأنهم من أهل اليمن قطعا، وكأنه أشار إلى حديث ابن عباس رضي الله عنهما: **«بينا رسول الله ﷺ بالمدينة إذ قال: الله أكبر، إذا جاء نصر الله والفتح، وجاء أهل اليمن نقية قلوبهم حسنة طاعتهم، الإيمان يمان، والفقه يمان، والحكمة يمانية»**[1] أخرجه البزار.

وقوله: **«يمانية»** يجوز تخفيف الياء وتشديدها، لكن التخفيف مع الألف أفصح.

ثم قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: **«يطلع عليكم أهل اليمن كأنهم السحاب هم خير أهل الأرض»**[2] الحديث أخرجه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبراني، وفي الطبراني من حديث عمرو بن عبسة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال لعيينة بن حصن رضي الله عنه: **«أي الرجال خير؟ قال: رجال أهل نجد قال: كذبت، بل هم أهل اليمن، الإيمان يمان»**[3] الحديث، وأخرجه أيضا من حديث معاذ بن جبل رضي الله عنه، قال الخطابي: قوله: **«هم أرق أفئدة وألين قلوبا»** أي لأن الفؤاد غشاء القلب، فإذا رق نفذ القول وخلص إلى ما وراءه، وإذا غلظ بعد وصوله إلى داخل، وإذا كان القلب لينا علق كل ما يصادفه».

---

(١) ابن حبان (١٦/ ٢٨٧)، وعزاه الهيثمي في «المجمع» (١٠/ ٥٥) للبزار.
(٢) أحمد (٤/ ٨٤)، وأبو يعلى (١٣/ ٣٩٨)، والبزار (٨/ ٣٥١)، والطبراني في «الكبير» (٢/ ١٢٩).
(٣) الطبراني في «مسند الشاميين» (٢/ ٨٩).

• [٤١٠١] هذا الحديث كسابقه فليس المراد كلهم ، فهذا وصف أغلبي لأهل اليمن في ذلك الوقت على عهدالنبي ﷺ ، فمن بقي على هذه الصفة بقي له هذا الوصف ، ومن خرج منها لم يكن كذلك .

• [٤١٠٢] الشاهد للترجمة أن علقمة نخعي منسوب إلى النخع ، وهي قبيلة مشهورة من اليمن ، واسم النخع حبيب بن عمرو بن علة ، وقيل له : النخع ؛ لأنه نخع عن قومه أي بعد ، وأهل اليمن قد أثنى عليهم النبي ﷺ قال : **«الإيمان يمان والحكمة يمانية»**(١) ، وزيد بن حدير من بني أسد ، وبنو أسد قد ذمهم النبي ﷺ(٢) مثل ما سبق : «أن جهينة وغيرها خير من بني أسد وغطفان» ، وهذا المدح لأهل اليمن وهذا الذم لبني أسد هو وصف أغلبيّ في الجملة لمن بقي على هذا الوصف دون من خرج عنه .

قوله : **«فقال زيد بن حدير أخو زياد بن حدير : وتأمر علقمةَ أن يقرأ وليس بأقرئنا؟ قال : أمَا إنك إن شئت أخبرتك بما قال النبي صلى الله عليه في قومك وقومه ، فقرأت خمسين آية من سورة مريم»** فيه أن خباب بن الأرت كان عليه خاتم من ذهب ، فأنكر عليه عبد الله بن مسعود وقال : **«ألم يأن لهذا الخاتم أن يُلقَى؟»** والظاهر أن خبابا كان قد خفي عليه النص بالنزع منه ، أو خفي عليه تحريمه ، أو كان يعتقد أن النهي ليس للتحريم ؛ ولهذا أنكر عليه عبد الله بن مسعود ؛ فقال : **«إنك لن تراه عليّ بعد اليوم»** .

وفي هذا الحديث منقبة لعبد الله بن مسعود ﷺ ، وحسن تأنيه في الموعظة والتعليم حتى في إنكاره على خباب ، فما قال : اخلعه ، كما يفعل بعض الناس ، أو قال : هذا حرام بأسلوب غليظ ، وإنما أتى بأسلوب لين قال : **«ألم يأن لهذا الخاتم أن يُلقَى؟»** .

وفيه أن الصحابة قد يخفى عليهم بعض الأحكام فإذا نبهوا عليها رجعوا .

* * *

(١) أحمد (٢/ ٢٣٥) ، والبخاري (٤٣٨٨) ، ومسلم (٥٢) .
(٢) أحمد (٢/ ٣٦٩) ، والبخاري (٣٥١٦) ، ومسلم (٢٥٢٢) .

المتن

[٧٥/ ٥٥] قصةُ دَوْسٍ والطفيلِ بن عَمرٍو الدوسِي

• [٤١٠٣] حدثنا أبو نعيم، قال: نا سفيان، عن ابن ذكوان، عن عبدالرحمن الأعرج، عن أبي هريرة قال: جاء الطفيل بن عمرو إلى النبي ﷺ فقال: إن دوسا قد هلكت؛ عصت وأبت، فادع الله عليهم، فقال: **«اللهم اهْدِ دوسًا، وأْتِ بهم»**.

• [٤١٠٤] حدثني محمد بن العلاء، قال: نا أبو أسامة، قال: نا إسماعيل، عن قيس، عن أبي هريرة قال: لما قدمت على النبي ﷺ قلت في الطريق:

يا ليلةً مِن طولها وعنائها ... على أنها مِن دارَةِ الكُفر نَجَّتِ

وأبق لي غلام في الطريق، فلما قدمت على النبي ﷺ فبايعته، فبينا أنا عنده إذ طلع الغلام، فقال لي النبي ﷺ: **«يا أبا هريرة، هذا غلامك»**، فقال: هو لوجه الله، فأعتقْتُه.

الشرح

ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الترجمة ما يتعلق بدوس ومن أسلم منها، وخص الطفيل بن عمرو؛ لأنه أول من أسلم بها، فقد كان الطفيل بن عمرو يحدث أنه قدم مكة ورسول الله ﷺ بها، فمشى إليه رجال من قريش، وكان الطفيل شاعرا لبيبا، فقالوا له: يا طفيل، إنك قدمت بلادنا وبين أظهرنا رجل قد فرق جماعتنا، وإنما قوله كالسحر يفرق بين الرجل وأبيه، وبين الرجل وأخيه، وبين الرجل وزوجته، ونحن نخشى عليك أن يفتنك، فإن دخل عليك فلا تكلمه ولا تسمع منه، قال: فوالله ما زالوا بي حتى أجمعت أن لا أسمع منه شيئًا، ولا أكلمه حتى حشوت أذني كرسفًا فرقا من أن أسمع قوله، قال: فغدوت إلى المسجد، فإذا رسول الله ﷺ عند الكعبة، قال: فقمت منه قريبًا فأبى الله إلا أن يسمعني بعض قوله، قال: سمعت كلاما حسنا، قال: فقلت في نفسي: والله إني لرجل لبيب شاعر، ما يخفى عليّ الحسن والقبيح، فإن كان الذي يأتي به حسنا قبلته، وإن كان قبيحا تركته، قال: فمكثت حتى إذا انصرف اتبعته، حتى إذا دخل بيته دخلت عليه، فقلت: يا محمد إن قومك قالوا لي كذا وكذا، فاعرض علي أمرك، فلما عرض عليه الإسلام وقرأ عليه القرآن أسلم[1].

---

(١) «السيرة» لابن إسحاق (٢/ ٢٢٦)، و«الطبقات» (٤/ ٢٣٨)، و«دلائل النبوة» للأصبهاني (١/ ٢١٢).

• [٤١٠٣] قوله : «جاء الطفيل بن عمرو إلى النبي ﷺ» هذا المجيء غير المجيء الأول الذي أسلم فيه ، بعد أن دعاهم للإسلام فأبوا «فقال : إن دوسا قد هلكت» أي : بسبب الكفر ؛ ولذا قال : «عصت وأبت» ، وفي اللفظ الآخر : «إن دوسا كفرت وأبت»(١) فالكفر هلاك ، وفي الحديث الآخر أن الطفيل قال : «عصت وأبت فادع الله عليها فقيل : هلكت دوس»(٢) أي : أن الصحابة الحضور هم الذين قالوا ذلك ؛ لأن النبي ﷺ رفع يده وهمَّ بالدعاء فظنوا أنه يدعو عليهم ، ومعلوم أن دعوته مستجابة ، فقال : «اللهم اهد دوسا ، وائت بهم» وهذا فيه رحمة النبي ﷺ ؛ حيث لم يدعُ عليهم بل دعا لهم بالهداية ، فكان ﷺ أرحم بهم من الطفيل الذي هو منهم وهم أهله وذووه ، وليس في هذا غرابة فهو نبي الرحمة ﷺ الذي قال الله تعالى فيه : ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ﴾ [الأنبياء : ١٠٧] .

وفيه أنه يدعى للكفار بالهداية إذا لم يتعرضوا للمسلمين بالأذى وأن هذا جائز كما دعا النبي ﷺ لدوس ، وإنما يدعى على الكافر إذا تعدى على المسلمين أو تعرض لهم بالأذى كما دعا النبي ﷺ على رعل وذكوان(٣) .

• [٤١٠٤] في هذا الحديث قصة مجيء أبي هريرة إلى النبي ﷺ وإسلامه ، وجاء بهذا الحديث في هذه الترجمة ؛ لأن أبا هريرة دوسي .

وفيه أيضًا فضل أبي هريرة ﷺ وفرحه بالإسلام ، حيث إنه تمثل بهذا البيت :

«يا ليلة من طولها وعنائها على أنها من دارة الكفر نجَّتِ»

فهو في سفره ومجيئه للنبي ﷺ حصل له عناء ومشقة ، ولكن فيها مصلحة عظيمة وهي أنها نجته من دار الكفر ، فتجشم المشاق والتعب ، ولكنه يرى أن ذلك عذبًا وحلوًا حيث إن العاقبة حميدة ، حيث إنه أسلم ونجاه الله من الكفر .

قوله : «وأبق لي غلام في الطريق» يعني : هرب منه عبد له .

---

(١) مسلم (٢٥٢٤) .
(٢) أحمد (٢/ ٥٠٢) ، والبخاري (٢٩٣٧) .
(٣) أحمد (٣/ ١٠٩) ، والبخاري (١٠٠٣) ، ومسلم (٦٧٧) .

قوله : «**هو لوجه الله**» هذه كناية عن أنه أعتقه ، والكناية لابد فيها من النية ، وفي هذا فضل أبي هريرة ﷺ وحسن خلقه وكرمه ودفعه السيئة بالحسنة ، حيث إنه قابل إباق عبده بالعتق ، وهناك بعض السادة إذا هرب منهم عبد ثم لقيوه أدبوه وضربوه ، لكن أبا هريرة قابله بالعتق ﷺ ، وهذه من صفات أولياء الله الكرماء كما قال الله تعالى : ﴿**وَلَا تَسْتَوِى ٱلْحَسَنَةُ وَلَا ٱلسَّيِّئَةُ ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ**﴾ [فصلت : ٣٤].

والإنسان إذا أسيء إليه فله أحوال :

الحال الأولى : أن يرد السيئة بسيئة مثلها وزيادة ، وهذا من الظلم .

الحال الثانية : أن يرد السيئة بسيئة مثلها فهذا قصاص ، وهو العدل .

الحال الثالثة : أن يقابلها بالعفو والسماح ، وهذا من الفضل .

الحال الرابعة : أن يقابلها بالعفو والزيادة والإحسان إليه كأن يعطيه عطية أو يهدي إليه هدية ، وهذه من الصفات التي لا يقدر عليها إلا الخواص من عباد الله ؛ ولهذا قال الله تعالى : ﴿**وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُواْ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ**﴾ [فصلت : ٣٥] .

* * *

المتن

[٧٦/ ٥٥] وفدُ طيِّئٍ وحديثُ عدي بن حاتم

• [٤١٠٥] حدثنا موسى بن إسماعيل، قال: نا أبو عوانة، قال: نا عبدالملك، عن عمرو بن حريث، عن عدي بن حاتم قال: أتينا عمر في وفد، فجعل يدعو رجلا رجلا يُسمِّيهم، فقلت: أما تعرفني يا أمير المؤمنين؟ قال: بلى، أسلمتَ إذ كفروا، وأقبلتَ إذ أدبروا، ووَفَيتَ إذ غدروا، وعرفت إذ أنكروا، فقال عدي: فلا أبالي إذن.

الشرح

قوله: **«وفد طيئ وحديث عدي بن حاتم»**، وعدي بن حاتم رضي الله عنه صحابي؛ لأنه جاء إلى النبي ﷺ وأسلم وورد هذا في حديث طويل[1]، وأما وفد طيئ الذي ذكره المؤلف فمتأخر، فهو في زمن عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

• [٤١٠٥] هذا الحديث فيه منقبة لعدي، وفيه أنهم لما قدموا على عمر في وفد **«فجعل يدعوهم رجلا رجلا يسميهم»** فلان بن فلان، حتى وصل إلى عدي بن حاتم، وكان سيدا مطاعا، فقال: **«أما تعرفني يا أمير المؤمنين؟ فقال: بلى،: أسلمتَ إذ كفروا، وأقبلتَ إذ أدبروا، ووَفَيتَ إذ غدروا، وعرفت إذ أنكروا»** وهذه صفات عظيمة، يعني: أسلمت حين كفر الناس، وأقبلت حين أدبر الناس وهربوا، ووفيت حين غدر الناس، وعرفت حين أنكر الناس.

قوله **«فقال عدي: فلا أبالي إذن»** أي: ما دام فيّ هذه الأوصاف فلا أبالي بشيء، ولا أريد غير هذا.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «يشير بذلك إلى وفاء عدي بالإسلام والصدقة بعد موت النبي ﷺ، وأنه منع من أطاعه من الردة» يعني: لما ارتدت العرب بعد وفاة النبي ﷺ منع عدي قومه من أن يرتدوا.

ثم قال رحمه الله: «وهذا مشهور عند أهل العلم، وقوله: **«فلا أبالي إذا»** يعني إذا كنت تعرف قدري فلا أبالي إذا قدّمتَ علي غيري» وذكر رواية عن البخاري أنه قال لعدي: حياك الله من معرفة.

---

(١) أحمد (٤/ ٣٧٧).

المتن

[٧٧/ ٥٥] حَجَّة الوداع

• [٤١٠٦] حدثنا إسماعيل بن عبدالله، قال: حدثني مالك، عن ابن شهاب، عن عروة بن الزبير، **عن عائشة** قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع، فأهللنا بعمرة، ثم قال رسول الله ﷺ: «**من كان معه هدي فَلْيُهْلِلْ بالحج مع العمرة، ثم لا يَحل حتى يحل منهما جميعا**»، فقدمت معه وأنا حائض، ولم أطف بالبيت ولا بين الصفا والمروة، فشكوت إلى رسول الله ﷺ فقال: «**انقضي رأسك وامتشطي، وأهلي بالحج ودعي العمرة**»، ففعلت، فلما قضينا الحج أرسلني رسول الله ﷺ مع عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق إلى التنعيم فاعتمرت، فقال: «**هذه مكان عمرتك**»، قالت: فطاف الذين أهلوا بالعمرة بالبيت وبين الصفا والمروة، ثم حلوا، ثم طافوا طوافا آخر بعد أن رجعوا من منى، وأما الذين جمعوا الحج والعمرة فإنما طافوا طوافا واحدا.

• [٤١٠٧] حدثني عمرو بن علي، قال: نا يحيى بن سعيد، قال: نا ابن جريج، قال: حدثني عطاء، عن ابن عباس: إذا طاف بالبيت فقد حل، فقلت: من أين؟ قال: هذا ابن عباس، قال: من قول الله: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٣٣]، ومن أمر النبي ﷺ أصحابه أن يحلوا في حجة الوداع، قلت: إنما كان ذلك بعد الْمُعَرَّف، قال: كان ابن عباس يراه قبلُ وبعدُ.

• [٤١٠٨] حدثني بيان، قال: نا النضر، قال: أنا شعبة، عن قيس، قال: سمعت طارقًا، عن أبي موسى الأشعري قال: قدمت على النبي ﷺ بالبطحاء، فقال: «**أحججت؟**» قلت: نعم، قال: «**كيف أهللت؟**» قلت: لبيك بإهلال كإهلال رسول الله ﷺ، قال: «**طف بالبيت وبالصفا والمروة، ثم حِلَّ**»، فطفت بالبيت وبالصفا وبالمروة، وأتيت امرأة من قيس ففَلَت رأسي.

• [٤١٠٩] حدثني إبراهيم بن المنذر، قال: نا أنس بن عياض، قال: نا موسى بن عقبة، عن نافع، **أن ابن عمر** أخبره، **أن حفصة** زوج النبي ﷺ أخبرته، أن النبي ﷺ أمر أزواجه أن يحللن عام حجة الوداع، فقالت حفصة: فما يمنعُك؟ قال: «**لبدتُ رأسي وقلدتُ هديي، فلستُ أَحِلُ حتى أنحر هديي**».

• [٤١١٠] نا أبو اليمان، قال: أنا شعيب، عن الزهري، ح. وقال محمد بن يوسف، نا الأوزاعي، قال: أخبرني ابن شهاب، عن سليمان بن يسار، عن ابن عباس، أن امرأة من خثعمَ استفتت رسول الله ﷺ في حجة الوداع، والفضلُ بن عباسٍ رديف رسول الله ﷺ، فقالت: يا رسول الله، إن فريضة الله على عباده أدركتْ أبي شيخا كبيرا لا يستطيعُ أن يستويَ على الراحلة، فهل يقضي أن أحج عنه؟ قال: **«نعم»**.

• [٤١١١] حدثني محمد، قال: نا سريج بن النعمان، قال: نا فليح، عن نافع، عن ابن عمر قال: أقبل النبي ﷺ عام الفتح وهو مردفٌ أسامةَ على القصواء، ومعه بلال وعثمان بن طلحة، حتى أناخ عند البيت، ثم قال لعثمان: **«ائتِنا بالْمِفْتَح»**، فجاءه بالْمِفتَح ففتَح له البابَ، فدخل النبي ﷺ وأسامة وبلال وعثمان ثم غلَّقُوا عليهم الباب، فمكُثَ نهارا طويلا، ثم خرج، فابتدر الناسُ الدخولَ فسبقتُهم، فوجدت بلالا قائما وراء الباب، فقلت له: أين صلى النبي ﷺ؟ فقال: صلى بين ذيْنِك العمودين المقدَّمين، وكان البيت على ستة أعمدة شطرين، صلى بين العمودين من الشطر المقدَّم، وجعل باب البيت خلف ظهره، واستقبل بوجهه الذي يستقبلُك حين تَلِجُ البيتَ بينه وبين الجدار، قال: ونسيت أن أسأله: كم صلى؟ وعند المكان الذي صلى فيه مَرْمَرَةٌ حمراءُ.

• [٤١١٢] نا أبو اليمان، قال: أنا شعيب، عن الزهري، قال: حدثني عروة بن الزبير وأبو سلمة بن عبدالرحمن، أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرتهما، أن صفية بنت حيي زوج النبي ﷺ حاضت في حجة الوداع، فقال النبي ﷺ: **«أحابستنا هي؟»** فقلت: إنها قد أفاضت يا رسول الله، وطافت بالبيت، فقال النبي ﷺ: **«فلْتَنفِر»**.

• [٤١١٣] نا يحيى بن سليمان، قال: حدثني ابن وهب، قال: حدثني عمر بن محمد، أن أباه حدثه، عن ابن عمر قال: كنا نتحدث بحجة الوداع والنبي ﷺ بين أظهرنا، فلا ندري ما حجة الوداع، فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر المسيح الدجال فأطنب في ذكره، وقال: **«ما بعث الله من نبي إلا أنذر أمته؛ أنذره نوح والنبيون من بعده، وإنه يخرج فيكم فما خفي عليكم من شأنه فليس يخفى عليكم، إن ربكم ليس على ما يخفى عليكم** -ثلاثا- **إن ربكم ليس بأعورَ، إنه أعورُ العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية، ألا إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في**

شهركم هذا، ألا هل بلغت»، قالوا: نعم، قال: «**اللهم اشهد** -ثلاثا- **ويلكم** - أو **ويحكم - انظروا لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض»**.

- [٤١١٤] نا عمرو بن خالد، قال: نا زهير، قال: نا أبو إسحاق، قال: حدثني زيد بن أرقم، أن النبي ﷺ غزا تسع عشرة غزوة، وأنه حج بعدما هاجر حجة واحدة لم يحج بعدها؛ حجةُ الوداع.

قال أبو إسحاق: وبمكة أخرىٰ.

- [٤١١٥] نا حفص بن عمر، قال: نا شعبة، عن علي بن مدرك، عن أبي زرعة بن عمرو ابن جرير، عن جرير، أن النبي ﷺ قال في حجة الوداع لجرير: «**استَنصِتْ ليَ الناسَ**»، فقال: «**لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**».

- [٤١١٦] حدثني محمد بن المثنىٰ، قال: نا عبدالوهاب، قال: نا أيوب، عن محمد، عن ابن أبي بكرة، عن أبي بكرة، عن النبي ﷺ قال: «**الزمان قد استدار كهيئته يوم خلَقَ السموات والأرض، السنةُ اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم؛ ثلاث متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر الذي بين جمادىٰ وشعبان، أي شهر هذا؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتىٰ ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «**أليس ذا الحجة؟**» قلنا: بلىٰ، قال: «**أي بلد هذا؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتىٰ ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «**أليس البلدةَ؟**» قلنا: بلىٰ، قال: «**فأي يوم هذا؟**» قلنا: الله ورسوله أعلم، فسكت حتىٰ ظننا أنه سيسميه بغير اسمه، قال: «**أليس يوم النحر؟**» قلنا: بلىٰ، قال: «**فإن دماءكم وأموالكم** - قال محمد: وأحسبه قال: **وأعراضكم - عليكم حرام، كحرمة يومكم هذا، في بلدكم هذا، في شهركم هذا، وستلقون ربكم فسيسألكم عن أعمالكم، ألا فلا ترجعوا بعدي ضلالا يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا ليبلغ الشاهد الغائب، فلعل بعض من يبلغه أن يكون أوعىٰ له من بعض من سمعه**»، فكان محمد إذا ذكره يقول: صدق النبي ﷺ، ثم قال: «**ألا هل بلغت**»، مرتين.

- [٤١١٧] نا محمد بن يوسف، قال: نا سفيان الثوري، عن قيس بن مسلم، عن طارق بن شهاب، أن أناسًا من اليهود قالوا: لو نزلت هذه الآية فينا لاتخذْنا ذلك اليومَ عيدًا، فقال

عمر : أيَّةُ آيةٍ؟ فقال : ﴿ ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي ﴾ [المائدة : ٣] ، فقال عمر : إني لأعلم أيَّ مكان أُنزلَتْ ؛ أُنزلَت ورسولُ الله ﷺ واقفٌ بعرفةَ .

• [٤١١٨] نا عبدالله بن مسلمة ، عن مالك ، عن أبي الأسود محمد بن عبدالرحمن بن نوفل ، عن عروة ، عن عائشة قالت : خرجنا مع رسول الله ﷺ ، فمِنَّا مَن أهلَّ بعمرة ، ومنا من أهل بحجة ، ومنا من أهل بحج وعمرة ، وأهل رسول الله ﷺ بالحج ، فأما من أهل بالحج ، أو جمع الحج والعمرة فلم يَحِلُّوا حتىٰ يومِ النحر .

• [٤١١٩] نا عبدالله بن يوسف ، قال : أنا مالك ، وقال : مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع .

• [٤١٢٠] نا إسماعيل ، قال : نا مالك ، مثله .

• [٤١٢١] نا أحمد بن يونس ، قال : نا إبراهيم بن سعد ، قال : نا ابن شهاب ، قال : نا عامر بن سعد ، عن أبيه ، قال : عادني النبي ﷺ في حجة الوداع من وجع أشفيت منه على الموت ، فقلت : يا رسول‌الله ، بلغ بي من الوجع ما ترىٰ ، وأنا ذو مال ولا ترثني إلا بنت لي واحدة ، فأتصدق بثلثي مالي؟ قال : «**لا**» ، قلت : أفأتصدق بشطره؟ قال : «**لا**» ، قلت : فالثلث؟ قال : «**والثلث كثير ، وإنك أن تذر ورثتك أغنياء خير من أن تذرهم عالة يتكففون الناس ، ولست تنفق نفقة تبتغي بها وجه الله إلا أجرت بها ؛ حتى اللقمة تجعلها في في امرأتك**» ، قلت : يا رسول‌الله ، أُخَلَّفُ بعد أصحابي ، قال : «**إنك لن تُخَلَّفَ فتعمل عملا تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة ، ولعلك تخلفُ حتىٰ ينتفعَ بك أقوام ويُضَرَّ بك آخرون ، اللهم أمضِ لأصحابي هجرتهم ، ولا تردَّهم علىٰ أعقابهم ، لكن البائسُ سعدُ بن خولة**» ، رَثَىٰ له رسول الله أن تُوُفِّيَ بمكةَ .

• [٤١٢٢] حدثني إبراهيم بن المنذر ، قال : نا أبو ضمرة ، قال : نا موسىٰ بن عقبة ، عن نافع ، أن ابن عمر أخبرهم ، أن رسول الله ﷺ حلق رأسه في حجة الوداع .

• [٤١٢٣] حدثنا عبيدالله بن سعيد ، قال : نا محمد بن بكر ، قال : نا ابن جريج ، قال : أخبرني موسىٰ بن عقبة ، عن نافع ، أخبره ابن عمر ، أن النبي ﷺ حلق في حجة الوداع وأناسٌ من أصحابه ، وقصَّر بعضُهم .

• [٤١٢٤] نا يحيى بن قزعة، قال: نا مالك، عن ابن شهاب، ح. وقال الليث: حدثني يونس، عن ابن شهاب، قال: حدثني عبيدالله بن عبدالله، أن ابن عباس أخبره، أنه أقبل يسير على حمار، ورسول الله ﷺ قائم بمنىً في حجة الوداع يصلي بالناس، فسار الحمار بين يدي بعض الصف، ثم نزل عنه فصف مع الناس.

• [٤١٢٥] نا مسدد، قال: نا يحيى، عن هشام، قال: حدثني أبي، قال: سُئل أسامة وأنا شاهد عن سير رسول الله ﷺ في حجته، فقال: العَنَق، فإذا وجد فجوة نَصَّ.

• [٤١٢٦] نا عبدالله بن مسلمة، عن مالك، عن يحيى بن سعيد، عن عَدي بن ثابت، عن عبدالله بن يزيدَ الْخَطْمِيِّ، أن أبا أيوب أخبره، أنه صلى مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع المغرب والعشاء جميعًا.

الشرح

قوله: «**حجة الوداع**» ذكرها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هنا في «**كتاب المغازي**»؛ لأن النبي ﷺ حج في آخر عمره، والحج نوع من الجهاد، فهذه مناسبة ذكرها هنا.

• [٤١٠٦] هذا الحديث في حجة الوداع في إهلالهم بالحج، قالت عائشة: «**خرجنا مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع، فأهللنا بعمرة، ثم قال رسول الله ﷺ: من كان معه هدي فليهلل بالحج مع العمرة، ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعا**» يعني: أن الذين ساقوا الهدي يهلون بالحج والعمرة جميعا، ولا يهلون بالعمرة وحدها؛ لأنهم ساقوا الهدي، كذا لا يتحلل حتى يذبح هديه، أما من لم يسق الهدي فإن النبي ﷺ أمرهم بأن يتحللوا[1] ولهذا قال: «**من كان معه هدي فليهلل بالحج مع العمرة، ثم لا يحل حتى يحل منهما جميعا**» يعني: يوم العيد.

قالت عائشة: «**فقدمت معه وأنا حائض، ولم أطف بالبيت ولا بين الصفا والمروة**»؛ لأنها حاضت بسرف، وسرف مكان قريب من مكة وهي أحرمت بالعمرة، «**فشكوت إلى رسول الله ﷺ**»، وفي اللفظ الآخر: «**أنه دخل عليها وهي تبكي قال: ما يبكيك أنفست؟**» يعني: حضت، والحيض يسمى نفاسًا، «**هذا شيء كتبه الله على بنات آدم**»[2].

---

(١) أحمد (٣/ ٢٩٢)، والبخاري (١٠٨٥)، ومسلم (١٢٤١).
(٢) أحمد (٣/ ٣٠٩)، والبخاري (٢٩٤)، ومسلم (١٢١١).

قوله : **«انفضي رأسك وامتشطي، وأهلي بالحج ودعي العمرة»** فيه استحباب نقض شعر رأس المرأة وامتشاطها لإهلالها بالحج بعد العمرة إذا حاضت قبل إكمال عمرتها، فعائشة أحرمت بالعمرة، ولكن جاء الحج وهي لم تطهر، فأمرها النبي ﷺ أن تغتسل للحج، وأن تنقض شعر رأسها، وأن تمتشط بالأصابع - لا بالمشط - لإهلالها؛ لأن المشط يقطع الشعر، فتمتشط للإهلال بالحج بعد العمرة إذا حاضت قبل إكمال عمرتها، وقوله : **«ودعي العمرة»** يعني : دعي أفعالها؛ لأنها أدخلت الحج على العمرة، وإلا فهي صارت قارنة يعني : حجا وعمرة.

قولها : **«فلما قضينا الحج أرسلني رسول الله ﷺ مع عبدالرحمن بن أبي بكر الصديق إلى التنعيم فاعتمرت، فقال : هذه مكان عمرتك»** فيه دليل على أن من أراد العمرة وهو من أهل مكة فإنه لا يحرم من مكة، بل يخرج خارج الحرم إلى التنعيم أو الجعرانة أو عرفة، أو أي مكان، ولو كان يجوز لعائشة أن تحرم من الحرم لما أمر النبي ﷺ أخاها أن يذهب بها إلى التنعيم في الليل، وهذا مخصص لحديث ابن عباس الذي فيه أن النبي ﷺ قال : **«يهل أهل المدينة من ذي الحليفة، وأهل الشام من الجحفة، وأهل اليمن من يلملم، وأهل نجد من قرن، ومن كان دون ذلك فمهله من أهله، حتى أهل مكة من مكة»**(١) يعني : يهلون بالحج من مكة، فعائشة حاضت وتركت أعمال العمرة مع حجتها، فمن كان حاله مثل حال عائشة فلا بأس أن يعتمر بعد الحج، قالت عائشة : فهذه عمرة أخرى غير العمرة التي دخلت بها مكة وأدخلت عليها الحج، والعمرتان اللتان حصلتا لعائشة بينهما مقدار عشرة أيام؛ لأنها أحرمت في الخامس والعشرين من ذي القعدة للعمرة، وأحرمت ليلة الرابع عشر يعني : مقامهم عشرة أيام في مكة.

قولها : **«فطاف الذين أهلوا بالعمرة بالبيت وبين الصفا والمروة، ثم حلوا، ثم طافوا طوافا آخر بعد أن رجعوا من منى»**، وفي اللفظ الآخر **«بعد أن رجعوا من منى لحجهم»**(٢) يعني : الذين أهلوا بالعمرة طافوا بالبيت وبالصفا والمروة ثم حلوا من عمرتهم، ثم أحرموا بالحج في اليوم الثامن، ثم طافوا طوافا آخر، والمراد بهذا الطواف السعي بين الصفا والمروة؛

---

(١) أحمد (١/ ٢٥٢)، والبخاري (١٥٢٦)، ومسلم (١١٨١).
(٢) أحمد (٦/ ٣٠)، والبخاري (١٥٥٦)، ومسلم (١٢١١).

لأن الطواف بالبيت بعد الرجوع من منى واجب على جميع الحجاج المفرد والقارن والمتمتع؛ ولذلك قالت - كما في الجملة التي بعدها: **«وأما الذين جمعوا الحج والعمرة فإنما طافوا طوافا واحدا»** والمراد بهذا الطواف أي بين الصفا والمروة، أي: سعوا سعيا واحدا.

فهاتان الجملتان دليل على أن القارن ليس عليه إلا طواف واحد للحج والعمرة، وهو الصواب، وأما المتمتع فإن عليه طوافين: طواف لعمرته، وطواف لحجه؛ لقول النبي ﷺ: **«دخلت العمرة في الحج إلى يوم القيامة»**[١]، والمراد بالطواف السعي بين الصفا والمروة، وهذا هو مذهب جمهور العلماء.

والمسألة فيها خلاف، وهذا هو الصواب الذي عليه جمهور العلماء، وذهب الإمام أبو حنيفة رَحِمَهُ اللَّهُ[٢] -وهو رواية عن الإمام أحمد[٣]- إلى أن القارن عليه طوافان وسعيان مثل المتمتع، وذهب شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[٤] إلى أن المتمتع ليس عليه إلا سعيا واحدا أيضا بين الصفا والمروة فيكون في المتمتع مذهبان:

المذهب الأول: وهو مذهب الجمهور، وهو أن المتمتع عليه سعيان: سعي للحج وسعي للعمرة.

المذهب الثاني: وهو مذهب شيخ الإسلام ابن تيمية أنه ليس عليه إلا سعي واحد. قال شيخ الإسلام: وليس على المتمتع والقارن إلا سعيا واحدا باتفاق أهل العلم وكذا المتمتع في أصح أقوالهم ما عليه إلا سعي واحد لا سيما المرأة.

وجاء في الحديث الآخر لما تكلم عن وجوه الإحرام قال: **«فمنا من أهل بعمرة ومنا من أهل بحج وعمرة ومنا من أهل بحج وأهل رسول الله بالحج»**[٥]. لكن قولها **«فأهللنا»** تقصد به نفسها ومن كان مثلها ومن أهل بعمرة، فالصحابة مختلفون فمنهم من أهل بحج ومنهم من أهل بحج وعمرة، كما بينا ذلك من قبل.

---

(١) أحمد (١/ ٢٣٦)، ومسلم (١٢٤١).

(٢) انظر «المبسوط» (٤/ ٢٧).

(٣) انظر «الفروع» (٣/ / ٣٠٩).

(٤) انظر «الفتاوى الكبرى» (٥/ ٣٨٣).

(٥) أحمد (٦/ ٣٦)، والبخاري (١٥٦٢)، ومسلم (١٢١١).

• [٤١٠٧] يرىٰ ابن عباس وجوب المتعة علىٰ كل أحد، ويميل إليه ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في زاد المعاد[١]؛ لأن النبي ﷺ أمر الصحابة كلهم أن يتمتعوا[٢]، وحج معه بشر كثير يقارب عددهم مائة ألف حتىٰ قال جابر لما قام: أرىٰ بشرا كثيرا مد البصر أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي، كلهم جاءوا من كل مكان ليأتموا بالنبي ﷺ، فخيرهم النبي ﷺ[٣]؛ فمنهم من أهل بحج مفرد، ومنهم من أهل بعمرة مفردة، ومنهم من أهل بحج وعمرة.

ثم لما قربوا من مكة وقربوا من سرف، بقي الذين ساقوا الهدي علىٰ حالهم، والذين لم يسوقوا الهدي أمرهم أن يتحللوا قال لهم: طوفوا واسعوا وتحللوا، ثم لما قدموا مكة وطافوا وسعوا أمرهم وحتم عليهم وألزمهم أن يتحللوا عند المروة إلا من ساق الهدي فتحللوا كلهم، وشدد عليهم وألزمهم بذلك[٤]، وأخذ ابن عباس من هذا وجوب المتعة، وأنه يجب علىٰ كل أحد أن يتمتع إلا من ساق الهدي؛ لأن الرسول ألزمهم بهذا ولم يدع أحدا إلا تحلل، وأما شيخ الإسلام ابن تيمية[٥] فإنه يرىٰ أن هذا خاص بالصحابة حتىٰ يزول اعتقاد أهل الجاهلية؛ لأن أهل الجاهلية يعتقدون أن العمرة في أشهر الحج ممنوعة حرام، بل من أفجر الفجور، يقولون: أيام الحج تكون للحج، والعمرة لها أوقات كثيرة، ويقولون: إذا عفا الدبر، وانسلخ شهر صفر حلت العمرة لمن اعتمر، أي إذا رجع الناس من الحج، وشفيت الإبل من الجروح التي في ظهرها وبرئت، ومضت مدة وانسلخ شهر صفر حلت العمرة لمن اعتمر، حتىٰ قالوا: يا رسول الله كيف نتمتع؟ أي حل كامل أم ناقص؟ قال: **«الحل كله حل كامل»**[٦] فاستغربوا؛ لأن هذا لم يكن معروفا في الجاهلية، قالوا: كيف نتحلل وليس بيننا وبين عرفة غير أربع ليال؟ قال: **«لو استقبلت من أمري ما استدبرت ما سقت الهدي ولأحللت معكم»**[٧] يعني: لو كنت أظن أنكم ستتوقفون لما سقت الهدي، فقالوا:

---

(١) انظر «زاد المعاد» (٢/ ١٩٣).
(٢) أحمد (١/ ٢٥٢)، والبخاري (١٠٨٥)، ومسلم (١٢٤٠).
(٣) أحمد (٦/ ١٩١)، والبخاري (١٧٨٦).
(٤) أحمد (٦/ ٢٧٣)، والبخاري (٢٧٣٤).
(٥) انظر «شرح العمدة» (٢/ ٤٩٢ - ٤٩٦).
(٦) أحمد (١/ ٢٥٢)، والبخاري (٣٨٣٢)، ومسلم (١٢٤٠).
(٧) أحمد (٣/ ٣٦٦)، والبخاري (٧٢٢٩)، ومسلم (١٢١١).

يا رسول الله ماذا نعمل؟ هل نجامع النساء وليس معنا ماء؟! قال: **«نعم»**، قالوا: أينطلق أحدنا إلى منى وذكره يقطر منيا؟! يعني قريب من مجامعة النساء، فقال النبي ﷺ: **«افعلوا ما آمركم به فلولا أني سقت الهدي لأحللت معكم»**(١)؛ فلهذا يرى ابن عباس أن العمرة واجبة على كل أحد، كذلك ابن القيم قال في زاد المعاد: «أنا إلى قوله أميل مني إلى قول شيخنا»(٢) يعني: شيخ الإسلام ابن تيمية.

فوجوب العمرة هو قول ابن عباس، واختيار ابن القيم، واختيار الشيخ ناصر الدين الألباني، وأما شيخ الإسلام(٣) فيرى أن هذا الإلزام خاص بالصحابة، والجمهور يرون أنه مخير بين المتعة وغيرها.

فهذا الحديث على مذهب ابن عباس قال: **«إذا طاف بالبيت فقد حل»** يعني وبالصفا والمروة، وإنما لم يذكره؛ لأنه معلوم أنه يتحلل تلقائيا.

قوله: **«فقلت: من أين؟ قال: هذا ابن عباس؟»** القائل هو ابن جريج يخاطب عطاء، **«قال من قول الله: ﴿ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾** [الحج: ٣٣]» أي: إذا وصل إلى البيت العتيق حل، وهذا تفقه من ابن عباس، ولكن الآية مجملة والنصوص الواضحة والمفصلة هي التي يؤخذ بها؛ لأنها تفصل هذا الإجمال وتوضحه.

قوله: **«ومن أمر النبي ﷺ لأصحابه أن يحلوا في حجة الوداع، قلت: إنما كان ذلك بعد المعرَّف»** المعرَّف: يعني الوقوف بعرفة **«قال: كان ابن عباس يراه قبل وبعد»** يعني: يرى وجوب المتعة والإحلال من العمرة على كل من أحرم قبل عرفة وبعد عرفة.

• [٤١٠٨] هذا حديث أبي موسى، وفيه أنه قال: **«قدمت على النبي ﷺ بالبطحاء فقال: «أحججت؟» قلت: نعم، قال: «كيف أهللت؟» قلت: لبيك بإهلال كإهلال رسول الله ﷺ»**، فقال له: أنا معي هدي وأنت ما معك هدي، فلا تكون مثلي، أنا أتحلل يوم العيد، وأنت عليك أن تطوف بالبيت، وأن تسعى بين الصفا والمروة، ثم تتحلل، قال

---

(١) أحمد (٣/ ٣٦٦)، والبخاري (١٥٦٨)، ومسلم (١٢١٦).

(٢) زاد المعاد (٢/ ١٩٣)

(٣) انظر «شرح العمدة» (٢/ ٤٩٢-٤٩٦).

أبو موسى : «فطفت بالبيت وبالصفا وبالمروة ، وأتيت امرأة من قيس» يعني : من قومه ، «ففلت رأسي» ، وسبق أن هذه المرأة إحدى محارم أبي موسى .

• [٤١٠٩] هذا حديث حفصة ، وفيه : «أن النبي ﷺ أمر أزواجه أن يحللن عام حجة الوداع» ؛ لأن أزواجه حججن معه ، «فقالت حفصة : فما يمنعُك؟» أي : أتأمرنا أن نتحلل ولا تحل أنت؟! «قال : إني لبدتُ رأسي وقلدتُ هديي ، فلستُ أحل حتى أنحر هديي» يعني : أنه عليه الصلاة والسلام قد لبد رأسه وساق الهدي ، ولا يستطيع أن يتحلل حتى ينحر الهدي ، والنحر كما هو معلوم يكون يوم العيد ، أما أنتن فليس معكن هدي فعليكن أن تتحللن .

وقوله : «لبدت رأسي» يعني : جعل فيه شيئا يمسكه ، أو ألصق فيه شيئا معروفا .

وقوله : «قلدت هديي» يعني : وضع عليها النعال أو غيرها أو شيئا من العهن حتى تعرف أنها مهداة للبيت .

• [٤١١٠] هذا الحديث فيه مشروعية الحج عن الكبير الحي غير المستطيع كالشيخ الفاني ، ولا يشترط استئذانه ولا إخباره ؛ لأنه كالميت ، ولأن النبي ﷺ لم يقل لهذه المرأة استأذنيه أو أخبريه ، وكذلك العاجز الذي لا يثبت على المركوب ؛ رجلا كان أو امرأة ، وأما الحي القادر فلا يحج عنه ، بل يحج عن نفسه .

قوله : «والفضل بن عباس رديف رسول‌الله ﷺ» فيه جواز الإرداف على الدابة إن كانت تطيق ذلك ؛ لأن النبي ﷺ أردف الفضل بن عباس .

وفي هذا الحديث أن هذه المرأة استفتت النبي ﷺ فقالت : «إن فريضة الله على عباده أدركت أبي شيخا كبيرا لا يستطيع أن يستوي على الراحلة» وهذا قيد ، يعني : لا يستطيع أن يركب مركوبا ، فقالت : «فهل يقضي أن أحج عنه؟ قال : نعم» فيه جواز حج المرأة عن الرجل إذا كان غير مستطيع .

• [٤١١١] هذا الحديث في غزوة الفتح ، وفيه أن ابن عمر قال : «أقبل النبي ﷺ عام الفتح» يعني : إلى الكعبة «وهو مردف أسامةَ على القصواء» والقصواء : اسم ناقته ، وفيه دليل على جواز الإرداف على الدابة إذا كانت تطيق ذلك .

قوله : «فدخل النبي ﷺ وأسامة وبلال وعثمان الحجبي» أي : من الذين يلون الحجابة ، وفي لفظ أنه أمره أن يأتي بالمفتاح فجاء بمفتاح الكعبة فدخل النبي ﷺ وأسامة وبلال وعثمان الحجبي أربعة فأغلقت عليهم الباب[١] ، وفي رواية حتى دخل البيت فقال لعثمان : «ائتنا بمفتاح الكعبة» فجاء بالمفتاح ففتح الباب فدخل أربعة النبي ﷺ وأسامة وبلال وعثمان ثم أغلقوا عليهم الباب ، فمكث نهارا طويلا[٢] يعني : مدة من الزمن ، ثم خرج ، وابن عمر لم يدخل معهم ، بل كان واقفا عند الباب ينتظرهم .

قوله : «ثم خرج فابتدر الناس الدخول فسبقتهم ، فوجدت بلالا قائما وراء الباب ، فقلت له : أين صلى النبي ﷺ؟ فقال : صلى بين ذينك العمودين المقدمين ، وكان البيت على ستة أعمدة شطرين» كان البيت على ستة أعمدة ؛ ثلاثة أعمدة مقدمة ، وثلاثة أعمدة مؤخرة ، وفي الحديث الآخر[٣] أنه جعل باب الكعبة خلفه ، وجعل بينه وبين الجدار ثلاثة أذرع .

قوله : «واستقبل بوجهه الذي يستقبلك حين تلج البيت بينه وبين الجدار ، قال : ونسيت أن أسأله : كم صلى؟ وعند المكان الذي صلى فيه مرمرة حمراء» فيه دليل على أن النبي ﷺ صلى في الكعبة ، وجاء عن ابن عباس أن النبي ﷺ دخل ولم يصل ، وإنما كبر في نواحيه[٤] ويجمع بينهما بأن يقال : إن حديث بلال مثبت ، وحديث ابن عباس ناف ، فالمقدم حديث بلال ؛ لأنه هو المثبت فمعه زيادة علم خفيت على من نفى .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : «وقد أشكل دخول هذا الحديث في باب «حجة الوداع» ؛ لأن فيه التصريح بأن القصة كانت عام الفتح ، وعام الفتح كان سنة ثمان ، وحجة الوداع كانت سنة عشر ، وفي أحاديث هذا الباب جميعها التصريح بحجة الوداع وبحجة النبي ﷺ وهي حجة الوداع» .

---

(١) أحمد (٢/ ٣) ، والبخاري (٤٦٨) ، ومسلم (١٣٢٩) .

(٢) أحمد (٢/ ٣) ، والبخاري (٢٩٨٨) ، ومسلم (١٣٢٩) .

(٣) أحمد (٢/ ٣) ، والبخاري (٥٠٦) .

(٤) أحمد (٥/ ٢٠١) ، والبخاري (١٦٠١) ، ومسلم (١٣٣١) .

يعني: هذا الحديث في غزوة الفتح، والإمام البخاري بوب قال: **«باب حجة الوداع»** فالحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أشكل دخول حديث غزوة الفتح هنا، ولم يجب على الإشكال، فالجواب على هذا الإشكال والله أعلم أن إدخال المؤلف هذا الحديث في **«باب حجة الوداع»**؛ ليبين أن دخول البيت ليس من سنن الحج، ولا من سنن العمرة، وإنما هو من السنن المستقلة؛ ولهذا لم يدخل النبي ﷺ الكعبة في حجة الوداع، ولم يدخل البيت في عمرة القضية، ولا في عمرة الجعرانة، وإنما دخله عام الفتح، ولما سألته عائشة رضي الله عنها عن الصلاة في البيت قالت له: يا رسول الله أريد أن أصلي في البيت، قال لها: **«صلي في الحجر»**[1]؛ وما ذاك إلا لأنه جزء من البيت.

- [٤١١٢] هذا الحديث فيه دليل على سقوط طواف الوداع عن الحائض والنفساء، فإذا أرادت أن تسافر وقد طافت طواف الإفاضة - وهو طواف الحج - ولم يبق عليها إلا طواف الوداع وعليها الحيض فإنها تسافر، ويسقط عنها طواف الوداع لهذا الحديث: **«أن صفية بنت حيي زوج النبي ﷺ حاضت في حجة الوداع، فقال النبي ﷺ: «أحابستنا هي؟» فقلت: إنها قد أفاضت يا رسول الله، وطافت بالبيت»**.

وفيه الدليل على أن المرأة إذا لم تطف طواف الإفاضة فإنها تحبس وليها، ويبقى معها حتى تطوف طواف الإفاضة؛ ولهذا قال: **«أحابستنا هي؟»** يعني إن لم تكن طافت طواف الإفاضة فهي تحبسنا، قالوا: لا يا رسول الله **«إنها قد أفاضت»** قال: **«فلتنفر»** فأسقط عنها طواف الوداع، فدل على أنها لو لم تطف طواف الإفاضة لحبست النبي ﷺ، لكن إن شق عليه الجلوس، ولا سيما المواصلات في هذا العصر، وأرادت أن تذهب إلى جدة أو إلى مكة أو إلى الطائف أو إلى الرياض أيضا فإنها تذهب في الطائرة، وإذا طهرت ترجع في الحال وتطوف طواف الإفاضة، ويكون زوجها ممنوعا من قربها حتى تطوف طواف الإفاضة، فإن لم ترجع يبقى عليها طواف الإفاضة، وتبقى معلقة ويبقى طواف الحج عليها، وتكون ممنوعة من زوجها حتى ترجع، ولابد أن ترجع، وإذا كانت من بلاد بعيدة فإنها ترجع إلى المفتي وينظر

---

(١) أحمد (٦/ ٩٢)، وأبو داود (٢٠٢٨)، والترمذي (٨٧٦)، والنسائي (٢٩١٢).

إلى حالتها، فلكل حالة جواب، ولا يفتى بفتوى عامة، ولكن إذا ضاقت بها الحيل، وكانت من بلاد بعيدة ولا يمكن أن ترجع ففيه قولان:

القول الأول: هو قول شيخ الإسلام ابن تيمية(١) أنها في هذه الحال تتلجم وتتحفض وتطوف وهي على حالها للضرورة القصوى إذا لم تجد ملجأ.

القول الثاني: أنها تكون محصرة -أي: ممنوعة من الطواف شرعا- وهذا اختيار شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللَّهُ، أنها تذبح وتقصر وتتحلل وتذهب إلى بلدها، ويبقى الحج في ذمتها، إن قدرت حجت وإن لم تقدر تكون عاجزة، أما التي تستطيع أن تبقى وتستطيع أن ترجع فلابد من الرجوع.

• [٤١١٣] قوله: «**كنا نتحدث بحجة الوداع والنبي ﷺ بين أظهرنا، فلا ندري ما حجة الوداع، فحمد الله وأثنى عليه، ثم ذكر المسيح الدجال فأطنب في ذكره**» يعني في حجة الوداع أطنب النبي ﷺ في ذكره، وقال: «**ما بعث الله من نبي إلا أنذر أمته؛ أنذره نوح والنبيون من بعده**» وهذا يدل على عظم فتنة الدجال، حيث أنذر منه نوح والنبيون من بعده مع أن خروجه في آخر الزمان، وجاء في قصة الصحابة الذين ركبوا البحر وماج بهم، ثم أرسوا إلى جزيرة أنهم وجدوا فيها الجساسة، وهي الدابة لا يعرفون لها قبلًا من دبر، قالوا: ما أنتِ؟ فرقنا أن تكون شيطانا، أي: خافوا منها، قالت: اذهبوا إلى صاحب ذلك الدير، قالوا: فذهبنا إلى رجل كأعظم ما رأينا، موثق بالحديد ما بين عنقه ويديه، وجعل يسألهم عن كذا وعن كذا وعن نخل كذا، وسألهم عن رسول الأميين هل بُعث؟ فقالوا له: من أنت؟ قال: قدرتم على خبري، ثم أخبرهم أنه المسيح الدجال، وأنه يوشك أن يخرج، ولا يطأ بلدا إلا دخلها إلا مكة والمدينة(٢).

قوله: «**فليس يخفى عليكم، إن ربكم ليس على ما يخفى عليكم - ثلاثًا - إن ربكم ليس بأعور، إنه أعور العين اليمنى، كأن عينه عنبة طافية**» فيه دليل على إثبات العينين لله ﷻ في قوله عليه الصلاة والسلام: «**إن ربكم ليس بأعور**» والأعور: الذي ليس له إلا عين

(١) مجموع الفتاوى (٢٦/ ٢٢٥)
(٢) أحمد (٦/ ٣٧٣)، ومسلم (٢٩٤٢).

واحدة ، والله ليس بأعور ؛ فله عينان سليمتان كاملتان تليقان بجلاله سبحانه ، والدجال له عين واحدة .

قوله : «**انظروا لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض**» فيه دليل على أن القتال بين المسلمين من الأعمال الكفرية ، وأنه كفر أصغر ومن كبائر الذنوب ، ومع ذلك حذر منه النبي ﷺ ، ومع ذلك حصل قتال في عهد الصحابة في خلافة علي رضي الله عنه في وقعة صفين وغيرها .

وهذا الحديث يدل على أن هذه الخطبة كلها كانت في حجةالوداع ، حيث خطب النبي ﷺ فحذر من الدجال وأطنب ، وبين أوصاف الدجال ، ثم قال في آخر الخطبة : «**إن الله حرم عليكم دماءكم وأموالكم**» وقال : «**لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض**» ، وخطبة حجة الوداع كانت في يوم عرفة .

• [٤١١٤] قوله : «**أن النبي ﷺ غزا تسع عشرة غزوة ، وأنه حج بعدما هاجر حجة واحدة لم يحج بعدها : حجةُ الوداع ، قال أبو إسحاق : وبمكة أخرىٰ**» أي : حجة أخرىٰ بمكة قبل الهجرة ، والصواب أنه لا يُعلم عدد حجات النبي ﷺ قبل الهجرة ، قيل : إنه حج قبل الهجرة حجتين كما جاء عند الترمذي عن جابر قال : حج ثلاث حجج حجتين قبل أن يهاجر وحجة بعدما هاجر ومعها عمرة(١) ، وهذا مبني على عدد وفود الأنصار إلى العقبة بمنىٰ بعد الحج ، وهذا لا يقتضي نفي الحج قبل ذلك ؛ ولهذا أخرج الحاكم بسند صحيح إلى الثوري أن النبي حج قبل أن يهاجر حججا(٢) .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «**قال أبو إسحاق وبمكة أخرىٰ**» هو موصول بالإسناد المذكور ، وغرض أبي إسحاق أن لقوله : «**بعدما هاجر**» مفهوما ، وأنه قبل أن يهاجر كان قد حج ، لكن اقتصاره على قوله : «**أخرىٰ**» قد يوهم أنه لم يحج قبل الهجرة إلا واحدة ، وليس كذلك ؛ بل حج قبل أن يهاجر مرارا ، بل الذي لا أرتاب فيه أنه لم يترك الحج وهو بمكة قط ؛ لأن قريشا في الجاهلية لم يكونوا يتركون الحج ، وإنما يتأخر منهم عنه من لم يكن بمكة

---

(١) الترمذي (٨١٥) .
(٢) «المستدرك» (٣/ ٥٦) .

أو عاقه ضعف، وإذا كانوا وهم على غير دين يحرصون على إقامة الحج، ويرونه من مفاخرهم التي امتازوا بها على غيرهم من العرب، فكيف يظن بالنبي ﷺ أنه يتركه؟! وقد ثبت من حديث جبير بن مطعم أنه رآه في الجاهلية واقفا بعرفة[١]، وأن ذلك من توفيق الله له، وثبت دعاؤه قبائل العرب إلى الإسلام بمنى ثلاث سنين متوالية كما بينته».

• [٤١١٥] قوله: **«استنصت لي الناس»** يعني: اجعلهم ينصتون، **«فقال: لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»** دل على أن القتال من الأعمال الكفرية بين المسلمين، لكنه كفر أصغر ومن كبائر الذنوب.

• [٤١١٦] هذا الحديث فيه أن النبي ﷺ سألهم عن البلد وعن الشهر وعن اليوم حتى يسترعي انتباههم فتتبين لهم حرمة البلد والشهر واليوم، ثم قال: إن الدماء والأموال والأعراض حرام كحرمة اليوم والشهر والبلد.

وفيه أنه يقال في حياة النبي ﷺ: الله ورسوله أعلم، وأما بعد وفاته فيقال الله أعلم.

قوله: **«لا ترجعوا بعدي ضلالًا يضرب بعضكم رقاب بعض... ألا هل بلغت؟»** ومع هذا التبليغ والتحليف العظيم، وقعت الحرب بين أهل الشام والعراق في صفين والجمل، فالواجب الحذر، فدماء المسلمين وأموالهم عظيمة، وفي الحديث الآخر أن النبي ﷺ نظر إلى الكعبة وقال: **«إن حرمتك عظيمة، وإن حرمة الدماء أعظم من حرمتك»**[٢] والآن صارت الدماء رخيصة عند هؤلاء الذين يفجرون ويهلكون الحرث والنسل ويقتلون الأنفس البريئة والأموال، فقد وقعوا في هذا الجرم الشديد.

• [٤١١٧] قوله: **«لو نزلت هذه الآية فينا لاتخذنا ذلك اليوم عيدا، فقال عمر: أية آية؟ فقال: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾** [المائدة: ٣] **فقال عمر: إني لأعلم أي مكان أنزلت، أنزلت ورسول الله ﷺ واقف بعرفة»** نزلت بعرفة، ويوم عرفة يوم عيد.

وفي هذا الحديث معرفة اليهود للحق، ومع ذلك لم يتبعوه.

---

(١) أحمد (٤/ ٨٠)، والبخاري (١٦٦٤)، ومسلم (١٢٢٠).
(٢) ابن ماجه (٣٩٣٢).

• [٤١١٨] هذا حديث عائشة وفيه أنها قالت: «**منا من أهل بعمرة ومنا من أهل بحجة**» تقصد نفسها ومن وافقها.

قولها: «**وأهل رسول الله ﷺ بالحج**» هذا يدل على أن عائشة غلطت ووهمت في إهلال النبي ﷺ بالحج، وإلا فقد تواتر عن النبي ﷺ أنه أهل بالعمرة والحج معا(١)، وهذا على حسب علمها، ويحتمل أن مقصود قولها: «**أهل بالحج**» يعني: بالحج مع العمرة، فأطلقت الحج وأرادت الحج مع العمرة.

• [٤١١٩]، [٤١٢٠] **قال الحافظ ابن حجر** رحمه الله: «أورده من طرق عن مالك بسنده في طريقين، منها حجة الوداع وهو مقصود الترجمة، وقد تقدم من وجه آخر في أول الباب عن شيخ آخر لمالك بأتم من السياق المذكور هنا».

• [٤١٢١] هذا الحديث في قصة مرض سعد بن أبي وقاص، فقد مرض رضي الله عنه بمكة، ثم شفاه الله، ولم يكن لسعد في ذلك الوقت إلا ابنة واحدة.

قوله: «**فأتصدق بثلثي مالي؟ قال: لا**» أوصله النبي ﷺ إلى الثلث، ففيه دليل على أنه يجب على الإنسان ألا يوصي بأكثر من الثلث.

وقد شفي سعد من هذا المرض، ورزق أولادا كثيرين، منهم عامر راوي الحديث، ومنهم عائشة وغيرهم.

قوله: «**أخلف بعد أصحابي؟ قال: إنك لن تخلف فتعمل عملا تبتغي به وجه الله إلا ازددت به درجة ورفعة، ولعلك تخلف حتى ينتفع بك أقوام ويضر بك آخرون**» فيه علم من أعلام النبوة؛ حيث عاش سعد، وقاتل الفرس، وتولى إمارة القادسية فانتفع به قوم ممن أسلموا، وضُرَّ به آخرون ممن ماتوا على الكفر.

قوله: «**لكن البائس سعد بن خولة رثى له النبي ﷺ أن توفي بمكة**» فيه حث المهاجرين على التخلي عن المكان الذي تركوه لله وعدم الإقامة فيه، لكن لا يضر سعد أنه مات بمكة؛ لأنه لم يقصد الإقامة وترك مكان الهجرة.

---

(١) أحمد (٣/ ١٨٧)، والبخاري (١٥٥١، ١٦٩٣)، ومسلم (١٢٣٢).

• [٤١٢٢] هذا الحديث فيه دلالة على أن الحلق أفضل من التقصير ، وإن كان التقصير جائزا كما سيأتي في الحديث الذي بعده .

• [٤١٢٣] هذا الحديث يدل على أن الإنسان مخير في الحج بين التقصير وبين الحلق ، إلا أن الحلق أفضل كما جاء في الحديث الآخر أن النبي ﷺ دعا للمحلقين ثلاثا ودعا للمقصرين واحدة[١] .

• [٤١٢٤] قوله : «**أقبل يسير على حمار ، ورسول الله ﷺ قائم بمنى في حجة الوداع يصلي بالناس ، فسار الحمار بين يدي بعض الصف ، ثم نزل عنه فصف مع الناس**» .

كان ابن عباس صغير السن قد ناهز الاحتلام في حجة الوداع ، جاء وهو راكب الحمار ، ودخل بالحمار بين النبي ﷺ والصف أمام الناس ، لكن النبي ﷺ أمامهم ، فدل هذا على أن مرور الحمار لا يؤثر بين يدي المأموم وبين الإمام ؛ لأن سترة الإمام سترة للمأموم ، لكنه يؤثر إذا مر أمام المنفرد ، أو بين الإمام وسترته ، لا من وراء السترة .

• [٤١٢٥] هذا الحديث فيه أن أسامة سئل عن سير النبي ﷺ في الحج فقال : «**العنق**» والعنق : هو السير المعتدل غير السريع .

قوله : «**فإذا وجد فجوة نص**» والنص : هو السير السريع ، فكان ﷺ وهو يمشي بناقته إذا وجد فجوة أسرع ، وإذا صار هناك بعض التقارب سار سيرا معتدلا .

• [٤١٢٦] قوله : «**أنه صلى مع رسول الله ﷺ في حجة الوداع المغرب والعشاء جميعا**» أي : جمع بين المغرب والعشاء في مزدلفة ، كما أنه جمع بين الظهر والعصر بعرفة ، فدل على مشروعية جمع الحاج بعرفة ومزدلفة .

* * *

(١) أحمد (٤/ ١٦٥) ، والبخاري (١٧٢٧) ، ومسلم (١٣٠١) .

المتن

[٧٨/ ٥٥] غزوة تبوك وهي غزوة العسرة

• [٤١٢٧] نا محمد بن العلاء، قال: نا أبو أسامة، عن بريد بن عبدالله بن أبي بردة، عن أبي بردة، عن أبي موسى قال: أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله الحملان لهم؛ إذ هم معه في جيش العسرة - وهي غزوة تبوك - فقلت: يا نبي الله، إن أصحابي أرسلوني إليك لتحملهم، فقال: «**والله لا أحملكم على شيء**»، ووافقته وهو غضبان ولا أشعر، ورجعت حزينا من منع النبي ﷺ، ومن مخافة أن يكون النبي ﷺ وجد في نفسه علي، فرجعت إلى أصحابي فأخبرتهم الذي قال النبي ﷺ، فلم ألبث إلا سويعة إذ سمعت بلالا ينادي: أين عبدالله بن قيس؟ فأجبته، فقال: أجب رسول الله ﷺ يدعوك، فلما أتيته قال: «**خذ هذين القرينتين، وهذين القرينتين** - لستة أبعرة ابتاعهم حينئذ من سعد - **فانطلق بهم إلى أصحابك، فقل: إن الله** - أو قال: **إن رسول الله - يحملكم على هؤلاء فاركبوهن**»، فانطلقت إليهم بهن، فقلت: إن النبي ﷺ يحملكم على هؤلاء، ولكني والله لا أدعكم حتى ينطلق معي بعضكم إلى من سمع مقالة رسول الله ﷺ؛ لا تظنوا أني حدثتكم شيئا لم يقله رسول الله ﷺ، فقالوا لي: والله إنك عندنا لمصدق، ولنفعلن ما أحببت، فانطلق أبو موسى بنفر منهم حتى أتوا الذين سمعوا قول رسول الله ﷺ منعه إياهم ثم إعطاءهم بعد، فحدثوهم بمثل ما حدثهم به أبو موسى.

• [٤١٢٨] نا مسدد، قال: نا يحيى، عن شعبة، عن الحكم، عن مصعب بن سعد، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف عليا، فقال: أتخلفني في الصبيان والنساء؟ قال: «**ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟ إلا أنه ليس نبي بعدي**».

وقال أبو داود: نا شعبة، عن الحكم، قال: سمعت مصعبًا.

• [٤١٢٩] حدثني عبيدالله بن سعيد، قال: نا محمد بن بكر، قال: أنا ابنُ جريج، قال: سمعت عطاء يخبر، قال: أخبرني صفوان بن يعلى بن أمية، عن أبيه قال: غزوت مع النبي ﷺ العسرة، قال: كان يعلى يقول: تلك الغزوة أوثق أعمالي عندي، قال عطاء:

فقال صفوان : قال يعلى : فكان لي أجير فقاتل إنسانا ، فعض أحدهما يد الآخر ، قال عطاء : فلقد أخبرني صفوان أيهما عض الآخر فنسيته ، قال : فانتزع المعضوض يده من في العاض فانتزع إحدى ثنيتيه ، فأتيا النبي ﷺ فأهدر ثنيته ، وقال عطاء : وحسبت أنه قال : قال النبي ﷺ : **«أفيدع يده في فيك تقضمها كأنها في في فحل يقضمها؟!»** .

الشرح

قوله : **«غزوة تبوك»** سميت تبوكًا كما ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله عن ابن قتيبة أنه قال : «جاءها النبي ﷺ وهم يبكون مكان مائها بقدح ، فقال : **«ما زلتم تبوكونها»**[١] ؛ فسميت حينئذ تبوكًا» .

قوله : **«وهي غزوة العسرة»** سميت بذلك للشدة التي أصابت النبي ﷺ وأصحابه ؛ فإنهم خرجوا إلى تبوك في قيظ شديد ، وأصابهم عطش شديد ، حتى إنهم كانوا ينحرون البعير ويشربون ما في كرشها من الماء ، فحصل لهم عسرة في الماء وفي الظهر وفي النفقة ؛ فسميت غزوة العسرة .

وقد ذكر الشارح رحمه الله أن تأخير غزوة تبوك عن حجة الوداع خطأ من النساخ ؛ فإن غزوة تبوك كانت قبل حجة الوداع ، فغزوة تبوك كانت في شهر رجب من سنة تسع قبل حجة الوداع ، وحجة الوداع سنة عشر ، فكيف تقدم حجة الوداع على غزوة تبوك .

وقال بعضهم : إنها كانت بعد الطائف بستة أشهر ، وكانت الطائف سنة ثمان من الهجرة فيكون دخوله ﷺ المدينة من الطائف في ذي الحجة .

• [٤١٢٧] هذا حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه ، وفيه أنه قال : **«أرسلني أصحابي إلى رسول الله ﷺ أسأله الحملان لهم ؛ إذ هم معه في جيش العسرة – وهي غزوة تبوك»** يعني يسألونه ظهرا أو إبلا يحملهم عليها ؛ لأنهم يريدون أن يجاهدوا مع النبي ﷺ ولكنهم فقراء ما عندهم ظهر ولا إبل ، فحلف النبي ﷺ ألا يحملهم فقال : **«والله لا أحملكم على شيء»** ، وفي اللفظ الآخر : **«وما عندي شيء»**[٢] .

---

(١) «معجم ما استعجم» لأبي عبيد البكري (١/ ٣٠٣) ، و«الفائق» للزمخشري (١/ ١٣٢) .
(٢) أحمد (٤/ ٣٩٨) ، والبخاري (٣١٣٣) ، ومسلم (١٦٤٩) .

قال أبو موسىٰ : «**ووافقته وهو غضبان ولا أشعر ، ورجعت حزينا**» أي : حلف النبي ﷺ أنه لا يحملهم ولا يعطيهم شيئا ، وقد وافق النبي ﷺ غضبان فرجع أبو موسىٰ حزينا لأمرين :

الأمر الأول : أن النبي ﷺ منعه .

والأمر الثاني : أنه خاف أن يكون النبي ﷺ قد غضب عليه ؛ لأنه جاءه وهو غضبان ، فرجع أبو موسىٰ إلىٰ أصحابه ، وأخبرهم بما قال النبي ﷺ .

قال أبو موسىٰ : «**فلم ألبث إلا سويعة إذ سمعت بلالا ينادي : أين عبدالله بن قيس؟ فأجبته ، فقال : أجب رسول الله ﷺ يدعوك**» فأجابه .

قوله : «**فلما أتيته قال : «خذ هذين القرينتين وهذين القرينتين لستة أبعرة ابتاعهم حينئذ من سعد**» يعني : اشتراهن ، ويحتمل أن يكون كل قرينين ثلاثة أبعرة ، ويحتمل أن يكون هناك اختصار من الراوي ، والأصل : هذين القرينين وهذين القرينين وهذين القرينين ، فيكون العدد ستة .

قوله : «**فانطلق بهم إلىٰ أصحابك**» أي : يجاهدون عليها .

قال : «**فقل : إن الله – أو قال : إن رسول الله – يحملكم علىٰ هؤلاء فاركبوهن**» أي : فأخذهن أبو موسىٰ .

قال : «**فانطلقت إليهم**» أي : إلىٰ أصحابه .

وقوله : «**فقلت : إن النبي ﷺ يحملكم علىٰ هؤلاء ، ولكني والله لا أدعكم حتىٰ ينطلق معي بعضكم إلىٰ من سمع مقالة رسول الله ﷺ ؛ لا تظنوا أني حدثتكم شيئا لم يقله رسول الله ﷺ**» يعني : أن أبا موسىٰ رجع إلىٰ أصحابه وقال : إن الرسول ﷺ حلف ألا يحملنا ، ثم استدعاه وأعطاه ستة أبعرة ، قال : إني أريد أن يذهب معي بعضكم حتىٰ تعلموا أني ما كذبت عليكم .

وقوله : «**فقالوا لي : والله إنك عندنا لمصدق ، ولنفعلن ما أحببت**» أي : أنت مصدق ولا نتهمك ، وسنصنع لك ما أردت .

قوله : **«فانطلق أبو موسى بنفر منهم حتى أتوا الذين سمعوا قول رسول الله ﷺ منعه إياهم ثم إعطاءهم بعد ، فحدثوهم بمثل ما حدثهم به أبو موسى»** هذا الحديث فيه اختصار ، فقد سبق أن ساق المؤلف هذا الحديث ، وفيه أن أبا موسى قال : **«تغفلنا رسول الله يمينه لا نفلح أبدا»**(١) ، وفيه أيضا أنهم قالوا : **«يا رسول الله ، إنك حلفت ألا تحملنا ، ثم حملتنا»** فقالوا : إن الرسول ﷺ حلف ألا يحملنا وحملنا ، لعل الرسول ﷺ نسي يمينه فقال : **«إني لم أحملكم ولكن الله حملكم ، ولكني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا كفرت عن يميني وآتي الذي هو خير»**(٢) فيه أن النبي ﷺ حلف ألا يحملهم ثم كفر عن يمينه وحملهم ، وفيه دليل على أن اليمين لا تمنع من فعل الخير ، وأن المسلم إذا حلف على فعل شيء أو ترك شيء ثم رأى الخير في فعله أو تركه فإن الأولى أن يحنث فيفعل ما حلف على تركه ، أو يترك ما حلف على فعله ويفعل الخير ، ولا يلج في يمينه ، فالخير في يمينه أن يفعل الخير ، فإذا حلف إنسان ألا يزور قريبه أو لا يأكل طعامه أو لا يزور جاره ، أو حلف ألا يجيب دعوته - فالأمر يسير ، فإنه يكفر عن يمينه ويزور قريبه ، ولهذا جاء في الحديث الآخر : **«لأن يلج الإنسان في يمينه آثم له عند الله من أن يعطي الكفارة»**(٣) ، فكون إنسان يلج في يمينه هذا أشد إثمًا من كونه يحنث ويكفر عن يمينه .

وجاء في حديث آخر : **«إلا كفرت عن يميني وفعلت الذي هو خير»**(٤) ، وفي لفظ : **«إلا فعلتها وتحللتها»**(٥) ، وسواء قدم الكفارة أو قدم الحنث فإن كل هذا جاء في الحديث .

وقيل : إن عدد الجيش في هذه الغزوة عشرون ألفًا ، وقيل : ثلاثون ألفًا ، وقيل : أربعون ألفًا .

---

(١) أحمد (٤/ ٤٠١) ، والبخاري (٤٣٨٥) ، ومسلم (١٦٤٩) .
(٢) أحمد (٤/ ٤٠١) ، والبخاري (٣١٣٣) ، ومسلم (١٦٤٩) .
(٣) أحمد (٢/ ٣١٧) ، والبخاري (٦٦٢٥) ، ومسلم (١٦٥٥) .
(٤) أحمد (٤/ ٣٩٨) ، والبخاري (٦٦٢٣) ، ومسلم (١٦٤٩) .
(٥) أحمد (٤/ ٤٠١) ، والبخاري (٣١٣٣) ، ومسلم (١٦٤٩) .

• [٤١٢٨] هذا الحديث فيه منقبة لعلي ﷺ، وعلي ﷺ رجل شجاع، فلما خرج النبي ﷺ إلى غزوة تبوك استخلف عليا وقال له: **«اجلس في المدينة تكون عند أهلي وأهلك»**[1]، فلما أراد المسير تبعه علي فقال: **«أتخلفني في الصبيان والنساء؟»** أي: تخلفني في النساء والصبيان وأنا رجل فارس قوي نشيط، فأراد النبي ﷺ أن يطيب خاطره وقال: **«ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟»**، لكنه احترز وقال: **«إلا أنه ليس نبي بعدي»**، يعني: أن هارون خلفه موسى لما ذهب لميقات ربه وهو نبي بعده: ﴿**وَقَالَ مُوسَىٰ لِأَخِيهِ هَٰرُونَ ٱخۡلُفۡنِي فِي قَوۡمِي وَأَصۡلِحۡ وَلَا تَتَّبِعۡ سَبِيلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ**﴾ [الأعراف: ١٤٢]، وعلي خلفه النبي ﷺ في غزوة تبوك إلا أنه ليس بعده نبي.

وفي اللفظ الآخر قال: **«كن عند أهلي وأهلك، فإنما خلفتك لما تركت ورائي»**[2].

• [٤١٢٩] هذه القصة وقعت في غزوة تبوك؛ لأن يعلى بن أمية ﷺ كان رجلا كبير السن، فاستأجر أجيرا يقوم بالعمل ويعطيه شيئًا من الغنيمة، وفيه أنه لا بأس باستئجار الأجير في الغزو على أجرة أو على جزء من الغنيمة، فيعلى بن أمية استأجر هذا الأجير على أن يكون معه ويخدمه ويقوم بشئونه ثم يعطيه الأجرة.

قوله: **«قال يعلى: فكان لي أجير فقاتل إنسانا، فعض أحدهما يد الآخر»** قاتل يعني خاصم، أي: خاصم إنسانا واشتدت الخصومة فأحدهما عض صاحبه، إما أجير يعلى أو الرجل الأجير الذي استأجره يعلى، أي: عض الشخص أو الشخص عضه ولذلك **«قال عطاء: فلقد أخبرني صفوان أيهما عض الآخر فنسيته، قال: فانتزع المعضوض يده من في العاض فانتزع إحدى ثنيتيه، فأتيا النبي ﷺ فأهدر ثنيته، وقال عطاء: وحسبت أنه قال: قال النبي ﷺ: «أفيدع يده في فيك تقضمها كأنها في في فحل يقضمها؟!»»** يعني: لما عض أحدهما الآخر نزع المعضوض يده فلما نزع يده سقطت ثنيته، والثنيتان الأسنان من الأمام، فالذي سقطت ثناياه اشتكى إلى النبي ﷺ فقال: أريد الدية، أي: يريد الدية في ثنيتيه اللتين سقطتا فلم يجعل له النبي ﷺ دية؛ لأنه معتد فأبطل ديته وقال: **«أفيدع يده في فيك تقضمها**

---

(١) البزار (٤/ ٣٢).

(٢) «تاريخ الطبري» (٢/ ١٨٣).

كأنها في فحل يقضمها؟!» يعني : هو مضطر إلى أن ينزع يده فهل يترك يده يقضمها الآخر كالفحل؟ والفحل البعير أي : كأنها في فم بعير يقضمها ، فما يمكن هذا ، فدل هذا على أنه لا دية لثنية العاض إذا سقطتا من نزع يد المعضوض ؛ لأنه نزع يده ليخلصها من فمه فلا دية له ، وذلك هدر ؛ لأنه معتد .

وفيه من الفوائد: أن من دفع عن نفسه صائلًا أو معتديًا فإن ما أصابه من دفعه أو سقوطه على الأرض هدر ، فلو صال إنسان على شخص فأراد أن يدفع عن نفسه فدفع أو سقط أو كسرت يده مثلا أو جرح فلا دية له ؛ لأنه معتد وهو مضطر لأن يدفع عن نفسه .

وفيه من الفوائد : أنه لا بأس بالاستئجار بجزء من الغنيمة واستئجار أجير ليجاهد معه ويخدمه في الحرب ويعطيه أجرة أو جزءًا من الغنيمة .

* * *

المتن

[٧٩/ ٥٥] حديث كعب بن مالك

وقول الله ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ [التوبة: ١١٨]

• [٤١٣٠] حدثنا يحيى بن بكير، قال: نا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك، أن عبدالله بن كعب بن مالك - وكان قائد كعب من بنيه حين عَمِي - قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن قصة تبوك، قال كعب: لم أتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها إلا في غزوة تبوك، غير أني كنت تخلفت في غزوة بدر، ولم يعاتب أحد تخلف عنها، إنما خرج رسول الله ﷺ يريد عير قريش، حتى جمع الله بينهم وبين عدوهم على غير ميعاد، ولقد شهدت مع رسول الله ﷺ ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام، وما أحب أن لي بها مشهد بدر، وإن كانت بدر أذكر في الناس منها، كان من خبري أني لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت عنه في تلك الغزاة، والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغَزَاة، ولم يكن رسول الله ﷺ يريد غزوة إلا ورّى بغيرها، حتى كانت تلك الغزوة غزاها رسول الله ﷺ في حر شديد، واستقبل سفرًا بعيدًا ومفازًا وَعَدُوًّا كثيرًا، فجلّى للمسلمين أمرهم؛ ليتأهبوا أهبة غزوهم، فأخبرهم بوجهه الذي يريد، والمسلمون مع رسول الله ﷺ كثير، ولا يجمعهم كتاب حافظ - يريد الديوان - قال كعب: فما رجل يريد أن يتغيب إلا ظن أنه سيخفى له ما لم ينزل فيه وحي الله، وغزا رسول الله ﷺ تلك الغزوة حين طابت الثمار والظلال، وتجهز رسول الله ﷺ والمسلمون معه، فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم فأرجع ولم أقض شيئا، فأقول في نفسي: أنا قادر عليه، فلم يزل يتمادى بي حتى اشتد الناس الجد، فأصبح رسول الله ﷺ والمسلمون معه ولم أقض من جهازي شيئا، فقلت: أتجهز بعده بيوم أو يومين ثم ألحقهم، فغدوت بعد أن فصلوا لأتجهز، فرجعت ولم أقض شيئا، ثم غدوت، ثم رجعت ولم أقض شيئا، فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو، وهممت أن أرتحل فأدركهم، وليتني فعلت! فلم يقدر لي ذلك، فكنت إذا خرجت في الناس بعد خروج رسول الله ﷺ فطفت فيهم أحزنني أني لا أرى إلا رجلا مغموصا عليه النفاق، أو

رجلا ممن عذر الله من الضعفاء، ولم يذكرني رسول الله ﷺ حتىٰ بلغ تبوكا، فقال وهو جالس في القوم بتبوك: **«ما فعل كعب؟»**، فقال رجل من بني سلمة: يا رسول الله، حبسه برداه ونظره في عطفه، فقال معاذ بن جبل: بئس ما قلت والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرا، فسكت رسول الله ﷺ، قال كعب بن مالك: فلما بلغني أنه توجه قافلا حضرني همي، وطفقت أتذكر الكذب، وأقول: بماذا أخرج من سخطه غدا؟ واستعنت علىٰ ذلك بكل ذي رأي من أهلي، فلما قيل: إن رسول الله ﷺ قد أظل قادما زاح عني الباطل، وعرفت أني لن أخرج منه أبدا بشيء فيه كذب، فأجمعت صدقه، وأصبح رسول الله ﷺ قادما، وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين، ثم جلس للناس، فلما فعل ذلك جاءه المخلفون، فطفقوا يعتذرون إليه ويحلفون له، وكانوا بضعة وثمانين رجلا، فقبل منهم رسول الله ﷺ علانيتهم، وبايعهم واستغفر لهم، ووكل سرائرهم إلى الله، فجئته، فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب، ثم قال: **«تعال»**، فجئت أمشي حتىٰ جلست بين يديه، فقال لي: **«ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟»** فقلت: بلىٰ، إني والله لو جلست عند غيرك من أهل الدنيا لرأيت أن سأخرج من سخطه بعذر، ولقد أعطيت جدلا، ولكني والله لقد علمت لئن حدثتك اليوم حديث كذب ترضىٰ به عني، ليوشكن الله أن يسخطك علي، ولئن حدثتك حديث صدق تجد علي فيه إني لأرجو فيه عفو الله، لا والله ما كان لي من عذر، والله ما كنت قط أقوىٰ ولا أيسر مني حين تخلفت عنك، فقال رسول الله ﷺ: **«أما هذا فقد صدق، فقم حتىٰ يقضي الله فيك»**، فقمت، وثار رجال من بني سلمة فاتبعوني، فقالوا لي: والله ما علمناك كنت أذنبت ذنبا قبل هذا، ولقد عجزت أن لا تكون اعتذرت إلىٰ رسول الله ﷺ بما اعتذر إليه المخلفون؟ قد كان كافيك ذنبك استغفار رسول الله ﷺ لك، فوالله ما زالوا يؤنبوني حتىٰ أردت أن أرجع فأكذب نفسي، ثم قلت لهم: هل لقي هذا معي أحد؟ قالوا: نعم، رجلان قالا مثل ما قلت، فقيل لهما مثل ما قيل لك، فقلت: من هما؟ قال: مرارة بن الربيع العمري، وهلال بن أمية الواقفي، فذكروا لي رجلين صالحين قد شهدا بدرا، فيهما أسوة، فمضيت حين ذكروهما لي، ونهىٰ رسول الله ﷺ المسلمين عن كلامنا أيها الثلاثة من بين من تخلف عنه؛ فاجتنبنا الناس، فتغيروا لنا حتىٰ تنكرت في نفسي الأرض، فما هي التي أعرف،

فلبثنا على ذلك خمسين ليلة ، فأما صاحباي فاستكانا وقعدا في بيوتهما يبكيان ، وأما أنا فكنت أشب القوم وأجلدهم ، وكنت أخرج فأشهد الصلاة مع المسلمين ، وأطوف في الأسواق ولا يكلمني أحد ، وآتي رسول الله ﷺ فأسلم عليه وهو في مجلسه بعد الصلاة ، فأقول في نفسي : هل حرك شفتيه برد السلام علي أم لا؟ ثم أصلي قريبا منه فأسارقه النظر ، فإذا أقبلت على صلاتي أقبل إلي ، وإذا التفت نحوه أعرض عني ، حتى إذا طال علي ذلك من جفوة الناس مشيت حتى تسورت جدار حائط أبي قتادة - وهو ابن عمي وأحب الناس إلي - فسلمت عليه ، فوالله ما رد علي السلام ، فقلت : يا أبا قتادة ، أنشدك بالله ، هل تعلمني أحب الله ورسوله؟ فسكت ، فعدت له فنشدته ، فسكت ، فعدت له فنشدته ، فقال : الله ورسوله أعلم ، ففاضت عيناي ، وتوليت حتى تسورت الجدار ، قال : فبينا أنا أمشي بسوق المدينة إذا نبطي من أنباط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول : من يدل على كعب بن مالك؟ فطفق الناس يشيرون له ، حتى إذا جاءني دفع إلي كتابا من ملك غسان ، فإذا فيه : أما بعد ، فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك ، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسك ؛ فقلت لما قرأتها : وهذا أيضا من البلاء ، فتيممت بها التنور فسجرته بها ، حتى إذا مضت أربعون ليلة من الخمسين إذا رسول لرسول الله ﷺ يأتيني فقال : إن رسول الله ﷺ يأمرك أن تعتزل امرأتك ، فقلت : أطلقها أم ماذا أفعل؟ قال : لا ، بل اعتزلها ولا تقربها ، وأرسل إلى صاحبي مثل ذلك ، فقلت لامرأتي : الحقي بأهلك فتكوني عندهم حتى يقضي الله في هذا الأمر ، قال كعب : فجاءت امرأة هلال بن أمية رسول الله ﷺ فقالت : يا رسول الله ، إن هلال بن أمية شيخ ضائع ليس له خادم ، فهل تكره أن أخدمه؟ قال : «**لا ، ولكن لا يقربك**» ، قالت : إنه والله ما به حركة إلى شيء ، والله ما زال يبكي منذ كان من أمره ما كان إلى يومه هذا . فقال لي بعض أهلي : لو استأذنت رسول الله ﷺ في امرأتك كما أذن لامرأة هلال بن أمية أن تخدمه ، فقلت : والله لا أستأذن فيها رسول الله ﷺ ، وما يدريني ما يقول رسول الله ﷺ إذا استأذنته فيها وأنا رجل شاب ، فلبثت بعد ذلك عشر ليال ، حتى كملت لنا خمسون ليلة من حين نهى رسول الله ﷺ عن كلامنا ، فلما صليت صلاة الفجر صبح خمسين ليلةً وأنا على ظهر بيت من بيوتنا ، فبينا أنا جالس على الحال التي ذكر الله قد ضاقت علي نفسي ، وضاقت علي

الأرض بما رحبت - سمعت صوت صارخ أوفى على جبل سلع بأعلى صوته : يا كعب بن مالك ، أبشر! قال : فخررت ساجدا ، وعرفت أن قد جاء فرج ، وآذن رسول الله ﷺ بتوبة الله علينا حين صلى صلاة الفجر ، فذهب الناس يبشرونا ، وذهب قبل صاحبي مبشرون ، وركض رجل إلي فرسا ، وسعى ساع من أسلم فأوفى على الجبل ، وكان الصوت أسرع من الفرس ، فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني نزعت له ثوبي فكسوته إياهما ببشراه ، والله ما أملك غيرهما يومئذ ، واستعرت ثوبين فلبستهما ، وانطلقت إلى رسول الله ﷺ ، فيتلقاني الناس فوجا فوجا يهنئوني بالتوبة ، يقولون : لتهنك توبة الله عليك ، قال كعب : حتى دخلت المسجد ، فإذا رسول الله ﷺ جالس حوله الناس ، فقام إلي طلحة بن عبيدالله يهرول حتى صافحني وهناني ، والله ما قام إلي رجل من المهاجرين غيره ، ولا أنساها لطلحة ، قال كعب : فلما سلمت على رسول الله ﷺ قال رسول الله ﷺ وهو يبرق وجهه من السرور : «**أبشر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك**» ، قال : قلت : أمن عندك يا رسول‌الله؟ أم من عند الله؟ قال : «**لا ، بل من عند الله**» ، وكان رسول الله ﷺ إذا سر استنار وجهه حتى كأنه قطعة قمر ، وكنا نعرف ذلك منه ، فلما جلست بين يديه قلت : يا رسول‌الله ، إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله وإلى رسوله ، قال رسول الله ﷺ : «**أمسك عليك بعض مالك ، فهو خير لك**» ، قلت : فإني أمسك سهمي الذي بخيبر ، فقلت : يا رسول‌الله ، إن الله إنما نجاني بالصدق ، وإن من توبتي أن لا أحدث إلا صدقا ما بقيت ، فوالله ما أعلم أحدا من المسلمين أبلاه الله في صدق الحديث مذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ أحسن مما أبلاني ، وما تعمدت مذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذبا ، وإني لأرجو أن يحفظني الله فيما بقيت ، وأنزل الله ﷻ على رسوله ﷺ : ﴿**لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ**﴾ ، إلى قوله : ﴿**وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ**﴾ [التوبة : ١١٧-١١٩] ، فوالله ما أنعم الله علي من نعمة قط بعد أن هداني للإسلام أعظم في نفسي من صدقي رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا ؛ فإن الله قال للذين كذبوا حين أنزل الوحي شر ما قال لأحد ، فقال الله ﷻ : ﴿**سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ**﴾ إلى قوله : ﴿**فَإِنَّ ٱللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ**﴾ [التوبة : ٩٥-٩٦] ، قال كعب : وكنا تخلفنا أيها الثلاثة عن أمر

أولئك الذين قبل منهم رسول الله ﷺ حين حلفوا له فبايعهم واستغفر لهم، وأرجأ رسول الله ﷺ أمرنا حتى قضى الله فيه، فبذلك قال الله ﷻ: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [التوبة: ١١٨]، وليس الذي ذكر الله مما خلفنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا وإرجاؤه أمرنا عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه.

الشرح

بوب المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ فقال: «حديث كعب بن مالك» وذكر هذا الحديث الطويل الذي فيه قصة كعب بن مالك رضي الله عنه حين تخلف عن غزوة تبوك.

ثم ذكر المؤلف قول الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [التوبة: ١١٨].

والحديث فيه فوائد وأحكام عظيمة، وهو حديث طويل نزلت فيه هذه الآية: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ وقبلها قول الله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ [التوبة: ١١٧] وقد سميت غزوة تبوك بساعة العسرة؛ لما أصاب المسلمين فيها من الشدة، فكان الحر شديدا والنفقة قليلة والظهر أو الدواب قليلة والسفر طويلا بعيدا، فالمسافة من تبوك إلى المدينة طويلة، وليس هناك مواصلات مثل التي عندنا الآن من سيارات وطائرات وما إلى ذلك، وما كانت الطرق ممهدة ومعدة بل كان التنقل بالرواحل من الإبل وكانت الطرق في الصحراء من الرمال، وقد يعترضها الجبال والوقت وقت حر شديد، فهذه المسافة قد تهلك فيها بعض الإبل أو بعض الناس، فسميت الصحراء مفازة تفاؤلا بالفوز والسلامة منها، وإلا ففيها مهلكة، وكان يسمى اللديغ سليما تفاؤلا له بالسلامة وإلا فاللديغ ليس بسليم.

فالنبي ﷺ استقبل سفرا بعيدا ومفازة شاسعة فأصابهم شدة عظيمة، فقد قل الماء حتى إن الواحد ينحر البعير ويشرب ما في كرشها من الماء من العطش، وقل الظهر، فليس لكل أحد منهم بعير، والوقت حار شديد، وكان الليل قصيرا والنهار طويلا والشمس حارة والمسافة طويلة جدًا تصل إلى عشرين يومًا سيرًا.

وقد جلى النبي ﷺ للناس هذا الأمر فكان إذا غزا النبي ﷺ غزوة ورى بغيرها حتى يفجأ العدو، فإذا أراد أن يغزو جهة الشمال سأل عن طريق جهة الجنوب، وإذا أراد أن يغزو

جهة الغرب سأل عن جهة الشرق إلا هذه الغزوة ، فقد جلى وأوضح للناس وبين لهم حتى يستعدوا ويتأهبوا ؛ لأن المسافة بعيدة والخطورة شديدة .

وأنزل الله فيها : ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَـٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ﴾ أي : تاب الله على النبي والمهاجرين والأنصار الذين اتبعوه ساعة العسرة ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : ١١٧] يعني : كادت القلوب أن تزيغ من الشدة والعسرة ، ثم خص الثلاثة فقال : ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ [التوبة : ١١٧] يعني : وتاب الله على الثلاثة الذين خلفوا وهم : كعب بن مالك ، وهلال بن أمية الواقفي ، ومرارة بن الربيع العمري .

وقوله : ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟﴾ أي : وفقهم للتوبة ليتوبوا ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ .

وصدر المؤلف بهذه الآية لحديث كعب : ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَـٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ .

وقوله : ﴿خُلِّفُوا۟﴾ يعني : خلفهم النبي ﷺ وأرجأ أمرهم بعدما جاء إلى المدينة ، فبعد رجوعه إلى المدينة جاء المخلفون من المنافقين واعتذروا فقبل النبي ﷺ عذرهم وعلانيتهم ووكل سرائرهم إلى الله إلا الثلاثة الذين خلفوا ؛ لأنهم صدقوا فأرجأ أمرهم إلى الله حتى تاب الله عليهم ، فقد هجرهم النبي ﷺ والمؤمنون خمسين ليلة حتى صار الحل فيما قال الله : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓا۟ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ يعني : تيقنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ، فالظن في الآية معناه اليقين ، وقوله : ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة : ١١٨] فبعد أن تيقنوا من أن ملجأهم ليس لأحد إلا لله وفقهم الله سبحانه للتوبة .

وقد عاتب النبي ﷺ المخلفين في غزوة تبوك ؛ لأن الظاهر أن الجهاد في هذه الغزوة كان فرض عين .

فالجهاد يكون فرض عين في ثلاث حالات منها : إذا استنفر الإمام الناس أو أحدًا منهم ، فكان الجهاد في تبوك فرض عين ؛ لأن النبي ﷺ أمر الناس بالتجهز .

أما إذا لم يأت الأمر بالجهاد فيكون الجهاد مستحبًا ، إلا إذا دهم العدو بلدًا أو وقف في الصف ، وقد عوقب المتخلفون ؛ لأن الظاهر في الأمر أنهم ارتكبوا كبيرة ، وإن كان الجهاد

فرض عين على الأنصار فهو من باب أولى فرض عين على المهاجرين ، فقد تركوا ديارهم وأموالهم وأوذوا .

• [٤١٣٠] قوله : «ولم يعاتب» يعني : لم يلم الرسول ﷺ أحدًا تخلف عنه في بدر ؛ لأنهم ما خرجوا لقتال وإنما خرجوا لأخذ العير .

قوله : «يريد عير قريش» يعني : هم يريدون العير والله جعل لهم نفيرًا ؛ ولهذا قال الله تعالى : ﴿وَإِذْ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحْدَى ٱلطَّآئِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ﴾ إما القتال وإما الغنيمة ﴿وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ ٱلشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ﴾ [الأنفال : ٧] يعني : تودون ألا تكون حربًا والله جعلها حربًا وقتالًا ، أي : تودون أنكم تأخذون العير وتنصرفون .

وقوله : ﴿وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقْطَعَ دَابِرَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [الأنفال : ٧]. يعني : أراد إحقاق الحق وإبطال الباطل ونصر حزبه وأوليائه ؛ فهم خرجوا للعير ، وأراد الله النفير ، وأن يعز الإسلام والمسلمين .

قوله : «وما أحب أن لي بها مشهد بدر» هذا رأي كعب ﵁ يقول : ما تخلفت عن النبي ﷺ إلا في غزوتين : غزوة تبوك وغزوة بدر ، لكني في غزوة بدر لا لوم علي ولا عتاب ؛ لأن النبي ﷺ ما عاتب أحدا ولا دعا الناس إلى النفير والجهاد ، وإنما خرجوا لاستنقاذ عير أبي سفيان وأخذها ، لكن مع كوني تخلفت عن غزوة بدر فإني شهدت ليلة العقبة حين تواثقنا على الإسلام ، وكان هذا قبل الهجرة بسنة أو سنتين عندما لقي النبي ﷺ نفرًا من الأنصار فتواثقوا وتعاهدوا على أن يأتي النبي ﷺ إليهم المدينة فيمنعونه مما يمنعون منه أنفسهم وأهليهم ، فقوله : «وما أحب أن لي بها مشهد بدر» يعني : لا أحب أن لي بدلًا منها بدرًا ، فبيعة العقبة عندي أفضل .

قوله : «وإن كانت بدر أذكر في الناس منها» يعني : وإن كانت غزوة بدر أشهر عند الناس من ليلة العقبة ، لكني أرى أن ليلة العقبة أفضل ، وهذا رأي كعب ﵁ ، والصواب أن بدرًا – ولا شك – لها مزية ، فقد قال النبي ﷺ لعمر ﵁ : **«وما يدريك؟ لعل الله تعالى اطلع على أهل بدر ، فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم»**[1] .

---

(١) أحمد (١/ ٧٩) ، والبخاري (٣٠٠٧) ، ومسلم (٢٤٩٤) .

قوله : «**كان من خبري**» من هنا بدأ خبر كعب رضي الله عنه في تخلفه عن غزوة تبوك ، فقد تخلف كعب رضي الله عنه وليس له عذر ، فقال : ما لي عذر في ذلك ، فالذي يتخلف قد يكون فقيرا ليس عنده راحلة ، وأنا كان عندي وقتها راحلتان قال : «**والله ما اجتمعت عندي قبله راحلتان قط حتى جمعتهما في تلك الغزاة**» إذن ليس له عذر فكان ميسورا وليس عنده نقص في المال ولا في العدة فلهذا قال رضي الله عنه : «**لم أكن قط أقوى ولا أيسر حين تخلفت**» يعني : عنده يسر وقدرة ومال وراحلتان ومع ذلك تخلف ، وسيأتي أنه كلما أراد أن يذهب يتباطأ ويثاقل حتى ذهب الوقت .

قوله : «**ولم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريد غزوة إلا ورى بغيرها**» يقول كعب رضي الله عنه : إن الرسول صلى الله عليه وسلم كانت عادته إذا أراد أن يغزو غزوة ورى بغيرها ، والتورية أن يظهر شيئًا ويريد أمرًا آخر ، فإذا أراد غزوة جهة الشمال صار يسأل عن الطريق إلى جهة الجنوب يوهم أن السير جهة الجنوب ، وإذا أراد أن يغزو جهة الشرق صار يسأل عن الطريق جهة الغرب ، وهذا ليس كذبا ، وإنما تورية حتى يبغت العدو وحتى لا ينتشر خبره ، إلا هذه الغزوة فليس فيها تورية ؛ وذلك لأن هذه الغزوة سفرها طويل في وقت القيظ والحر الشديد ، فلابد من الاستعداد وإعداد العدة ، والتورية هنا تضر المسلمين .

قوله : «**والمسلمون مع رسول الله صلى الله عليه وسلم كثير ، ولا يجمعهم كتاب حافظ**» فعددهم يصل إلى سبعة وعشرين ألفا أو ثلاثين ألفا أو أربعين ألفا فلا يجمعهم كتاب حافظ يعني : لا يحررون أسماء الجند في كتاب خاص بذلك ، فأي شخص يريد أن يتغيب يمكنه ذلك ولا يعلم عنه أحد شيئا ؛ لأن العدد كبير إلا إذا نزل فيه الوحي .

قوله : «**حين طابت الثمار والظلال**» يقول : إن الغزوة وقعت حين طابت الثمار والظلال وقت الخريف فقد صار التمر والعنب طريًّا ، فالإنسان يميل إلى الراحة والدعة للتمتع بالثمار التي حان قطافها ، وهذه أيضا من المثبطات .

قوله : «**وتجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم والمسلمون معه ، فطفقت أغدو لكي أتجهز معهم**» يعني : حاولت أغدو لكي أتجهز معهم ثم لم يقدر لي يقول : «**فأرجع ولم أقض شيئا**» ثم يقول في نفسه : «**أنا قادر عليه**» يعني : نشيط وقوي في أي وقت أركب بعيري وألحقهم ثم قال : «**فلم يزل بي حتى أسرعوا وتفارط الغزو**» أي : اشتد الناس ومشوا مرحلة وهو لم يتحرك .

فقد حاول أن يتجهز لكنه تباطأ، فينبغي على الإنسان إذا عزم أن يتوكل على الله ويجتهد ويبادر؛ لأن الإنسان قد لا يوفق في ذلك إذا تباطأ، فعليه المحاولة.

فعندما تفارط الغزو ولم يقدر كعب رضي الله عنه على الخروج عزم على الجلوس؛ لأنه ما استطاع أن يسافر ولا يمكنه اللحاق بالجيش في هذا الوقت، قال: **«وهممت أن أرتحل فأدركهم، وليتني فعلت! فلم يقدر لي ذلك»**.

ثم لما عزم على الجلوس وتقدم الجيش وصار لا حيلة له في لحوقهم كان إذا خرج يطوف في المدينة فيحزن لأنه لم يجد أحدًا من المتخلفين إلا رجلين، إما رجلًا متهمًا بالنفاق، وإما رجلًا معذورًا؛ لأنه مريض أو كبير السن أو أعرج أو أعمى، فصار يحزن ويتألم؛ لأن في قلبه إيمانًا.

قوله: **«مغموصا عليه النفاق»** يعني: أنه متهم بالنفاق.

ولم يذكره النبي ﷺ حتى وصل تبوكًا فلما وصل تبوكًا ذكر كعبًا قال: **«ما فعل كعب؟»** فاغتابه رجل من بني سلمة قال: **«يا رسول الله، حبسه برداه ونظره في عطفه»**، وفي لفظ: **«في عطفيه»**[1] يعني: أنه آثر الدنيا فهذا هو الذي حبسه؛ لأنه لم يتعب نفسه ولم يشق عليها، فكأنه جالس ينظر إلى ثيابه الجديدة فيلبس هذا ويخلع هذا، فدافع عنه معاذ بن جبل، فقال: **«بئس ما قلت! والله يا رسول الله ما علمنا عليه إلا خيرًا»** فهذا معاذ رضي الله عنه رد عن عرض كعب رضي الله عنه رد على الرجل الذي اغتابه، فأقر النبي ﷺ معاذًا رضي الله عنه على رده عن عرضه، قال: **«فسكت رسول الله ﷺ»**.

وفيه: أنه إذا اغتاب شخص شخصًا آخر عندك فإنك تنهاه عن الغيبة وترد عن أعراض المسلمين، فقد جاء في الحديث: **«من رد عن عرض أخيه رد الله عن وجهه النار يوم القيامة»**[2].

قوله: **«حضرني همي»** ذلك لأنه علم أن رسول الله ﷺ توجه إلى المدينة قافلا، فقال فجاءت الهموم والأحزان، أي: ماذا أقول للنبي ﷺ؟ وبماذا أعتذر له ﷺ؟ وجعل يفكر في

---

(١) أحمد (٣/ ٤٥٦)، ومسلم (٢٧٦٩).

(٢) أحمد (٦/ ٤٤٩)، والترمذي (١٩٣١).

نفسه قال : «**وطفقت أتذكر الكذب ، وأقول : بماذا أخرج من سخطه غدا؟**» أي : ماذا أقول للرسول ﷺ إن غضب علي؟ بماذا أكذب عليه؟

قوله : «**واستعنت على ذلك بكل ذي رأي من أهلي**» يعني : استشرت بعض أهلي وبعض أقاربي فيما أقول للرسول ﷺ عند حضوره .

قوله : «**فلما قيل : إن رسول الله ﷺ قد أظل قادما زاح عني الباطل ، وعرفت أني لن أخرج منه أبدا بشيء فيه كذب ، فأجمعت صدقه**» أي : فكر كعب في الكذب قبل أن يصل النبي ﷺ إلى المدينة ، فلما قيل : إن الرسول ﷺ رجع من تبوك إلى المدينة صار يتذكر : أكذب أم لا أكذب ، أحلف أم لا أحلف ، ماذا أفعل؟ فاستشار بعض أهله ، فلما قيل : إن الرسول ﷺ بالمدينة زاح عنه الباطل وعزم على أن يصدق ولا يقول للنبي ﷺ إلا الصدق ، فعلم أنه لا ينجيه إلا الصدق .

قوله : «**وكان إذا قدم من سفر بدأ بالمسجد فيركع فيه ركعتين ، ثم جلس للناس**» فيه مشروعية صلاة ركعتين للمسافر وأنه يبدأ بالصلاة أولا قبل أن يدخل بيته فيصلي ركعتين إذا تيسر له ، وفيه مشروعية تحية المسجد .

قوله : «**ثم جلس للناس**» هذه قصة اعتذار كعب للنبي ﷺ واعتذار المخلفين ، لما صلى النبي ﷺ في المسجد ركعتين جلس للناس فجاء المخلفون المنافقون وطفقوا يعتذرون ويحلفون ، وكانوا بضعة وثمانين رجلا كل واحد يأتي النبي ﷺ فيحلف ويقول : أنا معذور وأنا كذا ، فالمنافقون ما عندهم إيمان يحلف الواحد منهم إنه لمعذور وإنه ما استطاع وإنه ليس عنده قدرة والنبي ﷺ يقبل علانيتهم ويستغفر لهم ويكل السرائر إلى الله ، فالنبي ﷺ لا يعلم الغيب ، فلا يعلم الغيب إلا الله ، فلما انتهى المنافقون وكانوا بضعة وثمانين جاء كعب ووقعت مناقشة بين النبي ﷺ وبين كعب قال كعب : «**فجئته فلما سلمت عليه تبسم تبسم المغضب ، ثم قال : تعال**» أي : لكعب «**فجئت أمشي حتى جلست بين يديه ، فقال لي : «ما خلفك؟ ألم تكن قد ابتعت ظهرك؟»**» فكعب رضي الله عنه مؤمن وقلبه حي فيمنعه إيمانه أن يكذب على النبي ﷺ ، فلما سأله قال : «**بلى يا رسول الله**» .

أما قوله : «**الله ورسوله أعلم**» قال ذلك أبوقتادة رضي الله عنه لكعب رضي الله عنه ؛ لأن ذلك في حياة النبي ﷺ ، أما بعد وفاته ﷺ فلا يقال هكذا ، وإنما يقال : الله أعلم .

والحديث فيه – كما قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ – «استحباب بكاء العاصي أسفًا على ما فاته من الخير» ولذلك بكى هلال بن أمية ومرارة بن الربيع وكعب بن مالك.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ في بيان الفوائد من هذه القصة: «وفيها إجراء الأحكام على الظاهر ووكول السرائر إلى الله تعالى» أي: مثلما أجراها النبي ﷺ على المنافقين.

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفيها ترك السلام على من أذنب وجواز هجره أكثر من ثلاث، وأما النهي عن الهجر فوق الثلاث فمحمول على من لم يكن هجرانه شرعيًا، وأن التبسم قد يكون عن غضب كما يكون عن تعجب، ولا يختص بالسرور، ومعاتبة الكبير أصحابه ومن يعز عليه دون غيره، وفيها فائدة الصدق وشؤم عاقبة الكذب، وفيها العمل بمفهوم اللقب إذا حفته قرينة؛ لقوله ﷺ لما حدثه كعب: **«أما هذا فقد صدق»**[1] فإنه يشعر بأن من سواه كذب لكن ليس على عمومه في حق كل أحد سواه؛ لأن مرارة وهلالا أيضا قد صدقا فيختص الكذب بمن حلف واعتذر لا بمن اعترف؛ ولهذا عاقب من صدق بالتأديب الذي ظهرت فائدته عن قرب، وأخر من كذب للعقاب الطويل، وفي الحديث الصحيح: **«إذا أراد الله بعبد خيرًا عجل له عقوبته في الدنيا، وإذا أراد به شرًّا أمسك عنه عقوبته فيرد القيامة بذنوبه»**[2]».

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفيها تبريد حر المصيبة بالتأسي بالنظير، وفيها عظم مقدار الصدق في القول والفعل وتعليق سعادة الدنيا والآخرة والنجاة من شرهما به، وأن من عوقب بالهجر يعذر في التخلف عن صلاة الجماعة؛ لأن مرارة وهلالًا لم يخرجا من بيوتهما تلك المدة. وفيها سقوط رد السلام على المهجور عمن سلم عليه؛ إذ لو كان واجبًا لم يقل كعب: **«هل حرك شفتيه برد السلام؟»**. وفيها جواز دخول المرء دار جاره وصديقه بغير إذنه ومن غير الباب إذا علم رضاه. وفيها أن قول المرء: الله ورسوله أعلم – ليس بخطاب ولا كلام ولا يحنث به من حلف أن لا يكلم الآخر إذا لم ينو به مكالمته، وإنما قال أبو قتادة ذلك لما ألح عليه كعب وإلا فقد تقدم أن رسول ملك غسان لما سأل عن كعب جعل الناس يشيرون له إلى كعب

(١) أحمد (٣/ ٤٥٦)، والبخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).
(٢) أحمد (٤/ ٨٧).

ولا يتكلمون بقولهم مثلا : هذا كعب ؛ مبالغة في هجره والإعراض عنه . وفيها أن مسارقة النظر في الصلاة لا تقدح في صحتها وإيثار طاعة الرسول على مودة القريب وخدمة المرأة زوجها . والاحتياط لمجانبة ما يخشى الوقوع فيه . وجواز تحريق ما فيه اسم الله للمصلحة» ؛ فكعب حرق الكتاب ، وفيه اسم الجلالة .

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ : «وفيها مشروعية سجود الشكر والاستباق إلى البشارة بالخير وإعطاء البشير أنفس ما يحضر الذي يأتيه بالبشارة» لأنه نزع إليه ثوبيه ولا يملك غيرهما .

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ : «وتهنئة من تجددت له نعمة والقيام إليه إذا أقبل واجتماع الناس عند الإمام في الأمور المهمة وسروره بما يسر أتباعه ، ومشروعية العارية ، ومصافحة القادم والقيام له ، والتزام المداومة على الخير الذي ينتفع به ، واستحباب الصدقة عند التوبة ، وأن من نذر الصدقة بكل ماله لم يلزمه إخراج جميعه . وسيأتي البحث فيه في كتاب **«النذر»** إن شاء الله تعالى .

وقال ابن التين فيه : إن كعب بن مالك من المهاجرين الأولين الذين صلوا إلى القبلتين كذا قال ، وليس كعب من المهاجرين إنما هو من السابقين من الأنصار» .

* * *

المتن

[٨٠/ ٥٥] نزول النبيِّ ﷺ الحِجْر

• [٤١٣١] حدثنا عبدالله بن محمد الجعفي، قال: نا عبدالرزاق، قال: أنا معمر، عن الزهري، عن سالم، عن ابن عمر قال: لما مر النبي ﷺ بالحجر قال: **«لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم؛ أن يصيبكم ما أصابهم، إلا أن تكونوا باكين»**، ثم قنع رأسه وأسرع السير حتى أجاز الوادي.

• [٤١٣٢] نا يحيى بن بكير، قال: نا مالك، عن عبدالله بن دينار، عن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ لأصحاب الحجر: **«لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين إلا أن تكونوا باكين؛ أن يصيبكم مثل ما أصابهم»**.

الشرح

هذه الترجمة في **«نزول النبي ﷺ الحجر»** والحجر هي ديار ثمود قوم صالح ﵇، وهم الذين أهلكهم الله بالصيحة لما كذبوا نبيهم وكفروا بالله، فقد صاح بهم جبريل ﵇ صيحة قطعت أمعاءهم في أجوافهم؛ فماتوا عن آخرهم نسأل الله السلامة والعافية! وكانوا قومًا أشداء ينحتون من الجبال بيوتًا ويتخذون من السهول قصورًا، فأهلكهم الله وكانت على طريق النبي ﷺ في ذهابه إلى تبوك فمروا عليها.

• [٤١٣١] ذكر حديث ابن عمر ﵄ قال: لما مر النبي ﷺ بالحجر قال: **«لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم؛ أن يصيبكم ما أصابهم، إلا أن تكونوا باكين»**.

قوله: **«ثم قنع رأسه»** يعني: غطى رأسه بالقناع **«وأسرع السير حتى أجاز الوادي»**.

• [٤١٣٢] هذا الحديث فيه النهي عن دخول المسلمين منازل هؤلاء المعذبين وهم ثمود قوم صالح ﵇ إلا على حالة واحدة وهي حالة البكاء، وبين العلة في النهي وهي خشية أن يصيبهم ما أصابهم.

وهذا النهي للتحريم؛ لأنه نهى عن دخول مساكن الظالمين إلا على هذه الحالة وهي أن يكون الداخل باكيًا، فالحديث بطريقيه فيه النهي عن دخول مساكن ثمود وهم قوم صالح الذين أهلكهم الله بالصيحة والرجفة.

وهذا النهي يشمل الدخول في جميع أماكن العذاب كالأهرام في مصر وأصحاب الأخدود في نجران فلا يجوز دخولها ؛ لعموم قول النبي ﷺ : **«لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم»** فهذا قول عام، وقد صدر من هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية قرار بمنع الرحلات الطلابية إلى مساكن ثمود، وبلغت الدولة وفقها الله بذلك، وعلى جميع المدارس أن تلتزم بهذا الحكم الشرعي.

وقد جاء في الحديث الآخر : أنه عندما مر المسلمون بمساكن ثمود عجنوا العجين من البئر فأمر النبي ﷺ أن تعلف الإبل العجين وألا يستقوا إلا من بئر الناقة(١) فكان هناك آبار متعددة منها بئر الناقة فأمرهم النبي ﷺ أن يستقوا منها وأما ما عداها فلا يستقى منها، ولذلك لما عجنوا من غير بئر الناقة العجين أمرهم ﷺ أن يعلفوا الإبل بهذا العجين.

وقد اختلف العلماء على قولين : هل تصح الطهارة من آبار ثمود أو لا تصح؟

فالحنابلة(٢) وجماعة يقولون : لا يصح الوضوء منها ؛ لأنه ماء مثل الماء المغصوب أي : إنه ماء ممنوع منه شرعًا.

وقال آخرون من أهل العلم : يصح مع الإثم، وهذا هو الأقرب مثل الصلاة في الأرض المغصوبة فإنها تصح مع الإثم، فالمتوضئ منها له ثواب الوضوء وعليه إثم الغصب، كما لو توضأ بالماء المغصوب فله ثواب الوضوء وعليه إثم الغصب.

وكذلك لو صلى الإنسان في ثوب فيه صورة فإنه تصح صلاته على الصحيح، فله ثوابها وعليه إثم الصورة، وكذلك لو صلى في ثوب حرير أو في ثوب مغصوب، كل هذا فيه خلاف بين العلماء فمنهم من قال : لا تصح الصلاة، ومنهم من قال : تصح مع الإثم.

***

---

(١) أحمد (٢/ ١١٧)، ومسلم (٢٩٨١).
(٢) انظر «مطالب أولي النهى» (١/ ٣٢).

المَتْنُ

[٨١/ ٥٥] باب

• [٤١٣٣] حدثنا يحيى بن بكير، عن الليث، عن عبدالعزيز بن أبي سلمة، عن سعد بن إبراهيم، عن نافع بن جبير، عن عروة بن المغيرة، عن أبيه مغيرة بن شعبة قال: ذهب النبي ﷺ لبعض حاجته، فقمت أسكب عليه الماء، لا أعلمه إلا أنه قال: في غزوة تبوك، فغسل وجهه، وذهب يغسل ذراعيه فضاق عليه كُمُّ الجُبَّة فأخرجهما من تحت جبته، فغسلهما ثم مسح على خفيه.

• [٤١٣٤] حدثنا خالد بن مخلد، قال: نا سليمان، عن عمرو بن يحيى، عن عباس بن سهل بن سعد، عن أبي حميد قال: أقبلنا مع النبي ﷺ من غزوة تبوك، حتى إذا أشرفنا على المدينة قال: **«هذه طابةُ، وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه»**.

• [٤١٣٥] نا أحمد بن محمد، قال: أنا عبدالله، قال: أنا حميد الطويل، عن أنس، أنَّ رسول الله ﷺ رجع من غزوة تبوك، فدنا من المدينة فقال: **«إن بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم»**، **قالوا**: يا رسول الله، وهم بالمدينة؟ قال: **«وهم بالمدينة حبسهم العذر»**.

الشَّرْحُ

• [٤١٣٣] هذا حديث المغيرة بن شعبة في ذكر بعض ما وقع في تبوك، وفيه أن النبي ﷺ ذهب لبعض حاجته فقام المغيرة بن شعبة رضي الله عنه ليسكب عليه الماء، وهذا فيه المعاونة على الوضوء، فإذا كان الإنسان يتوضأ ويصب عليه أخوه فلا بأس بذلك.

قوله: **«ثم مسح على خفيه»** وفي اللفظ الآخر قال المغيرة: **«فأهويت لأنزع الخفين فقال: دعهما فإني أدخلتهما طاهرتين»**(١).

فالحديث فيه: مشروعية المسح على الخفين إذا استكملت الشروط وتوفرت، بأن يلبسهما على طهارة، ويكون الخف ساترًا للمفروض، ويكون مباحًا.

---

(١) أحمد (٤/ ٢٥٥)، والبخاري (٢٠٦)، ومسلم (٢٧٤).

وفيه : جواز لبس ضيق الكمين فلا بأس به ولا حرج ، وإن احتاج إلى توسعته فلا بأس أن يخرجها من تحت ، وجواز لبس ما جاء من بلاد الكفار ؛ لأن هذه الجبة جبة شامية ، وكانت الشام في ذلك الوقت بلاد كفار ، فكانت من بلاد الروم آنذاك ، ولم تفتح إلا بعد وفاة النبي ﷺ ، ولعل النبي ﷺ لبس هذه الجبة من أجل البرد ؛ لأن تبوكًا كان جوها باردًا آنذاك .

• [٤١٣٤] قوله : «**هذه طابة**» فيه أن طابة من أسماء المدينة ، فالمدينة لها أسماء منها : طابة وطيبة والمدينة .

وقوله : «**وهذا أحد جبل يحبنا ونحبه**» يعني : أن الله تعالى جعل في الجبل إحساسًا وهو المحبة وإن كان جمادا ، كما جعل الله فيه الخشية كما في قوله تعالى : ﴿**وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ**﴾ [البقرة : ٧٤] فالله على كل شيء قدير .

• [٤١٣٥] هذا الحديث فيه من الفوائد : أن الإنسان إذا كان يعمل عملا كصلاة أو جهاد أو حج في كل سنة ثم منعه منه مرض أو عذر كتب الله له أجر ذلك العمل كما في هذا الحديث : «**إن بالمدينة أقواما ما سرتم مسيرا ولا قطعتم واديا إلا كانوا معكم**» وفي لفظ : «**إلا شركوكم في الأجر**»[١] .

قوله : «**وهم بالمدينة حبسهم العذر**» يعني : أن النبي ﷺ أخبر أصحابه أن بالمدينة أقواما كتب لهم أجر الجهاد وهم في المدينة فقد حبسهم العذر ، فإذا كان الإنسان عنده نية العمل ثم منعه مانع كتب الله له ما نواه بحيث إنه لولا المانع لكان مؤديًا للعمل .

ويؤيد هذا الحديث حديث أبي موسى : «**إذا مرض العبد أو سافر كتب له مثل ما كان يعمل صحيحًا مقيمًا**»[٢] ، وهذا من فضل الله وإحسانه .

ومن ذلك أن الحائض والنفساء يكتب لهما أجر المصلين ، وكذلك يكتب لهما أجر الست من شوال إذا نويا ذلك ، أما كون النساء ناقصات عقل ودين فهذا نقص خلقي واقعي وليس في الثواب .

---

(١) أحمد (٣/ ١٠٣) ، ومسلم (١٩١١) .
(٢) أحمد (٤/ ٤١٠) ، والبخاري (٢٩٩٦) .

أما العمل السيئ فلا يكتب على الإنسان إذا عزم عليه أو نواه، أما إن فعل الأسباب التي تمكنه من فعله السيئ ثم تركه للعجز عنه فهذا يكتب عليه كما في حديث: **«القاتل والمقتول في النار»**، قيل: يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول، قال: **«إنه كان حريصا على قتل صاحبه»**[(١)] فهذا حريص على قتل صاحبه لكن منعه مانع أنه سبقه صاحبه فقتله، فقد فعل الأسباب وعزم بخلاف إذا ما ترك الشيء إعراضا عنه فهذا لا يكتب له ولا عليه، أما إذا تركه خوفا من الله فإنه يكتب له حسنة كما في الحديث: **«إذا هم العبد بسيئة فتركها فقال الله: اكتبوها له حسنة فإنه إنما تركها من جرائي»**[(٢)] يعني من أجلي.

إذن فالعمل السيئ له ثلاث حالات:

الحالة الأولى: أن يكتب له سيئة وهي إذا فعل الأسباب وصمم على فعله ثم منعه مانع مثل القاتل والمقتول، ومثل شخص أراد أن يسرق فجعل السلم وأراد أن يسرق ثم رأى إنسانا فخاف ورجع، فهذا يكتب عليه عمله، لأنه فعل الأسباب لكن منعه مانع.

الحالة الثانية: أن يهم بفعل السيئة ثم يتركها خوفا من الله فهذا يكتب له حسنة كما في الحديث القدسي: **«اكتبوها له حسنة فإنما تركها من جرائي»**، وكذلك مثل أحد الثلاثة الذين انطبق عليهم الغار من بني إسرائيل، فإن أحدهم كانت له ابنة عم وكان يحبها فلما تمكن منها قالت له: **«اتق الله ولا تفض الخاتم إلا بحقه فقام وتركها خوفا من الله»**[(٣)] فهذا تكتب له حسنة.

الحالة الثالثة: أن يترك السيئة لا خوفا من الله ولا عجزا وإنما تركها تشاغلا وإعراضا عنها، فهذا لا تكتب له ولا عليه.

* * *

---

(١) أحمد (٤/ ٤١٨)، والبخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨).

(٢) أحمد (١/ ٢٢٧)، والبخاري (٧٥٠١)، ومسلم (١٢٩).

(٣) أحمد (٢/ ١١٦)، والبخاري (٢٢١٥)، ومسلم (٢٧٤٣).

المتن

[٨٢/ ٥٥] كتاب النبي ﷺ إلى كسرى وقيصر

• [٤١٣٦] حدثنا إسحاق، قال: أنا يعقوب بن إبراهيم، قال: نا أبي، عن صالح، عن ابن شهاب، قال: أخبرني عبيدالله بن عبدالله، أنَّ ابن عباس أخبره، أنَّ رسول الله ﷺ بعث بكتابه إلى كسرى مع عبدالله بن حذافة السهمي، فأمره أن يدفعه إلى عظيم البحرين، فدفعه عظيم البحرين إلى كسرى، فلما قرأ مزقه، فحسبت أن ابن المسيَّب قال: فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزَّقوا كلَّ ممزَّق.

• [٤١٣٧] نا عثمان بن الهيثم، قال: نا عوف، عن الحسن، عن أبي بكرة قال: لقد نفعني الله بكلمة سمعتها من رسول الله ﷺ أيام الجمل، بعدما كدتُ أن ألحقَ بأصحاب الجمل فأقاتلَ معهم، قال: لما بلغ رسولَ الله ﷺ أن أهل فارس قد ملَّكوا عليهم بنت كسرى، قال: **«لن يُفلحَ قومٌ ولَّوْا أمرَهم امرأةً»**.

• [٤١٣٨] نا علي بن عبدالله، قال: نا سفيان، قال: سمعت الزهري يقول: سمعت السائب ابن يزيد يقول: أذكر أني خرجت مع الغِلمان إلى ثنيَّة الوداع نتلقَّى رسولَ الله ﷺ.

وقال سفيان مرَّةً: مع الصبيان.

• [٤١٣٩] حدثني عبدالله بن محمد، قال: نا سفيان، عن الزهري، عن السائب، أذكر أني خرجت مع الصبيان نتلقَّى النبيَّ ﷺ إلى ثنيَّة الوداع، مقْدَمه من غزوة تبوك.

الشرح

اختلف العلماء في كتاب النبي ﷺ إلى الملوك فقيل: في السنة السابعة وقت الهدنة، وقيل: كتب إليهم مرتين، لكن الأقرب أنه كتب إليهم عام الوفود في السنة التاسعة من الهجرة بعد فتح مكة وقبل تبوك أو بعدها؛ لأنه بعد فتح مكة ظهر أمر الرسول ﷺ وقوي شأنه.

• [٤١٣٦] هذا الحديث فيه أن النبي ﷺ بعث إلى كسرى كتابا يدعوه إلى الإسلام، فلما قرأه مزقه **«فدعا عليهم رسول الله ﷺ أن يمزقوا كل مزق»** فاستجاب الله دعوة نبيه ﷺ، هذا هو الواقع؛ فإن الله سلط على الفرس رسوله ﷺ والمؤمنين ففتحوا بلادهم وصاروا

يلاحقونهم بلدًا بلدًا حتىٰ تمزق ملكهم ، وكان في ذلك رحمة لهم حيث أسلم من أسلم من الفرس وصار منهم العباد والزهاد والعلماء .

وأما الروم ؛ فإن ملكهم هرقل عظم كتاب النبي ﷺ وجمع حاشيته وكبارهم وعرض عليهم الإسلام ، ثم لما رأىٰ نفورهم تابعهم ؛ ولذلك فإن الروم تماسكوا بعض الشيء وبقي بعض ملكهم إلى الآن .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «قوله : **«أن يمزقوا كل ممزق»** بفتح الزاي أي : يتفرقوا ويتقطعوا ، وفي حديث عبد الله بن حذافة فلما بلغ ذلك رسول الله ﷺ قال : **«اللهم مزق ملكه»** وكتب إلىٰ باذان عامله على اليمن : ابعث من عندك رجلين إلىٰ هذا الرجل الذي بالحجاز ، فكتب باذان إلى النبي ﷺ فقال : **«أبلغا صاحبكما أن ربي قتل ربه في هذه الليلة»**(١) قال : وكان ذلك ليلة الثلاثاء لعشر مضين من جمادىٰ الأولىٰ سنة سبع وإن الله سلط عليه ابنه شيرويه فقتله ، وعن الزهري قال : بلغني أن كسرىٰ كتب إلىٰ باذان بلغني أن رجلًا من قريش يزعم أنه نبي فَسِرْ إليه ، فإن تاب وإلا ابعث برأسه ، فذكر القصة قال : فلما بلغ باذان أسلم هو ومن معه من الفرس» .

• [٤١٣٧] هذا حديث أبي بكرة رضي الله عنه قال : **«لقد نفعني الله بكلمة سمعتها من رسول الله ﷺ أيام الجمل»** ذلك أن موقعة الجمل ذهبت فيها السيدة عائشة رضي الله عنها للإصلاح بين علي ومعاوية رضي الله عنهما ، وتبعها طلحة والزبير رضي الله عنهما وذهبوا إلى العراق ليطالبوا بدم عثمان رضي الله عنه ، فكان الرأي لها ، وأراد أبو بكرة أن ينضم إليهم ، ثم اعتبر رضي الله عنه ذلك نوع إمرة من عائشة رضي الله عنها وهي امرأة فلم يخرج معها ؛ لأنه استنبط من قول النبي ﷺ : **«لن يفلح قوم ولوا أمرهم امرأة»** أنهم ليسوا علىٰ حق ، فهم مجتهدون لكنهم لم يصيبوا رضي الله عنهم .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «قوله **«بعد ما كدت أن ألحق بأصحاب الجمل»** يعني : عائشة رضي الله عنها ومن معها وسيأتي بيان هذه القصة في **«كتاب الفتن»** إن شاء الله تعالىٰ ، ومحصلها أن عثمان لما قتل وبويع علي بالخلافة خرج طلحة والزبير إلىٰ مكة فوجدا عائشة وكانت قد حجت فاجتمع رأيهم على التوجه إلى البصرة ؛ يستنفرون الناس للطلب بدم عثمان» .

---

(١) البيهقي في «الدلائل» (٥/ ٨) .

أي : إن خروج السيدة عائشة ومعها طلحة والزبير ﷺ في موقعة الجمل اجتهادًا منهم كما اجتهد علي ﷺ في قتال أهل الشام ، وكذلك أهل الشام أيضًا مجتهدون ، فكلٌّ مجتهد ، فمن أصاب فله أجران ومن أخطأ فله أجر .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «فبلغ ذلك عليًا فخرج إليهم فكانت وقعة الجمل ونسبت إلى الجمل الذي كانت عائشة قد ركبته وهي في هودجها تدعو الناس إلى الإصلاح والقائل **«لما بلغ»** هو أبو بكرة وهو تفسير لقوله : **«بكلمة»** وفيه إطلاق الكلمة على الكلام الكثير .

قوله : **«ملكوا عليهم بنت كسرى»** هي بوران بنت شيرويه بن كسرى بن برويز ، وذلك أن شيرويه لما قتل أباه كما تقدم كان أبوه لما عرف أن ابنه قد عمل على قتله احتال على قتل ابنه بعد موته فعمل في بعض خزائنه المختصة به حقا مسموما وكتب عليه حق الجماع : من تناول منه كذا جامع كذا فقرأه شيرويه ، فتناول منه فكان فيه هلاكه فلم يعش بعد أبيه سوى ستة أشهر ، فلما مات لم يخلف أخا ؛ لأنه كان قتل إخوته حرصا على الملك ولم يخلف ذكرا ، وكرهوا خروج الملك عن ذلك البيت ، فملكوا المرأة واسمها بوران بضم الموحدة ، ذكر ذلك ابن قتيبة في المغازي ، وذكر الطبري أيضا أن أختها أرزميدخت ملكت أيضا .

قال الخطابي : في الحديث أن المرأة لا تلي الإمارة ولا القضاء ، وفيه أنها لا تزوج نفسها ، ولا تلي العقد على غيرها . كذا قال وهو متعقب ، والمنع من أن تلي الإمارة والقضاء قول الجمهور ، وأجازه الطبري ، وهي رواية عن مالك وعن أبي حنيفة تلي الحكم فيما تجوز فيه شهادة النساء» .

والصواب : أن المرأة لا تلي الإمارة ، ولا القضاء ، ولا تزوج نفسها ، ولا تلي العقد .

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ : «ومناسبة هذا الحديث للترجمة من جهة أنه تتمة قصة كسرى الذي مزق كتاب النبي ﷺ فسلط الله عليه ابنه فقتله ثم قتل إخوته حتى أفضى الأمر بهم إلى تأمير المرأة فجر ذلك إلى ذهاب ملكهم ومزقوا كما دعا به النبي ﷺ» .

• [٤١٣٨]، [٤١٣٩] هذان الحديثان فيهما أن السائب بن يزيد كان صغيرا عند مقدم النبي ﷺ من تبوك ، وكان عمره آنذاك اثنتا عشرة أو أربع عشرة سنة ، وأنه خرج مع الصبيان يتلقون النبي ﷺ عند ثنية الوداع .

المتن

[٨٣/ ٥٥] باب مرض النبي ﷺ ووفاته

وقول الله ﷻ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾ الآية [الزمر: ٣٠]

• [٤١٤٠] نا يحيىٰ بن بكير، قال: نا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة، عن ابن عباس، عن أم الفضل بنت الحارث قالت: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالمرسلات عرفا، ثم ما صلىٰ لنا بعدها حتىٰ قبضه الله.

• [٤١٤١] نا محمد بن عرعرة، قال: نا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان عمر بن الخطاب يدني ابن عباس، فقال له عبدالرحمن بن عوف: إن لنا أبناء مثله، فقال: إنه من حيث تعلم، فسأل عمر ابن عباس عن هذه الآية: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]، فقال: أجَلُ رسولِ الله ﷺ أعلمَهُ إياه، قال: ما أعلمُ منها إلا ما تعلمُ.

وقال يونس، عن الزهري، قال عروة: قالت عائشة: كان النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه: **«يا عائشةُ، ما أزالُ أجدُ ألَمَ الطعام الذي أكلتُ بخيبرَ، فهذا أوانُ وجدتُ انقطاعَ أبْهَري من ذلك السُّمِّ»**.

• [٤١٤٢] حدثني حِبَّان، قال: أنا عبدالله، قال: أنا يونس، عن ابن شهاب، قال: أخبرني عروة، أن عائشة أخبرته، أن رسول الله ﷺ كان إذا اشتكىٰ نفث علىٰ نفسه بالمعوذات، ومسح عنه بيده، فلما اشتكىٰ وجعه الذي تُوُفِّي فيه طفِقت أنفِث عليه بالمعوذات التي كان ينفث، وأمسح بيدَي النبيِّ ﷺ عنه.

• [٤١٤٣] نا قتيبة، قال: نا ابن عيينة، عن سليمان الأحول، عن سعيد بن جبير، قال: قال ابن عباس: يوم الخميس وما يوم الخميس! اشتد برسول الله ﷺ وجعه فقال: **«ائتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا»**، فتنازعوا ولا ينبغي عند نبي تنازع، فقالوا: ما شأنه أهجر؟ استفهموه، فذهبوا يردوا عنه، فقال: **«دعوني، فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه»**، وأوصاهم بثلاث: قال: **«أخرجوا المشركين من جزيرة العرب، وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم»** وسكت عن الثالثة – أو قال: فنسيتها.

• [٤١٤٤] نا علي بن عبدالله، قال: نا عبدالرزاق، قال: أنا معمر، عن الزهري، عن عبيدالله ابن عبدالله بن عتبة، عن ابن عباس قال: لما حُضِر رسولُ الله ﷺ وفي البيت رجال، فقال النبي: **«هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده»**، فقال بعضهم: إن رسول الله ﷺ قد غلبه الوجع، وعندكم القرآن، حسبنا كتاب الله، فاختلف أهل البيت واختصموا؛ فمنهم من يقول: قربوا يكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده، ومنهم من يقول غير ذلك، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله ﷺ: **«قوموا»**، قال عبيدالله: فكان ابن عباس يقول: إن الرزية كل الرزية ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب؛ لاختلافهم ولغطهم.

• [٤١٤٥] نا يسرة بن صفوان بن جميل اللخمي، قال: نا إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن عروة، عن عائشة قالت: دعا النبي ﷺ فاطمة في شكواه الذي قبض فيه، فسارها بشيء فبكت، ثم دعاها فسارها فضحكت، فسألنا عن ذلك، فقالت: سارني النبي ﷺ أنه يقبض في وجعه الذي توفي فيه فبكيت، ثم سارني فأخبرني أني أول أهله يتبعه فضحكت.

• [٤١٤٦] حدثني محمد بن بشار، قال: نا غندر، قال: نا شعبة، عن سعد، عن عروة، عن عائشة قالت: كنت أسمع أنه لا يموت نبي حتى يخير بين الدنيا والآخرة، فسمعت النبي ﷺ يقول في مرضه الذي مات فيه وأخذته بُحَّة يقول: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ الآية [النساء: ٦٩]؛ فظننت أنه خير.

• [٤١٤٧] نا مسلم، قال: نا شعبة، عن سعد، عن عروة، عن عائشة قالت: لما مرض رسول الله ﷺ الذي مات فيه جعل يقول: **«في الرفيق»**.

• [٤١٤٨] نا أبو اليمان، قال: أنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني عروة بن الزبير، أن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ وهو صحيح يقول: **«إنه لم يقبض نبي قط حتى يُرى مقعده من الجنة، ثم يحيا أو يخير»**، فلما اشتكى وحضره القبض ورأسه على فخذ عائشة غُشِيَ عليه، فلما أفاق شَخَصَ بصرُه نحو سقف البيت، ثم قال: **«اللهم في الرفيق الأعلى»**، فقلت: إذن لا يجاورنا، فعرفت أنه حديثه الذي كان يحدثنا وهو صحيح.

• [٤١٤٩] حدثني محمد، قال: نا عفان، عن صخر بن جويرية، عن عبدالرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة، دخل عبدالرحمن بن أبي بكر على النبي ﷺ وأنا مُسنِدَتُه إلى صدري، ومع عبدالرحمن سواك رطبٌ يستنُّ به، فأَبَدَّه رسولُ الله ﷺ بصرَه، فأخذت

السواكَ فقَضِمْتُه ونَفَضْتُه وطَيَّبْتُه ، ثم دفعته إلى النبي ﷺ فاستن به ، فما رأيت النبي ﷺ استن استنانا قط أحسن منه ، فما عدا أن فرغ رسول الله ﷺ رفع يده أو إصبعه ، ثم قال : **«في الرفيق الأعلىٰ»** ثلاثا ، ثم قضىٰ ، وكانت تقول : مات بين حاقنتي وذاقنتي .

• [٤١٥٠] نا معلَّىٰ بن أسد ، قال : نا عبدالعزيز بن مختار ، قال : نا هشام بن عروة ، عن عباد بن عبدالله بن الزبير ، أن عائشة أخبرته ، أنها سمعت النبي ﷺ وأَصْغَتْ إليه قبل أن يموت ، وهو مُسنِدٌ إليَّ ظهرَه يقول : **«اللهم اغفر لي وارحمني ، وألحقني بالرفيق»** .

• [٤١٥١] نا الصلت بن محمد ، قال : نا أبو عوانة ، عن هلال الوزَّان ، عن عروة ، عن عائشة قالت : قال النبي ﷺ في مرضه الذي لم يقم منه : **«لعن الله اليهود ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»** ، قالت عائشة : لولا ذاك لأُبرِزَ قبرُه ، خَشِيَ أن يُتخَذَ مسجدًا .

• [٤١٥٢] نا عبدالله بن يوسف ، قال : نا الليث ، قال : حدثني ابن الهاد ، عن عبدالرحمن بن القاسم ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : مات النبي ﷺ وإنه لبين حاقنتي وذاقنتي ، فلا أكره شدة الموت لأحد أبدا بعد النبي ﷺ .

• [٤١٥٣] نا سعيد بن عفير ، قال : حدثني الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود ، أن عائشة قالت : لما ثقل رسول الله ﷺ واشتد به وجعه استأذن أزواجه أن يُمَرَّضَ في بيتي ، فأذن له ، فخرج وهو بين الرجلين تخط رجلاه في الأرض ؛ بين عباس بن عبدالمطلب ، وبين رجل آخر ، قال عبيدالله : فأخبرت عبدالله بالذي قالت عائشة فقال لي عبدالله بن عباس : هل تدري من الرجل الآخر الذي لم تسم عائشة؟ قال : قلت : لا ، قال ابن عباس : هو علي بن أبي طالب ، فكانت عائشة تحدث ، أن رسول الله ﷺ لما دخل بيتي واشتد به وجعه قال : **«أَهْرِيقوا عليَّ من سَبْعِ قِرَبٍ لم تُحْلَلْ أَوْكِيَتُهن ؛ لعلي أعهد إلى الناس»** ، فأجلسناه في مِخْضَبٍ لحفصة زوج النبي ﷺ ، ثم طفقنا نصب عليه من تلك القرب ، حتىٰ طَفِقَ يشير إلينا بيده : أن قد فعلتن ، قالت : ثم خرج إلى الناس فصلىٰ لهم وخطبهم .

• [٤١٥٤] وأخبرنا عبيدالله بن عبدالله بن عتبة ، أن عائشة وابن عباس قالا : لما نُزِل برسول الله ﷺ طَفِقَ يَطرَحُ خَميصةً له علىٰ وجهه ، فإذا اغتمَّ كشفها عن وجهه ، فقال وهو كذلك : **«لعنة الله على اليهود والنصارىٰ ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجدَ»** ، يُحَذِّرُ ما صنعوا .

• [٤١٥٥] أخبرني عبيدالله، أن عائشة قالت: لقد راجعت رسول الله ﷺ في ذلك، وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلا قام مقامه أبدًا، وإلا كنت أُرَىٰ أنه لن يقوم أحد مقامه إلا تشاءَم الناس به، فأردت أن يعدِل ذلك رسولُ الله ﷺ عن أبي بكر.

رواه ابن عمر وأبو موسىٰ وابن عباس، عن النبي ﷺ.

• [٤١٥٦] حدثني إسحاق، قال: أنا بشر بن شعيب بن أبي حمزة، قال: حدثني أبي، عن الزهري، قال: أخبرني عبدالله بن كعب بن مالك الأنصاري، وكان كعبُ بن مالك أحدَ الثلاثة الذين تِيبَ عليهم، أن ابن عباس أخبره، أن علي بن أبي طالب خرج من عند رسول الله ﷺ في وجعه الذي توفي فيه، فقال الناس: يا أبا حسن، كيف أصبح رسول الله ﷺ؟ فقال: أصبح بحمد الله باريا، فأخذ بيده عباس بن عبدالمطلب، فقال له: أنت والله بعد ثلاث عَبْدُ العصا، وإني والله لأُرَىٰ رسول الله ﷺ سوف يُتَوَفَّىٰ من وجعه هذا؛ إني لأعرف وجوه بني عبدالمطلب عند الموت، اذهب بنا إلىٰ رسول الله ﷺ فلْنَسْأَله فيمن هذا الأمر: إن كان فينا علمنا ذلك، وإن كان في غيرنا علمناه فأوصى بنا، فقال علي: إنا والله لئن سألناها رسول الله ﷺ فَمَنَعَنَاها لا يُعطيناها الناس بعده، وإني والله لا أسألها رسول الله ﷺ.

• [٤١٥٧] نا سعيد بن عفير، قال: حدثني الليث، قال: حدثني عُقيل، عن ابن شهاب قال: حدثني أنس بن مالك، أن المسلمين بينما هم في صلاة الفجر من يوم الإثنين وأبو بكر يصلي لهم لم يَفجَأْهم إلا رسولُ الله ﷺ قد كشف ستر حجرة عائشة، فنظر إليهم وهم في صفوف الصلاة، ثم تبسَّم يضحكُ، فَنَكَصَ أبو بكر علىٰ عَقِبَيْهِ؛ لِيَصِلَ الصف، وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة، فقال أنس: وهَمَّ المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم؛ فرحا برسول الله ﷺ، فأشار إليهم بيده رسول الله ﷺ: أن أتموا صلاتكم، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر.

• [٤١٥٨] حدثني محمد بن عبيد، قال: نا عيسىٰ بن يونس، عن عمر بن سعيد، قال: أخبرني ابن أبي مليكة، أن أبا عمرو ذكوان مولىٰ عائشة أخبره، أن عائشة كانت تقول: إن من نعم الله علي أن رسول الله ﷺ توفي في بيتي وفي يومي وبين سَحري ونحري، وأن الله جمع بين ريقي وريقه عند موته، ودخل عليَّ عبدالرحمن وبيده سواك وأنا مسندة

رسول الله ﷺ، فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه: أن نعم، فتناولته فاشتد عليه، فقلت: أُلَيِّنُهُ لك؟ فأشار برأسه: أن نعم، فلَيَّنْتُه فأمَرَّه، وبين يديه رَكوة - أو عُلبة يشك عمر - فيها ماء، فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه يقول: **«لا إله إلا الله، إن للموت سكرات»**، ثم نصب يده فجعل يقول: **«في الرفيق الأعلى»**، حتى قبض ومالت يده.

• [٤١٥٩] نا إسماعيل، قال: نا سليمان بن بلال، قال هشام بن عروة: أخبرني أبي، عن عائشة، أن النبي ﷺ كان يسأل في مرضه الذي مات فيه يقول: **«أين أنا غدا؟ أين أنا غدا؟»** يريد يوم عائشة، فأذن له أزواجه يكون حيث شاء، فكان في بيت عائشة حتى مات عندها، قالت عائشة: فمات في اليوم الذي كان يدور علي فيه في بيتي، فقبضه الله وإن رأسه لبين نحري وسَحْري، وخالط ريقه ريقي، قالت: دخل عبدالرحمن بن أبي بكر ومعه سواك يستن به، فنظر إليه رسول الله ﷺ، فقلت له: أعطني هذا السواك يا عبدالرحمن، فأعطانيه فقَصَمْتُه ثم مضغته فأعطيته رسول الله ﷺ، فاستن به وهو مستسند إلى صدري.

• [٤١٦٠] نا سليمان بن حرب، قال: نا حماد بن زيد، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة قالت: تُوُفِّيَ النبيُّ ﷺ في بيتي، وفي يومي، وبين سحري ونحري، وكان أحدنا يُعَوِّذُه بدعاء إذا مرض، فذهبت أُعَوِّذُه فرفع رأسه إلى السماء، وقال: **«في الرفيق الأعلى، في الرفيق الأعلى»**، ومر عبدالرحمن وفي يده جريدة رطبة، فنظر إليه النبي ﷺ، فظننت أن له بها حاجة، فأخذتها فمضغت رأسها ونفضتها، فدفعتها إليه، فاستنَّ بها كأحسن ما كان مُستنًّا، ثم ناوَلَنيها، فسقطت يده - أو سقطت من يده - فجمع الله بين ريقي وريقه في آخر يوم من الدنيا وأول يوم من الآخرة.

• [٤١٦١] نا يحيى بن بكير، قال: نا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، قال: أخبرني أبو سلمة، أن عائشة أخبرته، أن أبا بكر أقبل على فرس من مسكنه بالسُّنح، حتى نزل فدخل المسجد فلم يكلم الناس، حتى دخل على عائشة، فتيمم رسول الله ﷺ وهو مغشى بثوبِ حِبَرَةٍ، فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى، ثم قال: بأبي وأمي أنت، والله لا يجمع الله عليك موتتين؛ أما الموتة التي كتبت عليك فقد مِتَّها.

• [٤١٦٢] وحدثني أبو سلمة، عن ابن عباس، أن أبا بكر خرج وعمر بن الخطاب يكلم الناس، قال: اجلس يا عمر، فأبى عمر أن يجلس، فأقبل الناس إليه وتركوا عمر، فقال أبو بكر: أما بعد، من كان منكم يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت، قال الله ﷻ: ﴿**وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ**﴾، إلى قوله: ﴿**ٱلشَّٰكِرِينَ**﴾ [آل عمران: ١٤٤]، وقال: والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر، فتلقاها منه الناس كلهم، فما أسمع بشرا من الناس إلا يتلوها.

• [٤١٦٣] فأخبرني ابن المسيَّب، أن عمر قال: والله ما هو إلا أن سمعت أبا بكر تلاها فعقرت، حتى ما تُقِلُّني رجلاي، وحتى أَهْوَيْتُ إلى الأرض حين سمعته تلاها، أن النبي ﷺ قد مات.

• [٤١٦٤] حدثني عبدالله بن أبي شيبة، قال: نا يحيى بن سعيد، عن سفيان، عن موسى بن أبي عائشة، عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة، عن عائشة وابن عباس، أن أبا بكر قَبَّل النبيَّ ﷺ بعدما مات.

• [٤١٦٥] نا علي، قال: نا يحيى، وزاد: فقالت عائشة: لَدَدْناه في مرضه فجعل يُشير إلينا أن لا تَلُدُّوني، فقلنا: كراهية المريض للدواء، فلما أفاق قال: «**ألم أنهكم أن تلُدُّوني؟**»، قلنا: كراهيةَ المريض للدواء، فقال: «**لا يبقى أحد في البيت إلا لُدَّ وأنا أنظر إلا العباسَ فإنه لم يشهدكم**».

رواه ابن أبي الزناد، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة، عن النبي ﷺ.

• [٤١٦٦] حدثني عبدالله بن محمد، قال: نا أزهر، قال: أنا ابن عون، عن إبراهيم، عن الأسود قال: ذُكر عند عائشة أن النبي ﷺ أوصى إلى علي، فقالت: من قاله؟! لقد رأيت النبي ﷺ وإني لمسندته إلى صدري، فدعا بالطَّسْتِ فانخنث فمات فما شَعَرْتُ، فكيف أوصى إلى علي؟!

• [٤١٦٧] نا أبو نعيم، قال: نا مالك بن مغول، عن طلحة قال: سألت عبدالله بن أبي أوفى: أوصى النبي ﷺ؟ فقال: لا، فقلت: كيف كُتِب على الناس الوصية أو أُمِرُوا بها؟ قال: أوصى بكتاب الله ﷻ.

• [٤١٦٨] نا قتيبة، قال: نا أبو الأحوص، عن أبي إسحاق، عن عمرو بن الحارث قال: ما ترك رسولُ الله ﷺ دينارًا ولا درهمًا ولا عبدًا ولا أمةً، إلا بغلتَه البيضاءَ التي كان يركبها، وسلاحه، وأرضًا جعلها لابن السبيل صدقةً.

• [٤١٦٩] نا سليمان بن حرب، قال: نا حماد، عن ثابت، عن أنس قال: لما ثَقُل النبيُّ ﷺ جعل يتغشَّاه، فقالت فاطمة: واكربَ أباه، فقال لها: «**ليس على أبيك كربٌ بعد اليوم**»، فلما مات قالت: يا أبتاه! أجاب ربًّا دعاه! يا أبتاه! مَن جنةُ الفردوسِ مأواه! يا أبتاه! إلى جبريل ننعاه! فلما دُفن قالت فاطمةُ: يا أنسُ، أطابت أنفسُكم أن تَحثُوا على رسول الله ﷺ الترابَ؟

الشرح

صدر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الباب بقوله: «**باب مرض النبي ﷺ ووفاته وقول الله ﷻ: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ﴾** [الزمر: ٣٠]»

وهذا للرد على من قال: إن النبي ﷺ لم يمت، فالصواب أنه ﷺ وإن كان يحيا حياة برزخية إلا أنه مات، فقال الله تعالى: **﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾** [آل عمران: ١٤٤].

وسيأتي أن عمر رضي الله عنه وغيره غابت عنهم هذه الآية، وظنوا أن النبي ﷺ لم يمت مما جعل عمر رضي الله عنه قال عند وفاة النبي ﷺ: لا يموت حتى يقتل المنافقين، فجاء أبو بكر رضي الله عنه وأظهر العلم والبصيرة وتلا هذه الآية فسقط عمر قال: عقرت حتى إن رجلاي لا تحملاني، وذكر الراوي أنه ما رأى بشرًا في المدينة إلا يقرأ هذه الآية: **﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ ۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ﴾** فالرسول ﷺ مات وجسده الطاهر موجود بالمدينة وهو حي حياة برزخية أكمل من حياة الشهداء، فالأرض لا تأكل أجساد الأنبياء، فقد حرم الله عليها ذلك، وإن كان النبي ﷺ قد مات، فإن دينه باق إلى يوم القيامة.

• [٤١٤٠] هذا الحديث فيه دليل على أن صلاة المغرب يقرأ فيها بالطوال تارة وبالقصار تارة، وإن كان الغالب أن يقرأ بالقصار، فإن النبي ﷺ قرأ بالطور، وقرأ بالمرسلات(١) كما في هذا الحديث وقرأ بالطور واقتربت، ويقرأ المصلي بالقصار غالبًا ولكن لا يداوم على القصار

(١) أحمد (٦/ ٣٣٨)، والبخاري (٧٦٣، ٧٦٥)، ومسلم (٤٦٢، ٤٦٣).

فيقرأ أحيانا بالطوال كما فعل النبي ﷺ، فالسنة عدم ملازمة القصار كحال كثير من الناس اليوم، وقيل: إن المداومة على قراءة القصار في المغرب من سنة مروان الحمار.

• [٤١٤١] هذا الحديث فيه أن عمر رضي الله عنه له مجلس مشاورة للمحدثين والفقهاء من الصحابة، وكان يدخل ابن عباس رضي الله عنهما معهم فيجعله معهم، وكان ابن عباس رضي الله عنهما صغير السن فقال عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه لعمر رضي الله عنه: **«إن لنا أبناء مثله»** يعني: لماذا يؤتى بهذا الصغير ولنا أبناء مثله لا يأتون؟! فأراد عمر أن يبين لهم علم ابن عباس وأنه ما أتى به إلا لأنه يتميز عن غيره بالعلم؛ فجمعهم وسألهم عن قول الله تعالى: **﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾** [النصر: ١] فقال: ما معنى السورة؟ فقالوا: أخبر الله نبيه ﷺ أنه إذا جاء الفتح أنه يكثر من الاستغفار والتسبيح حمدا لله فقال: ماذا تقول يا ابن عباس؟ قال: **«أجل رسول الله ﷺ أعلمه إياه»** فقال عمر: **«ما أعلم منها إلا ما تعلم»** فبين لهم عمر رضي الله عنه أن ابن عباس متميز وأنه ليس مثل أبنائهم.

والشاهد لإتيان المؤلف لهذا الحديث في الترجمة هو قوله: **«أجل رسول الله ﷺ»** لأنه شاهد مرض النبي ﷺ ووفاته.

قوله: **«ما أزال أجد ألم الطعام الذي أكلت بخيبر، فهذا أوان وجدت انقطاع أبهري من ذلك السم»** يقال: السُّم والسِّم والسَّم أي: مثلثة السين، والأبهر: عرق مستبطن بالظهر متصل بالقلب إذا انقطع مات صاحبه في الحال.

وهذا في قصة المرأة اليهودية التي دعت النبي ﷺ إلى طعام في خيبر فأكل النبي ﷺ منه وكان يعجبه الذراع[1] فسمته له المرأة اليهودية فنطق الذراع وقال: إنه مسموم، وكان قد أكل بعض الصحابة منه، فممن أكل بشر بن معرور فمات، لكن النبي ﷺ تأخر السم عنه وبقي كامنا، فلما كان عند وفاته ﷺ بعد ثلاث سنوات عاوده أثر هذه الأكلة فكانت سبب وفاته.

• [٤١٤٢] قوله: **«إذا اشتكى»** يعني إذا مرض.

قوله: **«نفث على نفسه بالمعوذات»** النفث هو تفل بغير ريق أو مع ريق خفيف، فكان النبي ﷺ إذا اشتكى نفث على نفسه بالمعوذات ومسح عنه بيده.

---

(١) أحمد (١/ ٣٩٧)، والبخاري (٢٦١٧)، ومسلم (٢١٩٠).

قوله: «**فلما اشتكى وجعه الذي توفي فيه طفقت أنفث عليه بالمعوذات التي كان ينفث وأمسح بيدي النبي ﷺ عنه**»، وفي رواية معمر: «**وأمسح بيد نفسه لبركتها**»[1].

فكان النبي ﷺ إذا مرض ينفث بيده ثم يمسح، فلما مرض مرضه الأخير عجز عن ذلك، فجعلت عائشة تأخذ يديه ﷺ وتنفث فيها وتمسح بها؛ لبركتها.

قوله: «**بالمعوذات**» بكسر الواو وهن القواقل: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ**﴾ [الفلق: ١] و﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ**﴾ [الناس: ١] و﴿**قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ**﴾ [الإخلاص: ١] وهذا القول تغليبًا، فالمعوذتان هما: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ**﴾ و﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ**﴾ لكن أضيفت إليها: ﴿**قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ**﴾ تغليبًا.

والمعلوم أن النبي ﷺ كان ينفث في كل ليلة ويمسح وجهه ورأسه وما استطاع من جسده، وينبغي أن يكرر ذلك المرء ثلاثًا.

• [٤١٤٣] هذا حديث ابن عباس في قصة كتابة النبي ﷺ كتابا في أول يوم مرضه وهو يوم الخميس.

قوله: «**يوم الخميس وما يوم الخميس!**» تفخيما للأمر فهو اليوم الذي اشتد فيه وجع النبي ﷺ ثم سري عنه فيما بعد من الأيام وتأخر موته إلى يوم الإثنين.

فاليوم الأول الذي مرض فيه النبي ﷺ اشتد به الوجع فقال: «**ائتوني أكتب لكم كتابا لن تضلوا بعده أبدا**» فتنازعوا، فقال بعضهم: «**ما شأنه أهجر؟!**» والهجر هو الهذيان، وقد تكلم الشراح في معناه.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «فقال القرطبي رَحِمَهُ اللَّهُ: إن منهم من قال ذلك مستنكرا على من توقف في امتثال أمر النبي ﷺ بإحضار العظم والدواة»، يعني يقول: لماذا تمتنعون؟ هل الرسول ﷺ هذى؟ وما هذى الرسول ﷺ فإنه معصوم ﷺ، ومنهم من قاله عن شك عرض له، ومنهم من قاله عن دهشة وحيرة، فهذه ثلاثة احتمالات ذكرها القرطبي واستحسنها الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ.

---

(١) أحمد (٦/ ١٠٤)، والبخاري (٥٧٣٥)، ومسلم (٢١٩٢).

قوله : «**دعوني ، فالذي أنا فيه خير مما تدعوني إليه**» قال النبي ﷺ ذلك لأصحابه عندما ذهبوا يردون عليه ، ثم أوصاهم النبي ﷺ بثلاث وصايا :

الأولى : «**أخرجوا المشركين من جزيرة العرب**» فهذا أمر بإخراج المشركين من جزيرة العرب ، وجزيرة العرب هي اليمامة والحجاز ودول الخليج واليمن ومن الشمال إلى أطراف الشام ، هذا على الصحيح .

وقوله : «**أخرجو المشركين**» يشمل اليهود والنصارى والوثنيين ، فلا يجوز لأحد أن يستقدم إليها مشركا وثنيا أو يهوديا أو نصرانيا ما عدا ما يحصل مع بعض ولاة الأمور من الرسل وأشباههم ، ولا يجوز للإنسان أن يقتدي بولاة الأمور في مثل هذا ، وكان الكفار من العجم من الشام يأتون في عهد الخلفاء الراشدين لحاجة قد تستغرق يومين أو ثلاثة ، فإما أن يبلغ رسالة لولي الأمر أو يبيع طعاما أو سلعة ثم يرجع إلى بلده ، أما أن يسكن في جزيرة العرب فلا ، ويحرم على المسلم أن يستقدم خادما أو قائد سيارة مشركا لجزيرة العرب ، لكن يستقدم المسلمين ، وإذا وجد المشركون في جزيرة العرب فلا يجوز قتلهم ؛ لأن دمهم معصوم ، فليس معنى حرمة استقدامهم لجزيرة العرب أنهم يقتلون ؛ لأن لهم عهدا وأمانا ، فهم ليسوا حربيين وقد دخلوا جزيرة العرب بأمان إما من قبل ولي الأمر أو الكفلاء ، لكن يأثم هذا الذي استقدمهم .

ومن المؤسف أن كثيرا من الناس لا يبالون بذلك فيستقدمون عمالا كفرة سواء كان قائدا للسيارة أو خادمات ؛ وذلك من ضعف الإيمان ، بل إن بعض المسلمين يفضلون الكفرة على المسلمين والعياذ بالله! فقد سمعت أن بعض الناس يستقدم الكفرة ويقول : إنهم أنشط من المسلمين في العمل والعياذ بالله! وبعضهم يقول : إنهم يشتغلون وقت الصلاة ، وهذا من المصائب ومن البلاء .

الثانية : «**وأجيزوا الوفد بنحو ما كنت أجيزهم**» يعني : أعطوا الوفد جائزة أو عطية بقريب مما كنت أعطيهم ، وكانت جائزة الواحد في عهد النبي ﷺ أوقية من فضة وهي أربعون درهما .

قوله : «**وسكت عن الثالثة**» أي : سكت النبي ﷺ عن الثالثة .

• [٤١٤٤] قوله : «**لما حضر رسول الله ﷺ**» يعني : حضره الموت ، وكان في البيت رجال ، فقال النبي ﷺ : «**هلموا أكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده» فقال بعضهم : إن رسول الله**

ﷺ قد غلبه الوجع ، وعندكم القرآن ، حسبنا كتاب الله ، فاختلف أهل البيت واختصموا ، فمنهم من يقول : قربوا يكتب لكم كتابا لا تضلوا بعده ، ومنهم من يقول غير ذلك ، فلما أكثروا اللغو والاختلاف قال رسول الله ﷺ : «قوموا» وكان ابن عباس يأسف من كون النبي ﷺ منع من الكتابة وكونهم لم يمتثلوا أمره ، واعتبر هذا مصيبة .

قوله : «إن الرزية كل الرزية» يعني : إن المصيبة كل المصيبة «ما حال بين رسول الله ﷺ وبين أن يكتب لهم ذلك الكتاب ؛ لاختلافهم ولغطهم» فاعتبرها مصيبة من أعظم المصائب .

وقد ثبت عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال : من أحب أن يقرأ وصية رسول الله ﷺ التي عليها خاتمه فلم تغير ولم تبدل فليقرأ هذه الآية من سورة الأنعام ، وهي قوله تعالى : ﴿قُلْ تَعَالَوْا أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ أَلَّا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَلَا تَقْتُلُوا أَوْلَادَكُم مِّنْ إِمْلَاقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ وَلَا تَقْرَبُوا الْفَوَاحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا مَالَ الْيَتِيمِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُ وَأَوْفُوا الْكَيْلَ وَالْمِيزَانَ بِالْقِسْطِ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ وَبِعَهْدِ اللَّهِ أَوْفُوا ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَٰلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأنعام : ١٥١ - ١٥٣] فهذه وصايا عشر ، ومعنى كلام ابن عباس أن النبي ﷺ لو أوصى لكانت وصيته هي وصية الله والله أوصى بهذه الوصايا العشر .

فبعض الصحابة - ومنهم عمر رضي الله عنه - اجتهدوا فلم يأتوا للنبي ﷺ باللخاف ليكتب ؛ لأنهم فهموا أن الأمر ليس أمر إيجاب وقالوا : إن الرسول ﷺ بلغ الرسالة وأدى الأمانة ، وكذلك عندنا كتاب الله ، وكل هذا يكفينا ، فلا داعي للكتابة مع شدة مرض رسول الله ﷺ ، ويدل على أن الأمر ليس للإيجاب أن النبي ﷺ بعد ذلك خف عنه المرض وجلس بعض الأيام ولم يكتب كتابا ، أما ابن عباس فاعتبر عدم تنفيذ أمر النبي ﷺ بالكتابة مصيبة ، وقال : ما دام طلب النبي ﷺ أن يكتب فلماذا تختلفون؟

• [٤١٤٥] قوله : «في شكواه» الشكوى تؤنث وتذكر ، والمعنى : في مرضه .

وذكر في الحديث أن النبي ﷺ دعا فاطمة رضي الله عنها في مرضه الذي توفي فيه ، وسارها أنه سيموت في مرضه هذا فبكت ، ثم سارها ثانية أنها أول أهل بيته لحوقا به فضحكت .

وهذا من دلائل النبوة حيث وقع كما أخبر النبي ﷺ، فماتت فاطمة بعد النبي ﷺ بستة أشهر.

وقوله: «**فضحكت**» فضحكها هذا رغبة منها رضي الله عنها وحبًّا للثواب في الحياة الآخرة.

وقد جاء في رواية أخرى: «**أن النبي ﷺ سارها أنه سيموت وأنها أول أهله لحوقا به؛ فبكت، ثم أخبرها أنها سيدة نساء أهل الجنة؛ فضحكت**»[(١)].

• [٤١٤٦] قوله تعالى: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم﴾ [النساء: ٦٩] فالذين أنعم الله عليهم أربع طوائف: النبيون والصديقون والشهداء والصالحون.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعليقًا على هذه الآية: «وقد ختمت بقوله: ﴿وَحَسُنَ أُولَٰٓئِكَ رَفِيقًا﴾ ونكتة الإتيان بهذه الكلمة بالإفراد الإشارة إلى أن أهل الجنة يدخلونها على قلب رجل واحد، نبه عليه السهيلي».

• [٤١٤٧] قوله: «**في الرفيق**» يعني: المكان الذي يحصل فيه المرافقة مع المذكورين وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون.

• [٤١٤٨] لما أفاق النبي ﷺ وشخص بصره نحو سقف البيت قال: «**اللهم في الرفيق الأعلى**» عرفت عائشة رضي الله عنها أنه خير وسيقبض ﷺ لأنه قال: «**إنه لم يقبض نبي قط حتى يرى مقعده من الجنة ثم يحيا أو يخير**» فقالت عائشة رضي الله عنها: «**إذن لا يجاورنا**».

• [٤١٤٩] قولها: «**فأبده رسول الله ﷺ بصره**» يعني: جعل ينظر إليه من محبته للسواك؛ فأخذت عائشة رضي الله عنها السواك «**فقضمته ونفضته وطيبته، ثم دفعته إلى النبي ﷺ فاستن به**»، وفي لفظ آخر: «**قلت: آخذه لك؟ فأشار برأسه نعم**»[(٢)] قالت: «**فما رأيت النبي ﷺ استن استنانًا قط أحسن منه**».

وهذا السواك اجتمع فيه أمران: حاجة النبي ﷺ ومحبته للسواك، وكون عائشة رضي الله عنها قضمته فصار فيه شيء من ريقها، وكان النبي ﷺ يحب كل ما له صلة بعائشة رضي الله عنها، ثم قال: «**في الرفيق الأعلى**» ثلاثا.

---

(١) أحمد (٦/ ٢٨٣)، والبخاري (٣٦٢٤).

(٢) أحمد (٦/ ٤٨)، والبخاري (٤٤٤٩).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: **«وكانت تقول: مات ورأسه بين حاقنتي وذاقنتي»** وفي رواية ذكوان عن عائشة: **«توفي في بيتي وفي يومي وبين سحري ونحري، وإن الله جمع ريقي وريقه عند موته في آخر يوم من الدنيا»**(١) والحاقنة بالمهملة والقاف: ما سفل من الذقن، والذاقنة: ما علا منه، أو الحاقنة: نقرة الترقوة، فهما حاقنتان، ويقال: إن الحاقنة المطمئن من الترقوة والحلق، وقيل: ما دون الترقوة من الصدر، وقيل: هي تحت السرة. وقال ثابت: الذاقنة: طرف الحلقوم، والسحر: بفتح المهملة وسكون الحاء المهملة هو الصدر، وهو في الأصل الرئة، والنحر: بفتح النون وسكون المهملة والمراد به موضع النحر، وأغرب الداودي فقال: هو ما بين الثديين.

والحاصل أن ما بين الحاقنة والذاقنة هو ما بين السحر والنحر، والمراد أنه مات ورأسه بين حنكها وصدرها ﷺ ورضي عنها، وهذا لايغاير حديثها الذي قبل هذا أن رأسه كان على فخذها؛ لأنه محمول على أنها رفعته من فخذها إلى صدرها، وهذا الحديث يعارض ما أخرجه الحاكم وابن سعد من طرق أن النبي ﷺ مات ورأسه في حجر علي(٢)، وكل طريق منها لا يخلو من شيعي، فلا يلتفت إليهم».

• [٤١٥٠] قوله: **«وألحقني بالرفيق»** وفي رواية: **«بالرفيق الأعلى»** يعني: بالمكان الذي يكون فيه الرفيق الأعلى، وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، وهذا المكان أعلى مكان في الجنة.

• [٤١٥١] هذا الحديث فيه أن النبي ﷺ - وهو في آخر حياته في مرضه الذي مات منه - حذر من الشرك ومن مشابهة المشركين قال: **«لعن الله اليهود؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»**.

وفيه جواز لعن اليهود والنصارى على العموم، وكذلك الفساق وأصحاب الكبائر على العموم، كما تقول: لعن الله السارق كما في الحديث: **«لعن الله السارق يسرق الحبل فتقطع يده ويسرق البيضة فتقطع يده»**(٣)، فتقول: لعن الله شارب الخمر، أو لعن الله اليهود أو لعن الله النصارى أو لعن الله المشركين أو لعن الله الوثنيين، كل ذلك على العموم.

---

(١) أحمد (٦/ ٤٨)، والبخاري (٤٤٥١).
(٢) ابن سعد في «الطبقات» (٢/ ٢٦٣)، والبزار في «مسنده» (٢/ ٧٦).
(٣) أحمد (٢/ ٢٥٣)، والبخاري (٦٧٨٣)، ومسلم (١٦٨٧).

أما لعن الشخص المعين ففيه خلاف ، لكن الصحيح أنه لا يلعن ولو كان فاسقا أو كافرا ؛ لأنه قد يتوب الله عليه ، إلا إذا اشتد أذاه للمسلمين فلا بأس بأن يلعن .

أما إن كان الفاسق ميتًا فلا يلعن ، وذلك للحديث : **«لا تسبوا الأموات ؛ فإنهم أفضوا إلى ما قدموا»**(١) .

فالخلاصة : أنه لا مانع من قول : إن الله لعن من شرب الخمر ، ولعن السارق والزاني ، أما أن تقول لعن الله فلان بن فلان بعينه وبنفسه فلا ؛ لأنه يحتمل أن يكون قد تاب إلى الله ، وقد يكون له حسنات ماحية ، وقد يكون معذورًا وقد يكون جاهلًا .

فالشخص المعين لا يلعن إلا إذا اشتد أذاه على المسلمين ، فما دعا النبي ﷺ على رعل وذكوان أربعين صباحا(٢) إلا بعدما قتلوا القراء .

والحديث فيه التحذير من اتخاذ القبور مساجد وأن اتخاذ القبور مساجد من وسائل الشرك القريبة ؛ ولهذا حذر منه النبي ﷺ في آخر حياته ، وفي حديث آخر : **«إن من شرار الناس من تدركه الساعة وهم أحياء ومن يتخذ القبور مساجد»**(٣) فشرار الناس طائفتان :

الأولى : من تدركهم الساعة وهم كفار .

والثانية : من يتخذون القبور مساجد .

- [٤١٥٢] قوله : **«فلا أكره شدة الموت لأحد أبدا بعد النبي ﷺ»** وذلك لأن النبي ﷺ كان يوعك وعكًا شديدًا عند الموت فسأله ابن مسعود عن ذلك فقال ﷺ : **«أجل ، إني أوعك كما يوعك رجلان منكم»** قلت : ذلك أن لك أجرين؟ قال : **«أجل ، ذلك كذلك»**(٤) .

- [٤١٥٣] هذا الحديث في قصة مرض النبي ﷺ قالت عائشة : **«لما ثقل رسول الله ﷺ واشتد به وجعه استأذن أزواجه أن يمرض في بيتي فأذن له»** .

---

(١) أحمد (٦/ ١٨٠) ، والبخاري (١٣٩٣) .

(٢) أحمد (١/ ٣٠١) ، والبخاري (٢٨٠١) .

(٣) أحمد في «المسند» (١/ ١٩٥) ، وشطره الأول عند البخاري (٧٠٦٧) .

(٤) أحمد (١/ ٤٥٥) ، والبخاري (٥٦٤٨) ، ومسلم (٢٥٧١) .

والحديث فيه : أنه لا بأس أن يمرض الزوج عند أحد زوجاته إذا استأذنهن كما أن له أن يسافر بإحداهن إذا استأذنهن أو خرجت القرعة لإحداهن ؛ لأن النبي ﷺ كان إذا سافر أقرع بين أزواجه ، فمن خرجت لها القرعة سافر بها[١] .

قوله : **«أهريقوا علي من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن»** فيه أن الاغتسال للمريض الذي به حمى يعطيه نشاطا وقوة ، وهذا في الحمى الحارة ؛ لأن هناك حمى باردة ينتفض فيها المرء من البرد ، فهذه لا يناسبها الماء ، بل يناسبها أن يغطى المريض حتى يدفأ .

وقوله : **«أوكيتهن»** جمع وكاء وهو الرباط الذي يربط به فم القربة .

وقوله : **«مخضب لحفصة»** المخضب من جنس الطست الذي يغسل فيه الثياب ، فجعلوا يصبون عليه من سبع قرب حتى أفاق ونشط قليلًا فأشار إليهم **«أن قد فعلتن»** ، **«ثم خرج إلى الناس فصلى لهم وخطبهم»** .

وأما كون الاغتسال من سبع قرب فقد يكون للسبع خاصية ؛ لأن الفاتحة سبع آيات ، والتمرات التي يتصبح بها للوقاية من السم والسحر سبع ؛ لقول النبي ﷺ : **«من تصبح بسبع تمرات من العجوة لم يصبه في ذلك اليوم سم ولا سحر»**[٢] ، ولأن السموات سبع والأرضين سبع .

وقد ذكر الشارح رَحِمَهُ ٱللَّهُ شيئا من الحكمة فقال : «الحكمة في هذا العدد أن له خاصية في دفع ضررالسم والسحر . . . وتمسك به بعض من أنكر نجاسة سؤر الكلب وزعم أن الأمر بالغسل منه سبعا إنما هو لدفع السمية» .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وللنسائي في قراءة الفاتحة على المصاب سبع مرات ، وسنده صحيح .

وفي صحيح مسلم القول لمن به وجع **«أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر سبع مرات»**[٣] ، وفي النسائي : **«من قال عند مريض لم يحضر أجله : أسأل الله العظيم رب العرش العظيم أن يشفيك سبع مرات»**[٤]» .

---

(١) أحمد (٦/ ١١٤) ، والبخاري (٢٥٩٤) ، ومسلم (٢٤٤٥) .
(٢) أحمد (١/ ١٨١) ، والبخاري (٥٤٤٥) ، ومسلم (٢٠٤٧) .
(٣) مسلم (٢٢٠٢) .
(٤) النسائي في «الكبرى» (٦/ ٢٥٩) .

● [٤١٥٤] قوله : «**يطرح خميصة**» أي : كساء له أعلام .

وقوله : «**فإذا اغتم**» أي : إذا احتبس نفسه كشفها ، فيجعل قطعة قماش على وجهه فإذا احتبس نفسه أزالها ثم يضعها مرة ثانية وهكذا ، وقال في هذه الحالة : «**لعنة الله على اليهود والنصارى ؛ اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» ، فقالت عائشة : «**يحذر ما صنعوا**» ففيه التحذير من اتخاذ القبور مساجد .

وقوله : «**اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد**» معناه البناء عليها والعكوف وإطالة المكث وقراءة القرآن والصلاة عندها ، وهذا كله من البدع ومن وسائل الشرك ؛ لأن الشيطان يتدرج بالإنسان من هذه الأعمال إلى عبادة هذا الميت .

والحديث فيه دليل على التحريم لهذه الأشياء ؛ لأن النبي ﷺ لعن من فعل ذلك ، ودل هذا على أن اتخاذ القبور مساجد من الكبائر والذنوب العظيمة التي تطرد الإنسان من رحمة الله .

ولعن اليهود أو النصارى أو غيرهم من الكفار يكون على العموم والوصف ، يعني : من اتصف بهذا الوصف لعنه الله ، أما تعيين شخص بعينه فلا يجوز إلا إذا اشتد أذاه للمسلمين .

● [٤١٥٥] تذكر عائشة ﵂ في هذا الحديث أنها راجعت النبي ﷺ في أن يعدل عن أمره لأبي بكر ﵁ أن يصلي بالناس ، وذلك لخشيتها أن يكون هو الخليفة بعده فيتشاءم الناس به ، فتقول ﵂ : «**وما حملني على كثرة مراجعته إلا أنه لم يقع في قلبي أن يحب الناس بعده رجلا قام مقامه أبدًا**» .

ولهذا لما قال رسول الله ﷺ : «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**» ، قالت : يا رسول الله ، إن أبا بكر رجل أسيف لو أمرت عمر فقال : «**مروا أبا بكر فليصل بالناس**» ، قالت : يا رسول الله ، إن أبا بكر رجل أسيف لا يسمع الناس من البكاء لو أمرت عمر قال : «**مروا أبا بكر فليصل بالناس ، إنكن صواحب يوسف**»(١) .

قولها : «**أسيف**» يعني : رقيق القلب لا يملك عينه من البكاء .

وقوله : «**إنكن صواحب يوسف**» يعني : تظهرن أمرا وتردن شيئا آخر ، وقد بينت عائشة ﵂ ذلك ، فهي تريد ألا يتشاءم الناس من أبيها قالت : «**وإلا كنت أرى أنه لن يقوم**

(١) أحمد (١/ ٢٠٩) ، والبخاري (٦٦٤) ، ومسلم (٤١٨) .

أحد مقامه إلا تشاءم الناس به» ورأيها مخالف للصواب ، فالصواب أنه لا يصلح لهذا الأمر إلا أبو بكر ﷺ ، وقد ظهر فضل أبي بكر وقوته في الحق حينما وقف لأهل الردة ، فعمر ذاته مع قوته توقف وأبو بكر قال : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ما استمسك السيف بيدي فقال له عمر : كيف تقاتل من يقول : لا إله إلا الله؟ قال : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ، ثم بعد ذلك شرح الله صدر عمر ، وظهرت قوة أبي بكر وحكمته ﷺ في تسييره جيش أسامة ، فرأي عائشة ﷺ هذا كان اجتهادا منها ، لكن المجتهد يخطئ ويصيب .

• [٤١٥٦] أخذ العباس بن عبد المطلب ﷺ بيد علي ﷺ وقال له : **«أنت والله بعد ثلاث عبد العصا»** يعني : أن الرسول ﷺ إذا توفي سوف يكون من بعده خليفة ، فلا يكون لك من الأمر شيء .

قوله : **«فلنسأله فيمن هذا الأمر»** يعني : الخلافة .

والحديث فيه الرد على الرافضة القائلين بخلافة علي بعد رسول الله ﷺ ، فهذا صريح أن النبي ﷺ ما أوصى له بها .

• [٤١٥٧] هذا الحديث فيه أن أنسًا ﷺ ذكر أن الناس صلوا يوم الإثنين وأبو بكر ﷺ هو إمامهم وبينما هو يصلي بهم **«لم يفجأهم إلا رسول الله ﷺ قد كشف ستر حجرة عائشة»** ، وحجرة عائشة بابها على المسجد عن يسار أبي بكر ﷺ وهو يصلي ، فنظر النبي ﷺ إلى المسلمين وهم صفوف فأعجبه أنهم مجتمعون على أبي بكر وأنهم يصلون خلفه فتبسم ﷺ .

قوله : **«فنكص أبو بكر على عقبيه»** يعني : تأخر **«ليصل الصف ، وظن أن رسول الله ﷺ يريد أن يخرج إلى الصلاة ، فقال أنس : وهم المسلمون أن يفتتنوا في صلاتهم ؛ فرحا برسول الله ﷺ ، فأشار إليهم بيده رسول الله ﷺ : أن أتموا صلاتكم ، ثم دخل الحجرة وأرخى الستر»** ثم توفي بعدها ﷺ .

• [٤١٥٨]، [٤١٥٩] هذا من فضائل عائشة ﷺ فقد مات الرسول ﷺ في بيتها وفي يومها الذي يدور عليها فيه وبين سحرها ونحرها ، قالت : **«بين سحري ونحري»** تعني : بين الصدر والحلق ، وجمع الله بين ريقها وريق النبي ﷺ في آخر يوم من أيام الدنيا بالنسبة للرسول ﷺ وأول يوم من أيام الآخرة ، ووجه ذلك قولها ﷺ : **«ودخل علي عبدالرحمن**

وبيده سواك وأنا مسندة رسول الله ﷺ، فرأيته ينظر إليه، وعرفت أنه يحب السواك، فقالت: آخذه لك؟ فأشار برأسه: أن نعم» فأخذته وقضمته ولينته ومضغته ثم أعطته إياه فمضغه فاجتمع ريقه ﷺ وريقها رضي الله عنها.

قولها: «**فجعل يدخل يديه في الماء فيمسح بهما وجهه يقول: لا إله إلا الله، إن للموت سكرات**» قال ذلك وهو أشرف الخلق ﷺ، «**ثم نصب يده فجعل يقول: في الرفيق الأعلى**» حتى قبض ومات ﷺ.

• [٤١٦٠] هذا الحديث من فضائل عائشة رضي الله عنها؛ لأنها مضغت السواك بريقها ثم أعطته فاختلط ريقه ﷺ بريقها ثم توفي بعدها ﷺ.

قولها: «**سحري ونحري**» كلاهما بإسكان الحاء أو فتحها.

قولها: «**فاستن بها**» يعني: استاك، وفي اللفظ الذي سبق: «**فأمَرَّه وبين يديه ركوة**»(١) يعني: أمَرَّه على أسنانه.

• [٤١٦١] هذا الحديث فيه قصة وفاة النبي ﷺ وما فعله أبو بكر رضي الله عنه.

قولها: «**بالسنح**» أي: حديقة أو بستان كان لأبي بكر رضي الله عنه في طرف المدينة، فلما سمع بموت النبي ﷺ جاء فنزل حتى دخل مسجد النبي ﷺ، فلم يكلم الناس حتى دخل على عائشة؛ ليتيقن الخبر وينظر إلى النبي ﷺ.

قولها: «**فتيمم رسول الله ﷺ**» تعني: قصده.

قولها: «**مغشى بثوب حبرة**» تعني: مغطى بثوب له أعلام أو مخطط.

قولها: «**فكشف عن وجهه ثم أكب عليه فقبله وبكى**» فيه جواز تقبيل الميت، فلقد فعل أبوبكر رضي الله عنه ذلك بعد أن تأكد من موت النبي ﷺ.

قوله: «**بأبي وأمي أنت**» يعني: أفديك بأبي وأمي، ثم قال: «**والله لا يجمع الله عليك موتتين؛ أما الموتة التي كتبت عليك فقد متها**» يعني: أنه تيقن الخبر وتحقق، ولكن عمر رضي الله عنه وجماعة من الصحابة لم يتيقنوا وقالوا: إن الرسول ﷺ لم يمت وحصلت لهم دهشة كما سيأتي.

---

(١) أحمد (٣/ ٣٢٩)، والبخاري (٤٤٤٩).

• [٤١٦٢] هذا الحديث في قصة موت النبي ﷺ وفعل الصحابة وقتها، فذكر أن أبا بكر ﵁ خرج وعمر بن الخطاب ﵁ يكلم الناس في المسجد ويقول لهم: إن النبي ﷺ لم يمت وسوف يأتي ويعاقب المنافقين، فأمره أبوبكر ﵁ أن يجلس فأبى عمر ﵁؛ لأنه ظن أنه يريد أن يبين للناس أن النبي ﷺ لم يمت، فلما أبى أن يجلس تكلم أبو بكر ﵁ **«فأقبل الناس إليه وتركوا عمر»** ﵁.

قوله: **«أما بعد»** يعني بعد أن حمد الله وأثنى عليه وصلى على النبي ﷺ، وفيه مشروعية قول: **«أما بعد»** اقتداء بالنبي ﷺ.

ثم قال أبوبكر ﵁: **«من كان منكم يعبد محمدا فإن محمدا قد مات، ومن كان منكم يعبد الله فإن الله حي لا يموت»** ثم تلا قول الله تعالى: **﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ ٱلرُّسُلُ أَفَإِين مَّاتَ أَوْ قُتِلَ ٱنقَلَبْتُمْ عَلَىٰٓ أَعْقَـٰبِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيَجْزِى ٱللَّهُ ٱلشَّـٰكِرِينَ﴾** [آل عمران: ١٤٤] فقال ابن عباس: **«والله لكأن الناس لم يعلموا أن الله أنزل هذه الآية حتى تلاها أبو بكر»**.

وفي اللفظ الآخر أن أبا بكر ﵁ تلا عليهم آيات أخر وهي: **﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ۝ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾** [الزمر: ٣٠ - ٣١] قال ابن عباس: **«فتلقاها منه الناس كلهم»** أي: من أبي بكر وكأنهم نسوها فدهشوا قال: **«فما أسمع بشرا من الناس إلا يتلوها»**(١).

وهذه خطبة مختصرة لأبي بكر ﵁ مع عظم فائدتها.

• [٤١٦٣] قوله: **«وحتى أهويت إلى الأرض»** يعني سقطت على الأرض، وقد ذكر في الحديث أنه لما تيقن عمر ﵁ خبر موت النبي ﷺ صارت رجلاه لا تحمله بسبب الدهشة التي أصابته من هول المصيبة وفداحة الخطب، فكان قبل ذلك يتكلم مع الناس ويقول: إن النبي ﷺ ما مات وسوف يأتي ويعاقب المنافقين، ولا أسمع أحدًا يقول مات النبي ﷺ إلا عاقبته، لكن أبا بكر ﵁ بعدما تيقن من موت النبي ﷺ خطب الناس وبين لهم أنه مات، وهكذا يظهر علم أبي بكر ﵁، وتتضح بصيرته وثباته عند الشدائد والمحن والمصائب،

---

(١) البخاري (١٢٤٢).

وأنه ﷺ فوق عمر ﷺ في ذلك ، فعلى الرغم من شدة عمر ﷺ وصلابته في الحق وعلمه ، إلا أنه خفي عليه موت النبي ﷺ ، فأبو بكر ﷺ له من المزايا ما ليس لغيره ، فهو أول من آمن من الرجال ، وقال النبي ﷺ : **«ليس أحد عرض عليه الإسلام إلا تردد إلا أبو بكر»**[1] أي : لم يتلكأ ولم يفكر فآمن في الحال ﷺ ، وله خصوصية الصحبة في الغار ، وأتى ذكر ذلك في القرآن : **﴿إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ثَانِيَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾** [التوبة : ٤٠] فأبو بكر ﷺ له معية خاصة وصحبة خاصة وثبات وقوة في الحق وبصيرة وشجاعة وفاق كل الصحابة في ذلك حتى عمر ﷺ ، وظهرت شجاعته في قتال المرتدين بعد وفاة النبي ﷺ ، وضرب أروع الأمثلة التي لم يلحقه أحد فيها عند إنفاذ جيش أسامة ، فهناك ثلاثة مواطن عظيمة تبين شجاعة الصديق ﷺ وثباته وعلمه وبصيرته وقوته :

الأول : عند وفاة النبي ﷺ علم أن النبي ﷺ قد مات وفداه بأبيه وأمه وأعلن للناس ذلك وتلا لهم من القرآن ما يثبت كلامه .

الثاني : عند حروب الردة فقد ثبت ثبات الجبال الراسيات وتلكأ عمر ﷺ في قتال مانعي الزكاة ، ولكن أبا بكر ﷺ أصر على قتالهم وقال : والله لأقاتلن من فرق بين الصلاة والزكاة ما استمسك السيف بيدي ، ثم بعد ذلك شرح الله صدر عمر ﷺ وغيره للحق فعلموا أنه الحق .

الثالث : عند إنفاذ جيش أسامة فقد تلكأ عمر وغيره وقالوا لأبي بكر ﷺ : كيف تنفذ جيش أسامة الآن فقد ارتد العرب ونحن بحاجة إلى الجيش ، قال : والله لأنفذن جيش أسامة ولو لم يكن عندي أحد بالمدينة فهو لواء عقده النبي ﷺ لا يمكن إلا أن أنفذه .

وقد ذكر الحافظ رحمه الله أثرًا عن ابن أبي شيبة أن أبا بكر مر بعمر وهو يقول : ما مات رسول الله ﷺ ولا يموت حتى يقتل الله المنافقين . ثم بعد ذلك تبين له .

• [٤١٦٤] ذِكْره : **«أن أبا بكر قبل النبي ﷺ بعدما مات»** فيه جواز تقبيل الميت ، لكن لا ينبغي الغلو في ذلك فنسمع أن أناسا كثيرين يأتون إلى المغسلة ويقولون نريد أن نسلم على الميت ،

---

(١) «السيرة النبوية» لابن إسحاق (٢/ ٩١) .

وهذا غلو، ففي مثل هذه الأحوال يقبل الميت لو كان في بيته، فلا داعي إلى أن يأتي الناس للمغسلة رجال ونساء ويقولون: نريد أن نسلم على الميت، وكان من قبل أمامهم في البيت يجلسون معه فلا يرفعون رأسه ولا ينظرون إليه، فإذا غُسل جاءوا إلى المغسلة ويضيقون على الناس ويبتدعون بدعة ما أنزل الله بها من سلطان، فهذا لا أصل له، ولا ينبغي أن يكون مثل هذا، لكن لو جاء عدد قليل يريد أن يقبل الميت فلا بأس.

• [٤١٦٥] قولها: «**لددناه**» اللد هو صب الدواء في فم المريض بدون اختياره، ويكون الصب من جانب فمه.

والحديث فيه أنهم لدوا النبي ﷺ وهو مغمى عليه، فلما أفاق أشار إليهم لا تفعلوا، لكنهم فعلوا فلدوه ﷺ.

قولها: «**فقلنا: كراهية المريض للدواء**» أي: لما أشار لهم أن لا تلدوني قالوا: إن المريض يكره الدواء، وليس المقصود أن النبي ﷺ ينهانا.

قولها: «**فلما أفاق قال: ألم أنهكم أن تلدوني؟**» قالوا: يا رسول الله، «**قلنا: كراهية المريض للدواء**» فقال: «**لا يبقى أحد في البيت إلا لد وأنا أنظر**» فاقتص منهم النبي ﷺ فصب في فم كل واحد منهم الدواء مثلما فعلوا به.

قوله: «**إلا العباس فإنه لم يشهدكم**» يعني من كان حاضرًا يلد سواء فعل أو سكت ولم ينكر.

ففيه مشروعية القصاص من المتعمد وأنه قد يكون أولى من العفو إذا كان يترتب عليه مصالح لا توجد في العفو، فالنبي ﷺ اقتص منهم تأديبًا لهم.

وفيه أن المريض لا يجبر على العلاج ولا على الدواء؛ لأن العلاج والدواء مستحب على الصحيح، وقال بعض العلماء: إنه متساوي الطرفين أي: مباح، والصواب أنه مستحب؛ لقول النبي ﷺ: «**عباد الله تداووا، ولا تداووا بحرام**»(١) فهذا الأمر للاستحباب، بدليل أن النبي ﷺ نفسه لم يتعالج في بعض الأحيان(٢).

---

(١) أحمد (٤/ ٢٧٨)، وأبو داود (٣٨٧٤).

(٢) أحمد (٦/ ١٢٤)، والبخاري (٤٤٣٩)، ومسلم (٢١٩٢).

فإذا أحب المريض أن يتداوىٰ فليتداوَ ، وإن أحب ألا يتداوىٰ فلا حرج ولا يجبر ، فلعل المريض يتلذذ بالمرض لما فيه من أجر ، فلا يجبر إذا كان عقله سليما حتىٰ لو كان ضعيف الجسم ، فبعض الناس اليوم تجدهم يجبرون المريض على العلاج ويظنون أن العلاج واجب ، ولكن الصواب أن العلاج مستحب ، فإذا كان المريض عاقلا فلا يجبر على العلاج ، أما إذا كان مغمىٰ عليه أو صغيرا فيجتهد وليه في علاجه .

وإن كان الإنسان من أصحاب الأعمال الخيرية فينبغي عليه أن يتعالج لعل الله يشفيه فيكثر من هذه الأعمال الخيرية كالتبرعات والصدقات وغيرها ، وإن رفض العلاج وصبر على المرض رجاء لثواب الله له فلا يجبر على العلاج .

والامتناع عن العلاج ليس إلقاء بالنفس في التهلكة ، فالإنسان المريض قد قدر الله عليه المرض لحكمة بالغة ، فإنه لم يسقط نفسه في النار أو من فوق السطح حتىٰ يكون قد ألقىٰ بنفسه إلى التهلكة ، فالاستدلال بالآية : ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة : ١٩٥] علىٰ هذا استدلال في غير محله ؛ لأن المريض الذي لم يتعالج صابر علىٰ قضاء الله وقدره ويتلذذ بالمرض فهو يريد الأجر والثواب من الله ، فكيف يكون قد ألقىٰ بنفسه إلى التهلكة؟!

ولو قدر الله الهلاك لإنسان فلن يصيبه إلا ما كتب الله له فما تنفعه الأسباب ، ولا يدري الإنسان هل هذا المرض مخيف أو غير مخيف؟ فقد يكون مخيفا ويشفىٰ منه الإنسان ، فقد مرض سعد بن أبي وقاص مرضا مخوفا فأشرف على الموت وهو في مكة وليس له إلا ابنة ترثه ، فصب عليه النبي ﷺ ماء حتىٰ أفاق فقال : ما لي إلا ابنة أتصدق بثلثي مالي؟ ثم بعد ذلك عافاه الله وأتاه أولادا ونفع الله به قوما وأضر به آخرين(١) ، فقد فتح الفرس وهناك من أسلم علىٰ يديه فانتفع به .

ومن الأدلة - أيضا - علىٰ أن العلاج مستحب قصة المرأة التي كانت تصرع فتتكشف ، فقالت : يا رسول الله ، إني أصرع فقال النبي ﷺ : **«إن شئت صبرت ولك الجنة ، وإن شئت دعوت الله لك»** ، فقالت : يا رسول الله أصبر ولكن ادع الله ألا أتكشف فدعا لها ألا تتكشف(٢) .

---

(١) أحمد (١/ ١٦٨) ، والبخاري (١٢٩٦) ، ومسلم (١٦٢٨) .
(٢) أحمد (١/ ٣٤٦) ، والبخاري (٥٦٥٢) ، ومسلم (٢٥٧٦) .

فهذا من الأدلة التي تصرف الحديث من الوجوب إلى الاستحباب، فهذه المرأة خيرها النبي ﷺ بين الصبر وبين العلاج فاختارت الصبر ولم ينكر عليها ولم يقل لها النبي ﷺ: لا تلقي بنفسك إلى التهلكة.

• [٤١٦٦] هذا الحديث فيه الرد على الرافضة في زعمهم أن النبي ﷺ أوصى إلى علي بالخلافة.

قولها: «من قاله؟!» فعائشة ﵂ منكرة عليه، فالاستفهام للإنكار.

قوله: «فانخنث فمات» تعني مال وسقط فمات، قالت: «فما شعرت، فكيف أوصى إلى علي؟» ومتى أوصى، فالرافضة قوم بهت.

• [٤١٦٧] هذا حديث عبدالله بن أبي أوفى فقد أنكر أن يكون النبي ﷺ أوصى فقال: كيف كتب على الناس الوصية أو أمروا بها؟ قال: أوصى بكتاب الله ﷻ يعني قوله: «**تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا كتاب الله**»[1] وفي لفظ: «**كتاب الله وسنتي**»[2].

• [٤١٦٨] قوله: «ما ترك رسول الله ﷺ دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة إلا بغلته البيضاء التي كان يركبها» فما بقي إلا مركوبه «وسلاحه وأرضا جعلها لابن السبيل صدقة»، وما تركه النبي ﷺ أيضا لا يورث بل هو صدقة؛ كما ثبت في ذلك الحديث قال ﷺ: «**نحن معاشر الأنبياء لا نورث ما تركناه صدقة**»[3].

فيه أن النبي ﷺ ما ترك شيئا من المال؛ لأنه ﷺ كان ينفق بسخاء ليس له مثيل، فما بعث النبي ﷺ لجمع الأموال.

• [٤١٦٩] قوله: «أطابت أنفسكم أن تحثوا على رسول الله ﷺ التراب؟» هذا الكلام قالته فاطمة ﵂ وهو كلام يسير مستثنى من النياحة، دعا إلى ذلك هول المصيبة وفداحة الخطب، فالمصيبة عظيمة والخطب عظيم، وهذه كلمات صدرت منها بدون اختيارها.

---

(١) أحمد (٣/ ٥٩)، ومسلم (١٢١٨).

(٢) «المستدرك» (١/ ١٧٢).

(٣) أحمد (٢/ ٤٦٣)، والبخاري (٣٠٩٤)، ومسلم (١٧٥٧).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «ويستفاد من الحديث جواز التوجع للميت عند احتضاره بمثل قول فاطمة : «واكرب أباه» وأنه ليس من النياحة ؛ لأنه ﷺ أقرها على ذلك ، وأما قولها بعد أن قبض : «واأبتاه . . .» إلخ فيؤخذ منه أن تلك الألفاظ إذا كان الميت متصفا بها لا يمنع ذكره لها» .

والصواب أن هذا شيء يسير مستثنى صدر منها بدون اختيارها بسبب هول المصيبة وفداحة الخطب ، فالأمر عظيم فمصيبة الناس في موت النبي ﷺ ليست كالمصائب الأخرى ، فمصيبتهم في موت النبي ﷺ عظيمة ، فقد قال أنس في حديث آخر : «رأيت الناس أول ما قدم النبي ﷺ من الهجرة فما رأيت يوما أنور من ذلك اليوم وما رأيت الناس فرحوا مثلما فرحوا في هذا اليوم ، ورأيت الناس في اليوم الذي توفي فيه النبي ﷺ فرأيت الحزن مخيم على الناس فما مر عليهم يوم أشد منه» .

ولا يقال : إن النبي ﷺ مستثنى من قوله : «**إنك أن تذر ورثتك أغنياء**»[1] فالأنبياء لهم خصوصية فهم لا يورثون لا قليلًا ولا كثيرًا ، إنما بعثوا لهداية الناس ؛ ولهذا ما تركوه يكون صدقة بعدهم ، فلو كانوا يورثون لصار هناك طريق للطعن فيهم ، فقد يقول قائل : إنهم جمعوا الأموال .

* * *

(١) أحمد (١/ ١٧٣) ، والبخاري (١٢٩٦) ، ومسلم (١٦٢٨) .

المتن

[٨٤/ ٥٥] بابُ آخر ما تكلَّم النبيُّ ﷺ

• [٤١٧٠] حدثنا بشر بن محمد، قال: نا عبدالله، قال يونس: قال الزهري: فأخبرني سعيد بن المسيب في رجال من أهل العلم أن عائشة قالت: كان النبي ﷺ يقول وهو صحيح: **«إنه لم يقبض نبي حتى يرى مقعده من الجنة ثم يخير»**، فلما نزل به ورأسه على فَخِذِي غُشِيَ عليه، ثم أفاق فأشخص بصره إلى سقف البيت، وقال: **«اللهم الرفيق الأعلى»**، فقلت: إذا لا يختارنا، وعرفت أنه الحديث الذي كان يحدثنا وهو صحيح، قالت: فكانت آخر كلمة تكلم بها: **«اللهم الرفيق الأعلى»**.

الشرح

• [٤١٧٠] هذا الحديث فيه الرد على الرافضة أيضا القائلين بأن النبي ﷺ أوصى إلى علي، وأنه يوفي ديونه، فآخر كلمة تكلم بها ليست الوصية كما يدعي الرافضة بل قال: **«اللهم الرفيق الأعلى»** فالرفيق الأعلى هم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون، يعني: اللهم اجعلني في الرفيق الأعلى مع هؤلاء الأخيار كما قال الله تعالى في آية النساء: **﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ﴾** [النساء: ٦٩].

وقد ذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ أثرًا أخرجه العقيلي وغيره عن سلمان: أنه قال: قلت: يا رسول الله، إن الله لم يبعث نبيًّا إلا بين له من يلي بعده، فهل بين لك؟ قال: **«نعم، علي بن أبي طالب»**[١]، وحديث سلمان: قلت: يا رسول الله، من وصيك؟ قال: **«وصيي وموضع سري وخليفتي على أهلي وخير من أخلفه بعدي علي بن أبي طالب»**[٢] وهذه الأحاديث أوردها ابن الجوزي في «الموضوعات»، وكلها أحاديث مكذوبة على النبي ﷺ لا أساس لها من الصحة.

* * *

---

(١) «الضعفاء» للعقيلي (١/ ١٣٠)، و«ميزان الاعتدال» للذهبي (١/ ٥٨٤)، و«لسان الميزان» لابن حجر (١/ ١٩٢).

(٢) «الموضوعات» لابن الجوزي (١/ ٣٧٤)، و«الفوائد المجموعة» للشوكاني (١/ ١٧٢).

المتن

[٨٥/ ٥٥] بابُ وفاةِ النبي ﷺ

- [٤١٧١] حدثنا أبو نعيم، قال: نا شيبان، عن يحيى، عن أبي سلمة، عن عائشة وابن عباس، أن النبي ﷺ لبِث بمكةَ عشرَ سنين يُنزَل عليه القرآنُ، وبالمدينة عشرًا.
- [٤١٧٢] نا عبدالله بن يوسف، قال: نا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة، أن رسول الله ﷺ تُوُفِّي وهو ابن ثلاثٍ وستين.
- [٤١٧٣] قال ابن شهاب: وأخبرني سعيد بن المسيَّب مثلَه.

الشرح

- [٤١٧١] ذِكْره: «**أن النبي ﷺ لبث بمكة عشر سنين**» هذا على حذف الكسر على عادة العرب في حذفه، ومن قال: ثلاث عشرة سنة أثبت الكسر، والصواب أنه لبث بمكة ثلاث عشرة سنة كما في الروايات الأخرى: «**أنه لبث بمكة ثلاث عشرة سنة**»(١).
- [٤١٧٢]، [٤١٧٣] قوله: «**توفي وهو ابن ثلاث وستين**» قيل: إن النبي ﷺ توفي وهو ابن ثلاث وستين، وقيل: وهو ابن خمس وستين، وقيل: وهو ابن ستين، وأصوبها أنه توفي ﷺ وهو ابن ثلاث وستين.

* * *

---

(١) أحمد (١/ ٣٦٣)، والبخاري (٣٨٥١)، ومسلم (٢٣٥١).

المتن

[٨٦/ ٥٥] بابٌ

• [٤١٧٤] حدثنا قبيصة، قال: نا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن الأسود، عن عائشة قالت: تُوُفِّي النبيُّ ﷺ ودرعُه مرهونة عند يهودي بثلاثين.

الشرح

• [٤١٧٤] هذا الحديث فيه فوائد منها أن النبي ﷺ كان ينفق الأموال التي تصل إليه من الفتوحات في سبيل الله حتى لا يبقى عنده شيء ثم بعد ذلك قد يحتاج إلى الاستدانة.

وفيه: ما كان عليه النبي ﷺ من الزهد في الدنيا على الرغم من الأموال العظيمة التي جاءته من الفتوحات، حيث إنه أنفقها في سبيل الله حتى احتاج أن يستدين طعاما لأهله حتى مات ودرعه مرهونة عند يهودي؛ لأنه استدان فيها صاعا من شعير استدانها ﷺ للنفقة على أهله.

وفيه: أنه ليس كل اليهود أجلوا من المدينة بل بقي منهم أفراد لا أهمية لهم اقتضت المصلحة بقاءهم كما بقي يهود خيبر لحاجة المسلمين لهم؛ لأن المسلمين كانوا مشغولين بالجهاد، فأبقوا حتى يهتموا بالنخل وزراعتها وسقايتها ثم استقرت الشريعة أنه لا يجوز إبقاؤهم؛ فأوصى النبي ﷺ في آخر حياته عند موته بإخراجهم من جزيرة العرب(١) فأجلاهم عمر رضي الله عنه.

وفيه: جواز معاملة اليهود والمشركين والمجوس والمبتدعين - وهم أقل من الكفار - والعصاة بالبيع والشراء والإجارة والرهن، وأنه ليس من الموالاة في شيء بل يعاملهم مع بغضهم بالقلب، فالمعاملة شيء والبغض شيء آخر؛ لهذا تشتري سلعة من أفسق الناس وأنت تبغضه، فلا يلزم من البيع والشراء والمعاملة الموالاة ولا يلزم منه المحبة ولا النصرة، فالنبي ﷺ عامل اليهود ومات ودرعه مرهونة عند يهودي، واشترى غنما من مشرك(٢)، فلا بأس بذلك.

وفيه: جواز الرهن في الحضر وأن الرهن ليس خاصا بالسفر كما قاله بعض العلماء، وأما قول الله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُمْ عَلَىٰ سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُوا كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ﴾ [البقرة: ٢٨٣] فهو لبيان

---

(١) أحمد (١/ ١٩٥)، والبخاري (٣١٦٨)، ومسلم (١٦٣٧).
(٢) أحمد (٦/ ٤٢).

الأغلب ؛ لأن الغالب أن السفر يحتاج فيه إلى الرهن لعدم الكاتب ، ولا سيما في كثير من العصور القديمة التي لم يكن فيها كثير من الناس يكتبون .

وفيه : الفرق بين مكة والمدينة وأن المدينة يدخلها الكفار ومكة لا يدخلها الكفار ؛ لقول الله تعالى في مكة : ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُواْ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا**﴾ [التوبة : ٢٨] فمكة لا يجوز دخولها لمشرك لا يهودي ولا نصراني ولا غيره ؛ ولهذا قال العلماء : إذا احتاج ولي الأمر إلى بعض الرسل من غير المسلمين يخرج من مكة إذا كان في مكة ويقابلهم خارج مكة ، وأما المدينة فلا بأس أن يبقى فيها يهود ولو في مسجد النبي ﷺ ، فقد ربط ثمامة بن أثال في المسجد ثلاثة أيام[(١)] ، فهناك فرق بين مكة والمدينة .

فاليهود كانوا موجودين في المدينة ثم أجلاهم النبي ﷺ ، ومن حيث السكنى في جزيرة العرب فلا يجوز إبقاؤهم فيها كما سبق ، ولهذا أمر النبي ﷺ بإجلائهم قال : «**لا يبقى في جزيرة العرب دينان**»[(٢)] .

كما لا يجوز استقدام العمال الكفار إلى جزيرة العرب والإعراض عن استقدام المسلمين .

* * *

(١) أحمد (٢/ ٤٥٢) ، والبخاري (٤٣٧٢) ، ومسلم (١٧٦٤) .
(٢) أحمد (٦/ ٢٧٤) .

المتن

[٨٧/ ٥٥] بعثُ النبيِّ ﷺ أسامةَ بن زيدٍ في مرضه الذي تُوُفِّي فيه

• [٤١٧٥] حدثنا أبو عاصم، عن الفضيل بن سليمان، قال: نا موسىٰ بن عقبة، عن سالم، عن أبيه، استعمل النبي ﷺ أسامة، فقالوا فيه، فقال النبي ﷺ: **«بلغني أنكم قلتم في أسامة، وإنه أحبُّ الناس إليَّ»**.

• [٤١٧٦] نا إسماعيل، قال: حدثني مالك، عن عبدالله بن دينار، عن عبدالله بن عمر، أن رسول الله ﷺ بعث بعثا، وأمَّرَ عليهم أسامة بن زيد، فَطَعَنَ الناس في إمارته؛ فقام رسول الله ﷺ فقال: **«إن تَطْعَنُوا في إمارته فقد كنتم تَطْعَنُون في إمارة أبيه من قبل، وأَيْمُ الله، إن كان لخليقا للإمارة، وإن كان لمن أحب الناس إلي، وإن هذا لمن أحب الناس إلي بعده»**.

الشرح

هذه الترجمة في **«بعث النبيِّ ﷺ أسامة بن زيد في مرضه الذي توفي فيه»** وذلك أن النبي ﷺ قبل مرضه ندب الناس لغزو الروم في آخر شهر صفر فدعىٰ أسامة فقال: **«سر إلى موضع مقتل أبيك فأوطئه بالخيل فقد وليتك هذا الجيش، وأغر صباحا»**(١) ثم بعد ذلك بدأ بالنبي ﷺ المرض، وكان ممن انتدب مع أسامة كبار المهاجرين والأنصار، ومنهم أبو بكر وعمر وأبو عبيدة وسعد وسعيد وقتادة بن النعمان، فكل هؤلاء كانوا في جيش أسامة، وكان أسامة صغير السن فكان ابن سبع عشرة سنة؛ فتكلم في ذلك القوم فقالوا: كيف يولىٰ هذا الصغير علينا؟ وممن تكلم في ذلك: عياش بن أبي ربيعة المخزومي فرد عليه عمر وأخبر النبي ﷺ، فخطب النبي ﷺ الناس، ولما اشتد برسول الله ﷺ وجعه قال: **«أنفذوا بعث أسامة»**(٢) فجهزه أبو بكر رضي الله عنه بعد أن استخلف، ولما تلكأ بعض الصحابة قال: والله لو لعبت الكلاب بخلاخل نساء النبي ﷺ لصيرت جيشا أنفذه رسول الله ﷺ، فأنفذ الجيش.

---

(١) «السيرة النبوية» (٦/ ٦٥)، و«الطبقات الكبرىٰ» (٢/ ١٩٠).

(٢) «فتح الباري» (٨/ ١٥٢).

وهؤلاء الذين طعنوا في إمارة أسامة يحتمل أنهم اجتهدوا ويحتمل أنهم من المنافقين، أو قد شارك فيه من المنافقين ومن غيرهم، وإلا كيف يطعن في أمير أمره النبي ﷺ؟!

• [٤١٧٥] هذه منقبة لأسامة رضي الله عنه وهو حب رسول الله ﷺ له؛ ولهذا لما بلغ النبي ﷺ ما قالوا عن إمارة أسامة خطب وذكر أنه بلغه ما قالوا في أسامة رضي الله عنه، وأنه من أحب الناس إليه ﷺ، واتضح هذا الحب لأسامة رضي الله عنه لما سرقت المرأة المخزومية القرشية الشريفة، وأمر النبي ﷺ بقطع يدها فشق ذلك على قريش وقالوا: كيف تقطع وهي شريفة؟ من يتوسط لنا عند النبي ﷺ؟ فقالوا: لا أحد يتوسط إلا أسامة؛ لأن النبي ﷺ يحبه، لكن النبي ﷺ لما توسط عنده أسامة رضي الله عنه قال: «**أتشفع في حد من حدود الله؟!**»(١) فغضب النبي ﷺ منه فقال: استغفر لي يا رسول الله.

• [٤١٧٦] قوله: «**إن تطعنوا في إمارته فقد كنتم تطعنون في إمارة أبيه من قبل**» هو زيد بن حارثة.

قوله: «**وأيم الله، إن كان لخليقا للإمارة**» يعني: حلف النبي ﷺ إنه جدير بالإمارة، وإنه أهل للولاية.

قوله: «**وإن كان لمن أحب الناس إلي**» يعني: إن أسامة بن زيد لمن أحب الناس إلي بعد أبيه زيد الذي كان من أحب الناس إلي من قبل.

وفي هذا الحديث فوائد منها: جواز تولية المولى على الأشراف، فكان أسامة رضي الله عنه مولى وولاه النبي ﷺ على الأشراف من قريش وعلى الكبار.

وفيه: تولية المفضول وفيهم من هو أفضل منه قطعًا، فأبو بكر وعمر رضي الله عنهما أفضل من أسامة رضي الله عنه ومع ذلك ولاه النبي ﷺ عليهم.

وفيه: تولية صغار السن على الكبار.

وفيه: أن الإمام يراعي مصلحة رعيته؛ فيولي من فيه القدرة والكفاءة والأهلية.

---

(١) أحمد (٦/ ١٦٢)، والبخاري (٣٤٧٥)، ومسلم (١٦٨٨).

وفيه : أن التفاضل ليس بالأحساب والأنساب بل بالتقوى كما قال النبي ﷺ في الحديث الصحيح : «**لا فضل لعربي على أعجمي إلا بالتقوى**»[(١)] وأبلغ منه قول الله تعالى : ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقۡنَٰكُم مِّن ذَكَرٖ وَأُنثَىٰ وَجَعَلۡنَٰكُمۡ شُعُوبٗا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْۚ إِنَّ أَكۡرَمَكُمۡ عِندَ ٱللَّهِ أَتۡقَىٰكُمۡ**﴾ [الحجرات : ١٣] .

وفيه : أن التعليم بالفعل قد يكون أولى من التعليم بالقول ، فالتعليم يكون بالقول وبالفعل ، وهذا تعليم بالفعل فقد ولاه النبي ﷺ الإمارة ، وكذلك بالقول فقد أخبر أنه من أحب الناس إليه .

وهذا مثل التبني إذ لما كان في أول الإسلام جائزًا ، أراد الله إبطاله فأبطله بالقول وبالفعل ، فبالقول قال ﷻ : ﴿**ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ**﴾ [الأحزاب : ٥] ففي الأول كان يدعى زيد بن محمد ثم بعد ذلك دعي إلى أبيه فهو زيد بن حارثة ، وأبطله بالفعل لما طلق زيد زوجته زينب بنت جحش أمر الله ﷻ نبيه ﷺ من فوق سبع سموات أن يتزوجها فكان في ذلك إبطال للتبني وهدم له ، قال الله تعالى : ﴿**فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا**﴾ ثم بين الحكمة فقال : ﴿**لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗا**﴾ [الأحزاب : ٣٧] الأدعياء أي : الأبناء الذين يدعون إليه وليسوا أبناء من الصلب ولا الرضاعة .

والجدير بالذكر أن الأبناء ثلاثة :

الأول : ابن للصلب ، لا يجوز للأب أن يتزوج زوجته .

والثاني : ابن من الرضاع ، لا يجوز للأب أن يتزوج زوجته .

والثالث : ابن دعي ، فيجوز للأب أن يتزوج زوجته .

* * *

(١) أحمد (٥/ ٤١١) .

المتن

[٨٨/ ٥٥] بابٌ

• [٤١٧٧] حدثنا أصبغ ، قال : أخبرني ابن وهب ، قال : أخبرني عمرو ، عن ابن أبي حَبِيب ، عن أبي الخير ، عن الصُّنَابِحِيِّ ، أنه قال له : متىٰ هاجرت؟ قال : خرجنا من اليمن مهاجرين ، فقدمنا الجُحْفَة ، فأقبل راكب فقلت له الخبر ، فقال : دفنا النبي ﷺ منذ خمس ، قلت : هل سمعت في ليلة القدر شيئا؟ قال : نعم ، أخبرني بلال مؤذن النبي ﷺ أنه في السبع في العشر الأواخر .

الشرح

• [٤١٧٧] السائل في هذا الحديث أبو الخير والمسئول الصنابحي ، وقوله : «**دفنا النبي ﷺ منذ خمس**» هذا هو الشاهد لذكره في وفاة النبي ﷺ ، ثم أفاده فائدة أخرىٰ فقد سأله عن ليلة القدر فقال : هي في السبع الأواخر ، والسبع الأواخر أرجىٰ من غيرها .

* * *

المتن

[٨٩/ ٥٥] كم غزا النبي ﷺ

• [٤١٧٨] حدثنا عبدالله بن رجاء، قال: نا إسرائيل، عن أبي إسحاق قال: سألت زيد بن أرقم: كم غزوت مع رسول الله ﷺ؟ قال: سبع عشرة، قلت: كم غزا النبي ﷺ؟ قال: تسع عشرة.

• [٤١٧٩] نا عبدالله بن رجاء، قال: نا إسرائيل، عن أبي إسحاق، قال: حدثنا البراء، قال: غزوت مع النبي ﷺ خمس عشرة.

• [٤٠٨٠] نا أحمد بن الحسن، قال: نا أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال، قال: نا معتمر بن سليمان، عن كهمسٍ، عن ابن بُريدةَ، عن أبيه قال: غزا مع رسول الله ﷺ ستَّ عشرة غزوةً.

الشرح

هذا الباب **«كم غزا النبي ﷺ»** فمعقود لعدد غزوات النبي ﷺ.

• [٤١٧٨] هذا الحديث ذكر فيه أن غزوات النبي ﷺ تسع عشرة غزوة، وأن زيد بن أرقم رضي الله عنه غزا منها مع النبي ﷺ سبع عشرة.

• [٤١٧٩] هذا حديث ذكر فيه أن البراء رضي الله عنه غزا مع النبي ﷺ خمس عشرة غزوة، ولم يتعرض لعدد غزوات النبي ﷺ.

• [٤٠٨٠] هذا الحديث فيه أن بريدة رضي الله عنه **«غزا مع رسول الله ﷺ ست عشرة غزوة»** وتعداد الغزوات فيه خلاف، فهناك من قال في عدد الغزوات: تسع عشرة غزوة، وهناك من زاد ومن نقص على حسب العدد، فبعضهم يعد بعض السرايا ويجعلها غزوة؛ ولهذا يختلف العدد.

وفي الحديث الأخير: **«نا أحمد بن الحسن قال: نا أحمد بن محمد بن حنبل بن هلال»**، فهذا من رواية البخاري رحمه الله عن الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله وهي قليلة، قال العيني رحمه الله: «لم

يخرج البخاري في هذا الجامع مسندا عن الإمام أحمد غير هذا الحديث، واستشهد به في موضعين:

أحدهما في «**النكاح**» في «**باب: ما يحل من النكاح**» «قال» يعني البخاري «قال لنا أحمد بن حنبل».

والثاني في «**اللباس**» في «**باب: هل يجعل نقش الخاتم في ثلاثة أسطر؟**» قال: «**وزادني أحمد بن حنبل**».

قال شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «والسبب في قلة رواية البخاري عن الإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه استغنى عن الرواية عنه بالرواية عن شيوخه».

فقد كان البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ معاصرًا للإمام أحمد رَحِمَهُ ٱللَّهُ فأدرك شيوخه وأخذ عنهم فاتفق معه في الشيوخ؛ فلهذا كانت الرواية عنه قليلة.

ورواية البخاري عن أحمد هنا جاءت بواسطة، قال: «**نا أحمد بن الحسن قال: نا أحمد بن محمد بن حنبل**».





كتاب تفسير القرآن

المتن

٥٦- كتاب تفسير القرآن

اسمان من الرحمة الرحيم والراحم بمعنى واحد كالعليم والعالم

[١/ ٥٦] ما جاء في فاتحة الكتاب

وسميت أم الكتاب أنه يُبْدَأُ بكتابتها في المصاحف ويُبْدَأُ بقراءتها في الصلاة.

الدين: الجزاء في الخير والشر، كما تَدِينُ تُدان.

وقال مجاهد: ﴿بِٱلدِّينِ﴾ [الانفطار: ٩] بالحساب، ﴿مَدِينِينَ﴾ [الواقعة: ٨٦] محاسبين.

• [٤٠٨١] حدثنا مسدد، قال: نا يحيى، عن شعبة، قال: حدثني خبيب بن عبدالرحمن، عن حفص بن عاصم، عن أبي سعيد بن المعلى قال: كنت أصلي في المسجد، فدعاني رسول الله ﷺ فلم أجبه، فقلت: يا رسول الله، إني كنت أصلي، فقال: **«ألم يقل الله: ﴿ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾** [الأنفال: ٢٤]؟»، ثم قال لي: **«لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن قبل أن تخرج من المسجد»**، ثم أخذ بيدي، فلما أراد أن يخرج قلت له: ألم تقل لأعلمنك سورة هي أعظم سورة في القرآن؟ قال: **«﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾** [الفاتحة: ٢]؛ **هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته»**.

الشرح

التفسير من أهم العلوم التي ينبغي لطالب العلم أن يعتني بها؛ لأنه من أشرف العلوم؛ ولهذا قال ابن عبدالبر رحمه الله: «أول العلوم حفظ كتاب الله وتفهمه وتفهم معانيه فواجب معه». وقال السيوطي رحمه الله في «الإتقان»: «إن علم تفسير القرآن من فروض الكفايات، وهي أجل العلوم الثلاثة الشرعية التي هي: علم التفسير وعلم

الحديث وعلم الفقه»[(١)] . والصحابة -كما هو معلوم- كانوا لا يتجاوزون عشر آيات حتىٰ يتعلموا معانيها ويعملوا بها .

وقد قال أبو عبد الرحمن السلمي : حدثنا الذين كانوا يقرءون القرآن كعثمان بن عفان وعبد الله بن مسعود وغيرهما أنهم كانوا إذا تعلموا من النبي ﷺ عشر آيات لم يتجاوزوها حتىٰ يعلموا معانيها ويعملوا بها[(٢)] .

فطالب العلم بحاجة إلىٰ أن يقرأ تفسير القرآن ، ونحن في حاجة إلىٰ مراعاة التفسير .

وقد شرع المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآيات القرآنية بما ثبت عنده علىٰ شرطه في تفسير الآيات من أول سورة الفاتحة إلىٰ نهاية : ﴿قُلۡ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس : ١] .

ويضم إلىٰ ذلك أيضا تفسير الكلمات الغريبة ؛ لأنه رَحِمَهُ ٱللَّهُ حريص على الفائدة العلمية فجعل كتابه جامعا للتفسير والحديث والأسانيد والفقه واللغة ؛ فهذا «الجامع» ضرب في كل علم من العلوم وكل فن من الفنون بسهم .

قوله : «اسمان من الرحمة ، الرحيم والراحم بمعنىٰ واحد كالعليم والعالم» وهذا في تفسير قول الله ﷻ : ﴿بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة : ١] والبسملة آية من أول كل سورة على الصحيح ما عدا سورة براءة ، وأسماء الله ﷻ قسمان : قسم خاص لا يسمىٰ به إلا هو ، مثل لفظ الجلالة الله ، وهو أعرف المعارف ؛ تقول : الإله هو الله ، أصله الإله ، وهو الذي تألهه القلوب محبة وإجلالا وتعظيما ، وإله فعال بمعنىٰ مفعول أي : مألوه ، وأسماء الله تأتي بعده وصف له ، والرحمن اسم خاص بالله ؛ ولهذا لما تسمىٰ مسيلمة بالرحمن لصق به اسم الكذب ، فلا يذكر مسيلمة إلا ويقال : مسيلمة الكذاب قبحه الله .

ومن تلك الأسماء أيضا : رب العالمين وخالق الخلق ومالك الملك والنافع الضار والمعطي المانع وذو الجلال والإكرام .

---

(١) «الإتقان» (٢/ ٤٦٥) .

(٢) أحمد (٥/ ٤١٠) .

وهناك أسماء مشتركة مثل : الرحيم والسميع والبصير والعزيز والعليم والقدير ؛ يسمى بها الخالق ويسمى بها المخلوق ، فالخالق له ما يخصه ، والمخلوق له ما يخصه ، فالرحمن والرحيم اسمان مشتقان من الرحمة مصدر رحم ، والرحيم والراحم بمعنى واحد .

واسم الله الرحمن والرحيم كلاهما صيغة مبالغة ، وهما أبلغ من الراحم ؛ لأن فعلان وفعيل صيغتا مبالغة ؛ رحمان فعلان ورحيم فعيل ، قال بعضهم : الرحمن عام للمؤمنين والكافرين ، والرحيم خاص بالمؤمنين كما في قوله تعالى : ﴿وَكَانَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب : ٤٣] .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «قوله : الرحمن الرحيم «اسمان من الرحمة» أي : مشتقان من الرحمة ، والرحمة لغة : الرقة والانعطاف ؛ وعلى هذا فوصفه به تعالى مجاز عن إنعامه على عباده» .

وهذا تأويل ، والصواب إثبات صفة الرحمة لله على ما يليق به ، فهي على حقيقتها وليست مجازا ، وهذا التأويل طريقة الأشاعرة ؛ فالأشاعرة يقولون : الرحمة معناها الإنعام . لكن الصواب أن الرحمة غير الإنعام ، وإنما الإنعام أثر الرحمة .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وهي صفة فعل لا صفة ذات وقيل : ليس الرحمن مشتقا ؛ لقولهم : ﴿وَمَا ٱلرَّحْمَٰنُ﴾ [الفرقان : ٦٠] وأجيب بأنهم جهلوا الصفة والموصوف ؛ ولهذا لم يقولوا : ومن الرحمن ، وقيل : هو علم بالغلبة ؛ لأنه جاء غير تابع لموصوف في قوله : ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه : ٥] ، وفي قوله : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱسْجُدُوا۟ لِلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفرقان : ٦٠] ، ﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَٰنَ﴾ [الإسراء : ١١٠] ، وفي قوله : ﴿يَوْمَ نَحْشُرُ ٱلْمُتَّقِينَ إِلَى ٱلرَّحْمَٰنِ وَفْدًا﴾ [مريم : ٨٥] وغير ذلك ، وتعقب بأنه لا يلزم من مجيئه غير تابع أن لا يكون صفة ؛ لأن الموصوف إذا علم جاز حذفه وإبقاء صفته .

قوله : «**الرحيم والراحم بمعنى واحد كالعليم والعالم**» هذا بالنظر إلى أصل المعنى ، وإلا فصيغة فعيل من صيغ المبالغة فمعناها زائد على معنى الفاعل ، وقد ترد صيغة فعيل بمعنى الصفة المشبهة وفيها أيضا زيادة ؛ لدلالتها على الثبوت ، بخلاف مجرد الفاعل فإنه يدل على الحدوث ، ويحتمل أن يكون المراد : أن فعيلا بمعنى فاعل لا بمعنى مفعول ؛ لأنه قد يرد بمعنى مفعول فاحترز عنه ، واختلف : هل الرحمن والرحيم بمعنى واحد كالندمان والنديم ؛

فجمع بينهما تأكيدا، أو بينهما مغايرة؟ بحسب المتعلق فهو رحمن الدنيا ورحيم الآخرة؛ لأن رحمته في الدنيا تعم المؤمن والكافر وفي الآخرة تخص المؤمن، أو التغاير بجهة أخرى فالرحمن أبلغ؛ لأنه يتناول جلائل النعم وأصولها تقول: فلان غضبان إذا امتلأ غضبا، وأردف بالرحيم؛ ليكون كالتتمة ليتناول ما دق، وقيل: الرحيم أبلغ لما يقتضيه صيغة فعيل، والتحقيق أن جهة المبالغة فيهما مختلفة. وروى ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ من طريق عطاء الخرساني أن غير الله لما تسمى بالرحمن -كمسيلمة- جيء بلفظ الرحيم لقطع التوهم؛ فإنه لم يوصف بهما أحد إلا الله. وعن ابن المبارك رَحِمَهُ اللَّهُ: الرحمن إذا سئل أعطى والرحيم إذا لم يسأل يغضب، ومن الشاذ ما روي عن المبرد وثعلب: أن الرحمن عبراني والرحيم عربي، وقد ضعفه ابن الأنباري والزجاج وغيرهما، وقد وجد في اللسان العبراني لكن بالخاء المعجمة».
والصواب: أنه عربي لا كما قال المبرد وابن الأنباري.

قوله: «**ما جاء في فاتحة الكتاب**» بين المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أن الفاتحة سميت بذلك لأمرين:

الأمر الأول: أنه يبدأ بكتابتها في المصحف.

الأمر الثاني: أنه يبدأ بقراءتها في الصلاة.

وهناك أمر ثالث – مهم – كان سببًا في تسميتها بأم الكتاب لم يذكره الشارح، وهو أن معاني القرآن كلها ترجع إليها؛ وذلك لأن فيها إثبات الربوبية والإلهية والمعاد وقصر الألوهية على الله فلا يستحق العبادة غيره، وسؤال الله الهداية: ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧] وفيها بيان أقسام الناس وأنهم ثلاثة: منعم عليهم ومغضوب عليهم وضالون، وفيها بيان الصراط المستقيم وأهله، وأنهم هم المنعم عليهم الذين جمعوا بين العلم والعمل، وفيها بيان وجوب إفراد الله بالعبادة والتوكل عليه والاستعانة به وحده: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥] وفيها إثبات فعل العبد وكسبه، وهذا فيه رد على الجبرية الذين يقولون: ليس للعبد فعل ولا كسب فهذه المعاني العظيمة كلها أصول. وهي مجموعة في أم الكتاب، ومعاني القرآن كلها ترجع إليها؛ ولهذا سميت بأم الكتاب.

وفسر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ الدين بالجزاء؛ فقال: «**الدين: الجزاء في الخير والشر**»، وسمي يوم الدين؛ لأنه يوم الجزاء حيث يجازى الناس بأعمالهم؛ إن خيرًا فخير وإن شرًّا فشر، كما

قال الله تعالى في سورة الزلزلة : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة : ٧، ٨] **«كما تدين تدان»** .

قوله : **«وقال مجاهد : ﴿بِٱلدِّينِ﴾** [الانفطار : ٩] **بالحساب ﴿مَدِينِينَ﴾** [الواقعة : ٨٦] **محاسبين»** الدين كلمة مشتركة لها معان متعددة ؛ فتطلق على العبادة وتطلق على الحساب وتطلق على الجزاء بحسب السياق .

فمن إطلاقها على العبادة قوله تعالى : ﴿فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [غافر : ١٤]، وقوله تعالى : ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ﴾ [البينة : ٥] أي : مخلصين له العبادة .

ومن إطلاقها على الحساب والجزاء قوله تعالى في الفاتحة : ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة : ٤] يعني : يوم الجزاء والحساب .

وذكر الشارح أن الفاتحة لها أسماء ومعان متعددة ؛ فمن أسمائها : الكنز والوافية والشافية والكافية وسورة الحمد والحمد لله وسورة الصلاة وسورة الشفاء والأساس وسورة الشكر وسورة الدعاء ، ومن أسمائها أيضا : الصلاة ، وكذلك أيضا ذكر أسباب تسميتها أم الكتاب ؛ لأن أم الشيء ابتداؤه وأصله ؛ ومنه سميت مكة أم القرى ؛ لأن الأرض دحيت من تحتها .

وكذلك الدين يطلق على العمل وعلى الحكم وعلى الحال وعلى الخلق وعلى الطاعة وعلى القهر وعلى الملة وعلى الشريعة وعلى الورع وعلى السياسة .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «قوله : **«وسميت أم الكتاب أنه»** بفتح الهمزة **«يبدأ بكتابتها في المصاحف ويبدأ بقراءتها في الصلاة»** هو كلام أبي عبيدة رَحِمَهُ ٱللَّهُ في أول «مجاز القرآن» لكن لفظه : ولسور القرآن أسماء منها : أن الحمد لله تسمى أم الكتاب ؛ لأنه يبدأ بها في أول القرآن وتعاد قراءتها فيقرأ بها في كل ركعة قبل السورة ، ويقال لها : فاتحة الكتاب ؛ لأنه يفتتح بها في المصاحف فتكتب قبل الجميع . اهـ .

وبهذا تبين المراد مما اختصره المصنف ، وقال غيره : سميت أم الكتاب ؛ لأن أم الشيء ابتداؤه وأصله ، ومنه سميت مكة أم القرى ؛ لأن الأرض دحيت من تحتها ، وقال بعض الشراح : التعليل بأنها يبدأ بها يناسب تسميتها فاتحة الكتاب لا أم الكتاب ، والجواب : أنه يتجه ما قال بالنظر إلى أن الأم مبدأ الولد ، وقد سميت أم القرآن ؛ لاشتمالها على المعاني

التي في القرآن؛ من الثناء على الله تعالى والتعبد بالأمر والنهي والوعد والوعيد وعلى ما فيها من ذكر الذات والصفات والفعل واشتمالها على ذكر المبدأ والمعاد والمعاش، ونقل السهيلي عن الحسن وابن سيرين -ووافقهما بقي بن مخلد- كراهية تسمية الفاتحة أم الكتاب، وتعقبه السهيلي.

قلت: وسيأتي في حديث الباب تسميتها بذلك، ويأتي في تفسير الحجر حديث أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعا: **«أم القرآن هي السبع المثاني»**[1]، ولا فرق بين تسميتها بأم القرآن وأم الكتاب، ولعل الذي كره ذلك وقف عند لفظ الأم، وإذا ثبت النص طاح ما دونه، وللفاتحة أسماء أخرى جمعت من آثار أخرى: الكنز والوافية والشافية والكافية وسورة الحمد والحمد لله وسورة الصلاة».

ويدل على أن من أسمائها الصلاة ما جاء في الحديث القدسي: **«قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين إذا قال العبد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾** [الفاتحة: ٢]**»**[2] يعني: الفاتحة.

ثم قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وسورة الشفاء والأساس وسورة الشكر وسورة الدعاء».

ثم قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قوله: **«الدين: الجزاء في الخير والشر، كما تدين تدان»** هو كلام أبي عبيدة أيضا قال: الدين الحساب والجزاء».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قوله: **«وقال مجاهد: ﴿بِٱلدِّينِ﴾** [الانفطار: ٩] **بالحساب ﴿مَدِينِينَ﴾** [الواقعة: ٨٦] **محاسبين»** وصله عبد بن حميد في التفسير من طريق منصور عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ تُكَذِّبُونَ بِٱلدِّينِ﴾ [الانفطار: ٩] قال: بالحساب، ومن طريق ورقاء بن عمر عن ابن أبي نجيح عن مجاهد في قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَآ إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ﴾ [الواقعة: ٨٦] غير محاسبين، والأثر الأول جاء موقوفا عن ناس من الصحابة؛ أخرجه الحاكم من طريق السدي عن مرة الهمداني عن ابن مسعود وناس من الصحابة في قوله تعالى: ﴿مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤] قال: هو يوم الحساب ويوم الجزاء، وللدين معان أخرى منها: العادة والعمل والحكم والحال والخلق والطاعة والقهر والملة والشريعة والورع والسياسة، وشواهد ذلك يطول ذكرها».

---

(١) أحمد (٢/ ٤٤٨)، والبخاري (٤٧٠٤).

(٢) أحمد (٢/ ٢٤١)، ومسلم (٣٩٥).

• [٤٠٨١] قوله : «لأعلمنك سورة هي أعظم السور في القرآن» ؛ لأن معاني القرآن كلها ترجع إليها كما سبق ؛ معاني الربوبية والإلهية والمعاد وقصر الألوهية على الله ، وسؤال الله الهدية إلى الصراط المستقيم ، وبيان الصراط المستقيم وأهله ، وبيان وجوب إفراد الله بالعبادة والتوكل عليه والاستعانة به ؛ وإثبات فعل العبد وكسبه ؛ فهذه كلها ترجع إليها ؛ ولهذا سميت أم القرآن ، ولهذا كانت أعظم سورة في القرآن وهي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيه النبي ﷺ .

قوله : «السبع المثاني ، القرآن العظيم» الواو ليست عاطفة ، وقيل : السبع المثاني مستقلة والقرآن العظيم مستقل ، فالسبع المثاني هي الفاتحة ، والقرآن العظيم الذي أوتيه النبي ﷺ بعد ذلك ، وسميت بالمثاني ؛ لأنها تثنى في كل ركعة ؛ أي : تعاد ، وقيل : إنه يثنى بها على الله ، وقيل : إنها استثنيت لهذه الأمة ؛ لأنها لم تنزل على من قبلها ، وقيل : السبع المثاني هي السبع الطوال ، وهو مردود ؛ لما جاء في الحديث أنها هي الفاتحة[١] .

وهذا الحديث فيه فضل الفاتحة وأنها أعظم سورة في القرآن كما أن أعظم آية في القرآن هي آية الكرسي[٢] .

قوله : «ألم يقل الله : ﴿ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ﴾ [الأنفال : ٢٤]؟» فيه دليل على أن النبي ﷺ يجب إجابته في حياته ولو كان الإنسان في الصلاة ؛ ولهذا أنكر النبي ﷺ على أبي سعيد بن المعلى لما دعاه وهو في الصلاة فلم يجبه ، وأما الأب فإنه يجاب في النافلة دون الفريضة ، وذلك إذا كان يعلم أنه يشق عليه ، أما إذا كان يعلم أنه لا يشق عليه فيشير إليه ويسبح إذا كان يعلم أنه يسمح ، وإذا كان يعلم أنه لا يسمح فيجيبه ولو في النافلة كما في قصة جريج الراهب : فإنه كان يصلي فدعته أمه فقال : ربي ، أمي وصلاتي ، فلم يجبها ، وكررتها ثلاثا ؛ فدعت عليه وقالت : اللهم لا تمته حتى ينظر إلى وجوه المومسات .

واستنبط بعضهم من الحديث أن إجابة المصلي دعاء النبي ﷺ لا تبطل الصلاة ، وأن هذا من خصائصه ، لكن هذا فيه بحث .

---

(١) أحمد (٢/ ٣٥٧) ، والبخاري (٤٧٠٤) .
(٢) الترمذي (٢٨٨٤) .

وفيه دليل على أن الفاتحة سبع آيات ؛ لقوله : «**هي السبع المثاني**» ، وهذا هو الصواب ، وهذا نقل فيه بإجماع ، وإن كان جاء عن الحسين بن علي أنها ست آيات ؛ فلم يعد البسملة آية .

وروي عن عمرو بن عبيد أنها ثمان آيات ؛ لأنه أعد ﴿**أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**﴾ ، وقيل : لم يعدها ، وهذا غريب ، والصواب أنها سبع آيات ، وليست منها البسملة ؛ فالفاتحة سبع آيات أولها : ﴿**ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ**﴾ [الفاتحة : ٢] والآية الثانية : ﴿**ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ**﴾ [الفاتحة : ٣] ، والآية الثالثة : ﴿**مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ**﴾ [الفاتحة : ٤] ، والآية الرابعة : ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة : ٥] ، والآية الخامسة : ﴿**ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ**﴾ [الفاتحة : ٦] والآية السادسة : ﴿**صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ**﴾ [الفاتحة : ٧] والآية السابعة : ﴿**غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ**﴾ [الفاتحة : ٧] . والقول الثاني : إن البسملة هي الآية الأولى ؛ وعلى هذا القول يكون : ﴿**صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ**﴾ [الفاتحة : ٧] آية واحدة ، لكن الصواب أن البسملة ليست من الفاتحة ؛ والدليل على هذا الحديث القدسي : «**قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين** -فالصلاة : الفاتحة- **فإذا قال العبد** : ﴿**ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ**﴾ [الفاتحة : ١] **قال الله : حمدني عبدي**»[1] ، ولو كانت البسملة آية من الفاتحة لقال الرب : فإذا قال العبد : بسم الله الرحمن الرحيم ، «**ثم إذا قال** : ﴿**ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ**﴾ [الفاتحة : ٢] ، **قال : أثنى علي عبدي ، فإذا قال** : ﴿**مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ**﴾ [الفاتحة : ٣] ، **قال : مجدني عبدي ، فإذا قال** : ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة : ٤] **قال : هذا بيني وبين عبدي ، فإذا قال** : ﴿**ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ**﴾ [الفاتحة : ٥] **قال الله : هذا لعبدي ولعبدي ما سأل**» .

هذا هو الصواب ، وبعض العلماء يعد البسملة من الفاتحة ، وهو الموجود في المصاحف الآن ، فإذا فتحت المصحف تجد ﴿**بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ**﴾ وكتب بعدها رقم واحد فعدوها آية ، وجعلوا الآية السادسة والسابعة آية واحدة ﴿**ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ**﴾ [الفاتحة : ٧] وعلى هذا القول فإن بعض الأئمة يسقط آية ؛ لأنهم لا يقرءون البسملة ، فإذا قام من الركعة الثانية يقول : الله أكبر ، ﴿**ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ**﴾ [الفاتحة : ٢] فتكون قراءته وصلاته باطلة ؛

---

(١) أحمد (٢/ ٢٤١) ، ومسلم (٣٩٥) .

لأنه ترك آية ، وهذا خطأ ، والصواب فيها أنها سنة وليست آية ، فلا تبطل صلاته ؛ لأنه إن لم يبسمل فقد ترك سنة ؛ فنقول على الإمام ألا يبادر هذه المبادرة الشديدة ، فعندما يقوم لا يصل التكبير بالقراءة ، بل يقوم ويكبر ويفصل التكبير عن القراءة بأن يتنفس فيقول : الله أكبر ، ثم يقول : ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة : ٢] ويبسمل سرا قبل القراءة ، أما هذه المبادرة التي يفعلها بعض الأئمة بأن يصل التكبير بالقراءة مباشرة دون نفس ؛ فهذا غلط ، وكذلك أيضا عند الركوع يقول مثلا : ﴿مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس : ٦] فيقول : الله أكبر ، ولا يسكت بينهما قليلا ، فينبغي للإنسان أن يسكت سكتة لطيفة ، وهذه السكتة مشروعة ؛ فهناك سكتتان مشروعتان : السكتة الأولى بعد تكبيرة الإحرام(١) للاستفتاح ، والسكتة الثانية بعد الانتهاء من القراءة ؛ حتى يرد إليه نفسه ثم يكبر .

وما يفعله بعض الأئمة لأحد أمرين :

الأول : الجهل .

الثاني : العجلة .

وهناك سكتة ثالثة مختلف فيها ، وهي بعد الفاتحة ؛ فمن العلماء من أثبتها ، ومنهم من لم يثبتها .

وهذه السكتات ليس فيها دعاء يذكر ؛ بل هي سكتات لطيفة يتنفس فيها الإمام ليفصل القراءة عن التكبير .

ومن أدلة من يقول : إن البسملة ليست من الفاتحة ؛ أنه حصل اختلاف فيها ، والله ﷻ يقول : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر : ٩] فلو كانت البسملة من الفاتحة ما حدث فيها خلاف .

* * *

---

(١) أحمد (٢/ ٤٩٤) ، والبخاري (٧٤٤) ، ومسلم (٥٩٨) .

المتن

[٢/ ٥٦] باب ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة : ٧]

• [٤٠٨٢] حدثنا عبدالله بن يوسف، قال: أنا مالك، عن سمي، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال: **«إذا قال الإمام: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾** [الفاتحة: ٧] **فقولوا: آمين، فمن وافق قوله قول الملائكة غُفر له ما تقدم من ذنبه»**.

الشرح

قوله: **«باب ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾** [الفاتحة: ٧]**»** «لا» هنا زائدة؛ لتأكيد النفي المستفاد من «غير».

• [٤٠٨٢] هذا الحديث يدل على أن المأموم يقول: آمين، بعد قوله: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] سواء سبق الإمام أو سبقه الإمام أو وافقه في قولها؛ فهي سنة مستحبة، وجاء في الحديث الآخر: **«من وافق تأمينه تأمين الملائكة غفر له»**[1]، وفي أوله: **«إذا أمن الإمام فأمنوا»**. وقد فهم بعض العلماء من هذا الحديث -كالشيخ ناصر الدين الألباني رحمه الله- أن المأموم لا يؤمن حتى يؤمن الإمام، وهذا ليس بجيد؛ فهذا الحديث: **«إذا قال الإمام: ﴿غَيۡرِ ٱلۡمَغۡضُوبِ عَلَيۡهِمۡ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ فقولوا آمين»**، يلغي هذا الفهم؛ فإن هذا الحديث فيه أن المأموم يقولها بعد قول الإمام: ﴿وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ وليس مرتبطا بقول الإمام: آمين. وقد جاء في الحديث الآخر: **«أن اليهود حسدونا على ثلاث؛ ومنها قولنا خلف الإمام: آمين»**[2].

وظهرت بعض البدع في ذلك كما عند الرافضة وغيرهم؛ فهم لا يؤمِّنون بعد قراءة الإمام الفاتحة، فتكون بدعتهم هذه موافقة لليهود، والسنة أن الإمام في الصلاة الجهرية يجهر بها وكذلك المأموم جميعا حتى يرتج المسجد.

* * *

---

(١) أحمد (٢/ ٢٣٣)، والبخاري (٧٨٠)، ومسلم (٤١٠).

(٢) ابن ماجه (٨٥٧).

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة البقرة

[٣/ ٥٦] باب قول الله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١]

• [٤٠٨٣] حدثنا مسلم، قال: نا هشام، قال: نا قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ، ح. وقال لي خليفة: نا يزيد بن زريع، قال: نا سعيد، عن قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: **«ويجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون: لو استشفعنا إلى ربنا، فيأتون آدم فيقولون: أنت أبُ الناس؛ خلقك الله بيده، وأسجد لك ملائكته، وعلمك أسماء كل شيء، فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا، فيقول: لست هناكم، ويذكر ذنبه فيستحْيِي، ائتوا نوحًا؛ فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض، فيأتونه، فيقول: لست هناكم، ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم فيستحيي، فيقول: ائتوا خليل الرحمن، فيأتونه فيقول: لست هناكم، ائتوا موسى عبدا كلمه الله وأعطاه التوراة، فيأتونه فيقول: لست هناكم، ويذكر قتل النفس بغير نفس، فيستحيي من ربه، ائتوا عيسى؛ عبد الله ورسوله، وكلمة الله وروحه، فيقول: لست هناكم، ائتوا محمدا؛ عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر، فيأتوني، فأنطلق حتى أستأذن على ربي، فيؤذنَ لي، فإذا رأيت ربي وقعت ساجدا، فيدعني ما شاء، ثم يقال: ارفع، وسل تعطه، وقل تسمع، واشفع تشفع، فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع، فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة، ثم أعود إليه، فإذا رأيت ربي مثله، ثم أشفع، فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة، ثم أعود الرابعة، فأقول: ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود»**.

قال أبو عبد الله: حبسه القرآن يعني: قول الله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [البقرة: ١٦٢].



انتقل المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ إلى تفسير سورة البقرة بعد أن انتهى من تفسير سورة الفاتحة وإنما يذكر من الأحاديث في تفسير الآيات ما كان على شرطه.

قوله : «**باب قول الله تعالى : ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾**» [البقرة : ٣١] يعني ما جاء في تفسير هذه الآية من الأحاديث التي على شرطه ، ذكر فيه حديث الشفاعة العظمى ، وهي لإخراج عصاة المؤمنين من النار ، فذكر في أول الحديث الشفاعة العظمى التي تكون في موقف القيامة التي يتأخر عنها أولو العزم من الرسل ، فيشفع الله فيها نبينا محمدًا ﷺ وهي عامة في أهل الموقف مؤمنهم وكافرهم ، وهذا هو المقام المحمود الذي يسبق النبي ﷺ فيه الأولين والآخرين ؛ قال الله تعالى : ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾[الإسراء : ٧٩] .

• [٤٠٨٣]قوله : «**ويجتمع المؤمنون يوم القيامة فيقولون : لو استشفعنا إلى ربنا ، فيأتون آدم فيقولون : أنت أب الناس ؛ خلقك الله بيده ، وأسجد لك ملائكته ، وعلمك أسماء كل شيء**» هذا هو الشاهد لإتيان المؤلف بهذا الحديث في هذه الترجمة ؛ حيث جاء به لتفسير قول الله ﷻ : ﴿وَعَلَّمَ ءَادَمَ ٱلْأَسْمَآءَ كُلَّهَا﴾[البقرة : ٣١] .

وقوله : «**وعلمك أسماء كل شيء**» قيل : المراد بالأسماء أسماء الذرية ، وقيل : أسماء الملائكة ، وقيل : أسماء الأجناس دون أنواعها ، وقيل : أسماء كل ما في الأرض ، وقيل : أسماء كل شيء ، والراجح الأخير العام على أصل الحديث ، وهذه الأمور ذكرها الناس في آدم ؛ ليجدوا وسيلة يتوسلون بها إليه ليقبل أن يشفع ، وهذه مزايا عظيمة وفضائل لآدم عليه السلام .

قوله : «**فاشفع لنا عند ربك حتى يريحنا من مكاننا هذا**» وهو موقف القيامة ، فيعتذر آدم «**فيقول : لست هناكم ، ويذكر ذنبه فيستحيي**» يعني : حينما أكل من الشجرة ، فعلى الرغم من أنه تاب منه إلا أنه مع ذلك يذكر ذنبه فيستحي منه .

قوله : «**ائتوا نوحا ؛ فإنه أول رسول بعثه الله إلى أهل الأرض**» فنوح عليه السلام هو أول رسول بعثه الله إلى أرضه وذلك بعد وقوع الشرك وحدوثه ؛ فأرسل إلى بنيه وغير بنيه ، وإن كان قبله نبيان ؛ هما : شيث وآدم ، ولكن لم يقع الشرك في ذلك الوقت ؛ لأن آدم ما أرسل إلا إلى ذريته فقط وكذلك شيث ، فما وقع شيء من الشرك ، ولكن وقعت معصية قتل قابيل لأخيه هابيل .

قال ابن عباس رضي الله عنهما في قول الله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ ٱلنَّاسُ إِلَّآ أُمَّةً وَٰحِدَةً فَٱخْتَلَفُوا۟﴾ [يونس : ١٩] قال : كان بين آدم ونوح عشرة قرون كلهم على الإسلام والتوحيد ، ثم وقع

الشرك فأرسل الله نوحا أول رسول إلى أهل الأرض ، وإن كان سبقه آدم وشيث إلا أنه أرسل إلى بنيه وغيرهم .

فيأتي الناس نوحا فيعتذر **«ويذكر سؤاله ربه ما ليس له به علم فيستحيي»** وذلك في قول الله تعالى له : ﴿ **فَلَا تَسْـَٔلْنِ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ إِنِّىٓ أَعِظُكَ أَن تَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ۝ قَالَ رَبِّ إِنِّىٓ أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَسْـَٔلَكَ مَا لَيْسَ لِى بِهِۦ عِلْمٌ** ﴾ [هود : ٤٦ ، ٤٧] .

وفي الرواية الأخرى : **«أنه اعتذر أنه دعا على أهل الأرض دعوة أغرقتهم»**(١) .

قوله : **«ائتوا خليل الرحمن»** يعني إبراهيم عليه السلام فيعتذر الخليل ويقول : **«لست هناكم»** .

قوله : **«ائتوا موسى عبدا كلمه الله وأعطاه التوراة»** فهذه من الخصائص التي تميز بها نبي الله موسى عليه السلام أن الله كلمه بدون واسطة وأعطاه التوراة .

قوله : **«فيأتونه فيقول : لست هناكم ، ويذكر قتل النفس بغير نفس»** يعني لما خرج فوجد الإسرائيلي والقبطي يقتتلان فاستغاثه الإسرائيلي على القبطي ، ﴿ **فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ** ﴾ [القصص : ١٥] وهذا قبل النبوة ، ومع ذلك يعتذر استحياء من ربه .

قوله : **«ائتوا عيسى عبد الله ورسوله وكلمة الله وروحه فيقول : لست هناكم»** كَلِمَتُه يعني أنه مخلوق بكلمة الله **«كن»** ، وليس المراد أنه نفسه كلمة ؛ بل هو مخلوق بالكلمة ، فسمي كلمة الله ؛ لأنه مخلوق بها ، وذلك خلاف قول النصارى : إنه نفسه كلمة ، فيقولون : إنه جزء من الله -والعياذ بالله- ويقولون : إنه ابن الله ؛ وهذا كفر وضلال ، و**«روحه»** يعني روح من الأرواح التي خلقها أضيفت إلى الله للتشريف ، كما يقال : عبدالله ورسول الله وناقة الله وبيت الله ، كذلك عيسى روح الله ، فإضافة المخلوق إلى خالقه تشريف للمخلوق ، ومع ذلك يعتذر عيسى عليه السلام .

قوله : **«ائتوا محمدا ؛ عبد غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر»** فيقول النبي ﷺ : **«فيأتوني فأنطلق حتى أستأذن على ربي ، فيؤذن لي ، فإذا رأيت ربي وقعت ساجدا ، فيدعني ما شاء ثم يقال : ارفع ، وسل تعطه وقل تسمع ، واشفع تشفع»** وهذا فيه أن النبي ﷺ لا يبدأ بالشفاعة أولا وإنما لابد من الإذن ، فالنبي ﷺ لا يستطيع أن يشفع عند الله إلا بعد

(١) الترمذي (٣١٤٨) .

الإذن منه ﷻ وكذلك غيره؛ قال الله تعالى: ﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٥٥] فالنبي محمد ﷺ وهو أعظم الناس وجاهة عند الله تعالى لا يستطيع أن يشفع حتى يأتيه الإذن بذلك، وإنما يبدأ أولا بالسجود فيسجد.

قوله: **«فأحمده بتحميد يعلمنيه»** يعني: يحمد الله ويمجده ما شاء الله، بعد أن يأتيه الإذن من الله ﷻ في قول الله سبحانه له: **«ارفع، وسل تعطه، وقل تسمع، واشفع تشفع»** هذا هو الإذن، فيقول: **«فأرفع رأسي فأحمده بتحميد يعلمنيه، ثم أشفع، فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة»** والحديث فيه اختصار فهو ﷺ في الشفاعة العظمى يَشفع فيقول: يا رب شفعني في أن تقضي بين عبادك، رب أسألك أن تقضي بين عبادك، فيقضي الله بين عباده، ثم بعد ذلك ينتقل إلى الشفاعة لإخراج العصاة من النار، وكأن الحكمة في كونه لم يذكر الشفاعة العظمى أن الشفاعة العظمى لا خلاف فيها؛ فكل يوافق عليها حتى أهل البدع من الخوارج والمعتزلة، أما الشفاعة في إخراج عصاة الموحدين فهذه خالف فيها الخوارج والمعتزلة وأهل البدع وأنكروها، مع أن الأحاديث متواترة في إخراج العصاة من الموحدين؛ لأن الخوارج والمعتزلة يرون تخليد العصاة في النار، ويرون أنه لا شفاعة لهم؛ ولهذا أنكر عليهم أهل السنة وبدعوهم وضللوهم.

قوله: **«فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة»** يعني يحد الله له حدا بالعلامة في النار فيقول أخرج منها من وصفه كذا وكذا فيخرجهم من النار، قال: **«ثم أعود إليه، فإذا رأيت ربي مثله، ثم أشفع»** يعني يسجد ويشفع ويحمد الله ثم يأذن الله له بالشفاعة فيشفع، **«فيحد لي حدا فأدخلهم الجنة»** هذه المرة الثانية ثم يعود الثالثة فيسجد ويحمد الله، ثم يأتيه الإذن فيحد له حدا فيدخلهم الجنة، ثم يعود الرابعة.

قوله: **«ما بقي في النار إلا من حبسه القرآن ووجب عليه الخلود»** يعني هم الكفار؛ ولهذا قال أبو عبد الله البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «حبسه القرآن؛ يعني: قول الله: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾ [البقرة: ١٦٢]» وهم الكفار المخلدون فيها المؤبدون، وهم الذين أخبر الله عنهم في القرآن أنهم مخلدون في النار؛ قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧] وقال تعالى: ﴿لَّٰبِثِينَ فِيهَآ أَحْقَابًا﴾ [النبأ: ٢٣] وقال تعالى: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧]، فهؤلاء هم الكفرة الذين حبسهم القرآن في

النار فلا يخرجون منها أبد الآباد، وهذا ما قاله النبي ﷺ على حسب علمه؛ فقد ظن النبي ﷺ أنه لم يبق أحد من العصاة في النار، لكن جاء في الحديث الآخر: **«أنه يبقى بقية من العصاة لا تنالهم الشفاعة فيخرجهم رب العالمين برحمته فيقول الرب سبحانه: شفعت الملائكة وشفع النبيون ولم يبق إلا رحمتي، وأنا أرحم الراحمين. فيخرج قوما من النار لم يعملوا خيرا قط»**(١)؛ يعني: زيادة على التوحيد، فإذا تكامل خروج العصاة، ولم يبق في النار منهم أحد؛ أطبقت النار على الكفرة بجميع أصنافهم فلا يخرجون منها أبد الآباد، فهم الذين حبسهم القرآن كما قال الله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا مِنَ النَّارِ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنْهَا وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧] وكما قال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُم بِخَارِجِينَ مِنَ النَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧].

* * *

(١) أحمد (٣/ ٩٤)، ومسلم (١٨٣).

المَتْنُ

[٤/ ٥٦] بابٌ

قال مجاهد : ﴿إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ [البقرة : ١٤] : أصحابهم من المنافقين والمشركين .

﴿مُحِيطُۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة : ١٩] : الله جامعهم .

﴿صِبۡغَةَ﴾ [البقرة : ١٣٨] : دين .

﴿عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة : ٤٥] : على المؤمنين حقًّا .

﴿بِقُوَّةٖ﴾ [البقرة : ٦٣] : تعمل بما فيه .

وقال أبو العالية : ﴿مَّرَضٞ﴾ [البقرة : ١٠] : شك .

وقال غيره : ﴿يَسُومُونَكُمۡ﴾ [البقرة : ٤٩] : يلونكم ، الولاية مفتوحة : مصدر الولاء ، وهي الربوبية ، إذا كُسِرت الواو فهي الإمارة ، وقال بعضهم : الحبوب التي تؤكل كلها فوم .

وقال قتادة : ﴿فَبَآءُو﴾ [البقرة : ٩٠] : فانقلبوا .

وقال غيره : ﴿يَسۡتَفۡتِحُونَ﴾ [البقرة : ٨٩] : يستنصرون ، ﴿شَرَوۡاْ﴾ [البقرة : ١٠٢] : باعوا .

﴿رَٰعِنَا﴾ [البقرة : ١٠٤] : من الرعونة ، إذا أرادوا أن يحمقوا إنسانا قالوا : راعنا .

﴿خُطُوَٰتِ﴾ [البقرة : ١٦٨] : من الخطوة ، والمعنى : آثار .

الشَّرْحُ

هذا الباب في تفسير كلمات من القرآن الكريم نقلها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ عن مجاهد ، أحيانا ينقل المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ عن أبي عبيد معمر بن المثنى وأحيانا عن مجاهد وهنا نقل عن مجاهد ، ومجاهد أخذ التفسير عن ابن عباس ؛ لأنه قال : عرضت المصحف على ابن عباس ثلاث مرات أقف عند كل آية وأسأله عنها .

قوله : «**قال مجاهد : ﴿إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ [البقرة : ١٤] أصحابهم من المنافقين والمشركين**» هذا في تفسير قوله تعالى : ﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمۡ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمۡ إِنَّمَا نَحۡنُ مُسۡتَهۡزِءُونَ﴾ [البقرة : ١٤] .

قوله: «﴿مُحِيطٌۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩]: **الله جامعهم**» هذا في تفسير قوله تعالى: ﴿أَوۡ كَصَيِّبٖ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فِيهِ ظُلُمَٰتٞ وَرَعۡدٞ وَبَرۡقٞ يَجۡعَلُونَ أَصَٰبِعَهُمۡ فِيٓ ءَاذَانِهِم مِّنَ ٱلصَّوَٰعِقِ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِۚ وَٱللَّهُ مُحِيطٌۢ بِٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ١٩].

قوله: «﴿صِبۡغَةَ﴾ [البقرة: ١٣٨]: **دين**» قال العيني: أشار بهذا إلى الصبغة التي في قوله تعالى: ﴿صِبۡغَةَ ٱللَّهِ وَمَنۡ أَحۡسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبۡغَةٗۖ وَنَحۡنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ﴾ [البقرة: ١٣٨] مفسرة بالدين.

وقوله: «﴿عَلَى ٱلۡخَٰشِعِينَ﴾ [البقرة: ٤٥]: **على المؤمنين حقًّا**» أي الصلاة؛ فالصلاة شاقة وصعبة إلا على المؤمنين المتقين.

وقوله: ﴿بِقُوَّةٖ﴾ [البقرة: ٦٣] فسرها بقوله: «**تعمل بما فيه**»، وهذا في تفسير قوله تعالى: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيۡنَٰكُم بِقُوَّةٖ﴾ [البقرة: ٦٣].

قوله: «**وقال أبو العالية**: ﴿مَّرَضٞ﴾ [البقرة: ١٠]: **شك**» يعني في تفسير قوله تعالى: ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗا﴾ [البقرة: ١٠].

قوله: «**وقال غيره**: ﴿يَسُومُونَكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٩]: **يلونكم**» يعني في تفسير قوله تعالى: ﴿وَإِذۡ نَجَّيۡنَٰكُم مِّنۡ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ يَسُومُونَكُمۡ سُوٓءَ ٱلۡعَذَابِ﴾ [البقرة: ٤٩].

وقوله: «**الولاية مفتوحة: مصدر الولاء، وهي الربوبية، إذا كسرت الواو فهي الإمارة**» قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وذكر البخاري هذه الكلمة -أي الولاية- وإن كانت في الكهف لا في البقرة؛ ليقوي تفسير ﴿يَسُومُونَكُمۡ﴾ [البقرة: ٤٩] يلونكم».

قوله: «**وقال بعضهم: الحبوب التي تؤكل كلها فوم**» يعني في قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَقۡلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا﴾ [البقرة: ٦١].

قوله: «**وقال قتادة**: ﴿فَبَآءُو﴾ [البقرة: ٩٠]: **فانقلبوا**» أي في تفسير قوله تعالى: ﴿بِئۡسَمَا ٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡ أَن يَكۡفُرُواْ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغۡيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضۡلِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦۖ فَبَآءُو بِغَضَبٍ عَلَىٰ غَضَبٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ﴾ [البقرة: ٩٠].

قوله: «**وقال غيره**: ﴿يَسۡتَفۡتِحُونَ﴾ [البقرة: ٨٩]: **يستنصرون**» هذا في تفسير قوله تعالى: ﴿وَكَانُواْ مِن قَبۡلُ يَسۡتَفۡتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [البقرة: ٨٩].

قوله : «﴿ شَرَوۡاْ ﴾ [البقرة : ١٠٢] : باعوا» هذا في تفسير قوله تعالى : ﴿ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٠٢] ، والشراء يأتي بمعنى البيع .

قوله : «﴿ رَٰعِنَا ﴾ [البقرة : ١٠٤] : من الرعونة ، إذا أرادوا أن يحمقوا إنسانا قالوا : راعنا» ؛ فنهى الله تعالى المؤمنين أن يقولوا للنبي ﷺ : راعنا ، وكانوا يقولونها بمعنى : انتبه لنا ، واعتن بنا ، أما اليهود فكانوا يستغلونها ويقولون : راعنا ، من الرعونة ، وهي : الضعف ؛ فنهاهم الله تعالى عن هذه الكلمة التي هي مدخل لليهود ، فقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَقُولُواْ رَٰعِنَا وَقُولُواْ ٱنظُرۡنَا ﴾ [البقرة : ١٠٤] .

قوله : «﴿ خُطُوَٰتِ ﴾ [البقرة: ١٦٨]: من الخطوة والمعنى: آثار» يعني : لا تتبعوا آثار الشيطان ، وهذا في تفسير قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ كُلُواْ مِمَّا فِي ٱلۡأَرۡضِ حَلَٰلٗا طَيِّبٗا وَلَا تَتَّبِعُواْ خُطُوَٰتِ ٱلشَّيۡطَٰنِۚ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٌ ﴾ [البقرة : ١٦٨] .

* * *

المتن

[٥/ ٥٦] ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]

• [٤٠٨٤] حدثنا عثمان بن أبي شيبة، قال: نا جرير، عن منصور، عن أبي وائل، عن عمرو بن شرحبيل، عن عبدالله قال: سألت النبي ﷺ: أي الذنب أعظم عند الله؟ قال: **«أن تجعل لله ندًا وهو خلقك»**، قلت: إن ذلك لعظيم، قلت: ثم أي؟ قال: **«وأن تقتلَ ولدك تخاف أن يَطْعَمَ معك»**، قلت: ثم أي؟ قال: **«أن تزانيَ حليلة جارك»**.

الشرح

قوله: «﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]» الأنداد: جمع ند وهو الشبيه والنظير، وقيل: العدل، يعني: لا تجعلوا لله أشباهًا ونظراء.

والند نوعان:

ند أكبر: وهو الشرك، بأن يجعل لله ندا أكبر يدعوه كما يدعو الله أو يذبح له أو ينذر له؛ فهذا شرك أكبر.

وند أصغر: كالحلف بغير الله، فيجعل المحلوف به ندًا لله؛ لأن الله هو الذي يُحلف به، أو يقول: ما شاء الله وشئت، أو يقول: لولا الله وأنت، فيجعله لله ندًا؛ حيث عطف بالواو مشيئة المخلوق على مشيئة الخالق، فهذا من التنديد.

• [٤٠٨٤] جاء هذا الحديث موافقًا لآية الترجمة وهي قول الله تعالى: ﴿فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢]، وفسر ابن عباس في هذه الآية الند بالشرك الأصغر؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في هذه الآية: الأنداد أخفى من دبيب النمل، وهو أن تقول: والله وحياتك يا فلان وحياتي، وتقول: لولا كلبك هذا لأتى اللصوص، ولولا البط في الدار لأتى اللصوص، ولولا الله وفلان، فلا يجوز أن تجعل فيها فلانًا؛ لأن هذا كله شرك. فجعل الحلف بغير الله والتشريك بين الخالق والمخلوق من التنديد الأصغر.

قوله: **«وأن تقتل ولدك تخاف أن يطعم معك»** فقتل الولد وقتل النفس من أعظم الذنب.

قوله : «**أن تزاني حليلة جارك**» فالزنا جرم عظيم ، والزنا بحليلة الجار أعظم وأشد ؛ لأن الجار له حق عظيم ، وقد أنزل الله ﷻ قوله : ﴿**وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ**﴾ [الفرقان : ٦٨-٧٠].

* * *

المتن

[٦/ ٥٦] ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ إلى ﴿يَظْلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧]

وقال مجاهد: ﴿ٱلْمَنَّ﴾: صمغة، ﴿وَٱلسَّلْوَىٰ﴾: الطير.

• [٤٠٨٥] حدثنا أبو نعيم، قال: نا سفيان، عن عبدالملك، عن عمرو بن حريث، عن سعيد ابن زيد قال: قال النبي ﷺ: **«الكَمْأَةُ من المن، وماؤها شفاء للعين»**.

الشرح

هذه الآية نزلت في بني إسرائيل؛ قال الله تعالى: ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ [البقرة: ٥٧]، وقد أمر الله تعالى بني إسرائيل أن يفتحوا بيت المقدس فرفضوا وامتنعوا فعاقبهم الله بالتيه كما في الآية: ﴿قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [المائدة: ٢٦] حتى مات هذا الجيل وجاء جيل جديد تربوا على الجهاد فعند ذلك فتح بهم بيت المقدس، ولما كانوا في التيه هذه المدة امتن الله تعالى عليهم بنعم عظيمة منها أنه ظلل عليهم الغمام والسحاب من شدة الحر.

قوله: ﴿ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ [البقرة: ٥٧] هي من النعم كذلك التي جعلها الله لبني إسرائيل في هذا التيه أن أنزل عليهم المن والسلوى، والمن شيء مثل العسل ينزل عليهم من السماء على منبت الشجر، والسلوى طير يأكلونه.

ومن النعم التي جعلها الله لهم أيضا أن جعل لنبيه موسى عليه السلام حجرًا يأخذونه أينما ذهبوا، فإذا نزلوا وضعوه فيضربه موسى بعصاه، كما في قوله تعالى: ﴿فَقُلْنَا ٱضْرِب بِّعَصَاكَ ٱلْحَجَرَ﴾ [البقرة: ٦٠] فيخرج منه اثنتا عشرة عينًا؛ لكل سبط -وهي القبيلة- عين؛ حتى لا يتنازعوا، وعلى الرغم من كل هذه النعم إلا أنهم عتوا وتعنتوا كثيرًا.

قوله: **«وقال مجاهد: ﴿ٱلْمَنَّ﴾ [البقرة: ٥٧]: صمغة، ﴿وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ [البقرة: ٥٧]: الطير»** هذا تفسير مجاهد رحمه الله للمن والسلوى، وإن كان هناك تفسيرات أخرى.

• [٤٠٨٥] قوله : **«الكمأة من المن»** هي نبتة معروفة تسمى الفقعة الآن ، يعني : أنه من المن الذي أنزل على بني إسرائيل .

قوله : **«وماؤها شفاء للعين»** يعني : ماء الكمأة التي هي الفقعة .

وقد ذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ عن مجاهد أثرًا عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال : «كان المن ينزل على الشجر فيأكلون منه ما شاءوا . ورواه ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة ، ومن طريق عكرمة قال : كان مثل الرُّب الغليظ . وذكر أيضا من طريق وهب أن الطير يسمى السماني هو طير سمين مثل الحمام» .

وقوله : **«الكمأة من المن ، وماؤها شفاء للعين»** مطلق ، وجاء في رواية ابن عيينة : **«الكمأة من المن الذي أنزل على بني إسرائيل»**[1] ، وبهذا تظهر مناسبة الحديث للترجمة .

وهذه الرواية ترد قول الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ : «لا وجه لإدخال هذا الحديث في الترجمة ؛ لأنه ليس المراد في الحديث أنها نوع من المن المنزل على بني إسرائيل ؛ فإن ذاك شيء كان يسقط عليهم كالترنجبيل» .

والكمأة شفاء للعين بنص حديث الرسول ﷺ ، لكن تحتاج إلى معرفة أهل الخبرة بالطريقة التي يعملونها ، هل تشوى ثم تعصر؟ أو غير ذلك ؛ فلابد من مراجعة أهل الخبرة ، وكذلك ينظر الداء التي تكون له شفاء .

* * *

---

(١) مسلم (٢٠٤٩) .

المتن

[٧/ ٥٦] باب ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ﴾ الآية ﴿رَغَدًا﴾ [البقرة: ٥٨]: واسعا كثيرا

• [٤٠٨٦] حدثني محمد، قال: نا عبدالرحمن بن مهدي، عن ابن المبارك، عن معمر، عن همام بن منبه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**قيل لبني إسرائيل: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ [البقرة: ٥٨] فدخلوا يزحفون على أَسْتَاهِهِمْ، فبدلوا وقالوا: حطة حبة في شعرة**».

الشرح

جاءت هذه الترجمة على قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا ٱدْخُلُوا۟ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ فَكُلُوا۟ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ ۚ وَسَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

وقوله تعالى: ﴿رَغَدًا﴾، فسر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الرغد: بالواسع الكثير، وقيل: الهنيء.

• [٤٠٨٦] قوله: «**قيل لبني إسرائيل: ﴿وَٱدْخُلُوا۟ ٱلْبَابَ﴾**» يعني: باب بيت المقدس.

قوله: ﴿سُجَّدًا﴾ يعني: شكرا لله؛ أي: يدخلونه وهم راكعون، والراكع يسمى ساجدًا.

قوله: ﴿وَقُولُوا۟ حِطَّةٌ﴾ يعني: سلوا ربكم أن يحط عنكم خطاياكم؛ أي قولوا: يا الله حط عنا خطايانا واغفر لنا، ولكنهم غيروا بالقول وبالفعل، وذلك من عتوهم وعنادهم؛ غيروا بالفعل حينما أمرهم الله ﷻ أن ادخلوا الباب وأنتم راكعون خضوعًا لي، فدخلوا يزحفون على أدبارهم، فغيروا ما أمروا به، وغيروا بالقول حينما أمرهم الله أن يقولوا: ﴿حِطَّةٌ﴾ فقالوا: «**حبة في شعرة**» يعني: في شعيرة، أو حبة شعيرة، وفي رواية: «**حنطة**»[1]، فغيروا بالقول وبالفعل.

فاليهود -لعنهم الله- أمروا أن يقولوا: حطة، فقالوا: حنطة، فزادوا نونًا؛ سخرية واستهزاء، وكذلك الجهمية الذين أنكروا صفات الله وأنكروا الاستواء زادوا لامًا فقالوا في معنى قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ﴾ [طه: ٥]: استولى؛ ولهذا يقول العلماء: لام الجهمية في استولى كنون اليهود في حنطة، نسأل الله العافية من العتو والاستكبار.

(١) أحمد (٢/ ٣١٢)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٦/ ٢٨٦).

المتن

[٨/ ٥٦] **باب** ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ [البقرة: ٩٧]

وقال عكرمة: جَبْرٌ ومِيكٌ وسَرَافٌ: عَبْدٌ، إِيلٌ: الله.

• [٤٠٨٧] حدثني عبدالله بن منير، سمع عبدالله بن بكر، قال: حدثنا حميد، عن أنس قال: سمع عبدالله بن سلام مَقْدَمَ رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف، فأتى النبي ﷺ فقال: إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي: فما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما يَنْزِعُ الولد: إلى أبيه أو إلى أمه؟ قال: «**أخبرني بهن جبريل آنفا**»، قال: جبريل؟ قال: «**نعم**»، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة، فقرأ هذه الآية: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾، «**أما أول أشراط الساعة: فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب، وأما أول طعام يأكله أهل الجنة: فزيادة كَبِدِ الحوت، وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد، وإذا سبق ماء المرأة نزعت**»، قال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله، يا رسول الله، إن اليهود قومٌ بُهتٌ، وإنهم إن يعلمون بإسلامي قبل أن تسألهم يَبْهَتُوني، فجاءت اليهود، فقال: «**أي رجل عبدالله فيكم؟**»، قالوا: خيرُنا وابنُ خيرِنا، وسيدُنا وابنُ سيدِنا، قال: «**أرأيتم إن أسلم عبدالله؟**»، فقالوا: أعاذه الله من ذلك، فخرج عبدالله فقال: أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، فقالوا: شرُّنا وابنُ شرِّنا، فانتقصوه، قال: فهذا الذي كنت أخاف يا رسول‌الله.

الشرح

قوله: «**باب** ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ [البقرة: ٩٧]» وهم اليهود، وسبب عداوتهم لجبريل عليه السلام أنه هو الذي ينزل عليهم بالعذاب والعقاب، وقيل غير ذلك.

قوله: «**وقال عكرمة: جَبْرٌ ومِيكٌ وسَرَافٌ**» يعني جبريل وميكائيل وإسرافيل كلمة مكونة من كلمتين مزجتا، والكلمة الأولى «**جبر**» ومعناها: عبد، والثانية: «**إيل**» ومعناها: «**الله**»، فجبريل معناها عبدالله، وكذلك ميكائيل مكونة من كلمتين الأولى: «**ميك**» ومعناها أيضا: عبد، والثانية: «**إيل**» يعني «**الله**»، وكذلك إسرافيل، مكونة من كلمتين الأولى: «**سراف**» يعني: عبد، والثانية: «**إيل**» وذلك في غير اللغة العربية.

• [٤٠٨٧] جاء هذا الحديث على هذه الآية: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ﴾ [البقرة: ٩٧] وفيه قصة إسلام عبدالله بن سلام رضي الله عنه حبر اليهود وهو من الأفراد القلة الذين أسلموا، فاليهود لم يسلم منهم إلا قلة قليلة؛ لأن اليهود عندهم عناد واستكبار، بالرغم أن معهم علمًا ولكنهم لم يعملوا به، بخلاف النصارى فإنه أسلم منهم الجم الغفير كما حدث ذلك في المملكة؛ وذلك بسبب توعية الجاليات في أنحاء المملكة ولم نسمع أن يهوديا واحدا أسلم أبدا، وقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال: **«لو أسلم عشرة من اليهود لأسلم بقيتهم»** أو **«لكان غيرهم تبعًا لهم»**(١).

وهذا عبدالله بن سلام رضي الله عنه منّ الله عليه بالإسلام وشهد له أيضًا بالجنة.

قوله: **«سمع عبدالله بن سلام مقدم رسول الله ﷺ وهو في أرض يخترف»** يعني يجني الثمر.

قوله: **«فأتى النبي ﷺ»** يريد أن يختبره ويعلم صدقه حتى يتيقن أنه نبي الله، فلما أتى النبي ﷺ قال له: **«إني سائلك عن ثلاث لا يعلمهن إلا نبي»** علم هذا من الكتب السابقة؛ لأنه كان يقرأ التوارة وكان من علماء بني إسرائيل.

قوله: **«فما أول أشراط الساعة؟ وما أول طعام أهل الجنة؟ وما ينزع الولد: إلى أبيه أو إلى أمه؟»** يعني ما السبب الذي يجعل الولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه؟ فقال النبي ﷺ: **«أخبرني بهن جبريل آنفا»** يعني قريبًا.

قوله: **«قال: جبريل؟ قال: نعم، قال: ذاك عدو اليهود من الملائكة»** يقصد جبريل عليه السلام، وقد جاء في الحديث الآخر: **«أنه قال لجبريل -كذا قالوا: جبريل الذي يأتي بالعذاب والهلاك، لو قلت: ميكائيل الذي يأتي بالخير والمطر لاتبعناك»**(٢).

قوله: **«فقرأ هذه الآية: ﴿مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٩٧]»**.

ثم أجابه النبي ﷺ عن الأسئلة فقال: **«أما أول أشراط الساعة: فنار تحشر الناس من المشرق إلى المغرب»** وهذه النار ليست النار التي تخرج من قعر عدن في الجنوب من اليمن إلى المحشر الذي

---

(١) البخاري (٣٩٤١)، ومسلم (٢٧٩٣).

(٢) «مجمع الزوائد» (٨/ ٢٤١-٢٤٢).

في آخر أشراط الساعة الكبار، بل هذه نار أخرى، وأول الأشراط قبل الأشراط الكبار المهدي ثم الدجال، فهما ناران؛ نار من المشرق ونار من الجنوب، وقال بعض العلماء: بل هي نار واحدة تخرج أولا من المشرق ثم تعتدل إلى الجنوب، ولكن القول الأول أرجح.

قوله: **«وأما أول طعام يأكله أهل الجنة فزيادة كبد الحوت»** يعني القطعة الزائدة في الكبد وهي ألذ ما في الكبد، فكبد الحوت فيه قطعة زائدة صغيرة متدلدلة تسمى زيادة كبد الحوت فهذا هو أول طعام أهل الجنة، وهذا الحوت ضخم فهذه الزيادة تكفي أهل الجنة، وقد جاء أيضا في الحديث الآخر: **«أن هناك ثورا ينحر لأهل الجنة فيأكلون من زائدة كبده»**[1].

قوله: **«وإذا سبق ماء الرجل ماء المرأة نزع الولد»** يعني نزع إلى أبيه.

قوله: **«وإذا سبق ماء المرأة نزعت»** يعني نزعت المرأة، وفي اللفظ الآخر يقول: **«إذا سبق ماء الرجل ماء المرأة كان الشبه له، وإذا سبق ماء المرأة ماء الرجل كان الشبه لها»**[2].

فعرف عبد الله رضي الله عنه صدق النبي ﷺ فقال: **«أشهد أن لا إله إلا الله، وأشهد أنك رسول الله»**.

قوله: **«يا رسول الله إن اليهود قوم بهت»** يعني أن اليهود يخفون الحقائق ويجحدون الحق.

قوله: **«وإنهم إن يعلمون بإسلامي قبل أن تسألهم يبهتوني، فجاءت اليهود»** أي واختفى عبدالله رضي الله عنه داخل البيت، وفي الحديث الآخر: **«فأخبئني عندك وابعث إليهم فتسألهم عني»**[3]، فقال النبي ﷺ يسأل اليهود لما جاءوا إليه: **«أي رجل عبدالله فيكم؟ قالوا: خيرنا وابن خيرنا، وسيدنا وابن سيدنا»** يعني أنه من رؤسائهم، فقال لهم النبي ﷺ: **«أرأيتم إن أسلم عبدالله؟ فقالوا: أعاذه الله من ذلك»** وهذا من شدة بغضهم للإسلام، يسألون الله أن يعيذه من الإسلام، **«فخرج عبدالله»** يعني من المكان الذي اختفى فيه وأعلن إسلامه قائلا: **«أشهد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فقالوا: شرنا وابن شرنا فانتقصوه»** وذلك من شدة خبثهم، فقال عبدالله بن سلام: **«فهذا الذي كنت أخاف يا رسول الله»**.

***

(١) أحمد (٣/ ١٠٨)، والبخاري (٦٥٢٠)، ومسلم (٢٧٩٢).
(٢) أحمد (٣/ ١٠٨)، والبخاري (٣٣٢٩).
(٣) أحمد (٣/ ٢٧١).

المتن

[٩/ ٥٦] باب قوله تعالى:

﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ﴾ [البقرة: ١٠٦]

• [٤٠٨٨] حدثني عمرو بن علي، قال: نا يحيى، قال: نا سفيان، عن حبيب، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال عمر: أقرؤنا أُبَيٌّ، وأقضانا علي، وإنا لندع من قول أُبَيٍّ؛ وذاك أن أُبيًّا يقول: لا أدع شيئًا سمعت من رسول الله ﷺ، وقد قال الله ﷻ: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦].

الشرح

• [٤٠٨٨] قوله: «**أقرؤنا أُبيٌّ، وأقضانا علي، وإنا لندع من قول أبي**»؛ لأنه رضي الله عنه كان يسمع القراءة من النبي ﷺ ويقول: «**لا أدع شيئًا سمعت من رسول الله ﷺ**» وقد تكون هذه الآية منسوخة.

وقد تكلم الحافظ ابن حجر رحمه الله على هذا فقال: «في رواية صدقة: «**من لحن أُبيٍّ**»[(١)]»، ثم **قال الحافظ ابن حجر** رحمه الله: «وفي روايةن ابن خلاد: «**وإنا لنترك كثيرًا من قراءة أُبيٍّ**»»[(٢)]؛ ذلك لأن أبيًّا يقول: «**لا أدع شيئًا سمعت من رسول الله ﷺ**» فبسماعه من رسول الله ﷺ يحصل له العلم القطعي به، فإذا أخبره غيره عنه بخلافه فإنه لا ينتهض معارضًا له حتى يصل إلى درجة العلم القطعي؛ ولهذا قال عمر رضي الله عنه: «**وإنا لندع من قول أبيٍّ**»؛ لأنه قد يكون نسخ فيكون متمسكًا بمنسوخ.

وهذا الحديث على هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦]، والآية فيها قراءتان:

الأولى: ﴿نُنسِهَا﴾ [البقرة: ١٠٦] من النسيان؛ لقوله تعالى: ﴿سَنُقْرِئُكَ فَلَا تَنسَىٰٓ﴾ [الأعلى: ٦].

الثانية: «**ننسئها**» أي نؤخرها.

---

(١) أحمد (٥/ ١١٣)، والبخاري (٥٠٠٥).

(٢) «فتح الباري» (٨/ ١٦٧).

والحديث فيه إثبات النسخ في القرآن الكريم ، وفيه الرد على اليهود الذين أنكروا النسخ في كتاب الله ؛ ولهذا ذكر الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ قال : «واستدل بالآية المذكورة على وقوع النسخ خلافا لمن شذ» ، فاليهود أنكروا النسخ وقالوا : إنه يلزم منه البداء على الله ، يعني : أنه بدا له شيء لم يكن عالما به ، وهذا من جهلهم وضلالهم ، فالله تعالى بين الحكمة ولا يلزم منه بداء ، فالنسخ له حكم .

* * *

المتن

[١٠/ ٥٦] باب ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾ [البقرة: ١١٦]

• [٤٠٨٩] حدثنا أبو اليمان، قال: أنا شعيب، عن عبدالله بن أبي حسين، قال: نا نافع بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «**قال الله ﷻ: كذَّبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتَمني ولم يكن له ذلك؛ فأما تكذيبه إياي: فزعم أني لا أقدر أن أعيدَه كما كان، وأما شتمه إياي: فقوله لي وَلَدٌ؛ فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدا**».

الشرح

قوله: «**باب: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ﴾**».

• [٤٠٨٩] هذا الحديث القدسي على قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا﴾، والحديث القدسي من كلام الله لفظًا ومعنًى؛ بخلاف الحديث غير القدسي فإنه من الله معنى ومن النبي ﷺ لفظا؛ قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ الْهَوَىٰ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣ - ٤] إلا أن للحديث القدسي أحكامًا تختلف عن القرآن؛ فالقرآن لا يمسه إلا المتوضئ، والحديث القدسي يمسه غير المتوضئ، والقرآن معجِز، والحديث القدسي غير معجِز، والقرآن يقرأ به في الصلاة، والحديث القدسي لا يقرأ به في الصلاة.

قوله: «**قال الله ﷻ: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك؛ فأما تكذيبه إياي: فزعم أني لا أقدر أن أعيده كما كان**» يعني تكذيب الله ﷻ في قوله: ﴿اللَّهُ يَبْدَؤُا الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ﴾ [يونس: ٣٤].

قوله: «**وأما شتمه إياي: فقوله لي ولد؛ فسبحاني أن أتخذ صاحبة أو ولدا**» الشتم أوسع من اللعن، فكل ذنب أو تنقص يسمى شتمًا، والذم يسمى لعنًا؛ قال الله تعالى: ﴿وَالشَّجَرَةَ الْمَلْعُونَةَ فِي الْقُرْآنِ﴾ [الإسراء: ٦٠] يعني المذمومة، وذلك في قوله تعالى: ﴿إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ ۝ طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ﴾ [الصافات: ٦٤ - ٦٥] فهذا ذم لها وسماه الله لعنًا.

وفيه أن من قال : إن لله ولدا ، فهو كافر ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿وَقَالُوا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًا ۗ سُبْحَـٰنَهُۥ﴾ وفي الآية الأخرىٰ : ﴿سُبْحَـٰنَهُۥ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة : ٣١] .

إذن فقد ذكر الحديث نوعين من الكفر :

النوع الأول : تكذيب الله بإنكار البعث ، وقد قال الله ﷻ : ﴿ٱللَّهُ يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ﴾ [يونس : ٣٤] .

النوع الثاني : نسبة الولد إلى الله ، وهذا كفر أيضًا ؛ **لأنه تنقص لله** ﷻ ، وشتم له سبحانه وتعالىٰ .

❊ ❊ ❊

المتن

[١١/ ٥٦] باب ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥]

• [٤٠٩٠] ﴿مَثَابَةً﴾ يثوبون: يرجعون.

• [٤٠٩١] حدثنا مسدد، عن يحيى، عن حميد، عن أنس قال: قال عمر: وافقت الله في ثلاث، أو وافقني ربي في ثلاث: قلت: يا رسول الله، لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى، وقلت: يا رسول الله، يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب؛ فأنزل الله آية الحجاب، قال: وبلغني معاتبة النبي ﷺ بعض نسائه، فدخلت عليهن فقلت: إن انتهيتن أو ليبدلن الله رسوله خيرا منكن، حتى أتيت إحدى نسائه قالت: يا عمر، أما في رسول الله ﷺ ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت؟ فأنزل الله ﷻ: ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَـٰتٍ﴾ [التحريم: ٥] الآية.

وقال ابن أبي مريم: أنا يحيى بن أيوب، قال: حدثني حميد، قال: سمعت أنسا، عن عمر.

الشرح

• [٤٠٩٠] قوله: «﴿مَثَابَةً﴾ يثوبون: يرجعون» هذا في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً﴾ [البقرة: ١٢٥] وكان ينبغي أن يكون هذا التفسير في الباب الذي بعد هذا.

• [٤٠٩١] هذا الحديث على قوله تعالى: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾.

قوله: **«قلت: يا رسول الله، لو اتخذت مقام إبراهيم مصلى»** هذا هو الشاهد لإتيان المؤلف بهذا الحديث.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال ابن الجوزي: إنما طلب عمر الاستنان بإبراهيم عليه السلام مع النهي عن النظر في كتاب التوراة؛ لأنه سمع قول الله تعالى في حق إبراهيم: ﴿إِنِّى جَاعِلُكَ لِلنَّاسِ إِمَامًا﴾ [البقرة: ١٢٤]، وقوله تعالى: ﴿أَنِ ٱتَّبِعْ مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [النحل: ١٢٣] فعلم أن الائتمام بإبراهيم من هذه الشريعة، ولكون البيت مضافا إليه، وأن أثر قدميه في المقام كرقْم الباني في البناء؛ ليذكر به بعد موته، فرأى الصلاة عند المقام كقراءة الطائف بالبيت اسم من بناه. انتهى. وهي مناسبة لطيفة.

ثم قال : ولم تزل آثار قدمي إبراهيم حاضرة في المقام معروفة عند أهل الحرم حتى قال أبو طالب في قصيدته المشهورة :

وموطئ إبراهيم في الصخر رطبة   على قدميه حافيًا غير ناعل»

فأقسم أبو طالب بموطئ إبراهيم .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «وكان المقام من عهد إبراهيم لزق البيت إلى أن أخره عمر رضي الله عنه إلى المكان الذي هو فيه الآن ؛ أخرجه عبد الرزاق في مصنفه بسند صحيح عن عطاء وغيره ، وعن مجاهد أيضًا[1] ، وأخرج البيهقي عن عائشة مثله بسند قوي ، ولفظه : أن المقام كان في زمن النبي ﷺ وفي زمن أبي بكر ملتصقًا بالبيت ثم أخره عمر[2] ، وأخرج ابن مردويه بسند ضعيف عن مجاهد أن النبي ﷺ هو الذي حوله ، والأول أصح ، وقد أخرج ابن أبي حاتم بسند صحيح عن ابن عيينة قال : كان المقام في سقع البيت في عهد رسول الله ﷺ فحوله عمر فجاء سيل فذهب به فرده عمر إليه . قال سفيان : لا أدري أكان لاصقا بالبيت أم لا؟[3] انتهى . ولم تنكر الصحابة فعل عمر ولا من جاء بعدهم ؛ فصار إجماعا ، وكان عمر رأى أن إبقاءه يلزم منه التضييق على الطائفين أو على المصلين فوضعه في مكان يرتفع به الحرج ، وتهيأ له ذلك ؛ لأنه الذي كان أشار باتخاذه مصلى» . ولكنه أبعد الآن وصارت بينه وبين البيت مسافة .

قوله : **«وقلت : يا رسول الله ، يدخل عليك البر والفاجر ، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب ؛ فأنزل الله آية الحجاب»** فيه غيرة عمر الشديدة على زوجات النبي ﷺ أمهات المؤمنين .

قوله : **«وبلغني معاتبة النبي ﷺ بعض نسائه ، فدخلت عليهن فقلت : إن انتهيتن أو ليبدلن الله رسوله خيرًا منكن ، حتى أتيت إحدى نسائه قالت : يا عمر ، أما في رسول الله ﷺ ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت؟ فأنزل الله** ﷻ : ﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ

(١) عبد الرزاق في «المصنف» (٥/ ٤٧ ، ٤٨) .
(٢) البيهقي في «دلائل النبوة» (١/ ٤٤٠) .
(٣) ابن أبي حاتم في «التفسير» (١/ ٢٢٦) .

أَزْوَاجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ﴾ [التحريم: ٥]» قد عاتب النبي ﷺ بعض نسائه؛ لأنهن اجتمعن عليه وطلبوا منه النفقة فاعتزلهن، فجعل عمر رضي الله عنه يدخل على نساء النبي ﷺ يعظهن حتى أتى إحدى نسائه، وذكر في حديث آخر أنها أم سلمة، قالت: «**يا عمر، أما في رسول الله ﷺ ما يعظ نساءه حتى تعظهن أنت؟**»(١) يعني ألا يكفي النبي ﷺ واعظا لزوجاته فتأتي أنت تتدخل بينه وبين أزواجه، وفي الحديث الآخر قال: «**فكسرت ما في نفسي بعض الشيء**»(٢).

قوله: «**وقال ابن أبي مريم: أنا يحيى بن أيوب، قال: حدثني حميد، قال: سمعت أنسا، عن عمر**» **قال الحافظ ابن حجر** رحمه الله: «مراده بذلك أن عنعنة حميد في هذا الحديث غير مؤثرة؛ لأنه ورد عنه التصريح بالسماع».

* * *

---

(١) أحمد (١/ ٢٤)، والبخاري (٤٤٨٣).

(٢) البخاري (٤٩١٣)، ومسلم (١٤٧٩).

المتن

[١٢/ ٥٦] **باب** ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]

القواعد: أساسه، واحدتها: قاعدة،

﴿وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ [النور: ٦٠] **واحدتها: قاعد**

• [٤٠٩٢] حدثنا إسماعيل، قال: حدثني مالك، عن ابن شهاب، عن سالم بن عبدالله، أن عبدالله بن محمد بن أبي بكر أخبر عبدالله بن عمر، عن عائشة زوج النبي ﷺ، أن رسول الله ﷺ قال: «**ألم تَرَيْ أن قومك بَنَوْا الكعبة واقتصروا عن قواعد إبراهيم؟**»، فقلت: يا رسول الله، ألا تردَّها على قواعد إبراهيم؟ قال: «**لولا حِدْثَانُ قومك بالكفر**». فقال عبدالله بن عمر: لئن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله ﷺ، ما أرى رسول الله ﷺ ترك استلام الركنين اللَّذَيْنِ يليان الحجر، إلا أن البيت لم يتمم على قواعد إبراهيم.

الشرح

قوله: «باب: ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٧]**»** فسر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ «**القواعد**» بأنها الأساس الذي يكون عليه البناء، فقواعد البيت أساسه و«**واحدتها: قاعدة**»، وفي قول الله تعالى: «﴿**وَٱلْقَوَٰعِدُ مِنَ ٱلنِّسَآءِ**﴾ [النور: ٦٠] **واحدتها قاعد**» أوضح المؤلف بذلك أن القواعد جمع لشيئين هما: أساس البناء، والقواعد من النساء، فالجمع واحد لكن المفرد مختلف، فالقواعد: بمعنى أساس البناء مفرده قاعدة، وأما القواعد بمعنى: النساء القواعد عن الحيض والاستمتاع فمفردها قاعد، وأما القواعد التي هي ضد الواقفات فمفردها قاعدة.

• [٤٠٩٢] قوله: «**ألم تري أن قومك بنوا الكعبة واقتصروا عن قواعد إبراهيم؟**» اقتصروا عن قواعد إبراهيم؛ لأنهم أخرجوا الحجر وهو سبعة أذرع ونصف أو ستة أذرع ونصف من الكعبة، وكان إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أدخلها، وكان السبب في إخراجها أن النفقة قد قصرت بهم؛ لأنه لما تصدع البيت هدموه وأرادوا أن يبنوه من جديد قبل بعثة النبي ﷺ بخمس سنين، فقالوا: لا نبني الكعبة إلا بمال حلال. فجمعوا المال الحلال فلم يجدوا ما يكفي منه لبناء

الكعبة، فالحرام كثير والحلال قليل، فلما لم يجدوا ما يكفي بنوا الكعبة بما استطاعوا، وأخرجوا الباقي وهو الحجر، وهذا معنى قول النبي ﷺ **«ألم تري أن قومك بنوا الكعبة واقتصروا عن قواعد إبراهيم؟»**.

قوله: **«فقلت: يا رسول الله، ألا تردها على قواعد إبراهيم؟»** يعني ترجعها كما كانت، فبين النبي ﷺ المانع من ذلك فقال: **«لولا حدثان قومك بالكفر»**، فإن قلوبهم لا تتحمل هذا؛ لأنهم أسلموا قريبا، فقد تنكر قلوبهم هذا، فخشي النبي ﷺ أن يرتد بعضهم؛ فمن أجل ذلك لم يبن النبي ﷺ الكعبة على قواعد إبراهيم؛ دفعا للمفسدة التي هي مفسدة الكفر، وأخذ العلماء من ترك النبي ﷺ رد الكعبة إلى قواعد إبراهيم -خوفًا من أن تنكره قلوب قريش لقرب عهدهم بالكفر- بعض القواعد:

منها أن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة؛ حيث درأ النبي ﷺ المفسدة وهي الكفر المترتب على المصلحة وهي بناء الكعبة على قواعد إبراهيم.

ومنها أنه إذا اجتمعت مفسدتان لا يمكن درؤهما معًا فإنه تُدرأ المفسدة الكبرى وتُرتكب الصغرى، وهذه قاعدة شرعية أخذت من هذا الحديث وغيره، فعندنا الآن مفسدتان؛ مفسدة بقاء البيت على غير قواعد إبراهيم، ومفسدة إنكار قلوب الناس وخشية الكفر عليهم، فمفسدة الكفر أعظم من مفسدة ترك الكعبة على غير قواعد إبراهيم، فدرأها النبي ﷺ وترك المفسدة الصغرى وهي كون البيت على غير قواعد إبراهيم.

ومنها أنه إذا اجتمعت مصلحتان لا يمكن فعلهما معا فإنه تفعل الكبرى منهما وإن فاتت الصغرى، فالمصلحة الكبرى هنا المحافظة على قلوب الناس حتى لا يرتدوا، والمصلحة الصغرى أن يكون البيت على قواعد إبراهيم.

قوله: **«فقال عبدالله بن عمر: لئن كانت عائشة سمعت هذا من رسول الله ﷺ، ما أرى رسول الله ﷺ ترك استلام الركنين اللذين يليان الحجر، إلا أن البيت لم يتمم على قواعد إبراهيم»** يعني أن ابن عمر رضي الله عنهما يقول: إن رسول الله ﷺ كان إذا طاف استلم الركن اليمني والركن الأسود يمسحهما بيده، أما الركن العراقي والشامي فكان لا يستلمهما؛ لأن اليماني والأسود كانا على قواعد إبراهيم، والعراقي والشامي ليسا على قواعد إبراهيم؛ ولهذا لما طاف معاوية رضي الله عنه بالبيت فجعل يستلم الأركان الأربعة كلها: الركن اليماني والأسود

والشامي والعراقي، أنكر عليه ابن عباس وقال: لا تستلم الركنين اللذين يليان الحجر. فقال معاوية: يا ابن عباس، أفي البيت شيء مهجور؟ فقال له ابن عباس: ﴿**لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ**﴾ [الأحزاب: ٢١] ولم أر النبي ﷺ يستلم إلا الركنين اليمانيين. قال: صدقت، ورجع إلى قوله(١).

ولما بنى عبدالله بن الزبير الكعبة عندما تولى الخلافة في الحجاز روت له عائشة الحديث فقال: الآن زالت المفسدة وأسلم الناس ولا يخشى عليهم من الردة، فهدم الكعبة وأدخل الحجر وبناها على قواعد إبراهيم وفتح بابا غربيا؛ لأن النبي ﷺ قال: «**لولا أن قومك حديث عهد بكفر لنقضت الكعبة وأدخلت الحجر وجعلت لها بابًا شرقيًا وبابًا غربيًا**»(٢) يعني بابًا يدخل الناس منه وبابًا يخرجون منه، فابن الزبير عمل بالحديث وجعل يستلم الأركان الأربعة كلها؛ وذلك لأنه بناها على قواعد إبراهيم، لكن بعد ذلك قاتله عبدالملك بن مروان ووكل المهمة إلى الحجاج بن يوسف أمير العراق، وفي النهاية كانت الغلبة للحجاج بن يوسف فقتل عبدالله بن الزبير رضي الله عنهما وصلبه على خشبة وهدمت الكعبة؛ لأن الحجاج قد رماها بالمنجنيق، وعندما بناها أخرج الحجر وسد الباب الغربي ورفع الباب الشرقي، وجعلها على ما كانت عليه في الجاهلية.

ويقال: إن أبا جعفر المنصور سأل الإمام مالك: هل يعيدها كما فعل ابن الزبير ويعمل بالحديث؟ فأشار عليه الإمام مالك رحمه الله بألا يفعل؛ خشية أن تكون الكعبة ملعبة للملوك، فكان رأي الإمام مالك سديدًا، وبقيت على بناء الحجاج إلى اليوم.

وعندما هدمت قريش الكعبة وجدوا الأساس حجارة خضرًا في قواعد إبراهيم، فلما حركها رجل ارتجت مكة كلها وأصابها زلزال، فتركها ولم يحرك منها شيئًا.

والثابت في القرآن أن إبراهيم عليه السلام هو الذي بنى الكعبة، أما من يقول: إن آدم أو الملائكة هم الذين بنوها؛ فهذه كلها أخبار تحتاج إلى ثبوت.

* * *

---

(١) الطبراني في «الأوسط» (٣/ ١٧).

(٢) أحمد (٦/ ١٧٩)، والبخاري (١٥٨٦)، ومسلم (١٣٣٣).

المتن

[١٣/ ٥٦] **بابٌ** ﴿**قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا**﴾ [البقرة: ١٣٦]

• [٤٠٩٣] حدثني محمد بن بشار، قال: نا عثمان بن عمر، قال: أنا علي بن المبارك، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة قال: كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية، ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام، فقال رسول الله ﷺ: «**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم، وقولوا: ﴿ءَامَنَّا بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾** [البقرة: ١٣٦]». الآية.

الشرح

• [٤٠٩٣] قوله: «**لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم**» يعني فيما لم يأت شرعنا بتصديقه أو تكذيبه، وفي الحديث الآخر: «**حدثوا عن بني إسرائيل ولا حرج، إنهم قوم قد كانت فيهم الأعاجيب**»(١)؛ لأن ما جاء عن أهل الكتاب ثلاثة أقسام كما نبه على ذلك أهل العلم كشيخ الإسلام وابن القيم والحافظ ابن كثير وغيرهم:

القسم الأول: ما جاء شرعنا بموافقته وتصديقه، فهذا حق يصدق.

القسم الثاني: ما جاء شرعنا بتكذيبه ورده، فهذا باطل يرد.

القسم الثالث: ما لم يأت شرعنا بتصديقه ولا تكذيبه، فهذا لا يصدق ولا يكذب كما جاء في هذا الحديث.

ويؤخذ من هذا الحديث كما ذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: التوقف عن الخوض في المشكلات والجزم فيها لما يقع في الظن.

* * *

---

(١) أحمد (٣/ ١٢).

المتن

[١٤/ ٥٦] ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ﴾ [البقرة: ١٤٢]

• [٤٠٩٤] حدثنا أبو نعيم، سمع زهيرًا، عن أبي إسحاق، عن البراء، أن النبي ﷺ صلى إلى بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا، وكان يعجبه أن تكون قبلته قِبَلَ البيت، وأنه صلى أو صلاها صلاة العصر، وصلى معه قوم، فخرج رجل ممن كان صلى معه، فمر على أهل المسجد وهم راكعون قال: أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة، فداروا كما هم قبل البيت، وكان الذي مات على القبلة قبل أن تحول قبل البيت رجال قتلوا لم ندر ما نقول فيهم؛ فأنزل الله ﷻ: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ﴾ [البقرة: ١٤٣] الآية.

الشرح

• [٤٠٩٤] هذا الحديث على هذه الآية الكريمة: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢] والسفهاء جمع سفيه وهو خفيف العقل، وأصله من قولهم: ثوب سفيه؛ أي: خفيف النسج.

وقد اختلف العلماء في المراد بالسفهاء، فقيل: هم اليهود، وقيل: هم المنافقون، وقيل: هم الكفار المشركون؛ ولهذا ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله من طريق السدي قال: قال البراء -كما في حديث البراء وابن عباس: هم اليهود، وروى من طريق السدي قال: هم المنافقون، والآية تشمل مواصفات الكفار والمنافقين واليهود.

أما الكفار -وهم كفار قريش- فقالوا لما حولت القبلة: رجع محمد إلى قبلتنا وسيرجع إلى ديننا؛ فإنه علم أنا على الحق.

وأما أهل النفاق فقالوا: إن كان أولا على الحق فالذي انتقل إليه باطل وكذلك العكس.

وأما اليهود فقالوا: خالف قبلة الأنبياء ولو كان نبيًّا لما خالف.

فلما كثرت أقاويل هؤلاء السفهاء أنزل الله هذه الآية ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُواْ عَلَيْهَا ۚ قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢].

وفي هذا الحديث أنه صلى قوم مع النبي ﷺ فرجع رجل ممن كان صلى معه فمر على أهل المسجد وهم ركوع فقال : **«أشهد بالله لقد صليت مع النبي ﷺ قبل مكة ، فداروا كما هم قبل البيت»** واستُدل به على أن من صلى لغير القبلة باجتهاد في السفر ثم تبين له في أثناء الصلاة أو أخبره ثقة أن القبلة غير ما توجه إليه فإنه يستدير إلى القبلة ويبني على صلاته ولا يعيد .

واستُدل به على قبول خبر الواحد ، وسيعيد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ نفس الحديث ؛ ليدل به على قبول خبر الواحد ؛ لأن هؤلاء قبلوا خبره وهو واحد ؛ حيث جاء إليهم وهم ركوع فقبلوا خبره واستداروا ولم يقولوا : إنه واحد لا نقبل قوله ، وأقرهم النبي ﷺ على ذلك .

أما الذي يصلي في السفر لغير القبلة دون اجتهاد فيجب عليه أن يعيد صلاته .

* * *

المتن

[١٥/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣]

• [٤٠٩٥] حدثني يوسف بن راشد، قال: نا جرير وأبو أسامة - واللفظ لجرير، عن الأعمش، عن أبي صالح، وقال أبو أسامة: نا أبو صالح، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **«يُدْعَىٰ نوح يوم القيامة، فيقول: لَبَّيْكَ وسَعْدَيْكَ يا رب، فيقول: هل بلغت؟ فيقول: نعم، فيقال لأمته: هل بلغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، فيقول: من يشهد لك؟ فيقول: محمد وأمته؛ فتشهدون أنه قد بلَّغ، ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾؛ فذلك قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾»**. والوسط: العدل.

الشرح

هذا الباب على قوله تعالى: **﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾** وفي هذه الآية فضل هذه الأمة على سائر الأمم؛ فإن الله سبحانه وتعالى جعلها وسطًا، والوسط هو الخيار العدل فهذه الأمة عدل، والعدل هو الذي تقبل شهادته بخلاف الجائر والظالم والفاسق والمتهم فإنه لا تقبل شهادته، فلما كانت هذه الأمة موصوفة بالعدل صارت لها فضيلة ومزية على غيرها من الأمم فصارت تشهد على الأمم أن رسلهم وأنبياءهم بلغوهم رسالات ربهم، وعلى من كفر بالله منهم، ثم يشهد الرسول ﷺ على هذه الأمة؛ قال تعالى: **﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾** يعني خيارا عدلا **﴿لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾** فهذا من فضل الله تعالى وإحسانه لهذه الأمة أن جعلها بهذا الوصف العظيم؛ حيث وصفت بهذا الوصف الوسط، والوسط يطلق على ما بين الشيئين ويطلق على الخيار والعدل، ومنه حديث: **«الصلاة الوسطى صلاة العصر»**[1]، يعني: الصلاة الفاضلة في أحد القولين.

---

(١) أحمد (١/ ١١٣)، ومسلم (٦٢٧).

• [٤٠٩٥] قوله : «**يدعى نوح يوم القيامة فيقول : لبيك وسعديك يارب ، فيقول : هل بلغت؟ فيقول : نعم ، فيقال لأمته : هل بلغكم؟ فيقولون : ما أتانا من نذير**» المنادي والداعي هو الرب ﷻ، وإجابة نوح ﷺ بقوله : «**لبيك وسعديك يا رب**» لا شك أن هذه الإجابة لله ﷻ فلا يمكن أن يقال لأحد : «**لبيك وسعديك يا رب**» إلا لله ﷻ، وقد أنكر قوم نوح نوحًا ﷺ وجحدوا أنه قد بلغهم رسالة الله ﷻ، وذلك بكفرهم وضلالهم فلم يؤمن منهم مع نوح ﷺ إلا القليل مع أنه لبث في قومه مدة طويلة ﴿**أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا**﴾ [العنكبوت : ١٤] يدعوهم إلى الله ﷻ ولم يقصِّر ﷺ، فكان يدعو قومه كما أخبر الله عنه ليلًا ونهارًا ، كما قال الله تعالى : ﴿**قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلًا وَنَهَارًا ۝ فَلَمْ يَزِدْهُمْ دُعَآءِيٓ إِلَّا فِرَارًا ۝ وَإِنِّي كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوٓا أَصَٰبِعَهُمْ فِيٓ ءَاذَانِهِمْ وَٱسْتَغْشَوْا ثِيَابَهُمْ وَأَصَرُّوا وَٱسْتَكْبَرُوا ٱسْتِكْبَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّي دَعَوْتُهُمْ جِهَارًا ۝ ثُمَّ إِنِّيٓ أَعْلَنتُ لَهُمْ وَأَسْرَرْتُ لَهُمْ إِسْرَارًا**﴾ [نوح : ٥ - ٩] ومع ذلك لم يؤمن معه إلا القليل كما في قوله تعالى : ﴿**وَمَآ ءَامَنَ مَعَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلٌ**﴾ [هود : ٤٠] وهم الذين ركبوا في السفينة ولكنه لم يضره ﷺ، فقد بلغ رسالة ربه وأدى ما عليه والهداية بيد الله ، فإذا كان يوم القيامة سئلت أمة نوح : «**هل بلغكم؟**» فيكفرون ويجحدون ويقولون : لم يأتنا بشير ولم نبلِّغ ، فيقال لنوح ﷺ : «**من يشهد لك؟ فيقول : محمد وأمته ؛ فتشهدون أنه قد بلغ**» ، وجاء في حديث آخر : «**أنهم يقولون لهذه الأمة : ما الذي أعلمكم؟ يقولون : أرسل الله إلينا نبيًا محمدًا ﷺ وأنزل عليه الكتاب القرآن العظيم وأخبرنا أن الرسل قد بلغوا فصدقناه**»[1] ، ثم يشهد نبينا ﷺ على هذه الأمة .

قوله : «**والوسط العدل**» يعني فسر الوسط بأنه العدل .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : «زاد أبو معاوية « **فيقال : وما علمكم؟ فيقولون : أخبرنا نبينا أن الرسل قد بلغوا فصدقناه**» » ، **ثم قال الحافظ ابن حجر** رحمه الله : «وفي حديث جابر عن النبي ﷺ : «**ما من رجل من الأمم إلا ود أنه منا ، أيتها الأمة ما من نبي كذبه قومه إلا**

(١) ابن ماجه (٤٢٨٤) .

ونحن شهداؤه يوم القيامة أن قد بلغ رسالة الله ونصح لهم ؛ فذلك قوله ﷻ : ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾[1]» .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «قال الطبري : الوسط في كلام العرب الخيار يقولون : فلان وسط في قومه وواسط إذا أرادوا الرفع في حسبه ، قال : والذي أرىٰ أن معنى الوسط في الآية الجزء الذي بين الطرفين ، والمعنىٰ أنهم وسط ؛ لتوسطهم في الدين ، فلم يغلوا كغلو النصارىٰ ولم يقصروا كتقصير اليهود ، ولكنهم أهل وسط واعتدال .

قلت : لا يلزم من كون الوسط في الآية صالحًا لمعنى التوسط ألا يكون أريد به معناه الآخر كما نص عليه الحديث ؛ فلا مغايرة بين الحديث وبين ما دل عليه معنى الآية . والله أعلم» .

* * *

(١) «فتح الباري» (٨/ ١٧٢) .

المتن

[١٦/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾ [البقرة: ١٤٣] الآية

• [٤٠٩٦] حدثنا مسدد، قال: نا يحيى، عن سفيان، عن عبدالله بن دينار، عن ابن عمر، بينا الناس يصلون الصبح في مسجد قُبَاءٍ إذ جاءَ جاءٍ فقال: أنزل الله ﷻ على النبي ﷺ قرآنًا أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، فتوجهوا إلى الكعبة.

الشرح

قوله: «باب قوله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ﴾» نزلت هذه الآية بعد أن حولت القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة؛ وذلك لأن النبي ﷺ لما هاجر إلى المدينة وجهه الله إلى بيت المقدس في الصلاة فتوجه المسلمون يصلون إلى بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا، ثم حول الله القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، وتحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة حدث عظيم، حيث ارتد بعض الناس بسببه وتكلم اليهود في ذلك وقالوا: ما له؟ إن كان على حق فكيف ينتقل من الحق، وإن كان انتقل إلى الحق فيكون انتقل من الباطل إلى الحق؛ فأنزل الله: ﴿سَيَقُولُ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَ ٱلنَّاسِ مَا وَلَّىٰهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ [البقرة: ١٤٢] والسفهاء هم اليهود، ثم رد الله عليهم فقال: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ ثم أنزل الله ﷻ بعدها هذه الآية؛ ليبين الحكمة من تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة فقال الله ﷻ: ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ﴾ فالحكمة هي أن يُظهر الله ﷻ المتبع المستجيب لأمر الله ورسوله، كما في قوله تعالى: ﴿إِلَّا لِنَعْلَمَ﴾ يعني: علم ظهور وإلا فالله تعالى عالم بالأشياء قبل كونها، فالحكمة إذن إظهار المتبع من المرتد، فالمؤمنون أسلموا لله ﷻ ولرسوله ﷺ وقالوا: نحن عبيد مأمورن، وإذا أمرنا الله أن نتجه نحو بيت المقدس اتجهنا، وإذا أمرنا أن نتجه نحو الكعبة اتجهنا، فنحن عبيده نستجيب لأمره ونوحده ونطيعه ونطيع نبيه ﷺ، وأما من في قلبه مرض من المنافقين واليهود فإنهم اعترضوا على أمر الله وأمر رسوله ﷺ وانقلبوا وارتدوا على أعقابهم؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَمَا جَعَلْنَا

ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِي كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً﴾ [البقرة: ١٤٣] يعني: شاقة وصعبة ﴿إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ﴾ فهكذا كان تحول القبلة حدث عظيم كبير وصعب فلا يتحمله ولا يستجيب لأوامر الله وأوامر رسوله إلا من هداه الله، وأما من لم يوفق للهداية فإنه يعترض على أمر الله ورسوله كاليهود والمنافقين وأشباههم، ثم قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ والمراد بقوله: ﴿إِيمَـٰنَكُمْ﴾ صلاتكم؛ لأنه بعد تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة قال بعض الصحابة: ما مصير صلاتنا سابقًا؟ فأنزل الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ يعني: وما كان الله ليضيع صلاتكم إلى بيت المقدس، فسمى الله الصلاة في بيت المقدس إيمانًا.

وهذه الآية من أدلة أهل السنة والجماعة على أن الأعمال داخلة في مسمى الإيمان، وفيها الرد على المرجئة الذين يقولون: الإيمان تصديق بالقلب وإقرار باللسان والعمل غير داخل في مسمى الإيمان، فهذه الصلاة سماها الله إيمانا: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَـٰنَكُمْ﴾ بل ثوابها مدخر عند الله؛ لأنكم حين اتجهتم إلى بيت المقدس اتجهتم بأمر الله، وأنتم تتعبدون لله، فلن يضيع الله ثواب صلاتكم.

• [٤٠٩٦] ثم ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث ابن عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا على هذه الآية، وفيه:

قوله: «**بينا الناس**» يقال: بينا وبينما، ظرفا زمان.

قوله: «**يصلون الصبح في مسجد قباء**» جاء في لفظ آخر: «**أنها كانت صلاة العصر**»(١).

قوله: «**إذ جاء جاء**» أي رجل من المسلمين، وفي لفظ آخر: «**أن هذا الرجل كان قد صلى مع النبي ﷺ، ثم ذهب إلى قباء فوجدهم يصلون**»(١).

قوله: «**فقال**» أي: بصوت عال؛ ليسمع الناس.

قوله: «**أنزل الله ﷻ على النبي ﷺ قرآنا أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها**» هذا أمر؛ أي: استقبلوها أيها المصلون.

---

(١) أحمد (٤/ ٢٨٣)، والبخاري (٤١).

قوله : «**فتوجهوا إلى الكعبة**» أي : استداروا إلى الكعبة وهم في الصلاة ، فكان أول الصلاة إلى بيت المقدس ، وآخرها إلى الكعبة ؛ فاجتمع فيها التوجه إلى القبلتين ؛ وذلك لأنهم لم يعلموا بتحويل القبلة ، ثم علموا به ، وفيه دليل على أن الإنسان لا يكلف إلا بعد العلم .

وفيه دليل على أن المجتهد في معرفة القبلة إذا تحرى بحسب ما يظهر له من العلامات واتجه وصلى ثم تبين له في أثناء الصلاة أو أخبره أحد أن القبلة غير ما توجه إليه وأن اجتهاده خطأ فإنه يستدير نحو القبلة في أثناء الصلاة ، ويبني على صلاته ، وصلاته صحيحة -كما فعل أهل قباء- سواء كان ذلك على الأرض أو في طائرة أو سيارة أو سفينة .

والأَولى أن يصلي قبل الصعود أو بعد الهبوط إذا أمكن ، أو كانت الصلاة تجمع إلى الأخرى كالظهرين أو العشاءين ، وإذا لم يمكن وصلى فلابد أن يتجه إلى القبلة ، والآن توجد علامات لاتجاه القبلة ؛ فعليه أن يتجه مع العلامة .

وفي هذا الحديث دليل على قبول خبر الواحد ؛ لأن هذا رجل واحد أخبرهم فقبلوا خبره ، والروايات التي فيها خبر الواحد كثيرة .

وفيه الرد على المعتزلة والأشاعرة وغيرهم من أهل البدع الذين يقولون : لا يقبل خبر الواحد وبعضهم يقول : لا يقبل خبر الواحد في العقائد . والصواب أنه يقبل خبر الواحد في العقائد وفي الأعمال وفي كل شيء ؛ إذا كان المخبر عدلًا ثقة .

***

المتن

[١٧/ ٥٦] **باب قوله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾** [البقرة: ١٤٤]

• [٤٠٩٧] حدثنا علي بن عبدالله، قال: نا معتمر، عن أبيه، عن أنس قال: لم يبق ممن صلى القبلتين غيري.

الشرح

• [٤٠٩٧] هذا حديث أنس بن مالك، وأنس ﷺ طالت حياته ومات سنة إحدىٰ وتسعين، أو ثنتين وتسعين، أو ثلاث وتسعين من الهجرة، وكان عمره حين قدم النبي ﷺ المدينة تسع سنين أو عشر سنين؛ فيكون قد تجاوز المائة بسنة أو سنتين أو ثلاث.

وقد تحققت فيه دعوة النبي ﷺ؛ حيث قالت أمه أم سليم: يا رسول الله، أنس خويدمك؛ ادع له، فدعا له وقال: **«اللهم أطل عمره وأكثر ولده وأدخله الجنة»**(١) وقد قال ﷺ: رأيت اثنتين وأنا أنتظر الثالثة؛ وهي دخول الجنة: فطال عمره، وكثر ولده حتىٰ إنه رأىٰ من ولده وولد ولده ما يزيدون على المائة في حياته، وهذا فيه علم من أعلام النبوة.

قوله: **«لم يبق ممن صلى القبلتين غيري»** هذا علىٰ حسب علم أنس، وقد يكون بقي أحد غيره ممن صلىٰ إلىٰ القبلتين.

والمراد بالقبلتين: بيت المقدس، والكعبة، والذين صلوا إليهما هم الذين أسلموا قديمًا، وفيهم قولان:

القول الأول: أنهم السابقون الأولون، وهذا قول ضعيف ومرجوح.

القول الثاني: أنهم الذين أسلموا من قبل الفتح وقاتلوا، والمراد بالفتح، صلح الحديبية، وهذا هو الصواب، فصلح الحديبية هو الحد الفاصل، فمن أسلم قبل صلح الحديبية فهو من السابقين الأولين، ومن أسلم بعده فليس من السابقين الأولين، والدليل علىٰ ذلك

(١) أحمد (٣/ ١٩٣) نحوه، والبخاري (١٩٨٢)، ومسلم (٦٦٠).

قول الله تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ﴾ [الحديد: ١٠] والمراد بالفتح: صلح الحديبية؛ لأن الله تعالى سماه فتحًا وأنزل فيه: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]؛ لما ترتب عليه من الآثار والفوائد العظيمة للإسلام والمسلمين؛ فإن الحرب وضعت أوزارها واختلط المشركون بالمسلمين وسمعوا دعوة الله وسمعوا القرآن، وأسلم جم غفير، وتفرغ النبي ﷺ لفتح خيبر، ثم أعقبه بعد ذلك فتح مكة.

والسابقون الأولون لهم فضل على من سواهم من الصحابة، ودليل ذلك أنه حدث بين عبدالرحمن بن عوف رضي الله عنه -وكان من السابقين الأولين- وخالد بن الوليد رضي الله عنه -وكان أسلم بعد صلح الحديبية وليس من السابقين الأولين- سوء تفاهم في بعض الكلام، كما يحصل عادة بين البشر، وكأن خالدًا كان قد تكلم في عبدالرحمن؛ فقال النبي ﷺ مخاطبًا خالدًا ومبينًا فضل عبدالرحمن بن عوف: **«لا تسبوا أصحابي؛ فوالذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهبًا ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه»**(١)، وخالد من الصحابة، ولكن صحبته متأخرة، وعبد الرحمن بن عوف له صحبة متقدمة، فلو أنفق خالد بن الوليد مثل جبل أحد ذهبًا، وأنفق عبدالرحمن مدًا -وهو ملء الكف- أو نصف مد؛ ما لحقه خالد، فهذا تفاوت ما بين الصحابة، فكيف التفاوت فيما بين الصحابة ومن بعدهم؟!

والشاهد من هذا أن السابقين الأولين هم الذين أسلموا من قبل الفتح وقاتلوا، لا من صلى إلى القبلتين.

* * *

(١) أحمد (٣/ ١١)، والبخاري (٣٦٧٣)، ومسلم (٢٥٤١).

المتن

[١٨/ ٥٦] ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾ [البقرة: ١٤٥] **الآية**

• [٤٠٩٨] حدثنا خالد بن مخلد، قال: نا سليمان، قال: حدثني عبدالله بن دينار، عن ابن عمر، بينما الناس في الصبح بقُباءٍ جاءهم رجل فقال: إن رسول الله ﷺ قد أُنزل عليه الليلةَ قرآنٌ، وأُمر أن يستقبل الكعبة، ألا فاستقبلوها، وكان وجه الناس إلى الشام فاستداروا بوجوههم إلى الكعبة.

الشرح

• [٤٠٩٨] هذا الحديث على هذه الآية: ﴿وَلَئِنْ أَتَيْتَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ﴾ وهم اليهود والنصارى ﴿بِكُلِّ آيَةٍ مَّا تَبِعُوا قِبْلَتَكَ﴾؛ وذلك لكفرهم وضلالهم وعنادهم.

قال الله ﷻ: ﴿وَمَا أَنتَ بِتَابِعٍ قِبْلَتَهُمْ﴾ وهذا تيئيس لهم، ﴿وَمَا بَعْضُهُم بِتَابِعٍ قِبْلَةَ بَعْضٍ وَلَئِنِ اتَّبَعْتَ أَهْوَاءَهُم مِّن بَعْدِ مَا جَاءَكَ مِنَ الْعِلْمِ إِنَّكَ إِذًا لَّمِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ١٤٥] فيه التحذير من اتباع الهوى، وأن من اتبع هواه بعد العلم وانحرف فيه شبه باليهود، وهو من الظالمين، والظلم يطلق على الشرك، ويطلق على المعاصي؛ فقد يكون مشركًا، وقد يكون دون ذلك، فإن كان اتبع الهوى في أصل الدين بأن صرف نوعًا من أنواع العبادة لغير الله أو فعل ناقضًا من نواقض الإسلام فهذا الظلم شرك، وإن كان دون ذلك فهو معصية، وهذا تحذير لأمته عليه الصلاة والسلام؛ لأنه ﷺ معصوم.

وهذه الآية دليل على عتو اليهود وعنادهم وكفرهم وضلالهم، وقد قص الله علينا ما فعلوا مع أنبيائهم، وما فعلوا مع نبي الله موسى عليه السلام من تعنت حينما عبدوا العجل، ثم امتناعهم من دخول بيت المقدس، ثم لما أمروا بأن يدخلوا الباب سجدًا دخلوا زاحفين على أستاههم؛ ولهذا أخبر الله عنهم أنهم لا يزالون على عتوهم وعنادهم. نسأل الله السلامة والعافية.

ثم ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ حديث ابن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، وفيه : **«بينما الناس في الصبح بقباء جاءهم رجل ، فقال : إن رسول الله ﷺ قد أنزل عليه الليلة قرآن ، وأمر أن يستقبل الكعبة ، ألا فاستقبلوها ، وكان وجه الناس إلى الشام فاستداروا بوجوههم إلى الكعبة»** وهذا فيه دليل على قبول خبر الواحد ، وفيه دليل على أن المجتهد إذا كان يصلي ثم تبين له أن اجتهاده خطأ فإنه يتجه إلى القبلة الصحيحة التي تبينت له ، ولو كان في الصلاة ، ويبني على ما صلى ، ويكمل صلاته وصلاته صحيحة ، وليس عليه إعادة .

***

المتن

[١٩/ ٥٦] ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾
إلى ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٦، ١٤٧]

• [٤٠٩٩] حدثنا يحيى بن قَزَعَة، قال: نا مالك، عن عبدالله بن دينار، عن ابن عمر قال: بينا الناس بقُباءٍ في صلاة الصبح إذ جاءهم آتٍ فقال: إن النبي ﷺ قد أُنزل عليه الليلةَ قرآنٌ، وقد أُمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى الكعبة.

الشرح

• [٤٠٩٩] وهذا هو الحديث السابق أعاده المؤلف رَحِمَهُ اللهُ؛ لدخوله تحت آية الترجمة؛ فإنه بوب بهذه الآية قال: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ ٱلْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ إلى ﴿فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾ [البقرة: ١٤٦، ١٤٧] والذين أوتوا الكتاب هم اليهود والنصارى، وسموا أهل الكتاب؛ لأن الله أنزل عليهم الكتاب، فإن الله أنزل التوراة على موسى عليه السلام، واليهود حرفوا وبدلوا، وأنزل الإنجيل على عيسى عليه السلام، والنصارى -أيضًا- حرفوا وبدلوا.

قوله تعالى: ﴿يَعْرِفُونَهُۥ﴾ [البقرة: ١٤٦] يعني: يعرفون محمدًا ﷺ وأنه حق، وأن رسالته حق.

قوله تعالى: ﴿كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ﴾ [البقرة: ١٤٦] أي: كما يعرف الواحد منهم أن هذا ابنه ولا يخفى عليه يعرف أن محمدًا ﷺ حق من الكتب التي أنزلها الله عليهم؛ التوراة والإنجيل.

وفيها صفة النبي ﷺ وصفة أمته، كما ثبت في الحديث الذي قاله عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما في أوصاف النبي ﷺ في التوراة[١].

قال ابن بطال: «قال عطاء بن يسار: لقيت عبدالله بن عمرو، فقلت: أخبرني عن صفة النبي ﷺ فى التوراة، قال: أجل، والله إنه لموصوف فى التوراة ببعض صفاته فى القرآن: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥] وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ، ولا صخاب فى الأسواق، ولا يدفع

(١) أحمد (٢/ ١٧٤)، والبخاري (٢١٢٥).

بالسيئة السيئة . . .» إلى آخر الحديث ؛ فلهذا يعرفه اليهود ويعرفون صدقه ، بل قال بعض اليهود : إنا نتيقن صدق النبي ﷺ وأنه رسول الله حقًّا أكثر من معرفتنا لأبنائنا ؛ لأن أبناءنا قد يتطرق فيهم الشك أنهم أبناؤنا ، وأما محمد ﷺ فلا يتطرق إلينا شك أنه رسول الله ، ومع ذلك كتموا الحق ؛ قال تعالى : ﴿وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ ٱلْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [البقرة : ١٤٦]. نسأل الله السلامة والعافية .

وهذا فيه التحذير الشديد لهذه الأمة ، فالله تعالى ذكر أوصاف اليهود ؛ ليحذرنا لا للتسلي ؛ فإن هذه الأمة إن فعلت مثل فعلهم أصابها ما أصابهم .

وفيه دلالة على أن اليهود خالفوا الحق عن علم وعن بصيرة لا عن جهل ؛ فهم غاوون - والعياذ بالله- وهم مغضوب عليهم ؛ فهم الأمة الغضبية كما سماهم ابن القيم وغيره ، وهم يدخلون دخولًا أوليًا في قوله تعالى : ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ﴾ [الفاتحة : ٧] ففي كل ركعة من ركعات الصلاة يسأل المسلم ربه أن يجنبه طريق المغضوب عليهم ، وهم : الذين معهم علم ولم يعملوا به كاليهود وأشباههم ، ويسأل الله أن يجنبه طريق الضالين : وهم : الذين يعبدون الله على جهل وضلال كالنصارى ، ويسأل الله أن يهديه صراطه المستقيم : ﴿ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة : ٦ ، ٧].

وفيه دليل على أن كتمان العلم محرم ؛ فلا يجوز للإنسان أن يكتم العلم إذا احتاج الناس إليه ، أما إذا كان غير محتاج إليه ولم يسأل فإنه لا يأثم .

وفيه التحذير من اتباع الهوى وأنه يجب على الإنسان أن يقبل الحق ، وأن يحذر من مخالفته .

وفيه دليل على أن الكفر يكون بعدم الانقياد والاتباع ، وأن من صدق ولم ينقد يكون كافرًا .

وفيه الرد على المرجئة الذين يقولون : الإيمان هو التصديق والمعرفة بالقلب ، فاليهود مصدقون بقلوبهم ، ولكن كفرهم بالإباء والاستكبار ؛ فلم ينقادوا لشرع الله ودينه ، وهذا يدل على فساد مذهب المرجئة .

وكفرهم مثل كفر إبليس ، فكفره بالإباء والاستكبار ؛ قال تعالى : ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَٰٓئِكَةِ ٱسْجُدُوا۟ لِءَادَمَ فَسَجَدُوٓا۟ إِلَّآ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَٱسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة : ٣٤] فقابل أمر الله بالرد والاعتراض والإباء والاستكبار -نعوذ بالله .

وفيه دليل على أن الإنسان إذا عرف الحق ولم يتبعه ولم ينقد له فإنه يكون كافرًا، ولا تفيده هذه المعرفة، بل هذه المعرفة تكون زيادة في عذابه -والعياذ بالله.

ثم ذكر حديث ابن عمر رضي الله عنهما السابق في قصة هذا الرجل الذي جاء إلى أهل قباء وهم يصلون الصبح فأمرهم أن يستقبلوا الكعبة؛ لأن النبي ﷺ استقبلها، وفيه العمل بخبر الواحد كما سبق، وفيه الرد على من رد خبر الواحد، وأدلته كثيرة لا حصر لها.

* * *

المتن

[٢٠/ ٥٦] ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا﴾ [البقرة: ١٤٨] الآية

• [٤١٠٠] حدثني محمد بن المثنى، قال: نا يحيى، عن سفيان، قال: حدثني أبو إسحاق، قال: سمعت البراء قال: صلينا مع النبي ﷺ نحو بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا، ثم صَرَفَه نحو القبلة.

الشرح

• [٤١٠٠] هذه الترجمة على قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ وِجْهَةٌ هُوَ مُوَلِّيهَا فَاسْتَبِقُوا الْخَيْرَاتِ﴾ يعني: بادروا إليها، ومن استباق الخيرات امتثال أمر الله في التوجه إلى القبلة، ﴿أَيْنَ مَا تَكُونُوا يَأْتِ بِكُمُ اللَّهُ جَمِيعًا إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ وذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ حديث البراء رضي الله عنه، وفيه أن مدة توجه المسلمين إلى بيت المقدس ستة عشر أو سبعة عشر شهرًا، وكان النبي ﷺ يحب قبلة إبراهيم، ويقلب وجهه في السماء؛ محبة لاستقبال الكعبة؛ فأنزل الله: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٤].

* * *

المَتْنُ

[٢١/ ٥٦] ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ الآية

شطره: تلقاءه

• [٤١٠١] حدثنا موسى بن إسماعيل، قال: نا عبدالعزيز بن مسلم، قال: نا عبدالله بن دينار، قال: سمعت ابن عمر: بينا الناس في الصبح بقُباءٍ إذ جاءهم رجل فقال: أُنزل الليلةَ قرآنٌ فأُمر أن يستقبل الكعبة فاستقبلوها، فاستداروا كهيئتهم فتوجهوا إلى الكعبة، وكان وجهُ الناس إلى الشام.

الشَّرْحُ

قوله تعالى: ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٤٩] فسر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ كلمة ﴿شَطْرَهُۥ﴾ [البقرة: ١٥٠] فقال: «تلقاءه»؛ أي تلقاء المسجد الحرام.

• [٤١٠١] كرر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الحديث؛ من أجل تكرار الآيات ومناسبة الحديث لقوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [البقرة: ١٥٠].

والمعنى: أنه يجب على الإنسان أن يتجه إلى الكعبة في أي مكان من الدنيا.

وقوله ﷻ: ﴿وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾ [البقرة: ١٥٠] أي: يجب على الإنسان أن يتجه إلى القبلة في أي مكان من الأرض؛ سواء كان في الجو أو في البر أو في البحر، وفي هذه الحال يكفي الاتجاه إلى الجهة فقط، وهذا عام؛ لأن «حيث» ظرف مكان.

أما إذا كان الإنسان قريبًا من الكعبة بأن كان داخل المسجد الحرام وهو يشاهد الكعبة فيجب عليه أن يصيب عينها بحيث لو خط خطًّا يصل إليها.

ومن هنا يغلط بعض الناس وهو في المسجد الحرام فتجده إذا سجد يكون مائلًا عن الكعبة لا سيما مع الزحام وهذا لا تصح صلاته؛ إذ لابد أن يصيب عينها، أما إذا كان خارج المسجد فيكفي الاتجاه إلى الجهة؛ أخذًا من هذه الآية.

والأولى لمن يصلي تلقاء الكعبة أن ينظر إلى موضع سجوده، وبعضهم يرى أن ينظر للكعبة.

* * *

المتن

[٢٢/ ٥٦] ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾ إلى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٠]

• [٤١٠٢] حدثنا قتيبة، عن مالك، عن عبدالله بن دينار، عن ابن عمر قال: بينما الناس في صلاة الصبح بقباء إذ جاءهم آت فقال: إن رسول الله ﷺ قد أُنزل عليه الليلةَ، وقد أُمر أن يستقبل الكعبة فاستقبِلوها، وكانت وجوههم إلى الشام فاستداروا إلى القبلة.

الشرح

• [٤١٠٢] كرر المؤلف رحمه الله حديث ابن عمر رضي الله عنهما على هذه الترجمة، وهي على قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾.

قوله تعالى: ﴿وَمِنْ حَيْثُ خَرَجْتَ﴾ ظرف مكان يعني: في أي مكان ﴿فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ ۚ وَحَيْثُ مَا كُنتُمْ﴾ يعني: في أي مكان ﴿فَوَلُّوا۟ وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُۥ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ هذه الآية فيها زيادة بيان غير الآيات السابقة؛ ففيها بيان الحكمة في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة، فقد بين الله ثلاث حكم في تحويل القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة:

أولها: قطع الحجة: ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ حُجَّةٌ﴾ يعني: لئلا يحتج عليكم الناس؛ وذلك أنه مكتوب في الكتب السابقة أن نبينا محمدًا ﷺ قبلته الكعبة؛ فلو لم يوجه إلى الكعبة لاحتج اليهود، وقالوا: كيف لا يتجه إلى القبلة وهو مكتوب أنه يتجه إلى القبلة؟

وقال الله ﷻ: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْهُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِى﴾ فالظالم الذي يتبع الهوى ويكتم الحق لا حيلة فيه، لكن من يريد الحق تنقطع حجته.

ثانيها: ﴿وَلِأُتِمَّ نِعْمَتِى عَلَيْكُمْ﴾ يعني: أن يتم الله النعمة على عباده المؤمنين من هذه الأمة؛ لأن تحويل القبلة من أسباب الهداية، فهدى الله عباده للحق فانقطعت الحجة وأتم النعمة.

وقوله تعالى: ﴿وَلَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [البقرة: ١٥٠] ولعل هنا ليست للترجي، وإنما هي للتعليل؛ لأن الله لا يرجو أحدًا ولا يخاف أحدًا.

ثالثها: الرد على اليهود والمعاندين؛ فقد ذكر الله ردًّا على اليهود لما قالوا: ﴿مَا وَلَّاهُمْ عَن قِبْلَتِهِمُ ٱلَّتِى كَانُوا۟ عَلَيْهَا﴾ فرد الله عليهم قولهم بقوله تعالى: ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلْمَشْرِقُ وَٱلْمَغْرِبُ ۚ يَهْدِى مَن يَشَآءُ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [البقرة: ١٤٢].

* * *

المتن

[٢٣/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٥٨]

الشعائر: علامات، واحدها: شعيرة

وقال ابن عباس: الصَّفْوَان: الحَجَر، ويقال: الحجارة المُلْسُ الذي لا تُنْبِتُ شيئا، والواحدة صَفْوَانة، بمعنى: الصفا، والصفا للجمع.

• [٤١٠٣] حدثنا عبدالله بن يوسف، قال: أنا مالك، عن هشام بن عروة، عن أبيه أنه قال: قلت لعائشة زوج النبي ﷺ - وأنا يومئذ حديث السن: أرأيت قول الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ فما أَرَى على أحد شيئا أن لا يَطَّوَّفَ بهما، فقالت عائشة: كلا، لو كانت كما تقول كانت: فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما، إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار؛ كانوا يُهِلُّون لِمَنَاةَ، وكانت مَنَاةُ حَذْوَ قُدَيْدٍ، وكانوا يَتَحَرَّجُون أن يَطُوفُوا بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك، فأنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾.

• [٤١٠٤] حدثنا محمد بن يوسف، قال: نا سفيان، عن عاصم بن سليمان قال: سألت أنس بن مالك عن الصفا والمروة، فقال: كنا نَرَى من أمر الجاهلية، فلما كان الإسلام أمسكنا عنهما، فأنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾.

الشرح

هذه الترجمة على قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ ۖ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا ۚ وَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَإِنَّ ٱللَّهَ شَاكِرٌ عَلِيمٌ﴾ فسر البخاري رحمه الله الكلمات على عادته، إذا جاءت كلمات يفسرها؛ حتى يفيد طالب العلم فقال: **«الشعائر: علامات، واحدها: شعيرة»**.

قوله: «وقال ابن عباس: الصفوان: الحجر، ويقال: الحجارة الملس الذي لا تنبت شيئًا، والواحدة: صفوانة، بمعنى: الصفا، والصفا للجمع» يعني: إذا أريد التفريق بينهما يقال: للحجر صفوان، ويقال للواحدة: صفوانة، وإذا أريد الجميع قيل: صفا.

• [٤١٠٣] ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ حديث عائشة رضي الله عنها في سؤال ابن أختها عروة بن الزبير لها عن معنى آية الطواف بين الصفا والمروة.

قوله: «قلت لعائشة زوج النبي ﷺ» يخاطب خالته؛ فعروة هو ابن الزبير وأمه أسماء بنت الصديق رضي الله عنها زوج الزبير رضي الله عنه وأخت عائشة رضي الله عنه.

قوله: «وأنا يومئذ حديث السن» يعتذر أنه ما فهم الآية؛ لأنه صغير السن.

قوله: «أرأيت قول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨] فما أرى على أحد شيئًا أن لا يطوف بهما» يعني: فهم عروة من الآية أن من حج أو اعتمر فلا إثم عليه أن يترك الطواف بين الصفا والمروة، فلا يسعى بينهما؛ لأن الله قال: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ﴾ يعني: لا إثم عليه في ترك الطواف، فهذا فهم عروة؛ لأنه صغير السن.

فردت عليه عائشة قالت: «كلا» وهو حرف زجر «لو كانت كما تقول كانت: فلا جناح عليه أن لا يطوف بهما» أي لو كان فهمك صحيحًا لجاءت لا النافية ولكانت الآية: فلا جناح عليه ألا يطوف بهما، ولكن الآية ليست كذلك إنما هي: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨] ثم بينت سبب النزول، وفيه دليل على أن سبب النزول قد يتوقف عليه فهم معنى الآية.

قالت: «إنما أنزلت هذه الآية في الأنصار» الأوس والخزرج، وكانت الأنصار في الجاهلية يعبدون مناة، ومناة بنية في الساحل على طريقهم، «كانوا يهلون لمناة» يعني: يذبحون لها، والإهلال رفع الصوت بالذبح حينما يذبحون لمناة؛ لأنهم مشركون، «وكانت مَنَاةُ حَذْوَ قُدَيْدٍ» في الساحل»، «وكانوا يتحرجون أن يطوفوا بين الصفا والمروة»، فكانوا إذا أهلوا لمناة جاءوا وطافوا وحجوا وهم على شركهم»، ثم طافوا بالصفا والمروة، «فلما جاء الإسلام سألوا رسول الله ﷺ عن ذلك»، فأنزل الله هذه الآية؛ أي لما جاء الإسلام تحرجوا فقالوا: يا رسول الله، كيف نطوف بين الصفا والمروة والمشركون كانوا يطوفون بها؟!

فأنزل الله تعالى رفع الحرج عنهم فقال: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨] أي لا جناح على من حج أن يطوف بهما، وليس هذا من أمر الجاهلية؛ فأمر الجاهلية الذبح للصنم مناة، وأما الطواف بين الصفا والمروة فقد أضحى من شعائر الإسلام.

- [٤١٠٤] الحديث الثاني في هذا الباب حديث أنس رضي الله عنه، وفيه قوله: **«سألت أنس بن مالك عن الصفا والمروة، فقال: كنا نرى من أمر الجاهلية»** يعني: كان الصحابة رضي الله عنهم يرون أن الطواف بين الصفا والمروة من أمر الجاهلية، وفي لفظ: **«كنا نرى أنهما»**[1] ولفظ: **«نرى»** يجوز أن يكون بالضم هكذا: نُرى يعني: نظن، ويجوز أن يكون نَرى بالفتح يعني: نعلم، وبالفتح أولى.

قوله: **«فلما كان الإسلام أمسكنا عنهما»** يعني: توقفنا عن السعي بين الصفا والمروة؛ لأن المشركين كانوا يذبحون للأصنام ثم يطوفون بين الصفا والمروة، فربطوا هذا بذاك؛ ربطوا الطواف بين الصفا والمروة بالذبح للأصنام، وظنوا أن هذا من أمر الجاهلية، فأمسكوا عن الطواف بهما لما جاء الإسلام؛ فأنزل الله هذه الآية لترفع الجناح وترفع هذا التوهم: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلْمَرْوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ فَمَنْ حَجَّ ٱلْبَيْتَ أَوِ ٱعْتَمَرَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِ أَن يَطَّوَّفَ بِهِمَا﴾ [البقرة: ١٥٨] أي: ليس هذا من أمر الجاهلية، فلا إثم على المسلمين أن يطوفوا بين الصفا والمروة؛ لأن هذا من شعائر الإسلام.

* * *

(١) البخاري (٤٤٩٦).

المتن

[٢٤/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا﴾ [البقرة: ١٦٥]

يعني: أضدادًا، واحدها: ند

• [٤١٠٥] حدثنا عبدان، عن أبي حمزة، عن الأعمش، عن شقيق، عن عبدالله، قال النبي ﷺ كلمة، وقلت أخرى: قال النبي ﷺ: **«من مات وهو يدعو من دون الله ندًّا دخل النار»**، وقلت أنا: من مات وهو لا يدعو لله ندًّا دخل الجنة.

الشرح

هذه الترجمة على قوله تعالى: **﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا يُحِبُّونَهُمْ كَحُبِّ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾** [البقرة: ١٦٥] فسر المؤلف الأنداد بالأضداد، واحدها ضد، ويُفسر الأنداد بالأمثال والنظراء، قيل: أندادًا أمثالًا ونظراء أو أضدادًا، والمعنى: يسوونهم بالله في المحبة والتعظيم.

وفيه دليل على أن محبة غير الله شرك، والمراد المحبة الخاصة، وهي محبة العبادة، وهي المحبة التي تقتضي الخضوع والذل والطاعة.

أما المحبة التي ليس فيها خضوع ولا ذل ولا طاعة فهذه محبة طبيعية مثل محبة المال ومحبة الصديق ومحبة الولد ومحبة الوالد.

لكن محبة العبادة التي تقتضي الخضوع والذل لابد فيها من أمرين؛ غاية المحبة مع غاية الذل، كما قال ابن القيم رَحِمَهُ اللَّهُ:

وعبادة الرحمن غاية حبه ... مع ذل عابده هما قطبان

وعليها فلك العبادة دائر ... ما دار حتى قامت القطبان

ومداره بالأمر أمر رسوله ... لا بالهوى والنفس والشيطان(١)

---

(١) «متن القصيدة النونية» لابن القيم (١/ ٣٥).

يعني : العبادة لابد فيها من أمرين : غاية المحبة مع غاية الذل ، أما إذا ذل وخضع لشيء ولكنه لم يحبه لا يكون عبادة ، أو أحب شيئًا ولم يذل له ولم يخضع فلا يكون عبادة ، فلا تكون عبادة حتى يوجد غاية الذل مع غاية المحبة .

وهذه المحبة هي التي تقتضي تسوية آلهة المشركين برب العالمين ، وفي الآية أخبر الله أنهم تساقطوا في النار ؛ حيث قال الله تعالى عنهم : ﴿ **فَكُبْكِبُواْ فِيهَا هُمْ وَٱلْغَاوُۥنَ ۝ وَجُنُودُ إِبْلِيسَ أَجْمَعُونَ ۝ قَالُواْ وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ ۝ تَٱللَّهِ إِن كُنَّا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ۝ إِذْ نُسَوِّيكُم بِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ** ﴾ [الشعراء : ٩٤ - ٩٨] سووهم بالله في المحبة والتعظيم ولم يسووهم بالله في الخلق والرزق والإماتة والإحياء ، فلم يقولوا : هم يخلقون أو يرزقون ، ثم ندموا : ﴿ **وَمَآ أَضَلَّنَآ إِلَّا ٱلْمُجْرِمُونَ ۝ فَمَا لَنَا مِن شَٰفِعِينَ ۝ وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ** ﴾ [الشعراء : ٩٩ - ١٠١] ، ولكنه ندم بعد فوات الأوان ، ثم تمنوا الرجوع إلى الدنيا : ﴿ **فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً** ﴾ يعني : رجعة في الدنيا ﴿ **فَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ** ﴾ [الشعراء : ١٠٢] . نسأل الله السلامة والعافية .

ثم قال الله تعالى : ﴿ **وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ** ﴾ [البقرة : ١٦٥] وفي معناها قولان لأهل العلم :

الأول : أن حب المؤمنين لله أشد من محبة المشركين لله ؛ لأنها محبة خالصة خاصة بالله ، وأما محبة المشركين فهي مشتركة يحبون الله ويحبون الأنداد .

والثاني : أن حب المؤمنين لله أشد من محبة المشركين لأندادهم .

- [٤١٠٥] ذكر المؤلف رحمه الله حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه على هذه الآية ، وفيه قال ابن مسعود : «**قال النبي ﷺ كلمة وقلت أخرى ؛ قال النبي ﷺ : من مات وهو يدعو من دون الله ندًا دخل النار**» هذه تسمى كلمة ، وفيه إطلاق الكلمة على الكلام ، وقد تطلق على الخطبة الطويلة التي تكون ساعة أو ساعتين فيقال : فلان ألقى كلمة ، يعني : ألقى خطبة .

وقوله ﷺ : «**من مات وهو يدعو من دون الله ندًا دخل النار**» هو الشاهد للآية : ﴿ **وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَتَّخِذُ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَندَادًا** ﴾ [البقرة : ١٦٥] ؛ لأنه صرف نوعًا من أنواع العبادة لغير الله فإذا دعا غير الله فقد جعله ندًا لله فكان مشركًا ، فالله هو المعبود وحده ؛ قال الله تعالى : ﴿ **فَلَا تَجْعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ** ﴾ [البقرة : ٢٢] والتنديد نوعان : تنديد

أكبر وتنديد أصغر ، فالتنديد الأكبر مثل ما جاء في هذا الحديث وهو أن يدعو من دون الله ندًّا يدعوه أو يذبح له أو ينذر له أو شيء من ذلك ، والأصغر كالحلف بغير الله ، وقول : ما شاء الله وشئت ، ولولا الله وأنت ، وما لي إلا الله وأنت لكذا ، ولولا كذا لما كان يحصل كذا ، كما فسر ابن عباس هذه الآية بالتنديد الأصغر ؛ فقد ثبت عنه رضي الله عنهما أنه قال في قول الله تعالى : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ١٦٥] قال : الأنداد الشرك ، وهو أخفى من دبيب النمل ، وهو أن تقول : والله وحياتك يا فلان وحياتي ، وتقول : لولا كلبة هذا لأتى اللصوص ، ولولا البط في الدار لأتانا اللصوص ، ولولا الله وكذا ، ولولا الله وفلان ، لا تجعل فيها فلانًا ؛ هذا كله به شرك ، فهذا كلام ابن عباس ، أما التنديد هنا فهذا التنديد الأكبر ، وهذا مخرج من الملة .

قال ابن مسعود : **«وقلت أنا : من مات وهو لا يدعو من دون الله ندًّا دخل الجنة»** هذه الكلمة التي قالها عبدالله بن مسعود أخذها من النصوص الأخرى وليست من كيسه ؛ بل هي مأخوذة من النصوص الأخرى كحديث معاذ : **«حق العباد على الله ألا يعذب من لا يشرك به شيئًا»**(١) .

وأخذها أيضًا من الضد ؛ لأن الند يطلق على شيئين ؛ يطلق على المثل وعلى الضد : ﴿ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَندَادًا ﴾ [البقرة : ١٦٥] يعني : أمثالًا وأضدادًا ، والمعنى أنهم جعلوهم أمثالًا ونظراء لله في العبادة ، أو جعلوهم أضدادًا لله ؛ حيث عبدوهم من دون الله .

* * *

(١) أحمد (٣/ ٢٦٠) ، والبخاري (٢٨٥٦) ، ومسلم (٣٠) .

المتن

[٢٥/ ٥٦] باب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى﴾ إلى ﴿أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٨]

• [٤١٠٦] حدثنا الحميدي، قال: نا سفيان، قال: نا عمرو، قال: سمعت مجاهدا، سمعت ابن عباس يقول: كان في بني إسرائيل القصاص ولم تكن فيهم الدِّيةُ، فقال الله ﷻ لهذه الأمة: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ﴾ [البقرة: ١٧٨]، فالعفو أن تُقْبَلَ الديةُ في العمد، ﴿فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ﴾ [البقرة: ١٧٨]، يُتَّبَع بالمعروف ويؤدي بإحسان، ﴿ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٧٨]، مما كُتِبَ على من كان قبلكم، ﴿فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٨]: قتل بعد قبول الدية.

• [٤١٠٧] حدثنا الأنصاري، قال: نا حميد، أن أنسا حدثهم، عن النبي ﷺ قال: **«كتاب الله القصاص»**.

• [٤١٠٨] وحدثني عبدالله بن منير، سمع عبدالله بن بكر السهمي، نا حميد، عن أنس، أن الرُّبَيِّعَ عَمَّته كَسَرَتْ ثَنِيَّةَ جارية، فطلبوا إليها العفو فأَبَوْا، فعرضوا الأَرْش فأبوا، فأتوا رسول الله ﷺ وأبوا إلا القصاص، فأمر رسول الله ﷺ بالقصاص، فقال أنس بن النضر: يا رسول الله، أَتُكْسَرُ ثَنِيَّةُ الرُّبَيِّعِ؟ لا والذي بعثك بالحق لا تُكْسَر ثَنِيَّتُها، فقال رسول الله ﷺ: **«يا أنس، كتابُ الله القصاصُ»**، فرضي القوم فعفوا، فقال رسول الله ﷺ: **«إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره»**.

الشرح

هذه الترجمة على قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ۖ ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ ۚ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ۗ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ ۗ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٨].

قوله تعالىٰ : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ [البقرة: ١٧٨] الله تعالىٰ يخاطب المؤمنين باسم الإيمان؛ لأنهم هم الذين يقبلون الأوامر والنواهي ويمتثلون الأوامر والنواهي، وناداهم باسم الإيمان؛ لأنه أخص أوصاف المؤمنين.

وقوله تعالىٰ : ﴿كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ﴾ [البقرة: ١٧٨] يعني: فُرِض، والقصاص هو قتل القاتل بمثل ما قتل به، وهذا فيه مصلحة عظيمة؛ فإن القاتل إذا علم أنه سيقتل امتنع عن القتل فسلمت نفسه، وسلم من يريد قتله.

وهذه الكلمة : القصاص حياة، التي جاءت في الآية التي بعد آية الترجمة، في قوله تعالىٰ : ﴿وَلَكُمۡ فِي ٱلۡقِصَاصِ حَيَوٰةٞ﴾ [البقرة: ١٧٩] أبلغ من الكلمة المشهورة عند العرب حيث يقولون: «القتل أنفىٰ للقتل» يعني: إذا قتل القاتل فإن قتله يمنع القتل؛ فهي أقل حروفًا وأبلغ وأوقع في الزجر؛ لأن القصاص قتل القاتل بمثل ما قتل به، بخلاف القتل أنفىٰ للقتل؛ فإنها لا تفيد هذا القتل، فليس فيه بيان أنه قصاص، وقد يكون أنفىٰ للقتل، وقد لا يكون، وقد يزيد القتل.

ثم قال تعالىٰ : ﴿ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰ﴾ [البقرة: ١٧٨] استدل بهذه الآية الجمهور علىٰ أن الحر لا يقتل بالعبد؛ خلافا للأحناف[1] الذين ذهبوا إلىٰ أن الحر يقتل بالعبد، وقالوا: إن قوله تعالىٰ : ﴿ٱلنَّفۡسَ بِٱلنَّفۡسِ﴾ [المائدة: ٤٥] ناسخ لهذه الآية.

وأما الأنثىٰ فالصواب أنها تقتل بالرجل، والرجل يقتل بها.

ثم ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ آخر الآية قال: ﴿فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨] فسر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ العفو فقال: **«أن تقبل الدية في العمد»**، أو يعفو مجانًا، فإذا عفا عن العمد إلى الدية فعلىٰ من عفي له أن يسلم الدية بالمعروف، وعلىٰ من له الحق أن يطالبه بالمعروف؛ ولهذا قال الله تعالىٰ : ﴿فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖ﴾ [البقرة: ١٧٨] فإذا سمح بالدية ثم قتل بعد ذلك فله عذاب أليم؛ قال تعالىٰ : ﴿فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [البقرة: ١٧٨] أي: **«قتل بعد قبول الدية»**.

وكونه يقتل أو لا يقتل فيه كلام لأهل العلم، والظاهر أنه يقتل في هذه الحالة.

---

(١) انظر «بدائع الصنائع» (٧/ ٢٣٨).

وجاء في الحديث الآخر: «**كان في اليهود القصاص وكان في النصارى العفو مجانًا**»[1] فالنصارى عندهم العفو؛ فقد جاء في الإنجيل: من ضربك على خدك الأيمن فأدر له الأيسر.

وفي شريعة التوراة وجوب القصاص، فلا يوجد دية ولا عفو.

وفي شريعتنا -الشريعة الكاملة- يخير بين أحد ثلاثة أمور: بين القتل قصاصًا، أو العفو إلى الدية، أو العفو مجانًا؛ فهذه الشريعة أكمل الشرائع.

• [٤١٠٦] ذكر حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه قوله: «**كان في بني إسرائيل القصاص، ولم تكن فيهم الدية**» أي لم يكن عندهم الدية، وليس عندهم إلا القصاص.

قوله: «**فقال الله عز وجل لهذه الأمة**: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ﴾ [البقرة: ١٧٨] **فالعفو أن تقبل الدية في العمد**، ﴿فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ١٧٨]، **يتبع بالمعروف**» يعني: الذي عفا عن الدية.

قوله: «**ويؤدي**» يعني: الذي سمح له عن القصاص يؤدي «**بإحسان**، ﴿ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ﴾ [البقرة: ١٧٨]، **مما كتب على من كان قبلكم**»؛ لأن الذي كتب على من قبلنا القصاص، «﴿فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ١٧٨]» يعني: قبل الدية، ثم «**قتل بعد قبول الدية**» «﴿فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٨]» قيل: المراد بالعذاب هنا القتل.

• [٤١٠٧] ثم ذكر المؤلف رحمه الله حديث أنس رضي الله عنه، وفيه قوله صلى الله عليه وسلم: «**كتاب الله القصاص**»، وهذا هو الشاهد للآية؛ لأن الله تعالى أمر بالقصاص في كتابه فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصَاصُ فِي الْقَتْلَى الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنثَى بِالْأُنثَى فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ ذَلِكَ تَخْفِيفٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ اعْتَدَى بَعْدَ ذَلِكَ فَلَهُ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [البقرة: ١٧٨] فالنبي صلى الله عليه وسلم يشير إلى هذه الآية.

---

(١) البخاري (٤٤٩٨، ٦٨٨١) بنحوه.

• [٤١٠٨] ثم ذكر قصة الربيع رضي الله عنها في حديث أنس رضي الله عنه وفيه قوله: «**عبد الله بن منير**» بالتخفيف، شيخ البخاري، أما ابن المنير -بتشديد الياء- فله حاشية على البخاري رحمه الله، ذكرهما الحافظ ابن حجر رحمه الله في المقدمة.

قوله: «**أن الربيع عمته**» الربيع: بتشديد الراء وضمها وفتح الباء وتشديد التحتانية وآخرها عين مهملة، وهي عمة أنس رضي الله عنه.

قوله: «**كسرت ثنية جارية**» الثنية: الأسنان الأمامية في وسط الفم، يقال لها: ثنايا، ثم يليها الرباعية، ثم يليها النواجذ، ثم الأضراس.

قوله: «**فطلبوا إليها العفو فأبوا**» يعني: طلب أهلها القصاص يريدون أن يكسروا سنها؛ لأنها جانية معتدية متعمدة.

قوله: «**فعرضوا الأرش فأبوا**» أي رفضوا الدية في السن «**فأتوا رسول الله ﷺ وأبوا إلا القصاص**» أي طلبوا من النبي ﷺ أن يقتص لهم «**فأمر رسول الله ﷺ بالقصاص**» أي أمر رسول الله أن تكسر ثنيتها قصاصًا كما كسرت ثنية الجارية.

قوله: «**فقال أنس بن النضر**» وهو أخوها «**يا رسول الله، أتكسر ثنية الربيع؟ لا والذي بعثك بالحق لا تكسر ثنيتها**» لم يقل أنس رضي الله عنه ذلك من باب الاعتراض على حكم الله وحكم رسوله ﷺ، ولكن من باب حسن الظن بالله، وأنه سيبذل الأسباب التي يجعلهم الله بها يرضون بالدية ويقبلونها، فأبر الله قسمه، وكان عند حسن ظنه به؛ فأوقع الله في قلوبهم قبول الدية فقبلوا الدية ولم تكسر ثنية الربيع، وفيه حسن الظن بالله.

وفيه حسن خلق النبي ﷺ؛ فإنه لم يعنف أنسًا، وإنما قال: «**يا أنس، كتاب الله القصاص**» فهذا من حسن خلقه عليه الصلاة والسلام، «**فرضي القوم فعفوا**»؛ إذ ألقى الله في قلوبهم قبول الدية «**فقال رسول الله ﷺ: إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره**» فهو أقسم على الله فأبر الله قسمه.

وفيه الفرق بين حسن الظن بالله، وبين التألي على الله وهو الحلف والحجر على الله ألا يفعل شيئًا، وهذا من كبائر الذنوب العظيمة كما جاء في الحديث في قصة الرجلين العابد والعاصي أنه «**كان في بني إسرائيل رجلان؛ عابد وعاص، وكان العابد يأتي إلى العاصي**

فينصحه ويقول: اتق الله ودع ما كنت فيه، فجاءه يومًا وقال: اتق الله ودع، فغضب العاصي وقال: خلني وربي أبعثت علي رقيبًا؟ فغضب العابد، وقال: والله لا يغفر الله لك، ولا يدخلك الجنة، فاجتمعا عند رب العالمين بعد قبض أرواحهما، فقال الله لهذا العابد: أكنت بي عالمًا أو على ما في يدي قادرًا؟ وقال للعاصي: ادخل الجنة برحمتي، وقال للعابد: اذهبوا به إلى النار»[١] قال أبو هريرة رضي الله عنه: تكلم بكلمة -يعني: العابد- أوبقت دنياه وآخرته؛ يعني: أذهبت دنياه وآخرته -والعياذ بالله- فهذا من باب التألي على الله، وفي الحديث: قال الله: **«من ذا الذي يتألى علي ألا أغفر لفلان؟ إني قد غفرت له وأحبطت عملك»**[٢].

ففرق بين التألي على الله وبين الإقسام على الله، فالإقسام على الله من باب حسن الظن بالله، فهذا الذي حصل لأنس بن النضر ليس من باب التألي.

ومن ذلك ما كان من سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فإنه كان مستجاب الدعوة، وكانت إذا تلاقت الخصوم وتواجهت جيوش المسلمين والكفار قالوا: يا سعد، أقسم على ربك، فيقسم على ربه فيبر الله قسمه، ويهزم الله الكفرة، فحسن الظن بالله شيء، والتألي والحجر على الله شيء آخر؛ فالثاني فيه الاعتراض على الله وإساءة الظن به ﷻ وتحجر رحمته سبحانه وتعالى، والأول فيه حسن الظن بالله.

ولا ينبغي للإنسان أن يقسم إلا بعد التروي في القسم على الله والتأني؛ فالمقام مقام خطير.

***

(١) أحمد (٢/ ٣٢٣)، وأبو داود (٤٩٠١).
(٢) مسلم (٢٦٢١).

المتن

[٢٦/ ٥٦] ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣]

• [٤١٠٩] حدثنا مسدد، قال: نا يحيى، عن عبيدالله، قال: أخبرني نافع، عن ابن عمر قال: كان عاشوراءُ يصومه أهلُ الجاهلية، فلما نزل رمضان: من شاء صامه، ومن شاء لم يصمه.

• [٤١١٠] حدثني عبدالله بن محمد، قال: نا ابن عيينة، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، كان عاشوراء يصام قبل رمضان، فلما نزل رمضان: من شاء صام، ومن شاء أفطر.

• [٤١١١] حدثني محمود، قال: أنا عبيدالله، عن إسرائيل، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبدالله قال: دخل عليه الأشعث وهو يَطْعَم، فقال: اليوم عاشوراء، فقال: كان يصام قبل أن يَنْزِلَ رمضان، فلما نزل رمضان ترك فادن فكل.

• [٤١١٢] حدثني محمد بن المثنى، قال: نا يحيى، قال: نا هشام، قال: أخبرني أبي، عن عائشة قالت: كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية، وكان النبي ﷺ يصومه، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه، فلما نزل رمضان كان رمضان الفريضة، وترك عاشوراء، فكان من شاء صامه ومن شاء لم يصمه.

الشرح

في هذه الترجمة ذكر الإمام البخاري رحمه الله هذه الأحاديث الأربعة على آية الصيام، وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

والله تعالى صدر هذه الآية بخطاب المؤمنين، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة: ١٨٣] يعني فرض ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣] ولعل هنا للتعليل وليست للترجي يعني: لكي تتقوا.

والصيام وسيلة عظمى من أسباب التقوى، فالصيام له حكم وأسرار من أعظمها أنه وسيلة لتقوى الله ﷻ.

والله تعالى في هذه الآية الكريمة أخبر أنه فرض الصيام على هذه الأمة كما فرضه على الأمم السابقة، فشبه صيام هذه الأمة بصيام الأمم السابقة، واختلف العلماء في التشبيه الذي دلت عليه الكاف في قوله: ﴿كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣] هل هو على الحقيقة فيكون صيام رمضان مكتوبا على الأمم السابقة، أو أن المراد التشبيه في مطلق الصيام؟

على قولين لأهل العلم:

القول الأول: أن صيام رمضان مكتوب على الأمم السابقة، وورد في هذا حديث مرفوع عن ابن عمر إلا أن في إسناده مجهول، ولفظه: **«صيام رمضان كتبه الله على الأمم قبلكم»**(١) وذهب إلى هذا الحسن البصري والسدي وجماعة.

القول الثاني: أن التشبيه واقع على نفس الصوم، وأن الصيام الذي كتب على الأمم السابقة مطلق الصيام، ولا يلزم من ذلك أن يكون صيام رمضان، ولا أن يكون عدد الأيام الواجبة عليهم كعدد الأيام التي أوجبها الله علينا، وهذا هو قول الجمهور، وهو الصواب؛ ولهذا صام موسى عليه السلام يوم عاشوراء الذي أغرق الله فيه فرعون وقومه؛ شكرا لله عز وجل.

- **[٤١٠٩]** ذكر المؤلف رحمه الله حديث ابن عمر رضي الله عنهما، وفيه قوله: **«كان عاشوراءُ يصومه أهلُ الجاهلية»** سيأتي أن يوم عاشوراء كانت تصومه قريش في الجاهلية، وذلك أن صيام يوم عاشوراء كان يصومه اليهود في المدينة، واليهود أهل كتاب؛ ولهذا لما قدم النبي ﷺ المدينة وجد اليهود يصومون اليوم العاشر فسألهم عن ذلك فقالوا: هذا يوم صالح نجى الله فيه موسى وقومه وأغرق فرعون وقومه؛ فصامه موسى شكرًا لله؛ فنحن نصومه، فقال عليه الصلاة والسلام: **«نحن أحق بموسى منكم»**(٢) فصامه وأمر بصيامه، وقال: **«صوموا يوم عاشوراء وخالفوا فيه اليهود؛ صوموا قبله يوما أو بعده يوما»**(٣)، وانتقل هذا إلى قريش في مكة وهم أهل أوثان وليسوا أهل كتاب، ولكنه انتقل إليهم من اليهود، فكانوا يصومونه كما كانت اليهود تصومه في المدينة، وكان النبي ﷺ يصومه معهم قبل البعثة(٤).

---

(١) «تفسير ابن أبي حاتم» (١/ ٣٠٤).
(٢) أحمد (١/ ٢٩١)، والبخاري (٣٩٤٣)، ومسلم (١١٣٠).
(٣) أحمد (١/ ٢٤١).
(٤) أحمد (٢/ ١٤٣)، والبخاري (٢٠٠٢)، ومسلم (١١٢٥).

قوله : «**فلما نزل رمضان : من شاء صامه ومن شاء لم يصمه**» وهذا مصداقا لقول النبي ﷺ في يوم عاشوراء : «**من شاء صامه ومن شاء لم يصمه**»(١) وهذا فيه دليل على أن صيام يوم عاشوراء كان واجبًا قبل رمضان وقيل : كان مستحبا متأكدا ، ولكن ظاهر الحديث أنه كان واجبا ، ثم لما فرض الله صيام رمضان نسخ وجوب صوم يوم عاشوراء وبقي الاستحباب ، وهذا هو ظاهر الحديث الذي يدل على التخيير ؛ فدل على أنه قبل نزول رمضان ليس فيه التخيير ، وإنما كان فرضا .

• [٤١١٠] ثم ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ حديث عائشة ﵂ وفيه قولها : «**كان عاشوراء يصام قبل رمضان**» يعني : في الجاهلية ، كما سيأتي أن قريشًا كانت تصومه في الجاهلية .

قولها : «**فلما نزل رمضان : من شاء صام ، ومن شاء أفطر**» أي أن النبي ﷺ كان يأمر صحابته بصيامه قبل نزول رمضان ، فلما أنزل عليه فرض رمضان خيرهم بين صيام عاشوراء وبين تركه ، فتخيير الناس بعد نزول رمضان بين الصيام وترك الصيام دليل على أن صوم رمضان ليس فيه خيار وإنما هو واجب ، وأن صوم عاشوراء أصبح سنة .

• [٤١١١] ثم ذكر حديث عبد الله بن مسعود ﵁ قال : «**دخل عليه الأشعث**» وهو صحابي جليل «**وهو يطعم**» يعني : يأكل «**فقال**» يعني : الأشعث لعبد الله بن مسعود : «**اليوم عاشوراء**» يعني : كيف تأكل واليوم عاشوراء ولم تصم؟! «**فقال**» -يعني : عبد الله بن مسعود : «**كان يصام قبل أن ينزل رمضان ، فلما نزل رمضان ترك**» والظاهر ترك الوجوب هذا هو الأقرب ، ثم قال عبد الله بن مسعود للأشعث : «**فادن فكل**» أي : تعال كل معي .

• [٤١١٢] ثم ذكر حديثًا آخر لعائشة ﵂ ، وفيه قولها : «**كان يوم عاشوراء تصومه قريش في الجاهلية ، وكان النبي ﷺ يصومه ، فلما قدم المدينة صامه وأمر بصيامه ، فلما نزل رمضان كان رمضان الفريضة ، وترك عاشوراء ، فكان من شاء صامه ومن شاء لم يصمه**» ظاهر الحديث أنه كان قبل فرض رمضان واجبا ، وقال بعض العلماء : كان مستحبا ، والأقرب أنه كان واجبا ؛ لأن هذا ظاهر الأحاديث .

* * *

(١) أحمد (٢/ ١٤٣) ، والبخاري (٢٠٠٢) ، ومسلم (١١٢٥) .

المتن

[٢٧/ ٥٦] **باب قوله تعالى:** ﴿**أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٤]

وقال عطاء: يُفْطِرُ من المرض كله كما قال الله ﷻ.

وقال الحسن وإبراهيم في المرضع أو الحامل إذا خافتا على أنفسهما أو ولدهما: يفطران ثم يقضيان، وأما الشيخ الكبير إذا لم يطق الصيام؛ فقد أطعم أنس بعدما كبر عامًا أو عامين؛ كل يوم مسكينًا خبزًا ولحمًا وأفطر.

قراءة العامة: ﴿**يُطِيقُونَهُۥ**﴾ [البقرة: ١٨٤] وهو أكثر.

• **[٤١١٣]** حدثني إسحاق، قال: أنا روح، قال: نا زكرياء بن إسحاق، قال: نا عمرو بن دينار، عن عطاء، سمع ابن عباس يقرأ: ﴿**وَعَلَى ٱلَّذِينَ "يُطَوَّقُونَهُ" فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ**﴾ [البقرة: ١٨٤]، قال ابن عباس: ليست بمنسوخة؛ هو للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما، فيطعمان مكان كل يوم مسكينًا.

الشرح

هذه الترجمة على هذه الآية حيث قال: «**باب قوله تعالى:** ﴿**أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٤] بعد أن بين الله سبحانه وتعالى وجوب الصيام في قوله: ﴿**كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾ [البقرة: ١٨٣] قال: ﴿**أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ**﴾ [البقرة: ١٨٤] يعني: كتب الصيام أيامًا معدودات وهي أيام الشهر وهي ثلاثون يومًا أو تسعة وعشرون يومًا، ﴿**فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ**﴾ [البقرة: ١٨٤] يعني: فأفطر، فهذه عدة من أيام أخر.

والآية فيها دليل على أنه يجوز للمريض أن يفطر ويقضي أياما مكانها، وكذلك المسافر.

قوله : «**وقال عطاء : يفطر من المرض كله كما قال الله ﷻ**» اختلف العلماء في المرض الذي يبيح الفطر : فمن العلماء من قال : المريض يجوز له الفطر من كل مرض كما قال عطاء : «**يفطر من المرض كله**» يعني : مطلق المرض .

ومنهم من قال : المريض الذي يتيمم للصلاة ولا يستطيع استعمال الماء هو الذي يفطر .

ومنهم من قال : المريض الذي يفطر هو الذي لا يستطيع القيام ، كما ذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

والأقرب أن المراد بالمرض الذي يبيح الفطر هو المرض الذي يشق معه الصوم .

والمرض ثلاثة أنواع :

الأول : مرض خفيف مثل وجع الضرس ، ووجع العين ، ووجع خفيف لا يشق معه الصوم ؛ فهذا يجب عليه أن يصوم .

الثاني : مرض يشق معه الصوم ؛ فالمريض به يستحب في حقه الفطر ، ويكره في حقه الصوم .

الثالث : مرض يزيد مع الصوم أو يؤخر الشفاء أو يؤدي إلى الهلاك والموت ؛ فالمريض به لا يجوز له الصوم بل يحرم عليه الصوم في هذه الحالة .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وقد اختلف السلف في الحد الذي إذا وجده المكلف جاز له الفطر ، والذي عليه الجمهور أنه المرض الذي يبيح له التيمم مع وجود الماء ، وهو ما إذا خاف على نفسه لو تمادى على الصوم أو على عضو من أعضائه أو زيادة في المرض الذي بدأ به أو تمادى به .

وعن ابن سيرين : متى حصل للإنسان حال يستحق بها اسم المرض فله الفطر ، وهو نحو قول عطاء ، وعن الحسن والنخعي : إذا لم يقدر على الصلاة قائما يفطر» .

قوله : «**وقال الحسن وإبراهيم في المرضع أو الحامل إذا خافتا على أنفسهما أو ولدهما : يفطران ثم يقضيان**» الحامل والمرضع فيهما أقوال لأهل العلم :

القول الأول : المرضع والحامل إذا خافتا على أنفسهما أو خافتا على الولد تفطران فقط ، ثم تقضيان ، ويكون حكمهما حكم المريض .

القول الثاني : تطعمان ولا تقضيان ، وليس عليهما إلا الإطعام .

القول الثالث : التفصيل في الأمر ؛ فإذا خافت الحامل والمرضع على أنفسهما لا على الولد فتفطران وتقضيان ولا تطعمان ؛ لأنهما بمنزلة المريض ، وإذا خافتا على الولد أو على أنفسهما وعلى الولد فتفطران وتطعمان .

والأرجح أن حكمهما حكم المريض فتفطران وتقضيان فقط كالمريض .

قوله : «**وأما الشيخ الكبير إذا لم يطق الصيام ؛ فقد أطعم أنس بعدما كبر عاما أو عامين ؛ كل يوم مسكينا خبزا ولحمًا وأفطر**» فالعاجز الذي لا يستطيع الصيام يطعم ، والكبير أيضا إذا كان عقله معه فهذا يصلي على حسب قدرته قائما أو قاعدا أو على جنب ويطعم عن كل يوم يفطره ، كما جاء عن أنس رضي الله عنه .

أما إذا لم يكن معه عقل وبلغ سن التخريف فليس عليه صلاة ولا صيام ولا إطعام ؛ لأنه غير مكلف .

• [٤١١٣] خير الله تعالى المسلم في أول الإسلام بين أن يصوم وبين أن يطعم مكان كل يوم مسكينًا ، والصوم أفضل ؛ لقوله تعالى : ﴿**وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ وَأَن تَصُومُوا۟ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ**﴾ [البقرة : ١٨٤] ثم أوجب الله الصوم حتمًا على المقيم الصحيح فنسخت هذه الآية بالآية التي بعدها وهي قوله تعالى : ﴿**فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**﴾ [البقرة : ١٨٥] وهذا هو الصواب ، وهو مذهب الجمهور ؛ ولهذا الجمهور يقرءون هذه الآية هكذا : ﴿**وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ**﴾ ، «**قراءة العامة**» بالتخفيف في ﴿**يُطِيقُونَهُۥ**﴾ من أطاق يطيق بمعنى : قدر ؛ أي : وعلى الذين يقدرون على الصيام إما أن يدفع فدية طعام مسكين أو يصوم ؛ تخيير ثم نسخ .

وذهب ابن عباس رضي الله عنهما إلى أن هذه الآية ليست منسوخة ، وإنما باقية في حق العاجز والشيخ الكبير والمرأة الكبيرة الذين يشق عليهم الصيام ؛ فإنهم يفطرون ويطعمون عن كل يوم مسكينًا .

وكان ابن عباس رضي الله عنهما يقرأ قوله تعالى : ﴿**يُطِيقُونَهُۥ**﴾ : «**يطوقونه**» من طوق يطوق أي : يكلفون إطاقته ويشق عليهم ؛ فهؤلاء لهم رخصة ، «**قال ابن عباس : ليست بمنسوخة ؛ هو للشيخ الكبير والمرأة الكبيرة لا يستطيعان أن يصوما ، فيطعمان مكان كل يوم مسكينا**» .

المتن

[٢٨/ ٥٦] ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]

• [٤١١٤] حدثني عياش بن الوليد، قال: نا عبدالأعلى، قال: نا عبيدالله، عن نافع، عن ابن عمر، أنه قرأ: «**فدية طعام مساكين**»، قال: هي منسوخة.

• [٤١١٥] حدثنا قتيبة، قال: نا بكر بن مضر، عن عمرو بن الحارث، عن بكير بن عبدالله، عن يزيد مولى سلمة بن الأكوع، عن سلمة بن الأكوع قال: لما نزلت: ﴿**وَعَلَى ٱلَّذِينَ يُطِيقُونَهُۥ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ**﴾ [البقرة: ١٨٤]، كان من أراد أن يفطر ويفتدي، حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها.

قال أبو عبد الله: مات بكير قبل يزيد.

الشرح

هذه الأحاديث على قوله تعالى: ﴿**فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**﴾ [البقرة: ١٨٥].

• [٤١١٤] قوله في حديث ابن عمر: «**فديةُ طعامِ مساكين**» هي قراءة نافع وابن عامر، وأما قراءة عاصم: ﴿**فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ**﴾ [البقرة: ١٨٤].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: «**مساكين**» بلفظ الجمع وهي قراءة نافع وابن ذكوان، والباقون بتنوين ﴿**فِدْيَةٌ**﴾ وتوحيد ﴿**مِسْكِينٍ**﴾».

يعني: أن تكون قراءة نافع وابن ذكوان عن ابن عامر: «**فديةُ طعامِ مساكين**» بإضافة الفدية، فمن جمع قال: «**مساكين**» بالنسبة لعدد الأشخاص؛ يعني: أن كل مسكين له فدية، وقرأ عاصم وبقية القراء: ﴿**فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ**﴾ [البقرة: ١٨٤].

وذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ توجيهًا فقال: «ومن جمع «**مساكين**» فلمقابلة الجمع بالجمع، ومن أفرد فمعناه: فعلى كل واحد ممن يطيق الصوم».

قال ابن عمر: «**هي منسوخة**»، فهذه الآية منسوخة بآية الترجمة؛ أي قوله تعالى: ﴿**فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ ٱلشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ**﴾ [البقرة: ١٨٥]؛ فقد قال تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ۝ أَيَّامًا مَّعْدُودَٰتٍ فَمَن كَانَ مِنكُم**

﴿مَرِيضًا أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ أُخَرَ ۚ وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٣، ١٨٤] ثم قال بعدها: ﴿وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٤] فجعله مخيرًا، ثم أمر من شهد الشهر بالصوم فقال: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]؛ فهذه الآية نسخت الآية السابقة التي فيها التخيير.

• [٤١١٥] قوله في حديث سلمة بن الأكوع ﷺ: «قال: لما نزلت: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ﴾ [البقرة: ١٨٤] كان من أراد أن يفطر ويفتدي» يعني: دل قوله تعالى: ﴿وَعَلَى الَّذِينَ يُطِيقُونَهُ فِدْيَةٌ طَعَامُ مِسْكِينٍ ۖ فَمَن تَطَوَّعَ خَيْرًا فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُ ۚ وَأَن تَصُومُوا خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ١٨٤] على أنه كان مخيرًا في أول الإسلام بين أن يصوم رمضان وبين أن يفطر ويخرج الفدية، إلا أن الصيام خير وأفضل.

فقال ﷺ: «حتى نزلت الآية التي بعدها فنسختها» وهي آية الترجمة: ﴿فَمَن شَهِدَ مِنكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ﴾ [البقرة: ١٨٥]

قوله: «قال أبو عبد الله» هو البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ.

قوله: «مات بكير قبل يزيد» يعني: مات بكير بن عبدالله قبل يزيد مولى سلمة بن الأكوع، وبكير هو التلميذ، ويزيد هو الشيخ.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «مات بكير بن عبدالله قبل شيخه يزيد، وكانت وفاته سنة عشرين ومائة، ومات يزيد سنة ست أو سبع وأربعين ومائة».

يعني: تأخرت وفاة الشيخ بعد وفاة التلميذ بمدة.

* * *

المتن

[٢٩/ ٥٦] ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ إلى: ﴿وَٱبْتَغُوا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]

• [٤١١٦] حدثنا عبيدالله، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء، ح. وحدثني أحمد بن عثمان، قال: نا شريح بن مسلمة، قال: نا إبراهيم بن يوسف، عن أبيه، عن أبي إسحاق، قال: سمعت البراء، لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله، وكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] الآية.

الشرح

هذه الترجمة على قوله تعالى: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ ۚ هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ ۗ عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ ۖ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ وَٱبْتَغُوا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قوله: «باب: ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱبْتَغُوا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧]»، كذا لأبي ذر، وساق في رواية كريمة الآية كلها».

• [٤١١٦] قوله في حديث البراء رضي الله عنه: **«لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء رمضان كله، وكان رجال يخونون أنفسهم، فأنزل الله تعالى: ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٧] الآية»** وذلك أن فرض الصيام كان له أطوار:

الطور الأول: وجوب صوم يوم عاشوراء حيث أوجب الله صومه، وكان النبي ﷺ يصوم يوم عاشوراء وكان يصوم ثلاثة أيام من كل شهر(١)، ثم نسخ وجوب صوم يوم عاشوراء لما فرض الله صوم رمضان.

---

(١) أحمد (٥/ ٢٧١)، والنسائي (٢٣٧٢).

الطور الثاني : لما فرض رمضان كان الناس مخيرين بين الصوم وبين إطعام مسكين عن كل يوم يفطرونه .

الطور الثالث : فرض الله الصوم حتمًا على المقيم ، إلا أنهم لا يأكلون إلا أن يفطر الإنسان بالليل فله الأكل ما لم ينم ، فإذا نام فإنه يحرم عليه الأكل إلى الليلة القابلة ، وفي بعض الآثار : ما لم ينم أو يصل العشاء ، فإذا نام أو صلى العشاء حرم عليه الأكل والشرب وحرمت عليه زوجته كذلك إلى الليلة القابلة . فوجدوا من ذلك مشقة عظيمة ، وكان أناس يخونون أنفسهم أي : حصل من بعضهم جماع لزوجته ، وبعضهم حصل له مشقة ، مثل أحد رجال الأنصار الذي كان يعمل في بستان له ، فجاء مجهدًا وكان صائمًا فلما أفطر قال لزوجته : هل عندك شيء من طعام؟ قالت : سوف أطلبه لك ، فاتكأ ونام - وكان متعبًا- فإذا نام حرم عليه الأكل إلى الليلة القابلة ، فلما جاءت قالت : خيبة لك . ولم يأكل وأصبح صائمًا في اليوم التالي ، فلما انتصف النهار غشي عليه وسقط[1] . فخفف الله عنهم بإباحة الأكل والشرب ومباشرة الرجل زوجته من غروب الشمس إلى طلوع الفجر ، ففرحوا بذلك فرحًا شديدًا لما أنزل الله هذه الآية : ﴿أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمْ﴾ والرفث : الجماع ﴿هُنَّ لِبَاسٌ لَّكُمْ وَأَنتُمْ لِبَاسٌ لَّهُنَّ﴾ أي : بسبب المباشرة بين الرجل وبين زوجته ، ﴿عَلِمَ ٱللَّهُ أَنَّكُمْ كُنتُمْ تَخْتَانُونَ أَنفُسَكُمْ﴾ حيث كان منهم رجال يتخونون أنفسهم ، ثم قال تعالى : ﴿فَتَابَ عَلَيْكُمْ وَعَفَا عَنكُمْ فَٱلْـَٔـٰنَ بَـٰشِرُوهُنَّ﴾ فأمر الله بالمباشرة وهي الجماع ، وأباح للرجل التمتع بزوجته ، ﴿وَٱبْتَغُوا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ ، قال بعض المفسرين : يعني : الولد ، ﴿وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ ، فأباح الله الأكل والشرب والمباشرة إلى طلوع الفجر ، ﴿ثُمَّ أَتِمُّوا ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ﴾ [البقرة : ١٨٧] .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «قوله : «**لما نزل صوم رمضان كانوا لا يقربون النساء**» قد تقدم في كتاب الصيام من حديث البراء أيضًا أنهم كانوا لا يأكلون ولا يشربون إذا ناموا ، وأن الآية نزلت في ذلك ، وبينت هناك أن الآية نزلت في الأمرين معًا» .

---

(١) أحمد (٤/ ٢٩٥) ، والبخاري (١٩١٥) .

يعني : أن الأكل والشرب هو الأمر الأول ، وأن الأمر الثاني هو الجماع .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «وظاهر سياق حديث الباب أن الجماع كان ممنوعًا في جميع الليل والنهار ، بخلاف الأكل والشرب فكان مأذونًا فيه ليلا ما لم يحصل النوم» .

يعني : حديث الباب -وهو حديث البراء- ظاهره أن الجماع كان ممنوعًا في الليل والنهار ، أما الأكل والشرب فإنه كان مأذونًا فيه ما لم ينم أو يصل العشاء .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «لكن بقية الأحاديث الواردة في هذا المعنى تدل على عدم الفرق كما سأذكرها بعد ؛ فيحمل قوله : **«كانوا لا يقربون النساء»** على الغالب ؛ جمعًا بين الأخبار .

قوله : **«وكان رجال يخونون أنفسهم»** سمي من هؤلاء عمر وكعب بن مالك رضي الله عنهما فروى أحمد وأبو داود والحاكم من طريق عبدالرحمن بن أبي ليلى عن معاذ بن جبل قال : أحل الصيام ثلاثة أحوال ، فإن رسول الله ﷺ قدم المدينة فجعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ، وصام عاشوراء[(١)] ، ثم إن الله فرض عليه الصيام ، وأنزل عليه : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلصِّيَامُ﴾ [البقرة : ١٨٣]» .

وهذا هو الطور الأول كما سبق .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «فذكر الحديث إلى أن قال : وكانوا يأكلون ويشربون ويأتون النساء ما لم يناموا ، فإذا ناموا امتنعوا ، ثم إن رجلًا من الأنصار صلى العشاء ثم نام فأصبح مجهودًا ، وكان عمر أصاب من النساء بعدما نام ؛ فأنزل الله ﷻ : ﴿أُحِلَّ لَكُمۡ لَيۡلَةَ ٱلصِّيَامِ ٱلرَّفَثُ إِلَىٰ نِسَآئِكُمۡ﴾ إلى قوله : ﴿ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيۡلِ﴾ [البقرة : ١٨٧] وهذا الحديث مشهور عن عبدالرحمن بن أبي ليلى ، لكنه لم يسمع من معاذ ، وقد جاء عنه فيه : حدثنا أصحاب محمد ، كما تقدم التنبيه عليه قريبًا ، فكأنه سمعه من غير معاذ أيضًا ، وله شواهد : منها ما أخرجه ابن مردويه من طريق كريب عن ابن عباس قال : بلغنا . ومن طريق عطاء عن أبي هريرة نحوه . وأخرج ابن جرير وابن أبي حاتم من طريق عبدالله بن

---

(١) أحمد (٥/ ٢٤٦) ، وأبو داود (٥٠٧) ، والحاكم (٢/ ٣٠١) .

كعب بن مالك عن أبيه قال : كان الناس في رمضان إذا صام الرجل فأمسىٰ فنام حرم عليه الطعام والشراب والنساء حتىٰ يفطر من الغد ، فرجع عمر من عند النبي ﷺ وقد سمر عنده ، فأراد امرأته ، فقالت : إني قد نمت ، قال : ما نمت ، ووقع عليها . وصنع كعب بن مالك مثل ذلك ، فنزلت[١] . وروىٰ ابن جرير من طريق ابن عباس نحوه[٢] ، ومن طريق أصحاب مجاهد وعطاء وعكرمة وغير واحد من غيرهم كالسدي وقتادة وثابت نحو هذا الحديث[٢] ، لكن لم يزد واحد منهم في القصة علىٰ تسمية عمر ، إلا في حديث كعب بن مالك ، والله أعلم» .

* * *

(١) أحمد (٣/ ٤٦٠) ، والطبري في «التفسير» (٣/ ٤٩٦) .
(٢) الطبري في «التفسير» (٣/ ٤٩٨) .

المتن

[٣٠/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾ [البقرة: ١٨٧] الآية

﴿ٱلْعَٰكِفُ﴾ [الحج: ٢٥]: المقيم.

• [٤١١٧] حدثنا موسى بن إسماعيل، قال: نا أبو عوانة، عن حُصَين، عن الشعبي، عن عدي قال: أخذ عدي عقالا أبيض وعقالا أسود، حتى كان بعض الليل نظر فلم يستبينا، فلما أصبح قال: يا رسول الله، جعلت تحت وسادتي، قال: «**إن وسادتك إذن لعريض؛ أن كان الخيط الأبيض والأسود تحت وسادك**».

• [٤١١٨] حدثنا قتيبة، قال: نا جرير، عن مطرف، عن الشعبي، عن عدي بن حاتم قال: قلت: يا رسول الله، ما الخيط الأبيض من الخيط الأسود؟ أهما الخيطان؟ قال: «**إنك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين**»، ثم قال: «**لا، بل هو سواد الليل وبياض النهار**».

• [٤١١٩] حدثنا ابن أبي مريم، قال: نا أبو غسان محمد بن مطرف، قال: نا أبو حازم، عن سهل بن سعد قال: أنزلت: ﴿**وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ**﴾ [البقرة: ١٨٧]، ولم يُنْزَل: ﴿**مِنَ ٱلْفَجْرِ**﴾ [البقرة: ١٨٧]، وكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود، ولا يزال يأكل حتى تتبين له رؤيتهما، فأنزل الله بعد: ﴿**مِنَ ٱلْفَجْرِ**﴾ [البقرة: ١٨٧]، فعلموا أنما يعني الليل والنهار.

الشرح

هذه الترجمة على قوله تعالى: ﴿**وَكُلُواْ وَٱشْرَبُواْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ**﴾ وبعدها: ﴿**ثُمَّ أَتِمُّواْ ٱلصِّيَامَ إِلَى ٱلَّيْلِ**﴾ [البقرة: ١٨٧] والمراد بالخيط الأبيض النهار وبالخيط الأسود الليل.

وقد أشكل هذا على بعض الصحابة؛ لأن قوله تعالى: ﴿**مِنَ ٱلْفَجْرِ**﴾ [البقرة: ١٨٧] لم ينزل إلا متأخرًا، فظن بعض الصحابة أن المراد به الخيط الأبيض أو الأسود على ظاهره، وحصل هذا لعدي رضي الله عنه وجماعة.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «﴿**ٱلْعَٰكِفُ**﴾ : **المقيم**» ثبت هذا التفسير في رواية المستملي وحده ، وهو تفسير أبي عبيدة قال في قوله تعالى : ﴿**سَوَآءً ٱلْعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلْبَادِ**﴾ [الحج : ٢٥] أي : المقيم والذي لا يقيم» .

• [٤١١٧] هذا الحديث جاء به البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ لمناسبة الترجمة ، وهو حديث عدي بن حاتم الطائي رضي الله عنه قال : «**أخذ عدي عقالا أبيض وعقالا أسود ، حتى كان بعض الليل نظر فلم يستبينا**» وذلك لما نزلت الآية ؛ وهي قول الله تعالى : ﴿**وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ مِنَ ٱلْفَجْرِ**﴾ [البقرة : ١٨٧] الآية ، فكان عدي رضي الله عنه ينظر إليهما في الليل فإذا تبين له الأسود من الأبيض أمسك الأكل والشرب عن نفسه .

قوله : «**فلما أصبح قال : يا رسول الله ، جعلت تحت وسادتي**» وفي رواية : «**جعلت تحت وسادتي عقالين**»(١) يعني : الخيط الأبيض والخيط الأسود .

قوله : «**قال : إن وسادتك إذن لعريض**» وفي لفظ آخر بعده : قال له رسول الله ﷺ : «**إنك لعريض القفا**» . وقد استدل أهل البلاغة بهذا الحديث على أنه كناية عن غباوة عدي ، وقالوا : فيه دليل على أن عديًا رضي الله عنه كان غبيًا . وهذا باطل ؛ فكيف يليق بالنبي ﷺ أن يكني ويعرض بغباوة عدي؟! فهذا ليس من خلق النبي ﷺ ، ثم إن عديًا رضي الله عنه لم يكن غبيًا بل هو من أذكى الناس ، ثم إن هذا الظن ليس خاصًا بعدي ؛ لأن هذا أشكل -أيضًا- على بعض الصحابة غير عدي -كما يفيده آخر أحاديث الباب- حتى فسره لهم النبي ﷺ بأن المقصود منه سواد الليل وبياض النهار ؛ أي : حتى يتبين لكم بياض النهار من سواد الليل .

• [٤١١٨] قوله : «**إنك لعريض القفا إن أبصرت الخيطين ، ثم قال : لا**» يعني : ليس كما توهمت أن الخيط الأبيض والخيط الأسود هما خيطان مما ينسج ؛ «**بل هو سواد الليل وبياض النهار**» .

• [٤١١٩] قوله في حديث سهل بن سعد رضي الله عنه : «**أنزلت** ﴿**وَكُلُوا وَٱشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ ٱلْخَيْطُ ٱلْأَبْيَضُ مِنَ ٱلْخَيْطِ ٱلْأَسْوَدِ**﴾ [البقرة : ١٨٧] ، **ولم ينزل** : ﴿**مِنَ ٱلْفَجْرِ**﴾ [البقرة : ١٨٧] ،

---

(١) أحمد (٤/ ٣٧٧) ، والبخاري (١٩١٦) ، ومسلم (١٠٩٠) .

وكان رجال إذا أرادوا الصوم ربط أحدهم في رجليه الخيط الأبيض والخيط الأسود» هذا يدل على أن هذا الأمر ليس خاصًا بعدي رضي الله عنه، بل حصل هذا لجماعة غيره.

قوله: **«ولا يزال يأكل حتى تتبين له رؤيتهما، فأنزل الله بعد: ﴿مِنَ ٱلْفَجْرِ﴾** [البقرة: ١٨٧] **فعلموا أنما يعني الليل والنهار»**.

والحديث فيه دليل على أن الإنسان إذا اجتهد في فهم الحكم الشرعي فأخطأ في فهمه فإنه لا يؤاخذ، فلا يؤمر بالقضاء إذا أكل أو شرب مجتهدًا مخطئًا؛ ولهذا لم يأمر النبي ﷺ عدي بن حاتم ولا هؤلاء الرجال بقضاء الأيام التي ربطوا فيها الخيوط بأرجلهم وجعلوا يأكلون ويشربون.

وهذا بخلاف من أكل أو شرب ظانًا أن الفجر لم يطلع، ثم تبين له أنه طلع؛ فإن عليه قضاء ذلك اليوم عند جمهور العلماء، وهو الصواب.

وقال آخرون من أهل العلم كشيخ الإسلام ابن تيمية[١]: لا يقضي.

ولا يجتهد إلا من كان عنده أهلية للاجتهاد، أما الذي ليست عنده أهلية لذلك فلا يقال: اجتهد، بل يقال: فعل خبط عشواء، وفعله اتفاقًا.

* * *

(١) انظر «الفتاوى الكبرى» (٢/ ٤٧٣).

المتن

[٣١/ ٥٦] باب قوله: ﴿لَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ﴾ [البقرة: ١٨٩] الآية

• [٤١٢٠] حدثنا عبيدالله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره، فأنزل الله: ﴿لَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩].

الشرح

• [٤١٢٠] قوله: «**كانوا إذا أحرموا في الجاهلية أتوا البيت من ظهره**» هذا من تعنت أهل الجاهلية؛ كان الواحد منهم إذا أحرم بحج أو عمرة ثم أراد أن يأتي البيت يتسلق الجدار ولا يفتح الباب ويدخل؛ لئلا يغطي رأسه الجدار أو الباب، فإذا أراد أن يدخل صعد من فوق الجدار؛ فأنزل الله: ﴿وَلَيْسَ ٱلْبِرُّ بِأَن تَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِن ظُهُورِهَا وَلَٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنِ ٱتَّقَىٰ ۗ وَأْتُوا ٱلْبُيُوتَ مِنْ أَبْوَابِهَا﴾ [البقرة: ١٨٩] ومثله تعنت الرافضة إذا أحرموا؛ حيث يحرمون في سيارات مكشوفة حتى لا تغطي رءوسهم، مع أن النبي ﷺ لما رمى جمرة العقبة كان يظلله أسامة وبلال بثوب ﷺ من الحر في الشمس وهو محرم[1]، فلا حرج من كون الإنسان يستظل وهو محرم، ولا حرج أن يجيء في سقف البيت أو سقف السيارة أو الشجرة أو الخيمة.

* * *

(١) أحمد (٦/ ٤٠٢)، ومسلم (١٢٩٨).

المتن

[٣٢/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣]

• [٤١٢١] حدثني محمد بن بشار، قال: نا عبدالوهاب، قال: نا عبيدالله، عن نافع، عن ابن عمر، أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير فقالا: إن الناس ضُيِّعُوا وأنت ابن عمر وصاحب النبي ﷺ، فما يمنعك أن تخرج؟ فقال: يمنعني أن الله حرم دم أخي، قالا: ألم يقل الله: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ [البقرة: ١٩٣]، فقال: قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين لله، وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله.

وزاد عثمان بن صالح، عن ابن وهب، قال: أخبرني فلان وحيوة بن شريح، عن بكر بن عمرو المعافري، أن بكير بن عبدالله حدثه، عن نافع، أن رجلًا أتى ابن عمر فقال: يا أبا عبدالرحمن، ما حملك على أن تحج عامًا وتعتمر عاما، وتترك الجهاد في سبيل الله ﷻ؟ قد علمت ما رغب الله فيه، قال: يا ابن أخي، بني الإسلام على خمس: إيمان بالله ورسوله، والصلاة الخمس، وصيام رمضان، وأداء الزكاة، وحج البيت، قال: يا أبا عبدالرحمن، ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ فَأَصۡلِحُواْ بَيۡنَهُمَاۖ فَإِنۢ بَغَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا عَلَى ٱلۡأُخۡرَىٰ فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِي تَبۡغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات: ٩]، ﴿قَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ [البقرة: ١٩٣]؟ قال: فعلنا على عهد رسوله وكان الإسلام قليلا، فكان الرجل يفتن في دينه: إما قتلوه، أو يعذبوه، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة، قال: فما قولك في علي وعثمان؟ قال: أما عثمان فكان الله عفا عنه، وأما أنتم فكرهتم أن تعفوا عنه، وأما علي فابن عم رسول الله ﷺ وختَنُه، وأشار بيده فقال: هذا بيته حيث ترون.

الشرح

قوله: «باب قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣]» هذه الآية في قتال المشركين، وفيها يقول الله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ﴾ يعني: المشركين ﴿حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ الفتنة: الشرك؛ يعني: حتى يتوبوا من شركهم، فينتهي الشرك ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ﴾ ويكون الدين ظاهرا ﴿فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ﴾ عن الشرك ﴿فَلَا عُدۡوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ﴾ [البقرة: ١٩٣] يعني: فكفوا عنهم ولا تعتدوا عليهم.

والمشرك ظالم؛ لأنه وضع العبادة في غير موضعها، فالعبادة حق الله ﷻ والمشرك عبد غير الله وهو من أظلم الناس فالشرك أظلم الظلم.

• [٤١٢١] أتى المؤلف رحمه الله بحديث ابن عمر رضي الله عنهما على هذه الآية وفيه أنه **«أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير»** يعني في القتال بينه وبين الحجاج بن يوسف أمير عبد الملك بن مروان؛ وذلك أنه بعد موت يزيد بن معاوية بايع الناس عبد الله بن الزبير بالخلافة، وكان خليفة على مكة والمدينة والطائف وعقدت له البيعة في الشام ولم يبق إلا قليل من بعض بلاد الشام فقام مروان بن الحكم ودعا لنفسه بالخلافة، ثم توفي فقام بعده عبد الملك بن مروان وأخذ الشام من ابن الزبير شيئا فشيئا حتى أخذ العراق، ثم جعل يقاتل عبد الله بن الزبير، ووكل المهمة إلى الحجاج بن يوسف وكان أميرا على العراق فجعل الحجاج يرسل الجيوش إلى مكة لقتال عبد الله بن الزبير لإخضاعه حتى يستنقذ منه الحجاز لعبد الملك بن مروان، فصار يقاتل عبد الله بن الزبير حتى انتصر عليه وأتى بجيشه ورمى الكعبة بالمنجنيق حتى هدمها، ثم قتل عبد الله بن الزبير وصلبه على خشبة ثلاثة أيام، وانتهت خلافة عبد الله بن الزبير واستتب الأمر لعبد الملك بن مروان وبويع بالخلافة وبايعه أهل الحل والعقد.

فقوله: **«أتاه رجلان في فتنة ابن الزبير»** يعني: في أثناء القتال، وكان عبد الله بن عمر يعتزل الناس في الفتنة ولا يشارك وعبد الله بن الزبير هو الخليفة وهو صحابي وهو الذي تمت له البيعة وهو الذي عمل بالحديث لما بلغه أن النبي ﷺ قال: **«لولا أن قومك حديثو عهد بشرك لنقضت الكعبة وأدخلت الحجر وجعلت لها بابين»**(١) فأدخل الحجر وصار يستلم الأركان الأربعة كلها وفتح بابا غربيا وأنزل الباب الشرقي، وكان مرتفعا، وصار الناس يدخلون من باب، ويخرجون من باب؛ فلما قتل الحجاج عبد الله بن الزبير أعاد بناء الكعبة على ما كانت عليه في الجاهلية فأخرج الحجر وسد الباب الغربي ورفع الباب الشرقي.

ويقال: إن عبد الملك بن مروان لما جاء يطوف بالبيت وقال: إن ابن الزبير يكذب على رسول الله ﷺ ويقول كذا وكذا، فسمعه بعضهم، فقال: لا تقل هكذا يا أمير المؤمنين؛ فإني سمعت عائشة تقول كذا وكذا، فأطرق وقال: ليتنا تركناه وما أراد(٢). والله سبحانه وتعالى يحكم بينهما بحكمه العدل.

---

(١) أحمد (٦/ ١٣٦)، والبخاري (١٢٦)، ومسلم (١٣٣٣)، واللفظ له.
(٢) انظر «البداية والنهاية» (١١/ ٦٩٣).

فعبد الله بن عمر يعتزل الناس في وقت القتال ولا يبايع واحدًا منهما حتى يستتب الأمر لواحد كما فعل في القتال بين علي ومعاوية ؛ حيث اعتزل حتى بويع لمعاوية لما قتل علي رضي الله عنه وتنازل الحسن لمعاوية وتمت البيعة فبايعه وكذلك لما تمت البيعة لعبد الملك بن مروان بايعه عملًا بالأحاديث في اعتزال الفتنة .

قوله : **«فقالا : إن الناس ضيعوا وأنت ابن عمر وصاحب النبي ﷺ فما يمنعك أن تخرج ؟»** يعني : قال هذان الرجلان : إن عبد الله بن الزبير خرج على الخليفة ، فهو معتد ولابد من قتاله فاخرج وجاهد في سبيل الله . فجعلوه جهادًا!

قوله : **«يمنعني أن الله حرم دم أخي»** ابن الزبير .

فقالا له -كأنه جدال : **«ألم يقل الله : ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾** [البقرة : ١٩٣]**»** وهذه الآية في المشركين فجعلاها في عبد الله بن الزبير .

فقال عبد الله بن عمر : **«قاتلنا حتى لم تكن فتنة وكان الدين لله»** يعني : على عهد النبي ﷺ قاتلوا المشركين حتى زال الشرك وكان الدين لله .

ثم قال : **«وأنتم تريدون أن تقاتلوا حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله»** يعني : قتالكم ليس بجهاد في سبيل الله حتى أشارككم ، هذا قتال فتنة ؛ نحن قاتلنا مع النبي ﷺ حتى زال الشرك وكان الدين لله وأنتم تريدون أن نقاتل حتى تكون فتنة ويكون الدين لغير الله .

قوله : **«أن رجلا أتى ابن عمر فقال : يا أبا عبدالرحمن ، ما حملك على أن تحج عامًا وتعتمر عامًا ، وتترك الجهاد في سبيل الله عز وجل؟»** ؛ فقد كان ابن عمر يكثر الحج فيحج كل سنة ويعتمر ، يعني : فلتقاتل ابن الزبير ، فسماه جهادا في سبيل الله بحسب اعتقاده ؛ لأنه يزعم أن عبد الله بن الزبير خرج عن طاعة الإمام ، وهو عبد الملك بن مروان ، وإن كان الصواب عند غيره خلافه .

قوله : **«قد علمت ما رغب الله فيه»** يعني : الجهاد ، فكيف تحج وتعتمر وتترك الجهاد ولا تقاتل ابن الزبير؟

فأجاب عبد الله بن عمر قال : **«يا ابن أخي ، بني الإسلام على خمس : إيمان بالله ورسوله والصلاة الخمس وصيام رمضان وأداء الزكاة وحج البيت»** يعني : ما تذكره ليس من الأركان .

قوله : «**قال : يا أبا عبدالرحمن ، ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه** : ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا ٱلَّتِي تَبْغِي حَتَّىٰ تَفِيٓءَ إِلَىٰٓ أَمْرِ ٱللَّهِ﴾ [الحجرات : ٩] ، ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة : ١٩٣]؟» يعني : مقصوده أن ابن الزبير طائفة تقاتل ، وعبد الملك بن مروان طائفة تقاتل وأن عبد الله بن الزبير من البغاة والله يقول : ﴿فَقَٰتِلُوا ٱلَّتِي تَبْغِي﴾ ؛ فلماذا لا تقاتل ابن الزبير مع أنه فئة باغية؟ وكذلك قال الله : ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ .

فأجاب عبد الله بن عمر «**قال : فعلنا على عهد رسوله وكان الإسلام قليلا ، فكان الرجل يفتن في دينه : إما قتلوه أو يعذبوه حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة**» .

قوله : «**قال : فما قولك في علي وعثمان؟**» يحتمل أن السائل من الخوارج أو من غيرهم .

فأجابه ابن عمر رضي الله عنهما «**قال : أما عثمان فكان الله عفا عنه ، وأما أنتم فكرهتم أن تعفوا عنه**» يعني : عفا عنه في تخلفه عن بدر ؛ قال : ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ وَٱللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران : ١٥٢] وكذلك في الفرار يوم أحد ؛ قال : ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ [آل عمران : ١٥٢] ذكره الله في غزوة أحد لما فروا في أول الغزوة بعد أن كان النصر للمسلمين ، ثم بعد ذلك لما أخل الرماة حصلت النكسة ففر كثير من الصحابة ، فأنزل الله : ﴿وَلَقَدْ عَفَا عَنكُمْ﴾ أي : الفرار ، وهو ممن عفا عنه .

قوله : «**وأما علي فابن عم رسول الله ﷺ وختنه**» ؛ لأنه زوج ابنة النبي ﷺ ، والختن : القريب من جهة الزوجة ، فالأقارب من جهة الزوجة يقال لهم : أختان ، والأقارب من جهة الزوج يقال لهم : أحماء ، والصهر يطلق على هؤلاء وهؤلاء .

قوله : «**وأشار بيده فقال : هذا بيته حيث ترون**» أي : بيت علي رضي الله عنه .

وكأنه خفي على ابن عمر كما خفي على جماعة من الصحابة في فهم الآية : ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا﴾ [الحجرات : ٩] وإلا فالصواب أن هذه الآية : ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا﴾ عامة وأنه يجب قتال الباغي .

وفي قتال علي مع معاوية كان الحق مع علي رضي الله عنه ، ومع ابن الزبير في قتال عبد الملك بن مروان فيجب القتال معهما على الباغي ، فابن الزبير تمت له البيعة من أهل الحل والعقد بعد

موت يزيد بن معاوية، ولكن ابن عمر وجماعة من الصحابة خفي عليهم الأمر فتوقفوا، كأبي بكرة وأسامة بن زيد وسلمة بن الأكوع وجماعة، كما أن عائشة وطلحة والزبير خفي عليهم الأمر فجاءوا في وقعة الجمل يطالبون بدم عثمان عن اجتهاد فوقعت فتنة الجمل، فالصحابة ﷺ ما بين مجتهد مصيب له أجران: أجر الاجتهاد وأجر الصواب، وما بين مجتهد مخطئ فاته أجر الصواب، وحصل على أجر الاجتهاد ﷺ؛ فقتالهم ليس قتالا عن هوى وبغي، فالقتال الذي يكون عن هوى أو بغي هو الذي ورد فيه الوعيد الشديد كقوله ﷺ: **«إذا التقى المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار»**(١)، وقوله ﷺ: **«لا ترجعوا بعدي كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض»**(٢)، أما إذا كان القتال عن اجتهاد وتأويل فلا يدخل في هذا، فالصحابة ﷺ قاتلوا عن تأويل؛ فعلي ﷺ تمت له البيعة من أكثر أهل الحل والعقد، أما أهل الشام ومعاوية امتنعوا؛ فعلي ﷺ رأى أنه يجب إخضاعهم ويجب عليهم أن يبايعوه، ومعاوية اجتهد ومن معه وهم يطالبون بدم عثمان وأنهم أولى الناس به، وأنه إذا ترك دم عثمان فإنه يتجاوز طغيان قاتليه على غيره، وعلي ﷺ لا يمانع ولكنه لا يستطيع في الوقت الحاضر أن يأخذ القتلة وهم لا يُعرفون بأعيانهم، وهناك من تنتصر له قبيلته، فعليٌّ ﷺ يقول: إذا هدأت الأمور وعرفوا أخذناهم، ولكن معاوية لم يوافق على هذا فحصل قتال، والصواب مع علي ﷺ كما أخبر النبي ﷺ قال: **«عمار تقتله الفئة الباغية»**(٣) فهم بغاة ولكن لا يعلمون أنهم بغاة.

فأخذ الصحابة الذين امتنعوا عن القتال بالأحاديث التي فيها القعود عن القتال في وقت الفتنة كحديث: **«ستكون فتن القاعد فيها خير من القائم والقائم خير من الماشي من استشرف لها تستشرفه»**(٤) وفي بعض الأحاديث في الفتنة الأمر بكسر جفون السيوف(٥) فهم خافوا ولم يتبين لهم الأمر فاعتزلوا الفريقين ﷺ.

* * *

---

(١) أحمد (٤/ ٤٠١)، والبخاري (٣١)، ومسلم (٢٨٨٨).
(٢) أحمد (١/ ٢٣٠)، والبخاري (١٢١)، ومسلم (٦٥).
(٣) أحمد (٢/ ٢٠٦)، والبخاري (٤٤٧)، ومسلم (٢٩١٥).
(٤) أحمد (١/ ١٦٨)، والبخاري (٣٦٠٢)، ومسلم (٢٨٨٦).
(٥) أحمد (٤/ ٤١٦)، ومسلم (٢٨٨٧).

المتن

[٣٣/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [البقرة: ١٩٥]

التهلكة والهلاك واحد

• [٤١٢٢] حدثني إسحاق، قال: أنا النضر، قال: أنا شعبة، عن سليمان، قال: سمعت أبا وائل، عن حذيفة، ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾، قال: نزلت في النفقة.

الشرح

هذه الترجمة على قوله تعالى: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ وَأَحْسِنُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾.

• [٤١٢٢] ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هذه الترجمة حديث حذيفة رضي الله عنه، وفيه قوله في قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾ «**قال: نزلت في النفقة**» يعني: ترك النفقة في سبيل الله هلاك، كما جاء مفسرًا في حديث أبي أيوب رضي الله عنه، وكذلك يشمل الهلاك إنفاق الأموال في غير وجوهها المشروعة.

وفسر أبو أيوب رضي الله عنه هذه الآية قال: لما كان القتال في صف الروم حمل رجل على الروم ودخل في صفوف الروم وخرج. فقال الناس: سبحان الله! يلقي بيده إلى التهلكة. فقال أبو أيوب: أيها الناس إنكم تحملون هذه الآية على غير تأويلها، وإننا كنا نجاهد مع رسول الله ﷺ فلما أعز الله الإسلام وأهله قلنا: لو بقينا في أموالنا ومزارعنا نصلحها؛ فأنزل الله: ﴿وَلَا تُلْقُواْ بِأَيْدِيكُمْ إِلَى ٱلتَّهْلُكَةِ﴾[1] فالتهلكة هي الإقامة في الأموال وإصلاحها وترك الجهاد في سبيل الله.

---

(١) أبو داود (٢٥١٢)، والترمذي (٢٩٧٢).

وأما كون الواحد يحمل على العدد الكثير من العدو فهذا يؤخذ من نصوص أخرىٰ، وأنه لا ينبغي لإنسان أن يحمل على العدد الكثير، لكن إذا رأىٰ أن في ذلك قوة ومصلحة للمسلمين وأنه يؤثر فلا بأس.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ: «قوله: «**التهلكة والهلاك واحد**» هو تفسير أبي عبيدة، وزاد: والهلاك والهلك يعني: بفتح الهاء وبضمها واللام ساكنة فيهما، وكل هذه مصادر هلك بلفظ الفعل الماضي، وقيل: التهلكة ما أمكن التحرز منه، والهلاك بخلافه. وقيل: التهلكة نفس الشيء المهلك. وقيل: ما تضر عاقبته، والمشهور الأول.

ثم ذكر المصنف حديث حذيفة في هذه الآية قال: «**نزلت في النفقة**» أي: في ترك النفقة في سبيل الله ﷻ، وهذا الذي قاله حذيفة جاء مفسرا في حديث أبي أيوب الذي أخرجه مسلم والنسائي وأبو داود والترمذي وابن حبان والحاكم من طريق أسلم أبي عمران قال: كنا بالقسطنطينية، فخرج صف عظيم من الروم، فحمل رجل من المسلمين علىٰ صف الروم حتىٰ دخل فيهم، ثم رجع مقبلا. فصاح الناس: سبحان الله! ألقىٰ بيده إلى التهلكة. فقال أبو أيوب: أيها الناس، إنكم تؤلون هذه الآية علىٰ هذا التأويل، وإنما نزلت هذه الآية فينا معشر الأنصار؛ إنا لما أعز الله دينه وكثر ناصروه قلنا بيننا سرًّا: إن أموالنا قد ضاعت، فلو أنا أقمنا فيها وأصلحنا ما ضاع منها؛ فأنزل الله هذه الآية، فكانت التهلكة الإقامة التي أردناها. وصح عن ابن عباس وجماعة من التابعين نحو ذلك في تأويل الآية[1]، وروىٰ ابن أبي حاتم من طريق زيد بن أسلم أنها كانت نزلت في ناس كانوا يغزون بغير نفقة، فيلزم علىٰ قوله اختلاف المأمورين؛ فالذين قيل لهم: ﴿وَأَنفِقُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٩٥]: أصحاب الأموال، والذين قيل لهم: ﴿وَلَا تُلۡقُواْ﴾ [البقرة: ١٩٥]: الغزاة بغير نفقة، ولا يخفىٰ ما فيه. ومن طريق الضحاك بن أبي جبيرة: كان الأنصار يتصدقون، فأصابتهم سنة فأمسكوا؛ فنزلت.

وروىٰ ابن جرير وابن المنذر بإسناد صحيح عن مدرك بن عوف قال: إني لعند عمر، فقلت: إن لي جارًا رمىٰ بنفسه في الحرب فقتل، فقال ناس: ألقىٰ بيده إلى التهلكة، فقال عمر: كذبوا، لكنه اشترىٰ الآخرة بالدنيا.

---

(١) أبو دواد (٢٥١٢)، والترمذي (٢٩٧٢)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٦/ ٢٩٩)، والحاكم (٢/ ٣٠٢).

وجاء عن البراء بن عازب في الآية تأويل آخر أخرجه ابن جرير وابن المنذر وغيرهما عنه بإسناد صحيح عن أبي إسحاق قال: قلت للبراء: أرأيت قول الله ﷻ: ﴿وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾ [البقرة: ١٩٥] هو الرجل يحمل على الكتيبة فيها ألف؟ قال: لا، ولكنه الرجل يذنب فيلقي بيده فيقول: لا توبة لي. وعن النعمان بن بشير نحوه، والأول أظهر؛ لتصدير الآية بذكر النفقة، فهو المعتمد في نزولها».

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما قصرها عليه ففيه نظر؛ لأن العبرة بعموم اللفظ، على أن أحمد أخرج الحديث المذكور من طريق أبي بكر -وهو ابن عياش- عن أبي إسحاق بلفظ آخر قال: قلت للبراء: الرجل يحمل على المشركين أهو ممن ألقى بيده إلى التهلكة؟ قال: لا؛ لأن الله تعالى قد بعث محمدًا فقال: ﴿فَقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ [النساء: ٨٤]، فإنما ذلك في النفقة. فإن كان محفوظا فلعل للبراء فيه جوابين».

* * *

المتن

[٣٤/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ﴾ [البقرة: ١٩٦]

• [٤١٢٣] حدثنا آدم، قال: نا شعبة، عن عبدالرحمن بن الأصبهاني، قال: سمعت عبدالله ابن معقل قال: قعدت إلى كعب بن عجرة في هذا المسجد - يعني مسجد الكوفة - فسألته عن فدية من صيام، فقال: حملت إلى النبي ﷺ والقَمْلُ يتناثر على وجهي، فقال: **«ما كنت أرى أن الجهد بلغ بك هذا، أما تجد شاة؟»**، قلت: لا، قال: **«صم ثلاثة أيام، أو أطعم ستة مساكين؛ لكل مسكين نصف صاع من طعام، واحلق رأسك»**، فنزلت في خاصة وهي لكم عامةً.

الشرح

هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ مِنكُم مَّرِيضًا أَوْ بِهِۦٓ أَذًى مِّن رَّأْسِهِۦ فَفِدْيَةٌ مِّن صِيَامٍ أَوْ صَدَقَةٍ أَوْ نُسُكٍ﴾ [البقرة: ١٩٦] بين الله تعالى فيها أن المريض أو الذي به أذى من رأسه إذا فعل محظورا من محظورات الإحرام؛ كأن يحلق رأسه وهو محرم، فإنه يخير بين واحدة من ثلاثة أمور؛ هي: الصدقة أو الصيام أو النسك. والنسك: أن يذبح شاة.

• [٤١٢٣] ذكر المؤلف رحمه الله حديث كعب بن عجرة رضي الله عنه موضحًا ومفسرًا ما جاء في الآية الكريمة، ففسر الصيام بأنه: صيام ثلاثة أيام، وفسر الصدقة بأنها: إطعام ستة مساكين، وفسر النسك بأنه: ذبح شاة؛ فإذا فعل محظورًا من محظورات الإحرام يخير بين واحد من ثلاثة أمور: إما أن يصوم ثلاثة أيام، أو يطعم ستة مساكين؛ لكل مسكين نصف صاع، أو يذبح شاة، فإذا حلق رأسه وهو محرم ليداوي جروحًا أو يزيل أذًى في رأسه، أو غطى رأسه، أو لبس مخيطًا لأجل البرد، وما أشبه ذلك فإنه يؤدي الفدية ولا شيء عليه، أما إذا فعل محظورًا من دون سبب أو حاجة فإنه يأثم وعليه الفدية.

قوله: **«قعدت إلى كعب بن عجرة في هذا المسجد -يعني مسجد الكوفة- فسألته عن فدية من صيام، فقال: حملت إلى النبي ﷺ والقمل يتناثر على وجهي، فقال: ما كنت أرى أن الجهد بلغ بك هذا»** يعني: المشقة.

قوله : **«أما تجد شاة»** يحتمل أنه من تصرف بعض الرواة ، والظاهر أنها من قول الرسول ﷺ فهي تدل على أن الشاة مقدمة على الصيام والإطعام ، وأنها أولى وأفضل وليست واجبة وحدها ، بل هو مخير بين واحد من هذه الثلاثة للأحاديث الكثيرة التي ذكر فيها التخيير .

وأمره أن يحلق رأسه لأنه إذا حلق رأسه زال القمل ، وهي حشرات تكون في الشعر إذا كان هناك وسخ هي تؤذي ، وتذهب مع النظافة .

فأمره النبي ﷺ أن يذبح شاة أو يصوم ثلاثة أيام أو يطعم ستة مساكين ؛ لكل مسكين نصف صاع .

وقوله : **«لكل مسكين نصف صاع»** هذا هو مقدار ما يعطاه المسكين فدية للأذى ، وأخذ منه العلماء مقدار ما يعطاه في كفارة اليمين ، وأنها نصف صاع ، أما قول الفقهاء : نصف صاع أو مد بر ، فهو اجتهاد من الفقهاء ، قالوا : البر ربع صاع وغير البر نصف صاع ، والصاع أربع حفنات من كفي الرجل المتوسط ؛ يملأ يديه المتوسطتين أربع مرات ، ونصف الصاع مرتين ، وربع الصاع مرة واحدة ، وهذا اجتهاد من الفقهاء ، والأصل في ذلك أنه اجتهاد من معاوية رضي الله عنه حينما جاء بر سامراء في الشام قال : أرى أن المد من هذه الثمرة يعدل مدين ، فأخذ الناس بذلك ، فكان يرى أنه في زكاة الفطر يكفي نصف صاع من البر ، لكن هذا ليس مستمرا ؛ فقد يكون التمر أغلى من البر في بعض الأحيان ؛ فيرجع إلى الأصل في الكفارة ، وهو نصف صاع ، والصواب أنه نصف صاع من البر ومن غيره ولم يوافق بعض الصحابة معاوية ؛ ولهذا قال أبو سعيد : أما أنا فلا أزال أخرجه صاعًا كما كنت في عهد النبي ﷺ[١] .

* * *

---

(١) مسلم (٩٨٥) .

المتن

[٣٥/ ٥٦] باب ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: ١٩٦]

• [٤١٢٤] حدثنا مسدد، قال: نا يحيى، عن عمران أبي بكر، قال: نا أبو رجاء، عن عمران ابن حصين قال: أنزلت آية المتعة في كتاب الله ففعلناها مع رسول الله ﷺ، ولم يَنْزل قرآنٌ يحرمه، فلم يَنْهَ عنها، حتى مات قال رجل برأيه ما شاء.

الشرح

• [٤١٢٤] قوله: «**أنزلت آية المتعة في كتاب الله**» وهي قوله تعالى: ﴿فَمَن تَمَتَّعَ بِٱلْعُمْرَةِ إِلَى ٱلْحَجِّ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ [البقرة: ١٩٦].

قوله: «**ففعلناها مع رسول الله ﷺ ولم ينزل قرآن يحرمه**» أي: التمتع، وهو أن يحرم الإنسان بالعمرة ثم يطوف ويسعى ويقصر ويتحلل ثم يحرم بالحج من عامه، وكانوا قبل الإسلام لا يرون المتعة في وقت الحج، بل يرون التمتع في أشهر الحج من أفجر الفجور، ويرون أن المتعة لا تكون إلا إذا انتهى الحج، ورجع الحجاج، ويقولون: إذا برأ الدبر وعفا الأثر وانسلخ شهر صفر حلت العمرة لمن اعتمر. وقد خالفهم النبي ﷺ، وأمر الناس وألزمهم أن يتمتعوا إلا من ساق الهدي.

ثم بعد ذلك اجتهد الخلفاء الثلاثة: الصديق وعمر وعثمان رضي الله عنهم وصاروا يأمرون الناس بالإفراد، ولا يأمرونهم بالمتعة؛ ويقولون: زال اعتقاد أهل الجاهلية ونحن نعلم أن الرسول أمر بالمتعة، لكن نحن نأمر الناس بالإفراد حتى يأتوا بالعمرة في وقت آخر، فلا يزال هذا البيت يحج ويعتمر، وهذا اجتهاد منهم، ولكن الصواب أن المتعة أفضل.

ولهذا كان ابن عباس وعمران بن حصين وعليٌّ وأبو موسى الأشعري يفتون بالمتعة، ولما ناظر بعض الناس ابن عباس وقالوا له: أنت تأمر بالمتعة وأبو بكر وعمر يأمران بالإفراد قال: يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول: قال رسول الله وتقولون: قال أبو بكر وعمر. يعني: أنتم تعارضون السنة بقول أبي بكر وعمر، فإذا كان الذي يعارض السنة بقول أبي بكر وعمر يُخشى أن تنزل عليه حجارة من السماء فكيف بمن عارض السنة بقول بعيد؟!

قوله : «**فلم ينه عنها حتى مات**» أي : الرسول ﷺ .

قوله : «**قال رجل برأيه ما شاء**» يشير إلى اجتهاد عمر ، وأبي بكر وعثمان في نهيهم عن المتعة ، والصواب مع عمران وأبي موسى وابن عباس وهو مشروعية المتعة ، وأنها أفضل من القران والإفراد ؛ وقد أمر بها النبي ﷺ .

ولا يؤخذ بقول الصحابي ولا بقول الخلفاء الراشدين إذا خالفوا السنة ، بل السنة حاكمة ومقدمة على الجميع ، ولكن يؤخذ بقولهم إذا لم توجد السنة .

ومع ذلك لما قيل لأبي موسى -وكان يفتي الناس بالمتعة : إن الخليفة عمر يأمر الناس بالإفراد . قال : يا أيها الناس اتئدوا ، فإن الخليفة قادم عليكم وأتموا به ؛ من أجل ألا يخالف ولي الأمر .



المتن

[٣٦/ ٥٦] **باب** ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]

• [٤١٢٥] حدثني محمد، قال: أنا ابن عيينة، عن عمرو، عن ابن عباس قال: كانت عُكَاظُ مَجَنَّةُ وذو المَجَازِ أسواقا في الجاهلية، فَتَأَثَّمُوا أن يتَّجِروا في المواسم، فنزلت: ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ في مواسم الحج.

الشرح

• [٤١٢٥] قوله: **«كانت عكاظ مجنة وذو المجاز أسواقا في الجاهلية»** أي: كانوا في الجاهلية يتجرون في هذه الأسواق وفيها معايشهم؛ لأنهم كانوا يعيشون على التجارة.

قوله: **«فتأثموا أن يتجروا في المواسم»** أي في مواسم الحج؛ يعني لما جاء الله بالإسلام خافوا من الإثم، قالوا: سنبيع ونشتري في موسم الحج؟! فأنزل الله: «﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَبْتَغُوا فَضْلًا مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨] **في مواسم الحج**» فرفع الله الحرج.

فلا بأس أن يبيع الإنسان ويشتري وهو في أثناء الحج، ما دام يؤدي مناسك الحج.

* * *

المتن

[٣٧/ ٥٦] ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩]

• [٤١٢٦] حدثنا علي بن عبدالله، قال: نا محمد بن خازم، قال: نا هشام، عن أبيه، عن عائشة، كانت قريش ومن دان دينها يقفون بالمزدلفة، وكانوا يُسَمَّوْنَ الحُمْسَ، وكان سائر العرب يقفون بعرفات، فلما جاء الإسلام أمر الله نبيه أن يأتي عرفات ثم يقف بها، ثم يفيض منها، فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾.

• [٤١٢٧] حدثني محمد بن أبي بكر، قال: نا فضيل بن سليمان، قال: نا موسى بن عقبة، قال: أخبرني كريب، عن ابن عباس قال: يطوف الرجل بالبيت ما كان حلالًا حتى يُهِلَّ بالحج، فإذا ركب إلى عرفة فمن تيسر له هديه من الإبل أو البقر أو الغنم ما تيسر له من ذلك أي ذلك شاء، غير إن لم يتيسر له فعليه ثلاثة أيام في الحج؛ وذلك قبل يوم عرفة، فإن كان آخرَ يوم من الأيام الثلاثة يوم عرفة، فلا جناح عليه، ثم لينطلق حتى يقف بعرفات من صلاة العصر إلى أن يكون الظلام، ثم ليدفعوا من عرفات إذا أفاضوا منها، حتى تبلغوا جمعا الذي يُتَبَرَّزُ به، ثم ليذكروا الله كثيرًا، وأكثروا التكبير والتهليل قبل أن تصبحوا، ثم أفيضوا فإن الناس كانوا يفيضون، وقال ﷻ: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ حتى ترموا الجمرة.

الشرح

ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الترجمة على قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ والإفاضة تكون من عرفات.

• [٤١٢٦] قوله في حديث عائشة رضي الله عنها: **«كانت قريش ومن دان دينها»** يعني: ومن كان معهم على رأيهم، **«يقفون بالمزدلفة»** أي: كانوا يفعلون ذلك من جهلهم، وكانت قريش يحجون في الجاهلية وهم على شركهم على ما توارثوه من دين أبيهم إبراهيم، وكانت قريش تقف بمزدلفة، وهذه من الأشياء التي غيروها من دين إبراهيم، فإذا قيل لهم: لماذا؟ قالوا: ما نتعدى حدود الحرم وحدود الحرم مزدلفة، وعرفة ليست من الحرم، **«وكانوا يسمون الحمس»** من تحمسهم وتشددهم، **«وكان سائر العرب يقفون بعرفات»** على ما توارثوه من دين أبيهم إبراهيم عليه السلام ولم يتغير لديهم.

فلما جاء الإسلام أنكر الله على قريش وقوفهم بمزدلفة، وأمر الله نبيه أن يأتي عرفات ثم يقف بها ويخالف قريشا، ثم يفيض من عرفات؛ فذلك قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ﴾ [البقرة: ١٩٩] والإفاضة تكون بعد الوقوف بعرفة.

• [٤١٢٧] ثم ذكر حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه قوله: **«يطوف الرجل بالبيت ما كان حلالا حتى يهل بالحج»** يعني: إذا اعتمر يطوف ويسعى ويقصر ويتحلل، فإذا أهل بالحج ركب إلى عرفة.

وقوله: **«فمن تيسر له هديه من الإبل أو البقر أو الغنم ما تيسر له من ذلك أي ذلك شاء»** يعني: يذبح ما شاء من ذلك.

قوله: **«غير إن»** -وفي لفظ: «غير أنه إن»- **«لم يتيسر له فعليه ثلاثة أيام في الحج وذلك قبل يوم عرفة»** يعني إذا كان متمتعا فأحرم بالعمرة، ثم أحرم بالحج من عامه، فعليه أن يذبح ما تيسر من الإبل أو البقر أو الغنم، والواجب شاة، أو سبع بدنة، أو سبع بقرة، فإن لم يتيسر له شيء لفقره أو لم يجد فإنه يصوم ثلاثة أيام في الحج وسبعة إذا رجع كما قال الله: ﴿فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ فِي الْحَجِّ وَسَبْعَةٍ إِذَا رَجَعْتُمْ﴾ [البقرة: ١٩٦].

قوله: **«فإن كان آخر يوم من الأيام الثلاثة يوم عرفة فلا جناح عليه»** أي: يجوز أن يصوم السابع والثامن والتاسع ولكن الأفضل أن تكون قبل يوم عرفة يعني: يكون مفطرا يوم عرفة.

قوله: **«ثم لينطلق حتى يقف بعرفات من صلاة العصر»** لأنها مجموعة مع الظهر في وقت الظهر فيصلي الظهر والعصر ثم يقف **«إلى أن يكون الظلام»** يعني: إلى غروب الشمس **«ثم ليدفعوا من عرفات إذا أفاضوا منها حتى تبلغوا»** بالمثناة الفوقية -وفي لفظ: **«يبلغوا»**- **«جمعا»** وجمع: هي المزدلفة؛ سميت جمعا لاجتماع الناس.

قوله: **«الذي يتبرز به»** وفي اللفظ الآخر: **«الذي يتبرر فيه»** يعني: يطلب فيه البر؛ لأن الناس تقف في المزدلفة ويذكرون الله ﷻ عند المشعر الحرام، **«ثم ليذكروا الله كثيرا»** كما قال الله: ﴿فَإِذَا أَفَضْتُم مِّنْ عَرَفَٰتٍ فَاذْكُرُوا اللَّهَ﴾ [البقرة: ١٩٨]، **«وأكثروا التكبير والتهليل

قبل أن تصبحوا»، وفي لفظ: **«أو أكثروا»**، ويكون الإكثار من الذكر بعد صلاة الفجر قبل الإسفار؛ لأن الوقوف بالمشعر الحرام يكون بعد صلاة الفجر، ويحتمل أن الإكثار من الذكر يكون في الليل، **«ثم أفيضوا فإن الناس كانوا يفيضون»**، ثم ذكر الآية: **﴿ثُمَّ أَفِيضُوا مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ النَّاسُ وَاسْتَغْفِرُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾** [البقرة: ١٩٩]، **«حتى ترموا الجمرة»** أي: جمرة العقبة، وهي ثلاث: الصغرى، والوسطى، والكبرى.

* * *

المتن

[٣٨/ ٥٦] ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً﴾ [البقرة: ٢٠١] الآية

• [٤١٢٨] حدثنا أبو معمر، قال: نا عبدالوارث، عن عبدالعزيز، عن أنس قال: كان النبي ﷺ يقول: «**اللهم ﴿ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ﴾** [البقرة: ٢٠١]».

الشرح

• [٤١٢٨] فيه مشروعية هذا الدعاء وهو من أجمع الدعاء وكان النبي ﷺ يختم به الدعاء في الطواف(١) وهو أكثر دعائه(٢)، يقول الله تعالى: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ فَٱذْكُرُوا۟ ٱللَّهَ كَذِكْرِكُمْ ءَابَآءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْرًا ۗ فَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا وَمَا لَهُۥ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنْ خَلَٰقٍ﴾ [البقرة: ٢٠٠] فبعض الناس يطلب الدنيا فقط، ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ۝٢٠١ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ نَصِيبٌ مِّمَّا كَسَبُوا۟﴾ [البقرة: ٢٠١، ٢٠٢] وحسنة الدنيا: الزوجة الصالحة، والرزق الهنيء، والبيت الفسيح، وأما حسنة الآخرة: النجاة من النار، ودخول الجنة.

* * *

---

(١) أحمد (٣/ ٤١١)، وأبو داود (١٨٩٢).

(٢) أحمد (٣/ ١٠١)، والبخاري (٦٣٨٩)، ومسلم (٢٦٩٠).

المتن

[٣٩/ ٥٦] ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ [البقرة: ٢٠٤]

وقال عطاء: النسل: الحيوان.

• [٤١٢٩] حدثنا قبيصة، قال: نا سفيان، عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة ترفعه، قال: **«أبغض الرجال إلى الله الألدُّ الخَصِمُ»**.

وقال عبدالله: نا سفيان، عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة، عن عائشة، عن النبي ﷺ.

الشرح

هذه الترجمة على قوله تعالى: **﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾** والخصام جمع خصم والألد: هو شديد المخاصمة، وهذا في وصف المنافق، ثم قال تعالى: **﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْفَسَادَ ۝ وَإِذَا قِيلَ لَهُ ٱتَّقِ ٱللَّهَ أَخَذَتْهُ ٱلْعِزَّةُ بِٱلْإِثْمِ ۚ فَحَسْبُهُۥ جَهَنَّمُ ۚ وَلَبِئْسَ ٱلْمِهَادُ﴾** [البقرة: ٢٠٥، ٢٠٦].

• [٤١٢٩] ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث عائشة رضي الله عنها، وفيه قوله: **«أبغض الرجال إلى الله الألد الخصم»** يعني: شديد الخصومة؛ ففيه التحذير من الخصومة، والخصومة من شدة الجدال.

فيه إثبات البغض لله عز وجل، والرد على من أنكره، وأن كثير الخصومة يبغضه الله عز وجل؛ ففيه التحذير من الخصومة واللدد وشدة الخصومة وأنه ينبغي للإنسان أن يكون سهلا بعيدا عن الخصومة والجدال والنزاع والشقاق وأن يسلك الطريق الأيسر والأسهل؛ **«يسروا ولا تعسروا»**(١)، ولما بعث النبي ﷺ معاذا وأبا موسى رضي الله عنهما قال: **«يسرا ولا تعسرا وبشرا ولا تنفرا وتطاوعا ولا تختلفا»**(٢).

قوله: **«وقال عطاء: النسل: الحيوان»** يريد قوله تعالى: **﴿وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ ٱلْحَرْثَ وَٱلنَّسْلَ﴾** فالمراد بالنسل -كما فسرها عطاء: الحيوان، والنسل يكون من الناس ومن الأنعام. والحرث: الزرع.

---

(١) أحمد (٣/ ١٣١)، والبخاري (٦٩)، ومسلم (١٧٣٤).
(٢) أحمد (٤/ ٤١٧)، والبخاري (٣٠٣٨)، ومسلم (١٧٣٣).

وإهلاك الحرث والنسل بأن يتولى إفساده في الأرض فيكون سببا في هلاك الحرث والنسل .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «قوله : «باب : ﴿وَهُوَ أَلَدُّ ٱلْخِصَامِ﴾ [البقرة : ٢٠٤]» .

﴿أَلَدُّ﴾ : أفعل تفضيل من اللدد وهو من شدة الخصومة .

و ﴿ٱلْخِصَامِ﴾ : جمع خصم ، وزن كلب وكلاب ، والمعنى : وهو أشد المخاصمين مخاصمة ، ويحتمل أن يكون مصدرًا تقول : خاصم خصامًا كقاتل قتالًا ، والتقدير : وخاصمه أشد الخصام مخاصمة ، وقيل : أفعل هنا ليست للتفضيل بل بمعنى الفاعل أي : وهو لديد الخصام أي : شدة المخاصمة فيكون من إضافة الصفة المشبهة» .

وهذا للتحذير من شدة الخصومة واللدد ، والإسلام حث على السماحة في البيع والشراء وغيرهما وحذر من الخصومة .

* * *

المتن

[٤٠/ ٥٦] ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم﴾

[البقرة: ٢١٤] **الآية**

• [٤١٣٠] حدثني إبراهيم بن موسى، قال: أنا هشام، عن ابن جريج، قال: سمعت ابن أبي مليكة يقول: قال ابن عباس: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟﴾ [يوسف: ١١٠] خفيفة، قال: ذهب بها هناك وتلا: ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾، فلقيت عروة بن الزبير فذكرت ذلك له، فقال: قالت عائشة: معاذ الله، والله ما وعد الله رسوله من شيء قط إلا علم أنه كائن قبل أن يموت، ولكن لم يزل البلاء بالرسل حتى خافوا أن يكون من معهم يكذبونهم، فكانت تقرؤها: ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ «كذِّبوا»﴾ [يوسف: ١١٠] مثقلة.

الشرح

• [٤١٣٠] هذه الآية الكريمة وهي قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟﴾ [يوسف: ١١٠] بتخفيف الذال، وهناك قراءة ثانية: **«قَدْ كُذِّبُوا»** مثقلة، ولكل منهما معنى.

أما قراءة التثقيل -كما قالت عائشة- فمعناها: أنه **«لم يزل البلاء بالرسل حتى خافوا أن يكون من معهم يكذبونهم فكانت تقرؤها ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ «كذِّبوا»﴾ مثقلة»**.

وأما القراءة الثانية -وهي قراءة ابن عباس- وهي المخففة الذال، فأنكرتها عائشة ﵂، ولعلها لم يبلغها ثبوتها؛ **«قالت عائشة: معاذ الله»** يعني: أن يكون الرسل يقع في نفوسهم أنهم كذبوا من قبل الله ﷻ، فلا يمكن أن يظن الرسل بالله هذا الظن، ثم قالت: **«والله ما وعد الله رسوله من شيء قط إلا علم أنه كائن قبل أن يموت ولكن لم يزل البلاء بالرسل حتى خافوا أن يكون من معهم يكذبونهم»** هذا ما فهمته عائشة ﵂ من قراءة التخفيف، والصواب أنها قراءة ثابتة فلا يمكن إنكارها، وقولها ﵂ محمول على أن هذا لم يبلغها، فقراءة التخفيف ثابتة ولها معنى صحيح، وهو: أنهم قد كذبوا من قبل أنفسهم من شدة البلاء؛ يعني: خطئوا أنفسهم وحسبوا ذلك من قبل أنفسهم.

وكانت عائشة رضي الله عنها فقيهة وعالمة، بل كانت من أفقه النساء اللائي يرجع إليهن الصحابة، لكنها ليست بمعصومة، فلها أغلاط كغيرها، فليس هناك أحد معصوم عن الغلط إلا الرسل، فهم معصومون فيما يبلغون عن الله ومعصومون عن الشرك والكبائر، أما غيرهم – ولو كان كبيرا– فلابد أن يغلط، ولا يضره هذا الغلط؛ لأنه اجتهاد؛ فيقال: يؤجر على اجتهاده لكن لا يلزم من ذلك الأخذ بقوله.

وهذه الآية في سورة يوسف جاء بها المؤلف رحمه الله؛ لأنها في معنى آية الترجمة التي من سورة البقرة: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ۗ أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤] فالله تعالى يخاطب هذه الأمة يقول: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ﴾ بدون اختبار أو امتحان؟ لابد من الابتلاء والامتحان ولابد من الصبر ﴿وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوْا۟ مِن قَبْلِكُم ۖ مَّسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ﴾ يعني: ابتلوا بالبأساء من الشدة في الحروب والقتال ومنازلة الأعداء وتسليطهم عليهم ﴿وَٱلضَّرَّآءُ﴾ من الأمراض والأسقام والمصائب والنكبات ﴿وَزُلْزِلُوا۟﴾ أي: أصابهم الرعب والخوف ﴿حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ﴾ أي: اشتد بهم البلاء حتى إن الرسل وأتباعهم استبطئوا النصر من شدة البلاء وظنوا أنهم لم يوعدوا بالنصر وقالوا: ﴿مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ﴾؟ قال الله: ﴿أَلَآ إِنَّ نَصْرَ ٱللَّهِ قَرِيبٌ﴾ [البقرة: ٢١٤] يعني: هذا من قول الله.

وهذه الآية معناها نفس معنى آية يوسف؛ ولهذا أتى بآية يوسف، فقال: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ [يوسف: ١١٠] من شدة البلاء والمصائب والنكبات وتسليط الأعداء ﴿وَظَنُّوٓا۟ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا۟ جَآءَهُمْ نَصْرُنَا﴾ [يوسف: ١١٠]، فالنصر يأتي بعد الشدائد، وقال الله تعالى في الآيات الأخرى: ﴿الٓمٓ ۝١ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓا۟ أَن يَقُولُوٓا۟ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُوا۟ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَـٰذِبِينَ﴾ [العنكبوت: ١ – ٣] وفي الحديث الآخر: لما أصاب الصحابة في أول الإسلام في مكة شدة جاءوا، وقالوا: يا رسول الله ألا تدعو الله لنا ألا تستنصر لنا؟! فقال النبي ﷺ: **«إن من كان قبلكم كان يؤتى به فينشر بالمنشار ما بين لحمه وعظمه ويفرق بالمنشار ما بين عظمه**

ولحمه ما يصده ذلك عن دينه ، والله ليتمن الله هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت أو من صنعاء إلى مكة لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم تستعجلون»[1]
هذا مما أصاب من قبلنا ، وكذلك قصة أصحاب الأخدود الذين حفروا أخدودا في الأرض وأضرموا بها نارا ثم فتنوا المؤمنين وألقوهم فيها .

قال العلماء : إذا اشتدت البلايا بالمؤمن وكان متقيا ؛ فرج الله كربته ، وهذا المعنى جاء في قول الله تعالى : ﴿ **وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مَخۡرَجٗا** ﴾ [الطلاق : ٢] .

* * *

(١) أحمد (٥/ ١١١) ، والبخاري (٣٦١٢) .

المَتْنُ

[٤١/ ٥٦] ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] الآية

• [٤١٣١] حدثني إسحاق، قال: أنا النضر بن شُميل، قال: أنا ابن عون، عن نافع قال: كان ابن عمر إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرُغَ منه، فأخذت عليه يومًا، فقرأ سورة البقرة حتى انتهى إلى مكان، قال: تدري فيما أنزلت؟ قلت: لا، قال: أنزلت في كذا وكذا، ثم مضى.

• [٤١٣٢] وعن عبدالصمد، قال: حدثني أبي، قال: حدثني أيوب، عن نافع، عن ابن عمر، ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾، قال: يأتيها في.

رواه محمد بن يحيى بن سعيد، عن أبيه، عن عبيدالله، عن نافع، عن ابن عمر.

• [٤١٣٣] حدثنا أبو نعيم، قال: نا سفيان، عن ابن المنكدر قال: سمعت جابرا قال: كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول، فنزلت: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾.

الشَّرْحُ

هذه الترجمة على قوله تعالى: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ وَاعْلَمُوا أَنَّكُم مُّلَاقُوهُ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ﴾.

قوله تعالى: ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ يعني: من حيث شئتم؛ مقبلة مدبرة مضجعة أو على حرف، فالله سبحانه وتعالى في هذه الآية الكريمة شرع للرجل أن يأتي زوجته حيث شاء من أي جهة بشرط أن يكون في الفرج.

وقوله تعالى: ﴿وَقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُمْ﴾ يعني: للولد، فالمرأة كالحرث أي: مكان الزرع، والولد كالبذر، يعني: أن طلب الولد إنما يكون في الفرج، وهو محل الحرث في الإنسان، كما أن البذر وطلب الزرع إنما يكون في الأرض.

وروي عن بعض السلف قوله: ﴿أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] أن هذا هو الإتيان في الدبر، وهذا قول ضعيف روي عن المالكية[1] ورجعوا عنه.

---

(١) انظر «التاج والإكليل» (٥/ ٢٤).

وروي عن ابن عمر أيضا ، ولكنها أقوال شاذة لا يعول عليها ، والصواب : أن المراد الإتيان في الفرج سواء كان من الأمام أو من الخلف .

وأما الإتيان في الدبر فهذا من الكبائر ؛ فيحرم على الرجل أن يأتي امرأته في دبرها ؛ أي : محل الحش والنجاسات ، وجاء في بعض الأحاديث تسميته بـ «اللوطية الصغرى»(١) .

وجاء عن بعض السلف أنه قال : إذا أتى الرجل امرأته في دبرها فلها أن تطلب الطلاق منه .

• [٤١٣١] ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، وفيه قوله : **«عن نافع»** وهو مولى ابن عمر رضي الله عنهما .

قوله : **«كان ابن عمر رضي الله عنهما إذا قرأ القرآن لم يتكلم حتى يفرغ منه فأخذت عليه يوما فقرأ سورة البقرة حتى انتهى إلى مكان»** أبهم المكان .

وبين الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن إسحاق بن راهويه أخرجه في مسنده وفي تفسيره حيث قال : «حتى انتهى إلى قوله : ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣]» . **«قال»** يعني : ابن عمر لمولاه نافع : **«تدري فيما أنزلت؟»** استفهام ، فيه أن العالم يلقي المسألة على التلاميذ عن طريق السؤال حتى يكون أوقع لهم كما فعل النبي ﷺ قال : **«أتدرون ماذا قال ربكم الليلة؟»** لما صلى بهم في الحديبية ومطروا من الليل ، قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : **«أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر»**(٢) .

وقوله : **«قلت : لا ، قال : أنزلت في كذا وكذا»** أيضا أبهم هنا ، وبين الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه في مسند إسحاق قال : **«نزلت في إتيان النساء في أدبارهن»**(٣) وهذا -كما سبق- قول شاذ رجع عنه .

قوله : **«ثم مضى»** أي : استمر ابن عمر رضي الله عنهما في قراءته لسورة البقرة .

• [٤١٣٢] قوله تعالى : ﴿فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٣] قال ابن عمر رضي الله عنهما : **«يأتيها في»** أبهم .

---

(١) أحمد (٢/ ١٨٢) .

(٢) أحمد (٤/ ١١٧) ، والبخاري (٨٤٦) ، ومسلم (٧١) .

(٣) ذكره السيوطي في «الدر المنثور» (١/ ٦٣٥) ، وعزاه لابن راهويه في «مسنده» و«تفسيره» .

وبين الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ أن المسألة مشهورة صُنف فيها، وأن حديث ابن عمر هذا في إتيان المرأة في دبرها؛ ولكن هذا تفسير ضعيف رجع عنه ولا يعول عليه.

قوله: «**محمد بن يحيى بن سعيد**» هو القطان، أدركه البخاري.

وقد ذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في «**المقدمة**» الاختلاف في هذه الصيغة هل تكون تعليقا أو حديثا مسندا؟

والراجح أنه تعليق إلا إذا صرح بالسماع بأن قال: حدثنا، فإنه يكون حديثا مسندا؛ فهذا الحديث روي معلقا عن ابن عمر، وهو إتيان النساء في أدبارهن، وهذا يكفي في ضعفه.

• [٤١٣٣] **قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «**كانت اليهود تقول: إذا جامعها من ورائها جاء الولد أحول فنزلت: ﴿نِسَآؤُكُمْ حَرْثٌ لَّكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ﴾** [البقرة: ٢٢٣]» هذا السياق قد يوهم أنه مطابق لحديث ابن عمر وليس كذلك؛ فقد أخرجه الإسماعيلي من طريق يحيى بن أبي زائدة عن سفيان الثوري بلفظ: «**باركة مدبرة في فرجها من ورائها**»[(١)]، وكذا أخرجه مسلم من طريق سفيان بن عيينة عن ابن المنكدر بلفظ: «**إذا أتيت امرأة من دبرها في قبلها**»[(٢)] ومن طريق أبي حازم عن ابن المنكدر بلفظ: «**إذا أتيت المرأة من دبرها فحملت**»[(٢)] وقوله: «**فحملت**» يدل على أن مراده أن الإتيان في الفرج لا في الدبر، وهذا كله يؤيد تأويل ابن عباس الذي رد به على ابن عمر، وقد أكذب الله اليهود في زعمهم وأباح للرجال أن يتمتعوا بنسائهم كيف شاءوا، وإذا تعارض المجمل والمفسر قدم المفسر، وحديث جابر مفسر؛ فهو أولى أن يعمل به من حديث ابن عمر والله أعلم».

* * *

(١) أبو القاسم الجرجاني في «تاريخ جرجان» (١/ ٤٨٣).
(٢) مسلم (١٤٣٥).

المتن

[٤٢/ ٥٦] ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾

● [٤١٣٤] حدثنا عبيدالله بن سعيد، قال: نا أبو عامر العقدي، قال: نا عباد بن راشد، قال: نا الحسن، قال: حدثني معقل بن يسار قال: كانت لي أخت تخطب إلي.

وقال إبراهيم: عن يونس، عن الحسن، حدثني معقل بن يسار، حدثنا أبو معمر، قال: نا عبدالوارث، قال: نا يونس، عن الحسن، أن أخت معقل بن يسار طلقها زوجها، فتركها حتى انقضت عدتها، فخطبها فأبى معقل، فنزلت: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢].

الشرح

هذه الآية وهي قوله تعالى: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ إِذَا تَرَٰضَوْاْ بَيْنَهُم بِٱلْمَعْرُوفِ ۗ ذَٰلِكَ يُوعَظُ بِهِۦ مَن كَانَ مِنكُمْ يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ۗ ذَٰلِكُمْ أَزْكَىٰ لَكُمْ وَأَطْهَرُ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٣٢] خطاب لأولياء النساء.

فإذا طلق الرجل امرأته الطلقة الأولى أو الثانية ومضى عليها ثلاث حيضات إذا كانت تحيض -أي: ثلاثة أشهر- أو بوضع الحمل -إن كانت حاملا- خرجت العدة، وإذا خرجت العدة انتهت من زوجها السابق لكن يجوز له أن يتزوجها بعقد جديد ومهر إذا رضيت المرأة ورضي وليها فيكون خاطبا من الخطاب إن شاءوا زوجوه وإن شاءوا زوجوا غيره.

أما إذا كانت في العدة فهي زوجة له، وله أن يراجعها، بل إنها لا تخرج من البيت حتى تنتهي عدتها إلا إذا كانت مؤذية أو ترتكب فاحشة كما قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُواْ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾ [الطلاق: ١] فما دامت في العدة فهي زوجة إلا إذا كانت الطلقة الثالثة فتكون قد انتهت.

● [٤١٣٤] وهذه الآية نزلت في أخت معقل بن يسار، طلقها زوجها وتركها حتى انتهت العدة، ثم لما انتهت العدة صارت تخطب من عدد من الناس، ومن ضمنهم زوجها السابق فرغبت المرأة في زوجها السابق، ورغب هو فيها، لكن معقلا غضب على زوجها السابق ولم

يوافق وقال : يا لكع أكرمتك بها ثم طلقتها ثم تريد أن تتزوج ، لا أزوجك ؛ فأنزل الله هذه الآية : ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ [البقرة : ٢٣٢] فقال : سمعًا لربي وطاعة ، فزوجه .

فالآية خطاب للأولياء ، فلا يمنع الولي المرأة من الزواج من زوجها السابق إذا رغبت في ذلك ويكون من باب أولى إذا لم تخرج من العدة فلا يمنعها وليها من الزواج ، وهذا معلوم .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «قوله : «**باب** ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَٰجَهُنَّ﴾ [البقرة : ٢٣٢]» اتفق أهل التفسير على أن المخاطب بذلك الأولياء ، ذكره ابن جرير وغيره . وروى ابن المنذر من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس : هي في الرجل يطلق امرأته فتقضي عدتها فيبدو له أن يراجعها وتريد المرأة ذلك فيمنعه وليها» .



المتن

[٤٣/ ٥٦] ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٣٤]

• [٤١٣٥] حدثني أمية، قال: نا يزيد بن زريع، عن حبيب، عن ابن أبي مليكة، قال ابن الزبير: قلت لعثمان بن عفان: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾، قال: قد نسختها الآية الأخرى، فلم تكتبها أو تدعها، قال: يا ابن أخي لا أغير شيئا منه من مكانه.

• [٤١٣٦] حدثني إسحاق، قال: نا روح، قال: نا شبل، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾، قال: كانت هذه العدة تعتد عند أهل زوجها واجب، فأنزل الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠]، قال: جعل الله لها تمام السنة سبعة أشهر وعشرين ليلة وصية؛ إن شاءت سكنت في وصيتها، وإن شاءت خرجت، وهو قول الله ﷻ: ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾، فالعدة كما هي واجب عليها، زعم ذلك عن مجاهد.

• [٤١٣٧] وقال عطاء: قال ابن عباس: نسخت هذه الآية عدتها عند أهلها، فتعتد حيث شاءت، وهو قول الله تعالى: ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾.

• [٤١٣٨] قال عطاء: إن شاءت اعتدت عند أهلها وسكنت في وصيتها، وإن شاءت خرجت؛ لقول الله تعالى: ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ﴾. قال عطاء: ثم جاء الميراث فنسخ السكنى، فتعتد حيث شاءت، ولا سكنى لها.

• [٤١٣٩] وعن محمد بن يوسف، قال: نا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد بهذا.

• [٤١٤٠] وعن ابن أبي نجيح، عن عطاء، عن ابن عباس قال: نسخت هذه الآية عدتها في أهلها، فتعتد حيث شاءت؛ لقول الله: ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾. نحوه.

• [٤١٤١] حدثني حبان، قال: أنا عبدالله، قال: أنا عبدالله بن عون، عن محمد بن سيرين قال: جلست إلى مجلس فيه عظم من الأنصار، وفيهم عبدالرحمن بن أبي ليلى، فذكرت

حديث عبدالله بن عتبة في شأن سبيعة بنت الحارث، فقال عبدالرحمن: ولكنْ عمُّه كان لا يقول ذلك، فقلت: إني لجريء إن كذبت على رجل في جانب الكوفة، ورفع صوته، قال: ثم خرجت فلقيت مالك بن عامر أو مالك بن عوف، قلت: كيف كان قول ابن مسعود في المتوفى عنها زوجها وهي حامل؟ فقال: قال ابن مسعود: أتجعلون عليها التغليظ ولا تجعلون لها الرخصة؟! لنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى.

وقال أيوب: عن محمد، لقيت أبا عطية مالك بن عامر.

الشرح

هذه الآثار والأحاديث على قول الله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٣٤].

وهذه الآية في عدة المتوفى عنها زوجها؛ فالزوجة إذا توفي عنها زوجها تمكث أربعة أشهر وعشرة أيام إلا إذا كانت حاملا فإن عدتها أن تضع الحمل لعموم قوله تعالى: ﴿وَأُوْلَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤] فهذه الآية عامة في المطلقة أو المتوفى عنها إذا كانت حاملا فإن عدتها أن تضع الحمل وتخرج من العدة يوم وضع الحمل ولو للحظة؛ لحديث سبيعة بنت الحارث أنها مات عنها زوجها وهي حامل ثم وضعت بعده بليال فخرجت من العدة.

فالمطلقة طلقة واحدة أو اثنتان أو ثلاث أو متوفى عنها؛ إذا كانت حاملًا فعدتها أن تضع الحمل، أما إذا لم تكن حاملا فإن المطلقة تعتد ثلاث حيضات إذا كانت تحيض، فإن كانت آيسة فإنها تعتد ثلاثة أشهر، أما المتوفى عنها زوجها؛ فإن كانت حاملًا فبوضع الحمل، وإن لم تكن حاملًا تمكث أربعة أشهر وعشرة أيام.

وكانت المرأة في الجاهلية إذا مات عنها زوجها تعتد سنة، وكذلك في أول الإسلام.

قوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٤٠] هذه الآية فيها أن المرأة المتوفى عنها زوجها تعتد سنة، ثم نسختها هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ وهذا هو الذي عليه

جمهور العلماء أن آية العدة بحول نسختها آية العدة بأربعة أشهر وعشرة أيام، وإن كانت آية المتوفى عنها زوجها العدة بأربعة أشهر وعشرا متقدمة في التلاوة على آية العدة بحول؛ فتكون منسوخة التلاوة، وحكمها باق.

والنسخ من أنواعه: نسخ الحكم والتلاوة جميعا.

ومنه: نسخ الحكم وبقاء التلاوة، فهذه الآية باقية، وهي منسوخة حكما؛ العدة بحول كامل.

ومنه: نسخ اللفظ ويبقى الحكم مثل آية سورة المؤمنون: «**الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم**»، هذه كانت آية فنسخ اللفظ وبقي الحكم.

• [٤١٣٥] ثم ذكر حديث ابن الزبير رضي الله عنهما، وفيه قوله: «**قال ابن الزبير: قلت لعثمان بن عفان: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا﴾** [البقرة: ٢٣٤]» يعني: **﴿وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾** [البقرة: ٢٤٠] «**قال: قد نسختها الآية الأخرى**» وهي آية الترجمة **﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾**.

يقول ابن الزبير رضي الله عنهما: «**فلم تكتبها؟**» يعني: لم تكتبها وقد عرفت أنها منسوخة؟ يقول ذلك لعثمان؛ لأن عثمان هو الذي أمر بنسخ القرآن، ثم أرسله إلى الأمصار وأبقى لنفسه نسخة عرفت بالمصحف الإمام.

قوله: «**أو تدعها؟**» أي: لم تتركها مكتوبة؟ شك من الراوي لا يدري أي اللفظين قال عبد الله بن الزبير.

فأجاب عثمان قال: «**يا ابن أخي لا أغير شيئا منه من مكانه**» هذا القرآن نزل هكذا، ولا يغير منه شيء. ومن العلماء من قال: إن هذا ليس نسخا؛ وإنما هو تخصيص، لكن المشهور عند الجمهور أنه نسخ.

• [٤١٣٦] قوله: «**عن مجاهد، ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾** [البقرة: ٢٣٤]، **قال: كانت هذه العدة تعتد عند أهل زوجها واجب**» أي: أربعة أشهر وعشرة أيام، «**فأنزل الله ﷻ: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَاجِهِم مَّتَاعًا إِلَى الْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِي مَا فَعَلْنَ فِي**

﴿أَنفُسِهِنَّ مِن مَّعْرُوفٍ﴾ [البقرة: ٢٤٠] **قال: جعل الله لها تمام السنة سبعة أشهر وعشرين ليلة وصية إن شاءت سكنت في وصيتها وإن شاءت خرجت»** فهذا قول مجاهد يرى أنه ليس ثمة نسخ.

فالآية الأولى توجب عليها أن تعتد أربعة أشهر وعشرة أيام عند أهلها، فما زاد على أربعة أشهر وعشرة أيام إلى تمام السنة فهي مخيرة إن شاءت سكنت في وصيتها، وإن شاءت خرجت، **«وهو قول الله ﷻ: ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ فَإِنْ خَرَجْنَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ﴾** [البقرة: ٢٤٠] **فالعدة كما هي واجب عليها، زعم ذلك عن مجاهد»** هذا قول.

وكانت المرأة في الجاهلية تعتد سنة، ولكن كان أهل الجاهلية يشددون على المرأة المتوفى عنها زوجها، وهذا من الآصار والأغلال، فكانت المرأة إذا مات زوجها انعزلت في غرفة مظلمة ولبست ثوبا من شر ثيابها، ولا تمس ماء ولا طيبا ولا تمس شيئا ولا تخالط الناس ولا يأكل معها أحد ولا يشاربها حتى يمضي عليها سنة على هذه الحالة السيئة وتتراكم عليها الأوساخ والروائح الكريهة، فإذا تمت السنة خرجت، فإذا خرجت ألقت هذا الثوب إما على دابة أو طير فيموت هذا الطير من شدة الرائحة، وترمي بالبعرة إيذانا بأنها خرجت من العدة.

فلما جاء الإسلام خفف الله تعالى عن المرأة، وأزال الآصار والأغلال وشرع للمرأة أن تغتسل وتتنظف وتباشر وتطبخ وتعجن وتكنس وتغير ثيابها وتفعل كل شيء إلا أنها تتجنب الطيب وتتجنب الثياب التي تلفت نظر الرجال إليها.

وخفف عنها العدة فصارت أربعة أشهر بدلا من سنة؛ ولهذا لما جاءت النساء قلن: يا رسول الله هل أربعة أشهر؟ قال: **«أما كانت إحداكن في الجاهلية تجلس سنة وتلبس شر ثيابها وتسكن في حش ثم تخرج وتفتض»**[1] يعني أن الله تعالى خفف عنها.

• [٤١٣٧] قوله: **«وقال عطاء: قال ابن عباس: نسخت هذه الآية عدتها عند أهلها، فتعتد حيث شاءت وهو قول الله تعالى: ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾** [البقرة: ٢٤٠]**»** هذا رأي ابن عباس رضي الله عنهما.

---

(١) البخاري (٥٣٣٧)، ومسلم (١٤٨٨).

• [٤١٣٨] قوله : «قال عطاء : إن شاءت اعتدت عند أهلها» وفي لفظ : «أهله»[1] ، «وسكنت في وصيتها ، وإن شاءت خرجت» يعني : فيما زاد على أربعة أشهر وعشرة أيام ؛ «لقول الله تعالى : ﴿فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ﴾ [البقرة : ٢٤٠]» .

قوله : «قال عطاء : ثم جاء الميراث فنسخ السكنى ، فتعتد حيث شاءت ، ولا سكنى لها» فالمتوفى عنها زوجها ليس لها سكنى وكذلك المطلقة ثلاثًا ليس لها سكنى ولا نفقة ، وإنما هذا للمطلقة الرجعية ، والصواب -كما سبق- أن آية التربص سنة منسوخة .

• [٤١٣٩] قوله : «وعن محمد بن يوسف قال : حدثنا ورقاء عن ابن أبي نجيح عن مجاهد بهذا» يعني : نحو الحديث السابق .

• [٤١٤٠] قوله : «وعن ابن أبي نجيح عن عطاء عن ابن عباس قال : نسخت هذه الآية عدتها في أهلها ، فتعتد حيث شاءت ؛ لقول الله : ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ نحوه» . أيضا كالحديث السابق .

• [٤١٤١] قوله : «جلست إلى مجلس فيه عظم من الأنصار» يعني : جماعة من الأنصار .

قوله : «وفيهم عبدالرحمن بن أبي ليلى فذكرت حديث عبدالله بن عتبة في شأن سبيعة بنت الحارث» وكان قد مات عنها زوجها وهي حامل فلبثت ليالي ثم وضعت حملها فأخبرها النبي ﷺ أنها حلت[2] ، وأنها خرجت من العدة وأن لها أن تتزوج إن أرادت بعد النفاس .

قوله : «فقال عبدالرحمن : ولكن عمه كان لا يقول ذلك» يعني : ما قيل في شأن سبيعة الأسلمية ، وعمه هو ابن مسعود «فقلت : إني لجريء إن كذبت على رجل في جانب الكوفة ورفع صوته» .

قوله : «ثم خرجت فلقيت مالك بن عامر أو مالك بن عوف» شك من الراوي .

قوله : «قلت : كيف كان قول ابن مسعود في المتوفى عنها زوجها وهي حامل؟» كان هذا في أول الإسلام ، وفيه خلاف عن بعض السلف : أنها تعتد بأطول الأجلين إذا كانت متوفى عنها وهي حامل ، وإن وضعت الحمل أقل من أربعة أشهر وعشرة أيام فلابد أن تعتد أربعة أشهر وعشرة أيام ، ثم اتفقوا بعد ذلك على أن الحامل عدتها بوضع الحمل .

---

(١) البخاري (٤٥٣١) .

(٢) أحمد (٦/ ٤٣٢) ، والبخاري (٣٩٩١) ، ومسلم (١٤٨٤) .

قوله: «**قال ابن مسعود: أتجعلون عليها التغليظ**» التغليظ يعني: تجعلونها تعتد لأطول الأجلين، فإذا كان أطول الأجلين أربعة أشهر وعشرة أيام تعتد، وإذا كان أطول الأجلين بوضع الحمل تعتد.

وقوله: «**ولا تجعلون لها الرخصة؟**» هي أنها تعتد بوضع الحمل.

قوله: «**لنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى**» سورة النساء القصرى هي سورة الطلاق؛ وفيها: ﴿وَأُولَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ ۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مِنْ أَمْرِهِۦ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٤] وسورة النساء الطولى هي سورة البقرة؛ وفيها: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا﴾ [البقرة: ٢٤٠]. ومراد ابن مسعود أن المتوفى عنها إذا كانت حاملا تأخذ بالرخصة؛ وهي أنها تعتد بوضع الحمل كما في سورة الطلاق، ولا يجعل عليها التغليظ وهي العدة أربعة أشهر وعشرة أيام كما في سورة البقرة.

قوله: «**وقال أيوب: عن محمد، لقيت أبا عطية مالك بن عامر**» يبين أنه لقيه وأنه سمع منه.

* * *

المتن

[٤٤/ ٥٦] ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨]

• [٤١٤٢] حدثني عبدالله بن محمد، قال: نا يزيد، قال: أنا هشام، عن محمد، عن عبيدة، عن علي، قال النبي ﷺ. وحدثني عبدالرحمن، قال: نا يحيى بن سعيد، قال: نا هشام، قال: نا محمد، عن عبيدة، عن علي، أن النبي ﷺ قال يوم الخندق: «**حبسونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس، ملأ الله قبورهم وبيوتهم - أو أجوافهم شك يحيى - نارًا**».

الشرح

هذه الترجمة على قوله تعالى: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ [البقرة: ٢٣٨].

• [٤١٤٢] ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث علي رضي الله عنه في غزوة الأحزاب.

قوله: «**عن عَبيدة**» بفتح العين المهملة وكسر الباء الموحدة هو عَبِيدة بن عمرو السلماني.

قوله: «**عن علي أن النبي ﷺ قال يوم الخندق**» وهي غزوة الأحزاب، تسمى غزوة الخندق، وتسمى غزوة الأحزاب في بعض أيامها؛ لأنها كانت أياما، وشغل النبي ﷺ في بعض أيامها بالحرب عن الصلاة حتى أخر صلاة العصر ولم يصلها إلا بعد المغرب[(١)].

قوله: «**حبسونا عن صلاة الوسطى حتى غابت الشمس، ملأ الله قبورهم وبيوتهم - أو أجوافهم؛ شك يحيى - نارًا**» يحيى: هو ابن سعيد القطان.

قال بعضهم: الصلاة الوسطى الظهر، وقال بعضهم: صلاة المغرب؛ لأنها صلاة قبلها صلاتان سريتان وهما الظهر والعصر وبعدها صلاتان جهريتان وهما العشاء والفجر، وقيل: إنها الفجر.

والصواب أنها العصر؛ لما جاء في صحيح مسلم: «**حبسونا عن صلاة الوسطى صلاة العصر**»[(٢)]، وهذا صريح في أن الصلاة الوسطى هي صلاة العصر.

* * *

(١) النسائي (٦٦٢، ٦٦٣).
(٢) مسلم (٦٢٨).

المَتْنُ

[٤٥/ ٥٦] ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨]، أي: مطيعين

• [٤١٤٣] حدثنا مسدد، قال: نا يحيى، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن الحارث بن شبيل، عن أبي عمرو الشيباني، عن زيد بن أرقم قال: كنا نتكلم في الصلاة؛ يكلم أحدنا أخاه في حاجته، حتى نزلت هذه الآية: ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾، فأمرنا بالسكوت.

الشَّرْحُ

هذه الآية وهي قول الله تعالى: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ لها عدة أقوال في تفسيرها، ومعناها: ساكتين، والمراد السكوت عن كلام الناس لا مطلق الصمت؛ لأن الصلاة لا صمت فيها فجميعها قرآن وذكر، وهذا أصح ما فسر به لفظ القنوت في الآية كما جاء في حديث زيد بن أرقم.

وكان في أول الإسلام إذا جاء الرجل والناس يصلون يتكلم وهو في الصلاة قال: كم فاتني من ركعة؟ فيقال: فاتتك ركعة أو ركعتين؛ فأنزل الله ﷻ هذه الآية، فنسخ ذلك ونهى الله عن الكلام في الصلاة.

وقد اختار المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أحد هذه الأقوال، ففسر به القنوت هنا؛ قال: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ قال: «أي: مطيعين» والصواب أن المعنى: قوموا لله ساكتين عن الكلام.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «عن ابن عباس قال: قانتين: أي مصلين. وعن مجاهد قال: من القنوت الركوع والخشوع وطول القيام وغض البصر وخفض الجناح والرهبة لله».

• [٤١٤٣] ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث زيد بن أرقم؛ لمناسبته للترجمة.

قوله: «كنا نتكلم في الصلاة؛ يكلم أحدنا أخاه في حاجته، حتى نزلت هذه الآية: ﴿وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] فأمرنا بالسكوت».

أما اختيار البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير ﴿قَٰنِتِينَ﴾ قال: «مطيعين» فهو عام؛ يعني: مطيعين لله فيما أمركم به، ومن ذلك السكوت عن الكلام في أثناء الصلاة، لكن الحديث صريح أن معنى القنوت: السكوت؛ يعني: قوموا لله ساكنين ساكتين عن كلام الناس.

وكما جاء في «صحيح مسلم» في قصة الصحابي الذي جاء والناس يصلون فدخل في الصلاة ولم يعلم أن الكلام في الصلاة قد نسخ فسأل قال: كم فاتني؟ أو كذا، فأُشير إليه أن اسكت قال: واثكل أمياه، فجعل الصحابة يضربون أفخاذهم يسكتونه، فلما سلم قال النبي ﷺ: **«إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس»**(١) وقال: ما رأيت معلما أحسن منه عليه الصلاة والسلام، والله ما نهرني ولا قهرني، ولم يأمره بإعادة الصلاة؛ لأنه جاهل ولم يعلم بالنسخ.

* * *

(١) أحمد (٥/ ٤٤٧)، ومسلم (٥٣٧).

المتن

[٤٦/ ٥٦] باب قوله ﷻ: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا فَإِذَا أَمِنتُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٩] الآية

وقال ابن جبير: ﴿كُرْسِيُّهُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]: علمه.

﴿لَا يَئُودُهُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]: لا يثقله، آدني: أثقلني، والآد والأيد: قُوّة، السِّنَةُ: نُعَاسٌ.

﴿يَتَسَنَّهْ﴾ [البقرة: ٢٥٩]: يتغير.

﴿فَبُهِتَ﴾ [البقرة: ٢٥٨]: ذهبت حجته.

﴿خَاوِيَةٌ﴾: لا أنيس فيها.

﴿إِعْصَارٌ﴾ [البقرة: ٢٦٦]: ريح عاصف تهب من الأرض إلى السماء كعمود فيه نار.

• [٤١٤٤] حدثنا عبدالله بن يوسف، قال: أنا مالك، عن نافع، أن عبدالله بن عمر كان إذا سئل عن صلاة الخوف قال: يتقدم الإمام وطائفة من الناس، فيصلي بهم الإمام ركعة، وتكون طائفة منهم بينهم وبين العدو لم يصلوا، فإذا صلى الذين معه ركعة استأخروا مكان الذين لم يصلوا، ولا يسلمون، ويتقدم الذين لم يصلوا فيصلون معه ركعة، ثم ينصرف الإمام وقد صلى ركعتين، فيقوم كل واحد من الطائفتين فيصلون لأنفسهم ركعة بعد أن ينصرف الإمام، فيكون كل واحد من الطائفتين قد صلى ركعتين، فإن كان خوف هو أشد من ذلك صلوا رجالا قياما على أقدامهم، أو ركبانا مستقبلي القبلة، أو غير مستقبليها. قال مالك: قال نافع: لا أرى عبدالله بن عمر ذكر ذلك إلا عن رسول الله ﷺ.

الشرح

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا﴾ بعد قول الله تعالى: ﴿حَافِظُوا عَلَى الصَّلَوَاتِ وَالصَّلَاةِ الْوُسْطَىٰ وَقُومُوا لِلَّهِ قَانِتِينَ﴾ [البقرة: ٢٣٨] يعني: إذا كان عندكم خوف فإنكم تصلون الصلاة رجالًا أي: على أرجلكم.

وقوله: ﴿أَوْ رُكْبَانًا﴾ يعني: إذا اشتد الخوف جاز للإنسان أن يصلي وهو يمشي يركع ويمشي، ويومئ، ويجوز أن يصلي وهو راكب على الدابة.

وقوله : ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة : ٢٣٩] يعني : عودوا إلى سابق عهدكم في صلاتكم بعد الأمن فصلوا كما أمركم الرسول ﷺ أن تصلوا .

وقبله قوله تعالى : ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾ [البقرة : ٢٣٨] يعني : في الحضر وفي السفر في الخوف وفي الأمن ، لكن إذا كنتم في البلد وفي الأمن : ﴿قُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ﴾ أي : ساكتين ، فإن أصابكم خوف ، ﴿فَرِجَالًا أَوۡ رُكۡبَانًا﴾ يعني : مشاة وركبانا ، ﴿فَإِذَآ أَمِنتُمۡ﴾ أي : زال الخوف ﴿فَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَمَا عَلَّمَكُم مَّا لَمۡ تَكُونُواْ تَعۡلَمُونَ﴾ أي : كما علمكم النبي ﷺ من قبل .

والبخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ -على عادته- يفسر بعض الكلمات على آية الترجمة والتي يشكل معناها على القارئ ؛ لإفادة طالب العلم ، فينقل عن أبي عبيدة بن المثنى وغيره في تفسير كلمات القرآن .

فقال : «**وقال ابن جبير**» يعني : عن ابن عباس .

قوله : ﴿كُرۡسِيُّهُ﴾ فسرها قال : «**علمه**» وذلك في قول الله تعالى : ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، ومن وجه آخر أخرجه عبد بن حميد وابن أبي حاتم عن ابن عباس . وهذه هي إحدى الروايات عن ابن عباس في تفسير هذا اللفظ .

وهذه الرواية ضعيفة السند ، وهذا القول مرجوح بل باطل ؛ فلا يفسر الكرسي بالعلم ؛ إذ لو فسر الكرسي بالعلم لكان معناه غير صحيح : ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ يعني : وسع علمه السموات والأرض ، هذا غلط يفسد المعنى ؛ لأن علم الله وسع كل شيء ، فالله يعلم نفسه ويعلم ما كان ويعلم ما يكون ويعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون قال تعالى : ﴿رَبَّنَا وَسِعۡتَ كُلَّ شَيۡءٖ رَّحۡمَةٗ وَعِلۡمٗا﴾ [غافر : ٧] .

والقول الثاني : عن ابن عباس في قوله : ﴿وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ﴾ قال : الكرسي هو العرش . وهذا قول أيضًا مرجوح وضعيف السند .

والقول الثالث : أن الكرسي موضع القدمين ، وهذا هو الصواب ، والصحيح الذي روي عن ابن عباس في تفسير الكرسي ، ويدل على ذلك أن هناك حديثًا آخر عن ابن عباس قال : الكرسي موضع القدمين ، والعرش لا يقدر قدره إلا الله .

وفي رواية أخرى للصحيح في قوله تعالى : ﴿وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِ﴾ [البقرة : ٢٤٧] في قصة طالوت ، فسرها البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال : «**زيادة وفضلا**» .

وقوله تعالى : ﴿ رَبَّنَآ أَفۡرِغۡ عَلَيۡنَا صَبۡرٗا ﴾ [البقرة : ٢٥٠] فسرها قال : «أنزل» .

قوله : ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ ﴾ في قول الله تعالى : ﴿ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] وهذه آية الكرسي فسرها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ قال : «لا يثقله» أي : لا يشق عليه حفظ السموات والأرض سبحانه وتعالى ؛ لأنه كامل بخلاف المخلوق الضعيف .

قوله : «آدني : أثقلني» يعني : اشتقاق كلمة يئود من آد ، «والآد والأيد : القوة» .

وقوله : «السنة» في قوله تعالى : ﴿ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ ﴾ [البقرة : ٢٥٥] ، فسرها قال : «السنة : نعاس» .

وقوله تعالى : ﴿ يَتَسَنَّهۡ ﴾ هذا اللفظ من قول الله تعالى : ﴿ فَٱنظُرۡ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمۡ يَتَسَنَّهۡ ﴾ [البقرة : ٢٥٩] وهذا في قصة عزير لما أحياه الله بعدما أماته وعنده طعام وفاكهة ، فسرها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ فقال : «يتغير» .

وقوله : ﴿ فَبُهِتَ ﴾ في قول الله تعالى : ﴿ فَبُهِتَ ٱلَّذِي كَفَرَۗ ﴾ [البقرة : ٢٥٨] في قصة النمرود فسرها المؤلف فقال : «ذهبت حجته» .

وقوله : ﴿ خَاوِيَةٌ ﴾ في قوله تعالى : ﴿ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا ﴾ [البقرة : ٢٥٩] يعني : القرية التي أتاها عزير –وهي ببيت المقدس– فسرها المؤلف فقال : «لا أنيس فيها» .

وقوله : ﴿ عُرُوشِهَا ﴾ فسرها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في رواية أخرى للصحيح فقال : «أبنيتها» .

وجاء في نسخة أخرى قوله : ﴿ وَٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡعِظَامِ كَيۡفَ نُنشِزُهَا ﴾ [البقرة : ٢٥٩] هذه القراءة المشهورة ، وفي قراءة : «نَنْشُرُهَا» فسرها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في رواية أخرى فقال : «نخرجها» .

قوله : ﴿ إِعۡصَارٌ ﴾ في قول الله تعالى : ﴿ فَأَصَابَهَآ إِعۡصَارٞ فِيهِ نَارٞ ﴾ [البقرة : ٢٦٦] فسرها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ فقال : «ريح عاصف تهب من الأرض إلى السماء كعمود فيه نار» .

ثم في رواية أخرى للصحيح قال البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ : «وقال ابن عباس : ﴿ صَلۡدٗا ﴾ : ليس عليه شيء» وهذا مثال في عمل الكافر مثله الله ﷻ فقال : ﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفۡوَانٍ عَلَيۡهِ تُرَابٞ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٞ فَتَرَكَهُۥ صَلۡدٗاۖ ﴾ [البقرة : ٢٦٤] أي : مثل الحجر الأملس إذا تراكم عليه تراب فجاء المطر فأزاله ، كذلك عمل الكافر ضائع .

وفيها -أيضًا- قوله: **«وقال عكرمة: وابل: مطر شديد»** أي في قول الله تعالى: ﴿**وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ**﴾ [البقرة: ٢٦٥].

وكذلك قوله: **«الطل: الندى، وهذا مثل عمل المؤمن»**؛ أي في قول الله تعالى: ﴿**فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ**﴾ [البقرة: ٢٦٥] وهذا مثال ضربه الله مثلا لعمل المؤمن، ﴿**كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ**﴾ مرتفعة إما يصيبها مطر شديد وإن لم يصبها مطر شديد يكفيها الطل ينزل عليها باستمرار فهي دائما قائمة حية.

والمعلقات التي أوردها البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في الصحيح غالبًا ما تكون ضعيفة إلا ما جزم به فيكون خبرًا صحيحًا كما جزم بهذا الخبر الذي علقه إلى ابن جبير عن ابن عباس أن الكرسي هو موضع القدمين.

• [٤١٤٤] قوله: **«كان إذا سئل عن صلاة الخوف قال: يتقدم الإمام وطائفة من الناس فيصلي بهم الإمام ركعة»** يعني: في وقت الخوف والقتال والجهاد إذا كان العدو أمامهم وحان وقت الصلاة يتقدم الإمام وطائفة من الناس فيصلي بهم الإمام ركعة، **«وتكون طائفة منهم بينهم وبين العدو لم يصلوا»** يحرسونهم حتى لا يهجم عليهم العدو، **«فإذا صلى الذين معه ركعة استأخروا مكان الذين لم يصلوا ولا يسلمون ويتقدم الذين لم يصلوا فيصلون معه ركعة»** يعني: يصلي بهم الإمام ركعتين فيقسمهم طائفتين كل طائفة يصلي بهم ركعة، ففي الأول طائفة تكون أمام العدو تحرس المصلين، وطائفة يصلي بهم ركعة، فإذا صلى بهم ركعة انصرفوا وهم في الصلاة لا يسلمون ويجلسون مكان الطائفة الأولى يحرسون، وتأتي الطائفة الثانية وتكون خلف الإمام فيصلي بهم الركعة التي بقيت له ثم يسلم الإمام وقد صلى ركعتين.

قوله: **«فيقوم كل واحد من الطائفتين فيصلون لأنفسهم ركعة بعد أن ينصرف الإمام فيكون كل واحد من الطائفتين قد صلى ركعتين»** يعني أن الإمام صلى بكل واحد ركعة ثم يسلم، ثم تقوم الطائقة الأولى فتصلي لنفسها ركعة ثم تسلم، وتقوم الطائفة الثانية وتصلي لنفسها ركعة وتسلم بعد أن يسلم الإمام.

هذه صفة من إحدى صفات صلاة الخوف وقد سبق من صفات صلاة الخوف أنواع أخرى :

منها : أن يصلي الإمام بكل طائفة ركعتين فتكون الصلاة الأولى له فريضة والثانية له نافلة .

ومنها : أن يصفهم صفين فيكبر ويكبرون جميعا ، ثم يركع ويركعون جميعا ، ثم يسجد ويسجد الصف الذي يليه ويبقى الصف الثاني ، فإذا قام إلى الركعة الثانية تقدم الصف الثاني مكان الصف الأول ، وتأخر الصف الأول مكان الصف الثاني ، فإذا ركع ركعوا جميعا ، فإذا سجد سجد وسجد الصف الذي يليه ، وبقي الثاني يحرس ، ثم إذا سلم قامت كل واحدة من الطائفتين وأتت بالركعة التي بقيت لها .

قوله : «**فإن كان خوف هو أشد من ذلك صلوا رجالًا قيامًا على أقدامهم ، أو ركبانًا** » ، وهذا هو معنى الآية ، والشاهد من الحديث للآية : ﴿**فَإِنْ خِفْتُمْ فَرِجَالًا أَوْ رُكْبَانًا**﴾ [البقرة : ٢٣٩] يعني : إذا اشتد الخوف ، وصاروا لا يستطيعون أن يصلوا خلف الإمام ، ولا يستطيع الإمام أن يصفهم ركعتين سقطت الجماعة في هذه الحالة ، وكل يصلي على حسب استطاعته : الراكب يصلي وهو راكب ، والماشي يصلي وهو ماشي ، والواقف يصلي وهو واقف .

قوله : «**مستقبلي القبلة أو غير مستقبليها**» ، أي : من استطاع أن يستقبل القبلة يستقبلها وإن لم يستطع صلى إلى جهة العدو ؛ جهة الشرق أو الغرب أو الشمال أو الجنوب مستقبلا القبلة ، أو غير مستقبلها .

قوله : «**قال مالك : قال نافع : لا أرى عبدالله بن عمر ذكر ذلك إلا عن رسول الله ﷺ**» ، ولفظ : «**لا أرى**» يحتمل أن يكون بمعنى : لا أظن ؛ أي : على سبيل الظن ، ويحتمل أن يكون بمعنى : لا أعلم ، يعني : لا أعلم ذلك رواه إلا عن النبي ﷺ على سبيل الجزم .

وهنا في هذه الحالة يكون حكم الفريضة كالنافلة في عدم وجوب الجماعة وفي عدم وجوب استقبال القبلة ، فمن لم يستطع واشتد الخوف عليه سقط عنه وجوب استقبال القبلة ووجوب الجماعة ، كل يصلي وحده يصلي للقبلة وغير القبلة كما هو الحكم للمسافر الراكب ، فيجوز أن يصلي على الدابة ، أو في السيارة ولو لغير القبلة يصلي جهة سيره ، كما ثبت أن النبي ﷺ كان يصلي جهة سيره[١] ، لكن الأفضل أن يكبر تكبيرة الإحرام إلى القبلة ثم يتجه جهة سيره .

---

(١) أحمد (٢/٧) ، والبخاري (٤٠٠) ، ومسلم (٧٠١) .

والصحيح أيضا أنه إذا اشتد الخوف ولم يكن للقلوب قرار وسكون من شدته جاز لهم أن يصلوا رجالا وركبانا بل جاز لهم أيضا تأخير الصلاة عن وقتها ولو بعد خروج الوقت، ولو كانت غير مجموعة كالعصر تؤخر إلى المغرب كما أخر النبي ﷺ الصلاة يوم الخندق بعد غروب الشمس(١) والصحيح أن ذلك غير منسوخ.

وجمهور العلماء يرون أن تأخير الصلاة عن وقتها كما حدث في غزوة الخندق كان قبل شرعية صلاة الخوف، فلما نزلت صلاة الخوف صار لا يجوز للإنسان أن يؤخر الصلاة عن وقتها، بل يصليها في الوقت على حسب استطاعته ولا يؤخر الصلاة عن وقتها.

وذهب آخرون من أهل العلم، وهو اختيار جماعة من المحققين منهم الإمام البخاري رحمه الله أنه يجوز تأخير الصلاة عن وقتها وأنه ليس بمنسوخ، والدليل على ذلك أن الصحابة رضي الله عنهم لما فتحوا تستر أخروا صلاة الفجر بعد ارتفاع الشمس؛ لأنه لما حان وقت صلاة الفجر كان الصحابة متفرقين؛ منهم من هو على الأسوار، ومنهم من هو على الأبواب، ولا يستطيعون أن يصلوا الفجر في وقتها، فلو صلوا الفجر في وقتها لهجم عليهم العدو؛ فأخروا الصلاة حتى فتحوا الأبواب والأسوار وتم الفتح وارتفع الضحى فصلوا صلاة الفجر وقت الضحى، فالصحابة أخروها لله وفي الله؛ قال أنس: ما أحب أن لي بها كذا وكذا، ويكون هذا من باب تداخل العبادات فيقدم ما دعت الضرورة إلى تقديمه.

* * *

---

(١) أحمد (٤/ ١٠٦)، والبخاري (٥٩٦)، ومسلم (٦٣١).

المتن

[٤٧/ ٥٦] ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾ [البقرة: ٢٤٠]

• [٤١٤٥] حدثني عبدالله بن أبي الأسود، قال: نا حميد بن الأسود ويزيد بن زريع، قالا: نا حبيب بن الشهيد، عن ابن أبي مليكة، قال: قال ابن الزبير: قلت لعثمان: هذه الآية التي في البقرة: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾، إلى قوله: ﴿غَيْرَ إِخْرَاجٍ﴾ قد نسختها الأخرى فلم تكتبها، قال ندعها يا ابن أخي؛ لا أغير شيئا منه من مكانه.

قال حميد: أو نحو هذا.

الشرح

• [٤١٤٥] **هذا الحديث أعاده المؤلف رَحِمَهُ اللهُ لاختلاف السند في هذه الترجمة في قوله: ﴿وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا﴾** [البقرة: ٢٤٠]

ففي الحديث السابق قال: «**حدثني أمية بن بسطام، حدثنا يزيد بن زريع، عن حبيب، عن ابن أبي مليكة**»[1]، وهنا قال: «**حدثني عبدالله بن أبي الأسود، نا حميد بن الأسود ويزيد بن زريع قالا: نا حبيب بن الشهيد، عن ابن أبي مليكة**»، فباختلاف السند يتقوى الحديث، وإلا فالحديث هو هو.

وفيه أن آية الوصية التربص بالحول منسوخة بآية التربص بأربعة أشهر وعشرة أيام.

وابن الزبير سأله قال: «**فلم تكتبها؟ قال: ندعها يا ابن أخي؛ لا أغير شيئا منه من مكانه**» يعني: القرآن هكذا نزل ولا يغير.

❊ ❊ ❊

(١) البخاري (٤٥٣٠).

المتن

[٤٨/ ٥٦] ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ﴾ [البقرة: ٢٦٠]

﴿فَصُرْهُنَّ﴾: قَطِّعْهُنَّ.

• [٤١٤٦] حدثنا أحمد بن صالح، قال: نا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة وسعيد، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**نحن أحق من إبراهيم إذ قال: ﴿رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾**».

الشرح

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِ الْمَوْتَىٰ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠] ما شك إبراهيم عليه السلام في قدرة الله فعنده يقين قوي أن الله يحيي الموتى، ولكنه يريد أن يترقى من علم اليقين إلى عين اليقين ثم إلى حق اليقين.

فاليقين له ثلاث مراتب:

المرتبة الأولى: علم اليقين، وهذا يحصل بالخبر الصادق.

المرتبة الثانية: عين اليقين، وهو أن ترى بعينك الشيء الذي أخبرت به.

المرتبة الثالثة: حق اليقين، وهو أن تباشر بنفسك ذلك الشيء وتتعايش معه.

فإذا حصل عندك خبر صادق فإنه يحصل عندك اليقين لكن إذا شاهدت يكون عندك يقين أقوى، فإذا باشرت يكون عندك يقين أقوى.

فمثلًا إذا أخبرك إنسان ثقة لا تشك في صدقه بأن الوادي سال لما جاء المطر فإنك تصدق، ثم لقيك عشرة فقالوا: سال الوادي، ثم لقيك مائة فقالوا: سال الوادي، ثم لقيك ألف فقالوا: سال الوادي فأصبح عندك علم اليقين.

ثم بعد أن حصل لك هذا العلم اليقيني مشيت بنفسك ووقفت على الوادي وشاهدته بعينيك وهو يسيل، فصار عندك يقين أقوى فانتقلت من علم اليقين إلى عين اليقين، ثم بعد ذلك نزلت أنت في الوادي وشربت منه وباشرته فصار عندك يقين أقوى وهذا هو حق اليقين؛ لأن العين قد تخطئ لكن إذا نزلت وباشرته انتقلت إلى الحق الواقع.

وقد أخبرنا الله تعالى بالحساب والجزاء والجنة والنار، والمؤمن عنده علم اليقين بوجود كل ذلك، فإذا كان يوم القيامة وشاهد الإنسان الجنة ورآها من بعد صار عنده عين اليقين، فإذا دخل وباشرها صار عنده حق اليقين.

قوله تعالى: ﴿قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِّنَ ٱلطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ﴾ [البقرة: ٢٦٠]: فسر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ﴿فَصُرْهُنَّ﴾ قال: «قطعهن» أمر الله إبراهيم عليه السلام بأن يأخذ أربعة من الطير ويذبحها ويقطعها فقال: ﴿ثُمَّ ٱجْعَلْ عَلَىٰ كُلِّ جَبَلٍ مِّنْهُنَّ جُزْءًا﴾ وبعد أن قطع إبراهيم عليه السلام الطيور الأربعة صعد على أربعة جبال، ووضع أجزاء من كل طير على كل جبل من الجبال، وأخذ رءوسها الأربع فجعلها بيده ﴿ثُمَّ ٱدْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا﴾ أي: يسرن مسرعات، فجعل يناديهن، فأعاد الله أجسامها والريش الذي فيها وجاء الجسم يريد أن يأخذ الرأس الذي في يده، فإذا أراد أن يركب الرأس على الجسم الذي ليس له امتنع حتى يأتي بالرأس الذي له فيركب عليه، ثم الطير الثاني والثالث والرابع؛ فشاهد بعينه إحياء الله الموتى، ﴿وَٱعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

• [٤١٤٦] قوله: «نحن أحق من إبراهيم»، وفي رواية أخرى للبخاري: «بالشك من إبراهيم»[(١)]، وفي رواية أخرى: «من إبراهيم بالشك»، وهذا ليس شكًّا وإنما هو من باب التواضع وحسن الأدب من النبي ﷺ مع أبيه إبراهيم، فإبراهيم عليه السلام لم يشك ونبينا ﷺ لم يشك ولكن سماه شكًّا؛ لأنه من باب الترقي من علم اليقين إلى عين اليقين، وإن كان علم اليقين كاف في الإيمان والعمل الصالح والترقي والثواب.

قوله: «إذ قال: ﴿أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي ٱلْمَوْتَىٰ ۖ قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِن ۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِي﴾ [البقرة: ٢٦٠]» فشاهد إبراهيم عليه السلام إحياء الطيور عيانا فصار عين يقين.

* * *

---

(١) البخاري (٣٣٧٢).

المَتْنُ

[٤٩/ ٥٦] باب قوله: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ إلى قوله: ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [البقرة: ٢٦٦]

• [٤١٤٧] حدثنا إبراهيم، قال: أنا هشام، عن ابن جريج، قال: سمعت عبدالله بن أبي مليكة، يحدث عن ابن عباس، قال: وسمعت أخاه أبا بكر بن أبي مليكة يحدث، عن عبيد بن عمير قال: قال عمر يومًا لأصحاب النبي ﷺ: فيم تُرَون هذه الآية نزلت: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ﴾؟ قالوا: الله أعلم، فغضب عمر فقال: قولوا: نعلم أو لا نعلم، فقال ابن عباس: في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين، قال عمر: يا ابن أخي، قل ولا تحقر نفسك، قال ابن عباس: ضربت مثلًا لعمل، قال عمر: أي عمل؟ قال ابن عباس: لعمل، قال عمر: لرجل غني يعمل بطاعة الله ﷻ، ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله.

الشَّرْحُ

قوله: «باب قوله: ﴿أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ [البقرة: ٢٦٦]».

هذا ضرب مثلًا للإنسان الذي عمل أولًا بطاعة الله ثم عمل بمعاصي الله فأفسد أعماله وأضاعها.

قوله: ﴿جَنَّةٌ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَابٍ﴾ أي: بستان، ﴿تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ لَهُۥ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ أي: عنده رزقه كله أكله وشربه، والأمن والأمان، ولا يحتاج إلى أحد، ﴿وَلَهُۥ ذُرِّيَّةٌ ضُعَفَآءُ﴾ ثم لما كبرت سنه وله أولاد ضعفاء صغار وليس عنده أولاد كبار أصيبت جنته ﴿فَأَصَابَهَآ إِعْصَارٌ فِيهِ نَارٌ فَٱحْتَرَقَتْ﴾ أي: تغيرت حاله، فبعد أن كانت حاله حسنة أصبحت حاله سيئة، فأصبح كبير السن لا يستطيع أن يكسب وليس عنده أولاد كبار، وإنما أولاده كلهم ضعفاء، وهذا البستان الذي كان موردًا لرزقه وله فيه من كل الثمرات فجاءه إعصار فيه نار فاحترق البستان فاستحالت حاله إلى السوء والعياذ بالله، ولو كان وحده لكانت المسألة أخف، ولكن عنده أطفال، والأطفال يزيدونه عذابا؛ فيأكلونه ويمزقون شعره ولحمه ويضربونه ويبكون أمامه؛ إذ جاءه كل واحد يقول: أعطني أعطني، هذا يأتي عن يمينه وهذا عن شماله،

ويتألم ألما شديدا وهو لا يستطيع أن يجيب طلباتهم ، كذلك عمل الإنسان الذي يعمل بطاعة الله ثم يفسده فيضيع عليه فيود أن لو كان ظل على حاله الأول . نسأل الله السلامة .

• [٤١٤٧] قوله : «**قال عمر يوما لأصحاب النبي ﷺ**» وكان ذلك في خلافته رضي الله عنه .

قوله : «**فيم ترون هذه الآية نزلت؟**» تُرون بضم النون بمعنى : الظن ، وفي لفظ : «**تَرون**» بفتح النون بمعنى : العلم . والآية هي قوله تعالى : ﴿**أَيَوَدُّ أَحَدُكُمْ أَن تَكُونَ لَهُۥ جَنَّةٌ**﴾ [البقرة : ٢٦٦] .

وقوله : «**قالوا : الله أعلم**» وهذا يقال في حياة النبي ﷺ وبعد مماته ﷺ ، أما قول : الله ورسوله أعلم ؛ فهذا كان يقال في حياة النبي ﷺ فقط ؛ لأن الله كان يُنزل عليه الوحي . أما بعد وفاته ﷺ فلا يقال : الله ورسوله أعلم ؛ فالرسول لا يعلم أعمال أمته . ولكن يكتفى بقول : الله أعلم .

قوله : «**فغضب عمر فقال : قولوا : نعلم أو لا نعلم**» يعني : تكلموا فيما لا تعلمون من أجل أن تتأملوا وتنظروا ولا تسكتوا ، وعمر رضي الله عنه لا ينكر هذه الكلمة ، فما أنكر عليهم إلا الخمول والسكوت ، وكان مقصوده هنا أن ينشطهم كي يتفكروا ويشحذوا الذهن .

قوله : «**فقال ابن عباس : في نفسي منها شيء يا أمير المؤمنين**» وكان ابن عباس رضي الله عنهما ما زال صغيرًا في ذلك الوقت ، وكان عمر رضي الله عنه يجله ويجلسه مع كبار صحابة النبي ﷺ .

قوله : «**قال عمر : يا ابن أخي قل ولا تحقر نفسك ، قال ابن عباس : ضربت مثلًا لعمل ، قال عمر : أي عمل؟ قال ابن عباس : لعمل ، قال عمر : لرجل غني يعمل بطاعة الله عز وجل ، ثم بعث الله له الشيطان فعمل بالمعاصي حتى أغرق أعماله**» يعني : فأفسد أعماله . نسأل الله السلامة والعافية .

وهذه الأمثال فيها فوائد ينتقل فيها الإنسان من المثل المعقول إلى المثل المحسوس ، فالآية ضربت مثلا للإنسان الذي يعمل بالإيمان ثم يعمل بعد ذلك بالمعاصي حتى تأتي معاصيه على أعماله الصالحة فيئول به الأمر إلى الغرق في الذنوب وتحصيل غضب الله عليه في الآخرة ، فهذا أمر معنوي ضرب له هذا المثل الحسي .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : «وفي الحديث قوة فهم ابن عباس ، وقرب منزلته من عمر ، وتقديمه له مع صغره ، وتحريض العالم تلميذه على القول بحضرة من هو أسن منه إذا عرف فيه الأهلية ؛ لما فيه من تنشيطه وبسط نفسه وترغيبه في العلم» .

المتن

[٥٠/ ٥٦] **باب ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾** [البقرة: ٢٧٣]

يقال: ألحف علي وألح وأحفاني بالمسألة،

﴿فَيُحْفِكُمْ﴾ [محمد: ٣٧]: **يجهدكم**

• [٤١٤٨] حدثنا ابن أبي مريم، قال: نا محمد بن جعفر، قال: حدثني شريك بن أبي نمر، أن عطاء بن يسار وعبدالرحمن بن أبي عمرة الأنصاري قالا: سمعنا أبا هريرة يقول: قال النبي ﷺ: «**ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان، ولا اللقمة ولا اللقمتان، إنما المسكين الذي يتعفف، اقرءوا إن شئتم**». يعني قوله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾.

الشرح

هذه الترجمة على قوله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلَّذِينَ أُحْصِرُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِى ٱلْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ ٱلْجَاهِلُ أَغْنِيَآءَ مِنَ ٱلتَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُم بِسِيمَٰهُمْ لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾ أثنى الله تعالى على المؤمنين الذين يعطفون على الفقراء المتعففين الذين لا يسألون الناس إلحافًا أي: لا يلحُّون في المسألة؛ فبعض السائلين من الفقراء يلح في المسألة ويشدد عليك ويلحف ويجهدك فيؤذيك ويأتيك عن يمينك وعن شمالك وكذا، وإذا رددته بالمعروف ذهب خلفك ولحقك وأتعبك، وشدد عليك وهذا هو الملحف، وبعض الفقراء يسأل مرة واحدة، فإذا رددته بقول معروف رجع فهذا هو الذي ينبغي أن يُعطى.

قال: «**باب ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾**» يعني: إلحاحا، يلح في المسألة. هذه أوصاف المؤمن المتعفف فمظهره مظهر الغني، فلا يظن الناس أنه فقير، ولا يسأل، هذا هو الذي قد يموت في البيت ولا يعلم الناس عنه شيئا، وهو الذي ينبغي للإنسان أن يتطلبه.

قوله: «**يقال: ألحف علي وألح وأحفاني بالمسألة**» وفي لفظ: «**وألح علي**» فالإلحاف هو الإلحاح.

قوله: ﴿فَيُحْفِكُمْ﴾ فسرها قال: «**يجهدكم**».

• [٤١٤٨] قوله: «شريك بن أبي نمر» معروف أن له أوهاما وعنده ضعف في حفظه، ومثال ذلك ما له من أغلاط وأوهام في أحاديث الإسراء والمعراج، والذي قال مسلم عنها بعدما روى الحديث: قدم وأخر وزاد ونقص.

لكن البخاري ما روى عنه إلا ما ثبت سماعه عنه، فالإمام البخاري ينتقي عن بعض الضعفاء من سيئي الحفظ ما ثبت سماعه عنهم؛ لأنه إمام، وكذلك الإمام مسلم؛ لأن هؤلاء أصحاب الصحيح، لكن إذا روى عن بعض هؤلاء غيرهما -يعني: غير البخاري ومسلم- نقول: فيه ضعف.

قوله: **«ليس المسكين الذي ترده التمرة والتمرتان، ولا اللقمة ولا اللقمتان، إنما المسكين الذي يتعفف، اقرءوا إن شئتم. يعني قوله تعالى: ﴿لَا يَسْـَٔلُونَ ٱلنَّاسَ إِلْحَافًا﴾** [البقرة: ٢٧٣]».

وفي اللفظ الآخر: **«ليس المسكين الذي ترده اللقمة ولا اللقمتان ولا الأكلة والأكلتان إنما المسكين الذي لا يجد غنى يغنيه، ولا يقوم فيسأل الناس، ولا يفطن له فيتصدقوا عليه»**(١).

وهذا من باب نفي الكمال؛ لأن النبي ﷺ نفى المسكنة عن المسكين ليثبتها لمن هو أشد منه وأكمل.

فالطوَّاف الذي ترده التمرة والتمرتان واللقمة واللقمتان مسكين، لكن أشد منه مسكنة وأشد منه حاجة الذي يتعفف فلا يسأل، ولا يفطن له فيتصدقوا عليه، ولا يقوم فيسأل الناس، فلا يدري عنه أحد، وليس عليه علامة الفقر، بل عليه علامة الغنى؛ فهذا ربما يموت في بيته ولا يعلم عنه أحد، هذا هو الذي ينبغي للإنسان أن يتفطن له ويسأل عنه؛ لأن هذا هو المسكين الحقيقي بخلاف المسكين السائل الذي يشحذ ويمد يده؛ فإنه يعطى ما يكفيه.

ويشبه هذا قوله ﷺ في الحديث الآخر: **«ليس الشديد بالصرعة؛ إنما الشديد الذي يملك نفسه عند الغضب»**(٢) فالذي يصرع الناس هو شديد وقوي، لكن أشد منه قوة الذي يملك نفسه عند الغضب.

---

(١) أحمد (٢/ ٣١٦)، والبخاري (١٤٧٩)، ومسلم (١٠٣٩).
(٢) أحمد (٢/ ٢٣٦)، والبخاري (٦١١٤)، ومسلم (٢٦٠٩).

ومثله الحديث الآخر: **«ليس الرقوب الذي لا يولد له إنما الرقوب الذي لم يخلف أمامه»**[١] والرقوب؛ يعني: العقيم الذي ليس له ولد، فالأشد منه الذي لم يمت له ولد يقدمه أمامه.

والإلحاح في السؤال مذموم؛ فلا ينبغي للمسكين الإلحاح ولو كان محتاجًا، وإنما يكفي أن يبين حالته، أما إذا كان يسأل وهو غير محتاج فهذا الذي عليه الوعيد الشديد في قول النبي ﷺ: **«لا يزال الرجل يسأل حتى يأتي يوم القيامة وليس في وجهه مزعة لحم»**[٢]. وفي الحديث الآخر: **«إن السائل تأتي مسألته كدوشًا أو خدوشًا في وجهه يوم القيامة»**[٣]. وكما جاء في قول الله تعالى: ﴿**وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ**﴾ [الحج: ٣٦]، فالقانع: الذي يقنع، والمعتر: الذي يعترض ويسأل.

***

(١) أحمد (١/ ٣٨٢)، ومسلم (٢٦٠٨).
(٢) أحمد (٢/ ١٥)، والبخاري (١٤٧٥)، ومسلم (١٠٤٠).
(٣) أحمد (١/ ٣٨٨)، وأبو داود (١٦٢٦)، والترمذي (٦٥٠)، والنسائي (٢٥٩٢)، وابن ماجه (١٨٤٠).

المتن

[٥١/ ٥٦] ﴿وَأَحَلَّ ٱللَّهُ ٱلْبَيْعَ وَحَرَّمَ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٥]

﴿ٱلْمَسِّ﴾: الجنون.

• [٤١٤٩] حدثنا عمر بن حفص بن غياث، قال: نا أبي، قال: نا الأعمش، قال: نا مسلم، عن مسروق، عن عائشة قالت: لما نزلت الآيات من آخر سورة البقرة في الربا، وقرأها رسول الله ﷺ على الناس، ثم حرم التجارة في الخمر.

الشرح

قوله تعالى: ﴿ٱلْمَسِّ﴾ فسر المؤلف رحمه الله المس بالجنون، وذلك في قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة: ٢٧٥]، وفيه عظم إثم المرابي، وأنه يبعث يوم القيامة مجنونًا يتساقط لا يكاد يثبت. نسأل الله السلامة والعافية.

• [٤١٤٩] قوله: «لما نزلت الآيات من آخر سورة البقرة في الربا» يعني: من قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾، إلى قوله تعالى: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٧٥-٢٨١].

قوله: «وقرأها رسول الله ﷺ على الناس، ثم حرم التجارة في الخمر» المراد هنا أن النبي ﷺ قرأ هذه الآيات وهي الآيات الدالة على تحريم الربا، فحرم الربا ثم حرم التجارة في الخمر أي البيع والشراء فبين للناس أن الخمر أيضًا محرم، وكرر تحريمها لزيادة التأكيد، وإلا فإن تحريم الخمر كان قبل ذلك.

وليس جمعها في حديث واحد يعني أن تحريمها جاء في وقت واحد؛ وإنما لأن تحريم التجارة في الربا وقع بعد تحريم الخمر وبينهما مدة؛ لأن آيات الربا من آخر ما نزل من القرآن، فأراد النبي ﷺ أن يشدد على تحريم الاثنين معا؛ ليكون أبلغ وأقوى في النهي. وسيعيد المؤلف رحمه الله هذا الحديث مرات لمناسبة الآية.

المتن

[٥٢/ ٥٦] ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾ [البقرة: ٢٧٦]: يذهبه

• [٤١٥٠] حدثنا بشر بن خالد، قال: أنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن سليمان الأعمش، قال: سمعت أبا الضحى يحدث، عن مسروق، عن عائشة، أنها قالت: لما أنزلت الآيات الأواخر من سورة البقرة خرج رسول الله ﷺ فتلاهن في المسجد، فحرم التجارة في الخمر.

الشرح

قوله: ﴿يَمۡحَقُ ٱللَّهُ ٱلرِّبَوٰاْ﴾: فسره بقوله: «يذهبه» يعني: يذهبه بالكلية أو تذهب بركته؛ وذلك لما بين الربا والخمر من التشابه؛ فهذا يضر بالأموال، وهذا يضر بالعقول، والذي يظهر أن الخمر أشد؛ لما فيها من إفساد العقول.

• [٤١٥٠] قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «ذكر المصنف حديث عائشة المذكور قبله من وجه آخر عن الأعمش، ومراده الإشارة إلى أن هذه الآية من جملة الآيات التي ذكرتها عائشة».

* * *

المتن

[٥٣/ ٥٦] ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٩]: **فاعلموا**

• [٤١٥١] حدثني محمد بن بشار، قال: نا غندر، قال: نا شعبة، عن منصور، عن أبي الضحىٰ، عن مسروق، عن عائشة قالت: لما أنزلت الآيات من آخر سورة البقرة قرأهن النبي ﷺ عليهم في المسجد، وحرم التجارة في الخمر.

الشرح

قوله: ﴿فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧٩] على القراءة المشهورة فسرها قال: «**فاعلموا**» أو: أيقنوا.

وفي قراءة: «**فآذنوا بحرب**» بالمد، أي: آذنوا غيركم وأعلموهم.

• [٤١٥١] كرر البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الحديث في أكثر من موضع من أجل مناسبته للآيات.

* * *

المتن

[٥٤/ ٥٦] باب ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠] الآية

• [٤١٥٢] وقال محمد بن يوسف: عن سفيان، عن منصور والأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة قالت: لما أنزل الآيات من آخر سورة البقرة، قام رسول الله ﷺ فقرأهن علينا، ثم حرم التجارة في الخمر.

الشرح

قوله: «باب ﴿وَإِن كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ [البقرة: ٢٨٠]» نظرة: خبر بمعنى الأمر، والمعنى: أنظروه إلى وقت اليسار والاستطاعة، وهذا فرض واجب، يعني: المدين إن كان معسرا فيجب إنظاره إلى ميسرة، هذا أمر من الله تعالى لصاحب الدين وهو الدائن، فإذا كان هناك وسيلة فلا يؤذيه ولا يطالبه لكن يمكنه من العمل.

وقوله تعالى: ﴿وَأَن تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨٠] إذا أسقطت بعض الدين أو أسقطت الدين كله فهذا أفضل وفيه خير، وهذا فيه دليل على أن النافلة قد تكون أفضل من الفريضة، والقاعدة أن الفريضة أفضل من النافلة، لكن في هذا الموضع النافلة تكون أفضل، فإنظار المعسر واجب؛ لأنه ليس عنده مورد ليؤدي دينه، فلا تحبسه أو تسجنه أو تضربه؛ لأن هذا لا ينفع إنما تمكنه من العمل.

• [٤١٥٢] هذا الموضع الرابع من سياق المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لهذا الحديث، ولا شك أن النبي ﷺ حرم الربا؛ وذلك لأن أهل الجاهلية كانوا إذا حل الدين على أحدهم وليس عنده شيء، قال له الدائن: أعطني، فيقول المدين: ما عندي شيء، فيقول الدائن: أزيدك في الأجل وتزيدني في الدين، فيتراضيان على ذلك.

فإذا كان الدين ألفًا -مثلا- يصبح ألفا ومائتين أو ألفا وخمسين ويصبر عليه سنة، فإذا جاءت السنة الثانية قال: أعطني، قال: ما عندي شيء، قال: أزيدك، أجعلها ألفين وأعطيك سنة ثالثة، وهكذا، وكلما حل الدين زاد هذا في الأجل وزاد هذا في الدين حتى يكون الربا أضعافا مضاعفة؛ فأنزل الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَأْكُلُوا ٱلرِّبَوٰٓا أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ [البقرة: ١٣٠] ولهذا ذكر في هذا الحديث أنه يجب إنظاره ولا يجوز الربا، وذكر معه تحريم الخمر لمناسبة ما بينهما من الفساد.

المتن

[٥٥/ ٥٦] باب ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]

• [٤١٥٣] حدثنا قبيصة بن عقبة، قال: نا سفيان، عن عاصم، عن الشعبي، عن ابن عباس قال: آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا.

الشرح

• [٤١٥٣] قوله: «**آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا**» هذا قول ابن عباس رضي الله عنهما، وهذا على حسب علمه، وقيل: آخر آية نزلت قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]. وقيل غير ذلك.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قوله: «**آخر آية نزلت على النبي ﷺ آية الربا**» كذا ترجم المصنف بقوله: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١] وأخرج هذا الحديث بهذا اللفظ، ولعله أراد أن يجمع بين قولي ابن عباس؛ فإنه جاء عنه ذلك من هذا الوجه، وجاء عنه من وجه آخر: آخر آية نزلت على النبي ﷺ: ﴿وَٱتَّقُواْ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾. وأخرجه الطبري من طرق عنه، وكذا أخرجه من طرق عن جماعة من التابعين وزاد: عن ابن جريج قال: يقولون: إنه مكث بعدها تسع ليال. ونحوه لابن أبي حاتم عن سعيد ابن جبير. وروي عن غيره أقل من ذلك وأكثر؛ فقيل: إحدى وعشرين، وقيل: سبعًا. وطريق الجمع بين هذين القولين أن هذه الآية هي ختام الآيات المنزلة في الربا إذ هي معطوفة عليهن».

يعني أن هذا يحمل على أنها آخر آية نزلت فيما يتعلق بالربا فهي تابعة للربا.

أما الجزم بأنها آخر آية نزلت ففيه نظر، ويحتاج إلى دليل؛ لأنه ورد أن آخر آية نزلت: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي﴾ [المائدة: ٣] التي نزلت على النبي ﷺ ولم يمكث بعدها إلا ثمانين يوما؛ حيث نزلت في يوم عرفة، والعجب أن الحافظ ابن حجر رحمه الله لم يذكرها.

* * *

المتن

[٥٦/ ٥٦] باب ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] الآية

• [٤١٥٤] حدثنا محمد، قال: نا النفيلي، قال: نا مسكين، عن شعبة، عن خالد الحذاء، عن مروان الأصفر، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، وهو: ابن عمر، أنها قد نُسِخَتْ: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ الآية.

الشرح

• [٤١٥٤] قوله: «**قد نسخت**: ﴿وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] **الآية**» أي نسختها الآية التي بعدها؛ وهي قوله تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

* * *

المتن

[٥٧/ ٥٦] ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]

وقال ابن عباس: ﴿إِصۡرٗا﴾ [البقرة: ٢٨٦]: عهدا.

ويقال ﴿غُفۡرَانَكَ﴾ [البقرة: ٢٨٥]: مغفرتك، فاغفر لنا.

• [٤١٥٥] حدثني إسحاق بن منصور، قال: أنا روح، قال: نا شعبة، عن خالد الحذاء، عن مروان الأصفر، عن رجل من أصحاب النبي ﷺ، قال: أحسبه ابن عمر، ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ﴾ [البقرة: ٢٨٤] قال: نسختها الآية التي بعدها.

الشرح

قوله: «**وقال ابن عباس: ﴿إِصۡرٗا﴾** [البقرة: ٢٨٦]: **عهدا**» الإصر هو الشيء الثقيل الشديد، وفسره ابن عباس بالعهد؛ لأن الوفاء بالعهد شديد.

قوله: «**ويقال: ﴿غُفۡرَانَكَ﴾** [البقرة: ٢٨٥]: **مغفرتك، فاغفر لنا**».

• [٤١٥٥] هذا هو الحديث السابق، وقد دل على أن الآية الأولى منسوخة وهي قوله تعالى: ﴿لِّلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ يُحَاسِبۡكُم بِهِ ٱللَّهُۖ﴾ [البقرة: ٢٨٤] ومعنى الآية أن الله يحاسب بالوساوس التي في النفس وأن الإنسان مسئول عما في نفسه؛ سواء أبداه أو أخفاه، وهذا فيه مشقة عظيمة، فمن الذي يستطيع أن يزيل الوساوس؟!

ولهذا شق ذلك على الصحابة -كما في «صحيح مسلم»- وجاءوا إلى النبي ﷺ وجثوا على الركب وقالوا: يا رسول الله، كُلفنا من العمل ما نطيق؛ الصلاة والصيام والزكاة نطيقها، وأنزلت عليك هذه الآية ولا نطيقها؛ فلا نطيق أن نزيل الوساوس التي في أنفسنا. فقال النبي ﷺ: «**أتقولون كما قال أهل الكتاب من قبلكم: سمعنا وعصينا، قولوا: سمعنا وأطعنا**»[1] فقالوا: سمعنا وأطعنا.

---

(١) مسلم (١٢٥).

فلما زلت بها ألسنتهم نسخها الله تعالى وأنزل : ﴿ءَامَنَ ٱلرَّسُولُ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيۡهِ مِن رَّبِّهِۦ وَٱلۡمُؤۡمِنُونَۚ كُلٌّ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَكُتُبِهِۦ وَرُسُلِهِۦ لَا نُفَرِّقُ بَيۡنَ أَحَدٖ مِّن رُّسُلِهِۦۚ وَقَالُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۖ غُفۡرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيۡكَ ٱلۡمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ [البقرة : ٢٨٥ ، ٢٨٦] فهذه الآية نسخت ما تقدمها وأثبتت أن الوساوس التي في النفوس لا يحاسب الله بها ؛ لأن الإنسان لا يستطيع أن يمنعها ، والنفس لا تكلف إلا بوسعها .

والآية التي بعدها هي قوله تعالى : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتۡ وَعَلَيۡهَا مَا ٱكۡتَسَبَتۡۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذۡنَآ إِن نَّسِينَآ أَوۡ أَخۡطَأۡنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحۡمِلۡ عَلَيۡنَآ إِصۡرٗا كَمَا حَمَلۡتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِنَا﴾ [البقرة : ٢٨٦] جاء في الحديث : **«قال الله : قد فعلت»** . ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلۡنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦ﴾ . **«قال الله : قد فعلت»** . ﴿وَٱعۡفُ عَنَّا وَٱغۡفِرۡ لَنَا وَٱرۡحَمۡنَآۚ أَنتَ مَوۡلَىٰنَا فَٱنصُرۡنَا عَلَى ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة : ٢٨٦] **«قال الله : قد فعلت»**(١) .

فهذه الآية : ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِلَّا وُسۡعَهَا﴾ ناسخة لآية : ﴿وَإِن تُبۡدُواْ مَا فِيٓ أَنفُسِكُمۡ أَوۡ تُخۡفُوهُ﴾ ، وهذا من فضل الله تعالى على عباده .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «قوله : **«نسختها الآية التي بعدها»** قد عرف بيانه من حديثي ابن عباس وأبي هريرة والمراد بقوله : **«نسختها»** أي : أزالت ما تضمنته من الشدة وبينت أنه وإن وقعت المحاسبة به لكنها لا تقع المؤاخذة به ، أشار إلى ذلك الطبري ؛ فرارًا من إثبات دخول النسخ في الأخبار ، وأجيب بأنه وإن كان خبرًا لكنه يتضمن حكمًا ومهما كان من الأخبار يتضمن الأحكام أمكن دخول النسخ فيه كسائر الأحكام وإنما الذي لا يدخله النسخ من الأخبار ما كان خبرًا محضًا لا يتضمن حكما كالأخبار عما مضى من أحاديث الأمم ونحو ذلك ويحتمل أن يكون المراد بالنسخ في الحديث التخصيص ؛ فإن المتقدمين يطلقون لفظ النسخ عليه كثيرا ، والمراد بالمحاسبة بما يخفي الإنسان ما يصمم عليه ويشرع فيه دون ما يخطر له ولا يستمر عليه والله أعلم» .

* * *

---

(١) أحمد (٢/ ٣١٤) ، ومسلم (١٢٦) .

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

[٥٨/ ٥٦] سورة آل عمران

• [٤١٥٦] ﴿شَفَا حُفْرَةٍ﴾ [آل عمران: ١٠٣]: مثل شفا الرَّكِيَّة، وهو حرفها.

المُسَوَّم: الذي له سِيماءٌ بعلامة، أو بصوفة، أو بما كان.

﴿رِبِّيُّونَ﴾ [آل عمران: ١٠٣]: الجموع، واحدها: رِبِيٌّ.

﴿تُبَوِّئُ﴾ [آل عمران: ١٢١]: تتخذ معسكرًا.

﴿سَنَكْتُبُ﴾ [آل عمران: ١٨١]: سنحفظ.

﴿نُزُلاً﴾ [آل عمران: ١٩٨]: ثوابًا، ويجوز: ومُنْزَل من عند الله؛ كقولك: أنزلته.

وقال مجاهد: ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ [آل عمران: ١٤]: المطهمة الحسان.

قال سعيد بن جبير وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى: الراعية المسومة.

وقال مجاهد: ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَيَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾ [الأنعام: ٩٥] النطفة تَخْرُجُ مَيِّتَةً ويُخْرَجُ منها الحي.

الشرح

بعد أن انتهى الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ من تفسير سورة البقرة انتقل إلى تفسير سورة آل عمران، وهو رَحِمَهُ اللَّهُ حريص على إفادة طالب العلم فهو يفسر الكلمات التي تحتاج إلى تفسير وينقلها عن أهل اللغة مثل معمر بن المثنى وغيره، ويذكر من الأحاديث على الآيات ما كان على شرطه وإذا لم يجد حديثا على شرطه انتقل إلى الآية الأخرى وهكذا ينتقل من سورة إلى سورة.

وهنا في سورة آل عمران فسر الكلمات التي تحتاج إلى بيان معنى.

• [٤١٥٦] قال في رواية أخرى للصحيح: «تقاة وتقية واحد» هذا القول على قوله تعالى: ﴿إِلَّآ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَىٰةً وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفْسَهُۥ﴾ [آل عمران: ٢٨]، الآية. وهذه الآية في شأن الكفار وفيها التحذير من اتخاذ الكفار أولياء إلا من باب التقية؛ أي: لا يجوز للمسلم موالاتهم إلا إذا خاف من شرهم.

وقال أيضا : «صر : برد» هذا مثل ضربه الله في ذهاب أعمال الكفار وضياعها فقال تعالى : ﴿كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ﴾ [آل عمران : ١١٧] وهذا الصر برد الرياح ؛ فإنها إذا كان فيها برد تهلك الحرث .

قوله : «﴿شَفَا حُفْرَةٍ﴾ [آل عمران : ١٠٣]» فسر قال : «**مثل شفا الركية ، وهو حرفها**» .

وقوله : «**المسوم**» يعني في قوله : ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ [آل عمران : ١٤] فسرها فقال : «**الذي له سيماء بعلامة أو بصوفة أو بما كان**» .

وقوله : ﴿رِبِّيُّونَ﴾ [آل عمران : ١٤٦] فسرها بقوله : «**الجموع ، واحدها : رِبِيّ**» وهم العلماء ، والربي : هو الذي يربي الناس بصغار العلم قبل كباره .

وقوله : ﴿تُبَوِّئُ﴾ [آل عمران : ١٢١] فسرها بقوله : «**تتخذ معسكرا**» .

وقوله : ﴿سَنَكْتُبُ﴾ [آل عمران : ١٨١] فسرها بقوله : «**سنحفظ**» .

وجاء في رواية أخرى للصحيح قال : ﴿تَحُسُّونَهُم﴾ [آل عمران : ١٥٢] : «**تستأصلونهم قتلا**» أي في غزوة أحد ، وهذا كان في أول المعركة ، فقد كانت للمؤمنين ، ثم بعد ذلك أخل الرماة بالموقف فدخل عليهم الكفار فحصلت النكسة .

وقال أيضا : ﴿غُزًّى﴾ [آل عمران : ١٥٦] : «**واحدها : غاز**» .

قوله : ﴿نُزُلاً﴾ [آل عمران : ١٩٨] فسرها بقوله : «**ثوابا**» ، ثم قال : «**ويجوز : ومُنْزَل من عند الله ؛ كقولك : أنزلته**» .

قوله : «**وقال مجاهد :** ﴿وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ﴾ فسرها بقوله : «**المطهمة الحسان**» .

قوله : «**قال سعيد بن جبير وعبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى : الراعية المسومة**» يعني في قوله تعالى : ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ﴾ ففسر الخيل المسومة قال : الراعية .

وجاء في رواية أخرى للصحيح قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «**وقال ابن جبير :** ﴿وَحَصُورًا﴾ [آل عمران : ٣٩]» في قصة يحيى ، فسرها فقال : «**لا يأتي النساء**» على أحد الأقوال ، وكذا : «**وقال عكرمة :** ﴿مِّن فَوْرِهِمْ﴾ [آل عمران : ١٢٥]» قال : «**من غضبهم يوم بدر**» والفور : الغضب ؛ ومنه : فارت القدر .

قوله : «**وقال مجاهد : ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ﴾** [الأنعام : ٩٥]» فسرها فقال : «**النطفة تخرج ميتة ويخرج منها الحي**» .

وجاء في رواية أخرىٰ للصحيح قال البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ : **﴿وَسَبِّحْ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾** [آل عمران : ٤١] فسرها فقال : «**الإبكار أول الفجر ، والعشي : ميل الشمس ، أراه إلىٰ أن تغرب**» .

❋ ❋ ❋

المتن

[٥٩/ ٥٦] **باب** ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ [آل عمران : ٧]

• [٤١٥٧] وقال مجاهد : الحلال والحرام .

﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران : ٧] : يصدق بعضه بعضا .

وكقوله تعالى : ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة : ٢٦] ، وكقوله جل ذكره : ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس : ١٠٠] ، وكقوله جل ذكره : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد : ١٧] .

﴿زَيْغٌ﴾ : شك . ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ : المشبَّهاتُ .

﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ : يعلمون ، ﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ .

• [٤١٥٨] حدثنا عبدالله بن مسلمة ، قال : نا يزيد بن إبراهيم التستري ، عن ابن أبي مليكة ، عن القاسم بن محمد ، عن عائشة قالت : تلا رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ ، قالت : قال رسول الله ﷺ : **«فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذرهم»** .

الشرح

هذا الباب على قول الله تعالى : ﴿مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ .

• [٤١٥٧] قال الله تعالى : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ فسر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ الآيات المحكمات نقلا عن مجاهد فقال : **«الحلال والحرام»** .

قوله : ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ فسرها المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ فقال : **«يصدق بعضه بعضا»** . هكذا فسر المؤلف ؛ أخذا من قول الله تعالى : ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر : ٢٣] يعني يصدق بعضه بعضا ، ولكن المعنى في هذه الآية غير المعنى الذي في آية الزمر ، فالمعنى هنا : ما يشتبه على بعض الناس ، والحديث الذي ذكره المؤلف يؤيد هذا المعنى ؛ أن المراد بالمتشابهات

في الآية غير المتشابه في آية الزمر فالمتشابه في آية الزمر : ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ يعني : القرآن متشابه يصدق بعضه بعضا ويوافق بعضه بعضا ويؤيد بعضه بعضا ؛ فما جاء في موضع يأتي في موضع آخر يصدقه ويوافقه ، فالقصص في القرآن تجدها متشابهة مثل قصة قوم نوح في عدد من السور يصدق بعضها بعضا وليس فيها اختلاف .

والمعنى الثاني للمتشابه : الذي يشتبه معناه على بعض الناس كما في هذه الآية : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ﴾ [آل عمران : ٧] يعني : واضحات المعنى كالحلال والحرام ، ﴿وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ ، يعني تشتبه على بعض الناس دون البعض ، والحديث الذي ذكره المؤلف يؤيد معنى الآية .

فهذا النقل للمؤلف عن معنى المتشابه انتقال نظر من معنى إلى معنى ؛ كقوله تعالى : ﴿وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [البقرة : ٢٦] ، وكقوله جل ذكره : ﴿وَيَجْعَلُ ٱلرِّجْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [يونس : ١٠٠] ، وكقوله جل ذكره : ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهْتَدَوْا۟ زَادَهُمْ هُدًى وَءَاتَىٰهُمْ تَقْوَىٰهُمْ﴾ [محمد : ١٧] .

وقوله : ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ﴾ فسر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ الزيغ فقال : **«شك»** .

وقوله : ﴿ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ﴾ قال : **«المشتبهات»** ، فسر الفتنة بالمشتبهات .

وقوله : ﴿وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ﴾ قال : **«يعملون»** أي يعملون بالمحكم ويؤمنون بالمتشابه و﴿يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ .

● [٤١٥٨] ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ حديث عائشة على تفسير الآية ، وأحسن ما يفسر به القرآن أن يفسر بالآيات الأخرى ثم بأحاديث النبي ﷺ ، والنبي ﷺ فسر هذه الآية : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ ۖ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ إلى آخر الآية .

قوله : **«قالت : قال رسول الله ﷺ : فإذا رأيت الذين يتبعون ما تشابه منه فأولئك الذين سمى الله فاحذرهم»** فيه دليل على أن الذين يتركون الواضح من الأحكام ويأخذون بما فيه اشتباه أن هذا أمارة على الزيغ في قلوبهم .

وقوله في الحديث : **«فإذا رأيت»** قد يكون الخطاب لعائشة فيكون بكسر التاء ، وقد يكون الخطاب عام لكل مسلم فيكون **«رأيتَ»** بفتح التاء ، يعني إذا رأيت أيها المخاطب .

المتن

[٦٠/ ٥٦] باب ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾ [آل عمران: ٣٦]

• **[٤١٥٩]** حدثني عبدالله بن محمد، قال: نا عبدالرزاق، قال: أنا معمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة، أن النبي ﷺ قال: **«ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد؛ فيستهل صارخًا من مس الشيطان إياه، إلا مريم وابنها»**، ثم يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾.

الشرح

قوله: **«باب: ﴿وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ﴾»**.

• [٤١٥٩] قوله: **«ما من مولود يولد إلا والشيطان يمسه حين يولد؛ فيستهل صارخًا من مس الشيطان إياه إلا مريم وابنها»** هذه منقبة لمريم وابنها عليهم الصلاة والسلام أن الشيطان لم يمسهما، وفيه دليل على أن الشيطان يمس كل مولود؛ ولهذا يستهل صارخًا من مسه وطعنه. وفي الحديث الآخر: **«غير عيسى ابن مريم ذهب يطعن فطعن في الحجاب»**(١) والحجاب هو الحاجز بينه وبين الولد.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وقد طعن صاحب «الكشاف» في معنى هذا الحديث وتوقف في صحته فقال: إن صح هذا الحديث فمعناه أن كل مولود يطمع الشيطان في إغوائه إلا مريم وابنها؛ فإنهما كانا معصومين، وكذلك من كان في صفتهما».

وصاحب «الكشاف» هو الزمخشري وهو معتزلي على طريقة المعتزلة، وهناك فرقة من فرق المعتزلة تسمى الزمخشرية تنسب إليه.

ولا شك أن هذا غلط واضح، كيف يطعن في صحة حديث وهو ثابت في الصحيحين وفي غيرهما، وهما أصح كتابين بعد كتاب الله ﷻ وقد تلقتهما الأمة بالقبول، لكن عادة أهل البدع أن يطعنوا في الأحاديث ولا يقبلوها.

---

(١) أحمد (٢/ ٥٢٣)، والبخاري (٣٢٨٦).

وقد أخطأ خطأين :

الخطأ الأول : طعنه في الصحيحين .

الخطأ الثاني : تأويل الحديث تأويلًا يخالف الظاهر .

ومعنى كلام الزمخشري : إن صح الحديث فليس الطعن المذكور فيه طعنًا حقيقيًا أو حسيًا بل هو طعن معنوي ومعناه أنه يطمع ، ففسر الطعن بالطمع وهذا على طريقة أهل البدع ، والحديث صحيح والطعن طعن حسي حقيقي وما المانع من ذلك؟ إذا كان النبي ﷺ يقول : **«إن الشيطان يجري من ابن آدم مجرى الدم»**[1] فإذا كان يجري مجرى الدم أفلا يطعن في الحجاب؟! فهل لا يستطيع الطعن الحقيقي؟

وفي الآية الثانية يقول : ﴿**ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ**﴾ [البقرة : ٢٧٥] إذا كان الشيطان يتخبط ويمس ، أفلا يطعن في الحجاب طعنًا حسيًا؟!

ثم قال الحافظ نقلا عن الزمخشري : «وكذلك من كان في صفتهما لقوله تعالى : ﴿**إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ**﴾ [الحجر : ٤٠] قال : واستهلال الصبي صارخًا من مس الشيطان تخييل لطمعه فيه كأنه يمسه ويضرب بيده عليه ويقول : هذا ممن أغويه» .

هذا أيضا تأويل ثان ؛ فصراخ الصبي ليس من أجل الطعن إنما هو من أجل التخييل ؛ أي : خيل له فصاح الصبي ، وهذا تأويل المعتزلة والأشاعرة ، والصواب أنه طعن حسي حقيقي وأن الصبي يستهل صارخًا من أثر الطعن الحسي .

ثم قال الحافظ نقلا عن الزمخشري : «وأما صفة النخس كما يتوهمه أهل الحشو فلا» .

أهل الحشو هم أهل السنة يسميهم المعتزلة وأهل البدع حشوية ؛ لأنهم يثبتون الصفات ويسمونهم نوابت يلمزونهم فهو يعيب على أهل السنة قولهم : هذا طعن حسي وينكر عليهم ويرد عليهم يقول : «أما أن يكون طعنًا حسيًا كما يزعمه أهل السنة من الحشوية فلا وإنما هو تخييل أمر معنوي» .

---

(١) أحمد (٣/ ١٥٦) ، والبخاري (٣٢٨١) ، ومسلم (٢١٧٤) .

ثم قال الحافظ نقلا عن الزمخشري : «ولو ملك إبليس على الناس نخسهم لامتلأت الدنيا صراخا انتهى» وهكذا نجد المعتزلة يعتمدون على عقولهم في معارضة الأحاديث والسنن .

وقد تعقبه الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ بقوله : «وكلامه متعقب من وجوه ، والذي يقتضيه لفظ الحديث لا إشكال في معناه ولا مخالفة لما ثبت من عصمة الأنبياء ، بل ظاهر الخبر أن إبليس ممكن من مس كل مولود عند ولادته» . وهذا هو الصواب أنه ممكن وهو حقيقة .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «لكن من كان من عباد الله المخلصين لم يضره ذلك المس أصلًا واستثني من المخلصين مريم وابنها ؛ فإنه ذهب يمس على عادته فحيل بينه وبين ذلك فهذا وجه الاختصاص ، ولا يلزم منه تسلطه على غيرهما من المخلصين ، وأما قوله : لو ملك إبليس إلخ فلا يلزم من كونه جعل له ذلك عند ابتداء الوضع أن يستمر ذلك في حق كل أحد ، وقد أورد الفخر الرازي هذا الإشكال وبالغ في تقريره على عادته وأجمل الجواب فما زاد على تقريره أن الحديث خبر واحد ورد على خلاف الدليل ؛ لأن الشيطان إنما يغوي من يعرف الخير والشر والمولود بخلاف ذلك» .

وهو قد نقل هنا عن الفخر الرازي في تفسيره «مفاتيح الغيب» ، وفي الأول نقل عن الزمخشري في تفسيره «الكشاف» ، ومقتضى النقل أن الفخر الرازي رد الحديث برد معروف عند أهل البدع وهو كونه خبر آحاد ، والخبر الواحد إذا ورد على خلاف الدليل لا يقبل ولا تقوم به الحجة ، وكيف يغويه وهو لا يعرف الخير والشر ، فوضح بعقله مثلما فعل الزمخشري لكن بطريق آخر .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «وأنه لو مُكِّن من هذا القدر لفعل أكثر من ذلك من إهلاك وإفساد ، وأنه لا اختصاص لمريم وعيسى بذلك دون غيرهما إلى آخر كلام «الكشاف» ثم أجاب بأن هذه الوجوه محتملة» .

كيف يقول : إلى آخر كلام «الكشاف» ، بما يقتضي أن يكون «الكشاف» متأخرًا عن «مفاتيح الغيب» ، فيكون قد أخذ عن الرازي ، وهذا يحتمل ، ويحتمل أن يكون قوله : إلى آخر كلام «الكشاف» خطأ . والصواب : إلى آخر كلام الفخر الرازي ، أو : إلى آخر كلام «مفاتيح الغيب» .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «ثم أجاب بأن هذه الوجوه محتملة، ومع الاحتمال لا يجوز دفع الخبر انتهى .

وقد فتح الله تعالى بالجواب كما تقدم، والجواب عن إشكال الإغواء يعرف مما تقدم أيضا وحاصله أن ذلك جعل علامة في الابتداء على من يتمكن من إغوائه والله أعلم» .

ولا يلزم من هذه المسَّة الضرر، فهي مثل الضمة التي في القبر، وهذه المسَّة قدرها الله لكل أحد إلا لمريم وابنها .

* * *

المتن

[٦١/ ٥٦] باب ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ [آل عمران: ٧٧]

﴿لَا خَلَـٰقَ﴾: لا خير

﴿أَلِيمٌ﴾: مؤلم موجع، من الألم، وهو في موضع مُفْعِل

• [٤١٦٠] حدثنا حجاج بن منهال، قال: نا أبو عوانة، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبدالله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: **«من حلف بيمين صَبْرٍ ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان»**، فأنزل الله تصديق ذلك: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً أُوْلَـٰٓئِكَ لَا خَلَـٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ إلى آخر الآية. قال: فدخل الأشعث ابن قيس وقال: ما يحدثكم أبو عبدالرحمن؟ قلنا: كذا وكذا، قال: في أنزلت؛ كانت لي بئر في أرض ابن عم لي، قال النبي ﷺ: **«بينتك أو يمينه»**، فقلت: إذن يحلف يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: **«من حلف على يمين صبر يقطع بها مال امرئ مسلم وهو فيها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان»**.

• [٤١٦١] حدثني علي بن أبي هاشم، سمع هشيمًا قال: أنا العوام بن حوشب، عن إبراهيم بن عبدالرحمن، عن عبدالله بن أبي أوفى، أن رجلًا أقام سلعة في السوق، فحلف بها لقد أُعْطِيَ بها ما لم يعطه؛ ليوقع فيها رجلا من المسلمين، فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾ إلى آخر الآية.

• [٤١٦٢] حدثنا نصر بن علي بن نصر، قال: نا عبدالله بن داود، عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة، أن امرأتين كانتا تخرزان في بيت وفي الحجرة، فخرجت إحداهما وقد أنفذ بإشفًى في كفها، فادعت على الأخرى، فرفع إلى ابن عباس، فقال ابن عباس: قال رسول الله ﷺ: **«لو يعطى الناس بدعواهم لذهب دماء قوم وأموالهم»**. ذكروها بالله، واقرءوا عليها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَـٰنِهِمْ ثَمَنًا﴾. فذكروها فاعترفت؛ فقال ابن عباس: قال النبي ﷺ: **«اليمين على المدعى عليه»**.

الشَّرْحُ

هذه الترجمة على قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [آل عمران: ٧٧] وفيها الوعيد الشديد على من يحلف بالله كذبا ليعتاض به شيئا من الدنيا ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ﴾ يعني: يعتاضون مثل قوله: ﴿ٱلَّذِينَ يَشۡرُونَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا بِٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [النساء: ٧٤] واشترى ماذا؟ ﴿ثَمَنٗا قَلِيلًا﴾، فالدنيا كلها ثمن قليل، فالذي يعطى الدنيا كلها مقابل أن يحلف كاذبا أعطي ثمنًا قليلًا، كأن يكون عليه -مثلًا- لشخص دين عشرة آلاف فيحلف بالله أنه ليس له حق عنده وليس له دين عنده، فنقول: هذا باع واعتاض بيمينه ثمنًا قليلًا، حتى لو كان الذي اعتاضه الدنيا كلها؛ فهو ثمن قليل، وهذا هو الذي عليه الوعيد.

قوله: ﴿لَا خَلَٰقَ﴾ في قول الله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ فسرها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ قال: «**لا خير**»، والمعنى ليس له حظ ولا نصيب في الآخرة.

قوله: ﴿أَلِيمٌ﴾ في قوله تعالى: ﴿وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ فسرها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال: «**مؤلم: موجع، من الألم، وهو في موضع مُفعِل**» مؤلم على وزن مُفعل، وهذا فيه الوعيد الشديد وأنه من كبائر الذنوب أن من اعتاض بيمينه شيئا من الدنيا، ثم ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ثلاثة أحاديث في سبب نزول هذه الآية:

• [٤١٦٠] **الحديث الأول** حديث عبد الله بن مسعود رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ: «**قال: قال رسول الله ﷺ من حلف بيمين صبر ليقتطع بها مال امرئ مسلم لقي الله وهو عليه غضبان**» أصل الصبر الحبس، يقال: فلان قتل صبرا؛ يعني: قتل محبوسا لا يستطيع الدفاع عن نفسه، وهذا الذي حلف على يمين صبر كأنه حلف ليذهب مال أخيه، وأخوه ليس عنده بينة وليس له حيلة كأنه مصبور يعني مقطوع محبوس، كأن يكون لشخص على شخص عشرة آلاف مثلًا، وليس له بينة، فحلف الذي عليه الحق أن ليس له؛ فهذا اقتطع مال أخيه بيمين صبر؛ يعني: فكأنه حبسه واقتطع ماله؛ لأن خصمه لا يملك الدفاع عن نفسه وهو قد أخذ ماله بهذه اليمين.

قوله: «**فأنزل الله تصديق ذلك**: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنٗا قَلِيلًا أُوْلَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيۡهِمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ يعني هذه الآية أنزلت موافقة لقول النبي ﷺ.

قوله : «**فدخل الأشعث بن قيس وقال : ما يحدثكم أبو عبدالرحمن؟ قلنا : كذا وكذا**» أبو عبد الرحمن كنية عبد الله بن مسعود رضي الله عنه .

قوله : «**فيّ أنزلت**» يقول الأشعث بن قيس : إن هذه الآية أنزلت فيه ؛ أي بسببه .

قوله : «**كانت لي بئر في أرض ابن عم لي، قال النبي ﷺ : بينتك أو يمينه**» لفظ : بينتك ، يجوز فيه الرفع والنصب على حسب الرواية ؛ فالرفع على أنه مبتدأ لخبر محذوف يعني : بينتك عليك ، والنصب على تقدير مفعول فعله محذوف ؛ أي : أحضر أو هات بينتك أو يمينك .

قوله : «**فقلت : إذن يحلف يا رسول‌الله**» يقول الأشعث : ما عندي بينة .

فقال النبي ﷺ : «**من حلف على يمين صبر يقطع بها مال امرئ مسلم وهو فيها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان**» وهذا يدل على أن هذا من كبائر الذنوب وعليه الوعيد الشديد .

• [٤١٦١] **الحديث الثاني** حديث عبد الله بن أبي أوفى ، وفيه قوله : «**أن رجلا أقام سلعة في السوق فحلف بها**» -وفي لفظ : «**فحلف فيها**»[(١)]- «**لقد أُعطي بها ما لم يعطه**» يعني : حلف لقد دفع فيها من الثمن قيمة أكثر مما سامها هذا الذي يريد أن يشتريها ، فإذا قال المشتري : أنا أشتريها بثمانين ، حلف أنه اشتراها بمائة ، ويقول : أنا أعطيت بها أكثر مما تعطيني ؛ فكيف أبيعكها بثمانين وأنا اشتريتها بمائة؟ وهكذا .

قوله : «**ليوقع فيها رجلًا من المسلمين**» فإذا حلف أنه اشتراها بمائة وهو كاذب ، وما اشتراها إلا بثمانين وأقره المشتري فقال : أنت اشتريتها بمائة ، وأنا أشتريها بمائة وعشرين ، فيكون أكل أربعين ؛ فهذا سحت وضرر للمسلمين ؛ لذا استحق هذا المقت والغضب من الله .

قوله : «**فنزلت : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَـٰنِهِمۡ ثَمَنًا قَلِيلاً﴾** [آل عمران : ٧٧] **إلى آخر الآية**» أي : وهذا سبب نزول هذه الآية .

• [٤١٦٢] **الحديث الثالث** حديث ابن أبي مليكة وفيه قوله : «**أن امرأتين كانتا تخرزان في بيت وفي الحجرة، فخرجت إحداهما وقد أنفذ بإشفى في كفها**» الإشفى -بكسر الهمزة وسكون الشين وفاء مفتوحة وألف مقصورة : المخراز ، وهي الإبرة التي تخرز بها .

---

(١) البخاري (٤٥٥١) .

قوله : «**فادعت على الأخرىٰ ، فرفع إلى ابن عباس**» يعني : أمرهما ، فالتي دخل المخراز في كفها ادعت أن الأخرىٰ هي التي اعتدت عليها وضربتها بالمخراز ، وجاءت تشتكي تقول : هذه المرأة ضربتني بالمخراز . والحقيقة أنها هي التي أصابت نفسها .

فقال ابن عباس : «**قال رسول الله ﷺ : لو يعطى الناس بدعواهم لذهب دماء قوم وأموالهم . ذكروها بالله ، واقرءوا عليها : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشۡتَرُونَ بِعَهۡدِ ٱللَّهِ وَأَيۡمَٰنِهِمۡ ثَمَنًا﴾** [آل عمران : ٧٧] **فذكروها فاعترفت**» أنها هي التي أصابت نفسها ، وفيه إشارة إلى أن العمل بما دل عليه عموم الآية لا بخصوص السبب .

قوله : «**فقال ابن عباس** ﭫ : **قال النبي ﷺ : اليمين على المدعىٰ عليه**» يعني بعد أن يكون المدعي ليس له بينة فإنه يوجه اليمين على المدعىٰ عليه ، وفي الحديث الآخر : «**البينة على المدعي واليمين على المدعىٰ عليه**»[1] ، ولا مانع أن تكون هذه الأسباب كلها أو عدد من الأسباب سببًا لنزول هذه الآية ، كحديث الأشعث بن قيس وقصته مع صاحبه ، وكذلك الحديث الثاني الصريح في أن الآية نزلت بسبب الرجل الذي أقام سلعة في السوق .



(١) الترمذي (١٣٤١) .

المتن

[٦٢/ ٥٦] باب ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍۭ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ﴾، ﴿سَوَآءٍ﴾ [آل عمران: ٦٤]: قصدا

• [٤١٦٣] حدثني إبراهيم بن موسى، عن هشام، عن معمر، ح. وحدثني عبدالله بن محمد، قال: أنا عبدالرزاق، قال: أنا معمر، عن الزهري، قال: أخبرني عبيدالله بن عبدالله بن عتبة، قال: حدثني ابن عباس، قال: حدثني أبو سفيان من فيه إلى في، قال: انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين النبي ﷺ، قال: فبينا أنا بالشام إذ جيء بكتاب من النبي ﷺ إلى هرقل، قال: وكان دحية الكلبي جاء به فدفعه إلى عظيم بُصرىٰ، فدفعه عظيم بُصرىٰ إلى هرقل، قال: فقال هرقل: هاهنا أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقالوا: نعم، فدعيت في نفر من قريش، فدخلنا على هرقل، فأجلسنا بين يديه، فقال: أيكم أقرب نسبا من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان: فقلت: أنا، فأجلسوني بين يديه، وأجلسوا أصحابي خلفي، ثم دعا بتَرجمانه، فقال: قل لهم: إني سائل هذا عن هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي، فإن كَذَبَنِي فكذبوه، قال أبو سفيان: وايم الله، لولا أن يؤثر علي الكذب لكذبت، ثم قال لتَرجمانه: سله كيف حسبه فيكم؟ قال: قلت: هو فينا ذو حسب، قال: فهل كان من آبائه مَلِكٌ؟ قال: قلت: لا، قال: فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت: لا، قال: أيتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم؟ قال: قلت: بل ضعفاؤهم، قال: يزيدون أو ينقصون؟ قال: قلت: لا، بل يزيدون، قال: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له؟ قال: قلت: لا، قال: فهل قاتلتموه؟ قال: قلت: نعم، قال: فكيف كان قتالكم إياه؟ قال: قلت: تكون الحرب بيننا وبينه سِجالا؛ يصيب منا، ونصيب منه، قال: فهل يغدر؟ قال: قلت: لا، ونحن منه في هذه المدة لا ندري ما هو صانع فيها، قال: والله ما أمكنني من كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه. قال: فهل قال هذا القول أحد قبله؟ قلت: لا، ثم قال لترجمانه: قل له: إني سألتك عن حسبه فيكم، فزعمت أنه فيكم ذو حسب؛ وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها، وسألتك: هل كان في آبائه ملك؟ فزعمت أن لا، فقلت: لو كان من آبائه ملك قلت: رجل يطلب ملك

آبائه، وسألتك عن أتباعه أضعفاؤهم أم أشرافهم؟ فقلت: بل ضعفاؤهم، وهم أتباع الرسل، وسألتك: هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا، فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله، وسألتك: هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له؟ فزعمت أن لا، وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب، وسألتك: هل يزيدون أو ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون، وكذلك الإيمان حتى يتم، وسألتك: هل قاتلتموه؟ فزعمت أنكم قاتلتموه، فتكون الحرب بينكم وبينه سجالًا ينال منكم وتنالون منه، وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة، وسألتك: هل يغدر؟ فزعمت أنه لا يغدر، وكذلك الرسل لا تغدر، وسألتك: هل قال هذا القول أحد قبله؟ فزعمت أن لا، فقلت: لو كان قال هذا القول أحد قبله قلت: رجل ائتم بقول قيل قبله، قال: ثم قال: بما يأمركم؟ قال: قلت: يأمرنا بالصلاة، والزكاة، والصلة، والعفاف، قال: إن يك كما تقول فيه حقا فإنه نبي، وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظنه منكم، ولو أني أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه، وليبلغن ملكه ما تحت قدمي، قال: ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه، فإذا فيه: «**بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد: فإني أدعوك بدعاية الإسلام؛ أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين**»، و﴿**يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ**﴾ إلى قوله: ﴿**ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ**﴾ [آل عمران: ٦٤]، فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده، وكثر اللغط، وأمر بنا فأخرجنا، قال: فقلت لأصحابي حين خرجنا: لقد أَمِرَ أمر ابن أبي كبشة؛ إنه ليخافه ملك بني الأصفر، فما زلت موقنًا بأمر رسول الله ﷺ أنه سيظهر، حتى أدخل الله علي الإسلام. قال الزهري: فدعا هرقل عظماء الروم فجمعهم في دار له، فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرُّشد آخر الأبد، وأن يثبت لكم ملككم؟! قال: فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب، فوجدوها قد غلقت، فقال: علي بهم، فدعا بهم، فقال: إني إنما اختبرت شدتكم على دينكم؛ فقد رأيت منكم الذي أحببت، فسجدوا له ورضوا عنه.

الشَّرْح

هذه الآية آية عظيمة تدل على معنى التوحيد، وفيها إثبات توحيد الألوهية، وقد سن النبي ﷺ للمسلم أن يقرأ هذه الآية بعد الفاتحة في الركعة الثانية من ركعتي الفجر وذلك بعد أن يقرأ في الركعة الأولى: ﴿قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡنَا﴾(١) [البقرة: ١٣٦]، أو يقرأ في الأولى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] بعد الفاتحة والثانية: ﴿قُلۡ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١] بعد الفاتحة(٢).

قوله: ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ [آل عمران: ٦٤] أهل الكتاب هم اليهود والنصارى ﴿تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ﴾ فسر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ﴿سَوَآءِۭ﴾ قال: «قصدا» يعني: نصفًا وعدلًا.

قوله: ﴿أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] هذا هو التوحيد، وهو معنى كلمة: لا إله إلا الله، أي: لا معبود بحق سواه، وهو معنى: ﴿قُلۡ يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡكَٰفِرُونَ ۝١ لَآ أَعۡبُدُ مَا تَعۡبُدُونَ ۝٢ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤ وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٥ لَكُمۡ دِينُكُمۡ وَلِيَ دِينِ﴾ [الكافرون: ١-٦].

قوله: ﴿وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ٦٤] الربوبية لا تكون إلا لله؛ فلا يتخذ بعضنا ربا من دون الله؛ هذا عبد وهذا رب؛ هذا يعبد هذا، وهذا يستعبد هذا.

قوله: ﴿فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤] يعني: إذا تولوا وأعرضوا ولم يقبلوا فأعلنوا إسلامكم.

• [٤١٦٣] هذا الحديث يرويه ابن عباس رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا عن أبي سفيان فقال: «**حدثني أبو سفيان من فيه إلى في**» يعني: من فمه إلى فمي، أي: ليس هناك واسطة.

قوله: «**انطلقت في المدة التي كانت بيني وبين النبي ﷺ**» أي: المدة التي بين النبي ﷺ وبين المشركين وهي مدة الصلح، فإن النبي ﷺ صالح كفار قريش يوم الحديبية عشر سنين؛ حتى تضع الحرب أوزارها، ولكنها لم تستمر إلا سنتين؛ لأنهم نقضوا العهد؛ فغزاهم النبي ﷺ في

---

(١) أحمد (١/ ٢٣١)، ومسلم (٧٢٧).
(٢) مسلم (٧٢٦).

عقر دارهم وفتح مكة ، فحصلت هذه القصة لأبي سفيان في هذه المدة التي فيها الصلح ؛ لأن أبا سفيان تأخر إسلامه فما أسلم إلا يوم الفتح .

قوله : «**فبينا أنا بالشام إذ جيء بكتاب من النبي ﷺ إلى هرقل ، قال : وكان دحية الكلبي جاء به فدفعه إلى عظيم بصرى ، فدفعه عظيم بصرى بالشام إلى هرقل ، قال : فقال هرقل : هاهنا أحد من قوم هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟**» أي : فلما قرأه هرقل سأل فقال : هل هنا أحد من العرب؟ يعني : ليسألهم عن النبي ﷺ ، «**فقالوا : نعم**» فإذا فيهم أبو سفيان ومن معه .

وقوله : «**فدعيت في نفر من قريش فدخلنا على هرقل فأجلسنا بين يديه**» أي : أمامه «**فقال : أيكم أقرب نسبا من هذا الرجل الذي يزعم أنه نبي؟ فقال أبو سفيان : فقلت : أنا . فأجلسوني بين يديه وأجلسوا أصحابي خلفي ، ثم دعا بترجمانه**» الترجمان : هو الذي ينقل الكلام من لغة إلى لغة ؛ وفيه لغات : ترجمان بضم التاء والجيم ، وترجمان بفتح التاء والجيم ، وترجمان بفتح التاء وضم الجيم ؛ هذه ثلاث لغات ، وقال بعضهم : فيه لغة رابعة أيضًا . وذلك لأن هرقل ليس عربيًّا فجعل أبا سفيان أمامه وجعل أصحاب أبي سفيان خلفه .

قوله : «**فإن كذبني**» مخففة ؛ يعني : إن أخبرني بخبر كذب «**فكذبوه**» ، وكانت العرب تستعظم الكذب ؛ ولهذا تحاشاه أبو سفيان .

وقوله : «**لولا أن يؤثر علي الكذب لكذبت**» مع أنه كان كافرًا في ذلك الوقت ، وما استطاع أن يكذب ؛ لأن أصحابه خلفه .

قوله : «**ثم قال لترجمانه : سله كيف حسبه فيكم؟ قال : قلت : هو فينا ذو حسب**» فالأنبياء يبعثون في أحساب قومهم ، وهم أعلى وأرقى الناس حسبًا ونسبًا ، فلا يكونون وضيعين ؛ حتى لا يكون لأحد من الناس مغمز فيهم ، وقد كان هرقل يقرأ صفة النبي ﷺ في الإنجيل والتوراة .

قوله : «**فهل كان من آبائه من ملك؟ قال : قلت : لا**» يعني : لو كان من آبائه ملك لقيل : يطلب ملك أبيه .

قوله : «**فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ قلت : لا . قال : أيتبعه أشراف الناس أم ضعفاؤهم؟**» ؛ لأن الضعفاء هم الذي يتبعون الأنبياء في الغالب ؛ لأنه ليس هناك مانع يمنعهم ، بخلاف الأشراف والكبراء والأمراء ؛ فغالبًا ما يمنعهم ما هم فيه من النعيم من اتباع الأنبياء ، وقد يستثنى من ذلك ؛ فأبو بكر الصديق ؓ ليس من الضعفاء ومع ذلك كان أول

من آمن ؛ ولهذا قال قوم نوح : ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤۡمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلۡأَرۡذَلُونَ﴾ [الشعراء : ١١١] وقال كفار قريش : اطرد عنا هؤلاء الضعفاء .

قوله : «**قال : يزيدون أو ينقصون؟ قال : قلت : لا ، بل يزيدون ، قال : هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه ؛ سخطة له؟ قال : قلت : لا . قال : فهل قاتلتموه؟ قال : قلت : نعم . قال : فكيف كان قتالكم إياه؟ قال : قلت : تكون الحرب بيننا وبينه سجالًا ؛ يصيب منا ونصيب منه . قال : فهل يغدر؟ قال : قلت : لا**» هذه صفات رسل الله ، لا يغدرون ولا يكذبون ولا يخونون العهد .

ثم قال أبوسفيان : «**ونحن منه في هذه المدة لا ندري ما هو صانع فيها ، قال : والله ما أمكنني من كلمة أدخل فيها شيئًا غير هذه**» أي : يقول : لم أستطع إلا هذه ، فقال : ونحن منه في هذه المدة لا ندري ما يصنع ، فلا ندري هل يصدق أو يكذب؟ هل يغدر أو لا؟

قوله : «**قال : فهل قال هذا القول أحد قبله؟ قلت : لا . ثم قال لترجمانه**» أي : قال مجيبًا له عن الأسئلة : «**قل له : إني سألتك عن حسبه فيكم ، فزعمت أنه فيكم ذو حسب ، وكذلك الرسل تبعث في أحساب قومها**» وقد عرف ذلك ؛ لأنه يقرأ التوراة والإنجيل .

قوله : «**وسألتك : هل كان في آبائه ملك؟ فزعمت أن لا ، فقلت : لو كان من آبائه ملك قلت : رجل يطلب ملك آبائه**» ولكن هذا ليس من آبائه ملك .

قوله : «**وسألتك عن أتباعه : أضعفاؤهم أم أشرافهم؟ فقلت : بل ضعفاؤهم ، وهم أتباع الرسل ، وسألتك : هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال؟ فزعمت أن لا . فعرفت أنه لم يكن ليدع الكذب على الناس ثم يذهب فيكذب على الله**» النبي ﷺ كان يلقب بالصادق الأمين ، فكيف يتورع من الكذب على الناس ثم يكذب على الله؟! وهذا الاستدلال يدل على أن هرقل رجل عاقل .

قوله : «**وسألتك : هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه ؛ سخطة له؟ فزعمت أن لا ، وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشة القلوب**» أي : وكذلك الإيمان إذا خالط بشاشته القلوب فلا يرتد أحد ولا يكرهه أحد ، وهرقل يعرف هذا ومع ذلك لم يؤمن ؛ قال الله تعالى : ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔا﴾ [المائدة : ٤١] .

قوله : «**وسألتك : هل يزيدون أو ينقصون؟ فزعمت أنهم يزيدون ، وكذلك الإيمان حتى يتم ، وسألتك : هل قاتلتموه؟ فزعمت أنكم قاتلتموه ، فتكون الحرب بينكم وبينه سجالا ينال منكم وتنالون منه**» يعني مرة هكذا ومرة هكذا ، فمرة في بدر كانت للمسلمين ، ومرة في أحد كانت عليهم .

قوله : «**وكذلك الرسل تبتلى ثم تكون لهم العاقبة**» وهذا الكلام مأخوذ من كتب الأنبياء السابقة ، فالرسل تبتلى في أول الأمر ثم تكون لهم العاقبة .

قوله : «**وسألتك : هل يغدر؟ فزعمت أنه لا يغدر ، وكذلك الرسل لا تغدر**» فهرقل رجل كتابي يقرأ الكتب وليس بوثني من المشركين ؛ ولهذا صار هناك فرق بين أهل الكتاب وبين الوثنيين ، فأهل الكتاب لما خف كفرهم صارت لهم أحكام خاصة ؛ حيث أباح الله نساءهم وذبائحهم ، لكن الوثني شركه أغلظ وأشد فلا تحل نساؤهم ولا ذبائحهم ، وأهل الكتاب عندهم شيء من العلم ، ولما بعث النبي ﷺ معاذًا إلى اليمن قال له : «**إنك تقدم قوما أهل كتاب**»[(١)] يعني : على علم فاستعد لمناظرتهم فهم ليسوا جهالًا .

قوله : «**وسألتك : هل قال هذا القول أحد قبله؟ فزعمت أن لا . فقلت : لو كان قال هذا القول أحد قبله قلت : رجل ائتم بقول قيل قبله . قال : ثم قال : بما يأمركم؟ قال : قلت : يأمرنا بالصلاة والزكاة والصلة والعفاف**» ولا يستطيع أبو سفيان أن يكذب ؛ لأن خلفه أصحابه ، ويخشى أن يأثروا عنه الكذب .

ثم قال هرقل : «**إن يك كما تقول فيه حقا فإنه نبي**» جزم بأنه نبي بهذه الأسئلة التي سألها .

وقوله : «**وقد كنت أعلم أنه خارج ولم أكن أظنه منكم**» يعني : ما ظننت أن نبي هذا الزمان من العرب .

وقوله : «**ولو أني أعلم أني أخلص إليه لأحببت لقاءه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدميه**» وهذا لا يناسب الكفرة فهم لا يريدون هذا .

---

(١) أحمد (١/ ٢٣٣) ، والبخاري (١٤٩٦) ، ومسلم (١٩) .

وقوله: **«وليبلغن ملكه ما تحت قدمي»** يعني: أن هذا مكتوب في التوراة والإنجيل، **وليفتحن الله به أعينا عميا وآذانا صما وقلوبا غلفا»**(١).

قوله: **«قال: ثم دعا بكتاب رسول الله ﷺ فقرأه، فإذا فيه: بسم الله الرحمن الرحيم، من محمد رسول الله إلى هرقل عظيم الروم، سلام على من اتبع الهدى، أما بعد»** فيه أن النبي ﷺ افتتح كتبه ببسم الله الرحمن الرحيم، وكذلك الأنبياء كسليمان عليه الصلاة والسلام لما كتب إلى بلقيس قال: **﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣٠ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ﴾** [النمل: ٣٠، ٣١]؛ ولهذا يقول العلماء: إن «بسم الله الرحمن الرحيم» تكتب في الرسائل. وقال الشيخ محمد بن عبد الوهاب في رسالة «آداب المشي إلى الصلاة»: «يفتتح بها الكتب ولا تكتب في الشعر ولا معه»(٢).

وقوله: **«سلام على من اتبع الهدى»** فيه أنه لا يقال للكافر: السلام عليكم، وإنما يقال له: سلام على من اتبع الهدى. أما إذا كان مسلمًا فإنه يقال له: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته. وهذا غير مسلم.

وفيه كثرة استعمال **«أما بعد»** في الخطب والرسائل، واختلف في أول من قال: أما بعد، فقيل: داود عليه السلام، وقيل: قس بن ساعدة الإيادي، وقيل غيره.

وبعض الناس يقول: وبعد أكثر منها، لكن الأُولى هي التي حافظ عليها النبي ﷺ وهي أحسن من: وبعد.

قوله: **«أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين، فإن توليت فإن عليك إثم الأريسيين»** هذه كلمات معدودة لها معان غزيرة، فالرسول ﷺ أوتي جوامع الكلم، واختصرت له الحكمة، فتجد البليغ الفصيح يأتي بكلمات معدودة تحتها معان كثيرة، بخلاف غير الفصيح الثرثار يأتي بكلام طويل ليس فيه معان؛ ولهذا جاء في الحديث أن النبي ﷺ كان يحدث حديثًا لو عده العاد لأحصاه(٣)، فقوله: **«أسلم تسلم، وأسلم يؤتك الله أجرك مرتين»**؛ لأنك من أهل الكتاب، فالأجر الأول؛ لأنك آمنت بنبيك السابق، والأجر الثاني؛ لأنك آمنت بالنبي محمد ﷺ، ففي

---

(١) أحمد (٢/ ١٧٤)، والبخاري (٢١٢٥).
(٢) «آداب المشي إلى الصلاة» مع شرحه للشيخ محمد بن إبراهيم بن عبداللطيف آل الشيخ (ص٥).
(٣) البخاري (٣٥٦٨)، ومسلم (٢٤٩٣).

آخر سورة الحديد: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ﴾ [الحديد: ٢٨].

قوله: «**فإن توليت**» يعني: أعرضت، «**فإن عليك إثم الأريسيين**» قيل: هم الحراثون والزراعون؛ لأن قومه أهل فلاحة.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «**إثم الأريسيين**» تقدم ضبطه وشرحه في «بدء الوحي»، ووجدته هناك في أصل معتمد بتشديد الراء، وحكى هذه الرواية أيضًا صاحب «المشارق» وغيره، وفي أخرى: «**الأرسين**» بتحتانية واحدة، قال ابن الأعرابي: أرس يأرس بالتخفيف فهو أريس، وأرَّس بالتشديد يؤرس فهو إريس، وقال الأزهري: بالتخفيف وبالتشديد: الأكار، لغة شامية» والأكار: الفلاح.

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وكان أهل السواد أهل فلاحة، وكانوا مجوسًا، وأهل الروم أهل صناعة، فأعلموا بأنهم وإن كانوا أهل كتاب فإن عليهم إن لم يؤمنوا من الإثم إثم المجوس. انتهى.

وهذا توجيه آخر لم يتقدم ذكره، وحكى غيره أن الأريسيين ينسبون إلى عبدالله بن أريس؛ رجل كان تعظمه النصارى ابتدع في دينهم أشياء مخالفة لدين عيسى، وقيل: إنه من قوم بعث إليهم نبي فقتلوه؛ فالتقدير على هذا: فإن عليك مثل إثم الأريسيين، وذكر ابن حزم أن أتباع عبدالله بن أريس كانوا أهل مملكة هرقل، ورده بعضهم بأن الأريسيين كانوا قليلًا».

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال ابن سيده في «المحكم»: الأريس الأكار عند ثعلب، والأمين عند كراع؛ فكأنه من الأضداد أي: يقال للتابع والمتبوع، والمعنى في الحديث صالح على الرأيين؛ فإن كان المراد التابع فالمعنى: إن عليك مثل إثم التابع لك على ترك الدخول في الإسلام، وإن كان المراد المتبوع فكأنه قال: فإن عليك إثم المتبوعين، وإثم المتبوعين يضاعف باعتبار ما وقع لهم من عدم الإذعان إلى الحق».

والمقصود أن المعنى: فإن توليت فعليك إثم أتباعك وعليك إثم الرعية كلها؛ لأنك أنت السبب في ضلالهم، ثم ذكر الآية: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَآءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِۦ شَيْـًٔا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ ٱللَّهِ ۚ فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُولُواْ ٱشْهَدُواْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

قوله : **«فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات عنده ، وكثر اللغط ، وأمر بنا فأخرجنا»** أي : فلما فرغ من قراءة الكتاب ارتفعت الأصوات ؛ لأنه اعترف بنبوة النبي ﷺ .

وقول أبي سفيان : **«فقلت لأصحابي حين خرجنا : لقد أمر أمر ابن أبي كبشة»** أَمِرَ الأولى بفتح الهمزة وكسر الميم ؛ أي : عظم وكثر ، وأمر الثانية بفتح الهمزة وسكون الميم ؛ أي : الشأن ؛ أي : لقد عظم شأن ابن أبي كبشة ، وأبو كبشة جد النبي ﷺ لأمه من الرضاع ، نسبوه إليه لما أرادوا لمزه وعيبه ، فعنوا بابن أبي كبشة النبي ﷺ ؛ لغيظهم منه وشدة عداوتهم وكراهيتهم له ، فنسبوه إلى جد غامض ؛ فما قال : محمد بن عبدالله ، ولا : محمد بن عبدالمطلب ، وكان أبو سفيان في ذلك الوقت قائد المشركين ، وكان عدوًّا لدودًا للنبي ﷺ ، لكن هداه الله وأسلم .

ولا يزال الأعداء هكذا على طريقة سلفهم ، فتجد أهل البدع الذين يكرهون أهل السنة ينسبونهم كذلك إلى جد غامض ؛ فتجد السبكي وغيره من الذين يعادون أهل السنة يسمون ابن القيم : ابن زفيل ؛ لكراهيتهم له ، فينسبونه إلى جدٍّ غامض اقتداء بالمشركين حينما نسبوا النبي ﷺ .

وقوله : **«إنه ليخافه ملك بني الأصفر»** أي : ملك الروم .

قال أبوسفيان : **«فما زلت موقنًا بأمر رسول الله ﷺ أنه سيظهر حتى أدخل الله علي الإسلام»** أي : بعد هذه القصة تيقنت أن أمر النبي ﷺ سيظهر والإسلام كذلك ، وفي لفظ : **«حتى أدخل الله علي الإسلام وأنا كاره»**(١) يعني : بعد فتح مكة .

وهذا الحديث عظيم **وفيه من الفوائد العامة ما يلي :**

أولًا : أن دلائل النبوة كثيرة وليست خاصة بالمعجزات كما يقوله الأشاعرة وغيرهم من أهل الكلام ، فإنهم يقولون : الأدلة على نبوة الأنبياء خاصة بالمعجزات الحسية ، وهذا باطل .

فهذا هرقل استدل على نبوة النبي ﷺ بعشرة أسئلة قال : **«كيف حسبه فيكم؟»** وقال : **«فهل كان من آبائه ملك؟»** ، و**«هل يرتد أحد منهم عن دينه بعد أن يدخل فيه سخطة له؟»** . . . إلى آخر الأسئلة ، ثم قال : **«إن يك كما تقول فيه حقًّا فهو نبي»** فاستدل بما سبق على صدقه ﷺ ، والدليل على صدق الأنبياء ليس خاصًّا بالمعجزات الحسية كما يقوله أهل البدع من الأشاعرة .

---

(١) أحمد (١/ ٢٦٢) ، والبخاري (٢٩٤١) .

وكذلك أم المؤمنين خديجة ﵂ استدلت في أول البعثة على صدق النبي ﷺ بقولها: **«والله لا يخزيك الله أبدا؛ إنك لتصل الرحم، وتقري الضيف، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتعين على نوائب الحق»**(١). والناس يعرفون الصادق من الكاذب بأمور كثيرة في أحوالهم وفي أمور دنياهم.

ثانيًا: فيه من الفوائد الحديثية أن الإنسان إذا تحمل حديثًا في حال كفره ثم رواه بعد الإسلام فإنه يقبل؛ فهذا أبو سفيان كان كافرًا في ذلك الوقت، وروى هذه القصة بعد إسلامه فدل على قبول رواية المسلم إذا روى في حال إسلامه ما تحمله حال كفره.

ثالثًا: فيه من الفوائد العامة أن هرقل رجل عاقل، لكنه شح بملكه وآثر الدنيا على الآخرة بعد أن عرف الحق فأراد أن يتبع النبي ﷺ لكن قومه ما أطاعوه، وحاصوا حيصة الحمر، ولكنه عظم كتاب النبي ﷺ وقرأه؛ فلذلك بقي ملكه وتماسك بعض الشيء، بخلاف كسرى فإنه لما جاءه كتاب النبي ﷺ مزقه؛ فدعا عليه النبي ﷺ أن يمزق الله ملكه(٢) فمزقوا كل ممزق.

ثم قال الزهري في آخر الحديث: **«فدعا هرقل عظماء الروم فجمعهم في دار له»** أي: دعا كبراءهم ورؤساءهم مثل الوزراء والأمراء، وفي لفظ آخر: **«أن هرقل أذن لعظماء الروم في دسكرة له بحمص وأمر بالأبواب فغلقت ثم اطلع عليهم»**(٣)، وهذه عادة الملوك الظلمة وأشباههم في كبريائهم، فلما اجتمعوا كلهم في أسفل أشرف عليهم من الدور الأعلى.

قوله: **«فقال: يا معشر الروم، هل لكم في الفلاح والرشد آخر الأبد وأن يثبت لكم ملككم؟!»** يعني: بأن تؤمنوا بهذا الرسول محمد ﷺ وتطيعوه وتتابعوه... إلى آخر الكلام، لكنهم ما أعجبهم هذا، **«فحاصوا حيصة حمر الوحش إلى الأبواب»** وحمر: جمع حمار، يعني الحمار الوحشي.

قوله: **«فوجدوها قد غلقت»**؛ لأنه احتاط لنفسه فلو كانت مفتوحة لخرجوا وانقلبوا عليه، وهو يريد أن يختبرهم فإن استجابوا آمن بالرسول ﷺ، وإن لم يستجيبوا شح بملكه، فلما أيس منهم قال: **«علي بهم»** أي: ردوهم مرة ثانية، **«فدعا بهم»** فجلسوا في أماكنهم

---

(١) أحمد (٦/ ٢٢٣)، والبخاري (٤)، ومسلم (١٦٠).
(٢) أحمد (٣/ ٤٤١)، والبخاري (٢٩٣٩).
(٣) البخاري (٧).

فأطل عليهم من أعلى ، «**فقال : إني إنما اختبرت شدتكم على دينكم**» أي : إني قلت لكم هذا الكلام ؛ لأنظر هل تحبون دينكم ، وهل عندكم ثبات وصلابة على دينكم أم لا؟ فتبين لي الآن أن عندكم صلابة وأنكم لا تفرطون في دينكم فقال : «**فقد رأيت منكم الذي أحببت**» ، قال : «**فسجدوا له ورضوا عنه**» .

وفي حديث آخر أنه لما بلغ النبي ﷺ خبر المقوقس قال : «**ضن الخبيث بملكه**»(١) أي : آثر ملكه على الآخرة .

رابعا : فيه الرد على المرجئة الذين يقولون : الإيمان هو التصديق بالقلب فقط ، والصواب الإيمان تصديق واتباع ، وأن من لم يتبع لا يكون مؤمنًا ولو كان مصدقًا ولو كان عارفًا ، فهرقل عارف لكن سبب كفره هو وقومه الاستكبار والإباء ، ككفر إبليس وفرعون واليهود وأبي طالب .

فمذهب المرجئة الباطل أن الإيمان هو مجرد التصديق ، ومذهب الجهمية أن الإيمان مجرد المعرفة بالقلب ، ومذهب الكرامية أن الإيمان مجرد القول باللسان ، وكلها أقوال باطلة وفاسدة ، بل الإيمان : تصديق باللسان وإقرار بالقلب وعمل بالجوارح ، فمن عمل ولم يؤمن صار عمله كعمل المنافقين الذين يعملون وليس عندهم إيمان يصحح أعمالهم ، فالعمل لابد له من إيمان يصححه ، والتصديق لابد له من عمل يتحقق به ، وإلا صار كإيمان إبليس وفرعون واليهود وهرقل وسائر المشركين .

خامسا : قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «قال النووي رَحِمَهُ اللَّهُ : في هذه القصة فوائد ؛ منها : جواز مكاتبة الكفار ، ودعاؤهم إلى الإسلام قبل القتال ، وفيه تفصيل فمن بلغته الدعوة وجب إنذارهم قبل قتالهم وإلا استحب» .

سادسا : فيه قبول خبر الواحد ، وفيه الرد على الأشاعرة والمعتزلة وغيرهم من أهل البدع الذين يقولون : لا يقبل خبر الواحد ولا يعمل به . وهذا باطل ، لكن بعض محدثي الأشاعرة كالنووي رَحِمَهُ اللَّهُ والحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ لا يلتزمون بكل ما يقوله الأشاعرة .

---

(١) «زاد المعاد» لابن القيم (١/ ١١٦) .

سابعا : قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «ومنها وجوب العمل بالخط إذا قامت القرائن بصدقه» ؛ لأن هرقل عمل بخط النبي ﷺ، وجاء في الحديث الآخر أنه ختمه ، وأنه قيل له : إن أهل الكتاب لا يقرءون الكتاب إلا إذا كان مختومًا ؛ فاتخذ خاتمًا نقشه : محمد رسول الله فكان يختم به [(١)] .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «قوله : **«فإذا فيه : بسم الله الرحمن الرحيم»** . قال النووي : فيه استحباب تصدير الكتب ببسم الله الرحمن الرحيم وإن كان المبعوث إليه كافرًا ، ويحمل قوله في حديث أبي هريرة : **«كل أمر ذي بال لا يبدأ فيه بحمد الله فهو أقطع»**[(٢)] أي : بذكر الله كما جاء في رواية أخرى ، فإنه روي على أوجه : **«بذكر الله»**[(٣)] و**«ببسم الله»**[(٤)] و**«بحمد الله»**[(٥)] قال : وهذا الكتاب كان ذا بال من المهمات العظام ولم يبدأ فيه بلفظ الحمد بل بالبسملة . انتهى» .

ثامنا : قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدم البداءة باسم الكاتب قبل المكتوب إليه . وقد أخرج أحمد وأبو داود عن العلاء بن الحضرمي أنه كتب إلى النبي ﷺ -وكان عامله على البحرين- فبدأ بنفسه : من العلاء إلى محمد رسول الله[(٦)] . وقال ميمون : كانت عادة ملوك العجم إذا كتبوا إلى ملوكهم بدءوا باسم ملوكهم فتبعتهم بنو أمية ، قلت : وسيأتي في الأحكام أن ابن عمر كتب إلى معاوية فبدأ باسم معاوية وإلى عبدالملك كذلك وكذا جاء عن زيد بن ثابت إلى معاوية ، وعند البزار بسند ضعيف عن حنظلة الكاتب أن النبي ﷺ وجه عليًا وخالد بن الوليد ؛ فكتب إليه خالد فبدأ بنفسه ، وكتب إليه علي فبدأ برسول الله ﷺ ؛ فلم يعب على واحد منهما[(٧)]» .

فدل هذا على أن الأمر واسع ؛ فإذا بدأ بنفسه أو بدأ بالمكتوب إليه فلا حرج .

---

(١) أحمد (٣/ ١٦٨) ، والبخاري (٦٥) ، ومسلم (٢٠٩٢) .

(٢) أحمد (٢/ ٣٥٩) ، وأبو داود (٤٨٤٠) ، وابن ماجه (١٨٩٤) .

(٣) أحمد في «المسند» (٢/ ٣٥٩) .

(٤) ذكره السيوطي في «تدريب الراوي» (١/ ٥٥) ، وعزاه إلى الرهاوي في «الأربعين» .

(٥) أبو داود (٤٨٤٠) .

(٦) أحمد (٤/ ٣٣٩) ، وأبو داود (٥١٣٤) .

(٧) الطبراني في «الكبير» (٤/ ١٢) .

المتن

[٦٣/ ٥٦] **بابُ** ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] **الآية**

• [٤١٦٤] حدثنا إسماعيل، قال: حدثني مالك، عن إسحاق بن عبدالله بن أبي طلحة، أنه سمع أنس بن مالك يقول: كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة نخلا، وكان أحبَّ أمواله إليه بِيْرَحَاء، وكانت مستقبلة المسجد، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب، فلما أنزلت: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ قام أبو طلحة فقال: يا رسول الله، إن الله يقول: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾، وإن أحب أموالي إلي بيرحاء، وإنها صدقة لله، أرجو برها وذخرها عند الله، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله، فقال رسول الله ﷺ: **«بخ، ذلك مال رايح، ذلك مال رايح، وقد سمعت ما قلت، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين»**، قال أبو طلحة: أفعل يا رسول الله، فقسمها أبو طلحة في أقاربه وفي بني عمه.

قال عبدالله بن يوسف وروح بن عبادة: **«ذلك مال رابح»**.

• [٤١٦٥] حدثنا يحيى بن يحيى، قال: قرأت على مالك: **«مال رايح»**.



بوب بهذه الترجمة على قوله تعالى: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِهِۦ عَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ٩٢] فبين الله سبحانه وتعالى أن الإنسان لا ينال البر حتى ينفق من الشيء الذي يحبه وتتعلق به نفسه.

• [٤١٦٤]، [٤١٦٥] ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ حديث أبي طلحة في صدقته بالبستان، واسم أبي طلحة زيد بن سهل بن الأسود بن حرام بن عمرو بن زيد مناة، بفتح الميم وتخفيف النون.

ومن فوائد الحديث:

أولًا: فيه فضل الصحابة رضوان الله عليهم، وأنهم أسرع الناس إلى الامتثال، فأبو طلحة لما قرأ هذه الآية: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] طبقها على نفسه.

قال أنس : **«كان أبو طلحة أكثر أنصاري بالمدينة نخلا ، وكان أحب أمواله إليه بيرحاء ، وكانت مستقبلة المسجد ، وكان رسول الله ﷺ يدخلها ويشرب من ماء فيها طيب»** وقال أبو طلحة : **«إن أحب أموالي إلي بيرحاء»** فهي حديقة قريبة من مسجد النبي ﷺ ، وكان النبي ﷺ كثيرًا ما يدخل فيها ، ويتوضأ ويشرب من ماء فيها طيب .

وقوله : **«وإنها صدقة لله ، أرجو برها وذخرها عند الله ، فضعها يا رسول الله حيث أراك الله ، فقال رسول الله ﷺ : «بخ ، ذلك مال رايح ، ذلك مال رايح»»** ففي ثلاثة مواضع أنه قال : **«ذلك مال رايح»** ومنها قوله : **«قال : قرأت على مالك : مال رايح»** ففي المواضع الثلاثة بالياء التحتانية ، والمعنى أنه رائح ثوابه على صاحبه ، أو المعنى أن المال ذاهب وضائع إن لم يستفد منه صاحبه في إنفاقه في وجوه الخير .

قوله : **«قال عبدالله بن يوسف وروح بن عبادة : «ذلك مال رابح»»** بالباء الموحدة من الربح أي : رابح صاحبه .

ثانيًا : فيه فضل النفقة والصدقة على الأقارب وأنهم أولى ببره من الأباعد ؛ لقوله ﷺ : **«وقد سمعت ما قلت ، وإني أرى أن تجعلها في الأقربين»** .

وبعده في نسخة أخرى للبخاري : **«حدثنا محمد بن عبدالله الأنصاري ، حدثني أبي ، عن ثمامة ، عن أنس قال : فجعلها لحسان وأبي بن كعب ، وأنا أقرب إليه منهما ، ولم يجعل لي منها شيئا»**[(١)] .

قوله : **«فجعلها لحسان وأبي»** ؛ لأنهم أقاربه فهم بنو عمه ، فإذا كان أقارب المرء محتاجين كانوا مقدمين على الأباعد ، وإذا كانوا غير محتاجين فصلة الأقارب مطلوبة ، فيهديهم ، ويتصدق على الأباعد .

قال أنس : **«وأنا أقرب إليه منهما ، ولم يجعل لي منها شيئا»** أي : يقول : ما أعطاني شيئًا وأنا أقرب إلى أبي طلحة .

---

(١) البخاري (٤٥٥٥) .

تقدم هذا الحديث في «**الوصايا**» وأن أنسًا قال: «**فجعلها لحسان وأبي بن كعب وكانا أقرب إليه مني**»[(١)]، وهو مخالف لما في الزيادة التي في بعض النسخ لهذا الحديث، ففي هذه الزيادة: «**وأنا أقرب إليه منهما، ولم يجعل لي منها شيئًا**».

والجمع بينهما: أنه لم يعط أنسًا؛ لأنه ربيبه، فأبو طلحة هذا زوج أم أنس، وليس من أقاربه نسبًا وليس من العصبة، وقد تكون هناك قرابة من جهة النسب فهذا ليس ببعيد، أو لأنه مستغن بالنفقة عليه.

وممن سارع للعمل بهذه الآية عبدالله بن عمر ﵄؛ فقد روى البزار من طريقه أن ابن عمر ﵄ لما قرأ: ﴿لَن تَنَالُواْ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُواْ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾[آل عمران: ٩٢] قال: فلم أجد شيئًا أحب إلي من مرجانة -وهذا اسم جارية رومية- فقلت: هي حرة لوجه الله، فأعتقها ولم يتزوجها أيضًا؛ خشية أن يرجع في شيء تركه لله. قال: فلولا أني لا أعود في شيء جعلته لله لتزوجتها؛ **لأن النبي ﷺ أعتق صفية وجعل عتقها صداقها وتزوجها**[(٢)].

* * *

(١) البخاري في الوصايا، باب: إذا وقف أو أوصى لأقاربه.

(٢) أحمد (٣/ ٩٩)، والبخاري (٥٠٨٦)، ومسلم (١٣٦٥).

المتن

[٦٤/ ٥٦] بابٌ ﴿قُلْ فَأْتُوا بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣]

• [٤١٦٦] حدثني إبراهيم بن المنذر، قال: حدثنا أبو ضمرة، قال: حدثنا موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما

أن اليهود جاءوا إلى النبي ﷺ برجل منهم وامرأة قد زنيا، فقال لهم: **«كيف تفعلون بمن زنى منكم؟»**، قالوا: نحممهما ونضربهما، فقال: **«لا تجدون في التوراة الرجم؟»**، فقالوا: لا نجد فيها شيئا، فقال لهم عبدالله بن سلام: كذبتم، فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين، فوضع مُدراسُهَا الذي يدرسها منهم كفه على آية الرجم، فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها، ولا يقرأ آية الرجم، فنزع يده عن آية الرجم، فقال: ما هذه؟ فلما رأوا ذلك قالوا: هي آية الرجم، فأمر بهما فرجما قريب من حيث موضع الجنائز عند المسجد، فرأيت صاحبها يحني عليها يقيها الحجارة.

الشرح

هذه الترجمة على قوله تعالى: ﴿**قُلْ فَأْتُوا بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ**﴾[آل عمران: ٩٣] وهذه الآية خطاب لليهود أهل الكتاب، وتمام الآية: ﴿**كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ**﴾.

• [٤١٦٦] ذكر المؤلف رحمه الله حديث عبدالله بن عمر: **«أن اليهود جاءوا إلى النبي ﷺ برجل منهم وامرأة قد زنيا»** جاءوا يسألونه عن الحكم، وجاء في الحديث الآخر أنهم قالوا: **«نأتي بهما إلى هذا النبي فإن ترك الرجم ولم يرجمهما صار حجة لنا عند الله قلنا: هذا حكم نبي»**(١).

وقوله: **«فقال لهم»** أي: النبي ﷺ **«كيف تفعلون بمن زنى منكم؟»** كأنهم قالوا: يا رسول الله، ماذا نعمل بهما؟ فهذا رجل وامرأة زنيا فاحكم عليهما، فقال لهم النبي ﷺ ذلك.

---

(١) أبو داود (٤٤٥٠).

وقوله: «**قالوا: نحممها ونضربها**» قيل: نحممها أي: نسكب عليها الماء الحميم؛ أي الحار، وقيل: نجعل في وجوهها الحممة، ويؤيد المعنى الثاني ما جاء في الحديث أنهم قالوا: «**نسودهما**»[(١)] يعني: نطمس وجوههما بالسواد، وننكسهما فنركبهما على حمار فنجعل وجوههما من خلف من جهة ظهر الدابة، ويمشى بهما في الأسواق؛ خزيًا لهما، ويكفي هذا للشريف والوضيع، فقد جاء في اللفظ الآخر أنهم قالوا: إنه كثر الزنا في أشرافنا وكانوا في الأول إذا زنى الشريف تركوه وإذا زنى الضعيف أقاموا عليه الحد؛ فلما كثر الزنا في الأشراف قالوا: نريد أن نجعل عقوبة ننفذها على الضعيف والشريف فتركوا حكم الله وهو الرجم[(٢)].

وقوله: «**فقال: «لا تجدون في التوراة الرجم؟»، فقالوا: لا نجد فيها شيئًا**» أي: قال النبي ﷺ يسألهم: ما تجدون في التوراة؟ هل تجدون في التوراة الرجم؟ فقالوا: لا نجد فيها الرجم.

وقوله: «**فقال لهم عبدالله بن سلام: كذبتم فأتوا بالتوراة فاتلوها إن كنتم صادقين**» في اللفظ الآخر: «**فأتوا بالتوراة فنشروها**»[(٣)]

وقوله: «**فوضع مدراسها**»، وفي لفظ: «**مدارسها**»[(٤)] والمدراس هو الذي يدرسهم التوراة؛ أي عالمهم.

وقوله: «**الذي يدرسها منهم كفه على آية الرجم، فطفق يقرأ ما دون يده وما وراءها، ولا يقرأ آية الرجم**»، وفي اللفظ الآخر: «**أنه وضع يده على آية الرجم وقرأ ما قبلها وقرأ ما بعدها ووضع كفه على آية الرجم فقال له عبدالله بن سلام: ارفع يدك**»[(٣)]. قال: «**فنزع يده عن آية الرجم**» زاد كما في الحديث الآخر: «**فإذا آية الرجم تلوح**»[(٥)].

---

(١) مسلم (١٦٩٩).

(٢) أحمد (٤/ ٢٨٦)، ومسلم (١٧٠٠).

(٣) البخاري (٣٦٣٥).

(٤) «سنن الدارمي» (٢/ ٢٣٣).

(٥) أحمد (٢/ ٥)، والبخاري (٧٥٤٣).

وقوله: «**فقال: ما هذه؟ فلما رأوا ذلك قالوا: هي آية الرجم فأمر بهما**» أي: النبي ﷺ «**فرجما قريب من حيث موضع الجنائز عند المسجد**» وموضع الجنائز موضع قرب المسجد يصلى فيه على الجنائز في الغالب، وقد يصلى على الجنائز في المسجد كما في حديث عائشة: «**ما صلي على ابن بيضاء إلا في المسجد**»(١).

وفي اللفظ الآخر أن النبي ﷺ قال: «**اللهم إني أول من أحيا أمرك إذ أماتوه**»(٢).

وقوله: «**فرأيت صاحبها يحني عليها يقيها الحجارة**» وفي رواية: «**يجنأ**»(٣) ويجنأ أي: يحني عليها؛ فلا يترك الحجارة تضربها؛ من محبته لها. حتى في وقت الموت، نسأل الله السلامة والعافية.

* * *

(١) أحمد (٦/ ٧٩)، ومسلم (٩٧٣).

(٢) أحمد (٤/ ٢٨٦)، ومسلم (١٧٠٠).

(٣) أحمد (٢/ ٥)، والبخاري (٣٦٣٥).

المتن

[٦٥/ ٥٦] باب ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠]

• [٤١٦٧] حدثنا محمد بن يوسف، عن سفيان، عن ميسرة، عن أبي حازم، عن أبي هريرة رضي الله عنه: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾، قال: خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام.

الشرح

• [٤١٦٧] هذا الحديث على قوله تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

قوله: «**قال: خير الناس للناس، تأتون بهم في السلاسل في أعناقهم حتى يدخلوا في الإسلام**» هذه الأمة خير الناس للناس يجاهدون في سبيل الله ويقاتلون الكفار ويقاتلهم الكفار، فإذا انتصروا عليهم أسروهم، وأتوا بهم في السلاسل ثم يمن الله عليهم بالإسلام، فيسلمون فيدخلون الجنة.

وقد قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وجاء في سبب هذا الحديث ما أخرجه الطبري وابن أبي حاتم من طريق عكرمة قال: كان من قبلكم لا يأمن هذا في بلاد هذا ولا هذا في بلاد هذا فلما كنتم أنتم أمن فيكم الأحمر والأسود»، وذكر الحافظ أن هذا يقتضي حمله على عموم الأمة، ونقله عن الفراء.

ثم قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وقال غيره: المراد بقوله: ﴿كُنتُمْ﴾ في اللوح المحفوظ، أو في علم الله» ثم ذكر الحافظ حديث بهز بن حكيم عن أبيه عن جده سمعت رسول الله ﷺ يقول في هذه الآية: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ قال: «**أنتم متمون سبعين أمة أنتم خيرها وأكرمها على الله**»(١).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وهو حديث حسن صحيح».

* * *

(١) أحمد (٣/ ٦١)، والترمذي (٣٠٠١)، وابن ماجه (٤٢٨٨).

المَتْنُ

[٦٦/ ٥٦] باب ﴿إِذْ هَمَّت طَّآيِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ [آل عمران: ١٢٢]

• [٤١٦٨] حدثنا علي بن عبدالله، قال: حدثنا سفيان، قال: قال عمرو: سمعت جابر بن عبدالله رضي الله عنهما يقول: فينا نزلت: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآيِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾، قال: نحن الطائفتان: بنو حارثة وبنو سلمة، وما نحب، وقال سفيان مرة: وما يسرني أنها لم تنزل لقول الله ﷻ: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾.

الشَّرْحُ

• [٤١٦٨] هذا الحديث متعلق بقوله: ﴿إِذْ هَمَّت طَّآيِفَتَانِ مِنكُمْ أَن تَفْشَلَا﴾ [آل عمران: ١٢٢].

قوله: «قال: نحن الطائفتان بنو حارثة وبنو سلمة وما نحب – وقال سفيان مرة: وما يسرني – أنها لم تنزل» أي: وإن كان في قوله: ﴿أَن تَفْشَلَا﴾ غضاضة عليهم إلا أنه قال: ما أحب أنها لم تنزل؛ لقول الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ وَلِيُّهُمَا﴾ [آل عمران: ١٢٢] وهذه منقبة لهما؛ أي: يكفينا أن الله ولينا.

* * *

المتن

[٦٧/ ٥٦] ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾ [آل عمران: ١٢٨]

• [٤١٦٩] حدثنا حبان بن موسى، قال: أخبرنا عبدالله، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، قال: حدثني سالم، عن أبيه، أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الآخرة من الفجر يقول: «**اللهم العن فلانًا، وفلانًا، وفلانًا**»، بعدما يقول: «**سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد**»، فأنزل الله ﷻ: **﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾**، إلى قوله: **﴿فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾**. رواه إسحاق بن راشد، عن الزهري.

• [٤١٧٠] حدثنا موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا إبراهيم بن سعد، قال: حدثنا ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبدالرحمن، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قنت بعد الركوع، فربما قال: إذا قال: «**سمع الله لمن حمده، اللهم ربنا لك الحمد، اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، اللهم اشدد وطأتك على مضر، واجعلها سنين كسني يوسف**»، يجهر بذلك، وكان يقول في بعض صلاته في صلاة الفجر: «**اللهم العن فلانًا، وفلانًا**»، لأحياء من العرب، حتى أنزل الله ﷻ: **﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾**.

الشرح

هذه الترجمة: «**﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ﴾**» الخطاب للنبي ﷺ، وتمام الآية: **﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ ٱلْأَمْرِ شَيْءٌ أَوْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ أَوْ يُعَذِّبَهُمْ فَإِنَّهُمْ ظَٰلِمُونَ﴾** [آل عمران: ١٢٨] وفيه دليل على أن الرسول ﷺ ليس له شيء من الأمر، وإنما الأمر كله لله، فالنبي ﷺ بشر، وهو وإن كان أفضل الناس وأشرف الناس إلا أنه ليس له شيء من التدبير، بل التدبير لله، ولا يستحق شيئًا من العبادة، فالعبادة حق الله ﷻ، والنبي عليه الصلاة والسلام نبي كريم يطاع ويتبع وتصدق أخباره، ويتعبد لله بشريعته، لكنه لا يعبد وليس له من تصريف الأمور ولا من تدبير هذا الكون شيء.

• [٤١٦٩] ثم ذكر المؤلف رحمه الله حديث ابن عمر: «**أنه سمع رسول الله ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع في الركعة الآخرة من الفجر يقول: «اللهم العن فلانًا، وفلانًا، وفلانًا»**،

بعدما يقول: «سمع الله لمن حمده، ربنا ولك الحمد»، فأنزل الله ﷻ: ﴿لَيْسَ لَكَ مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ﴾». [آل عمران: ١٢٨].

قوله: **«اللهم العن فلانًا، وفلانًا»** جاء في الحديث الآخر تسميتهم قال: **«اللهم العن صفوان بن أمية، اللهم العن سهيل بن عمرو، اللهم العن الحارث بن هشام»**(١).

وكلهم تاب الله عليهم، وأسلموا، فكان يدعو عليهم في الركعة الأخيرة من الفجر، ويؤمن عليه أصحابه وهم خير الناس بعد الرسل؛ فدل ذلك على أن الأمر لله وأن القلوب بيد الله.

وفيه مشروعية القنوت في النوازل، وفيه جواز تسمية من يدعى له أو يدعى عليه في القنوت، وفيه أن القنوت يكون بعد الركوع في الركعة الأخيرة من صلاة الفجر.

وجاء في الحديث الآخر أيضًا أنه ﷺ قنت حين قتل القراء شهرًا(٢)، والقنوت يكون في جميع الصلوات إذا اشتد الأمر.

• [٤١٧٠] الحديث الثاني حديث أبي هريرة ﵁، وفيه: **«أن رسول الله ﷺ كان إذا أراد أن يدعو على أحد أو يدعو لأحد قنت بعد الركوع»** فهذا هو الغالب أن يكون بعد الركوع.

وقوله: **«فربما قال: إذا قال: «سمع الله لمن حمده، اللهم ربنا لك الحمد»** يعني بعدما يقول الذكر: **«اللهم أنج الوليد بن الوليد، وسلمة بن هشام، وعياش بن أبي ربيعة، اللهم اشدد وطأتك على مضر»** يعني على قبيلة مضر؛ لكفرهم وعنادهم وإيذائهم للنبي ﷺ ولأصحابه.

وقوله: **«واجعلها سنين كسني يوسف»** دعا عليهم وكان يجهر بذلك، والناس يؤمّنون، وكان يقول ذلك في صلاة الفجر، وسني يوسف يعني سني قحط وجدب؛ **﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ﴾** [يوسف: ٤٧، ٤٨] فالسنين الأولى خصب، والثانية جدب؛

---

(١) أحمد (٢/ ٩٣).

(٢) أحمد (٣/ ١٠٩)، والبخاري (١٣٠٠)، ومسلم (٦٧٧).

ولهذا دعا عليهم النبي ﷺ أن تصيبهم سنين جدب كسني يوسف فأصابت قريش سنة حصت كل شيء حتى أكلوا العظام والجلود .

وقوله : **«اللهم العن فلانًا ، وفلانًا ، لأحياء من العرب»** ، وهم الذين قتلوا القراء ؛ فدل على مشروعية القنوت في النوازل ، ولا يستمر بل يدعو وقتًا ثم يمسك ؛ لأن النبي ﷺ دعا على رعل وذكوان وعصية أربعين صباحًا ثم ترك[١] ؛ وذهب بعض العلماء كالشافعي[٢] إلى أن الإمام يقنت في الفجر دائمًا باستمرار ؛ واستدلوا بحديث أنس : **«ما زال النبي ﷺ يقنت في الفجر حتى فارق الدنيا»**[٣] .

وهذا خلاف الصواب ؛ فقوله : **«ما زال النبي ﷺ يقنت»** المراد بالقنوت طول القيام ، فالصواب أن القنوت لا يستمر ، لكن إذا صلى خلف من يقنت يؤمن عليه كما فعل الإمام أحمد[٤] وغيره ولا يخالف ؛ لأن الخلاف شر .

❋ ❋ ❋

---

(١) البخاري (٢٨٠١) .

(٢) انظر «تحفة المحتاج» (٢/ ٦٤) .

(٣) أحمد (٣/ ١٦٢) .

(٤) انظر «شرح المنتهى» (١/ ٢٤٢) .

المتن

[٦٨/ ٥٦] **باب قوله:** ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِيٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٣]

وهو تأنيث آخركم.

وقال ابن عباس: ﴿إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التوبة: ٥٢]: فتحا أو شهادة.

• [٤١٧١] حدثنا عمرو بن خالد، قال: حدثنا زهير، قال: حدثنا أبو إسحاق، قال: سمعت البراء بن عازب رضي الله عنهما قال: جعل رسول الله ﷺ على الرجالة يوم أحد عبدالله بن جبير، وأقبلوا منهزمين؛ فذلك إذ يدعوهم الرسول في أخراهم، ولم يبق مع النبي ﷺ غير اثني عشر رجلًا.

الشرح

هذه الآية في غزوة أحد وهي قوله تعالى: ﴿وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِيٓ أُخْرَىٰكُمْ فَأَثَٰبَكُمْ غَمًّۢا بِغَمٍّ لِّكَيْلَا تَحْزَنُوا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا مَآ أَصَٰبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ﴾ [آل عمران: ١٥٣] فقوله: ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ﴾ يعني في الجبل، وهذا في وقت الفرار ﴿وَلَا تَلْوُۥنَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ فِيٓ أُخْرَىٰكُمْ﴾ قال المؤلف: ﴿أُخْرَىٰكُمْ﴾ «**تأنيث آخركم**» يعني أن المذكر: آخَر والأنثى أخرى أما الآخِر فيقابل الأول؛ يقال: الأول والآخر.

قال: «**وقال ابن عباس:** ﴿إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾» يعني قوله: ﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التوبة: ٥٢] وهذه الآية في سورة براءة وليست في سورة آل عمران.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «لعله أورده هنا للإشارة إلى أن إحدى الحسنيين وقعت في أحد».

ونقل المؤلف رحمه الله تفسيرها عن ابن عباس قال: «﴿إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾: **فتحًا أو شهادة**»، يعني: إما الفتح وإما الشهادة، فالله تعالى يخاطبهم بقوله: ﴿قُلْ﴾ أي: للكفار ﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ يعني هل تنتظرون بنا إلا إحدى الحسنيين؛ إما الشهادة وإما النصر والفتح؟ ﴿وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا﴾ [التوبة: ٥٢] فأنتم تنتظرون لنا شيئين ونحن ننتظر شيئين: أنتم تنتظرون لنا إما الشهادة أو النصر والفتح، ونحن ننتظر أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو يعذبكم بأيدينا.

• [٤١٧١] ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ حديث البراء بن عازب رضي الله عنه، وفيه قوله: «**جعل رسول الله ﷺ على الرجالة يوم أحد عبدالله بن جبير**»، فكانوا خمسين رجلًا على الجبل الصغير وأمر عليهم عبدالله بن جبير، وقال لهم كما في الحديث الآخر: «**لا تبرحوا مكانكم ولو تخطفنا الطير**»[1].

فلما كان النصر للمؤمنين في أول الأمر قال الرماة: نريد أن نشارك المسلمين في جمع الغنائم، فنصحهم عبدالله بن جبير وذكرهم بعهد النبي ﷺ لهم، لكنهم أخلوا المكان، فجاءتهم خيالة المشركين بقيادة خالد بن الوليد -ولم يكن أسلم في ذلك الوقت- فبغتوهم وحصلت النكسة والهزيمة بعد ذلك، قال: «**ولم يبق مع النبي ﷺ غير اثني عشر رجلًا**».

* * *

(١) أحمد (٤/ ٢٩٣)، والبخاري (٣٠٣٩).

المتن

[٦٩/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿أَمَنَةً نُّعَاسًا﴾ [آل عمران: ١٥٤]

• [٤١٧٢] حدثني إسحاق بن إبراهيم بن عبدالرحمن أبو يعقوب، قال: حدثنا حسين بن محمد، قال: حدثنا شيبان، عن قتادة، قال: حدثنا أنس، أن أبا طلحة قال: غشينا النعاس ونحن في مصافنا يوم أحد، قال: فجعل سيفي يسقط من يدي وآخذه، ويسقط وآخذه.

الشرح

• [٤١٧٢] قوله: «**غشينا النعاس**» يدل على أمنة وثبات قلوب المؤمنين فهم مطمئنون يقولون: إن قتلنا فنحن شهداء، وإن بقينا فنحن على خير؛ فإما النصر وإما الشهادة، بخلاف المنافقين فالنعاس لا يأتيهم؛ بسبب الرعب والخوف والهلع، وذلك قوله تعالى: ﴿إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ﴾ [الأنفال: ١١] وأما في سورة آل عمران فقال: ﴿ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنۢ بَعْدِ ٱلْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَآئِفَةً مِّنكُمْ﴾ وهم المؤمنون ﴿وَطَآئِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ﴾ وهم المنافقون لا يأتيهم نعاس ﴿يَظُنُّونَ بِٱللَّهِ غَيْرَ ٱلْحَقِّ ظَنَّ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ ٱلْأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ ٱلْأَمْرَ كُلَّهُۥ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِىٓ أَنفُسِهِم مَّا لَا يُبْدُونَ لَكَ﴾ فالمنافق ليس عنده إيمان فمنتهاه هذه الحياة الدنيا؛ فلهذا لا يصيبه النعاس، نسأل الله العافية.

* * *

المتن

[٧٠/ ٥٦] **باب قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾** [آل عمران: ١٧٢]

﴿ٱلۡقَرۡحُ﴾: الجراح، ﴿ٱسۡتَجَابُواْ﴾: أجابوا، يستجيب: يجيب

الشرح

هذا الباب على قول الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُۚ لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾.

قوله: «﴿ٱلۡقَرۡحُ﴾: **الجراح**» يقال: القُرح والقَرح بالضم وبالفتح، فمنهم من رجح الفتح، ومنهم من رجح الضم ويقال: إنهما لغتان كالضَّعف والضُّعف.

وقوله: «﴿ٱسۡتَجَابُواْ﴾: **أجابوا**»، وهذا بعد غزوة أحد، وذلك أن أبا سفيان ومن معه من المشركين قالوا: لو رجعنا عليهم، وقضينا على البقية الباقية، فحث النبي ﷺ الناس على الخروج في طلب قريش، وندب الناس فانتدبوا فخرج ومن معه إلى حمراء الأسد(١)، فأثنى الله تعالى عليهم وقال: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ مِنۢ بَعۡدِ مَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡقَرۡحُ﴾ أي: لما ندبهم النبي ﷺ استجابوا من بعد الجراح والهزيمة يوم أحد فأثابهم الله تعالى فقال: ﴿لِلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ مِنۡهُمۡ وَٱتَّقَوۡاْ أَجۡرٌ عَظِيمٌ﴾، وهذا يدل على قوة إيمانهم وثباتهم واستجابتهم لله ولرسوله ﷺ.

ولم يذكر المؤلف حديثًا على هذه الترجمة.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «كأنه بيض له، واللائق به حديث عائشة أنها قالت لعروة في هذه الآية: يا ابن أختي كان أبواك منهم؛ الزبير وأبو بكر»، واللائق به كذلك حديث ابن عيينة يقول الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وروى ابن عيينة عن عمرو بن دينار عن عكرمة عن ابن عباس قال: لما رجع المشركون من أحد قالوا: لا محمدًا قتلتم ولا الكواعب ردفتم بئسما

---

(١) النسائي في الكبرى (٦/ ٣١٧).

صنعتم فرجعوا، فندب رسول الله ﷺ الناس فانتدبوا حتى بلغ حمراء الأسد فبلغ المشركين فقالوا: نرجع من قابل فأنزل الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ٱسۡتَجَابُواْ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ﴾ [آل عمران: ١٧٢] الآية. أخرجه النسائي وابن مردويه[١] ورجاله رجال الصحيح إلا أن المحفوظ إرساله عن عكرمة ليس فيه ابن عباس».

* * *

(١) النسائي في «الكبرى» (٦/ ٣١٧)، والطبراني في «الكبير» (١١/ ٢٤٧).

المتن

[٧١/ ٥٦] باب ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ [آل عمران: ١٧٣] الآية

• [٤١٧٣] حدثنا أحمد بن يونس أراه، قال: حدثنا أبو بكر، عن أبي حصين، عن أبي الضحى، عن ابن عباس، ﴿حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ قالها إبراهيم صلى الله عليه حين ألقي في النار، وقالها محمد ﷺ حين قالوا: ﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾.

• [٤١٧٤] حدثنا مالك بن إسماعيل، قال: حدثنا إسرائيل، عن أبي حصين، عن أبي الضحى، عن ابن عباس قال: كان آخر قول إبراهيم حين ألقي في النار: حسبي الله ونعم الوكيل.

الشرح

• [٤١٧٣]، [٤١٧٤] هذان الحديثان على قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ وسبب نزولها أن أبا سفيان قائد الكفار لما التقى بالمشركين بعد غزوة أحد قالوا له: إن محمدًا ومن معه حصل لهم جراحات ونكبة فلو رجعنا عليهم وقضينا على البقية الباقية منهم، فلما بلغ النبي ﷺ مقالتهم قال هذا الكلام العظيم قال: **«حسبنا الله ونعم الوكيل»**(١) أي: يكفينا الله، وهو نعم الوكيل، وتوكلوا على الله واعتمدوا عليه؛ فكفاهم الله شرهم.

وهذا الحديث فيه فوائد:

أولًا: فيه فضل هذه الكلمة: حسبنا الله ونعم الوكيل، وأنها من أقوى ما يعين على العدو.

ثانيًا: فيه التوكل على الله وتفويض الأمر إليه.

ثالثًا: فيه أن الحسب خاص بالله تعالى، فلا يقال: حسبي الله وفلان، وتوكلت على الله وفلان، فهذا شرك، فلا ينبغي هذا إلا لله.

رابعًا: من فضل هذه الكلمة أنها مقالة الخليلين إبراهيم ومحمد عليهما الصلاة والسلام، فقد قالها إبراهيم عليه الصلاة والسلام حين ألقي في النار فقال: **«حسبي الله ونعم الوكيل»** فجاءه

---

(١) البخاري (٤٥٦٣).

الفرج، ويقال: إن جبريل عرض لإبراهيم وهو يطير في الهواء عندما ألقوه ليسقط في النار فقال: هل لك حاجة يا إبراهيم، فقال إبراهيم: «أما إليك فلا وأما إلى الله فبلى» فجاء الفرج وأسرع قال الله: ﴿قُلْنَا يَٰنَارُ كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء: ٦٩] فلما وصل إلى النار صارت النار بردًا وسلامًا، وصار الجو معتدلًا، فلو لم يقل الله: ﴿كُونِى بَرْدًا وَسَلَٰمًا﴾ لأحرقته النار في الحال، ولو قال الله: ﴿كُونِى بَرْدًا﴾ لمات من شدة البرد، فهذه الكفاية كانت أسرع من كل شيء حتى من مساعدة جبرائيل، وهو ملك كريم أعطاه الله القوة، وقوله: إنه عرض له وقال له تحتاج إلى ثبوت، فإن فيها نظرًا، وقد ذكرها الإمام الشيخ محمد بن عبدالوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ، واستفاد منها[1] بقطع النظر عن صحتها للعبرة.

وقوله: «وقالها محمد ﷺ حين قالوا:» حين قالوا له بعد غزوة أحد: «﴿إِنَّ ٱلنَّاسَ قَدْ جَمَعُوا۟ لَكُمْ فَٱخْشَوْهُمْ﴾» أي: يريدون أن يستأصلوا البقية الباقية منكم، ﴿فَزَادَهُمْ إِيمَٰنًا وَقَالُوا۟ حَسْبُنَا ٱللَّهُ وَنِعْمَ ٱلْوَكِيلُ﴾ [آل عمران: ١٧٣]؛ فكفاهم الله شر الأعداء، وقذف في قلوبهم الرعب.

خامسًا: فيه أن العموم يراد به الخصوص فقوله: ﴿ٱلَّذِينَ قَالَ لَهُمُ ٱلنَّاسُ﴾ [آل عمران: ١٧٣] هذا عام لكن مراده به الخصوص أي: خصوص كفار قريش؛ فإن أبا سفيان لقي ركبًا قدم من المدينة قال: هل أنت مبلغ محمدًا عني مقالة؟ قال: نعم، قال: بلغه أنا أعددنا جمعًا كبيرًا لنستأصل بقيتهم.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «فيه إشارة إلى ما أخرجه ابن إسحاق مطولًا في هذه القصة، وأن أبا سفيان رجع بقريش بعد أن توجه من أحد فلقيه معبد الخزاعي، فأخبره أنه رأى النبي ﷺ في جمع كثير، وقد اجتمع معه من كان تخلف عن أحد، وندموا فثنى ذلك أبا سفيان وأصحابه فرجعوا، وأرسل أبو سفيان ناسًا، فأخبروا النبي ﷺ أن أبا سفيان وأصحابه يقصدونهم فقال: «حسبنا الله ونعم الوكيل»[2]».

وهناك آثار أخرى ذكرها الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ.

* * *

---

(١) «كشف الشبهات» (ص٤٩).

(٢) البخاري (٤٥٦٣).

المتن

[٧٢/ ٥٦] باب ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ ﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ [آل عمران: ١٨٠]

كقولك: طوقته بطوق

• [٤١٧٥] حدثني عبدالله بن منير، سمع أبا النضر، قال: حدثنا عبدالرحمن، هو: ابن عبدالله بن دينار، عن أبيه، عن أبي صالح، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته، مثل له ماله شجاعٌ أقرع له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة، يأخذ بِلِهْزِمَتِه** - يعني: بشدقيه - **يقول: أنا مالك، أنا كنزك»**، ثم تلا هذه الآية: ﴿لا تحسبن ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ الآية.

الشرح

هذا الباب على قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠] وفيها الوعيد الشديد على الذين يبخلون بالواجب في المال وهو الزكاة، وقد يكون في المال حق آخر سوى الزكاة كأن يكون هناك جائع يجب إنقاذه، فلو أدى الإنسان الزكاة فلا يجوز أن يترك الجائع يموت، وكذلك أيضًا إذا كان عنده إبل أو غنم ووردت على الماء، فيجب عليه أن يحلبها يوم وردها ويعطي الفقراء.

وقال المؤلف مفسرًا: **«﴿سَيُطَوَّقُونَ﴾ كقولك: طوقته بطوق»** يعني يجعل هذا المال الذي بخل به طوقًا في عنقه يعذب به.

• [٤١٧٥] فسر آية الترجمة حديث أبي هريرة **«قال: قال رسول الله ﷺ: من آتاه الله مالا فلم يؤد زكاته مثل له ماله شجاع أقرع له زبيبتان، يطوقه يوم القيامة، يأخذ بلهزمته - يعني: بشدقيه»** وفي بعض النسخ: **«مثل له ماله شجاعا»**(١)، والشجاع: هو الذكر من

---

(١) أحمد (٢/ ٩٨)، والبخاري (١٤٠٣).

الحيات، والأقرع: الذي سقط شعر رأسه من كثرة السم، والعياذ بالله، فإذا لم يؤد الزكاة يمثل هذا المال ذكرًا من الحيات أقرع ممتلئًا سمًّا ويصير طوقًا على عنقه، ثم تأخذ هذه الحية بلهزمتيه، يعني: بشدقيه فتعذبه.

قوله: **«يقول: أنا مالك أنا كنزك»** والعياذ بالله **«ثم تلا هذه الآية: ﴿لَا «تحسبن» ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾»** وفي النسخة الأخرى وهي القراءة المشهورة: **﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾** [آل عمران: ١٨٠] وهذا في موقف القيامة قبل دخول النار.

وله -كذلك- عذاب آخر -كما في الحديث الآخر- وذلك أنه إذا كان ذهبًا وفضة، **«يصفح له صفائح من نار ويحمى عليها في نار جهنم فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره كلما بردت أعيدت عليه»** -وكذلك الأوراق النقدية فهي قائمة مقام الذهب والفضة- **«وإن كان إبلًا أو بقرًا أو غنمًا بطح لها بقاع قرقر تطؤه بأظلافها وخفافها وتعضه بأفواهها، كلما مر عليه أخراها رد عليه أولاها في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة»**(١) فيعذب بنوعين من العذاب والعياذ بالله.

فوائد من الحديث:

أولًا: فيه وجوب الحذر من اكتناز المال، وأنه يجب على الإنسان أن يؤدي زكاة ماله طهرة للمال وليسلم بها من شرور هذا المال.

ثانيًا: فيه أنه ينبغي أن يؤدي ذلك عن طيب نفس.

قول آخر في سبب نزول الآية: وهو أنه قد قيل في الآية السابقة: إنها نزلت في اليهود الذين استكبروا أن يخبروا بصفة النبي ﷺ فبخلوا وكتموا، ومعنى: **﴿سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ﴾** أي: بإثمه، لكن القول الأول هو المعتمد.

* * *

---

(١) أحمد (٢/ ٢٦٢)، ومسلم (٩٨٧).

المتن

[٧٣/ ٥٦] باب ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران : ١٨٦]

• [٤١٧٦] حدثنا أبو اليمان، قال: أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرنا عروة بن الزبير، أن أسامة بن زيد رضي الله عنهما أخبره، أن رسول الله ﷺ ركب على حمار على قطيفة فدكية، وأردف أسامة بن زيد وراءه؛ يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر، قال: حتى مر بمجلس فيه عبدالله بن أبي بن سلول، وذلك قبل أن يسلم عبدالله بن أبي، فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان، واليهود والمسلمين، وفي المجلس عبدالله بن رواحة، فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبدالله بن أبي أنفه بردائه، ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم رسول الله ﷺ عليهم، ثم وقف فنزل، فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن، فقال عبدالله بن أبي بن سلول: أيُّهَ المرء، إنه لا أحسنَ مما تقول إن كان حقًّا، فلا تؤذينا به في مجالسنا، ارجع إلى رحلك، فمن جاءك فاقصص عليه، فقال عبدالله بن رواحة: بلى يا رسول الله، فاغشنا به في مجالسنا، فإنا نحب ذلك، فاستب المسلمون والمشركون واليهود، حتى كادوا يتثاورون، فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتى سكنوا، ثم ركب النبي ﷺ دابته، فسار حتى دخل على سعد بن عبادة، فقال له النبي ﷺ: **«أيا سعد، ألم تسمع ما قال أبو حباب؟** - يريد عبدالله بن أبي - **قال: كذا وكذا»**، قال سعد بن عبادة: يا رسول الله، اعف عنه واصفح عنه، فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي نزل عليك، لقد اصطلح أهل هذه البحرة على أن يتوجوه فيعصبونه بالعصابة، فلما أبى الله ﷻ ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرق بذلك؛ فذلك فعل به ما رأيت، فعفا عنه رسول الله ﷺ، وكان النبي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب، كما أمرهم الله، ويصبرون على الأذى، قال الله ﷻ: **﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوٓا أَذًى كَثِيرًا﴾** الآية، وقال الله ﷻ: **﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾** إلى آخر الآية، وكان النبي ﷺ يتأول في العفو ما أمره الله به، حتى أذن الله فيهم، فلما غزا رسول الله ﷺ بدرًا

فقتل الله به صناديد كفار قريش، قال ابن أبي بن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان: هذا أمر قد توجه، فبايعوا لرسول الله ﷺ على الإسلام، فأسلموا.

الشرح

قوله: «**باب: ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾**» فيه أن المشركين واليهود يؤذون المؤمنين بالكلام السيئ، والله تعالى يأمرهم بالصبر فقال سبحانه: **﴿وَإِن تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ﴾** [آل عمران: ١٨٦].

ثم بعد ذلك شرع الله جهاد المشركين، ووادع النبي ﷺ اليهود وصالحهم، ومن أظهر شيئًا من كفره فإنه يعامل بما ظهر منه.

- [٤١٧٦] ذكر المؤلف رحمه الله حديث أسامة بن زيد في قصة مجيء النبي ﷺ لزيارة سعد بن عبادة عندما كان مريضًا.

قوله: «**أن رسول الله ﷺ ركب على حمار على قطيفة فدكية**» والقطيفة الفدكية كساء غليظ منسوب إلى فدك، وهي بلدة مشهورة على مرحلتين من المدينة.

وقوله: «**وأردف أسامة بن زيد وراءه؛ يعود سعد بن عبادة في بني الحارث بن الخزرج قبل وقعة بدر**» أي: هذه الواقعة كانت قبل وقعة بدر.

وقوله: «**حتى مر بمجلس فيه عبدالله بن أبي ابن سلول**» وهو رئيس المنافقين، «**وذلك قبل أن يسلم عبدالله بن أبي**» يعني: قبل أن يظهر الإسلام، وقد مات على نفاقه وكفره والعياذ بالله.

وقوله: «**فإذا في المجلس أخلاط من المسلمين والمشركين عبدة الأوثان واليهود والمسلمين**» فعبدة الأوثان بدل من المشركين.

وقوله: «**وفي المجلس عبدالله بن رواحة**» أي: معهم «**فلما غشيت المجلس عجاجة الدابة خمر عبدالله بن أبي أنفه بردائه**» يعني: غطى أنفه بردائه، وقوله: «**ثم قال: لا تغبروا علينا، فسلم رسول الله ﷺ عليهم**» أي: إن النبي ﷺ وقف وسلم عليهم مع أن المجلس فيه أخلاط من المسلمين واليهود وعبدة الأوثان.

وقوله: «**ثم وقف فنزل فدعاهم إلى الله، وقرأ عليهم القرآن**» أي: إن النبي ﷺ انتهز الفرصة، فنزل فدعاهم إلى الله ﷻ، وقرأ عليهم القرآن.

وقوله: «**فقال عبدالله بن أبي ابن سلول: أيه المرء**» وفي نسخة أخرىٰ: «**أيها المرء**»[1] وهو يخاطب النبي ﷺ.

وقوله: «**إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقًّا، فلا تؤذينا به في مجالسنا**» فالأصل أن يقول: فلا تؤذنا به؛ لأن «لا» إذا كانت ناهية فإن المضارع يجزم بحذف حرف العلة، ولكنها قد لا تحذف وهذا قليل، وإن كانت نافية فلا إشكال في ذلك؛ لأنه قال: فلا تؤذينا به. والمقصود أن صاحب النفاق لا يستريح حتىٰ يظهر شره.

وقوله: «**ارجع إلىٰ رحلك، فمن جاءك فاقصص عليه، فقال عبدالله بن رواحة: بلىٰ يا رسول الله، فاغشنا به في مجالسنا، فإنا نحب ذلك، فاستب المسلمون والمشركون واليهود حتىٰ كادوا يتثاورون**» أي: حتىٰ كادوا يتقاتلون.

وقوله: «**فلم يزل النبي ﷺ يخفضهم حتىٰ سكنوا**» بالنون أي: جعل النبي ﷺ يهدئهم؛ لئلا يحصل شر حتىٰ سكنوا، وروي: «**حتىٰ سكتوا**»[2] بالتاء.

وقوله: «**ثم ركب النبي ﷺ دابته فسار حتىٰ دخل علىٰ سعد بن عبادة**» وهو رئيس الخزرج وسيدهم.

وقوله: «**فقال له النبي ﷺ: أيا سعد، ألم تسمع ما قال أبو حباب؟ - يريد عبدالله بن أبي - قال كذا وكذا**» فأبو حباب كنية عبدالله بن أبي، وهذا من حسن خلق النبي ﷺ فإنه كناه فقال: أبو حباب، وهذه الكنية أحب إليه من اسمه لو سمعه، وهذا من تأليفه عليه الصلاة والسلام، فإن ابن أبي كان رئيسًا معظمًا في الخزرج.

وقوله: «**قال سعد بن عبادة: يا رسول الله، اعف عنه واصفح عنه، فوالذي أنزل عليك الكتاب لقد جاء الله بالحق الذي نزل عليك، لقد اصطلح أهل هذه البحرة**» وفي رواية: «**البحيرة**»[3] والمراد: البلدة، وهي المدينة النبوية، وقال بعضهم: البحيرة من أسماء المدينة.

وقوله: «**علىٰ أن يتوجوه فيعصبونه بالعصابة**» أي: أن يجعلوه رئيسًا، والرئيس يجعل علىٰ رأسه عصابة أي: علامة أو شعار علىٰ أنه رئيس، لكنه فاته ذلك بهجرة النبي ﷺ.

---

(١) أحمد (٥/ ٢٠٣)، والبخاري (٥٦٦٣)، ومسلم (١٧٩٨).

(٢) البخاري (٥٦٦٣).

(٣) أحمد (٥/ ٢٠٣)، والبخاري (٤٥٦٦).

وقوله : «فلما أبى الله ﷻ ذلك بالحق الذي أعطاك الله شرق بذلك» أي : غص بالإسلام ولم يقبله ؛ لأنه فاتته الرئاسة .

وقوله : «فذلك فعل به ما رأيت ، فعفا عنه رسول الله ﷺ ، وكان النبي ﷺ وأصحابه يعفون عن المشركين وأهل الكتاب كما أمرهم الله ، ويصبرون على الأذى ، قال الله ﷻ : ﴿وَلَتَسْمَعُنَّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ وَمِنَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا أَذًى كَثِيرًا﴾ [آل عمران : ١٨٦] الآية» ، ومن الأذى الذي سمعه النبي ﷺ قول ابن سلول : «أيه المرء إنه لا أحسن مما تقول إن كان حقًّا ، فلا تؤذينا به في مجالسنا ، ارجع إلى رحلك ، فمن جاءك فاقصص عليه» ، قال : وقال الله ﷻ : ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّن بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾ والشاهد من هذه الآية قوله : ﴿فَاعْفُوا وَاصْفَحُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾ [البقرة : ١٠٩] ففيها الأمر بالعفو والصفح .

وقوله : «وكان النبي ﷺ يتأول في العفو ما أمره الله به ، حتى أذن الله فيهم» يعني : حتى شرع الله الجهاد وأمر بالقتال .

وقوله : «فلما غزا رسول الله ﷺ بدرا فقتل الله به صناديد كفار قريش» يعني : رؤساءهم وكبراءهم ، والمقصود أن بعد بدر قوي المسلمون ؛ ولهذا سميت غزوة بدر : يوم الفرقان ، فقد فرق الله به بين الحق والباطل ، فقتل من المشركين سبعون وأسر سبعون ، وخاف اليهود والمنافقون .

وقوله : «قال ابن أبي بن سلول ومن معه من المشركين وعبدة الأوثان» يعني ممن لم يسلم من الأوس والخزرج ؛ لأنهم لم يسلموا كلهم ، «هذا أمر قد توجه» يعني بالأمر : الإسلام «فبايعوا لرسول الله ﷺ على الإسلام» وفي نسخة : «فبايعوا رسول الله ﷺ»[1] بلفظ الماضي ، ويحتمل : فبايعوا أنتم ، بلفظ الأمر .

وقوله : «فأسلموا» أي : أسلموا في الظاهر نفاقًا ، وأخفوا الكفر خوفًا على أنفسهم من القتل وعلى أموالهم من السبي ، وكان هذا بعد غزوة بدر ، أما قبل غزوة بدر فكانوا يظهرون شركهم .

---

(١) البخاري (٤٥٦٦) .

وفي هذا الحديث فوائد كثيرة :

أولًا : فيه مشروعية زيارة المريض .

ثانيًا : فيه جواز ركوب الدابة وركوب السيارة لزيارة المريض .

ثالثًا : فيه مشروعية زيارة الرئيس أو الأمير أو العالم وأن يكون معه أصحابه .

رابعًا : فيه تواضع النبي ﷺ وركوبه على الدابة ، أو على الحمار ؛ على خلاف عادة أهل الكبر والأنفة الذين يأنفون من ركوب الحمار .

خامسًا : فيه حسن خلقه ﷺ وتواضعه حيث أردف أسامة بن زيد ، فإن الكبراء والأشراف يأنفون أن يكون معهم غيرهم .

سادسًا : فيه جواز الإرداف على الدابة إذا كانت تطيق .

سابعًا : فيه مشروعية السلام على الأخلاط من المسلمين والكفار ، فيسلم عليهم وينوي بالسلام المسلمين .

ثامنًا : فيه أنه ينبغي للداعية أن ينتهز الفرصة وأن يستغل الأوقات المناسبة للدعوة إلى الله .

* * *

المتن

[٧٤/ ٥٦] باب ﴿«لا يحسبن» ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا﴾ [آل عمران: ١٨٨]

• [٤١٧٧] حدثنا سعيد بن أبي مريم، قال: أنا محمد بن جعفر، قال: حدثني زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن رجالا من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ، فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتذروا إليه وحلفوا، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا، فنزلت: ﴿«لا يحسبن» ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾ الآية.

• [٤١٧٨] حدثني إبراهيم بن موسى، قال: أخبرنا هشام، أن ابن جريج أخبرهم، عن ابن أبي مليكة، أن علقمة بن وقاص أخبره، أن مروان قال لبوابه: اذهب يا رافع إلى ابن عباس فقل: لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يفعل معذبًا لنعذبن أجمعون، فقال ابن عباس: ما لكم ولهذه الآية، إنما دعا النبي ﷺ يهودَ فسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم، وفرحوا بما أُوتوا من كتمانهم، ثم قرأ ابن عباس: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ﴾ كذلك، حتى قوله: ﴿يَفْرَحُونَ بِمَآ «أوتوا» وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا﴾.

تابعه عبدالرزاق، عن ابن جريج.

• [٤١٧٩] حدثنا ابن مقاتل، قال: حدثنا الحجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني ابن أبي مليكة، عن حميد بن عبدالرحمن بن عوف، أنه أخبره، أن مروان بهذا.

الشرح

بوب المؤلف رحمه الله على قوله تعالى: ﴿لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٨٨] وهذه الآية فيها الوعيد الشديد على الذي يفرح بما أتى ويعجب بعمله ويحب أن يحمد بشيء لم يفعله، فقد قال الله: ﴿فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ فتوعدهم بالعذاب الأليم.

وذكر المؤلف في سبب نزولها سببين :

السبب الأول : أنها نزلت في المنافقين .

السبب الثاني : أنها نزلت في اليهود .

والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ، فعمومها يتناول كل من أتى بحسنة ففرح بها فرح إعجاب ، وأحب أن يحمده الناس ويثنوا عليه بما ليس فيه ، ويدخل سبب النزول دخولًا أوليًّا .

• [٤١٧٧] ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ على هذه الترجمة حديثين :

الحديث الأول في هذه الترجمة هو حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه في سبب نزول آية الترجمة وأنها نزلت في رجال من المنافقين .

قوله : «**عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن رجالا من المنافقين على عهد رسول الله ﷺ كان إذا خرج رسول الله ﷺ إلى الغزو تخلفوا عنه ، وفرحوا بمقعدهم خلاف رسول الله ﷺ ، فإذا قدم رسول الله ﷺ اعتذروا إليه وحلفوا ، وأحبوا أن يحمدوا بما لم يفعلوا**» فالمنافقون يتخلفون عن النبي ﷺ فإذا قدم اعتذروا إليه ، فإما أن يعتذر بالمرض أو يعتذر بأنه ليس عنده ما يجاهد به ، ويحبون أن يحمدوا بما لم يفعلوا فنزلت هذه الآية .

• [٤١٧٨] **الحديث الثاني** حديث ابن عباس في قصة مروان بن الحكم وكان أمير المدينة .

قوله : «**أن مروان قال لبوابه**» يعني : بواب مروان ، وكان بواب مروان بن الحكم اسمه رافع .

وقوله : «**اذهب يا رافع إلى ابن عباس**» أي : فاسأله عن هذه الآية ﴿**لَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَفْرَحُونَ بِمَآ أَتَوا وَّيُحِبُّونَ أَن يُحْمَدُوا بِمَا لَمْ يَفْعَلُوا فَلَا تَحْسَبَنَّهُم بِمَفَازَةٍ مِّنَ ٱلْعَذَابِ**﴾ [آل عمران : ١٨٨] .

وقوله : «**فقل : لئن كان كل امرئ فرح بما أوتي وأحب أن يحمد بما لم يعمل معذبًا لنعذبن أجمعون**» يعني : إن كانت الآية على ظاهرها فسنعذب كلنا ؛ لأن كلنا ينطبق عليه وصف الآية .

وقوله : «**فقال ابن عباس : ما لكم ولهذه الآية ، إنما دعا النبي ﷺ يهود**» فهذه الآية نزلت في اليهود «**فسألهم عن شيء فكتموه إياه وأخبروه بغيره ، فأروه أن قد استحمدوا إليه بما أخبروه عنه فيما سألهم ، وفرحوا بما أوتوا من كتمانهم**» فنزلت ، قال : «**ثم قرأ ابن عباس** : ﴿**وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ**

مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ﴾ [آل عمران: ١٨٧] كذلك حتى قوله: ﴿يَفۡرَحُونَ بِمَآ أَتَواْ وَّيُحِبُّونَ أَن يُحۡمَدُواْ بِمَا لَمۡ يَفۡعَلُواْ﴾ ولا مانع من أن تكون الآية نزلت في المنافقين وفي اليهود جميعًا، ثم إن الآية عامة تشملهم وتشمل غيرهم؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وإن كان خصوص السبب يدخل في الآية دخولًا أوليًا.

وفيه أن الإنسان يجب أن يحرص ألا يحمد بما لم يفعل نحو ما ثبت في قصة سعيد بن جبير: لما سأله سائل فقال له: أيكم رأى النجم الذي انقض البارحة؟ فقال سعيد: أنا، ثم خشي أن يظن الناس أنه يصلي في الليل فقال: أما إني لم أكن في صلاة ولكني لدغت؛ أي: إني رأيت النجم الذي انقض؛ لأني سهرت بسبب لدغة العقرب، ولم أكن في صلاة، فلا تظنوا أني أصلي حتى تحمدوني بشيء لم أفعله.

ولكن إذا فعل المرء الصالحات ثم اطلع الناس وأثنوا عليه فلا يضره ذلك فقد سئل النبي ﷺ عن ذلك، فقال: **«تلك عاجل بشرى المؤمن»**[1].

● [٤١٧٩] هذا الحديث هو الحديث السابق كرره المؤلف رحمه الله لفائدة حديثية وهي إثبات طرق أخرى مما يقوي الحديث.

* * *

(١) أحمد (٥/ ١٥٦)، ومسلم (٢٦٤٢).

المتن

[٧٥/ ٥٦] **باب قوله:** ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] **الآية**

• [٤١٨٠] حدثنا سعيد بن أبي مريم، قال: أنا محمد بن جعفر، قال: أخبرني شريك بن عبدالله بن أبي نمر، عن كريب، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بت في بيت ميمونة، فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد، فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء فقال: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾، ثم قام فتوضأ واستن، فصلى إحدى عشرة ركعة، ثم أذن بلال فصلى ركعتين، ثم خرج فصلى الصبح.

الشرح

قوله: «**باب قوله:** ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]» بين الله تعالى في هذه الآية وصف أولي الألباب -وهم أصحاب العقول- فأخبر عنهم أنهم يتفكرون في خلق السموات والأرض، وفي اختلاف الليل والنهار، وأنهم يستدلون بهذا التفكر على قدرة الله ووحدانيته واستحقاقه للعبادة، فيذكرون الله قيامًا وقعودًا وعلى جنوبهم.

• [٤١٨٠] قوله: «**بت في بيت ميمونة فتحدث رسول الله ﷺ مع أهله ساعة ثم رقد**» المراد بالساعة هنا جزء من الزمان، وليس المراد منها مقدار الساعة المعروف الآن.

قوله: «**فلما كان ثلث الليل الآخر قعد فنظر إلى السماء فقال:** ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ لَءَايَٰتٍ لِّأُوْلِي ٱلْأَلْبَٰبِ﴾» هذا هو الشاهد من الحديث.

قوله: «**ثم قام فتوضأ واستن**» الاستنان هو استعمال السواك.

قوله: «**فصلى إحدى عشرة ركعة، ثم أذن بلال**» يعني لصلاة الفجر.

وقوله: «**فصلى ركعتين، ثم خرج فصلى الصبح**» فيه مشروعية صلاة ركعتي سنة الصبح في البيت.

وهذا الحديث فيه أن النبي ﷺ صلى إحدى عشرة ركعة، وهو حديث مختصر، فقد جاء في الحديث الآخر: «أنه ﷺ صلى ثلاث عشرة ركعة»(١) وهذا يدل على أن هذه القصة قد تعددت، وأن ابن عباس رضي الله عنهما بات عند خالته ميمونة زوج النبي ﷺ عدة مرات؛ لأنه كان صغيرا.

وفي الحديث أن ابن عباس رضي الله عنهما كان حريصا على الاستفادة من النبي ﷺ، والتعلم منه رغم صغر سنه، وقد جاء في بعض الروايات أن أباه العباس رضي الله عنه أمره أن يبيت عند النبي ﷺ حتى يعلم صلاته.

وفيه أيضا أنه ﷺ قرأ العشر الآيات من آخر سورة آل عمران من قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] إلى آخر الآيات.

وفيه أيضا دليل على مشروعية قيام الليل واستحبابه وفضله والحث عليه، وأدلة فضل قيام الليل كثيرة، وهو دأب الصالحين، فالله تعالى قد أثنى في مواضع كثيرة من كتابه على المؤمنين الذين يداومون على صلاة الليل فقال سبحانه وتعالى: ﴿تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ ٱلْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦] وقال سبحانه: ﴿أَمَّنْ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيْلِ سَاجِدًا وَقَآئِمًا يَحْذَرُ ٱلْءَاخِرَةَ وَيَرْجُواْ رَحْمَةَ رَبِّهِۦ﴾ [الزمر: ٩] وقال سبحانه: ﴿وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٨] وقال سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِي جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ۝ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُواْ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ۝ كَانُواْ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ۝ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٥-١٨].

وكذلك ورد في السنة النبوية الشريفة ما يدل على فضل قيام الليل؛ منه ما ثبت في الحديث الصحيح: **«والصدقة تطفئ الخطيئة كما يطفئ الماء النار، وصلاة الرجل في جوف الليل»**(٢) وكذلك ثبت عنه ﷺ أنه كان إذا انتصف الليل أو قبله بقليل أو بعده بقليل قام يصلي(٣)،

---

(١) أحمد (١/ ٢٥٢)، والبخاري (٦٩٨)، ومسلم (٧٦٣).

(٢) أحمد (٥/ ٢٤٨)، والترمذي (٢٦١٦)، وابن ماجه (٣٩٧٣).

(٣) أحمد (١/ ٢٤٢)، والبخاري (١٨٣)، ومسلم (٧٦٣).

وكان يصلي من الليل إحدى عشرة ركعة[١] ، وقد يصلي ثلاث عشرة ركعة[٢] ، وربما صلى تسعًا[٣] ، وربما صلى سبعًا[٤] وثبت عنه أيضًا أنه كان إذا غلبه نوم أو وجع صلى من النهار ثنتي عشرة ركعة[٥] ، وكانت صلاته طويلة ، فكان يصلي ثنتي عشرة ركعة من نصف الليل إلى قرب الفجر ، وكان في آخر حياته يقرأ قراءة طويلة وهو جالس ، فإذا بقي عليه مقدار ثلاثين آية قام فقرأها ثم ركع»[٦] ؛ وهذا دليل على أنه كان يقرأ قراءة طويلة ، وكانت السجدة كما تقول عائشة رضي الله عنها : قدر ما يقرأ الرجل خمسين آية[٧] .

وأقل مقدار الوتر أن يوتر بركعة واحدة ، وأدنى الكمال ثلاث ركعات .

* * *

(١) أحمد (٦/ ٣٥) ، والبخاري (٦٣١٠) ، ومسلم (٧٣٦) .

(٢) أحمد (١/ ٣٢٤) ، والبخاري (١١٣٨) ، ومسلم (٧٦٤) .

(٣) أحمد (٦/ ١٠٠) ، ومسلم (٧٣٠) .

(٤) أحمد (٦/ ٣٢٢) ، والترمذي (٤٥٧) ، والنسائي (١٧٢٧) ، وابن ماجه (١١٩٢) .

(٥) أحمد (٦/ ٥٣) ، ومسلم (٧٤٦) .

(٦) أحمد (٦/ ١٢٧) ، والبخاري (١٨٣ ، ١١١٩ ، ٢٠١٣) ، ومسلم (٧٣١ ، ٧٣٨ ، ٧٤٦ ، ٧٦٣) .

(٧) أحمد (٦/ ٨٨) ، والبخاري (٩٩٤) .

المتن

[٧٦/ ٥٦] باب

﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٩١] الآية

• [٤١٨١] حدثنا علي بن عبدالله، قال: حدثنا عبدالرحمن بن مهدي، عن مالك بن أنس، عن مخرمة بن سليمان، عن كريب، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: بت عند خالتي ميمونة، فقلت: لأنظرن إلى صلاة رسول الله ﷺ، فطرحت لرسول الله ﷺ وسادة فنام رسول الله ﷺ في طولها، فجعل يمسح النوم عن وجهه، فقرأ الآيات العشر الأواخر من آل عمران حتى ختم، ثم أتى شنًّا معلقًا فأخذه فتوضأ، ثم قام يصلي، فقمت فصنعت مثل ما صنع، ثم جئت فقمت إلى جنبه، فوضع يده على رأسي ثم أخذ بأذني فجعل يفتلها، ثم صلى ركعتين، ثم صلى ركعتين، ثم صلى ركعتين، ثم صلى ركعتين، ثم صلى ركعتين، ثم صلى ركعتين، ثم أوتر.

الشرح

• [٤١٨١] قوله: **«بت عند خالتي ميمونة، فقلت: لأنظرن إلى صلاة رسول الله ﷺ»** هذه القصة غير القصة السابقة؛ لأن القصة السابقة فيها أنه قام في ثلث الليل وهنا لم يذكر متى قام، وسبق في الحديث الذي قبله أنه قال: «﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱخۡتِلَٰفِ ٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ﴾ [آل عمران: ١٩٠]» ولم يذكر العشر الآيات، وهنا ذكرها، وفي الحديث السابق قال: «فصلى إحدى عشرة ركعة» وهنا قال: أنه صلى ثلاث عشرة ركعة، فهذا دليل على اختلاف القصتين.

وفي الحديث مشروعية صلاة ثلاث عشرة ركعة، وأن الأفضل أن يوتر بثلاثة عشرة ركعة، أو إحدى عشرة ركعة إذا كان يطيل القراءة والقيام والركوع، فإن كان يخفف فيزيد؛ ولهذا فإن الصحابة رضي الله عنهم صلوا التراويح في رمضان إحدى عشرة ركعة وثلاث عشرة ركعة، وصلوا عشرين ركعة أيضًا.

وفيه أيضا مشروعية قراءة العشر الأواخر من سورة آل عمران بعد الاستيقاظ من النوم وبعد الذكر المشروع الذي ثبت عنه ﷺ وهو قوله : **«الحمد لله الذي أحياني بعد ما أماتني وإليه النشور»**(١) .

وفيه أيضا مشروعية مسح الوجه بعد النوم .

وفيه مشروعية السواك بعد النوم .

وفيه جواز نوم الطفل الصغير في عرض الوسادة والرجل وأهله في طولها -كما في الحديث الذي بعده- وذلك إذا كان دون البلوغ وهو محرم للمرأة ، فابن عباس رضي الله عنهما محرم ؛ لأن ميمونة رضي الله عنها خالته فلا مانع إذن .

وورد في الحديث أنه : **«من تعار من الليل»** يعني استيقظ **«فقال : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير»**(٢) وفي بعض روايات الحديث : **«ثم دعا استجيب له ، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته»**(٢) وهذا يشمل القيام من الليل ، ويشمل أيضا الانتباه في أثنائه .

* * *

(١) أحمد (٤/ ٢٩٤) ، والبخاري (٦٣١٢) ، ومسلم (٢٧١١) .
(٢) أحمد (٥/ ٣١٣) ، والبخاري (١١٥٤) .

المتن

[٧٧/ ٥٦] باب ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدْخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُۥ﴾ [آل عمران: ١٩٢]

• [٤١٨٢] حدثنا علي بن عبدالله، قال: حدثنا معن بن عيسى، عن مالك، عن مخرمة بن سليمان، عن كريب مولى ابن عباس، أن ابن عباس أخبره، أنه بات عند ميمونة زوج النبي ﷺ وهي خالته، قال: فاضطجعت في عرض الوسادة، واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها، فنام رسول الله ﷺ حتى انتصف الليل، أو قبله بقليل، أو بعده بقليل، ثم استيقظ رسول الله ﷺ فجعل يمسح النوم عن وجهه بيديه، ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران، ثم قام إلى شن معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه، ثم قام يصلي، فصنعت مثل ما صنع، ثم ذهبت فقمت إلى جنبه، فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسي، وأخذ بأذني اليمنى يفتلها، فصلى ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين ثم ركعتين، ثم أوتر، ثم اضطجع، حتى جاءه المؤذن فقام فصلى ركعتين خفيفتين، ثم خرج فصلى الصبح.

الشرح

• [٤١٨٢] قوله: **«حتى انتصف الليل، أو قبله بقليل، أو بعده بقليل، ثم استيقظ رسول الله ﷺ فجعل يمسح النوم عن وجهه بيديه»** فيه همة ابن عباس رضي الله عنهما وحرصه على العلم مع صغر سنه وهو دون البلوغ؛ فقد كان يرقب النبي ﷺ إلى نصف الليل، مع أن عادة الصغير حب النوم وتفضيله على ما سواه والاستيقاظ منه بصعوبة، لكن ابن عباس رضي الله عنهما كان ذكيًّا وكانت عنده همة عالية؛ ولهذا دعا له النبي ﷺ فقال: **«اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»**[1] فكان موفقًا متبصرًا من أول عمره.

وقوله: **«قام إلى شن معلقة»** الشن: القربة بها ماء.

قوله: **«فتوضأ منها فأحسن وضوءه ثم قام يصلي فصنعت مثل ما صنع»** لما انتهى النبي ﷺ قام ابن عباس وصب من القربة ماء وتوضأ وجاء يصلي بجواره ﷺ، ووقف يصلي التهجد.

---

(١) أحمد (١/ ٢٦٦).

قوله : **«ثم ذهبت فقمت إلى جنبه فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسي وأخذ بأذني اليمنى يفتلها»** فيه أن ابن عباس رضي الله عنهما صلى عن يسار النبي ﷺ فأداره النبي ﷺ من خلفه وصفه عن يمينه ؛ فدل ذلك على أن موقف المأموم الواحد إنما يكون عن يمين الإمام ولا يكون عن يساره .

وفيه أن صلاته كانت صحيحة ولم تبطل .

وفيه أن المأموم إذا وقف عن يسار الإمام فإن الإمام يديره عن يمينه من ورائه وتكون صلاته صحيحة ولا يعيد أولها ؛ لأن النبي ﷺ أدار ابن عباس رضي الله عنهما عن يمينه وأقره على صلاته .

قوله : **«فصلى ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم ركعتين ، ثم أوتر»** فيه مشروعية الوتر بثلاث عشرة ركعة ، وأما ما ورد في الحديث الأول : «أنه أوتر بإحدى عشرة ركعة»[1] وكذلك ما ورد في حديث عائشة رضي الله عنها : «أنه ما كان رسول الله ﷺ يزيد في رمضان ولا في غيره على إحدى عشرة ركعة»[2] فهذا محمول على الأغلب ، وإلا فإنه ﷺ أوتر بثلاث عشرة ركعة كما في هذا الحديث ، ولكن الأغلب من فعله ﷺ ما قالته عائشة رضي الله عنها .

قوله : **«ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن»** فيه أن النبي ﷺ اضطجع بعد صلاة الليل حتى جاءه مؤذنه بلال يؤذنه بوقت صلاة الفجر ؛ ففيه إعلام الإمام بمجيء وقت الصلاة المعتاد ، وإن كان الإمام عظيما أو فاضلا فيستحب ذلك .

قوله : **«فقام فصلى ركعتين خفيفتين ثم خرج فصلى الصبح»** فيه أن النبي ﷺ صلى ركعتي الفجر في بيته ، ثم خرج فصلى صلاة الصبح .

* * *

---

(١) أحمد (٦/ ٣٥) ، والبخاري (٩٩٤) ، ومسلم (٧٣٦) .
(٢) أحمد (٦/ ٣٦) ، والبخاري (٢٠١٣) ، ومسلم (٧٣٨) .

المتن

[٧٨/ ٥٦] باب

﴿رَبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ﴾ [آل عمران: ١٩٣] الآية

• [٤١٨٣] حدثنا قتيبة، عن مالك، عن مخرمة بن سليمان، عن كريب مولى ابن عباس، أن ابن عباس رضي الله عنهما أخبره، أنه بات عند ميمونة زوج النبي ﷺ وهي خالته، قال: فاضطجعت في عرض الوسادة، واضطجع رسول الله ﷺ وأهله في طولها، فنام رسول الله ﷺ حتى إذا انتصف الليل، أو قبله بقليل، أو بعده بقليل، ثم استيقظ رسول الله ﷺ فجعل يمسح النوم عن وجهه بيده، ثم قرأ العشر الآيات الخواتم من سورة آل عمران، ثم قام إلى شن معلقة فتوضأ منها فأحسن وضوءه، ثم قام يصلي. قال ابن عباس: فقمت فصنعت مثل ما صنع، ثم ذهبت فقمت إلى جنبه، فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسي، وأخذ بأذني اليمنى يفتلها، فصلى ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم ركعتين، ثم أوتر، ثم اضطجع حتى جاءه المؤذن، فقام فصلى ركعتين خفيفتين، ثم خرج فصلى الصبح.

الشرح

• [٤١٨٣] هذا الحديث أعاده المصنف رحمه الله أربع مرات من أجل الآيات، فأتى بالحديث الأول على قوله تعالى: ﴿إِنَّ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ﴾ [آل عمران: ١٩٠] ثم أعاده على قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَذۡكُرُونَ ٱللَّهَ قِيَٰمٗا وَقُعُودٗا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمۡ﴾ [آل عمران: ١٩١] ثم أعاده على قوله تعالى: ﴿رَبَّنَآ إِنَّكَ مَن تُدۡخِلِ ٱلنَّارَ فَقَدۡ أَخۡزَيۡتَهُۥۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ﴾ [آل عمران: ١٩٢] ثم أعاده على قوله تعالى: ﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ﴾ [آل عمران: ١٩٣] وهذه الآيات كلها في العشر الأخيرة التي كان يقرؤها النبي ﷺ عند الاستيقاظ من النوم، وأعاد المصنف هذه الأحاديث؛ لأن النبي ﷺ قرأ هذه الآيات العشر كلها ومنها الآيات الأربعة التي ذكرت في الترجمة.

وفي المواضع الثلاثة الأخيرة ورد أنه ﷺ صلى ثلاث عشرة ركعة، وفي الموضع الأول ورد أنه ﷺ صلى إحدى عشرة ركعة، فهذا يدل على أن القصة تعددت وأن مبيت ابن عباس رضي الله عنهما عند النبي ﷺ كان عدة مرات.

قوله : «**فوضع رسول الله ﷺ يده اليمنى على رأسي ، وأخذ بأذني اليمنى يفتلها**» يعني أخذ بيده اليمنى بأذنه ثم أداره من ورائه عن يمينه ، وفي اللفظ الآخر : «**أقامني عن يمينه وقال بيده من ورائي**»(١) دل ذلك على أن موقف الإمام من المأموم الواحد عن يمين الإمام ، وأنه إذا وقف المأموم عن يساره أداره الإمام عن يمينه ويبني على صلاته ولا تفسد .

وفيه صحة مصافة الصبي مع الكبير وتصح الجماعة ، وذهب الحنابلة(٢) وجماعة إلى أن هذا خاص بالنافلة ، أما الفريضة فلا تصح فيها مصافة الصبي حتى يبلغ .

وقال آخرون من أهل العلم : الأصل أن حكم النافلة والفريضة واحد إلا أن يأتي دليل يخص أحدهما عن الآخر ، وعليه فتصح مصافة الصبي في الفريضة والنافلة إذا كان صبيا عاقلا فاهما يحسن الوضوء والصلاة ولا يعبث .

وفيه أن المصلي منفردا إذا جاءه إنسان وصلى بجواره فإنه ينوي الإمامة ، وتصح منه وتكون جماعة ويكون إماما ، أي : ينتقل من كونه منفردا إلى كونه إماما ، والنبي ﷺ لم يأمر ابن عباس بإعادة التكبير ولم يقل له بعد الصلاة : إن صلاتك باطلة ، بل أقره على صلاته ؛ فدل إقراره ﷺ على أن المأموم إذا وقف عن يسار الإمام لا تبطل صلاته ولكنه ينتقل إلى يمينه ويبني على صلاته .

* * *

---

(١) أحمد (١/ ٢٦٨) ، والبخاري (٧٢٨) .

(٢) انظر «الإنصاف» (٢/ ٢٨٧) .

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النساء

قال ابن عباس : ﴿يَسْتَنكِفَ﴾ [النساء : ١٧٢] : يستكبر .

قواما : قوامكم من معايشكم .

﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء : ٣] ، يعني : اثنتين وثلاثا وأربعا ، ولا تجاوز العرب رباع .

﴿لَهُنَّ سَبِيلًا﴾ [النساء : ١٥] : الرجم للثيب ، والجلد للبكر .

الشرح

فسر الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ كلمات الآيات على عادته حتى يستفيد طالب العلم .

قوله : «**قال ابن عباس : ﴿يَسْتَنكِفَ﴾ : يستكبر**» ، يعني من قوله تعالى : ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ وَيَسْتَكْبِرْ﴾ .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «عن ابن عباس في قوله تعالى : ﴿وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِۦ﴾ قال : «**يستكبر**» ، قال : وهو عجيب ؛ فإن في الآية عطف الاستكبار على الاستنكاف فالظاهر أنه غيره» يعني الاستنكاف غير الاستكبار .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «ويمكن أن يحمل على التوكيد . وقال الطبري : معنى يستنكف : يأنف» .

قوله : «**قواما : قوامكم من معايشكم**» يعني من قوله تعالى : ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [النساء : ٥] أي : «**قوامكم من معايشكم**» ، وقياما أصلها قواما فقلبت الواو ياء ، والمعنى : لا تعمد إلى مالك الذي جعله الله لك معيشة فتعطيه امرأتك ونحوها ؛ لأن المال قوام وعصب الحياة .

قوله : «﴿مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ﴾ [النساء : ٣]» يقول : مثنى : يعني اثنتين ، وثُلاث : يعني ثلاثا ، ورُباع : يعني أربعا ، وهي ألفاظ معدولة ؛ مثنى معدول عن اثنين ، يعني : اثنتين

اثنتين ، وثُلاث معدول عن ثلاثة ، ورُباع معدول عن أربعة ، والمعنى : انكحوا ما طاب لكم اثنتين أو ثلاثا أو أربعا .

قوله : «**ولا تجاوز العرب رباع**» هذا الكلام فيه نظر ، فقال بعضهم : بل تجاوز ، فتقول : خماس وسداس ، وهذا على أحد الأقوال ، وقال بعضهم : يجوز إلى سداس وإلى عشار .

قوله : «**﴿ لَهُنَّ سَبِيلًا ﴾ : الرجم للثيب ، والجلد للبكر**» يعني من قوله تعالى : **﴿ وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴾** [النساء : ١٥] جعل الله السبيل الرجم للثيب ، والجلد للبكر كما ورد في حديث عبادة أن النبي ﷺ قال : «**خذوا عني ، جعل الله لهن سبيلا ؛ الثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة ، والبكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة**»(١) .

* * *

---

(١) أحمد (٥/ ٣١٣) ، ومسلم (١٦٩٠) .

المتن

[٧٩/ ٥٦] باب ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾ [النساء: ٣]

• [٤١٨٤] حدثني إبراهيم بن موسى، قال: أخبرنا هشام، عن ابن جريج، قال: أخبرني هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة ﵂، أن رجلًا كانت له يتيمة فنكحها، وكان لها عَذْقٌ وكان يمسكها عليه، ولم يكن لها من نفسه شيء، فنزلت فيه: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾، أحسبه قال: كانت شريكته في ذلك العذق وفي ماله.

• [٤١٨٥] حدثنا عبدالعزيز بن عبدالله، قال: حدثنا إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب قال: أخبرني عروة بن الزبير، أنه سأل عائشة عن قول الله ﷻ: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ﴾، فقالت: يابن أختي، هذه اليتيمة تكون في حجر وليها تَشْرَكُه في ماله، ويعجبه مالها وجمالها، فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها، فيعطيها مثل ما يعطيها غيره، فنهوا عن ذلك أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن، ويبلغوا لهن أعلى سنتهن في الصداق، فأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن. قال عروة: قالت عائشة: وإن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية فأنزل الله: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ١٢٧]، قالت عائشة: وقول الله ﷻ في آية أخرى: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٢٧] رغبة أحدكم عن يتيمته حين تكون قليلة المال والجمال، قالت: فنهوا أن ينكحوا عمن رغبوا في ماله وجماله في يتامى النساء إلا بالقسط؛ من أجل رغبتهم عنهن إذا كن قليلات المال والجمال.

الشرح

• [٤١٨٤] قولها: **«أن رجلًا كانت له يتيمة فنكحها، وكان لها عذق»** العذق بفتح العين المهملة هي النخلة، وأما العذق بكسرها فهي القنو، والمراد هنا المعنى الأول وهي النخلة.

وفي هذا الحديث أن رجلًا كانت له يتيمة فتزوجها؛ وكان لهذه اليتيمة نخلات وكان هذا الرجل يمسكها عليه من أجل هذه النخلات؛ ليرثها إذا ماتت.

قوله : «ولم يكن لها من نفسه شيء» يعني ليس له رغبة فيها إلا أنه يريد المال من أجل النخلات التي لها .

قوله : «فنزلت فيه : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا﴾» يعني تعدلوا ﴿فِي ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ [النساء : ٣]» اليتامى : جمع يتيمة .

قوله : «أحسبه قال : كانت شريكته في ذلك العذق وفي ماله» وهذا كأن تكون ابنة عمه وهو وليها وليس لها ولي أقرب منه فيتزوجها وهو وليها وتكون شريكته في الميراث ، أي : تكون هذه النخلات شركًا بينه وبينها ، ولا يحب أن يزوجها رجلًا آخر لئلا يشاركه في المال ؛ لأنه لو زوجها رجلًا آخر وهي شريكته في النخلات لصار هذا الرجل الآخر شريكه فيها ونازعه بعد ذلك ، وهو لا يريد أن ينازعه أحد فيتزوجها ولو كانت دميمة الخلقة ، ولو كان يريدها من أجل مالها ، فنهاهم الله تعالى أن يتزوجوا اليتيمات إلا إذا أعطوها حقها كاملًا من المهر ، وإلا زوجها غيره -كما في الحديث الذي بعده .

- [٤١٨٥] قوله : «أخبرني عروة بن الزبير أنه سأل عائشة عن قول الله ﷻ : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا فِي ٱلْيَتَـٰمَىٰ﴾ [النساء : ٣]» فيه أن عروة بن الزبير سأل عائشة ﵂ وهي خالته ؛ أخت أمه أسماء ﵂ .

والفعل تقسطوا من الفعل الرباعي أقسط يقسط بمعنى عدل ، ومنه قوله ﷺ : «المقسطون على منابر من نور ؛ الذين يعدلون في حكمهم وفي أهليهم وما ولوا»[1] ، أما الفعل الثلاثي قسط يقسط فهو بمعنى : جار وظلم ، والفرق بينهما حرف الهمزة ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَأَمَّا ٱلْقَـٰسِطُونَ فَكَانُوا لِجَهَنَّمَ حَطَبًا﴾ [الجن : ١٥] والمعنى إن خفتم ألا تعدلوا في اليتامى ، وألا تعطوهن مهرهن كاملًا ، وألا تعاشروهن بالمعروف فاتركوهن لغيركم ليتزوجها .

قوله : «فقالت : يابن أختي هذه اليتيمة تكون في حجر وليها» مثل أن تكون ابنة عمه وهو أقرب ولي لها .

---

(١) أحمد (٢/ ١٦٠) ، ومسلم (١٨٢٧) .

قوله : «**تشركه في ماله**» أي : يكون المال واحدًا ؛ لأن جدهم واحد والميراث واحد .

قوله : «**ويعجبه مالها وجمالها**» يعني تجمع بين الأمرين الجمال والمال .

قوله : «**فيريد وليها أن يتزوجها بغير أن يقسط في صداقها**» يعني : بغير أن يعدل ؛ فلا يعطيها مثل غيرها ؛ فإذا كان الناس يدفعون – مثلًا – عشرة آلاف يعطيها هو خمسة آلاف ؛ لأنها مسكينة وليس لها أحد يدافع عنها .

قوله : «**فنهوا عن ذلك أن ينكحوهن إلا أن يقسطوا لهن ، ويبلغوا لهن أعلى سنتهن في الصداق**» يعني : يجب عليه أن يعطيها من المهر مثل ما يعطيه غيرها .

قوله : «**فأمروا أن ينكحوا ما طاب لهم من النساء سواهن ، قال عروة ، قالت عائشة : وإن الناس استفتوا رسول الله ﷺ بعد هذه الآية فأنزل الله : ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ﴾** [النساء : ١٢٧] **قالت عائشة : وقول الله ﷻ في آية أخرى ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾** [النساء : ١٢٧] **رغبة أحدكم عن يتيمته حين تكون قليلة المال والجمال ، قالت : فنهوا أن ينكحوا عمن رغبوا في ماله وجماله في يتامى النساء إلا بالقسط**» يعني : بالعدل «**من أجل رغبتهم عنهن إذا كن قليلات المال والجمال**» يعني : إذا كانت قليلة المال والجمال وأنت لا تريدها فاتركها ، فكما أنك لا تريدها إذا كانت قليلة المال والجمال فإنك إذا رغبت فيها وكانت ذات مال وجمال فعليك أن تعطيها مهرها كاملا .

وأما قول الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «وفيه جواز تزويج اليتامى قبل البلوغ ؛ لأنهن بعد البلوغ لا يقال لهن : يتيمات» ففيه نظر ؛ لأن اليتيمة هي التي مات أبوها قبل البلوغ وصارت في حجر وليها الذي يلي مالها ، وتزويج اليتامى قبل البلوغ لا يكون إلا للأب خاصة ، وهذا معروف من النصوص ، فلا يجوز لولي من الأولياء – الأخ أو العم أو غيرهما – أن يزوجها قبل البلوغ حتى تبلغ فهذا خاص بالأب ؛ لأنه كامل الشفقة ، فإذا خاف الأب فوات الكفء فإنه يزوجها ، كما زوج أبو بكر ابنته عائشة رضي الله عنها النبي ﷺ قبل البلوغ .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «وفي الحديث اعتبار مهر المثل في المحجورات ، وأن غيرهن يجوز نكاحها بدون ذلك ، وفيه أن للولي أن يتزوج من هي تحت حجره ، لكن يكون العاقد غيره ، وسيأتي البحث فيه في النكاح» .

قلت : لا يلزم أن يكون العاقد غيره ، فقد يكون العاقد هو نفسه فيأتي بشاهدين مثلا إذا كانت راضية ويقول : تزوجتك ويكون هو الولي ، أو يقول : تزوجت فلانة من نفسي فيجمع بين طرفي العقد فيكون هو الولي وهو قابل النكاح .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ **:** «وفيه جواز تزويج اليتامى قبل البلوغ ؛ لأنهن بعد البلوغ لا يقال لهن : يتيمات إلا أن يكون أطلق استصحابا لحالهن» .

المراد : استصحابا لحالهن سماهم يتيمات ؛ لأنهن قبل البلوغ يتيمات ، أما بعد البلوغ زال اليتم ، وقد دلت السنة على أنه لا يجوز أن يزوج اليتيمة غير الأب إلا أن يكون أطلق عليها يتيمة استصحابًا لحالها قبل البلوغ فهذا الجواز ليس بصحيح .

* * *

المَتْن

[٨٠/ ٥٦] **باب** ﴿مَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ **الآية** [النساء: ٦]

﴿أَعْتَدْنَا﴾ [النساء: ١٨]: أعددنا أفعلنا، من العتاد.

﴿بِدَارًا﴾: مبادرة.

• [٤١٨٦] حدثني إسحاق، قال: أخبرنا عبدالله بن نمير، قال: حدثنا هشام، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها، في قوله تعالى: ﴿مَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾، أنها نزلت في مال اليتيم إذا كان فقيرا؛ أنه يأكل منه مكان قيامه عليه بمعروف.

الشَّرْح

هذه الترجمة على قوله تعالى: ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾ **قوله:** ﴿وَبِدَارًا﴾ **وذلك في قوله تعالى:** ﴿وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟﴾ **يعني: (مبادرة) فكأن ولي اليتيم إذا أخذ ماله كأنه يبادر ويسارع قبل أن يكبر الولي فيطالب بحقه:** ﴿وَٱبْتَلُوا۟ ٱلْيَتَـٰمَىٰ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغُوا۟ ٱلنِّكَاحَ فَإِنْ ءَانَسْتُم مِّنْهُمْ رُشْدًا فَٱدْفَعُوٓا۟ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ ۖ وَلَا تَأْكُلُوهَآ إِسْرَافًا وَبِدَارًا أَن يَكْبَرُوا۟ ۚ وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ ۚ فَإِذَا دَفَعْتُمْ إِلَيْهِمْ أَمْوَٰلَهُمْ فَأَشْهِدُوا۟ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ حَسِيبًا﴾، **ثم قال الله:** ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ﴾ **أي من كان من الأولياء غنيًّا فليستعفف ولا يأخذ بسبب حفظه لماله:** ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾.

• [٤١٨٦] **قوله تعالى:** ﴿وَمَن كَانَ غَنِيًّا فَلْيَسْتَعْفِفْ ۖ وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ **قالت عائشة رضي الله عنها: «نزلت في مال اليتيم إذا كان فقيرًا؛ أنه يأكل منه مكان قيامه عليه بمعروف» ففي الآية جواز أكل الولي الفقير من مال اليتيم بالمعروف مقابل قيامه عليه، وإن كان غنيًّا حرم عليه الأكل ووجب عليه الاستعفاف، أما إذا عمل بماله فإنه يأخذ ما يأخذ غيره فإذا**

كان مثلا يضارب بالمال فإنه يأخذ ما يأخذ غيره ، والأولى أن يرجع في ذلك إلى الحاكم الشرعي ؛ ليجعل له نسبة معلومة مقابل عمله .

قوله : «﴿أَعْتَدْنَا﴾ أعددنا أفعلنا ، من العتاد» يعني من قوله تعالى : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء : ١٨] ؛ لأن العتيد هو الشيء المُعَدُّ .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «قوله : «إذا كان فقيرا» مصير منه إلى أن الذي يباح له الأجرة من مال اليتيم من اتصف بالفقر ، وقد قدمت البحث في ذلك في كتاب الوصايا ، وذكر الطبري من طريق السدي أخبرني من سمع ابن عباس يقول في قوله : ﴿وَمَن كَانَ فَقِيرًا فَلْيَأْكُلْ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [النساء : ٦] قال : بأطراف أصابعه ، ومن طريق عكرمة : يأكل ولا يكتسي . ومن طريق إبراهيم النخعي : يأكل ما سد الجوعة ووارى العورة . وقد مضى بقية نقل الخلاف فيه في الوصايا . وقال الحسن بن حي : يأكل وصي الأب بالمعروف ، وأما قيم الحاكم فله أجرة فلا يأكل شيئًا ، وأغرب ربيعة فقال : المراد خطاب الولي بما يصنع باليتيم إن كان غنيًا وسع عليه ، وإن كان فقيرا أنفق عليه بقدره ، وهذا أبعد الأقوال كلها» .



المتن

[٨١/ ٥٦] باب
﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُولُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ﴾ الآية [النساء: ٨]

• [٤١٨٧] حدثنا أحمد بن حميد، قال: أخبرنا عبيدالله الأشجعي، عن سفيان، عن الشيباني، عن عكرمة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُولُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ﴾، قال: هي محكمة وليست بمنسوخة.

تابعه سعيد، عن ابن عباس.



تتحدث هذه الآية الكريمة عن إعطاء اليتامى والفقراء والمساكين شيئا من مال التركة الذي يقسم، فإذا حضروها فإنهم يعطون شيئا منه؛ لأن نفوسهم تتطلع إلى الذي يقسم فيشاهدون هذا يعطى وهذا يعطى فتتطلع نفوسهم إليه قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُولُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ يعني أعطوهم شيئا ﴿وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ قال بعضهم: إذا كان المال قليلا يقولون لهم قولا معروفا، وإن كان كثيرا يعطوا.

• [٤١٨٧] قوله: **«عن ابن عباس** رضي الله عنهما، **﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُولُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ﴾** [النساء: ٨] **قال: هي محكمة وليست بمنسوخة»** وذلك بأن يعطوا ما تيسر وجوبا إذا حضروا القسمة، وقيل: إن الآية منسوخة بآية المواريث، وهذا الوجوب كان قبل نزول آية المواريث فلما نزلت آية المواريث نسخت، والمسألة فيها خلاف.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وجاءت عنه روايات من أوجه ضعيفة عند ابن أبي حاتم وابن مردويه أنها منسوخة، نسختها آية الميراث، وصح ذلك عن سعيد بن المسيب، وهو قول القاسم بن محمد وعكرمة وغير واحد، وبه قال الأئمة الأربعة وأصحابهم، وجاء عن ابن عباس قول آخر أخرجه عبد الرزاق بإسناد صحيح عن القاسم بن محمد أن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبي بكر قسم ميراث أبيه عبد الرحمن في حياة عائشة، فلم يدع في الدار ذا قرابة ولا مسكينا إلا أعطاه من ميراث أبيه وتلا الآية، قال القاسم: فذكرته لابن عباس فقال: ما أصاب، ليس ذلك له، إنما ذلك إلى الوصي، وإنما ذلك في العصبة أي ندب للميت أن يوصي لهم.

قلت : وهذا لا ينافي حديث الباب ، وهو أن الآية محكمة وليست بمنسوخة . وقيل معنى الآية : وإذا حضر قسمة الميراث قرابة الميت ممن لا يرث واليتامى والمساكين فإن نفوسهم تتشوف إلى أخذ شيء منه ، ولا سيما إن كان جزيلًا ، فأمر الله سبحانه أن يرضخ لهم بشيء على سبيل البر والإحسان .

واختلف من قال بذلك هل الأمر فيه على الندب أو الوجوب؟

فقال مجاهد وطائفة : هي على الوجوب وهو قول ابن حزم ؛ أن على الوارث أن يعطي هذه الأصناف ما طابت به نفسه . ونقل ابن الجوزي عن أكثر أهل العلم أن المراد بأولي القرابة من لا يرث ، وأن معنى : ﴿فَٱرْزُقُوهُم﴾ [النساء : ٨] أعطوهم من المال . وقال آخرون : أطعموهم ، وأن ذلك على سبيل الاستحباب وهو المعتمد ؛ لأنه لو كان على الوجوب لاقتضى استحقاقًا في التركة ومشاركة في الميراث بجهة مجهولة فيفضي إلى التنازع والتقاطع ، وعلى القول بالندب فقد قيل : يفعل ذلك ولي المحجور ، وقيل : لا ، بل يقول : ليس المال لي وإنما هو لليتيم ، وأن هذا هو المراد بقوله : ﴿وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلاً مَّعْرُوفًا﴾ [النساء : ٨] وعلى هذا فتكون الواو في قوله : ﴿وَقُولُواْ﴾ للتقسيم . وعن ابن سيرين وطائفة ، المراد بقوله : ﴿فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ﴾ [النساء : ٨] اصنعوا لهم طعامًا يأكلونه ، وأنها على العموم في مال المحجور وغيره ، والله أعلم» .

قلت : الاستحباب باق بعد ذلك إذا حضروا قسمة التركة ولا سيما إذا كان مالًا جزيلًا ، فإنه يستحب لهم أن يرضخ لهم .

وعلى قول ابن عباس أنها محكمة يجب إعطاء اليتامى والمساكين ، وإذا لم يعطوا أثموا ؛ لأن الآية غير منسوخة بل باقية ، وعلى قول الجمهور يستحب إعطاؤهم ولا يجب ، وإن تركوهم فلا حرج ، والمستحب هو ما يثاب فاعله ولا يعاقب تاركه .

قوله : **«تابعه سعيد»** هو ابن جبير **«عن ابن عباس»** .

* * *

المتن

[٨٢/ ٥٦] باب قوله: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ [النساء: ١١]

• [٤١٨٨] حدثني إبراهيم بن موسى، قال: أخبرنا هشام، أن ابن جريج أخبرهم، قال: أخبرني ابن المنكدر، عن جابر رضي الله عنه قال: عادني النبي ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشيين، فوجدني النبي ﷺ لا أعقل شيئا، فدعا بماء فتوضأ منه، ثم رش علي؛ فأفقت، فقلت: ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله؟ فنزلت: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾.

الشرح

قوله: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ [النساء: ١١] **هذه وصية من الله تعالى في الأولاد، وقال العلماء: هذه الآية تدل على أن الله أرحم بعباده من الوالدين؛ لأن الله تعالى أوصى الوالدين بالأولاد.**

• [٤١٨٨] قوله: «**عادني النبي ﷺ وأبو بكر في بني سلمة ماشيين**» فيه أن النبي ﷺ زار جابرًا وهو مريض.

قوله: «**فوجدني النبي ﷺ لا أعقل شيئًا**» بسبب شدة المرض حيث أغمي عليه من شدة المرض.

قوله: «**فدعا بماء فتوضأ منه، ثم رش علي؛ فأفقت**» أي لما رش عليه من الماء أفاق.

فسأل جابر النبي ﷺ فقال: «**ما تأمرني أن أصنع في مالي يا رسول الله؟**»؛ لأنه خشي أن يموت.

قوله: «**فنزلت: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ [النساء: ١١]**» فيه دليل على أن سؤال جابر للنبي ﷺ هو سبب نزول هذه الآية.

والحديث فيه فوائد:

منها: مشروعية زيارة المريض ومشروعية الزيارة ماشيا، وفيه تواضع النبي ﷺ وفيه أن النبي ﷺ مبارك، وفيه رش الماء على المريض المحموم وأن ذلك مفيد له؛ ولهذا أفاق جابر، وأما توضؤ النبي ﷺ فهذا خاص به لما جعل الله فيه من البركة.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ [النساء: ١١] هكذا وقع في رواية ابن جريج، وقيل: إنه وهم في ذلك وأن الصواب أن الآية التي نزلت في قصة جابر هذه الآية الأخيرة من النساء وهي ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦]؛ لأن جابرًا يومئذ لم يكن له ولد ولا والد، والكلالة من لا ولد له ولا والد، وقد أخرجه مسلم عن عمرو الناقد، والنسائي عن محمد بن منصور كلاهما عن ابن عيينة عن ابن المنكدر فقال في هذا الحديث: حتى نزلت عليه آية الميراث: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِ﴾ ولمسلم أيضا من طريق شعبة عن ابن المنكدر قال في آخر هذا الحديث: فنزلت آية الميراث، فقلت لمحمد بن المنكدر: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِ﴾؟ قال: هكذا أنزلت وقد تفطن البخاري لذلك فترجم في أول الفرائض قوله: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ إلى قوله ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ [النساء: ١٢] ثم ساق حديث جابر المذكور عن قتيبة عن ابن عيينة وفي آخره: حتى نزلت آية الميراث ولم يذكر ما زاده الناقد، فأشعر بأن الزيادة عنده مدرجة من كلام ابن عيينة. وقد أخرجه أحمد عن ابن عيينة مثل رواية الناقد وزاد في آخره: كان ليس له ولد وله أخوات، وهذا من كلام ابن عيينة أيضا، وقد اضطرب فيه فأخرجه ابن خزيمة عن عبد الجبار بن العلاء عنه بلفظ: حتى نزلت آية الميراث: ﴿إِنِ ٱمۡرُؤٌاْ هَلَكَ لَيۡسَ لَهُۥ وَلَدٌ﴾ [النساء: ١٧٦]، وقال مرة: حتى نزلت آية الكلالة وأخرجه عبد بن حميد، والترمذي عنه عن يحيى بن آدم عن ابن عيينة بلفظ: متى نزلت ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾ [النساء: ١١] وأخرجه الإسماعيلي من طريق إسحاق بن أبي إسرائيل عنه فقال في آخره: حتى نزلت آية الميراث: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ فمراد البخاري بقوله في الترجمة إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ﴾ الإشارة إلى أن مراد جابر من آية الميراث قوله: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾ [النساء: ١٢] وأما الآية الأخرى وهي قوله: ﴿يَسۡتَفۡتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفۡتِيكُمۡ فِي ٱلۡكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦] فسيأتي في آخر تفسير هذه السورة أنها من آخر ما نزل، فكأن الكلالة لما كانت مجملة في آية المواريث استفتوا عنها فنزلت الآية الأخيرة. ولم ينفرد ابن جريج بتعيين الآية المذكورة، فقد ذكرها ابن عيينة أيضا على الاختلاف عنه، وكذا أخرجه الترمذي والحاكم من طريق عمرو بن أبي قيس عن ابن المنكدر، وفيه نزلت: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾».

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويحتمل أن يكون نزول أولها في قصة البنتين وآخرها وهي قوله: ﴿وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورَثُ كَلَٰلَةً﴾ [النساء: ١٢] في قصة جابر، ويكون مراد جابر فنزلت: ﴿يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡ﴾ [النساء: ١١] أي ذكر الكلالة المتصل بهذه الآية».

* * *

المتن

[٨٣/ ٥٦] باب قوله: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾ [النساء: ١٢]

• **[٤١٨٩]** حدثنا محمد بن يوسف، عن ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان المال للولد وكانت الوصية للوالدين، فنسخ الله من ذلك ما أحب، فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس والثلث، وجعل للمرأة الثمن والربع، وللزوج الشطر والربع.

الشرح

قوله: «**باب قوله: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ﴾** [النساء: ١٢]».

• **[٤١٨٩]** قوله: «**كان المال للولد وكانت الوصية للوالدين**» يعني كان في أول الإسلام الميراث للأولاد وهم الفروع، أما الأصول وهم الوالدان فلهم الوصية أوصاهم الله وصية.

وقوله: «**فنسخ الله من ذلك ما أحب**» فيه دليل على جواز وقوع النسخ والرد على من أنكره من اليهود وغيرهم؛ لأنه بزعمهم يلزم منه البداءة على الله، وأما العلماء المسلمون فإنهم يرون أن النسخ ثابت لقول الله تعالى في الآية الكريمة: **﴿مَا نَنسَخْ مِنْ ءَايَةٍ أَوْ نُنسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِّنْهَآ أَوْ مِثْلِهَآ﴾** [البقرة: ١٠٦].

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «هذا يدل على أن الأمر الأول استمر إلى نزول الآية، وفيه رد على من أنكر النسخ، ولم ينقل ذلك عن أحد من المسلمين إلا عن أبي مسلم الأصبهاني صاحب التفسير فإنه أنكر النسخ مطلقا، ورد عليه بالإجماع على أن شريعة الإسلام ناسخة لجميع الشرائع، أجيب عنه بأنه يرى أن الشرائع الماضية مستقرة الحكم إلى ظهور هذه الشريعة، قال: فسمي ذلك تخصيصًا لا نسخًا؛ ولهذا قال ابن السمعاني: إن كان أبو مسلم لا يعترف بوقوع الأشياء التي نسخت في هذه الشريعة فهو مكابر، وإن قال: لا أسميه نسخًا كان الخلاف لفظيًّا».

قوله : «فجعل للذكر مثل حظ الأنثيين ، وجعل للأبوين لكل واحد منهما السدس والثلث ؛ وجعل للمرأة الثمن والربع» يعني لها الثمن إن كان لزوجها ولد ولها الربع إن لم يكن له ولد .

وقوله : «وللزوج الشطر والربع» الشطر يعني النصف ؛ فللزوج النصف إن لم يكن لزوجته ولد ، والربع إن كان لها ولد .

وهذا الحديث فيه بيان أنه في أول الإسلام لم يكن هناك ميراث للوالدين كما صرح به ابن عباس ، ثم نسخ ذلك فجعل الله الميراث للوالدين وللأولاد جميعًا .

❋ ❋ ❋

المتن

[٨٤/ ٥٦] باب ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ الآية [النساء: ١٩]

ويذكر عن ابن عباس: ﴿لَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾: لا تقهروهن.

﴿حُوبًا﴾ [النساء: ٢]: إثمًا.

﴿تَعُولُوا﴾ [النساء: ٣]: تميلوا.

﴿نِحْلَةً﴾ [النساء: ٤] فالنِّحلة: المهر.

• [٤١٩٠] حدثنا محمد بن مقاتل، قال: أخبرنا أسباط بن محمد، حدثنا الشيباني، عن عكرمة، عن ابن عباس، قال الشيباني: وذكره أبو الحسن السوائي، ولا أظنه ذكره إلا عن ابن عباس، ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾، قال: كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته؛ إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زوجوها، وإن شاءوا لم يزوجوها، وهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية في ذلك.

الشرح

قوله: «باب: ﴿لَا يَحِلُّ لَكُمْ أَن تَرِثُوا النِّسَاءَ كَرْهًا وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾» الخطاب هنا للمؤمنين وفيه النهي عن إرث النساء كرهًا كما كان يفعله أهل الجاهلية فكانوا إذا مات الرجل عن المرأة فإن أولياءه يكونون أحق بها؛ إن شاءوا زوجوها، وإن شاءوا تركوها، ومن أفعال أهل الجاهلية أيضا أنهم كانوا إذا مات الرجل عن المرأة جاء أحد أوليائه ووضع عليها خباء ليحميها عن غيره ليكون أحق بها، وهذا امتهان من الجاهلية للمرأة، أما الإسلام فقد كرم المرأة وصانها وحفظها وأعطاها حقها كاملا قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ﴾ يعضلها يعني يؤذيها ويضايقها حتى تدفع إليه شيئًا من المهر أو بعضه؛ ولهذا قال الله: ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ لِتَذْهَبُوا بِبَعْضِ مَا ءَاتَيْتُمُوهُنَّ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ﴾ فإن أتت بفاحشة مبينة كأن تكون سليطة اللسان أو تكون غير عفيفة فلا بأس أن يعضلها حتى تفتدي منه؛ لأن الفراق جاء من قبلها، أما أن يعضلها

بدون سبب فهذا من الظلم ، ثم قال الله سبحانه : ﴿وَعَاشِرُوهُنَّ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ هذا أمر من الله للأزواج أن يعاشروا زوجاتهم بالمعروف قال تعالى : ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء : ١٩] قيل : المعنى أنه إن كرهها يصبر عليها عسى أن يرزق منها ولدًا صالحًا يجعل الله فيه خيرًا .

قوله : «**ويذكر عن ابن عباس : ﴿وَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾** [النساء : ١٩] : **لا تقهروهن**» يقهرها يعني يضايقها ويؤذيها حتى تفتدي منه ، ونقل الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن مجاهد أن المخاطب بذلك أولياء المرأة .

وقوله : «﴿حُوبًا﴾ : **إثمًا**» يعني من قوله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ كَانَ حُوبًا كَبِيرًا﴾ [النساء : ٢] .

وقوله : «﴿تَعُولُوا۟﴾ : **تميلوا**» يعني من قوله تعالى : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ [النساء : ٣] المشهور عند العلماء أن معنى تعولوا تميلوا وتجوروا كما ذكر الله : ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ فالله تعالى أمر في النكاح بالتعدد اثنين وثلاث وأربع إلا إذا خاف الجور وعدم العدل فيقتصر على واحدة : ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تُقْسِطُوا۟ فِى ٱلْيَتَٰمَىٰ فَٱنكِحُوا۟ مَا طَابَ لَكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ مَثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۖ فَإِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا۟ فَوَٰحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ﴾ يعني أو يتسرى بملك اليمين ؛ لأن الإماء لا يجب العدل بينهن ، ﴿ذَٰلِكَ أَدْنَىٰٓ أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ يعني الاقتصار على واحدة عند خوف العدل أقرب ألا تجوروا .

وروي عن الشافعي رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ أنه قال : ﴿أَلَّا تَعُولُوا۟﴾ يعني ألا يكثر عيالكم ؛ فإذا كانت واحدة فإنه لا يكثر العيال ، وإذا كانت اثنتين أو ثلاث أو أربع فإنه يكثر العيال ، وأنكر المبرد وابن داود والثعلبي هذا التفسير وردوه بأن الله أباح له أن يتسرى ما شاء .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «واحتج من رده أيضا من حيث المعنى بأنه أحل من ملك اليمين ما شاء الرجل بلا عدد ، ومن لازم ذلك كثرة العيال وإنما ذكر النساء وما يحل منهن ؛ لأن الجور والعدل يتعلق بهن وأيضا لو كان المراد كثرة العيال لكان أعال يعيل من الرباعي وأما تعولوا فمن الثلاثي» .

وقوله : «﴿نِحْلَةً﴾ [النساء : ٤] **فالنحلة : المهر**» .

• [٤١٩٠] ذكر المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث ابن عباس رضي الله عنهما في معنى الآية وما كانوا عليه في الجاهلية فقال: «**كانوا إذا مات الرجل كان أولياؤه أحق بامرأته؛ إن شاء بعضهم تزوجها، وإن شاءوا زوجوها، وإن شاءوا لم يزوجوها، وهم أحق بها من أهلها، فنزلت هذه الآية في ذلك**» وهذا من امتهان أهل الجاهلية للمرأة فقد كانت المرأة عندهم لا قيمة لها أو مثلها مثل المتاع، إذا مات الرجل عنها صار أولياؤه يتصرفون فيها؛ إن شاءوا زوجوها، وإن شاءوا تركوها، حتىٰ جاء الإسلام فكرمها وأعطاها حقها وجعلها حرة ترجع إلىٰ أهلها، وليس لأولياء زوجها حق فيها بل لها ولوليها الحرية والاختيار؛ فلها أن تتزوج من تشاء وأولياء الزوج ليس لهم علاقة بها بعد وفاته.

* * *

المتن

[٨٥/ ٥٦] باب قوله تعالى:

﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٣٣]

وقال معمر: أولياء: ﴿مَوَٰلِيَ﴾، وأولياء: ورثة.

﴿«عاقدت» أَيْمَٰنُكُمْ﴾: هو مولى اليمين، وهو الحليف، والمولى أيضا: ابن العم، والمولى: المنعم المعتق، والمولى: المعتق، والمولى: المليك، والمولى: مولى في الدين.

• [٤١٩١] حدثنا الصلت بن محمد، قال: حدثنا أبو أسامة، عن إدريس، عن طلحة بن مصرف، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ﴾، قال: ورثة، ﴿وَٱلَّذِينَ «عَاقَدَتْ» أَيْمَٰنُكُمْ﴾: كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري دون ذوي رحمه؛ للأخوة التي آخى النبي ﷺ بينهم، ولما نزلت: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ﴾ نسخت، ثم قال: ﴿وَٱلَّذِينَ «عَاقَدَتْ» أَيْمَٰنُكُمْ﴾ من النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث ويوصي له.

سمع أبو أسامة إدريس، وسمع إدريس طلحة.

الشرح

قوله: «باب قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ ۚ وَٱلَّذِينَ عَقَدَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَـَٔاتُوهُمْ نَصِيبَهُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٣٣]» هذه الترجمة على هذه الآية الكريمة.

قوله: «وقال معمر: أولياء: ﴿مَوَٰلِيَ﴾ وأولياء: ورثة» يعني من قوله تعالى: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ﴾ فالموالي هم الورثة يرثون: ﴿مِمَّا تَرَكَ ٱلْوَٰلِدَانِ وَٱلْأَقْرَبُونَ﴾ يعني من المال والتركة، وهذا تفسير من المؤلف رحمه الله لبعض الكلمات عن بعض السلف.

قوله: ﴿«عاقدت» أَيْمَٰنُكُمْ﴾: هو مولى اليمين، وهو الحليف، والمولى أيضًا: ابن العم، والمولى: المنعم المعتق، والمولى: المعتق، والمولى: المليك، والمولى: مولى في الدين» يعني

أن لفظ: المولى له عدة معان فيطلق المولى على ابن العم، ويطلق المولى على المعتِق والسيد، ويطلق المولى على المعتَق وهو العبد أيضًا، ويطلق المولى على المليك -لغة في الملك- ويطلق المولى على المولى في الدين، ويطلق في اللغة على معان أخر لم يذكرها المؤلف؛ فيطلق على المحب وعلى الجار وعلى الناصر وعلى الصهر وعلى التابع وعلى القرابة وعلى الولي وعلى الموازي وعلى ابن الأخ وعلى الشريك وعلى النديم، فكل هذه معانٍ يطلق عليها المولى، والمولى: الله سبحانه وتعالى -أيضا الموالى بالألف- ﴿بَلِ ٱللَّهُ مَوۡلَىٰكُمۡۖ وَهُوَ خَيۡرُ ٱلنَّـٰصِرِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٠] فهو من الأسماء المشتركة فحينما يدعو الإنسان ربه يقول: يا سيدي ومولاي؛ فالله هو المولى: ﴿وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ﴾ [الأنفال: ٤٠].

وقوله: ﴿«عاقدت» أَيۡمَـٰنُكُمۡ﴾ هذه قراءة ورش، وأما قراءة حفص فهي: ﴿عَقَدَتۡ أَيۡمَـٰنُكُمۡ﴾ يعني الذين كان بينكم وبينهم حلف وأيمان، ﴿فَـَٔاتُوهُمۡ نَصِيبَهُمۡ﴾ [النساء: ٣٣] أي من الميراث، وكان هذا في أول الإسلام، وأما في الجاهلية فكانوا يرثون بالحلف.

• [٤١٩١] قوله: «عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ﴾ قال: ورثة». ثم قال: «﴿وَٱلَّذِينَ «عَاقَدَتۡ» أَيۡمَـٰنُكُمۡ﴾» هذه الجملة مستأنفة.

وقوله: «كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجري الأنصاري دون ذوي رحمه للأخوة التي آخى النبي ﷺ بينهم» المهاجرون هم الذين هاجروا من مكة إلى المدينة؛ تركوا ديارهم وأموالهم وأولادهم فآخى النبي ﷺ بينهم وبين الأنصار بمعنى أنه ربط بين كل مهاجري وأنصاري وقال: هذا أخوك، فصاروا يتوارثون بينهم حتى نزل قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٦] فصار الميراث لذوي القرابة.

قوله: «ولما نزلت: ﴿وَلِكُلّٖ جَعَلۡنَا مَوَٰلِيَ﴾ نسخت» يعني نسخ التوارث بالمؤاخاة بهذه الآية، والموالي هم الأولياء الورثة وهذا الذي ذهب إليه ابن عباس غير المشهور؛ بل المشهور أن نسخ توارث المهاجري والأنصاري بقوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ﴾.

قوله: «ثم قال: «﴿وَٱلَّذِينَ «عَاقَدَتۡ» أَيۡمَـٰنُكُمۡ﴾» من النصر والرفادة والنصيحة، وقد ذهب الميراث ويوصي له» يعني الذين بينهم معاقدة حلف على النصرة والرفادة والنصيحة يبقى النصر والرفادة، أما الميراث فقد انتهى.

قوله: «**سمع أبو أسامة إدريس، وسمع إدريس طلحة**» فيه بيان السماع؛ لأنه ذكره بالعنعنة في الحديث قال: «**حدثنا أبو أسامة عن إدريس عن طلحة**» فأراد البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ أن يبين أنه ثبت سماعهما.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «**﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾ قال: ورثة**» هذا متفق عليه بين أهل التفسير من السلف أسنده الطبري عن مجاهد وقتادة والسدي وغيرهم ثم قال: وتأويل الكلام: ولكلكم أيها الناس جعلنا عصبة يرثونه مما ترك والده وأقربوه من ميراثهم له، وذكر غيره للآية تقديرًا غير ذلك فقيل: التقدير: جعلنا لكل ميت ورثة ترث مما ترك الوالدان والأقربون، وقيل: التقدير: ولكل مال مما ترك الوالدان والأقربون جعلنا ورثة يحوزونه، فعلى هذا كل متعلقة بجعل، ومما ترك صفة لكل، والوالدان فاعل ترك، ويلزم عليه الفصل بين الموصوف وصفته وقد سمع كثيرًا» يعني الفصل بين الموصوف والصفة.

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي القرآن: **﴿قُلْ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَتَّخِذُ وَلِيًّا فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾** [الأنعام: ١٤] فإن فاطر صفة الله اتفاقا؛ وقيل: التقدير: ولكل قوم جعلناهم موالي أي ورثة نصيب مما ترك والداهم وأقربوهم وهذا يقتضي أن لكل خبر مقدم، ونصيب مبتدأ مؤخر، وجعلناهم صفة لقوم، ومما ترك صفة للمبتدأ الذي حذف، ونصيب صفته، وكذا حذف ما أضيفت إليه كل وبقيت صفته، وكذا حذف العائد على الموصوف، هذا حاصل ما ذكره المعربون وذكروا غير ذلك مما ظاهره التكلف».

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «**فلما نزلت ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَالِيَ﴾** [النساء: ٣٣] **نسخت**» هكذا وقع في هذه الرواية أن ناسخ ميراث الحليف هذه الآية، وروى الطبري من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: كان الرجل يعاقد الرجل فإذا مات ورثه الآخر فأنزل الله ﷻ: **﴿وَأُولُوا۟ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾** [الأحزاب: ٦]».

ويعاقد الآخر يعني: يكتب له عقدًا وحلفًا ويتعاقدان على النصرة والأخوة والرفادة؛ فيرث أحدهما الآخر.

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «**﴿إِلَّآ أَن تَفْعَلُوٓا۟ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِكُم مَّعْرُوفًا﴾** [الأحزاب: ٦] يقول: إلا أن توصوا لأوليائكم الذين عاقدتم، ومن طريق قتادة كان الرجل يعاقد الرجل

في الجاهلية فيقول: دمي دمك وترثني وأرثك، فلما جاء الإسلام أمروا أن يؤتوهم نصيبهم من الميراث وهو السدس، ثم نسخ بالميراث فقال: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾ [الأحزاب: ٦] ومن طرق شتى عن جماعة من العلماء كذلك وهذا هو المعتمد».

يعني المعتمد أن الناسخ هو قوله تعالى: ﴿وَأُوْلُواْ ٱلْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ﴾، لا كما قال ابن عباس أن الناسخ قوله: ﴿وَلِكُلٍّ جَعَلْنَا مَوَٰلِيَ﴾ [النساء: ٣٣].

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويحتمل أن يكون النسخ وقع مرتين الأولى حيث كان المعاقد يرث وحده دون العصبة فنزلت: ﴿وَلِكُلٍّ﴾ -وهي آية الباب- فصاروا جميعا يرثون، وعلى هذا يتنزل حديث ابن عباس، ثم نسخ ذلك آية الأحزاب وخص الميراث بالعصبة وبقي للمعاقد النصر والإرفاد ونحوهما»، والإرفاد: الإعانة.

والمعاقدة على النصرة أمر مطلوب شرعًا؛ لأن النبي ﷺ قال: **«أيما حلف كان في الجاهلية لم يزده الإسلام إلا قوة وشدة»**[1] يعني: إذا كان تحالفًا على نصرة المظلوم وإعطاء الحقوق فهذا موافق للشرع.

❋ ❋ ❋

(١) أحمد (١/ ٣١٧)، ومسلم (٢٥٣٠).

المتن

[٨٦/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ [النساء: ٤٠]
يعني: زنة ذرة

• [٤١٩٢] حدثنا محمد بن عبدالعزيز، قال: أخبرنا أبو عمر حفص بن ميسرة، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أن ناسًا في زمن النبي ﷺ قالوا: يا رسول الله، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال النبي ﷺ: **«نعم، هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة ضوء ليس فيها سحاب؟»**، قالوا: لا، قال: **«وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ضوء ليس فيها سحاب؟»**، قالوا: لا، قال النبي ﷺ: **«ما تضارون في رؤية الله عز وجل يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما؛ إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن فَيَتْبَعُ كل أمة ما كانت تعبد، فلا يبقى من كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله بر أو فاجر وغُبَّرَاتُ أهل الكتاب، فيدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله، فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ فقالوا: عطشنا ربنا فاسقنا، فيشار ألا تردون، فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا، فيتساقطون في النار، ثم يدعى النصارى فيقال لهم: من كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فكذلك مثل الأول، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر أو فاجر، أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها، فيقال: ماذا تنتظر؟ ويتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: فارقنا الناس في الدنيا على أفقر ما كنا إليهم، ولم نصاحبهم، ونحن ننتظر ربنا الذي كنا نعبد، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: لا نشرك بالله شيئًا، مرتين أو ثلاثًا»**.

الشرح

قوله: **«زنة ذرة»** هذا تفسير أبي عبيدة معمر بن المثنى لقوله تعالى: ﴿مِثْقَالَ ذَرَّةٍ﴾ فالمثقال الزنة والذرة هي النملة أو الذرة الصغيرة وقيل هي واحدة الهباء.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «والذرة يقال : زنتها ربع ورقة نخالة» والنخالة الآن هي القشر الذي يكون على حبة البر إذا أخذت القشر من على حبة البر فهذه النخالة ، وهذه زنة الذرة ويقال : زنة ربع ورقة نخالة ، وورقة النخالة وزن ربع خردلة ، وزنة الخردلة ربع سمسمة ، وقيل : الذرة لا وزن لها ، يقال : لو أن شخصًا ترك رغيفا حتى علاه الذر فوزنوه لم يزد شيئا ؛ فقوله : ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖ﴾ [النساء : ٤٠] المعنى : أن الله لا يظلم شيئًا أبدًا ؛ لأن مثقال الذرة لا يزن شيئًا .

• [٤١٩٢] ثم ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ حديث أبي سعيد الخدري وفيه قوله : «أن ناسًا في زمن النبي ﷺ قالوا : يا رسول الله ، هل نرى ربنا يوم القيامة؟ قال النبي ﷺ : نعم هل تضارون في رؤية الشمس بالظهيرة ضوء ليس فيها سحاب؟ قالوا : لا ، قال : وهل تضارون في رؤية القمر ليلة البدر ضوء ليس فيها سحاب؟ قالوا : لا ، قال النبي ﷺ : ما تضارون في رؤية الله عز وجل يوم القيامة إلا كما تضارون في رؤية أحدهما» فيه إثبات رؤية الله عز وجل يوم القيامة والرد على منكري الرؤية من الجهمية والمعتزلة .

وفيه أن الرؤية تكون بالعين المجردة ؛ خلافا للمعتزلة الذين قالوا : إن المراد بالرؤية العلم أي أنكم تعلمون ربكم كما تعلمون أن القمر قمر وكما لا تشكون في أن القمر قمر ، وهذا في غاية الفساد ؛ فالحديث صريح في أن المراد الرؤية بالعين المجردة - وهذا يوم القيامة - أما في الدنيا فإن الله تعالى لا يراه أحد ؛ ولهذا لما سأل موسى عليه السلام الرؤية قال الله له : ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ [الأعراف : ١٤٣] يعني في الدنيا ؛ فإنه لا يستطيع ببشريته الضعيفة ولا يتحمل رؤية الله ولكن في يوم القيامة ينشئون تنشئة قوية يتحملون رؤيته عز وجل ؛ ولهذا قال الله : ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا﴾ [الأعراف : ١٤٣] تدكدك الجبل وانساخ ولم يثبت عند رؤية الله .

قوله : «إذا كان يوم القيامة أذن مؤذن فيتبع كل أمة ما كانت تعبد ، فلا يبقى من كان يعبد غير الله من الأصنام والأنصاب إلا يتساقطون في النار ، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله بر أو فاجر» فيه أن من يعبد الله على قسمين :

القسم الأول: البر، وهو الذي أدى الواجبات وترك المحرمات.

القسم الثاني: الفاجر، وهو الذي فعل بعض المعاصي والكبائر ولكنه وحد الله وليس عنده شرك.

قوله: **«وغبرات أهل الكتاب»** يعني بقايا أهل الكتاب، ومنه قول الله تعالى: ﴿**إِلَّا عَجُوزًا فِي ٱلْغَٰبِرِينَ**﴾ [الشعراء: ١٧١] يعني في الباقين.

قوله: **«فيدعى اليهود فيقال لهم: ما كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد عزير ابن الله، فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فماذا تبغون؟ فقالوا: عطشنا ربنا فاسقنا، فيشار ألا تردون؟ فيحشرون إلى النار كأنها سراب يحطم بعضها بعضًا، فيتساقطون في النار، ثم يدعى النصارى فيقال لهم: من كنتم تعبدون؟ قالوا: كنا نعبد المسيح ابن الله، فيقال لهم: كذبتم، ما اتخذ الله من صاحبة ولا ولد، فيقال لهم: ماذا تبغون؟ فكذلك مثل الأول، حتى إذا لم يبق إلا من كان يعبد الله من بر أو فاجر، أتاهم رب العالمين في أدنى صورة من التي رأوه فيها»** قال العيني: المعنى في أقرب صورة، ولكن هذا ليس بصحيح، والصواب أن المعنى في غير الصورة التي رأوه فيها كما في الحديث الطويل[(١)]: أنهم رأوه في صورة غير الصورة التي رأوه فيها في أول مرة فقد ثبت أن المؤمنين يرون ربهم في موقف القيامة أربع مرات يرونه في المرة الأولى ثم يرونه الثانية في غير الصورة التي رأوه فيها أول مرة فيقولون: نعوذ بالله منك هذا مكاننا فيتجلى لهم في الصورة التي رأوه فيها فهذه المرة الثالثة فيسجدون فإذا رفعوا رءوسهم رأوه فهذه المرة الرابعة، والحكمة والله أعلم أن هذا اختبار وامتحان والامتحان باق حتى في موقف القيامة وليس هناك سلامة كاملة إلا بعد دخول الجنة.

قوله: **«فيقال: ماذا تنتظر؟ ويتبع كل أمة ما كانت تعبد، قالوا: فارقنا الناس في الدنيا على أفقر ما كنا إليهم، ولم نصاحبهم»**؛ وذلك لأنهم موحدون حتى الفجار منهم والعصاة.

قوله: **«ونحن ننتظر ربنا الذي كنا نعبد، فيقول: أنا ربكم، فيقولون: لا نشرك بالله شيئًا مرتين أو ثلاثًا»** هذا هو الفوز العظيم للمؤمنين، فالمؤمنون جنوا ثمرة إيمانهم، فارقوا

---

(١) أحمد (٢/ ٢٧٥)، والبخاري (٦٥٧٤)، ومسلم (١٨٢).

الناس في الدنيا ووحدوا الله وأخلصوا له العبادة وانفصلوا عن الناس في الآخرة وبقوا ينتظرون ربهم الذي يعبدونه في الآخرة، فيقول الله: أنا ربكم، فيقولون: لا نشرك بالله شيئًا فينطلقون إلى الجنة. نسأل الله الكريم من فضله.

والشاهد أن الله تعالى لا يظلم مثقال ذرة، فكل امرئ جزي بعمله؛ الكفار جزوا بأعمالهم، والمؤمنون جزوا بأعمالهم؛ قال الله تعالى: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨].

* * *

المتن

[٨٧/ ٥٦] باب

﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]

المختال والختال واحد.

﴿نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾ [النساء: ٤٧]: نسويها حتى تعود كأقفائهم.

طمس الكتاب: محاه.

﴿جَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٥٥]: وقودا.

• [٤١٩٣] حدثنا صدقة، قال: أخبرني يحيى، عن سفيان، عن سليمان، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن عبدالله، قال يحيى: بعض الحديث عن عمرو بن مرة، قال: قال لي النبي ﷺ: «**اقرأ علي**»، قلت: آقرأ عليك وعليك أنزل؟ قال: «**إني أحب أن أسمعه من غيري**»، فقرأت عليه سورة النساء، حتى بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾، قال: «**أمسك**»، فإذا عيناه تذرفان.

الشرح

قوله: «باب ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾» في هذه الآية أنه يؤتى من كل أمة بشهيد يشهد عليها.

وقوله: ﴿وَجِئْنَا بِكَ﴾ الخطاب للنبي ﷺ ﴿عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ المراد على هذه الأمة.

قوله: «المختال والختال واحد» فسر المؤلف رحمه الله الكلمات التي جاءت في الآيات، فالمختال في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا﴾ [النساء: ٣٦]- هو صاحب الخيلاء، وفي الحديث: «من جر ثوبه خيلاء لم ينظر الله إليه»[1] فالله تعالى لا يحب المختال. وفيه إثبات المحبة لله ﷻ وأن الخيلاء من كبائر الذنوب.

---

(١) أحمد (٢/ ٦٧)، والبخاري (٣٦٦٥)، ومسلم (٢٠٨٥).

قوله: «﴿نَّطْمِسَ وُجُوهًا﴾: نسويها حتى تعود كأقفائهم» يعني تفسير قوله تعالى: ﴿مِّن قَبْلِ أَن نَّطْمِسَ وُجُوهًا فَنَرُدَّهَا عَلَىٰٓ أَدْبَارِهَآ﴾ [النساء: ٤٧] والمعنى: حتى تدار وجوههم، فيقلب الوجه ويكون من الخلف.

قوله: «طمس الكتاب: محاه» أي: يطلق الطمس على المحو ويطلق كذلك على القلب.

قوله: «﴿جَهَنَّمَ سَعِيرًا﴾ [النساء: ٥٥]: وقودا» يعني: وقودًا لها، كما في قوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ﴾ [البقرة: ٢٤].

• [٤١٩٣] قوله: «قال لي النبي ﷺ: اقرأ علي» يعني: اقرأ علي القرآن.

وقوله: «آقرأ عليك وعليك أنزل؟!» أي: استفهم عبدالله بن مسعود.

وقوله: «إني أحب أن أسمعه من غيري، فقرأت عليه سورة النساء» يعني من أولها.

وقوله: «حتى بلغت: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١]، قال» - أي: النبي ﷺ - : «أمسك» يعني كف عن القراءة.

قوله: «فإذا عيناه تذرفان» وفي لفظ: «فالتفت إليه فإذا عيناه تذرفان»(١) تذكر النبي ﷺ هذا الموقف وهذا المشهد العظيم فذرفت عيناه بالدموع ﷺ، وفي الحديث الآخر أنه كان يسمع لصدره أزيز كأزير المرجل من البكاء في الصلاة(٢)، وهو سيد الخلق ﷺ.

* * *

---

(١) أحمد (١/ ٤٣٢)، والبخاري (٥٠٥٠).

(٢) أحمد (٤/ ٢٥)، وأبو داود (٩٠٤)، والنسائي (١٢١٤).

المَتْنُ

[٨٨/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ [النساء: ٤٣]

﴿صَعِيدًا﴾: وجه الأرض.

وقال جابر: كانت الطواغيت التي يتحاكمون إليها في جهينة واحد، وفي أسلم واحد، وفي كل حي واحد؛ كهان ينزل عليهم الشيطان.

وقال عمر: ﴿ٱلْجِبْتِ﴾: السحر، و﴿ٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء: ٥١]: الشيطان.

وقال عكرمة: ﴿ٱلْجِبْتِ﴾ بلسان الحبشة: شيطان، و﴿ٱلطَّٰغُوتِ﴾: الكاهن.

• [٤١٩٤] حدثني محمد، قال: أخبرنا عبدة، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها قالت: هلكت قلادة لأسماء، فبعث النبي ﷺ في طلبها رجالًا، فحضرت الصلاة وليسوا على وضوء، ولم يجدوا ماء، فصلوا وهم على غير وضوء؛ فأنزل الله التيمم.

الشَّرْحُ

قوله: **«باب قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾»** هذه الآية تسمى آية التيمم؛ قال الله تعالى: **﴿وَإِن كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَوْ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ أَوْ لَٰمَسْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمْ تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُمْ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَفُوًّا غَفُورًا﴾** [النساء: ٤٣]، وقال تعالى: **﴿فَٱمْسَحُواْ بِوُجُوهِكُمْ وَأَيْدِيكُم مِّنْهُ﴾** [المائدة: ٦]، فدلت الآية على أن المريض والمسافر ومن جاء من الغائط ومن عليه جنابة إذا فقد الماء فإنه يتيمم، بل إن المريض إذا كان عاجزًا عن استعمال الماء -بأن كان يزيد مرضه أو يتأخر برؤه- فإنه يتيمم ولو مع وجود الماء.

وقد بين النبي ﷺ أن التيمم ضربة واحدة؛ ففي حديث عمار أنه لما أصابته الجنابة نزع ثوبه وتمرغ مثلما تمرغ الدابة؛ فقال له النبي ﷺ: **«إنما يكفيك أن تقول هكذا»**(١) وضرب بيديه الأرض ضربة واحدة مسح بهما وجهه وكفيه.

---

(١) أحمد (٤/ ٢٦٤)، والبخاري (٣٣٨)، ومسلم (٣٦٨).

قوله : «﴿صَعِيدًا﴾ [النساء : ٤٣] : **وجه الأرض**» استُدل به على أنه يتيمم من كل ما على وجه الأرض من بساط أو فراش أو جسر أو رمل ، لكن إذا وجد التراب فلا يجزئ غيره ؛ لقوله تعالى في سورة المائدة : ﴿فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُ﴾ [المائدة : ٦]، فهو دليل أن هناك شيئًا يعلق باليد منه ؛ لأن من للتبعيض ، فأما إذا لم يجد ترابًا فإنه يتيمم بما صعد على وجه الأرض ؛ لقول الله تعالى : ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسۡتَطَعۡتُمۡ﴾ [التغابن : ١٦]، والمراد بالتراب : تراب الحرث والزرع ؛ لأن فيه غبارًا ، أما الرمل الأحمر فليس فيه غبار .

قوله : «**وقال جابر : كانت الطواغيت التي يتحاكمون إليها في جهينة واحد ، وفي أسلم واحد ، وفي كل حي واحد ؛ كهان ينزل عليهم الشيطان**» فالمعنى أن الكهان كانوا منتشرين في جزيرة العرب ، فكان لكل قبيلة كاهن يتحاكمون إليه ؛ قال الله : ﴿يُؤۡمِنُونَ بِٱلۡجِبۡتِ وَٱلطَّٰغُوتِ﴾ [النساء : ٥١].

قوله : «**وقال عمر : ﴿ٱلۡجِبۡتِ﴾ : السحر ، و﴿ٱلطَّٰغُوتِ﴾ : الشيطان**» أي : فسر عمر رضي الله عنه الجبت بالسحر والطاغوت بالشيطان ، وهذا تفسير ببعض المعنى ، وإلا فالجبت هو كل ما لا خير فيه ويدخل فيه السحر وغيره ، والطاغوت أعم من الشيطان ؛ فهو يشمل من دعا إلى عبادة نفسه ، ومن دعا غير الله ، ومن عبد غير الله ، ومن رضي أن يعبد من دون الله ، فهؤلاء كلهم طواغيت ، والشيطان طاغوت منهم .

قوله : «**وقال عكرمة : ﴿ٱلۡجِبۡتِ﴾ بلسان الحبشة : الشيطان ، و﴿ٱلطَّٰغُوتِ﴾ : الكاهن**» هذا تفسير عكرمة .

• [٤١٩٤] قوله : «**هلكت قلادة لأسماء**» يعني ضاعت ، وجاء في الحديث الآخر أن هذه القصة حصلت مع عائشة رضي الله عنها وأن القلادة كانت لها وأنها استعارتها من أختها أسماء رضي الله عنها[(١)] ، فيحتمل أنها نفس القصة ، ويحتمل أنها قصة أخرى ، وهي قصة التماس عقد عائشة رضي الله عنها .

وقوله : «**فبعث النبي ﷺ في طلبها رجالًا**» يعني يطلبون القلادة ، وفيه دليل على أن المال لا يُضيَّع ، وأنه يعتنى به ، وأن ولي الأمر يعتني بأموال رعيته ، فالنبي ﷺ أوقف الجيش

(١) أحمد (٦/ ٥٧) ، والبخاري (٣٣٦) ، ومسلم (٣٦٧) .

وتأخر حتى تطلب القلادة، فالمال له شأن عظيم، وهو عصب الحياة، والله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا﴾ [النساء: ٥].

وقوله: «فحضرت الصلاة» أي: إن رجالًا ذهبوا يلتمسون القلادة فأدركتهم الصلاة وهم يبحثون عنها.

وقوله: «وليسوا على وضوء، ولم يجدوا ماء» أي: ليسوا على ماء، ولم يشرع التيمم.

قوله: «فصلوا وهم على غير وضوء» أي: صلوا بغير وضوء بالماء أو تيمم بالتراب؛ فدل على أن الإنسان إذا فقد الماء والتراب صلى على حسب حاله ولا يعيد، وقال بعض أهل العلم: إنه يعيد الصلاة، والصواب أنه لا يعيد.

واستُدل به كذلك على أن من عجز عن استعمال الماء والتراب فإنه يصلي على حسب حاله ولو بغير وضوء أو تيمم، كالمربوط بخشبة والمصلوب والمريض مثلًا في المستشفى على سريره، وليس عنده أحد فإنه يصلي على حسب حاله، والله تعالى يقول: ﴿فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وقوله: «فأنزل الله التيمم»، وفي لفظ آخر: «آية التيمم»[1].

* * *

(١) أحمد (٦/ ١٧٩)، والبخاري (٣٣٤)، ومسلم (٣٦٧).

المتن

[٨٩/ ٥٦] باب ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] ذَوُوا الأمر منكم

• [٤١٩٥] حدثنا صدقة بن الفضل، قال: أخبرنا حجاج بن محمد، عن ابن جريج، عن يعلى ابن مسلم، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾، قال: نزلت في عبدالله بن حذافة بن قيس بن عدي؛ إذ بعثه النبي ﷺ في سرية.

الشرح

قوله: «باب ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩]: ذوو الأمر منكم» هذه الآية فيها الأمر بطاعة الله وطاعة الرسول ﷺ وطاعة أولي الأمر، وفسر المصنف رحمه الله أولي الأمر بالأمراء، وتفسر كذلك بالعلماء.

ولم يُعد الله تعالى الفعل في أولي الأمر فقال: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ﴾ ولم يقل: وأطيعوا أولي الأمر؛ للدلالة على أن طاعة أولي الأمر تابعة لله والرسول ﷺ.

قال العلماء: والحكمة في ذلك أن طاعة الله وطاعة الرسول ﷺ طاعة مستقلة؛ لأن الرسول ﷺ لا يأمر إلا بطاعة الله، والله تعالى يقول: ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ﴾ [النساء: ٨٠] وأما أولي الأمر فإن طاعتهم مقيدة بطاعة الله وطاعة رسوله ﷺ فقد يأمرون بغير طاعة الله، فلا يطاعون إلا في طاعة الله.

• [٤١٩٥] **قوله: «عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ وَأُو۟لِى ٱلْأَمْرِ مِنكُمْ﴾ [النساء: ٥٩] قال: نزلت في عبدالله بن حذافة بن قيس بن عدي إذ بعثه النبي ﷺ في سرية» هذا ما ذهب إليه ابن عباس رضي الله عنهما من أنها نزلت في عبدالله بن حذافة، قيل: إنه هو الذي غضب عليهم وأمرهم أن يجمعوا حطبًا ويأججوها نارًا وأن يدخلوا فيها، فنظر بعضهم إلى بعض وقالوا: إنما فررنا إلى رسول الله ﷺ فرقًا من النار؛ فتركوه حتى سكن غضبه، فلما جاءوا إلى النبي ﷺ أخبروه فقال: «لو دخلوها ما خرجوا منها؛ إنما الطاعة في المعروف»[1] وهذه الآية عامة.**

---

(١) أحمد (١/ ١٢٤)، والبخاري (٧١٤٥)، ومسلم (١٨٤٠).

المتن

[٩٠/ ٥٦] باب

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾ [النساء: ٦٥]

• [٤١٩٦] حدثنا علي بن عبدالله، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن عروة قال: خاصم الزبير رجلًا من الأنصار في شَرِيجٍ من الحرة، فقال النبي ﷺ: «**اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك**»، فقال الأنصاري: يا رسول الله، وأن كان ابن عمتك؟ فتلون وجه رسول الله ﷺ، ثم قال: «**اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر، ثم أرسل الماء إلى جارك**»، واستوعى النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري، كان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة، قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك: ﴿**فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ**﴾.

الشرح

قوله: «**باب ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾** [النساء: ٦٥]» هذه الآية أقسم الله تعالى فيها بنفسه الكريمة أنهم لا يؤمنون حتى يحكموا الرسول ﷺ في موارد النزاع، ولا يكفي هذا بل مع ذلك عليهم أن لا يجدوا في أنفسهم حرجًا من قضائه، ولا يكفي هذا أيضًا بل مع ذلك لابد أن يسلموا أي: يطمئنوا، وأكد الله تعالى الفعل بالمصدر فقال: ﴿**وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [النساء: ٦٥].

• [٤١٩٦] قوله: «**خاصم الزبير رجلا من الأنصار في شريج من الحرة**» الشريج: هو مسير الوادي، وإذا سال الوادي نزل الماء من الجبل المرتفع فيمر على المزارع التي يسمونها بعولًا؛ سواء كانت حبوبًا أو خضراوات أو أشجارًا غرست أو غيرها، فيسقي الأول ويأخذ منه حاجته ثم يرسله إلى المزارع الثاني ثم الثالث وهكذا، فإذا نزل الماء فإن صاحب البستان الأول يعدله على محله حتى ترتوي الأرض ثم يرسل الماء إلى جاره وهكذا، فحصلت مخاصمة بين الزبير وجار له من الأنصار؛ لأن الزبير أعلى فيمر به الماء أولًا والأنصاري بعده، فاختصما إلى النبي ﷺ.

قوله : «**فقال النبي ﷺ : اسق يا زبير ، ثم أرسل الماء إلى جارك**» أي : اسق أرضك ، ولم يبين له النبي ﷺ مقدار ما يسقي ؛ فلم يقل مثلا : احبس الماء مقدار شبر أو شبرين ؛ بل قال : «**اسق يا زبير ، ثم أرسل الماء إلى جارك**» فالأمر فيه سعة .

وقوله : «**فقال الأنصاري : يا رسول الله ، وأن كان ابن عمتك؟**» ؛ لأن الزبير ابن صفية بنت عبدالمطلب عمة النبي ﷺ ، وقيل : إن هذا الرجل كان منافقًا ، وقيل : ليس منافقًا ، ولكنه قال ذلك بسبب الغضب .

قوله : «**فتلون وجه رسول الله ﷺ**» أي : تغير وجه النبي ﷺ من هذه المقالة ومن هذا الكلام ؛ إذ كيف يقال للنبي ﷺ هذا الكلام؟! وهو أفضل الخلق ﷺ ومعصوم من الخطأ فيما يبلغ عن الله من الشريعة ويحكم بشرع الله ويأتيه خبر السماء صباحًا ومساء .

وقوله : «**اسق يا زبير ، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر ، ثم أرسل الماء إلى جارك**» أي : لما قال له الأنصاري هذا الكلام وأغضبه أعطى النبي ﷺ الزبير الحكم بأن يأخذ حقه كاملًا ، فلم يقل احبس الماء واتركه ينصرف لكن قال : «**احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر**» ، وعرف الجدر فقيل : مقدار ما يغطي الكعب ؛ فكأن النبي ﷺ قال له : احبس الماء حتى يغطي كعبي رجلك ، ثم أرسله إلى جارك .

وقوله : «**واستوعى النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري**» استوعى يعني : استوفى وزنًا ومعنًى أي : استوفى النبي ﷺ للزبير حقه كاملًا ، ومعنى «**أحفظه**» : أغضبه .

وقوله : «**كان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة**» يعني في أول الأمر أشار النبي ﷺ بأمر لهما فيه سعة بأن يسقي الزبير ثم يرسل الماء إلى جاره ، لكن لما أغضب الأنصاري النبي ﷺ استوفى النبي ﷺ الحق كاملًا للزبير .

وقوله : «**قال الزبير : فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك : ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾**» وتمامها : ﴿**ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا**﴾ [النساء : ٦٥] .

* * *

المتن

[٩١/ ٥٦] باب ﴿فَأُولَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [النساء: ٦٩]

• [٤١٩٧] حدثنا محمد بن عبدالله بن حوشب، عن إبراهيم بن سعد، عن أبيه، عن عروة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: سمعت النبي ﷺ يقول: «**ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة**»، وكان في شكواه الذي قبض فيه أخذته بحة شديدة، فسمعته يقول: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ﴾، فعلمت أنه خير.

الشرح

• [٤١٩٧] قولها: «**ما من نبي يمرض إلا خير بين الدنيا والآخرة**» مرض يمرض من باب: فرح يفرح، أما يُمرض فهو مبني للمجهول.

وقولها: «**وكان في شكواه الذي قبض فيه أخذته بحة شديدة، فسمعته يقول: ﴿مَعَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّـٰلِحِينَ﴾ [النساء: ٦٩] فعلمت أنه خير**» تعني أن الله خيره بين الدنيا والآخرة وأنه اختار الآخرة واختار ما عند الله، ففي هذا الحديث أن النبي ﷺ طلب عند موته أن يكون معهم، وفي اللفظ الآخر أنها قالت: «قلت: إذن لا يختارنا»(١).

* * *

(١) أحمد (٦/ ٧٤)، والبخاري (٤٤٦٣)، (٤٤٤٢).

المتن

[٩٢/ ٥٦] باب ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ٧٥] الآية

• [٤١٩٨] حدثني عبدالله بن محمد، قال: حدثنا سفيان، عن عبيدالله، قال: سمعت ابن عباس قال: كنت أنا وأمي من المستضعفين من الرجال والنساء والولدان.

• [٤١٩٩] حدثنا سليمان بن حرب، قال: حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، أن ابن عباس تلا: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ [النساء: ٩٨]، قال: كنت أنا وأمي ممن عذر الله.

ويذكر عن ابن عباس: ﴿حَصِرَتْ﴾ [النساء: ٩٠]: ضاقت.

وقال غيره: المُرَاغَمُ: المُهَاجَرُ.

راغمْتُ: هاجرتُ قومي.

الشرح

خاطب الله تعالى المؤمنين في هذه الآية فقال: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ أي: ما الذي يمنعكم أن لا تقاتلوا في سبيل الله؟ ﴿وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾ [النساء: ٧٥] فحثهم الله تعالى على القتال والجهاد في سبيله والدفاع عن المستضعفين المظلومين.

• [٤١٩٨] قوله عن ابن عباس: «كنت أنا وأمي من المستضعفين» قال الله تعالى: ﴿وَمَا لَكُمْ لَا تُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلظَّالِمِ أَهْلُهَا﴾.

• [٤١٩٩] قوله: «عن ابن أبي مليكة، أن ابن عباس تلا: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ [النساء: ٩٨] قال: كنت أنا وأمي ممن عذر الله» يعني في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُوا۟ فِيمَ كُنتُمْ﴾ [النساء: ٩٧] ففيه وجوب الهجرة وأنه يجب على المسلم أن يهاجر من بلد الشرك الذي لا يقيم فيها دينه؛ فقد

توعد الله تعالى بالنار من لم يهاجر، ثم استثنى العاجز فقال: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ﴾ [النساء: ٩٨] فاستثنى الله من الوعيد المستضعف الذي لا يستطيع، وقد يكون المستضعف رجلًا أو امرأة أو صبيًّا، وكان ابن عباس وأمه ممن عذر الله.

قوله: «**ويذكر عن ابن عباس: ﴿حَصِرَتْ﴾: ضاقت**» يعني من قوله تعالى: ﴿حَصِرَتْ صُدُورُهُمْ أَن يُقَٰتِلُوكُمْ أَوْ يُقَٰتِلُوا۟ قَوْمَهُمْ ۚ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَسَلَّطَهُمْ عَلَيْكُمْ﴾ [النساء: ٩٠].

قوله: «**وقال غيره: المراغم: المهاجر**» يعني من قوله تعالى: ﴿وَمَن يُهَاجِرْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يَجِدْ فِى ٱلْأَرْضِ مُرَٰغَمًا كَثِيرًا وَسَعَةً﴾ [النساء: ١٠٠].

قوله: «**راغمت: هاجرت قومي**»، فالشاهد أن المؤلف رَحِمَهُ اللهُ فسر الكلمات التي وردت في الآيات.

وبعده في بعض النسخ: «**﴿مَّوْقُوتًا﴾: موقتًا وقته عليهم**»[1] يعني في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ كَانَتْ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ كِتَٰبًا مَّوْقُوتًا﴾ [النساء: ١٠٣] أي: مؤقتة وقتها الله عليهم، وروي عن ابن عباس: ﴿مَّوْقُوتًا﴾: مفروضًا.

* * *

(١) البخاري (٤٥٨٨).

المتن

[٩٣/ ٥٦] باب ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾ [النساء: ٨٨]

قال ابن عباس: بددهم.

﴿فِئَةٍ﴾ [آل عمران: ١٣]: جماعة.

• [٤٢٠٠] حدثني محمد بن بشار، قال: حدثنا غندر وعبدالرحمن، قالا: حدثنا شعبة، عن عدي، عن عبدالله بن يزيد، عن زيد بن ثابت رضي الله عنه، ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾: رجع ناس من أصحاب النبي ﷺ من أحد، فكان الناس فيهم فرقتين: فريق يقول: اقتلهم، وفريق يقول: لا، فنزلت: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾، فقال: إنها طيبة تنفي الخبث، كما تنفي النار خبث الفضة.

الشرح

قوله: «**باب: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾** [النساء: ٨٨]» هذه الآية نزلت في غزوة أحد لما انخذل عبدالله بن أبي ورجع بثلث الجيش، وقال: يأخذ برأيهم ولا يأخذ برأيي، فلحقهم بعض المسلمين وقالوا ينصحونهم: اتقوا الله كيف تتركون النبي ﷺ؟ فذكر الله جوابهم: ﴿قَالُواْ لَوْ نَعْلَمُ قِتَالاً لَّٱتَّبَعْنَٰكُمْ﴾ [آل عمران: ١٦٧] أي: ليس هناك قتال؛ فاختلف الناس فيهم: فمنهم من قال: يا رسول الله، اقتلهم، ومنهم من قال: لا تقتلهم؛ فأنزل الله هذه الآية: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾؛ فئة تقول: اقتلهم، وفئة أخرى تقول: لا تقتلهم، ﴿وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓاْ﴾ أي: «**بددهم**» كما فسرها ابن عباس، وقيل: أوقعهم.

فسر المؤلف رحمه الله الفئة بالجماعة.

• [٤٢٠٠] قوله: «**رجع ناس من أصحاب النبي ﷺ من أحد فكان الناس فيهم فرقتين: فريق يقول: اقتلهم، وفريق يقول: لا، فنزلت: ﴿فَمَا لَكُمْ فِي ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ﴾، فقال: إنها طيبة تنفي الخبث، كما تنفي النار خبث الفضة**» قال هذا عن المدينة.

وهذا قاله النبي ﷺ لما جاءه أعرابي وأسلم ثم أصابته وعكة فطلب من النبي ﷺ بعدما عاهده على الإسلام أن يرد إليه عهده فأبى ، فخرج الأعرابي فقال النبي ﷺ : **«إنها طيبة»** أي المدينة **«كالكير تنفي خبثها وينصع طيبها»**[1] .

* * *

---

(١) البخاري (٧٢١١) ، ومسلم (١٣٨٣) .

المتن

[٩٤/ ٥٦] باب ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾ [النساء: ٨٣] أي: أفشوه

﴿يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ﴾: يستخرجونه.

﴿إِلَّآ إِنَٰثٗا﴾ [النساء: ١١٧]، يعني: الموات حجرًا أو مدرًا وما أشبهه.

﴿فَلَيُبَتِّكُنَّ﴾ [النساء: ١١٩] بتَكَهُ: قَطَعَهُ.

﴿قِيلٗا﴾ [النساء: ١٢٢] و«قولا» واحد.

﴿طَبَعَ﴾ [النساء: ١٥٥]: ختم.

﴿مَّرِيدٗا﴾ [النساء: ١١٧]: متمردا.

الشرح

قوله: «باب ﴿وَإِذَا جَآءَهُمۡ أَمۡرٞ مِّنَ ٱلۡأَمۡنِ أَوِ ٱلۡخَوۡفِ أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾»، فيكون بابًا مستقلًا، وفي بعض النسخ بدون ذكر: «باب» فيحتمل أنه من النساخ فهم يأتون بالآثار أو بتفسير لبعض الكلمات مع حذف لفظ: «باب».

وفسر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الكلمات التي في الآيات فقال: «﴿أَذَاعُواْ بِهِۦ﴾: أي أفشوه» يعني في هذه الآية السابقة.

قوله: «﴿يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ﴾: يستخرجونه» يعني في قوله تعالى: ﴿وَلَوۡ رَدُّوهُ إِلَى ٱلرَّسُولِ وَإِلَىٰٓ أُوْلِي ٱلۡأَمۡرِ مِنۡهُمۡ لَعَلِمَهُ ٱلَّذِينَ يَسۡتَنۢبِطُونَهُۥ مِنۡهُمۡ﴾.

يقول الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ذكر في هذا الباب آثارًا ولم يذكر فيه حديثًا، وقد وقع عند مسلم من حديث عمر في سبب نزولها أن النبي ﷺ لما هجر نساءه وشاع أنه طلقهن وأن عمر رضي الله عنه جاءه فقال: أطلقت نساءك؟ قال: «لا»[1]، قال: فقمت على باب المسجد فناديت بأعلى صوتي: لم يطلق نساءه؛ فنزلت هذه الآية، فكنت أنا استنبطت ذلك الأمر».

---

(١) مسلم (١٤٧٩).

وبعده في بعض النسخ : «﴿ حَسِيبًا ﴾ : كافيا»[1] أي : في قوله تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ حَسِيبًا ﴾ [النساء : ٨٦] يعني كافيًا ، فالحسب الكفاية .

قوله : «﴿ إِلَّآ إِنَٰثًا ﴾ : يعني : الموات حجرًا أو مدرًا وما أشبهه» أي في قوله تعالى : ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦٓ إِلَّآ إِنَٰثًا ﴾ [النساء : ١١٧] يعني المشركين ، والمراد بالموات ضد الحيوان أي الذي ليس له نفس ، فإن يدعون من دونه إلا أمواتًا .

قوله : «﴿ فَلَيُبَتِّكُنَّ ﴾ بتكه : قطعه» يعني قوله تعالى : ﴿ وَلَءَامُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ ءَاذَانَ ٱلْأَنْعَٰمِ ﴾ [النساء : ١١٩] أي : الشيطان يأمرهم أن يقطعوا آذان الأنعام .

قوله : «﴿ قِيلًا ﴾ ، و«قولًا» واحد» يعني من حيث المعنى ، والمراد في قوله تعالى : ﴿ وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ ٱللَّهِ قِيلًا ﴾ [النساء : ١٢٢] .

قوله : «﴿ طَبَعَ ﴾ [النساء : ١٥٥] : ختم» فالطبع الختم .

قوله تعالى : ﴿ مَّرِيدًا ﴾ [النساء : ١١٧] ، فسره فقال : «متمردا» .

* * *

(١) البخاري (٥/ ٣٩٢ – فتح) .

المتن

[٩٥/ ٥٦] باب ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣]

• [٤٢٠١] حدثنا آدم بن أبي إياس، قال: حدثنا شعبة، قال: حدثنا مغيرة بن النعمان، قال: سمعت سعيد بن جبير قال: آية اختلف فيها أهل الكوفة فرحلت فيها إلى ابن عباس فسألته عنها، فقال: نزلت هذه الآية: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ هي آخر ما نزل، وما نسخها شيء.

الشرح

قوله: «**باب ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾**» هذا وعيد شديد على قاتل المؤمن متعمدًا، وتمام الآية: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣]، فإنه يعاقب بخمس عقوبات وردت في الآية الكريمة:

الأولى: جزاؤه جهنم.

الثانية: الخلود فيها.

الثالثة: الغضب عليه.

الرابعة: اللعن والطرد من رحمة الله.

الخامسة: إعداد العذاب العظيم له.

• [٤٢٠١] قوله: «**آية اختلف فيها أهل الكوفة**» يعني هل القاتل له توبة أو ليس له توبة؟

وقوله: «**فرحلت فيها إلى ابن عباس فسألته عنها، فقال: نزلت هذه الآية: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾** [النساء: ٩٣] **هي آخر ما نزل، وما نسخها شيء**» ظاهره أن ابن عباس يرى أن القاتل لا توبة له، وقيل: إنه رجع عن ذلك، وقيل: إن مقصوده التنفير، فقيل: إن ابن عباس جاءه رجل يسأله فقال: يا ابن عباس هل للقاتل توبة؟ فقال: لا. ثم جاءه رجل آخر فسأله: هل للقاتل توبة؟ فقال: نعم. فالأول سأل وهو يريد القتل فأفتاه ابن عباس بأنه ليس له توبة زجرًا له، والثاني جاءه نادمًا فأجابه ابن عباس بأن له توبة.

وجماهير العلماء بل كالإجماع منهم على أن القاتل له توبة إذا تاب؛ لأنه من تاب تاب الله عليه، ولكن يتعلق بالقاتل ثلاثة حقوق:

الأول: حق لله، فإذا تاب توبة نصوحًا فيما بينه وبين الله؛ بأن ندم على ما مضى، وأقلع عن المعصية، وعزم على ألا يعود إليها – سقط حق الله.

الثاني: حق أولياء القتيل، فإذا سلم نفسه لأولياء القتيل وتصالح معهم على أن يقتلوه قصاصًا أو يصفحوا عنه بالدية أو يصفحوا مجانًا – سقط حقهم.

الثالث: حق المقتول، فإذا أدى حق الله وحق أولياء القتيل فالله تعالى يرضي القتيل يوم القيامة بما يعطيه له من الثواب والمنازل في الجنة فيسامحه ويعفو عليه.

والدليل على أن القاتل له توبة عموم قوله تعالى: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣] بل حتى المشرك له توبة، فقد أجمع العلماء على أن هذه الآية للتائبين؛ لأن الله عمم وأطلق، فأما قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] فهذه في غير التائبين؛ لأن الله خص وعلق، فخص الشرك بأنه لا يغفر، وعلق ما دونه بالمشيئة؛ فدل على أنه في غير التائبين.

ومما يدل أيضًا على أن القاتل له توبة حديث الرجل الذي قتل مائة نفس وأنه لما مات في أثناء الطريق اختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب[١].

ومعنى قوله تعالى: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٨٣] عند أهل العلم أن المراد إن جازاه الله ولم يعف عنه ولم يتب فهذا هو الجزاء وهو الخلود في جهنم لكن بثلاثة شروط:

الأول: أن يجزيه الله.

الثاني: ألا يعفو عنه.

الثالث: ألا يتوب منه.

ثم المراد بالخلود في الآية هو المكث الطويل وله نهاية؛ فهذا حال العصاة فهم يتفاوت بقاؤهم في النار على حسب جرائمهم كما ورد في النصوص.

---

(١) أحمد (٣/ ٢٠)، والبخاري (٣٤٧٠)، ومسلم (٢٧٦٦).

أما خلود الكفرة فهو خلود مؤبد لا نهاية له، وقد قال الله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧] وقال: ﴿وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧]، وقد دلت النصوص على أن الجنة والنار دائمتان لا تفنيان، والجهمية هم الذين يقولون بفناء الجنة والنار جميعًا، وهو قول فاسد، وربما نسب إلى بعض العلماء مثل شيخ الإسلام القول بفناء النار وليس هذا بصحيح، ونسب إلى كتابي «الروح» و«شفاء العليل» لابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والأقرب أن ابن القيم له قولان في ذلك، وقد رجع عن أحدهما، والآثار التي رويت في ذلك أكثرها آثار ضعيفة لا تثبت، ومن العلماء من قال: الذين قالوا بفناء النار محمول على فناء نار العصاة أما نار الكفرة فلا تفنى.

هذا وإن المشركين الذين يدخلون النار يحمدون الله على حكمه وأنهم أهل لذلك قال الله تعالى: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْ كُنَّا نَسْمَعُ أَوْ نَعْقِلُ مَا كُنَّا فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ۝ فَٱعْتَرَفُوا۟ بِذَنۢبِهِمْ فَسُحْقًا لِّأَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ﴾ [الملك: ١٠، ١١].

ومن شبه الجهمية التي جعلتهم يقولون بفناء الجنة والنار الاستثناء في قوله تعالى: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُوا۟ فَفِى ٱلنَّارِ لَهُمْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ ۝ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٌ لِّمَا يُرِيدُ ۝ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ سُعِدُوا۟ فَفِى ٱلْجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ ۖ عَطَآءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ﴾ [هود: ١٠٦-١٠٨] وهاتان الآيتان قال بعض العلماء فيهما: هو استثناء الرب ولا يفعله، وقال بعضهم: يرجع إلى قبل دخولهم الجنة مدة لبثهم في القبر أو في الدنيا، وعلى كل حال فقد جاء ما يدل على أن الجنة مستمرة وأن النار مستمرة ودائمة، وأن هذا الاستثناء ليس المراد منه أنها تفنى قال تعالى: ﴿يُرِيدُونَ أَن يَخْرُجُوا۟ مِنَ ٱلنَّارِ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنْهَا ۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٧]، وقال سبحانه: ﴿كَذَٰلِكَ يُرِيهِمُ ٱللَّهُ أَعْمَٰلَهُمْ حَسَرَٰتٍ عَلَيْهِمْ ۖ وَمَا هُم بِخَٰرِجِينَ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [البقرة: ١٦٧]، وقال سبحانه: ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧] فدل على أن قوله: ﴿إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَ﴾ [هود: ١٠٧] لا يدل على فنائها.

* * *

المَتْنُ

[٩٦/ ٥٦] باب ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ «السَّلَمَ» لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ [النساء: ٩٤]

السِّلم والسَّلَم والسلام والسَّلْمُ واحدٌ.

• **[٤٢٠٢]** حدثنا علي بن عبدالله، قال: حدثنا سفيان، عن عمرو، عن عطاء، عن ابن عباس رضي الله عنهما، ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾، قال: قال ابن عباس: كان رجل في غنيمة له، فلحقه المسلمون فقال: السلام عليكم، فقتلوه وأخذوا غنيمته؛ فأنزل الله وذلك إلى قوله: ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ [النساء: ٩٤] تلك الغنيمة، قال: قرأ ابن عباس: السلام.

الشَّرْحُ

قوله: «**باب: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ «السَّلَمَ» لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾**» وتمام الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾ [النساء: ٩٤] يعني إذا سافرتم للجهاد في سبيل الله ﴿فَتَبَيَّنُوا﴾ أي: تثبتوا ولا تتسرعوا، وفي قراءة: «**فتثبتوا**»، ثم قال: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَىٰ إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا﴾ من أجل الدنيا ﴿فَعِندَ اللَّهِ مَغَانِمُ كَثِيرَةٌ﴾، ثم قال: ﴿كَذَٰلِكَ كُنتُم مِّن قَبْلُ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْكُمْ﴾ فقبل أن يمن الله عليكم بالإسلام كنتم مثله، ﴿فَتَبَيَّنُوا إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا﴾ [النساء: ٩٤] يعني: فتثبتوا.

• **[٤٢٠٢]** قوله: «**كان رجل في غنيمة له، فلحقه المسلمون فقال: السلام عليكم، فقتلوه**» يعني: ظنوا أنه قالها تعوذًا.

وقوله: «**وأخذوا غنيمته، فأنزل الله وذلك إلى قوله: ﴿تَبْتَغُونَ عَرَضَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** [النساء: ٩٤]».

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قوله: «**وأخذوا غنيمته**» في رواية سماك: «**وأتوا بغنمه النبي ﷺ فنزلت**»[١] وروى البزار من طريق حبيب بن أبي عمرة عن سعيد بن جبير عن ابن عباس في سبب نزول هذه الآية قصة أخرى قال: بعث رسول الله ﷺ سرية فيها المقداد

(١) أحمد في «المسند» (١/ ٢٢٩).

فلما أتوا القوم وجدوهم قد تفرقوا وبقي رجل له مال كثير، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله فقتله المقداد فقال له النبي ﷺ: **«كيف لك بلا إله إلا الله غدًا»**(١) وأنزل الله هذه الآية، وهذه القصة يمكن الجمع بينها وبين التي قبلها ويستفاد منها تسمية القاتل، وأما المقتول فروى الثعلبي من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس؛ وأخرجه عبد بن حميد من طريق قتادة نحوه -واللفظ للكلبي- أن اسم المقتول مرداس بن نهيك من أهل فدك، وأن اسم القاتل أسامة بن زيد، وأن اسم أمير السرية غالب بن فضالة الليثي، وأن قوم مرداس لما انهزموا بقي هو وحده، وكان ألجأ غنمه بجبل فلما لحقوه قال: لا إله إلا الله محمد رسول الله السلام عليكم، فقتله أسامة بن زيد فلما رجعوا نزلت الآية، وكذا أخرج الطبري من طريق السدي نحوه، وفي آخر رواية قتادة: لأن تحية المسلمين السلام بها يتعارفون، وأخرج ابن أبي حاتم من طريق ابن لهيعة عن أبي الزبير عن جابر قال: أنزلت هذه الآية: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ﴾ [النساء: ٩٤] في مرداس، وهذا شاهد حسن».

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي الآية دليل على أن من أظهر شيئًا من علامات الإسلام لم يحل دمه حتى يختبر أمره؛ لأن السلام تحية المسلمين وكانت تحيتهم في الجاهلية بخلاف ذلك، فكانت هذه علامة، وأما على قراءة: **«السلم»** على اختلاف ضبطه» يعني قوله: ﴿وَلَا تَقُولُواْ لِمَنْ أَلْقَىٰٓ إِلَيْكُمُ ٱلسَّلَـٰمَ﴾ ففي قراءة: **«السَّلَم»** وفي قراءة: **«السِّلْم»**.

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالمراد به الانقياد وهو علامة الإسلام؛ لأن معنى الإسلام في اللغة الانقياد، ولا يلزم من الذي ذكرته الحكم بإسلام من اقتصر على ذلك وإجراء أحكام المسلمين عليه بل لابد من التلفظ بالشهادتين على تفاصيل في ذلك بين أهل الكتاب وغيرهم، والله أعلم».

قلت: لا شك أن من أظهر الإسلام فلا يجوز قتله كأن تلفظ بالإسلام أو قال: أسلمت بل يجب الكف عنه ثم بعد ذلك ينظر إن التزم بالإسلام فالحمد لله، وإن لم يلتزم وارتد قُتل بعد ذلك؛ ولهذا أنكر النبي ﷺ على أسامة لما قتل الرجل الذي قال: لا إله إلا الله وشدد عليه

---

(١) البزار (٢/ ١٩٦).

حتى تمنى أنه لم يكن أسلم إلا يومئذ[١]، وكذلك أنكر على خالد رضي الله عنه لما قتل بني جذيمة بعدما قالوا: صبأنا صبأنا، يريدون أن يقولوا: أسلمنا، فجعل خالد يقتلهم فلما جاء النبي ﷺ رفع ﷺ يديه مرتين أو ثلاثة، وقال: **«اللهم إني أبرأ إليك مما صنع خالد»**[٢] ووداهم من عند نفسه حتى دفع ميلغة الكلب.

فالذي أظهر الإسلام أو نطق بالشهادتين أو قال: السلام عليكم أو قال: أسلمت أو قال: صبأت -وهو لا يعرف- لا يجوز قتله بل يكف عنه.

* * *

(١) أحمد (٥/ ٢٠٠)، والبخاري (٤٢٦٩)، ومسلم (٩٦).
(٢) أحمد (٢/ ١٥٠)، والبخاري (٤٣٣٩).

المتن

[٩٧/ ٥٦] باب ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ الآية [النساء : ٩٥]

• [٤٢٠٣] حدثنا إسماعيل بن عبدالله، قال: حدثني إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب، قال: حدثني سهل بن سعد الساعدي، أنه رأى مروان بن الحكم في المسجد، فأقبلت حتى جلست إلى جنبه، فأخبرنا أن زيد بن ثابت أخبره، أن رسول الله ﷺ أملى عليه: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾، فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملها علي، فقال: يا رسول الله، والله لو أستطيع الجهاد لجاهدت، وكان أعمى، فأنزل الله ﷻ على رسوله ﷺ وفخذه على فخذي؛ فثقلت علي حتى خفت أن ترض فخذي، ثم سري عنه، فأنزل الله ﷻ: ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾.

• [٤٢٠٤] حدثنا حفص بن عمر، قال: حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء ﷺ قال: لما نزلت: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ دعا رسول الله ﷺ زيدًا فكتبها، فجاء ابن أم مكتوم فشكا ضرارته، فأنزل الله ﷻ: ﴿غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ﴾.

• [٤٢٠٥] حدثنا محمد بن يوسف، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: لما نزلت: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قال النبي ﷺ: «**ادعوا فلانا**»، فجاءه ومعه الدواة واللوح والكتف، فقال: «**اكتب: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ ﴿وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾**»، وخلف النبي ﷺ ابن أم مكتوم، فقال: يا رسول الله، أنا ضرير، فنزلت مكانها: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾.

• [٤٢٠٦] حدثني إبراهيم بن موسى، قال: أخبرنا هشام، أن ابن جريج أخبرهم، ح. وحدثني إسحاق، قال: أخبرنا عبدالرزاق، قال: أخبرنا ابن جريج، أخبرني عبدالكريم، أن مقسمًا مولى عبدالله بن الحارث أخبره، أن ابن عباس ﷺ أخبره: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ عن بدر والخارجون إلى بدر.

الشَّرْحُ

• [٤٢٠٣] هذا الحديث من رواية سهل بن سعد -وهو صحابي- عن مروان بن الحكم -وهو تابعي- عن زيد بن ثابت -وهو صحابي- وهذا من النادر .

وهذا الحديث فيه سبب نزول هذه الآية : ﴿**لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ**﴾ [النساء : ٩٥] أي : لا يستوي القاعد والمجاهد .

وقوله : «**فجاءه ابن أم مكتوم وهو يملها علي**» يعني : يمليها كما في قوله : ﴿**فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ**﴾ [البقرة : ٢٨٢] يعني : يملي . والمقصود أن ابن أم مكتوم جاءه وشكا ضرارته فأنزل الله : ﴿**غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ**﴾ [النساء : ٩٥] فألحقها النبي ﷺ وأمر بإلحاقها .

• [٤٢٠٤] قوله : «**ضرارته**» يعني العمى ؛ لأنه أعمى البصر .

• [٤٢٠٥] قوله : «**لما نزلت** : ﴿**لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [النساء : ٩٥] **قال النبي** ﷺ : «**ادعوا فلانا**» **فجاءه ومعه الدواة واللوح والكتف، فقال** : «**اكتب** ﴿**لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ**﴾ ﴿**وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ**﴾ [النساء : ٩٥]» هذا الحديث فيه بيان فضل المجاهدين وأن القاعد عن الجهاد لا يستوي مع المجاهد ولا يلحقه وإن كان المؤمنون كلهم في الجنة إلا أن درجات المجاهدين عالية فوق درجات القاعدين ؛ ولهذا قال الله تعالى : ﴿**لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَـٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ**﴾ ﴿**وَٱلْمُجَـٰهِدُونَ**﴾ ولكن استثنى الله تعالى أولي الضرر فقال : ﴿**غَيْرُ أُوْلِى ٱلضَّرَرِ**﴾ ؛ لأن أولي الضرر معذورون كابن أم مكتوم قال الله تعالى : ﴿**وَفَضَّلَ ٱللَّهُ ٱلْمُجَـٰهِدِينَ عَلَى ٱلْقَـٰعِدِينَ أَجْرًا عَظِيمًا ۝ دَرَجَـٰتٍ مِّنْهُ وَمَغْفِرَةً وَرَحْمَةً ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا**﴾ [النساء : ٩٥، ٩٦] يعني : درجات يزيدون بها على القاعدين ومغفرة ورحمة ، وفي الحديث : «**إن في الجنة مائة درجة ما بين كل درجتين ما بين السماء والأرض أعدها الله للمجاهدين في سبيله**»[1] وهذا فضل عظيم .

وقوله : «**وخلف النبي ﷺ ابن أم مكتوم**» يعني : أنه جالس خلفه ، وذلك من حرصه الشديد واهتمامه بهذا الشيء وهذا الأمر .

---

(١) أحمد (٢/ ٣٣٥)، والبخاري (٢٧٩٠) .

• [٤٢٠٦] قوله: «**أخبرني عبدالكريم**» ذكر الحافظ في «الفتح» أنه الجزري، وفي «التقريب»: «عبد الكريم بن مالك الجزري أبو سعيد مولى بني أمية وهو الخضرمي -بالخاء والضاد المعجمتين- نسبة إلى قرية من اليمامة: ثقة متقن من السادسة، مات سنة سبع وعشرين»[١].

وخضرم هذه بلدة قرب منفوحة كان يعرفها أهل الرياض، نسب إليها فيقال له: خضرمي.

قوله: «**أن ابن عباس** رضي الله عنهما **أخبره: ﴿لَّا يَسْتَوِى ٱلْقَٰعِدُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾** [النساء: ٩٥] **عن بدر والخارجون إلى بدر**» هذا فيه تخصيص لأهل بدر؛ لأن لهم مزية، فقد ورد في الحديث أن النبي ﷺ قال لعمر: «**وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ماشئتم فقد غفرت لكم**»[٢]، وهذه الآية عامة.

***

(١) «تقريب التهذيب» (ص ٦١٩).
(٢) أحمد (١/ ٧٩)، والبخاري (٤٢٧٤)، ومسلم (٢٤٩٤).

المتن

[٩٨/ ٥٦] ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ﴾ الآية [النساء: ٩٧]

• [٤٢٠٧] حدثنا عبدالله بن يزيد المقرئ، قال: حدثنا حيوة وغيره، قالا: حدثنا محمد بن عبدالرحمن أبو الأسود قال: قطع على أهل المدينة بعث فاكتتبت فيه، فلقيت عكرمة مولى ابن عباس فأخبرته، فنهاني عن ذلك أشد النهي، ثم قال: أخبرني ابن عباس، أن ناسًا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على عهد رسول الله ﷺ، يأتي السهم يُرمى به فيصيب أحدهم فيقتله، أو يضرب فيقتل، فأنزل الله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ الآية. رواه الليث، عن أبي الأسود.

الشرح

قوله: «﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ﴾ [النساء: ٩٧] الآية» هذه الآية فيها الوعيد الشديد على من أقام من المؤمنين في بلاد الكفار ولم يهاجر وهو لا يستطيع إظهار دينه، فهو مرتكب لكبيرة، وقد توعده الله بالنار، إلا العاجز الذي لا يستطيع فإنه مستثنى؛ سواء كان امرأة أو طفلًا أو رجلًا فقد عذره الله، قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾ بإقامتهم في بلاد الكفار، أي: لما جاءت ملائكة الموت لهؤلاء المؤمنين الذين عاشوا في بلاد الكفار، ﴿قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾، فهذه محاورة بين الملائكة وبين المؤمنين الذين يبررون الإقامة في بلد الكفر بالاستضعاف، فرد الملائكة عليهم: ﴿أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا﴾ أي: لمَ لمْ تهاجروا إلى بلد تقيمون فيها دينكم؟ قال الله تعالى: ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَسَآءَتْ مَصِيرًا﴾ [النساء: ٩٧] وهذا يدل على وجوب الهجرة من بلد الكفر إلى بلد الإسلام، وهو دليل على أن البقاء في بلاد الكفار وعدم الهجرة كبيرة إلا إذا كان يقيم دينه أو كان داعية فلا بأس، ثم استثنى الله العاجز فقال: ﴿إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝٩٨ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا﴾ [النساء: ٩٨، ٩٩].

● [٤٢٠٧] قوله : « **قطع على أهل المدينة بعث** » يعني جيش أو سرية ، وقائل هذا الكلام هو محمد بن عبدالرحمن أبو الأسود .

قوله : «**فاكتتبت فيه**» يعني : ألزم بالخروج في الجيش للقتال بعد موت يزيد بن معاوية ، وكان ذلك في خلافة عبدالله بن الزبير .

وقوله : «**فلقيت عكرمة مولى ابن عباس فأخبرته فنهاني عن ذلك أشد النهي**» أي : قال له : لا تخرج ؛ لأن هذا قتال فتنة . وهذا على حسب ما فهم عكرمة ، وفيه نظر ؛ لأن هذا الجيش إنما خرج لقتال الباغين على الخليفة وهو عبدالله بن الزبير الذي تمت له البيعة بعد موت يزيد ، ثم بعد ذلك نازعه مروان بن الحكم ثم عبدالملك بن مروان .

وقوله : «**ثم قال : أخبرني ابن عباس أن ناسًا من المسلمين كانوا مع المشركين يكثرون سواد المشركين على عهد رسول الله ﷺ**» يعني : كان هناك ناس من المسلمين جلسوا مع المشركين حتى جاءت غزوة بدر فأخرجهم الكفار معهم بالإكراه ؛ ليقاتلوا معهم ويكثروا سوادهم على رسول الله ﷺ .

وقوله : «**يأتي السهم يرمى به فيصيب أحدهم فيقتله**» يعني يأتي السهم من قبل المسلمين لقتال الكفار فيصيب المسلمين الذين أخرجوا كرهًا .

وقوله : «**أو يضرب فيقتل ، فأنزل الله : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِىٓ أَنفُسِهِمْ﴾** [النساء : ٩٧] **الآية** » فنهى عكرمة أبا الأسود عن الخروج في قتال الفتنة ، وقال : لا تقاتل ولا تكثر سواد البغاة الذين يخرجون على ولي الأمر ؛ فإن الآية نزلت في المؤمنين الذين كثروا سواد المشركين فأنزل الله فيهم : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «قوله : « **قطع** » بضم أوله .

قوله : « **بعث** » أي : جيش» .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «قوله : «**فاكتتبت**» بضم المثناة الأولى وكسر الثانية بعدها موحدة ساكنة على البناء للمجهول» .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : « وفي هذه القصة دلالة على براءة عكرمة مما ينسب إليه من رأي الخوارج ؛ لأنه بالغ في النهي عن قتال المسلمين وتكثير سواد من يقاتلهم ، وغرض عكرمة أن الله ذم من كثر سواد المشركين مع أنهم كانوا لا يريدون بقلوبهم موافقتهم قال : فكذلك أنت لا تكثر سواد هذا الجيش وإن كنت لا تريد موافقتهم ؛ لأنهم لا يقاتلون في سبيل الله .

وقوله : ﴿فِيمَ كُنتُمْ﴾ [النساء : ٩٧] سؤال توبيخ وتقريع .

واستنبط سعيد بن جبير من هذه الآية وجوب الهجرة من الأرض التي يعمل فيها بالمعصية» .

❊ ❊ ❊

المتن

[٩٩/ ٥٦] ﴿إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا﴾ [النساء: ٩٨]

• [٤٢٠٨] حدثنا أبو النعمان، قال: حدثنا حماد، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس رضي الله عنهما، ﴿إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ﴾ قال: كانت أمي ممن عذر الله.

الشرح

• [٤٢٠٨] قوله: «عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس رضي الله عنهما: ﴿إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ﴾ [النساء: ٩٨] قال: كانت أمي ممن عذر الله» يعني في قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ تَوَفَّىٰهُمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ ظَالِمِيٓ أَنفُسِهِمۡ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمۡۖ قَالُواْ كُنَّا مُسۡتَضۡعَفِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ قَالُوٓاْ أَلَمۡ تَكُنۡ أَرۡضُ ٱللَّهِ وَٰسِعَةٗ فَتُهَاجِرُواْ فِيهَاۚ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَأۡوَىٰهُمۡ جَهَنَّمُۖ وَسَآءَتۡ مَصِيرًا ۝٩٧ إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ لَا يَسۡتَطِيعُونَ حِيلَةٗ وَلَا يَهۡتَدُونَ سَبِيلٗا﴾ [النساء: ٩٧، ٩٨] ففيه وجوب الهجرة وأنه يجب على المسلم أن يهاجر من بلد الشرك الذي لا يقيم فيها دينه فقد توعد الله تعالى بالنار من لم يهاجر، ثم استثنى العاجز فقال: ﴿إِلَّا ٱلۡمُسۡتَضۡعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلۡوِلۡدَٰنِ﴾ فاستثنى الله من الوعيد المستضعف الذي لا يستطيع وقد يكون المستضعف رجلًا أو امرأة أو صبيًّا، وكان ابن عباس وأمه ممن عذر الله.

* * *

المَتْن

[١٠٠/ ٥٦] باب قوله تعالى:

﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ﴾ الآية [النساء: ٩٩]

• [٤٢٠٩] حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا شيبان، عن يحيى، عن أبي سلمة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: بينا النبي ﷺ يصلي العشاء إذ قال: «**سمع الله لمن حمده**»، ثم قال قبل أن يسجد: «**اللهم نج عياش بن أبي ربيعة، اللهم نج سلمة بن هشام، اللهم نج الوليد بن الوليد، اللهم نج المستضعفين من المؤمنين، اللهم اشدد وطأتك على مضر، اللهم اجعلها سنين كسني يوسف**».

الشَّرْح

كرر المؤلف رحمه الله التراجم، ولو جعلها بابًا واحدًا لكفى.

• [٤٢٠٩] قوله: «**اللهم نج المستضعفين**» دعاء للمستضعفين، وهذا هو الشاهد للترجمة.

ومناسبة هذا الحديث لقوله تعالى: ﴿**إِلَّا ٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلرِّجَالِ وَٱلنِّسَآءِ وَٱلْوِلْدَٰنِ لَا يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلَا يَهْتَدُونَ سَبِيلًا ۝ فَأُوْلَٰٓئِكَ عَسَى ٱللَّهُ أَن يَعْفُوَ عَنْهُمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ عَفُوًّا غَفُورًا**﴾ [النساء: ٩٨، ٩٩] أن الآية فيها أن الله عفا عن المستضعفين.

وفي الحديث مشروعية القنوت في النوازل، وفيه مشروعية القنوت في صلاة العشاء، ويشرع كذلك في صلاة الفجر، وقد جاء كثيرًا عن أبي هريرة أن النبي ﷺ كان يدعو للمؤمنين ويلعن العصاة حتى في الصلوات الأخرى[١].

وفيه مشروعية تسمية من يدعى له ومن يدعى عليه في القنوت، فالنبي ﷺ دعا لأناس ودعا على أناس.

وفيه أن القنوت يكون قبل السجود بعد أن يقول: سمع الله لمن حمده.

* * *

(١) أحمد (٢/ ٢٥٥)، والبخاري (٤٥٦٠)، ومسلم (٦٧٥).

المتن

[١٠١/ ٥٦] **باب قوله: ﴿وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ﴾ الآية** [النساء: ١٠٢]

• [٤٢١٠] حدثنا محمد بن مقاتل أبو الحسن، قال: أخبرنا حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني يعلى، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما، ﴿إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ قال: عبدالرحمن بن عوف، وكان جريحا.

الشرح

• [٤٢١٠] قوله: «**عن ابن عباس** رضي الله عنهما، ﴿إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ﴾ [النساء: ١٠٢] **قال: عبدالرحمن بن عوف، وكان جريحا**» فيه أن الله سبحانه وتعالى رفع الجناح عن المؤمنين بوضع السلاح مع أخذ الحذر حينما يقاتلون الأعداء وذلك لمرض أو مطر، بعدما كانوا يأخذون السلاح وهم يصلون؛ قال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ ٱلصَّلَوٰةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوٓاْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ﴾ يعني: صلوا ﴿فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ ۗ وَدَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَٰحِدَةً ۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰٓ أَن تَضَعُوٓاْ أَسْلِحَتَكُمْ ۖ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ﴾ [النساء: ١٠٢].

* * *

المتن

[١٠٢/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ﴾ [النساء: ١٢٧]

• [٤٢١١] حدثني عبيد بن إسماعيل، قال: حدثنا أبو أسامة، قال: حدثنا هشام بن عروة، أخبرني عن أبيه، عن عائشة ﵂، ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ إلى قوله: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٢٧] قالت عائشة: هو الرجل تكون عنده اليتيمة هو وليها ووارثها، فأشركته في ماله حتى في العَذْق، فيرغب أن ينكحها ويكره أن يزوجها رجلًا فيشركه في ماله بما شركته فيعضلها، فنزلت هذه الآية.

الشرح

• [٤٢١١] قوله: «﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ﴾ إلى قوله: ﴿وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾» يعني: ﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ ۖ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ﴾ [النساء: ١٢٧].

وقوله: «﴿وَيَسْتَفْتُونَكَ﴾» يعني يطلبون الفتوى وهي الجواب عن الحادثة التي تشكل على السائل، وفيها وجهان: الفتوى والفتيا، وهي مشتقة من الفتى، وهو الشاب القوي.

وقد نزلت هذه الآية في اليتيمة تكون تحت حجر وليها كابن عمها، فيعضلها ويريد أن يتزوجها هو ولا يعطيها حقها من المهر ولا يرضى أن يزوجها غيره؛ لئلا يشاركه في المال، قالت عائشة: «حتى في العذق» وهي: النخلات.

* * *

المتن

[١٠٣/ ٥٦] ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا﴾ [النساء: ١٢٨]

وقال ابن عباس: ﴿شِقَاقِ﴾ [النساء: ٣٥]: تفاسد.

﴿وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨]: هواه في الشيء يحرص عليه.

﴿كَٱلۡمُعَلَّقَةِ﴾ [النساء: ١٢٩]: لا هي أيم ولا ذات زوج.

﴿نُشُوزًا﴾ [النساء: ١٢٨]: بغضا.

• [٤٢١٢] حدثنا محمد بن مقاتل، قال: أخبرنا عبدالله، قال: أخبرنا هشام بن عروة، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها، ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا﴾ قالت: الرجل تكون عنده المرأة ليس بمستكثر منها يريد أن يفارقها، فتقول: أجعلك من شأني في حل، فنزلت هذه الآية في ذلك: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا﴾ الآية في ذلك.

الشرح

قوله: «﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا﴾» يعني: خافت من زوجها ترفعًا عليها، أو إعراضًا عنها؛ أو هجرًا لها أو خشيت أن يطلقها فلا بأس أن تصالحه على إسقاط شيء من حقها كأن تقول: أسقط عنك القسم، أو: أسقط عنك بعض النفقة وأبقى معك، كما فعلت سودة بنت زمعة زوج النبي ﷺ فهي لما كبرت سنها خافت أن يطلقها النبي ﷺ فقالت: يا رسول الله، أبقني معك وليلتي لعائشة، فأبقاها النبي ﷺ، وكان النبي ﷺ يقسم لعائشة ليلتين: ليلتها وليلة سودة[1]، فلا بأس بهذا الصلح، قال الله تعالى: ﴿وَإِنِ ٱمۡرَأَةٌ خَافَتۡ مِنۢ بَعۡلِهَا نُشُوزًا أَوۡ إِعۡرَاضًا فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَآ أَن يُصۡلِحَا بَيۡنَهُمَا صُلۡحًاۚ وَٱلصُّلۡحُ خَيۡرٞۗ وَأُحۡضِرَتِ ٱلۡأَنفُسُ ٱلشُّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨].

قوله: ﴿شِقَاقَ﴾ [النساء: ٣٥] فسر ابن عباس الشقاق بالتفاسد.

قوله: ﴿ٱلشُّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨] فسره فقال: «هواه في الشيء يحرص عليه».

---

(١) أحمد (٦/ ٦٨)، والبخاري (٥٢١٢)، ومسلم (١٤٦٣).

قوله: «﴿كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ﴾ [النساء: ١٢٩]: **لا هي أيم ولا ذات زوج**» يعني في قوله تعالى: ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡۖ فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِۚ﴾ [النساء: ١٢٩]، والعدل يكون في أربعة أشياء: في النفقة والكسوة والمسكن والقسم، والنفقة: الأكل والشرب، والكسوة: اللباس والثياب، والسكنى: البيت، والقسم: أي لكل واحدة ليلة. فكان النبي ﷺ يقسم في هذه الأشياء الأربعة، ويقول: «**اللهم إن هذا قسمي فيما أملك فلا تلمني فيما تملك ولا أملك**»(١)، أما العدل الكامل فلا يستطيعه الإنسان، وهو محبة القلب وما ينشأ عنه من الوطء؛ ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلَن تَسۡتَطِيعُوٓاْ أَن تَعۡدِلُواْ بَيۡنَ ٱلنِّسَآءِ وَلَوۡ حَرَصۡتُمۡ﴾ أي: العدل الكامل في كل شيء، ﴿فَلَا تَمِيلُواْ كُلَّ ٱلۡمَيۡلِ فَتَذَرُوهَا كَٱلۡمُعَلَّقَةِ﴾ أي: تترك الزوجة كالمعلقة، وقد فسر المعلقة بالتي «**لا هي أيم ولا ذات زوج**» أي: لا هي مطلقة ولا صاحبة زوج.

قوله: «﴿نُشُوزًا﴾ [النساء: ١٢٨]: **بغضًا**» فسرها بالبغض، وهو معنى من معانيها.

• [٤٢١٢] ذكر حديث عائشة في تفسير هذه الآية وفيه: «**قالت: الرجل تكون عنده المرأة ليس بمستكثر منها يريد أن يفارقها، فتقول: أجعلك من شأني في حل، فنزلت هذه الآية في ذلك**».

وذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله أثرًا عن علي رضي الله عنه قال: نزلت في المرأة تكون عند الرجل تكره مفارقته فيصطلحان على أن يجيئها كل ثلاثة أيام أو أربعة، وهذا نوع من المصالحة.

وذكر أيضًا أثر رافع بن خديج رضي الله عنه أنه كانت تحته امرأة فتزوج عليها شابة، فآثر البكر عليها، فنازعته فطلقها ثم قال لها: إن شئت راجعتك وصبرت، فقالت: راجعني، فراجعها ثم لم تصبر؛ فطلقها، قال: فذلك الصلح الذي بلغنا أن الله أنزل فيه هذه الآية.

* * *

(١) أحمد (٦/ ١٤٤)، وأبو داود (٢١٣٤)، والترمذي (١١٤٠)، والنسائي (٣٩٤٣)، وابن ماجه (١٩٧١).

المتن

[١٠٤/ ٥٦] ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥]

قال ابن عباس: أسفل النار.

﴿نَفَقًا﴾ [الأنعام: ٣٥]: سربا.

• [٤٢١٣] حدثنا عمر بن حفص، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا الأعمش، قال: حدثني إبراهيم، عن الأسود قال: كنا في حلقة عبدالله فجاء حذيفة، حتى قام علينا فسلم، ثم قال: لقد أنزل النفاق على قوم خير منكم، قال الأسود: سبحان الله! إن الله يقول: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾، فتبسم عبدالله، وجلس حذيفة في ناحية المسجد، فقام عبدالله فتفرق أصحابه، فرماني بالحصا فأتيته، فقال حذيفة: عجبت من ضحكه، وقد عرف ما قلت، لقد أنزل النفاق على قوم كانوا خيرا منكم، ثم تابوا فتاب الله عليهم.

الشرح

قوله: «قال ابن عباس: أسفل النار» يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلۡمُنَٰفِقِينَ فِي ٱلدَّرۡكِ ٱلۡأَسۡفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء: ١٤٥] وذلك أن النار دركات، وكل دركة سفلى أشد عذابًا من الدركة التي أعلى منها، وأما الجنة فهي درجات، وكل درجة عليا أعلى نعيمًا من الدرجة التي تحتها، والمنافقون في الدرك الأسفل من النار أي: أشد الناس عذابًا يوم القيامة؛ فهم أشد عذابًا من اليهود والنصارى والوثنيين؛ لأنهم وافقوا اليهود والنصارى والوثنيين في الشرك والكفر وزادوا عليهم خداع من يعيشون معهم من المسلمين وتدبير المكائد للقضاء عليهم وعلى الإسلام، بخلاف اليهودي والنصراني والوثني فهو عدو مكشوف وأنت تأخذ حذرك منه، لكن هذا عدو خفي متلبس بين المسلمين.

قوله: «﴿نَفَقًا﴾: سربا» هذه الكلمة ليست في سورة النساء، وإنما هي في سورة الأنعام قال تعالى: ﴿فَإِنِ ٱسۡتَطَعۡتَ أَن تَبۡتَغِيَ نَفَقًا فِي ٱلۡأَرۡضِ أَوۡ سُلَّمًا فِي ٱلسَّمَآءِ فَتَأۡتِيَهُم بِـَٔايَةٖ﴾ [الأنعام: ٣٥]؛ ولعل مناسبة ذكرها هنا الإشارة إلى اشتقاق النفاق.

• [٤٢١٣] قوله: «كنا في حلقة عبدالله فجاء حذيفة حتى قام علينا فسلم، ثم قال: لقد أنزل النفاق على قوم خير منكم» كأنه يخاطب بعض التابعين.

وقوله: «**قال الأسود: سبحان الله! إن الله يقول: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾** [النساء: ١٤٥] **فتبسم عبدالله**» يعني: تبسم عبدالله بن مسعود تقريرًا لقول حذيفة، «**وجلس حذيفة في ناحية المسجد، فقام عبدالله فتفرق أصحابه، فرماني بالحصا فأتيته**» أي: رمىٰ حذيفة الأسود بالحصا يستدعيه إليه.

وقوله: «**فقال حذيفة: عجبت من ضحكه**» أي: من ضحك ابن مسعود، يعني من اقتصاره على الضحك، ولم يتكلم بشيء، وذلك يدل علىٰ إقراره لقول حذيفة، وربما أوهم أنه مخالف له.

وقوله: «**وقد عرف ما قلت، لقد أنزل النفاق علىٰ قوم كانوا خيرًا منكم، ثم تابوا فتاب الله عليهم**» يعني: ابتلوا به؛ لأنهم من طبقة الصحابة، وهم خير من التابعين، ولكن الله ابتلاهم فارتدوا ونافقوا؛ فذهبت الخيرية منهم، ومنهم من تاب فعاد إلى الخيرية، فكأن حذيفة -كما ذكر الحافظ- حذر الذين خاطبهم، وأشار عليهم ألا يغتروا، فإن القلوب تتقلب، حذرهم من الخروج من الإيمان؛ لأن الأعمال بالخواتيم، ولأن الإنسان لا ينبغي له أن يغتر.

وذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: أن المنافق هو الذي يظهر خلاف ما يبطن، واشتقاق النفاق من النافقاء، وهو جحر اليربوع، واليربوع له جحران: جحر يقال له: القصعاء، وجحر يقال له: النافقاء، أي: جحر ظاهر وجحر خفي، يجعل جحرًا معروفًا، ثم يجعل جحرًا خفيًا؛ يحفر فإذا أَرَقَّ التراب فلم يبق إلا التراب تركه، فإذا جاءه أحد من الجحر المعروف ضرب التراب برأسه وخرج من الجحر غير المعروف، فهذا الجحر غير المعروف له باطن وله ظاهر، ظاهره أنه التراب وباطنه أنه حفر، وكذلك المنافق ظاهره الإسلام وباطنه الكفر، وقيل: اشتقاقه من النفق وهو السرب.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويستفاد من حديث حذيفة أن الكفر والإيمان والإخلاص والنفاق كل بخلق الله تعالىٰ وتقديره وإرادته»، ولا شك أن الله خالق كل شيء.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويستفاد من قوله تعالىٰ: **﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ تَابُواْ وَأَصْلَحُواْ وَٱعْتَصَمُواْ بِٱللَّهِ وَأَخْلَصُواْ دِينَهُمْ لِلَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾** [النساء: ١٤٦] صحة توبة الزنديق، وقبولها علىٰ ما عليه الجمهور»، والزنديق: هو المنافق.

ثم قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «فإنها مستثناة من المنافقين من قوله : ﴿إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ﴾ [النساء : ١٤٥] ، وقد استدل بذلك جماعة منهم أبو بكر الرازي في أحكام القرآن ، والله أعلم» .

فذكر الشارح أن الجمهور على القول بتوبة الزنديق ، وهذا يحتاج إلى تأمل ، هل هذا مذهب الجمهور ، أم أن مذهبهم أنها لا تقبل في الظاهر ، وإجراء الأحكام على كل حال؟ فالمحققون على أن توبة الزنديق لا تقبل في أحكام الدنيا ، وأما في الآخرة فالله تعالى يقبل توبة الصادقين ، لكن في الدنيا لابد من إقامة الحد عليهم ، فلابد من إقامة الحد على الزنديق ، والساحر ، ومن تكررت ردته ، والمستهزئ بالله وبكتابه وبرسوله ﷺ وبدينه ، كل هؤلاء لا تكون توبتهم في الظاهر ، ولابد من قتلهم ردعًا للناس .

وقد ألف شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ ٱللَّهُ كتابًا خصص فيه قتل الزنديق وسماه : «الصارم المسلول على شاتم الرسول» .

ولو سلم المنافق نفسه - وهو قليل في المنافقين - فهذا دليل على التوبة .

* * *

المتن

[١٠٥/ ٥٦] **باب قوله تعالى:** ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ﴾
إلى قوله: ﴿وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]

• [٤٢١٤] حدثنا مسدد، قال: حدثنا يحيى، عن سفيان، قال: حدثني الأعمش، عن أبي وائل، عن عبدالله، عن النبي ﷺ: «**ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى**».

• [٤٢١٥] حدثنا محمد بن سنان، قال: حدثنا فليح، قال: حدثنا هلال، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**من قال: أنا خير من يونس بن متى، فقد كذب**».

الشرح

• [٤٢١٤]، [٤٢١٥] أدرج هذين الحديثين تحت قول الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ﴾ [النساء: ١٦٣] وذكر منهم يونس، وهو قد أوحي إليه وأرسل إلى أمة عظيمة.

قوله: «**من قال: أنا خير من يونس بن متى فقد كذب**» في اللفظ الآخر: «**من قال: أنا خير من يونس بن متى، ونسبه إلى أبيه**»(١) وسبب قول النبي ﷺ ذلك أن ما جرى منه في قصته مع قومه وذهابه مغاضبا كما قال الله تعالى: ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧] والتقام الحوت له – قد يوهم بعض الناس أنه خير منه.

وقد دعا يونس عليه السلام قومه فردوا دعوته؛ فغضب عليهم وقال: انتظروا العذاب، فذهب وركب السفينة وكانت ممتلئة، فقالوا: لابد أن ينزل واحد، فتساهموا فسقط عليه السهم فأنزلوه فالتقمه الحوت، ثم لفظه الحوت كما قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [الصافات: ١٣٩، ١٤٠] المشحون أي: الممتلئ، فالفلك مشحون وملآن؛ فلابد أن يلقى منه أحد، ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ [الصافات: ١٤١] أي فوقع عليه

(١) أحمد (١/ ٢٤٢)، والبخاري (٣٣٦٩)، ومسلم (٢٣٧٧).

السهم، فسقط في باطن الحوت، ﴿فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ ۞ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٢ - ١٤٦] قال العلماء: شجرة من يقطين؛ لأنها لا يقع عليها شيء من الحشرات، وهو قد خرج من باطن الحوت وجلده رقيق عليه السلام لا يتحمل حتى وقوع الحشرة عليه؛ حتى يتقوى جلده ويتعود على الهواء.

ثم أرسله الله إلى قومه، فلما جاءهم آمنوا، وكانوا مائة ألف أو يزيدون، كما قال الله: ﴿وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصافات: ١٤٧، ١٤٨].

وهذه القرية -قرية يونس عليه السلام- استثناها الله من العذاب، قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨] فإنه كان إذا نزل بقوم عذاب أو أسباب العذاب لا تقبل توبتهم، إلا قوم يونس استثناهم الله، فقد شهدوا أسباب العذاب فآمنوا، فقبل الله إيمانهم.

* * *

المتن

[١٠٦/ ٥٦] باب ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾ [النساء: ١٧٦]

والكلالة: من لم يرثه أب أو ابن، وهو مصدر من تكلله النسب

• **[٤٢١٦]** حدثنا سليمان بن حرب، قال: حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، سمعت البراء رضي الله عنه يقول: آخر سورة نزلت: براءة، وآخر آية نزلت: **﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾**.

الشرح

هذه الآية تسمى آية الكلالة، والكلالة من لا ولد له ولا والد، والكلالة يرثه الإخوة كما قال الله: **﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ إِنِ امْرُؤٌا هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِن لَّمْ يَكُن لَّهَا وَلَدٌ﴾** [النساء: ١٧٦] ورث الإخوة، والإخوة لا يرثون إلا مع فقد الأب والجد والأولاد، فدل على أن الكلالة من لا ولد له ولا والد؛ ولهذا قال: «**من لم يرثه أب أو ابن، وهو مصدر من: تكلله النسب**».

• **[٤٢١٦]** قوله: «**آخر سورة نزلت: براءة**» وهي سورة التوبة، «**وآخر آية نزلت**» هي «**﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكَلَالَةِ﴾** [النساء: ١٧٦]» ولا شك أن الآية فيها أحكام بعض الورثة وأن آية: **﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾** [المائدة: ٣] تدل على كمال الدين، والأقرب أنها بعدها، وأنها آخر ما نزل، وكذلك آية: **﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ﴾** [البقرة: ٢٨١] فيها الأمر بالتقوى، وهي عامة، ولكن يقال: هذا على حسب علم البراء.

ولها وجه حسن، وهو أن يقال: إنها آخر آية تتعلق بالمواريث.

* * *

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

[١٠٧/ ٥٦] باب تفسير سورة المائدة

﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ [المائدة: ١٣]: بنقضهم.

﴿ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٢١]: جعل الله.

﴿حُرُمٌ﴾ [المائدة: ١]: واحدها حرام.

﴿تَبُوٓأَ﴾ [المائدة: ٢٩]: تحمل.

وقال غيره: الإغراء: التسليط.

﴿دَآئِرَةٌ﴾ [المائدة: ٥٢]: دولة.

﴿أُجُورَهُنَّ﴾ [المائدة: ٥]: مهورهن.

قال سفيان: ما في القرآن آية أشد علي من: ﴿لَسْتُمْ عَلَىٰ شَيْءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْكُم مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [المائدة: ٦٨]، ﴿مَخْمَصَةٍ﴾ [المائدة: ٣]: مجاعة، ﴿مَنْ أَحْيَاهَا﴾ [المائدة: ٣٢] يعني: من حرم قتلها إلا بحق، حيي الناس منه جميعًا، ﴿شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المائدة: ٤٨]: سبيلًا وسنة.

﴿ٱلْمُهَيْمِنُ﴾ [الحشر: ٢٣]: الأمين، القرآن أمين على كل كتاب قبله.

الشرح

هذا تفسير سورة المائدة، وبدأ المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بتفسير الكلمات التي يحتاج إلى معرفة معناها طالب العلم.

قوله: «﴿فَبِمَا نَقْضِهِم﴾ [المائدة: ١٣]: **بنقضهم**» ما للتوكيد، وهذا أحد الأقوال والتقدير: فبنقضهم. وذكر الحافظ أن هذا تفسير قتادة.

قوله: «﴿ٱلَّتِي كَتَبَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ٢١]» فسرها بقوله: «**جعل الله**».

قوله : «حرم : واحدها حرام» يعني في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ ﴾ [المائدة : ١] .

قوله : ﴿ تَبُوٓأَ ﴾ [المائدة : ٢٩] فسرها بقوله : «تحمل» .

قوله : «وقال غيره : الإغراء : التسليط» يعني تفسير قوله تعالى : ﴿ فَأَغۡرَيۡنَا بَيۡنَهُمُ ٱلۡعَدَاوَةَ ﴾ [المائدة : ١٤] .

قوله : ﴿ دَآئِرَةٞ ﴾ [المائدة : ٥٢] فسرها بقوله : «دولة» .

قوله : ﴿ أُجُورَهُنَّ ﴾ [المائدة : ٥] فسرها بقوله : «مهورهن» .

قوله : «قال سفيان : ما في القرآن آية أشد علي من : ﴿ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ [المائدة : ٦٨]» لا شك أن هذه الآية شديدة ، وهي شاملة لهذه الأمة وإن كانت في أهل الكتاب ؛ لأنها أمر بما أنزله الله ، قال الله لأهل الكتاب : ﴿ لَسۡتُمۡ عَلَىٰ شَيۡءٍ حَتَّىٰ تُقِيمُواْ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيۡكُم مِّن رَّبِّكُمۡ ﴾ يعني : حتى تعملوا بالتوراة والإنجيل ، وكذلك هذه الأمة ليست على شيء حتى تعمل بالقرآن والسنة ، فليس هذا خاصًّا بأهل الكتاب فالآية عامة .

قوله : ﴿ مَخۡمَصَةٍ ﴾ [المائدة : ٣] فسرها بقوله : «مجاعة» .

قوله : «﴿ مَنۡ أَحۡيَاهَا ﴾» [المائدة : ٣٢] فسرها بقوله : «من حرم قتلها إلا بحق ، حيي الناس منه جميعا» .

قوله : «﴿ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا ﴾ : سبيلا وسنة» يعني : تفسير قوله تعالى : ﴿ لِكُلّٖ جَعَلۡنَا مِنكُمۡ شِرۡعَةٗ وَمِنۡهَاجٗا ﴾ [المائدة : ٤٨] .

قوله : «﴿ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ﴾ [الحشر : ٢٣] : الأمين ، القرآن أمين على كل كتاب» يعني : تفسير قوله تعالى : ﴿ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَمُهَيۡمِنًا عَلَيۡهِ ﴾ [المائدة : ٤٨] .

❊ ❊ ❊

المَتْنُ

[١٠٨/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣]

• [٤٢١٧] حدثني محمد بن بشار، قال: حدثنا عبدالرحمن، قال: حدثنا سفيان، عن قيس، عن طارق بن شهاب، قالت اليهود لعمر: إنكم تقرءون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيدًا، فقال عمر: إني لأعلم حيث أنزلت، وأين أنزلت، وأين رسول الله ﷺ؛ حيث أنزلت يوم عرفة، وإنا والله بعرفة، قال سفيان: وأشك كان يوم الجمعة أم لا: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾.

الشَّرْحُ

• [٤٢١٧] قوله: «**قالت اليهود لعمر: إنكم تقرءون آية لو نزلت فينا لاتخذناها عيدًا**» لا شك أنها في يوم عيد، وفي اللفظ الآخر أنهم قالوا: لو نزلت فينا لاتخذنا ذلك اليوم عيدا[1] وهو يوم عيد؛ ولهذا قال عمر: «**إني لأعلم حيث أنزلت، وأين أنزلت، وأين رسول الله ﷺ؛ حيث أنزلت يوم عرفة**»، وهو يوم الحج الأكبر وهو يوم عيد.

قوله: «**قال سفيان: وأشك كان يوم الجمعة أم لا**» تقدم أنه كان يوم الجمعة بدون شك، فكان يوم عرفة هو يوم الجمعة وهو يوم عيد.

وهذه الآية: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣] من فضل الله تعالى على هذه الأمة؛ حيث امتن الله تعالى على هذه الأمة بإكمال الدين وإتمام النعمة، والله سبحانه رضي لنا الإسلام دينا.

وفي الآية الرد على أهل البدع الذين يبتدعون في دين الله ما ليس منه، وهم في المعنى يزيدون فيه، فكأن المبتدع يقول: إن الدين ناقص وأريد أن أتمه وأكمله، والدين كامل لا يحتاج إلى بدع المبتدعين، وليس فيه نقص، ولم يترك شيئا في الكتاب إلا ذكره، قال الله تعالى: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ٣٨]، ففيه القواعد العامة التي يدخل فيها كل شيء، وليس المراد أن القرآن ينص على كل جزئية، فمثلا إباحة الطيبات وتحريم الخبائث

---

(١) أحمد (١/ ٢٨)، والبخاري (٤٤٠٧).

قال الله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ﴾ [المائدة: ٥] فهذا فيه تحليل الطيبات، وقوله: ﴿وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧] تشمل كل الخبائث من الدخان والخمور وغيرها.

وليس هناك شيء إلا ذكر في القرآن والسنة، والسنة وحي ثان، وهي تابعة للقرآن، والعمل بالسنة عمل بالقرآن؛ لأن الله أمر بالعمل بالسنة فقال: ﴿وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ﴾ [المائدة: ٩٢] وقال ﷻ: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُواْ﴾ [الحشر: ٧] ومن زعم أنه يترك العمل بالسنة فقد ترك العمل بالقرآن، ومن أنكر شيئا من السنة كفر وهو مكذب لله ومكذب لرسوله ﷺ.

* * *

المتن

[١٠٩/ ٥٦] باب قوله: ﴿(فإن لم) تجدوا ماء فتيمموا صعيدا طيبا﴾ [المائدة: ٦]

﴿تيمموا﴾ [المائدة: ٦]: تعمدوا.

﴿ءامين﴾ [المائدة: ٢]: عامدين، أممت وتيممت واحد.

وقال ابن عباس: ﴿لمستم﴾ [المائدة: ٦] و﴿تمسوهن﴾ [البقرة: ٢٣٦] و﴿التي دخلتم بهن﴾ [النساء: ٢٣] والإفضاء: النكاح.

• [٤٢١٨] حدثنا إسماعيل، قال: حدثني مالك، عن عبدالرحمن بن القاسم، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ قالت: خرجنا مع رسول الله ﷺ في بعض أسفاره، حتى إذا كنا بالبيداء أو بذات الجيش انقطع عقد لي، فأقام رسول الله ﷺ على التماسه، وأقام الناس معه، وليسوا على ماء، وليس معهم ماء، فأتى الناس إلى أبي بكر الصديق فقالوا: ألا ترى ما صنعت عائشة؛ أقامت برسول الله ﷺ وبالناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء؟! فجاء أبو بكر ورسول الله ﷺ واضع رأسه على فخذي قد نام، وقال: حبست رسول الله ﷺ والناس وليسوا على ماء وليس معهم ماء، فقالت عائشة: فعاتبني أبو بكر، وقال ما شاء الله أن يقول، وجعل يطعنني بيده في خاصرتي، ولا يمنعني من التحرك إلا مكان رسول الله ﷺ على فخذي، فقام رسول الله ﷺ حين أصبح على غير ماء: فأنزل الله آية التيمم، فتيمموا، فقال أسيد بن حضير: ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر، قالت: فبعثنا البعير الذي كنت عليه؛ فإذا العقد تحته.

• [٤٢١٩] حدثني يحيى بن سليمان، قال: حدثني ابن وهب، قال: أخبرني عمرو، أن عبدالرحمن بن القاسم حدثه، عن أبيه، عن عائشة رضي الله عنها: سقطت قلادة لي بالبيداء ونحن داخلون المدينة، فأناخ النبي ﷺ ونزل، فثنى رأسه في حجري راقدا، أقبل أبو بكر فلكزني لكزة شديدة، وقال: حبست الناس في قلادة، فبي الموت لمكان رسول الله ﷺ وقد أوجعني، ثم إن النبي ﷺ استيقظ وحضرت الصبح، فالتمس الماء فلم يوجد فنزلت: ﴿يا أيها الذين ءامنوا إذا قمتم إلى الصلوة﴾ الآية، فقال أسيد بن حضير: لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر، ما أنتم إلا بركة لهم.

الشرح

هذه الترجمة على قوله تعالى: ﴿(فإن لم) تَجِدُواْ مَآءً فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ [المائدة: ٦] وفسر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ بعض الكلمات.

قوله: «﴿تَيَمَّمُواْ﴾ [المائدة: ٦]: **تعمدوا**» يعني تفسير قوله تعالى: ﴿فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدًا طَيِّبًا﴾ يعني: اعمدوا واقصدوا الصعيد.

قوله: «﴿ءَآمِّينَ﴾ [المائدة: ٢]: **عامدين**»؛ لأن المادة تدل على القصد.

قوله: «**أممت وتيممت واحد**»، أممت قِبَل كذا يعني: قصدت وتوجهت.

قوله: «**وقال ابن عباس**: ﴿لَمَسْتُمُ﴾ [المائدة: ٦] و﴿تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٦] و﴿ٱلَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ [النساء: ٢٣] **والإفضاء: النكاح**» كلها المراد بها الجماع والنكاح، ولكن الله يكني.

فقوله: ﴿لَمَسْتُمُ﴾ يعني: جامعتم، كما في قوله تعالى: ﴿مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٧] أي: من قبل الجماع، و﴿ٱلَّتِي دَخَلْتُم بِهِنَّ﴾ المراد بالدخول الجماع، ﴿وَقَدْ أَفْضَىٰ بَعْضُكُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ﴾ [النساء: ٢١] والإفضاء هو النكاح أي الجماع.

كذلك «المستم»، ومن العلماء من قال: (لمستم) المراد باللمس الجس باليد، و﴿لَمَسْتُمُ﴾ [المائدة: ٦] المراد به النكاح.

• [٤٢١٨]، [٤٢١٩] هذان الحديثان استنبط منهما العلماء كثيرًا من الأحكام وأهمها ما يلي:

أولًا: مشروعية التيمم، وهي من خصائص هذه الأمة كما قال النبي ﷺ: «**أعطيت خمسًا لم يعطهن أحد من الأنبياء قبلي: نصرت بالرعب مسيرة شهر، وأحلت لي الغنائم، وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة، وجعلت لي الأرض مسجدًا وطهورًا، فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل**»(١).

ثانيًا: أن التيمم يشرع في حالتين:

الحالة الأولى: إذا فقد الماء.

والحالة الثانية: إذا عجز عن استعماله، أو كان يضره استعماله، فإنه يعدل عن الماء إلى التيمم.

---

(١) أحمد (٣/ ٣٠٤)، والبخاري (٤٣٨)، ومسلم (٥٢١).

وصفة التيمم أنه ضربة واحدة على الصحيح في أصح قولي العلماء؛ لحديث عمار في الصحيحين لما أصابته جنابة وتقلب في التراب أن النبي ﷺ قال له: **«إنما يكفيك أن تضرب بيديك هكذا؛ وضرب بكفيه الأرض ضربة واحدة»**(١) ومسح بهما وجهه ثم مسح يديه مسح الشمال على اليمين واليمين على الشمال، وقال بعض العلماء: التيمم ضربتان؛ ضربة للوجه، وضربة لليدين، وهو قول مرجوح، واستدلوا ببعض الأحاديث عن بعض الصحابة، وهو محمول على أنهم لم يبلغهم الحديث، والصواب والعمدة حديث عمار السابق، وكذلك حديث عائشة هذا وهو مجمل، لكن بينه حديث عمار.

ثالثًا: اعتناء الإمام بأحوال رعيته، وقضاء حاجاتهم؛ فإنه ﷺ جلس لالتماس هذا العقد، والله أعلم كم يساوي.

رابعًا: جواز إقامة الجيش على غير ماء إذا دعت الحاجة إلى ذلك.

خامسًا: جواز معاتبة الرجل ابنته إذا كانت كبيرة، فأبو بكر عاتب ابنته عائشة، ولم ينكر عليه النبي ﷺ، وكذلك جواز لكزه لها تأديبًا، وجواز تأديب الرجل ولده ولو كان كبيرًا.

سادسًا: فضل عائشة وثباتها، وجمعها بين مراعاة حق رسول الله ﷺ حيث لم تتحرك؛ لأن رأس رسول الله على فخذها، ومراعاة حق أبيها، وتحملها لكلامه وطعنه ولكزه لها، وعدم الرد عليه، فجمعت بين أداء حق الرسول ﷺ وحق أبيها.

سابعًا: فيه دليل على أن بعض الناس مبارك، ومنهم آل أبي بكر الذين نزلت بسببهم آية التيمم، وجواز قول: هذا من بركتك إذا كان الشخص مباركًا، فقوله: **«ما هي بأول بركتكم»** يعني البركة التي جعل الله فيكم، إذا كان الإنسان فيه خير ينفع الناس بماله فينفقه في المشروعات الخيرية، أو ببدنه يحملهم ويساعدهم، أو بتوجيهه بآرائه السديدة، أو بتعليمه ونصحه، أو غير ذلك من وجوه الخير - فيقال: هذه من بركتك التي جعل الله فيك، أو يقال: شخص مبارك كما قال أسيد بن حضير لعائشة: **«ما هي بأول بركتكم يا آل أبي بكر»**، وفي اللفظ الآخر أنه قال: **«لقد بارك الله للناس فيكم يا آل أبي بكر ما أنتم إلا بركة لهم»**(٢)، فلا بأس بهذا القول.

---

(١) أحمد (٤/ ٢٦٥)، والبخاري (٣٣٨)، ومسلم (٣٦٨).
(٢) البخاري (٤٦٠٨).

ثامنا : أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب ، حيث إنه أرسل أناسًا يبحثون عن العقد ولم يجدوه ، ثم لما بعثوا البعير وجدوه تحت البعير ، فلو كان يعلم الغيب لما أرسل ناسًا يبحثون عن العقد وهو تحت البعير ؛ قال الله تعالى : **﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾** [النمل : ٦٥] وقال سبحانه : **﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾** [الجن : ٢٦ ، ٢٧] فمن زعم أن الرسول يعلم الغيب فهو كافر ؛ لأنه مكذب لله ، ومن كذب الله كفر ، وهناك طائفة يسمون : البرلاوية في الهند ، يزعمون أن الرسول يعلم الغيب ، وهي طائفة كافرة ، وقد كتب بعض الطلاب أصحاب المنح عنهم رسالة لنيل درجة العالمية .

وفيه أن اللكزة شديدة ، حتى أحست منها بالموت ؛ لأنها قالت في لفظ ثان : **«فبي الموت لمكان رسول الله»**(١) .

❊ ❊ ❊

---

(١) البخاري (٤٦٠٨) .

المتن

[١١٠/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾

رواه وكيع، عن سفيان، عن مخارق، عن طارق، أن المقداد قال للنبي ﷺ.

• [٤٢٢٠] حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا إسرائيل، عن مخارق، عن طارق بن شهاب، سمعت ابن مسعود رضي الله عنه قال: شهدت من المقداد. ح وحدثني حمدان بن عمر، قال: حدثنا أبو النضر، قال: حدثنا الأشجعي، عن سفيان، عن مخارق، عن طارق، عن عبدالله قال: قال المقداد يوم بدر: يا رسول الله، إنا لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾ [المائدة: ٢٤]، ولكن امض ونحن معك، فكأنه سري عن النبي ﷺ.

الشرح

• [٤٢٢٠] قوله: «**حدثنا الأشجعي**» بالياء هو عبيد الله بن عبد الرحمن الأشجعي ثقة مأمون، أثبت الناس في كتابة الثوري كما قال الحافظ، من كبار التاسعة مات سنة اثنتين وثمانين ومائة.

وقيل هذا للنبي ﷺ لما استشار الناس يوم بدر بالقتال؛ فإنه لما فات العير تكلم المهاجرون وقالوا: إنهم على استعداد للقتال والدفاع، فسكت النبي ﷺ، فأعادوا مرة ثانية، فتكلم الأنصار وقالوا: إيانا تريد يا رسول الله، ففهموا أن النبي ﷺ يريد أن يعرف رأيهم؛ لأن النبي ﷺ لما هاجر أخذ عليهم العهد أن يمنعوه مما يمنعون منه أبناءهم ونساءهم ممن جاءه في المدينة، وهو الآن خارج المدينة، فقال المقداد رضي الله عنه هذه المقالة: «**يا رسول الله، إنا لا نقول كما قالت بنو إسرائيل لموسى: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾** [المائدة: ٢٤]، **ولكن امض ونحن معك**» وفي اللفظ الآخر: «**نقاتل عن يمينك وعن شمالك ومن بين يدك ومن خلفك**»[(١)]، «**فكأنه سري عن النبي ﷺ**».

وفي الحديث فضل الصحابة رضوان الله عليهم، وفضل هذه الأمة، بخلاف اليهود جمع السوء والعناد الذين قالوا لنبيهم: ﴿ٱذۡهَبۡ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَٰتِلَآ إِنَّا هَٰهُنَا قَٰعِدُونَ﴾، فنبيهم

---

(١) أحمد (١/ ٣٨٩)، والبخاري (٣٩٥٢).

يأمرهم بأن يذهبوا معه ويقول : إن الله وعدني فتح بيت المقدس فيقولون : لا ، اذهب أنت وربك ، أما نحن فجالسون ، ويقولون : ﴿إِنَّ فِيهَا قَوْمًا جَبَّارِينَ وَإِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا حَتَّىٰ يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِن يَخْرُجُوا مِنْهَا فَإِنَّا دَاخِلُونَ﴾ [المائدة ٢٢] ، فنصحهم رجلان صالحان : ﴿قَالَ رَجُلَانِ مِنَ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمَا ادْخُلُوا عَلَيْهِمُ الْبَابَ فَإِذَا دَخَلْتُمُوهُ فَإِنَّكُمْ غَالِبُونَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٢٣ قَالُوا يَا مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَّا دَامُوا فِيهَا ۖ فَاذْهَبْ أَنتَ وَرَبُّكَ فَقَاتِلَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ﴾ [المائدة : ٢٣ ، ٢٤] ففرق –كما بين السماء والأرض– بين مقالة بني إسرائيل لموسى ، ومقالة أصحاب النبي للنبي ﷺ .

* * *

المَتْنُ

[١١١/ ٥٦] ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا﴾ **الآية**

المحاربة لله: الكفر به

• [٤٢٢١] حدثنا علي بن عبدالله، قال: حدثنا محمد بن عبدالله الأنصاري، قال: حدثنا ابن عون، قال: حدثني سلمان أبو رجاء مولى أبي قلابة، عن أبي قلابة، أنه كان جالسًا خلف عمر بن عبدالعزيز، فذكروا وذكروا، فقالوا وقالوا: قد أقادت بها الخلفاء، فالتفت إلى أبي قلابة وهو خلف ظهره فقال: ما تقول يا عبدالله بن زيد؟ أو قال: ما تقول يا أبا قلابة؟ قلت: ما علمت نفسًا حل قتلها في الإسلام إلا رجل زنى بعد إحصان، أو قتل نفسًا بغير نفس، أو حارب الله ورسوله، فقال عنبسة: حدثنا أنس بكذا وكذا، وقلت: إياي حدث أنس، قال: قدم قوم على النبي ﷺ فكلموه، فقالوا: قد استوخمنا هذه الأرض، فقال: **هذه نعم لنا تخرج، فاخرجوا فيها فاشربوا من أبوالها وألبانها**، فخرجوا فيها فشربوا من أبوالها وألبانها واستصحوا، ومالوا على الراعي فقتلوه، واطردوا النعم، فما يستبطأ من هؤلاء قتلوا النفس، وحاربوا الله ورسوله، وخوفوا رسول الله ﷺ، فقال: سبحان الله! فقلت: تتهمني؟ قال: حدثنا بهذا أنس، قال: وقال: يا أهل كذا إنكم لن تزالوا بخير ما أُبْقِيَ هذا فيكم أو مثل هذا.

الشَّرْحُ

هذه الآية التي ترجم بها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ تسمى آية المحاربين، قال الله فيها: ﴿إِنَّمَا جَزَٰٓؤُاْ ٱلَّذِينَ يُحَارِبُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَيَسۡعَوۡنَ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوٓاْ أَوۡ يُصَلَّبُوٓاْ أَوۡ تُقَطَّعَ أَيۡدِيهِمۡ وَأَرۡجُلُهُم مِّنۡ خِلَٰفٍ أَوۡ يُنفَوۡاْ مِنَ ٱلۡأَرۡضِۚ ذَٰلِكَ لَهُمۡ خِزۡيٞ فِي ٱلدُّنۡيَاۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [المائدة: ٣٣] والمحاربون هم الذين يقطعون الطريق على الناس؛ أحيانا يقتلون، وأحيانا يقطعون الطريق، ويوقفون السبيل، يقفون في طرق الناس في الأسفار فيوقفون الناس ويأخذون أموالهم، ويقتلون من يقتلون، ويسلبون من يسلبون، فالله تعالى أنزل في هذه الآية عقوبتهم من قبل ولاة الأمور.

قال بعض العلماء : إن الإمام مخير بين هذه الأمور الأربعة ؛ إما أن يقتلهم ، أو يصلبهم ، أو يقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف ، أو ينفيهم من الأرض ، وقيل : إن هذا على حسب أحوالهم : إن قَتلوا قُتلوا وصُلبوا ، وإن قتلوا وسرقوا قطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف ، وإن أخافوا السبيل ولم يقتلوا ولم يسرقوا نُفوا من الأرض .

قوله : «**المحاربة لله : الكفر به**» يعني : أعلى المحاربة لله الكفر بالله ؛ هذه أعلى المحاربة ، وإلا فإن المحارب -قاطع الطريق- قد يكون كافرًا كما حصل في قصة الذين قتلوا وسرقوا وكفروا وارتدوا ، وقد يكون فاسقًا غلبه حب المال والطمع فصار يقطع الطريق ويأخذ أموال الناس .

• [٤٢٢١] قوله : «**عن أبي قلابة أنه كان جالسا خلف عمر بن عبد العزيز فذكروا وذكروا**» أي : ذكروا القسامة ، وسيأتي حكمها ، فسأل عمر بن عبد العزيز أبا قلابة فقال : «**ما تقول يا أبا قلابة؟**» قال : «**ما علمت نفسًا حل قتلها في الإسلام إلا رجل زنى بعد إحصان ، أو قتل نفسًا بغير نفس ، أو حارب الله ورسوله**» ، فإنه يرتد .

وحديث ابن مسعود رضي الله عنه في معنى هذا : «**لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزاني والنفس بالنفس والتارك لدينه المفارق للجماعة**»(١) .

ثم ذكر حديث أنس في قدوم العرنيين قال : «**قدم قوم على النبي ﷺ فكلموه ، فقالوا : قد استوخمنا هذه الأرض**» وهم العرنيون ، لما جاءوا المدينة مرضوا واستوخموا الأرض ؛ لأنهم تعودوا على البادية والهواء الطلق ، فأمرهم النبي ﷺ أن يلحقوا بإبل الصدقة ، وقال : «**هذه نعم لنا تخرج**» يعني إبل تخرج لترعى ، فأمرهم أن يخرجوا إلى الإبل التي ترعى في البر ؛ لأنها تأكل من حشائش الأرض ، ولا تأكل مما يعطى في البلد من الطعام وغيره ، وفرق بين الدابة التي ترعى من البر والتي تعلف ، أو التي تعطى شيئا من الطعام ، فالتي ترعى في البر لبنها مفيد وفيه صحة لهم ؛ ولذلك أمرهم النبي أن يخرجوا إلى إبل الصدقة فيشربوا من أبوالها وألبانها ، فخرجوا فشربوا وصحوا وذهب الوخم عنهم .

---

(١) أحمد (١/ ٣٨٢) ، والبخاري (٦٨٧٨) ، ومسلم (١٦٧٦) .

وفيه دليل على طهارة أبوال الإبل وغيرها مما يؤكل لحمه ؛ لأن النبي ﷺ لا يأمر بعصيان ، خلافًا للشافعية[١] الذين ذهبوا إلى أن الأبوال كلها نجسة ؛ وهذا الحديث فيه رد عليهم ، والصواب أن بول جميع ما يؤكل لحمه من الإبل والبقر والغنم طاهر ، وأما ما لا يؤكل لحمه فهي نجسة .

واستدل الشافعية ببعض الأحاديث التي تستنزه من البول ، فقالوا : هذه عامة في الأبوال ، والصواب أن هذا الحديث مخصص لها من بول ما لا يؤكل لحمه ، أما ما يؤكل لحمه فبوله طاهر ، وروثه طاهر ، وريقه طاهر ، ولو كان نجسًا لأمرهم النبي ﷺ أن يغسلوا أفواههم .

فلما صحوا وذهب ما بهم من الوخم ارتدوا وكفروا وقتلوا الراعي ، وفي رواية : **«وقتلوا رعاتها واستاقوا الإبل»**[٢] وقوله : «**واطردوا النعم**» يعني : أخرجوها طردا وسرقوها .

قوله : **«فما يستبطأ من هؤلاء»** يعني ما يرجى منهم من خير ، يقول : **«قتلوا النفس ، وحاربوا الله ورسوله ، وخوفوا رسول الله ﷺ»** يعني : ما الذي يرجى لهم من الخير بعد أن فعلوا ما فعلوه؟

قوله : **«فقال : سبحان الله ، فقلت : تتهمني؟ قال : حدثنا بهذا أنس ، قال : وقال : يا أهل كذا إنكم لن تزالوا بخير ما أبقى هذا فيكم أو مثل هذا»** يعني مادام هذا العالم وهذا الحبر فيكم ، وفي اللفظ الآخر : أن النبي ﷺ أرسل في أثرهم لما هربوا ، فجيء بهم حينما ارتفع النهار ، فأمر النبي ﷺ بهم فقطعت أيديهم وأرجلهم من خلاف . يعني كل واحد قطعت يده اليمنى ورجله اليسرى ، ولم يحسمهم . يعني جعل الدم ينزف حتى ماتوا ، فالسارق إذا قطعت يده فإنها تحسم يعني يصب عليها الدهن الحار حتى يقف الدم ، ولم يكن عندهم وسائل توقف الدم مثلما هو موجود الآن ، لكن هؤلاء تركهم حتى يموتوا فالمقصود قتلهم ، وأمر بأعينهم فسملت كما فعلوا بالراعي وتركوا في الحر يستسقون فلا يسقون حتى ماتوا[٣] ؛ لأنهم ارتدوا وسرقوا وقتلوا وكفروا بالله ورسوله .

---

(١) انظر «مغني المحتاج» (١/ ٢٣٣) .
(٢) أحمد (٣/ ١٩٨) ، والبخاري (٦٨٠٢) .
(٣) أحمد (٣/ ٢٠٥) ، والبخاري (٢٣٣) ، ومسلم (١٦٧١) .

المتن

[١١٢/ ٥٦] باب قوله: ﴿وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ﴾ [المائدة: ٤٥]

• [٤٢٢٢] حدثني محمد بن سلام، قال: أخبرنا الفزاري، عن حميد، عن أنس ﷺ قال: كسرت الربيع -وهي عمة أنس بن مالك- ثنية جارية من الأنصار، فطلب القوم القصاص، فأتوا النبي ﷺ، فأمر النبي ﷺ بالقصاص، فقال أنس بن النضر عم أنس بن مالك: لا والله لا تكسر ثنيتها يا رسول الله، فقال رسول الله ﷺ: «**يا أنس، كتابُ الله القصاصُ**»، فرضي القوم وقبلوا الأرش، فقال رسول الله ﷺ: «**إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره**».

الشرح

• [٤٢٢٢] ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث أنس على قوله تعالى: ﴿**وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ**﴾ [المائدة: ٤٥].

والشاهد فيه قوله: «**يا أنس، كتاب الله القصاص**» لما كسرت الربيع ثنية جارية أمر النبي ﷺ بالقصاص، قال الله تعالى: ﴿**وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ**﴾، وكسر السن من الجرح، وقد سبق هذا الحديث في سورة البقرة على قوله تعالى: ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِي ٱلْقَتْلَى**﴾ [البقرة: ١٧٨] وأعاده هنا على قوله تعالى: ﴿**وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ**﴾.

وهذه القصة كانت قبل غزوة أحد؛ لأن أنس بن النضر ﷺ قتل يوم أحد، وهذه الترجمة ﴿**وَٱلْجُرُوحَ قِصَاصٌ**﴾ من المائدة، وهي من آخر ما نزل، ولا يلزم من ترجمة المؤلف بالآية أن تكون نزلت في قصة الربيع.

وقول أنس بن النضر: «**لا والله لا تكسر ثنيتها**» من باب إحسان الظن بالله، وليس من باب الاعتراض؛ حيث يقول له النبي ﷺ: «**يا أنس كتاب الله القصاص**»، وهو يقول: «**والله لا تكسر ثنيتها**»؛ لأنه سيبذل الجهود راجيًا من الله أن يحقق ما رجاه في أن يقبل منه الدية، وكان في الأول قد عرض عليهم الدية؛ لأن الربيع كسرت سنة الجارية متعمدة، فأبوا، قالوا: لا، بل نريد القصاص، فحقق رجاءه، وعفا القوم، وقبلوا الدية، فقال رسول الله ﷺ: «**إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره**»، وهذا يحصل لمن كان مستجاب الدعوة كسعد بن أبي وقاص ﷺ قال: «يا رسول الله ادع الله أن يجعلني مجاب الدعوة»،

قال : «**أطب مطعمك تكن مستجاب الدعوة**»(١) فكان مجاب الدعوة ، وكان يقسم على الله ، فإذا التقت في الصفوف جيوش المسلمين جيوش القياصرة والروم قالوا : يا سعد ، أقسم على ربك .

وحسن الظن بالله غير التألي على الله الذي جاء في حديث قصة العابد والعاصي الذي رآه ونهاه عن المعصية فلم ينته ، «**فقال : والله لا يغفر الله لك ، ولا يدخلك الجنة فقال الله : من ذا الذي يتألى علي ألا أغفر له ، إني قد غفرت له وأحبطت عملك**»(٢) فقال أبو هريرة : تكلم بكلمة أوبقت دنياه وآخرته . ففرق بين التألي على الله وحسن الظن بالله .

وينبغي للإنسان أن يكون على حذر في هذا الأمر ، فلابد أن يكون الشخص مستقيمًا على طاعة الله ، ويكون مطعمه حلالًا ؛ ليكون مجاب الدعوة ، وبعد أن يأخذ الاحتياطات الشديدة يقدم على مثل هذا الأمر .

* * *

---

(١) الطبراني في «الأوسط» (٦/ ٣١١) .

(٢) أبو داود (٤٩٠١) .

المتن

[١١٣/ ٥٦] باب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]

• [٤٢٢٣] حدثنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا سفيان، عن إسماعيل، عن الشعبي، عن مسروق، عن عائشة رضي الله عنها قالت: من حدثك أن محمدا ﷺ كتم شيئا مما أُنزل عليه فقد كذب، وهو يقول: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ الآية.

الشرح

• [٤٢٢٣] في هذا الحديث أن عائشة رضي الله عنها قالت لمسروق: «**من حدثك أن محمدا ﷺ كتم شيئا مما أنزل عليه فقد كذب**» أخذت ذلك من قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧]، ومن صدق الرسول ﷺ وأمانته، وهي قد صدقت رضي الله عنها، فالرسول ﷺ هو أمين الله على وحيه، وهو أصدق الناس وأعظمهم أمانة عليه الصلاة والسلام.

* * *

المتن

[١١٤/ ٥٦] **باب قوله ﷻ: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾** [المائدة: ٨٩]

• [٤٢٢٤] حدثنا علي بن سَلَمَة، قال: حدثنا مالك بن سعير، قال: حدثنا هشام، عن أبيه، عن عائشة ﵂: أنزلت هذه الآية: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾ في قول الرجل: لا والله، وبلى والله.

• [٤٢٢٥] حدثني أحمد بن أبي رجاء، قال: حدثنا النضر، عن هشام، قال: أخبرني أبي، عن عائشة ﵂، أن أباها كان لا يحنث في يمين، حتى أنزل الله كفارة اليمين، قال أبو بكر: لا أرى يمينًا أرى غيرها خيرًا منها إلا قبلت رخصة الله وفعلت الذي هو خير.

الشرح

• [٤٢٢٤] قوله: «**أنزلت هذه الآية: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ﴾** [المائدة: ٨٩] **في قول الرجل: لا والله، وبلى والله**» هذه آية المائدة، وهي مثل آية البقرة التي سبقت: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ﴾ [البقرة: ٢٢٥]، والآية فيها بيان أن هناك فرقًا بين اليمين ولغو اليمين، فهما نوعان:

النوع الأول: لغو اليمين ولا يؤاخذ به الإنسان، وهو الذي يجري على اللسان بدون قصد، تتكلم وفي أثناء الكلام تقول: والله ما فعلت كذا، أو لا والله فعلت كذا، أو لا والله ما فعلت كذا، يمين يجري على اللسان من غير تعمد أو انعقاد القلب عليه فهذا معفو عنه.

النوع الثاني: اليمين التي يعقد قلبه عليها يقول: والله ما فعلت كذا، أو والله فعلت كذا، فهذه هي التي يؤاخذ بها، وهي التي يقصد فيها اليمين ويعقد قلبه عليها.

ومن لغو اليمين لو حلف على شيء يظنه كذلك، فبان خلافه؛ لأنه لم يتعمد الكذب كأن يحلف إذ رأى شخصًا يقول: والله ليس هذا بزيد، حلف لما رأى من أوصافه أنه ليس بزيد، فلما قرب منه تبين أنه زيد، فهذا لا يؤاخذ؛ لأنه حلف على شيء يظنه كذلك، ثم تبين أنه بخلافه، أو كأن يحلف أن فلانًا لم يسافر، ثم يتبين له أنه مسافر، على حسب ظنه يقول: أنا كلمته بالأمس، وليس عنده سفر، ثم تبين أنه سافر، ففي هذه الحالة لا يؤاخذ، وهذا بخلاف اليمين التي تكون على المستقبل، فإذا قال: والله لا أفعل كذا حتى آكل طعام زيد في

المستقبل، أو لا أدخل بيته، أو لا أكلمه، فإذا لم ينفذ ما حلف عليه فإنه يحنث، ولكن إذا رأى أن الخير في الحنث يحنث، ولا يلج في يمينه، وهذا هو الأفضل له، فاليمين لا تمنع من فعل الخير، فيكفر عن يمينه، ويأكل طعامه، ويدخل بيته؛ لأن الولوج في اليمين يسبب العداوة والشحناء؛ ولهذا ثبت في الحديث عن النبي ﷺ قال: **«إني والله إن شاء الله لا أحلف على يمين فأرى غيرها خيرا منها إلا فعلت الذي هو خير، وكفرت عن يميني»**(١) وفي لفظ: **«إلا فعلت الذي هو خير، وتحللتها»**(٢) وسواء قدم الكفارة أو أخرها.

• [٤٢٢٥] ومن ذلك حديث الصديق رضي الله عنه؛ فعن عائشة: **«أن أباها كان لا يحنث في يمين، حتى أنزل الله كفارة اليمين، قال أبو بكر: لا أرى يمينا أرى غيرها خيرا منها إلا قبلت رخصة الله وفعلت الذي هو خير»** فهو يفعل كما قال النبي ﷺ، ويترصد خطا النبي ﷺ.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**باب قوله: ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَـٰنِكُمْ﴾** [المائدة: ٨٩] سقط **«باب قوله»** لغير أبي ذر، وفسرت عائشة لغو اليمين بما يجري على لسان المكلف من غير قصد، وقيل: هو الحلف على غلبة الظن، وقيل: في الغضب، وقيل: في المعصية، وفيه خلاف آخر سيأتي بيانه في الأيمان والنذور إن شاء الله تعالى. وقولها: **«لا والله، وبلى والله»** أي: كل واحد منهما إذا قالها لغو، فلو أن رجلًا قال الكلمتين معا فالأولى لغو، والثانية منعقدة؛ لأنها استدراك مقصودة، قاله الماوردي».

وهذا ليس ببعيد، والمراد أنه لا يجمع بينهما، إذا قال: لا والله، أو قال: بلى والله، أما أن يجمع بينهما يقول: لا والله بلى والله فمعناه أنه انتبه، فالأولى صارت لغوًا، والثانية عقد قلبه عليها، فكلام الماوردي ليس ببعيد.

والحلف على شيء مضى كذبًا هذه هي اليمين الغموس كأن يحلف أن فلانًا ما له عنده دين، وله عنده عشرة آلاف، وهذه ليس لها كفارة يمين، وهي التي تغمس صاحبها في الإثم، ثم تغمسه في النار.

❊ ❊ ❊

(١) أحمد (٤/ ٣٩٨)، والبخاري (٦٦٢٣)، ومسلم (١٦٤٩).
(٢) أحمد (٤/ ٤٠١)، والبخاري (٣١٣٣)، ومسلم (١٦٤٩).

المَتْنُ

[١١٥/ ٥٦] **باب قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾** [المائدة: ٨٧]

• [٤٢٢٦] حدثنا عمرو بن عون، قال: حدثنا خالد، عن إسماعيل، عن قيس، عن عبدالله رضي الله عنه قال: كنا نغزو مع رسول الله ﷺ وليس معنا نساء، فقلنا: ألا نختصي؟ فنهانا عن ذلك، فرخص لنا بعد ذلك أن نتزوج المرأة بالثوب، ثم قرأ: **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾**.

الشَّرْحُ

قوله: «**باب قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾**» **﴿وَلَا تَعْتَدُوٓا إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾** [المائدة: ٨٧] يعني: لا تتجاوزوا الحد.

• [٤٢٢٦] قوله: «**كنا نغزو مع رسول الله ﷺ وليس معنا نساء**» يعني اشتدت عليهم العزوبة؛ لأنهم سافروا مدة طويلة وليس معهم نساء.

قوله: «**فقلنا: ألا نختصي؟**» أي: حتى نقطع شدة الشهوة، والاختصاء يكون بقطع الخصيتين.

وقوله: «**فنهانا عن ذلك**» أي: نهاهم النبي ﷺ.

قوله: «**فرخص لنا بعد ذلك أن نتزوج المرأة بالثوب**» وهذا زواج المتعة، وهو أن يتزوج المرأة بالثوب، فيتفق معها على مدة يوم أو يومين أو أسبوع أو أسبوعين، ثم حرمها الله بعد ذلك يوم الفتح تحريمًا باتًّا، وقيل: إنها حرمت يوم خيبر، وقيل: إنها أبيحت، ثم حرمت، ثم أبيحت، ثم حرمت مرارًا.

قوله: «**ثم قرأ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تُحَرِّمُوا طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾** [المائدة: ٨٧]» وظاهر كلام ابن مسعود واستدلاله بالآية أن المتعة باقية؛ لأنه قال: «**رخص لنا النبي ﷺ بعد ذلك أن نتزوج المرأة بالثوب**»، وهذا عليه بعض السلف، والذي عليه الجمهور، وعامة الصحابة، وهو صريح النصوص الكثيرة أن المتعة حرمت إلى قيام الساعة، وبقي على ذلك الشيعة والرافضة فيرون المتعة باقية، والشيعة فرقة ضالة منحرفة ولا يؤتمن على خلافهم ولا على قولهم.

وقد ذكر الترمذي حديثا : أن رجلا أتى النبي ﷺ قال : يارسول الله إذا أكلت من هذا اللحم انتشرت ، وإني حرمت علي اللحم ؛ فنزلت هذه الآية : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾[1] .

وفي حديث ابن عباس أنها نزلت في ناس قالوا : نترك شهوات الدنيا ، ونسيح في الأرض ؛ فنزلت ، وقد تكون هذه الأسباب كلها سببًا في نزول الآية .

* * *

(١) الترمذي (٣٠٥٤) .

المتن

[١١٦/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ﴾ [المائدة: ٩٠]

وقد أعلموا القداح أعلاما لضُرُوب يستقسمون به، وفعلت منه: قسمت، والقسوم المصدر.

قال ابن عباس: الأزلام: القداح يقتسمون بها في الأمور.

النصب: أنصاب يذبحون عليها.

وقال غيره: الزَّلُم: القدح لا ريش له، وهو واحد الأزلام، والاستقسام: أن يجيل القداح؛ فإن نهته انتهى، وإن أمرته فعل ما تأمره.

يُجِيلُ: يُديرُ.

• [٤٢٢٧] حدثني إسحاق بن إبراهيم، قال: أخبرنا محمد بن بشر، قال: حدثنا عبدالعزيز بن عمر بن عبدالعزيز، قال: حدثني نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: نزل تحريم الخمر وإن بالمدينة يومئذ لخمسة أشربة، ما فيها شراب العنب.

• [٤٢٢٨] حدثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن علية، قال: حدثنا عبدالعزيز بن صهيب، قال: قال أنس بن مالك رضي الله عنه: ما كان لنا خمر غير فضيخكم هذا الذي تسمونه الفضيخ؛ فإني لقائم أسقي أبا طلحة وفلانا وفلانًا، إذ جاء رجل فقال: وهل بلغكم الخبر؟ فقالوا: وما ذاك؟ قال: حرمت الخمر، قالوا: أَهْرِق هذه القلال يا أنس، قال: فما سألوا عنها، ولا راجعوها بعد خبر الرجل.

• [٤٢٢٩] حدثنا صدقة بن الفضل، قال: أخبرنا ابن عيينة، عن عمرو، عن جابر قال: صَبَّحَ ناس غداة أحد الخمر فقتلوا من يومهم جميعًا شهداء، وذلك قبل تحريمها.

• [٤٢٣٠] حدثنا إسحاق بن إبراهيم الحنظلي، قال: أخبرنا عيسى وابن إدريس، عن أبي حيان، عن الشعبي، عن ابن عمر قال: سمعت عمر رضي الله عنه على منبر النبي ﷺ يقول: أما بعد، أيها الناس، إنه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة: من العنب، والتمر، والعسل، والحنطة، والشعير. والخمر ما خامر العقل.

الشرح

هذا تفسير قول الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ﴾ [المائدة: ٩٠] وهو أمر من الله تعالى باجتناب الخمر والميسر والأنصاب والأزلام وأنها رجس من عمل الشيطان.

قوله: **«وقد أعلموا القداح أعلامًا لضروب يستقسمون به، وفعلت منه: قسمت، والقسوم المصدر»**.

قوله: **«قال ابن عباس: الأزلام: القداح يقتسمون بها في الأمور»** هذا تفسير ابن عباس، يعني إذا حصل له أمر من سفر أو زواج أو مشاركة في شيء يقتسم بالأزلام.

قوله: **«النصب: أنصاب يذبحون عليها»** وهي حجارة يذبحون عليها للأصنام.

قوله: **«وقال غيره: الزلم: القدح لا ريش له وهو واحد الأزلام، والاستقسام: أن يجيل القداح؛ فإن نهته انتهى وإن أمرته فعل ما تأمره»** الاستقسام من استقسم على وزن استفعل من قسم، وهي ثلاثة أقداح عندهم في الجاهلية، مكتوب على أحدها: افعل، ومكتوب على الثاني: لا تفعل، والثالث غفل ليس به شيء، فإذا أراد سفرًا أو زواجًا أو مشاركة في عمل أو في تجارة أجال الأقداح، فإن خرج الذي فيه: افعل مضى، وإن خرج الذي فيه: لا تفعل أحجم ولم يمض، وإن خرج الغفل أجالها حتى يخرج أحدهما، فهذا معنى قوله: **«فإن نهته انتهى وإن أمرته فعل ما تأمره»** وهذا إذا لم يكن لأحدهم هوى؛ فإن كان له هوى وخرج افعل أجالها حتى يخرج ما يهوى، مثل ما فعل سراقة بن مالك بن جعشم لما لحق بالنبي ﷺ وأبي بكر يوم الهجرة وأقبل عليهم، أجال الأقداح فخرج الذي يكرهه؛ يقول: فعصيته، ومضى يجيل الأقداح فخرج: لا تفعل، يقول: فعصيته وذهبت.

وقد عوض الله المسلمين عن الاستقسام بالأزلام بصلاة الاستخارة، وكذلك الاستشارة والقرعة عوضًا عنها، يستشير الإنسان، ويستخير ربه، فيصلي ركعتين من غير الفريضة كما جاء في الحديث: **«إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين، ثم ليقل»** -يعني بعد السلام: **«اللهم إني أستخيرك بعلمك، وأستقدرك بقدرتك، وأسألك من فضلك العظيم، فإنك تعلم ولا أعلم، وتقدر ولا أقدر، وأنت علام الغيوب، اللهم إن كان هذا الأمر ويسميه»** زواج أو تجارة أو غير

ذلك **«خيرًا لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري ، أو قال : عاقبة أمري وآجله ، فقدره لي ويسره لي ، وإن علمت أن هذا الأمر شر لي في ديني ودنياي ومعاشي وعاقبة أمري ، أو قال : في عاجل أمري وآجله فاصرفه عني واصرفني عنه ، وقدر لي الخير حيث كان ، ثم رضني به»**(١) هذه هي صلاة الاستخارة ، ويكرر الاستخارة ، فإذا شرح صدره لأحد الأمرين ، أو الأمر الذي يستخير له فإنه يمضي ، وإلا يكرر الاستخارة ، ويستفتي أيضًا أهل الخبرة مع الاستخارة .

والاستخارة تكون من الشخص الذي يخصه الأمر ، فمثلًا إنسان يريد أن يزوج ابنته فتستخير هي ؛ لأنها هي التي ستتزوج ، ويستخير هو ؛ لأنه وليها .

وهناك أيضا القرعة ، وتكون في الأشياء المتساوية ، فإذا كانت هناك أشياء متساوية ، وقسمة بين أشخاص متقاربة ، فإنهم يجعلون القرعة ، وصورتها معروفة .

والاستشارة والاستخارة تكونان في الأمور المشكلة التي لم تتبين والأمور التي لم يحسمها الشرع ، أما الأمر الواضح الذي ليس فيه إشكال ، والأمر الذي حسمه الشرع فلا يستشير الإنسان فيه ولا يستخير ، فلا يستشير ولا يستخير مثلًا في هل يصلي الصلوات الخمس أو لا يصلي؟ أو هل يصوم رمضان أم لا؟ أو هل يزكي أم لا؟ ، أو هل يحج أم لا؟ إلا إذا كان طريقًا مخوِّفًا فيستشير ويستخير بالنسبة للطريق ، فهذه أمور واضحة حسمها الشرع فلا استخارة فيها ولا استشارة .

قوله : **«يجيل»** يعني : **«يدير»** .

• **[٤٢٢٧]** قوله : **«نزل تحريم الخمر وإن بالمدينة يومئذ لخمسة أشربة ، ما فيها شراب العنب»** يعني أن الخمر لا يختص بماء العنب ، فهناك خمسة أنواع غيرها .

• **[٤٢٢٨]** قوله : **«ما كان لنا خمر غير فضيخكم هذا الذي تسمونه الفضيخ»** ؛ الفضيخ فضيخ التمر وهو المريس ، يفضخ التمر ويصب عليه الماء ويترك حتى يصير خمرا ، وفيه الرد على من قال : إن الخمر لا يصير إلا من العنب ، فأنس يقول : ما لنا إلا فضيخ التمر ، ومع ذلك صار مسكرًا ، وصار محرمًا .

---

(١) أحمد (٣/ ٣٤٤) ، والبخاري (٧٣٩٠) .

قوله : «**فإني لقائم أسقي أبا طلحة**» وأبو طلحة هو زوج أم أنس .

قوله : «**وفلانًا وفلانًا ، إذ جاء رجل فقال : وهل بلغكم الخبر؟ فقالوا : وما ذاك؟ قال : حرمت الخمر ، قالوا :**» أي : لأنس وهو صغير «**أهرق هذه القلال يا أنس ، قال : فما سألوا عنها ، ولا راجعوها بعد خبر الرجل**» فيه سرعة امتثال الصحابة للأمر ، وانتهاؤهم عن النهي بدون مراجعة ، فبمجرد ما سمعوا صوت المنادي ينهى عن الخمر قالوا : أهرقوها ، وفيه فضل الصحابة ، وهذا هو الفرق بين الصحابة وغيرهم ، لا يمانعون ، ولا يتأخرون .

وفيه دليل على قبول خبر الواحد والرد على من أنكره وطعن فيه من المعتزلة والأشاعرة وغيرهم ، لما سمعوا صوت الرجل قبلوا الخبر ، وأدلة خبر الواحد كثيرة ، والصواب أن خبر الواحد يقبل في العقائد ، وفي الأعمال ، وفي كل شيء ، وقد بوب البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ كما سيأتي : «**باب في قبول الخبر الواحد وذكر أدلة في هذا**» .

• [٤٢٢٩] قوله : «**صبح ناس غداة أحد الخمر ، فقتلوا من يومهم جميعًا شهداء ، وذلك قبل تحريمها**» ولا يضرهم ذلك ؛ لأنها كانت حلالًا في حياتهم ، وقد جاء في سبب نزول هذه الآية : ﴿**لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟**﴾ [المائدة : ٩٣] ، أنها نزلت لما نزل تحريم الخمر ، فقال أناس من الصحابة : كيف حال الذين ماتوا أو قتلوا وفي بطونهم؟ فأنزل الله تعالى : ﴿**لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟ إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ**﴾ أي : ليس عليهم جناح فيما طعموا قبل أن تحرم .

• [٤٢٣٠] قوله : «**أيها الناس ، إنه نزل تحريم الخمر وهي من خمسة : من العنب ، والتمر ، والعسل ، والحنطة ، والشعير**» هذه الخمسة هي الموجودة في المدينة : فالعنب يعصر ، ثم يبقى في شدة الحر ، فإذا كان اليوم الثالث صار خمرًا ؛ ولهذا كان النبي يأمر بالنبيذ فينتبذ له ، فيشربه اليوم والغد ، وفي اليوم الثالث إما أن يهرقه ، أو يسقيه لخادمه[١] ، وكذلك التمر يصب عليه الماء ، ويسمى المريس ، يشربونه حتى يكون الماء محلى ، ويشربون يومًا ويومين ، وفي الثالث يتخمر من شدة الحر ، وهذا في الغالب ؛ فلم يكن عندهم ثلاجات ، أما

---

(١) أحمد (١/ ٢٣٢) ، ومسلم (٢٠٠٤) .

لو وضع في ثلاجة فلا يضر، وكذلك العسل والحنطة والشعير، هذه الخمس هي الموجودة في المدينة في زمن النبي ﷺ، وفي زمن عمر؛ ولهذا قال عمر: **«إنه نزل تحريم الخمر، وهي من خمسة»**، وليس المراد الحصر، وإنما المراد أن هذه الخمسة هي الموجودة في زمانهم.

قوله: **«والخمر ما خامر العقل»** يعني أنه ليس مخصوصا بهذه الأشياء، فالخمر كل مسكر يغطي العقل؛ سواء من هذه الخمسة، أو من غيرها، وسواء كان مأكولًا أو مشروبًا أو مشمومًا؛ فبعض الناس يشم أشياء ثم يسكر، أو يتناول حبوبًا على شكل أقراص؛ ولهذا قال عمر: **«والخمر ما خامر العقل»** أخذه من حديث: **«كل مسكر خمر، وكل خمر حرام»**(١).

وفيه الرد على من قال: بأن الخمر لا تكون إلا من عصير العنب كالأحناف(٢)؛ ولهذا قال في الحديث الأول: **«نزل تحريم الخمر وإن بالمدينة يومئذ لخمسة أشربة»**، وهي التي ذكرها عمر: **«العنب، والتمر، والعسل، والحنطة، والشعير»** ولكن باستثناء العنب.

ويظهر هنا تعارض بين هذا الحديث وحديث ابن عمر في أول الباب؛ حيث قال عمر رضي الله عنه: **«نزل تحريم الخمر وهي من خمسة»** وذكر منها العنب، وحديث ابن عمر في أول الباب **«نزل تحريم الخمر وإن بالمدينة يومئذ لخمسة أشربة، ما فيها شراب العنب»**.

والجواب أنه قد يصنع الخمر من أي نوع من أنواع الخضار، يعصر ويصير خمرًا، وفي حديث عبادة قال: **«البر بالبر والشعير بالشعير والتمر بالتمر والملح بالملح»**(٣) فهذه أطعمة الصحابة، وقد ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله أن قول ابن عمر: **«ما فيها شراب العنب»** قال: «يريد بذلك أن الخمر لا يختص بماء العنب» خلافا للأحناف(٢) الذين يرون أن الخمر لا تكون إلا من العنب.

***

(١) أحمد (٢/ ٢٩)، ومسلم (٢٠٠٣).
(٢) انظر «بدائع الصنائع» (٥/ ١١٢).
(٣) أحمد (٥/ ٣٢٠)، ومسلم (١٥٨٧).

المتن

[١١٧/ ٥٦] باب ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ الآية [المائدة: ٩٣]

• [٤٢٣١] حدثنا أبو النعمان، قال: حدثنا حماد بن زيد، قال: حدثنا ثابت، عن أنس ﷺ: أن الخمر التي أهريقت الفضيخ. وزادني محمد البيكندي، عن أبي النعمان قال: كنت ساقي القوم في منزل أبي طلحة، فنزل تحريم الخمر، فأمر مناديًا فنادى، فقال أبو طلحة: اخرج فانظر ما هذا الصوت؟ قال: فخرجت فقلت: هذا منادي ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت، فقال لي: اذهب فَأَهْرِقْهَا، قال: فجرت في سكك المدينة، قال: وكانت خمرهم يومئذ الفضيخ، فقال بعض القوم: قتل قوم وهي في بطونهم، قال: فأنزل الله ﷻ: ﴿**لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟**﴾.

الشرح

• [٤٢٣١] في هذا الحديث أنه لما قتل قوم شهداء يوم أحد، والخمر في بطونهم أنزل الله هذه الآية ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ فِيمَا طَعِمُوٓا۟﴾ أي: في الوقت الذي لم تحرم فيه ﴿إِذَا مَا ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّءَامَنُوا۟ ثُمَّ ٱتَّقَوا۟ وَّأَحْسَنُوا۟ ۗ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [المائدة: ٩٣] وذلك رفعًا للحرج عنهم، فلا لوم عليهم.

قوله: «**أن الخمر التي أهريقت الفضيخ**» وهذا في الغالب، أن الخمر تصنع من الفضيخ أي: من التمر، وفيه الرد على من قال: إنه خاص بماء العنب.

قوله: «**فأمر مناديا فنادى، فقال أبو طلحة: اخرج فانظر ما هذا الصوت؟ قال: فخرجت فقلت: هذا منادي، ينادي: ألا إن الخمر قد حرمت، فقال لي: اذهب فأهرقها**» فلما سمعوا الصوت أهرقوها، وفيه سرعة امتثال الصحابة للأمر ﷺ.

قوله: «**فجرت في سكك المدينة**» استُدل به على أن الخمر ليست نجسة؛ لأن قوله: «**فجرت في سكك المدينة**» يعني أنها تجري في الشوارع، والشوارع ضيقة، والناس يطئونها بأرجلهم، ويذهبون يصلون، وليس لهم نعال، فلو كانت نجسة لأمرهم النبي ﷺ بغسل أرجلهم؛ فدل على أنها ليست نجسة، والجمهور على أن الخمر نجسة.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «قوله : **«فأمر مناديا»** الآمر بذلك هو النبي ﷺ، والمنادىٰ لم أر التصريح باسمه، والوقت الذي وقع ذلك فيه زعم الواحدي أنه عقب قول حمزة : إنما أنتم عبيد لأبي، وحديث جابر يرد عليه، والذي يظهر أن تحريمها كان عام الفتح سنة ثمان؛ لما روىٰ أحمد من طريق عبد الرحمن بن وعلة قال : سألت ابن عباس عن بيع الخمر، فقال : كان لرسول الله ﷺ صديق من ثقيف أو دوس، فلقيه يوم الفتح براوية خمر يهديها إليه، فقال : **«يا فلان أما علمت أن الله حرمها»** فأقبل الرجل على غلامه، فقال : بعها فقال : **«إن الذي حرم شربها حرم بيعها»**[1].

وأخرجه مسلم من وجه آخر عن أبي وعلة نحوه[2]، لكن ليس فيه تعيين الوقت، وروىٰ أحمد من طريق نافع ابن كيسان الثقفي عن أبيه : أنه كان يتجر في الخمر، وأنه أقبل من الشام، فقال : يا رسول الله إني جئتك بشراب جيد، فقال : **«يا كيسان إنها حرمت بعدك»** قال : فأبيعها قال : «إنها حرمت وحرم ثمنها»[3].

وروىٰ أحمد وأبو يعلىٰ من حديث تميم الداري : أنه كان يهدي لرسول الله ﷺ كل عام راوية خمر فلما كان عام حرمت جاء براوية فقال : **«أشعرت أنها قد حرمت بعدك»** قال : أفلا أبيعها وأنتفع بثمنها فنهاه[4] ويستفاد من حديث كيسان تسمية المبهم في حديث ابن عباس، ومن حديث تميم تأييد الوقت المذكور، فإن إسلام تميم كان بعد الفتح، وقوله : **«فقال بعض القوم قتل قوم وهي في بطونهم فأنزل الله تعالىٰ»** . . إلخ، لم أقف على اسم القائل» .

ثم قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وروىٰ النسائي والبيهقي من طريق ابن عباس قال : نزل تحريم الخمر في ناس شربوا فلما ثملوا عبثوا» يعني : لما سكروا صار بعضهم يضرب بعضا وهم لا يشعرون .

ثم قال الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «فلما صحوا جعل بعضهم يرىٰ الأثر بوجه الآخر فنزلت، فقال ناس من المتكلفين : هي رجس، وهي في بطن فلان، وقد قتل بأحد؛ فنزلت : ﴿لَيْسَ عَلَى ٱلَّذِينَ

---

(١) أحمد (١/ ٢٤٤) .

(٢) مسلم (١٥٧٩) .

(٣) أحمد (٤/ ٣٣٥) .

(٤) أحمد (٤/ ٢٢٧) .

ءَامَنُوا وَعَمِلُوا ٱلصَّٰلِحَٰتِ جُنَاحٌ﴾ [المائدة: ٩٣] إلى آخرها[١]، وروى البزار من حديث جابر أن الذين قالوا ذلك كانوا من اليهود، وروى أصحاب السنن من طريق أبي ميسرة عن عمر أنه قال: اللهم بين لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فنزلت الآية التي في البقرة: ﴿قُلْ فِيهِمَآ إِثْمٌ كَبِيرٌ﴾ [البقرة: ٢١٩] فقرئت عليه، فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فنزلت التي في النساء: ﴿لَا تَقْرَبُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ﴾ [النساء: ٤٣] فقرئت عليه فقال: اللهم بين لنا في الخمر بيانًا شافيًا، فنزلت التي في المائدة: ﴿فَٱجْتَنِبُوهُ﴾ [المائدة: ٩٠] إلى قوله: ﴿مُّنتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١] فقال عمر: انتهينا انتهينا وصححه علي بن المديني والترمذي»[٢].

وسورة المائدة من آخر ما نزل، وهذا يؤيد أن تحريمها متأخر؛ وذلك لأن الخمر كانت متمكنة من نفوسهم، وألفوها في الجاهلية؛ ولهذا جاء التحريم على التدريج: نزلت آية البقرة، ثم آية النساء، ثم آية المائدة، حتى قالوا: انتهينا انتهينا.

واستدل بالآية على عدم مشروعية تخليل الخمر بأن تجعل خلًّا؛ لأنه لو جاز لما أمرهم النبي ﷺ أن يريقوها، ولو تخللت طهرت.

وفيه قبول خبر الواحد، وهذا واضح، والعمل به في النسخ وفي غيره، فإنهم لما سمعوا الصوت قالوا: انتهينا انتهينا، وهذا نسخ الإباحة بالتحريم ومع ذلك قبلوه.

ومن المسائل الحادثة مسألة العطور الكحولية، والأولى التورع عنها؛ لقول النبي ﷺ: «**دع ما يريبك إلى ما لا يريبك**»[٣]، فهذا الكحول يستخدم في مداواة الجروح؛ قال الشيخ محمد الأمين الشنقيطي: «كيف يليق لمسلم يذهب إلى صلاة الجمعة وقد تضمخ بما يسمى بالكلونيا؟!»، لكن إذا كان بنسبة ضئيلة مغمورة فلا بأس، أما بنسبة سبعين أو ثمانين فلا يجوز.

***

---

(١) النسائي في «الكبرى» (٦/ ٣٣٧)، والبيهقي في «الكبرى» (٨/ ٢٨٥).
(٢) أحمد (١/ ٥٣)، وأبو داود (٣٦٧٠)، والترمذي (٣٠٤٩)، والنسائي (٥٥٤٠).
(٣) أحمد (١/ ٢٠٠)، والترمذي (٢٥١٨)، والنسائي (٥٧١١).

المتن

[١١٨/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾ [المائدة: ١٠١]

• [٤٢٣٢] حدثني منذر بن الوليد بن عبدالرحمن الجارودي، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا شعبة، عن موسى بن أنس، عن أنس رضي الله عنه قال: خطب رسول الله ﷺ خطبة ما سمعت مثلها قط؛ قال: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا**»، قال: فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم لهم حنين، فقال رجل: من أبي؟ قال: فلان، فنزلت هذه الآية: ﴿لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾.

رواه النضر وروح بن عبادة، عن شعبة.

• [٤٢٣٣] حدثني الفضل بن سهل، قال: حدثنا أبو النضر، قال: حدثنا أبو خيثمة، قال: حدثنا أبو الجويرية، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء: فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل الله ﷻ فيهم هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ﴾، حتى فرغ من الآية كلها.

الشرح

• [٤٢٣٢] ذكر المؤلف رحمه الله وهو حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، وفيه أن النبي ﷺ خطب خطبة قال: «**ما سمعت مثلها قط**».

قوله: «**لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلًا ولبكيتم كثيرًا، قال: فغطى أصحاب رسول الله ﷺ وجوههم لهم حنين**» حنين بالحاء المهملة، وروي بالخاء المعجمة: «**خنين**»[1] فأما الحنين بالحاء المهملة: فهو الصوت الذي يخرج من الصدر، وأما الخنين بالخاء المعجمة: فهو الصوت الذي يكون من طرف الأنف ويكون دون الانتحاب، والمراد أنهم يبكون.

وكان أنس رضي الله عنه صغيرًا - سنه عشر سنوات - فقال: نظرت إلى الصحابة وقد لف كل واحد وجهه بثوبه يبكون؛ خوفًا من أن ينزل شيء؛ وذلك أن النبي ﷺ كان مغضبًا فجلس على

---

(١) البخاري (٤٦٢١)، ومسلم (٢٣٥٩).

المنبر عليه الصلاة والسلام، وقال لهم: **«لا تسألوني في مكاني هذا شيئًا إلا أنبأتكم به»**(١) أغضبوه فأوحي إليه أنهم لا يسألونك في هذا الوقت عن شيء إلا أجبتهم.

قوله: **«فقال رجل: من أبي؟ قال: أبوك فلان»** أبهمه في هذه الرواية، وكان هذا الرجل يلاحى، وكان الرجل عند الملاحاة ينسب إلى غير أبيه، فأراد أن يعلم من أبوه، وفي اللفظ الآخر قال: **«من أبي يا رسول الله؟ فقال: أبوك حذافة»**(٢) فاطمأن أن نسبته إلى أبيه صحيحة.

وجاء فيه أن أمه عاتبته، وقالت: يا فلان ما رأيت ولدًا أعق منك، كيف تسأل النبي ﷺ عن هذا؟! أما تخشى أن تكون أمك قد قارفت ما يقارفه أهل الجاهلية فينسبك إلى غير أبيك فتفضح أمك أبد الدهر، قال: والله لو نسبني إلى كذا أو إلى كذا لانتسبت إليه.

• [٤٢٣٣] ثم ذكر رَحِمَهُ اللَّهُ حديث عبدالله بن عباس وفيه أن قومًا كانوا يسألون النبي ﷺ استهزاء **«فيقول الرجل: من أبي؟ ويقول الرجل تضل ناقته: أين ناقتي؟ فأنزل الله ﷻ فيهم هذه الآية»** وقد جاء هذا الحديث في معنى هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾ [المائدة: ١٠١].

وفيها النهي عن السؤال الذي لم يقع وتقع المساءة به، فلا ينبغي للإنسان أن يسأل عن فرضيات وأشياء لم تقع، كأن يقول مثلا: إذا حصل كذا فما حكمه؟ فالمشروع هو أن تسأل عما تحتاج إليه أما الشيء الذي لا تحتاج إليه فلا تسأل عنه، ولا سيما الأشياء التي لم تقع حتى لا يسوءه الجواب، وجاء في رواية أخرى: أن عمر رضي الله عنه جاء وبرك على ركبتيه، وقال: رضينا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولًا، حتى سكن غضبه عليه الصلاة والسلام(٣).

قال بعض العلماء: إن النهي عن الأسئلة التي لم تقع مطلقًا، ومنهم من قيدها بالأسئلة التي تقع المساءة في جوابها، أو الأسئلة التي لا حاجة لها؛ أما الأسئلة التي تتعلق بأمور دينه كالطهارة فلا إساءة فيها.

---

(١) أحمد (٣/ ٢٥٤)، والبخاري (٧٢٩٤)، ومسلم (٢٣٥٩).
(٢) البخاري (٩٢).
(٣) أحمد (٣/ ١٠٧)، والبخاري (٥٤٠)، ومسلم (٢٣٥٩).

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «**باب قوله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾**[المائدة : ١٠١] سقط «**باب قوله**» لغير أبي ذر ، وقد تعلق بهذا النهي من كره السؤال عما لم يقع ، وقد أسنده الدارمي في مقدمة كتابه عن جماعة من الصحابة والتابعين .

وقال ابن العربي : اعتقد قوم من الغافلين منع أسئلة النوازل حتى تقع تعلقًا بهذه الآية وليس كذلك ؛ لأنها مصرحة بأن المنهي عنه ما تقع المساءة في جوابه ومسائل النوازل ليست كذلك وهو كما قال إلا أنه أساء في قوله : الغافلين على عادته كما نبه عليه القرطبي ، وقد روى مسلم عن سعد بن أبي وقاص رفعه : «**أعظم المسلمين بالمسلمين جرمًا من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته**»[1] ، وهذا يبين المراد من الآية وليس مما أشار إليه ابن العربي في شيء» .

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «ووقع في الفتن من طريق قتادة عن أنس في آخر هذا الحديث بعد أن ساقه مطولًا قال : فكان قتادة يذكر هذا الحديث عند هذه الآية : **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ﴾** [المائدة : ١٠١] ، وروى ابن أبي حاتم من وجه آخر عن قتادة عن أنس قال : «**سألوا رسول الله ﷺ حتى أحفوه بالمسألة فصعد المنبر**»[2]» .

فالمراد أنهم أغضبوه وألحوا عليه في الأسئلة وآذوه فصعد المنبر ﷺ وهو غاضب ؛ فأوحى الله إليه أنه لا يسأل عن شيء إلا أجابهم ، فكل سؤال سألوه أجابهم وهو مغضب عليه الصلاة والسلام ؛ فعرف ذلك عمر رضي الله عنه فبرك على ركبتيه وقال عائذًا بالله من الفتن : رضينا بالله ربًّا وبالإسلام دينًا ، حتى سكن غضبه عليه الصلاة والسلام .

وقد أشار إلى ذلك الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال : «فصعد المنبر فقال : «**لا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به ، فجعلت ألتفت عن يمين وشمال فإذا كل رجل لاف ثوبه برأسه يبكي**»[3] الحديث .

وفيه قصة عبد الله بن حذافة وقول عمر .

---

(١) البخاري (٧٢٨٩) ، ومسلم (٢٣٥٨) .

(٢) أحمد (٣/ ١٧٧) ، والبخاري (٧٠٩١) ، ومسلم (٢٣٥٩) .

(٣) أحمد (٣/ ١٠٧) ، والبخاري (٦٣٦٢) ، ومسلم (٢٣٥٩) .

روىٰ الطبري من طريق أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «خرج رسول الله ﷺ غضبان محمار وجهه حتىٰ جلس على المنبر فقام إليه رجل فقال: أين أبي؟ قال: «**في النار**»[(١)]».

فهذا من الأسئلة التي يقع المساءة في جوابها فهو ليس بحاجة إلىٰ هذا السؤال.

ثم قال الحافظ رحمه الله: «**«فقام آخر فقال: من أبي؟ فقال: حذافة»** فقام عمر فذكر كلامه، وزاد فيه: **«وبالقرآن إمامًا»**».

يعني: **«رضينا بالله ربًا وبالإسلام دينًا وبمحمد ﷺ نبيًا وبالقرآن إمامًا»**.

ثم قال الحافظ رحمه الله: «قال: **«فسكن غضبه ونزلت هذه الآية»**[(٢)] وهذا شاهد جيد لحديث موسىٰ بن أنس المذكور. وأما ما روىٰ الترمذي من حديث علي قال: **«لما نزلت ﴿وَلِلَّهِ عَلَى ٱلنَّاسِ حِجُّ ٱلْبَيْتِ﴾** [آل عمران: ٩٧] **قالوا: يا رسول الله في كل عام؟ فسكت ثم قالوا: يا رسول الله في كل عام؟ فقال: لا، ولو قلت: نعم لوجبت؛ فأنزل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَسْـَٔلُوا۟﴾** [المائدة: ١٠١]»[(٣)] فهذا لا ينافي حديث أبي هريرة؛ لاحتمال أن تكون نزلت في الأمرين، ولعل مراجعتهم له في ذلك هي سبب غضبه».

ثم قال الحافظ رحمه الله: «قوله: **«عن ابن عباس»** في رواية ابن أبي حاتم من طريق أبي النضر عن أبي خيثمة: حدثنا أبو الجويرية سمعت أعرابيًا من بني سليم سأله يعني: ابن عباس.

قوله: **«كان قوم يسألون رسول الله ﷺ استهزاء»** قد تقدم طريق الجمع بينه وبين الذي قبله؛ والحاصل أنها نزلت بسبب كثرة المسائل؛ إما علىٰ سبيل الاستهزاء أو الامتحان، وإما علىٰ سبيل التعنت عن الشيء الذي لو لم يسأل عنه لكان على الإباحة».

❊ ❊ ❊

(١) «تفسير الطبري» (٧/ ٨١، ٨٢).
(٢) أحمد (٣/ ٢٠٦)، و«تفسير الطبري» (٧/ ٨١، ٨٢).
(٣) أحمد (١/ ١١٣)، والترمذي (٨١٤)، وابن ماجه (٢٨٨٤).

المتن

[١١٩/ ٥٦] باب

﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ﴾ [المائدة: ١٠٣]

قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ١١٦]

يقول: قال الله، وإذ هاهنا صلة، المائدة أصلها مفعولة؛ كعيشة راضية، وتطليقة بائنة، والمعنى: ميد بها صاحبها من خير، يقال: مادني يميدني.

وقال ابن عباس: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾ [آل عمران: ٥٥]: **مميتك**.

• [٤٢٣٤] حدثنا موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا إبراهيم بن سعد، عن صالح بن كيسان، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب قال: البحيرة: التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس، والسائبة: كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء، قال: وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «**رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار؛ كان أول من سيب السوائب**». والوصيلة: الناقة البكر تُبْكِر في أول نتاج الإبل، ثم تُثَنِّي بعد بأنثى، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر، والحام: فحل الإبل يضرب الضراب المعدود، فإذا قضى ضرابه وَدَعُوه للطواغيت وأعفوه من الحمل فلم يحمل عليه شيء وسموه: الحام.

رواه ابن الهاد، عن ابن شهاب، عن سعيد، عن أبي هريرة رضي الله عنه، سمعت النبي ﷺ.

• [٤٢٣٥] وقال لي أبو اليمان: أخبرنا شعيب، عن الزهري، سمعت سعيدًا قال: بحيرة بهذا، قال: وقال أبو هريرة: سمعت النبي ﷺ نحوه.

• [٤٢٣٦] حدثني محمد بن أبي يعقوب أبو عبدالله الكرماني، قال: حدثنا حسان بن إبراهيم، قال: حدثنا يونس، عن الزهري، عن عروة، أن عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**رأيت جهنم يحطم بعضها بعضًا، ورأيت عمرا يجر قصبه، وهو أول من سيب السوائب**».

الشَّرْحُ

قوله تعالى: ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [المائدة: ١٠٣] هذا فيه بيان ما عليه أهل الجاهلية من الأعمال الشنيعة التي تخالف الشرع من البحيرة والسائبة والوصيلة والحام.

والمراد أن الله ما أباحها ولا شرع هذه الأعمال التي يعملونها؛ من أنهم يجعلون البحيرة لأناس، ويحلون الميتة، ويسيبون الحامي، ويجعلون الأنثى إذا أردفت بأنثى قالوا: وصيلة، كل هذا من عند أنفسهم، والله تعالى لم يشرع لهم ذلك.

قوله: «**قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: ١١٦]**» فسرها فقال: «**يقول: قال الله**».

قوله: «**وإِذْ هاهنا صلة**» يعني صلة زائدة للتأكيد، هذا قول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ وجماعة؛ والصواب أنها ظرف بمعنى حين، ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى﴾ [المائدة: ١١٦] يعني واذكر حين قال الله.

قوله: «**المائدة أصلها مفعولة كعيشة راضية وتطليقة بائنة، والمعنى: ميد بها صاحبها من خير**» يعني: فعل بها الميد، وهو: التحرك؛ قال تعالى: ﴿وَأَلْقَىٰ فِى ٱلْأَرْضِ رَوَٰسِىَ أَن تَمِيدَ بِكُمْ﴾ [النحل: ١٥].

وقوله: «**يقال: مادني يميدني**» مثل عيشة راضية يعني مرضية بمعنى مفعولة.

وقوله: «**وقال ابن عباس: ﴿مُتَوَفِّيكَ﴾**» فسرها وقال: «**مميتك**» هذه الآية في سورة آل عمران؛ قال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ [آل عمران: ٥٥] أتى بها؛ إما لأنها انتقال نظر أو لأنها مشابهة لأول الآيتين اللتين في سورة المائدة؛ وهي قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [المائدة: ١١٠]، وقوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ﴾ [المائدة: ١١٦].

والصواب أن قوله: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى﴾ [المائدة: ١١٧] هي المشابهة لآية: ﴿إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾.

• [٤٢٣٤] قوله : «**عن سعيد بن المسيب قال**» فهو موقوف عليه .

قوله : «**البحيرة : التي يمنع درها للطواغيت فلا يحلبها أحد من الناس**» يعني : البهيمة من الإبل أو البقر أو الغنم يمنعون حليبها للطواغيت ، فلا يحلبها أحد من الناس ؛ قال تعالى : ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ﴾ [المائدة : ١٠٣] ففسرها بالتي يمنع درها للطواغيت .

وقوله : «**والسائبة : كانوا يسيبونها لآلهتهم لا يحمل عليها شيء**» سميت سائبة ؛ لأنها متروكة للأصنام فلا يحملون عليها شيئًا .

وقوله : «**قال : وقال أبو هريرة قال رسول الله ﷺ : رأيت عمرو بن عامر الخزاعي يجر قصبه في النار**» «**قصبه**» بضم القاف وإسكان الصاد أي : أمعاؤه ومصرانه .

فقال ذاكرًا سبب عقوبته : «**كان أول من سيب السوائب**» أي أن أول من سيب السوائب للطواغيت هو عمرو بن لحي الخزاعي ، وهو الذي جلب الأصنام لبلاد العرب من الشام ، وكان رئيسًا مطاعًا في مكة .

قوله : «**والوصيلة : الناقة البكر تُبْكِر في أول نتاج الإبل ، ثم تُثَنِّي بعد بأنثى ، وكانوا يسيبونها لطواغيتهم إن وصلت إحداهما بالأخرى ليس بينهما ذكر**» إذا أتت الناقة البكر أو البقرة بأنثى ثم جاءت بعدها بأنثى سيبوها لطواغيتهم قالوا : وصلت إحداهما بالأخرى ، وصلت أختها ، وإذا كان ذكرًا يقال : وصلت أخاها ؛ فيتركونها للأصنام .

قوله : «**والحام فحل الإبل يضرب الضراب المعدود ، فإذا قضى ضرابه وَدَعُوه**» يعني : تركوه «**للطواغيت وأعفوه من الحمل فلم يحمل عليه شيء وسموه : الحام**» وهذا من جهلهم وفساد عقولهم وشركهم .

قوله : «**رواه ابن الهاد ، عن ابن شهاب ، عن سعيد ، عن أبي هريرة رضي الله عنه سمعت النبي ﷺ**» هذا طريق آخر للحديث .

• [٤٢٣٥] قوله : «**وقال لي أبو اليمان**» هذا إذا رواه في المذاكرة أو في المداخلة بينهم ؛ ولهذا لم يقل : حدثني .

قوله : «**أخبرنا شعيب ، عن الزهري ، سمعت سعيدًا قال : بحيرة بهذا**» ، وفي لفظ : «**يخبره بهذا**»[(١)] «**قال : وقال أبو هريرة : سمعت النبي ﷺ نحوه**» أي كالحديث السابق .

• [٤٢٣٦] ثم ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ حديث عائشة رضي الله عنها «**قالت : قال رسول الله ﷺ : رأيت جهنم يحطم بعضها بعضًا ، ورأيت عمرًا**» يعني : عمرو بن لحي الخزاعي .

قوله : «**يجر قصبه**» بضم القاف وإسكان الصاد أي : أمعاؤه ومصرانه في النار .

قوله : «**وهو أول من سيب السوائب**» وهذا يحتمل أنه رآه ليلة المعراج عليه الصلاة والسلام ، أو أنه رآه ليلة صلى بالناس الكسوف كشف له عن النار ، فقال ﷺ : «**عرضت علي الجنة والنار في عرض هذا الحائط**»[(٢)] أي : مثلت له . قال : «**فرأيت جهنم يحطم بعضها بعضًا ، ورأيت الجنة ، ورأيت كأني أتناول عنقودًا**»[(٣)] فيحتمل أنه رأى هذه الرؤيا ليلة المعراج ؛ فإنه قال : «**اطلعت في الجنة**»[(٤)] أو أنه رآه في يوم الكسوف ؛ حيث رأى الجنة والنار قال : «**رأيت الجنة والنار**»[(٥)] . وقد أورده المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في «**الكسوف**» في : «**أبواب العمل في الصلاة**» قال : «**لقد رأيت في مقامي هذا**»[(٦)] أشار إلى أنه في الكسوف .

فالكافر يعذب في البرزخ ، وهذا مثل ما جاء في حديث الرؤيا الطويل : «**أنه رأى رجلًا يثلغ رأسه ، ورجلًا يلقم الحجارة ، والزناة رآهم إذا أتاهم لهب ضوضوا**»[(٧)] ومثل قوله تعالى : ﴿ٱلنَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوًّا وَعَشِيًّا﴾ وهم آل فرعون ، ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ أَدْخِلُوٓاْ ءَالَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر : ٤٦] فهم يعذبون في البرزخ ، ويوم القيامة إذا بعثوا عذبوا أيضًا .

---

(١) البخاري (٤٦٢٣) .
(٢) أحمد (٣/ ١٦٢) ، والبخاري (٥٤٠) ، ومسلم (٢٣٥٩) .
(٣) أحمد (١/ ٢٩٨) ، والبخاري (٤٦٢٤) ، ومسلم (٩٠١) .
(٤) أحمد (١/ ٣٥٩) ، والبخاري (٣٢٤١) ، ومسلم (٢٧٣٧) .
(٥) أحمد (٣/ ٢١٨) ، ومسلم (٤٢٦) .
(٦) أحمد (٦/ ٣٤٥) ، والبخاري (١٢١٢) ، ومسلم (٩٠١) .
(٧) أحمد (٥/ ٨) ، والبخاري (٧٠٤٧) .

فالمؤمن إذا مات نقلت روحه في الجنة تنعم ولها صلة بالجسد، والكافر إذا مات نقلت روحه في النار تعذب ولها صلة بالجسد، كما جاء في الحديث الصحيح قال: **«نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم يبعث»**(١).

والشهداء قال النبي ﷺ فيهم: **«إن أرواحهم في حواصل طير خضر تسرح في الجنة ترد أنهارها، وتأكل من ثمارها، وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش»**(٢) فأرواح المؤمنين تتنعم في الجنة، وأرواح الكافرين تعذب في النار.

* * *

(١) أحمد (٣/ ٤٥٥)، والنسائي (٢٠٧٣)، وابن ماجه (٤٢٧١).
(٢) أحمد (١/ ٢٦٥)، والترمذي (٣٠١١)، وابن ماجه (٢٨٠١).

المَتْنُ

[١٢٠/ ٥٦] ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ الآية [المائدة: ١١٧]

• [٤٢٣٧] حدثنا أبو الوليد، قال: حدثنا شعبة، قال: أخبرنا المغيرة بن النعمان، قال: سمعت سعيد بن جبير، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: خطب رسول الله ﷺ فقال: «**يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة غرلا**»، ثم قال: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] إلى آخر الآية، ثم قال: «**ألا وإن أول الخلائق يكسى يوم القيامة إبراهيم، ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصيحابي، فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِى كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ﴾، فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين على أعقابهم مُذْ فارقتهم**».

الشَّرْحُ

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ءَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِى وَأُمِّىَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ ٱللَّهِ ۖ قَالَ سُبْحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِىٓ أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِى بِحَقٍّ ۚ إِن كُنتُ قُلْتُهُۥ فَقَدْ عَلِمْتَهُۥ ۚ تَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِى وَلَآ أَعْلَمُ مَا فِى نَفْسِكَ ۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ۝ مَا قُلْتُ لَهُمْ إِلَّا مَآ أَمَرْتَنِى بِهِۦٓ أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ﴾ [المائدة: ١١٦، ١١٧] **هذا قول عيسى عليه السلام**.

قوله: «﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ الآية [المائدة: ١١٧]» **يعني: على بني إسرائيل**.

• [٤٢٣٧] **ذكر المؤلف رحمه الله حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وفيه قوله: «يا أيها الناس إنكم محشورون إلى الله حفاة غرلًا»**.

قوله: «**حفاة**» أي: لا نعال عليهم.

قوله: «**غرلًا**» أي: غير مختونين.

ثم تلا النبي ﷺ قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ ۚ وَعْدًا عَلَيْنَآ ۚ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] والمراد أن الناس يرجعون إلى ربهم كما ولدتهم أمهاتهم لا يملكون أي شيء.

قوله : «**ألا وإن أول الخلائق يكسىٰ يوم القيامة إبراهيم**» هذه منقبة لإبراهيم عليه الصلاة والسلام وفضيلة خاصة ؛ فالناس يحشرون حفاة عراة فيكسىٰ إبراهيم عليه السلام أولا ، ثم يكسىٰ بقية المؤمنين .

قوله : «**ألا وإنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال ، فأقول : يا رب أصيحابي**» ، وفي لفظ آخر : «**فأقول : أصحابي أصحابي ، فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك فأقول : سحقًا سحقًا لمن غير بعدي**»(١) وأصيحابي : تصغير أصحابي ، وهؤلاء المرتدون من الأعراب وغيرهم ممن لم يثبت الإيمان في قلوبهم .

قوله : «**فيقال : إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك**» فيه دليل علىٰ أن الرسول ﷺ لا يعلم الغيب ولا يعلم أحوال أمته ؛ ففيه الرد علىٰ من قال : إنه تعرض عليه أعمال أمته حسنها وسيئها وهو يستغفر للسيئ ويسر بالحسن ؛ جاء هذا في حديث ضعيف ، لكن الحديث دل علىٰ أنه لا يعلم أعمال أمته .

قوله : «**فأقول كما قال العبد الصالح** : ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ ۖ فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ الرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ ۚ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة : ١١٧]» وهذا الشاهد من الحديث .

قوله : «**فيقال : إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين علىٰ أعقابهم مذ فارقتهم**» وهذا حينما يردون عليه الحوض . وفي لفظ آخر : «**أنهم يردون عليه الحوض ويذادون كما تذاد الإبل الغريبة**»(٢) وفيه دليل علىٰ أن المنافقين الذين ارتدوا وغيرهم يطردون عن الحوض .

* * *

(١) أحمد (٣/ ٢٨) ، والبخاري (٦٥٨٥) ، ومسلم (٢٣٠٤) .
(٢) أحمد (٢/ ٢٩٨) ، والبخاري (٢٣٧٦) ، ومسلم (٢٣٠٢) .

المتن

[١٢١/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ الآية [المائدة: ١١٨]

• [٤٢٣٨] حدثنا محمد بن كثير، قال: أخبرنا سفيان، قال: أخبرنا المغيرة بن النعمان، قال: حدثني سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ قال: «**إنكم محشورون، وإن ناسا يؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول كما قال العبد الصالح**: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾، إلى قوله: ﴿ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٧، ١١٨]».

الشرح

• [٤٢٣٨] هذا الحديث السابق أعاده لقوله تعالى: ﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾ [المائدة: ١١٨]، والآية الأخرى: ﴿فَلَمَّا تَوَفَّيْتَنِي كُنتَ أَنتَ ٱلرَّقِيبَ عَلَيْهِمْ وَأَنتَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾ [المائدة: ١١٧].

* * *

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأنعام

قال ابن عباس : ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ ﴾ [الأنعام : ٢٣] : معذرتهم .

﴿ وَلَلَبَسْنَا ﴾ [الأنعام : ٩] : لشبهنا .

﴿ حَمُولَةً ﴾ [الأنعام : ١٤٢] : ما يحمل عليها .

﴿ يَنْـَٔوْنَ ﴾ [الأنعام : ٢٦] : يتباعدون .

﴿ تُبْسَلَ ﴾ [الأنعام : ٧٠] : تفضح .

﴿ أُبْسِلُواْ ﴾ [الأنعام : ٧٠] : فضحوا .

﴿ بَاسِطُوٓاْ أَيْدِيهِمْ ﴾ [الأنعام : ٩٣] البسط : الضرب .

وقوله : ﴿ ٱسْتَكْثَرْتُم مِّنَ ٱلْإِنسِ ﴾ [الأنعام : ١٢٨] : أضللتم كثيرا .

﴿ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلْحَرْثِ ﴾ [الأنعام : ١٣٦] : جعلوا لله من ثمراتهم وما لهم نصيبا ، وللشيطان والأوثان نصيبا .

﴿ أَكِنَّةً ﴾ [الأنعام : ٢٥] : واحدها : كنان .

﴿ وَقْرٌ ﴾ [فصلت : ٥] : صمم ، وأما الوقر : فإنه الحمل .

﴿ أَسَـٰطِيرُ ﴾ [الأنعام : ٢٥] : واحدها أسطورة وإسطارة ، وهي : الترهات .

﴿ ٱلْبَأْسَآءِ ﴾ [البقرة : ٢١٤] : من البأس ، ويكون من البؤس .

﴿ جَهْرَةً ﴾ [الأنعام : ٤٧] : معاينة .

﴿ ٱلصُّورِ ﴾ [الأنعام : ٧٣] : جماعة صورة ؛ كقولك : سورة وسور .

﴿ مَلَكُوتَ ﴾ [الأنعام : ٧٥] وملك مثل : رهبوت رحموت ، ويقول : ترهب خير من أن ترحم ، ﴿ وَإِن تَعْدِلْ ﴾ [الأنعام : ٧٠] : تقسط ، لا يقبل منها في ذلك اليوم .

﴿ جَنَّ ﴾ [الأنعام : ٧٦] : أظلم .

﴿تَعَلَىٰ﴾ [الأنعام: ١٠٠]: علا.

﴿حُسْبَانًا﴾ [الأنعام: ٩٦]: مرامي، ورجوم شياطين.

﴿مُسْتَقَرٌّ﴾ [الأنعام: ٩٨]: في الصلب، ﴿مُسْتَوْدَعٌ﴾ [الأنعام: ٩٨]: في الرحم.

القنو: العذق، والاثنان: قنوان، والجماعة أيضا: ﴿قِنْوَانٌ﴾ [الأنعام: ٩٩]، مثل: صنو و﴿صِنْوَانٍ﴾ [الرعد: ٤].

﴿أَمَّا اشْتَمَلَتْ﴾ [الأنعام: ١٤٣] يعني: هل تشتمل إلا على ذكر أو أنثى؛ فلم تحرموا بعضا وتحلوا بعضا.

﴿صَدَفَ﴾ [الأنعام: ١٥٧]: أعرض.

أبلسوا: أُيِسُوا.

﴿أُبْسِلُوا﴾ [الأنعام: ٧٠]: أسلموا.

﴿سَرْمَدًا﴾ [القصص: ٧١]: دائما.

﴿اسْتَهْوَتْهُ﴾ [الأنعام: ٧١]: أضلته.

﴿يَمْتَرُونَ﴾ [الحجر: ٦٣]: يشكون.

يقال: على الله حسبانه؛ أي: حسابه.

الشرح

«الجامع الصحيح» مشتمل على تفسير وبيان المفردات اللغوية، ومشتمل أيضًا على الإعراب، ومشتمل أصلًا على أحاديث وأسانيد؛ فقد حوى هذا الجامع أنواعًا من العلوم.

قوله تعالى: «﴿ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ﴾ [الأنعام: ٢٣]» فسره فقال: «معذرتهم».

قوله تعالى: «﴿وَلَلَبَسْنَا﴾ [الأنعام: ٩]» فسره فقال: «لشبهنا».

قوله تعالى: «﴿حَمُولَةً﴾ [الأنعام: ١٤٢]» فسره فقال: «ما يحمل عليها».

قوله تعالى: «﴿يَنْـَٔوْنَ﴾ [الأنعام: ٢٦]» فسره فقال: «يتباعدون».

قوله تعالى: «﴿تُبْسَلَ﴾ [الأنعام: ٧٠]» فسره فقال: «تفضح».

قوله تعالى: «﴿أُبْسِلُوا﴾ [الأنعام: ٧٠]» فسره فقال: «فضحوا».

قوله تعالى: «﴿بَاسِطُوٓاْ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [الأنعام: ٩٣]» فسره فقال: «**البسط: الضرب**».

قوله تعالى: «﴿ٱسۡتَكۡثَرۡتُم مِّنَ ٱلۡإِنسِ﴾ [الأنعام: ١٢٨]» فسره فقال: «**أضللتم كثيرًا**».

قوله تعالى: «﴿مِمَّا ذَرَأَ مِنَ ٱلۡحَرۡثِ﴾ [الأنعام: ١٣٦]» فسره فقال: «**جعلوا لله من ثمراتهم ومالهم نصيبًا، وللشيطان والأوثان نصيبًا**».

ويقولون: الله ليس بحاجة إليه، وإذا زاد الذي للصنم تركوه؛ هذه قسمة، وهذا من جهلهم!

قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٖ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ قَتۡلَ أَوۡلَٰدِهِمۡ شُرَكَآؤُهُمۡ لِيُرۡدُوهُمۡ وَلِيَلۡبِسُواْ عَلَيۡهِمۡ دِينَهُمۡۖ وَلَوۡ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُۖ فَذَرۡهُمۡ وَمَا يَفۡتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٧] فمن جهلهم أيضا قتل الأولاد.

ومنه قول الله تعالى: ﴿وَقَالُواْ هَٰذِهِۦٓ أَنۡعَٰمٞ وَحَرۡثٌ حِجۡرٞ لَّا يَطۡعَمُهَآ إِلَّا مَن نَّشَآءُ بِزَعۡمِهِمۡ﴾ هذه أنعام وحرث لا يجعلونها إلا لمن شاءوا، ﴿وَأَنۡعَٰمٌ حُرِّمَتۡ ظُهُورُهَا﴾ مثل الحام، ﴿وَأَنۡعَٰمٞ لَّا يَذۡكُرُونَ ٱسۡمَ ٱللَّهِ عَلَيۡهَا ٱفۡتِرَآءً عَلَيۡهِۚ سَيَجۡزِيهِم بِمَا كَانُواْ يَفۡتَرُونَ﴾ [الأنعام: ١٣٨]، ومن جهلهم: ﴿وَقَالُواْ مَا فِي بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلۡأَنۡعَٰمِ خَالِصَةٞ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزۡوَٰجِنَاۖ وَإِن يَكُن مَّيۡتَةٗ فَهُمۡ فِيهِ شُرَكَآءُ﴾ [الأنعام: ١٣٩] يقولون: هذا خاص للذكور ويحرمونه على الإناث، وإذا كانت ميتة اشترك فيها الذكور والإناث، وهذا من الجهل العظيم؛ لأنهم بعدوا عن نور النبوة، فهم في ظلام دامس، ومن جهلهم أيضا أنهم عبدوا الأصنام والأوثان، فإذا ذهب الواحد منهم في البرية أخذ ثلاثة أحجار، يجعل عليها القدر حتى يوقد عليه، فإذا وجد واحدًا أملس طيبًا أخذه ربًّا له يعبده، وإذا لم يجدوا شيئًا جعلوا كوم تراب ثم يحلبون عليه الشاة ثم يطوفون عليه ويعبدونه.

وقد فعل الصحابة هذا، فلما هداهم الله للإسلام تعجبوا من حالهم السابقة، كيف كانت عقولهم توصلهم إلى هذه الحال، حتى مَنَّ الله عليهم بالإسلام وأخرجهم من الظلمات إلى النور؛ ولهذا كانت الأمم السابقة تحتقر العرب وتقول: إنهم لا قيمة لهم، فهم قبائل متناحرة فقراء يأكلون الميتة ويعبدون الأصنام ويأكل القوي منهم الضعيف ويحارب بعضهم بعضًا. فلما جاء الإسلام جعلهم قادة للأمم، بل للدنيا بأسرها، وأخرجوا الناس من الظلمات إلى النور، ومن

ذلك ما قاله بعض الصحابة لرستم لما قال له : من أخرجكم من جزيرتكم؟ قال : أخرجنا الله ، لقد كنا قومًا نأكل الميتة ، ونعبد الأصنام ، ونقطع الأرحام ؛ فبعث الله إلينا نبينا فهدانا للإسلام . قال : ما الذي جاء بكم؟ قال : جئنا لنخرج الناس من عبادة العباد إلى عبادة رب العباد .

قوله تعالى : «﴿أَكِنَّةً﴾ [الأنعام : ٢٥]» فسره فقال : «**واحدها : كنان**» .

قوله تعالى : «﴿وَفِيٓ ءَاذَانِهِمۡ وَقۡرٗا﴾ [الأنعام : ٢٥]» فسره فقال : «**صمم ، وأما الوقر –بالكسر : فإنه الحمل**» .

قوله تعالى : «﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الأنعام : ٢٥]» فسره فقال : «**واحدها أسطورة وإسطارة ، وهي : الترهات**» .

قوله تعالى : «﴿ٱلۡبَأۡسَآءِ﴾ [الأنعام : ٤٢]» فسره فقال : «**من البأس ، ويكون من البؤس**» .

قوله تعالى : «﴿جَهۡرَةً﴾ [الأنعام : ٤٧]» فسره فقال : «**معاينة**» .

قوله تعالى : «﴿ٱلصُّورِ﴾ [الأنعام : ٧٣]» فسره فقال : «**جماعة صورة ؛ كقولك : سورة وسور**» .

قوله تعالى : «﴿مَلَكُوتَ﴾ [الأنعام : ٧٥] **وملك**» كما قال الله تعالى : ﴿مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [المؤمنون : ٨٨] بمعنى ملك كل شيء ، من باب المبالغة ، وكذلك قوله : ﴿فَسُبۡحَٰنَ ٱلَّذِي بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ﴾ [يس : ٨٣] يعني : ملك كل شيء ، «**مثل : رهبوت رحموت ، ويقول : ترهب خير من أن ترحم**» .

قوله تعالى : «﴿وَإِن تَعۡدِلۡ﴾ [الأنعام : ٧٠]» فسره فقال : «**تقسط ، لا يقبل منها في ذلك اليوم**» .

قوله تعالى : «﴿فَلَمَّا جَنَّ﴾ [الأنعام : ٧٦]» فسره فقال : «**أظلم**» .

قوله تعالى : «﴿تَعَٰلَىٰ﴾ [الأنعام : ١٠٠]» فسره فقال : «**علا**» .

قوله تعالى : «﴿حُسۡبَانٗا﴾ [الأنعام : ٩٦]» فسره فقال : «**مرامي ، ورجوم شياطين**» .

قوله تعالى : «﴿مُسۡتَقَرّٞ وَمُسۡتَوۡدَعٞ﴾ [الأنعام : ٩٨] ﴿مُسۡتَقَرّٞ﴾» فسره فقال : «**في الصلب**» ، «﴿مُسۡتَوۡدَعٞ﴾» فسره فقال : «**في الرحم**» .

قوله : «**القنو : العذق**» بالكسر ، وسبق أن القنو بالفتح النخلات .

والقنو يقال : للواحد والاثنين وللجماعة ، ويقال : «**والاثنان قنوان، والجماعة أيضا : ﴿قِنْوَانٌ﴾**[الأنعام : ٩٩] ، **مثل : صنو ، و﴿صِنْوَانٌ﴾**[الرعد : ٤]» .

قوله تعالى : «**﴿أَمَّا ٱشْتَمَلَتْ﴾** [الأنعام : ١٤٣] **يعني : هل تشتمل إلا على ذكر أو أنثى ، فلم تحرموا بعضها وتحلوا بعضها؟!**» يعني : بطون الأنعام تشتمل على ذكر وأنثى ؛ فيحلون الأنثى ويحرمون الذكر أو العكس ؛ وهي كلها اشتملت عليها البطون ، فليس هناك فرق بين هذا وذاك!

قوله تعالى : «**﴿صَدَفَ عَنْهَا﴾**[الأنعام : ١٥٧]» فسره فقال : «**أعرض**» .

قوله : «**أبلسوا : أيسوا**» ، وقوله تعالى : «**﴿أُبْسِلُوا﴾**[الأنعام : ٧٠] : **أسلموا**» ، فرق بين أبلسوا وأبسلوا ؛ فأبلس يعني : أيس من رحمة الله ، وأبسل يعني : أسلم .

فأبسلوا تقبل المعنيين ؛ يقال : أبسله : أسلمه للعدو أو فضحه .

قوله تعالى : «**﴿سَرْمَدًا﴾**[القصص : ٧١]» فسره فقال : «**دائمًا**» .

قوله تعالى : «**﴿ٱسْتَهْوَتْهُ﴾**[الأنعام : ٧١]» فسره فقال : «**أضلته**» .

قوله تعالى : «**﴿يَمْتَرُونَ﴾**[الحجر : ٦٣]» فسره فقال : «**يشكون**» .

قوله : «**يقال : على الله حسبانه ؛ أي : حسابه**» .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «قوله «**أبسلوا : أفضحوا**» كذا . . . من الرباعي» .

وقال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ : «**﴿أَن تُبْسَلَ نَفْسٌ﴾**[الأنعام : ٧٠] أي : ترتهن وتسلم» .

***

المتن

[١٢٢/ ٥٦] باب ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ﴾ [الأنعام: ٥٩]

• [٤٢٣٩] حدثنا عبدالعزيز بن عبدالله، قال: حدثنا إبراهيم بن سعد، عن ابن شهاب، عن سالم بن عبدالله، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: ﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ **خمس**: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ [لقمان: ٣٤] إلى آخر السورة.

الشرح

هذه الترجمة على قوله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾ [الأنعام: ٥٩] وفيها إثبات مرتبتين من مراتب الإيمان بالقدر:

المرتبة الأولى: العلم.

والمرتبة الثانية: الكتابة.

وهاتان المرتبتان أنكرهما غلاة القدرية الأولى، فكفروا بذلك؛ لأنهم نسبوا الله إلى الجهل تعالى الله عما يقول الظالمون علوًّا كبيرًا، كما روى الإمام مسلم أول حديث في «صحيحه» في قصة حميد الطويل وصاحبه لما سألا عبدالله بن عمر قالوا له: أبا عبدالرحمن، إنه ظهر قِبَلنا أناس يتقفرون العلم ويزعمون أن الأمر أنف، يعني: مستأنف وجديد لم يسبق به علم الله، فقال: أخبرهم أني بريء منهم وأنهم برآء مني.

ثم روى حديث عمر وهو حديث جبرائيل في سؤالات جبرائيل للنبي ﷺ عن الإسلام ثم عن الإيمان ثم عن الإحسان ثم عن الساعة ثم عن أماراتها.

فالإيمان بالعلم لا بد منه في الإيمان بالقدر وهو الإيمان بأن الله علم كل شيء في الأزل، ويعلم ما في الحاضر وما في المستقبل، ويعلم ما لم يكن لو كان كيف يكون، وكذلك الإيمان بأن كل شيء كتب في اللوح المحفوظ؛ قال الله تعالى: ﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ﴾، وهو اللوح المحفوظ.

• [٤٢٣٩] ثم ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ حديث عبدالله بن عمر قال: «﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ خمس»، وقرئ: ﴿وَعِندَهُۥ (مفاتيح) ٱلْغَيْبِ﴾ قراءتان، وقوله تعالى: ﴿مَفَاتِحُ﴾ جمع: مفتح.

قوله: «﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾ خمس: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]» هذه **الأولى**؛ يعني: لا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله، ولكن لها أمارات وعلامات تسبقها.

والثانية: قوله تعالى: ﴿وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾ [لقمان: ٣٤] أي: لا يعلم متى ينزل الغيث إلا الله.

والثالثة: قوله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾ [لقمان: ٣٤] أي: لا يعلم ما في الأرحام إلا الله، والمراد قبل خلق الجنين؛ فلا يعلم هذه النطفة ستكون ذكرًا أو أنثى إلا الله، ثم بعد ذلك يُعلِم الله الملك إذا مضى أربعة أشهر، فيسأل الملك يقول: يا رب ذكر أو أنثى؟ شقي أو سعيد؟ ما رزقه؟ ما أجله؟ ثم بعد ذلك يعلم الأطباء، أما قبل ذلك فلا يعلم ما في الأرحام إلا الله.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤].

الخامسة: قوله تعالى: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤].

وهذا الحديث يوافق آية سورة لقمان: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤] وهي آخر آية في سورة لقمان.

* * *

المتن

[١٢٣/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ الآية [الأنعام: ٦٥]

﴿يَلْبِسَكُمْ﴾: يخلطكم من الالتباس.

﴿يَلْبِسُوٓاْ﴾ [الأنعام: ٨٢]: يخلطوا.

﴿شِيَعًا﴾: فرقا.

• [٤٢٤٠] حدثنا أبو النعمان، قال: حدثنا حماد بن زيد، عن عمرو بن دينار، عن جابر رضي الله عنه قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**أعوذ بوجهك**»، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال: «**أعوذ بوجهك**»، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ قال رسول الله ﷺ: «**هذا أهون، وهذا أيسر**».

الشرح

فسر المؤلف رحمه الله قوله تعالى: ﴿يَلْبِسَكُمْ﴾ فقال: «**يخلطكم من الالتباس**».

قوله تعالى: «﴿يَلْبِسُوٓاْ﴾ [الأنعام: ٨٢]» فسره فقال: «**يخلطوا**».

وقوله تعالى: «﴿شِيَعًا﴾» فسره فقال: «**فرقًا**» أي: تكون الأمة فرقًا وأحزابًا متناحرة متقاتلة.

• [٤٢٤٠] وهذه الآية ذكر الله فيها ثلاثة أشياء قال: ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ وهو العذاب الذي ينزل من السماء؛ قد يكون نارًا كما نزل على قوم شعيب، أو صيحة من ملك، أو ريحًا كما حصل لعاد قوم هود، أو مطرًا أو بردًا.

وقال تعالى: ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾: خسف أو نار تخرج من أسفل.

وقال تعالى: ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾ يعني: يجعلكم شيعًا وأحزابًا تتقاتلون، وجاء في حديث آخر أن النبي ﷺ لما أنزل الله عليه هذه الآية قال: «﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال: «**أعوذ بوجهك**» ﴿أَوْ مِن

﴿تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال : **«أعوذ بوجهك»** **﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾** [الأنعام : ٦٥] **قال : «هذا أيسر»**(١) .

وفي الحديث الآخر : **«سألت الله ﷻ ألا يهلك أمتي بسنة عامة»**(٢) يعني : بعذاب عام يعمهم .

وقال : **«وأن لا يسلط عليهم عدوًّا من سوىٰ أنفسهم فيستبيح بيضتهم»** أي : لا يقضون عليها قضاءً مبرمًا ، فتبقىٰ طائفة على الحق ، وقد استجاب الله لنبيه ﷺ ألا يهلك الأمة بعذاب عام أو بعدو يجتاحها .

وقال : **«وسألته أن لا يذيق بعضهم بأس بعض فمنعنيها»**(٣) منع منه .

وفي اللفظ الآخر : **«حتىٰ يكون بعضهم يهلك بعضًا ويسبي بعضهم بعضًا»** .

ويدل هذا علىٰ أن اختلاف الأمة والقتال بينها واقع كما جاء في حديث جابر قال : **«لما نزلت هذه الآية : ﴿قُلْ هُوَ ٱلْقَادِرُ عَلَىٰٓ أَن يَبْعَثَ عَلَيْكُمْ عَذَابًا مِّن فَوْقِكُمْ﴾ قال رسول الله ﷺ : «أعوذ بوجهك» ، ﴿أَوْ مِن تَحْتِ أَرْجُلِكُمْ﴾ قال : «أعوذ بوجهك» ، ﴿أَوْ يَلْبِسَكُمْ شِيَعًا وَيُذِيقَ بَعْضَكُم بَأْسَ بَعْضٍ﴾** [الأنعام : ٦٥] **قال رسول الله ﷺ : «هذا أهون ، وهذا أيسر»»** وهو أن يهلك بعضهم بعضًا ويسبي بعضهم بعضًا ، ويكونوا شيعًا وأحزابًا يتقاتلون فيما بينهم ، وهذا واقع بين الأمة الآن .

ويستفاد من هذا الحديث أنه لا بأس بالاستعاذة بوجه الله من قوله : **«أعوذ بوجهك»** ؛ لأنه صفة من صفات الله .

وفي الحديث الآخر : **«أعوذ بنور وجهك الذي أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة أن يحل علي غضبك»**(٤) .

* * *

---

(١) أحمد (٣/ ٣٠٩) ، والبخاري (٧٤٠٦) .
(٢) أحمد (٤/ ١٢٣) ، ومسلم (٢٨٨٩) .
(٣) أحمد (٥/ ٢٤٨) ، والترمذي (٢١٧٥) .
(٤) «السيرة النبوية» لابن إسحاق (٢/ ٢٦٨) .

المتن

[١٢٤/ ٥٦] باب ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]

• [٤٢٤١] حدثني محمد بن بشار، قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن شعبة، عن سليمان، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبدالله رضي الله عنه قال: لما نزلت: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ قال أصحابه: وأينا لم يظلم؟ فنزلت: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣].

الشرح

• [٤٢٤١] قال تعالى: **﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾** [الأنعام: ٨٢].

قوله: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ﴾ يعني: وحدوا الله وأخلصوا دينهم.

قوله: ﴿وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ﴾ أي: ولم يخلطوا.

قوله: ﴿إِيمَـٰنَهُم﴾ أي: توحيدهم.

قوله: ﴿بِظُلْمٍ﴾ أي: بشرك.

قوله: ﴿أُوْلَـٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ﴾ أي: من العذاب في الآخرة.

قوله: ﴿وَهُم مُّهْتَدُونَ﴾: في الدنيا.

فالمراد بالظلم في الآية الشرك.

ولما نزلت هذه الآية أشكلت على الصحابة رضوان الله عليهم وظنوا أن المراد بالظلم ظلم النفس بالمعاصي، وجاءوا وقد شقت عليهم هذه الآية وجثوا على الركب، وقالوا: **«وأينا لم يظلم؟»** فقال رسول الله ﷺ: **«إنه ليس بالذي تعنون، ألم تسمعوا إلى قول لقمان[1]: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]»**.

(١) أحمد (١/ ٣٧٨)، والبخاري (٦٩١٨)، ومسلم (١٢٤).

وهذه من الآيات التي فسرها النبي ﷺ، ففسر الظلم بالشرك، فمن مات على التوحيد ولم يظلم نفسه بالشرك ولا بالكبائر والمعاصي فله الأمن التام من دخول النار والخلود فيها وله الهداية الكاملة .

أما إذا سلم من الشرك الأكبر ولكنه لم يسلم من الكبائر ومن المعاصي فهذا له أمن ناقص وهداية ناقصة، له أمن من الخلود في النار، وقد يدخلها ؛ لكنه لا يخلد فيها ومآله إلى الجنة .

* * *

المتن

[١٢٥/ ٥٦] **باب قوله:** ﴿وَيُونُسَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الأنعام: ٨٦]

• [٤٢٤٢] حدثني محمد بن بشار، قال: حدثنا ابن مهدي، قال: حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أبي العالية، قال: حدثنا ابن عم نبيكم ﷺ، يعني: ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي ﷺ قال: «**ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى**».

• [٤٢٤٣] وحدثنا آدم بن أبي إياس، قال: حدثنا شعبة، قال: أخبرنا سعد بن إبراهيم، قال: سمعت حميد بن عبدالرحمن بن عوف، عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي ﷺ قال: «**ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى**».

الشرح

• [٤٢٤٢]، [٤٢٤٣] قوله: «**ما ينبغي لعبد أن يقول: أنا خير من يونس بن متى**»؛ وذلك لأنه نبي كريم ومن المرسلين؛ قال تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٣٩] فقد أرسل إلى أمة عظيمة إلى مائة ألف أو يزيدون، فلما أغضبه قومه ذهب مغاضبا، ثم ركب البحر والتقمه الحوت وهو مليم، ولكن الله اجتباه وهداه كما اجتبى آدم من قبل، فمن قال: أنا خير من يونس بن متى فقد كذب؛ لأنه من المرسلين ومن الأنبياء، والرسل أفضل من الأنبياء والأنبياء أفضل من سائر الناس.

وفي لفظ قال ﷺ: «**من قال: أنا خير من يونس بن متى فقد كذب**»[1].

* * *

(١) أحمد (٢/ ٤٥٠)، والبخاري (٤٦٠٤).

المتن

[١٢٦/ ٥٦] باب قوله تعالى:
﴿أُولَٰئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]

• [٤٢٤٤] حدثني إبراهيم بن موسى، قال: أخبرنا هشام، أن ابن جريج أخبرهم، قال: أخبرني سليمان الأحول، أن مجاهدا أخبره، أنه سأل ابن عباس: أفي ﴿صٓ﴾ سجدة؟ فقال: نعم، ثم تلا: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾، إلى قوله: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٨٤-٩٠]، ثم قال: هو منهم.

زاد يزيد بن هارون ومحمد بن عبيد و سهل بن يوسف، عن العوام، عن مجاهد، قلت لابن عباس، فقال: نبيكم ﷺ ممن أمر أن يقتدي بهم.

الشرح

• [٤٢٤٤] قول مجاهد: **«أنه سأل ابن عباس: أفي ﴿صٓ﴾ سجدة؟ فقال: نعم»**.

فأكثر السجدات ثبتت عن الصحابة وبعضها عن النبي ﷺ، وسجدة ﴿صٓ﴾ ثبتت عن النبي ﷺ، فقال ابن بطال في شرح صحيح البخاري أن ابن عباس قال: سجدة ﴿صٓ﴾ ليست من عزائم السجود، وقد رأيت رسول الله ﷺ يسجد فيها[1]؛ فدل على أنها سجدة ثابتة.

فالسجدة موجودة في المصاحف عند قوله: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤] ولكن السجدة تكون بعد تمام المعنى؛ أي بعد قوله: ﴿فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ﴾ [ص: ٢٥] كما أن موضع سجدة فصلت عند قوله: ﴿وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ﴾ [فصلت: ٣٨] بعد قوله تعالى: ﴿لَا تَسْجُدُوا۟ لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَهُنَّ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [فصلت: ٣٧] فظاهره أن السجود عند تمام المعنى.

قوله: **«ثم تلا: ﴿وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ﴾** [الأنعام: ٨٤] **إلى قوله: ﴿فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾** [الأنعام: ٩٠] **ثم قال: هو منهم»** يعني: رسولنا ﷺ منهم.

---

(١) البخاري (١٠٦٩).

وفي رواية مجاهد : «**قلت لابن عباس ، فقال : نبيكم ﷺ ممن أمر أن يقتدي بهم**» يعني : أمر نبينا ﷺ أن يقتدي بهؤلاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «وقد اختلف هل كان عليه الصلاة والسلام متعبدًا بشرع من قبله حتى نزل عليه ناسخه ، فقيل : نعم وحجتهم هذه الآية ونحوها ، وقيل : لا ، وأجابوا عن الآية بأن المراد اتباعهم فيما أنزل عليه وفاقه ولو على طريق الإجمال فيتبعهم في التفصيل ، وهذا هو الأصح عند كثير من الشافعية واختاره إمام الحرمين ومن تبعه واختار الأول ابن الحاجب . والله أعلم» .

وكان عليه الصلاة والسلام يتعبد في غار حراء قبل البعثة على ما توارثه الناس من دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، وكذلك الناس كانوا يحجون في الجاهلية على ما توارثوه من دين إبراهيم ، ومن ذلك أنهم كانوا يصومون يوم عاشوراء كما كانت قريش تصومه في الجاهلية وكان رسول الله يصومه معهم ثم غيروا وبدلوا أشياء .



المتن

[١٢٧/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ إلى قوله: ﴿لَصَـٰدِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦]

وقال ابن عباس: كل ذي ظفر: البعير والنعامة.

﴿ٱلْحَوَايَآ﴾ [الأنعام: ١٤٦]: المبعر.

● [٤٢٤٥] حدثنا عمرو بن خالد، قال: حدثنا الليث، عن يزيد بن أبي حبيب، قال عطاء: سمعت جابر بن عبدالله رضي الله عنهما، سمعت النبي ﷺ قال: **«قاتل الله اليهود؛ لما حرم الله عليهم شحومها أجملوه، ثم باعوه فأكلوها»**.

وقال أبو عاصم: حدثنا عبدالحميد، قال: حدثنا يزيد، كتب إلي عطاء، سمعت جابرًا، عن النبي ﷺ مثله.

الشرح

هذه الآية الكريمة فيها أن الله تعالى حرم على اليهود شيئًا مما كان مباحًا بسبب ذنوبهم ومعاصيهم، وفيه أن الإنسان يعاقب بمعاصيه؛ وفيه شؤم المعاصي وآثارها.

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦] فسر ابن عباس الظفر فقال: **«البعير والنعامة»**.

قوله تعالى: «﴿ٱلْحَوَايَآ﴾ [الأنعام: ١٤٦]» فسره فقال: **«المبعر»**.

وقيل: المباعر، والحوايا جمع حوية: وهي ما اجتمع واستدار من البطن، وفيها الأمعاء، فهذه استثناها الله؛ لما فيه من المشقة فقال الله تعالى: ﴿حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ﴾ [الأنعام: ١٤٦].

ثم قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ جَزَيْنَـٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَـٰدِقُونَ﴾ [الأنعام: ١٤٦] هذا سبب مجازاتهم وعقوبتهم.

وفي آية النساء قال الله: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَـٰقَهُمْ وَكُفْرِهِم بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ وَقَتْلِهِمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَقَوْلِهِمْ قُلُوبُنَا غُلْفٌۢ ۚ بَلْ طَبَعَ ٱللَّهُ عَلَيْهَا بِكُفْرِهِمْ﴾ [النساء: ١٥٥] وفي الآية الأخرى قال: ﴿فَبِظُلْمٍ

مِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ طَيِّبَٰتٍ أُحِلَّتْ لَهُمْ وَبِصَدِّهِمْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ كَثِيرًا ﴿١٦٠﴾ وَأَخْذِهِمُ ٱلرِّبَوٰاْ وَقَدْ نُهُواْ عَنْهُ وَأَكْلِهِمْ أَمْوَٰلَ ٱلنَّاسِ بِٱلْبَٰطِلِ ۚ وَأَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا﴾ [النساء: ١٦٠، ١٦١] أي: بسبب ظلمهم، وفيه التحذير من المعاصي وبيان شؤمها وعاقبتها، وما حصل وما يحصل في الدنيا من العقوبات والمصائب والنكبات، وما سيحصل فيها أيضًا كذلك من فساد الهواء والجو والزروع والثمار؛ وذلك كله بسبب المعاصي كما قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى: ٣٠].

● [٤٢٤٥] ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ حديث جابر رضي الله عنه قال: **«قاتل الله اليهود»** فيه دليل على جواز لعن اليهود، وفي اللفظ الآخر: **«لعن الله اليهود»**[1] على العموم وأنه لا بأس بقول: قاتل الله اليهود، لعن الله النصارى، وحتى أيضًا الفاسق على العموم: لعن الله آكل الربا، لعن الله السارق، لعن الله الزاني، أما المعيَّن فلا يلعن على الصحيح من قولي العلماء، لا من الكفار ولا من الفساق؛ لأن المعين لا يدرى حاله؛ فقد يتوب الله عليه إن كان كافرًا أو فاسقًا، أو قد يكون معذورًا ما بلغه النص؛ ولهذا لما جيء برجل للنبي ﷺ يشرب الخمر وكان كثيرًا ما يؤتى به يقال له: عبدالله، وكان لقبه حمارًا جيء به مرة ليجلد، فقال رجل من القوم: **«أخزاه الله»**[2] وفي لفظ: **«لعنه الله ما أكثر ما يؤتى به»** فقال النبي ﷺ: **«لا تلعنه فإنه يحب الله ورسوله»**[3]؛ لأن إقامة الحد كافية.

قوله: **«قاتل الله اليهود لما حرم الله عليهم شحومها أجملوه، ثم باعوه فأكلوها»** يعني: تحيلوا.

وفيه دليل على إبطال الحيل، وأنه لا يجوز للإنسان أن يتحيل على إبطال ما أوجب الله أو على استحلال ما حرم الله، وقد تكون الحيلة أشد بإظهار أن يأتي الأمر على وجهه؛ ولهذا قال بعض السلف مستنكرًا: عاملوا الله كما يعاملون صبيانهم! ولهذا لعنهم النبي ﷺ قال: **«قاتل الله اليهود لما حرم الله عليهم شحومها»** يعني: أن الله حرم عليهم شحوم الغنم والبقر،

---

(١) أحمد (١/ ٢٥)، والبخاري (٣٤٦٠)، ومسلم (١٥٨٢).

(٢) البخاري (٦٧٨١).

(٣) البخاري (٦٧٨٠).

فتحيلوا على الله ؛ أذابوا الشحوم ثم باعوها ثم أكلوا ثمنها ، وقالوا : ما أكلنا الشحوم . فهذه حيلة ؛ لأن الشحوم محرمة لا يجوز أصلا إذابتها وأكلها ، ولا بيعها ؛ لقول النبي ﷺ : **«إن الله إذا حرم أكل شيء حرم ثمنه»**(١) ؛ ولهذا لعنهم النبي ﷺ على هذه الحيلة .

وثبت بسند جيد أن النبي ﷺ قال : **«لا ترتكبوا ما ارتكبت اليهود فتستحلوا محارم الله بأدنى الحيل»**(٢) وهذا يقع فيه بعض الناس والعياذ بالله من الحيل ، مثل قلب الدين على المعسر ، كأن يكون لشخص على آخر دين عشرة آلاف مؤجلة إلى سنة ، فإذا حل الدين قال : أعطني الدين ، قال : ما عندي شيء ، فيقول : أبيعك سيارة تساوي عشرة آلاف بخمسة عشر ، ويقول : بعها وأعطني ، ثم يبيعها ويعطيه ، وهكذا يتراكم الدين عليه ، فبهذا يزيد الدين ، فبدلًا من أن يكون عشرة يصير خمسة عشر ، وهذا صريح الربا .

* * *

---

(١) أحمد (١/ ٢٩٣) .

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ١٠٨) .

المتن

[١٢٨/ ٥٦] باب قوله:

﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١]

• [٤٢٤٦] حدثنا حفص بن عمر، قال: حدثنا شعبة، عن عمرو، عن أبي وائل، عن عبدالله رضي الله عنه قال: لا أحدَ أغيرُ من الله؛ فلذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا شيء أحب إليه المدح من الله؛ ولذلك مدح نفسه، قلت: سمعته من عبدالله؟ قال: نعم، قلت: ورفعه؟ قال: نعم.

الشرح

قوله: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأنعام: ١٥١] الفواحش الظاهرة: مثل الزنا والربا والسرقة والقتل، والفواحش الباطنة: مثل العجب والكبر والرياء، ومحبة إيذاء الناس وما أشبه ذلك.

• [٤٢٤٦] هذا الحديث على قوله تعالى: ﴿وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأنعام: ١٥١] فقد نهى الله عز وجل عن قربان الفواحش، والفواحش: جمع فاحشة، وهي ما عظم فحشه من الذنوب والمعاصي كالزنا واللواط وغيرها.

قوله: **«لا أحد»** لا: نافية للجنس مثل: لا رجل في الدار.

قوله: **«أغير من الله؛ فلذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن»**، فيه إثبات الغيرة لله عز وجل وهي من الصفات التي تليق بالله تعالى، وفي الحديث الآخر في قصة سعد قال: **«أتعجبون من غيرة سعد، فأنا أغير منه والله أغير مني»**[١].

يعني: أشد غيرة.

وقوله: **«ولا شيء أحب إليه المدح من الله؛ ولذلك مدح نفسه»** فيه إثبات المحبة لله عز وجل ومن أثر محبة المدح أن الله مدح نفسه.

---

(١) أحمد (٤/ ٢٤٨)، والبخاري (٦٨٤٦)، ومسلم (١٤٩٩).

قوله : «**قلت : سمعته من عبدالله؟**» أي : أن عمرًا يقول لأبي وائل : سمعت هذا الحديث من عبدالله بن مسعود؟ «**قال : نعم ، قلت : ورفعه؟ قال : نعم**» .

وفي لفظ آخر للحديث زيادة : «**ولا أحد أحب إليه العذر من الله ، ومن أجل ذلك بعث المبشرين والمنذرين**»(١) . والمراد أن الله سبحانه وتعالى أرسل الرسل مبشرين ومنذرين كما قال : ﴿لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ [النساء : ١٦٥] فقطع المعذرة على الناس ؛ حتى لا يكون لأحد عذر في ذلك إذا عذب ؛ لأنه عصى ربه على بصيرة .

* * *

(١) أحمد (٤/ ٢٤٨) ، والبخاري (٧٤١٦) ، ومسلم (١٤٩٩) .

المتن

[١٢٩/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿هَلُمَّ شُهَدَآءَكُمُ﴾ [الأنعام: ١٥٠]

لغة أهل الحجاز: هَلُمَّ للواحد، وللاثنين، والجميع.

ووكيل: حفيظ ومحيط به.

﴿قُبُلًا﴾ [الأنعام: ١١١]: جمع قبيل، والمعنى: أنه ضروب للعذاب؛ كل ضرب منها قبيل.

﴿زُخْرُفَ ٱلْقَوْلِ﴾ [الأنعام: ١١٢]: كل شيء حسنته ووشيته وهو باطل فهو زخرف.

الشرح

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: **«لغة أهل الحجاز: هلم للواحد، وللاثنين، والجميع»** هو كلام أبي عبيدة بزيادة والذكر والأنثى سواء، وأهل نجد يقولون للواحد: هلم وللمرأة: هلمي، وللاثنين: هلما وللقوم: هلموا، وللنساء: هلممن؛ يجعلونها من هلممت، وعلى الأول فهو اسم فعل معناه: طلب الإحضار، و﴿شُهَدَآءَكُمُ﴾ [الأنعام: ١٥٠] مفعول به، والميم في ﴿هَلُمَّ﴾ [الأنعام: ١٥٠] مبنية على الفتح في اللغة الأولى».

* * *

المتن

[١٣٠/ ٥٦] **باب ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا﴾** [الأنعام: ١٥٨]

• [٤٢٤٧] حدثني موسىٰ بن إسماعيل، قال: حدثنا عبدالواحد، قال: حدثنا عمارة، قال: حدثنا أبو زرعة، قال: حدثنا أبو هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتىٰ تطلع الشمس من مغربها، فإذا رآها الناس آمن من عليها؛ فذلك حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ﴾** [الأنعام: ١٥٨]».

• [٤٢٤٨] حدثني إسحاق، قال: حدثنا عبدالرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن همام، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتىٰ تطلع الشمس من مغربها، فإذا طلعت ورآها الناس آمنوا أجمعون؛ وذلك حين ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا﴾** [الأنعام: ١٥٨]»، ثم قرأ الآية.

الشرح

ترجم المؤلف رحمه الله علىٰ بعض آية فقال: **«باب ﴿لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا﴾** [الأنعام: ١٥٨]»، وهذا يكون في آخر الزمان في أشراط الساعة الكبار، وقد أشار البخاري رحمه الله في هذه الترجمة إلىٰ قوله تعالىٰ: **﴿يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ ءَايَـٰتِ رَبِّكَ لَا يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَـٰنُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِيٓ إِيمَـٰنِهَا خَيْرًا﴾** [الأنعام: ١٥٨]

• [٤٢٤٧]، [٤٢٤٨] في هذين الحديثين الكلام عن أحد أشراط الساعة الكبار وهي طلوع الشمس من مغربها وهي من العلامات المتأخرة، فأشراط الساعة الكبار تكون في آخر الزمان وهي كما جاء في الحديث: **«كنظام بال قطع سلكه»**(١) ثم تتوالىٰ، أولها خروج المهدي ثم خروج الدجال ثم نزول عيسىٰ بن مريم ثم خروج يأجوج ومأجوج؛ هذه أربعة متوالية، ثم تتوالىٰ أشراط الساعة: كهدم الكعبة ونزع القرآن من الصدور والدخان، وطلوع الشمس من مغربها وغلق باب التوبة، وخروج الدابة التي تسم الناس في جباههم سمة يبيض لها وجه المؤمن ويسود لها وجه الكافر، ويعرف الكافر من المؤمن في آخر الزمان، حتىٰ يتبايع الناس في أسواقهم دهرًا من الزمان يقولون: خذ هذا يا مؤمن، بع هذا يا كافر.

---

(١) الترمذي (٢٢١١).

وآخر شيء من أشراط الساعة : النار التي تسوق الناس إلى المحشر ، وبعدها تقوم الساعة .

وفي هذا الحديث من الفوائد أن من شروط قبول التوبة ألا تطلع الشمس من مغربها ، وهو شرط عام لجميع الناس .

وهناك شروط أخرى حددها العلماء منها : ألا تصل الروح إلى الحلقوم ، وهذا الشرط خاص بالشخص ، فكل أحد في حقه تقبل توبته ما لم تصل الروح إلى الحلقوم ، ومن الشروط الأخرى أيضًا أن يقلع عن المعصية ، وأن يندم على ما مضى ، وأن يرد المظالم إلى أهلها ، وأن يعزم على ألا يعود إليها .

* * *

المتن

سورة الأعراف

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابن عباس : «ورياشًا» : المال .

﴿ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [الأعراف : ٥٥] : في الدعاء وفي غيره .

عَفَوْا : كَثُرُوا .

﴿ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ ﴾ [الأعراف : ١٧١] : رفعنا .

انبجست : انفجرت .

متبرٌ : خُسْرَانٌ .

﴿ ءَاسَىٰ ﴾ [الأعراف : ٩٣] : أحزن .

﴿ تَأْسَ ﴾ [المائدة : ٢٦] : تحزن .

وقال غيره : ﴿ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ ﴾ [الأعراف : ١٢] يقول : ما منعك أن تسجد .

﴿ يَخْصِفَانِ ﴾ [الأعراف : ٢٢] : أخذُ الخصاف من ورق الجنة ، يُؤلفان الورق ، يخصفان الورق بعضه إلى بعض .

﴿ ٱدَّارَكُواْ ﴾ [الأعراف : ٣٨] : اجتمعوا .

﴿ ٱلْفَتَّاحُ ﴾ [سبأ : ٢٦] : القاضي .

﴿ ٱفْتَحْ بَيْنَنَا ﴾ [الأعراف : ٨٩] : اقض .

﴿ طَٰٓئِرُهُمْ ﴾ [الأعراف : ١٣١] : حَظُّهم

﴿ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ﴾ [الأعراف : ٢٤] : هو هاهنا إلى يوم القيامة ، والحين عند العرب : من ساعة إلى ما لا يحصى عدده .

الرياش والريش واحد : وهو ما ظهر من اللباس .

﴿ وَقَبِيلُهُۥ ﴾ [الأعراف : ٢٧] : جيله الذي هو منهم .

ومشاق الإنسان والدابة كلها تُسمىٰ : سموما ، واحدها : سم ، وهي : عيناه ، ومنخراه ، وفمه ، وأذناه ، ودبره ، وإحليله .

﴿ غَوَاشٍ ﴾ [الأعراف : ٤١] : ما غشوا به .

نُشُرًا : متفرقة .

نكدًا : قليلًا .

يغنوا : يعيشوا .

حقيقٌ : حقٌّ .

استرهبوهم : من الرهبة .

تلقف : تلقم .

طوفان : من السيل ، ويقال للموت الكثير : الطوفان .

﴿ ٱلْقُمَّلَ ﴾ [الأعراف : ١٣٣] : الحَمْنانُ ، يُشبه صغار الحلم .

عروش وعريش : بناء .

﴿ سُقِطَ ﴾ [الأعراف : ١٤٩] : كل من ندم فقد سقط في يده .

﴿ ٱلْأَسْبَاطِ ﴾ [البقرة : ١٣٦] : قبائل بني إسرائيل .

﴿ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ ﴾ [الأعراف : ١٦٣] : يتعدَّوْنَ له ، تجاوز بعد تَجَاوُزٍ .

﴿ شُرَّعًا ﴾ [الأعراف : ١٦٣] : شوارع .

﴿ بَئِيسٍ ﴾ [الأعراف : ١٦٥] : شديد .

﴿ أَخْلَدَ إِلَى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الأعراف : ١٧٦] : قعد وتقاعس .

﴿ سَنَسْتَدْرِجُهُم ﴾ [الأعراف : ١٨٢] : أي نأتيهم من مأمنهم ؛ كقوله تعالىٰ : ﴿ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا ﴾ [الحشر : ٢] .

﴿ مِّن جِنَّةٍ ﴾ [الأعراف : ١٨٤] : من جنون .

﴿ أَيَّانَ مُرْسَىٰهَا ﴾ [الأعراف : ١٨٧] : متىٰ خروجها .

فمرت به : استمر بها الحمل فأتمته .

﴿يَنزَغَنَّكَ﴾ [الأعراف: ٢٠٠]: يستخفنك.

طيف ملم: به لمم، ويقال: ﴿طَٓئِفٌ﴾ [الأعراف: ٢٠١]، وهو واحد.

﴿يَمُدُّونَهُمْ﴾ [الأعراف: ٢٠٢]: يزينون.

﴿وَخِيفَةً﴾ [الأعراف: ٢٠٥]: خوفا.

﴿وَخُفْيَةً﴾ [الأعراف: ٥٥]: من الإخفاء.

﴿وَٱلْأَصَالِ﴾ [الأعراف: ٢٠٥] واحدها أُصُلٌ، وهو: ما بين العصر إلى المغرب، كقولك: ﴿بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الفرقان: ٥].

الشرح

فسر المؤلف الكلمات التي في سورة الأعراف؛ ليفيد طالب العلم، وليكون هذا «الجامع الصحيح» مشتملًا على بيان المعاني اللغوية مع الآيات الكريمة.

قوله: **«قال ابن عباس: وريالشًا: المال»** يشير إلى قوله تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَٰرِي سَوْءَٰتِكُمْ وَرِيشًا﴾ [الأعراف: ٢٦] فسر الريش بالمال، وفسره بعد ذلك حيث قال: **«الريش والرياش واحد وهو ما ظهر من اللباس»**؛ فالله تعالى امتن على بني آدم بنوعين من اللباس:

النوع الأول: ما يواري السوأة، وهو لابد منه في ستر العورة، مثل السروال الذي يغطي ما بين السرة إلى الركبة.

النوع الثاني: ما يكون للجمال، وهو فوق ذلك، وهو الذي يسمى الرياش، مثل القميص - إذا كان تحته سروال- أو العباءة أو غير ذلك من الزينة.

قوله: «﴿إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ﴾ [الأعراف: ٥٥]: **في الدعاء وفي غيره**» والاعتداء هو تجاوز الحد، وذلك بأن يدعو بإثم أو قطيعة رحم، أو يسأل ما لا يستحق من الدرجة.

قوله: «﴿عَفَوا۟﴾: **كثروا**» أشار المؤلف إلى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰ عَفَوا۟ وَّقَالُوا۟ قَدْ مَسَّ ءَابَآءَنَا ٱلضَّرَّآءُ وَٱلسَّرَّآءُ﴾ [الأعراف: ٩٥]، والمعنى: حتى كثروا وكثرت أموالهم.

قوله: «﴿نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ﴾ [الأعراف: ١٧١]: **رفعنا**» يشير المؤلف إلى ما حدث لبني إسرائيل لما امتنعوا عن العمل بالتوراة؛ حيث رفع الله جبل الطور فوق رءوسهم فصاروا ينظرون إليه

يخشون أن يسقط عليهم، كما في قوله سبحانه: ﴿وَإِذْ نَتَقْنَا ٱلْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُۥ ظُلَّةٌ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُۥ وَاقِعٌۢ بِهِمْ﴾ [الأعراف: ١٧١]، وهذا من قدرة الله العظيمة، فقال الله تعالى لهم: ﴿خُذُواْ مَآ ءَاتَيْنَٰكُم بِقُوَّةٍ﴾ [الأعراف: ١٧١] أي: اعملوا بالتوراة، ﴿وَٱذْكُرُواْ مَا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [الأعراف: ١٧١]؛ وهذا لأنهم عتاة.

قوله: «**انبجست: انفجرت**» يشير إلى قوله تعالى: ﴿فَٱنۢبَجَسَتْ مِنْهُ ٱثْنَتَا عَشْرَةَ عَيْنًا﴾ [الأعراف: ١٦٠] أي: الحجر الذي يحمله موسى.

قوله: «﴿**مُتَبَّرٌ**﴾: **خسران**» يشير إلى قوله تعالى: ﴿إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ﴾ [الأعراف: ١٣٩].

قوله: «﴿**ءَاسَىٰ**﴾: **أحزن**» يشير بذلك إلى قول الله تعالى عن شعيب ﷺ: ﴿فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ﴾ [الأعراف: ٩٣].

قوله: «﴿**تَأْسَ**﴾: **تحزن**» يشير إلى قوله تعالى: ﴿فَلَا تَأْسَ عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [المائدة: ٢٦] أي: لا تحزن عليهم.

قوله: «**وقال غيره**: ﴿مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ﴾ [الأعراف: ١٢] **يقول: ما منعك أن تسجد**» يعني أن ﴿لَآ﴾ هنا صلة، كما في قوله تعالى: ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [القيامة: ١] أي: أقسم بيوم القيامة؛ فتكون للتأكيد.

قوله: «﴿**يَخْصِفَانِ**﴾: **أخذ الخصاف من ورق الجنة، يؤلفان الورق، يخصفان الورق بعضه إلى بعض**» يعني: آدم وحواء لما عصيا الله سقط اللباس عن العورة فبانت، فاستحيا فجعلا يقطعان ورق الأشجار حتى يسترا عورتيهما، كما في قوله تعالى: ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْءَٰتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ [الأعراف: ٢٢] وهذا فيه دليل على شؤم المعاصي، وأن المعاصي عورة.

وقوله تعالى: ﴿سَوْءَٰتُهُمَا﴾ كناية عن فرجيهما ومواطن العورات التي ظهرت منهما.

قوله: «﴿**ٱدَّارَكُواْ**﴾: **اجتمعوا**» يشير إلى قوله تعالى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱدَّارَكُواْ فِيهَا﴾ [الأعراف: ٣٨] يعني: أهل النار.

قوله : «﴿ٱلْفَتَّاحُ﴾ : **القاضي**» أي : يقضي بينهم ، يشير إلى قوله تعالى : ﴿وَهُوَ ٱلْفَتَّاحُ ٱلْعَلِيمُ﴾ [سبأ : ٢٦] .

قوله : «﴿ٱفْتَحْ بَيْنَنَا﴾ : **اقض**» ، أشار إلى قوله تعالى : ﴿ٱفْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِٱلْحَقِّ﴾ [الأعراف : ٨٩] .

قوله : «﴿طَـٰٓئِرُهُمْ﴾ : **حظهم**» ، يشير إلى قوله تعالى : ﴿أَلَآ إِنَّمَا طَـٰٓئِرُهُمْ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأعراف : ١٣١] .

قوله تعالى : ﴿وَمَتَـٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الأعراف : ٢٤] أي : «**إلى يوم القيامة**» ، وذلك لما هبطا من الجنة .

قوله : «**والحين عند العرب : من ساعة إلى ما لا يحصى عدده**» ، والساعة ليست المعروفة الآن ، بل اللحظة من الزمن تسمى حينًا إلى آخر الدهر كله يسمى حينًا .

قوله : «﴿وَقَبِيلُهُۥ﴾ **أي : جيله الذي هو منهم**» ، يشير إلى قوله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ يَرَىٰكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُۥ﴾ [الأعراف : ٢٧] والضمير يعود إلى الشيطان .

قوله : «**ومشاق الإنسان والدابة كلها تسمى : سمومًا ، واحدها : سم ، وهي : عيناه ، ومنخراه ، وفمه ، وأذناه ، ودبره ، وإحليله**» يشير إلى قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ﴾ [الأعراف : ٤٠] السم : هي الثقب ، وكل هذه سموم ؛ لأن فيها شقوقًا ، مثل سم الإبرة أي الثقب الذي فيها .

قوله : «﴿غَوَاشٍ﴾ [الأعراف : ٤١] : **ما غشوا به**» يعني : ما غطوا به .

قوله : «**نشرًا : متفرقة**» هذه قراءة ، وفي رواية حفص التي نقرأ بها : ﴿بُشْرًۢا﴾ [الأعراف : ٥٧] .

قوله «﴿نَكِدًا﴾ : **قليلًا**» أي : في قوله تعالى : ﴿وَٱلَّذِى خَبُثَ لَا يَخْرُجُ إِلَّا نَكِدًا﴾ [الأعراف : ٥٨] .

قوله : «﴿يَغْنَوْا۟﴾ : **يعيشوا**» أي : في قوله تعالى : ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَا﴾ [الأعراف : ٩٢] .

قوله : «﴿حَقِيقٌ﴾ : **حق**» ، يشير إلى قوله تعالى : ﴿حَقِيقٌ عَلَىٰٓ أَن لَّآ أَقُولَ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [الأعراف : ١٠٥] .

قوله : «﴿وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ﴾ : من الرهبة» ، يشير إلى قوله تعالى : ﴿فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ سَحَرُوٓاْ أَعۡيُنَ ٱلنَّاسِ وَٱسۡتَرۡهَبُوهُمۡ وَجَآءُو بِسِحۡرٍ عَظِيمٖ﴾ [الأعراف : ١١٦] .

قوله : «﴿تَلۡقَفُ﴾ : تلقم» يعني : عصا موسى ، في قوله تعالى : ﴿فَإِذَا هِيَ تَلۡقَفُ مَا يَأۡفِكُونَ﴾ [الأعراف : ١١٧] .

قوله : «طوفان : من السيل ، ويقال للموت الكثير : الطوفان» يشير إلى قوله تعالى : ﴿فَأَرۡسَلۡنَا عَلَيۡهِمُ ٱلطُّوفَانَ﴾ [الأعراف : ١٣٣] .

قوله : «﴿وَٱلۡقُمَّلَ﴾ [الأعراف : ١٣٣] : الحمنان ، يشبه صغار الحلم» الحلم : دابة صغيرة ، وهذا في عقوبة على بني إسرائيل .

قوله : «عروش وعريش : بناء» ، يشير إلى قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانُواْ يَعۡرِشُونَ﴾ [الأعراف : ١٣٧] .

قوله : «﴿سُقِطَ﴾ : كل من ندم فقد سقط في يده» ، يشير إلى قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا سُقِطَ فِيٓ أَيۡدِيهِمۡ﴾ [الأعراف : ١٤٩] أي : ندموا .

قوله : «﴿ٱلۡأَسۡبَاط﴾ [النساء : ١٣٦] : قبائل بني إسرائيل» أي أن الأسباط في بني إسرائيل بمنزلة القبائل عند العرب .

قوله : «﴿يَعۡدُونَ فِي ٱلسَّبۡتِ﴾ [الأعراف : ١٦٣] : يتعدون له ، تجاوز بعد تجاوز» أي : يتعدون الحدود ، فالله تعالى حرم عليهم اصطياد السبت عقوبة لهم ، ومن ابتلاء الله لهم أن الحوت لا يأتي إلا يوم السبت ، فتحيلوا فجعلوا الشباك يوم الجمعة تصيد يوم السبت ويأخذونها يوم الأحد ، وقالوا : ما صدنا ؛ ومن أجل ذلك مسخهم الله قردة وخنازير .

قوله : «﴿شُرَّعٗا﴾ : شوارع» يشير إلى قوله تعالى : ﴿إِذۡ تَأۡتِيهِمۡ حِيتَانُهُمۡ يَوۡمَ سَبۡتِهِمۡ شُرَّعٗا﴾ [الأعراف : ١٦٣] .

قوله : «﴿بَـِٔيسِۭ﴾ : شديد» في قوله تعالى : ﴿وَأَخَذۡنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابِۭ بَـِٔيسِۭ﴾ [الأعراف : ١٦٥] .

قوله : «﴿أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ﴾ [الأعراف : ١٧٦] : قعد وتقاعس» ، ومنه الإخلاد وهو طول المكث .

قوله : «﴿سَنَسۡتَدۡرِجُهُم﴾ [الأعراف : ١٨٢] **أي : نأتيهم من مأمنهم ؛ كقوله تعالى : ﴿فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْ﴾** [الحشر : ٢]» أي : وهم غافلون .

قوله : «﴿مِّن جِنَّةٍ﴾ **: من جنون**» أي في قوله تعالى : ﴿**مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ**﴾ [الأعراف : ١٨٤] .

قوله : «﴿أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا﴾ **: متى خروجها؟**» أي في قوله تعالى : ﴿**يَسۡـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلسَّاعَةِ أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا**﴾ [الأعراف : ١٨٧] .

قوله : «﴿فَمَرَّتۡ بِهِۦ﴾ [الأعراف : ١٨٩] **: استمر بها الحمل فأتمته**» يعني : حواء لما حملت .

قوله : «﴿يَنزَغَنَّكَ﴾ **: يستخفنك**» أي في قوله تعالى : ﴿**وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٞ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ [الأعراف : ٢٠٠] .

قوله : «**طيف ملم : به لمم ، ويقال : ﴿طَٰٓئِفٞ﴾ ، وهو واحد**» يشير إلى قوله تعالى : ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ إِذَا مَسَّهُمۡ طَٰٓئِفٞ مِّنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ**﴾ [الأعراف : ٢٠١] .

قوله : «﴿يَمُدُّونَهُمۡ﴾ **: يزينون**» أي في قوله تعالى : ﴿**وَإِخۡوَٰنُهُمۡ يَمُدُّونَهُمۡ فِي ٱلۡغَيِّ**﴾ [الأعراف : ٢٠٢] .

قوله : «﴿وَخِيفَةً﴾ **: خوفًا**» أي في قوله تعالى : ﴿**وَٱذۡكُر رَّبَّكَ فِي نَفۡسِكَ تَضَرُّعٗا وَخِيفَةً**﴾ [الأعراف : ٢٠٥] .

قوله : «﴿وَخُفۡيَةً﴾ [الأعراف : ٥٥]: **من الإخفاء**» ، وفرق بين الخيفة وهي : الخوف ، ضد الأمن ، والخفية وهي : الإخفاء ، ضد الجهر .

قوله : «﴿وَٱلۡأٓصَالِ﴾ [الأعراف ٢٠٥] **واحدها : أصل**» وكذلك واحدها : أصيل ، مثل قوله تعالى : ﴿**وَسَبِّحُوهُ بُكۡرَةٗ وَأَصِيلًا**﴾ [الأحزاب : ٤٢] ، قوله : «**وهو : ما بين العصر إلى المغرب**» أي : آخر النهار .

***

المتن

[١٣١/ ٥٦] باب قول الله ﷻ: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾

• [٤٢٤٩] حدثنا سليمان بن حرب، قال: حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن أبي وائل، عن عبدالله رضي الله عنه قال: قلت: آنت سمعت هذا من عبدالله؟ قال: نعم، ورفعه قال: **«لا أحدٌ أغيرُ من الله؛ فلذلك حرم الفواحش ما ظهر منها وما بطن، ولا أحدٌ أحبُّ إليه المدحة من الله؛ فلذلك مدح نفسه»**.

الشرح

• [٤٢٤٩] قوله: **«لا أحد أغير من الله؛ فلذلك حرم الفواحش»** هذا هو الشاهد في الحديث، ومناسبته للترجمة، وهي قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَا حَرَّمَ رَبِّيَ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ﴾ [الأعراف: ٣٣] ظاهرة، وسبق الكلام على الحديث.

* * *

المتن

[١٣٢/ ٥٦] ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ **الآية**

قال ابن عباس : ﴿أَرِنِي﴾ : أعطني .

● [٤٢٥٠] حدثنا محمد بن يوسف ، حدثنا سفيان ، عن عمرو بن يحيى المازني ، عن أبيه ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : جاء رجل من اليهود إلى رسول الله قد لطم وجهه ، وقال : يا محمد ، إن رجلًا من أصحابك من الأنصار لطم في وجهي ، قال : «**ادعوه**» ، فدعوه ، قال : «**لم لطمت وجهه؟**» ، قال : يا رسول الله ، إني مررت باليهود فسمعته يقول : والذي اصطفى موسى على البشر ، قال : فقلت : وعلى محمد؟! وأخذتني غضبة فلطمته ، فقال : «**لا تخيروني من بين الأنبياء ؛ فإن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول من يفيق ، فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدري أفاق قبلي أم جُزِيَ بصعقة الطور؟**» .

الشرح

هذه الترجمة في قصة موسى عليه السلام قال الله تعالى : ﴿وَلَمَّا جَاءَ مُوسَىٰ لِمِيقَاتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ قَالَ لَن تَرَىٰنِي وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ [الأعراف : ١٤٣] وذلك بعدما كلمه الله من دون واسطة -لذا يسمى كليم الرحمن- فطمع في رؤية الله فقال : ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَ﴾ فقال الله سبحانه : ﴿لَن تَرَىٰنِي﴾ أي لا تستطيع في الدنيا ببشريتك الضعيفة ، قال : ﴿وَلَٰكِنِ ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ﴾ ؛ لأن الجبل شديد صلب ، ﴿فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِي﴾ يعني : إن ثبت الجبل فأنت تستطيع ، وإن لم يثبت فلن تستطيع ، قال الله تعالى : ﴿فَلَمَّا تَجَلَّىٰ رَبُّهُۥ لِلۡجَبَلِ جَعَلَهُۥ دَكّٗا﴾ أي : تدكدك وانساخ وذاب ، قال بعض السلف : إنه كشف له بمقدار الخنصر .

قال الله تعالى : ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقٗا فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ﴾ أي : موسى ﴿سُبۡحَٰنَكَ﴾ تنزيهًا لك ﴿تُبۡتُ إِلَيۡكَ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ﴾ أي : المؤمنين أنه لا يراك أحد في الدنيا إلا مات ولا جبل إلا تدكدك ، فلا يستطيع أحد أن يرى الله حتى نبينا ﷺ ليلة المعراج ؛ ولهذا جاء في الحديث الذي رواه الإمام مسلم قال : «**إن الله لا ينام ولا ينبغي له أن ينام**» قال في آخر الحديث : «**حجابه النور**

لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهىٰ إليه بصره من خلقه»(١) فالله سبحانه احتجب من خلقه، ولو كشف الحجاب لاحترق الخلق.

وقد أجمع العلماء علىٰ أن الله لم يره أحد في الدنيا، إلا أنهم اختلفوا في نبينا ﷺ ليلة المعراج، واتفقوا علىٰ أنه لم يره في الأرض، وإنما الخلاف في رؤيته في السماء، قال بعض السلف: إنه رآه بعين رأسه، وقال آخرون: لم يره وإنما رآه بعين قلبه، وهذا هو الصواب، ولما قال أبو ذر للنبي ﷺ: هل رأيت ربك في ليلة المعراج؟ قال: **«نور أنىٰ أراه؟»**(٢) يعني: نور حجابه يمنعني من رؤيته فلا يستطيع أحد أن يرىٰ الله أو أن يتحمل رؤية الله؛ ولهذا قالت عائشة لما سألها مسروق هل رأىٰ محمد ربه؟ قالت: لقد قف شعري لما قلت، ثم قالت: **«من حدثك أن محمدًا رأىٰ ربه فقد كذب»**(٣).

لكن الرؤية في الآخرة ثابتة، فالمؤمنون يرون الله، والقرآن صريح في هذا، والأحاديث متواترة؛ قال العلامة ابن القيم: «وأهل السنة كلهم متفقون علىٰ إثبات رؤية المؤمنين لربهم في الآخرة»(٤).

ومن الأدلة عليها قوله تعالىٰ: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣]، وقوله سبحانه: ﴿لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ﴾ [يونس: ٢٦] والزيادة جاء تفسيرها بأنها النظر إلىٰ وجهه الكريم سبحانه، وكذلك قوله سبحانه: ﴿وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ﴾ [ق: ٣٥]، ومن أصرح الأدلة حديث أبي هريرة: **«إنكم ترون ربكم كما ترون الشمس صحوًا ليس دونها سحاب، وكما ترون القمر ليلة البدر ليس دونه سحاب»**(٥).

وقد أنكر المعتزلة والجهمية رؤية الله في الآخرة، وقالوا: إن الله لا يرىٰ لا في الدنيا ولا في الآخرة، وفسروا الرؤية المذكورة في الحديث بالعلم؛ أي: إنكم تعلمون ربكم لا تشكون في العلم به كما لا تشكون في القمر أنه قمر، وهذا تأويل فاسد، واستدلوا علىٰ عدم الرؤية، في

---

(١) أحمد (٤/ ٤٠٥)، ومسلم (١٧٩).
(٢) أحمد (٥/ ١٤٧)، ومسلم (١٧٨).
(٣) أحمد (٦/ ٤٩)، والبخاري (٤٨٥٥)، ومسلم (١٧٧).
(٤) «الصواعق المرسلة» (٤/ ٢٤٧).
(٥) أحمد (٢/ ٢٧٥)، والبخاري (٦٥٧٤)، ومسلم (١٨٣).

المستقبل بهذه الآية : ﴿لَن تَرَىٰنِى﴾ [الأعراف : ١٤٣] وقالوا : لن تفيد النفي المؤبد ، فلا يمكن رؤية الله لا في الدنيا ولا في الآخرة ؛ وهذا باطل لأنها حتىٰ لو قيدت بالتأبيد فلا تفيد النفي في الآخرة ؛ قال الله تعالىٰ عن الكفار : ﴿وَلَن يَتَمَنَّوْهُ أَبَدًا﴾ [البقرة : ٩٥] أي : لن يتمنوا الموت أبدًا ، وأخبر الله أنهم يتمنوه في الآخرة فقال : ﴿وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾ [الزخرف : ٧٧] فهم تمنوا الموت في الآخرة ، فهذا فيه رد على المعتزلة .

ورؤية الله جائزة عقلًا واقعة شرعًا :

جائزة عقلًا : يعني في الدنيا لا يحيلها العقل ؛ فالرؤية ليست بمستحيلة ، فلو كانت مستحيلة لما سألها موسىٰ ؛ لأن موسىٰ لا يسأل المستحيل ، لكنها غير واقعة في الدنيا .

واقعة شرعًا : أي واقعة في الآخرة كما دلت علىٰ ذلك نصوص الشريعة ، وسبب عدم وقوعها في الدنيا هو عدم تحمل الناس لرؤية الله ببشريتهم الضعيفة ، أما في يوم القيامة فينشئهم الله تنشئة قوية فيثبتون لرؤيته .

- [٤٢٥٠] ثم ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ حديث أبي سعيد أن رجلا يهوديا جاء إلى النبي ﷺ فشكا إليه أن رجلا من الأنصار لطمه في وجهه ، فلما دعاه النبي ﷺ وسأله قال : **«إني مررت باليهود فسمعته يقول : والذي اصطفىٰ موسىٰ على البشر»** فقال الصحابي : **«وعلىٰ محمد؟!»** وفي اللفظ الآخر ، قال : **«قلت : أي خبيث علىٰ محمد؟!»**(١) يخاطب اليهودي ، قال : **«وأخذتني غضبة»** أي : غضب الصحابي من خبث هذا اليهودي فلطمه ، فاليهود قوم بهت خبثاء ، أراد اليهودي أن يفضل موسىٰ عليه السلام وقد مات -يعني وهو من أتباعه- علىٰ محمد ﷺ وهو حي بين أظهر المسلمين ، فقال النبي ﷺ : **«لا تخيروني من بين الأنبياء»** يعني : لا تفضلوني ؛ **«فإن الناس يصعقون يوم القيامة ، فأكون أول من يفيق ، فإذا أنا بموسىٰ آخذ بقائمة من قوائم العرش ، فلا أدري أفاق قبلي أم جزي بصعقة الطور؟»** .

اختلف العلماء في قوله : **«لا تخيروني»** مع أنه أفضل الأنبياء كما في حديث أنس : **«أنا سيد ولد آدم يوم القيامة ولا فخر»**(٢) وجمعوا بين الحديثين بأن قالوا : إن هذا علىٰ سبيل التواضع وهضم النفس ، أو لمنع التفضيل علىٰ سبيل الحمية والعصبية للجنس .

---

(١) أحمد (٢/ ٤٥٠) ، والبخاري (٢٤١٢) .

(٢) أحمد (٣/ ٢) ، والترمذي (٣١٤٨) ، وابن ماجه (٤٣٠٨) .

ولم يقتص النبي ﷺ لليهودي من الأنصاري؛ لأن الأنصاري على حق؛ فدل على أن من قال خلاف الحق ثم غضب أحد لله وأدبه فلا شيء عليه.

قوله: **«فإن الناس يصعقون يوم القيامة»** هي صعقة في موقف القيامة.

والصعقات ثلاث:

الصعقة الأولى: صعقة الموت في آخر الدنيا، ينفخ في الصور فيصعق الناس.

الصعقة الثانية: صعقة البعث؛ حيث تبعث الأجساد وتعود الأرواح إلى أجسادها، كما قال تعالى في سورة الزمر: ﴿**وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ**﴾ [الزمر: ٦٨].

الصعقة الثالثة: صعقة في موقف القيامة؛ فإن الناس يصعقون يوم القيامة حيث يتجلى الله لفصل القضاء فيصعق الناس؛ ولذلك قال النبي ﷺ **«فأكون أول من يفيق»** أي: من صعقة التجلي في موقف القيامة، قال: **«فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش»**، وهذه منقبة لموسى ﷺ، ثم قال النبي ﷺ: **«فلا أدري أفاق قبلي أم جزي بصعقة الطور؟»** أي فلا أدري هل لم يصعق موسى مجازاة له بصعقة يوم الطور؟ أو أنه صعق فأفاق قبلي؟ وفي كلتا الحالتين منقبة لموسى ﷺ، لكن الفضائل الخاصة لا تقضي على الفضائل العامة.

وفي بعض الروايات: **«فلا أدري أفاق قبلي أم كان ممن استثنى الله»**[1] وهذا انقلاب من بعض الرواة التبس عليه صعقة البعث بصعقة التجلي؛ لأن صعقة التجلي ليس فيها استثناء، أما صعقة الموت ففيها استثناء لقول الله ﷻ: ﴿**وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ**﴾ والمقصود بالاستثناء في الآية، أي: من لم يكتب الله عليه الموت من الحور العين والأرواح التي لا تموت والملائكة.

* * *

(١) أحمد (٢/ ٤٥٠)، والبخاري (٢٤١١)، ومسلم (٢٣٧٣).

المتن

[١٣٣/ ٥٦] ﴿ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾ [الأعراف: ١٦٠]

• [٤٢٥١] حدثنا مسلم، قال: حدثنا شعبة، عن عبدالملك، عن عمرو بن حريث، عن سعيد ابن زيد، عن النبي ﷺ قال: «**الكمأة من المن، وماؤها شفاء من العين**».

الشرح

قوله: «﴿ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ﴾» نوعان من الطعام، وهما مما أنزله الله على بني إسرائيل في التيه، والمن: شيء ينزل من السماء مثل العسل، والسلوى: طائر يشبه السمان.

• [٤٢٥١] قوله: «**الكمأة من المن**» هذا هو الشاهد من الحديث، و«**الكمأة**»: نبتة معروفة تسمى في اللهجة العامية: الفقع، والمعنى أنها من المن الذي أنزله الله على بني إسرائيل، وقيل: إن المن استقر في الأرض فخرج منه.

وقوله: «**وماؤها شفاء من العين**» أي: ماء الكمأة شفاء للعين على كيفية يعرفها أصحاب الخبرة.

* * *

المتن

[١٣٤/ ٥٦] باب ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾ الآية [الأعراف:١٥٨]

• [٤٢٥٢] حدثني عبدالله، قال: حدثنا سليمان بن عبدالرحمن وموسى بن هارون، قالا: حدثنا الوليد بن مسلم، قال: حدثنا عبدالله بن العلاء بن زبر، قال: حدثني بسر بن عبيدالله، قال: حدثني أبو إدريس الخولاني، قال: سمعت أبا الدرداء يقول: كانت بين أبي بكر وعمر محاورة، فأغضب أبو بكر عمر، فانصرف عمر عنه مغضبا، فاتبعه أبو بكر يسأله أن يستغفر له، فلم يفعل حتى أغلق بابه في وجهه، فأقبل أبو بكر إلى رسول الله ﷺ، فقال أبو الدرداء: ونحن عنده، فقال رسول الله ﷺ: **«أما صاحبكم هذا فقد غامر»**، قال: وندم عمر على ما كان منه، فأقبل حتى سلم وجلس إلى النبي ﷺ وقص على رسول الله ﷺ الخبر، قال أبو الدرداء: وغضب رسول الله ﷺ، وجعل أبو بكر يقول: والله يا رسول الله لأنا كنت أظلم، فقال رسول الله ﷺ: **«هل أنتم تاركو لي صاحبي؟ هل أنتم تاركو لي صاحبي؟ إني قلت: يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعا، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت»**.

قال أبو عبدالله: غامر: سبق بالخبر.

الشرح

• [٤٢٥٢] **قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: **«فقد غامر»** بالغين المعجمة أي: خاصم، والمعنى: دخل في غمرة الخصومة، والغامر الذي يرمي بنفسه في الأمر العظيم كالحرب وغيره، وقيل: هو من الغِمر بكسر المعجمة وهو الحقد أي: صنع أمرا اقتضى له ان يحقد على من صنعه معه ويحقد الآخر عليه، ووقع في تفسير الأعراف في رواية أبي ذر وحده: **«قال أبو عبد الله»** هو المصنف. غامر أي: سبق بالخير، وذكر عياض انه في رواية المستملي وحده عن أبي ذر، وهو تفسير مستغرب، والأول أظهر».

* * *

المتن

[١٣٥/ ٥٦] باب قوله: ﴿حِطَّةٌ﴾ [الأعراف: ١٦١]

• [٤٢٥٣] حدثني إسحاق، قال: أخبرنا عبدالرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن همام بن منبه، أنه سمع أبا هريرة يقول: قال رسول الله ﷺ: **«قيل لبني إسرائيل: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾** [البقرة: ٥٨]، **فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم، وقالوا: حبة في شعرة»**.

الشرح

ترجم البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ هنا على كلمة من الآية فقال: **«باب قوله: ﴿حِطَّةٌ﴾»**، يشير بذلك إلى قول الله تعالى في بني إسرائيل: **﴿وَإِذْ قِيلَ لَهُمُ ٱسْكُنُواْ هَٰذِهِ ٱلْقَرْيَةَ وَكُلُواْ مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ وَقُولُواْ حِطَّةٌ وَٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطِيٓـَٰٔتِكُمْ سَنَزِيدُ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾** [الأعراف: ١٦١] يعني: ادخلوا هذه القرية المباركة، واسجدوا شكرًا لله، وقولوا: يا الله، حط عنا خطايانا واغفر لنا.

• [٤٢٥٣] قوله: **«قيل لبني إسرائيل: ﴿ٱدْخُلُواْ ٱلْبَابَ سُجَّدًا وَقُولُواْ حِطَّةٌ نَّغْفِرْ لَكُمْ خَطَٰيَٰكُمْ﴾** [البقرة: ٥٨]» أي: خضوعًا لله، والراكع يسمى ساجدًا، **«فبدلوا فدخلوا يزحفون على أستاههم»** أي: على أدبارهم.

ومعنى قوله تعالى: **﴿وَقُولُواْ حِطَّةٌ﴾** أي: قولوا: يا الله، احطط عنا ذنوبنا، واغفر لنا خطايانا، فقالوا: **«حبة في شعرة»**، وفي رواية للكشميهني: **«في شعيرة»**؛ وفي لفظ: **«قالوا حنطة»**[1]؛ استهزاء، وهذا من عتوهم وعنادهم غيروا وبدلوا بالقول وبالفعل، وقد بين ذلك الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ ثم قال: «ويستنبط منه أن الأقوال المنصوصة إذا تعبد بلفظها لا يجوز تغييرها ولو وافق المعنى» وهذا هو الصواب، ومن الأقوال المتعبد بلفظها -والتي لا يجوز تغييرها- الأذكار في الركوع والسجود والتكبير والتسبيح وقراءة الفاتحة؛ ولذلك يجب على العجم أن يتعلموا العربية، ولا يجوز لهم التعبد بلغتهم.

---

(١) أحمد (٢/ ٣١٢)، والنسائي في «الكبرى» (٦/ ٢٨٦).

المتن

[١٣٦/ ٥٦] باب

﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٩٩]

(﴿الْعُرْفِ﴾ [الأعراف: ١٩٩]: المعروف.

• [٤٢٥٤] حدثنا أبو اليمان، قال: أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني عبيدالله بن عبدالله بن عتبة، أن ابن عباس قال: قدم عيينة بن حصن بن حذيفة فنزل على ابن أخيه الحر بن قيس، وكان من النفر الذين يدنيهم عمر، وكان القراء أصحاب مجالس عمر ومشاورته كهولًا كانوا أو شبابًا، فقال عيينة لابن أخيه: يابن أخي، هل لك وجه عند هذا الأمير؟ فاستأذن لي عليه. قال: سأستأذن لك عليه، قال ابن عباس: فاستأذن الحر لعيينة بن حصن، فأذن له عمر، فلما دخل عليه قال: هي يابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم أن يوقع به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله ﷻ قال لنبيه: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافًا عند كتاب الله.

• [٤٢٥٥] حدثني يحيى، قال: حدثنا وكيع، عن هشام، عن أبيه، عن ابن الزبير، ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ قال: ما أنزل الله إلا في أخلاق الناس.

• [٤٢٥٦] وقال عبدالله بن براد، قال: حدثنا أبو أسامة، قال هشام: أخبرني عن أبيه، عن عبدالله بن الزبير قال: أمر الله نبيه أن يأخذ العفو من أخلاق الناس.

أو كما قال.

الشرح

• [٤٢٥٤] في هذا الأثر أن عيينة بن حصن لما أراد أن يدخل على عمر بن الخطاب رضي الله عنه -وهو خليفة- قال لابن أخيه الحر بن قيس: **«هل لك وجه عند هذا الأمير؟ فاستأذن لي عليه»** يعني: عمر، فاستأذن الحر لعمه فأذن عمر، فلما جاءه تكلم بكلام لا يليق، فقال: **«هي يا ابن الخطاب، فوالله ما تعطينا الجزل، ولا تحكم بيننا بالعدل، فغضب عمر حتى هم أن يوقع به، فقال له الحر: يا أمير المؤمنين، إن الله ﷻ قال لنبيه: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ**

﴿فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِ﴾ [الأعراف: ١٩٩] **وإن هذا من الجاهلين، والله ما جاوزها عمر حين تلاها عليه، وكان وقافًا عند كتاب الله»**، وعيينة من الصحابة إلا أنه غلب عليه جفاء البادية وغلظها.

وفي هذا الأثر فضل عمر بن الخطاب رضي الله عنه وانقياده لأمر الله، حيث لم يعاقب عيينة بن حصن على ما بدر منه.

• [٤٢٥٥] ذكر المؤلف رحمه الله هذه الآية: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ثم ذكر أن عبد الله بن الزبير قال فيها: **«ما أنزل الله إلا في أخلاق الناس»**.

• [٤٢٥٦] قوله: **«أمر الله نبيه أن يأخذ العفو من أخلاق الناس»** أي: في هذه الآية ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ [الأعراف: ١٩٩] وإلى هذا ذهب ابن الزبير ومجاهد، وقيل: إنها نزلت في أموال الناس وإلى هذا ذهب ابن عباس، وقد بين هذا الحافظ ابن حجر رحمه الله فقال: «وإلى ما ذهب إليه ابن الزبير من تفسير الآية ذهب مجاهد، وخالف في ذلك ابن عباس، فروى ابن جرير من طريق علي بن أبي طلحة عنه قال: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ يعني خذ ما عفا لك من أموالهم أي: ما فضل، وكان ذلك قبل فرض الزكاة، وبذلك قال السدي وزاد: نسختها آية الزكاة، وبنحوه قال الضحاك وعطاء وأبو عبيدة، ورجح ابن جرير الأول، واحتج له. وروي عن جعفر الصادق وقال: ليس في القرآن آية أجمع لمكارم الأخلاق منها، ووجهوه بأن الأخلاق ثلاثة بحسب القوة الإنسانية: عقلية وشهوية وغضبية، فالعقلية الحكمة ومنها الأمر بالمعروف، والشهوية العفة ومنها أخذ العفو، والغضبية الشجاعة ومنها الإعراض عن الجاهلين. وروى الطبري مرسلًا وابن مردويه موصولًا من حديث جابر وغيره لما نزلت: ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾ [الأعراف: ١٩٩] سأل جبريل، فقال: لا أعلم حتى أسأله، ثم رجع فقال: **«إن ربك يأمرك أن تصل من قطعك، وتعطي من حرمك، وتعفو عمن ظلمك»**[(١)]».

* * *

(١) «تفسير ابن جرير» (٩/ ١٥٥) مرسلًا.

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأنفال

قال ابن عباس : ﴿ٱلۡأَنفَالِ﴾ [الأنفال : ١] : المغانم .

﴿نَافِلَةً﴾ [الإسراء : ٧٩] : عطية .

﴿وَإِن جَنَحُواْ﴾ [الأنفال : ٦١] : طلبوا .

السَّلْم والسِّلم والسلام واحدٌ .

يثخنَ : يغلبَ .

وقال مجاهد : ﴿مُكَآءٗ﴾ [الأنفال : ٣٥] : إدخال أصابعهم في أفواههم .

قال قتادة : ﴿رِيحُكُمۡ﴾ [الأنفال : ٤٦] : الحرب .

﴿مُرۡدِفِينَ﴾ [الأنفال : ٩] : فوجًا بعد فوج ، يقال : ردفني وأردفني جاء بعدي .

ذوقوا : باشروا جربوا ، وليس هذا من ذوق الفم .

﴿فَيَرۡكُمَهُۥ﴾ [الأنفال : ٣٧] : يجمعه .

«شرد» : فرق .

وإن جنحوا : طلبوا .

وتصدية : الصفيرُ .

﴿لِيُثۡبِتُوكَ﴾ [الأنفال : ٣٠] : ليحبسوك .

• [٤٢٥٧] حدثني محمد بن عبدالرحيم ، قال : حدثنا سعيد بن سليمان ، قال : حدثنا هشيم ، أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير قال : قلت لابن عباس : سورة الأنفال ، قال : نزلت في بدر .

الشَّرْحُ

قوله : «**قال ابن عباس : ﴿ٱلْأَنفَالُ﴾** [الأنفال : ١] : **المغانم**» وهي التي يغنمها المسلمون من أموال الكفار .

قوله : ﴿نَافِلَةً﴾ في قوله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء : ٧٩] فسره فقال : «**عطية**» .

قوله تعالى : ﴿وَإِن جَنَحُواْ﴾ [الأنفال : ٦١] يعني «**طلبوا**» السلام ، قال : «**السَّلم والسِّلم والسلام واحد**» .

قوله : «﴿يُثْخِنَ﴾ : **يغلب**» أي في قوله تعالى : ﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الأنفال : ٦٧] .

وفسر : ﴿مُكَآءً﴾ في قوله تعالى : ﴿وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال : ٣٥] بقول مجاهد : «**إدخال أصابعهم في أفواههم**» .

قوله «**قال قتادة : ﴿رِيحُكُمْ﴾** [الأنفال : ٤٦] : **الحرب**» والمعنى : قوتكم في الحرب .

قوله : «﴿مُرْدِفِينَ﴾ [الأنفال : ٩] : **فوجًا بعد فوج يقال : ردفني وأردفني جاء بعدي**» أي : الملائكة .

قوله «﴿وَذُوقُواْ﴾ [الأنفال : ٥٠] : **باشروا وجربوا ، وليس هذا من ذوق الفم**» أي : وإنما هو ذوق بالجسم .

قوله تعالى : ﴿فَيَرْكُمَهُۥ﴾ [الأنفال : ٣٧] فسره فقال : «**يجمعه**» .

قوله : «**شرد : فرق**» أي في قوله تعالى : ﴿فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ﴾ [الأنفال : ٥٧] والمعنى : نكل بهم فيتفرق من خلفهم ممن يريدون قتال المسلمين .

قوله : «﴿وَتَصْدِيَةً﴾ [الأنفال : ٣٥] : **الصفير**» وقيل بالعكس ، كما نقل الحافظ ابن حجر عن أبي عبيدة : «المكاء الصفير ، والتصدية صفق الأكف» .

قوله تعالى : ﴿لِيُثْبِتُوكَ﴾ [الأنفال : ٣٠] : فسره فقال : «**ليحبسوك**» .

• [٤٢٥٧] ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث ابن عباس لما سئل عن سورة الأنفال قال : «**نزلت في بدر**» ؛ لأن الآيات التي في أول السورة ، وكذلك التي في آخرها تحدثت عن غزوة بدر .

المَتْنُ

[١٣٧/ ٥٦] ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢]

قال: قال: هم نفر من بني عبدالدار

• [٤٢٥٨] حدثنا محمد بن يوسف، حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن ابن عباس، ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ قال: هم نفر من بني عبدالدار.

الشَّرْحُ

• [٤٢٥٨] قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلْبُكْمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الأنفال: ٢٢] أي: لا يتبعون الحق.

قوله: «هم نفر من بني عبدالدار» أي من نزلت فيهم الآية، وهذا ليس خاصًّا بهم، بل يشمل كل من اتصف بهذا الوصف؛ لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فكل من لا يسمع الحق سماع قبول واتباع فهو داخل تحت هذه الآية.

* * *

المتن

[١٣٨/ ٥٦] ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤] **الآية**

﴿ٱسْتَجِيبُوا۟﴾: أجيبوا.

﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾: لما يصلحكم.

• [٤٢٥٩] حدثني إسحاق، قال: أخبرنا روح، قال: حدثنا شعبة، عن خبيب بن عبدالرحمن قال: سمعت حفص بن عاصم يحدث، عن أبي سعيد بن المعلى: كنت أصلي فمر بي رسول الله ﷺ فدعاني، فلم آته حتى صليت ثم أتيته، فقال: «**ما منعك أن تأتيني؟ ألم يقل الله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾**؟»، ثم قال: «**لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج**»، فذهب رسول الله ﷺ ليخرج فذكرت له.

وقال معاذ: حدثنا شعبة، عن خبيب بن عبدالرحمن، سمع حفصًا، سمع أباسعيد رجلا من أصحاب النبي ﷺ بهذا، وقال: «**هي الحمد لله رب العالمين، السبع المثاني**».

الشرح

قوله: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾ [الأنفال: ٢٤]، وجه الخطاب للمؤمنين؛ لأنهم هم الذين ينقادون لأوامر الله.

قوله تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟﴾ فسره بقوله: «أجيبوا».

قوله: «﴿لِمَا يُحْيِيكُمْ﴾: لما يصلحكم» وذلك بفعل الأوامر وترك النواهي، فحياة القلوب بالاستجابة لله والانقياد لشرعه ودينه، يشير إلى قوله تعالى: ﴿ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ﴾ [الأنفال: ٢٤] وهذا وعيد شديد لمن لم يستجب، وأنه يخشى عليه من زيغ القلب، كما قال الله تعالى في الآية الأخرى: ﴿فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ﴾ [الصف: ٥]، وقال أيضًا: ﴿وَنُقَلِّبُ أَفْـِٔدَتَهُمْ وَأَبْصَـٰرَهُمْ كَمَا لَمْ يُؤْمِنُوا۟ بِهِۦٓ أَوَّلَ مَرَّةٍ﴾ [الأنعام: ١١٠].

• [٤٢٥٩] ذكر البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه الترجمة حديث أبي سعيد بن المعلى قال: **«كنت أصلي فمر بي رسول الله ﷺ فدعاني، فلم آته حتى صليت ثم أتيته، فقال: ما منعك أن تأتيني؟ ألم يقل الله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ﴾** [الأنفال: ٢٤]؟» ومقتضى هذا أنه يقطع الصلاة ويجيب النبي ﷺ؛ لأن الأدلة التي وردت بإتمام الصلاة عامة، وتكون إجابته ﷺ مخصصة لها؛ لعموم قوله تعالى: **﴿وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَالَكُمْ﴾** [محمد: ٣٣] فيجب على المسلم إذا ناداه الرسول ﷺ في حال حياته أن يجيبه وإن كان في الصلاة.

أما إذا دعا الوالد ولده وهو يصلي، فإن كان يصلي الفريضة فلا يجيبه ولا يقطع الصلاة، أما إن كان يصلي النافلة ففيه تفصيل: فإن كان الوالد يتأثر ويغضب، أو قد تحدث مفاسد مستقبلًا إن لم يجبه فعليه أن يقطع الصلاة ويجيبه؛ لأن إجابة الوالد فرض والصلاة نافلة، والفرض مقدم على النافلة.

وأما إذا كان لا يغضب فإنه يشير إليه ويسبح؛ حتى يعلمه أنه يصلي، ثم يكمل صلاته ويتجوز فيها ثم يجيبه.

قوله: **«لأعلمنك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج»** جاء في التعليق أنها الفاتحة؛ فهي أعظم سورة في القرآن، وهي السبع المثاني، ومن أسمائها الحمد والفاتحة، وأم القرآن.

وأما أعظم آية في القرآن فهي آية الكرسي، كما في حديث أبي بن كعب لما سأله النبي ﷺ: أي آية في القرآن أعظم؟ قال: **﴿اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾** [البقرة: ٢٥٥] فضرب في صدره وقال: **«ليهنك العلم أبا المنذر»**[١] أي: هنيئًا لك العلم.

* * *

---

(١) أحمد (٥/ ١٤١)، ومسلم (٨١٠).

المتن

[١٣٩/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ﴾ [الأنفال: ٣٢] الآية

قال ابن عُيينة: ما سمى الله مطرا في القرآن إلا عذابا، وتسميه العرب الغيث وهو قوله: ﴿يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِن بَعْدِ مَا قَنَطُوا﴾ [الشورى: ٢٨].

• [٤٢٦٠] حدثني أحمد، قال: حدثنا عبيدالله بن معاذ، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا شعبة، عن عبدالحميد صاحب الزيادي، سمع أنس بن مالك، قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم، فنزلت: ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ﴾، إلى: ﴿عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ﴾ [الأنفال: ٣٣].

الشرح

ترجم البخاري على قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالُوا اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاءِ أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الأنفال: ٣٢] وفيها بيان عتو المشركين وعنادهم.

قوله: «**قال ابن عيينة: ما سمى الله مطرًا في القرآن إلا عذابًا، وتسميه العرب الغيث**» وقد ذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ تفصيلًا في كون المطر عذابًا أو رحمة، فقال: «المراد بالغيث هو ما تأدى البلل به، وقال أبو عبيدة: إن كان من العذاب فهو أمطرت، وإن كان من الرحمة فهو مطرت».

• [٤٢٦٠] قوله: «**قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء أو ائتنا بعذاب أليم**» أي: إن كان هذا الذي جاء به محمد منزل حقًّا من عندك فأهلكنا، وكان الواجب عليه أن يقول: إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا به ووفقنا له، لكن سبقت الشقاوة، ومناسبة الحديث للترجمة واضحة.

* * *

المتن

[١٤٠/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣]

• [٤٢٦١] حدثنا محمد بن النضر، قال: حدثنا عبيدالله بن معاذ، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا شعبة، عن عبدالحميد صاحب الزيادي، سمع أنس بن مالك قال: قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء، أو ائتنا بعذاب أليم، فنزلت: ﴿وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الأنفال: ٣٤] الآية.

الشرح

• [٤٢٦١] **في هذا الحديث أن المانع من نزول العذاب أمران:**

الأمر الأول: وجود النبي ﷺ بين أظهرهم.

الأمر الثاني: الاستغفار والتوبة. كما قال الله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الأنفال: ٣٣] **وبما أن النبي ﷺ قد توفي، فما بقي إلا أمر واحد يمنع من نزول العذاب وهو الاستغفار، والاستغفار إذا أطلق فالمراد به التوبة.**

* * *

المتن

[١٤١/ ٥٦] ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال : ٣٩]

• [٤٢٦٢] حدثني الحسن بن عبدالعزيز، قال: حدثنا عبدالله بن يحيى، قال: أخبرنا حيوة، عن بكر بن عمرو، عن بكير، عن نافع، عن ابن عمر، أن رجلًا جاءه فقال: يا أبا عبدالرحمن، ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱقۡتَتَلُواْ﴾ [الحجرات: ٩] إلى آخر الآية، فما يمنعك أن لا تقاتل كما ذكر الله في كتابه؟ فقال: يا ابن أخي، اغترُّوا بهذه الآية، ولا أقاتل أحب إلي من أن أغتر بالآية التي يقول الله ﷻ: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا﴾ [النساء: ٩٣] إلى آخرها، قال: فإن الله يقول: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ﴾ [الأنفال: ٣٩]، قال ابن عمر: قد فعلنا على عهد رسول الله ﷺ إذ كان الإسلام قليلا؛ فكان الرجل يفتن في دينه إما يقتلوه وإما يوثقوه، حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة. فلما رأى أنه لا يوافقه فيما يريد قال: فما قولك في علي وعثمان؟ قال ابن عمر: ما قولي في علي وعثمان؟! أما عثمان فكان الله قد عفا عنه فكرهتم أن تعفوا عنه، وأما علي فابن عم رسول الله ﷺ وختنه، وأشار بيده، وهذه ابنته -أو بيتُه- حيث ترون.

• [٤٢٦٣] حدثنا أحمد بن يونس، قال: حدثنا زهير، قال: حدثنا بيان، أن وبَرَة حدثه، قال: حدثني سعيد بن جبير قال: خرج علينا -أو إلينا- ابن عمر، فقال رجل: كيف ترى في قتال الفتنة؟ قال: وهل تدري ما الفتنة؟! كان محمد ﷺ يقاتل المشركين، وكان الدخول عليهم فتنة وليس بقتالكم على الملك.

الشرح

هذه الترجمة على قوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ [الأنفال: ٣٩]، وفي آية البقرة: ﴿وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِۖ﴾ [البقرة: ١٩٣] أمر الله تعالى المؤمنين بقتال المشركين؛ حتى تنتهي فتنة الشرك ويكفوا عن شركهم ويدخلوا في الإسلام.

قوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ﴾ أي: بعد القضاء على المشركين.

• [٤٢٦٢] ذكر حديث ابن عمر رضي الله عنهما : **«أن رجلًا جاءه فقال : يا أبا عبدالرحمن ، ألا تسمع ما ذكر الله في كتابه : ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟﴾** [الحجرات : ٩] **إلى آخر الآية ، فما يمنعك أن لا تقاتل كما ذكر الله في كتابه؟»** وهذا في وقت القتال بين علي ومعاوية ، وكان ابن عمر ممن اعتزل الفريقين فلم يقاتل ، ووافقه على هذا جماعة من الصحابة كسلمة بن الأكوع وأسامة بن زيد وغيرهم ؛ وذلك لأنهم لم يتبين لهم وجه الصواب ؛ أمع هؤلاء أم مع هؤلاء؟ لكن جمهور الصحابة تبين لهم أن عليًا هو المصيب ؛ لأنه هو الخليفة الذي تمت له البيعة ، فعملوا بقول الله تعالى : **﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَهُمَا فَإِنۢ بَغَتْ إِحْدَىٰهُمَا عَلَى ٱلْأُخْرَىٰ فَقَٰتِلُوا۟ ٱلَّتِى تَبْغِى﴾** [الحجرات : ٩] فالآية فيها أمر بالقتال ، فانضموا إلى علي يقاتلون الفرقة الباغية ، وهم معاوية وأهل الشام ، ومعاوية ومن معه متأولون مجتهدون ، ولا يعلمون أنهم بغاة ، بل ظنوا أنهم على الحق ، لكنهم كانوا مخطئين ففاتهم أجر الصواب ، ولهم أجر الاجتهاد .

فقال له ابن عمر : **«يا ابن أخي ، اغتروا بهذه الآية ، ولا أقاتل أحب إلي من أن أغتر بالآية التي يقول الله ﷻ : ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾** [النساء : ٩٣] **إلى آخرها»** أي : أخاف أن أقتل مؤمنًا متعمدًا ، وهذا يدل على أنه لم يتبين له الأمر ، فقال هذا الرجل لابن عمر : **«فإن الله يقول : ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾** [الأنفال : ٣٩] **قال ابن عمر : قد فعلنا على عهد رسول الله ﷺ إذ كان الإسلام قليلًا»** يعني : قاتلنا الكفار حتى زالوا ، قال : **«فكان الرجل يفتن في دينه إما يقتلوه وإما يوثقوه»** ، إما يقتلوه ؛ أصلها : إما يقتلونه ، حذف النون دون أن يسبقها ناصب ولا جازم وهذه لغة قليلة الأصل .

قوله : **«حتى كثر الإسلام فلم تكن فتنة»** أي : زال الشرك ، فلما رأى هذا الرجل أن ابن عمر لا يوافقه قال : **«فما قولك في علي وعثمان؟»** هذا يدل على أنه من الخوارج ، فأجابه ابن عمر : **«أما عثمان فكان الله قد عفا عنه فكرهتم أن تعفوا عنه ، وأما علي فابن عم رسول الله ﷺ وختنه»** يعني : زوج ابنته .

والختن : هو القريب من جهة الزوجة ، والجمع : أَختان ، والحمو : هو القريب من جهة الزوج والجمع : أحماء ، والصهر يشمل الفريقين .

• [٤٢٦٣] في هذا الحديث أن رجلًا قال لابن عمر : **«كيف ترى في قتال الفتنة؟»** يحتمل أن هذا الرجل هو المذكور في الحديث السابق ، ويحتمل أنه غيره ، فرد عليه ابن عمر : **«وهل تدري ما الفتنة؟! كان محمد ﷺ يقاتل المشركين ، وكان الدخول عليهم فتنة ، وليس بقتالكم على الملك»** ، وهذا اجتهاد من ابن عمر ، لكن القتال الذي حدث ليس قتالًا على الملك بل قتال عن اجتهاد ؛ فعلي تأول أنه الخليفة الذي تمت له البيعة ولابد أن يخضع له أهل الشام ، وأهل الشام يطالبون بدم عثمان وهم مجتهدون ، لكنهم أخطأوا .

وقتال الفئة الباغية فرض عين إذا عرفت ؛ فالله تعالى يقول : ﴿فَقَٰتِلُواْ ٱلَّتِى تَبۡغِى﴾ [الحجرات : ٩] والأصل في الأوامر الوجوب .

ومثال ذلك إذا خرجت جماعة على الإمام ، فالواجب قتالهم ، ولو كانوا متأولين ؛ لأنهم بغاة يريدون التفريق بين المسلمين .

وهناك فرق بين الفئة الباغية الخارجة على الإمام والخوارج :

فالبغاة : هم الذين ينقمون على الإمام أشياء ويكون لهم شوكة ، ويطالبون بإزالة المعاصي ، ولكنهم لا يكفرون الولاة ولا يستحلون دماءهم ولا أموالهم ، فهؤلاء بوب لهم العلماء في كتبهم بابًا سموه : باب البغاة ، وقالوا : إن الإمام يرسل إليهم من يكشف شبهتهم ؛ فإن فاءوا فالحمد لله ، وإلا قاتلهم ولو كانوا مسلمين .

أما الخوارج : فيقاتلون الإمام ؛ لأنهم يعتقدون كفره ، ويكفرون المسلمين بالمعاصي .

* * *

المتن

[١٤٢/ ٥٦] باب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥] الآية

• [٤٢٦٤] حدثنا علي بن عبدالله، قال: حدثنا سفيان، عن عمرو، عن ابن عباس، لما نزلت: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ﴾، فكتب عليهم أن لا يفر واحد من عشرة، فقال سفيان غير مرة: أن لا يفر عشرون من مائتين، ثم نزلت: ﴿ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ﴾ [الأنفال: ٦٦] الآية، فكتب: أن لا يفر مائة من مائتين.

وزاد سفيان مرة: نزلت: ﴿حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ﴾.

• [٤٢٦٥] قال سفيان: وقال ابن شبرمة: وأرى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل هذا.

الشرح

هذه الترجمة على قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾ [الأنفال: ٦٥] **وهذه الآية تسمى آية المصابرة، وهي منسوخة بالآية التي بعدها.**

• [٤٢٦٤] **هذا الحديث فيه نسخ آية المصابرة، والتخفيف على المؤمنين في صف القتال، ففي أول الأمر بالجهاد أمر الله تعالى المسلم أن يصابر العشرة، أي يقف أمام عشرة في الجهاد ولا يفر، فإذا زاد عن العشرة جاز له الفرار كما في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ﴾، ثم نسخ الله ذلك فأمر الواحد أن يصابر الاثنين، والمائة يصابرون المائتين، فإذا زاد عن اثنين جاز له الفرار، وذلك**

بقول الله تعالى في الآية التالية : ﴿ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ﴾ [الأنفال : ٦٦] .

• [٤٢٦٥] قوله : **«وقال ابن شبرمة : وأرى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر مثل هذا»** أي أن الإنسان كان يجب عليه أن يأمر عشرة ، ثم خفف بأن الواجب عليه أن يأمر اثنين ، فألحق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالجهاد ، وهذا اجتهاد من ابن شبرمة ، وليس الأمر كذلك فالجهاد أغلظ على الإنسان ، أما الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فشأنه أيسر فالإنسان يستطيع أن يقوم به مع العدد الكثير ، كذلك يستطيع أن يغير المنكر إذا وجده بغير تحديد عدد .

ولا شك أن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر شعيرة عظيمة من شعائر الإسلام ، حتى قال بعض أهل العلم : إنه ركن سادس من أركان الإسلام ، والخيرية إنما تحصل لهذه الأمة بالإيمان بالله والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، قال الله تعالى : ﴿كُنتُمۡ خَيۡرَ أُمَّةٍ أُخۡرِجَتۡ لِلنَّاسِ تَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَتَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَتُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران : ١١٠] أي : كنتم خير أمة بهذه الأوصاف : بالإيمان بالله ، وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وقدم الله سبحانه وتعالى الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر على الإيمان بالله - مع أن الإيمان بالله هو أصل الدين - لأهميته .

وترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر إخلال بواجب ، وهو من أسباب وقوع العذاب ، فقد جاء في الحديث أن النبي ﷺ قال : **«إن الناس إذا رأوا المنكر فلم يغيروه أوشك أن يعمهم الله بعقاب من عنده»**(١) ، وقالت زينب ﵂ : استيقظ النبي ﷺ ليلة فزعًا محمرًا وجهه وهو يقول : **«لا إله إلا الله ، ويل للعرب من شر قد اقترب ، فتح اليوم من ردم يأجوج ومأجوج مثل هذه»** وحلق بين أصبعيه السبابة والإبهام ، فقالت زينب : يا رسول الله ،

(١) أحمد (١/ ٢) ، وأبو داود (٤٣٣٨) ، والترمذي (٢١٦٨) ، وابن ماجه (٤٠٠٥) .

أنهلك وفينا الصالحون؟ قال: «**نعم، إذا كثر الخبث**»[1]، والخبث هي المعاصي، وقال الله تعالى: ﴿**وَٱتَّقُواْ فِتْنَةً لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمْ خَآصَّةً**﴾ [الأنفال: ٢٥] أي: تعم الجميع، ومعلوم أن القيام بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر سبب في تقليل الشرور والمعاصي، والتي هي سبب في وقوع الفتن والهلاك.

وقيام الأمة بهذا الواجب من الاستجابة لأمر الله سبحانه وتعالى: ﴿**وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى ٱلْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْمُنكَرِ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ تَفَرَّقُواْ وَٱخْتَلَفُواْ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ ۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**﴾ [آل عمران: ١٠٤، ١٠٥] أي: لتنتصب جماعة أو فئة تقوم بهذا الأمر.

فالواجب على المسلمين أن يقوموا بهذه الشعيرة العظيمة، وأن يتكاتفوا ويتعاونوا عليها؛ لتتحقق الخيرية في هذه الأمة، وليرد الله عن الأمة النكبات والمصائب.

* * *

(١) أحمد (٦/ ٤٢٨)، والبخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠).

المتن

[١٤٣/ ٥٦] ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا﴾ [الأنفال: ٦٦]

• [٤٢٦٦] حدثنا يحيى بن عبدالله السُّلمي، قال: أخبرنا عبدالله بن المبارك، قال: أخبرنا جرير بن حازم، قال: أخبرني الزبير بن خريت، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَـٰبِرُونَ يَغْلِبُوا۟ مِائَتَيْنِ﴾ [الأنفال: ٦٥]، شق ذلك على المسلمين حين فرض عليهم ألا يفر واحد من عشرة، فجاء التخفيف: ﴿ٱلْـَٔـٰنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا ۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا۟ مِائَتَيْنِ﴾، قال: فلما خفف الله عنهم من العدة نُقِصَ من الصبر بقدر ما خُفف عنهم.

الشرح

• [٤٢٦٦] هذا الحديث صريح في أن الآية الثانية نسخت الآية الأولى، لكن قول ابن عباس: **«فلما خفف الله عنهم من العدة نقص من الصبر بقدر ما خفف عنهم»** فيه نظر.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «واستدل بهذا الحديث على وجوب ثبات الواحد المسلم إذا قاوم رجلين من الكفار، وتحريم الفرار عليه منهما، سواء طلباه أو طلبهما، سواء وقع ذلك وهو واقف في الصف مع العسكر أو لم يكن هناك عسكر، وهذا هو ظاهر تفسير ابن عباس، ورجحه ابن الصباغ من الشافعية وهو المعتمد لوجود نص الشافعي عليه في الرسالة الجديدة رواية الربيع، ولفظه: ومن نسخة عليها خط الربيع نقلت، قال: بعد أن ذكر للآية آيات في كتابه أنه وضع عنهم أن يقوم الواحد بقتال العشرة، وأثبت عليهم أن يقوم الواحد بقتال الاثنين، ثم ذكر حديث ابن عباس المذكور في الباب وساق الكلام عليه، لكن المنفرد لو طلباه وهو على غير أهبة جاز له التولي عنهما جزمًا، وإن طلبهما فهل يحرم؟ وجهان أصحهما عند المتأخرين: لا، لكن ظاهر هذه الآثار المتضافرة عن ابن عباس يأباه وهو ترجمان القرآن وأعرف الناس بالمراد، لكن يحتمل أن يكون ما أطلقه إنما هو في صورة ما إذا قاوم الواحد المسلم من جملة الصف في عسكر المسلمين اثنين من الكفار، أما المنفرد وحده بغير العسكر فلا؛ لأن الجهاد إنما عهد بالجماعة دون الشخص المنفرد، وهذا

فيه نظر ؛ فقد أرسل النبي ﷺ بعض أصحابه سرية وحده[١] . وقد استوعب الطبري وابن مردويه طرق هذا الحديث عن ابن عباس وفي غالبها التصريح بمنع تولي الواحد عن الاثنين ، واستدل ابن عباس في بعضها بقوله تعالى : ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة : ٢٠٧] ، وبقوله تعالى : ﴿فَقَـٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ لَا تُكَلَّفُ إِلَّا نَفْسَكَ﴾ [النساء : ٨٤] ، قوله : **«فلما خفف الله عنهم من العدة نقص من الصبر»** كذا في رواية ابن المبارك ، وفي رواية وهب بن جرير عن أبيه عند الإسماعيلي : **«نقص من النصر»** ، وهذا قاله ابن عباس توقيفًا على ما يظهر ، ويحتمل أن يكون قاله بطريق الاستقراء» .

* * *

---

(١) أحمد في «الزهد» (ص٥٢) ، وأبو يعلى في «المسند» (٢/ ٢٠٣) ، وأبو بكر الشيباني في «الآحاد والمثاني» (٤/ ٧٨) .

المتن

سورة براءة

﴿ٱلشُّقَّةُ﴾ [التوبة : ٤٢] : السفر .

الخبال : الفساد .

والخبال : الموت .

﴿وَلَا تَفۡتِنِّيٓ﴾ [التوبة : ٤٩] : لا توبخني .

﴿مُدَّخَلًا﴾ [التوبة : ٥٧] : يدخلون فيه .

﴿يَجۡمَحُونَ﴾ [التوبة : ٥٧] : يسرعون .

﴿وَٱلۡمُؤۡتَفِكَٰتِ﴾ [التوبة : ٧٠] ، ائتفكت : انقلبت بها الأرض .

﴿أَهۡوَىٰ﴾[النجم : ٥٣] : ألقاه في هوة .

﴿عَدۡنٍ﴾[التوبة : ٧٢] : خلد .

﴿ٱلۡخَوَالِفِ﴾ [التوبة : ٨٧] ، الخالف : الذي خلفني فقعد بعدي ، ومنه : تَخْلُفُه في الغابرين ، ويجوز أن يكون النساء من الخالفة ، وإن كان جمع الذكور فإنه لم يوجد على تقدير جمعه إلا حرفين : فارس وفوارس ، وهالك في الهوالك .

﴿ٱلۡخَيۡرَٰتُ﴾ [التوبة : ٨٨] واحدها : خيرة ، وهي الفواضل .

الشفا : الشفير ، وهو حده .

والجرف : ما تجرف من السيول والأودية .

﴿هَارٖ﴾ [التوبة : ١٠٩] : هائر ، يقال : تهورت البئر إذا انهدمت ، وانهار مثله .

﴿لَأَوَّٰهٌ﴾[التوبة : ١١٤] : شفقا وفرقا .

وقال الشاعر :

إذا ما قمت أرحلها بليل تأوه آهة الرجل الحزين

الشَّرْحُ

جرى البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ على عادته، فبدأ بتفسير بعض الكلمات التي تحتاج إلى تفسير، وقد ينقل عن مجاهد وقتادة وابن عباس وأبي عبيدة، وهذه مزية عظيمة تميز بها هذا العمل وهو كتاب «صحيح البخاري».

قوله: «﴿ٱلشُّقَّةُ﴾: السفر»، أي في قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّٱتَّبَعُوكَ وَلَٰكِنۢ بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ ٱلشُّقَّةُ﴾ [التوبة: ٤٢]، وهو السفر البعيد الذي ينتج عنه مشقة.

قوله: «الخبال: والفساد. والخبال: الموت»، يشير إلى قوله تعالى: ﴿مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا﴾ [التوبة: ٤٧]، ففسر الخبال بالفساد مرة وبالموت مرة؛ لأن الخبال يطلق على الشر والفساد كما يطلق على الموت، وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: «والخبال: الموت» والصواب: الموتة -بضم الميم وزيادة هاء في آخره- وهو ضرب من الجنون».

قوله: «﴿وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾: لا توبخني»، أي في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ﴾ [التوبة: ٤٩] وهذا قول المنافقين.

قوله: «﴿مُدَّخَلًا﴾: يدخلون فيه»، يعني في قوله تعالى: ﴿لَوْ يَجِدُونَ مَلْجَـًٔا أَوْ مَغَٰرَٰتٍ أَوْ مُدَّخَلًا﴾ [التوبة: ٥٧] والمقصود أن المنافقين لو وجدوا مهربًا لهربوا من القتال.

قوله تعالى: ﴿يَجْمَحُونَ﴾ [التوبة: ٥٧] فسره فقال: «يسرعون»

قوله: «﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَٰتِ﴾ [التوبة: ٧٠]، ائتفكت: انقلبت بها الأرض» يعني: قلبها، وهم قرية قوم لوط وما جاورها -ممن يفعلون فعلها- حين رفعها جبريل إلى السماء ثم قلبها، وجاءت بالإفراد في الآية الأخرى في سورة النجم في قول الله تعالى: ﴿وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ﴾ [النجم: ٥٣]، وفسر قوله تعالى: ﴿أَهْوَىٰ﴾ فقال: «ألقاه في هوة». والمقصود بها قرية قوم لوط وهي القرية الأم في هذه الفاحشة.

قوله: «﴿عَدْنٍ﴾: خلد» أي الجنات في قوله تعالى: ﴿وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ﴾ [التوبة: ٧٢]، وسميت جنات عدن لخلودها وخلود من فيها، يقال: عدنت بأرض أي: أقمت.

وفسر قوله تعالى: ﴿رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾ [التوبة: ٨٧] قال: «الخالف: الذي خلفني فقعد بعدي، ومنه: تخلفه في الغابرين» يعني: في الباقين، «ويجوز أن يكون النساء من

الخالفة ، وإن كان جمع الذكور فإنه لم يوجد على تقدير جمعه إلا حرفين : فارس وفوارس ، وهالك في الهوالك» أي : كلمتان ، **قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ : «وقد استدرك عليه ابن مالك : شاهق وشواهق وناكس ونواكس وداجن ودواجن» .

قوله : «﴿ٱلْخَيْرَٰتُ﴾ [التوبة : ٨٨] **واحدها : خيرة ، وهي الفواضل»** ، وقد جاء بيان وصفها في سورة الرحمن في قوله تعالى : ﴿خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ﴾ [الرحمن : ٧٠] .

قوله : «**الشفا : الشفير ، وهو حده**» يشير إلى قوله تعالى : ﴿أَفَمَنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ تَقْوَىٰ مِنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٍ خَيْرٌ أَم مَّنْ أَسَّسَ بُنْيَٰنَهُۥ عَلَىٰ شَفَا جُرُفٍ هَارٍ﴾ [التوبة : ١٠٩] والتي نزلت في مسجد الضرار الذي بناه المنافقون ، قال : «**والجرف : ما تجرف من السيول والأودية**» .

قوله تعالى : ﴿هَارٍ﴾ [التوبة : ١٠٩] : فسره فقال : «**هائر ، يقال : تهورت البئر إذا انهدمت ، وانهار مثله**» .

وفسر الأواه في قوله تعالى : ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ لَأَوَّٰهٌ حَلِيمٌ﴾ [التوبة : ١١٤] فقال : «**شفقًا وفرقًا**» أي أن سبب التأوه هو الخشية من الله ﷻ .

واستشهد بقول الشاعر :

«إذا ما قمت أرحلها بليل   تأوه آهة الرجل الحزين»

* * *

المتن

[١٤٤/ ٥٦] باب قوله تعالى:

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١]

أذانٌ: إعلامٌ.

وقال ابن عباس: ﴿أُذُنٌ﴾ [التوبة: ٦١]: يصدق.

و﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم﴾ [التوبة: ١٠٣] ونحوها كثير، والزكاة: الطاعة والإخلاص.

﴿لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت: ٧]: لا يشهدون أن لا إله إلا الله.

يضاهون: يُشْبِهُون.

• **[٤٢٦٧]** حدثنا أبو الوليد، حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، قال: سمعت البراء يقول: آخر آية نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦]، وآخر سورة نزلت: براءة.

الشرح

ترجم المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ على قوله تعالى: ﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١]، وهذه السورة لم تبدأ ببسم الله الرحمن الرحيم، واختلف في سبب ذلك؛ فقيل: لأنها نزلت بالسيف وبالغضب على المنافقين، وقيل: لأنها أشكلت على الصحابة هل هي تابعة للأنفال، أو أنها سورة بنفسها؛ لذلك جعلوها بجوارها ولم يجعلوا بينهما بسم الله الرحمن الرحيم.

وفسر الأذان في قوله تعالى: ﴿وَأَذَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٣] بالإعلام، ومنه الأذان للصلاة، أي: الإعلام بدخول الوقت.

قوله: «﴿أُذُنٌ﴾: **يصدق**» يعني في قوله تعالى: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِىَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ﴾ [التوبة: ٦١] فهم يصفون الرسول بأنه يسمع من كل أحد.

قوله: «**و**﴿تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم﴾ [التوبة: ١٠٣] **ونحوها كثير**» يعني: إنها الطهارة، ثم فسر الزكاة بأنها: «**الطاعة والإخلاص**».

قوله: ﴿لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ﴾ [فصلت: ٧] أي: «لا يشهدون أن لا إله إلا الله»، وهذا مروي عن ابن عباس، يعني أن الزكاة من شرطها التوحيد، وهذا معلوم فلا تصح الزكاة إلا بالتوحيد، وهذا من تفسير الشيء بلازمه أو ببعضه.

قال الحافظ: «يستدل بهذه الآية في الرد على من قال: إن الكفار غير مخاطبين بفروع الشريعة».

وهذه الآية من سورة فصلت، لكن ذكرها المصنف هنا استطرادا، وهي في قوله تعالى: ﴿وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ۝ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْآخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ﴾ [فصلت: ٦، ٧].

قوله: «﴿يضاهون﴾: يشبهون» هذه قراءة، وفي قراءة حفص ﴿يُضَٰهِـُٔونَ﴾ [التوبة: ٣٠].

قال العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أشار به إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ﴾، وفسر «يضاهون» بقوله: «يشبهون»، وكذا فسره ابن عباس فيما رواه عنه علي بن أبي طلحة، وهو من المضاهاة، وقال أبو عبيدة: هي التشبيه، وهذا إخبار من الله تعالى عن قول اليهود: عزير ابن الله، وقول النصارى: المسيح ابن الله، فأكذبهم بقوله: ﴿ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ﴾ يعني لا مستند لهم فيما ادعوه سوى افترائهم واختلافهم، «يضاهون» أي يشابهون قول الذين كفروا من قبلهم من الأمم، ضلوا كما ضل هؤلاء».

• [٤٢٦٧] قوله: «آخر آية نزلت: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِى ٱلْكَلَٰلَةِ﴾ [النساء: ١٧٦]».

والأرجح أن آخر آية نزلت: ﴿وَٱتَّقُوا۟ يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ٢٨١]، وأن هذا محمول على أنها آخر آية نزلت في الفرائض، «وآخر سورة نزلت: براءة» والمراد: أن معظم السورة نزل عقب فتح مكة سنة تسع، ونزل قوله تعالى: ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] في حجة الوداع.

* * *

المتن

[١٤٥/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿فَسِيحُواْ﴾ سيروا ﴿فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٢]

• [٤٢٦٨] حدثني سعيد بن عفير، قال: حدثني الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، قال: أخبرني حميد بن عبدالرحمن، أن أبا هريرة قال: بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى: أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، قال حميد بن عبدالرحمن: ثم أردف رسول الله ﷺ بعلي بن أبي طالب، فأمره أن يؤذن ببراءة، قال أبو هريرة: فأذن معنا علي يوم النحر في أهل منى ببراءة، وأن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.

الشرح

قوله: «**باب قوله تعالى: ﴿فَسِيحُواْ﴾ سيروا ﴿فِي ٱلْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخْزِي ٱلْكَٰفِرِينَ﴾** [التوبة: ٢]» ففسر قوله تعالى: ﴿**فَسِيحُواْ**﴾ قال: «**سيروا**».

• [٤٢٦٨] هذا الحديث على قوله تعالى: ﴿**فَسِيحُواْ**﴾؛ حيث بعث النبي ﷺ أبا بكر في تلك الحجة، وأمَّره على الناس، وكانت في السنة التاسعة على الصحيح، وبعث معه مؤذنين يؤذنون في الناس بمنى ليعلموا الناس.

قوله: «**بعثني أبو بكر في تلك الحجة في مؤذنين بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى**» بعثهم ببراءة، منهم أبو هريرة وعلي وجماعة، وعلي أردفه النبي ﷺ بعد ذلك، فلما جاء إليه قال أمير أم مأمور؟ قال: بل مأمور، وكانوا يعلمون الناس بأربع كلمات وينذرونهم ويحذرونهم في المستقبل من عدم تنفيذ هذه الكلمات: **الكلمة الأولى: «أن لا يحج بعد العام مشرك»**؛ لأنهم كانوا يحجون وهم مشركون، فأعطاهم النبي ﷺ مهلة؛ إما أن يدخلوا في الإسلام، وإما أن يُقاتلوا، ومن له عهد يبقى على عهده، ومن ليس له عهد يبقى مدة أربعة أشهر، ومن كان له عهد أقل من أربعة أشهر يكمل له أربعة أشهر، وبعد مضي العهد أو مضي الأربعة أشهر إما أن يسلم، وإما أن يقاتل، ولا يحج في المستقبل بعد العام مشرك.

الكلمة الثانية : «ولا يطوف بالبيت عريان» ، وقد كانوا في الجاهلية يطوفون بالبيت وهم عراة حتى المرأة ؛ وذلك أنهم يزعمون أن الإنسان إذا جاء من خارج مكة فإنه لا يصح له أن يطوف بثياب قد عصى الله بها ؛ لأنها نجسة متسخة ، ولابد أن يرميها ويطلب ثوبًا يلبسه من أهل مكة من الحمس لتشددهم ، فإن وجد أحدًا يعطيه من أهل مكة ثوبًا طاف به ، وإن لم يجد طاف عريانًا ، وكذلك المرأة إذا وجدت من يعطيها وإلا طافت عريانة ، وتضع يدها على فرجها وتطوف وتقول :

اليوم يبدو بعضه أو كله   وما بدا منه فلا أحله

تعني : الفرج ، تطوف وتقول هذا الكلام ، وهذا من جهلهم العظيم والفظيع ، فالله سبحانه وتعالى امتن على المسلمين بالإسلام وأنقذهم من هذه الضلالات .

الكلمة الثالثة : «لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة»[١] .

الكلمة الرابعة : «أن من كان له عهد عند النبي ﷺ فتمام عهده إلى مدته ، ومن لم يكن له عهد فمدته أربعة أشهر»[٢] .

فلما جاءت السنة العاشرة تحققت هذه الصفات ، فما حج بعد العام مشرك ، ولا طاف بالبيت عريان ، وانتهت مدة التسيير ، وسميت بذلك لأن الله تعالى قال : ﴿**فَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ**﴾ [التوبة : ٢] يعني : سيروا ، فتسمى : مدة التسيير ، ثم توعدهم الله فقال : ﴿**وَاعْلَمُوا أَنَّكُمْ غَيْرُ مُعْجِزِي اللَّهِ وَأَنَّ اللَّهَ مُخْزِي الْكَافِرِينَ**﴾ [التوبة : ٢] أي إذا استمررتم على شرككم فلستم بمعجزي الله ولن تفلتوا منه .

ولما حرم الله على المشركين أن يقربوا المسجد الحرام أنزل الله : ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْمُشْرِكُونَ نَجَسٌ فَلَا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ بَعْدَ عَامِهِمْ هَٰذَا**﴾ [التوبة : ٢٨] .

وأما علي فإن النبي ﷺ أرسله بعد ذلك يؤذن بهذه الكلمات ؛ وذلك لأن المشركين يقولون : إن أبا بكر ليس من بيت النبي ﷺ وعلي من بيته ، قالوا : لا يؤدي عن الرجل إلا هو أو أحد من أهل بيته ؛ فأرسله يؤذن للناس ويعلمهم .

---

(١) أحمد (١/ ٧٩) ، والترمذي (٨٧١) ، والنسائي (٢٩٥٨) .

(٢) أحمد (٢/ ٢٩٩) ، والترمذي (٣٠٩٢) ، والنسائي (٢٩٥٨) .

المتن

[١٤٦/ ٥٦] باب قوله: ﴿وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥ﴾ إلى ﴿ٱلۡمُتَّقِينَ﴾ [التوبة: ٣، ٤]

• [٤٢٦٩] حدثنا عبدالله بن يوسف، قال: حدثنا الليث، قال: حدثني عقيل، عن ابن شهاب، فأخبرني حميد بن عبدالرحمن، أن أبا هريرة قال: بعثني أبو بكر في تلك الحجة في المؤذنين، بعثهم يوم النحر يؤذنون بمنى: أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان، قال حميد: ثم أردف رسول الله ﷺ بعلي، فأمره أن يؤذن ببراءة، قال أبو هريرة: فأذن معنا علي في أهل منى يوم النحر ببراءة، وأن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.

• [٤٢٧٠] حدثني إسحاق، قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم، حدثنا أبي، عن صالح، عن ابن شهاب، أن حميد بن عبدالرحمن أخبره، أن أبا هريرة أخبره، أن أبا بكر بعثه في الحجة التي أمَّره رسول الله ﷺ عليها قبل حجة الوداع في رهط يؤذن في الناس: أن لا يحجن بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان.

فكان حميد يقول: يوم النحر يوم الحج الأكبر؛ من أجل حديث أبي هريرة.

الشرح

قوله: **﴿وَأَذَٰنٞ﴾** سبق أن الأذان هو الإعلام، **﴿مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ﴾** [التوبة: ٣] يوم الحج الأكبر هو يوم النحر، يؤذنون بالناس بمنى، وقيل: يوم عرفة، والصواب: أنه يوم النحر، وهو أفضل الأيام على الإطلاق، وسمي بيوم الحج الأكبر؛ لأن معظم أعمال الحج كلها فيه، ففيه رمي الجمار، وفيه النحر، وفيه الحلق، وفيه الطواف بالبيت، فيؤذنون يوم العيد بالناس: **﴿أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾** [التوبة: ٣].

• [٤٢٦٩] قوله: **«في المؤذنين»** منهم: أبو هريرة وعلي وقد ذكر الحافظ ابن حجر منهم جماعة قال: «وقد وقفت ممن سمي ممن كان مع أبي بكر في تلك الحجة على أسماء؛ منهم:

سعد بن أبي وقاص، ومنهم جابر وجماعة، وأبو هريرة وعلي، كلهم يؤذنون للناس، يصوتون يعلمون الناس».

قوله: **«يؤذنون بمنىٰ»** يعني: يدورون على الناس في مخيماتهم، ويعلمونهم فالأذان هو الإعلام، مثل ما يؤذن المؤذن للإعلام بدخول وقت الصلاة، يعلمونهم **«أن لا يحج بعد العام مشرك، ولا يطوف بالبيت عريان»** ويعلمونهم أنه: **«لا يدخل الجنة إلا نفس مؤمنة ومن كان له عهد فمدته إلىٰ عهده، ومن لم يكن له عهد فمدته أربعة أشهر»**(١).

• [٤٢٧٠] قوله: **«في رهط»** الرهط: الجمع، وهو العدد الذي ليس بالكثير.

قوله: **«فكان حميد يقول: يوم النحر يوم الحج الأكبر»** هذا هو الصواب، وقيل: القران، وذكر الحافظ أنه اختلف في المراد بالحج الأصغر؛ فقيل: العمرة، وقيل: الإفراد، وقيل: يوم عرفة، وقيل أقوال أخرىٰ.

وذكر في الحكمة من إرسال علي بعد أبي بكر أن عادة العرب جرت ألا ينقض العهد إلا من عقده أو من هو منه بسبيل من أهل بيته فأجراهم في ذلك علىٰ عادتهم؛ ولهذا قال: **«لا يبلغه عني إلا أنا أو رجل من أهل بيتي»**(٢).

وروىٰ محرر بن أبي هريرة عن أبيه قال: كنت مع علي حين بعثه رسول الله ﷺ إلىٰ مكة ببراءة فكنا ننادي: **«أن لا يدخل الجنة إلا نفس مسلمة، ولا يطوف بالبيت عريان، ومن كان بينه وبين رسول الله عهد فأجله أربعة أشهر، فإذا مضت فإن الله بريء من المشركين ورسوله، ولا يحج بعد العام مشرك»**(٣) قال: فكنت أنادي حتىٰ صحل صوتي؛ يعني: انقطع صوتي من كثرة المناداة.

* * *

(١) أحمد (٢/ ٢٩٩)، والترمذي (٨٧١)، والنسائي (٢٩٥٨).
(٢) أحمد (٣/ ٢١٢).
(٣) أحمد (٢/ ٢٩٩)، والنسائي (٢٩٥٨).

المتن

[١٤٧/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿قَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَـٰنَ لَهُمۡ﴾ [التوبة: ١٢]

• [٤٢٧١] حدثني محمد بن المثنى، قال: حدثنا يحيى، قال: حدثنا إسماعيل، قال: حدثنا زيد بن وهب قال: كنا عند حذيفة فقال: ما بقي من أصحاب هذه الآية إلا ثلاثة، ولا من المنافقين إلا أربعة، فقال أعرابي: إنكم أصحاب محمد ﷺ تخبرونا لا ندري، فما بال هؤلاء الذين يَبْقُرُونَ بيوتنا ويسرقون أعلاقنا؟! قال: أولئك الفساق، أجل لم يبق منهم إلا أربعة؛ أحدهم شيخ كبير لو شرب الماء البارد لما وجد برده.

الشرح

قوله: «**باب قوله تعالى: ﴿قَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَـٰنَ لَهُمۡ﴾** [التوبة: ١٢]»، **قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ: «قرأ الجمهور بفتح الهمزة من أيمان، أي: لا عهود لهم، وعن الحسن البصري بكسر الهمزة، وهي قراءة شاذة، وقد روى الطبري من طريق عمار بن ياسر وغيره في قوله: ﴿إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَـٰنَ لَهُمۡ﴾ أي لا عهد لهم، وهذا يؤيد قراءة الجمهور».

• [٤٢٧١] هذا الحديث على قوله تعالى: ﴿فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلۡكُفۡرِ إِنَّهُمۡ لَآ أَيۡمَـٰنَ لَهُمۡ﴾ [التوبة: ١٢].

قوله: «**كنا عند حذيفة فقال: ما بقي من أصحاب هذه الآية إلا ثلاثة، ولا من المنافقين إلا أربعة**» يعني: ما بقي من أئمة الكفر إلا ثلاثة من الذين أخبره رسول الله ﷺ بهم، ولم يبق من المنافقين الذين أعلمه الرسول ﷺ بأسمائهم إلا أربعة، وليس المراد أنه لا يوجد منافقون غيرهم، بل المنافقون كثير، ولا يزالون إلى يوم القيامة.

وحذيفة صاحب السر، حيث أسر إليه النبي ﷺ بأسماء المنافقين؛ ولهذا فإن عمر كان لا يصلي على من لا يصلي عليه حذيفة.

قوله: «**فما بال هؤلاء الذين يبقرون بيوتنا ويسرقون أعلاقنا؟!**» حكم هؤلاء الذين يسرقون ويزنون ويشربون أنهم فساق عصاة غير المنافقين الذين يظهرون الإسلام ويبطنون الكفر، وقد روي: «**يبقّرون**» بالتشديد، وزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى فهي أبلغ.

قوله : «**أحدهم شيخ كبير لو شرب الماء البارد لما وجد برده**» يعني : لذهاب شهوته وفساد معدته ، فلا يفرق بين الألوان والطعوم من أجل كبر سنه .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «قوله : كنا عند حذيفة فقرأ هذه الآية : ﴿**فَقَـٰتِلُوٓاْ أَئِمَّةَ ٱلْكُفْرِ**﴾ [التوبة : ١٢] قال : ما قوتل أهل هذه الآية بعد ، ومن طريق الأعمش عن زيد بن وهب نحوه ، والمراد بكونهم لم يقاتلوا أن قتالهم لم يقع لعدم وقوع الشرط ؛ لأن لفظ الآية : ﴿**وَإِن نَّكَثُوٓاْ أَيْمَـٰنَهُم مِّنۢ بَعْدِ عَهْدِهِمْ وَطَعَنُواْ فِى دِينِكُمْ فَقَـٰتِلُوٓاْ**﴾ فلما لم يقع منهم نكث ولا طعن لم يقاتلوا ، وروى الطبري من طريق السدي قال : المراد بأئمة الكفر كفار قريش ، ومن طريق الضحاك قال : أئمة الكفر رءوس المشركين من أهل مكة .

قوله : «**إلا ثلاثة**» سمى منهم في رواية أبي بشر عن مجاهد أبا سفيان بن حرب ، وفي رواية معمر عن قتادة أبا جهل بن هشام وعتبة بن ربيعة وأبا سفيان وسهيل بن عمرو ، وتعقب بأن أبا جهل وعتبة قتلا ببدر ، وإنما ينطبق التفسير على من نزلت الآية المذكورة وهو حي ، فيصح في أبي سفيان وسهيل بن عمرو ، وقد أسلما جميعا ، قوله : «**ولا من المنافقين إلا أربعة**» لم أقف على تسميتهم .

قوله : «**فقال أعرابي**» لم أقف على اسمه» .

وهذه الآية نزلت في الصحابة فهو خطاب لهم ، أما بعدهم فالجهاد في سبيل الله باقٍ .

* * *

المتن

[١٤٨/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة: ٣٤] الآية

• [٤٢٧٢] حدثنا الحكم بن نافع، قال: أخبرنا شعيب، قال: حدثنا أبو الزناد، أن عبدالرحمن الأعرج حدثه، أنه قال: حدثني أبو هريرة، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: **«يكون كنز أحدكم يوم القيامة شجاعٌ أقرع»**.

• [٤٢٧٣] حدثنا قتيبة، قال: حدثنا جرير، عن حصين، عن زيد بن وهب قال: مررت على أبي ذر بالربذة، قلت: ما أنزلك بهذه الأرض؟ قال: كنا بالشام فقرأت: **﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾**[التوبة: ٣٤]، قال معاوية: ما هذه فينا، ما هذه إلا في أهل الكتاب، قال: قلت: إنها لفينا وفيهم.

الشرح

تسمية الكنوز في المعنى اللغوي تعني الأموال المجموعة؛ فإذا أدى فيه الزكاة فهو كنز لكن ذهب عنه شره، وإذا لم يؤد فيه الزكاة فإنه يكوى به في نار جهنم.

• [٤٢٧٢] قوله: **«يكون كنز أحدكم يوم القيامة شجاع أقرع»** الكنز: هو المال الذي لم تؤد زكاته فيعذب به صاحبه بنوعين من العذاب:

أولهما: يتحول هذا المال إلى **«شجاع»**، يعني ثعبان أو حية تأخذ بلهزمتيه، **«أقرع»** قد سقط شعر رأسه لكبر سنه وكثرة سمه.

ثانيهما: في موقف القيامة؛ حيث يصفح له صفائح من نار، فيكوى بها جنبه وجبينه وظهره، كلما بردت أعيدت عليه في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة، هذا إذا كانت دراهم أو دنانير أو أوراق نقدية، وإذا كانت إبلًا أو بقرًا أو غنمًا يبطح لها بقاع قرقر، فتطؤه بأخفافها وتعضه بأفواهها، كلما مرت عليه أخراها رد عليه أولاها.

• [٤٢٧٣] في هذا الحديث أن أبا ذر الغفاري رضي الله عنه انتقل إلى الربذة فسأله زيد بن وهب **«قال: كنا بالشام فقرأت: ﴿وَٱلَّذِينَ يَكۡنِزُونَ ٱلذَّهَبَ وَٱلۡفِضَّةَ وَلَا يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ فَبَشِّرۡهُم**

﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [التوبة : ٣٤] **قال معاوية : ما هذه فينا ، ما هذه إلا في أهل الكتاب ، قال : قلت : إنها لفينا وفيهم»** وكأن مراد معاوية رضي الله عنه أن أهل الكتاب ليس لهم أن يكنزوا بل عليهم أن ينفقوا ، أما نحن الآن فيجوز لنا اقتناء الأموال ، وهذا رأي معاوية ، وبين له أبو ذر أن الكنز يكوى به الإنسان ؛ سواء في الأمم السابقة أو في هذه الأمة ، وكان أبو ذر رضي الله عنه يرى أنه ليس لأحد حق في المال ، بل يأخذ ما يحتاج إليه ، والباقي ينفقه في وجوه الخير ، وإلا فهو كنز يكوى به يوم القيامة ، ومما يستدل به أبو ذر رضي الله عنه على رأيه أنه قال : كنت أمشي مع النبي في ظل القمر ، فقال : **«يا أبا ذر إن المكثرين هم المقلون يوم القيامة ، إلا من قال بماله هكذا وهكذا وهكذا ، عن يمينه وعن شماله»**(١) يعني : ينفقها في سبيل الله ، وبين له الصحابة رضوان الله عليهم أن هذا اجتهاد خاطئ ، فمن أخرج زكاة المال فإنها تطهره ، ولا يكوى بها ، ولا يكون كنزا ، وهذا كالإجماع من الصحابة ، وكالإجماع من العلماء ، وكل يؤخذ منه ويرد إلا رسول الله ﷺ ، والنصوص واضحة ، أما رأي أبي ذر فهو رأي ميت بين العلماء ، وقد كان من الصحابة أصحاب أموال كأبي بكر وعثمان وعبد الرحمن بن عوف وغيرهم ، ولم ينكر عليهم النبي ﷺ ، ولا قال : أنفقوه ، ولما حث النبي ﷺ على الصدقة على الجهاد جهز عثمان رضي الله عنه ثلاثمائة بعير بأحلاسها وأقتابها ، فقال النبي ﷺ : **«ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم ، ما ضر عثمان ما عمل بعد اليوم»**(٢) ، ولم يقل له النبي ﷺ : يجب عليك أن تخرج جميع أموالك وإلا تكوى بها ، وإن كان مشروعا للإنسان الإكثار من النفقة ، فقد كان أبو بكر وعثمان وغيرهم رضي الله عنهم من المكثرين من النفقة .

ومما يدل على غلط أبي ذر رضي الله عنه أن التركات -وهي الأموال التي تورث- أموال تبقى بعد أهلها ، فلو كان يجب على الإنسان أن ينفق ما لا يحتاج إليه ما بقيت أموال تورث ، ولا صار هناك إرث .

وقد تعلق الاشتراكيون والشيوعيون برأي أبي ذر ، واستدلوا به على انتزاع أموال الناس حتى يتساوى الناس في الفقر ، وهؤلاء لا ينفقون في وجوه الخير وليسوا أهلا لذلك ، بل

---

(١) أحمد (٥/ ١٨١) ، والبخاري (٦٤٤٣) ، ومسلم (٩٤) .
(٢) أحمد (٥/ ٦٣) ، والترمذي (٣٧٠١) .

ينفقونها في شهواتهم وأهوائهم وتوفير أسباب العظمة والكبرياء لهم، يقولون: إن أبا ذر اشتراكي، وخديجة اشتراكية، وهكذا، وهم لا يستدلون بالنصوص، بل يتعلقون بما يناسب أهواءهم، فأبو ذر رضي الله عنه هذا رأيه، وهو زاهد؛ ولهذا قال له النبي ﷺ: **«يا أبا ذر إني أراك ضعيفا، وإني أحب لك ما أحب لنفسي، لا تأمرن على اثنين، ولا تولين مال يتيم»**[1]، لكنهم يختلفون، وكل له اختصاص، وكل ميسر لما خلق له، فخالد بن الوليد قائد عظيم شجاع يقود الجيوش الجرارة، وأبو ذر لا يستطيع أن يكون قائدًا، وأبو بكر وعمر رضي الله عنهما والخلفاء الراشدون لهم مكانتهم في سياسة الأمة ونشر العدل بينهم.

وبالنسبة لإقامة أبي ذر بالربذة فقد جاءت فيها آثار، فقيل له: لو ذهبت إلى الربذة تعتزل الناس؛ لأن رأيه هذا قد يوقعه في مشاكل.

* * *

(١) أحمد (٥/ ١٨٠)، ومسلم (١٨٢٦).

المَتْنُ

[١٤٩/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾ [التوبة: ٣٥] الآية

وقال أحمد بن شبيب بن سعيد: حدثنا أبي، عن يونس، عن ابن شهاب، عن خالد بن أسلم قال: خرجنا مع عبدالله بن عمر فقال: هذا قبل أن تنزل الزكاة، فلما أنزلت جعلها الله طهرا للأموال.

الشَّرْحُ

هذه الترجمة على قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ﴾ [التوبة: ٣٥].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال البيضاوي: خص الجنب والجبين والظهر؛ لأنه جمع المال ولم يصرفه في حقه لتحصيل الجاه والتنعم بالمطاعم والملابس، أو لأنه أعرض عن الفقير وولاه ظهره، أو لأنها أشرف الأعضاء الظاهرة لاشتمالها على الأعضاء الرئيسة، وقيل: المراد بها الجهات الأربع التي هي مقدم البدن ومؤخره وجنباه، نسأل الله السلامة».

قوله: **«وقال أحمد بن شبيب بن سعيد»** هو أحد شيوخ البخاري، لكنه معلق في صورته، ويحتمل أن يكون قاله له غيره، وعند بعضهم ليس معلقًا؛ لأنه من شيوخه، فيحمل على أنه سمعه منه.

قوله: **«عن خالد بن أسلم»** هو أخو زيد بن أسلم.

قوله: **«خرجنا مع عبدالله بن عمر فقال: هذا قبل أن تنزل الزكاة، فلما أنزلت جعلها الله طهرًا للأموال»** يعني أن الوعيد الذي في قوله تعالى: ﴿يَوْمَ يُحْمَىٰ عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَىٰ بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَٰذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ فَذُوقُوا مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ﴾ [التوبة: ٣٥] كان قبل أن تنزل الزكاة.

* * *

المتن

[١٥٠/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ﴾ [التوبة: ٣٦]

﴿ٱلْقَيِّمُ﴾[التوبة: ٣٦]: هو القائم.

• [٤٢٧٤] حدثني عبدالله بن عبدالوهاب، قال: حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن محمد، عن ابن أبي بكرة، عن أبيه، عن النبي ﷺ قال: **«إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر، الذي بين جمادى وشعبان»**.

الشرح

هذه الآية: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ فَلَا تَظْلِمُوا۟ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦] الضمير فيها يعود إلى الأشهر الحرم.

وفيها تعظيم الأشهر الحرم، وأن المعصية تعظم في الزمان المعظم كالأشهر الحرم ورمضان أيضا، وكذلك أيضا في المكان المعظم كالحرم.

قوله: ﴿ٱلْقَيِّمُ﴾ إشارة إلى قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [التوبة: ٣٦] فسر القيم فقال: **«هو القائم»**.

• [٤٢٧٤] قوله: **«إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، السنة اثنا عشر شهرا، منها أربعة حرم، ثلاثة متواليات: ذو القعدة، وذو الحجة، والمحرم، ورجب مضر، الذي بين جمادى وشعبان»** يعني عاد كل شهر إلى مكانه في حجة النبي ﷺ؛ لأنهم كانوا في الجاهلية يتلاعبون بالأشهر الحرم -وهي ثلاثة متوالية: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم، ورجب بين جمادى وشعبان- وكانت الحرب تضع أوزارها في هذه الأشهر، لكن تطول عليهم المدة، فقالوا: نزحلق المحرم إلى صفر ونقدم صفرًا، فيؤخرون المحرم ويسمونه

صفرًا ؛ حتى يقاتلوا فيه ، وهذا كما أخبر الله من زيادة كفرهم ؛ حيث قال تعالى : ﴿إِنَّمَا ٱلنَّسِيٓءُ زِيَادَةٞ فِي ٱلۡكُفۡرِۖ﴾ [التوبة : ٣٧] والنسيء تأخير المحرم إلى صفر ، ﴿يُضَلُّ بِهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُحِلُّونَهُۥ عَامٗا﴾ إذا احتاجوا إليه ﴿وَيُحَرِّمُونَهُۥ عَامٗا﴾ إذا لم يحتاجوا إليه ، على حسب أهوائهم .

وسمي رجب : رجب مضر ؛ لأنهم كانوا متمسكين بتعظيمه ؛ فنسب إليهم بخلاف غيرهم ، ويقال : إن ربيعة يجعلونه بدل رمضان ، وكان من العرب من يجعل في رجب وشعبان ما ذكر في المحرم وصفر ، فيحرمون رجبًا ويحلون شعبان .

والمعصية في الزمان المحرم تكون أعظم وأشد ، فمعصية في الأشهر الحرم وفي رمضان أعظم من معصية في غيرها ، ومعصية في الحرم أشد من معصية في غيره ، وهي واحدة ؛ ﴿وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجۡزَىٰٓ إِلَّا مِثۡلَهَا﴾ [الأنعام : ١٦٠] فهي واحدة في العدد لا تزاد ، لكن تعظم وتضخم في نفسها فتكون عظيمة عند الله ؛ ولهذا قال الله تعالى : ﴿وَمَن يُرِدۡ فِيهِ بِإِلۡحَادِۢ بِظُلۡمٖ نُّذِقۡهُ مِنۡ عَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الحج : ٢٥] فهذا من التعظيم لمعصية الحرم .



المتن

[١٥١/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿ثَانِيَ ٱثۡنَيۡنِ إِذۡ هُمَا فِي ٱلۡغَارِ إِذۡ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحۡزَنۡ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَاۖ﴾ [التوبة: ٤٠]، أي: ناصرنا

﴿ٱلسَّكِينَةَ﴾ فعيلة من السكون.

• [٤٢٧٥] حدثني عبدالله بن محمد، قال: حدثنا حبان، قال: حدثنا همام، قال: حدثنا ثابت، قال: حدثنا أنس، قال: حدثني أبو بكر قال: كنت مع النبي ﷺ في الغار فرأيت آثار المشركين، قلت: يا رسول الله، لو أن أحدهم رفع قدمه رآنا، قال: **«ما ظنك باثنين الله ثالثهما؟»**.

• [٤٢٧٦] حدثنا عبدالله بن محمد، قال: حدثنا ابن عيينة، عن ابن جريج، عن ابن أبي مليكة، عن ابن عباس، أنه قال حين وقع بينه وبين ابن الزبير: قلت: أبوه الزبير، وأمه أسماء، وخالته عائشة، وجده أبو بكر، وجدته صفية، فقلت لسفيان: إسناده؟ قال: حدثنا، فشغله إنسان ولم يقل: ابن جريج.

• [٤٢٧٧] حدثنا عبدالله بن محمد، قال: حدثني يحيى بن معين، قال: حدثنا حجاج، قال: حدثنا ابن جريج، قال ابن أبي مليكة: وكان بينهما شيء، فغدوت على ابن عباس فقلت: أتريد أن تقاتل ابن الزبير فتَحِلَّ حرم الله، فقال: معاذ الله، إن الله كتب ابن الزبير وبني أمية محلين، وإني والله لا أحله أبدًا، قال: قال الناس: بايع لابن الزبير، فقلت: وأين بهذا الأمر عنه؟ أما أبوه فحواري النبي ﷺ -يريد الزبير، وأما جده فصاحب الغار -يريد أبا بكر، وأمه فذات النطاق -يريد أسماء، وأما خالته فأم المؤمنين -يريد عائشة، وأما عمته فزوج النبي ﷺ -يريد خديجة، وأما عمة النبي ﷺ فجدته - يريد صفية، ثم عفيف في الإسلام، قارئ للقرآن، والله إن وصلوني وصلوني من قريب، وإن رَبَّوْني رَبَّوْني أكفاء كرام، فآثر التُّويتات والأُسامات والحُميدات؛ يريد أبطنا من بني أسد بني تويت، وبني أسامة، وبني أسد، إن ابن أبي العاصي برز يمشي القدمية، يعني: عبدالملك بن مروان، وإنه لوى ذنبه، يعني: ابن الزبير.

• [٤٢٧٨] حدثنا محمد بن عبيد بن ميمون، قال: حدثنا عيسى بن يونس، عن عمر بن سعيد، قال: أخبرني ابن أبي مليكة: دخلنا على ابن عباس فقال: **ألا تعجبون لابن الزبير قام في أمره هذا؟** فقلت: لأحاسبن نفسي له ما حاسبتها لأبي بكر ولا عُمر، ولهما كانا أولى بكل خير منه، وقلت: ابن عمة النبي ﷺ، وابن الزبير، وابن أبي بكر، وابن أخي خديجة، وابن أخت عائشة، فإذا هو يتعلَّى عني ولا يريد ذلك، فقلت: ما كنت أظن أني أعرض هذا من نفسي فيدعه، وما أراه يريد خيرًا، وإن كان لابد لأن يربني بنو عمي أحب إلي من أن يربني غيرهم.

الشرح

فسر قوله تعالى: ﴿**مَعَنَا**﴾ [التوبة: ٤٠] قال: **«أي: ناصرنا»**، فالنصر والتأييد من مقتضى المعية، فمقتضاها المعية، ومعناها المصاحبة.

قوله تعالى: ﴿**ٱلسَّكِينَةَ**﴾ [التوبة: ٤٠] **«فعيلة من السكون»**.

قال العيني: «أشار به إلى قوله: ﴿**فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا**﴾ [التوبة: ٤٠] الآية، ثم أشار إلى أن وزن السكينة فعيلة، وأنه مشتق من السكون، وفي التفسير ﴿**فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ**﴾ أي تأييده ونصره ﴿**عَلَيْهِ**﴾ أي على رسوله في أشهر القولين، وقيل على أبي بكر ﷺ، وروي عن ابن عباس وغيره؛ قالوا: لأن الرسول لم تزل معه سكينة، وهذا لا ينافي تجديد سكينة خاصة بتلك الحال؛ ولهذا قال: ﴿**وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا**﴾ أي الملائكة».

• [٤٢٧٥] وهذه منقبة للصديق ﷺ، فهذه صحبة خاصة، فكل الصحابة أصحاب للنبي ﷺ، فعمر وعثمان وعلي كلهم صحابة، لكن هذه صحبة خاصة وهي صحبة الغار، ففيها مزية ومنقبة لأبي بكر لا يلحقه فيها أحد، لا عمر ولا غيره، ﴿**إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ**﴾ يعني: صاحبه الخاص ﴿**لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا**﴾ [التوبة: ٤٠] وهذه المعية معية خاصة، والمعية صفة من صفات الله ﷻ، وهي المصاحبة، وهي نوعان:

معية عامة لجميع الخلق للمؤمن والكافر، ومقتضاها الإحاطة والاطلاع ونفوذ القدرة والمشيئة، وتأتي في سياق المجازاة والمحاسبة والتخويف كقوله سبحانه: ﴿**مَا يَكُونُ مِن**

نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا﴾ ثم قال التعليل : ﴿ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ ۚ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [المجادلة : ٧] ، وقوله تعالى : ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ ۚ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا ۖ وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ﴾ ، وقال : ﴿وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾ [الحديد : ٤] .

ومعية خاصة بالمؤمنين ، وتأتي في سياق المدح والثناء ، ومقتضاها النصر والتأييد والحفظ كما في هذه الآية : ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ يعني : بنصره وتوفيقه وتأييده ، ومثل قوله تعالى : ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا وَّالَّذِينَ هُم مُّحْسِنُونَ﴾ [النحل : ١٢٨] وكقوله تعالى في حق موسى وهارون : ﴿إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾ [طه : ٤٦] ، ولما دخل معهم فرعون جاءت المعية العامة في قوله : ﴿إِنَّا مَعَكُم مُّسْتَمِعُونَ﴾ [الشعراء : ١٥] .

• [٤٢٧٦] وهذه القصة لابن عباس **«حين وقع بينه وبين ابن الزبير»** أي حين دعا ابن الزبير لنفسه بالخلافة بعد موت يزيد بن معاوية ، فبايعه أهل الحجاز مكة والمدينة والطائف ، وامتنع ابن عباس من بيعته حتى يجتمع الناس على خليفة ؛ لأن ابن عباس يرى أن الخلافة في الشام ، وأن وجوه الناس وأصول الناس بايعوا مروان بن الحكم ، ثم عبد الملك بن مروان بعد موت يزيد .

فتوقف ابن عباس وقال : **«لأن يربني بنو عمي -فيكون أميرًا علي- أحب إلي من أن يربني غيرهم»** كما سيأتي ، لكن المسألة ليست مسألة قرابة ، إنما المسألة مسألة أحقية بالخلافة كما سيأتي في الحديث الذي بعده .

• [٤٢٧٧] قوله : **«وكان بينهما شيء»** يعني : بين ابن عباس وابن الزبير .

قوله : **«فغدوت على ابن عباس فقلت : أتريد أن تقاتل ابن الزبير فتحل حرم الله؟ فقال»** أي : ابن عباس **«معاذ الله ، إن الله كتب ابن الزبير وبني أمية محلين»** يعني : يبيحون القتال في الحرم وفي المسجد الحرام ، أما أنا فلا أستحله ؛ يشير إلى القتال الذي بين ابن الزبير وعبد الملك بن مروان الذي وكل المهمة إلى الحجاج ، **«وإني والله لا أحله أبدًا»** يعني : ابن عباس لا يحل القتال فيه .

قوله : «**قال : قال الناس : بايع لابن الزبير**» الكلام لابن عباس ، أي إن الناس قالوا لي : بايع ابن الزبير ، «**وأين بهذا الأمر عنه؟**» أي : أنه مستحق للخلافة لما له من المناقب ، ثم ذكر مناقبه فقال : «**أما أبوه فحواري النبي ﷺ -يريد الزبير**» ؛ لأن النبي ﷺ قال في الحديث الصحيح : «**لكل نبي حواري وحواري الزبير**»(١) والحواري : الناصر والمخلص ، ثم قال : «**وأما جده فصاحب الغار يريد أبا بكر**» فأبو بكر رضي الله عنه جده من قبل أمه ، «**وأمه فذات النطاق يريد أسماء**» التي شقت نطاقها ، واتزرت بقسم منه ، وقسم جعلته سفرة للنبي ﷺ ، فهذه منقبة لها ، «**وأما خالته فأم المؤمنين - يريد عائشة ، وأما عمته فزوج النبي ﷺ - يريد خديجة ، وأما عمة النبي ﷺ فجدته - يريد صفية ، ثم عفيف في الإسلام ، قارئ للقرآن**» ، فهذه صفات عظيمة تؤهله من جهة النسب ، ومن جهة الزهد والورع أيضًا .

ثم قال ابن عباس : «**والله إن وصلوني وصلوني من قريب ، وإن ربوني ربوني أكفاء كرام**» الأقرب أن هذا الضمير يعود إلى بني أمية في قوله : «**إن وصلوني**» ، أو يعود إلى ابن الزبير ، يقول : إن كان من جهة التربية فهم أكفاء كرام ، وإن كان من جهة الصلة فهم أقرباء لي .

أما ابن الزبير «**فآثر التُّويتات والأُسامات والحُميدات**» والتويتات : بطون من بني تويت ، والأسامات : بطون من بني أسد ، والحميدات بطون من بني حميد .

ثم قال : «**إن ابن أبي العاصي**» يعني : عبد الملك بن مروان أو مروان بن الحكم «**برز يمشي القدمية**» يعني : برز وتقدم وظهر وبايعه أهل الشام .

قوله : «**وإنه لوى ذنبه ، يعني : ابن الزبير**» كناية عن تخلفه عن معالي الأمور ، وقيل : كنى بها عن الجبن وإيثار الدعة .

والشاهد قوله : «**وأما جده فصاحب الغار - يريد أبا بكر**» جاء بهذه القصة من أجل هذه الكلمة .

● **[٤٢٧٨]** هذا الحديث جاء به استطرادًا من أجل قوله في الحديث السابق : «**صاحب الغار يريد أبا بكر**» .

---

(١) أحمد (١/ ٨٩) ، والبخاري (٢٨٤٦) ، ومسلم (٢٤١٥) .

يقول ابن أبي مليكة : «**دخلنا على ابن عباس**» في وقت دعوة ابن الزبير لنفسه بالخلافة ، «**فقال**» ابن عباس : «**ألا تعجبون لابن الزبير قام في أمره هذا؟**» يعني : طلب الخلافة «**فقلت**» يعني : ابن عباس «**لأحاسبن نفسي له**» يعني : أناقشها في معونته ونصحه ، فابن عباس يقول : سأحاسب نفسي وأناقشها في معونة ابن الزبير ونصحه مناقشة ومحاسبة «**ما حاسبتها لأبي بكر ولا عمر ، ولهما كانا أولى بكل خير منه**» مع أن أبا بكر وعمر أولى بالخير من ابن الزبير ، ومع ذلك أحاسب نفسي لمعونته ونصحه .

ثم أخذ يبين فضائل ابن الزبير فقال : «**وقلت : ابن عمة النبي ﷺ**» يعني : صفية بنت عبد المطلب «**وابن الزبير**» يعني : والده الزبير ، «**وابن أبي بكر**» يعني : أبو بكر والده لأمه ، «**وابن أخي خديجة**» يعني : عمته خديجة ، «**وابن أخت عائشة**» كل هذه مناقب له ، لكن يقول من جهة أخرى : «**فإذا هو يتعلى عني**» يعني : يترفع عني متنحيًا ، ومعناها يلومه ويعتب عليه ، «**ولا يريد ذلك**» يعني : لا يريد أن أكون من خاصته .

قوله : «**فقلت :**» يعني : ابن عباس «**ما كنت أظن أني أعرض هذا من نفسي فيدعه**» يعني : أبدأه بالخضوع ، ولا يرضى مني بذلك ، وهذا من باب اللوم والعتاب ، «**وما أراه يريد خيرًا**» يعني : ما أظنه يصنع بي خيرًا ، «**وإن كان لابد**» يعني : الخلافة لابن الزبير أو لعبد الملك بن مروان في الشام ، فأنا أفضل عبد الملك بن مروان لقربه ؛ «**لأن يربني بنو عمي أحب إلي من أن يربني غيرهم**» يربني : يعني يكون علي رب وأمير من بني عمي أحب إلي من أن يكون علي أمير من غيرهم .

* * *

المتن

[١٥٢/ ٥٦] باب قوله ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾ [التوبة: ٦٠]

قال مجاهد: يتألفهم بالعطية.

• [٤٢٧٩] حدثنا محمد بن كثير، قال: أخبرنا سفيان، عن أبيه، عن ابن أبي نعم، عن أبي سعيد قال: بعث إلى النبي ﷺ بشيء فقسمه بين أربعة، وقال: **«أتألفهم»**، فقال رجل: ما عدلت، فقال: **«يخرج من ضئضئ هذا قوم يمرقون من الدين»**.

الشرح

قوله: **«باب قوله ﷻ: ﴿وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ﴾** [التوبة: ٦٠]**، قال مجاهد: يتألفهم بالعطية»** المؤلفة قلوبهم أحد الأصناف الذين تصرف إليهم الزكاة، فإن منصرف الزكاة ثمانية بينهم الله تعالى في كتابه؛ ولهذا جاء في الحديث أن النبي ﷺ لما جاءه رجل يسأله الزكاة قال: **«إن الله لم يرض بحكم نبي حتى حكم فيها بنفسه، وإن الله جزأها ثمانية أجزاء، فإن كنت منهم أعطيتك وقرأ الآية: ﴿إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلْفُقَرَآءِ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْعَٰمِلِينَ عَلَيْهَا وَٱلْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِى ٱلرِّقَابِ وَٱلْغَٰرِمِينَ وَفِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ﴾** [التوبة: ٦٠]**»**[١] يعني: الزكاة لثمانية أصناف، والمؤلفة قلوبهم صنف منهم، وهم نوعان:

القسم الأول: مسلمون ضعفاء الإيمان، يعطون من الزكاة حتى يتقوى إيمانهم، أو يكونوا رؤساء عشائر فيعطون حتى يطوعوا أتباعهم لدفع الزكاة.

والقسم الثاني: كفار يعطون من الزكاة دفعا لشرهم عن المسلمين.

• [٤٢٧٩] هذا حديث أبي سعيد، وفيه أنه يقول: **«بعث إلى النبي ﷺ بشيء فقسمه بين أربعة، وقال: «أتألفهم»»**، وهذا هو الشاهد من قول المؤلفة، وفي الحديث الآخر: **«أن عليا بعث بذهيبة من اليمن لم تحصل من ترابها، فقسمها بين أربعة من رؤساء القبائل؛ ليتألفهم على الإسلام»**[٢].

---

(١) أبو داود (١٦٣٠).

(٢) أحمد (٣/ ٤)، والبخاري (٤٣٥١)، ومسلم (١٠٦٤).

قوله : **«فقال رجل : ما عدلت»** يقول للنبي ﷺ ، وهذا من الخوارج ، وفي اللفظ الآخر : أنه ذو الخويصرة التميمي قال : **«إن هذه قسمة ما أريد بها وجه الله ، قال : «ويحك ، أو خبت وخسرت إن لم أعدل»»**[١] .

قوله : **«من ضئضئ هذا»** قيل : من نسله ، وقيل : من جنسه .

وقوله : **«قوم يمرقون من الدين»** هم الخوارج ، يعني : أنهم كفار ، والجمهور على أنهم فساق عصاة ، والقائلين بكفرهم دليلهم قوي ، والأحاديث فيها أنهم : **«يخرجون من الدين ثم لا يعودون فيه»**[٢] ، وفيها : **«لئن أدركتهم لأقتلنهم قتل عاد»**[٣] ، وفي لفظ آخر : **«يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»**[٤] .

* * *

---

(١) أحمد (٣/ ٥٦) ، والبخاري (٣٦١٠) ، ومسلم (١٠٦٤) .

(٢) أحمد (٥/ ٣١) ، والبخاري (٧٥٦٢) ، ومسلم (١٠٦٧) .

(٣) أحمد (٣/ ٦٨) ، والبخاري (٧٤٣٢) ، ومسلم (١٠٦٤) .

(٤) أحمد (١/ ٨٨) ، والبخاري (٣٦١٠) ، ومسلم (١٠٦٣) .

المَتْنُ

[١٥٣/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ [التوبة: ٧٩]

«جَهْدَهم» و﴿جُهْدَهُمْ﴾: طاقتهم.

• **[٤٢٨٠]** حدثني بشر بن خالد أبو محمد، قال: أخبرنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن سليمان، عن أبي وائل، عن أبي مسعود قال: لما أُمرنا بالصدقة كنا نتحامل، فجاء أبو عقيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثر منه، فقال المنافقون: إن الله لغني عن صدقة هذا، وما فعل هذا الآخر إلا رياء، فنزلت: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ الآية ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾[التوبة: ٧٩].

• **[٤٢٨١]** حدثني إسحاق بن إبراهيم، قال: قلت لأبي أسامة: أحدثكم زائدة، عن سليمان، عن شقيق، عن أبي مسعود الأنصاري قال: كان رسول الله ﷺ يأمر بالصدقة، فيحتال أحدنا حتى يجيء بالمد، وإن لأحدهم اليوم مائة ألف. كأنه يعرض بنفسه.

الشَّرْحُ

هذه الترجمة على قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ﴾[التوبة: ٧٩].

قوله تعالى: ﴿يَلْمِزُونَ﴾ أي يعيبون.

قوله: «**«جَهْدَهم»** و﴿جُهْدَهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩]» يعني: بفتح الجيم وضمها والمعنى واحد أي: **«طاقتهم»**.

قوله: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾ [التوبة: ٧٩] هذه الآية في المنافقين، وهم لا يسلم منهم أحد، فهم يعيبون المتصدقين، فإن جاء أحدهم بمال قليل قالوا: الله غني عن هذا، وإن جاء أحدهم بمال كثير قالوا: هذا مراء.

• **[٤٢٨٠]** هذا حديث أبي مسعود، وفيه أنه يقول: **«لما أمرنا بالصدقة كنا نتحامل»** يعني: يحمل بعضنا بعضًا بالأجرة، ثم يتصدقون، وهذا فيه فضل الصحابة لما حثهم النبي ﷺ على

الصدقة وليس عندهم شيء صاروا يشتغلون؛ منهم من يشتغل حمالا ثم يأتي بمال، ينفق بعضه على أهله، وبعضه يتصدق به.

وفيه دليل على أنه ليس بعيب أن يكون الإنسان حمالا يحمل بعض المتاع ويعطى أجرة؛ ليكف الله بها وجهه عن السؤال.

قوله: **«فجاء أبو عقيل بنصف صاع، وجاء إنسان بأكثر منه، فقال المنافقون: إن الله لغني عن صدقة هذا»** يعني: ما يجيء إلا بنصف صاع؟! الله غني عن هذا، ولما جاء الآخر بكثير قالوا: **«وما فعل هذا الآخر إلا رياء؛ فنزلت: ﴿ٱلَّذِينَ يَلْمِزُونَ ٱلْمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ﴾ الآية ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهْدَهُمْ﴾.** [التوبة: ٧٩]» فلا أحد يسلم من المنافق.

• [٤٢٨١] هذا حديث لأبي مسعود ﵁ أيضا من طريق أخرى، يقول: **«كان رسول الله ﷺ يأمر بالصدقة، فيحتال أحدنا حتى يجيء بالمد»** يعني: يشتغل ويعمل حتى يأتي بمد فيتصدق به.

وقوله: **«وإن لأحدهم اليوم مائة ألف. كأنه يعرض بنفسه»** يعني: ولا يتصدقون وهم مكثرون، أو أنهم لا يتصدقون مع يسرهم، وكانوا يتصدقون مع عسرهم، فقد تغيرت الحال بعد مدة، والآن الواحد عنده مائة ألف ولا يتصدق.

وذكر الحافظ توجيهات لذلك فقال: «ويحتمل أن يكون مراده أن الحرص على الصدقة الآن لسهولة مأخذها بالتوسع الذي وسع عليهم أولى من الحرص عليها مع تكلفهم، أو أنه أشار إلى ضيق العيش في زمن الرسول».

* * *

المتن

[١٥٤/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]

- **[٤٢٨٢]** حدثني عبيد بن إسماعيل، عن أبي أسامة، عن عبيدالله، عن نافع، عن ابن عمر قال: لما توفي عبدالله بن أبي جاء ابنه عبدالله بن عبدالله إلى رسول الله ﷺ، فسأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه أباه، فأعطاه، ثم سأله أن يصلي عليه، فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟! فقال رسول الله ﷺ: **«إنما خيرني الله فقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾**[التوبة: ٨٠]، **وسأزيده على السبعين»**، قال: إنه منافق، قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ، قال: فأنزل الله ﷻ: **﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾**[التوبة: ٨٤].

- **[٤٢٨٣]** حدثنا يحيى بن بكير، قال: حدثنا الليث، عن عقيل، وقال غيره: حدثني الليث، قال: حدثني عقيل، عن ابن شهاب، قال: أخبرني عبيدالله بن عبدالله، عن ابن عباس، عن عمر بن الخطاب أنه قال: لما مات عبدالله بن أبي ابن سلول دعي له رسول الله ﷺ ليصلي عليه، فلما قام رسول الله ﷺ وثبت إليه فقلت: يا رسول الله، أتصلي على ابن أبي وقد قال يوم كذا كذا وكذا؟! قال: أعدُّ عليه قوله، فتبسم رسول الله ﷺ، وقال: **«أخر عني يا عمر»**، فلما أكثرت عليه قال: **«إني خيرت فاخترت، لو أعلم أني إن زدت على السبعين فغُفِر له لزدت عليها»**، قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ ثم انصرف، فلم يمكث إلا يسيرًا حتى نزلت الآيتان من براءة: **﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾** إلى قوله: **﴿وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾**[التوبة: ٨٤]، قال: فعجبت بعد من جرأتي على رسول الله ﷺ، والله ورسوله أعلم.

الشرح

قال العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «أخبر الله تعالى في هذه الآية الكريمة أن هؤلاء المنافقين اللمازين ليسوا أهلا للاستغفار، وأنه لو استغفر لهم ولو سبعين مرة فإن الله لا يغفر لهم، وذكر السبعين بالنص

عليه لحسم مادة الاستغفار لهم ؛ لأن العرب في أساليب كلامهم تذكر السبعين في مبالغة كلامهم ، ولا يراد بها التحديد ، ولا أن كون ما زاد عليها بخلافها» .

● [٤٢٨٢] **قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ : «قوله : **«لما توفي عبد الله بن أبي»** ذكر الواقدي ، ثم الحاكم في الإكليل أنه مات بعد منصرفهم من تبوك وذلك في ذي القعدة سنة تسع ، وكانت مدة مرضه عشرين يوما ابتداؤها من ليال بقيت من شوال ، قالوا : وكان قد تخلف هو ومن تبعه عن غزوة تبوك ، وفيهم نزلت : ﴿لَوْ خَرَجُواْ فِيكُم مَّا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً﴾ [التوبة : ٤٧] ، وهذا يدفع قول ابن التين : إن هذه القصة كانت في أول الإسلام قبل تقرير الأحكام .

قوله : **«جاء ابنه عبد الله بن عبد الله»** وقع في رواية الطبري من طريق الشعبي «لما احتضر عبد الله جاء ابنه عبد الله إلى النبي ﷺ فقال : يا نبي الله إن أبي قد احتضر ، فأحب أن تشهده وتصلي عليه ، قال : **«ما اسمك؟»** ، قال : الحباب» ، يعني بضم المهملة وموحدتين مخففا ، **«قال : بل أنت عبد الله»**(١) ، الحباب اسم الشيطان ، وكان عبد الله بن عبد الله بن أبي هذا من فضلاء الصحابة ، وشهد بدرا وما بعدها ، واستشهد يوم اليمامة في خلافة أبي بكر الصديق ، ومن مناقبه أنه بلغه بعض مقالات أبيه ، فجاء إلى النبي ﷺ يستأذنه في قتله ، قال : **«بل أحسن صحبته»**(٢) أخرجه ابن منده من حديث أبي هريرة بإسناد حسن . . . وكأنه كان يحمل أمر أبيه على ظاهر الإسلام فلذلك التمس من النبي ﷺ أن يحضر عنده ويصلي عليه ، ولا سيما وقد ورد ما يدل على أنه فعل ذلك بعهد من أبيه ، ويؤيد ذلك ما أخرجه عبد الرزاق عن معمر والطبري من طريق سعيد كلاهما عن قتادة ، قال : أرسل عبد الله بن أبي إلى النبي ﷺ فلما دخل عليه قال : **«أهلكك حب يهود»**(٣) فقال : يا رسول الله ، إنما أرسلت إليك لتستغفر لي ، ولم أرسل إليك لتوبخني ، ثم سأله أن يعطيه قميصه يكفن فيه فأجابه ، وهذا مرسل مع ثقة رجاله ، ويعضده ما أخرجه الطبراني من طريق الحكم بن أبان ، عن عكرمة ، عن ابن عباس قال : لما مرض عبد الله بن أبي جاءه النبي ﷺ فكلمه فقال : قد

---

(١) «تفسير الطبري» (١٠/ ١٩٩) .

(٢) الطبراني في «الأوسط» (١/ ٨٠) ، وابن حبان (٢/ ١٧١) .

(٣) «تفسير عبد الرزاق» (٢/ ٢٨٥) ، و«تفسير الطبري» (١٠/ ٢٠٦) .

فهمت ما تقول فامنن علي فكفني في قميصك وصل علي ففعل[(١)] ، وكأن عبد الله بن أبي أراد بذلك دفع العار عن ولده وعشيرته بعد موته فأظهر الرغبة في صلاة النبي ﷺ عليه ، ووقعت إجابته إلى سؤاله بحسب ما ظهر من حاله إلى أن كشف الله الغطاء عن ذلك كما سيأتي ، وهذا من أحسن الأجوبة فيما يتعلق بهذه القصة .

قوله : **«فقام رسول الله ﷺ ليصلي عليه ، فقام عمر فأخذ بثوب رسول الله ﷺ»** ، في حديث ابن عباس عن عمر ثاني حديث الباب : **«فلما قام رسول الله ﷺ»** وفي حديث الترمذي من هذا الوجه : **«فقام إليه ، فلما وقف عليه يريد الصلاة عليه تحولت حتى قمت في صدره ، فقلت : يا رسول الله أتصلي على ابن أبي وقد قال يوم كذا كذا وكذا يعد أيامه»**[(٢)] يشير بذلك إلى مثل قوله : ﴿لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾ [المنافقون : ٧] ، وإلى مثل قوله : ﴿لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون : ٨] ، وسيأتي بيانه في تفسير المنافقون .

قوله : **«فقال : يا رسول الله تصلي عليه وقد نهاك ربك أن تصلي عليه؟»** كذا في هذه الرواية إطلاق النهي عن الصلاة ، وقد استشكل جدا حتى أقدم بعضهم فقال : هذا وهم من بعض رواته ، وعاكسه غيره فزعم أن عمر اطلع على نهي خاص في ذلك ، وقال القرطبي : لعل ذلك وقع في خاطر عمر فيكون من قبيل الإلهام ، ويحتمل أن يكون فهم ذلك من قوله : ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن يَسْتَغْفِرُواْ لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة : ١١٣] قلت : الثاني ، يعني ما قاله القرطبي أقرب من الأول ؛ لأنه لم يتقدم النهي عن الصلاة على المنافقين بدليل أنه قال في آخر هذا الحديث قال : **«فأنزل الله ﷻ ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم﴾ [التوبة : ٨٤]»** والذي يظهر أن في رواية الباب تجوزا بينته الرواية التي في الباب بعده من وجه آخر عن عبد الله بن عمر بلفظ **«فقال : تصلي عليه وقد نهاك الله أن تستغفر لهم»**[(٣)] ، وروى عبد بن حميد والطبري من طريق الشعبي عن ابن عمر عن عمر قال : أراد رسول الله ﷺ أن يصلي على عبد الله بن أبي ، فأخذت بثوبه فقلت : والله ما أمرك الله بهذا ، لقد قال : ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة : ٨٠] ، ووقع عند ابن مردويه من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس فقال عمر : أتصلي عليه وقد نهاك الله

---

(١) الطبراني في «الكبير» (١١/ ٢٣٥) .
(٢) الترمذي (٣٠٩٧) .
(٣) البخاري (٤٦٧٢) .

أن تصلي عليه، قال: «أين؟»، قال: قال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ الآية، وهذا مثل رواية الباب، فكأن عمر قد فهم من الآية المذكورة ما هو الأكثر الأغلب من لسان العرب من أن أو ليست للتخيير، بل للتسوية في عدم الوصف المذكور، أي أن الاستغفار لهم وعدم الاستغفار سواء، وهو كقوله تعالى: ﴿سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [المنافقون: ٦] لكن الثانية أصرح؛ ولهذا ورد أنها نزلت بعد هذه القصة كما سأذكره، وفهم عمر أيضا من قوله: ﴿سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ أنها للمبالغة، وأن العدد المعين لا مفهوم له، بل المراد نفي المغفرة لهم ولو كثر الاستغفار، فيحصل من ذلك النهي عن الاستغفار فأطلقه، وفهم أيضا أن المقصود الأعظم من الصلاة على الميت طلب المغفرة للميت والشفاعة له؛ فلذلك استلزم عنده النهي عن الاستغفار ترك الصلاة؛ فلذلك جاء عنه في هذه الرواية إطلاق النهي عن الصلاة، ولهذه الأمور استنكر إرادة الصلاة على عبد الله بن أبي، هذا تقرير ما صدر عن عمر مع ما عرف من شدة صلابته في الدين وكثرة بغضه للكفار والمنافقين، وهو القائل في حق حاطب بن أبي بلتعة مع ما كان له من الفضل كشهوده بدرا وغير ذلك لكونه كاتب قريشا قبل الفتح: دعني يا رسول الله أضرب عنقه؛ فقد نافق، فلذلك أقدم على كلامه للنبي ﷺ بما قال، ولم يلتفت إلى احتمال إجراء الكلام على ظاهره لما غلب عليه من الصلابة المذكورة، قال الزين بن المنير: وإنما قال ذلك عمر حرصا على النبي ﷺ، ومشورة لا إلزاما، وله عوائد بذلك، ولا يبعد أن يكون النبي كان أذن له في مثل ذلك، فلا يستلزم ما وقع من عمر أنه اجتهد مع وجود النص كما تمسك به قوم في جواز ذلك، وإنما أشار بالذي ظهر له فقط؛ ولهذا احتمل منه النبي ﷺ أخذه بثوبه ومخاطبته له في مثل ذلك المقام حتى التفت إليه متبسما كما في حديث ابن عباس بذلك في هذا الباب.

قوله: **«إنما خيرني الله، فقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾ وسأزيده على السبعين»** في حديث ابن عباس عن عمر من الزيادة **«فتبسم رسول الله ﷺ وقال: «أخر عني يا عمر»**، فلما أكثرت عليه قال: **«إني خيرت فاخترت»**، أي خيرت بين الاستغفار وعدمه».

• **[٤٢٨٣]** هذا الحديث على قوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] والآية في المنافقين ﴿إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ فالرسول ﷺ لما توفي عبد الله بن أبي سأله ابنه عبد الله أن يعطيه قميصه ليكفنه فيه، فأعطاه حرصا منه ﷺ على جمع المسلمين

وتأليفا لقومه ؛ لأن ابن أبي كان رئيسا في قومه وكادوا أن يسودوه قبل الإسلام ، فلما جاء الله بالإسلام شرق لهذا الأمر ، وحرصا من النبي ﷺ فعل ذلك لعل الله أن يغفر له ؛ لأنه لم يأته مانع عليه الصلاة والسلام اجتهد فقال لعمر : **«إني خيرت»** أي : لما قال الله : ﴿**ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ**﴾ [التوبة : ٨٠] .

قوله : **«فلما قام رسول الله ﷺ وثبت إليه فقلت : يا رسول الله ، أتصلي على ابن أبي وقد قال يوم كذا كذا وكذا؟! قال : أعدَّ عليه قوله ، فتبسم رسول الله ﷺ»** فانظر إلى خلق النبي ﷺ جاء عمر مغضبا يأخذ بثوبه يقول يا رسول الله : المنافق تصلي عليه؟ فقابله النبي ﷺ بالابتسامة وقال : **«إني خيرت فاخترت»** فقوله تعالى : ﴿**ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ**﴾ من التخيير .

وقوله : **«لو أعلم أني إن زدت على السبعين فغفر له لزدت عليها»** فصلى عليه النبي ﷺ .

وجاء في الرواية التي في الجنائز : **«أن عبد الله بن أبي جاءه النبي ﷺ فاستخرجه من قبره ، ونفث فيه من ريقه ، وألبسه قميصه»**(١) ، وفي لفظ آخر : **«أنه دلي في قبره»**(٢) ويجمع بينهما بأنه استخرجه من قبره ؛ لأنه دلي ، ولما دلي في حفرته جاءه النبي ﷺ فاستخرجه من القبر ، ونفث فيه من ريقه لعل الله أن يرحمه ؛ لأنه لم يأته نهي وألبسه قميصه ، وقيل : إنه مكافأة له ؛ لأنه أعطى يوم بدر قميصه لعمه العباس ، وكان العباس طويلا وعبد الله بن أبي طويلا ولم يجد ثوبا يكافئه إلا ثوب عبد الله بن أبي ، ثم بعد ذلك أنزل الله عليه النهي : ﴿**وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ**﴾ والتعليل ﴿**إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ**﴾ [التوبة : ٨٤] فالنبي ﷺ أراد نفعه ، ولعل الله أن ينفعه ، ولعل الله أن يغفر له ، ثم بين الله أنه لا حيلة فيه ؛ لأنه مات على الكفر وعلى الفسق ، ونهاه الله عن الصلاة على أحد من المنافقين ، وعن القيام على قبره بالدعاء .

في هذا دليل على أن المؤمن يصلى عليه ، ويقام على قبره بالدعاء له والسؤال له بالتثبيت ، والكافر لا يصلى عليه ولا يقام على قبره ، فمن مات على الكفر فلا يصلى عليه ، ومن مات على الإسلام يصلى عليه ، ولو كان ضعيف الإيمان ، ولو كان فاسقا .

(١) البخاري (١٢٧٠) .

(٢) «تفسير الطبري» (١٠/ ٢٠٦) بمعناه .

وعمر بعد ذلك كان يقول : فعجبت من جرأتي على النبي ﷺ .

والنبي ﷺ تبين له بعد ذلك وأخبره الله قال : ﴿إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ﴾ [التوبة : ٨٤] نهاه الله فلم يصل بعد ذلك على منافق بعد نزول الآية ؛ ولذلك قال عمر : إنه منافق كما ذكرت الرواية فصلى عليه ، أما جزم عمر بأنه منافق فجرى على ما كان يطلع عليه من أحواله ، وإنما لم يأخذ النبي ﷺ بقوله وصلى عليه إجراء له على ظاهره واستصحابا لظاهر الحكم ، ولما فيه من إكرام ولده الذي تحققت صلاحيته ومصلحة الاستئلاف لقومه ودفعا للمفسدة فاعتبر كل هذه المصالح ، ولعل الله أن ينفعه ثم بين الله له بعد ذلك أنه لا حيلة فيه ؛ لأنه مات على الكفر .

وكذلك إذا علم عن إنسان أنه يسب الدين فهذا مرتد ولا تنفعه الصلاة مع سب الدين ، ولو صلى الذي يفعل ناقضا من نواقض الإسلام لا تفيده ، بل تبطل أعماله لقول الله تعالى : ﴿وَقَدِمْنَا إِلَىٰ مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَّنثُورًا﴾ [الفرقان : ٢٣] كمن يسجد للصنم ويصلي فإنها لا تنفعه .

* * *

المتن

[١٥٥/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٨٤]

• [٤٢٨٤] حدثني إبراهيم بن المنذر، قال: حدثنا أنس بن عياض، عن عبيدالله، عن نافع، عن ابن عمر قال: لما توفي عبدالله بن أبي جاء ابنه عبدالله بن عبدالله إلى رسول الله ﷺ فأعطاه قميصه، فأمره أن يكفنه فيه، ثم قام يصلي عليه، فأخذ عمر بن الخطاب بثوبه، فقال: تصلي عليه وهو منافق؟! وقد نهاك الله أن تستغفر لهم، قال: **«إنما خيرني الله -أو أخبرني الله- فقال: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً﴾»**[التوبة: ٨٠]، فقال: **«سأزيده على سبعين»**، قال: فصلى عليه رسول الله ﷺ وصلينا معه، ثم أنزل عليه: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا﴾.

الشرح

قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي هذا باب في قوله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ﴾ [التوبة: ٨٤] إلى آخره، وظاهر الآية أنها نزلت في جميع المنافقين، لكن ورد ما يدل على أنها نزلت في عدد معين منهم، قال الواقدي: أخبرنا معمر، عن الزهري، قال: قال حذيفة رضي الله عنه: قال لي رسول الله: **«إني مسر إليك سرا فلا تذكره لأحد، إني نهيت أن أصلي على فلان وفلان، رهط ذوي عدد من المنافقين»** قال: فلذلك كان عمر رضي الله عنه إذا أراد أن يصلي على أحد استتبع حذيفة، فإن مشى مشى معه وإلا لم يصل عليه[1]، ومن طريق آخر عن جبير ابن مطعم أنهم اثنا عشر رجلا».

• [٤٢٨٤] هذا هو الحديث السابق أعاده المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ لهذه الترجمة، فقد أتى به على الآية الأولى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠]، ثم أعاده على هذه الآية: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٨٤].

---

(١) معمر في «جامعه» (١١/ ٢٣٩)، ومن طريقه الواقدي في «المغازي» (٣/ ١٠٤٥)، وعبدالرزاق في «المصنف» (١١/ ٢٣٨).

قوله : «**إنما خيرني الله – أو أخبرني الله**» شك من الراوي هل قال : خيرني أم أخبرني؟

وقوله : «**فصلى عليه رسول الله ﷺ وصلينا معه**» ؛ لأنه لم يُنه عن الصلاة عليه أولا ، ثم نزلت الآية في النهي عن الصلاة على المنافقين والقيام على قبورهم ، فلم يصل بعد ذلك على أحد منهم عليه الصلاة والسلام .

وهذه الآية نزلت في جميع المنافقين ، من علم كفره فلا يصلى عليه ؛ لأن المنافقين كفار ، فالعلة واضحة ﴿ **إِنَّهُمْ كَفَرُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَمَاتُوا وَهُمْ فَاسِقُونَ** ﴾ [التوبة : ٨٤] هذه هي العلة في النهي عن الصلاة .

وأما إذا لم يعلم أن هذا منافق فإنه يجرى عليه أحكام الإسلام إذا كان مظهرا للإسلام ، وأمره إلى الله .

وأهل العلم لهم طرق خفية يعلمون بها حال مثل هذا ، فينظرون في كلامه إذا كان يدل على كفره ، فإذا كان كفرا صريحا فلا يصلى عليه .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «قال : وفيه جواز الشهادة على المرء بما كان عليه حيا وميتا ؛ لقول عمر : إن عبد الله منافق ولم ينكر النبي ﷺ قوله ، ويؤخذ أن المنهي عنه من سب الأموات ما قصد به الشتم لا التعريف ، وأن المنافق تجرى عليه أحكام الإسلام الظاهرة ، وأن الإعلام بوفاة الميت مجردا لا يدخل في النعي المنهي عنه .

وفيه جواز سؤال الموسر من المال من ترجى بركته شيئا من ماله لضرورة دينية .

وفيه رعاية الحي المطيع بالإحسان إلى الميت العاصي .

وفيه التكفين بالمخيط ، وجواز تأخير البيان عن وقت النزول إلى وقت الحاجة ، والعمل بالظاهر إذا كان النص محتملا .

وفيه جواز تنبيه المفضول للفاضل على ما يظن أنه سها عنه ، وتنبيه الفاضل المفضول على ما يشكل عليه» يعني : عمر نبهه قال : يا رسول الله ، إنه منافق ، نهاك ربك ، فهذا تنبيه ، ويظن أنه ما انتبه له .

ثم قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ : «وجواز استفسار السائل المسئول وعكسه عما يحتمل ما دار بينهما ، وفيه جواز التبسم في حضور الجنازة عند وجود ما يقتضيه» ؛ لأن النبي ﷺ تبسم لعمر لما قال له : نهاك ربك ، فتبسم .

ثم قال الحافظ رَحِمَهُ اللهُ : «وقد استحب أهل العلم عدم التبسم من أجل تمام الخشوع فيستثنى منه ما تدعو إليه الحاجة» .

* * *

المتن

[١٥٦/ ٥٦] باب قوله: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ [التوبة: ٩٥] الآية

• [٤٢٨٥] حدثنا يحيى، قال: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عبدالرحمن بن عبدالله، أن عبدالله بن كعب قال: سمعت كعب بن مالك حين تخلف عن تبوك: والله ما أنعم الله على عبد من نعمة بعد إذ هداني أعظم من صدقي رسول الله ﷺ، أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا حين أنزل الوحي: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْفَٰسِقِينَ﴾.

الشرح

قال العيني رحمه الله: «أخبر الله عن المنافقين بأنهم إذا رجعوا إلى المدينة يعتذرون ويحلفون بالله ﴿لِتُعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ فلا تؤنبوهم، ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ﴾ احتقارا لهم، ﴿إِنَّهُمْ رِجْسٌ﴾ أي جبناء نجسة بواطنهم واعتقاداتهم، ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ﴾ في آخره ﴿جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٩٥] من الآثام والخطايا».

• [٤٢٨٥] هذا الحديث فيه فضل الصدق، وأنه من أعظم النعم قال الله تعالى: ﴿قَالَ ٱللَّهُ هَٰذَا يَوْمُ يَنفَعُ ٱلصَّٰدِقِينَ صِدْقُهُمْ ۚ لَهُمْ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ [المائدة: ١١٩]، ﴿وَٱلصَّٰدِقِينَ وَٱلصَّٰدِقَٰتِ﴾ [الأحزاب: ٣٥]، وأنه منجاة؛ لأن كعب بن مالك صدق فحصلت له شدة في أول الأمر فكانت العاقبة الحميدة له، بخلاف المنافقين فإنهم حلفوا أنهم معذورون وأنهم لا يستطيعون، فقبل النبي ﷺ ظاهرهم ووكل سرائرهم إلى الله، فكانت العاقبة الوخيمة لهم؛ ولهذا فإن كعبا اعتبر هذا الصدق نعمة عظيمة عليه فقال: **«والله ما أنعم الله على عبد»** وفي رواية: «عليّ»(١) **«من نعمة بعد إذ هداني»** يعني للإسلام **«أعظم من صدقي رسول الله ﷺ أن لا أكون كذبته فأهلك كما هلك الذين كذبوا حين أنزل الوحي: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾** [التوبة: ٩٥] **إلى قوله: ﴿ٱلْفَٰسِقِينَ﴾** [التوبة: ٩٦]».

فكعب يقول: هذه نعمة أنعم الله عليه بها؛ لأنه صدق، فما صار من المنافقين الذين حلفوا، فقال الله لهم: ﴿فَأَعْرِضُوا عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ ۖ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ﴾ [التوبة: ٩٥].

---

(١) أحمد (٣/ ٤٥٦)، والبخاري (٤٦٧٣)، ومسلم (٢٧٦٩).

المتن

[١٥٧/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ لِتَرْضَوْا عَنْهُمْ فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦]

الشرح

قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: «أي هذا باب في قوله تعالى: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾ [التوبة: ٩٦] إلى آخره، هكذا ثبت هذا الباب لأبي ذر وحده بغير حديث، وليس بمذكور أصلا في رواية الباقين، ونزلت هذه في المنافقين: ﴿يَحْلِفُونَ لَكُمْ﴾؛ لأجل أن ترضوا عنهم: ﴿فَإِن تَرْضَوْا عَنْهُمْ﴾ بحلفانهم ﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَرْضَىٰ عَنِ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٩٦] أي الخارجين عن طاعته وطاعة رسول الله».

* * *

المتن

[١٥٨/ ٥٦] باب قوله: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢] الآية

• [٤٢٨٦] حدثني مؤمل، قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم، قال: حدثنا عوف، قال: حدثنا أبو رجاء، قال: حدثنا سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ لنا: **«أتاني الليلة آتيان ابتعثاني، فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة، فتلقانا رجال: شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء، وشطر كأقبح ما أنت راء، قالا لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر، فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم فصاروا في أحسن صورة، قالا لي: هذه جنة عدن، وهذاك منزلك، قالا: أما القوم الذي كانوا شطر منهم حسن، وشطر منهم قبيح، فإنهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا، تجاوز الله عنهم»**.

الشرح

بوب على هذه الآية: ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢].

وهذه الآية في الذين عملوا أعمالًا صالحة وأعمالًا أخرى سيئة، وتجاوز الله عنهم وعفا عنهم.

• [٤٢٨٦] ذكر المؤلف رحمه الله حديث سمرة بن جندب في رؤيا النبي ﷺ، ورؤيا النبي ﷺ وحي.

قوله: **«أتاني الليلة آتيان»** يعني في الرؤيا.

وقوله: **«ابتعثاني»** وفي نسخة: **«فابتعثاني»** أي: من النوم.

وقوله: **«فانتهينا إلى مدينة مبنية بلبن ذهب ولبن فضة»** هذه هي الجنة.

وقوله: **«فتلقانا رجال: شطر من خلقهم كأحسن ما أنت راء، وشطر كأقبح ما أنت راء»** يعني بالشطر الحسن الأعمال الحسنة، وبالشطر السيئ الأعمال السيئة.

وقوله: **«قالا لهم: اذهبوا فقعوا في ذلك النهر، فوقعوا فيه، ثم رجعوا إلينا قد ذهب ذلك السوء عنهم»** يعني: القبح الذي فيهم.

وقوله: **«فصاروا في أحسن صورة، قالا لي: هذه جنة عدن»** وهي مبنية بلبن من ذهب وبلبن من فضة.

وقوله : **«وهذاك منزلك»** يعني في أعلاها ؛ ففي لفظ آخر : **«مثل الربابة البيضاء»**[١] .

وقوله : **«قالا : أما القوم الذي»** -وفي نسخة : **«القوم الذين»**- **«كانوا شطر منهم حسن ، وشطر منهم قبيح ، فإنهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا ، تجاوز الله عنهم»** إما بتوبة منهم بعدما اعترفوا بذنوبهم ، فالتوبة تجب ما قبلها ، أو يتجاوز الله عنهم بتوحيدهم وإسلامهم وإيمانهم ؛ لأن الذنوب والمعاصي التي دون الشرك تحت المشيئة كما قال تعالى : ﴿ **إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ** ﴾ [النساء : ٤٨] .

***

---

(١) أحمد (٥/ ٨) ، والبخاري (٧٠٤٧) .

المتن

[١٥٩/ ٥٦] باب قوله:

﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣]

• [٤٢٨٧] حدثني إسحاق بن إبراهيم، قال: أخبرنا عبدالرزاق، أخبرنا معمر، عن الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة دخل النبي ﷺ وعنده أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية، فقال النبي ﷺ: **«أي عم، قل: لا إله إلا الله، أحاج لك بها عند الله»**، فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: يا أبا طالب، أترغب عن ملة عبدالمطلب؟ فقال النبي ﷺ: **«لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»**، فنزلت: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣] الآية.

الشرح

هذا الباب على قوله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَىٰ﴾ [التوبة: ١١٣].

• [٤٢٨٧] هذا الحديث فيه أن النبي ﷺ دعا عمه لما حضرته الوفاة وعرض عليه الإسلام فقال له: **«قل: لا إله إلا الله»** وكان عنده قرناء السوء: أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية - وكان وقتها كافرًا - فلقناه وذكراه الحجة الملعونة، وهي اتباع الآباء والأجداد في الباطل، فكانا يعيبان عليه أن يترك ملة أبيه وجده؛ فقالا له: **«أترغب عن ملة عبدالمطلب؟»**.

ففيه مضرة أصحاب السوء وقرناء السوء، وعبدالله بن أبي أمية هداه الله إلى الإسلام، وأبو جهل عمرو بن هشام قتل كافرًا في غزوة بدر.

وفيه التحذير من تعظيم الآباء وما هم عليه من الباطل.

وفيه مشروعية زيارة المريض الكافر ودعوته إلى الإسلام إذا كان يرجى إسلامه، وأنه لا بأس بذلك.

وفيه أن أبا طالب مات على الشرك.

وفيه أن عبد المطلب أيضًا مات على الشرك وأن ملته الشرك.

وفيه الرد على من زعم أن أبا طالب أو عبد المطلب ماتا على الإسلام كالرافضة الشيعة، فإنهم يقولون: إن أبا طالب مات على الإسلام.

وفيه أن توبة المريض صحيحة مقبولة ما لم تصل الروح إلى الحلقوم؛ ولهذا فإن النبي ﷺ دعا عمه في مرض الموت، فلولا أنها تنفعه لما دعاه، وفي الحديث: «**إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر**»[1].

وفيه أن المحتضر الذي حضره الموت ينتفع بالأقوال والأعمال الصالحة ما لم تصل الروح إلى الحلقوم فلا تنفعه حينئذ.

وفيه أن أبا طالب لو قال: لا إله إلا الله، عند الموت لنفعته.

وفيه أنه لا يجوز الدعاء والاستغفار لمن مات على الشرك، وكذا الصدقة والحج عنه.

❋ ❋ ❋

(١) أحمد (٢/ ١٣٢)، والترمذي (٣٥٣٧)، وابن ماجه (٤٢٥٣).

المتن

[١٦٠/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ﴾ [التوبة: ١١٧] الآية

• [٤٢٨٨] حدثنا أحمد بن صالح، قال: حدثنا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، ح. قال أحمد: وحدثنا عنبسة، قال: حدثنا يونس، عن ابن شهاب، قال: أخبرني عبدالرحمن بن كعب بن مالك، قال: أخبرني عبدالله بن كعب -وكان قائد كعب بن مالك من بنيه حين عمي- قال: سمعت كعب بن مالك في حديثه

﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُوا۟﴾ [التوبة: ١١٨] قال في آخر حديثه: إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله، فقال النبي ﷺ: **«أمسك بعض مالك؛ فهو خير لك»**.

الشرح

هذا الباب على قوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾ [التوبة: ١١٧].

• [٤٢٨٨] ذكر المؤلف رحمه الله حديث عبد الرحمن بن كعب -وهو عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب- عن أبيه عبدالله بن كعب عن كعب كما سبق قريبًا.

قوله: **«إن من توبتي أن أنخلع من مالي صدقة إلى الله ورسوله»** وفي نسخة: «وإلى رسوله»[١] قال: **«فقال له النبي ﷺ: «أمسك بعض مالك؛ فهو خير لك»»** وفي رواية: **«أمسك عليك بعض مالك»**[٢] يعني لا تنفق مالك كله؛ ليبقى شيء من ماله ينفقه على أهله ونفسه، ولا يحتاج إلى سؤال أحد، فلا يجوز للإنسان أن ينفق ماله كله ثم يتكفف الناس إلا إذا كان له كسب يومي، فلا بأس أن ينفق جميع ماله، وعليه يحمل عمل الصديق رضي الله عنه في إنفاقه جميع أمواله في سبيل الله، فإن النبي ﷺ حث يومًا على الصدقة فجاء عمر بمال فأعطاه النبي ﷺ فقال: **««ما أبقيت لأهلك؟»** قال: أبقيت لهم مثل ذلك - أي أبقيت لهم النصف - ثم

(١) البخاري (٢٧٥٨)، ومسلم (٢٧٦٩).
(٢) أحمد (٣/ ٤٥٤)، والبخاري (٤٤١٨)، ومسلم (٢٧٦٩).

جاء أبو بكر بماله فقال له: **«ما أبقيت لأهلك؟»**[1] قال: أبقيت لهم الله ورسوله ﷺ. فقد أتى الصديق بجميع ماله فسبق عمرَ، وأقره النبي ﷺ؛ لأنه يستطيع أن يكسب ما يكفيه يوميًا، ولأن أهله يصبرون.

ولهذا لما ولي الصديق رضي الله عنه الخلافة ذهب إلى السوق ليكتسب، فقالوا: كيف تذهب إلى السوق وأنت الآن خليفة ومشغول بأمور الناس؟! قال: لا أترك أهلي يضيعون. فقالوا: ندير لك كل يوم كذا وكذا درهمًا. فهذا يدل على أن له كسبًا يوميًا.

* * *

(١) أبو داود (١٦٧٨)، والترمذي (٣٦٧٥).

المتن

[١٦١/ ٥٦] باب قوله: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ﴾ [التوبة: ١١٨] الآية

• **[٤٢٨٩]** حدثني محمد، قال: حدثنا أحمد بن أبي شعيب، قال: حدثنا موسى بن أعين، قال: حدثنا إسحاق بن راشد، أن الزهري حدثه، قال: أخبرني عبدالرحمن بن عبدالله ابن كعب بن مالك، عن أبيه، قال: سمعت أبي كعب ابن مالك وهو أحد الثلاثة الذين تيب عليهم، أنه لم يتخلف عن رسول الله ﷺ في غزوة غزاها قط غير غزوتين: غزوة العسرة، وغزوة بدر، قال: فأجمعت صدق رسول الله ﷺ، وكان قلما يقدم من سفر سافره إلا ضحى، وكان يبدأ بالمسجد فيركع ركعتين، ونهى النبي ﷺ عن كلامي وكلام صاحبي، ولم ينه عن كلام أحد من المتخلفين غيرنا، فاجتنب الناس كلامنا، فلبثت كذلك حتى طال علي الأمر، وما من شيء أهم إلي من أن أموت فلا يصلي علي النبي ﷺ، أو يموت رسول الله ﷺ فأكون من الناس بتلك المنزلة؛ فلا يكلمني أحد منهم، ولا يصلي علي، فأنزل الله ﷻ توبتنا على نبيه ﷺ حين بقي الثلث الآخر من الليل، ورسول الله ﷺ عند أم سلمة، وكانت أم سلمة محسنة في شأني مَعْنِيَّةً في أمري، فقال رسول الله ﷺ: **«يا أم سلمة، تيب على كعب»**، قالت: أفلا أرسل إليه فأبشره؟ قال: **«إذن يخطفكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليلة»**، حتى إذا صلى رسول الله ﷺ صلاة الفجر آذن بتوبة الله علينا، وكان إذا استبشر استنار وجهه حتى كأنه قطعة من القمر، وكنا أيها الثلاثة الذين خلفوا خلفنا عن الأمر الذي قبل من هؤلاء الذين اعتذروا حين أنزل الله لنا التوبة، فلما ذكر الذين كذبوا رسول الله ﷺ من المتخلفين واعتذروا بالباطل ذكروا بشر ما ذكر به أحد؛ قال الله ﷻ: ﴿**يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ ۚ قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ ۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ**﴾ [التوبة: ٩٤] الآية.

الشرح

هذه الترجمة على هذه الآية : ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ لِيَتُوبُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة : ١١٨] .

• [٤٢٨٩] قوله : «غزوة العسرة» هي غزوة تبوك ، وسميت عسرة للشدة التي حصلت للمسلمين ؛ لأنها في وقت الحر والشدة ، ولأن السفر بعيد .

وقوله : «فأجمعت» يعني : فعزمت ، مثل قوله تعالى : ﴿فَأَجْمِعُوٓاْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ﴾ [يونس : ٧١] .

وقوله : «وكان يبدأ بالمسجد فيركع ركعتين» فيه مشروعية مجيء المسافر للمسجد فيصلي فيه ركعتين أول ما يقدم .

وفي الحديث الآخر : «قم حتى يقضي الله فيك»(١) فهذا الحديث على هذه الآية : ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ وهم كعب بن مالك ، وصاحباه هلال ابن أمية ومرارة بن الربيع ، ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلْجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيْهِ﴾ يعني : تيقنوا ، فالظن هنا بمعنى اليقين ، فتيقنوا أن لا ملجأ من الله إلا إليه ، ﴿ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ﴾ يعني : وفقهم للتوبة ، ﴿لِيَتُوبُوٓاْ﴾ يعني : ليقبل توبتهم ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [التوبة : ١١٨] .

وقوله : «وما من شيء أهم إلي من أن أموت فلا يصلي علي النبي ﷺ أو يموت رسول الله ﷺ فأكون من الناس بتلك المنزلة ؛ فلا يكلمني أحد منهم ، ولا يصلي علي» ففيه أن كعبًا يقول : إن أخشى ما أخشاه أن أموت فلا يصلي علي النبي ﷺ ، أو يموت الرسول ﷺ فلا يكلمني ، ولا يصلي علي أحد .

وقوله : «فأنزل الله ﷻ توبتنا على نبيه ﷺ حين بقي الثلث الآخر من الليل» أي : أنزل الله آية التوبة في آخر الليل .

---

(١) أحمد (٣/ ٤٥٦) ، والبخاري (٤٤١٨) ، ومسلم (٢٧٦٩) .

وقوله: «وكانت أم سلمة محسنة في شأني معنية في أمري، فقال رسول الله ﷺ: «يا أم سلمة، تيب على كعب»، قالت: أفلا أرسل إليه فأبشره؟ قال: «إذا يخطفكم الناس فيمنعونكم النوم سائر الليلة» وفي رواية «إذن يحطمكم الناس»[(١)] فالظاهر أن كعبًا لم يكن نائمًا وأنه مستيقظ لا يأتيه النوم، ومقصود النبي ﷺ أن الناس في آخر الليل سيخرجون من بيوتهم يبشرون وتحصل جلبة وأصوات، ومنع الناس الذين حوله أهل البيوت من النوم؛ فلا تستطيعون النوم؛ لأن بيوتهم كانت صغيرة وقريبة ومتجاورة، وأم سلمة فلها نيتها، فإذا منعت من شيء يكفيك النية؛ لأن الإنسان إذا نوى العمل ثم منعه مانع كتب الله له أجر ما كان يعمله؛ لقوله تعالى: ﴿فَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ﴾ [التغابن: ١٦].

وقوله: «حتى إذا صلى رسول الله ﷺ صلاة الفجر آذن بتوبة الله علينا» يعني: بعد صلاة الفجر أعلم الله الناس بتوبتهم.

وقوله: «وكنا أيها الثلاثة الذين خلفوا خلفنا عن الأمر الذي قبل» وفي رواية: «الذي قيل» أي: قيل للمنافقين.

وقوله: «من هؤلاء الذين اعتذروا حين أنزل الله لنا التوبة، فلما ذكر الذين كذبوا رسول الله ﷺ من المتخلفين واعتذروا بالباطل ذكروا بشر ما ذكر به أحد؛ قال الله ﷻ: ﴿يَعْتَذِرُونَ إِلَيْكُمْ إِذَا رَجَعْتُمْ إِلَيْهِمْ قُل لَّا تَعْتَذِرُواْ لَن نُّؤْمِنَ لَكُمْ قَدْ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنْ أَخْبَارِكُمْ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٩٤]» فذكر كعب ﷺ أن تسميتهم: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [التوبة: ١١٨] أنهم خلفوا، ليس من التخلف عن الغزوة كما يتبادر؛ لأن الذين تخلفوا عنها كثيرون، أما هؤلاء الثلاثة فخلفوا عن الأمر الذي قبل من هؤلاء الذين جاءوا واعتذروا حين أنزل الله آية التوبة فلما ذكر الذين كذبوا رسول الله ﷺ واعتذروا بالباطل ذكروا بشر ما ذكروا به.

وظاهر قوله تعالى: ﴿وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ﴾ [التوبة: ٩٤] أنه وعيد؛ فهذه الآية في المنافقين.

(١) البخاري (٤٦٧٧).

وكذلك قوله تعالى : ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [التوبة : ١٠٥] يستدل به بعض الناس الآن في مناسبات العمل الخيري ، لكن ظاهر الآية أن فيها الوعيد ؛ قال تعالى : ﴿وَمِنْ أَهْلِ ٱلْمَدِينَةِ ۖ مَرَدُوا۟ عَلَى ٱلنِّفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ ۖ نَحْنُ نَعْلَمُهُمْ ۚ سَنُعَذِّبُهُم مَّرَّتَيْنِ ثُمَّ يُرَدُّونَ إِلَىٰ عَذَابٍ عَظِيمٍ﴾ [التوبة : ١٠١] ثم بعدها : ﴿وَءَاخَرُونَ ٱعْتَرَفُوا۟ بِذُنُوبِهِمْ خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة : ١٠٢] ثم بعد ذلك جاءت الآية : ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ﴾ [التوبة : ١٠٣] ثم بعدها : ﴿وَقُلِ ٱعْمَلُوا۟ فَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُۥ وَٱلْمُؤْمِنُونَ ۖ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ ، ثم قوله تعالى : ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة : ١٠٦] .

* * *

المتن

[١٦٢/ ٥٦] باب

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]

• [٤٢٩٠] حدثنا يحيى بن بكير، قال: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب، عن عبدالرحمن بن عبدالله بن كعب بن مالك، أن عبدالله بن كعب بن مالك -وكان قائد كعب بن مالك- قال: سمعت كعب بن مالك يحدث حين تخلف عن قصة تبوك: فوالله ما أعلم أحدًا أبلاه الله في صدق الحديث أحسن مما أبلاني، ما تعمدت مذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذبا، وأنزل الله على رسوله ﷺ: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ﴾، إلى قوله: ﴿وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٧-١١٩].

الشرح

أعاد قصة كعب في هذا الباب لمناسبتها للآيات، فترجم على قوله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [التوبة: ١١٨] وترجم على قوله تعالى: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ٩٥] وترجم على قوله تعالى: ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ﴾ [التوبة: ١١٧] وترجم على هذه الآية: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [التوبة: ١١٩]؛ لأن هؤلاء الثلاثة صدقوا الله.

• [٤٢٩٠] قوله: **«فوالله ما أعلم أحدا أبلاه الله في صدق الحديث أحسن مما أبلاني»** يعني: اختبره وامتحنه بالصدق في الحديث.

وقوله: **«ما تعمدت مذ ذكرت ذلك لرسول الله ﷺ إلى يومي هذا كذبا»** وفي لفظ آخر: **«وأرجو أن يحفظني الله فيما بقي»**(١).

فيه أن الصدق يكون بالأقوال والأفعال، فالصدق في الصلاة والزكاة والصوم والحج يكون بالإخلاص فيها وبذل الجهد في أدائها كما أمر الله.

(١) أحمد (٦/ ٣٨٧)، ومسلم (٢٧٦٩).

قال ابن القيم في «الكافية» :

والصدق توحيد الإرادة وهـو بـذ ل الجهـد لا كسـلًا ولا متـوان[(١)]

وفي الحديث الآخر : **«العين تزني وزناها النظر والأذن تزني وزناها الاستماع واليد تزني وزناها البطش والرجل تزني وزناها المشي والفرج يصدق ذلك أو يكذبه»**[(٢)] فقد يفعل تصديق ذلك أو تكذيبه .

* * *

(١) «متن القصيدة النونية» (٢١٩) .

(٢) أحمد (٢/ ٢٧٦) ، والبخاري (٦٢٤٣) ، ومسلم (٢٦٥٧) .

المتن

[١٦٣/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ [التوبة: ١٢٨]

• [٤٢٩١] حدثنا أبو اليمان، قال: أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني ابن السباق، أن زيد بن ثابت الأنصاري -وكان ممن يكتب الوحي- قال: أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر، فقال أبو بكر: إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس، وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن، فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه، وإني لأرى أن يجمع القرآن، قال أبو بكر: فقلت لعمر: كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟ فقال عمر: هو والله خير، فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري، ورأيت الذي رأى عمر، قال زيد بن ثابت: وعمر جالس عنده لا يتكلم، فقال أبو بكر: إنك رجل شاب عاقل ولا نتهمك، كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ، فتتبع القرآن فاجمعه، فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن، قلت: كيف تفعلان شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟! فقال أبو بكر: هو والله خير، فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر، فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال، حتى وجدت من سورة التوبة آيتين مع خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾ إلى آخرها، وكانت الصحف التي جمع فيها القرآن عند أبي بكر حتى توفاه الله، ثم عند عمر حتى توفاه الله، ثم عند حفصة بنت عمر.

تابعه عثمان بن عمر والليث بن سعد، عن يونس، عن ابن شهاب.

وقال الليث: حدثني عبدالرحمن بن خالد، عن ابن شهاب، وقال: مع أبي خزيمة الأنصاري.

وقال موسى: عن إبراهيم، حدثنا ابن شهاب، مع أبي خزيمة.

وتابعه يعقوب بن إبراهيم، عن أبيه.

وقال أبو ثابت: حدثنا إبراهيم، وقال: مع خزيمة - أو أبي خزيمة.

الشرح

هذه الترجمة على قوله تعالى: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

• [٤٢٩١] هذه قصة جمع القرآن، ذكرها المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ في الترجمة على هذه الآية؛ وذلك لأنها ما وجدت مكتوبة إلا عند خزيمة الأنصاري.

وفيها أن القرآن ما كان مجموعًا في عهد النبي ﷺ؛ لأنه لم يكتمل النزول، ولا يعلمون متى ينتهي، وكان يكتب في اللخاف وغيرها، فلما توفي النبي ﷺ انقطع الوحي ثم جمع القرآن، فاحتيج إلى جمعه في مصحف واحد.

قوله: «**قال أبو بكر: فقلت لعمر: كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله ﷺ؟**» فيه أنه لم يرَ هذا أبو بكر رضي الله عنه في أول الأمر.

قوله: «**فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري**» ثم استدعى زيد بن ثابت، وكان يكتب الوحي للنبي ﷺ، فرأى أن الأمر شديد وعظيم؛ ولهذا قال: «**فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن**» أي: والله لو كلفوني نقل جبل من الجبال ما كان ذلك أشد علي؛ لأنه يتعلق بجمع كتاب الله، فتلكأ في أول الأمر، وقال: «**كيف تفعلان شيئًا لم يفعله رسول الله ﷺ؟! فقال أبو بكر: هو والله خير**» فلم يزل يراجعه أبو بكر حتى شرح الله صدره، ثم استعد لهذه المهمة واعتنى بها، قال: «**فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال**» أي: فجعل يجمع ما يجدها مكتوبة في رقاع أو في لخاف أو محفوظة في الصدور، فجمع بين الكتابة والحفظ، إلا هذه الآية، وهي آية الترجمة: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨] ما وجدها إلا مكتوبة عند خزيمة الأنصاري وحده فكتبها.

وجمع القرآن من باب المصالح المرسلة وليس من باب البدع.

قوله : «**تابعه عثمان بن عمرو والليث بن سعد عن يونس عن ابن شهاب**» ، **قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ : «يريد أن لليث فيه شيخًا آخر عن ابن شهاب ، وأنه رواه عنه بإسناده المذكور لكن خالف في قوله : «**مع خزيمة الأنصاري**[(١)]» فقال : «**مع أبي خزيمة**»» .

قوله : «**وقال موسى : عن إبراهيم ، حدثنا ابن شهاب : مع أبي خزيمة**» فموسى هو موسى بن إسماعيل ، وإبراهيم هو إبراهيم بن سعد كما ذكر الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ .

والمعنى أنهم اختلفوا فقال بعضهم : «**مع أبي خزيمة**»[(٢)] وقال بعضهم : «**مع خزيمة**» شك بعضهم كما ذكره الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ .

* * *

(١) أحمد (٥/ ١٨٨) ، والبخاري (٤٦٧٩) .
(٢) البخاري (٤٩٨٦) .

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة يونس عليه السلام

وقال ابن عباس: ﴿فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [يونس: ٢٤]: فنبت بالماء من كل لون.

وقال زيد بن أسلم: ﴿أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ﴾ [يونس: ٢]: محمد ﷺ، وقال مجاهد: خير.

يقال ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ﴾ [يونس: ١٠]: دعاؤهم.

﴿أُحِيطَ بِهِمۡ﴾ [يونس: ٢٢]: دنوا من الهلكة.

﴿وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ﴾ [البقرة: ٨١].

وقال مجاهد: ﴿لَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ﴾ [يونس: ١١] قول الإنسان لولده وماله إذا غضب: اللهم لا تبارك فيه والعنه.

﴿لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡ﴾ [يونس: ١١]: لأهلك من دعا عليه فلأماته.

﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ وَزِيَادَةٞ﴾ [يونس: ٢٦]: مغفرة ورضوان، وقال غيره: النظر إلى وجهه.

﴿ٱلۡكِبۡرِيَآءُ﴾ [يونس: ٧٨]: الملك.

«فَاتَّبَعَهُمْ» و«أَتْبَعَهُمْ» واحد.

﴿عَدۡوًا﴾ [يونس: ٩٠]: من العدوان.

الشرح

قال المؤلف رحمه الله: «سورة يونس عليه السلام» فذكر كلمات من سورة يونس وفسرها.

قوله: «**وقال ابن عباس: ﴿فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ﴾ [يونس: ٢٤]: فنبت بالماء من كل لون**». يعني أنه فسّر قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا مَثَلُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا كَمَآءٍ أَنزَلۡنَٰهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَٱخۡتَلَطَ بِهِۦ نَبَاتُ ٱلۡأَرۡضِ مِمَّا يَأۡكُلُ ٱلنَّاسُ وَٱلۡأَنۡعَٰمُ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذَتِ ٱلۡأَرۡضُ زُخۡرُفَهَا وَٱزَّيَّنَتۡ وَظَنَّ أَهۡلُهَآ أَنَّهُمۡ قَٰدِرُونَ عَلَيۡهَآ أَتَىٰهَآ أَمۡرُنَا لَيۡلًا أَوۡ نَهَارٗا فَجَعَلۡنَٰهَا حَصِيدٗا كَأَن لَّمۡ تَغۡنَ بِٱلۡأَمۡسِۚ كَذَٰلِكَ نُفَصِّلُ ٱلۡأٓيَٰتِ لِقَوۡمٖ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [يونس: ٢٤].

وذكر بعدها في بعض النسخ قوله تعالى: «﴿قَالُواْ ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ وَلَدًاۗ سُبۡحَٰنَهُۥۖ هُوَ ٱلۡغَنِيُّۖ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۚ إِنۡ عِندَكُم مِّن سُلۡطَٰنِۢ بِهَٰذَآۚ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ﴾» [يونس: ٦٨] وما ذكر على هذه الآية شيء.

قوله: «**وقال زيد بن أسلم: ﴿أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ﴾ [يونس: ٢]: محمد ﷺ**». يعني أنه فسر قوله تعالى: ﴿أَكَانَ لِلنَّاسِ عَجَبًا أَنۡ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ رَجُلٖ مِّنۡهُمۡ أَنۡ أَنذِرِ ٱلنَّاسَ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَنَّ لَهُمۡ قَدَمَ صِدۡقٍ عِندَ رَبِّهِمۡۗ قَالَ ٱلۡكَٰفِرُونَ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٞ مُّبِينٌ﴾ [يونس: ٢] بأنه محمد ﷺ.

قوله: «**وقال مجاهد: خير**» أي فسر قوله تعالى: ﴿قَدَمَ صِدۡقٍ﴾ [يونس: ٢]: قدم خير، أي أن محمدًا ﷺ يتقدمهم.

وذكر في بعض النسخ: «**يقال: ﴿الٓرۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ﴾ [يوسف: ١] يعني هذه أعلام القرآن، ومثله: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢] المعنى: بكم**»(١) أي: وجرين بكم.

قوله: «**يقال: ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ﴾ [يونس: ١٠]: دعاؤهم**».

أي فسر قوله تعالى: ﴿دَعۡوَىٰهُمۡ فِيهَا سُبۡحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمۡ فِيهَا سَلَٰمٞۚ وَءَاخِرُ دَعۡوَىٰهُمۡ أَنِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [يونس: ١٠] بدعائهم.

قوله: «﴿أُحِيطَ بِهِمۡ﴾ [يونس: ٢٢]» يعني فسر قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِي يُسَيِّرُكُمۡ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا كُنتُمۡ فِي ٱلۡفُلۡكِ وَجَرَيۡنَ بِهِم بِرِيحٖ طَيِّبَةٖ وَفَرِحُواْ بِهَا جَآءَتۡهَا رِيحٌ عَاصِفٞ وَجَآءَهُمُ ٱلۡمَوۡجُ مِن كُلِّ مَكَانٖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ أُحِيطَ بِهِمۡ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ لَئِنۡ أَنجَيۡتَنَا مِنۡ هَٰذِهِۦ لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلشَّٰكِرِينَ﴾ [يونس: ٢٢] فقوله: «**دنوا من الهلكة**».

وذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذه الآية وهي في سورة البقرة: ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةٗ وَأَحَٰطَتۡ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصۡحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨١]، والباب في تفسير سورة يونس؛ إشارة إلى معنى الفعل: أحاط.

---

(١) البخاري (٨/ ٣٤٦ – فتح).

قوله : «**وقال مجاهد** : ﴿**لَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ**﴾ [يونس : ١١]» وتمام الآية : ﴿**لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ [يونس : ١١] فسره المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بـ «**قول الإنسان لولده وماله إذا غضب**» ودعا فإنه يقول : «**اللهم لا تبارك فيه والعنه**» ، فهذا مثال .

قوله : «﴿**لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ**﴾ [يونس : ١١]» يعني فسر قوله تعالى : ﴿**وَلَوْ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسْتِعْجَالَهُم بِٱلْخَيْرِ لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ ۖ فَنَذَرُ ٱلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَآءَنَا فِى طُغْيَـٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ**﴾ [يونس : ١١] ، بقوله : «**لأهلك من دعا عليه فلأماته**» ، ولكن الله تعالى حليم بعباده .

قوله : «﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ**﴾ [يونس : ٢٦]» زاد بعدها في بعض النسخ : «**مثلها حسنى**»(١) فلعل المعنى : يجازى مثلها بالحسنى ، وفسر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الزيادة بأنها «**مغفرة ورضوان**» .

قوله : «**وقال غيره : النظر إلى وجهه**» ، والتفسير الذي ورد في «صحيح مسلم» عن صهيب مرفوعًا إلى النبي ﷺ : «﴿**لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ**﴾ [يونس : ٢٦] : **النظر إلى وجه الله الكريم**»(٢) .

قوله : «﴿**ٱلْكِبْرِيَآءُ**﴾ [يونس : ٧٨] : **الملك**» يعني أن قوله : ﴿**قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَلْفِتَنَا عَمَّا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَا وَتَكُونَ لَكُمَا ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلْأَرْضِ**﴾ [يونس : ٧٨] أي : ويكون لكما الملك .

قوله : «**فاتَّبعهم و«أَتْبعهم» واحد**» أي في قراءة : «**فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ**» ، وقرأ الجمهور : ﴿**فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ**﴾ [يونس : ٩٠] ، ومعنى اتَّبعهم وأتبعهم واحد .

قوله : «﴿**عَدْوًا**﴾ [يونس : ٩٠] : **من العدوان**» . يعني قوله تعالى : ﴿**وَجَـٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُۥ بَغْيًا وَعَدْوًا**﴾ [يونس : ٩٠] بأنه «**من العدوان**» .

* * *

---

(١) البخاري (٨/ ٣٤٧ - فتح) .

(٢) مسلم (١٨١) .

المتن

[١٦٤/ ٥٦] ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ﴾

إلى قوله: ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠]

﴿نُنَجِّيكَ﴾ [يونس: ٩٢]: نلقيك على نجوة من الأرض، وهو: النشز المكان المرتفع.

• [٤٢٩٢] حدثني محمد بن بشار، قال: حدثنا غندر، قال: حدثنا شعبة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قدم النبي ﷺ المدينة واليهود تصوم عاشوراء، فقالوا: هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون، فقال النبي ﷺ لأصحابه: **«أنتم أحق بموسى منهم، فصوموا»**.

الشرح

ترجم المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هذه الآية: ﴿وَجَٰوَزۡنَا بِبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱلۡبَحۡرَ فَأَتۡبَعَهُمۡ فِرۡعَوۡنُ وَجُنُودُهُۥ بَغۡيٗا وَعَدۡوًاۖ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَدۡرَكَهُ ٱلۡغَرَقُ قَالَ ءَامَنتُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ [يونس: ٩٠] وفيها أن فرعون قال: لا إله إلا الله، فقال فيما ذكره الله: ﴿لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱلَّذِيٓ ءَامَنَتۡ بِهِۦ بَنُوٓاْ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ أي: لا معبود بحق إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل: ﴿وَأَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ﴾ فآمن وأسلم، لكن إيمانه عند رؤية العذاب لا ينفع؛ قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَحۡدَهُۥ وَكَفَرۡنَا بِمَا كُنَّا بِهِۦ مُشۡرِكِينَ ۝ فَلَمۡ يَكُ يَنفَعُهُمۡ إِيمَٰنُهُمۡ لَمَّا رَأَوۡاْ بَأۡسَنَاۖ سُنَّتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي قَدۡ خَلَتۡ فِي عِبَادِهِۦۖ وَخَسِرَ هُنَالِكَ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾ [غافر: ٨٤، ٨٥] فمن شروط صحة التوبة أن تكون قبل نزول العذاب، فإذا نزل العذاب فلا توبة ولا حيلة؛ ففرعون مات كافرًا.

ولم يستثن الله إلا أمة واحدة وهي أمة يونس؛ قال الله تعالى: ﴿فَلَوۡلَا كَانَتۡ قَرۡيَةٌ ءَامَنَتۡ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوۡمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُواْ كَشَفۡنَا عَنۡهُمۡ عَذَابَ ٱلۡخِزۡيِ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَمَتَّعۡنَٰهُمۡ إِلَىٰ حِينٖ﴾ [يونس: ٩٨].

وكذلك إذا وصلت الروح إلى الحلقوم لا تقبل التوبة، لكن في حال المرض تنفع التوبة، فإذا تاب المريض وهو في مرض الموت صحت توبته، وإذا أوصى صحت وصيته؛ ولهذا زار

النبي ﷺ عمه أبا طالب لما حضرته الوفاة ودعاه إلى الإسلام[١]، ولو قال كلمة التوحيد لنفعته.

قوله: «﴿نُنَجِّيكَ﴾» يعني في قوله تعالى: ﴿فَٱلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلْفَكَ ءَايَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِ عَنْ ءَايَٰتِنَا لَغَٰفِلُونَ﴾ [يونس: ٩٢] فسره فقال: **«نلقيك على نجوة من الأرض، وهو: النشز المكان المرتفع»**.

• [٤٢٩٢] قوله: **«عن ابن عباس قال: قدم النبي ﷺ المدينة واليهود تصوم عاشوراء»** لم يجد المؤلف حديثًا على شرطه إلا حديث ابن عباس في صيام يوم عاشوراء.

والشاهد قوله: **«فقالوا: هذا يوم ظهر فيه موسى على فرعون، فقال النبي ﷺ لأصحابه: أنتم أحق بموسى منهم، فصوموا»** وفي رواية: **«نحن أحق بموسى منكم»**[٢].

* * *

---

(١) أحمد (٥/ ٤٣٣)، والبخاري (١٣٦٠)، ومسلم (٢٤).

(٢) أحمد (١/ ٢٩١)، والبخاري (٢٠٠٤)، ومسلم (١١٣٠).

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة هود

وقال ابن عباس : ﴿عَصِيبٌ﴾ [هود : ٧٧] : شديد .

﴿لَا جَرَمَ﴾ [هود : ٢٢] : بلى .

وقال غيره : ﴿وَحَاقَ﴾ [هود : ٨] : نزل .

﴿يَحِيقُ﴾ [فاطر : ٤٣] : ينزل .

«يئوس» : فعول من يئست .

وقال مجاهد : ﴿تَبْتَئِسْ﴾ [هود : ٣٦] : تحزن .

﴿يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾ [هود : ٥] : شك وامتراء في الحق .

﴿لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾ [هود : ٥] : من الله إن استطاعوا .

الشرح

ترجم المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ فقال : **«سورة هود»** ، وفسر كلمات في هذه السورة .

قوله : **«وقال ابن عباس : ﴿عَصِيبٌ﴾** [هود: ٧٧]: **شديد»** وفي بعض النسخ : **«وقال أبو ميسرة : الأواه الرحيم بالحبشية . وقال ابن عباس : ﴿بَادِيَ الرَّأْيِ﴾** [هود : ٢٧] **ما ظهر لنا . وقال مجاهد : ﴿الْجُودِيِّ﴾** [هود: ٤٤]: **جبل بالجزيرة . وقال الحسن : ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾** [هود: ٨٧] **يستهزئون به ، وقال ابن عباس : ﴿أَقْلِعِي﴾** [هود: ٤٤]: **أمسكي . ﴿عَصِيبٌ﴾ : شديد»**[1] .

فقوله : **«وقال أبو ميسرة : الأواه الرحيم بالحبشية»** يعني في قوله تعالى : ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَحَلِيمٌ أَوَّاهٌ مُّنِيبٌ﴾[هود : ٧٥] ، فالأواه الرحيم باللغة الحبشية ، والكلمة على هذا القول ليست عربية الأصل بل تعربت .

---

(١) البخاري (٨/ ٣٤٩ - فتح) .

وقوله : «**وقال ابن عباس : ﴿بَادِيَ ٱلرَّأۡيِ﴾** [هود : ٢٧] **ما ظهر لنا**» .

وقوله : «**وقال مجاهد : ﴿ٱلۡجُودِيِّ﴾ : جبل بالجزيرة**» يعني في قوله : ﴿وَٱسۡتَوَتۡ عَلَى ٱلۡجُودِيِّ﴾ [هود : ٤٤] أي : إن سفينة نوح على جبل بالجزيرة .

وقوله : «**وقال الحسن : ﴿إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ يستهزئون به**» أي : قوم شعيب قالوا : ﴿يَٰشُعَيۡبُ أَصَلَوٰتُكَ تَأۡمُرُكَ أَن نَّتۡرُكَ مَا يَعۡبُدُ ءَابَآؤُنَآ أَوۡ أَن نَّفۡعَلَ فِيٓ أَمۡوَٰلِنَا مَا نَشَٰٓؤُاْۖ إِنَّكَ لَأَنتَ ٱلۡحَلِيمُ ٱلرَّشِيدُ﴾ [هود : ٨٧] فهم يستهزءون به ويسخرون منه ، فقالوا : أتنهانا عن عبادة ما يعبد آباؤنا وتنهانا أن نتصرف في أموالنا كيف نشاء؟

وقوله : «**وقال ابن عباس : ﴿أَقۡلِعِي﴾ : أمسكي**» أي في قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَرۡضُ ٱبۡلَعِي مَآءَكِ وَيَٰسَمَآءُ أَقۡلِعِي﴾ [هود : ٤٤] .

وقوله : «**وقال ابن عباس : ﴿عَصِيبٌ﴾ : شديد**» يعني في قوله تعالى : ﴿وَلَمَّا جَآءَتۡ رُسُلُنَا لُوطٗا سِيٓءَ بِهِمۡ وَضَاقَ بِهِمۡ ذَرۡعٗا وَقَالَ هَٰذَا يَوۡمٌ عَصِيبٞ﴾ [هود : ٧٧] .

وقوله : «**﴿لَا جَرَمَ﴾ : بلى**» يعني في قوله : ﴿لَا جَرَمَ أَنَّهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ﴾ [هود : ٢٢] أي : «**بلى**» أو حقًّا ، فهي كلمة جواب مثل نعم .

وبعده في بعض النسخ : «**﴿وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ : نبع الماء . وقال عكرمة : وجه الأرض**»[1] ، يعني في قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَ أَمۡرُنَا وَفَارَ ٱلتَّنُّورُ﴾ [هود : ٤٠] ، يعني أن التنور الذي يخبز فيه الخبز فاض بالماء .

وقوله : «**وقال عكرمة**» أي في معنى : ﴿ٱلتَّنُّورُ﴾ أنه : «**وجه الأرض**» .

قوله : «**وقال غيره : ﴿وَحَاقَ﴾** [هود : ٨] **: نزل**» .

قوله : «**﴿يَحِيقُ﴾**[فاطر : ٤٣] **: ينزل**» .

قوله : «**يئوس : فعول من يئست**» أي : في قوله تعالى : ﴿إِنَّهُۥ لَيَـُٔوسٞ كَفُورٞ﴾ [هود : ٩] .

---

(١) البخاري (٨/ ٣٤٩ - فتح) .

قوله : «وقال مجاهد : ﴿ تَبۡتَئِسۡ ﴾ : تحزن» . أي : في قوله تعالى : ﴿ فَلَا تَبۡتَئِسۡ بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ﴾ [هود : ٣٦] .

قوله : «﴿ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ ﴾» [هود : ٥] يعني : «شك وامتراء في الحق» .

قوله : «﴿ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُ ﴾» [هود : ٥] يعني : «من الله إن استطاعوا» .

* * *

المتن

[١٦٥/ ٥٦] ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ لِيَسۡتَخۡفُواْ مِنۡهُۚ﴾ [هود: ٥]

• [٤٢٩٣] حدثنا الحسن بن محمد بن صباح، حدثنا حجاج، قال: حدثنا ابن جريج، أخبرني محمد بن عباد بن جعفر، أنه سمع ابن عباس يقرأ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ﴾ [هود: ٥]، قال: سألته عنها فقال: أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم.

• [٤٢٩٤] حدثني إبراهيم بن موسى، قال: أخبرنا هشام، عن ابن جريج، قال: وأخبرني محمد بن عباد بن جعفر، أن ابن عباس قرأ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمۡ يَثۡنُونَ صُدُورَهُمۡ﴾ [هود: ٥]، قلت: يا أبا العباس، ما تثنوني صدورهم؟ قال: كان الرجل يجامع امرأته فيستحيي، أو يتخلى فيستحيي، فنزلت: **«ألا إنهم يثنوني صدورهم»**.

• [٤٢٩٥] حدثنا الحميدي، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا عمرو، قال ابن عباس: **«ألا إنهم يثنوني صدورهم ألا حين يستغشون ثيابهم»**.

وقال غيره: عن ابن عباس: ﴿يَسۡتَغۡشُونَ﴾ [هود: ٥]: يغطون رءوسهم.

﴿سِيٓءَ بِهِمۡ﴾ [هود: ٧٧]: ساء ظنه بقومه.

﴿وَضَاقَ بِهِمۡ﴾ [هود: ٧٧]: بأضيافه.

﴿بِقِطۡعٖ مِّنَ ٱلَّيۡلِ﴾ [هود: ٨١]: بسواد.

﴿وَإِلَيۡهِ أُنِيبُ﴾ [هود: ٨٨]: أرجع.

﴿سِجِّيلٖ﴾ [هود: ٨٢]: الشديد الكبر، سجيل وسجين، واللام والنون أختان.

وقال تميم بن مقبل:

ورجلة يضربون البيض ضاحية ضربا تواصى به الأبطال سجينا

﴿وَإِلَىٰ مَدۡيَنَ﴾ [هود: ٨٤]: أي إلى أهل مدين؛ لأن مدين بلد، ومثله: ﴿وَسۡـَٔلِ ٱلۡقَرۡيَةَ﴾ [يوسف: ٨٢]، اسأل العير، يعني: أهل القرية وأصحاب العير.

﴿وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا﴾ [هود: ٩٢] يقول: لم تلتفتوا إليه، ويقال إذا لم يقض الرجل حاجته: ظهرت لحاجتي، وجعلني ظهريا، والظهري: أن تأخذ معك دابة أو دعاء تستظهر به.

«أَرْذَلُنَا»: سُقَاطُنَا.

﴿إِجْرَامِي﴾ [هود: ٣٥]: مصدر من أجرمت، وبعضهم يقول: جرمت.

﴿ٱلْفُلْكَ﴾ [هود: ٣٧] والفلك واحد، وهي: السفينة والسفن.

﴿مَجْرِنهَا﴾ [هود: ٤١]: مَوقِفُها، وهو مصدر أجريت، وأرسيت: حبست.

ويُقرأ: «مَرْسَاهَا» من رست هي، ومجراها من جرت، راسيات: ثابتات، وَمُجْراها ومُرساها من فعل بها.

﴿عَنِيدٍ﴾ [هود: ٥٩] وعنود وعاند واحد، وهو: تأكيد التجبر.

﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ﴾ [هود: ١٨] واحده شاهد، مثل: صاحب وأصحاب.

الشَّرْحُ

ذكر المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هذه الترجمة على هذه الآية: «﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ﴾» [هود: ٥].

• [٤٢٩٣] قوله: «عن محمد بن عباد بن جعفر: **أنه سمع ابن عباس يقرأ: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ﴾** [هود: ٥] **قال: سألته عنها فقال: أناس كانوا يستحيون أن يتخلوا فيفضوا إلى السماء، وأن يجامعوا نساءهم فيفضوا إلى السماء، فنزل ذلك فيهم**» يعني: إذا أراد الجماع أو قضاء الحاجة فإنه يثني صدره على فرجه ليستخفي حياء من الله، وليس في هذا حياء، فإن الله لا تخفى عليه خافية.

• [٤٢٩٤] قوله: «**قلت: يا أبا العباس، ما «تثنوني صدورهم»؟ قال: كان الرجل يجامع امرأته فيستحيي، أو يتخلى فيستحيي، فنزلت**» أي: نزلت هذه الآية.

• [٤٢٩٥] قوله: «**ألا إنهم يثنوني صدورهم ألا حين يستغشون ثيابهم**» إما أن تكون هذه قراءة ثابتة أو قراءة شاذة وتحمل على أنها تفسير من ابن عباس، وقراءة حفص: ﴿أَلَآ إِنَّهُمْ يَثْنُونَ صُدُورَهُمْ لِيَسْتَخْفُوا۟ مِنْهُ ۚ أَلَا حِينَ يَسْتَغْشُونَ ثِيَابَهُمْ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ﴾ [هود: ٥].

قوله : «**وقال غيره عن ابن عباس** : ﴿يَسْتَغْشُونَ﴾ [هود : ٥] : **يغطون رءوسهم**» .

قوله : «﴿سِيٓءَ بِهِمْ﴾ : **ساء ظنه بقومه**» أي : في قوله تعالى في قصة لوط : ﴿سِيٓءَ بِهِمْ وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ [هود : ٧٧] .

قوله : «﴿وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا﴾ [هود : ٧٧] : **أي بأضيافه**» فعند مجيء هؤلاء الذين يريدون الضيافة ضاق بهم ذرعًا .

قوله : «﴿بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ : **بسواد**» يعني في قوله تعالى : ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ [هود : ٨١] .

قوله : «﴿وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود : ٨٨] : **أرجع**» قاله مجاهد .

وفي بعض النسخ : «﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ﴾ [هود : ٦١] **جعلكم عمارا ، أعمرته الدار فهي عمرى جعلتها له** . ﴿نَكِرَهُمْ﴾ [هود : ٧٠] **وأنكرهم واستنكرهم واحد** . ﴿حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود : ٧٣] **كأنه فعيل من ماجد محمود من حمد**»(١) .

فقوله : «﴿وَٱسْتَعْمَرَكُمْ﴾» [هود : ٦١] قال الشعبي : جعلكم عمار الأرض ، وعمرته الدار فهي عمرى أيضًا .

قوله : «﴿نَكِرَهُمْ﴾ **وأنكرهم واستنكرهم واحد**» يعني قوله تعالى : ﴿نَكِرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً﴾ [هود : ٧٠] وهذا لما لم يأكل أضياف إبراهيم .

قوله : «﴿حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود : ٧٣] **كأنه فعيل من ماجد محمود من حمد**» .

قوله : «﴿سِجِّيلٍ﴾ [هود : ٨٢] : **الشديد الكبر ، سجيل وسجين واللام والنون أختان**» ، أي : كل واحد بمعنى الآخر مثل : إسماعيل وإسماعين باللام والنون ، وجبريل وجبرين باللام والنون .

قوله : «**وقال تميم بن مقبل** :

ورجلة يضربون البيض ضاحية ... ضربا تواصى به الأبطال سجينا

فسجينا بالنون .

---

(١) البخاري (٨/ ٣٥١ - فتح) .

قوله : «﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ ﴾ أي : إلى أهل مدين ؛ لأن مدين بلد» يعني في قوله تعالى : ﴿ وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا ﴾ [هود : ٨٤] يعني : وأرسلنا إلى أهل مدين ؛ لأن مدين بلد .

قوله : «ومثله : ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ﴾» [يوسف : ٨٢] أي : واسأل أهل القرية .

قوله : «اسأل العير» يعني في قوله تعالى : ﴿ وَسْـَٔلِ ٱلْقَرْيَةَ ٱلَّتِى كُنَّا فِيهَا وَٱلْعِيرَ ٱلَّتِىٓ أَقْبَلْنَا فِيهَا ﴾ [يوسف : ٨٢] فالمقصود «وأصحاب العير» .

قوله : «﴿ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ﴾» يعني في قوله تعالى في ذكر كلام شعيب : ﴿ وَٱتَّخَذْتُمُوهُ وَرَآءَكُمْ ظِهْرِيًّا ﴾ [هود : ٩٢] فسره فقال : «يقول : لم تلتفتوا إليه ، ويقال إذا لم يقض الرجل حاجته : ظهرت لحاجتي ، وجعلني ظهريا» ، «والظهري : أن تأخذ معك دابة أو دعاء تستظهر به» يعني تتقوى ، فيطلق على هذا وعلى هذا .

قوله : «أَرَاذِلُنَا : سقاطنا» يعني في قوله تعالى : ﴿ فَقَالَ ٱلْمَلَأُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَوْمِهِۦ مَا نَرَىٰكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ﴾ [هود : ٢٧] هؤلاء قوم نوح الذين قالوا لنوح ﷺ : ﴿ وَمَا نَرَىٰكَ ٱتَّبَعَكَ ﴾ أي : آمن بك ، ﴿ إِلَّا ٱلَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا ﴾ أي : «سقاطنا» .

قوله : «﴿ إِجْرَامِى ﴾ : مصدر من أجرمت ، وبعضهم يقول : جرمت» . يعني في قوله تعالى : ﴿ فَعَلَىَّ إِجْرَامِى وَأَنَا۠ بَرِىٓءٌ مِّمَّا تُجْرِمُونَ ﴾ [هود : ٣٥] .

وقال : «﴿ ٱلْفُلْكَ ﴾ [هود : ٣٧] و«الفلك» واحد ، وهي : السفينة والسفن» .

قوله : «﴿ مَجْرٜىٰهَا ﴾ : موقفها» . وفي نسخة : «مدفعها» وفي نسخة قال : «﴿ مَجْرٜىٰهَا ﴾ من جرت هي»[1] أي : في قوله تعالى : ﴿ وَقَالَ ٱرْكَبُوا۟ فِيهَا بِسْمِ ٱللَّهِ مَجْرٜىٰهَا ﴾ [هود : ٤١] وقراءة حفص بالإمالة في هذا الموضع فقط ، وكثير من القراء لا يميلونها ، وهي : مَجراها ومُجراها بالفتح من الثلاثي وبالضم من الرباعي في قراءة أخرى .

قوله : «ومجراها من جرت» يعني السفينة ، والمعنى : مسيرها .

قوله : «﴿ وَمُرْسَىٰهَآ ﴾» : وقفها .

قوله : «أرسيت : حبست» .

---

(١) البخاري (٨/ ٣٥٢ - فتح) .

قوله: «ويقرأ ﴿مُرْسَاهَا﴾: من رست هي، و﴿مَجْرَاهَا﴾ من جرت» يعني في قوله: ﴿بِسْمِ اللَّهِ مَجْرَاهَا وَمُرْسَاهَا﴾ [هود: ٤١] فباسم الله سيرها ووقوفها، فهو يستعين بالله في سيرها وفي وقوفها.

قوله: «﴿رَّاسِيَاتٍ﴾ [سبأ: ١٣]: ثابتات».

قوله: «﴿وَمُرْسَاهَا﴾ [هود: ٤١]» بالضم من الرباعي و«مَرساها» من الثلاثي.

قوله: «﴿عَنِيدٍ﴾ وعنود وعاند واحد، وهو تأكيد التجبر» يعني في قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَ كُلِّ جَبَّارٍ عَنِيدٍ﴾ [هود: ٥٩] أي: كافر متجبر.

قال: «﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَادُ﴾ [هود: ١٨] واحده شاهد، مثل: صاحب وأصحاب».

* * *

المتن

[١٦٦/ ٥٦] **باب قوله: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾** [هود: ٧]

• **[٤٢٩٦]** حدثنا أبو اليمان، قال: أخبرنا شعيب، قال: حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «**قال الله ﷻ: أنفق أنفق عليك**»، وقال: «**يد الله ملأى، لا تغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار**»، وقال: «**أرأيتم ما أنفق مذ خلق السماء والأرض؛ فإنه لم يغض ما في يده، وكان عرشه على الماء، وبيده الميزان يخفض ويرفع**».

اعتراك: افتعلك، من عروته؛ أي: أصبته، ومنه: يعروه واعتراني.

آخذ بناصيتها: أي في ملكه وسلطانه.

الشرح

هذه الترجمة على هذه الآية: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾ [هود: ٧].

• **[٤٢٩٦]** ذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه وهو حديث قدسي من كلام الله لفظًا ومعنًى، وأتى به شاهدًا على آية الترجمة: ﴿وَكَانَ عَرْشُهُۥ عَلَى ٱلْمَآءِ﴾.

قوله: «**قال الله ﷻ: أنفق أنفق عليك**» هذا من كلام الله ﷻ، وفيه فضل النفقة وأن المنفق موعود بأن يخلف الله عليه نفقته؛ كما قال الله تعالى في الآية الأخرى: ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ: ٣٩].

قوله: «**وقال: يد الله ملأى، لا تغيضها نفقة**» أي: لا تنقصها نفقة، من غاض يغيض، بفتح التاء.

قوله: «**سحاء الليل والنهار**» السحّ: كثرة الصب، و«**الليل والنهار**» بالنصب على الظرفية، فكلاهما ظرف؛ أي: في الليل وفي النهار.

قوله: «**وقال: أرأيتم ما أنفق مذ خلق السماء والأرض؛ فإنه لم يغض ما في يده**» يعني: لم ينقص.

قوله : «**وكان عرشه على الماء ، وبيده الميزان يخفض ويرفع**» وفي الحديث الآخر : «**وبيده الأخرىٰ الميزان**»[1] ، فيده الأخرىٰ فيها العدل والميزان الذي به يخفض ويرفع ، وقال الله تعالىٰ : ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلْكِتَـٰبَ بِٱلْحَقِّ وَٱلْمِيزَانَ ۗ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴾ [الشورىٰ : ١٧] أي : العدل .

قال : «﴿ ٱعْتَرَىٰكَ ﴾ : **افتعلك ، من عروته ؛ أي : أصبته**» يعني أن معنىٰ قوله تعالىٰ : ﴿ إِلَّا ٱعْتَرَىٰكَ بَعْضُ ءَالِهَتِنَا بِسُوٓءٍ ﴾ [هود : ٥٤] أي : إلا أصابك .

قوله : «﴿ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ﴾» يعني في قوله تعالىٰ : ﴿ مَّا مِن دَآبَّةٍ إِلَّا هُوَ ءَاخِذٌۢ بِنَاصِيَتِهَآ ﴾ [هود : ٥٦] ، وفسره فقال : «**أي : في ملكه وسلطانه**» .

* * *

---

(١) أحمد (٢/ ٥٠٠) ، والبخاري (٧٤١١) .

المتن

[١٦٧/ ٥٦] باب قوله:
﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود: ١٨] الآية

• [٤٢٩٧] حدثنا مسدد، قال: حدثنا يزيد بن زريع، قال: حدثنا سعيد وهشام، قالا: حدثنا قتادة، عن صفوان بن محرز، قال: بينا ابن عمر يطوف إذ عرض رجل فقال: يا أبا عبدالرحمن – أو يا ابن عمر، سمعت النبي ﷺ في النجوى؟ قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«يدنى المؤمن من ربه»**، وقال هشام: **«يدنو المؤمن حتى يضع عليه كنفه، فيقرره بذنوبه؛ تعرف ذنب كذا؟ يقول: أعرف، يقول: رب أعرف – مرتين، فيقول: سترتها في الدنيا وأغفرها لك اليوم، ثم تطوى صحيفة حسناته، وأما الآخرون أو الكفار فينادى على رءوس الأشهاد: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود: ١٨]»**.

وقال شيبان: عن قتادة.

الشرح

• [٤٢٩٧] ذكر المصنف رحمه الله حديث ابن عمر شاهدًا على آية الترجمة: ﴿وَيَقُولُ ٱلْأَشْهَـٰدُ هَـٰٓؤُلَآءِ ٱلَّذِينَ كَذَبُوا۟ عَلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود: ١٨]، وفيه أن رجلًا سأل ابن عمر وهو يطوف، **«فقال: يا أبا عبدالرحمن – أو يا ابن عمر، سمعت النبي ﷺ في النجوى؟»** وهي الكلام في السر والمناجاة من قرب، فقال ابن عمر: **«سمعت النبي ﷺ يقول: «يدنى المؤمن من ربه»**، وقال هشام: **«يدنو المؤمن حتى يضع عليه كنفه، فيقرره بذنوبه: تعرف ذنب كذا؟ يقول: أعرف، يقول: رب أعرف – مرتين، فيقول: سترتها في الدنيا وأغفرها لك اليوم، ثم تطوى صحيفة حسناته»** وهذا من فضل الله تعالى على عبده المؤمن أن يقرره بذنوبه سرًّا بينه وبينه فلا يعلم الخلق عنه شيئًا، أما الكافر **«فينادى على رءوس الأشهاد»** فيفتضح.

وفيه: إثبات النجوى والنداء لله ﷻ.

وفيه: الرد على أهل البدع المنكرين للنداء أو المناجاة أوالكلام.

وكلام الله تعالىٰ أنواع؛ منه:

المناجاة: وهو الكلام من قرب، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَقَرَّبْنَٰهُ نَجِيًّا﴾ [مريم: ٥٢] يعني موسىٰ.

والنداء: وهو الكلام من بعد، ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَإِذْ نَادَىٰ رَبُّكَ مُوسَىٰٓ﴾ [الشعراء: ١٠].

والكلام: ومنه قوله تعالىٰ: ﴿وَقَالَ ٱللَّهُ لَا تَتَّخِذُوٓاْ إِلَٰهَيْنِ ٱثْنَيْنِ﴾ [النحل: ٥١] فهذا كلام.

قوله: **«وقال شيبان: عن قتادة»** وفي بعض النسخ: **«وقال شيبان: عن قتادة حدثنا صفوان»**[1] يعني أن قتادة صرح بالسماع، وقتادة مدلس، فأراد أن يبين أنه سمعه منه؛ لأنه قال في الأول: **«حدثنا قتادة عن صفوان»** بالعنعنة.

* * *

(١) البخاري (٤٦٨٥).

المتن

[١٦٨/ ٥٦] باب قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢]

﴿ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾ [هود: ٩٩]: العون المعين، رفدته: أعنته.

﴿أُتْرِفُوا۟﴾ [هود: ١١٦]: أهلكوا.

• [٤٢٩٨] حدثنا صدقة بن الفضل، قال: أخبرنا أبو معاوية، قال: أخبرنا بريد بن أبي بردة، عن أبي بردة، عن أبي موسى قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله ليملي للظالم حتى إذا أخذه لم يفلته»**، قال: ثم قرأ: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾.

الشرح

فسر المصنف رحمه الله بعض الكلمات فقال: **«﴿ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾: العون المعين، رفدته: أعنته»**، فقوله تعالى: ﴿وَأُتْبِعُوا۟ فِى هَٰذِهِۦ لَعْنَةً وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ بِئْسَ ٱلرِّفْدُ ٱلْمَرْفُودُ﴾ [هود: ٩٩] يعني: بئس العون المعين.

وبعده في بعض النسخ: **«﴿تَرْكَنُوٓا۟﴾: تميلوا»** فمعنى: ﴿وَلَا تَرْكَنُوٓا۟ إِلَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟﴾ [هود: ١١٣] أي: ولا تميلوا.

وقوله: **«﴿فَلَوْلَا كَانَ﴾: فهلا كان»**(١) يعني قوله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ﴾ [هود: ١١٦]: بمعنى: هلَّا، أي: هلَّا كان.

قوله: **«﴿أُتْرِفُوا۟﴾ [هود: ١١٦]: أهلكوا»**، وبعده في بعض النسخ: **«وقال ابن عباس: ﴿زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾ [هود: ١٠٦]: شديد وصوت ضعيف»**(٢) فالزفير: هو الشديد، والشهيق: هو الصوت الضعيف.

(١) البخاري (٨/ ٣٥٤ – فتح).

(٢) البخاري (٨/ ٤٤٩ – فتح).

• [٤٢٩٨] هذا حديث أبي موسى ﵁ وهو مناسب لآية الترجمة: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَآ أَخَذَ ٱلْقُرَىٰ وَهِىَ ظَٰلِمَةٌ ۚ إِنَّ أَخْذَهُۥٓ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾ [هود: ١٠٢].

قوله: **«إن الله ليملي للظالم»** يعني يمهله استدراجًا.

قوله: **«حتى إذا أخذه لم يفلته»** فيه أن الواجب على المسلم الحذر من الظلم، وألا يغتر الظالم بحلم الله وإملائه وتأخيره، فإن العاقبة وخيمة إن استمر على ظلمه.

وقراءته ﷺ للآية فيها الوعيد الشديد للظلمة.

* * *

المتن

[١٦٩/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ﴾ [هود: ١١٤] الآية

﴿وَزُلَفًا﴾[هود: ١١٤]: ساعات بعد ساعات، ومنه سميت المزدلفة، الزلف: منزلة بعد منزلة.

وأما ﴿زُلْفَىٰ﴾ [سبأ: ٣٧]: فمصدر من القربى، ازدلفوا: اجتمعوا.

﴿أَزْلَفْنَا﴾ [الشعراء: ٦٤]: جمعنا.

• [٤٢٩٩] حدثنا مسدد، قال: حدثنا يزيد بن زريع، قال: حدثنا سليمان التيمي، عن أبي عثمان، عن ابن مسعود، أن رجلا أصاب من امرأة قبلة، فأتى رسول الله ﷺ فذكر له ذلك، فأنزلت عليه: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾ [هود: ١١٤]، قال الرجل: ألي هذه الآية؟ قال: **«لمن عمل بها من أمتي»**.

الشرح

ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ تفسير بعض الكلمات فقال: **«﴿وَزُلَفًا﴾: ساعات بعد ساعات»** يعني قوله تعالى: ﴿وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ [هود: ١١٤] قال: **«ومنه سميت المزدلفة، الزلف: منزلة بعد منزلة»**.

قوله: **«وأما ﴿زُلْفَىٰ﴾[سبأ: ٣٧]: فمصدر من القربى، ازدلفوا: اجتمعوا»**.

وقوله: **«﴿أَزْلَفْنَا﴾[الشعراء: ٦٤]: جمعنا»**.

• [٤٢٩٩] في «صحيح مسلم» أن هذا الرجل صلى مع النبي ﷺ فقال: **«صليت معنا»** أو قال: **«صل معنا»** وقال: **«إن الله غفر لك»**[1] فهذا الرجل لما أدى الفريضة وفعل الحسنات أذهب الله عنه السيئات، وأنزل الله هذه الآية: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيْلِ ۚ إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾[هود: ١١٤]، وفيها أن الله

---

(١) البخاري (٦٨٢٣)، ومسلم (٢٧٦٤).

تعالى يكفر الصغائر بأداء الفرائض وذلك مشروط بها إذا اجتنب الإنسان الكبائر ، فهذه القبلة من الصغائر وكفرت بهذه الحسنات .

قوله : **«قال الرجل : ألي هذه الآية؟ قال : لمن عمل بها من أمتي»** ، وفي هذا المعنى يقول الله ﷻ : ﴿ إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ [النساء : ٣١] .

وفي «صحيح مسلم» عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال : **«الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ورمضان إلى رمضان مكفرات لما بينهما إذا اجتنبت الكبائر»**(١) .

* * *

(١) أحمد (٢/ ٤٠٠) ، ومسلم (٢٣٣) .

المَتْنُ

سورة يوسف عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

قال فضيل : عن حصين ، عن مجاهد : ﴿ مُتَّكَـًٔا ﴾ [يوسف : ٣١] : الأترنج ، بالحبشية متكا .

قال ابن عيينة : عن رجل ، عن مجاهد ، متكا ، قال : كل شيء قطع بالسكين .

وقال قتادة : ﴿ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَـٰهُ ﴾ [يوسف : ٦٨] : عامل بما علم .

وقال سعيد بن جبير : ﴿ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ ﴾ [يوسف : ٧٢] : مكوك الفارسي التي تلتقي طرفاه ، كانت تشرب الأعاجم به .

وقال ابن عباس : ﴿ تُفَنِّدُونِ ﴾ [يوسف : ٩٤] : تجهلون .

﴿ غَيَـٰبَتِ ﴾ [يوسف : ١٠] : كل شيء غيب عنك شيئا فهو غيابة .

و ﴿ ٱلْجُبِّ ﴾ [يوسف : ١٠] : الركية التي لم تطو .

﴿ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا ﴾ [يوسف : ١٧] : بمصدق .

﴿ أَشُدَّهُۥٓ ﴾ [يوسف : ٢٢] : قبل أن يأخذ في النقصان ، يقال : بلغ أشده وبلغوا أشدهم ، وقال بعضهم : واحدها شد .

والمتكأ : ما اتكأت عليه لشراب أو لحديث أو لطعام ، وأبطل الذي قال : الأترنج ، وليس في كلام العرب الأترج ، فيما احتج عليهم بأن المتكأ من نمارق فروا إلى شر منه وقالوا : إنما هو المتك ، ساكنة التاء ، وإنما المتك طرف البظر ، ومن ذلك قيل لها : متكاء وابن المتكاء ؛ فإن كان ثم أترج فإنه بعد المتكأ .

﴿ شَغَفَهَا ﴾ [يوسف : ٣٠] يقال : إلى شغافها ، وهو غلاف قلبها ، وأما شعفها : فمن المشعوف .

﴿ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ ﴾ [يوسف : ٣٣] أميل صبا ، مال .

﴿أَضْغَٰثُ﴾ : ما لا تأويل له ، الضغث : ملء اليد من حشيش وما أشبهه ، ومنه : ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾ [ص : ٤٤]، لا من قوله : ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ [يوسف : ٤٤]، واحدها : ضغث .

﴿نَمِيرُ﴾ [يوسف : ٦٥] : من الميرة .

﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ [يوسف : ٦٥] : ما يحمل بعير .

«أَوَىٰ» : ضم إليه .

﴿ٱلسِّقَايَةَ﴾ [يوسف : ٧٠] : مكيال .

﴿تَفْتَؤُاْ﴾ [يوسف : ٨٥] : لا تزال .

«تَحَسَّسُوا» : تخبروا .

﴿غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف : ١٠٧] : عامة مجللة .

﴿مُّزْجَىٰةٍ﴾ [يوسف : ٨٨] : قليلة .

﴿حَرَضًا﴾ [يوسف : ٨٥] : محرضًا يذيبك الهم .

(﴿ٱسْتَيْـَٔسُواْ﴾[يوسف : ٨٠] : يئسوا ، من اليأس .

﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف : ٨٧] معناه : الرجاء .

﴿خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾ [يوسف : ٨٠] : اعترفوا نجيا ، والجميع : أنجية ، يتناجون : الواحد نجي ، والاثنان والجميع : نجي وأنجية) .

الشَّرْحُ

فسر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ فقال : ﴿مُتَّكَـًٔا﴾ [يوسف : ٣١] **«قال فضيل : عن حصين ، عن مجاهد : ﴿مُتَّكَـًٔا﴾ : الأترنج . بالحبشية متكا»** فامرأة العزيز جمعت النسوة وآتت كل واحدة منهن سكينًا وأترنجة ، وقالت ليوسف : ﴿ٱخْرُجْ عَلَيْهِنَّ﴾[يوسف : ٣١] فلما خرج يوسف انشغلن بالنظر إليه وبهرهن جماله وصرن يقطعن الأترنج بالسكين فيخطئن ويقطعن أيديهن بدلًا من الأترنج .

قوله : «قال ابن عيينة : عن رجل ، عن مجاهد : «متكا» قال : كل شيء قطع بالسكين» .

قوله : «وقال قتادة : ﴿لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ : عامل بما علم» ، يعني في قوله تعالىٰ : ﴿وَإِنَّهُۥ لَذُو عِلْمٍ لِّمَا عَلَّمْنَٰهُ﴾ [يوسف : ٦٨] .

قوله : «وقال سعيد بن جبير : ﴿صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾ : مكوك الفارسي التي تلتقي طرفاه ، كانت تشرب الأعاجم به» ، يعني في قوله تعالىٰ : ﴿قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ ٱلْمَلِكِ﴾ [يوسف : ٧٢] والصواع والمكيال بمعنىً واحد .

قوله : «وقال ابن عباس : ﴿تُفَنِّدُونِ﴾ : تجهلون» يعني في قوله تعالىٰ : ﴿لَوْلَآ أَن تُفَنِّدُونِ﴾ [يوسف : ٩٤] .

قوله : «﴿غَيَٰبَتِ﴾ : كل شيء غيب عنك شيئا فهو غيابة» يعني في قوله تعالىٰ : ﴿غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ﴾ [يوسف : ١٠] .

قوله : «و ﴿ٱلْجُبِّ﴾ [يوسف : ١٠] : الركية التي لم تطو» أي : هي البئر التي لم تطو .

قوله : «﴿بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ : بمصدق» يعني في قوله تعالىٰ عنهم : ﴿وَمَآ أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا﴾ [يوسف : ١٧] .

قوله : «﴿أَشُدَّهُۥ﴾ : قبل أن يأخذ في النقصان ، يقال : بلغ أشده وبلغوا أشدهم ، وقال بعضهم : واحدها شد» يعني في قوله تعالىٰ : ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ﴾ [يوسف : ٢٢] .

شرح بعد ذلك معنىٰ ﴿مُتَّكَـًٔا﴾ [يوسف : ٣١] – ولم يجعل الكلام في موضع واحد – فقال : «والمتكأ ما اتكأت عليه لشراب أو لحديث أو لطعام» ، فصار «المتكأ» يطلق على الأترنج ويطلق علىٰ ما اتكأت عليه لشراب أو لحديث أو لطعام .

قوله : «وأبطل الذي قال : الأترنج» يعني من قال : إن المتكأ هو ما اتكأت عليه لشراب أو لحديث أو لطعام أبطل قول من قال إن : المتكأ هو الأترنج .

قال : «وليس في كلام العرب الأترج ، فيما احتج عليهم بأن المتكأ من نمارق» وفي بعض النسخ : «فلما احتج عليهم بأنه المتكأ من نمارق»[1] قال : «فروا إلىٰ شر منه وقالوا : إنما هو

---

(١) البخاري (٨/ ٤٥٤ – فتح) .

المتك - ساكنة التاء - وإنما المتك طرف البظر» والبظر: الذي في فرج المرأة، والمتك أيضًا: طرف الذكر.

قال: «ومن ذلك قيل لها: متكاء وابن المتكاء، فإن كان ثم أترج فإنه بعد المتكأ» يعني أنه يفرق بينهما، فالمتكأ: هو كل شيء يقطع بالسكين كالأترنج وغيره، وأما «المتك» فهو البظر أو طرف الفرج.

قوله: «﴿شَغَفَهَا﴾ [يوسف: ٣٠] يقال: إلى شغافها، وهو غلاف قلبها». وفي بعض النسخ: «يقال: بلغ إلى شغافها».

قال: «وأما «شعفها»: بالعين المهملة «فمن المشعوف».

قوله: «﴿أَصْبُ إِلَيْهِنَّ﴾ [يوسف: ٣٣] أميل» أي: حبًا.

قوله: «﴿أَضْغَٰثُ﴾: ما لا تأويل له» يعني في قوله تعالى: ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾ [يوسف: ٤٤] فالمعنى أنها لا تؤول.

قوله: «الضغث: ملء اليد من حشيش وما أشبهه، ومنه: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا﴾» يعني في قوله تعالى: ﴿وَخُذْ بِيَدِكَ ضِغْثًا فَٱضْرِب بِّهِۦ وَلَا تَحْنَثْ﴾ [ص: ٤٤] ثم قال: «لا من قوله: ﴿أَضْغَٰثُ أَحْلَٰمٍ﴾» أي: إن الضغث يختلف عن الأضغاث، فأضغاث الأحلام: هي ما لا تأويل لها من الرؤى، والضغث: هو ما يأخذه الإنسان بيده، وهو الشمراخ، فأيوب عليه السلام أخذ عذقًا فيه مائة شمراخ، وضرب به امرأته لما أقسم أن يجلدها حتى لا يحنث في يمينه.

قوله: «﴿نَمِيرُ﴾: «من الميرة» يعني في قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا فَتَحُوا۟ مَتَٰعَهُمْ وَجَدُوا۟ بِضَٰعَتَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ ۖ قَالُوا۟ يَٰٓأَبَانَا مَا نَبْغِى ۖ هَٰذِهِۦ بِضَٰعَتُنَا رُدَّتْ إِلَيْنَا ۖ وَنَمِيرُ أَهْلَنَا وَنَحْفَظُ أَخَانَا وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ۖ ذَٰلِكَ كَيْلٌ يَسِيرٌ﴾ [يوسف: ٦٥].

قوله: «﴿وَنَزْدَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ﴾ [يوسف: ٦٥]: ما يحمل بعير».

قوله: «﴿ءَاوَىٰٓ إِلَيْهِ﴾ [يوسف: ٦٩]: ضم إليه».

قال: «﴿ٱلسِّقَايَةَ﴾: مكيال» يعني في قوله تعالى: ﴿جَعَلَ ٱلسِّقَايَةَ فِى رَحْلِ أَخِيهِ﴾ [يوسف: ٧٠].

قوله : «﴿تَفْتَؤُاْ﴾ : لا تزال» يعني في قوله تعالى : ﴿تَفْتَؤُاْ تَذْكُرُ يُوسُفَ﴾ [يوسف : ٨٥] .

قوله : «﴿تَحَسَّسُوا﴾ : تخبروا» يعني في قوله تعالى : ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذْهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ﴾ [يوسف : ٨٧] .

قوله : «﴿غَٰشِيَةٌ مِّنْ عَذَابِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف : ١٠٧] : عامة مجللة» .

قوله : «﴿مُّزْجَىٰةٍ﴾ : قليلة» يعني في قوله تعالى : ﴿وَجِئْنَا بِبِضَٰعَةٍ مُّزْجَىٰةٍ﴾ [يوسف : ٨٨] .

قوله : «﴿حَرَضًا﴾ : محرضًا يذيبك الهم» يعني في قوله تعالى : ﴿حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا﴾ [يوسف : ٨٥] .

قوله : «﴿ٱسْتَيْـَٔسُواْ﴾ [يوسف : ٨٠] : يئسوا من اليأس» .

قوله : «﴿وَلَا تَاْيْـَٔسُواْ مِن رَّوْحِ ٱللَّهِ﴾ [يوسف : ٨٧] معناه : الرجاء» .

قوله : «﴿خَلَصُواْ نَجِيًّا﴾ [يوسف : ٨٠] اعترفوا نجيا ، والجميع : أنجية ، يتناجون ، الواحد نجي ، والاثنان والجميع : نجي وأنجية» في بعض النسخ : «اعتزلوا نجيا»[1] .

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن رواية : «اعتزلوا» : «ثبت هذا لأبي ذر عن المستملي والكشميهني ، ووقع في رواية المستملي : «اعترفوا» بدل «اعتزلوا» ، والصواب الأول» .

* * *

(١) البخاري (٨/ ٤٥٨ - فتح) .

المتن

[١٧٠/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ٦] الآية

• [٤٣٠٠] حدثني عبدالله بن محمد، قال: حدثنا عبدالصمد، عن عبدالرحمن بن عبدالله بن دينار، عن أبيه، عن عبدالله بن عمر، عن النبي ﷺ قال: **«الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم»**.

الشرح

هذه الترجمة على قوله تعالى: ﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ٦].

ومعنى: «﴿وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ﴾» أي: بالنبوة والرسالة.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وفي الجمع بين قول يعقوب: ﴿وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ﴾ [يوسف: ٦] وبين قوله: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ [يوسف: ١٣] غموض؛ لأنه جزم بالاجتباء، وظاهره فيما يستقبل فكيف يخاف عليه أن يهلك قبل ذلك؟ وأجيب بأجوبة:

أحدها: لا يلزم من جواز أكل الذئب له أكل جميعه بحيث يموت.

ثانيها: أراد بذلك دفع إخوته عن التوجه به فخاطبهم بما جرت عادتهم لا على ما هو في معتقده.

ثالثها: أن قوله: ﴿يَجْتَبِيكَ﴾ لفظه لفظ خبر ومعناه الدعاء، كما يقال: فلان يرحمه الله، فلا ينافي وقوع هلاكه قبل ذلك.

رابعها: أن الاجتباء الذي ذكر يعقوب أنه سيحصل له كان حصل قبل أن يسأل إخوته أباهم أن يوجهه معهم؛ بدليل قوله بعد أن ألقوه في الجب: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥] ولا بعد في أن يؤتى النبوة في ذلك السن؛ فقد قال في قصة يحيى: ﴿وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحُكْمَ صَبِيًّا﴾ [مريم: ١٢]، ولا اختصاص لذلك بيحيى فقد قال عيسى وهو في المهد: ﴿إِنِّى عَبْدُ ٱللَّهِ ءَاتَىٰنِىَ ٱلْكِتَٰبَ وَجَعَلَنِى نَبِيًّا﴾ [مريم: ٣٠] وإذا حصل الاجتباء الموعود به لم يمتنع عليه الهلاك».

قلت: وهذا ليس بشيء؛ فالنبوة إنما أعطيها بعد البلوغ كما نص القرآن؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُۥٓ ءَاتَيْنَٰهُ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف: ٢٢] فهذا بعد بلوغ الأشد، لا أنه أوتي النبوة لما ألقي في الجب في تلك السن وهو صبي صغير.

ثم قال رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**خامسها**: أن يعقوب أخبر بالاجتباء مستندًا إلى ما أوحي إليه به، والخبر يجوز أن يدخله النسخ عند قوم فيكون هذا من أمثلته، وإنما قال: ﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ ٱلذِّئْبُ﴾ [يوسف: ١٣] تجويزًا لا وقوعًا، وقريب منه أنه ﷺ أخبرنا بأشياء من علامات الساعة: كالدجال ونزول عيسى وطلوع الشمس من المغرب[١] ومع ذلك فإنه خرج لما كسفت الشمس فزعا يخشى أن تكون الساعة[٢]». وعلى كل حال هذه كلها أجوبة محتملة.

• [٤٣٠٠] ذكر حديث ابن عمر: «**الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم: يوسف بن يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم**» هذا في النسب.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهو دال على فضيلة خاصة وقعت ليوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يشركه فيها أحد».

فيوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ «**الكريم ابن الكريم ابن الكريم ابن الكريم**»؛ لأنه نبي وأبوه يعقوب نبي وجده إسحاق نبي وجده إبراهيم الأعلى نبي؛ فهم أربعة أنبياء في نسق واحد.

❊ ❊ ❊

---

(١) أحمد (٤/٦)، ومسلم (٢٩٠١).
(٢) أحمد (٥/٣٧)، والبخاري (١٠٥٩)، ومسلم (٩١٢).

المتن

[١٧١/ ٥٦] باب قوله تعالى:

﴿لَّقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [يوسف: ٧]

• [٤٣٠١] حدثني محمد، قال: أخبرنا عبدة، عن عبيدالله، عن سعيد بن أبي سعيد، عن أبي هريرة قال: سئل رسول الله ﷺ: أي الناس أكرم؟ قال: «**أكرمهم عند الله أتقاهم**»، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «**فأكرم الناس: يوسف نبي الله ابن نبي الله ابن نبي الله ابن خليل الله**»، قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: «**فعن معادن العرب تسألوني؟**»، قالوا: نعم، قال: «**فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام؛ إذا فقهوا**».

تابعه أبو أسامة عن عبيدالله.

الشرح

• [٤٣٠١] هذا الحديث فيه أن النبي ﷺ سئل: «**أي الناس أكرم؟ قال: أكرمهم عند الله أتقاهم**» وهذا موافق للآية الكريمة: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓاْ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣] فأكرم الناس بالتقوى لا بالحسب والنسب.

قوله: «**قالوا: ليس عن هذا نسألك، قال: فأكرم الناس: يوسف**» يعني من جهة النسب، فليس على إطلاقه وإلا فأبوه إبراهيم أكرم منه، وأكرم منهما نبينا محمد ﷺ، فلا يلزم من ذلك أن يكون يوسف عليه السلام أفضل من غيره مطلقًا.

لكن كيف يقول: «**فأكرم الناس: يوسف**» مع أن نبينا أكرم منه وجده إبراهيم أكرم؟ يجاب عن ذلك بأحد جوابين:

الجواب الأول: أن يوسف أكرم الناس في زمانه كما فضل الله بني إسرائيل على من سواهم في زمنهم؛ فقال سبحانه عنهم: ﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱذْكُرُواْ نِعْمَتِىَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [البقرة: ٤٧] يعني على عالمي زمانهم، وليسوا أفضل من هذه الأمة.

الجواب الثاني: أن النبي ﷺ قال هذا أولًا قبل أن يعلمه الله أنه هو وأبوه إبراهيم أكرم من يوسف عليه السلام.

قوله : «**فعن معادن العرب تسألوني؟**» **قالوا : نعم، قال : «فخياركم في الجاهلية خياركم في الإسلام؛ إذا فقهوا»** يعني : أصولهم وقبائلهم ، فقد كان عندهم في الجاهلية صفات حميدة من النجدة والشهامة والشجاعة والكرم ونصر المظلوم والإحسان وبذل المعروف ، فلما دخلوا في الإسلام زادت هذه الصفات وتقوت .

وقوله : «**فقهوا**» : بضم القاف وكسرها .

* * *

المتن

[١٧٢/ ٥٦] **باب قوله تعالى: ﴿قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا﴾** [يوسف: ١٨]

﴿سَوَّلَتْ﴾ : زينت .

• **[٤٣٠٢]** حدثنا عبدالعزيز بن عبدالله ، قال : حدثنا إبراهيم ، عن صالح ، عن ابن شهاب قال ، ح . وحدثنا الحجاج ، قال : حدثنا عبدالله بن عمر النميري ، قال : حدثنا يونس بن يزيد الأيلي ، قال : سمعت الزهري ، سمعت عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص وعبيدالله بن عبدالله ، عن حديث عائشة زوج النبي ﷺ ، حين قال لها أهل الإفك فبرأها الله ، كل حدثني طائفة من الحديث ، قال النبي ﷺ : «**إن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه**» ، قلت : إني والله لا أجد مثلا إلا أبا يوسف : **﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾** [يوسف: ١٨] ، وأنزل الله ﷻ : **﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ﴾** [النور: ١١] العشر الآيات .

• **[٤٣٠٣]** حدثنا موسى ، قال : حدثنا أبو عوانة ، عن حصين ، عن أبي وائل ، قال : حدثني مسروق بن الأجدع ، قال : حدثتني أم رومان ، وهي : أم عائشة قالت : بينا أنا وعائشة أخذتها الحمى ، فقال النبي ﷺ : «**لعل في حديث تحدث؟**» ، قالت : نعم ، وقعدت عائشة ، قالت : مثلي ومثلكم كيعقوب وبنيه : **﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾** [يوسف: ١٨] .

الشرح

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : «قال أبو عبيدة في قوله : **﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ﴾** [يوسف: ١٨] أي : زينت وحسنت» .

• **[٤٣٠٢]** هذا الحديث حديث الإفك أتى به المصنف رحمه الله على الآية التي ترجم بها ؛ لأن عائشة استشهدت بالآية في قصة الإفك ، ثم برأها الله .

قوله : «**إن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه**» .

فيه دليل على أن من وقع في الزلل والخطأ عليه أن يبادر بالتوبة .

وفيه دليل على أن الرسول ﷺ لا يعلم الغيب ، فلو كان يعلم الغيب ما جلس مدة شهر ، وكان الناس يخوضون في الإفك ولا يعلم ويقول لعائشة : **«إن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله»** ، فلو كان يعلم الغيب لعلم أنها بريئة ، فالحديث يرد على من قال : إن الرسول ﷺ يعلم الغيب .

قولها : **«إني والله لا أجد مثلا إلا أبا يوسف»** وفي لفظ آخر أنها قالت : **«والتمست اسم يعقوب فلم أقدر عليه»**(١) فهي تريد أن تقول : يعقوب ، فغاب عنها اسمه ، فلعلها في وقت قدرت ، وفي وقت لم تقدر ، ثم ذكرت الآية : ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف : ١٨] ، ولو كانت آية : ﴿ٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَٰبَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوٓاْ إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّآ إِلَيْهِ رَٰجِعُونَ﴾ [البقرة : ١٥٦] نزلت قبل ذلك لقالتها ، ولو نزلت على يعقوب لقالها ، ولكن جعلها الله من خصائص هذه الأمة ؛ فهي أحسن من : ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ﴾ .

فنزلت الآيات في براءتها : ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ﴾ [النور : ١١] .

• [٤٣٠٣] في هذا الحديث أن عائشة ﵂ **«أخذتها الحمى»** فلما رجعت من السفر سمعت الناس يتكلمون وكانت قد نقهت ؛ أي : برئت ، فعادت إليها الحمى من جديد ، وفي الحديث الآخر : **«فأصابتها حمى بنافض»**(٢) فصارت تنفضها ؛ لأنها ﵂ مظلومة ، فسأل النبي ﷺ عنها فقيل : تنفضها الحمى . فقال : **«لعل في حديث تحدث؟»** يعني : لعل سبب الحمى الحديث الذي تحدث؟ وهو حديث الإفك .

«قالت : نعم» أي : هو بسببه .

قولها : **«وقعدت عائشة ، قالت : مثلي ومثلكم كيعقوب وبنيه»** أي : قال لبنيه : ﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًا فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾ [يوسف : ١٨] .

* * *

---

(١) علقه البخاري (٤٧٥٧) ، ووصله الترمذي (٣١٨٠) .
(٢) أحمد (٦/ ٣٦٧) ، والبخاري (٤١٤٣) .

المتن

[١٧٣/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾ [يوسف: ٢٣]

﴿مَثۡوَىٰهُ﴾ [يوسف: ٢١]: مقامه.

﴿وَأَلۡفَيَا﴾ [يوسف: ٢٥]: وجدا.

﴿أَلۡفَوۡاْ ءَابَآءَهُمۡ﴾ [الصافات: ٦٩]

﴿أَلۡفَيۡنَا﴾ [البقرة: ١٧٠]

قال عكرمة: ﴿هَيۡتَ﴾ [يوسف: ٢٣] بالحورانية هلم.

وقال ابن جبير: تعاله.

• [٤٣٠٤] حدثني أحمد بن سعيد، قال: حدثنا بشر بن عمر، قال: حدثنا شعبة، عن سليمان، عن أبي وائل، عن ابن مسعود قال: قالت: «هِيتُ»، وقال: وإنما نقرؤها كما عُلِّمْنَاها.

وعن ابن مسعود: «بَلْ عَجِبْتُ وَيَسْخَرُونَ».

• [٤٣٠٥] حدثنا الحميدي، قال: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، عن عبدالله، أن قريشا لما أبطئوا على النبي ﷺ بالإسلام قال: «**اللهم اكفنيهم بسبع كسبع يوسف**»، فأصابتهم سنة حصت كل شيء، حتى أكلوا العظام، حتى جعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى بينه وبينها مثل الدخان، قال الله ﷻ: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ [الدخان: ١٠]، قال الله ﷻ: ﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ﴾ [الدخان: ١٥]، أفيكشف العذاب عنهم يوم القيامة وقد مضى الدخان ومضت البطشة؟

الشرح

هذا الباب على هذه الآية: ﴿وَرَٰوَدَتۡهُ ٱلَّتِي هُوَ فِي بَيۡتِهَا عَن نَّفۡسِهِۦ وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ وَقَالَتۡ هَيۡتَ لَكَۚ﴾ [يوسف: ٢٣].

قوله: «﴿وَرَٰوَدَتۡهُ﴾» أي امرأة العزيز، والضمير عائد إلى يوسف، يعني دعته إلى نفسها.

قوله: «﴿وَغَلَّقَتِ ٱلۡأَبۡوَٰبَ﴾» أغلقت الأبواب حتى لا يأتي أحد.

قوله : «﴿وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ﴾» يعني : تعال .

قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ [يوسف : ٢٤] أي : فلولا فضل الله لمال إليها ؛ فهو رجل شاب في قوة شبابه والمرأة أيضًا تدعوه إلى نفسها ، وتغلق الأبواب ليكون آمنا ، وذكر العلماء أن زوجها ليس عنده القوة ، فهي قوية الشخصية ومسيطرة عليه ولا تخشى منه ، ﴿قَالَ مَعَاذَ ٱللَّهِ إِنَّهُۥ رَبِّىٓ أَحْسَنَ مَثْوَاىَ﴾ [يوسف : ٢٣] قال الله : ﴿كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف : ٢٤] وهذا يدل على أن يوسف عليه الصلاة والسلام نجاه الله وسلمه من هذه المحنة ، فرغم قوة الدواعي عصمه الله .

قوله : «﴿مَثْوَىٰهُ﴾» [يوسف : ٢١] فسرها فقال : **«مقامه»** .

قوله : **«﴿وَأَلْفَيَا﴾ : وجدا ﴿أَلْفَوْا﴾ ﴿أَلْفَيْنَا﴾** [البقرة : ١٧٠]» يعني قوله تعالى : ﴿وَأَلْفَيَا سَيِّدَهَا لَدَا ٱلْبَابِ﴾ [يوسف : ٢٥] معناه : وجدا ، وكذلك قوله تعالى : ﴿أَلْفَوْا۟ ءَابَآءَهُمْ ضَآلِّينَ﴾ [الصافات : ٦٩] يعني : وجدوا آباهم ضالين .

قوله : **«قال عكرمة : ﴿هَيْتَ﴾ بالحورانية هلم . وقال ابن جبير : تعاله»** . فسر كلمة : ﴿هَيْتَ لَكَ﴾ [يوسف : ٢٣] بهلم وتعال .

• [٤٣٠٤] قوله : **«هِيت لك»** ثم قال : **«وإنما نقرؤها كما علمناها»** .

قوله : **«وعن ابن مسعود قال : «بل عَجِبتُ ويَسْخَرُونَ»»** هذه الآية في سورة الصافات ومناسبة مجيء البخاري رَحِمَهُ اللهُ بهذه الآية هنا كما قال الكرماني أن ابن مسعود يقرأ : **«بل عَجِبْتُ»** بضم التاء كما كان يقرأ : **«هيتُ لَكَ»** بضم التاء أما في قراءة حفص : ﴿بَلْ عَجِبْتَ وَيَسْخَرُونَ﴾ [الصافات : ١٢] فيكون الخطاب للنبي ﷺ والعجب من النبي ﷺ وفي القراءة الأخرى يكون الضمير لله وفيه إثبات صفة العجب لله .

وأنكر شريح قراءة الضم في : **«عَجِبْتُ»** وعلل ذلك بأن الله لا يعجب ، إنما يعجب من لا يعلم وهذا غلط منه ؛ لأن الله يعجب عجب العالم ، وقد ورد أن الله يعجب في أحاديث منها حديث : **«عجب الله من قوم يدخلون الجنة في السلاسل»**[1] وحديث **«يعجب ربك من الشاب ليست له صبوة»**[2] والعجب وصف يليق بالله ﷻ كسائر صفاته لا يكيف ، ولا

(١) أحمد (٢/ ٣٠٢) ، والبخاري (٣٠١٠) .
(٢) أحمد في «المسند» (٤/ ١٥١) .

يلزم أن يكون عجبه كعجب المخلوق ؛ لأن المخلوق يعجب لكونه جاهلًا ، أما الله فلا يشبه عجبه عجب المخلوق ، بل هو عجب يليق به .

• [٤٣٠٥] قوله : **«أن قريشا لما أبطئوا على النبي ﷺ بالإسلام قال : اللهم اكفنيهم بسبع كسبع يوسف»** سبع يوسف هي ما أخبر الله من رؤية الملك سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف فعبرها يوسف عليه السلام فقال : **﴿قَالَ تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ دَأَبًا﴾** يعني خصبًا **﴿فَمَا حَصَدتُّمْ فَذَرُوهُ فِي سُنبُلِهِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُلُونَ ۝ ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذَٰلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ﴾** جدب **﴿يَأْكُلْنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَهُنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تُحْصِنُونَ﴾** [يوسف : ٤٧ - ٤٨] فالنبي ﷺ دعا عليهم .

قوله : **«فأصابتهم سنة حصت كل شيء حتى أكلوا العظام»** يعني من شدة الجوع .

قوله : **«حتى جعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى بينه وبينها مثل الدخان»** فيسقط من شدة الجوع .

قوله : **«قال الله ﷻ : ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾** [الدخان : ١٠]**»** فسر ابن مسعود الدخان بهذا الذي حدث لقريش من الجدب الذي أصابهم .

قوله : **«قال الله ﷻ : ﴿إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَائِدُونَ﴾** [الدخان : ١٥] **أفيكشف العذاب عنهم يوم القيامة؟!»** أخبر الله ﷻ أنه سيكشف العذاب ولو كان عذاب يوم القيامة فلا يكشف فهذا دليل على أنه عذاب في الدنيا ولهذا أخبر أنه يكشف .

قوله : **«وقد مضى الدخان»** أي : الذي رأته قريش من شدة الجوع .

قوله : **«ومضت البطشة»** يعني يوم بدر ؛ قال الله تعالى : **﴿يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾** [الدخان : ١٦] حيث أصابتهم الهزيمة والنكسة .

وهذا هو الذي ذهب إليه ابن مسعود رضي الله عنه وجماعة من أن الدخان مضى ، والصواب أنهما دخانان دخان مضى وهو الجدب الذي أصابهم والدخان الثاني يكون في آخر الزمان وهو أحد أشراط الساعة الكبرى وهو دخان يملأ ما بين السماء والأرض يصيب المؤمن منه كهيئة الزكام ويؤذي الكافر حتى يدخل في أذنيه ومنخريه وفمه ، وابن مسعود أنكر على قاص يتكلم ويقول : إن الدخان سيأتي ، وهذا على حسب علمه رضي الله عنه .

***

المتن

[١٧٤/ ٥٦] باب قوله تعالى:

﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٥٠]

﴿قُلْنَ حَٰشَ﴾ [يوسف: ٥١] وحاشي: تنزيه واستثناء.

﴿حَصْحَصَ﴾ [يوسف: ٥١]: وضح.

• [٤٣٠٦] حدثني سعيد بن تليد، قال: حدثنا عبدالرحمن بن القاسم، عن بكر بن مضر، عن عمرو بن الحارث، عن يونس بن يزيد، عن ابن شهاب، عن سعيد بن المسيب وأبي سلمة بن عبدالرحمن، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«يرحم الله لوطا، لقد كان يأوي إلى ركن شديد، ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي، ونحن أحق من إبراهيم إذ قال له: ﴿أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى﴾ [البقرة: ٢٦٠]»**.

الشرح

قوله: «**باب قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَآءَهُ ٱلرَّسُولُ قَالَ ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ﴾** [يوسف: ٥٠]» هذه الآية فيها أن يوسف عليه السلام لما سجن ولبث في السجن بضع سنين وجاءه الرسول من قبل الملك يقول له: اخرج من السجن، امتنع يوسف من الخروج حتى تحصل براءته فقال: ﴿ٱرْجِعْ إِلَىٰ رَبِّكَ فَسْـَٔلْهُ مَا بَالُ ٱلنِّسْوَةِ ٱلَّٰتِى قَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ إِنَّ رَبِّى بِكَيْدِهِنَّ عَلِيمٌ﴾ فرجع إلى النسوة فسألهن ﴿قَالَ مَا خَطْبُكُنَّ إِذْ رَٰوَدتُّنَّ يُوسُفَ عَن نَّفْسِهِۦ﴾ أي ما شأنكن؟ فاعترفن بأنه بريء ﴿قُلْنَ حَٰشَ لِلَّهِ﴾ تنزيه واستثناء ﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِن سُوٓءٍ﴾ فظهرت براءة يوسف عليه السلام ﴿قَالَتِ ٱمْرَأَتُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْـَٰٔنَ حَصْحَصَ ٱلْحَقُّ﴾ أي بان ووضح ﴿أَنَا۠ رَٰوَدتُّهُۥ عَن نَّفْسِهِۦ وَإِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝ ذَٰلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّى لَمْ أَخُنْهُ بِٱلْغَيْبِ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى كَيْدَ ٱلْخَآئِنِينَ﴾ [يوسف: ٥٠ – ٥٢] فلما ظهرت براءته خرج من السجن.

• [٤٣٠٦] قوله: «**يرحم الله لوطا، لقد كان يأوي إلى ركن شديد**» في قوله عليه السلام لما جاءه الأضياف وهم الملائكة وجاءه قومه يريدونهم صار يدافعهم، فقال الله على لسانه: ﴿لَوْ أَنَّ لِى بِكُمْ قُوَّةً أَوْ ءَاوِىٓ إِلَىٰ رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ [هود: ٨٠] ومراد لوط عليه السلام بالركن الشديد من البشر، ومراد النبي ﷺ بالركن الشديد الله ﷻ.

قوله : «**ولو لبثت في السجن ما لبث يوسف لأجبت الداعي**» وهذا تواضع من نبينا ﷺ، أما يوسف عليه السلام فقال : لا أخرج حتىٰ تظهر براءتي، وهذا فيه بيان فضل يوسف وصبره عليه السلام.

قوله : «**ونحن أحق من إبراهيم**» قد تقدم الحديث في سورة البقرة وفي أحاديث الأنبياء، والمقصود : أحق بالشك من إبراهيم إذ قال : ﴿**أَوَلَمْ تُؤْمِن قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِى**﴾ [البقرة : ٢٦٠] وهذا من باب التواضع واعتراف بالحق لأهله وإلا فنبينا ﷺ أفضل من يوسف وأفضل من أبيه إبراهيم، وجعل النبي ﷺ الدرجة ما بين الخبر والمشاهدة شكًّا، وهي الدرجة التي بين علم اليقين الحاصل بخبر الله، وبين عين اليقين الحاصل بالمشاهدة، وقد شهد إبراهيم موت الطيور وإحياءها فحصل له عين اليقين، فجعل إبراهيم عليه السلام الدرجة التي بين علم اليقين وعين اليقين جعلها شكًّا وسماها شكًّا.

❊ ❊ ❊

المَتْنُ

[١٧٥/ ٥٦] باب قوله ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ [يوسف: ١١٠]

• [٤٣٠٧] حدثنا عبدالعزيز بن عبدالله، قال: حدثنا إبراهيم بن سعد، عن صالح، عن ابن شهاب، قال: أخبرني عروة بن الزبير، عن عائشة قالت وهو يسألها عن قول الله ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ [يوسف: ١١٠] قال: قلت: أكُذِبوا أم كُذِّبوا؟ قالت عائشة: كُذِّبوا، قلت: فقد استيقنوا أن قومهم كذبوهم، فما هو بالظن، قالت: أجل لعمري، لقد استيقنوا بذلك، فقلت لها: وظنوا أنهم قد كذبوا؟ قالت: معاذ الله، لم تكن الرسل تظن ذلك بربها، قلت: فما هذه الآية؟ قالت: هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم، وطال عليهم البلاء، واستأخر عنهم النصر، حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم، جاءهم نصر الله عند ذلك.

• [٤٣٠٨] حدثنا أبو اليمان، قال: أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني عروة فقلت: لعلها: كذبوا مخففة، قالت: معاذ الله... نحوه.

الشَّرْحُ

• [٤٣٠٧، ٤٣٠٨] قوله: «**قالت وهو يسألها عن قول الله ﷻ: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾ قال: قلت: أكُذِبوا أم كُذِّبوا؟**» هذه الآية: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسْتَيْـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ﴾ [يوسف: ١١٠] فيها قراءتان: قراءة: ﴿قَدْ كُذِبُواْ﴾ بالتخفيف، وقراءة: «**قد كُذِّبوا**» بالتشديد.

قوله: «**قالت عائشة: كُذِّبوا**» أنكرت عائشة ﵂ إحدى القراءتين، وهذا محمول على أنها لم تبلغها.

قوله: «**فقد استيقنوا أن قومهم كذبوهم، فما هو بالظن**» لما قالت عائشة ﵂ لعروة: إن القراءة بالتثقيل. استشكل الظن وقال: ما معنى الظن في قوله: ﴿وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُواْ﴾؟ ولم لم يأت اليقين؟

قولها : «**أجل لعمري ، لقد استيقنوا بذلك**» لعمري تأكيد للكلام وليست قسما ، وجاءت هذه الكلمة في بعض الآثار[1] ، وترد على ألسنة بعض أهل العلم كابن القيم أحيانا يقول في كتبه : لعمري ، و«**أجل**» كلمة جواب .

قوله : «**وظنوا أنهم قد كذبوا؟ قالت : معاذ الله**» هذا قول عروة ، وهو فقيه يناقش خالته .

قولها : «**لم تكن الرسل تظن ذلك بربها**» الرسل لا يظنون ذلك الظن بربهم .

قوله : «**قلت : فما هذه الآية؟**» يعني : ما معناها؟

قولها : «**هم أتباع الرسل الذين آمنوا بربهم وصدقوهم ، وطال عليهم البلاء ، واستأخر عنهم النصر ، حتى إذا استيأس الرسل ممن كذبهم من قومهم ، وظنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم جاءهم نصر الله**» يعني : تقول عائشة رضي الله عنها : إن الرسل عليهم الصلاة والسلام صدقهم قوم وكذبهم قوم فلما طال على الذين آمنوا بهم البلاء واستأخر عنهم النصر ظنت الرسل أن أتباعهم قد كذبوهم بسبب طول البلاء وتأخر النصر ؛ وهذا على قراءة التشديد ، ولكن الآية فيها قراءة أخرى بالتخفيف أنكرتها عائشة رضي الله عنها وهي ثابتة .

وظاهر السياق أن الآية تتحدث عن الرسل لا عن أتباعهم ، ولكن المراد أنهم كذبوا من قبل أنفسهم لا من قبل الله ؛ أي : غلطوا ، وفاعل «**ظنوا**» الرسل ، وقراءة التخفيف ثابتة لكنها لم تبلغ عائشة رضي الله عنها .

* * *

(١) أحمد (١/ ٣١٢) ، والبخاري (١٦١٨) ، ومسلم (١٢٧٧) وغيرهم .

المتن

سورة الرعد

بسم الله الرحمن الرحيم

قال : وقال ابن عباس : ﴿كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ﴾ [الرعد : ١٤] : مثل المشرك الذي عبد مع الله إلها آخر غيره ، كمثل العطشان الذي ينظر إلى ظل خياله في الماء من بعيد ، وهو يريد أن يتناوله ولا يقدر .

وقال غيره : ﴿مُّتَجَٰوِرَٰتٞ﴾ [الرعد : ٤] : متدانيات .

وقال غيره : ﴿ٱلۡمَثُلَٰتُ﴾ [الرعد : ٦] واحدها مَثُلَة ، وهي : الأمثال والأشباه .

وقال : ﴿إِلَّا مِثۡلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ﴾ [يونس : ١٠٢] .

﴿بِمِقۡدَارٍ﴾ [الرعد : ٨] : بقدر .

يقال : ﴿مُعَقِّبَٰتٞ﴾ [الرعد : ١١] : ملائكة حفظة ، تعقب الأولى منها الأخرى ، ومنه قيل العقيب ، يقال : عقبت في أثره .

﴿ٱلۡمِحَالِ﴾ [الرعد : ١٣] : العقوبة .

﴿كَبَٰسِطِ كَفَّيۡهِ إِلَى ٱلۡمَآءِ﴾ [الرعد : ١٤] : ليقبض على الماء .

﴿زَبَدٗا رَّابِيٗا﴾ [الرعد : ١٧] : من ربا يربو .

﴿أَوۡ مَتَٰعٖ زَبَدٞ مِّثۡلُهُۥ﴾ [الرعد : ١٧] المتاع : ما تمتعت به .

﴿جُفَآءٗ﴾ [الرعد : ١٧] يقال : أجفأت القدر إذا غلت فعلاها الزبد ، ثم تسكن فيذهب الزبد بلا منفعة ، فكذلك تميز الحق من الباطل .

﴿يَدۡرَءُونَ﴾ [الرعد : ٢٢] : يدفعون ، درأته عني : دفعته .

﴿سَلَٰمٌ عَلَيۡكُم﴾ [الرعد : ٢٤] أي : يقولون سلام عليكم .

والمتاب : إليه توبتي .

﴿أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ﴾ [الرعد: ٣١]: أفلم يتبين.

«قارعة»: داهية.

﴿فَأَمْلَيْتُ﴾ [الرعد: ٣٢]: أطلتُ لهم في الملي والملاوة، ومنه: ﴿مَلِيًّا﴾ [مريم: ٤٦]، ويقال للواسع الطويل من الأرض: ملي من الأرض.

«أَشَقُّ»: أشد، من المشقة.

«مُعَقِّبَ»: مغير.

وقال مجاهد: ﴿مُّتَجَٰوِرَٰتٌ﴾ [الرعد: ٤] طيبها وخبيثها السباخ.

﴿صِنْوَانٌ﴾ [الرعد: ٤]: النخلتان أو أكثر في أصل واحد.

﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ [الرعد: ٤]: وحدها.

﴿بِمَآءٍ وَٰحِدٍ﴾ [الرعد: ٤]: كصالح بني آدم وخبيثهم؛ أبوهم واحد.

﴿ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ [الرعد: ١٢]: الذي فيه الماء.

﴿كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ﴾ [الرعد: ١٤]: يدعو الماء بلسانه ويشير إليه بيده، فلا يأتيه أبدا.

﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌۢ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد: ١٧]: تملأ بطن كل واد.

﴿زَبَدًا رَّابِيًا﴾ [الرعد: ١٧]: الزبد زبد السيل.

﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ﴾ [الرعد: ١٧]: خبث الحديد والحلية.

الشرح

قوله: **«وقال ابن عباس: ﴿كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ﴾ [الرعد: ١٤] مثل المشرك الذي عبد مع الله إلها آخر غيره، كمثل العطشان الذي ينظر إلى ظل خياله في الماء من بعيد، وهو يريد أن يتناوله ولا يقدر»** هذه الآية في سورة الرعد قال الله تعالى: ﴿لَهُۥ دَعْوَةُ ٱلْحَقِّ ۖ وَٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ﴾ وهم المشركون يدعون الأصنام والأوثان ﴿لَا يَسْتَجِيبُونَ لَهُم بِشَىْءٍ﴾ وضرب الله لهم مثلا فقال: ﴿إِلَّا كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ لِيَبْلُغَ فَاهُ وَمَا هُوَ بِبَٰلِغِهِۦ﴾ [الرعد: ١٣ - ١٤] فكما أن العطشان الذي ينظر إلى ظل خياله في الماء من بعيد وهو يريد أن يتناوله ولا يقدر فكذلك الذي يدعو الأصنام والأوثان لا يستجيبون لهم، وهذا مثل ضربه الله للمشرك.

قوله : وقال غيره : ﴿ مُتَجَـٰوِرَٰتٌ ﴾ [الرعد : ٤] قال : «متدانيات» .

وجاء في الصحيح في غير رواية أبي ذر : وقال غيره : ﴿ وَسَخَّرَ ﴾ [الرعد : ٢] قال : «ذلل» .

قوله : «وقال غيره : ﴿ ٱلْمَثُلَـٰتُ ﴾ [الرعد : ٦]» قال : «واحدها مثلة ، وهي : الأمثال والأشباه» .

قوله : «وقال : ﴿ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ ٱلَّذِينَ خَلَوْا ﴾ [يونس : ١٠٢]» .

قوله : ﴿ بِمِقْدَارٍ ﴾ [الرعد : ٨] فسر قال : «بقدر» .

قوله : «يقال : ﴿ مُعَقِّبَـٰتٌ ﴾ [الرعد : ١١] قال : «ملائكة حفظة ، تعقب الأولى منها الأخرى» ملائكة بالليل وملائكة بالنهار «ومنه قيل : العقيب ، يقال : عقبت في أثره» .

قوله : ﴿ ٱلْمِحَالِ ﴾ [الرعد : ١٣] قال : «العقوبة» .

قوله : ﴿ كَبَـٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ ﴾ [الرعد : ١٤] قال : «ليقبض على الماء» .

قوله : ﴿ زَبَدًا رَّابِيًا ﴾ [الرعد : ١٧] قال : «من ربا يربو» .

قوله : ﴿ أَوْ مَتَـٰعٍ زَبَدٌ مِّثْلُهُۥ ﴾ [الرعد : ١٧] قال : «المتاع : ما تمتعت به» .

قوله : ﴿ جُفَآءً ﴾ يعني في قوله تعالى : ﴿ فَأَمَّا ٱلزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَآءً ۖ وَأَمَّا مَا يَنفَعُ ٱلنَّاسَ فَيَمْكُثُ فِى ٱلْأَرْضِ ﴾ [الرعد : ١٧] قال : «يقال : أجفأت القدر إذا غلت فعلاها الزبد، ثم تسكن فيذهب الزبد بلا منفعة فكذلك تميز الحق من الباطل» .

وجاء في الصحيح في غير رواية أبي ذر : ﴿ ٱلْمِهَادُ ﴾ [الرعد : ١٨] قال : «الفراش» .

قوله : ﴿ يَدْرَءُونَ ﴾ [الرعد : ٢٢] قال : «يدفعون ، درأته عني : دفعته» .

قوله : ﴿ سَلَـٰمٌ عَلَيْكُم ﴾ [الرعد : ٢٤] «أي : يقولون سلام عليكم» وهم الملائكة تقول : سلام عليكم .

قوله : «والمتاب : إليه توبتي» يعني في قوله تعالى : ﴿ وَإِلَيْهِ مَتَابِ ﴾ [الرعد : ٣٠] .

قوله : ﴿ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ﴾ قال : «أفلم يتبين» يعني في قوله تعالى : ﴿ أَفَلَمْ يَاْيْـَٔسِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن لَّوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَهَدَى ٱلنَّاسَ جَمِيعًا ﴾ [الرعد : ٣١] .

قوله : ﴿قَارِعَةٌ﴾ قال : «**داهية**» يعني في قوله تعالى : ﴿وَلَا يَزَالُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُوا قَارِعَةٌ﴾ [الرعد : ٣١] .

قوله : ﴿فَأَمْلَيْتُ﴾ [الرعد : ٣٢] قال : «**أطلت لهم في الملي والملاوة ومنه : ﴿مَلِيًّا﴾** [مريم : ٤٦] **ويقال للواسع الطويل من الأرض : ملي من الأرض**» .

قوله : ﴿أَشَقُّ﴾ [الرعد : ٣٤] قال : «**أشد ، من المشقة**» .

قوله : ﴿مُعَقِّبَ﴾ [الرعد : ٤١] قال : «**مغير**» .

قوله : «**وقال مجاهد : ﴿مُتَجَاوِرَاتٌ﴾** [الرعد : ٤] **طيبها وخبيثها السباخ**» كذا نقلها عنه .

قوله : ﴿صِنْوَانٌ﴾ [الرعد : ٤] قال : «**النخلتان أو أكثر في أصل واحد**» .

قوله : ﴿وَغَيْرُ صِنْوَانٍ﴾ [الرعد : ٤] قال : «**وحدها**» .

قوله : ﴿بِمَآءٍ وَاحِدٍ﴾ [الرعد : ٤] ومع ذلك يتغير طعمه ولونه قال : «**كصالح بني آدم وخبيثهم ؛ أبوهم واحد**» .

قوله : ﴿ٱلسَّحَابَ ٱلثِّقَالَ﴾ [الرعد : ١٢] قال : «**الذي فيه الماء**» .

قوله : ﴿كَبَٰسِطِ كَفَّيْهِ إِلَى ٱلْمَآءِ﴾ [الرعد : ١٤] قال : «**يدعو الماء بلسانه ويشير إليه بيده ، فلا يأتيه أبدًا**» أعاده المصنف رَحِمَهُ ٱللَّهُ مرة ثانية .

قوله : ﴿فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا﴾ [الرعد : ١٧] قال : «**تملأ بطن كل واد**» .

قوله : ﴿زَبَدًا رَّابِيًا﴾ [الرعد : ١٧] قال : «**الزبد زبد السيل**» .

قوله : ﴿زَبَدٌ مِّثْلُهُ﴾ [الرعد : ١٧] قال : «**خبث الحديد والحلية**» .

* * *

المتن

[١٧٦/ ٥٦] باب قوله تعالى:
﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ﴾ [الرعد: ٨]

﴿وَغِيضَ﴾ [هود: ٤٤]: نقص.

• **[٤٣٠٩]** حدثني إبراهيم بن المنذر، قال: حدثنا معن، قال: حدثني مالك، عن عبدالله بن دينار، عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ قال: **«مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله، ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»**.

الشرح

قوله: «باب قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ﴾ [الرعد: ٨] قال: «﴿وَغِيضَ﴾ [هود: ٤٤]: نقص».

• [٤٣٠٩] قوله: «مفاتح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله» ترجم المؤلف رحمه الله على هذه الآية: ﴿ٱللَّهُ يَعۡلَمُ مَا تَحۡمِلُ كُلُّ أُنثَىٰ وَمَا تَغِيضُ ٱلۡأَرۡحَامُ﴾ إشارة إلى أن هذا أحد مفاتيح الغيب الخمسة التي لا يعلمها إلا الله، فلا يعلم ما في غد، ولا يعلم ما تغيض الأرحام - أي ما تنقص- ولا يعلم ما في الأرحام أذكر أم أنثى - إلا الله سبحانه، وهذا قبل أن يخلق، وقبل أن يعلم الملك؛ فهذه الخمس مفاتيح الغيب.

* * *

المتن

سورة إبراهيم عليه السلام

بسم الله الرحمن الرحيم

قال ابن عباس : ﴿هَادٍ﴾ [الرعد : ٧] : داع .

وقال ابن عيينة : ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [إبراهيم : ٦] : أيادي الله عندكم وأيامه .

وقال مجاهد : ﴿مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم : ٣٤] : رغبتم إليه فيه .

﴿وَلَا خِلَٰلٌ﴾ [إبراهيم : ٣١] : مصدر خاللته خلالا ، ويجوز أيضا جمع خلة وخلال .

﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ [إبراهيم : ٧] : أعلمكم ربكم .

﴿أَيْدِيَهُمْ فِىٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [إبراهيم : ٩] : هذا مثل كفوا عما أمروا به .

﴿مَقَامِى﴾ [إبراهيم : ١٤] : حيث يقيمه الله بين يديه .

﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾ [إبراهيم : ١٦] : قدامه جهنم .

﴿لَكُمْ تَبَعًا﴾ [إبراهيم : ٢١] : واحدها تابع ، مثل : غيب وغائب .

﴿ٱجْتُثَّتْ﴾ [إبراهيم : ٢٦] : استؤصلت .

﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [إبراهيم : ٣] : تلتمسون لها عوجا .

الشرح

قوله : «**قال ابن عباس** : ﴿هَادٍ﴾ قال : **داع**» يعني في قوله تعالى : ﴿وَلِكُلِّ قَوْمٍ هَادٍ﴾ [الرعد : ٧] .

وجاء في «الصحيح» في غير رواية أبي ذر : قال : «**وقال مجاهد : صديد : قيح ودم**» وذلك في قوله تعالى : ﴿وَيُسْقَىٰ مِن مَّآءٍ صَدِيدٍ﴾ [إبراهيم : ١٦] .

قوله : «**وقال ابن عيينة** : ﴿ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ﴾ [إبراهيم : ٦]» قال : «**أيادي الله عندكم وأيامه**» .

قوله : «وقال مجاهد : ﴿مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ﴾ [إبراهيم : ٣٤]» قال : «رغبتم إليه فيه» .

قوله : ﴿وَلَا خِلَٰلٌ﴾ يعني في قوله تعالى : ﴿مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَٰلٌ﴾ [إبراهيم : ٣١] قال : «مصدر خاللته خلالًا ، ويجوز أيضًا جمع خلة وخلال» .

قوله : ﴿وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ﴾ [إبراهيم : ٧] قال : «أعلمكم ربكم» .

قوله : ﴿أَيْدِيَهُمْ فِيٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [إبراهيم : ٩] قال : «هذا مثل كفوا عما أمروا به» والمراد الأمم التي كذبت رسلها .

قوله : ﴿مَقَامِي﴾ قال : «حيث يقيمه الله بين يديه» يعني في قوله تعالى : ﴿ذَٰلِكَ لِمَنْ خَافَ مَقَامِي وَخَافَ وَعِيدِ﴾ [إبراهيم : ١٤] .

قوله : ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ﴾ [إبراهيم : ١٦] قال : «قدامه جهنم» .

قوله : ﴿لَكُمْ تَبَعًا﴾ [إبراهيم : ٢١] قال : «واحدها تابع ، مثل : غيب وغائب» .

وجاء في «الصحيح» في غير رواية أبي ذر : قول الله عن الشيطان : ﴿بِمُصْرِخِكُمْ﴾ [إبراهيم : ٢٢] قال : «استصرخني : استغاثني» .

﴿يَسْتَصْرِخُهُۥ﴾ [القصص : ١٨] : من الصراخ .

قوله : ﴿ٱجْتُثَّتْ﴾ [إبراهيم : ٢٦] قال : «استؤصلت» .

قوله : ﴿تَبْغُونَهَا عِوَجًا﴾ [إبراهيم : ٣] قال : «تلتمسون لها عوجًا» .

* * *

المتن

[١٧٧/ ٥٦] باب قوله تعالى:
﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ﴾ [إبراهيم: ٢٤] الآية

• [٤٣١٠] حدثنا عبيد بن إسماعيل، عن أبي أسامة، عن عبيدالله، عن نافع، عن ابن عمر قال: كنا عند رسول الله ﷺ فقال: **«أخبروني بشجرة شبه - أو كالرجل - المسلم؛ لا يتحات ورقها، ولا ولا ولا، تؤتي أكلها كل حين»**، قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلم، فلما لم يقولوا شيئا قال رسول الله ﷺ: **«هي النخلة»**، فلما قمنا قلت لعمر: يا أبتاه، والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة، فقال: ما منعك أن تكلم؟ قال: لم أركم تكلمون، فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئا، قال عمر: لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا.

الشرح

• [٤٣١٠] قوله: **«كنا عند رسول الله ﷺ فقال: أخبروني بشجرة شبه - أو كالرجل - المسلم لا يتحات ورقها»** هذا الحديث على هذه الآية: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ ۝ تُؤْتِي أُكُلَهَا كُلَّ حِينٍ بِإِذْنِ رَبِّهَا﴾ [إبراهيم: ٢٤ - ٢٥] وفيه أن النبي ﷺ ألقى على الصحابة سؤالا، وفيه استحباب إلقاء العالم المسألة على أصحابه؛ ليختبر ما عندهم من العلم مثل قوله ﷺ: **«أتدرون ماذا قال ربكم الليلة»** قالوا: الله ورسوله أعلم، قال: **«أصبح من عبادي مؤمن بي وكافر»**(١).

قوله: **«تؤتي أكلها كل حين»** وذلك لأن كل ما فيها مفيد وطيب، وكل شيء ينتفع به ولا يرمى شيء منها، فالعسيب يجعل منه الخشب، والخوص هناك من يعمل منها الزنبيل وأشباهها، والليف والشوك كذلك، ثم بعد ذلك التمر والرطب والبسر، ولا تيبس لا صيفا ولا شتاء ولا ربيعا ولا خريفا.

---

(١) أحمد (٤/ ١١٧)، والبخاري (٨٤٦)، ومسلم (٧١).

وفي رواية: «فوقع الناس في شجر البوادي»[1] يعني: ذهبوا بأذهانهم بعيدًا إلى شجر البوادي.

قوله: «قال ابن عمر: فوقع في نفسي أنها النخلة، ورأيت أبا بكر وعمر لا يتكلمان، فكرهت أن أتكلم» وفي اللفظ الآخر قال: «فاستحييت».

قوله: «فلما لم يقولوا شيئا قال رسول الله ﷺ: هي النخلة» كما وقع في قلب ابن عمر رضي الله عنهما.

قوله: «فلما قمنا قلت لعمر: يا أبتاه، والله لقد كان وقع في نفسي أنها النخلة، فقال: ما منعك أن تكلم؟ قال: لم أركم تكلمون، فكرهت أن أتكلم أو أقول شيئًا، قال عمر: لأن تكون قلتها أحب إلي من كذا وكذا» فيه أن الصغير عند البحث لا يستصغر نفسه، بل يتكلم بما عنده، وأنه قد يفطن لما لا يفطن إليه الكبير وإن كان الكبير أعلم وأفضل.

* * *

(١) أحمد (٢/ ٦١)، والبخاري (٦١)، ومسلم (٢٨١١).

المتن

[١٧٨/ ٥٦] باب قوله تعالى:

﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: ٢٧]

• [٤٣١١] حدثنا أبو الوليد، قال: نا شعبة، قال: أخبرني علقمة بن مرثد، قال: سمعت سعد بن عبيدة، عن البراء بن عازب، أن رسول الله ﷺ قال: «**المسلم إذا سئل في القبر تَشَهَّدَ أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله، فذلك قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾** [إبراهيم: ٢١]».

الشرح

• [٤٣١١] قوله: «**المسلم إذا سئل في القبر تشهَّد أن لا إله إلا الله، وأن محمدا رسول الله**» هذا الحديث على هذه الآية: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ﴾ [إبراهيم: ٢٧] يعني في أول الآخرة وهو القبر، حين يسأل عن ربه وعن دينه وعن نبيه، وجاء في حديث البراءة وغيره أنه يسأل عن ربه وعن دينه وعن نبيه، فيقول المسلم: الله ربي والإسلام ديني ومحمد نبيي، وهذا من تثبيت الله له، وأما الكافر والفاجر فإنه لا يستطيع أن يجيب؛ فإذا قيل له: من ربك؟ قال: ها ها لا أدري، رأيت الناس يقولون شيئا فقلته. من نبيك؟ يقول: ها ها لا أدري. ما دينك؟ يقول: ها ها لا أدري. فيضرب بمرزبة من حديد ويقال له: لا دريت ولا تليت. يعني: لا عرفت الحق بنفسك ولا تبعت من يعلم الحق ويعمل به، فيصيح صيحة فيسمعها كل شيء إلا الجن والإنس[١].

* * *

(١) أخرجه أحمد (٤/ ٢٩٥) مطولًا، وأخرجه مختصرًا البخاري (١٣٣٨)، ومسلم (٢٨٧٠).

المتن

[١٧٩/ ٥٦] بابُ قوله تعالى:
﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨]

ألم تعلم كقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟﴾ [البقرة: ٢٤٣].

﴿ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨]: الهلاك.

﴿قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفرقان: ١٨]: هالكين، بار يبور بورا.

• [٤٣١٢] حدثنا علي بن عبدالله، قال: نا سفيان، عن عمرو، عن عطاء، سمع ابن عباس: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨]، قال: هم كفار أهل مكة.

الشرح

• [٤٣١٢] قوله: «ابن عباس: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ كُفْرًا﴾ [إبراهيم: ٢٨] قال: «هم كفار أهل مكة» وذلك لأن الله تعالى أنعم عليهم ببعثة محمد ﷺ فكفروا هذه النعمة ولم يؤمنوا برسالته ﷺ فبدلوا نعمة الله كفرًا.

قوله: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ يعني ألم تعلم يا محمد كقوله: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُوا۟﴾ [البقرة: ٢٤٣].

وقوله: ﴿ٱلْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨] يعني الهلاك كقوله: ﴿قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفرقان: ١٨] يعني: «هالكين».

وهذه الآية نزلت في أهل مكة ولكنها عامة تشمل كل من لم يؤمن بالنبي ﷺ؛ لأنه قد بدل نعمة الله كفرا.

وذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ من رواية الطبري عن ابن عباس أنه سأل عمر عن هذه الآية فقال: من هم؟ قال: هم الأفجران من بني مخزوم وبني أمية أخوالي وأعمامك؛ فأما أخوالي فاستأصلهم الله يوم بدر، وأما أعمامك فأملى الله لهم إلى حين.

* * *

المتن

سورة الحجر

بسم الله الرحمن الرحيم

وقال مجاهد : ﴿صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾ [الحجر : ٤١] : الحق يرجع إلى الله وعليه طريقه ، ﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر : ٧٩] : على الطريق .

﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا﴾ [الحجر : ٧] : هلا تأتينا .

﴿سُكِّرَتْ﴾ [الحجر : ١٥] : غشيت .

﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر : ٧٩] الإمام : كل ما ائتممت به واهتديت به .

﴿ٱلصَّيْحَةُ﴾ [الحجر : ٧٣] : الهلكة .

﴿كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ : أجل .

﴿شِيَعِ﴾ [الحجر : ١٠] : أمم ، وللأولياء أيضا شيع .

الشرح

قوله : «**وقال مجاهد : ﴿صِرَٰطٌ عَلَيَّ مُسْتَقِيمٌ﴾** [الحجر : ٤١] قال : «**الحق يرجع إلى الله وعليه طريقه**» .

قوله : ﴿لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ﴾ [الحجر : ٧٩] قال : «**على الطريق**» يعني : أمامهم على طريقهم يمرون عليهم .

وجاء في الصحيح من غير رواية أبي ذر : قوله : «**قال ابن عباس : ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾** [الحجر : ٧٢]» قال : «**العيشك**» .

وقوله : ﴿قَوْمٌ مُّنكَرُونَ﴾ [الحجر : ٦٢] قال : «**أنكرهم لوط**» ؛ لأنهم أتوا إليه ولا يعرفهم .

وقوله : ﴿كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الحجر : ٤] قال : «**أجل**» .

قوله : ﴿لَّوْ مَا تَأْتِينَا﴾ [الحجر : ٧] قال : «**هلا تأتينا**» .

قوله : ﴿ شِيَعِ ﴾ [الحجر : ١٠] قال : «أمم ، وللأولياء أيضا شيع» .

وقوله : ﴿ يُهْرَعُونَ ﴾ [هود : ٧٨] قال : «مسرعين» .

وقوله : ﴿ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴾ [الحجر : ٧٥] قال : «للناظرين» .

قوله : ﴿ سُكِّرَتْ ﴾ [الحجر : ١٥] قال : «غشيت» .

وجاء في الصحيح من غير رواية أبي ذر : قال : ﴿ بُرُوجًا ﴾ [الحجر : ١٦] قال : «منازل للشمس والقمر» .

وقوله : ﴿ وَأَرْسَلْنَا ٱلرِّيَٰحَ ﴾ [الحجر : ٢٢] قال : «ملاقح ملقحة» .

وقوله : ﴿ مِّنْ حَمَإٍ مَّسْنُونٍ ﴾ [الحجر : ٢٦] قال : «حمأ جماعة حمأة وهو الطين المتغير بعد الخلط . والمسنون : المصبوب» .

وقوله : ﴿ لَا تَوْجَلْ ﴾ [الحجر : ٥٣] قال : «لا تخف» .

وقوله : ﴿ وَقَطَعْنَا دَابِرَ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ ﴾ [الأعراف : ٧٢] قال : «دابر آخر» .

قوله : ﴿ لَبِإِمَامٍ مُّبِينٍ ﴾ [الحجر : ٧٩] قال : «الإمام : كل ما ائتممت به واهتديت به» فسرها مرة أخرى .

قوله : ﴿ ٱلصَّيْحَةُ ﴾ [الحجر : ٧٣] قال : «الهلكة» .

* * *

المتن

[١٨٠/ ٥٦] باب قوله تعالى:

﴿إِلَّا مَنِ ٱسۡتَرَقَ ٱلسَّمۡعَ فَأَتۡبَعَهُۥ شِهَابٞ مُّبِينٞ﴾ [الحجر: ١٨]

• [٤٣١٣] حدثنا علي بن عبدالله، قال: نا سفيان، عن عمرو، عن عكرمة، عن أبي هريرة يبلغ به النبي ﷺ قال: **«إذا قضي الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خُضْعَانا لقوله، كأنه سلسلة على صفوان»**، قال علي: وقال غيره: **«صفوان يَنْفُذُه ذلك، فإذا فزع عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم قالوا للذي قال: الحق وهو العلي الكبير، فيسمعها مسترقي السمع، ومسترقي السمع هكذا واحد فوق آخر»**، ووصف سفيان بيده؛ ففرج بين أصابعه اليمنى، نصبها بعضها فوق بعض، **«فربما أدرك الشهاب المستمع قبل أن يَرمي بها إلى صاحبه فيحرقه، وربما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه، إلى الذي هو أسفلُ منه حتى يلقوها إلى الأرض»**، وربما قال سفيان: **«حتى ينتهي إلى الأرض، فتلقى على فم الساحر، فيكذب معها مائة كذبة فيُصَدَّق، فيقولون: ألم يُخْبِرُونا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا؟ فوجدناه حقا للكلمة التي سمعت من السماء»**.

ونا سفيان، حدثنا عمرو، عن عكرمة، عن أبي هريرة: إذا قضى الله الأمر، وزاد والكاهن.

وحدثنا سفيان، قال: قال عمرو: سمعت عكرمة يقول: حدثنا أبو هريرة قال: إذا قضى الله الأمر، وقال: على فم الساحر.

قلت لسفيان: قال: سمعت عكرمة، قال: سمعت أبا هريرة؟ قال: نعم.

قلت لسفيان: إن إنسانا روى عنك، عن عمرو، عن عكرمة، عن أبي هريرة ويرفعه، أنه قرأ: ﴿فُرِّغَ﴾ [سبأ: ٢٣].

قال سفيان: هكذا قرأ عمرو، فلا أدري سمعه هكذا أم لا؟ قال سفيان: وهي قراءتنا.

الشَّرْحُ

• [٤٣١٣] قوله: «**إذا قضي الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها**» وفي اللفظ الآخر: «**إذا قضى الله الأمر**»[١].

قوله: «**خضعانا لقوله**» خضعانا فيها وجهان:

الوجه الأول: فتح الخاء والعين.

والوجه الثاني: بضم الخاء وفتح العين.

وفيه إثبات الكلام لله ﷻ والرد على المعتزلة الذين يقولون: إن القرآن مخلوق.

وهذا الحديث على قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جَعَلْنَا فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا وَزَيَّنَّاهَا لِلنَّاظِرِينَ ۝ وَحَفِظْنَاهَا مِن كُلِّ شَيْطَانٍ رَّجِيمٍ ۝ إِلَّا مَنِ اسْتَرَقَ السَّمْعَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ مُّبِينٌ﴾ [الحجر: ١٦-١٨] فالله تعالى حفظ السماء من الشياطين لكن من استرق السمع تتبعه الشهب وتحرقه.

قوله: «**كأنه سلسلة على صفوان**» وفي لفظ: «**كالسلسلة**»[٢] يعني الصوت المسموع من كلام الله كالسلسلة على الصفوان، والصفوان الحجر الأملس يعني: صوت قوي.

قوله: «**قال علي**» هو علي بن عبدالله المديني شيخ المؤلف رحمه الله.

قوله: «**وقال غيره: صفوان ينفذه ذلك**» يعني: ينفذهم كلام الله كالسلسلة على صفوان.

قوله: «**فإذا فزع عن قلوبهم**» زال الفزع من قلوبهم.

قوله: ﴿قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُوا﴾ [سبأ: ٢٣] يعني: «**للذي قال**».

قوله: ﴿الْحَقَّ﴾ [سبأ: ٢٣] فيه إثبات القول لله ﷻ.

قوله: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣] فيه إثبات اسم العلي واسم الكبير لله ﷻ.

وفي رواية عكرمة عن أبي هريرة يرفعه أنه قال: ﴿فُزِّعَ﴾ [سبأ: ٢٣] قال: هذه قراءتنا، وفي قراءة: «**فرغ**» بالراء المهملة والغين المعجمة؛ من التفريغ.

---

(١) أحمد (١/ ٢١٨)، والبخاري (٤٧٠١).

(٢) أحمد (١/ ٢١٨)، والبخاري (٤٧٠١).

قوله : «**فيسمعها مسترقي السمع ، ومسترقي السمع هكذا واحد فوق آخر ، ووصف سفيان بيده ؛ ففرج بين أصابعه اليمنى ، نصبها بعضها فوق بعض**» يعني : لم يبسطها بل فرج بين أصابعه وجعلها غير متلاصقة على صورة واحد فوق آخر حتى يصل إلى السماء ، غير متلاصقين .

وسفيان هذا هو ابن عيينة لا الثوري ؛ لأن علي بن المديني لم يدرك سفيان الثوري وتتلمذ على ابن عيينة .

قوله : «**فربما أدركه الشهاب المستمع قبل أن يرمي بها إلى صاحبه فيحرقه ، وربما لم يدركه حتى يرمي بها إلى الذي يليه ، إلى الذي هو أسفلُ منه حتى يلقوها إلى الأرض**» يعني : يتكلم الملائكة بالوحي فيتكلم أهل السماء السابعة ثم يصل إلى السماء السادسة حتى يصل إلى السماء الدنيا ثم يتكلم به الملائكة في السحاب فيسمع الشيطان قول الملائكة في السحاب فيسترق السمع ثم يلقيه إلى من تحته ويلقيه الثاني إلى من تحته والشهب تلاحقهم وتحرقهم حتى تصل إلى الشيطان الذي في الأسفل ، والشيطان الذي في الأسفل يلقي الكلمة في أذن الكاهن يقرقرها كقر الدجاجة : قر قر قر . أحيانا يحرقه الشهاب قبل أن يلقي الكلمة على لسان الكاهن ، وأحيانا يلقي الكلمة على لسان الكاهن .

وفي هذا دليل على أن الشياطين كثيرون ويولدون بكثرة ؛ فكل إنسان معه قرين .

قوله : «**وربما قال سفيان : حتى ينتهي إلى الأرض فتلقى على فم الساحر ، فيكذب معها مائة كذبة فيُصدق فيقولون : ألم يخبرونا يوم كذا وكذا يكون كذا وكذا؟ فوجدناه حقا للكلمة التي سمعت من السماء**» يعني : إذا وصلت هذه الكلمة الحق التي سمعت من السماء إلى الكاهن كذب معها مائة كذبة وأخبر الناس بهذه الأخبار التي واحدة منها من السماء صادقة ، والباقي كذب ؛ فالناس يصدقون هذا الكاهن في جميع الكذب من أجل واحدة ؛ يقول العلماء : وهذا فيه قبول الناس للشر ؛ فكيف يعتبرون بالواحدة ولا يعتبرون بالمائة؟! فإذا قيل للناس : لا تصدقوا الكاهن ، قالوا : أليس قد قال يوم كذا : كذا وكذا ، فوقع ، وتكون هي الكلمة التي سمعت من السماء ؛ فيصدقونه في الكذب من أجل واحدة ، والواجب أن يكذب من أجل كذبه ؛ لأن الكذب هو الغالب عليه .

* * *

المتن

[١٨١/ ٥٦] **باب قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الحجر: ٨٠]

• [٤٣١٤] حدثني إبراهيم بن المنذر، قال: نا معن، قال: حدثني مالك، عن عبدالله بن دينار، عن عبدالله بن عمر، أن رسول الله ﷺ قال لأصحاب الحجر: «**لا تدخلوا على هؤلاء القوم إلا أن تكونوا باكين، فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم؛ أن يصيبكم مثل ما أصابهم**».

الشرح

قوله: «**باب قوله تعالى:** ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الحجر: ٨٠]» هم ثمود قوم صالح.

• [٤٣١٤] قوله: «**أن رسول الله ﷺ قال لأصحاب الحجر: لا تدخلوا على هؤلاء القوم إلا أن تكونوا باكين فإن لم تكونوا باكين فلا تدخلوا عليهم؛ أن يصيبكم مثل ما أصابهم**» نهاهم النبي ﷺ عن دخولها إلا على هيئة البكاء ومنعهم أن يشربوا إلا من بئر الناقة ولما عجنوا العجين من الآبار أمرهم أن يعلفوها الإبل(١)، وفيه تحريم دخول ديار المعذبين كأصحاب الحجر وغيرهم وأصحاب الأخدود إلا للعظة والاعتبار وعلى حالة البكاء أو التباكي؛ خشية العذاب وأن يصيبهم ما أصابهم، وفي لفظ: «**لا تدخلوا على هؤلاء المعذبين**»(٢) وفي لفظ: «**لا تدخلوا مساكن الذين ظلموا أنفسهم**»(٣)، وهذا كله يفيد تحريم الدخول إلا على وجه التباكي للعظة والعبرة.

***

(١) أحمد (٢/ ١١٧)، والبخاري (٣٣٧٨).

(٢) أحمد (٢/ ٥٨)، والبخاري (٤٣٣).

(٣) أحمد (٢/ ٦٦)، والبخاري (٣٣٨٠)، ومسلم (٢٩٨٠).

المتن

[١٨٢/ ٥٦] بابُ قوله تعالى:

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ﴾ [الحجر: ٨٧]

• [٤٣١٥] حدثني محمد بن بشار، قال: نا غندر، قال: نا شعبة، عن خبيب بن عبدالرحمن، عن حفص بن عاصم، عن أبي سعيد بن المعلى قال: مر بي النبي ﷺ وأنا أصلي، فدعاني فلم آته حتى صليت، ثم أتيت، فقال: **«ما منعك أن تأتي؟»**، فقلت: كنت أصلي، فقال: **«ألم يقل الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسْتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ﴾** [الأنفال: ٢٤] **؟! ألا أعلمك أعظم سورة في القرآن قبل أن أخرج من المسجد؟»**، فذهب النبي ﷺ ليخرج فذكرته، فقال: **«الحمد لله رب العالمين؛ هي السبع المثاني، والقرآن العظيم الذي أوتيته»**.

• [٤٣١٦] حدثنا آدم، قال: نا ابن أبي ذئب، قال: نا سعيد المقبري، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«أم القرآن هي السبع المثاني، والقرآن العظيم»**.

الشرح

• [٤٣١٥] قوله: **«مر بي النبي ﷺ وأنا أصلي، فدعاني فلم آته حتى صليت»** فيه أنه يجب على الإنسان في حياة النبي ﷺ أن يجيبه ﷺ إذا دعاه ولو في الصلاة؛ لهذه الآية، أما الوالد فإذا دعا ابنه فلا يجيبه في الفريضة أما في النافلة ففيه تفصيل؛ فإذا كان الوالد يتأثر ولا يسمح فإنه يقطع النافلة ويجيبه، وإن كان لا يتأثر فيشير إليه أو يسبح حتى يعلم أنه في الصلاة؛ لأن طاعة الوالد فرض وهذه نافلة، والفرض مقدم على النافلة.

قوله: **«فقال: الحمد لله رب العالمين هي السبع المثاني والقرآن العظيم الذي أوتيته»** فيه أن الفاتحة هي السبع المثاني، سميت كذلك؛ لأنها تثنى في كل ركعة وأنها سبع آيات بدون البسملة أولها: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الفاتحة: ٢] وآخرها: ﴿غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ﴾ [الفاتحة: ٧] وأما: ﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ١] فهي آية للفصل بين

السور ، وهي آية في أول كل سورة ما عدا براءة ، وهي بعض آية من سورة النمل : ﴿إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَـٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ٱلرَّحِيمِ﴾ [النمل : ٣٠] والفاتحة لها أسماء منها : الحمد والسبع المثاني وأم الكتاب وأم القرآن ؛ لأنها أصل القرآن ، وذكر الحافظ أحاديث عن علي ، وقال : السبع المثاني فاتحة الكتاب .

• [٤٣١٦] سبق الكلام عليه في الحديث قبله .

* * *

المتن

[١٨٣/ ٥٦] ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر : ٩١]

﴿ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ [الحجر : ٩٠] : الذين حلفوا ، ومنه : «لَا أُقْسِمُ» أي : أقسم ، ويقرأ : لأقسم .

﴿قَاسَمَهُمَآ﴾ [الأعراف : ٢١] : حلف لهما ولم يحلفا له .

وقال مجاهد : ﴿تَقَاسَمُواْ﴾ [النمل : ٤٩] : تحالفوا .

• [٤٣١٧] حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : نا هشيم ، قال : أنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس : ﴿جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر : ٩١] ، قال : هم أهل الكتاب جزءوه أجزاء ؛ فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه .

• [٤٣١٨] حدثنا عبيدالله بن موسىٰ ، عن الأعمش ، عن أبي ظبيان ، عن ابن عباس ، ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ [الحجر : ٩٠] قال : آمنوا ببعض وكفروا ببعض ؛ اليهود والنصارىٰ .

الشرح

قوله : ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر : ٩١] هذه الترجمة علىٰ هذه الآية وفيها ذم للمشركين ، والمعنىٰ : أن أهل الكتاب جعلوه أقساما يؤمنون ببعضه ويكفرون ببعضه ؛ قال الله تعالىٰ : ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِي وَٱلْقُرْءَانَ ٱلْعَظِيمَ ﴿٨٧﴾ لَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ وَقُلْ إِنِّيٓ أَنَا ٱلنَّذِيرُ ٱلْمُبِينُ ﴿٨٩﴾ كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ ﴿٩٠﴾ ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر : ٨٧ - ٩١] .

قوله : ﴿ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ قال : «الذين حلفوا» سموا مقتسمين من القسم .

قوله : «ومنه : ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ [القيامة : ١] أي : أقسم ، ويقرأ : لأقسم» ﴿لَآ﴾ زائدة للتأكيد ، والتقدير : أقسم .

قوله : ﴿وَقَاسَمَهُمَآ﴾ [الأعراف : ٢١] قال : «حلف لهما ولم يحلفا له» .

قوله : «وقال مجاهد : ﴿تَقَاسَمُواْ﴾ [النمل : ٤٩] قال : «تحالفوا» هذا تفسير لكلمة المقتسمين ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ يعني : الذين حلفوا وتقاسموا ، ﴿ٱلَّذِينَ جَعَلُواْ

﴿ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١] يعني: أجزاء يؤمنون ببعضه ويكفرون ببعضه، هددهم الله فقال: ﴿فَوَرَبِّكَ لَنَسْـَٔلَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۝ عَمَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ﴾ [الحجر: ٩٢ - ٩٣].

• [٤٣١٧] قوله: «عن ابن عباس: ﴿جَعَلُوا۟ ٱلْقُرْءَانَ عِضِينَ﴾ [الحجر: ٩١]» قال: «**هم أهل الكتاب جزءوه أجزاء؛ فآمنوا ببعضه وكفروا ببعضه**» فيه التحذير من فعل أهل الكتاب ووجوب الإيمان بجميع القرآن، وأما الوثنيون من أهل مكة فإنهم كفروا بالقرآن كله.

• [٤٣١٨] قوله: «عن ابن عباس» يعني: رواية أخرى، ﴿كَمَآ أَنزَلْنَا عَلَى ٱلْمُقْتَسِمِينَ﴾ [الحجر: ٩٠] قال: «**آمنوا ببعض وكفروا ببعض؛ اليهود والنصارى**» فيه التحذير من فعلهم ووجوب الإيمان بجميع القرآن.

* * *

المتن

[١٨٤/ ٥٦] بابُ قوله تعالى:

﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩]

قال سالم: اليقين: الموت.

الشرح

قوله: «**قال سالم: اليقين: الموت**» هذا هو الحق في تفسير اليقين أنه الموت: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٩] يعني استمر على عبادة الله حتى يأتيك الموت وأنت على ذلك قال الله تعالى: ﴿وَمَا خَلَقۡتُ ٱلۡجِنَّ وَٱلۡإِنسَ إِلَّا لِيَعۡبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] لا كما يقوله الصوفية من أن المراد باليقين العلم وأنه إذا وصل إلى العلم سقطت عنه التكاليف؛ لأن هذا القول ردة عن الإسلام وكفرا بالقرآن، بعض الصوفية يفسرون اليقين بالعلم إذا وصل أحدهم إلى العلم وعلم أن ما قدر سيكون وألغى صفاته وجعلها من صفات الله سقطت عنه التكاليف؛ لأنه تجاوز مرتبة العامة وأصبح في مرتبة الخاصة ويجعلون الرسل كلهم وأتباعهم من العامة أما هم فتجاوزوا هذه الرتبة وهذا كفر وردة بإجماع المسلمين أجمع المسلمون على أن من اعتقد أن هناك أحدا تسقط عنه التكاليف وعقله ثابت معه فإنه مرتد يستتاب فإن تاب وإلا قتل.

* * *

المتن

سورة النحل

بسم الله الرحمن الرحيم

وقال ابن عباس : ﴿فِي تَقَلُّبِهِمْ﴾[النحل : ٤٦] : اختلافهم .

وقال مجاهد : ﴿تَمِيدَ﴾ [النحل : ١٥] : تَكَفَّأُ .

﴿مُفْرَطُونَ﴾ [النحل : ٦٢] : منسيون .

﴿رُوحُ ٱلْقُدُسِ﴾ [النحل : ١٠٢] : جبريل .

﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ﴾ [الشعراء : ١٩٣] .

﴿فِي ضَيْقٍ﴾ [النحل : ١٢٧] يقال : أمر ضيق وضيق ، مثل هين وهين ، ولين ولين ، وميت وميت .

وقال ابن عباس : «تتفيأ ظلاله» : تتهيأ ، ﴿سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا﴾ [النحل : ٦٩] : لا يتوعر عليها مكان سلكته .

وقال غيره : ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ﴾ [النحل : ٩٨] : هذا مقدم ومؤخر ؛ وذلك أن الاستعاذة قبل القراءة ، ومعناها : الاعتصام بالله .

قال ابن عباس : تسيمون : ترعون شاكلته نيته ، ﴿قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ﴾ [النحل : ٩] : البيان .

الدفء : ما استدفأت .

﴿تَخَوُّفٍ﴾ [النحل : ٤٧] : تنقص .

بالعشي ﴿تَسْرَحُونَ﴾ [النحل : ٦] بالغداة .

﴿بِشِقِّ﴾ [النحل : ٧] يعني : المشقة .

﴿ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً﴾ [النحل : ٦٦] وهي تؤنث وتذكر ، وكذلك النعم الأنعام جماعة النعم .

﴿أَكْنَٰنًا﴾ [النحل : ٨١] : واحدها كن ، مثل : حِمْل وأحمال .

﴿سَرَٰبِيلَ﴾ : قمص ﴿تَقِيكُمُ ٱلۡحَرَّ﴾ [النحل : ٨١] .

وأما ﴿وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأۡسَكُمۡ﴾ [النحل : ٨١] : فإنها الدروع .

﴿دَخَلَۢا بَيۡنَكُمۡ﴾ [النحل : ٩٢] : كل شيء لم يصح فهو دخل .

قال ابن عباس : ﴿حَفَدَةٗ﴾ [النحل : ٧٢] : من ولدِ الرجلِ .

السكر : ما حرم من ثمرتها .

والرزق الحسن : ما أَحل الله .

وقال ابن عيينة ، عن صدقة : ﴿أَنكَٰثٗا﴾ [النحل : ٩٢] : هي خرقاء ، كانت إذا أبرمت غزلها نقضته .

وقال ابن مسعود : الأمة : معلم الخير ، والقانت المطيع .

الشرح

قوله : «**وقال ابن عباس : ﴿فِي تَقَلُّبِهِمۡ﴾**» قال : «**اختلافهم**» يعني في قوله تعالى : ﴿أَوۡ يَأۡخُذَهُمۡ فِي تَقَلُّبِهِمۡ فَمَا هُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ [النحل : ٤٦] .

قوله : «**وقال مجاهد : ﴿تَمِيدَ﴾**» قال : «**تكفأ**» يعني في قوله تعالى : ﴿وَأَلۡقَىٰ فِي ٱلۡأَرۡضِ رَوَٰسِيَ أَن تَمِيدَ بِكُمۡ﴾ [النحل : ١٥] .

قوله : ﴿مُّفۡرَطُونَ﴾ [النحل : ٦٢] قال : «**منسيون**» .

قوله : ﴿رُوحُ ٱلۡقُدُسِ﴾ قال : «**جبريل**» . قال الله تعالى : ﴿قُلۡ نَزَّلَهُۥ رُوحُ ٱلۡقُدُسِ مِن رَّبِّكَ بِٱلۡحَقِّ﴾ [النحل : ١٠٢] .

قوله : ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلۡأَمِينُ﴾ [الشعراء : ١٩٣] قال في بعض النسخ : «**هو جبريل**» أيضا .

قوله : «﴿فِي ضَيۡقٖ﴾ [النحل : ١٢٧] **يقال : أمر ضيق وضيق ، مثل : هين وهين ولين ولين وميت وميت**» كلمات معدودة تقال بالتخفيف والتشديد ، وهي خمس كلمات ؛ ذكر المصنف منها أربعة والخامسة : نيف ونيف .

قوله : «**وقال ابن عباس : «تتفيأ ظلاله»**» قال : «**تتهيأ**» وهذه قراءة . وأما عند حفص : ﴿يَتَفَيَّؤُاْ ظِلَٰلُهُۥ﴾ [النحل : ٤٨] .

قوله : ﴿ سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلاً ﴾ [النحل : ٦٩] قال : «لا يتوعر عليها مكان سلكته» يعني النحل ، وهو خطاب من الله تعالى للنحل .

قوله : «وقال غيره : ﴿ فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ﴾ [النحل : ٩٨]» قال : «هذا مقدم ومؤخر» يعني : إذا أردت قراءة القرآن . ثم برر ذلك فقال : «وذلك أن الاستعاذة قبل القراءة ، ومعناها : الاعتصام بالله» .

قوله : «قال ابن عباس : ﴿ تُسِيمُونَ ﴾ [النحل : ١٠]» قال : «ترعون» .

قوله : ﴿ شَاكِلَتِهِۦ ﴾ [الإسراء : ٨٤] قال : «نيته» .

قوله : ﴿ قَصْدُ ٱلسَّبِيلِ ﴾ [النحل : ٩] قال : «البيان» .

قوله : «الدفء» قال : «ما استدفأت به» يعني في قوله تعالى : ﴿ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ ﴾ [النحل : ٥] .

قوله في بعض النسخ : ﴿ تُرِيحُونَ ﴾ [النحل : ٦] قال : «بالعشي» .

قوله : ﴿ تَسْرَحُونَ ﴾ [النحل : ٦] قال : «بالغداة» ؛ لأن الذهاب في الغداة بالبهيمة يسمى سرحا وبالعشي يسمى رواحا .

قوله : ﴿ بِشِقِّ ﴾ قال «يعني : المشقة» وذلك في قوله تعالى : ﴿ لَّمْ تَكُونُواْ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ﴾ [النحل : ٧] .

قوله : ﴿ تَخَوُّفٍ ﴾ من قوله : ﴿ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ ﴾ [النحل : ٤٧] قال : «تنقص» .

قوله : ﴿ ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ﴾ [النحل : ٦٦] قال : «وهي تؤنث وتذكر» تقول : هذه أنعام وهذا أنعام .

قوله : «وكذلك النعم الأنعام جماعة النعم» يعني وهي الإبل .

قوله : ﴿ أَكْنَٰنًا ﴾ [النحل : ٨١] قال : «واحدها كن ، مثل : حمل وأحمال» يعني الشيء الذي يُكنُّه الإنسان ويستره .

قوله : ﴿ سَرَٰبِيلَ ﴾ قال : «قمص ﴿ تَقِيكُمُ ٱلْحَرَّ ﴾ [النحل : ٨١]» .

قوله : «وأما ﴿ وَسَرَٰبِيلَ تَقِيكُم بَأْسَكُمْ ﴾ [النحل : ٨١]» قال : «فإنها الدروع» .

قوله : ﴿دَخَلًا بَيْنَكُمْ﴾ [النحل : ٩٢] قال : **«كل شيء لم يصح فهو دخل»** هذا قول أبي عبيدة . وقيل : **«دخلا»** خيانة وهو عن قتادة ، وقيل : **«الدخل»** الداخل في الشيء ليس منه وهذا هو المتبادر .

قوله : **«قال ابن عباس : ﴿حَفَدَةً﴾** [النحل : ٧٢] قال : **«من ولد الرجل»** والمعروف أن الحفيد ولد الولد .

قوله : **«السكر : ما حرم من ثمرتها»** كذا فسرها يعني في قوله تعالى : ﴿وَمِن ثَمَرَٰتِ ٱلنَّخِيلِ وَٱلْأَعْنَٰبِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا﴾ [النحل : ٦٧] .

قوله : **«والرزق الحسن»** قال : **«ما أحل الله»** . وذلك في قول الله تعالى : ﴿تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا﴾ [النحل : ٦٧] .

قوله : **«وقال ابن عيينة ، عن صدقة : ﴿أَنكَٰثًا﴾»** قال : **«هي خرقاء ، كانت إذا أبرمت غزلها نقضته»** يعني في قوله تعالى : ﴿وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّتِى نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَٰثًا﴾ [النحل : ٩٢] قيل : إن هذه امرأة خرقاء كانت بمكة وكانت تغزل غزلها بالنهار ثم تنقضه بالليل وقيل : هذا مثل لمن نقض عهده بعد توكيده .

قوله : **«وقال ابن مسعود : الأمة : معلم الخير»** يعني في قوله تعالى : ﴿إِنَّ إِبْرَٰهِيمَ كَانَ أُمَّةً﴾ [النحل : ١٢٠] .

قوله : **«والقانت المطيع»** يعني في قوله تعالى : ﴿قَانِتًا﴾ [النحل : ١٢٠] .

* * *

المتن

[١٨٥/ ٥٦] بابُ قوله تعالى:
﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ﴾ [النحل: ٧٠]

• [٤٣١٩] حدثنا موسى بن إسماعيل، قال: نا هارون بن موسى أبو عبدالله الأعور، عن شعيب، عن أنس بن مالك، أن رسول الله ﷺ كان يدعو: **«أعوذ بك من البخل، والكسل، وأرذل العمر، وعذاب القبر، وفتنة الدجال، وفتنة المحيا والممات»**.

الشرح

• [٤٣١٩] قوله: **«أعوذ بك من البخل»** وهو منع الواجب.

قوله: **«والكسل»** أي: التكاسل عن الخيرات مع القدرة عليها.

قوله: **«وأرذل العمر»** أسوءه وهو الخرف وذهاب العقل في آخر العمر، وهذا هو الشاهد لآية الترجمة؛ قال الله تعالى: ﴿وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرۡذَلِ ٱلۡعُمُرِ﴾ [النحل: ٧٠].

قوله: **«وعذاب القبر»** فيه إثبات عذاب القبر والرد على من أنكره.

قوله: **«وفتنة الدجال»** يخرج في آخر الزمان رجل يدعي الصلاح ثم النبوة ثم يدعي الربوبية.

قوله: **«وفتنة المحيا»** الفتن التي تكون في الحياة من الشبهات والشهوات.

قوله: **«وفتنة الممات»** وهي التي تكون عند الموت حيث يفتن الإنسان ويأتيه الشيطان ويفتنه فيتكلم بكلام باطل أو يمتنع من الشهادة.

وكان النبي ﷺ يدعو بهذه الدعوات في آخر التشهد الأخير في آخر الصلاة.

* * *

المتن

سورة بني إسرائيل

بسم الله الرحمن الرحيم

• [٤٣٢٠] حدثنا آدم، قال: نا شعبة، عن أبي إسحاق، قال: سمعت عبدالرحمن بن يزيد، سمعت ابن مسعود، وقال في بني إسرائيل والكهف ومريم: إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي.

﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥١] قال ابن عباس: يهزون.

وقال غيره: نغضت سنك، أي: تحركت.

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الإسراء: ٤]: أخبرناهم أنهم سيفسدون.

والقضاء على وجوه، ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ [الإسراء: ٢٣]: أمر.

ومنه الحكم: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم﴾ [يونس: ٩٣].

ومنه الخلق: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢]: خلقهن.

﴿نَفِيرًا﴾ [الإسراء: ٦]: من ينفر معه ميسورا لينا.

﴿خِطْـًٔا كَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٣١]: إثما، وهو اسم من خَطِئْتُ، والخطأ مفتوح مصدره: من الإثم، خطئت بمعنى: أخطأت.

﴿لَن تَخْرِقَ﴾ [الإسراء: ٣٧]: لن تقطع.

﴿حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨]: محبسا.

﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٤٧]: مصدر من ناجيت، فوصفهم بها، والمعنى: يتناجون.

﴿رُفَٰتًا﴾ [الإسراء: ٤٩]: حطاما.

﴿وَٱسْتَفْزِزْ﴾: استخف، ﴿بِخَيْلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤]: الفرسان، والرَّجْل والرَّجَال: واحدها: راجل، مثل: صاحب وصحب، وتاجر وتجر.

﴿حَاصِبًا﴾ [الإسراء: ٦٨]: الريح العاصف، والحاصب أيضا: ما ترمي به الريح.

ومنه ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]: يرمىٰ به في جهنم هم حصبها، ويقال: حصب في الأرض: ذهب، والحصب مشتق من الحصباء: الحجارة.

﴿تَارَةً﴾ [الإسراء: ٦٩]: مرة، وجماعته: تِيَرَة وتارات.

﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾ [الإسراء: ٦٢]: لأستأصلنهم، يقال: احتنك فلان ما عند فلان من علم: استقصاه.

وقال ابن عباس: كل سلطان في القرآن فهو حجة.

﴿وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ﴾ [الإسراء: ١١١]: لم يحالف أحدا.

الشرح

قوله: «**سورة بني إسرائيل**» هي سورة الإسراء؛ قال تعالىٰ: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا﴾ [الإسراء: ١] وقال تعالىٰ: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الإسراء: ٤].

• [٤٣٢٠] قوله: «**سمعت ابن مسعود، وقال في بني إسرائيل والكهف ومريم: إنهن من العتاق الأول، وهن من تلادي**» أي إنهن مما حفظت قديما في مكة؛ لأن هذه السور نزلت في مكة والتلاد هو المال القديم، والمال الجديد يسمىٰ طريفا.

قوله: ﴿فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ﴾ [الإسراء: ٥١] «**قال ابن عباس: يهزون**» فالكفار إذا أخبروا بالبعث وأمروا بالإيمان به فإنهم يهزون رءوسهم إنكارا واستهزاء.

قوله: «**وقال غيره: نغضت سنك، أي: تحركت**» يعني: حركوا الرءوس.

قوله: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الإسراء: ٤] قال: «**أخبرناهم أنهم سيفسدون**» يعني: قدر الله عليهم ذلك فهذا القضاء بمعنى التقدير.

قوله: «**والقضاء على وجوه: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ﴾ [الإسراء: ٢٣]**» قال: «**أمر**» يعني يأتي على وجوه منها: أمر ووصى.

قوله: «**ومنه الحكم**»: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُم﴾ [يونس: ٩٣] يعني: يحكم بينهم.

قوله: «**ومنه الخلق**»: ﴿فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ﴾ [فصلت: ١٢] قال: «**خلقهن**».

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لفظة: قضى في الكتاب العزيز جاءت على خمسة عشر وجها؛ منها الفراغ: ﴿فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَٰسِكَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٠٠] فرغتم. ومنها الأمر: ﴿إِذَا قَضَىٰٓ أَمْرًا﴾ [البقرة: ١١٧] ومنها الأجل: ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾ [الأحزاب: ٢٣] يعني: أجله. ومنها الفصل: ﴿لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ﴾ [الأنعام: ٥٨] ومنها الحكم: ﴿وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا﴾ [الأنفال: ٤٤] ومنها الهلاك: ﴿لَقُضِيَ إِلَيْهِمْ أَجَلُهُمْ﴾ [يونس: ١١] والوجوب لما قضى الأمر والإبرام: ﴿فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ قَضَىٰهَا﴾ [يوسف: ٦٨] ومنها الإعلام: ﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ﴾ [الإسراء: ٤] والوصية: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ﴾ [الإسراء: ٢٣] والموت: ﴿فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيْهِ﴾ [القصص: ١٥] والنزول: ﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ﴾ [سبأ: ١٤] والفعل: ﴿كَلَّا لَمَّا يَقْضِ مَآ أَمَرَهُۥ﴾ [عبس: ٢٣] والعهد: ﴿إِذْ قَضَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَى﴾ [القصص: ٤٤] والمكتوب: ﴿وَكَانَ أَمْرًا مَّقْضِيًّا﴾ [مريم: ٢١] والفعل: ﴿فَٱقْضِ مَآ أَنتَ قَاضٍ﴾ [طه: ٧٢]».

قوله: ﴿نَفِيرًا﴾ قال: «من ينفر معه ميسورا لينا» يعني في قوله: ﴿وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا﴾ [الإسراء: ٦].

وجاء في الصحيح في غير رواية أبي ذر: قوله: ﴿وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧] قال: «يدمروا».

وقوله: ﴿فَحَقَّ﴾ [الإسراء: ١٦] قال: «الشيء الذي وجب».

وقوله: ﴿مَّيْسُورًا﴾ [الإسراء: ٢٨] قال: «لينا».

قوله: ﴿قَاصِفًا﴾ قال: «ريح تقصف كل شيء» وذلك في قوله: ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ فَيُرْسِلَ عَلَيْكُمْ قَاصِفًا مِّنَ ٱلرِّيحِ فَيُغْرِقَكُم بِمَا كَفَرْتُمْ﴾ [الإسراء: ٦٩].

قوله: ﴿خِطْـًٔا﴾ [الإسراء: ٣١] قال: «إثما، وهو اسم من خطئت، والخطأ مفتوح مصدره: من الإثم» يقال خطأ يخطؤ خطئا وخطأ خطئ يعني: أثم، ومنه قوله تعالى: ﴿لَّا يَأْكُلُهُۥٓ إِلَّا ٱلْخَٰطِـُٔونَ﴾ [الحاقة: ٣٧] يعني الآثمون، وأما «خطئت بمعنى: أخطأت» يعني: غلطت.

قوله: ﴿تَخْرِقَ﴾ قال: «لن تقطع» يعني في قوله: ﴿إِنَّكَ لَن تَخْرِقَ ٱلْأَرْضَ﴾ [الإسراء: ٣٧].

قوله: ﴿حَصِيرًا﴾ قال: «**محبسًا**» وفي لفظ: «**ومحصرًا**»[1] يعني يحبسون فيها ويحصرون قال تعالىٰ: ﴿وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا﴾ [الإسراء: ٨].

قوله: ﴿وَإِذْ هُمْ نَجْوَىٰٓ﴾ [الإسراء: ٤٧] قال: «**مصدر من ناجيت والمعنىٰ يتناجون**» وهو الكلام الذي يكون في السر.

قوله: ﴿وَرُفَٰتًا﴾ [الإسراء: ٤٩] قال: «**حطاما**» أي عظاما.

قوله: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ﴾ قال: «**استخف**» يعني في قوله تعالىٰ: ﴿وَٱسْتَفْزِزْ مَنِ ٱسْتَطَعْتَ مِنْهُم بِصَوْتِكَ وَأَجْلِبْ عَلَيْهِم بِخَيْلِكَ وَرَجِلِكَ﴾ [الإسراء: ٦٤].

قوله: ﴿بِخَيْلِكَ﴾ قال: «**الفرسان**» يعني راكبي الخيل.

قوله: «**والرجل والرجال واحدها راجل، مثل: صاحب وصحب، وتاجر وتجر**» يعني الواحد الذي يمشي علىٰ رجليه.

قوله: ﴿حَاصِبًا﴾ [الإسراء: ٦٨] قال: «**الريح العاصف والحاصب أيضا: ما ترمي به الريح**».

قوله: «**ومنه** ﴿حَصَبُ جَهَنَّمَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]» قال: «**يرمىٰ به في جهنم هم حصبها ويقال: حصب في الأرض: ذهب، والحصب مشتق من الحصباء: الحجارة**» يعني الحجارة الصغيرة يقال لها: حصباء.

قوله: ﴿تَارَةً﴾ قال: «**مرة، وجماعته: تيرة وتارات**» وذلك في قوله تعالىٰ: ﴿أَمْ أَمِنتُمْ أَن يُعِيدَكُمْ فِيهِ تَارَةً أُخْرَىٰ﴾ [الإسراء: ٦٩].

قوله: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ﴾ قال: «**لأستأصلنهم، يقال: احتنك فلان ما عند فلان من علم: استقصاه**» يعني في قوله: ﴿لَأَحْتَنِكَنَّ ذُرِّيَّتَهُۥٓ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٦٢].

وجاء في الصحيح في غير رواية أبي ذر: قوله: ﴿وَكُلَّ إِنسَٰنٍ أَلْزَمْنَٰهُ طَٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ﴾ [الإسراء: ١٣] قال: «**حظه**».

---

(١) «فتح الباري» (٨/ ٤٩٤).

قوله : «**وقال ابن عباس : كل سلطان في القرآن فهو حجة**» يعني في قوله تعالى : ﴿ **فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا** ﴾ [الإسراء : ٣٣] .

قوله : ﴿ **وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ** ﴾ قال : «**لم يحالف أحدا**» يعني في قوله تعالى : ﴿ **وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِيٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ** ﴾ [الإسراء : ١١١] فالله سبحانه وتعالى ليس له أولياء من الذل يتكثر بهم أو يتقوى بهم أو يتعزز بهم ، بل أولياءه أحبابه ، خلاف المخلوق فإنه يكون له ولي من الذل ؛ حتى يتقوى به ويتعزز به ويستفيد منه .

* * *

المتن

[١٨٦/ ٥٦] ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ﴾ [الإسراء: ١]

• [٤٣٢١] حدثنا عبدان، قال: أنا عبدالله، قال: أنا يونس، ح. ونا أحمد بن صالح، قال: نا عنبسة، قال: نا يونس، عن ابن شهاب، قال ابن المسيب: قال أبو هريرة: أتي رسول الله ﷺ ليلة أسري به بإيلياء بقدحين من خمر ولبن، فنظر إليهما، فأخذ اللبن، فقال جبريل: الحمد لله الذي هداك للفطرة، لو أخذت الخمر غوت أمتك.

• [٤٣٢٢] حدثنا أحمد بن صالح، قال: نا ابن وهب، قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب، قال أبو سلمة: سمعت جابر بن عبدالله، سمعت النبي ﷺ يقول: «**لما كذَّبني قريش قمت في الحجر، فجلى الله لي بيت المقدس، فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه**».

زاد يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا ابن أخي ابن شهاب، عن عمه: «**لما كذَّبني قريش حين أسري بي إلى بيت المقدس..**»، نحوه.

الشرح

أعاد الترجمة على قوله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١].

• [٤٣٢١] قوله: «**أتي رسول الله ﷺ ليلة أسري به بإيلياء**» هذا هو الشاهد للترجمة وفيه إثبات الإسراء، والإسراء معناه لغة السفر ليلًا، وشرعًا هو الإسراء بنبينا ﷺ ليلة المعراج من مكة إلى بيت المقدس على البراق بصحبة جبرائيل، والبراق دابة فوق الحمار ودون البغل خطوه مد البصر، قطع هذه المسافة في مدة وجيزة وكانت المسافة شهرا على مركوبات ذلك الزمان وهي الإبل. ومن أنكر الإسراء بعد علمه كفر؛ لأنه مكذب لله، فالله تعالى يقول: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا﴾ [الإسراء: ١] ومسجد إيلياء بالشام، ثم عرج به من بيت المقدس إلى السماء؛ حيث أتي بالمعراج وهو كهيئة المرقاة؛ أي السلم فكان الإسراء من مكة إلى بيت المقدس والعروج من بيت المقدس إلى السماء، وكانا في ليلة واحدة في أصح قولي العلماء، وقيل: الإسراء في ليلة والمعراج في ليلة.

وكان الإسراء بروحه وجسده ﷺ في أصح قولي العلماء؛ لقوله الله تعالى: ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] والعبد اسم للروح والجسد.

وأسري به يقظة لا مناما، وهذا هو الصواب.

وأسري به مرة واحدة ولم يتكرر، وقال آخرون: تكرر، وهذا قول ضعيف.

قوله: **«بقدحين من خمر ولبن، فنظر إليهما فأخذ اللبن، فقال جبريل: الحمد لله الذي هداك للفطرة، لو أخذت الخمر غوت أمتك»** وهذا قبل التكليف؛ لأن ليلة المعراج كانت قبل أن تشرع الصلاة وسائر العبادات الأخرى، وهذا من فضل الله تعالى وإحسانه وتوفيقه لنبيه ﷺ ولهذه الأمة أن هداها للفطرة، وفيه أن اللبن يفسر بالفطرة في الرؤيا.

• [٤٣٢٢] قوله: **«لما كذبني قريش»** واللفظ الآخر: **«كذبتني»**(١).

قوله: **«قمت في الحجر فجلى الله لي بيت المقدس فطفقت أخبرهم عن آياته وأنا أنظر إليه»** هذا من المعجزات حيث كشف الله تعالى لنبيه بيت المقدس فهو ينظر إليه ويصفه لهم.

ذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ الفرق بين: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ [الإسراء: ١] وبين قول الله للوط: ﴿فَأَسْرِ بِأَهْلِكَ بِقِطْعٍ مِّنَ ٱلَّيْلِ﴾ [هود: ٨١] قال: «والمراد بقوله: ﴿أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ﴾ أي جعل البراق يسري به كما يقال: أمضيت كذا؛ أي جعلته يمضي. أما في قصة لوط فالمعنى: سر بهم على ما تحملون عليه من دابة».

***

---

(١) أحمد (٣/ ٣٧٧)، والبخاري (٣٨٨٦)، ومسلم (١٧٠).

المتن

[١٨٧/ ٥٦] باب قوله ﷻ: ﴿وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ﴾ [الإسراء: ٧٠]

﴿كَرَّمْنَا﴾ [الإسراء: ٧٠] وأكرمنا واحد.

﴿ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ﴾: عذاب الحياة، ﴿وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ﴾ [الإسراء: ٧٥]: عذاب المهات.

﴿خِلَٰفَكَ﴾ [الإسراء: ٧٦] وخلفك سواء.

﴿شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء: ٨٤]: ناحيته، وهي من شَكِلَتِه.

﴿وَنَـَٔا﴾ [الإسراء: ٨٣]: تباعد.

﴿صَرَّفْنَا﴾ [الإسراء: ٤١]: وجهنا.

﴿قَبِيلاً﴾ [الإسراء: ٩٢]: معاينة ومقابلة، وقيل: القابلة؛ لأنها مقابلتها، وتَقبُل ولدها.

﴿خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ﴾ [الإسراء: ١٠٠] يقال: أنفق الرجل أملق، ونَفَقَ الشيء: ذهب.

﴿قَتُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٠]: مقترا.

﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ [الإسراء: ١٠٧]: مجتمع اللحيين، والواحد ذقن.

وقال مجاهد: ﴿جَزَآءً مَّوْفُورًا﴾ [الإسراء: ٦٣]: وافرا.

﴿تَبِيعًا﴾ [الإسراء: ٦٩]: ثائرا.

وقال ابن عباس: نصيرا.

﴿ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ﴾ [الإسراء: ٢٨]: رزق.

﴿مَثْبُورًا﴾ [الإسراء: ١٠٢]: ملعونا.

﴿إِمْلَٰقٍ﴾ [الإسراء: ٣١]: الفقر.

يزجي الفلك: يجري الفلك.

﴿وَلَا تُبَذِّرْ﴾ [الإسراء: ٢٦]: لا تنفق في الباطل.

﴿فَجَاسُوا۟﴾ [الإسراء: ٥]: فتيمموا.

﴿يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ﴾ [الإسراء: ١٠٧]: للوجوه.

الشَّرْحُ

قوله : «**باب قوله** ﷻ : ﴿**وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ**﴾ [الإسراء : ٧٠]» هذا الباب فيه تفسير الكلمات فقط .

قوله : ﴿**كَرَّمْنَا**﴾ [الإسراء : ٧٠] **وأكرمنا واحد**» أي : في اللغة .

قوله : ﴿**ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ**﴾ قال : «**عذاب الحياة**» ، و﴿**وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ**﴾ قال : «**عذاب المات**» . من قول الله تعالى : ﴿**إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ**﴾ [الإسراء : ٧٥] يعني : لو مال إلى المشركين ، وهذا لعلو مكانته ﷺ وهو معصوم من ذلك ؛ لكن هذا لبيان مقادير البشر .

قوله : ﴿**خِلَٰفَكَ**﴾ «**وخلفك سواء**» أي : بمعنى واحد ، قال الله تعالى : ﴿**وَإِذًا لَّا يَلْبَثُونَ خِلَٰفَكَ إِلَّا قَلِيلًا**﴾ [الإسراء : ٧٦] .

قوله : ﴿**شَاكِلَتِهِۦ**﴾ قال : «**ناحيته ، وهي من شكلته**» يعني في قوله تعالى : ﴿**كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ**﴾ [الإسراء : ٨٤] .

قوله : ﴿**وَنَـَٔا**﴾ قال : «**تباعد**» يعني في قوله تعالى : ﴿**وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ**﴾ [الإسراء : ٨٣] .

قوله : ﴿**صَرَّفْنَا**﴾ قال : «**وجهنا**» يعني في قوله تعالى : ﴿**وَلَقَدْ صَرَّفْنَا فِي هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لِيَذَّكَّرُوا۟**﴾ [الإسراء : ٤١] .

قوله : ﴿**قَبِيلًا**﴾ [الإسراء : ٩٢] قال : «**معاينة ومقابلة**» .

قوله : «**وقيل : القابلة ؛ لأنها مقابلتها ، وتَقبُل ولدها**» سميت التي تكون عند المرأة عند الولادة –وهي الداية– قابلة ؛ لأنها مقابلتها وتقبل ولدها .

قوله : ﴿**خَشْيَةَ ٱلْإِنفَاقِ**﴾ [الإسراء : ١٠٠] قال : «**يقال : أنفق الرجل : أملق**» يعني ذهب ماله .

قوله : «**ونفق الشيء : ذهب**» نفق من الثلاثي : ذهب .

قوله : ﴿**قَتُورًا**﴾ [الإسراء : ١٠٠] قال : «**مقترا**» .

قوله : ﴿**يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ**﴾ [الإسراء : ١٠٧] قال : «**مجتمع اللحيين والواحد ذقن**» .

قوله : «وقال مجاهد : ﴿ جَزَآءً مَّوْفُورًا ﴾ [الإسراء : ٦٣] : وافرا» .

قوله : ﴿ تَبِيعًا ﴾ قال : «ثائرا» يعني في قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ لَا تَجِدُوا۟ لَكُمْ عَلَيْنَا بِهِۦ تَبِيعًا ﴾ [الإسراء : ٦٩] ، «وقال ابن عباس : نصيرا» .

وفي «الصحيح» من غير رواية أبي ذر : قوله : ﴿ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴾ [الإسراء : ٩٧] قال : «كلما طفئت» أي النار .

قوله : ﴿ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ ﴾ [الإسراء : ٢٨] قال : «رزق» .

قوله : ﴿ مَثْبُورًا ﴾ قال : «ملعونا» يعني في قوله : ﴿ وَإِنِّى لَأَظُنُّكَ يَٰفِرْعَوْنُ مَثْبُورًا ﴾ [الإسراء : ١٠٢] وقيل : ﴿ مَثْبُورًا ﴾ : هالكا ، وهذا هو الظاهر .

قوله : «يزجي الفلك» قال : «يجري الفلك» .

قوله : «﴿ وَلَا تُبَذِّرْ ﴾ [الإسراء : ٢٦]» قال : «لا تنفق في الباطل» ومن هنا يتبين الفرق بين التبذير والإسراف ؛ فالتبذير : هو الإنفاق في الباطل ، الذي ليس له أصل مشروع ، كالإنفاق في شراء الخمر وآلات اللهو والمزامير .

أما الإسراف : فهو الزيادة عن الحد المطلوب في الإنفاق ، ويكون في شيء أصله مشروع ، كالزيادة في النفقة في وليمة العرس مثلًا .

قوله : «﴿ فَجَاسُوا۟ ﴾ [الإسراء : ٥]» قال : «فتيمموا» أي : فمشوا ، قال أبو عبيدة : جاس يجوس أي نقب .

قوله : «﴿ يَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ ﴾ [الإسراء : ١٠٧]» قال : «للوجوه» يعني : لوجوههم .

❋ ❋ ❋

المتن

[١٨٨/ ٥٦] **باب** ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦] **الآية**

• **[٤٣٢٣]** حدثنا علي بن عبدالله، قال: نا سفيان، قال: أنا منصور، عن أبي وائل، عن عبدالله: كنا نقول للحي إذا كثروا في الجاهلية: أَمَرَ بنو فلان.

حدثنا الحميدي، نا سفيان وقال: أَمِرَ.

الشرح

قوله: «**باب** ﴿وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦]».

• **[٤٣٢٣] قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «**كنا نقول للحي إذا كثروا في الجاهلية أمر بنو فلان**» ثم ذكر عن شيخه الحميدي عن سفيان، وقال: أمر، فالأولى بكسر الميم والثانية بفتحها وكلاهما لغتان، وأنكر ابن التين فتح الميم في أمر بمعنى: كثر، وغفل في ذلك»، وذكر عن ابن مسعود: «وزعم أنه لا يقال أمرنا بمعنى: كثرنا، إلا بالمد، واعتذر عن حديث: «**أفضل المال مهرة مأمورة، أو سكة مأبورة**»»[1].

قوله: «**أمر بنو فلان**» بفتح الميم وكسرها أي: كثروا، وهذه لهجة عندنا موجودة في نجد بين الناس يقولون: نخل مأمور هذا العام، أي: كثرت ثمرته، وهذا يوافق ما ذكره ابن مسعود.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «واستشهد الطبري بما أسنده من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس في قوله: ﴿أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦] قال: سلطنا شرارها. ثم ساق عن أبي عثمان وأبي العالية ومجاهد أنهم قرءوا بالتشديد - يعني: «**أَمَّرۡنَا مُتۡرَفِيهَا**» - وقيل التضعيف للتعدية والأصل ﴿أَمَرۡنَا﴾ بالتخفيف أي: كثرنا، كما وقع في هذا الحديث الصحيح، ومنه حديث: «**خير المال مهرة مأمورة**»[2] أي: كثيرة النتاج؛ أخرجه أحمد، ويقال: أمر بنو فلان أي: كثروا، وأمرهم الله: كثرهم، وأمروا أي: كثروا، وقد تقدم قول

(١) «فتح الباري» (٨/ ٣٩٤).
(٢) أحمد (٣/ ٤٦٨)، والطبراني في «الكبير» (٧/ ٩١).

أبي سفيان في أول هذا الشرح في قصة هرقل حيث قال: «لقد أمِر أمْر ابن أبي كبشة»[1] أي: عظم، واختار الطبري قراءة الجمهور، واختار في تأويلها حملها على الظاهر وقال: المعنى: أمرنا مترفيها بالطاعة فعصوا، ثم أسنده عن ابن عباس، ثم سعيد بن جبير. وقد أنكر الزمخشري هذا التأويل وبالغ كعادته، وعمدة إنكاره أن حذف ما لا دليل عليه غير جائز، وتعقب بأن السياق يدل عليه، وهو كقولك: أمرته فعصاني أي: أمرته بطاعتي فعصاني، وكذا أمرته فامتثل».

وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ [الإسراء: ١٦] أي: كثرنا المترفين فيها فهلكوا، والمترفون هم العصاة الذين اغتروا بما هم فيه من الترف فكثروا فأهلكهم الله، وقيل: على قراءة التشديد: «أَمَّرْنَا مُتْرَفِيهَا» يعني: جعلنا المترفين هم الأمراء والولاة.

وأما قوله: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ بمعنى سلطنا شرارها، فهذا على أن يكون المعنى: أمرناهم أمرا قدريا؛ فالأمر نوعان: أمر شرعي وأمر قدري؛ ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢] هذا أمر قدري؛ يقول: ﴿أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا﴾ يعني: قدرنا.

* * *

(١) أحمد (٣/ ٢٦٢)، والبخاري (٧).

المتن

[١٨٩/ ٥٦] **باب** ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء: ٣]

• [٤٣٢٤] حدثنا محمد بن مقاتل، أنا عبدالله، قال: أنا أبو حيان التيمي، عن أبي زرعة بن عمرو بن جرير، عن أبي هريرة قال: أُتي رسول الله ﷺ بلحم، فرفع إليه الذراع وكانت تعجبه، فنهسَ منها نَهْسَةً، ثم قال: «**أنا سيد الناس يوم القيامة، وهل تدرون مم ذلك؟ يَجمعُ الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد، يسمعهم الداعي وينفذهم البصر، وتدنو الشمس، فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون، فيقول الناس: ألا ترون ما قد بلغكم؟ ألا تنظرون من يشفع لكم إلى ربكم؟ فيقول بعض الناس لبعض: عليكم بآدم، فيأتون آدم، فيقولون له: أنت أبو البشر؛ خلقك الله بيده، ونفخ فيك من روحه، وأمر الملائكة فسجدوا لك، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ ألا ترى إلى ما بلغنا؟ فيقول آدم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد نهاني عن الشجرة فعصيته، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى نوح، فيأتون نوحا، فيقولون: يا نوح، إنك أنت أول الرسل إلى أهل الأرض، وقد سماك الله عبدا شكورا، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى ما نحن فيه؟ فيقول: ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإنه قد كانت لي دعوة دعوتها على قومي، نفسي نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى إبراهيم، فيأتون إبراهيم، فيقولون: يا إبراهيم، أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول لهم: إن ربي قد غضب اليوم غضبا لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب مثله بعده، وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات** - فذكرهن أبو حيان في الحديث، **نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى موسى، فيأتون موسى، فيقولون: يا موسى، أنت رسول الله، فضلك الله برسالاته وبكلامه على الناس، اشفع لنا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول: إن ربي قد غضب اليوم غضبا، لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله، وإني قد قتلت نفسا لم أومر بقتلها، نفسي نفسي، اذهبوا إلى غيري، اذهبوا إلى عيسى، فيأتون عيسى، فيقولون: يا عيسى، أنت رسول الله، وكلمته ألقاها إلى مريم، وروح منه، وكلمت الناس في المهد،**

اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فيقول عيسى : إن ربي قد غضب اليوم غضبا ، لم يغضب قبله مثله قط ، ولن يغضب بعده مثله ، ولم يذكر ذنبا ، نفسي نفسي نفسي ، اذهبوا إلى غيري ، اذهبوا إلى محمد ، فيأتون محمدا ، فيقولون : يا محمد ، أنت رسول الله ، وخاتم الأنبياء ، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر ، اشفع لنا إلى ربك ، ألا ترى إلى ما نحن فيه؟ فأنطلق فآتي تحت العرش ، فأقع ساجدا لربي ، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي ، ثم يقال : يا محمد ، ارفع رأسك ، سل تعطه ، واشفع تشفع ، فأرفع رأسي ، فأقول : أمتي يا رب ، أمتي يا رب ، أمتي يا رب ، فيقال : يا محمد ، أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة ، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب ، ثم قال : والذي نفسي بيده ، إن ما بين المصراعين من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير ، أو كما بين مكة وبصرى» .

الشرح

• [٤٣٢٤] هذا الحديث على هذه الآية الكريمة : ﴿ذُرِّيَّةَ مَنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ إِنَّهُۥ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾ [الإسراء : ٣] والشاهد قوله في قصة نوح : «وقد سماك الله عبدا شكورا» ، وفي هذا الحديث أن النبي ﷺ كان يأكل اللحم وغيره من الطيبات ، وهو أزهد الناس وأفضلهم ﷺ .

قوله : «أتي رسول الله ﷺ بلحم ، فرفع إليه الذراع ، وكانت تعجبه» فيه الرد على بعض المتصوفة والمتزهدة الذين يمتنعون من الطيبات ويزعمون أنهم يزهدون في الدنيا ، فهذا رسول الله أفضل الناس وسيدهم ومع ذلك كان يأكل اللحم ، وجاء في الحديث الآخر : «لكني أصلي وأنام ، وأصوم وأفطر ، وأتزوج النساء ، فمن رغب عن سنتي فليس مني»[(١)] فالزهد ليس في ترك الطيبات ، وإنما الزهد في ترك المحرمات ، والزاهد هو الذي يتورع عن المحرمات ولا يسرف في المباحات .

قوله : «فنهس منها نهسة» النهسة : تكون بالأسنان .

---

(١) أحمد (٢/ ١٨٥) ، والبخاري (٥٠٦٣) ، ومسلم (١٤٠١) .

قوله : **«أنا سيد الناس يوم القيامة»** فيه فضل نبينا ﷺ وأنه سيد الأولين والآخرين ﷺ، وأما قوله في الحديث الآخر : لما قالوا : أنت سيدنا ، قال : **«قولوا بقولكم ، ولا يستجرينكم الشيطان»**(١) فهذا من باب سد الذريعة ؛ حتىٰ لا يفضي بهم إلى الغلو .

قوله : **«يوم القيامة»** فيه إثبات القيامة ، وإثبات البعث ، والرد علىٰ من أنكره ، وأن منكر البعث ومنكر القيامة كافر .

قوله : **«يجمع الله الناس الأولين والآخرين في صعيد واحد يسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس»** فيه إثبات حشر الناس وجمعهم في صعيد واحد ، وفيه الشدة التي تصيب الناس يوم القيامة ، وأن الشمس تدنو وتبقىٰ في موقف القيامة ، ثم بعد ذلك تكور الشمس والقمر ويلقيان في النار مع من عبدهما ؛ قال تعالىٰ : ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾ [التكوير : ١] وهذا بعد الحساب ، لكن في وقت الحساب تكون الشمس موجودة فوق الرءوس .

قوله : **«فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون»** ، قال تعالىٰ : ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِى ٱلنَّاقُورِ ۝ فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر : ٨ - ١٠] هو شديد على الكفار ، ولكن الله يسهله على المؤمنين .

وفيه أن الناس يكونون في صعيد واحد وليس هناك حجب تحجب بينهم ليس هناك أشجار أو جبال أو جدران ، وتكون الأرض قاعا صفصفا وتُزال الجبال ويحشر الناس علىٰ أرض بيضاء كالفضة لم يسفك فيها دم ، ولم يظلم علىٰ ظهرها أحد .

وفيه أن الناس إذا اشتد بهم الكرب يموج بعضهم إلىٰ بعض ويطلبون من يشفع لهم عند الله فيفزعون إلى الأنبياء ؛ وذلك لأنهم أحياء في هذا الموقف ، أما الميت فلا يطلب منه الشفاعة ، فلو قال إنسان الآن : يا رسول الله ، اشفع لي ؛ فهذا لا يصح لأنه من الشرك ؛ لأنه طلب الشفاعة من الميت ، لكن طلب الشفاعة من الحي الحاضر القادر الذي يقدر عليها لا بأس به .

وفي هذا الحديث أن الأنبياء أفضل الناس ؛ ولهذا يفزع الناس إليهم ، فيأتون أولا آدم أبو البشر ثم يعتذر ، وهو نبي مكلم ، ثم نوحا فيعتذر ، ثم إبراهيم فيعتذر ، ثم موسىٰ

(١) أحمد (٣/ ٢٤٩) ، وأبو داود (٤٨٠٦) .

فيعتذر، ثم عيسى فيعتذر، حتى يسأل الناس نبينا ﷺ. ولكن يرد سؤال هنا: لماذا لم يأت الناس إلى نبينا ﷺ من أول مرة؟ أليس عرفوا في الدنيا أنه لن يشفع إلا نبينا ﷺ؟ قد يقال: إن الله تعالى ينسيهم ذلك؛ ليظهر فضل نبينا ﷺ، أو إن الذين يذهبون إلى الأنبياء من الأمم السابقة لا يعلمون أن نبينا ﷺ هو الذي يشفع، وهذا محتمل.

وفيه فضل آدم وأن الله خلقه بيده كما دل عليه القرآن الكريم؛ قال الله ﷻ: ﴿**يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ**﴾ [ص: ٧٥] ففيه فضل آدم على غيره من المخلوقات؛ لأن المخلوقات خلقت بكلمة: كن، وآدم خلقه الله بيده.

قوله: «**ونفخ فيك من روحه**» الضمير يعود إلى الله هنا، من إضافة المخلوق إلى خالقه للتشريف وليس الروح صفة لله ﷻ.

قوله: «**وأمر الملائكة فسجدوا لك**» هذه عبادة تعبدهم الله بها، وفيه فضل آدم عليه الصلاة والسلام.

قوله: «**إن ربي قد غضب اليوم غضبا، لم يغضب قبله مثله، ولن يغضب بعده مثله**» فيه إثبات الغضب لله ﷻ -وأن الغضب من صفات الله- وأن صفات الله تتفاوت.

وفيه الرد على من أنكر الغضب.

وفيه إثبات الكلام لله ﷻ والرد على من أنكره من المعتزلة والأشاعرة والجهمية.

وفيه أن الأمر شديد وعظيم؛ فالأنبياء -وهم أولو العزم- كل واحد يقول: نفسي نفسي.

قوله: «**يا إبراهيم، أنت نبي الله وخليله من أهل الأرض**» هذا لا ينفي خلة نبينا ﷺ، فإن إبراهيم خليل الله، ومحمد خليل الله؛ قال ﷺ: «**إن الله اتخذني خليلا كما اتخذ إبراهيم خليلا**»[1]، فإن كليهما خليل الله من أهل الأرض، ويحتمل أنهم نسوا خلة محمد ﷺ لكونه متأخرا.

قوله: «**وإني قد كنت كذبت ثلاث كذبات**»، هذه الكذبات التي كذبها ليست كذبات صريحة، ولكنها تورية، قال عن زوجته: إنها أختي، وتأول أنها أخته في الإسلام؛ لئلا

---

(١) مسلم (٥٣٢).

يأخذها الملك الظالم، وكذلك لما كسر الأصنام وسألوه: من فعل هذا؟ قال: هذا الصنم الكبير؛ ليريهم أن الأصنام لا تنفع ولا تضر، وكذلك لما قال: إني سقيم، وهذا من باب إيهامهم.

قوله: **«يا موسى، أنت رسول الله، فضلك الله برسالاته وبكلامه»** فيه إثبات الكلام لله ﷻ والرد على من أنكره.

قوله: **«إني قد قتلت نفسا لم أومر بقتلها»** هذا قبل النبوة، وذلك عندما خرج ووجد إسرائيليا وقبطيا يقتتلان فاستغاث الإسرائيلي بموسى على القبطي فقتله موسى، أما بعد الرسالة فالأنبياء معصومون من الكبائر والشرك ومعصومون عن الخطأ فيما يبلغونه عن الله، أما الصغائر التي قد تقع فهي مغفورة، كما قال الله تعالى لنبيه: **﴿لِّيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾** [الفتح: ٢].

قوله: **«فأنطلق فآتي تحت العرش»** فيه فضل نبينا ﷺ وأنه أفضل الأنبياء وأنه الشافع المشفع في المحشر، وفيه إثبات الشفاعةالعظمى لنبينا ﷺ وهي المقام المحمود الذي يغبطه الأولون والآخرون؛ لقوله تعالى: **﴿عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا﴾** [الإسراء: ٧٩] وفيه من الفوائد أنه لا يستطيع أحد أن يشفع عند الله إلا بعد الإذن، ولو كان وجيها، ونبينا ﷺ أعظم الناس وجاهة، وإذا كان الله قال عن موسى: **﴿وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾** [الأحزاب: ٦٩] فنبينا ﷺ أعظم وجاهة، ومع ذلك لا يستطيع أن يشفع حتى يأتيه الإذن من الله، ولا بد من الرضا عن المشفوع له؛ قال الله تعالى: **﴿مَن ذَا ٱلَّذِى يَشْفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذْنِهِۦ﴾** [البقرة: ٢٥٥]، وقال: **﴿وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ٱرْتَضَىٰ﴾** [الأنبياء: ٢٨] فلا يشفع إلا لمن ارتضى الله قوله وعمله، وقد جمع الله بين الشرطين في قوله: **﴿وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ﴾** [النجم: ٢٦] فالنبي ﷺ لا يبدأ بالشفاعة أولا.

قوله: **«فأقع ساجدا لربي، ثم يفتح الله علي من محامده وحسن الثناء عليه شيئا لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد، ارفع رأسك، سل تعطه، واشفع تشفع»** هذا هو الإذن.

قوله: **«فأرفع رأسي، فأقول: أمتي يا رب، أمتي يا رب»** فأين الشفاعة العظمى في سياق الحديث؟ فهو لم يقل: يا رب أسألك الشفاعة لتقضي بين خلقك، بل قال: **«أمتي يا رب، أمتي يا رب»** فأين الشفاعة العظمى في ضمن سؤاله لأمته الفصل بين الناس؟

والجواب: يحتمل أنه سقط على الراوي سؤاله القضاء بين الناس، كقوله: «**أنت تحكم بين عبادك**»[١]، وأحيانا إذا ذكر العلماء حديث الشفاعة ينتقلون من الشفاعة العظمى إلى الشفاعة في إخراج العصاة، ومقصودهم من ذلك الرد على من أنكر الشفاعة في خروج العصاة من النار، وهم الخوارج والمعتزلة الذين أنكروا الشفاعة مع أن أحاديثها متواترة، وقالوا: إن من دخل النار لا يخرج منها، بل يخلد أبد الآبدين، أما الشفاعة العظمى فليس فيها خلاف، أثبتها الخوارج والمعتزلة وغيرهم، وكذلك شفاعة الإذن في دخول الجنة ورفع الدرجات، وإنما الذي أنكروه الشفاعة فيمن دخل النار من العصاة ليخرج منها، وفيمن استحقها ألا يدخلها؛ ولهذا لم يذكر في هذا الحديث الشفاعة العظمى؛ لأنه لا خلاف بينهم عليها ولا إشكال فيها.

قوله: «**فيقال: يا محمد، أدخل من أمتك من لا حساب عليهم من الباب الأيمن من أبواب الجنة، وهم شركاء الناس فيما سوى ذلك من الأبواب**»، فيه إثبات الجنة والنار، وأن من لم يؤمن بالجنة والنار فهو كافر؛ لأنه من الإيمان باليوم الآخر.

ولا شك أن هناك باب خاص يسمى الباب الأيمن يدخل منه المؤمنون الذين لا حساب عليهم، وفيه إثبات أن بعض المؤمنين لا حساب عليهم، كما جاء في الحديث الآخر: «**من هذه الأمة سبعون ألفا يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب**»[٢] وهؤلاء يدخلون من الباب الأيمن.

قوله: «**والذي نفسي بيده**» فيه الحلف وإثبات اليد لله ﷻ، وأن نفوس العباد بيد الله ﷻ.

قوله: «**إن ما بين المصراعين**» يعني: الدرفتين من أحد الأبواب؛ كل درفة مصراع.

قوله: «**من مصاريع الجنة كما بين مكة وحمير**» حمير باليمن، وفيه سعة أبواب الجنة؛ ولهذا جاء في بعض الروايات: «**كما بين مكة وهجر**»[٣] والمراد المسافة بين مكة وهجر.

---

(١) أحمد (٦/ ١٥٦)، ومسلم (٧٧٠).
(٢) أحمد (١/ ٢٧١)، والبخاري (٥٧٠٥)، ومسلم (٢٢٠).
(٣) أحمد (٢/ ٤٣٥)، ومسلم (١٩٤).

قوله: «**أو كما بين مكة وبصرى**» بصرى بالشام، وجاء في الحديث الآخر مع هذه المسافة التي بينهما قال: «**وإنه ليأتي عليه يوم وهو كظيظ من الزحام**»[١]؛ وذلك من كثرة الداخلين، فالمسافة بعيدة بين مكة والشام، أو ما بين مكة واليمن، وهذا اتساع ما بين الدرفتين، فمع طول المسافة إلا أنه يكون هناك كظيظ وزحام شديد من كثرة الداخلين.

* * *

(١) أحمد (٤/ ١٧٤)، ومسلم (٢٩٦٧).

المَتْن

[١٩٠/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥]

• [٤٣٢٥] حدثني إسحاق بن نصر، قال: نا عبدالرزاق، عن معمر، عن همام، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «**خفف على داود القراءة، فكان يأمر بدابته لتسرج، فكان يقرأ قبل أن يَفْرَغَ**»، يعني القرآن.

الشَّرْح

• [٤٣٢٥] قوله: «**خفف على داود القرآن فكان يأمر بدابته لتسرج، فكان يقرأ قبل أن يفرغ، يعني: القرآن**» والمراد بالقرآن: القراءة، أي: خفف قراءته للزبور، وليس المراد القرآن المعهود لهذه الأمة؛ لأن القرآن لم ينزل إلا على هذه الأمة، وفي رواية: «**خفف عليه القراءة**»[1] أي: قراءة الزبور.

وهذا الحديث على قوله: ﴿وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا﴾ [الإسراء: ٥٥] وداود نبي من أنبياء بني إسرائيل أمر بالعمل بالتوراة؛ لأنه جاء بعد موسى والأنبياء الذين جاءوا من بعد موسى كلهم كلفوا بالعمل بالتوراة؛ قال الله تعالى: ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَا ٱلتَّوْرَىٰةَ فِيهَا هُدًى وَنُورٌ يَحْكُمُ بِهَا ٱلنَّبِيُّونَ ٱلَّذِينَ أَسْلَمُوا۟ لِلَّذِينَ هَادُوا۟﴾ [المائدة: ٤٤] حتى بعث الله عيسى وأنزل عليه الإنجيل، والإنجيل فيه تخفيف لبعض الأحكام التي جاءت في التوراة وتحليل لبعض المحرمات؛ قال الله تعالى على لسان عيسى: ﴿وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ﴾ [آل عمران: ٥٠]، وأما الزبور - وهو كتاب أنزله الله على داود - فهو مواعظ وعبر، أما الأحكام فإنهم كلفوا بالعمل بالتوراة. وقيل: من المواعظ التي في الزبور: عجبت لمن أيقن بالموت كيف يفرح، وعجبت لمن رأى الدنيا وسرعة تقلبها كيف يطمئن إليها، وعجبت للنار كيف نام هاربها، وعجبت للجنة كيف ينام طالبها.

---

(١) «فتح الباري» (٨/ ٣٩٧).

قيل : إن هذه المواعظ التي في الزبور كان داود ﷺ يتعبد لله بقراءتها .

والرسول هو الذي يبعث إلى أمة يؤمن به من قومه بعضهم ويرد دعوته بعضهم ، وأما النبي فهو الذي يبعث إلى المؤمنين خاصة ، ويكلف بالعمل بشريعة سابقة ، وقد يوحىٰ إليه وحي خاص في مسألة .

* * *

المتن

[١٩١/ ٥٦] بابُ قوله تعالى:

﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ﴾ [الإسراء: ٥٦] الآية

• [٤٣٢٦] حدثني عمرو بن علي، قال: نا يحيى، قال: نا سفيان، قال: حدثني سليمان، عن إبراهيم، عن أبي معمر، عن عبد الله: ﴿إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧] قال: كان ناس من الإنس يعبدون ناسا من الجن، فأسلم الجن، فتمسك هؤلاء بدينهم. زاد الأشجعي، عن سفيان، عن الأعمش، ﴿ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ [الإسراء: ٥٦].

الشرح

قوله: «﴿قُلِ ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِۦ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ [الإسراء: ٥٦]» هذه الآية فيها الرد على المشركين الذين يعبدون غير الله، ويدعونه في كشف الضر وجلب النفع، يقول: كيف تعبدون من لا يستحق العبادة وليس لهم قدرة كشف الضر أو جلب النفع؟! وزعمتم أنهم آلهة واعتقدتم ذلك.

وقوله: ﴿فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ ٱلضُّرِّ عَنكُمْ وَلَا تَحْوِيلًا﴾ أي: لا يملكون إزالة الضر ولا يملكون تحويله من حال إلى حال. قال تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧] الوسيلة: هي القربة، أي: يتقربون إليه بطاعته، وهذه الآية نزلت في الذين يعبدون غير الله وهم مؤمنون، فأولئك الذين يدعونهم من دون الله يطلبون القربة إلى الله ويرجون الله ويخافونه!

• [٤٣٢٦] قوله: «﴿إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلْوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧] **قال: كان ناس من الإنس يعبدون ناسا من الجن، فأسلم الجن**» يعني: ولم يعلم بهم الإنس.

قوله: «**فتمسك هؤلاء**» يعني: الإنس «**بدينهم**» وهو عبادتهم الجن.

قوله: «**زاد الأشجعي، عن سفيان، عن الأعمش،** ﴿ٱدْعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمْتُم﴾ [الإسراء: ٥٦]» يعني: أناس من الإنس كانوا يعبدون أناسا من الجن فأسلم الجن وبقي الإنس على عبادتهم فقال الله لهم: إن هؤلاء الذين تدعونهم وتعبدونهم من دون الله يطلبون الوسيلة إلى الله، ويرجون رحمة الله ويخافون عذابه؛ فيقول: فكيف تعبدونهم وهذا حالهم؟!

المتن

[١٩٢/ ٥٦] باب قوله ﷻ:

﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧] **الآية**

• **[٤٣٢٧]** حدثنا بشر بن خالد، قال: أنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن سليمان، عن إبراهيم، عن أبي معمر، عن عبدالله، في هذه الآية ﴿ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ ٱلۡوَسِيلَةَ﴾ [الإسراء: ٥٧] قال: كان ناس من الجن، كانوا يُعْبَدُون فأسلموا.

الشرح

• **[٤٣٢٧]** هذا الحديث أتى به المصنف على قوله تعالى: ﴿قُلِ ٱدۡعُواْ ٱلَّذِينَ زَعَمۡتُم﴾ [الإسراء: ٥٦] وأتى به على الآية الثانية: ﴿أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ يَبۡتَغُونَ﴾ [الإسراء: ٥٧] والوسيلة: معناها القربة إلى الله بطاعته.

❊ ❊ ❊

المتن

[١٩٣/ ٥٦] باب قوله تعالى:

﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠]

• [٤٣٢٨] حدثنا علي بن عبدالله، قال: نا سفيان، عن عمرو، عن عكرمة، عن ابن عباس، ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾ [الإسراء: ٦٠] قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به، ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ﴾ [الإسراء: ٦٠]: شجرة الزقوم.

الشرح

• [٤٣٢٨] قوله: «**عن ابن عباس، ﴿وَمَا جَعَلْنَا ٱلرُّءْيَا ٱلَّتِىٓ أَرَيْنَٰكَ إِلَّا فِتْنَةً لِّلنَّاسِ﴾** [الإسراء: ٦٠] **قال: هي رؤيا عين أريها رسول الله ﷺ ليلة أسري به**» والمراد بالرؤيا التي أريها هي الآيات التي أريها، وروي عن ابن عباس أنه قال: الرؤيا يعني: رؤيا الله، لكن هذا ضعيف، فالرؤيا هي: الآيات التي أريها ليلة الإسراء، قال تعالى: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨].

قوله: «﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ﴾ [الإسراء: ٦٠]: **شجرة الزقوم**» ومعنى الملعونة المذمومة، واللعن: الذم، لا الشتم المعروف؛ وذلك أن الله ذمها في قوله: ﴿إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ۝ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ۝ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ۝ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ﴾ [الدخان: ٤٣ - ٤٦] وهذا ذم لها، ومن ذم شخصا فقد لعنه، وهي شجرة تنبت في النار يأكلها أهل النار، وهي خبيثة الطعم تبقى في الحلق لا تدخل ولا تخرج.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «واستدل به على إطلاق لفظ الرؤيا على ما يرى بالعين في اليقظة، وقد أنكره الحريري وقال: إنما يقال رؤيا في المنام، وأما التي في اليقظة فتسمى رؤية».

* * *

المتن

[١٩٤/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ [الإسراء: ٧٨]

قال مجاهد: صلاة الفجر.

• [٤٣٢٩] حدثني عبدالله بن محمد، قال: نا عبدالرزاق، قال: أنا معمر، عن الزهري، عن أبي سلمة وابن المسيب، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: **«فضل صلاة الجميع على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة، وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار في صلاة الفجر»**، يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: **﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾** [الإسراء: ٧٨].

الشرح

قوله: **«باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾** [الإسراء: ٧٨]. **قال مجاهد: صلاة الفجر»** سميت صلاة الفجر قرآنا لطول القراءة فيها.

قوله: **﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ﴾** [الإسراء: ٧٨] أي: وصلاة الفجر.

قوله: **﴿مَشْهُودًا﴾** [الإسراء: ٧٨] أي: تشهده الملائكة وتحضره.

• [٤٣٢٩] قوله: **«فضل صلاة الجميع»** يعني: الجماعة.

قوله: **«على صلاة الواحد خمس وعشرون درجة»** في الحديث الآخر: **«تفضل صلاة الجماعة على صلاة الفذ بسبع وعشرين»**(١) قال العلماء: وكان هذا أولا، ثم زاده الله فضلا منه وكرما.

قوله: **«وتجتمع ملائكة الليل وملائكة النهار»** يعني: في صلاة الصبح.

قوله: **«يقول أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾** [الإسراء: ٧٨]» يعني: تشهده الملائكة، وفي الحديث الآخر أنهم يجتمعون في صلاة

---

(١) أحمد (٢/ ٦٥)، والبخاري (٦٤٥)، ومسلم (٦٥٠).

الصبح وصلاة العصر، وفي صلاة العصر تنزل ملائكة الليل وتصعد ملائكة النهار، وفي صلاة الصبح تنزل ملائكة النهار وتصعد ملائكة الليل، فيجتمعون في الصلاتين[١].

وفيه فضل هاتين الصلاتين؛ ولهذا جاء في الحديث: «**من صلى البردين دخل الجنة**»[٢] والبردان: الصبح والعصر؛ لأنهما يقعان في آخر النهار وأول الليل.

❊ ❊ ❊

(١) أحمد (٢/ ٣٤٤)، والبخاري (٥٥٥)، ومسلم (٦٣٢).
(٢) أحمد (٤/ ٨٠)، والبخاري (٥٧٤)، ومسلم (٦٣٥).

المتن

[١٩٥/ ٥٦] **باب قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾** [الإسراء: ٧٩]

• [٤٣٣٠] حدثني إسماعيل بن أبان، قال: نا أبو الأحوص، عن آدم بن علي، قال: سمعت ابن عمر يقول: إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا؛ كل أمة تتبعُ نبيها، يقولون: يا فلان اشفع، يا فلان اشفع، حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يومَ يبعثه الله المقام المحمود.

ورواه حمزة بن عبدالله، عن أبيه، عن النبي ﷺ.

• [٤٣٣١] حدثنا علي بن عياش، قال: نا شعيب بن أبي حمزة، عن محمد بن المنكدر، عن جابر بن عبدالله، أن رسول الله ﷺ قال: «**من قال حين يسمع النداء: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدا الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته، حلت له شفاعتي يوم القيامة**».

الشرح

قوله: «**باب قوله تعالى: ﴿عَسَىٰٓ أَن يَبۡعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامٗا مَّحۡمُودٗا﴾** [الإسراء: ٧٩]» سبق أن المقام المحمود هو الشفاعة العظمى، وجاء في آثار عن مجاهد أنه إجلاسه على العرش، وإن صح هذا فيكون المقام المحمود نوعين، لكن ذكر شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله(١) أن جلوسه على العرش هذا جاء عن مجاهد في آثار، وهو صحيح، ولم يأت مرفوعا، وأن رفعه خطأ، وقال: إن هذا ثابت عن السلف، لكن فرق بين الرواية عن مجاهد والرواية عن النبي ﷺ، وإن كان هذا ثابتا.

وقال ابن القيم في هذا: هو قول أهل السنة، ولم يخالف في هذا إلا أهل البدع، وهو جلوسه على العرش، لكن الآثار جاءت عن مجاهد، ومجاهد يروي عن ابن عباس، وقد يقال: إن مثل هذا لا يقال بالرأي؛ فله حكم الرفع.

• [٤٣٣٠] قوله: «**إن الناس يصيرون يوم القيامة جثا**»؛ قال الله تعالى: ﴿وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٖ جَاثِيَةٗ﴾ [الجاثية: ٢٨].

قوله: «**كل أمة تتبع نبيها، يقولون: يا فلان اشفع، يا فلان اشفع. حتى تنتهي الشفاعة إلى النبي ﷺ، فذلك يوم يبعثه الله المقام المحمود**» أي: الشفاعة العظمى.

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٤/ ٣٧٤).

• [٤٣٣١] قوله : «**من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة ، آت محمدا الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاما محمودا الذي وعدته ، حلت له شفاعتي يوم القيامة**» الشاهد قوله : «**وابعثه مقاما محمودا**» وهذه هي الشفاعة العظمىٰ .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «فهذا قوله : ﴿**عَسَىٰٓ أَن يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا**﴾ [الإسراء : ٧٩] وصححه الحاكم[١] ، ولا منافاة بينه وبين حديث ابن عمر في الباب ؛ لأن هذا الكلام كأنه مقدمة الشفاعة . وروىٰ ابن أبي حاتم من طريق سعيد بن أبي هلال أنه بلغه أن المقام المحمود الذي ذكره الله أن النبي ﷺ يكون يوم القيامة بين الجبار وبين جبريل ، فيغبطه لمقامه ذلك أهل الجمع . ورجاله ثقات ، لكنه مرسل ، ومن طريق علي بن الحسين بن علي قال : أخبرني رجل من أهل العلم أن النبي ﷺ قال : «**تمد الأرض مد الأديم**» الحديث ، وفيه «**ثم يؤذن لي في الشفاعة فأقول : أي رب عبادك عبدوك في أطراف الأرض . قال : فذلك المقام المحمود**»[٢] ورجاله ثقات ، وهو صحيح إن كان الرجل صحابيا . وقد تقدم في كتاب الزكاة أن المراد بالمقام المحمود أخذه بحلقة باب الجنة ، وقيل : إعطاؤه لواء الحمد ، وقيل : جلوسه على العرش ؛ أخرجه عبد بن حميد وغيره عن مجاهد ، وقيل : شفاعته رابع أربعة ، وسيأتي بيانه في كتاب الرقاق إن شاء الله تعالىٰ» .

زاد البيهقي في الحديث : «**إنك لا تخلف الميعاد**»[٣] وهي زيادة ثابتة ، لكن قال بعضهم : إنها شاذة علىٰ طريقة المتقدمين ؛ يعني : تفرد بها بعض الرواة ، وعلىٰ طريقة الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن الزيادة من الثقة مقبولة .

والوسيلة هي درجة النبي ﷺ وبيته في الجنة ، وقال ﷺ : «**لا تنبغي إلا لعبد من عباد الله وأرجو أن أكون أنا هو**»[٤] وأما زيادة بعضهم : «**والدرجة الرفيعة**»[٥] ، فهذا خطأ ؛ لأن الوسيلة هي الدرجة الرفيعة .

---

(١) «المستدرك» (٤/ ٥٤١) .

(٢) «المستدرك» (٤/ ٦١٤) .

(٣) «سنن البيهقي الكبرىٰ» (١/ ٤١٠) .

(٤) أحمد (٢/ ١٦٨) ، ومسلم (٣٨٤) .

(٥) ابن السني في «عمل اليوم والليلة» (١/ ١٨٠) .

المتن

[١٩٦/ ٥٦] باب قوله تعالى:

﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١]

يزهق: يهلك.

• [٤٣٣٢] حدثنا الحميدي، قال: نا سفيان، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن ابن مسعود قال: دخل النبي ﷺ مكة، وحول البيت ستون وثلاثمائة نُصُبٍ، فجعل يطعنها بعود في يده، ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾ [سبأ: ٤٩]، ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

الشرح

هذا الحديث على هذه الآية: ﴿وَقُلْ جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾ [الإسراء: ٨١].

قوله: «**يزهق: يهلك**» أي: يذهب ويضيع.

• [٤٣٣٢] قوله: «**دخل النبي ﷺ مكة**» يعني: يوم الفتح.

قوله: «**وحول البيت ستون وثلاثمائة نصب**» والنصب: هي الأحجار التي يذبح عليها للأصنام ومنها هبل، وفي اللفظ الآخر: «**صنم**»(١).

قوله: «**فجعل يطعنها بعود في يده**» وهي تتساقط على وجوهها، «**ويقول: ﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ ٱلْبَـٰطِلُ وَمَا يُعِيدُ﴾** [سبأ: ٤٩]، **﴿جَآءَ ٱلْحَقُّ وَزَهَقَ ٱلْبَـٰطِلُ ۚ إِنَّ ٱلْبَـٰطِلَ كَانَ زَهُوقًا﴾** [الإسراء: ٨١]» كيف وصلت الحال بهم إلى هذا الأمر؟! ستون وثلاثمائة من الأصنام حول البيت وهم يزعمون أنهم خير الناس؛ لأنهم أهل الحرم وجيران بيت الله، هذا أمر عظيم يدل على شدة تعلقهم بالأصنام فإذا كان هذا عددها في جوف الكعبة فكيف بعددها في الأماكن الأخرى؟! كان في كل بيت صنم، وكل قبيلة عندها صنم. لكن الحمد لله الذي من على نبيه محمد ﷺ بفتح مكة وتطهير بيته الحرام من معاقل الشرك والمشركين.

---

(١) أحمد (٤/ ١١٢)، ومسلم (١٧٨١).

ولا شك أن أعظم المنكر الشرك بالله ، ولهذا يجب تكسير الأصنام وإزالتها مع القدرة ، كما فعل النبي ﷺ ، وكذلك الأصنام التي كسرها طالبان وأنكر عليهم بعض الناس وقالوا : اتركوها ؛ قال النبي ﷺ : **«بعثت بكسر الأصنام وصلة الأرحام»**[(١)] .

ولهذا لما فتح النبي ﷺ الطائف أمر بإزالة اللات ، فسأله أهل الطائف أن يبقيه لهم ثلاث سنين ؛ لأنهم متعلقون به فأبى ، فسألوه أن يبقيه سنة فأبى ، فسألوه أن يبقيه لهم شهرا أو ثلاثة أيام فأبى النبي ﷺ أن يبقيه ولو للحظة[(٢)] .

* * *

(١) أحمد (٤/ ١١٢) ، ومسلم (٨٣٢) .

(٢) «سيرة ابن هشام» (٥/ ٢٢٥) ، و«تاريخ الطبري» (٢/ ١٨٠) .

المتن

[١٩٧/ ٥٦] باب ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى﴾ [الإسراء: ٨٥]

• [٤٣٣٣] حدثنا عمر بن حفص بن غياث، قال: نا أبي، قال: نا الأعمش، قال: حدثني إبراهيم، عن علقمة، عن عبدالله قال: بينا أنا مع النبي ﷺ في حَرْثٍ، وهو متكئ على عسيب، إذ مر اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، فقال: ما رَأْيُكم إليه، وقال بعضهم: لا يستقبلُكم بشيء تكرهونه، فقالوا: سلوه، فسألوه عن الروح، فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليه شيئا، فعلمت أنه يوحىٰ إليه، فقمت مقامي، فلما نزل الوحي قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ «أوتوا» مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥].

الشرح

• [٤٣٣٣] هذا حديث عبد الله بن مسعود على هذه الآية: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ﴾ [الإسراء: ٨٥] في قصة اليهود.

قوله: «إذ مر اليهود، فقال بعضهم لبعض: سلوه عن الروح، وقال بعضهم: لا يستقبلكم بشيء تكرهونه، فقالوا: سلوه، فسألوه عن الروح، فأمسك النبي ﷺ فلم يرد عليه شيئا» فقال ابن مسعود: «فعلمت أنه يوحىٰ إليه، فقمت مقامي، فلما نزل الوحي قال: ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ «أوتوا» مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٨٥]» يعني: الروح من مأمور ربي؛ فهي من مخلوقاته ولا يعلم حقيقتها إلا الله.

* * *

المتن

[١٩٨/ ٥٦] باب ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠]

• [٤٣٣٤] حدثني يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو بشر، عن سعيد ابن جبير، عن ابن عباس، في قوله ﷻ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠]، قال: نزلت ورسول الله ﷺ مُخْتَفٍ بمكة؛ كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن، ومن أنزله، ومن جاء به، فقال الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أي: بقراءتك، فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عن أصحابك، فلا تسمعهم، ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ [الإسراء: ١١٠].

قال الفربري: قال محمد بن عباس: إن أبا عبدالله لم يجئ من أحاديث هشيم في هذا الكتاب إلا بالخبر، وذكر أن هشيما كان صاحب تدليس.

• [٤٣٣٥] حدثنا طلق بن غنام، قال: حدثنا زائدة، عن هشام، عن أبيه، عن عائشة، ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠] قالت: أنزل ذلك في الدعاء.

الشرح

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ [الإسراء: ١١٠] المراد بالصلاة هنا القراءة في الصلاة.

• [٤٣٣٤] قوله: «**نزلت ورسول الله ﷺ مختف بمكة، كان إذا صلى بأصحابه رفع صوته بالقرآن، فإذا سمعه المشركون سبوا القرآن، ومن أنزله ومن جاء به، فقال الله ﷻ لنبيه ﷺ: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ﴾ أي: بقراءتك فيسمع المشركون فيسبوا القرآن، ﴿وَلَا تُخَافِتْ بِهَا﴾ عن أصحابك فلا تسمعهم، ﴿وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾** [الإسراء: ١١٠]» فيقرأ قراءة ليس فيها جهر حتى لا يسبه المشركون، وليس فيها إسرار حتى يسمعه أصحابه.

• [٤٣٣٥] قوله في حديث عائشة: «**قالت: أنزل ذلك في الدعاء**» وفي حديث ابن عباس: أنزلت في القراءة، ولا مانع من شمول الآية للصلاة والدعاء في داخل الصلاة وخارجها يعني: من الجهر وعند حصول المضرة يسر، وعند الحاجة إلى رفع الصوت للتعليم أو غيره فإنه يجهر، وهذا فيه دليل على أن الآية نزلت بمكة قديما قبل الهجرة.

وفي هذا الحديث دليل لمن يقول بسد ذريعة سب المشركين بل من أقوى الأدلة وهو قوله : ﴿وَلَا تَسُبُّوا۟ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ فَيَسُبُّوا۟ ٱللَّهَ عَدْوًۢا بِغَيْرِ عِلْمٍ﴾ [الأنعام : ١٠٨] فالجهر بالصلاة ذريعة لسبهم .

وفيه أن دفع المفاسد مقدم على جلب المصالح ، فإذا كان رفع الصوت فيه مصلحة ، فإنه يُمنع منه إذا كان يترتب عليه مفسدة ؛ فتدفع المفسدة بخفض الصوت .

❋ ❋ ❋

المتن

سورة الكهف

بسم الله الرحمن الرحيم

باخع : مهلك .

﴿وَكَانَ لَهُۥ﴾ [الكهف : ٣٤] : ذهب وفضة .

وقال غيره : جماعة الثمر .

﴿أَسِفًا﴾ [الكهف : ٦] : ندما .

﴿وَلَمْ تَظْلِم﴾ [الكهف : ٣٣] : لم تنقص .

وقال غيره : وألت تئل : تنجو .

وقال مجاهد : ﴿مَوْئِلًا﴾ [الكهف : ٥٨] : محرزا .

﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف : ١٠١] : لا يعقلون .

الشرح

قوله : «﴿بَـٰخِعٌ﴾ [الكهف : ٦] **مهلك**» أي : نفسك .

قوله تعالى : «﴿وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ﴾ [الكهف : ٣٤]: **ذهب وفضة وقال غيره : جماعة الثمر**» والأقرب أنه على ظاهره .

قوله : «﴿أَسَفًا﴾ [الكهف : ٦]: **ندما**» .

قوله : «﴿وَلَمْ تَظْلِم﴾ [الكهف : ٣٣]: **لم تنقص**» .

قوله : «**وألت تئل : تنجو**» .

قوله : «﴿مَوْئِلًا﴾ [الكهف : ٥٨]: **محرزا**» وقيل : ملجأ ، وقيل : مرجعا ، وذلك في قوله تعالى : ﴿بَل لَّهُم مَّوْعِدٌ لَّن يَجِدُوا۟ مِن دُونِهِۦ مَوْئِلًا﴾ [الكهف : ٥٨] .

قوله : «﴿لَا يَسْتَطِيعُونَ سَمْعًا﴾ [الكهف : ١٠١]: **لا يعقلون**» يعني : لا يفهمون ؛ لأن الله لم يوفقهم لسماع الخير .

المتن

[١٩٩/ ٥٦] باب قوله تعالى:

﴿وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا﴾ [الكهف : ٥٤]

• [٤٣٣٦] حدثنا علي بن عبدالله، قال: حدثنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، قال: حدثنا أبي، عن صالح، عن ابن شهاب، قال: أخبرني علي بن حسين، أن حسين بن علي أخبره، عن علي أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة، قال: **«ألا تصليان»**.

﴿**تُحَاوِرُهُۥٓ**﴾ [الكهف: ٣٧]: من المحاورة.

﴿**سُرَادِقُهَا**﴾ [الكهف: ٢٩] مثل: السرادق والحجرة التي تطيف بالفساطيط.

﴿**قُبُلًا**﴾ [الكهف: ٥٥] وقِبلا وقَبلا: استئنافا.

﴿**فُرُطًا**﴾ [الكهف: ٣٨] يقال: ندما.

﴿**فَجَّرْنَا خِلَـٰلَهُمَا نَهَرًا**﴾ [الكهف: ٣٣] يقول: بينهما.

﴿**لَّـٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى**﴾ [الكهف: ٣٨] أي: لكن أنا هو الله ربي، ثم حذف الألف وأدغم إحدى النونين في الأخرى.

﴿**هُنَالِكَ ٱلْوَلَـٰيَةُ**﴾ [الكهف: ٤٤]: مصدر الولي.

﴿**لِيُدْحِضُوا۟**﴾ [الكهف: ٥٦]: ليزيلوا.

الشرح

قوله تعالى ﴿**وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا**﴾ [الكهف: ٥٤] يعني: طبيعة الإنسان الجدال والخصومة.

• [٤٣٣٦] قوله: **«أن رسول الله ﷺ طرقه وفاطمة، قال: ألا تصليان»** ذكر حديث علي رضي الله عنه وهو من رواية علي بن الحسين عن حسين بن علي عن علي رضي الله عنه، والطروق إنما يكون ليلا، وتمام الحديث أن عليا قال: يا رسول الله، أنفسنا بيد الله إن شاء أن يبعثها بعثها فولى النبي ﷺ وهو يضرب يده على فخذه ويقول: «﴿**وَكَانَ ٱلْإِنسَـٰنُ أَكْثَرَ شَىْءٍ جَدَلًا**﴾ [الكهف: ٥٤]» وهذا هو الشاهد للترجمة ولم يذكر المؤلف بقية الحديث.

قوله : «﴿قَالَ لَهُۥ صَاحِبُهُۥ وَهُوَ يُحَاوِرُهُۥٓ﴾ [الكهف : ٣٧] **من المحاورة**» .

قوله : «﴿قُبُلًا﴾ [الكهف : ٥٥] **وقِبلا وقَبَلا : استئنافا**» .

قوله : «﴿فُرُطًا﴾ [الكهف : ٢٨] **يقال : ندما**» .

قوله : «﴿فَجَّرْنَا خِلَٰلَهُمَا نَهَرًا﴾ [الكهف : ٣٣] **يقول : بينهما**» أي : نهرا .

قوله : «﴿لَّٰكِنَّا۠ هُوَ ٱللَّهُ رَبِّى﴾ [الكهف : ٣٨] **أي : لكن أنا هو الله ربي ، ثم حذف الألف وأدغم إحدى النونين في الأخرى**» يقول : أصلها : لكن أنا هو الله ربي ، حذفت الهمزة فالتقت النون بالنون وشددتا فصارت ﴿لَّٰكِنَّا۠﴾ .

قوله : «﴿هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ﴾ [الكهف : ٤٤] **مصدر الولي**» اكتفى هنا بذكر المصدر والوَلاية – بفتح الواو – بمعنى النصرة والأخوة والمحبة ، أما الوِلاية – بالكسر – فهي الإمارة .

قوله : «﴿لِيُدْحِضُوا۟﴾ [الكهف : ٥٦] : **ليزيلوا**» والدحض الزلق .

* * *

المتن

[٢٠٠/ ٥٦] ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠]

زمانا، وجمعه: أحقاب.

• [٤٣٣٧] حدثنا الحميدي، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا عمرو بن دينار، قال: أخبرني سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نَوْفَ البكالي يزعم أن موسىٰ صاحب الخضر، ليس هو موسىٰ صاحب بني إسرائيل، فقال ابن عباس: كذب عدو الله، حدثنا أبي بن كعب، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**إن موسىٰ قام خطيبا في بني إسرائيل، فسئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه؛ إذ لم يرد العلم إليه، فأوحىٰ الله إليه: إن لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسىٰ: يا رب، فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتا فتجعله في مكتل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثم**»، **فأخذ حوتا فجعله في مكتل، ثم انطلق، وانطلق معه بفتاه يوشع بن نون، حتىٰ إذا أتيا الصخرة وضعا رءوسهما فناما، واضطرب الحوت في المكتل فخرج منه، فسقط في البحر،** ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف: ٦١]، **وأمسك الله عن الحوت جِرْيةَ الماء، فصار عليه مثل الطاق، فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت، فانطلقا بقية يومهما وليلتهما، حتىٰ إذا كان من الغد قال موسىٰ:** ﴿لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢]، **قال: ولم يجد موسى النصب حتىٰ جاوز المكان الذي أمر الله به، فقال له فتاه:** ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّى نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾ [الكهف: ٦٣]، **قال: فكان للحوت سربا، ولموسىٰ ولفتاه عجبا، فقال موسىٰ:** ﴿ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَٱرْتَدَّا عَلَىٰٓ ءَاثَارِهِمَا قَصَصًا﴾ [الكهف: ٦٤]، **قال: رجعا يقصان آثارهما حتى انتهيا إلى الصخرة، فإذا رجل مسجىٰ بثوب، فسلم عليه موسىٰ، فقال الخضر: وأنىٰ بأرضك السلام؟ قال: أنا موسىٰ، قال: موسىٰ بني إسرائيل؟ قال: نعم، أتيتك لتعلمني مما علمت رشدا، قال:** ﴿إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٦٧]، **يا موسىٰ إني علىٰ علم من علم الله علمنيه، لا تعلمه أنت، وأنت علىٰ علم من علم الله علمكه الله، لا أعلمه، فقال موسىٰ:** ﴿سَتَجِدُنِىٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرًا وَلَآ أَعْصِى لَكَ

أَمْرًا﴾ [الكهف: ٦٩]، فقال له الخضر: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾ [الكهف: ٧٠]، فانطلقا يمشيان على ساحل البحر، فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم، فعرفوا الخضر فحملوا بغير نول، فلما ركبا في السفينة لم يَفْجَ إلا والخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة بالقدوم، فقال له موسى: قوم قد حملونا بغير نول، عمدت إلى سفينتهم فخرقتها، ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا إِمْرًا ۝ قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا ۝ قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِى بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِى مِنْ أَمْرِى عُسْرًا﴾ [الكهف: ٧١-٧٣]»، قال: وقال رسول الله ﷺ: «وكانت في الأولى من موسى نسيانا، قال: وجاء عصفور فوقع على حرف السفينة، فنقر في البحر نقرة، فقال له الخضر: ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر، ثم خرجا من السفينة، فبينا هما يمشيان على الساحل، إذ أبصر الخضر غلاما يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه بيده فاقتلعه بيده فقتله، فقال له موسى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةًۢ بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْـًٔا نُّكْرًا ۝ ۞ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِىَ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٤-٧٥]، قال: وهذه أشد من الأولى، ﴿قَالَ إِن سَأَلْتُكَ عَن شَىْءٍۭ بَعْدَهَا فَلَا تُصَٰحِبْنِى قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّى عُذْرًا ۝ فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٦-٧٧]، قال: مائل، فقال الخضر بيده فأقامه، فقال موسى: قوم أتيناهم فلم يطعمونا ولم يضيفونا، ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ۝ قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِى وَبَيْنِكَ﴾، إلى قوله: ﴿ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا﴾ [الكهف: ٧٧-٨٢]»، فقال رسول الله ﷺ: «وددنا أن موسى كان صبر حتى يقص الله علينا من خبرهما»، فقال سعيد بن جبير: فكان ابن عباس يقرأ: «وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا»، وكان يقرأ: «وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين».

الشرح

هذا الحديث الطويل ساقه المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ على قوله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠].

قوله: ﴿حُقُبًا﴾ «زمانا وجمعه: أحقاب» يعني في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ [الكهف: ٦٠].

• [٤٣٣٧] أتى المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بهذا الحديث بطوله، وهو تفسير للآيات التي ذكرها الله تعالى في هذه القصة، ثم أعاده أيضًا مرة ثانية على الآية التي بعدها، وهذا قليل من المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ، فالغالب أنه يقطع الأحاديث على حسب التراجم، وأحيانا ينشرح صدره فيسوق الحديث بطوله كما في هذه القصة، وكما في قصة الإفك، وهذا الحديث يدور على سعيد بن جبير وأنه سأل ابن عباس: «**قال: قلت لابن عباس: إن نوف البكالي يزعم أن موسى صاحب الخضر ليس هو موسى صاحب بني إسرائيل، فقال ابن عباس: كذب عدو الله**» هذا من باب الشدة في الرد والإنكار وأنه هو موسى بني إسرائيل، وهذه الكلمة لا يريد بها معناها؛ لأن نوفًا البكالي مؤمن وليس عدوا لله، ولكن هذا مما يجري على اللسان من غير قصد مثل: عقرى حلقى، ومثل: ثكلتك أمك.

وفيه دليل على أن القصة إنما حصلت مع موسى بني إسرائيل عليه الصلاة والسلام وهو من أولي العزم الخمسة، وسبب ذلك أن «**موسى قام خطيبا في بني إسرائيل، فسئل أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه؛ إذ لم يرد العلم إليه**»، فيه أنه لاينبغي للإنسان ولو كان نبيا كريما أن يقول: أنا أعلم الناس؛ ولهذا عتب الله على موسى عليه الصلاة والسلام إذ لم يرد العلم إليه.

قوله: «**فأوحى الله إليه: إن لي عبدا بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال موسى: يا رب، فكيف لي به؟ قال: تأخذ معك حوتا فتجعله في مكتل، فحيثما فقدت الحوت فهو ثَمَّ**» يعني تجده في ذلك المكان، وثَمَّ: ظرف مكان.

وفيه مشروعية الرحلة في طلب العلم، وأخذ العلم عمن هو دونه؛ فإن موسى رحل وسافر في طلب العلم، وأخذ العلم عن الخضر - والخضر فيه وجهان: الخَضِر والخِضْر - وهو دونه بلا إشكال؛ لأن موسى من أولي العزم الخمسة، وأما الخضر فاختلف فيه، هل هو نبي أو عبد صالح؟ والجمهور على أنه عبد صالح، والصواب أنه نبي؛ لأمور متعددة في القصة، منها: أنه لا يمكن أن يعمل هذه الأعمال -خرق السفينة وقتل الغلام- من غير وحي، ومنها: أنه قال: ﴿**وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى ۚ ذَٰلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْهِ صَبْرًا**﴾ [الكهف: ٨٢] يعني وإنما فعلته عن أمر الله، كذلك أيضا لما أقام الجدار وقال: إن تحته كنز ليتيمين في المدينة فأراد ربك أن يبلغا أشدهما، فمن أين يعلم هذا إلا بوحي من الله؟ وهذه من أمور الغيب، جدار تحته كنز، ثم هذا الكنز ليتيمين، ثم هذان اليتيمان سيعيشان

ويبلغان أشدهما ويأخذان كنزهما فلا يعلم هذا إلا بوحي من الله، كذلك قوله: **«إني على علم من علم الله علمنيه لا تعلمه أنت، وأنت على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه»** وهذا لا شك من النبوة.

وفيه دليل على إحياء الله الموتى في إحياء الحوت، فإنهما أخذا معهما **«حوتا»**، وفي اللفظ الآخر **«حوتا مالحا»**[1]، حوتا يريدان أكله، فأتاه رشاش من عين فاضطرب ودخل البحر، أحياه الله فجاءت الحياة إليه ﴿**فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا**﴾ [الكهف: ٦١] صار يمشي في البحر، والله على كل شيء قدير، وهذا من آيات الله العظيمة.

قوله: **«وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق»** يشاهده موسى، والحكمة - والله أعلم - ليعلم موسى مكان الحوت.

وفيه أن موسى لم يسافر وحده، وإنما سافر ومعه فتاه يوشع بن نون، وثبت في الحديث أن النبي ﷺ قال: **«لو يعلم المسافر ما في الوحدة ما ذهب راكب بليل، أو ما سار راكب بليل»**[2] وهذا في شرعنا وفي شرع من قبلنا، ويوشع بن نون صار نبيا بعد موسى عليه الصلاة والسلام، وهو الذي فتح الله به بيت المقدس، وهو الذي قاد بني إسرائيل، وهو الذي أمسك الله له الشمس حتى تم الفتح قال: إنك مأمورة وأنا مأمور اللهم احبسها علينا، ولم تمسك الشمس لأحد إلا ليوشع بن نون، أمسكها الله حتى تم الفتح، وأما ما يروى من آثار أنها مسكت لعلي بن أبي طالب فهذه كلها آثار لا تثبت، وإنما هي من أخبار الشيعة والرافضة.

وفيه أن موسى عليه السلام ليست نبوته عامة، وإنما هي نبوة خاصة لبني إسرائيل؛ ولهذا سأله الخضر عليه السلام وقال: **«أنى بأرضك السلام»** كأن الخضر بأرض ليس فيها مسلمون؛ ولهذا تعجب الخضر من إلقاء موسى السلام.

قوله: **«أنا موسى قال موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم»** هذا فيه دليل على أن نبوة موسى خاصة ببني إسرائيل، وهذا ثابت في الأحاديث، ومنه قول النبي ﷺ: **«وكان النبي يبعث إلى قومه خاصة وبعثت إلى الناس كافة»**[3].

---

(١) مسلم (٢٣٨٠).

(٢) البخاري (٢٩٩٨).

(٣) البخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١).

وفي هذا الحديث ما قصه الله سبحانه تعالىٰ علينا من خبرهما ، وأن الخضر اشترط علىٰ موسى الصبر ، فقال موسىٰ : ﴿ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ صَابِرٗا وَلَآ أَعۡصِي لَكَ أَمۡرٗا ﴾ [الكهف : ٦٩] فيه تعليق الأمر بالمشيئة .

وفيه أنهما لما كانا «**يمشيان علىٰ ساحل البحر ، فمرت سفينة فكلموهم أن يحملوهم ، فعرفوا الخضر فحملوا بغير نول**» يعني بغير أجرة لما عرفوا أنه الخضر .

وفيه أن «**الخضر قد قلع لوحا من ألواح السفينة**» لأن هذه السفينة لمساكين ، وكان أمامهم ملك ظالم يأخذ كل سفينة صالحة ، فأراد أن يجعل فيها عيبا حتىٰ تبقىٰ لهم .

وفيه دليل علىٰ أن المسكين قد يملك شيئا من المال إلا أنه لا يجد الكفاية ، بخلاف الفقير فإنه لا يجد شيئا أو يجد نصف الكفاية .

وفيه أن الخضر قال لموسىٰ لما خرق السفينة : ﴿ قَالَ أَلَمۡ أَقُلۡ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴾ [الكهف : ٧٢] ، ولما قتل الغلام أكد ﴿ قَالَ أَلَمۡ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسۡتَطِيعَ مَعِيَ صَبۡرٗا ﴾ [الكهف : ٧٥] ؛ لأن إنكاره أشد في قتل الغلام ، وقتل هذا الغلام من العلم الذي أطلع الله عليه الخضر .

قوله : «**فقال سعيد بن جبير : فكان ابن عباس يقرأ : وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا**» وراء تستخدم للأمام وللخلف ، وهذه تحمل علىٰ أنها تفسير يعني : كان أمامهم ملك ظالم يأخذ كل سفينة صالحة غصبا ، وكأن الخضر عرف أن هذا الملك يأخذ السفينة الصالحة إما لأنه أعلن ذلك ، أو لأنه عرف ذلك منه .

قوله : «**وكان يقرأ : وأما الغلام فكان كافرا وكان أبواه مؤمنين**» هذه تحمل علىٰ أنها تفسير .

وفي هذا الحديث أن علم الله واسع محيط بكل شيء ، قال تعالىٰ : ﴿ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدۡ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عِلۡمَۢا ﴾ [الطلاق : ١٢] ، وأن علم الخلق كلهم لا يساوي شيئا بالنسبة إلىٰ علم الله ؛ ولهذا لما نقر عصفور في حرف السفينة بمنقاره قال الخضر : «**ما علمي وعلمك من علم الله إلا مثل ما نقص هذا العصفور من هذا البحر**» .

* * *

المتن

[٢٠١/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف: ٦١]**: مذهبا، يسرب: يسلك، ومنه: ﴿وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾** [الرعد: ١٠]

• **[٤٣٣٨]** حدثني إبراهيم بن موسى، قال: أخبرنا هشام بن يوسف، أن ابن جريج أخبرهم: قال: أخبرني يعلى بن مسلم وعمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير، يزيد أحدهما على صاحبه، وغيرهما قد سمعته يحدثه، عن سعيد بن جبير قال: إنا لعند ابن عباس في بيته إذ قال: سلوني، قلت: أي أبا عباس جعلني الله فداءك، بالكوفة رجل قاص يقال له: نوف، يزعم أنه ليس بموسى بني إسرائيل، أما عمرو فقال لي: قال: كذب عدو الله، وأما يعلى فقال لي: قال ابن عباس: حدثني أبي بن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: **«موسى رسول الله** ﵇**، قال: ذكر الناس يوما، حتى إذا فاضت العيون ورقت القلوب ولى، فأدركه رجل فقال: أي رسول الله، هل في الأرض أحد أعلم منك؟ قال: لا، فعتب عليه؛ إذ لم يرد العلم إلى الله، قيل: بلى، فقال: أي رب، وأين؟ قال: بمجمع البحرين، قال: أي رب، اجعل لي علما أعلم ذلك به**، قال: قال لي عمرو: **قال: حيث يفارقك الحوت**، وقال لي يعلى: **قال: خذ نونا ميتا حيث يُنْفَخُ فيه الروح، فأخذ حوتا فجعله في مكتل، فقال لفتاه: لا أكلفك إلا أن تخبرني بحيث يفارقك الحوت، قال: ما كلفت كبيرا؛ فذلك قوله: ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾** [الكهف: ٦٠] **يوشع بن نون**، ليست عن سعيد، **قال: فبينما هم في ظل صخرة في مكان ثريان، إذ تضرب الحوت، وموسى نائم، فقال فتاه: لا أوقظه، حتى إذا استيقظ فنسي أن يخبره، وتضرب الحوت، حتى دخل البحر، فأمسك الله عنه جرية البحر، حتى كأن أثره في حجر**، قال لي عمرو: هكذا كأن أثره في حجر، وحلق بين إبهاميه واللتين تليانهما، **﴿لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾** [الكهف: ٦٢]، **قال: قد قطع الله عنك النصب**، ليست هذه عن سعيد، **أخبره، فرجعا فوجدا خضرا**، قال لي عثمان بن أبي سليمان: **على طنفسة خضراء، على كبد البحر**، فقال سعيد بن جبير: مسجى بثوبه، قد جعل طرفه تحت رجليه، وطرفه تحت رأسه، **فسلم عليه موسى، فكشف عن وجهه، وقال: هل بأرضٍ من**

سلام؟ من أنت؟ قال : أنا موسى ، قال : موسى بني إسرائيل؟ قال : نعم ، قال : فما شأنك؟ قال : جئت لتعلمني مما علمت رشدا ، قال : أما يكفيك أن التوراة بيدك؟ وأن الوحي يأتيك يا موسى؟ إن لي علما لا ينبغي لك أن تعلمه ، وإن لك علما لا ينبغي لي أن أعلمه؟ فأخذ طائر بمنقاره من البحر ، فقال : والله ما علمي وما علمك في جنب علم الله ، إلا كما أخذ هذا الطائر بمنقاره من البحر ، حتى إذا ركبا في السفينة ، وجد معابرا صغارا تحمل أهل هذا الساحل إلى أهل هذا الساحل الآخر عرفوه ، فقالوا : عبد الله الصالح ، قال : قلنا لسعيد : خضر؟ قال : نعم ، لا نحمله بأجر ، فخرقها وتد فيها وتدا ، قال موسى : ﴿أَخَرَقْتَهَا لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِمْرًا﴾ [الكهف : ٧١]» ، قال مجاهد : منكرا ، ﴿قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾ [الكهف :٧٢] ، كانت الأولى نسيانا ، والوسطى شرطا ، والثالثة عمدا ، ﴿قَالَ لَا تُؤَاخِذْنِي بِمَا نَسِيتُ وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا﴾ [الكهف : ٦٣] ، لقيا غلاما فقتله ، قال يعلى : قال سعيد : وجد غلمانا يلعبون ، فأخذ غلاما كافرا ظريفا فأضجعه ثم ذبحه بالسكين ، ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ [الكهف : ٦٤] لم تعمل بالحِنْثِ ، قال : وابن عباس قرأها : زكية زاكية مسلمة ، كقولك : غلاما زكيا ، فانطلقا فوجدا جدارا يريد أن ينقض فأقامه ، قال سعيد بيده هكذا ، ورفع يده فاستقام ، قال يعلى : حسبت أن سعيدا قال : فمسحه بيده فاستقام ، ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف : ٧٧] ، قال سعيد : أجرا نأكله ، ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم﴾ [الكهف : ٧٩] ، وكان ملك أمامهم ، قرأها ابن عباس : أمامهم ملك ، يزعمون عن غير سعيد أنه : هَدَدُ بن بَدَدٍ ، والغلام المقتول اسمه يزعمون : حَيْسُور ، ﴿مَّلِكٌ يَأْخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصْبًا﴾ [الكهف : ٧٩] ، فأردت إذا هي مرت به أن يدعها لعيبها ، فإذا جاوزوا أصلحوها فانتفعوا بها ، ومنهم من يقول : سدوها بقارورة ، ومنهم من يقول : بالقار ، «**كان أبواه مؤمنين**» وكان كافرا ، ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف : ٨٠] ؛ أن يحملهما حبه على أن يتابعاه على دينه ، ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً﴾ [الكهف : ٨١] ؛ لقوله : ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً﴾ [الكهف : ٦٤] ، ﴿وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف : ٨١] : هما به أرحم منهما بالأول الذي قتل خضر .

وزعم غير سعيد ، أنهما أبدلا جارية .

وأما داود بن أبي عاصم فقال عن غير واحد : إنها جارية .

الشَّرْحُ

قوله : ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف : ٦١] : «**مذهبا**» يعني يذهب فيه ، ومنه اشتقاق فلان «**يسرب : يسلك**» ، ومنه ﴿وَسَارِبٌۢ بِٱلنَّهَارِ﴾ [الرعد : ١٠] ، وهذه الآية تابعة للقصة .

والحديث أتى به المصنف على قوله : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ لَآ أَبْرَحُ حَتَّىٰٓ أَبْلُغَ مَجْمَعَ ٱلْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِىَ حُقُبًا﴾ [الكهف : ٦٠] ، والآية التي بعدها ﴿فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف : ٦١] فأتى بالقصة على الآية الأولى ، وأتى بالقصة نفسها على الآية الثانية .

• [٤٣٣٨] هذه القصة ساقها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، وفيها زيادات وتوضيحات لبعض الجمل ، وهذا من الفوائد في سياق الحديث ، فالمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يسوق الحديث أحيانًا مكررًا ؛ لأنه يكون في تكرار سياق الحديث فوائد ، إما فوائد في المتن ، أو فوائد في السند ، فمن فوائد السند تقوية الحديث بتعدد الطرق ، وفي المتن يكون فيه زيادات وفيه توضيح .

قوله : «**كذب عدو الله**» كما سبق مبالغة في الإنكار عليه ، وإلا فإنه مسلم ، وهذا مثل قول النبي ﷺ : «**كذب أبو السنابل**»(١) .

وفيه أن موسى سأل ربه أن يجعل له علما يعلم متى يجد الخضر ، فقال الله له «**حيث يفارقك الحوت ، وقال لي يعلى : قال : خذ نونا ميتا**» النون اسم للحوت «**حيث ينفخ فيه الروح**» يعني يحييه الله ويسقط في البحر فهذا هو العلم ، «**فأخذ حوتا فجعله في مكتل**» ، وفي رواية أبي إسحاق عند مسلم «**فقيل له تزود حوتا مالحا**»(٢) ، ويستفاد من هذه الرواية أن الحوت كان ميتا ؛ لأنه لا يملح وهو حي ، وهو صريح في قوله : «**خذ نونا ميتا**» .

قوله : «**فقال لفتاه : لا أكلفك إلا أن تخبرني بحيث يفارقك الحوت**» ؛ لأنه جعل له علامة أنه إذا فقد الحوت فسوف يجد الخضر ويتعلم منه ، فقال له : لا أكلفك بشيء إلا أن تخبرني إذا فقدت الحوت «**قال : ما كلفت كبيرا ؛ فذلك قوله** : ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَىٰهُ﴾ [الكهف : ٦٠] ، وفيه التصريح بأن يوشع بن نون فتاه .

---

(١) أحمد (١/ ٤٤٧) ، وأصل الحديث عند البخاري (٣٩٩١) ، ومسلم (٥٣١٨) .
(٢) مسلم (٢٣٨٠) .

قوله: **«فبينما هم في ظل صخرة في مكان ثريان»** يعني: مبلول بالماء **«إذ تضرب الحوت»** يعني ثار، على زنة تَفعَّل من الضرب في الأرض، وهو السيل، وفي لفظ: أنه **«جاءه من ماء عين الحياة التي في أصل الصخرة»**[1] فعادت إليه الحياة بإذن الله، فدخل في البحر.

قوله: **«فأمسك الله عنه جرية البحر، حتى كأن أثره في حجر»** ليعلم موسى مكان الحوت.

قوله: **«هكذا كأن أثره في حجر، وحلق بين إبهاميه واللتين تليانهما»** وجعل حلقة مثل الطاقة مكان طريق الحوت كأنه خرق في الماء يشاهده كأنه في حجر.

وفيه فضل موسى ﷺ، وأن الله آتاه التوراة **«قال: أما يكفيك أن التوراة بيدك»**، وكثيرا ما يقرن الله بين التوراة والقرآن، والتوراة كتاب عظيم، فيه أحكام بني إسرائيل التي كلف أنبياء بني إسرائيل بالعمل بها، والإنجيل فيه تخفيف لبعض هذه الأحكام.

قوله: **«وجد معابرا صغارا تحمل أهل هذا الساحل إلى أهل هذا الساحل»** فيه أن السفينة كانت صغيرة، ويسمونها عبارة أو معابر صغيرة، تنقل من ساحل إلى ساحل آخر ليس ببعيد، فكأن الخضر وموسى أشاروا إلى هذه المعابر، وأنهم يريدون الركوب فعرفوا الخضر **«فقالوا: عبد الله الصالح، قال: قلنا لسعيد: خضر؟ قال: نعم، لا نحمله بأجر»** فحملوه مجانا.

قوله: **«فخرقها، ووتَّد فيها وتدا»** يحتمل أنه جعل فيها خرقة أو وتدا من الخشب، وفي آخر القصة قال: **«منهم من يقول: سدوها بقارورة، ومنهم من يقول: بالقار»**؛ وذلك أن الخضر قال: **«فأردت إذا هي مرت به أن يدعها لعيبها»** أي: يدعها الملك الظالم من أجل عيبها، وهو الخرق الذي فيها، **«فإذا جاوزوا»** الملك الظالم **«أصلحوها فانتفعوا بها»**.

وفيه أن الخضر اشترط على موسى أن يصبر، فلما اعترض عليه قال له في المرة الأولى: إني نسيت فـ **«كانت الأولى نسيانا، والوسطى شرطا»** وهي قوله: **﴿إِن سَأَلْتُكَ عَن شَيْءٍ بَعْدَهَا فَلَا تُصَاحِبْنِي﴾** [الكهف: ٧٦] **«والثالثة عمدا»**، فلما أخل بالشرط انتهى: **﴿قَالَ هَٰذَا فِرَاقُ بَيْنِي وَبَيْنِكَ﴾** [الكهف: ٧٨] فلم يصاحبه بعدها.

---

(١) البخاري (٤٧٢٧).

قوله: «فأخذ غلاما كافرا ظريفا» هذا محمول على أنه من التفسير: «فأضجعه ثم ذبحه بالسكين»، وفي رواية أخرى قال: «فأخذ برأسه فاقتلعه بيده»(١) ويجمع بينهما كما قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «بأنه ذبحه ثم اقتلع رأسه، وفي رواية أخرى عند الطبري: «فأخذ صخرة فثلغ رأسه» وهي بمثلثة ثم معجمة، والأول أصح، ويمكن أن يكون ضرب رأسه بالصخرة، ثم ذبحه وقطع رأسه»(٢).

قوله: ﴿قَالَ أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ﴾ [الكهف: ٧٤] يعني: لم يكلف ولم يبلغ الحد الذي يأثم فيه وهو البلوغ حتى يعاقب بالقتل.

قوله: «وابن عباس قرأها: ﴿زَكِيَّةً﴾ زاكية مسلمة» وهذا يحمل على أنه تفسير، فالقراءة الشاذة تحمل على أنها تفسير.

وذكر سعيد: أن اسم الملك الظالم هو هدد بن بدد، وأن اسم الغلام المقتول: حيسور، والله أعلم بصحة ثبوت هذا الاسم ممن أخذه سعيد أو غيره، فقد يكون أخذه عن بني إسرائيل، ولا يترتب على معرفة اسم الملك أو معرفة اسم الغلام المقتول شيء.

قوله: ﴿فَخَشِينَآ أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَٰنًا وَكُفْرًا﴾ [الكهف: ٨٠] يعني: «أن يحملهما حبه على أن يتابعاه على دينه»(٣) يعني لو عاش لكان وبالا على أبويه فيحملهما حبه على أن يتابعاه على دينه: ﴿فَأَرَدْنَآ أَن يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨١] قال: «هما به أرحم منهما بالأول الذي قتل خضر»(٣) فأبدلهما الله خيرا منه.

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «وزعم غير سعيد أنهما أبدلا جارية» هو قول ابن جريج، وروى ابن مردويه من وجه آخر عن ابن جريج قال: وقال يعلى بن مسلم أيضا، عن سعيد بن جبير: إنها جارية، وفي رواية الإسماعيلي من هذا الوجه قال: ويقال أيضا عن سعيد بن جبير: إنها جارية، وللنسائي من طريق أبي إسحاق، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس: ﴿يُبْدِلَهُمَا رَبُّهُمَا خَيْرًا مِّنْهُ زَكَوٰةً وَأَقْرَبَ رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨١] قال: أبدلهما جارية فولدت نبيا من الأنبياء، وللطبري

---

(١) البخاري (٤٧٢٥)، ومسلم (٢٣٨٠).
(٢) «فتح الباري» (٨/ ٤١٩).
(٣) البخاري (٤٧٢٦).

من طريق عمرو بن قيس نحوه ، ولابن المنذر من طريق بسطام بن جميل قال : أبدلهما مكان الغلام جارية ولدت نبيين ، ولعبد بن حميد من طريق الحكم بن أبان ، عن عكرمة : ولدت جارية ، ولابن أبي حاتم من طريق السدي قال : ولدت جارية ، فولدت نبيا ، وهو الذي كان بعد موسىٰ ، فقالوا له : ﴿ٱبْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَٰتِلْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة : ٢٤٦] واسم هذا النبي شمعون ، واسم أمه حنة ، وعند ابن مردويه من حديث أبي بن كعب : أنها ولدت غلاما ، لكن إسناده ضعيف ، وأخرجه ابن المنذر بإسناد حسن عن عكرمة ، عن ابن عباس نحوه ، وفي تفسير ابن الكلبي : ولدت جارية ولدت عدة أنبياء فهدىٰ الله بهم أمما ، وقيل : عدة من جاء من ولدها من الأنبياء سبعون نبيا» .

قال الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ : «قوله : **«وأما داود بن أبي عاصم فقال عن غير واحد : إنها جارية»** هو قول ابن جريج أيضا ، وروىٰ الطبري من طريق حجاج بن محمد ، عن ابن جريج ، أخبرني إسماعيل بن أمية ، عن يعقوب بن عاصم أنهما أبدلا جارية ، قال : وأخبرني عبد الله بن عثمان بن خثيم ، عن سعيد بن جبير أنها جارية .

قال ابن جريج : وبلغني أن أمه يوم قتل كانت حبلىٰ بغلام ، ويعقوب بن عاصم هو أخو داود ، وهما ابنا عاصم بن عروة بن مسعود الثقفي ، وكل منهما ثقة من صغار التابعين .

وفي الحديث من الفوائد غير ما تقدم : استحباب الحرص على الازدياد من العلم ، والرحلة فيه ، ولقاء المشايخ ، وتجشم المشاق في ذلك ، والاستعانة في ذلك بالأتباع ، وإطلاق الفتىٰ على التابع ، واستخدام الحر ، وطواعية الخادم لمخدومه ، وعذر الناسي ، وقبول الهبة من غير المسلم .

واستدل به علىٰ أن الخضر نبي لعدة معان قد نبهت عليها فيما تقدم كقوله : ﴿وَمَا فَعَلْتُهُۥ عَنْ أَمْرِى﴾ [الكهف : ٨٢] ، وكاتباع موسىٰ رسول الله له ليتعلم منه ، وكإطلاق أنه أعلم منه ، وكإقدامه علىٰ قتل النفس لما شرحه بعد وغير ذلك ، وأما من استدل به علىٰ جواز دفع أغلظ الضررين بأخفهما ، والإغضاء علىٰ بعض المنكرات مخافة أن يتولد منه ما هو أشد ، وإفساد بعض المال لإصلاح معظمه كخصاء البهيمة للسمن وقطع أذنها لتتميز ، ومن هذا مصالحة ولي اليتيم السلطان علىٰ بعض مال اليتيم خشية ذهابه بجميعه - فصحيح لكن فيما لا يعارض منصوص الشرع ، فلا يسوغ الإقدام علىٰ قتل النفس ممن يتوقع منه أن يقتل أنفسا كثيرة قبل أن يتعاطىٰ شيئا من ذلك ، وإنما فعل الخضر ذلك لإطلاع الله تعالىٰ عليه .

وقال ابن بطال: قول الخضر: وأما الغلام فكان كافرا، هو باعتبار ما يئول إليه أمره أن لو عاش حتى يبلغ، واستحباب مثل هذا القتل لا يعلمه إلا الله، ولله أن يحكم في خلقه بما يشاء قبل البلوغ وبعده انتهى.

ويحتمل أن يكون جواز تكليف المميز قبل أن يبلغ كان في تلك الشريعة فيرتفع الإشكال، وفيه جواز الإخبار بالتعب ويلحق به الألم من مرض ونحوه»، لقوله: ﴿ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ [الكهف: ٦٢] فأخبره أنه متعب.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ومحل ذلك إذا كان على غير سخط من المقدور، وفيه أن المتوجه إلى ربه يعان فلا يسرع إليه النصب والجوع، بخلاف المتوجه إلى غيره كما في قصة موسى في توجهه إلى ميقات ربه وذلك في طاعة ربه، فلم ينقل عنه أنه تعب ولا طلب غداء ولا رافق أحدا».

ومن ذلك أن حذيفة رضي الله عنه لما أرسله النبي ﷺ ليعلم خبر الأحزاب وكان في ليلة باردة شديدة قال: كأني أمشي في الحمام، ذهب البرد عني مع شدة البرد، فلما رجع وانتهت المهمة ووصل إلى النبي ﷺ عاد إليه البرد حتى ألبسه النبي ﷺ عباءة كانت عليه وهو يصلي، فلما جاء الفجر قال: **«قم يا نومان»**[1] أخرجه مسلم في «صحيحه»، هذا لأنه توجه في أمر الله، وهذا يؤيد ما قاله المؤلف.

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ: «وأما في توجهه إلى مدين فكان في حاجة نفسه فأصابه الجوع، وفي توجهه إلى الخضر لحاجة نفسه أيضا فتعب وجاع، وفيه جواز طلب القوت وطلب الضيافة، وفيه قيام العذر بالمرة الواحدة، وقيام الحجة بالثانية، قال ابن عطية: يشبه أن يكون هذا أصل مالك في ضرب الآجال في الأحكام إلى ثلاثة أيام وفي التلوم ونحو ذلك، وفيه حسن الأدب مع الله وأن لا يضاف إليه ما يستهجن لفظه، وإن كان الكل بتقديره وخلقه لقول الخضر عن السفينة ﴿فَأَرَدتُّ أَنْ أَعِيبَهَا﴾ [الكهف: ٧٩] وعن الجدار ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾ [الكهف: ٨١] ومثل هذا قوله ﷺ: **«والخير بيديك، والشر ليس إليك»**[2]»، أي: لما رأى العيب قال: ﴿فَأَرَدتُّ﴾، ولما كان خيرا قال: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ﴾.

---

(١) مسلم (١٧٨٨).

(٢) أحمد (١/ ١٠٢)، ومسلم (٧٧١).

هذا ويقال: إن الخضر من المعمرين، قال بعض العلماء: إنه معمر وموجود الآن، والصواب أنه مات، سواء قيل إنه نبي أو عبد صالح، فلا يمكن أن يكون موجودا ولا يأتي إلى النبي ﷺ ويؤمن به، فهو وإن وسعه الخروج على شريعة موسى فلا يسعه الخروج على شريعة محمد ﷺ؛ لأن شريعة موسى خاصة ببني إسرائيل، أما شريعة محمد ﷺ فعامة للناس أجمعين، فلا يسع أحدا الخروج عليها، وقد ذكر العلماء في نواقض الإسلام من زعم أنه يسعه الخروج عن شريعة محمد كما وسع الخضر الخروج عن شريعة موسى، فهذا مرتد كافر بجميع المرسلين، والله تعالى قد أخذ الميثاق على كل نبي لئن بُعث محمد وأنت حي لتؤمنن به ولتطيعنه، قال الله ﷻ: ﴿**وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ**﴾ [آل عمران: ٨١] وكذلك أيضا مما يؤيد أنه مات أن النبي ﷺ قال في آخر حياته: «**لا يبقى على وجه الأرض بعد مائة سنة ممن هو على ظهرها**»[(١)] يعني المائة سنة تخرم ذلك القرن، فلو كان حيا لشمله هذا الحديث ومات، لكن قال بعضهم: إن الخضر ليس على وجه الأرض، وإنما هو في البحر.

وشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله له قولان في مجموع الفتاوى، قول بأنه مات، وقول بأنه باق، والصواب من القولين أنه مات.

وقوله: «**سلوني**» فيه جواز قول العالم: سلوني إذا كان عنده علم؛ فإن موسى قال: «**سلوني**»؛ لأنه ينزل عليه الوحي، وكذلك نبينا ﷺ لما أكثروا عليه الأسئلة مرة جلس على المنبر وقال: «**سلوني سلوني، لا تسألوني عن شيء إلا أنبأتكم به**» فقام عبد الله بن حذافة فقال من أبي؟ فقال: «**أبوك حذافة**»[(٢)] فعلم أنه أبوه، وكانوا يشككونه في أبيه.

* * *

---

(١) أحمد (٢/ ٨٨)، والبخاري (١١٦)، ومسلم (٢٥٣٧).

(٢) أحمد (٢/ ٥٠٣)، والبخاري (٥٤٠)، ومسلم (٢٣٥٩).

المَتْن

[٢٠٢/ ٥٦] **باب قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا﴾ إلى قوله: ﴿قَصَصًا﴾** [الكهف: ٦٢- ٦٤]

﴿يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧]: ينقاضُّ كما تنقاضُّ السن، نكرا: داهية.

«لَتَخِذْتَ» واتخذت واحد. ﴿رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨١]: من الرحم، وهي أشد مبالغة من الرحمة، ونظن أنه من الرحيم، وتدعى مكة: أم رحم، أي: الرحمة تنزل بها.

• [٤٣٣٩] حدثنا قتيبة بن سعيد، قال: حدثني سفيان بن عيينة، عن عمرو بن دينار، عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: إن نوفَ البكالي يزعم أن موسى بني إسرائيل ليس بموسى الخضر، فقال: كذب عدو الله، حدثنا أبي بن كعب، عن رسول الله ﷺ قال: **«قام موسى خطيبا في بني إسرائيل، فقيل له: أي الناس أعلم؟ فقال: أنا، فعتب الله عليه؛ إذ لم يرد العلم إليه، وأوحى إليه: بلى، عبد من عبادي بمجمع البحرين هو أعلم منك، قال: أي رب، كيف السبيل إليه؟ قال: تأخذ حوتا في مكتل، فحيثما فقدت الحوت فاتَّبِعْه»**. **قال: فخرج موسى ومعه فتاه يوشع بن نون، ومعهما الحوت، حتى انتهيا إلى الصخرة فنزلا عندها، قال: فوضع موسى رأسه فنام، قال سفيان: وفي حديث غير عمرو قال: وفي أصل الصخرة عين يقال له: الحياة، لا يصيب من مائها شيئا إلا حيي، فأصاب الحوت من ماء تلك العين، قال: فتحرك وانسل من المكتل فدخل البحر، فلما استيقظ موسى قال: ﴿لِفَتَىٰهُ ءَاتِنَا غَدَآءَنَا﴾** [الكهف: ٦٢] **الآية، قال: ولم يجد النصب حتى جاوز ما أمر به، قال له فتاه يوشع بن نون: ﴿أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ﴾** [الكهف: ٦٣] **الآية، قال: فرجعا يقصان في آثارهما، فوجدا في البحر كالطاق مَمَرّ الحوت، فكان لفتاه عجبا، وللحوت سربا، قال: فلما انتهيا إلى الصخرة إذا هما برجل مسجى بثوب، فسلم عليه موسى، قال: وأنى بأرضك السلام؟ فقال: أنا موسى، فقال: موسى بني إسرائيل؟ قال: نعم، قال: هل أتبعك على أن تعلمني مما علمت رشدا؟ فقال له الخضر: يا موسى، إنك على علم من علم الله علمكه الله لا أعلمه، وأنا على علم من علم الله علمنيه الله لا تعلمه، قال: بل أتبعك، قال: ﴿فَإِنِ ٱتَّبَعْتَنِى فَلَا تَسْـَٔلْنِى عَن شَىْءٍ حَتَّىٰٓ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا﴾** [الكهف: ٧٠]**، فانطلقا يمشيان على الساحل، فمرت بهم سفينة فعرف الخضر، فحملوهم في سفينتهم بغير نول، يقول: بغير**

أجر، فركبا السفينة، قال: ووقع عصفور على حرف السفينة فغمس منقاره في البحر، فقال الخضر لموسى: ما علمك وعلمي وعلم الخلائق في علم الله إلا مقدار ما غمس هذا العصفور منقاره، قال: فلم يَفْجَ موسى إذ عمد الخضر إلى قدوم فخرق السفينة، قال له موسى: قوم حملونا بغير نول عمدت إلى سفينتهم فخرقتها ﴿لِتُغْرِقَ أَهْلَهَا﴾ [الكهف: ٧١] الآية، فانطلقا، فإذا هما بغلام يلعب مع الغلمان، فأخذ الخضر رأسه فقطعه، فقال له موسى: ﴿أَقَتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً بِغَيْرِ نَفْسٍ لَّقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُّكْرًا ۝ قَالَ أَلَمْ أَقُل لَّكَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا﴾، إلى قوله: ﴿فَأَبَوْا أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ﴾ [الكهف: ٧٤- ٧٧]، فقال بيده هكذا فأقامه، فقال له موسى: إنا دخلنا هذه القرية فلم يضيفونا ولم يطعمونا، ﴿لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ [الكهف: ٧٧]، فقال رسول الله ﷺ: «وددنا أن موسى صبر حتى يقص علينا من أمرهما»، قال: وكان ابن عباس يقرأ: «وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا، وأما الغلام فكان كافرا».

الشرح

قوله: ﴿يَنقَضَّ﴾ [الكهف: ٧٧] قال: «ينقاض كما تنقاض السن».

قوله: ﴿نُّكْرًا﴾ [الكهف: ٧٤] «داهية» ولكن نكرا أشد من إمرا، يعني أمرا عظيما.

قوله: «(لتخِذت» : واتَّخذت واحد» يعني في قوله تعالى: ﴿لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾.

قوله: ﴿رُحْمًا﴾ [الكهف: ٨١]: «من الرحم، وهي أشد مبالغة من الرحمة، ونظن أنه من الرحيم، وتدعى مكة: أم رحم؛ أي: الرحمة تنزل بها».

• [٤٣٣٩] المؤلف حين يكرر الحديث فلابد أن يكون فيه فوائد في المتن وفي السند، أما في السند فلا شك أن تعدد الطرق فيه قوة للحديث، وأما في المتن فقد بين هنا سبب إحياء الله للحوت، وذلك أنهما ناما عند الصخرة، ووضعا رءوسهما عندها، «وفي أصل الصخرة عين يقال له: الحياة، لا يصيب من مائها شيئا إلا حيي، فأصاب الحوت من ماء تلك العين» وفي الرواية التي قبلها «من مكان مبلول ثريان»[1] أي مبلول من ماء هذه العين، «فتحرك وانسل من المكتل» فأحياه الله وأعاد الروح إليه «فدخل البحر»، وهذا من آيات الله العظيمة، ودليل على

---

(١) البخاري (٤٧٢٦).

إحياء الله الموتى والأدلة كثيرة على إحياء الله الموتى قال تعالى: ﴿إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠].

والله تعالى أخبر في القرآن الكريم أن الحوت حي فقال: ﴿فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ سَرَبًا﴾ [الكهف: ٦١]، لكن هذا فيه بيان سبب الحياة، والله تعالى قادر على إحيائه سواء كان هناك عين أو لم يكن.

قوله: **«وفي حديث غير عمرو»** ليس مرفوعا إلى النبي ﷺ، فقد يكون من أخبار بني إسرائيل.

وفي هذا الحديث دليل على أن السلام تحية المؤمنين لهذه الأمة ومن قبلها من الأمم؛ ولهذا سلم موسى على الخضر، وكان السلام معروفا عند موسى ومعروفا عند الخضر، وكذلك إبراهيم لما جاءه الملك حياه وسلم عليه: ﴿قَالُوا۟ سَلَٰمًا ۖ قَالَ سَلَٰمٌ﴾ [هود: ٦٩]، ولوط كذلك، فالسلام تحية المؤمنين في الجنة ﴿تَحِيَّتُهُمْ يَوْمَ يَلْقَوْنَهُۥ سَلَٰمٌ﴾ [الأحزاب: ٤٤].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ مشيرا إلى قصة العين وأنها عن بني إسرائيل: «وفي رواية قتيبة عن سفيان في الباب الذي يليه من الزيادة قال سفيان: وفي غير حديث عمرو **«وفي أصل الصخرة عين يقال له الحياة لا يصيب من مائها شيء إلا حيي، فأصاب الحوت من ماء تلك العين فتحرك وانسل من المكتل فدخل البحر»**.

وحكى ابن الجوزي أن في روايته في البخاري الحيا بغير هاء قال: وهو ما يحيى به الناس، وهذه الزيادة التي ذكر سفيان أنها في حديث غير عمرو قد أخرجها ابن مردويه من رواية إبراهيم بن يسار عن سفيان مدرجة في حديث عمرو، ولفظه **«حتى انتهيا إلى الصخرة فقال موسى عندها، أي: نام»**[(١)] يعني: نام نومة القيلولة **«وكان عند الصخرة عين ماء يقال لها عين الحياة لا يصيب من ذلك الماء ميت إلا عاش فقطرت من ذلك الماء على الحوت قطرة فعاش وخرج من المكتل فسقط في البحر»** وأظن أن ابن عيينة أخذ ذلك عن قتادة، فقد أخرج ابن أبي حاتم من طريقه قال: **«فأتى على عين في البحر يقال لها عين الحياة فلما أصاب تلك العين رد الله روح الحوت إليه»**[(٢)]، وقد أنكر الداودي فيما حكاه ابن التين هذه الزيادة فقال: لا أرى

---

(١) «فتح الباري» (٨/ ٤١٥).

(٢) عزاه السيوطي في «الدر» (٥/ ٤٢٤) لابن أبي حاتم في «التفسير».

هذا يثبت فإن كان محفوظا فهو من خلق الله وقدرته ، قال : لكن في دخول الحوت العين دلالة على أنه كان حيًّا قبل دخوله ، فلو كان كما في هذا الخبر لم يحتج إلى العين ، قال : والله قادر على أن يحييه بغير العين انتهى .

قال : ولا يخفى ضعف كلامه دعوى واستدلالا ، وكأنه ظن أن الماء الذي دخل فيه الحوت هو ماء العين وليس كذلك ، بل الأخبار صريحة في أن العين عند الصخرة وهي غير البحر ، وكأن الذي أصاب الحوت من الماء كان شيئا من رشاش ، ولعل هذه العين إن ثبت النقل فيها مستند من زعم أن الخضر شرب من عين الحياة فخلد ، وذلك مذكور عن وهب بن منبه وغيره ممن كان ينقل من الإسرائيليات ، وقد صنف أبو جعفر بن المنادي في ذلك كتابا ، وقرر أنه لا يوثق بالنقل فيما يوجد من الإسرائيليات» .

قلت : لا شك أن الإسرائيليات لا يعول عليها ، فإذا كان الخضر شرب من هذه العين ليخلد ، فإلى متى يخلد؟ لابد من الموت ، قال الله : ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾ [آل عمران : ١٨٥] ، ويجوز عند بعضهم أن يخلد إلى آخر الدنيا ، يقولون : إن هناك ناسا معمرين ذكروا منهم الخضر وآخرين ، والله أعلم بذلك .

قوله : «**وأنى بأرضك السلام؟**» الأصل رد السلام وهذا معروف ، وقد يكون ليس واجبا في شريعة الخضر ، لكن في شريعتنا رد السلام واجب .

يقول النبي ﷺ : «**وددنا أن موسى صبر حتى يقص علينا من خبرهما**» وفي لفظ قال : «**ولو صبر لرأى العجب**»(١) هذا من زيادة سعيد بن جبير .

قوله : «**وكان ابن عباس يقرأ : وكان أمامهم ملك يأخذ كل سفينة صالحة غصبا**» هذه القراءة شاذة فتحمل على أنها تفسير صحيح ، «**وكان أمامهم**» بمعنى وراءهم .

قوله : «**يأخذ كل سفينة صالحة**» يعني : أن هذا الملك لا يأخذ إلا السفينة الصالحة ، أما السفينة التي فيها عيب فلا يأخذها ؛ ولهذا أراد أن يجعل فيها عيبا .

قوله : «**وأما الغلام فكان كافرا**» كذلك تحمل على أنها تفسير .

---

(١) مسلم (٢٣٨٠) .

المتن

[٢٠٣/ ٥٦] باب قوله تعالى:
﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا﴾ [الكهف: ١٠٣] الآية

• [٤٣٤٠] حدثني محمد بن بشار، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن عمرو بن مرة، عن مصعب بن سعد قال: سألت أبي: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا﴾ [الكهف: ١٠٣]، هم الحرورية؟ قال: لا، هم اليهود والنصارى؛ أما اليهود فكذبوا محمدا، وأما النصارى فكفروا بالجنة، وقالوا: لا طعام فيها ولا شراب، والحرورية: ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَـٰقِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٧]، وكان سعد يسميهم: الفاسقين.

الشرح

قوله: «باب قوله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا﴾ [الكهف: ١٠٣] الآية» قال العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «اختلفوا فيهم، فعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه هم الرهبان والقسوس الذين حبسوا أنفسهم في الصوامع، وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه هم اليهود والنصارى، وسأل عبد الله بن الكوا عليا رضي الله عنه عن الأخسرين أعمالا قال: أنتم يا أهل حروراء».

• [٤٣٤٠] هذا الحديث على هذه الآية: ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا ﴿١٠٣﴾ ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعْيُهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا﴾ [الكهف: ١٠٣ - ١٠٤] يعني: الذين بطل سعيهم في الحياة الدنيا وهم يحسبون أنهم على هدى هم الأخسرون أعمالا ﴿أُو۟لَـٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَـٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَزْنًا﴾ [الكهف: ١٠٥] وظاهر الآية أنها في الكفار واليهود والنصارى، لكن مصعب بن سعد بن أبي وقاص أشكل عليه الأمر فسأل أباه الصحابي الجليل سعد بن أبي وقاص «**قال: سألت أبي ﴿قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُم بِٱلْأَخْسَرِينَ أَعْمَـٰلًا﴾ أهم الحرورية؟ قال: لا، هم اليهود والنصارى**» والحرورية هم الخوارج، سموا حرورية؛ لأنهم نزلوا في بلدة يقال لها: حروراء في العراق فتجمعوا فيها، ومنه قول عائشة لما سألتها امرأة كأنها تعترض قالت: ما بال الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة؟ قالت عائشة: أحرورية أنت؟ أي: من الخوارج؛ لأنهم يرون أن الحائض تقضي الصلاة، قالت لست بحرورية، ولكني أسأل -لم تحسن السؤال- قالت عائشة: كان ذلك يصيبنا على عهد رسول الله ﷺ فنؤمر بقضاء الصوم ولا نؤمر بقضاء الصلاة.

قوله : **«أما اليهود فكذبوا محمدا»** يعني كفروا بالنبي ﷺ، ولم يتابعوه مع معرفتهم أنه رسول الله ، قال الله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمۡۖ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنۡهُمۡ لَيَكۡتُمُونَ ٱلۡحَقَّ وَهُمۡ يَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة : ١٤٦] .

قوله : **«وأما النصارى فكفروا بالجنة وقالوا : لا طعام فيها ولا شراب»** فلما كفروا بالجنة كفروا بالله ، فالنصارى الأمر فيهم ظاهر ؛ لأنهم يتعبدون بالجهالات والضلالات ، يعني أغلب النصارى ، وإلا يوجد فيهم غير ذلك ، واليهود يرون أن بقاءهم مع دينهم ورئاستهم ومناصبهم أولى لهم من الدخول في الإسلام ، وكذلك الأميون المشركون من أهل مكة وغيرهم يحسبون أنهم باتباعهم للرؤساء أنهم يحسنون صنعا .

قوله : **«والحرورية ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهۡدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعۡدِ مِيثَٰقِهِۦ﴾ [البقرة : ٢٧] وكان سعد يسميهم : الفاسقين»** أي : الخوارج فكان سعد بن أبي وقاص يسميهم الفاسقين ولا يسميهم كفارا ؛ ولهذا فرق بينهم وبين اليهود والنصارى لما قيل : **«هم الحرورية؟ قال : لا هم اليهود والنصارى»** ، وهذا هو الذي ذهب إليه جمهور العلماء ، واستدلوا بقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه لما سألوه عن الخوارج أكفار هم؟ قال : من الكفر فروا ، وذهب جمع من أهل العلم أنهم كفار ، وهي رواية عن الإمام أحمد(١) ، واستدلوا بقول النبي ﷺ : **«يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية»**(٢) ، ولأن النبي ﷺ شبههم بعاد ، قال : **«لأن لقيتهم لأقتلنهم قتل عاد»**(٣) وقوم عاد كفار ، وهذا قول قوي ، ورجح شيخنا الشيخ عبد العزيز بن باز رحمه الله هذا القول ، وشيخ الإسلام يقول : الصحابة لم يعاملوهم معاملة الكفار وإنما عاملوهم معاملة المبتدعة(٤) .

والخوارج أربعة وعشرون فرقة ، منهم الإباضية ، وهي منسوبة إلى عبد الله الإباضي ، وهي باقية موجودة في عمان والمغرب والجزائر .

---

(١) انظر «كشاف القناع» (٦/ ١٦١) .

(٢) البخاري (٣٦١٠) ، ومسلم (١٠٦٤) .

(٣) البخاري (٧٤٣٢) ، ومسلم (١٠٦٤) .

(٤) «مجموع الفتاوى» (٣/ ٢٨٢) .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ : «قوله : **«وكان سعد يسميهم الفاسقين»** لعل هذا السبب في الغلط المذكور، وفي رواية للحاكم : الخوارج قوم زاغوا فأزاغ الله قلوبهم، وهذه الآية هي التي آخرها الفاسقين، فلعل الاختصار اقتضى ذلك الغلط، وكأن سعدا ذكر الآيتين معا التي في البقرة والتي في الصف، وقد روى ابن مردويه من طريق أبي عون عن مصعب قال : نظر رجل من الخوارج إلى سعد فقال : هذا من أئمة الكفر، فقال له سعد : كذبت، أنا قاتلت أئمة الكفر، فقال له آخر : هذا من الأخسرين أعمالا، فقال له سعد : كذبت، ﴿**أُولَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ**﴾ [الكهف : ١٠٥] الآية .

قال ابن الجوزي : وجه خسرانهم أنهم تعبدوا على غير أصل ؛ فابتدعوا ؛ فخسروا الأعمار والأعمال» .

قلت : ويجب علينا أن ندعو الخوارج والإباضية إلى ترك ما هم عليه من البدعة، فهم يرون أن العاصي يكفر، وعلينا أن نبين لهم أن النصوص دلت على أن مرتكب الكبيرة لا يخرج من الإيمان، قال تعالى : ﴿**فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ**﴾ [البقرة : ١٧٨] سمى الله القاتل أخا للمقتول، لكنه يضعف إيمانه، وهو إذا دخل النار فإنه لا يخلد فيها، بل يطهر منها ثم يخرج منها بشفاعة الشافعين وبرحمة أرحم الراحمين، والأدلة في هذا متواترة تفيد العلم اليقيني .

❊ ❊ ❊

المتن

[٢٠٤/ ٥٦] باب

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾ [الكهف: ١٠٥] **الآية**

• [٤٣٤١] حدثنا محمد بن عبدالله، قال: حدثنا سعيد بن أبي مريم، قال: أخبرنا المغيرة بن عبد الرحمن، قال: حدثني أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة**»، وقال: «**اقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَزۡنٗا﴾** [الكهف: ١٠٥]».

وعن يحيى بن بكير، عن المغيرة بن عبدالرحمن، عن أبي الزناد، مثله.

الشرح

قوله: «**باب: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتۡ أَعۡمَٰلُهُمۡ﴾** [الكهف: ١٠٥] **الآية**» قال العيني رحمه الله: «أي أولئك الذين جحدوا بالدلائل وكفروا بالبعث والثواب والعقاب؛ فحبطت أعمالهم؛ لأنها خلت من الثواب».

• [٤٣٤١] قوله: «**إنه ليأتي الرجل العظيم السمين يوم القيامة، لا يزن عند الله جناح بعوضة**»؛ وذلك لأن العبرة في الوزن بالعمل، وفي حديث عبد الله بن مسعود لما كشفت الريح عن ساقيه ضحك أصحابه فقال النبي ﷺ: «**مم تضحكون؟**» قالوا: يا رسول الله من دقة ساقيه، قال: «**والذي نفسي بيده لهما في الميزان أثقل من جبل أحد**»[1] فيه دليل على أن الأعمال الصالحة توزن والأشخاص يوزنون، والثقل والخفة بحسب العمل؛ ولهذا قال النبي ﷺ في الحديث: «**كلمتان حبيبتان إلى الرحمن، خفيفتان على اللسان، ثقيلتان في الميزان، سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم**»[2].

وفي نسخة للبخاري قال: «**﴿لَا يَبۡغُونَ عَنۡهَا حِوَلٗا﴾** [الكهف: ١٠٨] **أي: «تحولا»** وهذا في آخر السورة.

---

(١) أحمد (١/ ١١٤).

(٢) البخاري (٦٦٨٢)، ومسلم (٢٦٩٤).

المتن

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سورة ﴿كٓهيعٓصٓ﴾ [مريم: ١]

قال ابن عباس: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريم: ٣٨] الله يقوله وهم القوم لا يسمعون ولا يبصرون.

﴿فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ يعني قوله: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾[مريم: ٣٨] الكفار يومئذ أسمع شيء وأبصره.

﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم: ٤٦]: لأشتمنك.

﴿وَرِءْيًا﴾ [مريم: ٧٤]: منظرا.

وقال أبو وائل: علمت مريم أن التقي ذو نُهْية حتى قالت: ﴿إِنِّيٓ أَعُوذُ بِٱلرَّحْمَٰنِ مِنكَ إِن كُنتَ تَقِيًّا﴾ [مريم: ٤٦].

وقال ابن عيينة: ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم: ٨٣]: تزعجهم إلى المعاصي إزعاجا.

﴿إِدًّا﴾ [مريم: ٨٩] قولا عظيما.

و قال ابن عباس: ﴿أَثَٰثًا﴾ [مريم: ٧٤]: مالا.

﴿رِكْزًا﴾ [مريم: ٩٨]: صوتا.

وقال غيره: ﴿بُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨]: جماعة باكٍ.

«صُلِيًّا»: صلي يصلى.

﴿نَدِيًّا﴾ [مريم: ٧٣]: والنادي واحد مجلسا.

وقال مجاهد: ﴿فَلْيَمْدُدْ﴾ [مريم: ٧٥]: فليدعه.

الشرح

قوله: «قال ابن عباس: ﴿أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ﴾ [مريم: ٣٨] الله يقوله، وهم القوم لا يسمعون ولا يبصرون» يعني: الكفار يوم القيامة أسمع شيء وأبصر ﴿لَٰكِنِ ٱلظَّٰلِمُونَ ٱلْيَوْمَ فِي ضَلَٰلٍ

مُّبِينٍ﴾ [مريم : ٣٨] اليوم في الدنيا لا يسمعون ولا يبصرون ، قال الله تعالى في سورة السجدة : ﴿رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ﴾ [السجدة : ١٢] وجد السمع والبصر لكن لا ينفع ﴿رَبَّنَآ أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا فَإِنَّا ظَٰلِمُونَ﴾ [المؤمنون : ١٠٧] فتمنوا العودة إلى الدنيا .

قوله : ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ [مريم : ٤٦] في قصة إبراهيم قال له أبوه : ﴿لَأَرْجُمَنَّكَ﴾ **«لأشتمنك»** ، أصل الرجم أن يكون بالحجارة ، ولكن هنا فسره بالشتم ، كأن الرجم بالكلام .

قوله : ﴿وَرِءْيًا﴾ [مريم : ٧٤] : **«منظرا»** ، قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ : «وقال الثعلبي : وقرئ بالزاي وهو الهيئة» .

قوله : ﴿تَؤُزُّهُمْ أَزًّا﴾ [مريم : ٨٣] قال : **«تزعجهم إلى المعاصي إزعاجا»** ، وقال العيني : «وكذا روي عن ابن عباس رضي الله عنهما ، وعن الضحاك : تأمرهم بالمعاصي أمرا ، وعن سعيد بن جبير : تغريهم إغراء ، وعن مجاهد : تشليهم أشلاء ، وعن الأخفش : توهجهم ، وعن المؤرج : تحركهم» .

قوله : ﴿لَّقَدْ جِئْتُمْ شَيْـًٔا إِدًّا﴾ [مريم : ٨٩] حينما نسبوا الولد إلى الله قال : **«قولا عظيما»** ، وفي رواية : **«عوجا»**[1] ، والأول أقرب .

قوله : **«﴿أَثَٰثًا﴾ [مريم : ٧٤] : مالا»** ، وقال العيني : «وعن ابن عباس : هيئة ، وعن مقاتل : ثيابا ، وقيل : متاعا» .

قوله : **«﴿رِكْزًا﴾ [مريم : ٩٨] : صوتا»** .

قوله : ﴿وَبُكِيًّا﴾ [مريم : ٥٨] : **«جماعة باكٍ»** قال العيني : «أصله بُكُوي على وزن فعول كقعود جمع قاعد ، اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون فقلبت ياء ، ثم أدغمت الياء في الياء ، ثم أبدلت ضمة الكاف كسرة لأجل الياء فافهم ، وقال الثعلبي : هذه الآية نزلت في مؤمني أهل الكتاب عبد الله بن سلام وأصحابه» .

قوله : **«﴿صُلِيًّا﴾ [مريم : ٧٠] : صلي يصلى»** ، **قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ : «صلي يصلى بفتح اللام في المضارع أي شوي يشوى ، ومنه قوله : مصلية بفتح الميم أي مشوية» .

---

(١) البخاري تعليقا عقب (٤٧٢٩) .

قوله : «﴿ نَدِيًّا ﴾ [مريم : ٧٣] **والنادي واحد مجلسا»** أي : مجلس القوم .

قوله : «**وقال مجاهد : ﴿ فَلْيَمْدُدْ ﴾** [مريم : ٧٥] **فليدعه»** .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «هو بفتح الدال وسكون العين ، وصله الفريابي بلفظ فليدعه الله في طغيانه ، أي يمهله إلى مدة ، وهو بلفظ الأمر والمراد به الإخبار ، وروى ابن أبي حاتم من طريق حبيب بن أبي ثابت قال : في حرف أبي بن كعب : قل من كان في الضلالة فإن الله يزيده ضلالة» .

❊ ❊ ❊

المتن

[٢٠٥/ ٥٦] باب قوله: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ [مريم: ٣٩]

• [٤٣٤٢] حدثنا عمر بن حفص بن غياث، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا الأعمش، قال: حدثنا أبو صالح، عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ: **«يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح، فينادي منادي: يا أهل الجنة، قال: فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت، وكلهم قد رآه، فيذبح، ثم يقول: يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت»**، ثم قرأ: ﴿وَأَنذِرْهُمْ يَوْمَ ٱلْحَسْرَةِ إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾، وهؤلاء في غفلة أهل الدنيا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩].

الشرح

قال العيني رحمه الله: «أي أنذر كفار مكة ﴿ٱلْحَسْرَةِ﴾ وهو يوم القيامة، يوم يتحسر المسيء هلا أحسن العمل، والمحسن هلا ازداد من الإحسان، وأكثر المفسرين أن يوم الحسرة حين يذبح الموت.

قوله: ﴿إِذْ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ﴾ أي فرغ من الحساب، وقيل: ذبح الموت ﴿وَهُمْ فِى غَفْلَةٍ﴾ معرضون في الدنيا ﴿وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ [مريم: ٣٩] بما يكون في الآخرة».

• [٤٣٤٢] قوله: **«يؤتى بالموت كهيئة كبش أملح»** وهذا يوم الحسرة بالنسبة للكفار إذا ذبح الموت، وهذا بعد خروج الموحدين من النار، والموت ليس ذاتا بل أمر معنوي، لكن الله يقلبه عينا فيجعله كهيئة كبش أملح، والله على كل شيء قدير.

قوله: **«فينادي منادي: يا أهل الجنة فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم، هذا الموت وكلهم قد رآه، ثم ينادي: يا أهل النار، فيشرئبون وينظرون، فيقول: هل تعرفون هذا؟ فيقولون: نعم هذا الموت وكلهم قد رآه، فيذبح»** ذكر العيني أنهم رأوه عند قبض أرواحهم على صورته والله أعلم.

وسمي يوم القيامة يوم الحسرة؛ لأن الكفار يتحسرون بعد أن يذبح الموت، ويقال: **«يا أهل الجنة، خلود فلا موت، ويا أهل النار، خلود فلا موت»**.

المتن

[٢٠٦/ ٥٦] باب قوله تعالى:

﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا﴾ [مريم: ٦٤]

• [٤٣٤٣] حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا عمر بن ذر، قال: سمعت أبي، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: قال النبي ﷺ لجبريل: **«ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا؟»** فنزلت: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾.

الشرح

قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال عكرمة والضحاك وقتادة ومقاتل والكلبي: احتبس جبريل عليه السلام عن النبي حين سأله قومه عن قصة أصحاب الكهف وذي القرنين والروح ولم يدر ما يجيبهم، ورجاه أن يأتيه جبريل بجواب ما سألوه فأبطأ عليه، قال عكرمة: أربعين يوما، وقال مجاهد: اثنتي عشرة ليلة، وقيل: خمس عشرة، فشق على رسول الله، فلما نزل عليه جبريل عليه السلام قال: **«أبطأت علي حتى ساء ظني فاشتقت إليك»**[1] فقال له جبريل: أنا كنت أشوق، ولكني عبد مأمور، وإذا بعثت نزلت، وإذا حبست احتبست؛ فأنزل الله تعالى ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ﴾ [مريم: ٦٤]»[2].

قوله: ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: ﴿لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا﴾ الآخرة، ﴿وَمَا خَلْفَنَا﴾ الدنيا، ﴿وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ﴾ ما بين النفختين».

• [٤٣٤٣] وهذه الآية سبب نزولها أن النبي ﷺ قال لجبريل: **«ما يمنعك أن تزورنا أكثر مما تزورنا فنزلت: ﴿وَمَا نَتَنَزَّلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُۥ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا وَمَا خَلْفَنَا وَمَا بَيْنَ ذَٰلِكَ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤]» أي: كل شيء بأمر الله.**

وكأن النبي ﷺ اشتاق إلى جبريل؛ لأنه تأخر عليه كما ذكر الحافظ.

---

(١) «عمدة القاري» (١٥/ ٣٠٣).

(٢) الطبري في «تفسيره» (٨/ ٣٥٨)، والبغوي في «تفسيره» (ص٢٤٣)، و«أسباب النزول» للواحدي (١/ ٢٠٣).

المَتن

[٢٠٧/ ٥٦] باب قوله:
﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ الآية

• [٤٣٤٤] حدثنا الحميدي، قال: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق قال: سمعت خبابا قال: جئت العاصي بن وائل السهمي أتقاضى حقا لي عنده، قال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد ﷺ، فقلت: لا حتى تموت ثم تبعث، قال: وإني لميت ثم مبعوث؟ قلت: نعم، قال لي: إن لي هناك مالا وولدا فأقضيكه، فنزلت هذه الآية: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾.

رواه الثوري وشعبة وحفص وأبو معاوية ووكيع، عن الأعمش.

الشَّرح

قال العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: ﴿أَفَرَءَيْتَ﴾ بمعنى أخبر، والفاء جاءت لإفادة معناها الذي هو التعقيب، كأنه قال: أخبره أيضا بقصة هذا الكافر، واذكر حديثه عقيب حديث أولئك، والفاء بعد همزة الاستفهام عاطفة على جملة، ﴿ٱلَّذِى﴾ العاص بن وائل ﴿كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا﴾ القرآن ﴿وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾ يعني في الجنة بعد البعث، قال ذلك استهزاء، قرأ حمزة والكسائي «وُلْدا» بضم الواو وسكون اللام، والباقون بفتحها، وهما لغتان كالعَرَب والعُرْب».

• [٤٣٤٤] هذه الآية وما بعدها وهي قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ۝٧٨ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ۝٧٩ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم: ٧٧ - ٨٠] كلها آيات نزلت في العاص بن وائل السهمي، وهو والد عمرو بن العاص الصحابي المشهور.

وفي الحديث أنه جاء الصحابي خباب بن الأرت -وكان حدادا رضي الله عنه- إلى العاص، وكان قد عمل له صناعة فجاء يتقاضاه حقا له فامتنع العاص وقال: «لا أعطيك حتى تكفر بمحمد ﷺ»، فقال خباب: «لا حتى تموت ثم تبعث» والمراد النفي المؤبد؛ لأنه بعد الموت ليس هناك عمل، بل حساب فقط، فكأنه قال: لا أكفر أبدا. قوله: «وإني لميت ثم مبعوث؟ قلت: نعم، قال لي: إن لي هناك مالا وولدا فأقضيكه، فنزلت هذه الآية».

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ **:** «قوله : «**حتى تموت ثم تبعث**» مفهومه أنه يكفر حينئذ ، لكنه لم يرد ذلك ؛ لأن الكفر حينئذ لا يتصور فكأنه قال : لا أكفر أبدا» .

ثم قال رَحِمَهُ اللَّهُ : «والنكتة في تعبيره بالبعث تعبير العاص بأنه لا يؤمن به ، وبهذا التقرير يندفع إيراد من استشكل قوله هذا فقال علق الكفر ومن علق الكفر كفر ، وأجاب بأنه خاطب العاص بما يعتقده ، فعلق على ما يستحيل بزعمه ، والتقرير الأول يغني عن هذا الجواب» .

* * *

المتن

[٢٠٨/ ٥٦] باب قوله:

﴿أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ **الآية** [مريم: ٧٨]

• [٤٣٤٥] حدثنا محمد بن كثير، قال: أخبرنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحىٰ، عن مسروق، عن خباب قال: كنت قينا بمكة، فعملت للعاصي بن وائل السهمي سيفا، فجئت أتقاضاه، فقال: لا أعطيك حتىٰ تكفر بمحمد، قلت: لا أكفر بمحمد حتىٰ يميتك الله ثم يحييك، قال: إذا أماتني الله ثم بعثني ولي مال وولد، فأنزل الله ﷻ: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا﴾ [مريم: ٧٧، ٧٨]، قال: موثقا.

لم يقل الأشجعي عن سفيان: سيفا ولا موثقا.

الشرح

قال العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال ابن عباس: أنظر في اللوح المحفوظ؟! يعني العاص بن وائل، وقال مجاهد: أعلم علم الغيب حتىٰ يعلم أفي الجنة هو أم لا؟! قوله: ﴿أَطَّلَعَ﴾ من اطلع الجبل إذا ارتقىٰ إلىٰ أعلاه، قوله: ﴿عَهْدًا﴾ [مريم: ٧٨] أي قال: لا إله إلا الله، وعن قتادة: عمل صالحا قدمه، وعن الكلبي: عهد إليه أنه يدخله الجنة، وفسر البخاري عهدا بقوله: موثقا».

• [٤٣٤٥] قوله: **«كنت قينا بمكة»** القين هو الحداد.

وفي هذا الحديث بيان العمل الذي عمله للعاص، وأنه أصلح له سيفا فصارت له أجرة عنده، فجاء يتقاضاه الأجرة، فحصلت بينهما هذه المحاورة.

والمراد بـ **«ثم يحييك»** النفي المؤبد، و**«موثقا»** تفسير للعهد.

* * *

المَتْنُ

[٢٠٩/ ٥٦] باب قوله تعالى:

﴿كَلَّاۚ سَنَكۡتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلۡعَذَابِ مَدّٗا﴾ **الآية** [مريم: ٧٩]

• [٤٣٤٦] حدثنا بشر بن خالد، قال: حدثنا محمد بن جعفر، عن شعبة، عن سليمان قال: سمعت أبا الضحى، يحدث عن مسروق، عن خباب قال: كنت قينا في الجاهلية، وكان لي دين على العاصي بن وائل، قال: فأتاه يتقاضاه، فقال: لا أعطيك حتى تكفر بمحمد ﷺ، فقال: والله لا أكفر حتى يميتك الله ثم يبعثك، قال: فذرني حتى أموت ثم أبعث، فسوف أوتى مالا وولدا فأقضيك، فنزلت هذه الآية: ﴿أَفَرَءَيۡتَ ٱلَّذِي كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالٗا وَوَلَدًا﴾ [مريم: ٧٧].

الشَّرْحُ

قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ: «كلمة ﴿كَلَّاۚ﴾ [مريم: ٧٩] ردع ورد على العاص بن وائل، قوله: ﴿سَنَكۡتُبُ﴾ أي سنحفظ عليه ما يقول فنجازيه به في الآخرة، قوله: ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ﴾ أي نزيده عذابا فوق العذاب».

• [٤٣٤٦] هذا الحديث هو نفس الحديث السابق من طريق أخرى أتى به المؤلف على هذه الآية لأن الآيات كلها في قصة واحدة.

* * *

المتن

[٢١٠/ ٥٦] باب قوله ﷻ: ﴿وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٠]

وقال ابن عباس: ﴿ٱلْجِبَالُ هَدًّا﴾ [مريم: ٩٠]: هدما.

• [٤٣٤٧] حدثني يحيى، قال: حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن خباب قال: كنت رجلا قينا، وكان لي على العاصي بن وائل دين، فأتيته أتقاضاه، فقال لي: لا أقضيك حتى تكفر بمحمد، قال: قلت: لن أكفر به حتى تموت ثم تبعث، قال: وإني لمبعوث من بعد الموت؟ فسوف أقضيك إذا رجعت إلى مال وولد، قال فنزلت: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾، إلى قوله: ﴿فَرْدًا﴾ [مريم: ٧٧ - ٨٠].

الشرح

قال العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله ﷻ: ﴿وَنَرِثُهُۥ﴾ أي نرث العاص بن وائل ﴿مَا يَقُولُ﴾ من المال والولد ﴿وَيَأْتِينَا﴾ يوم القيامة ﴿فَرْدًا﴾ [مريم: ٨٠] أي بلا مال ولا ولد، وقال النسفي: معناه لا ننسى قوله هذا ولا نلغيه، بل نثبته في صحيفته لنضرب به وجهه في الموقف ونعيره به ويأتينا على فقره ومسكنته فردا من المال والولد».

قال العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وعن مقاتل: ﴿هَدًّا﴾ [مريم: ٩٠] كسرا، وعن أبي عبيدة: سقوطا».

• [٤٣٤٧] هذا الحديث كرره المؤلف أربع مرات على أربع آيات؛ لأن هذه الآيات كلها نزلت في هذه القصة.

* * *

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة طه

وقال عكرمة والضحاك : بالنبطية ، أي : طَهْ يا رجل .

قال مجاهد : ﴿أَلْقَىٰ﴾ [طه : ٦٥] : صنع .

﴿أَزْرِى﴾ [طه : ٣١] : ظهري .

الأمثل ، يقول : بدينكم ، يقال : خذ المثلى ، خذ الأمثل .

﴿لَنَنسِفَنَّهُۥ﴾ [طه : ٦٥] : لنذرينه .

﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ [طه : ٦١] : يهلككم .

﴿فَأَجْمِعُوا۟ كَيْدَكُمْ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ ٱلْيَوْمَ مَنِ ٱسْتَعْلَىٰ﴾ [طه : ٦٤] ، يقال : هل أتيت الصف اليوم؟ يعني : المصلى الذي يصلى فيه .

﴿فَأَوْجَسَ فِى نَفْسِهِۦ﴾ [طه : ٦٧] خوفا ، فذهبت الواو من ﴿خِيفَةً﴾ [طه : ٦٧] لكسرة الخاء .

﴿فِى جُذُوعِ﴾ [طه : ٧١] أي : على جذوع النخل .

﴿خَطْبُكَ﴾ [طه : ٩٥] : بالك .

﴿قَاعًا﴾ [طه : ١٠٦] : يعلوه الماء .

والصفصف : المستوي من الأرض .

وقال مجاهد : ﴿أَوْزَارًا﴾ : أثقالا ، ﴿مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ﴾ [طه : ٨٧] : وهى الحلي التي استعاروا من آل فرعون ، وهي الأثقال .

«فقذفتها» : فألقيتها .

﴿أَلْقَى﴾ [طه : ٦٥] : صنع .

﴿يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا﴾ [طه : ٨٩] : العجل .

﴿هَمْسًا﴾ [طه: ١٠٨]: حس الأقدام.

﴿حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ﴾ [طه: ٢٥]: عن حجتي.

﴿وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا﴾ [طه: ١٢٥]: في الدنيا، قال ابن عباس: بقبس ضلوا الطريق وكانوا شاتين فقال إن لم أجد عليها من يهدي الطريق آتيكم بنار تدفئون به.

وقال ابن عيينة: أمثلهم طريقا: أعدلهم.

وقال ابن عباس: ﴿هَضْمًا﴾ [طه: ١١٢]: لا يظلم فيهضم من حسناته.

﴿عِوَجًا﴾ [طه: ١٠٧]: واديا.

﴿وَلَآ أَمْتًا﴾ [طه: ١٠٧]: رابية.

﴿ضَنكًا﴾ [طه: ١٢٤]: الشقاء.

﴿هَوَىٰ﴾ [طه: ٨١]: شقي.

﴿بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ﴾ [طه: ١٢]: المبارك.

﴿طُوًى﴾ [طه: ١٢]: اسم واد بها.

﴿يَفْرُطَ﴾ [طه: ٤٥]: عقوبة.

﴿يَبَسًا﴾ [طه: ٧٧]: يابسا.

﴿وَلَا تَنِيَا﴾ [طه: ٤٢]: تضعفا.

• [٤٣٤٨] حدثني الصلت بن محمد، قال: حدثنا مهدي بن ميمون، قال: حدثنا محمد بن سيرين، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ قال: **«التقى آدم وموسى، قال موسى: أنت الذي أشقيت الناس وأخرجتهم من الجنة، قال آدم: أنت موسى الذي اصطفاك الله برسالته، واصطفاك لنفسه، وأنزل عليك التوراة؟ قال: نعم، قال: فوجدتها كتب علي قبل أن يخلقني، قال: نعم، قال: فحج آدم موسى»**.

الشرح

قوله: **«وقال عكرمة والضحاك بالنبطية أي: طه يا رجل»** معروف أن طه من الحروف المقطعة، وذكر عن ابن عباس أنه كقوله: يا محمد بالحبشية وذكر أيضا عن بعضهم أن الضحاك

قال : هذا اسم من أسماء الله وهذا كله بعيد والأقرب أنها من الحروف المقطعة التي تفتح بها السور مثل ﴿كهيعص﴾ و﴿ن﴾ و﴿حم﴾ و﴿الم﴾ و﴿المر﴾ و﴿المص﴾ أما قول بعضهم أن طه من أسماء النبي ﷺ فهذا ليس بصحيح .

قوله : ﴿أَزْرِي﴾ [طه : ٣١] : «ظهري» .

قوله : ﴿فَيُسْحِتَكُم﴾ [طه : ٦١] «فيهلككم» .

وقوله : ﴿وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ الْمُثْلَىٰ﴾ [طه : ٦٣] تأنيث الأمثل والمعنى : يذهب بدينكم الأمثل يقال : «خذ المثلى وخذ الأمثل» .

قوله : ﴿ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا ۚ وَقَدْ أَفْلَحَ الْيَوْمَ مَنِ اسْتَعْلَىٰ﴾ [طه : ٦٤] «يقال : هل أتيت الصف اليوم؟ يعني المصلى الذي يصلى فيه» يعني : ظاهر سياق الآية أنهم يأتون جميعا .

قوله : ﴿فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ﴾ [طه : ٦٧] يقول : «خوفا فذهبت الواو من خيفة» لكسرة الخاء أصلها خوفة فلما كسرت الخاء تحركت الواو وفتح ما قبلها فقلبت ياء كما هو معروف في علم التصريف .

قوله : ﴿فِي جُذُوعِ﴾ [طه : ٧١] يعني : على جذوع النخل .

قوله : ﴿خَطْبُكَ﴾ [طه : ٩٥] يعني : ما بالك وما شأنك؟

قوله : ﴿أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ﴾ [طه : ٩٧] مصدر من ماسه مساسا .

قوله : ﴿لَنَنسِفَنَّهُ﴾ [طه : ٩٧] لنرينه يعني العجل لما حرقه موسى .

قوله : ﴿قَاعًا﴾ [طه : ١٠٦] قال : «يعلوه الماء ، والصفصف : هو المستوي من الأرض» .

قوله : ﴿أَوْزَارًا﴾ [طه : ٨٧] قال مجاهد : الأوزار هي الأثقال و﴿مِّن زِينَةِ الْقَوْمِ﴾ [طه : ٨٧] «الحلي الذي استعاروا من آل فرعون» .

قوله : «فَقَذَفْتُهَا» [طه : ٨٧] قال : «فألقيتها» .

قوله : ﴿أَلْقَى﴾ [طه : ٨٧] «صنع» يعني : أن السامري أخذ الذهب من آل فرعون فصوره على هيئة العجل وقذف عليه من أثر الرسول –قال بعضهم : من أثر فرس جبريل– فصار عجلا له خوار ، قال تعالى : ﴿فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُ خُوَارٌ﴾ [طه : ٨٨] .

قوله : ﴿ فَنَسِيَ ﴾ [طه : ٨٨] الضمير يعود إلى موسى ، واليهود يقولون : أخطأ الرب .

قوله : ﴿ يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً ﴾ [طه : ٨٩] يعني العجل كيف يتخذونه إلها وهو لا يرد الكلام؟ ﴿ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلاً وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴾ [طه : ٨٩] أي : ما يستطيع الكلام ، وهذا فيه دليل على أن عدم الكلام نقص يستدل به على عدم ألوهية العجل وفيه الرد على الجهمية والمعتزلة الذين قالوا : إن الرب سبحانه لا يتكلم وأن الكلام مخلوق فالله تعالى أنكر على عباد العجل كيف يعبدونه ولا يستطيع الرد عليهم؟!

قوله : ﴿ هَمْسًا ﴾ [طه : ١٠٨] يعني : حس الأقدام يوم القيامة .

قوله : ﴿ حَشَرْتَنِيٓ أَعْمَىٰ ﴾ «عن حجتي» ﴿ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا ﴾ [طه : ١٢٥] في الدنيا فسرها أي : أعمى عن الحجة وقد كنت بصيرا في الدنيا .

قوله : «قال ابن عباس : ﴿ بِقَبَسٍ ﴾ [طه : ١٠] ضلوا الطريق وكانوا شاتين» يعني : كانوا في الشتاء في البرد «فقال : إن لم أجد عليها من يهدي الطريق آتيكم بنار توقدون به» ، وذلك في تفسير قوله تعالى عن موسى : ﴿ إِذْ رَءَا نَارًا ﴾ أي : بجانب الطور ﴿ فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ ﴾ [طه : ١٠] يعني : اجلسوا سآتي هذه النار وكانوا ضلوا الطريق والوقت شاتٍ فقال : أنا بين أحد أمرين إما أن أجد أحدا عند النار يدلني على الطريق أو إن لم أجد أحدا آخذ قبسا أستدفئ به ﴿ لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ ﴾ [طه : ١٠] يعني من النار .

قوله : «وقال ابن عيينة : «أمثلهم طريقًا» [طه : ١٠٤] أعدلهم» .

قوله : ﴿ هَضْمًا ﴾ [طه : ١١٢] الهضم الظلم يعني لا يظلم فيهضم من حسناته .

قوله : ﴿ عِوَجًا ﴾ [طه : ١٠٧] واديا ، يعني : الأرض يوم القيامة .

قوله : ﴿ أَمْتًا ﴾ [طه : ١٠٧] رابية ، يعني : تزال ما عليها من الجبال .

قوله : ﴿ ضَنكًا ﴾ [طه : ١٢٤] هذا الذي ضل يكون في الدنيا في ضنك ، والضنك : الشقاء .

قوله : ﴿ هَوَىٰ ﴾ [طه : ٨١] قال : «شَقِيَ» .

قوله : ﴿ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ ﴾ [طه : ١٢] : «المبارك» .

قوله : ﴿ طُوًى ﴾ [طه : ١٢] اسم الوادي الذي فيه جبل الطور وهو الوادي المبارك ، قال الله : ﴿ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴾ [طه : ١٢] يعني المطهر .

قوله : ﴿يَفْرُطَ﴾ [طه : ٤٥] يعني نخاف من عقوبته يعني فرعون .

قوله : ﴿يَبَسًا﴾ [طه : ٨٧] يعني البحر يابسا .

قوله : ﴿وَلَا تَنِيَا﴾ [طه : ٤٢] يعني : لا تضعفا .

• [٤٣٤٨] قوله : «**واصطفاك لنفسه**» هذا هو الشاهد للترجمة ، قال تعالى : ﴿وَٱصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِى﴾ [طه : ٤١].

قوله : «**فحج آدم موسى**» حجه من جهتين :

إحداهما : أنه لامه على المصيبة التي لحقته وذريته بالخروج من الجنة فاحتج آدم بالقدر وهو أنه قال إنها كتبت عليه .

ثانيهما : أنه لامه بعد التوبة والتائب مغفور له فلا يلام ، وإنما الذي يلام المصر على الذنب .

وهذه المحاورة يحتمل أنها كانت في البرزخ أو في ليلة المعراج ، ومعلوم أن آدم عليه السلام مات ودفن في الأرض وموسى عليه السلام مات ودفن في الأرض ، لكن النبي ﷺ في حديث المعراج رأى الأنبياء على أشكالهم - والروح تأخذ شكل الجسد - وكلموه وكلمهم .

* * *

المتن

[٢١١/ ٥٦] باب قوله تعالى: و﴿أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰٓ أَنْ أَسْرِ بِعِبَادِى فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ﴾ إلى قوله: ﴿وَمَا هَدَىٰ﴾ [طه: ٧٧ - ٧٩]

اليم: البحر.

• [٤٣٤٩] حدثنا يعقوب بن إبراهيم، قال: حدثنا روح، قال: حدثنا شعبة، قال: حدثنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما قدم رسول الله ﷺ المدينة واليهود تصوم يوم عاشوراء فسألهم، فقالوا: هذا اليوم الذي ظهر فيه موسىٰ علىٰ فرعون، فقال: **«نحن أولىٰ بموسىٰ منهم، فصوموه»**.

الشرح

قوله: «اليم» يعني: «البحر»، قال تعالىٰ: ﴿فَٱضْرِبْ لَهُمْ طَرِيقًا فِى ٱلْبَحْرِ يَبَسًا لَّا تَخَٰفُ دَرَكًا وَلَا تَخْشَىٰ ﴿٧٧﴾ فَأَتْبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِۦ فَغَشِيَهُم مِّنَ ٱلْيَمِّ مَا غَشِيَهُمْ ﴿٧٨﴾ وَأَضَلَّ فِرْعَوْنُ قَوْمَهُۥ وَمَا هَدَىٰ﴾ [طه: ٧٧ - ٧٩].

• [٤٣٤٩] في الحديث مشروعية صيام يوم عاشوراء، ومناسبته لآية الترجمة ظاهرة.

* * *

المتن

[٢١٢/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ﴾ [طه: ١١٧]

• [٤٣٥٠] حدثنا قتيبة بن سعيد، قال: حدثنا أيوب بن النجار، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة بن عبدالرحمن، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: **«حاج موسى آدم؛ فقال له: أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك وأشقيتهم، قال: قال آدم: يا موسى، أنت الذي اصطفاك الله برسالاته وبكلامه، أتلومني على أمر كتبه الله علي قبل أن يخلقني؟ أو قدره علي قبل أن يخلقني؟»**، قال رسول الله ﷺ: **«فحج آدم موسى»**.

الشرح

• [٤٣٥٠] قوله: «حدثنا أيوب بن النجار» هو أيوب بن النجار اليمامي، من اليمامة، والإمام البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يرو له كثيرًا وهو ثقة.

قوله: «أنت الذي أخرجت الناس من الجنة بذنبك» ظاهره أنه لامه على الذنب، وظاهر الأحاديث الأخرى أنه لامه على المصيبة، ويحتمل أن بعض الرواة رواه بالمعنى فذكر الذنب.

* * *

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأنبياء عليهم السلام

• [٤٣٥١] حدثني محمد بن بشار، قال: حدثنا غندر، قال: حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، قال: سمعت عبدالرحمن بن يزيد، عن عبدالله قال: بني إسرائيل والكهف ومريم وطه والأنبياء، هن من العتاق، والأول هن من تلادي.

وقال قتادة: ﴿جُذَٰذًا﴾ [الأنبياء: ٥٨]: قطعهن.

﴿يَسۡبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]: يدورون.

وقال الحسن: ﴿فِي فَلَكٖ يَسۡبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]: مثل فلكة المغزل.

قال ابن عباس: ﴿نَفَشَتۡ﴾ [الأنبياء: ٧٨]: رعت ليلا.

﴿يُصۡحَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٣]: يمنعون.

﴿أُمَّتُكُمۡ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾ [الأنبياء: ٩٢] قال: دينكم دين واحد.

وقال غيره: ﴿أَحَسُّواْ﴾ [الأنبياء: ١٢]: توقعوا، من أحسست.

﴿خَٰمِدِينَ﴾ [الأنبياء: ١٥]: هامدين.

والحصيد مستأصل يقع على الواحد والاثنين والجميع.

﴿وَلَا يَسۡتَحۡسِرُونَ﴾ [الأنبياء: ١٩]: لا يعيون، ومنه: ﴿حَسِيرٞ﴾ [الملك: ٤]، وحسرت بعيري.

﴿عَمِيقٖ﴾ [الحج: ٢٧]: بعيد.

﴿نُكِسُواْ﴾ [الأنبياء: ٦٥]: ردوا.

﴿صَنۡعَةَ لَبُوسٖ لَّكُمۡ﴾ [الأنبياء: ٨٠]: الدروع.

﴿تَقَطَّعُوٓاْ أَمۡرَهُم﴾ [الأنبياء: ٩٣]: اختلفوا.

والحسيس والحس والجرس واحد، وهو من الصوت الخفي .

﴿ءَاذَنَّكَ﴾ [فصلت: ٤٧]: أعلمناك .

﴿ءَاذَنتُكُمْ﴾: [الأنبياء: ١٠٩] إذا أعلمته، فأنت وهو ﴿سَوَآءٍ﴾ [الأنبياء: ١٠٩] لم تغدر .

وقال مجاهد: ﴿لَعَلَّكُمْ تُسْـَٔلُونَ﴾ [الأنبياء: ١٣]: تفهمون .

﴿ٱلتَّمَاثِيلُ﴾ [الأنبياء: ٥٢]: الأصنام .

﴿ٱلسِّجِلِّ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]: الصحيفة .

الشرح

• [٤٣٥١] قوله: «**عن عبدالله**» هو عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

قوله: «**بني إسرائيل**» يعني سورة الإسراء «**والكهف ومريم وطه والأنبياء هن من العتاق الأول وهن من تلادي**» يعني أنه رضي الله عنه حفظهم قديمًا بمكة، والتلاد هو المال القديم، والطريف هو المال الجديد .

وفيه فضل ابن مسعود رضي الله عنه لأنه من الحفاظ، قال النبي ﷺ: «**خذوا القرآن من أربعة...**»[1] وذكر منهم ابن أم عبد وهو عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

قوله: «**وقال قتادة: ﴿جُذَٰذًا﴾ [الأنبياء: ٥٨] قطعهن**» يعني الأصنام .

قوله: «**وقال الحسن: ﴿فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٣]: مثل فلكة المغزل**» أي تدور مثل فلكة المغزل، الليل يعقب النهار والنهار يعقب الليل؛ فالشمس في النهار يعقبها القمر في الليل ثم يعقب القمر الشمس وهكذا حتى يقضي الله عز وجل الأمر وتنتهي الدنيا .

قوله: ﴿نَفَشَتْ﴾ [الأنبياء: ٧٨] كما قال ابن عباس رضي الله عنهما: «**رعت ليلا**» .

قوله: ﴿يُصْحَبُونَ﴾ [الأنبياء: ٤٣] قال: «**يمنعون**» .

قوله: ﴿أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الأنبياء: ٩٢] قال: «**دينكم دين واحد**» .

قوله: ﴿أَحَسُّواْ﴾ [الأنبياء: ١٢] يعني: توقعوا، من الفعل أحس .

---

(١) البخاري (٣٨٠٨)، ومسلم (٢٤٦٤) .

قوله : ﴿خَٰمِدِينَ﴾ [الأنبياء : ١٥] قال : «هامدين» .

قوله : ﴿وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ﴾ [الأنبياء : ١٩] قال : «لا يعيون» ، وهو من باب فَرِح يَفْرَحُ .

وقد نقل الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن التين أن الصواب بضم أوله يُعيون من أعيا يُعيي ، والصواب بفتح أوله من الثلاثي عَيِيَ يَعْيىٰ .

قوله : ﴿نُكِسُواْ عَلَىٰ رُءُوسِهِمْ﴾ [الأنبياء : ٦٥] يعني : رُدوا على رءوسهم .

قوله : ﴿صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ﴾ [الأنبياء : ٨٠] قال : «الدروع» .

قوله : ﴿تَقَطَّعُوٓاْ أَمْرَهُم﴾ [الأنبياء : ٩٣] قال : «اختلفوا» .

قوله : «الحسيس والحس والجرس» بإسكان الراء «واحد وهو من الصوت الخفي» وهو الحركة ، أي : لا يسمعون الحركة ولا الصوت الخفي ، وذلك في قوله تعالى : ﴿لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا﴾ [الأنبياء : ٩٣] يعني النار .

* * *

المتن

[٢١٣/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]

● [٤٣٥٢] حدثنا سليمان بن حرب، قال: حدثنا شعبة، عن المغيرة بن النعمان شيخ من النخع، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: خطب النبي ﷺ قال: **«إنكم محشورون إلى الله حفاة عراة غرلا، ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾** [الأنبياء: ١٠٤]، **ثم إن أول من يكسى إبراهيم يوم القيامة، ألا إنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك، فأقول كما قال العبد الصالح: ﴿وَكُنتُ عَلَيْهِمْ شَهِيدًا مَّا دُمْتُ فِيهِمْ﴾ إلى قوله ﴿شَهِيدٌ﴾** [الأنبياء: ١١٧]، **فيقال: إن هؤلاء لم يزالوا مرتدين إلى أعقابهم منذ فارقتهم»**.

الشرح

● [٤٣٥٢] هذا الحديث على هذه الآية: ﴿كَمَا بَدَأْنَآ أَوَّلَ خَلْقٍ نُّعِيدُهُۥ وَعْدًا عَلَيْنَآ إِنَّا كُنَّا فَٰعِلِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٤] الآية، وفيها أن الناس يعادون يوم القيامة كما بدأهم الله تعالى حفاة عراة غرلا مثل خلقهم الأول، وذكر حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ خطب الناس فقال: **«إنكم محشورون إلى الله حفاة»** لا نعال عليكم **«عراة»** لا ثياب عليكم **«غرلا»** غير مختونين.

قوله: **«أول من يكسى إبراهيم يوم القيامة»** هذه منقبة لإبراهيم عليه السلام.

قوله: **«ألا أنه يجاء برجال من أمتي فيؤخذ بهم ذات الشمال، فأقول: يا رب أصحابي فيقال: لا تدري ما أحدثوا بعدك»** فيه شدة الخطر ووجوب الحذر؛ فإذا كان من آمن بالنبي ﷺ ورآه وصحبه يؤخذ بهم ذات الشمال لكونهم أحدثوا بعد النبي ﷺ فكيف حال من هو في آخر الزمان في القرون المتأخرة؟! فالخطر أعظم لغلبة الجهل وكثرة البدع وطول العهد والبعد عن آثار النبوة؛ فينبغي للإنسان أن يكون على حذر.

وفيه دليل على أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب ولا يعلم أعمال أمته، وفيه دليل على ضعف الحديث الذي يروى أن النبي ﷺ تعرض عليه أعمال أمته حسنها وسيئها فإذا رأى حسنًا استبشر وإذا رأى سيئًا استغفر.

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الحج

قال ابن عيينة : ﴿ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحج : ٣٤] : المطمئنين .

وقال ابن عباس في : ﴿إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج : ٥٢] : إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه ، فيبطل الله ما ألقى الشيطان ، ويحكم آياته .

ويقال : ﴿أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ : قراءته .

﴿إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾ [البقرة : ٧٨] : يقرءون ولا يكتبون .

وقال ابن عباس : ﴿بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج : ١٥] : بحبل إلى سقف البيت .

ويقال : ﴿يَسْطُونَ﴾ [الحج : ٧٢] : يبطشون .

وقال غيره : ﴿يَسْطُونَ﴾ : يفرطون من السطوة .

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ﴾ [الحج : ٢٤] : ألهموا إلى القرآن .

﴿وَهُدُوٓاْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [الحج : ٢٤] : الإسلام .

﴿تَذْهَلُ﴾ [الحج : ٢] : تشغل .

وقال مجاهد : ﴿مَّشِيدٍ﴾ [الحج : ٤٥] بالقصة جص .

الشرح

هذا تفسير سورة الحج ، والمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ من عادته أنه يفسر الكلمات التي يشكل معناها ليفيد طالب العلم ، وهذا الكتاب -وهو «الجامع الصحيح»- ضرب بسهم في التفسير وفي اللغة وفي السنة وفي المعاني وفي الأصول ؛ فضرب في كل علم بسهم .

قوله : «**قال ابن عيينة : ﴿ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ : المطمئنين**» يعني في قوله تعالى : ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ۝ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [الحج : ٣٤، ٣٥] .

قوله : **«وقال ابن عباس : ﴿إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ إذا حدث ألقى الشيطان في حديثه فيبطل الله ما ألقى الشيطان ويحكم آياته»** يعني : في قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج : ٥٢] يعني إذا قرأ أو حدث .

قوله : ﴿إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾ قال : **«يقرءون ولا يكتبون»** يعني : في قوله تعالى : ﴿وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لَا يَعْلَمُونَ ٱلْكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِىَّ﴾ [البقرة : ٧٨] يعني إلا تلاوة مجردة .

قوله : ﴿بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ﴾ [الحج : ١٥] قال : **«بحبل إلى سقف البيت»** .

قوله : ﴿يَسْطُونَ﴾ [الحج : ٧٢] قال : **«يبطشون ، وقال غيره : ﴿يَسْطُونَ﴾ يفرطون من السطوة»** .

قوله : ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّيِّبِ﴾ [الحج : ٢٤] قال : **«ألهموا إلى القرآن»** وهو القول الطيب .

قوله تعالى : ﴿وَهُدُوٓا۟ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْحَمِيدِ﴾ [الحج : ٢٤] فسر الصراط بالإسلام .

قوله : ﴿تَذْهَلُ﴾ [الحج : ٢] أي : **«تشغل»** .

قوله : ﴿مَّشِيدٍ﴾ [الحج : ٤٥] يعني : مزخرف بالجص ومدهون بالدهانات .

* * *

المتن

[٢١٤/ ٥٦] باب ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ [الحج: ٢]

• [٤٣٥٣] حدثنا عمر بن حفص، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا الأعمش، قال: حدثنا أبو صالح، عن أبي سعيد الخدري قال: قال النبي ﷺ: **«يقول الله يوم القيامة: يا آدم، يقول: لبيك ربنا وسعديك، فينادىٰ بصوت: إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك بعثا إلى النار، قال: يا رب، وما بعث النار؟ قال: من كل ألف** -أراه قال- **تسعمائة وتسعة وتسعين، فحينئذ تضع الحامل حملها، ويشيب الوليد، ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾** [الحج: ٢]»، فشق ذلك على الناس، حتىٰ تغيرت وجوههم، فقال النبي ﷺ: **«من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين، ومنكم واحد، ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض، أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود، إني لأرجو أن تكونوا ربع أهل الجنة»**، فكبرنا، ثم قال: **«ثلث أهل الجنة»**، فكبرنا، ثم قال: **«شطر أهل الجنة»**، فكبرنا.

وقال أبو أسامة، عن الأعمش: ﴿سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ﴾ [الحج: ٢]، وقال: **«من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين»**.

وقال جرير وعيسىٰ بن يونس وأبو معاوية: **«سَكْرَىٰ وَمَا هُمْ بِسَكْرَىٰ»**.

الشرح

• [٤٣٥٣] قوله تعالىٰ: ﴿وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ٢] هذه قراءة حفص المشهورة، قال القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وقرأ النخعي **«سَكْرَىٰ»** بفتح السين علىٰ مثال فَعْلَىٰ، وهو تكسير سكران، وإنما كسر علىٰ **«سكرىٰ»** لأن السكر آفة تلحق العقل فجرىٰ مجرىٰ صرعىٰ وبابه. وقرأ الأعمش **«سُكرىٰ»** كحُبْلَى فهو صفة مفردة، وجاز الإخبار بالصفة المفردة عن الجماعة علىٰ ما يستعملونه من الإخبار عن الجماعة بالواحد»[١].

والشاهد قوله: **«فحينئذ تضع الحامل حملها ويشيب الوليد»**.

---

(١) «تفسير القرطبي» (٥/ ٢٠٢).

وهذا الحديث فيه إثبات القيامة وإثبات البعث وأن من أنكر البعث فهو كافر بإجماع المسلمين ونص القرآن فالأجساد يعيدها الله ﷻ خلقًا جديدًا، وقد أمر الله ﷻ نبيه ﷺ أن يقسم على البعث في ثلاثة مواضع من كتابه:

الموضع الأول: قوله: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبْعَثُواْۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ﴾ [التغابن: ٧].

الموضع الثاني: قوله: ﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَۖ قُلْ إِي وَرَبِّيٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ﴾ [يونس: ٥٣] يعني: البعث.

الموضع الثالث: قوله: ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأْتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ﴾ [سبأ: ٣].

والإنسان إذا مات يبلى إلا عجب الذنب، وفي الحديث: **«ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة»**(١)، أما الرسل فإن أجسادهم كريمة لا تأكلها الأرض؛ فيعيد الله ﷻ الذرات التي استحالت لأنه عالم بها وقادر على إعادتها ﴿قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْۖ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ﴾ [ق: ٤] وذلك بعد أن ينفخ إسرافيل نفخة الصعق والموت فيمكث الناس أربعين، ثم ينزل الله ﷻ مطرًا تنبت منه أجساد الناس وينشأ الناس تنشئة قوية، الصفات والذوات هي هي خلافًا للجهمية الذين يقولون: تبدل الذوات، وهذا من أبطل الباطل وكفر وضلال، فالذات هي التي تعاد؛ فإذا تم الخلق أمر الله تعالى إسرافيل فنفخ في الصور فعادت الأرواح إلى أجسادها، والأرواح باقية بعد الموت، والإنسان إما في عذاب أو في نعيم، وأرواح المؤمنين تنقل إلى الجنة ولها صلة بالجسد وأرواح الكافرين تنقل إلى النار ولها صلة بالجسد؛ فمن قال: إن المعاد للأرواح فهو كافر كما يقول الفلاسفة الذين أنكروا بعث الأجساد وقالوا: البعث للأرواح.

وفي هذا الحديث إثبات الكلام لله ﷻ وإثبات القول والنداء والرد على من أنكر ذلك كالجهمية والمعتزلة والأشاعرة؛ فقوله: **«فينادي بصوت»** فيه إثبات الصوت لله ﷻ وأن كلام الله ﷻ بحرف وصوت، وفيه الرد على الأشاعرة والكلابية الذين يقولون: إن كلام الله ﷻ معنى قائم بالنفس ليس بحرف ولا صوت.

---

(١) البخاري (٤٩٣٥)، ومسلم (٢٩٥٥).

ولكن الأمر صريح ؛ فالنداء هو الكلام من بعد والله تعالىٰ نوع هذه الصفة في الكلام قال ﷻ : ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمٗا﴾ [النساء : ١٦٤] وأكده بالمصدر ، وقال ﷻ : ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾ والنداء هو الكلام من بعد ، وقال ﷻ : ﴿وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾ [مريم : ٥٢] والنجاء هو الكلام من قرب ؛ فأتىٰ بالكلام من قرب والكلام من بعد ، والنداء -وهو الكلام من بعد- لابد فيه من الصوت والحديث صرح فيه بالصوت **«فينادىٰ بصوت»** وهو الرب سبحانه وتعالىٰ ، والضمير يعود إلىٰ الله ﷻ ، وقد ورد : «فينادي» وهو صريح في أن المنادي هو الله ﷻ .

قوله : **«من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعين وتسعة»** فيه دليل علىٰ أن يأجوج ومأجوج من بني آدم بعد قوله : **«إن الله يأمرك أن تخرج من ذريتك»** وهم من نسل يافث بن نوح ، وهما أمتان كافرتان : أمة يقال لها : يأجوج ، وأمة يقال لها : مأجوج .

ويأجوج ومأجوج من الأجيج ، وهو كثرة الأصوات واختلاطها ، وهم عدد كثير لا يحصيهم إلا الله ﷻ .

ولما قال النبي ﷺ إن الله تعالىٰ يقول لآدم ﷺ أخرج من كل ألف تسعمائة وتسعة وتسعين إلىٰ النار شق ذلك على الصحابة ﷺ حتىٰ تغيرت وجوههم من الخوف ، وفي اللفظ الآخر أنهم قالوا : وأينا ذلك الواحد؟ أي : من هو الواحد الذي يذهب إلىٰ الجنة؟ قال ابن القيم رحمه الله في وصف الجنة :

يا سلعة الرحمن ليس ينالها ... في الألف إلا واحد لا اثنان

يعني : لا ينالها من الألف إلا واحد أخذًا من هذا الحديث ؛ فبعث النار تسعمائة وتسعة وتسعون إلىٰ النار وواحد إلىٰ الجنة .

قوله : **«من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعين ، ومنكم واحد»** يعني نصيب النار من يأجوج ومأجوج تسعمائة وتسعة وتسعون ومن غير يأجوج ومأجوج واحد ، وهذا يدل علىٰ أنهما أمتان كافرتان .

قوله ﷺ : **«ثم أنتم في الناس كالشعرة السوداء في جنب الثور الأبيض أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود»** فيه دليل علىٰ أن أهل النار كثيرون وأن هذه الأمة والمؤمنين منها نسبتها كالشعرة السوداء في جنب الثور **الأبيض** أو كالشعرة البيضاء في جنب الثور الأسود .

قوله ﷺ : **«إني لأرجو»** هذا رجاء محقق **«أن تكونوا ربع أهل الجنة فكبرنا»** فيه مشروعية التكبير عند الأمر الذي يتعجب منه ؛ فكبروا فرحًا بفضل الله ﷻ ثم قال ﷺ : **«ثلث أهل الجنة»** وفي اللفظ الآخر أنه قال ﷺ : **«إني لأطمع أن تكونوا ثلث أهل الجنة فكبرنا»**(١) فرحًا **«ثم قال ﷺ : شطر أهل الجنة فكبرنا»** وفي اللفظ الآخر أنه قال ﷺ : **«إني لأطمع أن تكونوا شطر أهل الجنة»**(٢) والشطر النصف .

وجاء في حديث آخر في غير «الصحيحين» أن هذه الأمة ثلثا أهل الجنة وأن أهل الجنة مائة وعشرون صفًّا وأن هذه الأمة ثمانون صفًّا والثلث الباقي للأمم الباقية(٣) ، وهذا يدل على كثرة أتباع النبي ﷺ .

* * *

(١) البخاري (٤٧٤١)، ومسلم (٢٢١) .
(٢) البخاري (٦٥٣٠)، ومسلم (٢٢٢) .
(٣) أحمد في «المسند» (١/ ٤٥٣) .

المتن

[٢١٥/ ٥٦] باب ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾ [الحج: ١١]: **شك**

﴿أَتْرَفْنَٰهُمْ﴾ [المؤمنون: ٣٣]: وسعنا.

• **[٤٣٥٤]** حدثنا إبراهيم بن الحارث، قال: حدثنا يحيى بن أبي بكير، قال: حدثنا إسرائيل، عن أبي حصين، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: **﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾** [الحج: ١١]، قال: كان الرجل يقدم المدينة، فإن ولدت امرأته غلاما ونتجت خيله قال: هذا دين صالح، وإن لم تلد امرأته ولم تنتج خيله قال: هذا دين سوء.

الشرح

هذه الآية في ضعيف الإيمان الذي لا يثبت عند الشدائد فيرتد عن دينه، قال الله تعالى: **﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ﴾** [الحج: ١١] يعني: على شك؛ فهو لا يثبت ولا يدوم على طرف بل ضعيف الإيمان لا يثبت عند الشدائد، إن أصابه خير بقي على الدين وإن أصابته الشدة والمصائب ارتد عن دينه، قال الله تعالى: **﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَعْبُدُ ٱللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُۥ خَيْرٌ ٱطْمَأَنَّ بِهِۦ﴾** يعني ثبت على هذا الدين **﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ ٱنقَلَبَ عَلَىٰ وَجْهِهِۦ﴾** يعني: ارتد عن دينه و**﴿خَسِرَ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْخُسْرَانُ ٱلْمُبِينُ﴾** [الحج: ١١] نعوذ بالله ﷻ من ذلك.

قوله: **﴿أَتْرَفْنَٰهُمْ﴾** [المؤمنون: ٣٣] يعني: وسعنا عليهم فبغوا وكفروا.

• **[٤٣٥٤]** قوله: «**كان الرجل يقدم المدينة**» من البادية أو غيرها وهو ضعيف الإيمان «**فإن ولدت امرأته غلامًا ونتجت خيله قال هذا دين صالح**» يعني: إن أصابه خير ونعمة قال ذلك «**وإن لم تلد امرأته**» شيئًا أو ولدت أنثى «**ولم تنتج خيله قال: هذا دين سوء**» فارتد عن دينه، وهذا ضعيف الإيمان، وهذه الآية مثل قوله تعالى: **﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ فَإِذَآ أُوذِىَ فِى ٱللَّهِ جَعَلَ فِتْنَةَ ٱلنَّاسِ كَعَذَابِ ٱللَّهِ وَلَئِن جَآءَ نَصْرٌ مِّن رَّبِّكَ لَيَقُولُنَّ إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ أَوَلَيْسَ ٱللَّهُ بِأَعْلَمَ بِمَا فِى صُدُورِ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾** [العنكبوت: ١٠].

* * *

المتن

[٢١٦/ ٥٦] باب ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ﴾ [الحج: ١٩]

• [٤٣٥٥] حدثنا حجاج بن منهال، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو هاشم، عن أبي مجلز، عن قيس بن عباد، عن أبي ذر، أنه كان يقسم فيها: إن هذه الآية ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ﴾ [الحج: ١٩]، نزلت في حمزة وصاحبيه رضي الله عنهم، وعتبة وصاحبيه يوم برزوا في يوم بدر.

رواه سفيان، عن أبي هاشم.

وقال عثمان: عن جرير، عن منصور، عن أبي هاشم، عن أبي مجلز... قوله.

• [٤٣٥٦] حدثنا حجاج بن منهال، قال: حدثنا معتمر بن سليمان، قال: سمعت أبي يقول حدثنا أبو مجلز، عن قيس بن عباد، عن علي بن أبي طالب قال: أنا أول من يجثو بين يدي الرحمن للخصومة يوم القيامة، قال قيس: وفيهم نزلت: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ﴾، قال: هم الذين بارزوا يوم بدر: علي، وحمزة، وعبيدة، وشيبة بن ربيعة، وعتبة بن ربيعة، والوليد بن عتبة.

الشرح

• [٤٣٥٥]، [٤٣٥٦] هذه الآية نزلت يوم بدر لما تبارز علي وحمزة وعبيدة رضي الله عنهم مع شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة والوليد بن عتبة وما حصل من قتل علي رضي الله عنه وحمزة صاحبيهما، أما عبيدة فاختلف مع صاحبه في ضربتين، فنزلت فيهم هذه الآية: ﴿هَٰذَانِ خَصۡمَانِ ٱخۡتَصَمُواْ فِي رَبِّهِمۡ﴾ [الحج: ١٩] بضمير الجمع لأن كلا من الخصمين جمع، فكل خصم ثلاثة فهم ستة تبارز علي وحمزة وعبيدة رضي الله عنهم من المسلمين وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة والوليد بن عتبة من المشركين، وهذا هو سبب النزول، والآية عامة تشمل فريق الكفار وفريق المؤمنين الذين يختصمون.

* * *

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المؤمنين

قال ابن عيينة : ﴿سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ [المؤمنون : ١٧] : سبع سموات .

﴿قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون : ٦٠] : خائفين .

وقال ابن عباس : ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ [المؤمنون : ٣٦] : بعيد بعيد .

قال ابن عباس : ﴿لَنَٰكِبُونَ﴾ [المؤمنون : ٧٤] : لعادلون .

﴿كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون : ١٠٤] : عابسون .

وقال غيره : من سلالة الولد .

والنطفة : السلالة .

والجنة والجنون واحد .

قال مجاهد : ﴿فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ﴾ [المؤمنون : ١١٣] ، قال : الملائكة .

والغثاء : الزبد ، وما ارتفع عن الماء ، وما لا ينتفع به .

الشرح

قوله : ﴿سَبْعَ طَرَآئِقَ﴾ [المؤمنون : ١٧] قال : «سبع سموات» .

قوله تعالى : ﴿قُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون : ٦٠] أي : خائفة .

قوله : ﴿هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ﴾ [المؤمنون : ٣٦] استبعاد بمعنى : «بعيد بعيد» .

قوله : ﴿وَإِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ عَنِ ٱلصِّرَٰطِ لَنَٰكِبُونَ﴾ [المؤمنون : ٧٤] أي : «العادلون» .

قوله تعالى : ﴿وَهُمْ فِيهَا كَٰلِحُونَ﴾ [المؤمنون : ١٠٤] «عابسون» أهل النار .

قوله تعالى : ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ﴾ [المؤمنون : ١٢] فسر السلالة بالولد ، وفسر النطفة بالسلالة .

قوله : «**الجنة والجنون واحد**» في قوله تعالى : ﴿**إِنْ هُوَ إِلَّا رَجُلٌۢ بِهِۦ جِنَّةٌ**﴾ [المؤمنون : ٢٥] يعني : ما هو إلا رجل به جنون .

قوله تعالى : ﴿**فَسْـَٔلِ ٱلْعَآدِّينَ**﴾ [المؤمنون : ١١٣] أي : «**الملائكة**» .

قوله : «**الغثاء الزبد وما ارتفع عن الماء وما لا ينتفع به**» في قوله تعالى : ﴿**فَجَعَلْنَٰهُمْ غُثَآءً فَبُعْدًا لِّلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ**﴾ [المؤمنون : ٤١] .

* * *

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النور

﴿مِنْ خِلَٰلِهِۦ﴾ [النور: ٤٣]: من بين أضعاف السحاب.

﴿سَنَا بَرْقِهِۦ﴾ [النور: ٤٣]: وهو الضياء.

﴿مُذْعِنِينَ﴾ [النور: ٤٩] يقال للمستخذي: مذعن.

﴿أَشْتَاتًا﴾ [النور: ٦١] وشتى وشتات وشت واحد.

وقال سعد بن عياض: الثمالي.

المشكاة: الكوة بلسان الحبشة.

وقال ابن عباس: ﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا﴾ [النور: ١]: بيناها.

وقال غيره: سمي القرآن؛ لجماعة السور، وسميت السورة؛ لأنها مقطوعة من الأخرى، فلما قرن بعضها إلى بعض سمي قرآنا.

وقوله: ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧]: تأليف بعضه إلى بعض.

﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨]، فإذا جمعناه وألفناه، ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ أي: ما جمع فيه فاعمل بما أمرك، وانته عما نهاك.

ويقال: ليس لشعره قرآن، أي: تأليف وسمي الفرقان؛ لأنه يفرق بين الحق والباطل.

يقال للمرأة: ما قرأت بسلا قط. أي: لم تجمع في بطنها ولدا.

ويقال في ﴿فَرَضْنَٰهَا﴾ [النور: ١]: أنزلنا فيها فرائض مختلفة.

ومن قرأ: «فَرَّضْنَاهَا» يقول: فرضنا عليكم وعلى من بعدكم.

وقال مجاهد: ﴿أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟﴾ [النور: ٣١]: لم يدروا لما بهم من الصغر.

الشرح

لم يذكر المصنف رَحِمَهُ اللهُ حديثًا في سورة النور لأنه لم يجد حديثًا على شرطه فاكتفى بتفسير الكلمات التي تحتاج إلى بيان معنى .

قوله تعالى : ﴿ فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَٰلِهِۦ ﴾ [النور : ٤٣] قال : **«من بين أضعاف السحاب»** .

قوله تعالى : ﴿ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ ﴾ [النور : ٤٣] قال : **«وهو الضياء»** .

قوله تعالى : ﴿ مُذْعِنِينَ ﴾ [النور : ٤٩] قال : **«يقال للمستخذي : مذعن»** .

قوله : **«المشكاة : الكوة بلسان الحبشة»** أي : بلغتهم .

قوله تعالى : ﴿ سُورَةٌ أَنزَلْنَٰهَا ﴾ [النور : ١] أي : **«بيناها»** ، وبين تفسير الكلمة فقال : **«سمي القرآن لجماعة السور وسميت السورة لأنها مقطوعة من الأخرى فلما قرن بعضها إلى بعض سمي قرآنا»** .

قوله تعالى : ﴿ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة : ١٧] أي : **«تأليف بعضه إلى بعض»** .

قوله تعالى : ﴿ فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ ﴾ أي : فإذا قرأه جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ﴿ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ [القيامة : ١٨] **«فإذا جمعناه وألفناه ﴿ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ﴾ أي ما جمع فيه فاعمل بما أمرك وانته عما نهاك»** .

قوله : **«ويقال : ليس لشعره قرآن ؛ أي : تأليف ، وسمي القرآن الفرقان ؛ لأنه يفرق بين الحق والباطل»** .

قوله تعالى : ﴿ فَرَضْنَٰهَا ﴾ [النور : ١] فيها قراءتان ، الأولى بالتخفيف ، وهي قراءة حفص ، والثانية بالتشديد ، والأولى تعني : **«أنزلنا فيها فرائض مختلفة»** ، والثانية تعني : **«فرضنا عليكم وعلى من بعدكم»** .

قوله تعالى : ﴿ أَوِ ٱلطِّفْلِ ٱلَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا۟ ﴾ [النور : ٣١] قال مجاهد : **«لم يدروا لما بهم من الصغر»** .

وحكمه حكم ﴿ أُو۟لِى ٱلْإِرْبَةِ ﴾ [النور : ٣١] وهم من ليس لهم أرب ولا حاجة له في النساء ؛ أي من ليس عندهم شهوة ، وقال مجاهد رَحِمَهُ اللهُ : «لا يهمه إلا بطنه ولا يخاف على النساء» ، وقال طاوس : «هو الأحمق الذي لا حاجة له في النساء» يعني : الذي ليس له شهوة في النساء .

المتن

[٢١٧/ ٥٦] باب قول الله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ وَلَمۡ يَكُن لَّهُمۡ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمۡ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمۡ أَرۡبَعُ شَهَٰدَٰتِۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [النور: ٦]

• [٤٣٥٧] حدثني إسحاق، قال: أخبرنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا الأوزاعي، قال: حدثني الزهري، عن سهل بن سعد، أن عويمرا أتى عاصم بن عدي - وكان سيد بني عجلان - فقال: كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلا، أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع؟ سل لي رسول الله ﷺ عن ذلك، فأتى عاصم النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله، فكره رسول الله ﷺ عن ذلك المسائل، فسأله عويمر، فقال: إن رسول الله ﷺ كره المسائل وعابها، قال عويمر: والله لا أنتهي حتى أسأل رسول الله ﷺ، فجاء عويمر، فقال: يا رسول الله رجل وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه أم كيف يصنع؟ فقال رسول الله ﷺ: **«قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبتك»**، فأمرهما رسول الله ﷺ بالملاعنة بما سمى الله في كتابه، فلاعنها، ثم قال: يا رسول الله، إن حبستها فقد ظلمتها، فطلقها، فكانت سنة لمن كان بعدهما في المتلاعنين، ثم قال رسول الله ﷺ: **«انظروا، فإن جاءت به أسحم أدعج العينين عظيم الأليتين خدلج الساقين، فلا أحسب عويمرا إلا قد صدق عليها، وإن جاءت به أحيمر كأنه وحرة، فلا أحسب عويمرا إلا قد كذب عليها»**، فجاءت به على النعت الذي نعت رسول الله ﷺ من تصديق عويمر، فكان بعد ينسب إلى أمه.

الشرح

• [٤٣٥٧] هذه الآية وهذا الحديث في الملاعنة، والملاعنة معناها في اللغة: السب، وسميت ملاعنة لأن الرجل يسب نفسه في الخامسة وكذلك المرأة في الخامسة تدعو على نفسها بالغضب، والسب يسمى لعنًا ولو كان بغير لفظ اللعن، ومنه قوله تعالى: **﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلۡمَلۡعُونَةَ فِي ٱلۡقُرۡءَانِ﴾** [الإسراء: ٦٠] يعني: المذمومة.

فإذا رمى الزوج زوجته بالزنا والفاحشة وأنكرت فإنه يلاعنها، بخلاف غير الزوج فإما أن يأتي بأربعة شهود – ولابد أن يكونوا أربعة – أو يجلد ثمانين جلدة؛ فإن شهد أربعة أقيم على المشهود عليها الحد وإن شهد ثلاثة أو اثنان أو واحد أقيم على كل واحد الحد ثمانين جلدة كما في قوله تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا۟ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَآءَ فَٱجْلِدُوهُمْ ثَمَٰنِينَ جَلْدَةً**﴾ [النور: ٤]، إلا الزوج فإنه إذا لم يكن عنده شهود فإنه يلاعن عند الحاكم الشرعي فيشهد على نفسه أربع شهادات، أي: يشهد بالله ﷻ أربع مرات أن زوجته فلانة زنت وفي الخامسة يلعن نفسه؛ فإن كان كاذبًا فلعنة الله ﷻ عليه.

ثم تُوجَّه الأيمان إلى المرأة فتشهد أربع شهادات أن زوجها كاذب تقول: أشهد بالله لقد كذب عليّ فيما رماني به من الزنا أربع مرات وفي الخامسة تدعو على نفسها بالغضب إن كان من الصادقين؛ كما قال الله تعالى: ﴿**وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ وَلَمْ يَكُن لَّهُمْ شُهَدَآءُ إِلَّآ أَنفُسُهُمْ فَشَهَٰدَةُ أَحَدِهِمْ أَرْبَعُ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ۝٦ وَٱلْخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٧ وَيَدْرَؤُا۟ عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ ۙ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٨ وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ**﴾ [النور: ٦-٩].

فإذا تمت الأيمان والشهادات فإنه يفرق بينهما تفريقًا مؤبدًا، وإن شهد الزوج على نفسه ثم نكلت وامتنعت أقيم عليها الحد.

وقوله في الحديث: «**فطلقها**» يعني من قبل نفسه ظنًّا منه أنه لابد من طلاقها وإلا فإن اللعان فرقة مؤبدة ولا يحتاج إلى طلاق؛ فهو طلقها من نفسه ولم يأمره النبي ﷺ بطلاقها.

وإن كان في المرأة حمل وجب التلاعن لنفي الولد، وإن لم يكن حمل فالأولى أن يطلقها ويستر عليها، وبعد اللعان ينسب الولد إلى أمه ولا ينسب إلى أبيه، ولهذا قال ﷺ: «**فكان بعد ينسب إلى أمه**» ويرث أمه وترثه.

قوله ﷺ: «**انظروا**» يعني الولد «**فإن جاءت به**» لأن المرأة كانت حاملا «**أسحم أدعج العينين عظيم الأليتين خدلج الساقين**» يعني يشبه الرجل الذي رماها به «**فلا أحسب عويمرًا إلا قد صدق عليها، وإن جاءت به أحيمر كأنه وحرة**» يشبه الزوج «**فلا أحسب عويمرًا إلا قد كذب عليها**» فجاءت به على وصف الرجل الذي رميت به، ولهذا قال: «**فجاءت به على**

النعت الذي نعت رسول الله ﷺ من تصديق عويمر» ولم يقم عليها الحد لأن الحكم الشرعي هو الملاعنة، وقد جاء في بعض الروايات: **«لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأن»**[1] فالحكم الشرعي أنه بعد الملاعنة لا ينظر إلى وصف الولد سواء كان وصف الولد مشابهًا لزوج المرأة أو مشابهًا لوصف الرجل الذي رميت به؛ فالأيمان كافية، ولهذا فإنها لما جاءت به على الوصف الذي يشبه الرجل الذي رميت به ما أقام النبي ﷺ عليها الحد.

* * *

(١) أحمد (١/ ٢٣٨)، والبخاري (٤٧٤٧).

المتن

[٢١٨/ ٥٦] باب قوله:

﴿وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [النور: ٧]

• [٤٣٥٨] حدثني سليمان بن داود أبو الربيع، قال: حدثنا فليح، عن الزهري، عن سهل بن سعد، أن رجلا أتى رسول الله ﷺ، فقال: يا رسول الله، أرأيت رجلا رأى مع امرأته رجلا، أيقتله فتقتلونه أم كيف يفعل؟ فأنزل الله ﷻ فيهما ما ذكر في القرآن من التلاعن، فقال له رسول الله ﷺ: **«قد قضي فيك وفي امرأتك»**، قال: فتلاعنا وأنا شاهد عند رسول الله ﷺ، ففارقها، فكانت سنة أن يفرق بين المتلاعنين، وكانت حاملا، فأنكر حملها، وكان ابنها يدعى إليها، ثم جرت السنة في الميراث أن يرثها وترث منه ما فرض الله لها.

الشرح

• **[٤٣٥٨] هذه هي السنة في المتلاعنين أن يفرق بينهما ويرث الولد من أمه وترث منه؛ فإن كان معها ورثة غيرها بأن كان له إخوة أو كان له جد من قبل الأم أو غير ذلك فإنهم يرثون فإن لم يكن معها وارث أخذت المال كله فرضًا وردًّا.**

* * *

المتن

[٢١٩/ ٥٦] باب ﴿وَيَدْرَؤُا عَنْهَا ٱلْعَذَابَ أَن تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَٰدَٰتٍۭ بِٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَمِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ﴾ [النور: ٨]

• [٤٣٥٩] حدثني محمد بن بشار، قال: حدثنا ابن أبي عدي، عن هشام بن حسان، قال: حدثنا عكرمة، عن ابن عباس، أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء، فقال النبي ﷺ: **«البينة أو حدا في ظهرك»**، قال: يا رسول الله، إذا رأى أحدنا على امرأته رجلا، ينطلق يلتمس البينة؟ فجعل النبي ﷺ يقول: **«البينة، وإلا حدا في ظهرك»**، فقال هلال بن أمية: والذي بعثك بالحق إني لصادق؛ فلينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد، فنزل جبريل وأنزل عليه: ﴿وَٱلَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَٰجَهُمْ﴾، فقرأ حتى بلغ: ﴿إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [النور: ٦-٩]، فانصرف النبي ﷺ، فأرسل إليها فجاء هلال فشهد والنبي ﷺ يقول: **«إن الله يعلم أن أحدكما كاذب، فهل منكما تائب؟»**، ثم قامت فشهدت، فلما كانت عند الخامسة وقفوها، وقالوا: إنها موجبة، قال ابن عباس: فتلكأت ونكصت حتى ظننا أنها ترجع، ثم قالت: لا أفضح قومي سائر اليوم، فمضت، وقال النبي ﷺ: **«أبصروها، فإن جاءت به أكحل العينين سابغ الأليتين خدلج الساقين، فهو لشريك بن سحماء»**، فجاءت به كذلك، فقال النبي ﷺ: **«لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأنا»**.

الشرح

هذا الحديث فيه أن هذه الآية نزلت في هلال بن أمية حينما قذف امرأته بشريك بن سحماء والحديث السابق فيه أنها نزلت في عويمر العجلاني.

وفي هذا الحديث دليل على أن من قذف شخصا بالزنا فإن عليه البينة أو يقام عليه الحد، ولما قذف امرأته كان الحكم كذلك حتى أنزل الله ﷻ في الزوج إذا قذف امرأته ما يبرئ ظهره، وهو الملاعنة.

وأخذ العلماء من هذا أنه إذا شهد رجل على امرأته أربع مرات فإنه يوقف في الخامسة ويقال له : اتق الله فإنها موجبة ؛ لأن الخامسة فيها يلعن نفسه ، والمرأة كذلك إذا شهدت أربع شهادات توقف عند الخامسة ويقال لها : اتق الله فإنها موجبة .

وفيه أن امرأة هلال بن أمية تلكأت في الخامسة لما قيل لها : **«إنها موجبة»** ، حتى ظنوا أنها سترجع ثم قالت : **«لا أفضح قومي سائر اليوم»** فشهدت الخامسة .

وفيه أن النبي ﷺ قال : **«أبصروها ؛ فإن جاءت به أكحل العينين سابغ الأليتين خدلج الساقين ؛ فهو لشريك بن سحماء»** وهو الذي قذفها زوجها به ؛ فجاءت به كذلك ، ومع ذلك لم يقم النبي ﷺ عليها الحد لأن الحكم مضى ؛ ولهذا قال النبي ﷺ : **«لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأنًا»** ولا مانع أن تكون القصة نزلت فيهما معًا .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «قوله : **«فقال هلال : والذي بعثك بالحق إني لصادق ، ولينزلن الله ما يبرئ ظهري من الحد ، فنزل جبريل وأنزل عليه : ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ﴾** [النور : ٦]» كذا في هذه الرواية أن آيات اللعان نزلت في قصة هلال بن أمية ، وفي حديث سعد الماضي أنها نزلت في عويمر ولفظه : فجاء عويمر فقال : يا رسول الله رجل وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه ، أم كيف يصنع؟ فقال رسول الله ﷺ : **«قد أنزل الله فيك وفي صاحبتك»**[(١)] ؛ فأمرهما بالملاعنة .

وقد اختلف الأئمة في هذا الموضع : فمنهم من رجح أنها نزلت في شأن عويمر ، ومنهم من رجح أنها نزلت في شأن هلال ، ومنهم من جمع بينهما بأن أول من وقع له ذلك هلال وصادف مجيء عويمر أيضًا فنزلت في شأنهما معًا في وقت واحد . وقد جنح النووي إلى هذا ، وسبقه الخطيب فقال : لعلهما اتفق كونهما جاءا في وقت واحد . ويؤيد التعدد أن القائل في قصة هلال سعد بن عبادة رضي الله عنه كما أخرجه أبو داود والطبري من طريق عباد بن منصور عن عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه مثل رواية هشام بن حسان بزيادة في أوله : لما نزلت ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ الآية [النور : ٦] قال سعد بن عبادة رضي الله عنه : لو رأيت لكاعًا قد تفخذها رجل لم يكن لي أن أهيجه حتى آتي بأربعة شهداء ، ما كنت لآتي بهم حتى يفرغ من حاجته ، قال : فما لبثوا إلا يسيرًا حتى

---

(١) أحمد (٥/ ٣٣٦) ، والبخاري (٥٢٥٩) ، ومسلم (١٤٩٢) .

جاء هلال بن أمية . . . الحديث[1] . وعند الطبري من طريق أيوب عن عكرمة مرسلا فيه نحوه وزاد : فلم يلبثوا أن جاء ابن عم له فرمى امرأته . . . الحديث . والقائل في قصة عويمر عاصم بن عدي كما في حديث سهل بن سعد في الباب الذي قبله ، وأخرج الطبري من طريق الشعبي مرسلا قال : لما نزلت ﴿وَٱلَّذِينَ يَرۡمُونَ أَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ . . . الآية [النور : ٦] . قال عاصم بن عدي : إن أنا رأيت فتكلمت جلدت ، وإن سكت سكت على غيظ . . . الحديث ، ولا مانع أن تتعدد القصص ويتحد النزول» .

ذكر ابن حجر ثلاثة أقوال :

الأول : أنها نزلت في شأن عويمر .

الثاني : أنها نزلت في شأن هلال .

الثالث : من العلماء من جمع بينهما فقال : إنها نزلت في شأنهما معًا في وقت واحد ، وهذا القول ليس ببعيد ؛ ففي الحديث الأول قال : **«فلا أحسب عويمرًا إلا صدق»** وهنا قال : **«فهو لشريك بن سحماء»** هذا رجل وهذا رجل ، ومعروف أن شريك بن سحماء صاحب هلال بن أمية .

وقد قال بعض العلماء إنها نزلت مرتين ، نزلت في هلال ونزلت في عويمر ، **قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «أول لعان كان في الإسلام أن شريك بن سحماء قذفه هلال بن أمية بامرأته . . . الحديث ، وجنح القرطبي رَحِمَهُ ٱللَّهُ إلى تجويز نزول الآية مرتين ، قال : وهذه الاحتمالات وإن بعدت أولى من تغليط الرواة الحفاظ» .

• [٤٣٥٩] قوله : **«لولا ما مضى من كتاب الله لكان لي ولها شأنًا»** ، في اللفظ الآخر : **«لولا الأيمان لكان لي ولها شأن»**[2] .

❃ ❃ ❃

---

(١) أبو داود (٢٢٥٦) ، والطبري في «التفسير» (١٨/ ٨٢) .

(٢) أحمد (١/ ٢٣٨) ، وأبو داود (٢٢٥٦) .

المتن

[٢٢٠/ ٥٦] باب قوله تعالى:

﴿وَٱلْخَٰمِسَةَ أَنَّ غَضَبَ ٱللَّهِ عَلَيْهَآ إِن كَانَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ [النور: ٩]

• [٤٣٦٠] حدثني مقدم بن محمد بن يحيى، قال: حدثني عمي القاسم بن يحيى، عن عبيدالله، وقد سمع منه، عن نافع، عن ابن عمر، أن رجلا رمى امرأته، فانتفى من ولدها في زمان رسول الله ﷺ، فأمر بهما رسول الله ﷺ فتلاعنا كما قال الله، ثم قضى بالولد للمرأة، وفرق بين المتلاعنين.

الشرح

• [٤٣٦٠] هذا الحديث فيه دليل على أنه بعد اللعان تكون الفرقة مؤبدة بين الزوجين ولا يحتاج إلى طلاق، وفيه أن الولد ينسب إلى أمه ولا ينسب إلى أبيه ويكون التوارث بينه وبين أمه ولا يكون له أب.

* * *

المتن

[٢٢١/ ٥٦] **باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٌ مِّنكُمۡۚ لَا تَحۡسَبُوهُ شَرًّا لَّكُمۖ بَلۡ هُوَ خَيۡرٌ لَّكُمۡۚ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕ مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾** [النور: ١١]

أفاك: كذاب.

• **[٤٣٦١]** حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا سفيان، عن معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة، ﴿وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ﴾ [النور: ١١] قالت: عبدالله بن أبي ابن سلول.

الشرح

• **[٤٣٦١]** هذا هو الصواب أن الذي تولى كبره عبدالله بن أبي ابن سلول رئيس المنافقين، وسيأتي في الحديث الذي بعد هذا أن الذي تولى كبره هو حسان بن ثابت، والصواب أنه عبدالله بن أبي ابن سلول.

وقوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ﴾ [النور: ١١] الإفك يعني: الكذب، ويطلق على أسوأ الكذب؛ فسمي الذين رموا عائشة ﵂ أنهم أصحاب الإفك لأن ما قالوه هو أسوأ الكذب.



المتن

[٢٢٢/ ٥٦] ﴿لَّوْلَآ إِذْ سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ ٱلْمُؤْمِنُونَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتُ بِأَنفُسِهِمْ خَيْرًا﴾ إلى قوله: ﴿ٱلْكَٰذِبُونَ﴾ [النور: ١٢، ١٣]

• [٤٣٦٢] حدثنا يحيى بن بكير، قال: حدثنا الليث، عن يونس، عن ابن شهاب، قال: أخبرني عروة بن الزبير وسعيد بن المسيب وعلقمة بن وقاص الليثي وعبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود، عن حديث عائشة زوج النبي ﷺ، حين قال لها أهل الإفك ما قالوا، فبرأها الله مما قالوا، وكل حدثني طائفة من الحديث، وبعض حديثهم يصدق بعضا، وإن كان بعضهم أوعى له من بعض، الذي حدثني عروة، عن عائشة، أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها رسول الله ﷺ معه، قالت عائشة: فقرع بيننا في غزوة غزاها، فخرج سهمي، فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما نزل الحجاب، فأنا أحمل في هودجي وأنزل فيه، فسرنا حتى إذا فرغ رسول الله ﷺ من غزوته تلك، وقفل ودنونا من المدينة قافلين، آذن ليلة بالرحيل، فقمت حين آذنوا بالرحيل، فمشيت حتى جاوزت الجيش، فلما قضيت شأني أقبلت إلى رحلي، فإذا عقد لي من جزع أظفار قد انقطع، فالتمست عقدي وحبسني ابتغاؤه، وأقبل الرهط الذين كانوا يرحلون لي فاحتملوا هودجي، فرحلوه على بعيري الذي كنت ركبت، وهم يحسبون أني فيه، وكان النساء إذ ذاك خفافا لم يثقلهن اللحم؛ إنما تأكل العلقة من الطعام، فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه، وكنت جارية حديثة السن، فبعثوا الجمل وساروا، فوجدت عقدي بعدما استمر الجيش، فجئت منازلهم وليس بها داع ولا مجيب، فأممت منزلي الذي كنت به، وظننت أنهم سيفقدوني فيرجعون إلي، فبينا أنا جالسة في منزلي غلبتني عيني فنمت، وكان صفوان بن المعطل السلمي ثم الذكواني من وراء الجيش، فأدلج فأصبح عند منزلي، فرأى سواد إنسان نائم، فأتاني فعرفني حين رآني، وكان يراني قبل الحجاب، فاستيقظت باسترجاعه حين عرفني، فخمرت وجهي بجلبابي، ووالله ما يكلمني كلمة، وما سمعت منه كلمة غير استرجاعه، حتى أناخ راحلته فوطئ على يديها فركبتها، فانطلق يقود بي الراحلة، حتى أتينا الجيش بعدما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة، فهلك من هلك، وكان الذي تولى الإفك عبدالله بن أبي ابن سلول، فقدمنا المدينة فاشتكيت حين قدمت شهرا، والناس

يفيضون في قول أصحاب الإفك، لا أشعر بشيء من ذلك، وهو يريبني في وجعي أني لا أعرف من رسول الله ﷺ اللطف الذي كنت أرى منه حين أشتكي؛ إنما يدخل علي رسول الله ﷺ فيسلم، ثم يقول: **«كيف تيكم؟»**، ثم ينصرف، فذلك الذي يريبني، ولا أشعر بالشر حتى خرجت بعدما نقهت، فخرجت معي أم مسطح قبل المناصع وهو متبرزنا، وكنا لا نخرج إلا ليلا إلى ليل؛ وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبا من بيوتنا، وأمرنا أمر العرب الأول في التبرز قبل الغائط، فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا، فانطلقت أنا وأم مسطح وهي بنت أبي رهم بن عبد مناف، وأمها بنت صخر بن عامر خالة أبي بكر الصديق، وابنها مسطح بن أثاثة، فأقبلت أنا وأم مسطح قبل بيتي وقد فرغنا من شأننا، فعثرت أم مسطح في مرطها فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: بئس ما قلت، أتسبين رجلا شهد بدرا؟ قالت: أي هنتاه، أولم تسمعي ما قال؟ قالت: قلت: وما قال؟ قالت: فأخبرتني بقول أهل الإفك، قالت: فازددت مرضا على مرضي، قالت: فلما رجعت إلى بيتي ودخل رسول الله ﷺ علي، ثم قال: **«كيف تيكم؟»**، فقلت: أتأذن لي أن آتي أبوي؟ قالت: وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما، قالت: فأذن لي رسول الله ﷺ، فجئت أبوي، فقلت لأمي: يا أمتاه، ما يتحدث الناس؟ قالت: يا بنية هوني عليك فوالله لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن عليها، قالت: فقلت: سبحان الله، أولقد تحدث الناس بهذا؟! قالت: فبكيت تلك الليلة؛ حتى أصبحت لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم، حتى أصبحت أبكي، فدعا رسول الله ﷺ علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي؛ يستأمرهما في فراق أهله، قالت: فأما أسامة بن زيد فأشار على رسول الله ﷺ بالذي يعلم من براءة أهله، وبالذي يعلم لهم في نفسه من الود؛ فقال: يا رسول الله، أهلك، وما نعلم إلا خيرا، وأما علي بن أبي طالب فقال: يا رسول الله، لم يضيق الله عليك، والنساء سواها كثير، وإن تسأل الجارية تصدقك، قالت: فدعا رسول الله ﷺ بريرة، فقال: **«أي بريرة، هل رأيت من شيء يريبك؟»**، قالت بريرة: لا والذي بعثك بالحق، إن رأيت عليها أمرا أغمصه عليها أكثر من أنها جارية حديثة السن، تنام عن عجين أهلها، فتأتي الداجن فتأكله، فقام رسول الله ﷺ فاستعذر يومئذ من عبدالله بن أبي ابن سلول، قالت: فقال رسول الله ﷺ وهو على المنبر: **«يا معشر المسلمين، من يعذرني من رجل قد بلغني أذاه في**

أهل بيتي؟ فوالله ما علمت من أهلي إلا خيرا ، ولقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا ، وما كان يدخل على أهلي إلا معي» ، فقام سعد بن معاذ الأنصاري فقال : يا رسول الله ، أنا أعذرك منه ؛ إن كان من الأوس ضربت عنقه ، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك ، قالت : فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج ، وكان قبل ذلك رجلا صالحا ، ولكن احتملته الحمية ، فقال لسعد : كذبت لعمر الله ، لا تقتله ولا تقدر على قتله ، فقام أسيد بن حضير وهو ابن عم سعد بن معاذ فقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمر الله ، لنقتلنه ، فإنك منافق تجادل عن المنافقين ، فتثاور الحيان : الأوس والخزرج ؛ حتى هموا أن يقتتلوا ، ورسول الله ﷺ قائم على المنبر ، فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا وسكت ، قالت : فمكثت يومي ذلك لا يرقأ لي دمع ، ولا أكتحل بنوم ، قالت : فأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويوما لا أكتحل بنوم ولا يرقأ لي دمع ، يظنان أن البكاء فالق كبدي ، قالت : فبينما هما جالسان عندي وأنا أبكي فاستأذنت علي امرأة من الأنصار ، فأذنت لها ، فجلست تبكي معي ، قالت : فبينا نحن على ذلك دخل علينا رسول الله ﷺ ، فسلم ثم جلس ، قالت : ولم يجلس عندي منذ قيل ما قيل قبلها ، وقد لبث شهرا لا يوحى إليه في شأني ، قالت : فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس ، ثم قال : **«أما بعد يا عائشة ، فإنه قد بلغني عنك كذا وكذا ، فإن كنت بريئة فسيبرئك الله ، وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه ؛ فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه»** ، قالت : فلما قضى رسول الله ﷺ مقالته قلص دمعي ، حتى ما أحس منه قطرة ، فقلت لأبي : أجب رسول الله ﷺ فيما قال ، قال : والله ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ ، فقلت لأمي : أجيبي رسول الله ﷺ ، قالت : ما أدري ما أقول لرسول الله ﷺ ، قالت : قلت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن : إني والله لقد علمت لقد سمعتم هذا الحديث حتى استقر في أنفسكم وصدقتم به ، فلئن قلت لكم إني بريئة - والله يعلم أني بريئة - لا تصدقوني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر - والله يعلم أني منه بريئة - لتصدقني ، والله ما أجد لكم مثلا إلا قول أبي يوسف ؛ قال : ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ**﴾ [يوسف : ١٨] ، قالت : ثم تحولت فاضطجعت على فراشي ، قالت : وأنا حينئذ أعلم أني بريئة ، وأن الله مبرئي ببراءتي ، ولكن والله ما كنت أظن أن الله منزل في شأني وحيا يتلى ، ولشأني في نفسي كان أحقر من أن يتكلم الله في بأمر يتلى ،

ولكن كنت أرجو أن يرىٰ رسول الله ﷺ في النوم رؤيا يبرئني الله بها، قالت: فوالله ما رام رسول الله ﷺ ولا خرج أحد من أهل البيت حتىٰ أنزل الله عليه، فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء؛ حتىٰ إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق، وهو في يوم شات من ثقل القول الذي ينزل عليه، قالت: فلما سري عن رسول الله ﷺ سري عنه وهو يضحك، فكانت أول كلمة تكلم بها: **«يا عائشة، أما الله فقد برأك»**، قالت أمي: قومي إليه، قالت: فقلت: لا والله، لا أقوم إليه، ولا أحمد إلا الله، وأنزل الله ﷻ: ﴿**إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ**﴾ [النور: ١١]، العشر الآيات كلها، فلما أنزل الله هذا في براءتي قال أبو بكر الصديق - وكان ينفق علىٰ مسطح بن أثاثة لقرابته منه وفقره: والله لا أنفق علىٰ مسطح شيئا أبدا بعد الذي قال لعائشة ما قال، فأنزل الله: ﴿**وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ**﴾، إلىٰ: ﴿**رَّحِيمٌ**﴾ [النور: ٢٢]، قال أبو بكر: بلىٰ والله، إني أحب أن يغفر الله لي، فرجع إلىٰ مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله والله، لا أنزعها منه أبدا، قالت عائشة: فكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمري، فقال: **«يا زينب، ماذا علمت أو رأيت؟»**، قالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، ما علمت إلا خيرا، قالت: وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ، فعصمها الله بالورع، وطفقت أختها حمنة تحارب لها، فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك.

الشرح

• [٤٣٦٢] قوله: **«وكل حدثني طائفة من الحديث»** يعني: كل واحد حدثني قطعة من الحديث؛ فالزهري روىٰ الحديث عن عروة وسعيد بن المسيب وعلقمة بن أبي وقاص وعبيدالله بن عتبة بن مسعود.

قوله: **«كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن يخرج أقرع بين أزواجه»** فيه دليل علىٰ مشروعية إقراع الرجل بين أزواجه إذا أراد أن يسافر؛ فمن وقعت لها القرعة سافر بها، أما إذا رضين بواحدة تخرج معه فلا بأس، والنبي ﷺ أقرع بينهن في هذه الغزاة فخرج سهم عائشة ﵂.

قوله: **«فخرجت مع رسول الله ﷺ بعدما نزل الحجاب»** فيه دليل علىٰ أن قصة الإفك حدثت بعدما نزل الحجاب، قيل: في غزوة المريسيع أو في غيرها، والمشهور أنها في غزوة المريسيع.

وفيه العناية بالمرأة وحجبها عن الرجال، حيث كانت عائشة رضي الله عنها تحمل في هودج وتنزل فيه، والهودج كالغرفة من سعف النخيل تكون فيه المرأة، ويحمل هذا الهودج ويوضع على البعير وينزل فتكون مستورة من جميع الجهات؛ فأين دعاة السفور ودعاة التفسخ والعري من هذه الأحاديث؟! ومن قول الله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]؟!

ولما آذن النبي ﷺ بالرحيل ذهبت إلى شيء من حاجتها، ولما قضت وعادت لمست صدرها فإذا العقد الذي تتزين به قد سقط، وفي هذا دليل على مشروعية تحلي المرأة بالذهب والفضة وغيرهما.

وفيه دليل على جواز لبس الذهب المحلق والرد على من أنكره؛ لأن هذا العقد محلق؛ فالذهب المحلق لا بأس به وهو كالإجماع من أهل العلم، وما ورد من أحاديث في النهي عن الذهب المحلق - والتي استدل بها الشيخ محمد ناصر الدين الألباني رحمه الله - فهي إما منسوخة أو شاذة مخالفة للأحاديث الصحيحة.

وفيه دليل على العناية بالمال، حيث التمست عقدها لما سقط منها ولم تتركه، والنبي ﷺ أرسل رهطًا يبحثون عن عقد آخر سقط من عائشة رضي الله عنها في بعض الغزوات الأخرى.

قوله: **«فلم يستنكر القوم خفة الهودج حين رفعوه»** كانت عائشة رضي الله عنها تحمل بالهودج فلا تتكلم ولا يتكلمون معها، وعللت عدم استنكارهم لوجودها بالهودج مع خفته بقولها: **«وكان النساء إذ ذاك خفافًا لم يثقلهن اللحم»**.

قوله: **«إنما تأكل العلقة من الطعام»** أي: البلغة أو ما يقيم الجسد؛ فلهذا كانت رضي الله عنها خفيفة.

قوله: **«فخمرت وجهي بجلبابي»** يعني: غطيت، وفيه دليل على أن تغطية الوجه من الحجاب، وأن النساء كن يكشفن وجوههن قبل نزول الحجاب، وفيه الرد على من أباح كشف الوجه، وقال: إنه خاص بأمهات المؤمنين، ولا دليل عليه فقد نزل القرآن على العموم في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَآءِ ٱلْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِن جَلَٰبِيبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٩] وهذا صريح في تغطية الوجه وأنه من الحجاب، وأن المرأة لابد أن تستر وجهها؛ فأين دعاة السفور من هذا النص الصريح؟! لكن دعاة السفور من أهل الزيغ يتركون النصوص

الصريحة ويتعلقون بالنصوص المشتبهة، مثل حديث الخثعمية يقولون: إن الخثعمية كانت تنظر إلى الفضل وينظر إليها، واستدلوا به على أنها كانت كاشفة الوجه، وهو حديث مشتبه يرد إلى الأحاديث المحكمة الصريحة الواضحة؛ فلا يلزم منه أن تكون كاشفة لوجهها.

قوله: «**وما سمعت منه كلمة غير استرجاعه**» يعني قوله: إنا لله وإنا إليه راجعون.

قوله: «**فهلك من هلك**» يعني تكلم في عائشة رضي الله عنها ورماها بالإفك.

قوله: «**وكان الذي تولى الإفك عبدالله بن أبي ابن سلول**» كان عبدالله بن أبي ينشر الحديث وما يُمسك عليه شيء؛ ولهذا ما أقيم عليه الحد، وهو الذي تولى كبره، وسيأتي أن الذي تولى كبره حسان رضي الله عنه، ولكن هذا قول مرجوح.

قوله: «**فاشتكيت حين قدمت شهرًا**» يعني مرضت شهرًا كاملًا، والناس يتكلمون في الإفك، وهي لا تدري، ولما برأت من مرضها وشفيت أخبرتها أم مسطح؛ فرد المرض عليها مرة ثانية بسبب ما سمعت؛ لأنها مظلومة.

قوله: «**لا أشعر بشيء من ذلك**» يعني: أنها لا تدري أن الناس يتكلمون فيها، إلا أنها استنكرت اللطف من النبي ﷺ، حيث كانت إذا مرضت عاملها بلطف، وفي هذه المرة شعرت بأن النبي ﷺ لا يعاملها باللطف الذي كان يعاملها به، وكان هذا يسبب لها القلق، لذلك قالت رضي الله عنها: «**إنما يدخل علي رسول الله ﷺ فيسلم ثم يقول: كيف تيكم؟ ثم ينصرف**» وتيكم اسم إشارة للأنثى، أي كيف حالك؟

قوله: «**حتى خرجت بعدما نقهت**» أي: بعدما برئت من المرض، وكانت رضي الله عنها قد أتمت شهرًا.

قوله: «**فخرجت معي أم مسطح**» ومسطح هو ابن أثاثة الذي رمى عائشة رضي الله عنها، وهو ابن خالة أبي بكر رضي الله عنه، والذي حلف أبو بكر رضي الله عنه أنه يقطع عنه النفقة بسبب خوضه في الإفك.

قوله: «**قبل المناصع**» وهي صحراء قبل البيوت تقضي فيها المرأة حاجتها؛ لأن المدينة كانت بلدة صغيرة ولم تكن مثل المدن الآن، وكان أهل القرى إلى عهد قريب ليس عندهم حمامات في البيوت؛ فإذا أراد الواحد أن يقضي حاجته خرج إلى الصحراء التي أمام البيت فيقضي حاجته، وكانت النساء تخرج بالليل فهو أستر لهن.

قوله : «**وهو متبرزنا**» أي مكان البراز «**وكنا لا نخرج إلا ليلًا إلى ليل**» لأنه لا حاجة لكثرة الخروج ؛ لأن الأكل قليل .

قوله : «**وذلك قبل أن نتخذ الكنف قريبًا من بيوتنا**» الكنف : جمع كنيف وهو الحمام ، وكان الناس يجعلون مكانًا تقضى فيه الحاجة يسمى كنيفًا ، قبل أن توجد الحمامات .

قوله : «**فكنا نتأذى بالكنف أن نتخذها عند بيوتنا**» أي : نتأذى بالكنف حيث يكون لها رائحة منتنة كريهة .

وخرجت عائشة ﵂ مع أم مسطح في الليل تقضي حاجتها ، فعثرت أم مسطح مرتين فقالت : «**تعس مسطح**» قالت عائشة ﵂ : «**أتسبين رجلا شهد بدرا؟!**» من أصحاب بدر الذين قال فيهم رسول الله ﷺ «**لعل الله اطلع إلى أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**»[(١)] فأخبرتها بقول الناس في الإفك ، قالت : والناس يتكلمون في هذا؟! قالت : نعم ؛ فرجع إليها المرض مرة أخرى .

قوله : «**أي هنتاه**» خطاب للأنثى .

قوله : «**أتأذن لي أن آتي أبوي؟**» فيه دليل على أن المرأة لا تخرج من بيتها إلا بإذن من زوجها ، ولهذا استأذنت عائشة ﵂ ، ولو كان الخروج لأبويها لأن الزوج هو الذي يملك الإذن ، وعائشة ﵂ استأذنت أن تخرج لأبويها تريد أن تستيقن الخبر وتتأكد مما أخبرتها به أم مسطح .

قوله : «**لقلما كانت امرأة قط وضيئة عند رجل يحبها لها ضرائر إلا كثرن عليها**» يعني : قلما كانت امرأة جميلة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا حسدنها فلا تستغربي هذا .

قوله : «**فقلت : سبحان الله!**» فيه مشروعية التسبيح عند التعجب ؛ لأن النبي ﷺ أقرها على ذلك ولم ينكر عليها ، والنبي ﷺ سبح في مواضع ، والمشروع هو التسبيح والتكبير ، أما التصفيق فلا وجه له .

قوله : «**حين استلبث الوحي**» يعني : تأخر ، وكان الوحي قد تأخر شهرًا ابتلاء وامتحانًا .

---

(١) أحمد (١/ ٧٩) ، والبخاري (٣٠٠٧) ، ومسلم (٢٤٩٤) .

قوله : **«يستأمرهما في فراق أهله»** أي : يستشيرهما في فراق عائشة ﵂ ، وفيه دليل على أن النبي ﷺ لا يعلم الغيب ؛ فقد مكث مدة لا يعلم ما قيل في عائشة ﵂ هل هو صدق أو كذب ، ولم يعلم أبو بكر ﵁ هل هو صدق أم كذب ، ولم يعلم علي ولم يعلم أسامة ولم يعلم غيرهم من الصحابة ﵃ فكيف بهؤلاء الذين يزعمون أن الأولياء يعلمون الغيب ، من الصوفية وغيرهم ، وهذا رسول الله ﷺ أفضل الناس ولا يعلم الغيب ، وقد استشار عليًّا وأسامة ﵄ هل يفارق زوجته أو لا يفارقها؟ ثم يأتي في آخر القصة أن النبي ﷺ سأل عائشة ﵂ وقال : **«وإن كنت ألممت بذنب فاستغفري الله وتوبي إليه فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب إلى الله تاب الله عليه»** وهذا أيضًا دليل على أنه لا يعلم الغيب ، وفيه الرد على طائفة يسمون البلاوية في الهند يقولون : إن الرسول يعلم الغيب ، وهم طائفة كفرة ؛ يقول الله تعالى : **﴿قُل لَّا يَعْلَمُ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ٱلْغَيْبَ إِلَّا ٱللَّهُ﴾** [النمل : ٦٥] وقال سبحانه : **﴿عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ فَلَا يُظْهِرُ عَلَىٰ غَيْبِهِۦٓ أَحَدًا ۝ إِلَّا مَنِ ٱرْتَضَىٰ مِن رَّسُولٍ﴾** [الجن : ٢٦ ، ٢٧] ولو كان ﷺ يعلم الغيب ما استشار ، ولو كان يعلم الغيب لأقام الحد من أول وهلة على هؤلاء الذين تكلموا .

قوله : **«وأما علي بن أبي طالب فقال : يا رسول‌الله ، لم يضيق الله عليك ، والنساء سواها كثير»** ولهذا صار في نفسها شيء على علي ﵁ .

قوله : **«وإن تسأل الجارية تصدقك»** الجارية : بريرة وهي التي أعتقتها عائشة ﵂ .

قوله : **«إن رأيت عليها أمرًا أغمصه عليها»** إن نافية بمعنى ما ؛ تعني : ما رأيت شيئًا أنتقده عليها **«أكثر من أنها جارية حديثة السن»** أي صغيرة السن ؛ لأنه ﷺ لما تزوجها كانت بنت تسع سنين **«تنام عن عجين أهلها ؛ فتأتي الداجن فتأكله»** أي تعجن العجين فيغلبها النوم فيأتي الدجاج فيأكل عجينها ، وسيأتي أنها قالت أيضًا هنا كما في رواية أخرى : **«ما أعرف عنها إلا كما أعرف من الذهب الأحمر»**[1] يعني الصافي الخالص .

قوله : **«فقام رسول الله ﷺ فاستعذر يومئذ من عبدالله بن أبي ابن سلول»** لأنه هو الذي أشاع حديث الإفك ، لكنه ﷺ لم يُقم عليه الحد ؛ لأنه ما ثبت عليه شيء ، بخلاف حمنة وحسان ومسطح بن أثاثة وغيرهم فإنهم جلدوا الحد ؛ لأنهم تكلموا ، وكان الحد لهم طهارة .

---

(١) أحمد (٦/ ٥٩) ، ومسلم (٢٧٧٠) .

قوله : **«وما كان يدخل على أهلي إلا معي»** يعني صفوان بن المعطل السلمي ﵁ .

قوله : **«إن كان من الأوس ضربت عنقه، وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك»** وفي هذا تأدب من سعد بن معاذ ﵁ .

قوله : **«فقام سعد بن عبادة وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلا صالحًا ولكن احتملته الحمية فقال لسعد : كذبت لعمر الله ، لا تقتله ولا تقدر على قتله»** وسعد بن معاذ ﵁ لم يقل نقتله بل قال : أمرتنا ففعلنا أمرك! **«فقام أسيد بن حضير - وهو ابن عم سعد بن معاذ - فقال لسعد بن عبادة : كذبت لعمر الله ، لنقتلنه ، فإنك منافق تجادل عن المنافقين»** هذا فيه دليل على أن رمي الإنسان بالنفاق إذا كان عن اجتهاد أو عن تأويل فلا يلحقه الوعيد ؛ فالوعيد يلحق من رمى رجلًا بالكفر أو بالنفاق إذا كان عن هوى وعن شهوة ؛ فقد جاء في الحديث : **«أيما رجل قال لأخيه : يا كافر فقد باء بها أحدهما»**(١) وهذا في الرجل يرمي أخاه بالكفر ومثله النفاق ؛ فإن كان كذلك وإلا حار عليه ، إن كان عن هوى وعن دنيا وعن شحناء ، أما إن كان عن تأويل فلا يستحق عليه الوعيد ، ومن ذلك أيضًا قول عمر ﵁ لحاطب بن أبي بلتعة ﵁ لما كتب الكتاب للمشركين ؛ قال عمر ﵁ : **«يا رسول الله دعني أضرب عنق هذا المنافق فإنه قد خان الله ورسوله»**(٢) ولم ينكر عليه النبي ﷺ رميه بالنفاق ؛ لأنه قاله عن اجتهاد وتأويل لا عن هوى ، ومثله القتال الذي كان بين الصحابة ﵃ لا يتناوله الوعيد لأنه كان عن اجتهاد وتأويل ، ولا يتناوله الحديث : **«لا ترجعوا بعدي كفارًا يضرب بعضكم رقاب بعض»**(٣) وحديث : **«القاتل والمقتول في النار»**(٤) .

قوله : **«فلم يزل رسول الله ﷺ يخفضهم حتى سكتوا»** يعني : يسكنهم ويهدئهم حتى سكتوا .

قوله : **«فأصبح أبواي عندي وقد بكيت ليلتين ويومًا لا يرقأ لي دمع ولا أكتحل بنوم»** يعني أنها ﵂ كانت تبكي ولا تنام **«يظنان أن البكاء فالق كبدي»** ، وفي لفظ آخر سيأتي أنها

(١) أحمد (٢/ ١٨) ، والبخاري (٦١٠٤) ، ومسلم (٦٠) .
(٢) أحمد (١/ ١٥٠) ، والبخاري (٣٩٨٣) ، ومسلم (٢٤٩٤) بنحوه .
(٣) أحمد (١/ ٢٣٠) ، والبخاري (١٢١) ، ومسلم (٦٥) .
(٤) أحمد (٤/ ٤٠١) ، ومسلم (١٦٨٠) ، والبخاري بنحوه (٣١) .

قالت رضي الله عنها : **«خشيت من كثرة البكاء أن تنفلق الكبد»** أي ينشق كبدها من كثرة البكاء لأنها كانت مظلومة رضي الله عنها .

قوله : **«وقد لبث شهرًا لا يوحىٰ إليه في شأني»** وهذا ابتلاء وامتحان ، قال تعالىٰ : **﴿وَلَٰكِن لِّيَقْضِيَ ٱللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا لِّيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَىٰ مَنْ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٍ﴾** [الأنفال : ٤٢] .

قوله : **«فتشهد رسول الله ﷺ حين جلس»** فيه مشروعية التشهد عند الكلام وعند الخطبة ، ولهذا تشهد النبي ﷺ فشهد لله ﷻ بالوحدانية وشهد لنفسه بالرسالة ﷺ .

قوله : **«والله ما أجد لكم مثلا إلا قول أبي يوسف ؛ قال : ﴿فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ﴾** [يوسف : ١٨]» في الرواية الأخرىٰ قالت : **«قد التمست اسم يعقوب فلم أقدر عليه»**(١) ؛ نسيته لعظم الموقف والظلم الواقع عليها رضي الله عنها .

قوله : **«فأخذه ما كان يأخذه من البرحاء ؛ حتىٰ إنه ليتحدر منه مثل الجمان من العرق»** والبرحاء العرق ينزل عليه في يوم شديد البرد من ثقل الوحي عليه ، حتىٰ إنه ليتحدر منه مثل حبات اللؤلؤ .

قوله : **«لا والله ، لا أقوم إليه ، ولا أحمد إلا الله ﷻ»** فيه نسبة الفضل إلىٰ أهله ، ومنه ما جاء في مسند الإمام أحمد رحمه الله أنه : «جيء بأسير إلىٰ النبي ﷺ فقال : اللهم إني أتوب إليك ولا أتوب إلىٰ محمد فقال النبي ﷺ : **«عرف الحق لأهله»**(٢) ؛ فالله أهل التقوىٰ وأهل المغفرة .

فلما أنزل الله ﷻ براءتها حلف الصديق رضي الله عنه أن يقطع النفقة عن مسطح بن أثاثة - وهو ابن خالة أبي بكر رضي الله عنه - وكان أبو بكر رضي الله عنه ينفق عليه ، وكان أبوبكر رضي الله عنه من أغنياء الصحابة ، وكان معروفًا بنفقاته العظيمة وإعتاقه للرقاب ، وكان ينفق علىٰ مسطح بن أثاثة لأنه كان فقيرًا قريبًا ، لكنه لما شارك في قصة الإفك حلف أن يقطع النفقة عنه عقوبة له لمشاركته في حديث الإفك ؛ فأنزل الله تعالىٰ قوله : **﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِي ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾** [النور : ٢٢] أي : لا يحلف أبو بكر رضي الله عنه الذي آتاه الله ﷻ فضلا وسعة في ماله أن يمنع النفقة عن قريبه مسطح بن أثاثة ؛ فذلك أدعىٰ

(١) الترمذي (٣١٨٠) .
(٢) أحمد (٣/ ٤٣٥) .

للمغفرة؛ فقال أبو بكر ﷺ: **«بلى والله، إني أحب أن يغفر الله لي؛ فرجع إلى مسطح النفقة التي كان ينفق عليه، وقال: والله والله لا أنزعها منه أبدًا»**.

قوله: **«فكان رسول الله ﷺ يسأل زينب بنت جحش عن أمري، فقال: يا زينب، ماذا علمت أو رأيت؟ قالت: يا رسول الله، أحمي سمعي وبصري، ما علمت إلا خيرًا»** وفيه إبراء زينب ﷺ عائشة ﷺ لما سألها النبي ﷺ عنها، قالت عائشة ﷺ: **«وهي التي كانت تساميني من أزواج النبي ﷺ»** من السمو وهو العلو؛ أي تعاليني؛ يعني: تنافسني في الحظوة عند النبي ﷺ.

قوله: **«وطفقت أختها حمنة تحارب لها؛ فهلكت فيمن هلك من أصحاب الإفك»** حمنة بنت جحش هي أخت أم المؤمنين زينب ﷺ جعلت تناصر زينب ﷺ لتزيد حظوتها عند النبي ﷺ فتكلمت فيمن تكلم بالإفك، لكنها جلدت، جلدها النبي ﷺ ثمانين جلدة فكان الحد طهارة لها، وكان ممن جلد في الإفك: مسطح بن أثاثة وحسان بن ثابت؛ فطهرهم الله ﷻ فالحد طهارة والتوبة طهارة.

وهذا الحديث فيه الابتلاء والامتحان للصالحين والأخيار؛ فهذه المرأة الصالحة الصديقة بنت الصديق ﷺ ابتليت بهذا البلاء، تحدث المنافقون وغيرهم ورموها بالفاحشة، ومن الابتلاء والامتحان أنه مكث الوحي شهرًا كاملًا لا ينزل على النبي ﷺ حتى اشتد البلاء.

وفيه أن الكربة إذا اشتدت يأتي الفرج معها ﴿وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا﴾ [الطلاق: ٢] ويأتي اليسر مع العسر ﴿إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٦]، وهي ﷺ امرأة تقية صالحة جعل الله ﷻ لها مخرجًا وفرجًا وأنزل براءتها من فوق سبع سموات، في آيات تتلى إلى يوم القيامة؛ فمن رمى عائشة ﷺ بالفاحشة بعد تبرئة الله ﷻ لها فهو كافر بالله العظيم.

وفي هذا الحديث يقول أبو الربيع سليمان بن داود شيخ البخاري رحمه الله: **«أفهمني بعضه أحمد»**؛ فدل على أن الرواة إذا أفهم بعضهم بعضًا أسيق مساقًا واحدًا فإنه صحيح.

فائدة: لا يجوز قياس قيادة المرأة للسيارة على قيادة الراحلة؛ لأنه قياس مع الفارق؛ لأن السيارة ليست مثل الراحلة ولا يترتب عليها ما يترتب على الراحلة؛ فالمرأة التي تقود السيارة تخالط بعض الأشخاص وتمر بشرور وفتن، مما يعرضها للامتهان والتعرض للشرطة والتفتيش، علاوة على أن المرأة قديمًا لم تكن تقود الراحلة، بل كانت الراحلة تقاد والمرأة في هودجها.

المتن

[٢٢٣/ ٥٦] باب ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُۥ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِى مَآ أَفَضْتُمْ فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ الآية [النور: ١٤]

وقال مجاهد: ﴿تَلَقَّوْنَهُۥ﴾ [النور: ١٥]: يرويه بعضكم عن بعض.

﴿تُفِيضُونَ﴾ [يونس: ٦١]: تقولون.

• **[٤٣٦٣]** حدثنا محمد بن كثير، قال: أخبرنا سليمان، عن حصين، عن أبي وائل، عن مسروق، عن أم رومان أم عائشة، أنها قالت: لما رميت عائشة خرت مغشيا عليها.

الشرح

قوله: «**وقال مجاهد: ﴿تَلَقَّوْنَهُۥ﴾** [النور: ١٥]: **يرويه بعضكم عن بعض**» يعني حديث الإفك.

• **[٤٣٦٣]** قوله: «**لما رميت عائشة** رضي الله عنها **خرت مغشيًّا عليها**» لأنها مظلومة رضي الله عنها.

***

المتن

[٢٢٤/ ٥٦] باب ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ وَتَقُولُونَ بِأَفْوَاهِكُم مَّا لَيْسَ لَكُم بِهِۦ عِلْمٌ﴾ الآية [النور: ١٥]

• [٤٣٦٤] حدثنا إبراهيم بن موسىٰ، قال: حدثنا هشام بن يوسف، أن ابن جريج أخبرهم، قال ابن أبي مليكة: سمعت عائشة تقرأ: ﴿إِذْ «تَلِقُونَهُ» بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾.

الشرح

• [٤٣٦٤] قوله: ﴿إِذْ «تَلِقُونَهُ» بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ تلِقُونه بكسر اللام وضم القاف قراءة، وقراءة حفص عن عاصم: ﴿إِذْ تَلَقَّوْنَهُۥ بِأَلْسِنَتِكُمْ﴾ [النور: ١٥]، بفتح اللام وفتح القاف مع التشديد.

* * *

المتن

[٢٢٥/ ٥٦] باب ﴿وَلَوۡلَآ إِذۡ سَمِعۡتُمُوهُ قُلۡتُم مَّا يَكُونُ لَنَآ أَن نَّتَكَلَّمَ بِهَٰذَا سُبۡحَٰنَكَ هَٰذَا بُهۡتَٰنٌ عَظِيمٞ﴾ الآية [النور: ١٦]

• [٤٣٦٥] حدثني محمد بن المثنى، قال: حدثنا يحيى، عن عمر بن سعيد بن أبي حسين: قال: حدثني ابن أبي مليكة قال: استأذن ابن عباس قبيل موتها على عائشة وهي مغلوبة، فقالت: أخشى أن يثني علي، فقيل: ابن عم رسول الله، ومن وجوه المسلمين، قالت: ائذنوا له، فقال: كيف تجدينك؟ قالت: بخير إن اتقيت، قال: فأنت بخير إن شاء الله، زوجة رسول الله ﷺ، ولم ينكح بكرا غيرك، ونزل عذرك من السماء، ودخل ابن الزبير خلافه، فقالت: دخل ابن عباس فأثنى علي، ووددت أني كنت نسيا منسيا.

• [٤٣٦٦] حدثني محمد بن المثنى، قال: حدثنا عبدالوهاب بن عبدالمجيد، قال: حدثنا ابن عون، عن القاسم، أن ابن عباس استأذن على عائشة... نحوه، ولم يذكر: نسيا منسيا.

الشرح

• [٤٣٦٥] في هذا الحديث دليل على ورع عائشة رضي الله عنها حيث استأذن ابن عباس رضي الله عنهما عليها قبيل موتها وهي مريضة «فقالت: أخشى أن يثني علي» فهي لا تريد الثناء، ثم لما دخل أثنى عليها **«فقال: كيف تجدينك؟ قالت: بخير إن اتقيت قال: فأنت بخير إن شاء الله، زوجة رسول الله ﷺ، ولم ينكح بكرًا غيرك»** قال ابن عباس ما كانت تخشاه عائشة وهو من ورعها رضي الله عنها.

قوله: **«ونزل عذرك من السماء»** وهذا هو الشاهد من الحديث.

ودخل ابن الزبير رضي الله عنهما بعدما دخل ابن عباس رضي الله عنهما **«فقالت: دخل ابن عباس فأثنى علي ووددت أني كنت نسيًا منسيًّا»** هذا من شدة تواضعها رضي الله عنها، قالت كما قالت مريم ابنة عمران، وكل منهما برة تقية، لكن مريم خافت من العاقبة من مجيئها بالولد بغير زوج، أما عائشة رضي الله عنها فخافت أن يحصل لها شيء يضرها بعد وفاة رسول الله ﷺ؛ فإنها خرجت بعد مقتل عثمان رضي الله عنه إلى البصرة تطالب بدمه هي والزبير وطلحة رضي الله عنهم، وكان قصدها الخير والإصلاح.

• [٤٣٦٦] ذكر حديث ابن عباس من طريق أخرى.

المتن

[٢٢٦/ ٥٦] باب

﴿يَعِظُكُمُ ٱللَّهُ أَن تَعُودُواْ لِمِثْلِهِۦٓ أَبَدًا إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ **الآية** [النور: ١٧]

• [٤٣٦٧] حدثني محمد بن يوسف، حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، عن عائشة قالت: جاء حسان بن ثابت يستأذن عليها، قلت: أتأذنين لهذا؟ قالت: أوليس قد أصابه عذاب عظيم؟ قال سفيان: تعني ذهاب بصره، فقال:

حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل

قالت: لكن أنت.

الشرح

• [٤٣٦٧] استأذن حسان على عائشة رضي الله عنها فقال مسروق: «**أتأذنين لهذا؟**» يعني وقد شارك في الإثم «**قالت: أوليس قد أصابه عذاب عظيم؟**» تشير إلى قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١] «**قال سفيان: تعني ذهاب بصره**» وعلى هذا القول فالذي تولى كبره حسان رضي الله عنه، والصواب أن الذي تولى كبره عبدالله بن أبيّ.

فقال حسان يمدح عائشة رضي الله عنها:

«حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثى من لحوم الغوافل»

يعني حصينة رزينة عاقلة، ما تتهم بتهمة، وتصبح خالية عن الناس لا تغتاب أحدًا.

وفي اللفظ الآخر أنه قال:

فإن أبي ووالدتي وعرضي لعرض محمد منكم وقاء

قوله: «**قالت: لكن أنت**» يعني: أنت لست كذلك؛ يعني أنه في قلبها وفي نفسها شيء عليه؛ لأنه شارك في الإفك.

* * *

المتن

[٢٢٧/ ٥٦] باب ﴿وَيُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [النور: ١٨]

• [٤٣٦٨] حدثني محمد بن بشار، قال: حدثنا ابن أبي عدي، قال: أنبأنا شعبة، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق قال: دخل حسان بن ثابت على عائشة، فشبب وقال:

حصان رزان ما تزن بريبة وتصبح غرثى من دماء الغوافل

قالت: لست كذاك، قلت: تدعين مثل هذا يدخل عليك، وقد أنزل الله: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ﴾ [النور: ١١]؟! قالت: وأي عذاب أشد من العمى؟ وقالت: قد كان يرد عن النبي ﷺ.

الشرح

• [٤٣٦٨] في هذا الحديث دليل على أن عائشة ﵂ ظنت أن الذي تولى كبره هو حسان، وفسرت العذاب في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِى تَوَلَّىٰ كِبْرَهُۥ مِنْهُمْ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: ١١] بالعمى الذي أصابه، قالت: «**وأي عذاب أشد من العمى؟**» وهذا قول مرجوح، ولعل هذا كان أولًا ثم تبين لها أن الذي تولى كبره هو عبدالله بن أبي كما دلت عليه النصوص كما سبق.

* * *

المتن

[٢٢٨/ ٥٦] باب قوله: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلْفَٰحِشَةُ﴾ الآية إلى قوله: ﴿رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ١٩، ٢٠] **تشيع تظهر**
وقوله: ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ﴾ إلى قوله: ﴿وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ الآية [النور: ٢٢]

وقال أبو أسامة عن هشام بن عروة، قال: أخبرني أبي عن عائشة، قالت: لما ذكر من شأني الذي ذكر وما علمت به، قام رسول الله ﷺ فيّ خطيبًا، فتشهد فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله، ثم قال: **«أما بعد، أشيروا علي في أناس أبنوا أهلي، وايم الله ما علمت على أهلي من سوء، وأبنوهم بمن والله ما علمت عليه من سوء قط، ولا يدخل بيتي قط إلا وأنا حاضر، ولا غبت في سفر إلا غاب معي»**، فقام سعد بن معاذ فقال: ائذن لي يا رسول الله أن نضرب أعناقهم، وقام رجل من بني الخزرج - وكانت أم حسان بن ثابت من رهط ذلك الرجل - فقال: كذبت، أما والله أن لو كانوا من الأوس ما أحببت أن تضرب أعناقهم، حتى كاد أن يكون بين الأوس والخزرج شر في المسجد وما علمت، فلما كان مساء ذلك اليوم خرجت لبعض حاجتي ومعي أم مسطح، فعثرت وقالت: تعس مسطح، فقلت: أي أم، تسبين ابنك؟ وسكتت، ثم عثرت الثانية فقالت: تعس مسطح، فقلت لها: أي أم، أتسبين ابنك؟ فسكتت ثم عثرت الثالثة فقالت: تعس مسطح، فانتهرتها، فقالت: والله ما أسبه إلا فيك، فقلت: في أي شأني؟ قالت.. فبقرت لي الحديث، فقلت: وقد كان هذا؟ قالت: نعم والله، فرجعت إلى بيتي كأن الذي خرجت له لا أجد منه قليلًا ولا كثيرًا ووعكت فقلت لرسول الله ﷺ: أرسلني إلى بيت أبي، فأرسل معي الغلام، فدخلت الدار فوجدت أم رومان في السفل وأبا بكر فوق البيت يقرأ، فقالت أمي: ما جاء بك يا بنية؟ فأخبرتها وذكرت لها الحديث، وإذا هو لم يبلغ منها مثل ما بلغ مني، فقالت: يا بنية خففي عليك الشأن، فإنه والله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا حسدنها وقيل فيها، وإذا هو لم يبلغ منها ما بلغ مني، قلت: وقد علم به أبي؟ قالت: نعم، قلت: ورسول الله ﷺ؟ قالت: نعم ورسول الله ﷺ، واستعبرت وبكيت، فسمع أبو بكر صوتي وهو فوق البيت يقرأ،

فنزل فقال لأمي : ما شأنها؟ قالت : بلغها الذي ذكر من شأنها ، ففاضت عيناه ، قال : أقسمت عليك أي بنية إلا رجعت إلى بيتك ، فرجعت ، ولقد جاء رسول الله ﷺ بيتي فسأل عني خادمتي ، فقالت : لا والله ، ما علمت عليها عيبًا إلا أنها كانت ترقد حتى تدخل الشاة فتأكل خميرها أو عجينها ، وانتهرها بعض أصحابه فقال : اصدقي رسول الله ﷺ ، حتى أسقطوا لها به ، فقالت : سبحان الله ، والله ما علمت عليها إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر ، وبلغ الأمر إلى ذلك الرجل الذي قيل له ، فقال : سبحان الله ، والله ما كشفت كنف أنثى قط ، قالت عائشة : فقتل شهيدًا في سبيل الله ، قالت : وأصبح أبواي عندي ، فلم يزالا حتى دخل علي رسول الله ﷺ ، وقد صلى العصر ، ثم دخل وقد اكتنفني أبواي عن يميني وعن شمالي ، فحمد الله وأثنى عليه ثم قال : **«أما بعد يا عائشة ، إن كنت قارفت سوءًا أو ظلمت فتوبي إلى الله ، فإن الله يقبل التوبة من عباده»** ، قالت : وقد جاءت امرأة من الأنصار فهي جالسة بالباب ، فقلت : ألا تستحي من هذه المرأة أن تذكر شيئا ، فوعظ رسول الله ﷺ ، فالتفتُّ إلى أبي فقلت له : أجبه ، قال : فماذا أقول؟ فالتفتُّ إلى أمي فقلت : أجيبيه ، فقالت : أقول ماذا؟ فلما لم يجيباه تشهدت فحمدت الله وأثنيت عليه بما هو أهله ثم قلت : أما بعد ، فوالله لئن قلت لكم إني لم أفعل ، والله ﷻ يشهد إني لصادقة ، ما ذاك بنافعي عندكم ، لقد تكلمتم به وأشربته قلوبكم ، وإن قلت : إني قد فعلت ، والله يعلم أني لم أفعل ، لتقولن : قد باءت به على نفسها ، وإني والله ما أجد لي ولكم مثلًا - والتمست اسم يعقوب فلم أقدر عليه - إلا أبا يوسف حين قال : ﴿**فَصَبْرٌ جَمِيلٌ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ**﴾ [يوسف : ١٨] ، وأنزل على رسول الله ﷺ من ساعته ، فسكتنا ، فرفع عنه وإني لأتبين السرور في وجهه وهو يمسح جبينه ويقول : **«أبشري يا عائشة فقد أنزل الله براءتك»** ، قالت : وكنت أشد ما كنت غضبًا ، فقال لي أبواي : قومي إليه ، فقلت : لا والله ، لا أقوم إليه ولا أحمده ولا أحمدكما ولكن أحمد الله الذي أنزل براءتي ، لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه ، وكانت عائشة تقول : أما زينب ابنة جحش فعصمها الله بدينها فلم تقل إلا خيرًا ، وأما أختها حمنة فهلكت فيمن هلك ، وكان الذي يتكلم فيه مسطح وحسان بن ثابت ، والمنافق عبد الله بن أبي ، وهو الذي كان يستوشيه ويجمعه ، وهو الذي تولى كبره منهم ، هو وحمنة ، قالت : فحلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحًا بنافعة أبدًا ، فأنزل الله ﷻ : ﴿**وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ**﴾ يعني

أبا بكر ﴿وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ﴾ يعني: مسطحا، إلى قوله: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٌ﴾ [النور: ٢٢] حتى قال أبو بكر: بلى والله يا ربنا، إنا لنحب أن تغفر لنا، وعاد له بما كان يصنع.

الشرح

قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحِبُّونَ أَن تَشِيعَ ٱلۡفَٰحِشَةُ فِي ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ فِي ٱلدُّنۡيَا وَٱلۡأٓخِرَةِۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [النور: ١٩] فيه الوعيد الشديد على من أحب الفاحشة، وأن من أحب أن تشيع الفاحشة في المؤمنين فإنه متوعد بالعذاب الأليم في الدنيا والآخرة؛ ففي الدنيا يقام عليه الحد، وفي الآخرة وعيد بالعذاب الأليم.

فإذا أحب أن تشيع الفاحشة بقلبه وأشاعها بلسانه أو بأفعاله يكون عذابه أشد.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَأۡتَلِ أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤۡتُوٓاْ أُوْلِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينَ﴾ يعني لا يحلف الذين أعطاهم الله ﷻ فضلا من المال وسعة في أرزاقهم، والمعني هو أبو بكر الصديق رضي الله عنه، وذلك أن أبا بكر رضي الله عنه حلف أن يقطع النفقة عن مسطح بن أثاثة وكان ابن خالته وكان فقيرًا ومن المهاجرين الأولين ومن أصحاب بدر أيضًا؛ لأنه تكلم في الإفك، ولكن الله ﷻ طهره بالحد الذي أقيم عليه، فقال تعالى: ﴿وَلۡيَعۡفُواْ وَلۡيَصۡفَحُوٓاْ﴾ أي: عما صدر منهم وألا يقطعوا النفقة التي يعطونها أولي القربى ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغۡفِرَ ٱللَّهُ لَكُمۡ﴾ [النور: ٢٢] قال أبو بكر رضي الله عنه: بلى والله أحب أن يغفر الله لي. كما ورد في الحديث السابق؛ فأعاد النفقة إلى مسطح.

وفي الحديث دليل على أن أهل بدر ليسوا معصومين من كبائر الذنوب؛ فقد تحصل منهم الكبيرة، كما حصل من مسطح بن أثاثة؛ فهو من أهل بدر وقد رمى عائشة رضي الله عنها بالإفك، وكما حصل من حاطب بن أبي بلتعة لما كتب لأهل مكة يخبرهم بخبر النبي ﷺ، وهذه كبيرة.

ولكن إذا وقع من أهل بدر كبيرة فلابد أن يوفقوا للأسباب التي تمحو عنهم هذه الكبيرة، إما بالتوبة كما حصل لحاطب فإنه تاب وتاب الله ﷻ عليه، أو بالحد كما حصل لمسطح بن أثاثة، فإن الله ﷻ طهره بالحد وأقيم عليه، أو بحسنات ماحية، أو بمصائب تصيبهم، أو بشفاعة النبي ﷺ الذين هم أولى الناس بها.

والمعصومون من الكبائر هم الرسل وعصمتهم تكون من الخطأ في تبليغ الرسالة، أما الصغائر فقد تقع منهم.

أما غير الرسل فتقع منهم الصغائر والكبائر، وقد يقع الشرك أيضًا، لكن الله ﷻ عصم الصحابة الذين رسخ الإيمان في قلوبهم من الشرك، والذين ارتدوا إنما هم الأعراب الذين لم يثبت الإيمان في قلوبهم.

وأتى المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هنا بالحديث معلقًا وسبق أنه أتى به موصولًا، ووصله أحمد كما قاله الحافظ رَحِمَهُ اللَّهُ في الشرح: «ووقع في رواية المستملي عن الفربري قال: حدثنا حميد بن الربيع قال: حدثنا أبو أسامة فظن الكرماني أن البخاري وصله عن حميد بن الربيع، وليس كذلك بل هو خطأ فاحش فلا يغتر به» وعلى هذا فقد أتى به معلقًا، لكنه موصول عند أحمد، والحديث ثابت، وأيضًا الأحاديث السابقة ساقها في مواضع متعددة موصولة.

قوله: **«قام رسول الله ﷺ في خطيبًا»** فيه تحفيز للإنسان أن يهتم بأمر أهله ويعتني بهم؛ لأن النبي ﷺ اهتم بأمر عائشة رضي الله عنها اهتمامًا عظيمًا.

قوله: **«فتشهد فحمد الله وأثنى عليه بما هو أهله ثم قال: أما بعد»** فيه مشروعية التشهد عند الخطبة؛ فيشهد لله تعالى بالوحدانية ويشهد للنبي ﷺ بالرسالة، ثم يقول: **«أما بعد»**، وكان النبي ﷺ يقولها في رسائله وفي خطبه ولا يقول: «وبعد» كما يقول بعض أهل العلم.

قوله: **«أشيروا علي في أناس أبنوا أهلي»** يعني اتهموهم **«وايم الله ما علمت على أهلي من سوء»** قسم، مثل: وايمن الله **«وأبنوهم بمن؟!»** يعني: اتهموهم بمن؟! و**«من»** اسم استفهام أو موصولة بمعنى الذي **«والله ما علمت عليه من سوء قط ولا يدخل بيتي قط إلا وأنا حاضر ولا غبت في سفر إلا غاب معي»** وهو صفوان بن المعطل السلمي رضي الله عنه **«فقام سعد بن معاذ فقال: ائذن لي يا رسول الله أن نضرب أعناقهم وقام رجل من بني الخزرج وكانت أم حسان بن ثابت من رهط ذلك الرجل»** سبق أنه سعد بن عبادة سيد الخزرج **«فقال: كذبت»** يعني أخطأت، وهذا كما قالت عائشة رضي الله عنها: **«احتملته الحمية»**[1] وإلا فهو

---

(١) أحمد (٦/ ١٩٧)، والبخاري (٢٦٦١)، ومسلم (٢٧٧٠).

رجل صالح «**أما والله أن لو كانوا من الأوس ما أحببت أن تضرب أعناقهم حتى كاد أن يكون بين الأوس والخزرج شر**» فما زال النبي ﷺ يخفضهم حتى سكنوا .

قوله : «**أي أم**» نداء ، والمعنى أنها مثل أمها في التقدير والاحترام .

قوله : «**فبقرت لي الحديث**» البقرة : القطعة ؛ يعني : أخبرتني بقطعة منه .

قوله : «**فرجعت إلى بيتي كأن الذي خرجت له لا أجد منه قليلًا ولا كثيرًا**» يعني أنها دهشت بحيث رجعت إلى بيتها وما عرفت لأي شيء خرجت من البيت ، لما أخبرتها أن الناس يتكلمون في الإفك ؛ لأنه قد مر عليها شهر لا تدري أي شيء ، ورد عليها المرض مرة ثانية ، وصارت تبكي حتى ظنت أن البكاء سيشق كبدها .

وفي قوله : «**فرجعت إلى بيتي كأن الذي خرجت له لا أجد منه قليلا ولا كثيرا**» معنى آخر هو أنها رجعت ما تحس شيئًا من حاجتها من بول أو غائط بسبب الدهشة ، والظاهر أنها بعدما ذهبت مع أم مسطح لتقضي حاجتها رجعت ولم تقضها .

قوله : «**فقلت لرسول الله ﷺ : أرسلني إلى بيت أبي**» وفي الحديث السابق أنها استأذنت قالت : «**أتأذن لي أن أذهب إلى أبوي**»(١) ؛ لأجل أن تتأكد من الخبر .

قوله : «**لم يبلغ منها مثل ما بلغ مني**» يعني ما تأثرت الأم بمثل تأثرها ، وقالت : «**يا بنية خففي عليك الشأن ، فإنه والله لقلما كانت امرأة حسناء عند رجل يحبها لها ضرائر إلا حسدنها وقيل فيها**» فالمرأة تحسد إذا كانت لها حظوة عند زوجها وكان لها ضرائر .

قوله : «**وقد علم به أبي؟**» يعني بخبر الإفك؟ «**قالت : نعم ، قلت : ورسول الله ﷺ؟**» يعني هل بلغه الخبر؟ «**قالت : نعم ورسول الله ﷺ**» .

قوله : «**فسأل عني خادمتي**» وهي بريرة كما سبق .

قوله : «**وانتهرها بعض أصحابه**» يعني شددوا على الجارية بريرة في السؤال ؛ لأن الرسول ﷺ أمرها أن تخبرهم بالحقيقة .

قوله : «**حتى أسقطوا لها به**» يعني حتى صرحوا لها بالأمر .

قوله : «**إلا ما يعلم الصائغ على تبر الذهب الأحمر**» التبر هو قطعة الذهب التي أخذت بترابها لم تضرب .

قوله: **«ويلغ الأمر ذلك الرجل الذي قيل له»** وهو صفوان بن المعطل ﵁.

قوله: **«والله ما كشفت كنف أنثى قط»** الكنف: الستر، والمراد الثوب، وظاهره أنه ما تزوج فلم يكشف سترًا على امرأة.

قوله: **«تشهدت فحمدت الله وأثنيت عليه بما هو أهله ثم قلت: أما بعد...»** فيه فضل عائشة ﵂ وفقهها ورجاحة عقلها مع صغر سنها، حيث تشهدت وحمدت الله ﷻ وأثنت عليه، واستشهدت بقول يعقوب ﵇ وهي ابنة خمس عشرة سنة.

قوله: **«وأنزل على رسول الله ﷺ»** يعني الوحي، وكان الوحي قد استلبث شهرًا كاملًا ابتلاء وامتحانًا، ثم أنزل عليه بعدما أفاضوا في الإفك شهرًا كاملًا.

قوله: **«وكنت أشد ما كنت غضبًا»** اعتذرت عن نفسها لما قال لها أبواها: قومي إلى رسول الله ﷺ، قالت: **«لا والله لا أقوم إليه ولا أحمده ولا أحمدكما ولكن أحمد الله الذي أنزل براءتي»** وعللت أيضًا عدم حمدها لهم بعد غضبها بقولها: **«لقد سمعتموه فما أنكرتموه ولا غيرتموه»** يعني الكلام الذي قيل، وهو الإفك.

قوله: **«أما زينب ابنة جحش فعصمها الله بدينها»** لأن النبي ﷺ لما سألها عنها؛ قالت: **«أحمي سمعي وبصري والله ما علمت عليها إلا خيرًا»**(١) كما في الرواية السابقة.

قوله: **«وأما أختها حمنة فهلكت فيمن هلك»** وهي حمنة بنت جحش أخت زينب ﵄؛ لأنها تكلمت مع من تكلم بالإفك، وأقيم عليها الحد، وفي الحديث السابق أنها قالت: **«فطفقت تحارب عن أختها فهلكت فيمن هلك»**(٢) يعني تحارب عن أختها زينب.

قوله: **«وكان الذي يتكلم فيه مسطح وحسان بن ثابت والمنافق عبدالله بن أبي وهو الذي كان يستوشيه ويجمعه وهو الذي تولى كبره منهم هو وحمنة»** فيه أن الذي تكلم في الإفك مسطح وحسان وحمنة وأقيم الحد عليهم ثمانين جلدة، وأما المنافق عبدالله بن أبي فإنه لم يقم عليه الحد لأنه لم يثبت عليه شيء، وقول عائشة ﵂ صريح في أن الذي تولى كبره هو عبدالله بن أبي، وهذا هو الصواب، وأما ما سبق من أن الذي تولى كبره هو حسان فهذا ليس بصحيح، وقد سبق

(١) أحمد (٦/ ١٩٤)، والبخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠).
(٢) أحمد (٦/ ١٩٤)، والبخاري (٤١٤١)، ومسلم (٢٧٧٠).

أنها قالت إن الذي تولى كبره حسان رضي الله عنه، وأنها قالت: **«وأي عذاب أشد من العمى؟»**[1] لأنه كان قد عمي، ولكنه قول مرجوح.

قوله: **«فحلف أبو بكر أن لا ينفع مسطحًا بنافعة أبدًا»** لكونه تكلم في الإفك، وهو ابن خالة أبي بكر رضي الله عنه وهو فقير من المهاجرين الأولين ومن أصحاب بدر، وكان أبو بكر رضي الله عنه ينفق عليه لقرابته ولفقره؛ فلما تكلم مع أهل الإفك حلف أبو بكر رضي الله عنه أن يقطع عنه النفقة فأنزل الله تعالى هذه الآية: ﴿**وَلَا يَأْتَلِ أُولُوا الْفَضْلِ مِنكُمْ وَالسَّعَةِ أَن يُؤْتُوا أُولِي الْقُرْبَىٰ وَالْمَسَاكِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ ۗ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**﴾ [النور: ٢٢]، وأمره فيها أن يعيد النفقة.

قوله: **«حتى قال أبو بكر رضي الله عنه: بلى والله يا ربنا، إنا لنحب أن تغفر لنا، وعاد له بما كان يصنع»** فيه دليل على صدق إيمان أبي بكر رضي الله عنه وفضله وأنه كان وقافًا عند كتاب الله عز وجل.

* * *

(١) البخاري (٤١٤٦)، ومسلم (٢٤٨٨).

المتن

[٢٢٩/ ٥٦] باب ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]

وقال أحمد بن شبيب قال: حدثنا أبي، عن يونس، قال: ابن شهاب، عن عروة، عن عائشة قالت: يرحم الله نساء المهاجرات الأول؛ لما أنزل الله ﷻ: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾، شققن مروطهن فاختمرن به.

• [٤٣٦٩] حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا إبراهيم بن نافع، عن الحسن بن مسلم، عن صفية بنت شيبة، أن عائشة كانت تقول: لما نزلت هذه الآية: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾، أخذن أزرهن فشققنها من قبل الحواشي فاختمرن بها.

الإزار هنا: الملاءة.

الشرح

قوله: «وقال أحمد بن شبيب» هذا من شيوخ البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ، رواه عنه معلقًا بهذه الصيغة، وذكر الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ أنه وصله محمد بن المنذر عن محمد بن إسماعيل الصائغ عن أحمد بن شبيب، وكذا أخرجه ابن مردويه من طريق موسى بن سعيد الدنداني عن أحمد بن شبيب، وكذا أخرجه أبو داود والطبراني من طريق قرة بن عبدالرحمن.

قوله: «فاختمرن به» يعني غطين به وجوههن، والخمار هو ما يكون على الرأس ثم تسدله المرأة على وجهها وعلى صدرها، ومن قال: إن الحجاب خاص بأمهات المؤمنين فعليه الدليل؛ فالعلة تدل على أن الحجاب عام لقوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] فالحجاب أطهر لقلوب أمهات المؤمنين وقلوب غيرهن، ولا يقول أحد: إن غير أمهات المؤمنين لا تحتاج إلى طهارة القلوب؛ فالعلة عامة وإذا كانت العلة عامة دل على أن الحكم عام لأمهات المؤمنين ولغيرهن.

•[٤٣٦٩] هذا الحديث فيه دليل على أن تغطية الوجه داخلة في الحجاب الذي أمر الله ﷻ به.

وفيه فضل النساء المهاجرات الأول ومسارعتهن للامتثال، فلما نزلت هذه الآية: ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]، سارعن إلى الامتثال، فشققن مروطهن وغطين بها وجوههن.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ في قوله: «فاختمرن به» «أي غطين وجوههن؛ وصفة ذلك أن تضع الخمار على رأسها وترميه من الجانب الأيمن على العاتق الأيسر وهو التقنع، وقال الفراء: كانوا في الجاهلية تسدل المرأة خمارها من ورائها وتكشف ما قدامها، فأمرن بالاستتار، والخمار للمرأة كالعمامة للرجل».

وذكر أيضًا الحديث الذي أخرجه الحاكم عن عائشة رضي الله عنها: «ذكرنا عند عائشة رضي الله عنها نساء قريش وفضلهن، فقالت: إن نساء قريش لفضلاء، ولكني والله ما رأيت أفضل من نساء الأنصار أشد تصديقًا بكتاب الله عز وجل ولا إيمانًا بالتنزيل، لقد أنزلت سورة النور ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١] فانقلب رجالهن إليهن يتلون عليهن ما أنزل فيها، ما منهن امرأة إلا قامت إلى مرطها فأصبحن يصلين الصبح معتجرات كأن على رءوسهن الغربان».

* * *

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الفرقان

وقال ابن عباس : ﴿ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان : ٢٣] : ما تسفي به الريح .

﴿ مَدَّ ٱلظِّلَّ ﴾ [الفرقان : ٤٥] : ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس .

﴿ خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ ﴾ [الفرقان : ٦٢] : من فاته من الليل عمل أدركه بالنهار ، أو فاته بالنهار أدركه بالليل .

وقال الحسن : ﴿ هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ ﴾ [الفرقان : ٧٤] : في طاعة الله ، وما شيء أقر لعين مؤمن من أن يرى حبيبه في طاعة الله .

﴿ فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ ﴾ [الفرقان : ٥] : تقرأ عليه ، من : أمليت وأمللت .

الرس : المعدن ، جميعه رساس .

﴿ غَرَامًا ﴾ [الفرقان : ٦٥] : هلاكا .

﴿ مَا يَعْبَؤُا۟ ﴾ [الفرقان : ٧٧] يقال : ما عبأت به شيئا : لا يعتد به .

وقال مجاهد : ﴿ عَتَوْا ﴾ [الفرقان : ٢١] طغوا .

وقال ابن عيينة : ﴿ عَاتِيَةٍ ﴾ [الحاقة : ٦] : عتت على الخزان .

وقال ابن عباس : ﴿ ثُبُورًا ﴾ [الفرقان : ١٣] : ويلا .

وقال غيره : السعير : مذكر ، والتسعر والاضطرام : التوقد الشديد .

﴿ سَاكِنًا ﴾ [الفرقان : ٤٥] : دائما .

﴿ عَلَيْهِ دَلِيلًا ﴾ [الفرقان : ٤٥] : طلوع الشمس .

الشرح

قوله تعالى : ﴿ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴾ [الفرقان : ٢٣] أي : **«ما تسفي به الريح»** .

قوله تعالى: «﴿مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: ٤٥] **ما بين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس**».

قوله تعالى: ﴿خِلْفَةً لِّمَنْ أَرَادَ أَن يَذَّكَّرَ﴾ [الفرقان: ٦٢]: يخلف أحدهما الآخر؛ يعني: «**من فاته من الليل عمل أدركه بالنهار أو فاته بالنهار أدركه بالليل**».

قوله تعالى: ﴿فَهِىَ تُمْلَىٰ عَلَيْهِ﴾ [الفرقان: ٥] قال: «**تقرأ عليه، من أمليت وأمللت**»؛ يعني تملى عليه وهو يكتب، ومنه قوله تعالى: ﴿فَإِن كَانَ ٱلَّذِى عَلَيْهِ ٱلْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لَا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُۥ بِٱلْعَدْلِ﴾ [البقرة: ٢٨٢].

قوله: «**الرس: المعدن**» يعني في قوله تعالى: ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ وَقُرُونًۢا بَيْنَ ذَٰلِكَ كَثِيرًا﴾ [الفرقان: ٣٨].

قوله تعالى: ﴿غَرَامًا﴾ [الفرقان: ٦٥] يعني: «**هلاكًا**».

قوله تعالى: ﴿مَا يَعْبَؤُا۟﴾ [الفرقان: ٧٧]: لا يعتد بكم لولا إيمانكم، وهذا في أحد الأقوال.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَآءَ لَجَعَلَهُۥ سَاكِنًا﴾ [الفرقان: ٤٥] قال مجاهد: «**دائمًا**».

قوله تعالى: ﴿عَلَيْهِ دَلِيلًا﴾ [الفرقان: ٤٥]: أي: «**طلوع الشمس**».

* * *

المتن

[٢٣٠/ ٥٦] باب قوله: ﴿الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٤]

• [٤٣٧٠] حدثني عبدالله بن محمد، قال: حدثنا يونس بن محمد البغدادي، قال: حدثنا شيبان، عن قتادة، قال: حدثنا أنس بن مالك، أن رجلا قال: يا نبي الله، يحشر الكافر على وجهه يوم القيامة؟ قال: **«أليس الذي أمشاه على الرجلين في الدنيا قادر على أن يمشيه على وجهه يوم القيامة؟!»**، قال قتادة: بلى وعزة ربنا.

الشرح

الآية التي بوب بها المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ والحديث الذي أورده فيهما دليل على أن الكافر يحشر على وجهه، وفي هذا ذلة له ومهانة.

فالله عَزَّ وَجَلَّ على كل شيء قدير، يمشيه على وجهه زيادة في ذلته ثم يساق إلى النار؛ ولذلك قال سبحانه في وصفهم: ﴿أُولَٰئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ سَبِيلًا﴾ [الفرقان: ٣٤].

• [٤٣٧٠] قوله: **«بلى وعزة ربنا»** قسم، والعزة مقسم بها وهي صفة لله تبارك وتعالى، قال تعالى عن إبليس: ﴿قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [ص: ٨٢]، وقول آخر أهل النار خروجًا: **«لا وعزتك لا أسألك غيره»**[1] ففي ذلك كله جواز القسم بصفة من صفات الله عَزَّ وَجَلَّ.

ذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عند البزار: **«يحشر الناس ثلاثة أصناف: صنف مشاة، وصنف ركبان، وصنف على وجوههم. فقالوا: يا رسول الله وكيف يمشون على وجوههم...»**[2] إلى آخر الحديث؛ فقال: «ويؤخذ من مجموع الأحاديث أن المقربين يحشرون ركبانًا، ومن دونهم من المسلمين على أقدامهم، وأما الكفار فيحشرون على وجوههم».

***

(١) أحمد (٢/ ٢٧٥)، والبخاري (٦٥٧٤)، ومسلم (١٨٧).
(٢) أحمد (٢/ ٣٥٤)، والترمذي نحوه (٣١٤٢).

المتن

[٢٣١/ ٥٦] باب قوله تعالى:

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ يَلۡقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨] **الآية، الأثام: العقوبة**

• [٤٣٧١] حدثنا مسدد، قال: حدثنا يحيى، عن سفيان، قال: حدثني منصور وسليمان، عن أبي وائل، عن أبي ميسرة هو عمرو بن شرحبيل عن عبدالله، قال: وحدثني واصل، عن أبي وائل، عن عبدالله قال: سألت أو سئل رسول الله ﷺ: أي الذنب عند الله أكبر؟ قال: «**أن تجعل لله ندا وهو خلقك**»، قلت: ثم أي؟ قال: «**ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك**»، قال: ثم أي؟ قال: «**ثم أن تزاني بحليلة جارك**»، قال: ونزلت هذه الآية – تصديقا لقول رسول الله ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨].

• [٤٣٧٢] حدثني إبراهيم بن موسى، قال: أخبرنا هشام بن يوسف، أن ابن جريج أخبرهم، قال: أخبرني القاسم بن أبي بزة، أنه سأل سعيد بن جبير: هل لمن قتل مؤمنا متعمدا من توبة؟ فقرأت عليه: ﴿وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨]، فقال سعيد: قرأتها على ابن عباس كما قرأتها علي، فقال: هذه مكية، يعني: نسختها آية مدنية التي في سورة النساء.

• [٤٣٧٣] حدثني محمد بن بشار، قال: حدثنا غندر، قال: حدثنا شعبة، عن المغيرة بن النعمان، عن سعيد بن جبير قال: اختلف أهل الكوفة في قتل المؤمن، فرحلت فيه إلى ابن عباس، فقال: نزلت في آخر ما نزل، ولم ينسخها شيء.

• [٤٣٧٤] حدثنا آدم، قال: حدثنا شعبة، قال: حدثنا منصور، عن سعيد بن جبير قال: سألت ابن عباس عن قوله: ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣]، قال: لا توبة له، وعن قوله: ﴿لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨]، قال: كانت هذه في الجاهلية.

الشَّرْحُ

• [٤٣٧١] في هذا الحديث ذكر أعظم الذنوب، وأعظمها كما في قوله: **«أن تجعل لله ندًّا وهو خلقك»** لأن من لقي الله ﷻ بالشرك لا يغفر له، وهو آيس من رحمة الله ﷻ، وهو مخلد في النار، والجنة عليه حرام، ولا يمكن أن ينقذه أحد من عذاب الله ﷻ، فلو اجتمع الخلق كلهم على أن ينقذوه لما استطاعوا، ولا يقبل منه فدية ولو افتدى نفسه بملء الأرض ذهبًا.

قوله: **«ثم أن تقتل ولدك خشية أن يطعم معك»** اجتمعت فيه ثلاثة أمور:

أولا: القتل.

ثانيًا: قطيعة الرحم.

ثالثا: سوء الظن بالله ﷻ حيث قتله خشية أن يطعم معه فيقل رزقه فلا يستطيع أن ينفق عليه بزعمه.

قوله: **«ثم أن تزاني بحليلة جارك»** فيه كبيرتان: زنًا وإيذاء للجار، ولهذا جاء في الحديث: **«لأن يزني الرجل بعشرة نسوة أيسر عليه من أن يزني بامرأة جاره»**[1] والحليلة: الزوجة.

قوله: **«ونزلت هذه الآية تصديقًا لقول رسول الله ﷺ: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَ﴾»** [الفرقان: ٦٨] وقد فسر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الأثام بالعقوبة، ثم بين هذه الآثام فقال: **﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا﴾** [الفرقان: ٦٩] وفيه دليل على أن التوبة تجب ما قبلها، وأن التوبة تصح من جميع الذنوب حتى الشرك، فمن تاب تاب الله ﷻ عليه بشرط أن تكون التوبة خالصة لله ﷻ وأن يكون فيها إقلاع عن المعاصي وندم على ما مضى وعزم صادق جازم على عدم العودة إليها، وتكون قبل الموت، وقبل طلوع الشمس من مغربها في آخر الزمان؛ فتكون التوبة صحيحة، والدليل على هذا قول الله تعالى في سورة الزمر: **﴿قُلۡ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾** [الزمر: ٥٣] وأجمع العلماء أن هذه الآية نزلت في التائبين؛ لأن الله ﷻ عمم الذنوب بإطلاق فقال: **﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَغۡفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾** يعني لمن تاب.

---

(١) أحمد (٦/٨).

• [٤٣٧٢]،[٤٣٧٣] الآية المدنية التي نسخت المكية هي قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٩٣] فكان ابن عباس رضي الله عنه يرى أن القاتل لا توبة له على اعتبار أن آية الفرقان نسختها آية النساء، وآية النساء فيها الوعيد على القاتل؛ فدل على أن القاتل لا توبة له.

• [٤٣٧٤] في الحديث أن آية الفرقان كانت في الجاهلية ونسختها آية النساء ﴿فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ فدل على أن القاتل لا توبة له، وابن عباس رضي الله عنه روي عنه أن القاتل لا توبة له، وروي عنه أيضًا أن له توبة، وروي أنه جاءه رجل فسأله فقال: هل للقاتل توبة؟ فقال: لا توبة له، وجاءه بعد مدة شخص آخر فقال: هل للقاتل توبة؟ قال: نعم؛ فنظر إلى الأول الذي استفتاه فإذا هو متهيئ للقتل؛ فقال: لا توبة له؛ حتى يردعه، والثاني جاء تائبًا نادمًا فقال: هل للقاتل توبة؟ قال: نعم له توبة.

وعلى هذا يكون لابن عباس رضي الله عنهما روايتان، رواية أن له توبة ورواية أنه لا توبة له، والصواب الذي تدل عليه النصوص والذي عليه جمهور العلماء أن القاتل له توبة، بل المشرك – وهو أعظم ذنب عصي الله عز وجل به في الأرض – له توبة.

وأحسن ما يحمل عليه قول ابن عباس رضي الله عنه: «لا توبة له» أي لا توبة له تمنع القصاص أو إقامة الحد عليه أو تسليمه الدية، ولكن له توبة فيما بينه وبين الله عز وجل، وقول ابن عباس رضي الله عنهما: **«إن المؤمن إذا قتل مؤمنًا متعمدًا فلا توبة له»** مشهور عنه، والمعنى أنه لابد أن يعذب في النار ولكن لا يخلد فيها ولا يؤبد، بل يعذب بقدر جريمته؛ فإذا طهر خرج من النار بالتوحيد؛ لأن أهل التوحيد ممن كان في قلبه مثقال ذرة من إيمان يخرجون من النار، ولأنه لا يخلد في النار إلا الكفرة.

والصواب قول الجمهور: إن القاتل له توبة، ويحمل قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا﴾ [النساء: ٩٣] على مشيئة الله عز وجل، إن شاء أن يدخله جهنم أدخله وإن شاء ألا يدخله لا يدخله؛ لعموم قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] وإذا دخلها فإنه لا يخلد فيها أبدًا، والخلود خلودان خلود مؤبد

لا ينتهي وهو خلود الكافر والمشرك ، وخلود مؤمد له أمد ونهاية وهو المكث الطويل وهو خلود العصاة الموحدين كالقاتل ، والعرب يسمون المكث الطويل خلودًا ؛ قال الشاعر :

أقاموا فأخلدوا

ومن أدلة الجمهور على أن القاتل له توبة : حديث الإسرائيلي الذي قتل مائة نفس ثم تاب وصحت توبته ؛ فإن النبي ﷺ ساقه وأقره ولم ينكره ، ولم يأت في شرعنا ما يخالفه ، وشرع من قبلنا شرع لنا إن لم يأت شرعنا بما يخالفه ؛ فدل على أن القاتل له توبة .

وهذه مسألة أصولية : هل شرع من قبلنا شرع لنا؟ قيل : هو شرع لنا ، وقيل : ليس بشرع لنا ، والصواب : التفصيل ، أنه إذا جاء شرعنا بما يخالفه فليس بشرع لنا ، وإذا جاء شرعنا بما يوافقه أو سكت عنه شرعنا ولم يخالفه فهو شرع لنا .

***

المتن

[٢٣٢/ ٥٦] باب قوله:

﴿يُضَٰعَفۡ لَهُ ٱلۡعَذَابُ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَيَخۡلُدۡ فِيهِۦ مُهَانًا﴾ [الفرقان: ٦٩]

• **[٤٣٧٥]** حدثنا سعد بن حفص، قال: حدثنا شيبان، عن منصور، عن سعيد بن جبير قال: قال ابن أبزى: سل ابن عباس عن قوله تعالى: ﴿وَمَن يَقۡتُلۡ مُؤۡمِنٗا مُّتَعَمِّدٗا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ﴾ [النساء: ٩٣]، وقوله: ﴿وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ﴾، حتى بلغ: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ﴾ [الفرقان: ٦٨-٧٠] فسألته، فقال: لما نزلت، فقال أهل مكة: فقد عدلنا بالله، وقد قتلنا النفس التي حرم الله، وأتينا الفواحش، فأنزل الله: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا﴾، إلى قوله: ﴿غَفُورٗا رَّحِيمٗا﴾ [الفرقان: ٧٠].

الشرح

• **[٤٣٧٥]** قوله: «**فقد عدلنا بالله**» يعني أشركنا بالله ﷻ؛ لأن الشرك عدل غير الله بالله ﷻ، ومنه قول الله تعالى: ﴿ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ﴾ [الأنعام: ١].

* * *

المتن

[٢٣٣/ ٥٦] باب

﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا﴾ الآية [الفرقان: ٧٠]

• [٤٣٧٦] حدثنا عبدان، قال: أخبرني أبي، عن شعبة، عن منصور، عن سعيد بن جبير قال: أمرني عبدالرحمن بن أبزى أن أسأل ابن عباس عن هاتين الآيتين: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا﴾ [النساء: ٩٣]، فسألته، فقال: لم ينسخها شيء، وعن: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨]، قال: نزلت في أهل الشرك.

الشرح

• [٤٣٧٦] سبق أن ابن عباس رضي الله عنهما له روايتان:

الأولى: رواية أن القاتل له توبة.

الثانية: ورواية أنه لا توبة له.

والصواب أن له توبة.

* * *

المتن

[٢٣٤/ ٥٦] باب قوله: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان: ٧٧]: هلكة

• [٤٣٧٧] حدثنا عمر بن حفص بن غياث، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا الأعمش، قال: حدثنا مسلم، عن مسروق قال: قال عبدالله: خمس قد مضين: الدخان، والقمر، والروم، والبطشة، واللزام؛ ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾.

الشرح

قوله: ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان: ٧٧] فسرها بقوله: «هلكة».

• [٤٣٧٧] قوله: «قال عبدالله» هو عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

قوله: «الدخان» الجوع الشديد الذي أصاب قريش، حتى كان أحدهم يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من شدة الجوع.

والصواب أن الدخان الذي مضى غير الدخان الذي يأتي، وهما دخانان: دخان مضى، وهو الذي أصاب قريشًا لما دعا عليهم النبي ﷺ بالسنين؛ قال: «اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف»[1] فأصابهم الجهد حتى أكلوا الميتة والعظام، حتى صاروا يرون كهيئة الدخان من الجوع بينهم وبين السماء والأرض، ودخان يأتي في آخر الزمان وهو من أشراط الساعة الكبرى، وهو دخان يصيب المؤمن كهيئة الزكام، وأما الكافر فيصيبه شدة، حيث يدخل الدخان في سمعه وبصره وعينيه ومنخريه.

وقد ورد أن ابن مسعود رضي الله عنه أنكر على من قال: إن هناك دخانًا يأتي قبل يوم القيامة، لكن هذا على حسب علمه.

قوله: «والقمر» يعني: انشقاق القمر؛ قال سبحانه وتعالى: ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

قوله: «والروم» يعني: ظهور الروم على الفرس؛ قال تعالى: ﴿غُلِبَتِ ٱلرُّومُ ۝ فِىٓ أَدْنَى ٱلْأَرْضِ وَهُم مِّنۢ بَعْدِ غَلَبِهِمْ سَيَغْلِبُونَ﴾ [الروم: ٢، ٣].

(١) أحمد (٢/ ٢٥٥)، والبخاري (٦٢٠٠)، ومسلم (٦٧٥).

قوله : «**والبطشة**» يعني : ما أصابهم يوم بدر من القتل والأسر .

قوله : «**واللزام**» يعني : لزام العذاب لهم ؛ قال تعالى : ﴿فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا﴾ [الفرقان : ٧٧] يعني : جزاء يلزم كل عامل بما عمل ، وله معنى آخر وهو الهلاك ، وهو الذي فسره المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في الترجمة وهو الشاهد منها .

❊ ❊ ❊

المتن

سورة الشعراء

بسم الله الرحمن الرحيم

وقال مجاهد : ﴿ تَعْبَثُونَ ﴾ [الشعراء : ١٢٨] : تبنون .

﴿ هَضِيمٌ ﴾ [الشعراء : ١٤٨] : يتفتت إذا مس .

﴿ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾ [الشعراء : ١٥٣] : مسحورين .

أليكة : الأيكة ، وهي : الغيضة .

﴿ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٩] : المصلين .

الأيكة واللايكة جمع أيكة ، هي : جميع شجر .

جبلة الأولين : خلق ، جبل : خلق ، ومنه : جُبُلا وجِبِلا وجُبْلا ، يعني : الخلق . قاله ابن عباس .

قال ابن عباس : ﴿ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ ﴾ [الشعراء : ١٢٩] كأنكم .

فرحين : مرحين ، ﴿ فَٰرِهِينَ ﴾ [الشعراء : ١٤٩] بمعناه .

ويقال : ﴿ فَٰرِهِينَ ﴾ : حاذقين .

﴿ تَعْثَوْا ﴾ [الشعراء : ١٨٣] : هو أشد الفساد وعاث يعيث عيثا .

﴿ مَّوْزُونٍ ﴾ [الحجر : ١٩] : معلوم .

﴿ كَٱلطَّوْدِ ﴾ [الشعراء : ٦٣] : كالجبل .

وقال غيره : ﴿ لَشِرْذِمَةٌ ﴾ [الشعراء : ٥٤] : طائفة قليلة .

الريع : الأيفاع من الأرض ، وجمعه : ريعة ، وأرياع واحده ريعة .

﴿ مَصَانِعَ ﴾ [الشعراء : ١٢٩] : كل بناء فهو مصنعة .

الشرح

قوله تعالى : ﴿ تَعْبَثُونَ ﴾ [الشعراء : ١٢٨] **«قال مجاهد : تبنون»** .

قوله تعالى : ﴿ هَضِيمٌ ﴾ [الشعراء : ١٤٨] قال : «يتفتت إذا مس» .

قوله : ﴿ ٱلْمُسَحَّرِينَ ﴾ [الشعراء : ١٥٣] قال : «مسحورين» .

قوله : «أليكة : الأيكة ، وهي الغيضة» يعني في قوله تعالى : ﴿ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ لْـَٔيْكَةِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴾ [الشعراء : ١٧٦] .

قوله تعالى : ﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِى ٱلسَّٰجِدِينَ ﴾ [الشعراء : ٢١٩] قال : «المصلين» .

قوله تعالى : ﴿ فَٰرِهِينَ ﴾ [الشعراء : ١٤٩] قال : «حاذقين» .

قوله تعالى : ﴿ تَعْثَوْا۟ ﴾ [الشعراء : ١٨٣] قال : «أشد الفساد» .

قوله تعالى : ﴿ مَّوْزُونٍ ﴾ [الحجر : ١٩] قال : «معلوم» .

قوله تعالى : ﴿ كَٱلطَّوْدِ ﴾ [الشعراء : ٦٣] قال : «كالجبل» .

قوله تعالى : ﴿ لَشِرْذِمَةٌ ﴾ [الشعراء : ٥٤] قال : «طائفة قليلة» .

وفي قوله تعالى : ﴿ أَتَبْنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةً تَعْبَثُونَ ﴾ [الشعراء : ١٢٨] قال : «الريع : الأيفاع من الأرض» . والريعة والريع : المكان المرتفع ، والمعنى أنهم يرتفعون في البناء ليكون معلمًا مشهورًا عبثًا لا للاحتياج إليه ؛ بل لمجرد اللعب واللهو وإظهار القوة .

قوله تعالى : ﴿ مَصَانِعَ ﴾ [الشعراء : ١٢٩] قال : «كل بناء فهو مصنعة» .

* * *

المَتْنُ

[٢٣٥/ ٥٦] **باب** ﴿وَلَا تُخْزِنِي يَوْمَ يُبْعَثُونَ﴾ [الشعراء: ٨٧]

وقال إبراهيم بن طهمان، عن ابن أبي ذئب، عن سعيد بن أبي سعيد المقبري، عن أبيه، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: **«إن إبراهيم يرى أباه يوم القيامة عليه الغبرة والقترة»**.

• **[٤٣٧٨]** حدثنا إسماعيل، قال: حدثني أخي، عن ابن أبي ذئب، عن سعيد المقبري، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: **«يلقى إبراهيم أباه، فيقول: يا رب، إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون، فيقول الله تبارك وتعالى: إني حرمت الجنة على الكافرين»**.

الشَّرْحُ

قوله: **«عليه الغبرة والقترة»** مأخوذ من قوله تعالى: ﴿وَوُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ عَلَيْهَا غَبَرَةٌ ۝ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ ۝ أُولَٰئِكَ هُمُ الْكَفَرَةُ الْفَجَرَةُ﴾ [عبس: ٤٠ - ٤٢].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال ابن التين: قوله في سورة عبس: ﴿غَبَرَةٌ ۝ تَرْهَقُهَا قَتَرَةٌ﴾ تأكيد لفظي، كأنه قال: غبرة فوقها غبرة. وقال غير هؤلاء: القترة ما يغشى الوجه من الكرب، والغبرة ما يعلوه من الغبار، وأحدهما حسي والآخر معنوي، وقيل: القترة شدة الغبرة بحيث يسود الوجه، وقيل: القترة سواد الدخان فاستعير هنا».

• **[٤٣٧٨]** قوله: **«يلقى إبراهيم أباه»** وفي رواية: **«يلقى إبراهيم أباه آزر»**(١) وسماه الله عَزَّ وَجَلَّ في القرآن، قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ آزَرَ أَتَتَّخِذُ أَصْنَامًا آلِهَةً﴾ [الأنعام: ٧٤].

وتكملة الحديث سقطت من المصنفين: **«ثم يقال: يا إبراهيم، ما تحت رجليك انظر، فينظر، فإذا هو بذيخ ملتطخ، فيؤخذ بقوائمه فيلقى في النار»**(١) وهذا يدل على أن الكافر لا حيلة فيه، وأنه لو كان أحد تقبل شفاعته في الكافر لقبلت شفاعة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، والد الحنفاء وأبي الأنبياء وأفضلهم بعد نبينا محمد ﷺ؛ فمن مات على الكفر لا حيلة له، ولهذا قال الله تعالى: **«إني حرمت الجنة على الكافرين»** وفيه دليل على أن الكافر لا يدخل الجنة،

---

(١) البخاري (٣٣٥٠).

كما في هذا الحديث، وكما في قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ ٱلْجَنَّةَ وَمَأْوَىٰهُ ٱلنَّارُ﴾ [المائدة: ٧٢] فلا حيلة في إنجاء الكافر من عذاب الله ﷻ إذ لا تقبل فيه الشفاعة، وإذا كان إبراهيم ﷺ رق لوالده وأراد أن يشفع له فقال: **«يا رب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون»** فيسلِّيه الله تعالى ويقول له: **«يا إبراهيم انظر ما تحت رجليك فإذا هو بذيخ متلطخ»**[1] يعني: مسخه الله ﷻ فصار ضبعًا، والحكمة في مسخة ضبعًا؛ لتنفر نفس إبراهيم ﷺ منه.

وفي رواية كما ذكر ابن حجر رحمه الله: **«فيقول إبراهيم يا رب إنك وعدتني أن لا تخزني يوم يبعثون، فأي خزي أخزى من أبي الأبعد»**.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وفي حديث أبي سعيد رضي الله عنه: **«فيحول في صورة قبيحة وريح منتنة»**[2]، زاد ابن المنذر من هذا الوجه: **«فإذا رآه كذا تبرأ منه قال: لست أبي»**[3] والذيخ: بكسر الذال المعجمة بعدها تحتانية ساكنة ثم خاء معجمة، ذكر الضباع، وقيل: لا يقال له ذيخ إلا إذا كان كثير الشعر. والضبعان لغة في الضبع. وقوله: **«متلطخ»** قال بعض الشراح: أي في رجيع أو دم أو طين. وقد عينت الرواية الأخرى المراد، وأنه الاحتمال الأول، حيث قال: **«يتمرغ في نتنه»**[4]. قيل: الحكمة في مسخه؛ لتنفر نفس إبراهيم منه ولئلا يبقى في النار على صورته؛ فيكون فيه غضاضة على إبراهيم ﷺ. وقيل: الحكمة في مسخه ضبعًا؛ أن الضبع من أحمق الحيوان، وآزر كان من أحمق البشر».

* * *

(١) البخاري (٣٣٥٠).

(٢) ابن حبان في «صحيحه» (١/ ٤٨٦).

(٣) ابن أبي حاتم في «تفسيره» (١٠/ ٤٥٧) بنحوه.

(٤) النسائي في «الكبرى» (٦/ ٤٢٢).

المتن

[٢٣٦/ ٥٦] باب ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ۝ وَٱخْفِضْ جَنَاحَكَ﴾ [الشعراء: ٢١٤، ٢١٥]: **ألن جانبك**

• **[٤٣٧٩]** حدثنا عمر بن حفص بن غياث، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا الأعمش، قال: حدثني عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ**﴾، صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: «**يا بني فهر، يا بني عدي**»، لبطون قريش، حتى اجتمعوا، فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولا؛ لينظر ما هو، فجاء أبو لهب وقريش، فقال: «**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم كنتم مصدقي؟**»، قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقا، قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**»، فقال أبو لهب: تبا لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: ﴿**تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝ مَآ أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ**﴾ [المسد: ١، ٢].

• **[٤٣٨٠]** حدثنا أبو اليمان، قال: أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني سعيد بن المسيب وأبو سلمة بن عبدالرحمن، أن أبا هريرة قال: قام رسول الله ﷺ حين أنزل الله ﷻ: ﴿**وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ**﴾ [الشعراء: ٢١٤]، قال: «**يا معشر قريش** - أو كلمة نحوها - **اشتروا أنفسكم، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا بني عبدمناف، لا أغني عنكم من الله شيئًا، يا عباس بن عبدالمطلب، لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا صفية عمة رسول الله، لا أغني عنك من الله شيئًا، ويا فاطمة بنت محمد، سليني ما شئت من مالي، لا أغني عنك من الله شيئًا**».

تابعه أصبغ، عن ابن وهب، عن يونس، عن ابن شهاب.

الشرح

• **[٤٣٧٩]، [٤٣٨٠]** هذان الحديثان يدلان على أن الداعية يبدأ دعوته في أقاربه وبني قومه وجيرانه وأهل بلده، وأن يكرر النصيحة والدعوة ولا ييأس؛ لأمرين:

الأول: لأنهم أولى الناس ببره وإحسانه.

الثاني: أن الناس يقتدون بهم؛ فإذا رأوهم انقادوا وأذعنوا اقتدوا بهم، وإذا رأوهم معرضين معادين له؛ قال الناس: لو كان ما يدعو إليه حقًّا أو خيرًا لتبعه قومه أو أقاربه.

قوله : «**يا بني فهر**» فهر هو جد قريش ، وهو المسمى قريشًا ، وهو الجد العاشر للنبي ﷺ ، وقيل : إن قريشًا هو النضر وهو جد فهر ؛ فيكون الجد الثاني عشر للنبي ﷺ .

وفي الحديث الأول صعد النبي ﷺ الصفا وهو جبل مرتفع ؛ حتى يسمع الناس فجعل ينادي بطون قريش بطنًا بطنًا حتى اجتمعوا ؛ فجعل من لم يستطع أرسل رسولًا ؛ فقال لهم النبي ﷺ : «**أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم كنتم مصدقي ، قالوا : نعم**» ، ما جربنا عليك كذبًا ، «**ما جربنا عليك إلا صدقًا ، قال : فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**» . ومع كونهم يصدقونه إلا أنهم أعرضوا عنه لما أنذرهم عذاب الله ﷻ وما قبلوا ، وقال له أبو لهب : «**تبًا لك**» ، فتوعده الله ﷻ وأنزل فيه : ﴿ تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ﴾ [المسد : ١] .

❋ ❋ ❋

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة النمل

﴿ٱلْخَبْءَ﴾ [النمل: ٢٥]: ما خبأت.

﴿لَّا قِبَلَ لَهُم﴾ [النمل: ٣٧]: لا طاقة.

﴿ٱلصَّرْحَ﴾ [النمل: ٤٤]: كل ملاط اتخذ من القوارير، و﴿ٱلصَّرْحَ﴾: القصر، وجماعه صروح.

وقال ابن عباس: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣]: سرير.

﴿كَرِيمٌ﴾ [النمل: ٢٩]: حسن الصنعة، وغلاء الثمن.

﴿يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ﴾ [النمل: ٣٨]: طائعين.

﴿رَدِفَ لَكُم﴾ [النمل: ٧٢]: اقترب لكم.

وقال مجاهد: ﴿نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا﴾ [النمل: ٤١] غيروا.

﴿جَامِدَةً﴾ [النمل: ٨٨]: قائمة.

﴿أَوْزِعْنِيٓ﴾ [النمل: ١٩]: اجعلني.

﴿وَأُوتِينَا ٱلْعِلْمَ﴾ [النمل: ٤٢] يقول سليمان.

﴿ٱلصَّرْحَ﴾ [النمل: ٤٤]: بركة ماء ضرب عليها سليمان ﴿قَوَارِيرَ﴾ [النمل: ٤٤] ألبسها إياه.

الشرح

قوله: ﴿ٱلْخَبْءَ﴾ [النمل: ٢٥] بالهمز في قراءة حفص، وفي قراءة **«الخَبَ»** بفتح الباء من غير همز، والخبء: هو الشيء الخفي.

قوله: ﴿ٱلصَّرْحَ﴾ [النمل: ٤٤]: القصر، قال: **«كل ملاط اتخذ من القوارير»**.

قوله: ﴿وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ﴾ [النمل: ٢٣] وصف السرير بالعرش لأنه عظيم.

قوله : ﴿ رَدِفَ لَكُم ﴾ [النمل : ٧٢] قال : «اقترب لكم» .

قوله : ﴿ نَكِّرُواْ لَهَا عَرْشَهَا ﴾ [النمل : ٤١] قال : «غيروا» .

قوله : ﴿ جَامِدَةً ﴾ [النمل : ٨٨] أي : «قائمة» .

قوله : ﴿ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾ [النمل : ١٩] يعني : اجعلني أشكر نعمتك .

قوله : ﴿ ٱلصَّرْحَ ﴾ : بركة ماء ضرب عليها سليمان عليه السلام في قوله تعالى : ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ ﴾ [النمل : ٤٤] والقوارير : الزجاج . يعني : قصر ملاطه الزجاج . وكأن المؤلف رحمه الله ما وجد حديثًا على شرطه ، ولهذا اكتفى بتفسير الكلمات .

* * *

المَتْنُ

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة القصص

يقال : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص : ٨٨] : إلا ملكه .

ويقال : إلا ما أريد به وجه الله .

قال مجاهد : ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾ [القصص : ٦٦] : الحجج .

الشَّرْحُ

قوله : ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القصص : ٨٨] يقول المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ : «إلا ملكه» ، وهذا نوع من التأويل ، والصواب : أن المراد به ذاته ووجهه ، وفيه إثبات الوجه لله عَزَّ وَجَلَّ وإثبات الذات ؛ فكل شيء هالك إلا ذات الله عَزَّ وَجَلَّ ووجهه .

قوله : «**ويقال : إلا ما أريد به وجه الله**» وهذا تأويل أيضًا ، والصواب ما تقدم .

قوله : «**قال مجاهد : ﴿فَعَمِيَتْ عَلَيْهِمُ ٱلْأَنۢبَآءُ﴾**» [القصص : ٦٦] فسر الأنباء بالحجج .

* * *

المتن

[٢٣٧/ ٥٦] باب قوله:

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦]

• [٤٣٨١] حدثنا أبو اليمان، قال: أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني سعيد بن المسيب، عن أبيه قال: لما حضرت أبا طالب الوفاة، جاءه رسول الله ﷺ فوجد عنده أبا جهل، وعبدالله بن أبي أمية بن المغيرة، فقال: **«أي عم، قل لا إله إلا الله، كلمة أحاج لك بها عند الله»**، فقال أبو جهل وعبدالله بن أبي أمية: أترغب عن ملة عبدالمطلب، فلم يزل رسول الله ﷺ يعرضها عليه، ويعيدانه بتلك المقالة، حتى قال أبو طالب آخر ما كلمهم: على ملة عبدالمطلب، وأبى أن يقول: لا إله إلا الله، قال: قال رسول الله ﷺ: **«والله لأستغفرن لك ما لم أنه عنك»**، فأنزل الله ﷻ: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَن يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ﴾ [التوبة: ١١٣]، وأنزل الله في أبي طالب فقال لرسول الله ﷺ: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦].

العوان: العداء والتعدي واحد.

مقبوحين: مهلكين.

﴿وَصَّلْنَا﴾ [القصص: ٥١]: بيناه وأتممناه.

﴿يُجْبَىٰ﴾ [القصص: ٥٧]: يجلب.

﴿بَطِرَتْ﴾ [القصص: ٥٨]: أشرت.

﴿فِي أُمِّهَا رَسُولًا﴾ [القصص: ٥٩]: أم القرى مكة وما حولها.

﴿تُكِنُّ﴾ [القصص: ٦٩]: تخفي، أكننت الشيء: أخفيته، وكننته: أخفيته وأظهرت.

الشرح

• [٤٣٨١] بوّب المصنف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الحديث على هذه الآية: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ﴾ [القصص: ٥٦] في قصة دعوة النبي ﷺ لأبي طالب عند الوفاة، وفيه أن الإنسان يبدأ بأقاربه بالنصيحة والدعوة، ولهذا حرص النبي ﷺ على نصيحة عمه عند

الوفاة، وفيه مضرة أصحاب السوء؛ فعبدالله بن أبي أمية وأبو جهل قالا: **«أترغب عن ملة عبد المطلب»**؛ ذكراه الحجة الملعونة وهي اتباع الآباء في الباطل، وهي حجة فرعون، قال الله عنه: ﴿قَالَ فَمَا بَالُ ٱلْقُرُونِ ٱلْأُولَىٰ﴾ [طه: ٥١] وهي الحجة القرشية حيث قالوا: ﴿مَا سَمِعْنَا بِهَٰذَا فِى ٱلْمِلَّةِ ٱلْءَاخِرَةِ إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾ [ص: ٧] فالحجة الملعونة هي اتباع الآباء والأجداد في الباطل على الشرك.

وفي هذا الحديث من الفوائد: أن أبا طالب لو قال: لا إله إلا الله لنفعته؛ لأنه ليس في مكة نفاق؛ فإما إيمان صريح أو كفر صريح.

وفيه: أن المريض تصح توبته وينفعه التلفظ بالشهادة ما لم تصل الروح إلى الحلقوم، ويدل على هذا أن الصبي اليهودي الذي حضرته الوفاة، جاءه النبي ﷺ فدعاه إلى الإسلام، فنظر الصبي إلى أبيه، فقال له أبوه: أطع أبا القاسم، فقال الصبي: لا إله إلا الله، فقال النبي ﷺ: **«الحمد لله الذي أنقذه من النار»**(١).

وفيه: جواز زيارة الكافر ودعوته إلى الإسلام؛ فالنبي ﷺ زار عمه أبا طالب ودعاه إلى الإسلام، وزار اليهودي ودعاه إلى الإسلام؛ فاليهودي أسلم وأبو طالب لم يسلم.

وفيه: أن التوبة تصح وهي مقبولة ولو كانت عند الموت مالم تصل الروح إلى الحلقوم، وإلا لو كانت غير مفيدة لما دعا النبي ﷺ عمه أبا طالب ولا دعا اليهودي.

وفيه: أن أبا طالب مات على الشرك، وفيه الرد على السيوطي الذي قال بإسلامه، وقال: إن الله ﷻ أحيا أبوي الرسول ﷺ فأسلما ثم ردهما، وهذا من أبطل الباطل، ويدل على ذلك ما رواه جابر بن عبدالله بن حرام ﷺ أن النبي ﷺ قال له: **«ما كلم الله أحدا قط إلا من وراء حجاب وأحيا أباك فكلمه كفاحًا، فقال: يا عبدي تمن عليّ أعطك، قال: يا رب تحييني فأقتل فيك ثانية، قال الرب ﷻ: إنه قد سبق مني أنهم إليها لا يُرجعون»**(٢).

وفيه: أنه لا يجوز الدعاء والاستغفار للمشركين، ويدل عليه قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٨٤] وكذلك لا يجوز الصدقة ولا الحج عنهم.

---

(١) أحمد (٣/ ٢٢٧)، والبخاري (١٣٥٦).
(٢) الترمذي (٣٠١٠)، وابن ماجه (١٩٠).

وفيه -وهو موضع الشاهد للترجمة- أن هداية القلوب بيد الله ﷻ، لا يملكها رسول ولا غيره، وهذا معنى الآية: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَآءُ﴾ [القصص: ٥٦] فهذه الهداية هي هداية التوفيق والتسديد، لا يملكها إلا الله ﷻ، أما هداية الدلالة والإرشاد فيملكها الرسول ﷺ ويملكها غيره؛ فالهداية هدايتان: هداية توفيق وتسديد، وهذه لا يملكها إلا الله ﷻ، وهداية دلالة وإرشاد، وهي ثابتة للرسل وللدعاة، قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢]، ومنه قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ [فصلت: ١٧] يعني: دللناهم وأرشدناهم، لكنه تعالى لم يرد لهم التوفيق والسداد فماتوا على الكفر.

قوله: «مقبوحين: مهلكين» يعني في قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ هُم مِّنَ ٱلْمَقْبُوحِينَ﴾ [القصص: ٤٢] أي: من المهلكين.

قوله تعالى: ﴿وَصَّلْنَا﴾ [القصص: ٥١] قال: «بيناه وأتممناه».

قوله تعالى: ﴿يُجْبَىٰٓ﴾ [القصص: ٥٧] قال: «يجلب».

قوله تعالى: ﴿بَطِرَتْ﴾ [القصص: ٥٨] قال: «أشرت».

قوله تعالى: ﴿فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا﴾ [القصص: ٥٩] قال: «أم القرى مكة وما حولها»، حتى يبعث فيها رسولا تقوم الحجة به.

قوله تعالى: ﴿تُكِنُّ﴾ [القصص: ٦٩] قال: «تخفي».

* * *

المتن

[٢٣٨/ ٥٦] باب قوله تعالى:

﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص : ٨٥]

• [٤٣٨٢] حدثنا محمد بن مقاتل، قال: أخبرنا يعلى، قال: حدثنا سفيان العصفري، عن عكرمة، عن ابن عباس، ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ قال: إلى مكة.

الشرح

• [٤٣٨٢] قوله: «**حدثنا سفيان العصفري**» العصفري: بضم العين والفاء وإسكان الصاد.

قوله: ﴿لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥] أراد بالمعاد: مكة.

* * *

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة العنكبوت

﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٨] قال مجاهد: ضللة.

وقال غيره: ﴿الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤] والحي واحد.

﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٣]: علم الله ذلك إنما هي بمنزلة فليميز الله؛ كقوله: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٣٧].

﴿أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣]: أوزارهم.

الشرح

قوله تعالى: ﴿وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ﴾ [العنكبوت: ٣٨] قال مجاهد: «ضللة». يعني: ضالون وهم يعلمون الحق.

قول الله تعالى: ﴿الْحَيَوَانُ﴾ [العنكبوت: ٦٤]: الحيوان والحي بمعنى واحد.

قوله تعالى: ﴿فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ﴾ [العنكبوت: ٣] **قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «علم الله عَزَّ وَجَلَّ ذلك إنما هي بمنزلة فليميز الله عَزَّ وَجَلَّ، كقوله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ﴾ [الأنفال: ٣٧]».

قوله تعالى: ﴿أَثْقَالَهُمْ وَأَثْقَالًا مَّعَ أَثْقَالِهِمْ﴾ [العنكبوت: ١٣] يعني: أوزارًا مع أوزارهم.

وكأن المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ لم يجد حديثًا على شرطه ولذلك اكتفى بتفسير الكلمات.

* * *

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الروم

قال ابن عباس: ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ [الروم: ٢٨] في الآلهة، وفيه: ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾ [الروم: ٢٨]: أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضا.

﴿ٱلْوَدْقَ﴾ [الروم: ٤٨]: المطر.

قال مجاهد: ﴿يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥]: ينعمون.

﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٤]: يسوون المضاجع.

﴿يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣]: يتفرقون، فاصدع.

وقال مجاهد: ﴿ٱلسُّوٓأَىٰٓ﴾ [الروم: ١٠] الإساءة جزاء المسيئين.

وقال غيره: ضَعْف وضُعْف لغتان.

﴿فَلَا يَرْبُواْ﴾ [الروم: ٣٩] من أعطى عطية يبتغي أفضل فلا أجر له فيها.

الشرح

قوله تعالى: ﴿هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم﴾ [الروم: ٢٨] يعني: **«في الآلهة»**، وفيه: ﴿تَخَافُونَهُمْ﴾ [الروم: ٢٨] **«أن يرثوكم كما يرث بعضكم بعضًا»**.

قوله تعالى: ﴿ٱلْوَدْقَ﴾ [الروم: ٤٨] المراد بالودق: **«المطر»**.

قوله تعالى: ﴿يُحْبَرُونَ﴾ [الروم: ١٥] أي: **«ينعمون»**.

قوله تعالى: ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾ [الروم: ٤٤] أي: **«يسوون المضاجع»**.

قوله تعالى: ﴿يَصَّدَّعُونَ﴾ [الروم: ٤٣] أي: **«يتفرقون»**.

قوله: **«ضَعْف وضُعْف لغتان»** يعني في قوله تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ﴾ [الروم: ٥٤].

المتن

[٢٣٩/ ٥٦] ﴿الٓمٓ ۝ غُلِبَتِ ٱلرُّومُ﴾ [الروم: ١، ٢]

• [٤٣٨٣] حدثنا محمد بن كثير، عن سفيان، قال: حدثنا منصور والأعمش، عن أبي الضحىٰ، عن مسروق قال: بينما رجل يحدث في كندة، فقال: يجيء دخان يوم القيامة ويأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، فيأخذ المؤمن كهيئة الزكام، ففزعنا، فأتيت ابن مسعود، وكان متكئا فغضب فجلس، فقال: من علم فليقل، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم؛ فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: لا أعلم، فإن الله قال لنبيه: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]. وإن قريشا أبطئوا عن الإسلام، فدعا عليهم النبي ﷺ فقال: **«اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف»**، فأخذتهم سنة حتىٰ هلكوا فيها، وأكلوا الميتة والعظام، ويرىٰ الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان، فجاءه أبو سفيان فقال: يا محمد، جئت تأمر بصلة الرحم وإن قومك قد هلكوا، فادع الله، فقرأ: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ﴾، إلىٰ قوله: ﴿عَآئِدُونَ﴾ [الدخان: ١٠ - ١٥]. أفيكشف عنهم عذاب الآخرة إذا جاء ثم عادوا إلىٰ كفرهم؟! فذلك قوله: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [الدخان: ١٦] يوم بدر، و﴿لِزَامًا﴾ [الفرقان: ٧٧]: يوم بدر.

الشرح

• [٤٣٨٣] هذا الحديث فيه أن ابن مسعود رضي الله عنه أنكر على المحدث الذي يقول: **«يجيء دخان يوم القيامة ويأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم»**؛ فقال منكرًا عليه: **«من علم فليقل، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم؛ فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: لا أعلم»**.

وفيه أنه ينبغي علىٰ من سئل عن شيء لا يعلمه، أن يكل العلم إلىٰ عالمه؛ فيقول: الله أعلم، أو يقول: لا أدري، والعالم إذا أخطأ في ذلك أصيبت مقاتله.

وفيه أن قول: الله أعلم لما لا يعلم من العلم؛ لأن المعلومات نوعان: نوع تعلمه، ونوع لا تعلمه؛ فالذي تعلمه تقول فيه بما تعلم، والذي لا تعلمه تقول: الله أعلم.

وقد قيل: الله أعلم نصف العلم؛ فالعلم نصفان: أعلم ولا أعلم.

وفي قول ابن عباس رضي الله عنهما - كما سبق - أن الدخان دخانان: دخان سبق، وهو ما أصاب قريشًا من السنة حتى كان يرى بعضهم ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان، وهذا هو الذي حفظه ابن مسعود رضي الله عنه، والدخان الثاني هو الذي من آيات الساعة الكبار في آخر الزمان، يأخذ بأسماع المنافقين والكفار، ويأخذ المؤمن كهيئة الزكام، وقد خفي هذا على ابن مسعود رضي الله عنه وحفظه غيره، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ.

قوله: «**فأخذتهم سنة**» يعني أن قريشًا أصابهم جدب حتى هلكوا فيها، وأكلوا الميتة والعظام.

قوله: «**ويرى الرجل ما بين السماء والأرض كهيئة الدخان**» إشارة لقوله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ۝ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ [الدخان: ١٠ - ١٥] فالمراد به أنه كشف عنهم الجوع؛ فدل على أنه عذاب في الدنيا، وأنه يكشف؛ لقوله: «**أفيكشف عنهم عذاب الآخرة إذا جاء ثم عادوا إلى كفرهم؟**» وأنه لا يكشف عنهم عذاب الآخرة؛ فذلك قوله: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [الدخان: ١٦] إشارة إلى يوم بدر فقد أصابهم من القتل والأسر ما أصابهم.

وقوله: ﴿لِزَامًا﴾ [الفرقان: ٧٧]: أي يوم بدر أيضًا فقد لزمهم العذاب.

* * *

المتن

[٢٤٠/ ٥٦] باب قوله: ﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾ [الروم: ٣٠]: **لدين الله**

﴿خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الشعراء: ١٣٧]: دين الأولين. والفطرة: الإسلام.

• **[٤٣٨٤]** حدثنا عبدان، قال: أخبرنا عبدالله، قال: أخبرنا يونس، عن الزهري، قال: أخبرني أبو سلمة بن عبدالرحمن، أن أبا هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما من مولود إلا يولد على الفطرة، فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه؛ كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء؟»**، ثم يقول: **﴿فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾** [الروم: ٣٠].

الشرح

قوله تعالى: **﴿لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ﴾** [الروم: ٣٠] أي: لا تبديل لدين الله ﷻ.

قوله: **﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا خُلُقُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾** [الشعراء: ١٣٧] أي: **«دين الأولين»**.

• **[٤٣٨٤]** قوله: **«ما من مولود إلا يولد على الفطرة»** وفي لفظ: **«ما من مولود يولد إلا وهو على الملة»**(١) وفي لفظ آخر: **«ليس من مولود يولد إلا على الإسلام»**(٢) فالفطرة والملة هي دين الإسلام، والإنسان فطر على معرفة ربه، وفطر على قبول الخير، وهذا من الإسلام ومن الإيمان.

والحديث فيه دليل على أن كل مولود يولد على الفطرة، وفيه دليل على أن أولاد المشركين إذا ماتوا فإنهم يكونون في الجنة؛ لأنهم ماتوا على الفطرة، والفطرة هي الإسلام، كما جاء في بعض روايات هذا الحديث: **«ما من مولود إلا يولد على هذه الملة»**(١) وفي رواية: **«على الإسلام»**(٢) وهو الصواب من أقوال أهل العلم أن أولاد المشركين في الجنة، وقيل: يمتحنون يوم القيامة؛ فمن أطاع فله الجنة ومن عصى فله النار، وقيل فيهم ستة أقوال أخرى، ذكرها الحافظ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «كتاب الجنائز»، وذكرها ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ في طبقات المكلفين.

---

(١) أحمد (٢/ ٢٥٣)، ومسلم (٢٦٥٨).

(٢) البيهقي في «الكبرى» (٦/ ٢٠٣).

والصواب أحد القولين : إما أنهم في الجنة ، أو أنهم يمتحنون . أما في الدنيا فإنهم تبع لآبائهم ، ولهذا إذا بُيِّتَ المشركون فإنهم يقتلون معهم إذا لم يتميزوا ؛ فإن تميزوا فلا يسمح بقتلهم .

قوله : **«فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء»** يعني : مجتمعة الحواس **«هل تحسون فيها من جدعاء؟»** وفي اللفظ الآخر : **«حتى تكونوا أنتم تجدعونها»**(١) .

فالمراد أن الإنسان يولد على الفطرة ، وهي دين الإسلام ، ثم يأتي بعد ذلك ما يغيره ؛ فأبواه يهودانه أي : ينقلانه إلى دين اليهودية ، إذا كانا يهوديين ، أو ينصرانه أي : ينقلانه إلى دين النصرانية ، أو يمجسانه أي : ينقلانه إلى دين المجوس ، ولم يقل : أو يسلمانه ؛ لأنه مفطور على الإسلام . كما في شأن البهيمة التي يكون لها أذنان وقرنان ، ثم يأتيها الجدع بعد ذلك ، أي : يأتي من يقطع أذنها ، ويأتي من يكسر قرنها .

ثم قرأ ﷺ : ﴿ **فِطْرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ ٱللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ** ﴾ [الروم : ٣٠] .

* * *

---

(١) أحمد (٢/ ٣١٥) ، والبخاري (٦٥٩٩) ، ومسلم (٢٦٥٨) .

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة لقمان

[٢٤١/ ٥٦] قوله: ﴿لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣]

• [٤٣٨٥] حدثنا قتيبة بن سعيد، قال: حدثنا جرير، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبدالله قال: لما نزلت هذه الآية: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]، شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، فقالوا: أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟! فقال رسول الله ﷺ: «**إنه ليس بذاك؛ ألا تسمع إلى قول لقمان: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾** [لقمان: ١٣]**؟**».

الشرح

• [٤٣٨٥] في هذا الحديث فضل التوحيد، وأن من مات على التوحيد فهو على خير عظيم، وهو من أهل الجنة والكرامة؛ فإن مات على توحيد محقق لم يخلطه بشرك ولا بدعة ولا كبيرة دخل الجنة من أول وهلة فضلا من الله تعالى وإحسانًا، وله الأمن الكامل والهداية الكاملة، وإن مات على توحيد ملطخ بالمعاصي والبدع؛ فله أمن ناقص وهداية ناقصة، وهو على خطر من دخول النار، وقد يعفى عنه وقد لا يعفى عنه؛ فهو تحت المشيئة، كما قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨] فدلت الآية والحديث على أن المؤمن الموحد الذي لم يخلط توحيده بشرك فله الأمن في الآخرة من العذاب، وله الهداية في الدنيا، إذا سلم من أنواع الظلم الثلاثة: ظلم الشرك وظلم العباد وظلم المعاصي، وله الأمن التام والهداية التامة، أما إذا سلم من ظلم الشرك وحصل له ظلم العباد أو ظلم المعاصي؛ فله أصل الأمن وأصل الهداية، لكنه أمن ناقص وهداية ناقصة؛ فالكل للكل والحصة للحصة.

وهذا التفصيل وإن لم يذكر هنا؛ فقد دلت عليه النصوص الأخرى، والنصوص يضم بعضها إلى بعض، ويعمل بها جميعها، وهذه الآية مما فسره النبي ﷺ؛ فبعض الآيات فسرها النبي ﷺ، ومنها هذه الآية؛ فلما نزلت شق ذلك على أصحاب رسول الله ﷺ، وظنوا أن المراد بالظلم ظلم المعاصي وظلم العباد؛ فقالوا: «**أينا لم يلبس إيمانه بظلم؟!**» يعني: أينا يسلم من المعاصي؟ فقال النبي ﷺ: «**إنه ليس بذاك**» ليس هو بظلم المعاصي، إنما هو ظلم الشرك، فسرها بآية لقمان فقال: «**ألا تسمع إلى قول لقمان**» وهذا خطاب للواحد، والمراد به الجنس يعني جنس المخاطب، وفي رواية «**ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾؟** [لقمان: ١٣]»(١) وفيه دليل على أن القرآن يفسر بعضه ببعض فآية الأنعام: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢] فسرتها آية لقمان: ﴿إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾.

فائدة: تفسير القرآن أنواع، منه ما فسره النبي ﷺ، ومنه ما فسره الصحابة والتابعون ﷺ، ومنه ما دلت عليه اللغة العربية، ومنه ما هو معلوم لكل أحد.

* * *

---

(١) أحمد (١/ ٣٧٨).

المتن

[٢٤٢/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤]

• [٤٣٨٦] حدثني إسحاق، عن جرير، عن أبي حيان، عن أبي زرعة، عن أبي هريرة: أن رسول الله ﷺ كان يوما بارزًا للناس، إذ أتاه رجل يمشي، فقال: يا رسول الله، ما الإيمان؟ قال: **«الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، ولقائه، وتؤمن بالبعث الآخر»**، قال: يا رسول الله، ما الإسلام؟ قال: **«الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئا، وتقيم الصلاة، وتؤتي الزكاة المفروضة، وتصوم رمضان»**، قال: يا رسول الله، ما الإحسان؟ قال: **«الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك»**، قال: يا رسول الله، متى الساعة؟ قال: **«ما المسئول عنها بأعلم من السائل، ولكن سأحدثك عن أشراطها: إذا ولدت الأمة ربتها، فذلك من أشراطها، وإذا كان الحفاة العراة رءوس الناس، فذلك من أشراطها في خمس لا يعلمهن إلا الله؛ ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ﴾** [لقمان: ٣٤]**»**، ثم انصرف الرجل، فقال: **«ردوا علي»**، فأخذوا ليردوا فلم يروا شيئا، قال: **«هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم»**.

• [٤٣٨٧] حدثنا يحيى بن سليمان، قال: حدثني ابن وهب، قال: حدثني عمر بن محمد بن زيد بن عبدالله بن عمر، أن أباه حدثه، أن عبدالله بن عمر قال: قال النبي ﷺ: **«مفتاح الغيب خمس»**، ثم قرأ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ﴾ [لقمان: ٣٤].

الشرح

ترجم المؤلف رَحِمَهُ اللهُ للباب بآية لقمان: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ﴾ [لقمان: ٣٤] وفيها مفاتيح الغيب الخمسة التي لا يعلمها إلا الله ﷻ فلا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله ﷻ ولا يدري متى ينزل المطر إلا الله ﷻ ولا يدري ما في الأرحام إلا الله ﷻ، والمراد قبل أن يخلق فإنه لا يعلم لا الملك ولا غيره، ولهذا يقول الملك: يا رب أذكر أم أنثى؟ أما إذا تخلق فإنه يعلمه الملك ثم يعلمه الأطباء بعد ذلك، وما تدري نفس ماذا يحصل لها غدًا، وما تدري متى ولا أين يكون موتها.

• [٤٣٨٦] ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ شاهداً للترجمة وهو حديث أبي هريرة رضي الله عنه الذي قال فيه: **«أن رسول الله ﷺ كان يومًا بارزًا للناس إذ أتاه رجل يمشي، فقال: يا رسول الله، ما الإيمان؟»** هذا الرجل هو جبريل عليه السلام كما جاء في رواية الإيمان المتقدمة، وهي معروفة بحديث جبريل عليه السلام[(١)].

وفيه دليل على أن الملك يتصور؛ حيث أعطاه الله عز وجل قدرة على التشكل، وفيه أن الملك قد يُرى؛ فقد رآه الصحابة رضي الله عنهم في صورة رجل، وكذلك جاء الملك لثلاثة من بني إسرائيل الأبرص والأقرع والأعمى، جاء للأول في صورة أبرص، وجاء للثاني في صورة أقرع، وجاء للثالث في صورة أعمى؛ جاءهم مرتين المرة الأولى في صورة رجل والمرة الثانية في صورته؛ لكي يذكره بحالته السابقة.

وفيه أن جبريل عليه السلام إنما جاء ليعلم الناس أمر دينهم.

وفيه من الفوائد: أنه لا بأس أن يسأل الإنسان وهو عالم؛ لأجل أن يستفيد من حوله؛ فإن جبريل عليه السلام عالم، لكنه سأل كما قال النبي ﷺ: **«جاء ليعلم الناس دينهم»**؛ فإذا سأل الإنسان للفائدة ليستفيد من حوله وإن كان عالمًا فلا بأس، أما إذا سأل عن أشياء لم تقع، أو عن أشياء ليعنت المسئول ويوقعه في الحرج؛ فهذا منهي عنه، وقد نهى النبي ﷺ عن المسائل وعابها وكرهها، كما نهى عن السؤال من أجل الرياء ليري الناس أنه يعلم، والله تعالى يقول: **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَسۡـَٔلُواْ عَنۡ أَشۡيَآءَ إِن تُبۡدَ لَكُمۡ تَسُؤۡكُمۡ﴾** [المائدة: ١٠١] وقال النبي ﷺ: **«إن أعظم المسلمين جرمًا من سأل عن شيء لم يحرم فحرم من أجل مسألته»**[(٢)].

فجبريل عليه السلام سأل النبي ﷺ عن الإيمان فقال: **«الإيمان أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، ولقائه، وتؤمن بالبعث الآخر»** والآخر بكسر الخاء مقابل الأول إذا كان أول وآخِر، وإذا كانوا أكثر من اثنين يقال: الآخَر، فيقال: الأول، والآخَر يعني الثاني، والآخر يعني الثالث، والبعث الآخر هو اليوم الآخر، ويقابله اليوم الأول وهو الدنيا.

---

(١) أحمد (٢/ ٤٢٦)، والبخاري (٥٠)، ومسلم (٨).

(٢) أحمد (١/ ١٧٩)، والبخاري (٧٢٨٩)، ومسلم (٢٣٥٨).

وجاء في غير حديث أبي هريرة ﷺ أيضًا تفسير الإسلام فقال : **«أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا»**[(١)] وفي اللفظ الآخر : **«أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله»**[(٢)] وهنا قال : **«الإسلام أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا»** فدل على أن المراد من الكلمة معناها والعمل بمقتضاها ، وليس المراد النطق بالشهادتين فقط .

ومعنى : **«أن تعبد الله ولا تشرك به شيئًا»** تفسير لمعنى شهادة أن لا إله إلا الله ؛ فلا يكفي فيها النطق باللسان ، بل لابد في التوحيد من معرفة معناها والعمل بمقتضاها والبعد عما يناقضها .

قوله : **«وتقيم الصلاة ، وتؤتي الزكاة المفروضة ، وتصوم رمضان»** ولم يذكر هنا الحج ، وفي حديث جبريل ﷺ المشهور ذكر الحج ، وجاء في حديث آخر تفسير الإسلام ، قال : **«وتحج وتعتمر وتغتسل من الجنابة»**[(٣)] ، وجاء في حديث وفد عبد القيس تفسير الإيمان ، قال **«شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة وصيام رمضان وأن تعطوا من المغنم الخمس»**[(٤)] .

ولما سأله عن الإحسان ؛ بين له أن الإحسان مراقبة الله ﷻ ، وأن له مرتبتين ، قال : **«الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك»** .

ولما سأله عن الساعة ؛ قال : **«ما المسئول عنها بأعلم من السائل»** وهذا أيضًا شاهد للترجمة : **«إن الله عنده علم الساعة»** ، قال : **«ولكن سأحدثك عن أشراطها : إذا ولدت الأمة ربتها ؛ فذلك من أشراطها»** أي : إذا ولدت الأمة سيدتها ، وذلك يكون إذا تسرى الملك السرية فتجيء ببنت فتصير الأمة ولدت سيدتها بنت الملك . وفي اللفظ الآخر : **«إذا ولدت الأمة ربها»**[(٥)] فيكون ولدها من الملك يكون سيدا عليها وعلى غيرها .

قوله : **«وإذا كان الحفاة العراة رءوس الناس ؛ فذلك من أشراطها»** يعني : أن الفقراء الذين في الغالب لا يكون لهم نعال وثيابهم مخرقة عراة ، يتحضرون ويسكنون المدن ويتطاولون في

---

(١) أحمد (٢/ ١٠٧) ، والنسائي (٤٩٩١) .

(٢) أحمد (١/ ٢٧) ، ومسلم (٨) .

(٣) ابن خزيمة (١/ ٣) ، وابن حبان (١/ ٣٩٧) ، والدارقطني (٢/ ٢٨٢) .

(٤) أحمد (١/ ٢٢٨) ، والبخاري (٥٣) ، ومسلم (١٧) .

(٥) أحمد (٢/ ٤٢٦) ، والبخاري (٥٠) ، ومسلم (٩) .

البنيان، كما في اللفظ الآخر: **«يتطاولون في البنيان»** يعني: بعد أن كانوا حفاة عراة رعاة الشاء والغنم في البراري، يتحضرون ويسكنون في المدن ويكونون رءوس الناس وأمراءهم.

قوله: **«في خمس لا يعلمهن إلا الله: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾** [لقمان: ٣٤]، **ثم انصرف الرجل، فقال: ردوا علي؛ فأخذوا ليردوا فلم يروا شيئًا، قال: هذا جبريل جاء ليعلم الناس دينهم»**. وموطن الشاهد من الحديث: **«في خمس لا يعلمهن إلا الله...»**

• [٤٣٨٧] ذكر المؤلف حديث عبدالله بن عمر رضي الله عنهما شاهدًا آخر للترجمة قال: قال النبي ﷺ: **«مفتاح الغيب خمس، ثم قرأ»** آية لقمان «﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ﴾» وتمام الآية: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [لقمان: ٣٤].

***

المتن

(بسم الله الرحمن الرحيم)

سورة تنزيل السجدة

وقال مجاهد: ﴿مَّهِينٍ﴾ [السجدة: ٨]: ضعيف؛ نطفة الرجل.

﴿ضَلَلْنَا﴾ [السجدة: ١٠]: هلكنا.

وقال ابن عباس: ﴿ٱلْجُرُزِ﴾ [السجدة: ٢٧]: التي لا تمطر إلا مطرًا لا يغني عنها شيئا.

﴿يَهْدِ﴾ [السجدة: ٢٦]: يبين.

الشرح

ذكر المؤلف تفسير الكلمات في سورة السجدة، فقال في قوله تعالى: ﴿مَّهِينٍ﴾ [السجدة: ٨] أي: «ضعيف»، ويعني أن الإنسان مخلوق من النطفة الضعيفة في ماء الرجل.

قوله تعالى: ﴿وَقَالُوٓاْ أَءِذَا ضَلَلْنَا﴾ [السجدة: ١٠] أي: «هلكنا»؛ يعني إذا دفنا في الأرض وبليت عظامنا كيف نبعث؟! وهؤلاء هم المنكرون للبعث.

وذكر قول ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿ٱلْجُرُزِ﴾ [السجدة: ٢٧] قال: ﴿ٱلْجُرُزِ﴾ **«التي لا تمطر إلا مطرًا لا يغني عنها شيئًا»**.

قوله تعالى: ﴿يَهْدِ﴾ [السجدة: ٢٦] قال: **«يبين»**، والمراد هداية البيان والإرشاد؛ فالهداية نوعان:

هداية الدلالة والبيان والإرشاد، وهذه ثبتت للنبي ﷺ وللدعاة مثل قوله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى: ٥٢].

وهداية التوفيق والتسديد، وهذه خاصة بالله ﷻ كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦].

* * *

المتن

[٢٤٣/ ٥٦] باب قوله: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ﴾ [السجدة: ١٧]

• [٤٣٨٨] حدثنا علي بن عبدالله قال حدثنا سفيان عن أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: **«قال الله ﷻ: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»**، قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ**﴾.

قال: وحدثنا سفيان حدثنا أبو الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة قال: قال الله... مثله.

قيل لسفيان: رواية؟ قال: فأي شيء؟!

• [٤٣٨٩] حدثني إسحاق بن نصر، قال: حدثنا أبو أسامة، عن الأعمش، قال: حدثنا أبو صالح، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: **«يقول الله ﷻ: عددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ذخرا من بله ما أطلعتم عليه»**، ثم قرأ: ﴿**فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ يَعْمَلُونَ**﴾ [السجدة: ١٧].

وقال أبو معاوية: أخبرنا الأعمش، عن أبي صالح، قرأ أبو هريرة: قرات أعين.

الشرح

• [٤٣٨٨] هذا الحديث القدسي موافق للآية المترجم بها، وهو من كلام الله ﷻ لفظًا ومعنى، مثل القرآن، إلا أن له أحكامًا تختلف عن القرآن؛ فالقرآن يتعبد بقراءته والحديث القدسي لا يتعبد بقراءته، والقرآن معجز والحديث القدسي غير معجز، والقرآن لا يمسه إلا المتوضئ والحديث القدسي يمسه المتوضئ وغير المتوضئ.

قوله: **«قال الله ﷻ: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر»** يعني: أعددت لهم شيئًا عظيمًا لا تعلمه النفوس.

قوله: **«قال أبو هريرة ﷺ: اقرءوا إن شئتم: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِيَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾»** [السجدة: ١٧].

قوله: «**قال الله . . . مثله**» يعني مثل الحديث السابق .

قوله: «**قيل لسفيان: رواية؟**» أي: أهذا رواية عن النبي ﷺ؟ .

قوله: «**قال: فأي شيء؟!**» يعني: فأي شيء إذا لم يكن رواية؟!

• [٤٣٨٩] قوله: «**ذخرًا**» أي مدخرًا لهم .

قوله: «**من بله**» إذا تقدمت «من» على «بله» يكون معناها غير أو سوى، كأنه قال: أعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، مدخرًا لهم غير ما أطلعتهم عليه أو سوى ما أطلعتهم عليه، وأما إذا لم تتقدم فمعناها دع .

وهذا فيه النعيم العظيم الذي يعطاه أهل الجنة، وأهل التوحيد؛ فالواجب على كل إنسان أن يوحد الله ﷻ وأن يخلص له العبادة ويكثر من عمل الطاعات حتى يكون من الصالحين ويكون من أولياء الله ﷻ ومن أحبابه؛ ليحصل له هذا الخير .

قوله: «**قرأ أبو هريرة: «قرات أعين»**» بالجمع، والقراءة المشهورة: ﴿قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: ١٧] .

* * *

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الأحزاب

قال مجاهد: ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٦]: قصورهم.

الشرح

سميت هذه السورة باسم «الأحزاب»، وهم الكفرة الذين تحزبوا وتجمعوا على قتال النبي ﷺ، حيث جاءت قريش وتجمعت معها قبائل متعددة، حتى جاءوا وأحاطوا بالمدينة، ثم تحزبوا أيضًا مع اليهود الذين نقضوا العهد، وكانت غزوة الأحزاب، وكان فيها شدة ومشقة عظيمة على المؤمنين، كما بين الله ﷻ ﴿إِذْ جَآءُوكُم مِّن فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَبَلَغَتِ ٱلْقُلُوبُ ٱلْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِٱللَّهِ ٱلظُّنُونَا۠﴾ [الأحزاب: ١٠] ولهذا سميت سورة الأحزاب.

قوله: «**قال مجاهد: ﴿مِن صَيَاصِيهِمْ﴾: قصورهم**» وذلك في خبر اليهود الذين نقضوا العهد؛ قال تعالى: ﴿وَرَدَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا۟ خَيْرًا ۚ وَكَفَى ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلْقِتَالَ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا ﴿٢٥﴾ وَأَنزَلَ ٱلَّذِينَ ظَـٰهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ مِن صَيَاصِيهِمْ﴾ [الأحزاب: ٢٥، ٢٦] والمراد أن الذين ظاهروا المشركين وعاونوهم ونقضوا العهد أنزلهم الله ﷻ من بيوتهم ومن قصورهم، وسلط الله ﷻ رسوله والمؤمنين عليهم، قال الله تعالى: ﴿وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا ﴿٢٦﴾ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَـٰرَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَـُٔوهَا﴾ [الأحزاب: ٢٦، ٢٧].

* * *

المتن

[٢٤٤/ ٥٦] ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ [الأحزاب: ٦]

• [٤٣٩٠] حدثنا إبراهيم بن المنذر، قال: حدثنا محمد بن فليح، قال: حدثنا أبي، عن هلال بن علي، عن عبدالرحمن بن أبي عمرة، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: **«ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرءوا إن شئتم: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾، فأيما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا، فإن ترك دينا أو ضياعًا فليأتني وأنا مولاه»**.

الشرح

ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في الترجمة هذه الآية فقال: **«باب ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡۗ﴾»** [الأحزاب: ٦].

وذكر حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ وسيأتي الكلام عليه.

وذكر ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ قوله تعالى: **﴿إِلَّآ أَن تَفۡعَلُوٓاْ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِكُم مَّعۡرُوفٗاۚ﴾** [الأحزاب: ٦] وفسره فقال: هو إعطاء المسلم الكافر بينهما قرابة صلة، وفسر المعروف فقال: أي معروف في الكتاب، أقرهم الله ﷻ على ذلك، كما قال الله تعالى في آية الممتحنة: **﴿لَّا يَنۡهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُقَٰتِلُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَلَمۡ يُخۡرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمۡ أَن تَبَرُّوهُمۡ﴾** [الممتحنة: ٨].

• [٤٣٩٠] ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث أبي هريرة رضي الله عنه مستشهدًا به مع الآية المبوب بها، قال ﷺ: **«ما من مؤمن إلا وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرءوا إن شئتم: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ﴾»** [الأحزاب: ٦] والمعنى أن النبي ﷺ أولى بالمؤمنين من أنفسهم، أي: يقدمون محبته على محبة أنفسهم، ويفدونه بأنفسهم في حياته ﷺ، كما فعل طلحة بن عبيدالله رضي الله عنه وغيره في غزوة أحد حيث إنه يبست يده وشلت يقي بها النبي ﷺ، وبعد مماتهم يتولى ﷺ شئونهم ويقضي ديونهم ويتحمل أثقالهم، وينفق على أيتامهم.

قال العيني رَحِمَهُ ٱللَّهُ في هذه الآية: «النبي أحق بالمؤمنين في كل شيء من أمور الدين والدنيا من أنفسهم فلهذا أطلق ولم يقيد».

قوله : «**فأيما مؤمن ترك مالا فليرثه عصبته من كانوا ؛ فإن ترك دينًا أو ضياعًا فليأتني وأنا مولاه**» معناه أنه من ترك مالا فلورثته ، ومن ترك دينًا فيقضيه الرسول ﷺ ، ومن ترك ضياعًا - أي عيالًا ضائعين - لا قيِّم لهم فإن النبي ﷺ يتولاهم ويقوم بشئونهم وينفق عليهم ، وكذلك ولاة الأمور من بعده على الصحيح ، يقضون ديون من مات من المسلمين مدينًا ، ويقومون على شئون القُصَّر ويرتبون لهم من بيت المال ما يقوم بشئونهم وكفايتهم حتى يكبروا ؛ إذا كان في بيت المال سعة .

* * *

المتن

[٢٤٥/ ٥٦] باب: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥]

• [٤٣٩١] حدثنا معلى بن أسد، قال: حدثنا عبدالعزيز بن المختار، قال: حدثنا موسى بن عقبة، قال: حدثني سالم، عن عبدالله بن عمر، أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد، حتى نزل القرآن: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥].

الشرح

في هذه الآية إبطال التبني، والتبني هو أن ينسب الإنسان لنفسه ابنًا ليس من صلبه، وكان هذا جائزًا في الجاهلية وفي أول الإسلام، ومن ذلك تبني النبي ﷺ زيد بن حارثة؛ فكان يدعى زيد بن محمد، ثم أبطل الله ﷻ التبني في الإسلام وهدمه.

• [٤٣٩١] قوله: **«أن زيد بن حارثة مولى رسول الله ﷺ ما كنا ندعوه إلا زيد بن محمد، حتى نزل القرآن»** أي: فأمرهم بنسبته إلى أبيه؛ قال الله تعالى: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥] فصار بعد ذلك يدعى زيد بن حارثة؛ فنسب إلى أبيه.

وهدم الله ﷻ التبني قولًا وفعلًا؛ بالقول في قوله تعالى: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ وبالفعل حيث أمر نبيه ﷺ أن يتزوج مطلقة زيد رضي الله عنه -وهي زينب بنت جحش رضي الله عنها- لما طلقها زيد بن حارثة رضي الله عنه زوجها الله ﷻ رسوله ﷺ من فوق سبع سموات، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيۡدٞ مِّنۡهَا وَطَرٗا زَوَّجۡنَٰكَهَا﴾ ثم بين ﷻ الحكمة قال: ﴿لِكَيۡ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ حَرَجٞ فِيٓ أَزۡوَٰجِ أَدۡعِيَآئِهِمۡ إِذَا قَضَوۡاْ مِنۡهُنَّ وَطَرٗا﴾ [الأحزاب: ٣٧] يعني في تزوج أزواج أدعيائهم؛ فالابن الدعي ليس ابنًا، ولهذا قال الله تعالى: ﴿ٱدۡعُوهُمۡ لِأٓبَآئِهِمۡ هُوَ أَقۡسَطُ عِندَ ٱللَّهِۚ فَإِن لَّمۡ تَعۡلَمُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ فَإِخۡوَٰنُكُمۡ فِي ٱلدِّينِ وَمَوَٰلِيكُمۡ﴾ [الأحزاب: ٥] وقال تعالى: ﴿مَّا جَعَلَ ٱللَّهُ لِرَجُلٖ مِّن قَلۡبَيۡنِ فِي جَوۡفِهِۦۚ وَمَا جَعَلَ أَزۡوَٰجَكُمُ ٱلَّٰٓـِٔي تُظَٰهِرُونَ مِنۡهُنَّ أُمَّهَٰتِكُمۡۚ وَمَا جَعَلَ أَدۡعِيَآءَكُمۡ أَبۡنَآءَكُمۡۚ ذَٰلِكُمۡ قَوۡلُكُم بِأَفۡوَٰهِكُمۡ﴾ [الأحزاب: ٤].

* * *

المتن

[٢٤٦/ ٥٦] **باب ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾** [الأحزاب : ٢٣]

﴿نَحْبَهُۥ﴾ : عهده .

﴿أَقْطَارِهَا﴾ [الأحزاب : ١٤] : جوانبها .

﴿ٱلْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا﴾ [الأحزاب : ١٤] : لأعطوها .

• [٤٣٩٢] حدثني محمد بن بشار ، قال : حدثني محمد بن عبدالله الأنصاري ، قال : حدثني أبي ، عن ثمامة ، عن أنس بن مالك قال : نرىٰ هذه الآية نزلت في أنس بن النضر : **﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾** [الأحزاب : ٢٣] .

• [٤٣٩٣] حدثنا أبو اليمان ، قال : أخبرنا شعيب ، عن الزهري ، قال : أخبرني خارجة بن زيد بن ثابت ، أن زيد بن ثابت قال : لما نسخنا الصحف في المصاحف فقدت آية من سورة الأحزاب كنت كثيرا أسمع رسول الله ﷺ يقرؤها ، لم أجدها مع أحد إلا مع خزيمة الأنصاري ، الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين ؛ **﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾** [الأحزاب : ٢٣] .

الشرح

قوله تعالىٰ : **﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ﴾** أي : منهم الذي قتل شهيدًا وفىٰ بعهده ، **﴿وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾** [الأحزاب : ٢٣] وهذا ثناء من الله ﷻ عليهم ، والآية نزلت في أنس بن النضر ؓ كما سيأتي .

قوله تعالىٰ : **﴿وَلَوْ دُخِلَتْ عَلَيْهِم مِّنْ أَقْطَارِهَا﴾** [الأحزاب : ١٤] يعني : لو دُخل على المنافقين من أقطار المدينة وجوانبها ، ثم سئلوا الفتنة لأعطوها .

قوله تعالىٰ : **﴿ثُمَّ سُئِلُوا۟ ٱلْفِتْنَةَ لَأَتَوْهَا﴾** [الأحزاب : ١٤] قال : **«لأعطوها»** .

• [٤٣٩٢] قوله : **«نرىٰ هذه الآية نزلت في أنس بن النضر : ﴿مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا۟ مَا عَـٰهَدُوا۟ ٱللَّهَ عَلَيْهِ﴾»** [الأحزاب : ٢٣] يعني : نزلت فيه وفي أمثاله أيضًا ، وذلك لما فاته مشهد بدر وقال لئن أشهدني الله مشهدًا ليرين الله ما أصنع ؛ فلما كانت غزوة أحد أبلىٰ بلاءً حسنًا وقاتل حتىٰ قتل شهيدًا ؓ .

• [٤٣٩٣]كان زيد بن ثابت رضي الله عنه من الشباب الذين عهد إليهم أبو بكر رضي الله عنه بجمع القرآن، حيث قال أبو بكر لزيد بن ثابت رضي الله عنهما: إنك شاب عاقل تكتب الوحي لرسول الله ﷺ ولا نتهمك؛ فاجمع القرآن. قال زيد رضي الله عنه: فوالله لو كلفوني نقل جبل ما كان بأثقل علي من ذلك. فجعل يجمع القرآن مع الشباب فيأخذونه من العسب والحجارة، وكانوا لا يكتبون الآية إلا إذا وجدت مكتوبة في السطور ومحفوظة في الصدور، قال زيد رضي الله عنه: **«لما نسخنا الصحف في المصاحف فقدت آية من سورة الأحزاب كنت كثيرًا أسمع رسول الله ﷺ يقرؤها، لم أجدها مع أحد إلا مع خزيمة الأنصاري»** يعني: لم يجدها مكتوبة وإلا فهي محفوظة.

قوله: **«الذي جعل رسول الله ﷺ شهادته شهادة رجلين»** وذلك لما شهد على الأعرابي الذي اشترى منه النبي ﷺ الفرس، وكان قد باع الفرس على النبي ﷺ فطفق رجال يساومونه وما يدرون أن النبي ﷺ اشتراه؛ فلما أعطوه ما يريد قال للنبي ﷺ: اشتر الفرس إن كنت مشتريًا، وإلا فإني سأبيعه؛ فقال النبي ﷺ: **«أوليس قد ابتعته منك؟»** قال: لا ما بعته لك، وقال: من يشهد لك؟ فجاء خزيمة رضي الله عنه وشهد أنه باعه للنبي ﷺ؛ فقال النبي ﷺ: **«وبم تشهد؟»**؟ قال: يا رسول الله قد شهدنا على ما هو أعظم من ذلك. فجعل النبي ﷺ شهادته بشهادة اثنين [١].

* * *

---

(١) أحمد (٥/ ٢١٥)، وأبو داود (٣٦٠٧)، والنسائي (٤٦٤٧).

المتن

[٢٤٧/ ٥٦] باب قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٢٨]

وقال معمر: التبرج: أن تخرج محاسنها.

﴿سُنَّةَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٣٨]: استنها جعلها.

• [٤٣٩٤] حدثنا أبو اليمان، قال: أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني أبو سلمة بن عبدالرحمن، أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته، أن رسول الله ﷺ جاءها حين أمر الله أن يخير أزواجه، فبدأ بي رسول الله ﷺ، فقال: «**إني ذاكر لك أمرًا، فلا عليك أن لا تستعجلي حتى تستأمري أبويك**»، وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: «**إن الله تبارك وتعالى قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ﴾** [الأحزاب: ٢٨]»، إلى تمام الآيتين، فقلت له: ففي أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة.

الشرح

قوله: «**وقال معمر: التبرج: أن تخرج محاسنها**» وهو من البروج أي: الظهور؛ فالمتبرجة هي التي أبرزت شيئًا من محاسنها.

قوله تعالى: ﴿سُنَّةَ﴾[الأحزاب: ٣٨] قال: «**استنها وجعلها**».

• [٤٣٩٤] قوله: «**فلا عليك أن لا تستعجلي**» وهي رواية أبي ذر، والرواية المشهورة للحديث: «**فلا عليك أن تستعجلي**» ولعل الصواب أن كلمة لا سقطت، ويدل على سقوطها ثبوتها في الحديث الذي بعده، ويحتمل أن تكون هذه رواية على نية «لا» فتكون «لا» مقدرة هنا.

وهذا الحديث تفسير لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّأَزۡوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱلۡحَيَوٰةَ ٱلدُّنۡيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيۡنَ أُمَتِّعۡكُنَّ وَأُسَرِّحۡكُنَّ سَرَاحٗا جَمِيلٗا ۝٢٨ وَإِن كُنتُنَّ تُرِدۡنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلۡأٓخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلۡمُحۡسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجۡرًا عَظِيمٗا﴾[الأحزاب: ٢٨، ٢٩] والتي تسمى آية التخيير، والتي نزلت بعد أن اجتمعن عليه يطلبن النفقة، وكان النبي ﷺ قد هجرهن شهرًا.

وهذا التخيير هل هو طلاق أم ليس بطلاق؟

والصواب أن التخيير ليس بطلاق، وقال بعض العلماء: التخيير طلاق، وقيل: إنه طلاق في غير حق النبي ﷺ، فلما أنزل الله ﷻ هذه الآية خير النبي ﷺ أزواجه، قالت عائشة رضي الله عنها: **«فبدأ بي رسول الله ﷺ، فقال: إني ذاكر لك أمرًا فلا عليك أن لا تستعجلي حتى تستأمري أبويك»** لأنها صغيرة السن ويخشى أن تعجل في أمرها بخلاف كبيرة السن، ولهذا أمرها ﷺ أن لا تستعجل حتى تستأمر أبويها وتشاورهما.

قوله: **«فقلت له: ففي أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة»** هذا دليل على فطنتها وذكائها مع صغر سنها رضي الله عنها.

* * *

المتن

[٢٤٨/ ٥٦] قوله تعالى: ﴿وَإِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱلدَّارَ ٱلْآخِرَةَ فَإِنَّ ٱللَّهَ أَعَدَّ لِلْمُحْسِنَٰتِ مِنكُنَّ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ الآية [الأحزاب: ٢٩]

وقال قتادة: ﴿وَٱذْكُرْنَ مَا يُتْلَىٰ فِى بُيُوتِكُنَّ مِنْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ﴾: القرآن، ﴿وَٱلْحِكْمَةِ﴾ [الأحزاب: ٣٤]: السنة.

وقال الليث: حدثني يونس، عن ابن شهاب، قال: أخبرني أبو سلمة بن عبدالرحمن، أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: لما أمر رسول الله ﷺ بتخيير أزواجه بدأ بي، فقال لي: **«إني ذاكر لك أمرًا، فلا عليك أن لا تعجلي حتىٰ تستأمري أبويك»**، قالت: وقد علم أن أبوي لم يكونا يأمراني بفراقه، قالت: ثم قال: **«إن الله ﷻ قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ قُل لِّأَزْوَٰجِكَ إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا﴾، إلىٰ: ﴿أَجْرًا عَظِيمًا﴾** [الأحزاب: ٢٨، ٢٩]**»**، قالت: فقلت: ففي أي هذا أستأمر أبوي؟ فإني أريد الله ورسوله والدار الآخرة، قالت: ثم فعل أزواج النبي ﷺ مثل ما فعلت.

تابعه موسىٰ بن أعين، عن معمر، عن الزهري، قال: أخبرني أبو سلمة بن عبدالرحمن.

وقال عبدالرزاق وأبو سفيان المعمري: عن معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة.

الشرح

في بعض روايات الحديث أن عائشة ﵂ لما خيرها واختارت الله ﷻ ورسوله ﷺ قالت: لا تخبر أزواجك باختياري؛ فقال ﷺ: **«لا تسألني امرأة منهن إلا أخبرتها، إن الله لم يبعثني معنتاً متعنتًا، ولكن بعثني معلمًا ميسراً»**[(١)] وقد حملتها الغيرة علىٰ هذا.

***

(١) أحمد (٣/ ٣٢٨)، ومسلم (١٤٧٨) واللفظ له.

المتن

[٢٤٩/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ﴾ الآية [الأحزاب: ٣٧]

• [٤٣٩٥] حدثني محمد بن عبدالرحيم، قال: حدثنا معلى بن منصور، عن حماد بن زيد، قال: حدثنا ثابت، عن أنس بن مالك، أن هذه الآية: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾، نزلت في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة.

الشرح

• [٤٣٩٥] نزلت آية الأحزاب في شأن زينب بنت جحش وزيد بن حارثة رضي الله عنهما، وفي الآية يقول الله تعالى: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِيٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ﴾ بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالعتق، وهو زيد بن حارثة رضي الله عنه ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾ يعني: إذا جاء زيد رضي الله عنه للنبي ﷺ وهو يريد أن يطلق زينب رضي الله عنها قال له النبي ﷺ اتقِ الله لا تطلقها، قال الله تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ﴾ أنها ستكون زوجتك ﴿مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ﴾ أي: سيبديه في المستقبل ﴿وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ﴾ تخشى أن يقول الناس: تزوج امرأة ابنه ﴿وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا﴾ وطلقها ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَيْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِيٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وفي هذا هدم للتبني؛ لكيلا يكون على الرجل حرج في تزوُّج امرأة ابنه الدعي، وقول الله ﷻ: ﴿زَوَّجْنَٰكَهَا﴾ أي: زوجك الله ﷻ إياها من فوق سبع سموات؛ فدخل عليها النبي ﷺ بدون ولي وبدون شهود؛ فكانت زينب رضي الله عنها تفخر على نساء النبي ﷺ وتقول: زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع سموات.

وبذلك هدم الله التبني بالقول وبالفعل؛ بالقول: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [الأحزاب: ٥] وبالفعل أن أمر نبيه ﷺ أن يتزوج امرأة ابنه الدعي بعد طلاقها منه.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «والحاصل أن الذي كان يخفيه النبي ﷺ هو إخبار الله ﷻ إياه أنها ستصير زوجته، والذي كان يحمله على إخفاء ذلك خشية قول الناس تزوج امرأة ابنه، وأراد الله ﷻ إبطال ما كان أهل الجاهلية عليه من أحكام التبني بأمر لا أبلغ في الإبطال

منه، وهو تزوج امرأة الذي يدعى ابنًا، ووقوع ذلك من إمام المسلمين ليكون أدعىٰ لقبولهم، وإنما وقع الخبط في تأويل متعلق الخشية، والله أعلم. وقد أخرج الترمذي من طريق داود بن أبي هند عن الشعبي عن عائشة ﵂ قالت: لو كان رسول الله ﷺ كاتمًا شيئًا من الوحي لكتم هذه الآية: ﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ يعني بالإسلام ﴿وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ﴾ بالعتق ﴿أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ﴾ إلىٰ قوله: ﴿قَدَرًا مَّقْدُورًا﴾ [الأحزاب: ٣٧، ٣٨] وإن رسول الله ﷺ لما تزوجها قالوا تزوج حليلة ابنه؛ فأنزل الله تعالىٰ: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ﴾ [الأحزاب: ٤٠] الآية، وكان تبناه وهو صغير، قلت: حتىٰ صار رجلًا يقال له: زيد بن محمد؛ فأنزل الله تعالىٰ: ﴿ٱدْعُوهُمْ لِءَابَآئِهِمْ﴾ إلىٰ قوله: ﴿وَمَوَٰلِيكُمْ﴾ [الأحزاب: ٥] قال الترمذي: روىٰ عن داود عن الشعبي عن مسروق عن عائشة ﵂، إلىٰ قوله: «لكتم هذه الآية»، ولم يذكر ما بعده، قلت: وهذا القدر أخرجه مسلم، كما قال الترمذي: وأظن الزائد بعده مدرجًا في الخبر، فإن الراوي له عن داود لم يكن بالحافظ. وقال ابن العربي: إنما قال ﷺ لزيد أمسك عليك زوجك اختبارًا لما عنده من الرغبة فيها أو عنها؛ فلما أطلعه زيد علىٰ ما عنده منها من النفرة التي نشأت من تعاظمها عليه وبذاءة لسانها، أذن له في طلاقها، وليس في مخالفة متعلق الأمر لمتعلق العلم ما يمنع من الآمر به، والله أعلم. وروىٰ أحمد ومسلم والنسائي من طريق سليمان بن المغيرة عن ثابت عن أنس، قال: لما انقضت عدة زينب ﵂ قال رسول ﷺ لزيد: **«فاذكرها عليّ»**[1] قال: فانطلقت فقلت: يا زينب أبشري، أرسل رسول الله ﷺ يذكرك، فقالت: ما أنا بصانعة شيئًا حتىٰ أؤامر ربي، فقامت إلىٰ مسجدها ونزل القرآن، وجاء رسول الله ﷺ حتىٰ دخل عليها بغير إذن، وهذا أيضًا من أبلغ ما وقع في ذلك، وهو أن يكون الذي كان زوجها هو الخاطب، لئلا يظن أحد أن ذلك وقع قهرًا بغير رضاه، وفيه أيضًا اختبار ما كان عنده منها، هل بقي منه شيء أم لا، وفيه استحباب فعل المرأة الاستخارة ودعائها عند الخطبة قبل الإجابة، وأن من وكل أمره إلىٰ الله ﷻ يسر الله ﷻ له ما هو الأحظ له والأنفع دنيا وأخرىٰ».

* * *

---

(١) أحمد (٣/ ١٩٥)، ومسلم (١٤٢٨)، والنسائي في «الكبرىٰ» (٥/ ٥٢).

المتن

[٢٥٠/ ٥٦] **باب قوله تعالى: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾** [الأحزاب: ٥١]

قال ابن عباس: ترجي: تؤخر، أرجه: أخره.

• [٤٣٩٦] حدثنا زكرياء بن يحيى، قال: حدثنا أبو أسامة، قال هشام: حدثنا عن أبيه، عن عائشة قالت: كنت أغار على اللائي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ، وأقول: أتهب المرأة نفسها؟ فلما أنزل الله ﷻ: **﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾** [الأحزاب: ٥١]، قلت: ما أرى ربك إلا يسارع في هواك.

• [٤٣٩٧] حدثنا حبان بن موسى، قال: أخبرنا عبدالله، أخبرنا عاصم الأحول، عن معاذة، عن عائشة، أن رسول الله ﷺ كان يستأذن في اليوم المرأة منا، بعد أن أنزلت هذه الآية: **﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ ۖ وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾** [الأحزاب: ٥١]، قلت لها: ما كنت تقولين؟ قالت: كنت أقول له: إن كان ذاك إلي، فإني لا أريد يا رسول الله أن أوثر عليك أحدا.

تابعه عباد بن عباد، سمع عاصما.

الشرح

نزلت هذه الآية: **﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِىٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾** [الأحزاب: ٥١] في الواهبات اللاتي وهبن أنفسهن للنبي ﷺ؛ فقد ذكر العلماء أن هناك عددًا من النساء وهبن أنفسهن للنبي ﷺ، قال الله تعالى: **﴿وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِىِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِىُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾** [الأحزاب: ٥٠] خالصة يعني: خاصة، وفيه دليل على أن الشريعة عامة إلا ما دل الدليل على تخصيصه، والنبي ﷺ هو أسوة للأمة؛ فما كان في حقه فهو للأمة إلا ما دل الدليل على تخصيصه، كما في هذه الآية السابقة، وهي الخصوصية بالهبة للنبي ﷺ؛ فلا يجوز للمرأة أن تهب نفسها لأحد، بل لابد من ولي وشاهدي عدل، إلا النبي ﷺ فإن هذا من خصوصياته.

قوله: **«قال ابن عباس رضي الله عنهما: ترجي: تؤخر، أرجه: أخره»** الإرجاء هو التأخير، والمراد: لك أن تؤخر منهن من تشاء، وتئوي من تشاء ﴿وَمَنِ ٱبْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ﴾ [الأحزاب: ٥١].

• [٤٣٩٦] قوله: **«كنت أغار على اللائي وهبن أنفسهن لرسول الله ﷺ وأقول: أتهب المرأة نفسها»** ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله عددًا من النساء اللاتي وهبن أنفسهن، قال: «ومن حديث أنس رضي الله عنه أن المرأة التي جاءت إلى النبي ﷺ فقالت: إن لي ابنة فذكرت من جمالها فآثرتك بها فقال: **«قد قبلتها»** فلم تزل تذكر حتى قالت: لم تصدع قط؛ فقال: **«لا حاجة لي في ابنتك»**[1]؛ لأنها لم يصبها الصداع».

وذكر أيضًا: «ما أخرجه النسائي من الواهبات أم شريك[2]، كذلك أيضًا يذكر عن أبي عبيدة معمر بن المثنى أن من الواهبات فاطمة بنت شريح، وقيل: إن ليلى بنت الحطيم ممن وهبت نفسها له، ومنهن زينب بنت خزيمة، جاء عن الشعبي وليس بثابت، وخولة بنت حكيم، وهو في «الصحيح»[3]، ومن طريق قتادة عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: التي وهبت نفسها للنبي ﷺ هي ميمونة بنت الحارث[4]، على أن بعض هذه الآثار فيها ضعف وفيها انقطاع.

وذكر المؤلف رحمه الله أن القَسْمَ ليس بواجب، وهو قول الجمهور في قوله: ﴿تُرْجِى مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ﴾ [الأحزاب: ٥١] يعني: تؤخرهن بغير قسم، وقال آخرون من أهل العلم: يجب عليه القسم، والجمهور على أنه لا يجب، ولكنه ﷺ يقسم من باب الإحسان، وقيل: المعنى تطلق وتمسك، وقيل: المعنى تعتزل من شئت، وقيل: المعنى تقبل من شئت من الواهبات وترد من شئت، واللفظ محتمل لجميع هذه الأقوال.

قالت عائشة تخاطب النبي ﷺ: **«ما أرى ربك إلا يسارع في هواك»**؛ فهو ﷺ خليل الله وحبيبه وهو ﷺ أفضل خلق الله ﷻ.

---

(١) أحمد (٣/ ١٥٥).
(٢) «السنن الكبرى» (٥/ ٢٩٤).
(٣) البخاري (٥١١٣)، ومسلم (١٤٦٤) ولم يسمها.
(٤) الطبري في «التفسير» (٢٢/ ٢٣).

• [٤٣٩٧] في هذا الحديث كما مر في الحديث السابق أنه لا يجب عليه ﷺ القسم، لكنه يقسم من باب التفضل والإحسان، وتطييبًا لخاطرهن، ولهذا قالت عائشة رضي الله عنها: **«كان يستأذن في اليوم المرأة منا بعد أن أنزلت هذه الآية: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾»** [الأحزاب: ٥١] فكان يقول: **«أين أنا غدًا؟»**[١]؛ فسألت معاذة عائشة رضي الله عنها قالت: **«ما كنت تقولين؟ قالت: كنت أقول له: إن كان ذاك إلي؛ فإني لا أريد يا رسول الله أن أوثر عليك أحدًا»** أي: لو كان الأمر إليها فإنها لا تفرط في يومها من النبي ﷺ.

***

(١) البخاري (١٣٨٩)، ومسلم (٢٤٤٣).

المتن

[٢٥١/ ٥٦] باب قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ إلى قوله: ﴿إِنَّ ذَٰلِكُمۡ كَانَ عِندَ ٱللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣]

يقال: ﴿إِنَىٰهُ﴾: إدراكه، أنىٰ يأني إناة فهو آن.

﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣] إذا وصفت صفة المؤنث قلت: قريبة، وإذا جعلته ظرفا وبدلا ولم ترد الصفة نزعت الهاء من المؤنث، وكذلك لفظها في الواحد والاثنين والجميع للذكر والأنثىٰ.

• [٤٣٩٨] حدثنا مسدد، عن يحيىٰ، عن حميد، عن أنس، قال: قال عمر: قلت: يا رسول الله، يدخل عليك البر والفاجر، فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب، فأنزل الله ﷻ آية الحجاب.

• [٤٣٩٩] أخبرنا محمد بن عبدالله الرقاشي، قال: حدثنا معتمر بن سليمان، قال: سمعت أبي يقول: حدثنا أبو مجلز، عن أنس بن مالك قال: لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش، دعا القوم فطعموا ثم جلسوا يتحدثون، وإذا هو كأنه يتهيأ للقيام، فلم يقوموا، فلما رأىٰ ذلك قام، فلما قام قام من قام، وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي ﷺ ليدخل، فإذا القوم جلوس، ثم إنهم قاموا، فانطلقت فجئت، فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا، فجاء حتىٰ دخل، فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٣] الآية.

• [٤٤٠٠] حدثنا سليمان بن حرب، قال: حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن أبي قلابة، قال أنس بن مالك: أنا أعلم الناس بهذه الآية آية الحجاب، لما أهديت زينب بنت جحش رضي الله عنها إلى النبي ﷺ، كانت معه في البيت، صنع طعاما ودعا القوم، فقعدوا يتحدثون، وجعل النبي ﷺ يخرج ثم يرجع وهم قعود يتحدثون، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ﴾، إلىٰ قوله: ﴿مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، فضرب الحجاب، وقام القوم.

• [٤٤٠١] حدثنا أبو معمر ، قال : حدثنا عبدالوارث ، قال : حدثنا عبدالعزيز بن صهيب ، عن أنس قال : بني على النبي ﷺ بزينب بنت جحش بخبز ولحم ، فأرسلت على الطعام داعيا ، فيجيء قوم فيأكلون ويخرجون ، ثم يجيء قوم فيأكلون ويخرجون ، فدعوت حتى ما أجد أحدا أدعو ، فقلت : يا نبي الله ، ما أجد أحدا أدعو ، قال : **«ارفعوا طعامكم»** ، وبقي ثلاثة رهط يتحدثون في البيت ، فخرج النبي ﷺ فانطلق إلى حجرة عائشة ، فقال : **«السلام عليكم أهل البيت ورحمة الله»** ، فقالت : وعليك السلام ورحمة الله ، كيف وجدت أهلك بارك الله لك؟ فتقرى حجر نسائه كلهن ، يقول لهن كما يقول لعائشة ، ويقلن له كما قالت عائشة ، ثم رجع النبي ﷺ ، فإذا رهط ثلاثة في البيت يتحدثون ، وكان النبي ﷺ شديد الحياء ، فخرج منطلقا نحو حجرة عائشة ، فما أدري آخبرته أو أخبر أن القوم خرجوا ، فرجع ، حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب داخلة وأخرى خارجة أرخى الستر بيني وبينه ، وأنزلت آية الحجاب .

• [٤٠٠٢] حدثنا إسحاق بن منصور ، قال : أخبرنا عبدالله بن بكر السهمي ، قال : حدثنا حميد ، عن أنس قال : أولم رسول الله ﷺ حين بنى بزينب بنت جحش ، فأشبع الناس خبزًا ولحمًا ، ثم خرج إلى حجر أمهات المؤمنين ، كما كان يصنع صبحة بنائه ، فيسلم عليهن ويدعو لهن ، ويسلمن عليه ويدعون له ، فلما رجع إلى بيته رأى رجلين جرى بهما الحديث ، فلما رآهما رجع عن بيته ، فلما رأى الرجلان نبي الله ﷺ رجع عن بيته وثبا مسرعين ، فما أدري أنا أخبرته بخروجهما أم أخبر ، فرجع حتى دخل البيت ، وأرخى الستر بيني وبينه ، وأنزلت آية الحجاب .

وقال ابن أبي مريم : أخبرنا يحيى ، قال : حدثني حميد ، سمع أنس بن مالك ، عن النبي ﷺ .

• [٤٠٠٣] حدثني زكرياء بن يحيى ، قال : حدثنا أبو أسامة ، عن هشام ، عن أبيه ، عن عائشة قالت : خرجت سودة بعدما ضرب الحجاب لحاجتها ، وكانت امرأة جسيمة لا تخفى على من يعرفها ، فرآها عمر بن الخطاب ، فقال : يا سودة ، أما والله ما تخفين علينا ، فانظري كيف تخرجين ، قالت : فانكفأت راجعة ورسول الله ﷺ في بيتي ، وإنه ليتعشى في يده عرق ، فدخلت ، فقالت : يا رسول الله ، إني خرجت لبعض حاجتي ، فقال لي عمر كذا

وكذا، قالت: فأوحي إليه، ثم رفع عنه، وإن العرق في يده ما وضعه، فقال: **«إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن»**.

الشرح

هذه الآية تسمى آية الحجاب، وقد ترجم بها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ، والشاهد منها قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣] وفيه دليل على وجوب حجب اليدين والوجه لأمهات المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَدْخُلُوا۟ بُيُوتَ ٱلنَّبِىِّ إِلَّآ أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيْرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾ [الأحزاب: ٥٣] يعني: غير منتظرين إدراك الطعام ونضجه.

والحجاب هو ما يحجب المرأة عن الرجل، سواء كان بابًا أو جدارًا أو غطاءً، وفيه دليل على وجوب الحجاب، وهو ستر الوجه واليدين مع بقية الجسم، ووجوب الحجاب مجمع عليه في حق أزواج النبي ﷺ، وكذلك هو واجب في حق غير أزواج النبي ﷺ على الصحيح، وقال بعض العلماء: إن هذا الحجاب خاص بأزواج النبي ﷺ؛ لأن الآية في أزواج النبي ﷺ، والصواب أنه عام؛ لأن العلة عامة والعلة قوله تعالى: ﴿ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٣]، ولا يقول أحد: إن غير أزواج النبي ﷺ لا يحتجن إلى طهارة القلوب؛ فلما كانت العلة عامة دل على أن الحكم عام.

ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا فائدة لغوية في قوله تعالى: ﴿لَعَلَّ ٱلسَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ [الأحزاب: ٦٣] فقال: **«إذا وصفت صفة المؤنث قلت: قريبة، وإذا جعلته ظرفًا وبدلا ولم ترد الصفة نزعت الهاء من المؤنث، وكذلك لفظها في الواحد والاثنين والجميع للذكر والأنثى»** والمراد في قوله ﷻ: ﴿قَرِيبًا﴾ الظرف وليس الوصف.

• [٤٣٩٨]، [٤٣٩٩]، [٤٤٠٠] هذه الأحاديث صريحة في أن الحجاب نزل حينما بنى النبي ﷺ بزينب رضي الله عنها.

وفيها مشروعية الوليمة للمتزوج؛ لقوله **«لما تزوج رسول الله ﷺ زينب بنت جحش، دعا القوم فطعموا»**؛ فالنبي ﷺ أولم على زينب رضي الله عنها وأشبع الناس خبزًا ولحمًا، وجعل يدعو الناس من ارتفاع الضحى، يدخل جماعة ويأكلون فيخرجون، ثم يدخل جماعة ويأكلون فيخرجون وهكذا.

وفيها تأذي النبي ﷺ ممن جلسوا يتحدثون في البيت؛ لقوله: **«ثم جلسوا يتحدثون وإذا هو كأنه يتهيأ للقيام، فلم يقوموا، فلما رأى ذلك قام، فلما قام قام من قام وقعد ثلاثة نفر، فجاء النبي ﷺ ليدخل، فإذا القوم جلوس»**، وفي الحديث الآتي: ذهب النبي ﷺ إلى بيت عائشة ﵂ ثم رجع، فإذا هم على حالهم، ثم انصرف فلما انصرف قاموا.

قوله: **«فانطلقت فجئت، فأخبرت النبي ﷺ أنهم قد انطلقوا فجاء حتى دخل»**؛ لأن البيوت لم تكن واسعة مثل بيوتنا الآن؛ فلم يكن هناك مكان، وإلا لو كان المكان واسعًا مثل الآن لدخل البيت وتركهم في مجلسهم.

وفيه حياء النبي ﷺ وأنه لا يواجه أحدًا بما يكره، وإذا أراد شيئًا قام، أو فعل شيئًا يفهم منه ما يريد.

وفيه أن المشروع عدم الجلوس بعد الطعام؛ لقوله تعالى: ﴿**فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانتَشِرُوا**﴾ [الأحزاب: ٥٣]؛ فيشرع للضيوف بعد الطعام أن ينصرفوا؛ لأن الجلوس قد يشق على أهل البيت، إلا إذا أذن لهم صاحب البيت، أو كانت العادة الجلوس بعد الطعام -مثل ما هو موجود الآن أن العادة الجلوس بعد الطعام للقهوة والطيب- أما إذا لم يكن هناك عادة أو كان يشق على أهل البيت؛ فإنه ينبغي الانصراف.

قوله: **«فذهبت أدخل فألقى الحجاب بيني وبينه»** فيه أن النبي ﷺ ألقى الحجاب بينه وبين أنس ﵁ لنزول قوله ﷻ: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَن يُؤْذَنَ لَكُمْ**﴾[الأحزاب: ٥٣] وهذا بيان لوقت فرض الحجاب، وأنه بعد بنائه ﷺ بزينب ﵂.

• [٤٤٠١] قوله: **«بني على النبي ﷺ بزينب بنت جحش بخبز ولحم»** يعني: أقيمت وليمة الزواج بخبز ولحم.

قوله: **«فأُرسلت»** على البناء للمجهول؛ يعني: أرسل النبي ﷺ أنسًا يدعو الناس للطعام، وكان ذلك ضحى.

قوله: **«فدعوت حتى ما أجد أحدًا أدعو»** يعني: أنه دعا كل من رآه، حتى إنه لم يترك أحدًا إلا دعاه، حتى شبع الناس خبزًا ولحمًا، فقال للنبي ﷺ: **«يا نبي الله، ما أجد أحدًا أدعو»**.

قوله: **«ارفعوا طعامكم»**، وفي نسخة: **«فارفعوا طعامكم»**.

قوله : «**فما أدري آخبرته أو أخبر؟**» هذا من قول أنس ﵁ ؛ فلا يذكر أهو أخبر النبي ﷺ أم أخبره غيره؟

قوله : «**حتى إذا وضع رجله في أسكفة الباب داخلة وأخرى خارجة أرخى الستر بيني وبينه ، وأنزلت آية الحجاب**» فيه دلالة ظاهرة على أنها أنزلت في هذا الوقت .

• [٤٤٠٢] قوله : «**وثبا مسرعين**» يعني : قاما مسرعين ؛ لأنهما رأيا النبي ﷺ لما جاء ليدخل فلما رآهما رجع ، وعرفوا في وجهه الكراهة .

والحديث فيه مشروعية الوليمة للمتزوج ؛ حيث إن النبي ﷺ أولم وليمة كبيرة على زينب ﵂ ، وأما صفية ﵂ فإنه بنى بها في السفر بين المدينة وخيبر ؛ فكانت الوليمة حيسًا ، والحيس سمن وأقط وتمر ، وسمي حيسًا لأنه لم يختلط ، وفيه دليل على أنه لا يشترط أن يكون في الوليمة لحم ، ولا ينبغي للإنسان أن يسرف أو أن يصنع طعامًا أو لحومًا ترمى ولا يستفاد منها ، بل يكون مناسبًا على قدر الحاجة ، وإذا بقي شيء فلا يجوز له أن يرميه ؛ وقد أنشئت الآن مؤسسات تقبل الفائض من الطعام فينبغي للإنسان أن يتعاون معهم .

وأحاديث الباب مع الآية فيها دليل على وجوب الحجاب ، وفيها الرد على دعاة السفور الذين يطالبون بسفور المرأة ، وفي حديث عائشة ﵂ في قصة الإفك حيث قالت : «فخمرت وجهي بجلبابي ، وكان يعرفني قبل الحجاب»(١) دليل على وجوب الحجاب ، وأن الحجاب المراد هو أن تستر المرأة وجهها ويديها .

وفي الحديث أن أفضل طعام الوليمة اللحم ، وأقل شيء شاة ؛ لقوله ﷺ لعبدالرحمن بن عوف ﵁ : «**أولم ولو بشاة**»(٢) وإذا دعت الحاجة لأكثر من شاة فلا بأس أن يولم بشاتين أو ثلاث أو أربع ، على حسب الحاجة إذا كان في استطاعته .

• [٤٤٠٣] في الحديث أن النساء كانت تخرج لقضاء الحاجة في الليل من البول والغائط ، ولم يكن عندهم حمامات في البيوت ، قالت عائشة ﵂ : «كنا نكره ونتأذى أن يكون في البيوت كنف» .

---

(١) أحمد (٦/ ١٩٤) ، والبخاري (٤١٤١) ، ومسلم (٢٧٧٠) .

(٢) أحمد (٣/ ١٦٥) ، والبخاري (٢٠٤٨) ، ومسلم (١٤٢٧) .

قوله : **«يا سودة ، أما والله ما تخفين علينا ، فانظري كيف تخرجي»** ولما قال عمر ما قال استحيت ورجعت ولم تقض حاجتها ، وأخبرت النبي ﷺ ، **«فقالت : يا رسول الله إني خرجت لبعض حاجتي ، فقال لي عمر كذا وكذا»** وكان عمر يريد ألا يخرجن بل يقضين حاجتهن في البيوت زيادة في الحجاب ، وهذا من شدة غيرته ﷺ ، فرفع الله تعالى الحرج وأوحى لنبيه ﷺ ، فقال ﷺ : **«إنه قد أذن لكن أن تخرجن لحاجتكن»** لأن الحاجة داعية للخروج .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وفي الحديث من الفوائد مشروعية الحجاب لأمهات المؤمنين» .

وهذا مجمع عليه ، لكن اختلف في غير أمهات المؤمنين ، هل يجب عليهن أو لا؟ والصواب الذي عليه الجمهور وأهل الحق أن الحجاب عام ، خلافًا لمن قال : إنه خاص بأمهات المؤمنين ، والدليل التعليل ؛ فالعلة عامة قال تعالى : ﴿ ذَٰلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ ﴾ [الأحزاب : ٥٣] .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «قال عياض رَحِمَهُ ٱللَّهُ : فرض الحجاب مما اختصصن به ، فهو فرض عليهن بلا خلاف في الوجه والكفين ، فلا يجوز لهن كشف ذلك في شهادة ولا غيرها ، ولا إظهار شخوصهن وأن يكن مستترات ، إلا ما دعت إليه ضرورة من بِراز ، ثم استدل بها في «الموطأ» : أن حفصة لما توفي عمر سترها النساء عن أن يرى شخصها ، وأن زينب بنت جحش جعلت لها القبة فوق نعشها ليستر شخصها ، انتهى . وليس فيما ذكره دليل على ما ادعاه من فرض ذلك عليهن ، وقد كن بعد النبي ﷺ يحججن ويطفن ، وكان الصحابة ومن بعدهم يسمعون منهن الحديث وهن مستترات الأبدان لا الأشخاص ، وقد تقدم في «الحج» قول ابن جريج لعطاء ، لما ذكر له طواف عائشة ، أقبل الحجاب أو بعده؟ قال : قد أدركت ذلك بعد الحجاب . . . قال الكرماني : فإن قلت : وقع هنا أنه كان بعد ما ضرب الحجاب ، وتقدم في «الوضوء» أنه كان قبل الحجاب ، فالجواب : لعله وقع مرتين . قلت : بل المراد بالحجاب الأول غير الحجاب الثاني ، والحاصل أن عمر ﷺ وقع في قلبه نفرة من اطلاع الأجانب على الحريم النبوي ، حتى صرح بقوله له ﷺ : احجب نساءك ، وأكد ذلك ، إلى أن نزلت آية الحجاب ، ثم قصد بعد ذلك أن لا يبدين أشخاصهن أصلًا ، ولو كن مستترات ، فبالغ في ذلك ، فمنع منه وأذن لهن في الخروج لحاجتهن دفعا للمشقة ورفعا للحرج» .

قوله : **«في يده عرق»** العرق بفتح العين وسكون الراء هو العظم الذي فيه بقية من اللحم .

المتن

[٢٥٢/ ٥٦] باب ﴿إِن تُبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا﴾ إلى قوله: ﴿شَهِيدًا﴾ [الأحزاب: ٥٤، ٥٥]

• [٤٤٠٤] حدثنا أبو اليمان، قال: أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: حدثني عروة بن الزبير، أن عائشة قالت: استأذن علي أفلح أخو أبي القعيس بعدما أنزل الحجاب، فقلت: لا آذن له حتى أستأذن فيه النبي ﷺ؛ فإن أخاه أبا القعيس ليس هو أرضعني، ولكن أرضعتني امرأة أبي القعيس، فدخل علي النبي ﷺ، فقلت: يا رسول الله، إن أفلح أخا أبي القعيس استأذن، فأبيت أن آذن له حتى أستأذنك، فقال رسول الله ﷺ: **«وما يمنعك أن تأذني عمك؟»**، قلت: يا رسول الله، إن الرجل ليس هو أرضعني، ولكن أرضعتني امرأة أبي القعيس، فقال: **«ائذني له؛ فإنه عمك، تربت يمينك»**.

قال عروة: فلذلك كانت عائشة تقول: حرموا من الرضاعة ما تحرموا من النسب.

الشرح

قوله تعالى: ﴿لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ﴾ [الأحزاب: ٥٥] فيه بيان للمحارم الذين تبدي لهم المرأة زينتها فذكر أن الآباء والأبناء والإخوان وأبناء الإخوان وأبناء الأخوات والنساء وما ملكت الأيمان -يعني: عبدها الذي ملكته بملك اليمين- هؤلاء هم محارم المرأة، فيجوز لها أن تبدي زينتها أمامهم كل بحسبه، كما قال الله تعالى في آية النور: ﴿وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءِ بُعُولَتِهِنَّ﴾ [النور: ٣١].

• [٤٤٠٤] هذا الحديث فيه دليل على أن لبن الفحل يحرم، وأن الحرمة كما تنتشر في المرضع وأقاربها كذلك تنتشر في الزوج الذي له اللبن وأقاربه، وهي مسألة خلافية بين أهل العلم، والصواب أن لبن الفحل يحرم.

قوله ﷺ: **«ائذني له؛ فإنه عمك»** حين استأذن أفلح أخو أبي القعيس على عائشة -وهو عمها من الرضاع؛ فزوجة أبي القعيس أرضعتها فكان أبو القعيس أباها من الرضاعة، فلم تأذن له، فسألت النبي ﷺ في ذلك فأمرها أن تأذن له؛ لأنه عمها؛ فدل على أن لبن الفحل يحرم.

واستدل بهذا الحديث على أنه يحرم بالصهر في الرضاع ما يحرم بالصهر في النكاح مثل : أم زوجته من الرضاع ، وبنت زوجته من الرضاع ، وزوجة ابنه من الرضاع ، وزوجة أبيه من الرضاع ، وهي مسألة خلافية ، وقد اختار شيخ الإسلام رَحِمَهُ اللَّهُ أن تحريم المصاهرة لا يثبت بالرضاع فلا يحرم على الرجل نكاح أم زوجته وابنتها من الرضاع ، ولا على المرأة نكاح أبي زوجها وأمه من الرضاع[1] .

والحديث صريح في أنه يحرم من الرضاع ما يحرم من الصهر والنسب .

وقول عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا : **«حرموا من الرضاعة ما تحرموا من النسب»** هذا من النسب لكن النكاح الصهر ، ولم تتعرض للصهر .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «وقوله في الحديث : **«ائذني له؛ فإنه عمك»** مع قوله في الحديث الآخر : **«العم صنو الأب»** وبهذا يندفع اعتراض من زعم أنه ليس في الحديث مطابقة للترجمة أصلًا ، وكأن البخاري رمز بإيراد هذا الحديث إلى الرد على من كره للمرأة أن تضع خمارها عند عمها أو خالها ، كما أخرجه الطبري من طريق داود بن أبي هند عن عكرمة والشعبي أنه قيل لهما : لِمَ لم يذكر العم والخال في هذه الآية؟ فقالا : لأنهما ينعتاها لأبنائهما ، وكرها لذلك أن تضع خمارها عند عمها أو خالها ، وحديث عائشة في قصة أفلح يرد عليهما . وهذا من دقائق ما في تراجم البخاري» اهـ .

قوله : «ينعتاها» يعني : يصفاها ، وهذا هو الصواب أن المرأة تضع خمارها عند عمها أو خالها وهو محرم وليس فيه إشكال .

* * *

---

(١) انظر «الفتاوى الكبرى» (٥/ ٤٥٨) .

المتن

[٢٥٣/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]

قال أبو العالية: صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة، وصلاة الملائكة: الدعاء.

وقال ابن عباس: ﴿يُصَلُّونَ﴾: يبركون.

﴿لَنُغۡرِيَنَّكَ﴾ [الأحزاب: ٦٠]: لنسلطنك.

• [٤٤٠٥] حدثني سعيد بن يحيى بن سعيد، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا مسعر، عن الحكم، عن ابن أبي ليلى، عن كعب بن عجرة رضي الله عنه، قيل: يا رسول الله، أما السلام عليك فقد عرفناه، فكيف الصلاة عليك؟ قال: **«قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم؛ إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم؛ إنك حميد مجيد»**.

• [٤٤٠٦] حدثنا عبدالله بن يوسف، قال: حدثنا الليث، قال: حدثني ابن الهاد، عن عبدالله بن خباب، عن أبي سعيد الخدري قال: قلنا: يا رسول الله، هذا التسليم، فكيف نصلي عليك؟ قال: **«قولوا: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك، كما صليت على آل إبراهيم، وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم»**.

• [٤٤٠٧] حدثنا إبراهيم بن حمزة، قال: حدثنا ابن أبي حازم والدراوردي، عن يزيد، وقال: **«كما صليت على إبراهيم، وبارك على محمد وآل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم»**.

قال أبو صالح عن الليث: **«على محمد وعلى آل محمد كما باركت على آل إبراهيم»**.

الشرح

هذه الترجمة على قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ وَمَلَٰٓئِكَتَهُۥ يُصَلُّونَ عَلَى ٱلنَّبِيِّۚ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ صَلُّواْ عَلَيۡهِ وَسَلِّمُواْ تَسۡلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦] فهذه الآية فيها الأمر بالصلاة والسلام على النبي ﷺ، وفيها فضل نبينا ﷺ حيث إن الله وملائكته يصلون عليه، وأمر الله المؤمنين أن يصلوا

ويسلموا عليه، والأصل في الأمر الوجوب، أي: أنه واجب، ولكن قيل: إن الصلاة على النبي ﷺ تجب في العمر مرة والباقي مستحب، ولكن هذا القول فيه نظر؛ لأن النبي ﷺ قال: «**البخيل من ذكرت عنده فلم يصل علي**»[١] ظاهره أنه يجب الصلاة عليه كلما ذكر اسمه ﷺ، وقيل: إنه يصلى عليه في كل صلاة، وأنه ركن من أركان الصلاة في التشهد الأخير كما هو مذهب الحنابلة[٢] وجماعة، وقيل: إن الصلاة على النبي ﷺ في التشهد الأخير واجب وليس بركن.

والصلاة أصح ما قيل فيها ما رواه أبو العالية هنا، وهو قوله: «**صلاة الله: ثناؤه عليه عند الملائكة**» وفي رواية: «**ثناؤه عليه في الملأ الأعلى**» فصلاة الله ثناؤه على عبده، وقيل: المراد الرحمة، وقيل: إذا أطلقت الصلاة دخل فيها الثناء والرحمة، وإذا اجتمعا خرجت الرحمة، كما في قوله تعالى: ﴿**أُولَٰئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ**﴾ [البقرة: ١٥٧] وأما صلاة الملائكة فهي الدعاء، ﴿**يُصَلُّونَ**﴾ [الأحزاب: ٥٦] يعني: يدعون.

قوله: «**وقال ابن عباس: ﴿يُصَلُّونَ﴾: يبركون**» يعني: يدعون بالبركة.

قوله تعالى: ﴿**لَنُغْرِيَنَّكَ**﴾ [الأحزاب: ٦٠] يعني: «**لنسلطنك**» عليهم.

• [٤٤٠٥] قوله: «**قيل: يا رسول الله، أما السلام عليك فقد عرفناه**» يعني: عرفوه من التشهد، وهو قوله: «**السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته**»[٣].

قوله: «**فكيف الصلاة عليك؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد، وعلى آل محمد، كما صليت على آل إبراهيم؛ إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد، وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم؛ إنك حميد مجيد**» هذا نوع من أنواع الصلاة عليه ﷺ، وفي هذا النوع الجمع بين محمد وآل محمد في الصلاة، والجمع بين محمد وآل محمد في التبريك، والصلاة والتبريك على آل إبراهيم فقط.

• [٤٤٠٦] قوله: «**قلنا: يا رسول الله، هذا التسليم**» يعني: عرفناه.

---

(١) أحمد (١/ ٢٠١)، والترمذي (٣٥٤٦).

(٢) انظر «كشاف القناع» (١/ ٣٨٨).

(٣) أحمد (١/ ٣٧٦)، والبخاري (٨٣١)، ومسلم (٤٠٢).

قوله: «**فكيف نصلي عليك؟ قال: قولوا: اللهم صل على محمد عبدك ورسولك**» هذا نوع آخر من أنواع الصلاة عليه ﷺ.

قوله: «**كما صليت على آل إبراهيم**» ذكر الصلاة على آل إبراهيم فقط.

قوله: «**وبارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم**» التبريك على محمد وعلى آل محمد وأما في إبراهيم فالتبريك على آل إبراهيم فقط.

• [٤٤٠٧] قوله: «**كما صليت على إبراهيم وبارك على محمد وآل محمد، كما باركت على إبراهيم وآل إبراهيم**» هذا نوع آخر، فالصلاة على النبي ﷺ وردت بألفاظ متعددة في بعضها الجمع بين محمد وآل محمد دون الجمع بين إبراهيم وآل إبراهيم، وأكمل ما جاء في الصلاة على النبي ﷺ ما رواه البخاري في «أحاديث الأنبياء» وهو الجمع بين محمد وآل محمد في الصلاة والتبريك والجمع بين إبراهيم وآل إبراهيم في الصلاة والتبريك حيث قال: «**اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد**»(١).

وقد خفي هذا على شيخ الإسلام ابن تيمية(٢) مع حفظه العظيم وإمامته، وكذلك ابن القيم(٣) فقالوا: لم يرد الجمع بين محمد وآل محمد وإبراهيم وآل إبراهيم في الصلاة والتبريك، فكل أحد لا بد أن يخفى عليه شيء من السنة، وقد جمع العلامة ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الفصل الوارد في الصلاة على النبي ﷺ في كتاب خاص سماه: «جلاء الأفهام في الصلاة على خير الأنام» جمع فيه روايات متعددة في الصلاة على النبي ﷺ والتبريك والصلاة على إبراهيم والتبريك وهو كتاب قيم.

واستشكل بعضهم في الصلاة قوله: «**اللهم صل على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم**»(٤) أنه طلب أو سأل الرب سبحانه وتعالى أن يصلي على محمد

---

(١) البخاري (٣٣٧٠).

(٢) انظر «مجموع الفتاوى» (٢٢/ ٤٥٦).

(٣) انظر «جلاء الأفهام» (١/ ٢٩٢).

(٤) أحمد (٤/ ٢٤٤)، والبخاري (٣٣٧٠).

وعلى آل محمد مثل الصلاة على إبراهيم وآل إبراهيم، مع أن نبينا محمدًا أفضل، وأجيب بأجوبة منها: أن إبراهيم في سلالته أنبياء ومحمد ليس في سلالته أنبياء، بل هو آخر الأنبياء، فإذا طلب الصلاة على آل محمد مثل الصلاة على آل إبراهيم وهم فيهم الأنبياء تبين فضل نبينا ﷺ، وقيل: إن هذا قبل أن يعلم الله نبيه أنه أفضل من إبراهيم، وقيل غير ذلك.

وفي رواية أبي صالح عن الليث قال: **«على محمد وعلى آل محمد»** في التبريك لقوله: **«كما باركت على آل إبراهيم»** والحديث الذي قبله: **«كما باركت على إبراهيم»** وهذا نوع ثابت أيضًا.

* * *

المتن

[٢٥٤/ ٥٦] **باب قوله تعالى: ﴿لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ﴾** [الأحزاب: ٦٩]

• [٤٤٠٨] حدثنا إسحاق بن إبراهيم، قال: أخبرنا روح بن عبادة، قال: حدثنا عوف، عن الحسن ومحمد وخلاس، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«إن موسى كان رجلا حييا؛ وذلك قوله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾** [الأحزاب: ٦٩]» الآية.

الشرح

• [٤٤٠٨] قوله ﷺ: **«إن موسى كان رجلًا حييًا»** اختصر المؤلف الحديث كعادته؛ واقتصر على محل الشاهد، وتمامه: أن موسى ﵇ وضع ثوبه على حجر؛ ليغتسل، ففر الحجر بثوبه، وكانت بنو إسرائيل رموه بأنه آدر - يعني: كبير الخصيتين - لأن بني إسرائيل كانوا يغتسلون وهم عراة، وموسى كان حييًا يغتسل وحده ويستتر، فاتهموه، وقالوا: لا يتستر موسى هذا التستر إلا لأن فيه عيبًا، ولولا أن فيه عيبًا ما تستر وتعرى مثلنا، والله تعالى أراد أن يبرئه، فلما أراد أن يغتسل يومًا خلع ثوبه ورماه على حجر وجعل يغتسل، ففر الحجر بثوبه -وهذا فيه قدرة الله العظيمة: **﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾** [يس: ٨٢] فكل شيء بيده، فأمر الله الحجر ففر بثوبه، كما أن عصا موسى إذا وضعها صارت حية، وإذا أخذها بيده صارت عصا، والله على كل شيء قدير، لا يستعصي عليه شيء وتنقاد له جميع الأشياء- فلما فر الحجر بثوبه جعل يتبعه ويقول: ثوبي حجر! ثوبي حجر! حتى مر على بني إسرائيل فرأوه، فقالوا: والله ما رأينا أحسن جسمًا منه، وليس به عيب، فنزل قوله تعالى: **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ ءَاذَوْا۟ مُوسَىٰ فَبَرَّأَهُ ٱللَّهُ مِمَّا قَالُوا۟ۚ وَكَانَ عِندَ ٱللَّهِ وَجِيهًا﴾** [الأحزاب: ٦٩] فلما رأوه سليمًا بريئًا مما عابوه نزل الحجر بثوبه، وصار موسى يعامل الحجر معاملة العاقل، وجعل يضربه بالعصا حتى أثر العصا في الحجر وإن بالحجر لندبًا مرتين أو ثلاثة من ضرب موسى(١).

---

(١) أحمد (٢/ ٥١٤)، والبخاري (٣٤٠٤)، (٣٣٩).

المتن

سورة سبأ

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿مُعَـٰجِزِينَ﴾ [سبأ: ٥]: مسابقين.

﴿سَبَقُوٓاْ﴾ [الأنفال: ٥٩]: فاتوا.

﴿لَا يُعۡجِزُونَ﴾ [الأنفال: ٥٩]: لا يفوتون.

﴿يَسۡبِقُونَا﴾ [العنكبوت: ٤]: يُعجزونا.

قوله: «معجزين»: فائتين.

ومعنى ﴿مُعَـٰجِزِينَ﴾: مغالبين، يريد كل واحد منهما أن يظهر عجز صاحبه.

﴿مِعۡشَارَ﴾ [سبأ: ٤٥]: عُشْرَ.

وقال مجاهد: ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ﴾ [سبأ: ٣]: لا يغيب عنه.

﴿سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ﴾ [سبأ: ١٦]: ماءٌ أحمرُ أرسله الله في السَّدِّ فشقَّه وهدمَه وحَفَر الواديَ، فارتفعَتا عن الجنَّتَيْن، وغار عنهما الماء فيبستا، ولم يكن الماء الأحمر من السد، ولكنه كان عذابا أرسله الله عليهم من حيث شاء.

وقال عمرو بن شرحبيل: ﴿ٱلۡعَرِمِ﴾: المسناة بلحن أهل اليمن.

وقال غيره: ﴿ٱلۡعَرِمِ﴾: الوادي.

وقال مجاهد: «هل يجازى إلا الكفور»: هل يعاقب.

﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشۡيَاعِهِم﴾ [سبأ: ٥٤]: بأمثالهم.

وقال ابن عباس: ﴿كَٱلۡجَوَابِ﴾ [سبأ: ١٣]: كالجوبة من الأرض.

يقال: الأكل: الثمر.

﴿بَـٰعِدۡ﴾ [سبأ: ١٩] وبعد واحد.

السابغات: الدروع.

﴿أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ [سبأ: ٤٦]: بطاعة الله.

﴿مَثۡنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ [سبأ: ٤٦]: واحد واثنين.

﴿ٱلتَّنَاوُشُ﴾ [سبأ: ٥٢]: الرد من الآخرة إلى الدنيا.

﴿وَبَيۡنَ مَا يَشۡتَهُونَ﴾ [سبأ: ٥٤]: من مال أو ولد أو زهرة.

الخمط: الأراك.

والأثل: الطرفاء.

﴿ٱلۡعَرِمِ﴾ [سبأ: ١٦]: الشديد.

الشرح

قوله: ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ [سبأ: ٥] يعني: **«مسابقين»**.

ثم أتى المؤلف بتصريف الكلمة مثل: **«معجزين»** بدون ألف بمعنى: **«فائتين»**، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ﴾ [هود: ٣٣]، ومعاجزيّ: مسابقيّ.

قوله: ﴿سَبَقُوٓاْ﴾ [الأنفال: ٥٩] يعني: **«فاتوا»**، وقوله: ﴿لَا يُعۡجِزُونَ﴾ [الأنفال: ٥٩] يعني: **«لا يفوتون»**، ويتضح من ذلك أنها تأتي بمعنى المعاجز: المسابق، وتأتي بمعنى المعجز: الفائت.

قوله: ﴿يَسۡبِقُونَا﴾ [العنكبوت: ٤] يعني: **«يعجزونا»**.

قوله: ﴿مُعَٰجِزِينَ﴾ [سبأ: ٥] بمعنى: **«مغالبين، يريد كل واحد منهما أن يظهر عجز صاحبه»**.

قوله: ﴿مِعۡشَارَ﴾ [سبأ: ٤٥] يعني: العشر.

قوله: ﴿لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ﴾ [سبأ: ٣] معناه: **«لا يغيب عنه»**.

قوله: ﴿سَيۡلَ ٱلۡعَرِمِ﴾ [سبأ: ١٦]: هو السد قال السُّدي: **«ماء أحمر أرسله الله في السد فشقه وهدمه وحفر الوادي، فارتفعتا عن الجنتين»**، وفي لفظ: **«عن الجنبتين» «وغار عنهما الماء فيبستا، ولم يكن الماء الأحمر من السد ولكنه كان عذابًا أرسله الله عليهم من حيث شاء»**.

قال في القاموس: «والسد: الجبل والحاجز، ويضم أو بالضم: ما كان مخلوقا لله تعالى، وبالفتح: من فعلنا»[1] يعني يقال: سَد وسُد، والمقدم فيه فتح السين.

---

(١) «القاموس المحيط» (١/ ٣٧٦) باب الدال، فصل السين.

قوله : «﴿ٱلْعَرِمِ﴾ : الوادي» .

قوله : ﴿وَهَلْ «يُجَازَىٰ» إِلَّا «الكفورُ»﴾ [سبأ : ١٧] يجازى : «يعاقب» .

وقيل : إن هذه الآية أرجأ آية في كتاب الله من جهة الحصر في الكفر ، فمفهومه أن غير الكفر بخلاف ذلك ، ومثله قوله تعالى : ﴿إِنَّا قَدْ أُوحِىَ إِلَيْنَآ أَنَّ ٱلْعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ﴾ [طه : ٤٨] وقيل : أرجأ آية : ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾ [الضحى : ٥] وقيل : ﴿فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُواْ عَن كَثِيرٍ﴾ [الشورى : ٣٠] وقيل : ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسراء : ٨٤] وقيل : ﴿قُلْ يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر : ٥٣] وقيل : آية الدين ، وقيل : ﴿وَلَا يَأْتَلِ أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓاْ أُوْلِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النور : ٢٢] وهذه كلها أقوال ذكرها الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ .

قوله : ﴿كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِم﴾ [سبأ : ٥٤] يعني : «بأمثالهم» .

قوله : «﴿كَٱلْجَوَابِ﴾ : كالجوبة من الأرض» قال تعالى : ﴿وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَٰتٍ﴾ [سبأ : ١٣] يعني : كأنها الجوبة أي : الحياض الواسعة .

قوله : «الأكل» من قوله ﷻ : ﴿ذَوَاتَىْ أُكُلٍ﴾ [سبأ : ١٦] يعني : «الثمر» .

قوله : ﴿بَٰعِدْ﴾ [سبأ : ١٩] باعد وبعد معناهما واحد .

قوله ﷻ : ﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ﴾ [سبأ : ١١] في قصة داود قال : «السابغات : الدروع» .

قوله : ﴿أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ﴾ [سبأ : ٤٦] فسرها بطاعة الله .

قوله : ﴿مَثْنَىٰ وَفُرَٰدَىٰ﴾ [سبأ : ٤٦] أي : «واحد واثنين» .

قوله : ﴿ٱلتَّنَاوُشُ﴾ [سبأ : ٥٢] يعني : «الرد من الآخرة إلى الدنيا» .

قوله : ﴿وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ﴾ [سبأ : ٥٤] قال : «من مال أو ولد أو زهرة» .

قوله : «الخمط : الأراك ، والأثل : الطرفاء» وذلك في قوله ﷻ : ﴿فَأَعْرَضُواْ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ ٱلْعَرِمِ وَبَدَّلْنَٰهُم بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَىْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ﴾ [سبأ : ١٦] ، وفسر العرم بالشديد .

* * *

المتن

[٢٥٥/ ٥٦] باب ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣]

• [٤٤٠٩] حدثنا الحميدي، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا عمرو، قال: سمعت عكرمة يقول: سمعت أبا هريرة يقول: إن نبي الله ﷺ قال: «**إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا لقوله؛ كأنه سلسلة على صفوان، فإذا ﴿فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ﴾** للذي قال: **﴿ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾** [سبأ: ٢٣]، **فيسمعها مسترق السمع، ومسترق السمع هكذا بعضه فوق بعض**»، وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه، «**فيسمع الكلمة ويلقيها إلى من تحته، ثم يلقيها الآخر إلى من تحته، حتى يلقيها على لسان الساحر، أو الكاهن، فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها، وربما ألقاها قبل أن يدركه، فيكذب معها مائة كذبة، فيقال: أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا: كذا وكذا؟ فيصدق بتلك الكلمة التي سمعت من السماء**».

الشرح

هذه الترجمة فيها بيان أن الله تعالى هو مستحق للعبادة وحده، وأنه لا يستحق العبادة غيره.

قوله تعالى في هذه الآية: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ﴾ [سبأ: ٢٣] فالضمير يعود إلى الملائكة يعني: زال الفزع من قلوبهم، وفي هذه الآية بيان عظمة الرب سبحانه وتعالى، وأنه مستحق للعبادة، وأن الملائكة لا يستحقون العبادة؛ لأنهم يصيبهم الفزع والخوف؛ ومن يصيبه الفزع والخوف لا يصلح للعبادة.

قوله تعالى: ﴿قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ قَالُواْ ٱلْحَقَّ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْكَبِيرُ﴾ [سبأ: ٢٣] فيه دليل على إثبات الكلام للرب ﷻ وإثبات القول، وإثبات اسم العلي والكبير وأنهما من أسماء الله، والعلي مشتمل على صفة العلو، والكبير مشتمل على صفة العظمة والكبر.

• [٤٤٠٩] قوله: «**إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانا**» يقال: خَضعانًا وخُضعانًا وجهان.

قوله: «**لقوله**» يعني: القول المسموع من كلام الله.

قوله : «**كأنه سلسلة على صفوان**» في لفظ : «**ينفذهم ذلك**»[1] يعني : ينفذ الملائكة الصوت .

قوله : ﴿**فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمْ**﴾ يعني : إذا زال الفزع .

قوله : «﴿**قَالُوا مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ**﴾ للذي قال : ﴿**الْحَقَّ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْكَبِيرُ**﴾ [سبأ : ٢٣] **فيسمعها مسترق السمع**» يعني : الكلمة التي يتحدث بها الملائكة من كلام الله ﷻ ، ومسترق السمع : هو الشيطان .

قوله : «**هكذا بعضه فوق بعض ، وصفه سفيان بكفه فحرفها وبدد بين أصابعه**» الحرف مقابل البسط ، وبدد بين الأصابع : فرق بينها ، يعني : شد بعضها فوق بعض بدون تلاصق ، فجعلها حرفًا واحدًا فوق واحد .

قوله : «**فيسمع الكلمة ويلقيها إلى من تحته**» أي : فيسمع الأعلى الكلمة .

قوله : «**ثم يلقيها الآخر إلى من تحته**» حتى تصل إلى الشيطان الذي في الأرض .

قوله : «**حتى يلقيها على لسان الساحر أو الكاهن**» والشهب خلفهم تحرقهم .

قوله : «**فربما أدرك الشهاب قبل أن يلقيها ، وربما ألقاها قبل أن يدركه**» أي : مرة يحرق الشهاب الشيطان الذي في الأرض فيصله الحريق قبل أن يلقيها ويهلك ، ومرة يلقيها في أذن الكاهن يقرها كقر الدجاجة قر قر قر .

قوله : «**فيكذب معها مائة كذبة**» أي : إذا وصلت إلى الكاهن كذب معها مائة كذبة وأخبر الناس بهذا الكذب ، وفي هذا الكذب الكلمة التي سمعت ؛ فيصدق الناس الكاهن في جميع الكذب من أجل واحدة ، وهذا فيه دليل على قبول الناس للشر كيف لا يعتبرون بمائة ويعتبرون بواحدة؟!

قوله : «**أليس قد قال لنا يوم كذا وكذا : كذا وكذا؟**» يعني : فوقع .

قوله : «**فيصدق**» يعني : في جميع الكذب من أجل تلك الكلمة .

قوله : «**بتلك الكلمة التي سمعت من السماء**» يعني : إن الشياطين المسترقين للسمع يكون بعضهم فوق بعض من دون ملاصقة ؛ لأن أرواحهم خفيفة والله تعالى أعطاهم القدرة على الطيران في الهواء والوقوف فيه ، والجن والشياطين أقسام ، منهم : من له القدرة على الصعود والطيران ، ومنهم من روحه صغيرة ضعيفة لا يقدر بها على الصعود واستراق السمع .

---

(١) البخاري (٤٧٠١) .

المتن

[٢٥٦/ ٥٦] باب قوله تعالى:
﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾ [سبأ: ٤٦]

• [٤٤١٠] حدثنا علي بن عبدالله، قال: حدثنا محمد بن خازم، قال: حدثنا الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: صعد النبي ﷺ الصفا ذات يوم، فقال: **«يا صباحاه»**، فاجتمعت إليه قريش، فقالوا: ما لك؟ فقال: **«أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو يصبحكم أو يمسيكم، أما كنتم تصدقوني؟»**، قالوا: بلى، قال: **«فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»**، فقال أبو لهب: تبا لك، ألهذا جمعتنا؟ فأنزل الله: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١].

الشرح

هذه الآية فيها أن النبي ﷺ قام بالإنذار لقومه؛ امتثالًا لأمر ربه، فقال ﷻ: **﴿إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾** [سبأ: ٤٦] فالنبي نذير وبشير كما أتى في آية أخرى **﴿إِنْ أَنَا إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾** [الأعراف: ١٨٨] فهو نذير لمن عصاه وبشير لمن أطاعه ﷺ، وهو البشير النذير والسراج المنير ﷺ.

• [٤٤١٠] هذا الحديث فيه أن النبي ﷺ لما نزل عليه قول الله تعالى: **﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾** [الشعراء: ٢١٤] «صعد الصفا» يعني: الجبل المرتفع.

قوله: **«فقال: يا صباحاه»** ذلك على عادة العرب أنهم إذا حزب الواحد أمر يصعد على المكان المرتفع وينادي: يا صباحاه.

قوله: **«فاجتمعت إليه قريش فقالوا: ما لك؟»** يعني: ما الذي تريد؟

قوله: **«أرأيتم لو أخبرتكم أن العدو يصبحكم أو يمسيكم، أما كنتم تصدقوني؟ قالوا: بلى»** فما جربنا عليك كذبًا قبل ذلك.

قوله: **«فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد»** يعني: أنذركم عذاب الله، وفي اللفظ الآخر أنه خص وعم ونادى قريشًا فقال: **«يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغني عنكم**

من الله شيئا يا بني عبد مناف لا أغني عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا أغني عنك من الله شيئا ، ويا صفية عمة رسول الله لا أغني عنك من الله شيئا ، ويا فاطمة بنت محمد سليني ما شئت من مالي لا أغني عنك من الله شيئا»(١) .

قوله : **«فقال أبو لهب : تبًا لك ، ألهذا جمعتنا؟»** التب يعني : الخسارة ، فنزلت : ﴿**تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ**﴾ [المسد : ١] وكان أبو لهب عمه ، وهذا من المصائب العظيمة على الداعية إذا كان من قرابته أو أهل بيته من يرد دعوته وينفر الناس عنه ، فإنه يقف حجر عثرة في طريق الدعوة وقبول الناس لها .

❊ ❊ ❊

---

(١) أحمد (٢/ ٣٩٨) ، والبخاري (٢٧٥٣) ، ومسلم (٢٠٦) .

المتن

سورة الملائكة ويس

بسم الله الرحمن الرحيم

القطمير: لفافة النواة.

وقال ابن عباس: ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧]: أشد سواد الغربيب.

وقال مجاهد: ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ [يس: ٣٠]: وكان حسرةً عليهم استهزاؤهم بالرسل.

﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [يس: ٤٢]: من الأنعام.

﴿فَٰكِهُونَ﴾ [يس: ٥٥]: معجبون.

الشرح

سورة الملائكة هي سورة فاطر يقال لها: سورة الملائكة؛ لأن فيها ذكر الملائكة: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١].

وتسمى سورة فاطر لقوله: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ﴾.

فالملائكة رسل الله ينفذون أمر الله الديني والكوني كما قال تعالى: ﴿يُنَزِّلُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ بِٱلرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ﴾ [النحل: ٢]. وهنا قال: ﴿جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ﴾ يعني: لهم أجنحة، ﴿مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ﴾.

ولم يجد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديثًا على شرطه؛ ولهذا اكتفى بتفسير الكلمات التي قد يشكل معناها كعادته.

قوله: «**القطمير: لفافة النواة**» فالنواة التي في وسط التمرة عليها لفافة أو قشرة بيضاء فهذه القطمير، وذلك في قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِۦ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ﴾ [فاطر: ١٣] فالمعبودون من دون الله لا يملكون ولا مثل اللفافة، فكيف يعبدون من دون الله وهم لا يملكون؟! فالمعبود لابد أن يكون مالكًا للنفع!

قوله : «**وقال ابن عباس** : ﴿وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر : ٢٧] **أشد سواد الغربيب**» يعني : الجبال أنواع : منها بيض ، ومنها حمر ، ومنها سود شديدة السواد .

قوله : ﴿يَٰحَسْرَةً عَلَى ٱلْعِبَادِ﴾ [يس : ٣٠] ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ قول مجاهد في تفسيرها فقال : «**وكان حسرةً عليهم استهزاؤهم بالرسل**» .

قوله : ﴿مِّن مِّثْلِهِۦ﴾ [يس : ٤٢] قال : «**من الأنعام**» .

قوله : ﴿فَٰكِهُونَ﴾ [يس : ٥٥] قال : «**معجبون**» .

❊ ❊ ❊

المتن

سورة يس

بسم الله الرحمن الرحيم

وقال ابن عباس : ﴿ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ [النمل : ٤٧] : مصائبكم .

﴿ يَنسِلُونَ ﴾ [يس : ٥١] : يخرجون .

الشرح

قوله : ﴿ طَٰٓئِرُكُمْ عِندَ ٱللَّهِ ﴾ يعني : مصائبكم وما أصابكم من سوء فبسبب ذنوبكم .

قوله : ﴿ يَنسِلُونَ ﴾ يعني : «**يخرجون**» أي : يأجوج ومأجوج .

***

المتن

[٥٦/٢٥٧] باب ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَا ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]

﴿فَعَزَّزۡنَا﴾ [يس: ١٤]: فشددنا.

• [٤٤١١] حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر قال: كنت مع النبي ﷺ في المسجد عند غروب الشمس، فقال: **«يا أبا ذر، أتدري أين تغرب الشمس؟»**، قلنا: الله ورسوله أعلم، قال: **«فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش؛ وذلك قوله: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَاۚ ذَٰلِكَ تَقۡدِيرُ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡعَلِيمِ﴾ [يس: ٣٨]»**.

• [٤٤١٢] حدثنا الحميدي، قال: حدثنا وكيع، قال: حدثنا الأعمش، عن إبراهيم التيمي، عن أبيه، عن أبي ذر قال: سألت النبي ﷺ عن قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّمۡسُ تَجۡرِي لِمُسۡتَقَرّٖ لَّهَا﴾، قال: **«مستقرها تحت العرش»**.

الشرح

• [٤٤١١] في هذا الحديث قال النبي ﷺ: **«يا أبا ذر، أتدري أين تغرب الشمس؟ قلنا: الله ورسوله أعلم»** فيه أنه يقال في حياته ﷺ: «الله ورسوله أعلم» أما بعد مماته فيقال: الله أعلم؛ لأنه لا يعلم الغيب، لكن لو قيل: «الله ورسوله أعلم» في المسائل الشرعية فلا بأس.

قوله: **«فإنها تذهب حتى تسجد تحت العرش»** يعني: تسجد تحت العرش عند محاذاتها وسطه بعد الغروب كل ليلة، وليس في سجودها كل ليلة ما يعيق عن دورانها في سيرها، والله أعلم بكيفية السجود، فنحن لا نعلم كيفية السجود، ولا يخفى أن العرش محيط بالعالم فكيف تسجد تحت العرش والعرش تحته العالم كله؟! لكن المعنى أنها إذا حاذت وسطه سجدت على كيفية الله أعلم بها.

وجاء في الحديث الآخر: أنه في آخر الزمان تستأذن الشمس فلا يؤذن لها ويقال لها: ارجعي من حيث جئت فتطلع من المغرب وهذا الشرط من أشراط الساعة الكبار وإذا طلعت الشمس من مغربها آمن الناس بالله وحينئذٍ لا ينفع نفس إيمانها.

• [٤٤١٢] في هذا الحديث لما سئل النبي ﷺ عن هذه الآية ﴿وَٱلشَّمْسُ تَجْرِى لِمُسْتَقَرٍّ لَّهَا﴾ [يس: ٣٨] فسر ذلك بقوله: «مستقرها تحت العرش».

والشمس تشرق من المشرق وتغرب من المغرب فهي تدور وليست ثابتة، وهذا واضح من نص القرآن.

* * *

المتن

سورة ﴿وَٱلصَّٰٓفَّٰتِ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

قال مجاهد : ﴿تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الصافات : ٢٨] : يعني الجن الكفار ، تقوله للشيطان .

﴿يُهْرَعُونَ﴾ [الصافات : ٧٠] : كهيئة الهرولة .

﴿بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات : ٤٩] : اللؤلؤ المكنون .

الأسباب : السماء .

ويقال : ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ [الصافات : ١٤] : يسخرون .

وقال ابن عباس : ﴿لَنَحْنُ ٱلصَّآفُّونَ﴾ [الصافات : ١٦٥] : الملائكة .

الشرح

قوله : ﴿تَأْتُونَنَا عَنِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الصافات : ٢٨] يعني : يقول الجن الكفار للشياطين : إنكم تضلوننا عن الحق .

قوله : ﴿يُهْرَعُونَ﴾ [الصافات : ٧٠] يعني : «**كهيئة الهرولة**» .

قوله : ﴿بَيْضٌ مَّكْنُونٌ﴾ [الصافات : ٤٩] هو : «**اللؤلؤ المكنون**» .

قوله : ﴿يَسْتَسْخِرُونَ﴾ [الصافات : ١٤] يعني : «**يسخرون**» .

وفي غير رواية أبي ذر قوله : ﴿وَيَقْذِفُونَ بِٱلْغَيْبِ مِن مَّكَانٍ بَعِيدٍ﴾ [سبأ : ٥٣] «من كل مكان» ، وقوله : ﴿وَيُقْذَفُونَ مِن كُلِّ جَانِبٍ﴾ [الصافات : ٨] «يرمون» .

وقوله : ﴿عَذَابٌ وَاصِبٌ﴾ [الصافات : ٩] : «**هو الدائم**» .

وقوله : ﴿مِّن طِينٍ لَّازِبٍ﴾ [الصافات : ١١] يعني : «**اللازم**» .

وقوله : ﴿لَا فِيهَا غَوْلٌ﴾ [الصافات : ٤٧] يعني : «**خمر الجنة ليس فيها غول وهو وجع البطن**» .

وقوله : ﴿وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنزَفُونَ﴾ [الصافات : ٤٧] يعني : **«لا تذهب عقولهم بخلاف خمر الدنيا فإن فيه وجع البطن وذهاب العقول»** .

وقوله : ﴿قَرِينٌ﴾ [الصافات : ٥١] هو : **«الشيطان»** .

وقوله : ﴿يَزِفُّونَ﴾ [الصافات : ٩٤] يعني : **«يزفون النسلان في المشي»** .

وقوله : ﴿وَجَعَلُوا بَيْنَهُۥ وَبَيْنَ ٱلْجِنَّةِ نَسَبًا﴾ [الصافات : ١٥٨] يعني : **«قال كفار قريش : الملائكة بنات الله ، وأمهاتهم أمهات الملائكة بنات سروات الجن»** .

وقوله : ﴿صِرَاطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات : ٢٣] فسره بأنه : **«وسط الجحيم»** .

وقوله : ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِّنْ حَمِيمٍ﴾ [الصافات : ٦٧] يعني : **«يخلط طعامهم ويساط بالحميم»** ، والعياذ بالله .

وقوله : ﴿وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي ٱلْآخِرِينَ﴾ [الصافات : ٧٨] يعني : **«يذكر بالخير»** .

وقوله : ﴿أَتَدْعُونَ بَعْلًا﴾ [الصافات : ١٢٥] يعني : **«أتدعون هذا البعل ربًّا»** .

* * *

المتن

[٢٥٨/ ٥٦] باب ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾ [الصافات: ١٣٩]

• [٤٤١٣] حدثنا قتيبة بن سعيد، قال: حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي وائل، عن عبدالله، قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما ينبغي لأحد أن يكون خيرا من يونس بن متى»**.

• [٤٤١٤] حدثني إبراهيم بن منذر، قال: حدثنا محمد بن فليح، قال: حدثني أبي، عن هلال بن علي من بني عامر بن لؤي، عن عطاء بن يسار، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: **«من قال: أنا خير من يونس بن متى، فقد كذب»**.

الشرح

• [٤٤١٣] هذا الحديث فيه أن يونس عليه السلام من المرسلين، وهو نبي كريم ورسول أرسله الله إلى أمة عظيمة فآمن به مائة ألف أو يزيدون.

قوله: **«ما ينبغي لأحد أن يكون خيرا من يونس بن متى»** فيه أنه لا يجوز ولا ينبغي لإنسان أن يقول: أنا خير من يونس بن متى.

• [٤٤١٤] قوله: **«من قال: أنا خير من يونس بن متى، فقد كذب»** لأنه نبي كريم، فقد يتوهم بعض الناس من كون يونس عليه السلام غضب من قومه وذهب وركب البحر وابتلعه الحوت أن هذا نقص في حقه، وأنه خير من يونس بن متى، فمن قال ذلك فهو كاذب، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ۝ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ۝ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ۝ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ۝ لَلَبِثَ فِي بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ۝ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ۝ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ۝ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ۝ فَـَٔامَنُوا۟ فَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [الصافات: ١٣٩ - ١٤٨].

* * *

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ص

• **[٤٤١٥]** حدثني محمد بن بشار، قال: حدثنا غندر، قال: حدثنا شعبة، عن العوام قال: سألت مجاهدا عن السجدة في ص، قال: سئل ابن عباس فقال: ﴿**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾ [الأنعام: ٩٠]، وكان ابن عباس يسجد فيها.

• **[٤٤١٦]** حدثني محمد بن عبدالله، قال: حدثنا محمد بن عبيد الطنافسي عن العوام قال: سألت مجاهدا عن سجدة في ص، فقال: سألت ابن عباس: من أين سجدت؟ فقال: أوما تقرأ ﴿**وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ**﴾ [الأنعام: ٨٤]، ﴿**أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهُدَاهُمُ اقْتَدِهْ**﴾ [الأنعام: ٩٠]؛ فكان داود ممن أمر نبيكم أن يقتدي به، فسجدها داود عليه السلام؛ فسجدها رسول الله ﷺ.

﴿**عُجَابٌ**﴾ [ص: ٥]: عجيب.

القط: الصحيفة وهو هاهنا صحيفة الحسنات.

وقال مجاهد: ﴿**عِزَّةٍ**﴾ [ص: ٢]: معازين.

﴿**الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ**﴾ [ص: ٧]: ملة قريش.

الاختلاق: الكذب.

﴿**الْأَسْبَابِ**﴾ [ص: ١٠]: طرق السماء في أبوابها.

قوله: ﴿**جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ الْأَحْزَابِ**﴾ [ص: ١١] يعني قريشا.

﴿**أُولَٰئِكَ الْأَحْزَابُ**﴾ [ص: ١٣]: القرون الماضية.

﴿**فَوَاقٍ**﴾ [ص: ١٥]: رجوع.

﴿**قِطَّنَا**﴾ [ص: ١٦]: عذابنا.

﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾ [ص: ٦٣]: أحطنا بهم.

﴿أَتْرَابٌ﴾ [ص: ٥٢]: أمثال.

وقال ابن عباس: ﴿ٱلْأَيْدِ﴾ [ص: ١٧] القوة في العبادة، ﴿وَٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [ص: ٤٥] البصر في أمر الله.

الشرح

• [٤٤١٥]، [٤٤١٦] هذان الحديثان في سجدة ﴿صٓ﴾ وهي قوله تعالى: ﴿وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ﴾ [ص: ٢٤]، فذهب بعض الفقهاء إلى أنه يسجد في ﴿صٓ﴾ خارج الصلاة ولا يسجد في الصلاة؛ لأنها سجدة شكر؛ حتى إن بعضهم قال: لو سجد داخل الصلاة لم تصح صلاته، والصواب الذي عليه المحققون أنها سجدة داخل الصلاة وخارجها؛ لأن النبي ﷺ سجدها فنحن نسجدها، وقد سبق في أبواب سجدات القرآن حديث ابن عباس أنه قال: «ليس ﴿صٓ﴾ من عزائم السجود، وقد رأيت رسول الله ﷺ يسجد فيها»[(١)]. فلما سجدها ﷺ دل على أنها سجدة داخل الصلاة وخارجها.

قوله: **«سئل ابن عباس فقال: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾** [الأنعام: ٩٠] **وكان ابن عباس يسجد فيها»** فلما سئل مجاهد عن السجدة التي في ﴿صٓ﴾ أجاب بما أجاب به ابن عباس لما سئل عنها.

وأما قول ابن عباس: «ليست ﴿صٓ﴾ من عزائم السجود» يعني: ليست من السجدات المؤكدة، فهذا اجتهاد منه.

قوله: **«أوما تقرأ: ﴿وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ﴾** [الأنعام: ٨٤] **﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾** [الأنعام: ٩٠] **فكان داود ممن أمر نبيكم أن يقتدي به، فسجدها داود** عليه السلام **فسجدها رسول الله ﷺ»** وهذا صريح في أن الرسول ﷺ سجدها، وهذا فيه الرد على من قال: إنها ليست سجدة، ومن قال: إنها لا تكون داخل الصلاة، أو قال: إنها تبطل الصلاة؛ فهذا كلام باطل.

---

(١) البخاري (١٠٦٩).

قوله : ﴿عُجَابٌ﴾[ص : ٥] : أي : «عجيب».

قوله : «القط : الصحيفة وهو هاهنا صحيفة الحسنات» وذلك في قوله تعالىٰ : ﴿وَقَالُواْ رَبَّنَا عَجِّل لَّنَا قِطَّنَا﴾ [ص : ١٦] كذا فسرها هنا وأتىٰ بها مرة أخرىٰ فقال بعد ذلك : «﴿قِطَّنَا﴾ : عذابنا». يعني : عجل لنا نصيبنا من العذاب وما وعدتنا به قبل يوم القيامة.

قوله : ﴿عِزَّةٍ﴾[ص : ٢] قال مجاهد : «معازين».

قوله : «﴿ٱلْمِلَّةِ ٱلْآخِرَةِ﴾[ص : ٧] : ملة قريش» وهي الوثنية ، والآخرة بمعنى الأخرىٰ.

قوله : «الاختلاق : الكذب» يعني في قوله : ﴿إِنْ هَٰذَآ إِلَّا ٱخْتِلَٰقٌ﴾[ص : ٧].

قوله : ﴿فِى ٱلْأَسْبَٰبِ﴾[ص : ١٠] أي : «طرق السماء في أبوابها».

قوله : «﴿جُندٌ مَّا هُنَالِكَ مَهْزُومٌ مِّنَ ٱلْأَحْزَابِ﴾[ص : ١١] يعني : قريشًا» أي : مهزومون.

قوله : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلْأَحْزَابُ﴾[ص : ١٣] يعني : «القرون الماضية».

قوله : ﴿فَوَاقٍ﴾[ص : ١٥] يعني : «رجوع».

قوله : ﴿أَتَّخَذْنَٰهُمْ سِخْرِيًّا﴾[ص : ٦٣] يعني : «أحطنا بهم».

قوله : ﴿أَتْرَابٌ﴾[ص : ٥٢] يعني : «أمثال».

قوله : ﴿ٱلْأَيْدِ﴾[ص : ١٧] قال ابن عباس : «القوة في العبادة».

وجاء في غير رواية أبي ذر قوله : ﴿حُبَّ ٱلْخَيْرِ عَن ذِكْرِ رَبِّى﴾[ص : ٣٢] أي : «من ذكر».

قوله : ﴿فَطَفِقَ﴾[ص : ٣٣] يعني : «سليمان» ، وقوله : ﴿مَسْحًۢا﴾[ص : ٣٣] يعني : «يمسح أعراف الخيل وعراقيبها».

وقوله : ﴿رُدُّوهَا عَلَىَّ﴾ يعني : «الخيل» ﴿فَطَفِقَ مَسْحًۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلْأَعْنَاقِ﴾[ص : ٣٣].

وفي معنىٰ مسح السوق والأعناق قولان :

القول الأول : وهو الأظهر أن المراد يذبحها ويضرب أعناقها وسوقها بالسيف ؛ غضبًا وغيرة لله ؛ حيث فوتت عليه الصلاة حتىٰ توارت الشمس بالحجاب ، وكونه ضرب سوقها مع أن ذلك فيه تعذيب للحيوان ، فلعل هذا جائز في شريعته التوراة فداود وسليمان ممن يعملون بشريعة التوراة.

القول الثاني: أن المراد يمسح ناصية الخيل وهو الشعر الذي على الرقبة ويمسح ساقها تعجبًا واستنكارًا من تفويتها إياه الصلاة، ولكن المعنى الأول أظهر؛ ولأن مسح السوق لا وجه له ولا يمسح في العادة.

وقوله: ﴿**وَءَاخَرِينَ مُقَرَّنِينَ فِى ٱلْأَصْفَادِ**﴾ [ص: ٣٨] الأصفاد: «**الوثاق**».

قوله: ﴿**وَٱلْأَبْصَٰرِ**﴾ [ص: ٤٥] يعني: «**البصر في أمر الله**».

* * *

المتن

[٢٥٩/ ٥٦] باب قوله تعالى:
﴿هَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ [ص:٣٥]

• [٤٤١٧] حدثني إسحاق بن إبراهيم، قال: أخبرنا روح ومحمد بن جعفر، عن شعبة، عن محمد بن زياد، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: **«إن عفريتا من الجن تفلت علي البارحة** - أو كلمة نحوها؛ **ليقطع علي الصلاة، فأمكنني الله منه، وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم، فذكرت قول أخي سليمان: رب هب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي إنك أنت الوهاب»**.

قال روح: فرده خاسئا.

الشرح

ترجم المؤلف هذا الباب على قوله تعالى: ﴿رَبِّ ٱغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَّا يَنبَغِي لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِيٓ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ﴾ فسليمان سأل ربه أن يهب له ملكًا خاصًّا به لا يكون لأحد من بعده، فاستجاب الله له حيث قال: ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ﴾ [ص: ٣٦] فسخر الله لهذا النبي الريح تجري بأمره وتحمله إلى المكان الذي يريد من ملكه، وسخر له الشياطين فمنهم بناء ومنهم غواص ومنهم المقرنون في الأصفاد -أي موثوقون بالأغلال- ﴿يَعْمَلُونَ لَهُۥ مَا يَشَآءُ﴾ [سبأ: ١٣] أي: يصنعون له ما يريد ﴿مِن مَّحَٰرِيبَ وَتَمَٰثِيلَ وَجِفَانٍ كَٱلْجَوَابِ﴾ [سبأ: ١٣] أي: يجعلون ﴿مَّحَٰرِيبَ﴾ جمع محراب، وهو مكان العبادة، ﴿وَتَمَٰثِيلَ﴾ جمع تمثال، وهو ما يصور من حجر أو خشب أو طين أو غيره وكان هذا جائزًا في شريعة سليمان، ﴿وَجِفَانٍ﴾ جمع جفنة وهي ما يؤكل فيها الطعام، مثل القدر الكبيرة، ﴿كَٱلْجَوَابِ﴾ كالحياض، وبعضهم مصفد مغلول مسخر له، وبعضهم يغوص في البحار يستخرج له ما يريد، وكل هذا ملك خاص بسليمان.

• [٤٤١٧] في هذا الحديث قصة حدثت للنبي ﷺ مع عفريت من الجن.

قوله ﷺ: **«إن عفريتًا من الجن تفلت علي البارحة - أو كلمة نحوها»** هذه اللفظة شك من الراوي.

قوله : **«ليقطع علي الصلاة»** فيه شدة عداوة الشيطان للإنسان ، وفي رواية : **«إن عدو الله إبليس جاء بشهاب من نار ليجعله في وجهي»** (١) فإذا كان يفعل هذا مع الرسول ﷺ فكيف بغيره؟! .

قوله ﷺ : **«فأمكنني الله منه»** وفي اللفظ الآخر : **«فخنقته حتى وجدت برد لسانه على كفي»** (٢) .

قوله : **«وأردت أن أربطه إلى سارية من سواري المسجد»** يعني : عمودًا .

قوله : **«حتى تصبحوا وتنظروا إليه كلكم»** ، وفي اللفظ الآخر : **«يتلاعب به صبيان المدينة»** (٣) .

قوله ﷺ : **«فذكرت قول أخي سليمان : رب هب لي ملكًا لا ينبغي لأحد من بعدي»** وذلك لأن سليمان عليه السلام سخرت له الشياطين ، فمنهم البناء والغواص ، ومنهم المقرنون في الأصفاد ، وكذلك بساط الريح ؛ فهذا الملك خاص بسليمان عليه السلام ؛ لذلك لما أراد النبي ﷺ أن يربط العفريت بسارية من سواري المسجد خشي النبي ﷺ - يعني : توهم - أن يكون هذا نوع مشاركة لسليمان في ملكه ؛ لأن هذا تسخير للشياطين ، ولذلك أطلقه النبي ﷺ ، وفي هذا تأدب منه ﷺ مع أخيه سليمان عليه السلام واحترام لما اختص به .

قوله : **«فرده خاسئًا»** هذا في رواية روح كما ذكر المؤلف .

* * *

---

(١) مسلم (٥٤٢) .
(٢) أحمد (١/ ٤١٣) ، وابن حبان في «صحيحه» (٦/ ١١٤) ، والدارقطني في «السنن» (١/ ٣٦٥) .
(٣) أحمد (٣/ ٨٢) .

المتن

[٢٦٠/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]

• [٤٤١٨] حدثنا قتيبة بن سعيد، قال: حدثنا جرير، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، قال: دخلنا على عبدالله بن مسعود قال: يا أيها الناس، من علم شيئا فليقل به، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم؛ فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم، قال الله لنبيه: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]، وسأحدثكم عن الدخان، إن رسول الله ﷺ دعا قريشا إلى الإسلام فأبطئوا عليه، فقال: «**اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف**»، فأخذتهم سنة فحصت كل شيء حتى أكلوا الميتة والجلود، حتى جعل الرجل يرى بينه وبين السماء دخانا من الجوع، قال الله ﷻ ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِى ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان: ١٠، ١١] قال: فدعوا ﴿رَّبَّنَا ٱكْشِفْ عَنَّا ٱلْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ۝ أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ۝ ثُمَّ تَوَلَّوْا۟ عَنْهُ وَقَالُوا۟ مُعَلَّمٌ مَّجْنُونٌ ۝ إِنَّا كَاشِفُوا۟ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا ۚ إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ [الدخان: ١٢ - ١٥]، أفيكشف العذاب يوم القيامة، قال: فكشف ثم عادوا في كفرهم، فأخذهم الله يوم بدر، قال الله ﷻ: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦].

الشرح

• [٤٤١٨] هذا الحديث على هذه الآية ﴿وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦] والحديث لعبدالله بن مسعود، وقد سبق أن كرر المؤلف هذا الحديث، وسبب هذا الحديث أن رجلًا من كندة كان يحدث ويقص ويعظ الناس ويقول: إن هناك دخانًا سيأتي في آخر الزمان يصيب المؤمن كهيئة الزكام، ويدخل في أنف الكافر وسمعه وبصره، فسأل مسروق عبدالله بن مسعود وقال: إن رجلًا يحدث الناس ويقول كذا وكذا، فغضب عبدالله بن مسعود ثم خطب.

قوله: «**يا أيها الناس، من علم شيئًا فليقل به ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم؛ فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم: الله أعلم، قال الله لنبيه: ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾** [ص: ٨٦]» فظن عبدالله بن مسعود أن هذا تكلف من هذا الرجل الذي يقول: سيأتي دخان وكذا وكذا، وابن مسعود يقول: ليس هناك إلا دخان واحد وهو الذي سبق.

وقول ابن مسعود : **«ومن لم يعلم فليقل : الله أعلم ؛ فإن من العلم أن يقول لما لا يعلم : الله أعلم»** سماه علمًا وهذا حق ؛ فإن العلم بالنسبة إلي الإنسان نوعان : موجود ومفقود فإذا سئل عن الموجود أجاب بما يعلمه ، وإذا سئل عن المفقود الذي لا يعلمه قال : لا أدري ، أو قال : لا أعلم ، فلا أدري نصف العلم ، فنصف تعلمه ونصف لا تعلمه ، والذي لا تعلمه يقابل الذي تعلمه ؛ فيكون لا أعلم نصف العلم .

وقد كثرت الجرأة على الفتوى بغير علم في هذا الزمن ، كل يفتي ، فصار بعض الناس يفتي في القنوات الفضائية ، وبعض الناس يفتي في الصحف ، وبعض الناس يفتي في المجلات ، وبعض الناس يفتي في المجالس ، وهذه جرأة ، والواجب على الإنسان الورع ولا يتكلم إلا بما يعلم ، فهذا من العلم بل هو نصف العلم .

قوله : **«وسأحدثكم عن الدخان»** يعني : الذي تكلم فيه هذا الواعظ .

قوله : **«إن رسول الله ﷺ دعا قريشًا إلى الإسلام فأبطئوا عليه ، فقال : اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف ، فأخذتهم سنة»** يعني : جدب .

قوله : **«فحصت كل شيء حتى أكلوا الميتة والجلود ، حتى جعل الرجل يرى بينه وبين السماء دخانًا من الجوع»** هذا هو الدخان الذي أصاب قريشًا ، وليس هناك دخان غيره ، هكذا فهم ابن مسعود ، واستدل بقول الله ﷻ : ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ۝ يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الدخان : ١٠ - ١١] **«قال : فدعوا** ﴿رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ﴾ [الدخان : ١٢]» قال الله : ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ۝ ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ۝ إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلۡعَذَابِ قَلِيلًاۚ إِنَّكُمۡ عَآئِدُونَ﴾ [الدخان : ١٣ - ١٥] .

قوله : **«أفيكشف العذاب يوم القيامة»** استدل ابن مسعود به على قوله : إن الدخان قد ذهب ، ولو كان دخان يوم القيامة فلن يكشف .

قوله : **«قال : فكشف ثم عادوا في كفرهم ، فأخذهم الله يوم بدر ، قال الله ﷻ :** ﴿يَوۡمَ نَبۡطِشُ ٱلۡبَطۡشَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان : ١٦] » حيث قتل منهم سبعون وأسر سبعون ، وهذا الدخان الذي ذكره ابن مسعود حق ، فقد وقع على قريش ثم كشف ، لكن هناك دخان آخر سيقع في آخر الزمان ، وهو من أشراط الساعة ، ويكشف أيضًا ، وقد خفي على ابن مسعود هذا مع علمه وفضله ، وفيه أنه قد يخفى على الأكابر بعض العلم ويعلمه من دونهم .

المتن

سورة الزمر

بسم الله الرحمن الرحيم

وقال مجاهد : ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ﴾ [الزمر : ٢٤] يجر على وجهه في النار ، وهو قوله : ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [فصلت : ٤٠] .

﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ [الزمر : ٢٩] : صالحا .

وقال غيره : ﴿مُتَشَٰكِسُونَ﴾ [الزمر : ٢٩] : الرجل الشكس العسر لا يرضى بالإنصاف .

﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر : ٢٣] ليس من الاشتباه ، ولكن يشبه بعضه بعضا في التصديق .

﴿غَيْرَ ذِي عِوَجٍ﴾ [الزمر : ٢٨] : لبس .

«خولنا» : أعطينا .

﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ [الزمر : ٢٩] ، ويقال : سالما صالحا .

﴿ٱشْمَأَزَّتْ﴾ [الزمر : ٤٥] : **نفرت** .

﴿بِمَفَازَتِهِمْ﴾ [الزمر : ٦١] من **الفوز** .

﴿حَآفِّينَ﴾ [الزمر : ٧٥] : أطافوا به ، مطيفين بحفافيه : بجانبيه .

الشرح

قوله : **«سورة الزمر»** بفتح الميم مع ضم الزاي هذا لفظ الآية : ﴿وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ زُمَرًا﴾ [الزمر : ٧١] وزمر : جمع زمرة ، وهي الجماعة .

قوله تعالى : ﴿أَفَمَن يَتَّقِي بِوَجْهِهِۦ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [الزمر : ٢٤] فسره مجاهد بأنه **«يجر على وجهه في النار»** ، وهو قوله تعالى في الآية الأخرى : ﴿أَفَمَن يُلْقَىٰ فِي ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِيٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾ [فصلت : ٤٠] .

قوله : ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ [الزمر : ٢٩] فسره المؤلف فقال : **«صالحا»** ، وهذا فيه بيان الشرك والتوحيد ، وهو مثل ضربه الله لآلهتهم الباطلة والإله الحق ، فمثل المشرك الذي يعبد مع الله غيره

كالعبد الذي يملكه عدد من الأسياد متشاكسون ، فما يدري مَن يرضيه! إن أرضىٰ هذا أغضب هذا وإن أرضىٰ هذا أغضب هذا ، ومثل الموحد كالعبد الذي له سيد واحد ، فهو يعرف ما يرضي سيده ، وكذلك سيده يعتني به ، فهو مرتاح من تشاحن الشركاء ، وهذا معنىٰ قوله : ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلًا فِيهِ شُرَكَآءُ مُتَشَٰكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ يعني : صالحًا لشخص واحد ، ﴿هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا ۚ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ۚ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [الزمر : ٢٩].

قوله : ﴿مُتَشَٰكِسُونَ﴾ فسره بقوله : «**الرجل الشكس العسر الذي لا يرضىٰ بالإنصاف**» .

قوله : ﴿مُّتَشَٰبِهًا﴾ يعني في قوله تعالىٰ : ﴿ٱللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ ٱلْحَدِيثِ كِتَٰبًا مُّتَشَٰبِهًا﴾ [الزمر : ٢٣] فسره المؤلف بقوله : «**ليس من الاشتباه ولكن يشبه بعضه بعضًا في التصديق**» ، وذلك لأن المتشابه له معنيان :

أحدهما : من التشابه ، وهو التوافق وتصديق بعضه بعضًا ، كما في هذه الآية ، يعني : متوافقًا يشبه بعضه بعضًا في التصديق .

الثاني : متشابهًا من الاشتباه وهو خفاء المعنىٰ وعدم الإيضاح ، كما في قوله تعالىٰ : ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ مِنْهُ ءَايَٰتٌ مُّحْكَمَٰتٌ هُنَّ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ وَأُخَرُ مُتَشَٰبِهَٰتٌ﴾ [آل عمران : ٧] وهذا المتشابه الذي هو خفاء المعنىٰ نوعان أيضًا :

أحدهما : عام وهو المتشابه علىٰ كل أحد ، وهذا يرد إلى المحكم فيتضح معناه ، مثال ذلك : إذا اشتبه على النصراني تعدد الآلهة ؛ لقوله تعالىٰ : ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾ [الحجر : ٩] فقال : نحن للجماعة نقول : هذا يرد إلى المحكم وهو قوله تعالىٰ : ﴿وَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ ۖ لَّآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [البقرة : ١٦٣] .

الثاني : متشابه إضافي نسبي ، يعني : علىٰ بعض الناس دون بعض ، فهذا يكشف بالبحث والسؤال .

قوله : ﴿غَيْرَ ذِى عِوَجٍ﴾ [الزمر : ٢٨] يعني : غير ذي لبس .

قوله : ﴿خَوَّلْنَٰهُ﴾ [الزمر : ٤٩] يعني : «**أعطيناه**» .

قوله : ﴿وَرَجُلًا سَلَمًا لِّرَجُلٍ﴾ [الزمر : ٢٩] قال : «**سالمًا صالحًا**» ، فأعادها مرتين .

قوله : ﴿ٱشْمَأَزَّتْ﴾ [الزمر : ٤٥] يعني : «**نفرت**» .

قوله : ﴿ بِمَفَازَتِهِمْ ﴾ [الزمر : ٦١] يعني : «**من الفوز**» .

قوله : ﴿ حَآفِّينَ ﴾ [الزمر : ٧٥] يعني : «**أطافوا به ، مطيفين بحفافيه : بجانبيه**» .

زاد في بعض النسخ : «﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ ﴾ [الزمر : ٣٣]: **القرآن** ، ﴿ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ﴾ [الزمر :٣٣] : **المؤمن يجيء يوم القيامة يقول : هذا الذي أعطيتني عملت بما فيه**» ، وجاء في تفسير آخر : أن الذي جاء بالصدق هو الرسول ﷺ وصدق به أبو بكر رضي الله عنه .

وقوله : ﴿ وَيُخَوِّفُونَكَ بِٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦ ﴾ [الزمر : ٣٦] يعني : بالأوثان .

* * *

المتن

[٢٦١/ ٥٦] باب ﴿يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣]

• [٤٤١٩] حدثني إبراهيم بن موسى، قال: أخبرنا هشام بن يوسف، أن ابن جريج أخبرهم، قال يعلى: إن سعيد بن جبير أخبره، عن ابن عباس، أن ناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا محمدا ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨]، ونزل ﴿قُلۡ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣].

الشرح

المؤلف ترجم على هذه الآية: ﴿قُلۡ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣]، وهذه الآية فيها بشارة لكل مؤمن بأن الله تعالى يغفر الذنوب للتائب، وأجمع العلماء على أن هذه الآية نزلت في كل من تاب؛ لأن الله عمم وأطلق بخلاف آية النساء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨]، فهذه في غير التائبين؛ لأن الله خص وعلق، حيث خص الشرك بأنه لا يغفر، وعلق ما دونه بالمشيئة؛ فدل على أنه في غير التائبين، وأما في هذه الآية فإنه عمم وأطلق فدل على أنه في التائبين.

• [٤٤١٩] قوله: **«أن ناسا من أهل الشرك كانوا قد قتلوا وأكثروا، وزنوا وأكثروا، فأتوا محمدا ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن، لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فنزل: ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدۡعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقۡتُلُونَ ٱلنَّفۡسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلۡحَقِّ وَلَا يَزۡنُونَ﴾ [الفرقان: ٦٨] ونزل: ﴿قُلۡ يَـٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسۡرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمۡ لَا تَقۡنَطُواْ مِن رَّحۡمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣]»** أجمع العلماء على أن هذه الآية في التائبين.

وروي عن ابن عباس في المشهور عنه أن القاتل لا توبة له وهذا خطأ، فإن التوبة تكون من جميع الذنوب حتى الشرك، وروي عنه أيضا أن القاتل له توبة، وهو الصواب الموافق للنصوص ولما عليه عامة العلماء.

المتن

[٢٦٢/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]

• [٤٤٢٠] حدثنا آدم، قال: حدثنا شيبان، عن منصور، عن إبراهيم، عن عبيدة، عن عبدالله قال: جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ، فقال: يا محمد، إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه؛ تصديقا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ **﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾** [الزمر: ٦٧].

الشرح

• [٤٤٢٠] وهذا الحديث على هذه الآية **﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطْوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾** [الزمر: ٦٧] يعني: وما عظموا الله حق تعظيمه حتى عبدوا معه غيره.

وفيه إثبات اليمين لله ﷻ وإثبات القبض بما يليق بجلال الله وعظمته.

قوله: «**عن عَبيدة**» وعَبيدة هذا هو عَبيدة بن عمرو السلماني - بفتح العين - وليس هو ابن عبدالله بن مسعود؛ لأن ابن عبدالله بن مسعود اسمه أبو عُبيدة بالكنية وبضم العين.

قوله: «**جاء حبر من الأحبار إلى رسول الله ﷺ**» يقال: حِبر وحَبر لغتان.

قوله: «**يا محمد إنا نجد أن الله يجعل السموات على إصبع، والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع، فيقول: أنا الملك، فضحك النبي ﷺ حتى بدت نواجذه؛ تصديقا لقول الحبر، ثم قرأ رسول الله ﷺ ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ﴾** [الزمر: ٦٧]» وهذا الحديث فيه إثبات الأصابع لله كما يليق بجلاله وعظمته ولا تشابه أصابع المخلوقين، وأنها خمسة أصابع لربنا ﷻ، يضع السموات على إصبع والأرضين على إصبع، والشجر على إصبع، والماء والثرى على إصبع، وسائر الخلائق على إصبع فهم خمسة أصابع.

والإصبع فيه عشر لغات : بتثليث الهمزة فيقال : إِصبع وأَصبع وأُصبع ، والباء كذلك مثلثة : أصبُع وأصبَع وأصبِع ، فإذا ضربت ثلاثة في ثلاثة صار المجموع تسعة ، والعاشرة أصبوع فصار المجموع عشر لغات .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «قال ابن التين : تكلف الخطابي في تأويل الأصبع وبالغ حتى جعل ضحكه تعجبًا وإنكارًا لما قال الحبر» فالبعض تأوله أنه ينكر الأصبع لله فيقول : ضحك الرسول ﷺ إنكارًا على الأعرابي ، وهذا باطل ، والصواب أنه ضحك تصديقًا لقوله ، **قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ : «قال النووي : ظاهر السياق أنه ضحك تصديقًا له بدليل قراءته للآية» اهـ .

* * *

المتن

[٢٦٣/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦ﴾ [الزمر: ٦٧]

• [٤٤٢١] حدثنا سعيد بن عفير، قال: حدثني الليث، قال: حدثني عبدالرحمن بن خالد بن مسافر، عن ابن شهاب، عن أبي سلمة، أن أبا هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«يقبض الله الأرض، ويطوي السموات بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض»**.

الشرح

• [٤٤٢١] هذا الحديث على هذه الآية: ﴿وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] وفيه إثبات القبض لله، وفيه إثبات اليمين لله، فهو سبحانه يطوي السموات بيمينه على ما يليق بجلاله وعظمته، وفيه إثبات اسم الملك وأنه من أسماء الله ﷻ.

* * *

المتن

[٢٦٤/ ٥٦] باب قوله: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] الآية

• [٤٤٢٢] حدثني الحسن، قال: حدثنا إسماعيل بن خليل، قال: أخبرنا عبدالرحيم، عن زكرياء بن أبي زائدة، عن عامر، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: **«إني من أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة، فإذا أنا بموسى متعلق بالعرش، فلا أدري أكذلك كان أم بعد النفخة؟»**.

• [٤٤٢٣] حدثني عمر بن حفص، حدثنا أبي، قال: حدثنا الأعمش، قال: سمعت أبا صالح، قال: سمعت أبا هريرة، عن النبي ﷺ قال: **«بين النفختين أربعون»**، قالوا: يا أبا هريرة، أربعون يوما؟ قال: أبيت، قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت، قال: أربعون شهرا؟ قال: أبيت، **«ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه فيه يركب الخلق»**.

الشرح

• [٤٤٢٢]، [٤٤٢٣] هذان الحديثان على هذه الآية: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] فالآية فيها أنهما نفختان، ويؤيد هذا حديث أبي هريرة الأول.

قوله ﷺ: **«إني من أول من يرفع رأسه بعد النفخة الآخرة»** فالنفخة الآخرة تقابل النفخة الأولى، والآخِر لا يأتي بالكسر إلا إذا كان يقابل الأول وبمعنى الثاني وليس هناك ثالث، أما إذا كان هناك ثالث ورابع فأكثر فيقال: الآخَر، والحديث يدل على ما دلت عليه الآية، أن النفخ نفختان: نفخة الصعق ونفخة البعث.

فقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ هذه نفخة الصعق والموت، وقوله: ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنظُرُونَ﴾ هذه نفخة البعث.

وفيه الرد على من زعم أن النفخات ثلاث أو أربع، وأما النفخة التي في سورة النمل: ﴿وَيَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَفَزِعَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [النمل: ٨٧] فهذه أول ما ينفخ إسرافيل في آخر الدنيا فيفزع الناس فيصغي أحدهم فيميل بصفحة عنقه يمينًا

أو شمالًا ويتسمع، فلا يزال الصوت يقوى ويقوى حتى يموت الناس، فإسرافيل ينفخ في الصور والناس مشغولون بدنياهم، وأول ما يبدأ إسرافيل في النفخ تكون النفخة غير قوية، حتى إن الرجل معه الفسيلة يريد أن يغرسها وإسرافيل ينفخ في الصور، فلا يستطيع غرسها حتى يقوى الصوت ويصعق، والرجل معه اللقمة فلا يرفعها إلى فيه حتى يقوى الصوت ويصعق، والرجلان يتبايعان الثوب والقماش فلا يستطيع أن يبايعه.

وقال بعض العلماء: إنها ثلاث نفخات: نفخة فزع، ونفخة صعق، ونفخة موت، وجاء هذا في حديث في سنده إسماعيل بن رافع وهو ضعيف، والصواب أنهما نفختان كما دلت عليه آية الزمر: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ [الزمر: ٦٨].

قوله ﷺ: **«فإذا أنا بموسى متعلق بالعرش، فلا أدري أكذلك كان أم بعد النفخة؟»** هذه منقبة لموسى ﵇ سواء صعق ثم أفاق قبل النبي ﷺ، أو أنه لم يصعق اكتفاء بصعقته التي حصلت له في الدنيا عند جبل الطور، وفي الحديث الآخر يقول النبي ﷺ: **«الناس يصعقون يوم القيامة فأكون أول من يفيق فإذا أنا بموسى آخذ بقائمة من قوائم العرش فلا أدري أفاق قبلي أم جوزي بصعقة الطور؟»**(١) يعني: لا يدري النبي ﷺ أفاق موسى قبله أم أنه من الأصل لم يصعق اكتفاء بالصعقة التي حصلت له في دار الدنيا؟ وفي كلتا الحالتين فهذه منقبة لموسى، لكن المنقبة الخاصة لا تقضي على الفضائل العامة فنبينا ﷺ أفضل.

قوله ﷺ: **«بين النفختين أربعون»** هكذا العدد بلا تمييز.

قوله: **«قالوا يا أبا هريرة: أربعون يومًا؟ قال: أبيت»** يعني: ما عندي دليل.

قوله: **«قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون شهرًا؟ قال: أبيت»** يعني: ما أدري، ما عندي دليل.

قوله: **«ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه فيه يركب الخلق»** والعجب - بفتح العين وإسكان الجيم - وهو عظم لطيف في أصل الصلب، وهو رأس العصعص، وهو مكان رأس الذنب من ذوات الأربع.

---

(١) أحمد (٢/ ٢٦٤)، والبخاري (٣٣٩٨)، ومسلم بنحوه (٢٣٧٣).

وجاء في حديث أنه: «**بين النفختين أربعون سنة**»[١] لكنه ضعيف، لا يثبت.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «**ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عجب ذنبه فيه يركب الخلق**»، وفي رواية مسلم: «**ليس من الإنسان شيء إلا يبلى إلا عظمًا واحدًا**»[٢] الحديث، وأفرد هذا القدر من طريق أبي الزناد عن الأعرج عن أبي هريرة بلفظ: «**كل ابن آدم يأكله التراب إلا عجب الذنب منه خلق ومنه يركب**»[٣]، وله من طريق همام عن أبي هريرة قال: «**إن في الإنسان عظمًا لا تأكله الأرض أبدًا فيه يركب يوم القيامة**» قالوا: أي عظم هو يا رسول الله؟ قال: «**عجب الذنب**»[٣]، وفي حديث أبي سعيد عند الحاكم وأبي يعلى قيل: يا رسول الله، ما عجب الذنب؟ قال: «**مثل حبة خردل**»[٤]، والعَجْب بفتح المهملة وسكون الجيم بعدها موحدة، ويقال له: عجم بالميم أيضًا عوض الباء، وهو عظم لطيف في أصل الصلب وهو رأس العصعص وهو مكان رأس الذنب من ذوات الأربع، وفي حديث أبي سعيد الخدري عند ابن أبي الدنيا وابن أبي داود، والحاكم مرفوعًا: «**إنه مثل حبة الخردل**»[٥]. قال ابن الجوزي: قال ابن عقيل: لله في هذا سر لا يعلمه إلا الله؛ لأن من يظهر الوجود من العدم لا يحتاج إلى شيء يبني عليه، ويحتمل أن يكون ذلك جعل علامة للملائكة على إحياء كل إنسان بجوهره، ولا يحصل العلم للملائكة بذلك إلا بإبقاء عظم كل شخص ليعلم أنه إنما أراد بذلك إعادة الأرواح إلى تلك الأعيان التي هي جزء منها، ولولا إبقاء شيء منها لجوزت الملائكة أن الإعادة إلى أمثال الأجساد لا إلى نفس الأجساد، وقوله في الحديث: «**ويبلى كل شيء من الإنسان**» يحتمل أن يريد به يفنى، أي: تعدم أجزاؤه بالكلية، ويحتمل أن يراد به يستحيل فتزول صورته المعهودة فيصير على صفة جسم التراب ثم يعاد إذا ركبت إلى ما عهد».

---

(١) ابن أبي داود في «البعث» (ص٨٠).

(٢) أحمد (٢/ ٣١٥)، والبخاري (٤٩٣٥) واللفظ له، ومسلم (٢٩٥٥).

(٣) مسلم (٢٩٥٥).

(٤) الحاكم (٤/ ٦٥١)، وأبو يعلى (٢/ ٥٢٣).

(٥) ابن أبي داود في «البعث» (ص٤٨)، والحاكم (٤/ ٦٥١).

والقول الأول: وهو أنه يفنى وتعدم أجزاؤه بالكلية، قول باطل، والصواب القول الثاني، وهو أنه يستحيل فتزول صورته المعهودة فيصير إلى تراب ثم يعيده الله خلقًا جديدًا، والقول الأول هو قول الجهم وهو الذي قال: إن الإنسان يبلى ولا يعاد، والذي يعاد شخص آخر؛ وعلى ذلك فيكون الله تعالى إذا أعاد الكافر أعاد شخصًا آخر فيكون ظالمًا - والعياذ بالله - ولما قال الجهم بن صفوان هذا الكلام فتح الباب لابن سينا - وهو من الملاحدة - فقال: ليس هناك بعث للأجساد، إنما البعث للأرواح. فأنكر البعث، وله رسالة تسمى «الرسالة الأضحوية» أنكر فيها البعث، ومن أنكر بعث الأجساد فهو كافر بإجماع المسلمين وبنص القرآن، قال الله تعالى: ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَن لَّن يُبۡعَثُواْ﴾ [التغابن: ٧].

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وزعم بعض الشراح أن المراد أنه لا يبلى، أي: يطول بقاؤه لا أنه لا يفنى أصلًا، والحكمة فيه أنه قاعدة بدء الإنسان وأسه الذي يبنى عليه فهو أصلب من الجميع كقاعدة الجدار، وإذا كان أصلب كان أدوم بقاءً، وهذا مردود؛ لأنه خلاف الظاهر بغير دليل، وقال العلماء: هذا عام يخص منه الأنبياء؛ لأن الأرض لا تأكل أجسادهم، وألحق ابن عبدالبر بهم الشهداء، والقرطبي المؤذن المحتسب».

قول العلماء: هذا عام يخص منه الأنبياء حق؛ لأن الأرض لا تأكل أجسادهم؛ لما ثبت في الحديث أن النبي ﷺ قال: **«إن الله ﷻ حرم على الأرض أجساد الأنبياء»**(١)، فالأنبياء أجسامهم طرية ما تأكلها الأرض، وأما الشهداء فوجد بعض الشهداء من يبقى جسده مدة على حاله، فيحتمل أنه يفنى بعد مدة، وإلحاق ابن عبدالبر بهم الشهداء، وإلحاق القرطبي المؤذن المحتسب وأن الأرض لا تأكل أجسادهم، ليس عليه دليل قوي نستند إليه.

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال عياض: فتأويل الخبر وهو: **«كل ابن آدم يأكله التراب»** أي: كل ابن آدم مما يأكله التراب وإن كان التراب لا يأكل أجسادًا كثيرة كالأنبياء. قوله: **«إلا عجب ذنبه»** أخذ بظاهره الجمهور فقالوا: لا يبلى عجب الذنب ولا يأكله التراب. وخالف المزني فقال: إلا هنا بمعنى الواو، أي: وعجب الذنب أيضًا يبلى. وقد أثبت هذا

---

(١) أحمد (٤/٨)، وأبو داود (١٠٤٧)، والنسائي (١٣٧٤).

المعنى الفراء والأخفش فقالوا : ترد إلا بمعنى الواو ، ويرد ما انفرد به المزني التصريح بأن الأرض لا تأكله أبدًا كما ذكرته من رواية همام . وقوله في رواية الأعرج : **«منه خلق»**[(١)] يقتضي أنه أول كل شيء يخلق من الآدمي» يعني : العصعص ، فآدم أول ما خلق منه رأسه ، وبنوه أول ما خلق منهم العصعص الذي هو عجب الذنب .

ثم قال : «ولا يعارضه حديث سلمان أن أول ما خلق من آدم رأسه ؛ لأنه يجمع بينهما بأن هذا في حق آدم وذاك في حق بنيه ، أو المراد بقول سلمان : نفخ الروح في آدم لا خلق جسده» اهـ .

* * *

(١) مسلم (٢٩٥٥) .

المتن

سورة المؤمن



وقال البخاري: ويقال: حم مجازها مجاز أوائل السور

ويقال: هو اسم لقول شريح بن أوفى العبسي:

يذكرني حم والرمح شاجر فهلا تلا حم قبل التقدم

﴿ٱلطَّوْلِ﴾ [غافر: ٣] التفضل.

﴿دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] خاضعين.

وكان العلاء بن زياد يذكر النار، فقال رجل: لم تقنط الناس؟! قال: وأنا أقدر أن أقنط الناس والله يقول: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾ [الزمر: ٥٣]، ويقول: ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾ [غافر: ٤٣]، ولكنكم تحبون أن تبشروا بالجنة على مساوئ أعمالكم، وإنما بعث الله محمدا ﷺ مبشرا بالجنة لمن أطاعه ومنذرا بالنار من عصاه.

وقال مجاهد: ﴿إِلَى ٱلنَّجَوٰةِ﴾ [غافر: ٤١]: الإيمان.

﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾ [غافر: ٤٣] يعني الوثن.

﴿يُسْجَرُونَ﴾ [غافر: ٧٢]: توقد بهم النار.

﴿تَمْرَحُونَ﴾ [غافر: ٧٥]: تبطرون.

• [٤٤٢٤] حدثنا علي بن عبدالله، قال: أخبرنا الوليد بن مسلم، قال: حدثنا الأوزاعي، قال: عن يحيى بن أبي كثير، قال: حدثني محمد بن إبراهيم التيمي، قال: حدثني عروة ابن الزبير قال: قلت لعبدالله بن عمرو بن العاصي: أخبرني بأشد ما صنعه المشركون برسول الله ﷺ، قال: بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة؛ إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه فخنقه به خنقا شديدا، فأقبل أبو بكر

فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلاً أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾ [غافر: ٢٨].

الشَّرْحُ

قوله: «سورة المؤمن» ويطلق عليها أيضًا سورة غافر؛ لقوله تعالى: ﴿غَافِرِ ٱلذَّنۢبِ﴾ [غافر: ٣]، ويطلق عليها سورة المؤمن لقوله تعالى: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ﴾ [غافر: ٢٨].

قوله: «حم مجازها مجاز أوائل السور» المعنى: أن تأويل ﴿حمٓ﴾ [غافر: ١] تأويل أوائل السور، وهذا الكلام لأبي عبيدة في «مجاز القرآن»، وهو يطلق المجاز ويريد به التأويل، وليس المراد بالمجاز الذي هو ضد الحقيقة، يعني مثلما أولت أوائل السور: ﴿الٓمٓ﴾، ﴿الٓر﴾، ﴿طسٓمٓ﴾، ﴿حمٓ﴾، ﴿حمٓ ۝ عٓسٓقٓ﴾، ﴿نٓ﴾، ﴿قٓ﴾، ﴿صٓ﴾، فما أولت به الحروف المقطعة من سورة البقرة تؤول به ﴿حمٓ﴾ هنا.

والحروف المقطعة الله أعلم بمراده بها، وقال بعضهم: إن كل حرف يشير إلى اسم من أسماء الله.

قوله: «ويقال» هذا قول آخر.

قوله: «هو اسم» يعني: لفظ ﴿حمٓ﴾ اسم من أسماء القرآن، واستدل هذا القائل بقول شريح بن أوفى العبسي:

«يذكرني حم والرمح شاجر فهلا تلا حم قبل التقدم»

ووجه الدلالة: أنه أعرب ﴿حمٓ﴾ إعراب الاسم، فنصب الميم الأولى من ﴿حمٓ﴾ على أنها مفعول ثانٍ، والثانية على أنها مفعول به، فدل على أنه أجراها مجرى الاسم.

وعلى هذا فتكون ﴿حمٓ﴾ فيها قولان:

القول الأول: أن مجازها مجاز أوائل السور، أي: تؤول كما تؤول أوائل السور.

القول الثاني: أنها اسم، بدليل أنها أعربت إعراب الاسم.

قوله: ﴿ٱلطَّوْلِ﴾ [غافر: ٣] يعني: «التفضل».

قوله: ﴿دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠] يعني: «خاضعين».

قوله: «**وكان العلاء بن زياد يذكر النار، فقال رجل: لم تقنط الناس؟! قال: وأنا أقدر أن أقنط الناس، والله يقول: ﴿يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ﴾** [الزمر: ٥٣]، **ويقول: ﴿وَأَنَّ ٱلْمُسْرِفِينَ هُمْ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ﴾** [غافر: ٤٣]، **ولكنكم تحبون أن تبشروا بالجنة على مساوئ أعمالكم، وإنما بعث الله محمدًا ﷺ مبشرًا بالجنة لمن أطاعه ومنذرًا بالنار من عصاه**» صدق العلاء رَحِمَهُ ٱللَّهُ؛ فإن الله بعث نبيه مبشرًا ونذيرًا، فلابد من الرجاء والخوف.

قوله: «**﴿لَيْسَ لَهُۥ دَعْوَةٌ﴾** [غافر: ٤٣] **يعني: الوثن**» ليس له دعوة في الدنيا ولا في الآخرة.

قوله: **﴿يُسْجَرُونَ﴾** [غافر: ٧٢] يعني: «**توقد بهم النار**».

قوله: **﴿تَمْرَحُونَ﴾** [غافر: ٧٥] يعني: «**تبطرون**».

- [٤٤٢٤] قوله: «**أخبرني بأشد ما صنعه المشركون برسول الله ﷺ، قال: بينا رسول الله ﷺ يصلي بفناء الكعبة إذ أقبل عقبة بن أبي معيط فأخذ بمنكب رسول الله ﷺ ولوى ثوبه في عنقه فخنقه به خنقًا شديدًا**» ولما أُسر سبعون من المشركين في بدر كان منهم هذا الخبيث عقبة بن أبي معيط الذي لوى عنق النبي ﷺ والنضر بن الحارث، فأمر النبي ﷺ بقتلهما صبرًا؛ لشدة عداوتهما وإيذائهما لرسول الله ﷺ، والنبي ﷺ ما قال له شيئًا وما فعل له شيئًا من باب التأليف على الإسلام، والصبر والاحتساب في ذات الله.

قوله: «**فأقبل أبو بكر فأخذ بمنكبه ودفعه عن رسول الله ﷺ وقال: ﴿أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ﴾** [غافر: ٢٨]» وهذا هو الشاهد للترجمة.

* * *

المتن

سورة حم السجدة

بسم الله الرحمن الرحيم

وقال طاوس، عن ابن عباس: ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت: ١١]: أعطيا، ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ١١]: أعطينا.

وقال المنهال عن سعيد قال: قال رجل لابن عباس: إني أجد في القرآن أشياء تختلف علي، قال: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]، ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧] ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء: ٤٢] ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣]، فقد كتموا في هذه الآية، وقال: و﴿ٱلسَّمَآءُ بَنَىٰهَا﴾ إلى قوله ﴿دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٢٧- ٣٠]، فذكر خلق السماء قبل خلق الأرض، ثم قال: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ إلى ﴿طَآئِعِينَ﴾ [فصلت: ٩-١١]، فذكر في هذه خلق الأرض قبل السماء، وقال: ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [الفتح: ١٤] ﴿عَزِيزًا حَكِيمًا﴾ [الفتح: ١٩] ﴿سَمِيعًا بَصِيرًا﴾ [النساء: ١٣٤] فكأنه كان ثم مضى، فقال: ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ في النفخة الأولى ثم ينفخ في الصور ﴿فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]، فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون، ثم في النفخة الآخرة ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾، وأما قوله: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾، فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم، وقال المشركون: تعالوا نقول: لم نكن مشركين، فختم على أفواههم فتنطق أيديهم؛ فعند ذلك عرف أن الله لا يكتم حديثا، وعنده ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [النساء: ٤٢] الآية، وخلق الأرض في يومين، ثم خلق السماء ثم استوى إلى السماء فسواهن في يومين آخرين، ثم دحا الأرض، ودحاها أي أن أخرج منها الماء والمرعى، وخلق الجبال والجمال والآكام وما بينهما في يومين آخرين؛ فذلك قوله: ﴿دَحَىٰهَآ﴾ [النازعات: ٣٠]، وقوله: ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾ [فصلت: ٩]، فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام، وخلقت السموات في يومين، ﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ سمى نفسه ذلك،

وذلك قوله ، أي لم يزل كذلك ؛ فإن الله لم يرد شيئا إلا أصاب به الذي أراد ، فلا يختلف عليك القرآن ؛ فإن كلا من عند الله .

قال أبو عبدالله البخاري : حدثني يوسف بن عدي ، قال : حدثنا عبيدالله بن عمرو ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن المنهال بهذا .

وقال مجاهد : ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [فصلت : ٨] : محسوب .

﴿نَّحِسَاتٍ﴾ [فصلت : ١٦] : مشائيم .

﴿ٱهْتَزَّتْ﴾ [فصلت : ٣٩] بالنبات .

﴿وَرَبَتْ﴾ [فصلت : ٣٩] : ارتفعت .

﴿مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ [فصلت : ٤٧] : حين تطلع .

وقال غيره : ﴿سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾ [فصلت : ١٠] : قدرها سواء .

﴿فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ [فصلت : ١٧] : دللناهم على الخير والشر كقوله : ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد : ١٠] ، وكقوله : ﴿هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا﴾ [الإنسان : ٣] .

﴿يُوزَعُونَ﴾ [فصلت : ١٩] : يكفون .

﴿مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ [فصلت : ٤٧] : قشر الكفرى هي الكم ، وقال غيره : ويقال للعنب إذا خرج أيضا : كافور وكفري .

والهدى الذي هو الإرشاد بمنزلة أسعدناه من ذلك قوله : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام : ٩٠] الآية .

﴿مِّن مَّحِيصٍ﴾ [فصلت : ٤٨] حاص عنه أي حاد عنه .

﴿مِرْيَةٍ﴾ [فصلت : ٥٤] ومرية واحد أي امتراء .

وقال مجاهد : ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت : ٤٠] يعني : الوعيد .

وقال ابن عباس : ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾ [فصلت : ٣٤] الصبر عند الغضب ، والعفو عند الإساءة ، فإذا فعلوا عصمهم الله ، وخضع لهم عدوهم .

﴿كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت : ٣٤] : القريب .

﴿أَقْوَٰتَهَا﴾ [فصلت : ١٠] : أرزاقها .

﴿فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت : ١٢] : مما أُمِرَ به .

﴿وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ﴾ [فصلت : ٢٥] .

﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [فصلت : ٣٠] : عند الموت .

﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى﴾ [فصلت : ٥٠] أي : بعملي أنا محقوق بهذا .

الشَّرْحُ

قوله : «**سورة حم السجدة**» سميت السورة بهذا الاسم لأن فيها سجدة من بين الحواميم ، وتسمى أيضًا سورة فصلت لقول الله تعالى : ﴿حمٓ ۝ تَنزِيلٌ مِّنَ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝ كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ﴾ [فصلت : ١ - ٣] .

وذكر المؤلف تفسير الكلمات المشكلة ، والجمع بين الآيات التي قد تشكل على بعض الناس .

قوله : وقال طاوس عن ابن عباس : ﴿ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا﴾ [فصلت : ١١] يعني : أعطيا لأنفسكما الطاعة ، ﴿قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ﴾ [فصلت : ١١] يعني : أعطينا الطاعة .

قوله : «**قال رجل لابن عباس : إني أجد في القرآن أشياء تختلف عليَّ**» يعني : يشكل عليه معنى بعض الآيات فلا يدري ما الجمع بينها ، منها قوله تعالى : ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ [المؤمنون : ١٠١] ، وقوله : ﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات : ٢٧] ، يعني : الظاهر أن بينهما تعارضًا ، فالآية الأولى فيها نفي السؤال ﴿لَا يَتَسَآءَلُونَ﴾ ، والآية الثانية فيها إثبات السؤال ﴿يَتَسَآءَلُونَ﴾ .

ومنها قوله تعالى : ﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾ [النساء : ٤٢] ، وقوله تعالى : ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام : ٢٣] ، ففي الآية الأولى ﴿لَا يَكْتُمُونَ﴾ ، وفي الآية الأخرى يكتمون وينكرون .

قوله : «**فقال : ﴿فَلَآ أَنسَابَ بَيْنَهُمْ﴾ في النفخة الأولى ، ثم ينفخ في الصور ﴿فَصَعِقَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾** [الزمر : ٦٨] ، **فلا أنساب بينهم عند ذلك ولا يتساءلون**» فذلك في النفخة الأولى وهي نفخة الصعق ، ثم النفخة الثانية فيها تساؤل

﴿وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ﴾ [الصافات: ٢٧] كذا جمع ابن عباس بينهما، وهذا الجمع بينهما لكون يوم القيامة له مشاهد:

المشهد الأول: عند نفخة الصعق فليس هناك تساؤل.

المشهد الثاني: بعد النفخة الثانية يقبل بعضهم على بعض يتساءلون.

قوله: **«وأما قوله: ﴿مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾** [الأنعام: ٢٣] **﴿وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾** [النساء: ٤٢] **فإن الله يغفر لأهل الإخلاص ذنوبهم»** ممن كان يعبد الله حقًّا ويؤمن به دون أهل النفاق الذي يعبدون الله نفاقًا للمؤمنين وخشية أن يفتضح أمرهم.

قوله: **«وقال المشركون: تعالوا نقول: لم نكن مشركين»** فينكرون.

قوله: **«فختم على أفواههم فتنطق أيديهم، فعند ذلك عرف أن الله لا يُكتم حديثًا، وعنده ﴿يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾ الآية»** يعني قوله ﷻ: **﴿يَوْمَئِذٍ يَوَدُّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا وَعَصَوُا ٱلرَّسُولَ لَوْ تُسَوَّىٰ بِهِمُ ٱلْأَرْضُ وَلَا يَكْتُمُونَ ٱللَّهَ حَدِيثًا﴾** [النساء: ٤٢] فإذا غفر الله لأهل الإخلاص أنكر المشركون شركهم رجاء أن يغفر لهم، ثم بعد ذلك يختم على أفواههم، فعند ذلك يعرفون أن الله لا يُكتم حديثًا، كذا جمع بينهما ابن عباس مما يدل على عمق فهمه وفقهه، وكيف لا وقد دعا له رسول الله ﷺ فقال: **«اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»**[1].

كذلك أيضًا مما أشكل على هذا الرجل الذي سأل ابن عباس الجمع بين الآيات في قوله تعالى: **﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا﴾** [النازعات: ٢٧ - ٣١]، ففي هذه الآيات أن السماء خلقت أولًا والأرض خلقت بعد ذلك، وفي آية فصلت بالعكس فقال: **﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ﴾** [فصلت: ٩ - ١١] فذكر خلق الأرض قبل خلق السماء، فبين له ابن عباس الفرق في المعنى وذكر الجمع بينهما.

---

(١) أحمد (١/ ٢٦٦).

قوله : **«وخلق الأرض في يومين ، ثم خلق السماء ثم استوىٰ إلى السماء فسواهن في يومين آخرين ، ثم دحا الأرض ، ودحاها أي أن أخرج منها الماء والمرعىٰ ، وخلق الجبال والجمال والآكام وما بينهما في يومين آخرين ؛ فذلك قوله : ﴿دَحَىٰهَآ﴾** [النازعات : ٣٠] ، **وقوله : ﴿خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ﴾** [فصلت : ٩] ، **فجعلت الأرض وما فيها من شيء في أربعة أيام ، وخلقت السموات في يومين»** كذا جمع ابن عباس بينهما وخلاصته : أن الأرض خلقت أولًا ، ثم خلقت السماء بعدها ، ثم دحيت الأرض ، فالذي ذكر في سورة النازعات إنما هو الدحو ، وإلا فالأرض خلقت أولًا ، ثم خلقت السماء ، ثم دحيت الأرض بعد ذلك .

كذلك أيضًا مما أشكل علىٰ هذا الرجل الذي سأل ابن عباس قوله تعالىٰ : **﴿وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾** [الفتح : ١٤] **﴿وَكَانَ ٱللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾** [الفتح : ١٩] **﴿وَكَانَ ٱللَّهُ سَمِيعًا بَصِيرًا﴾** [النساء : ١٣٤] يقول هذا الرجل : **«فكأنه كان ثم مضىٰ»** يعني كان فيما مضىٰ ، أما الآن فهل هو متصف بهذه الصفات؟ فأجاب ابن عباس عن هذا : بأنه سبحانه وتعالىٰ كان ولم يزل غفورًا رحيمًا ، كان ولم يزل سميعًا بصيرًا ، وكان ولم يزل عزيزًا حكيمًا ؛ ولذا قال : **«سمىٰ نفسه ذلك ، وذلك قوله ، أي لم يزل كذلك ؛ فإن الله لم يرد شيئًا إلا أصاب به الذي أراد ، فلا يختلف عليك القرآن ؛ فإن كلًّا من عند الله»** .

قوله : **«قال أبو عبدالله البخاري : حدثني يوسف بن عدي ، قال : حدثنا عبيدالله بن عمرو ، عن زيد بن أبي أنيسة ، عن المنهال بهذا»** يعني : عن المنهال عن طاوس عن ابن عباس ، كذا ذكر المؤلف سنده لهذا الحديث الموقوف على ابن عباس .

قوله : **«وقال مجاهد : ﴿لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾»** [فصلت : ٨] **محسوب»** ، والمعروف أن **﴿غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾** بمعنىٰ غير مقطوع ، فهذا قول آخر .

قوله : **﴿نَّحِسَاتٍ﴾** [فصلت : ١٦] الأيام المشائيم التي أهلكت فيها عاد .

قوله : **﴿ٱهْتَزَّتْ﴾** [فصلت : ٣٩] يعني : اهتزت الأرض بالنبات .

قوله : **﴿رَبَتْ﴾** [فصلت : ٣٩] يعني : **«ارتفعت»** .

قوله : **﴿مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾** [فصلت : ٤٧] يعني : **«حين تطلع»** .

قوله : **﴿سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ﴾** [فصلت : ١٠] يعني : **«قدرها سواء»** .

قوله : ﴿فَهَدَيْنَٰهُمْ﴾ [فصلت : ١٧] يعني : «**دللناهم على الخير والشر، كقوله : ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾** [البلد : ١٠] ، **وكقوله : ﴿هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ إِمَّا شَاكِرًا﴾** [الإنسان : ٣]» والمراد بالهداية هداية الدلالة والإرشاد، وأما «**الهدىٰ الذي هو الإرشاد بمنزلة أسعدناه**» أي : السعادة وهي التسديد والتوفيق، ففي قوله : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ [الأنعام : ٩٠] يعني : وفقهم وسددهم، كذا لأبي ذر والأصيلي «**أسعدناه**» ولغيرهما : «**أصعدناه**» .

فالحاصل : أن الهدىٰ نوعان : هدىٰ بمعنى الإرشاد والدلالة، مثل : ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ و﴿هَدَيْنَٰهُ ٱلسَّبِيلَ﴾ ، وهدىٰ بمعنى التوفيق والسداد، وهذا هو الذي بمعنى السعادة، ومن ذلك قوله : ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقْتَدِهْ﴾ .

قوله : ﴿يُوزَعُونَ﴾ [فصلت : ١٩] يعني : «**يكفون**» .

قوله : ﴿مِّنْ أَكْمَامِهَا﴾ [فصلت : ٤٧] فسرها بقوله : «**قشر الكُفُرَّىٰ**» - وهو الذي يسمىٰ عندنا باللهجة العامية الكافور - وعاء الطلع، وتسمى الكم .

قوله : «﴿مِّن مَّحِيصٍ﴾ [فصلت : ٤٨] **: حاص عنه أي : حاد عنه**» .

قوله : ﴿مِرْيَةٍ﴾ [فصلت : ٥٤] والمُرية بمعنى الامتراء .

قوله : ﴿ٱعْمَلُواْ مَا شِئْتُمْ﴾ [فصلت : ٤٠] هذا من باب الوعيد، فهو أمر المراد به التهديد والوعيد وليس للإباحة .

قوله : «**وقال ابن عباس : ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾** [فصلت : ٣٤] **الصبر عند الغضب، والعفو عند الإساءة، فإذا فعلوا عصمهم الله، وخضع لهم عدوهم**» يعني : إذا صبر عند الغضب، وعفا عند الإساءة انقلبت عداوة بغيضه فصار صديقًا .

قوله : ﴿كَأَنَّهُۥ وَلِيٌّ حَمِيمٌ﴾ [فصلت : ٣٤] يعني : «**القريب**» .

قوله : ﴿أَقْوَٰتَهَا﴾ [فصلت : ١٠] يعني : أرزاقها .

قوله : ﴿فِي كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا﴾ [فصلت : ١٢] يعني : مما أمر به .

قوله : ﴿تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ﴾ [فصلت : ٣٠] يعني : «**عند الموت**» .

قوله : ﴿لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ أي : «**بعلمي أنا محقوق بهذا**» ، فهذا الإنسان الذي أنكر نعمة الله في قوله : ﴿وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِي﴾ [فصلت : ٥٠] .

المتن

[٢٦٥/ ٥٦] باب ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ﴾ [فصلت: ٢٢] الآية

• [٤٤٢٥] حدثني الصلت بن محمد، قال: حدثنا يزيد بن زريع، عن روح بن القاسم، عن منصور، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن ابن مسعود: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ﴾ الآية قال: كان رجلان من قريش وختن لهما من ثقيف، أو رجلان من ثقيف وختن لهما من قريش في بيت، فقال بعضهم لبعض: أترون أن الله يسمع حديثنا، قال بعضهم: يسمع بعضه، وقال بعضهم: لئن كان يسمع بعضه لقد يسمع كله، فأنزلت ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ﴾ الآية.

الشرح

• [٤٤٢٥] قوله: «كان رجلان من قريش وختن لهما من ثقيف» الختن: هو الصهر، فأقارب المرأة يقال لهم: أختان.

قوله: «أو رجلان من ثقيف وختن لهما من قريش» شك من الراوي.

قوله: «فقال بعضهم لبعض: أترون أن الله يسمع حديثنا؟» هذا شك في علم الله، يبين مدى غلظ الحجاب الذي على قلوبهم؛ بسبب الشرك والكفر.

فأنزل الله هذه الآية: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٢-٢٣] وفي هذه الآية بيان أن الإنسان تشهد عليه الجوارح يوم القيامة مثل السمع والبصر والجلد، فينبغي على الإنسان أن يحذر؛ لأن جوارحه هي الشهود، وفيه الحذر من الظن السيئ بالله ﷻ، وأنه سبب الهلاك، فهؤلاء ظنوا أن الله لا يسمع كلامهم، وأنه لا يعلم سرهم؛ فلذلك تمادوا في الكفر والعناد، وصاروا لا يبالون بالكفر والمعاصي، ومثل هذا الظن ظن المنافقين في قوله تعالى: ﴿بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن

يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا﴾ [الفتح: ١٢] حيث إنهم ظنوا أن الله لن ينصر الإسلام والمسلمين، وأن الله سيديل الكفر والباطل على الإسلام إدالة مستمرة، وأنه سيُقضى على الإسلام وأهله، وأنه لن تقوم للإسلام قائمة، ولن ينصر الله حزبه ورسوله.

فالواجب على كل إنسان أن يحسن الظن بربه، فمن حسن ظنه حسنت أعماله، ومن ساء ظنه ساءت أعماله.

* * *

المتن

[٢٦٦/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣] الآية

• [٤٤٢٦] حدثنا الحميدي، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا منصور، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن عبدالله قال: اجتمع عند البيت قرشيان وثقفي، أو ثقفيان وقرشي كثيرة شحم بطونهم، قليلة فقه قلوبهم، فقال أحدهم: أترون أن الله يسمع ما نقول؟ قال الآخر: يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن أخفينا، وقال الآخر: إن كان يسمع إذا جهرنا فإنه يسمع إذا أخفينا؛ فأنزل الله ﷻ ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ﴾ [فصلت: ٢٢] الآية.

وكان سفيان يحدثنا بهذا فيقول: حدثنا منصور، أو ابن أبي نجيح، أو حميد، أحدهم أو اثنان منهم، ثم ثبت على منصور وترك ذلك مرارا غير واحدة.

• [٤٤٢٧] حدثني عمرو بن علي، قال: حدثنا يحيى، قال: حدثنا سفيان الثوري، قال: حدثني منصور، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن عبدالله بنحوه.

الشرح

• [٤٤٢٦]، [٤٤٢٧] المقصود من هذا الحديث أن سوء الظن بالله يحمل صاحبه على فعل المحرمات وترك الواجبات، فمن ساء ظنه ساءت عاقبته، يقول الله ﷻ: ﴿وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ﴾ [فصلت: ٢٣]، ومن حسن ظنه بالله، وأيقن أن الله مطلع عليه ويعلم حاله حمله ذلك على فعل الواجبات وترك المحرمات فكان من الفائزين.

قوله: «**كثيرة شحم بطونهم، قليلة فقه قلوبهم**» يعني: ليس لهم هم إلا بطونهم وفروجهم، وليس لهم رغبة في الآخرة؛ فأقبلوا على شهوات الدنيا ولذاتها ولم يتجاوزوها؛ ولذلك كثر شحم بطونهم وقل فقه قلوبهم؛ فقال الله سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾ [محمد: ١٢].

وفي حديث خيرية القرون، يقول النبي ﷺ: **«خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»** قال عمران: فلا أدري أذكر النبي ﷺ بعد قرنين أو ثلاثة، ثم قال ﷺ: **«إن بعدكم قومًا يخونون ولا يؤتمنون ويشهدون ولا يستشهدون، وينذرون ولا يفُون، ويظهر فيهم السمن»**[(١)] يعني: تركبهم الشحوم؛ بسبب إقبالهم على الدنيا وشهواتها وملذاتها، وإعراضهم عن الآخرة، وهذا غير الذي يصيبه السمن خلقة، فهذا لا يتناوله الذم، فقد كان في الصحابة من هو ضخم مثل عتبان بن مالك وغيره.

والحديث فيه إشارة إلى أن الفطنة قلما تكون مع البطنة، وفي ذلك يقول الشافعي: «ما رأيت سمينًا عاقلًا إلا محمد بن الحسن» وهذا الوصف الأغلب، وإلا فقد يكون السمين عاقلًا وذكيًّا.

❊ ❊ ❊

(١) البخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥).

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿حمٓ ۝ عٓسٓقٓ﴾ [الشورى: ١، ٢].

قال البخاري: ويذكر عن ابن عباس: ﴿عَقِيمًا﴾ [الشورى: ٥٠]: التي لا تلد.

﴿رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ [الشورى: ٥٢]: القرآن.

وقال مجاهد: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ [الشورى: ١١]: نسل بعد نسل.

﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ [الشورى: ١٥]: لا خصومة بيننا وبينكم.

﴿مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ [الشورى: ٤٥]: ذليل.

﴿فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ [الشورى: ٣٣]: يتحركن ولا يجرين في البحر.

الشرح

هذه هي سورة الشورى، كما يقال لها: سورة حم عسق.

قوله: ﴿عَقِيمًا﴾ أي: المرأة «**التي لا تلد**»، والرجل الذي لا يُولد له.

قوله: ﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾ هو «**القرآن**»، يقال له: الروح؛ لأن به حياة القلوب، كما أن الروح فيها حياة الأجساد.

قوله تعالى: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ﴾ فسره مجاهد فقال: «**نسل بعد نسل**».

قوله تعالى: ﴿لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ﴾ فسره البخاري فقال: «**لا خصومة بيننا وبينكم**».

قوله: ﴿مِن طَرْفٍ خَفِيٍّ﴾ فسره البخاري بقوله: «**ذليل**».

قوله: ﴿فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهْرِهِۦٓ﴾ يعني: السفن على ظهر البحر، «**يتحركن ولا يجرين في البحر**».

* * *

المتن

[٢٦٧/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]

• [٤٤٢٨] حدثني محمد بن بشار، قال: حدثنا محمد بن جعفر، قال: حدثنا شعبة، عن عبدالملك بن ميسرة، قال: سمعت طاوسا، عن ابن عباس، أنه سئل عن قوله: ﴿**إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ**﴾، فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد ﷺ، فقال ابن عباس: عجلت، إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة، فقال: «**إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة**».

الشرح

• [٤٤٢٨] ذكر في هذه الترجمة حديث ابن عباس أنه سئل عن هذه الآية: «**فقال سعيد بن جبير: قربى آل محمد ﷺ، فقال ابن عباس: عجلت**» يعني: تعجلت الإجابة، وهي ليست كما تظن.

قوله: «**إن النبي ﷺ لم يكن بطن من قريش إلا كان له فيهم قرابة**» يعني: أن كل بطون قريش فيهم قرابة للنبي ﷺ، فيهم من يجتمع معه في الجد الأول عبد المطلب، وفيهم من يجتمع معه في الجد الثاني هاشم، أو في الجد الثالث عبد مناف، أو في الجد الرابع أو ما قبله كقصي أو كلاب، فالخطاب لقريش خاصة؛ لأنهم هم الذين منعوه من تبليغ رسالة ربه وآذوه.

فالنبي ﷺ يقول: ﴿**قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِي ٱلْقُرْبَىٰ**﴾ [الشورى: ٢٣]، والمعنى: لا أسألكم على تبليغ الرسالة شيئًا إلا أن تودوني لقرابتي، فكأنه قال: احفظوني للقرابة إن لم تتبعوني للنبوة.

قوله: «**فقال: إلا أن تصلوا ما بيني وبينكم من القرابة**» هذا تفسير ابن عباس والمعنى: إن لم تستجيبوا لي فلا أقل من أن تراعوا حق القرابة بيني وبينكم، فتخلوا سبيلي وتكفوا عني حتى أبلغ رسالة ربي، وإلا فكل الأنبياء لا يسألون أجرًا على تبليغ رسالة الله، كما أمر الله كل رسول أن يقول لقومه: ﴿**فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى ٱللَّهِ**﴾ [يونس: ٧٢].

* * *

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة حم الزخرف

قال مجاهد : ﴿ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ ﴾ [الزخرف : ٢٢] : على إمام .

﴿ وَقِيلِهِۦ يَـٰرَبِّ ﴾ [الزخرف : ٨٨] تفسيره : أيحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم ولا نسمع قيلهم؟

وقال ابن عباس : ﴿ وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً ﴾ [الزخرف : ٣٣] : لولا أن أجعل الناس كلهم كفارًا لجعلت بيوت الكفار ﴿ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ ﴾ [الزخرف : ٣٣] من فضة ، وهي درج وسرر فضة .

﴿ مُقْرِنِينَ ﴾ [الزخرف : ١٣] : مطيقين .

﴿ ءَاسَفُونَا ﴾ [الزخرف : ٥٥] : أسخطونا .

﴿ يَعْشُ ﴾ [الزخرف : ٣٦] : يعمى .

وقال مجاهد : ﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا ﴾ [الزخرف : ٥] أي تكذبون بالقرآن ثم لا تعاقبون عليه .

﴿ وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴾ [الزخرف : ٨] : سنة الأولين .

﴿ وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقْرِنِينَ ﴾ [الزخرف : ١٣] يعني : الإبل والخيل والبغال والحمير .

﴿ أَوَمَن يُنَشَّؤُا۟ فِى ٱلْحِلْيَةِ ﴾ [الزخرف : ١٨] يعني : الجواري ، يقول : جعلتموهن للرحمن ولدًا ؛ فكيف تحكمون .

﴿ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم ﴾ [الزخرف : ٢٠] يعنون الأوثان .

لقول الله ﷻ : ﴿ مَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ﴾ [الزخرف : ٢٠] : الأوثان أنهم لا يعلمون .

﴿ فِى عَقِبِهِۦ ﴾ [الزخرف : ٢٨] : ولده .

﴿مُقْتَرِنِينَ﴾ [الزخرف: ٥٣]: يمشون معا.

﴿جَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا﴾ [الزخرف: ٥٦]: جعلنا قوم فرعون سلفًا لكفار أمة محمد.

﴿وَمَثَلًا﴾ [الزخرف: ٥٦]: عبرة.

﴿يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧]: يضجون.

﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١]: أول المؤمنين.

﴿مُبْرِمُونَ﴾ [الزخرف: ٧٩]: مجمعون.

وقال غيره: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦] العرب تقول: نحن منك البراء والخلاء، والواحد والاثنان والجميع من المذكر والمؤنث يقال فيه: براء؛ لأنه مصدر، ولو قال: بريء لقيل في الاثنين: بريئان وفي الجميع بريئون.

وقرأ عبدالله ﴿إِنَّنِي «بَرِيءٌ»﴾ بالياء.

والزخرف: الذهب.

ملائكة يخلفون: يخلف بعضهم بعضًا.

الشرح

أورد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ تفسير الكلمات التي تحتاج إلى بيان في سورة حم الزخرف.

قوله: ﴿إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ﴾ [الزخرف: ٢٢] فسر مجاهد أمة بأنها **«إمام»**، وروي عن مجاهد أيضا أنه قال: على ملة، وروي عن ابن عباس: على دين.

قوله: ﴿وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ﴾ [الزخرف: ٨٨] فسر مجاهد هذه الآية بقوله: **«أيحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم، ولا نسمع قيلهم؟»**.

نقل الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ عن ابن التين قوله: «هذا التفسير أنكره بعضهم، وإنما يصح لو كانت التلاوة: وقيلهم»؛ لأنه قال: ﴿وَقِيلِهِۦ﴾ بالإفراد، فكيف يفسر بـ: أيحسبون أنا لا نسمع سرهم ونجواهم؟!

وقيله في موضع الفعل أي: ويقول، وهذا التفسير محمول على أنه أراد تفسير المعنى، والتقدير: ونسمع قيله، ولكن مجاهد فسرها بمعنى قولهم.

قوله : **«وقال ابن عباس : ﴿وَلَوۡلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةٗ وَٰحِدَةٗ﴾** [الزخرف : ٣٣] **لولا أن أجعل الناس كلهم كفارًا لجعلت بيوت الكفار ﴿سُقُفٗا مِّن فِضَّةٖ وَمَعَارِجَ﴾** [الزخرف : ٣٣] **من فضة»** يعني : لولا أن يهلك الناس فيكفرون كلهم لجعل الله لبيوت الكفار سقفًا من فضة وسررًا من فضة .

قوله : ﴿**مُقۡرِنِينَ**﴾ [الزخرف : ١٣] فسره المؤلف فقال : **«مطيقين»** .

قوله : ﴿**فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا**﴾ [الزخرف : ٥٥] فسره بقوله : **«أسخطونا»** وفيه إثبات الأسف - الذي بمعنى الغضب - لله ﷻ .

قوله : ﴿**يَعۡشُ**﴾ [الزخرف : ٣٦] فسره بقوله : **«يعمى»** .

قوله : ﴿**أَفَنَضۡرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكۡرَ صَفۡحًا**﴾ [الزخرف : ٥] فسره مجاهد بقوله : **«تكذبون بالقرآن ثم لا تعاقبون»** .

قوله : ﴿**وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلۡأَوَّلِينَ**﴾ [الزخرف : ٨] فسره بقوله : **«سنة الأولين»** .

قوله : ﴿**وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ**﴾ [الزخرف : ١٣] يعني : المراد بالضمير في قوله ﴿**لَهُۥ**﴾ [الزخرف : ١٣] : **«الإبل والخيل والبغال والحمير»** ، وعن قتادة**«﴿وَمَا كُنَّا لَهُۥ مُقۡرِنِينَ﴾** يعني : لا في الأيدي ولا في القوة .

قوله : **«﴿أَوَمَن يُنَشَّؤُاْ فِي ٱلۡحِلۡيَةِ﴾** [الزخرف : ١٨] **يعني : الجواري ، يقول : جعلتموهن للرحمن ولدًا فكيف تحكمون»** والمعنى : أن البنات تنشأ في الحلية وتربى في الزينة ، فكيف تجعلونها بنات الله وهي ضعيفة؟ وذلك مثل الآية الأخرى : ﴿**لَّوۡ أَرَادَ ٱللَّهُ أَن يَتَّخِذَ وَلَدٗا لَّٱصۡطَفَىٰ مِمَّا يَخۡلُقُ مَا يَشَآءُ**﴾ [الزمر : ٤] وكذلك قوله تعالى : ﴿**أَلَكُمُ ٱلذَّكَرُ وَلَهُ ٱلۡأُنثَىٰ**﴾ [النجم : ٢١] .

قوله : ﴿**لَوۡ شَآءَ ٱلرَّحۡمَٰنُ مَا عَبَدۡنَٰهُم**﴾ [الزخرف : ٢٠] فسره بقوله : **«يعنون الأوثان»** .

قوله : ﴿**مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنۡ عِلۡمٍ**﴾ [الزخرف : ٢٠] فسره بقوله : **«الأوثان أنهم لا يعلمون»** .

قوله : ﴿**فِي عَقِبِهِۦ**﴾ [الزخرف : ٢٨] فسره بقوله : **«ولده»** .

قوله : ﴿**مُقۡتَرِنِينَ**﴾ [الزخرف : ٥٣] فسره بقوله : **«يمشون معًا»** .

قوله : ﴿فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا﴾ [الزخرف : ٥٦] فسره بقوله : **«جعلنا قوم فرعون سلفًا لكفار أمة محمد»** ، فالكفار سلف للكفار ، والمؤمنون سلف للمؤمنين ، فآل فرعون سلف لأهل الباطل وآل إبراهيم سلف لأهل الحق .

قوله : ﴿وَمَثَلًا﴾ [الزخرف : ٥٦] فسره بقوله : **«عبرة»** .

قوله : ﴿يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف : ٥٧] فسره بقوله : **«يضجون»** ؛ لأنه عند وجود الضجة يحصل الصدود ، ومنه قوله تعالى : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسْمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْاْ فِيهِ﴾ [فصلت : ٢٦] ، فإذا لغوا فيه حصل الإعراض عن القرآن .

قوله : ﴿فَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ [الزخرف : ٨١] فسره بقوله : **«أول المؤمنين»** .

قوله : ﴿مُبْرِمُونَ﴾ [الزخرف : ٧٩] فسره بقوله : **«مجمعون»** .

قوله : **«وقال غيره : ﴿إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ﴾** [الزخرف : ٢٦] **العرب تقول : نحن منك البراء والخلاء ، والواحد والاثنان والجميع من المذكر والمؤنث يقال فيه : براء ؛ لأنه مصدر»** يعني : كلمة براء تصلح للواحد وللاثنين وللجميع وللمذكر وللمؤنث ، فيقال : رجل براء ، وامرأة براء ، ونسوة براء ، فكلمة براء تصلح للكل ؛ لأنها مصدر .

قوله : **«ولو قال : بريء لقيل في الاثنين : بريئان وفي الجميع : بريئون»** ؛ لأن **«بريء»** اسم ففيها التثنية والجمع فيقال : بريء للمفرد ، وبريئان للمثنى ، وبريئون للجمع .

قوله : **«وقرأ عبد الله : ﴿إنَّنِى «بريء»﴾ بالياء»** أي : على الإفراد .

قوله : **«والزخرف : الذهب»** كذا فسرها .

قوله : ﴿مَّلَٰٓئِكَةً فِى ٱلْأَرْضِ يَخْلُفُونَ﴾ [الزخرف : ٦٠] فسره بقوله : **«يخلف بعضهم بعضًا»** .

* * *

المتن

[٢٦٨/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُم مَّٰكِثُونَ﴾ [الزخرف: ٧٧] الآية

• **[٤٤٢٩]** حدثنا حجاج بن منهال، قال: حدثنا سفيان بن عيينة، عن عمرو، عن عطاء، عن صفوان بن يعلى، عن أبيه قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ على المنبر: ﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾.

وقال قتادة: ﴿مَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف: ٥٦]: عظة لمن بعدهم.

وقال غيره: ﴿مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف: ١٣]: ضابطين، يقال: فلان مقرن بفلان: ضابط له.

والأكواب: الأباريق التي لا خراطيم لها.

وقال قتادة: ﴿فِي أُمِّ الْكِتَابِ﴾ [الزخرف: ٤]: جملة الكتاب أصل الكتاب.

﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ الذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ [الزخرف: ٥]: مشركين، والله لو أن هذا القرآن رفع حيث رده أوائل هذه الأمة لهلكوا.

﴿فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف: ٨]: عقوبة الأولين.

﴿جُزْءًا﴾ [الزخرف: ١٥]: عِدلا.

﴿أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾ [الزخرف: ٨١] أي: ما كان فأنا أول الآنفين، وهما لغتان رجل عابد وعبد. وقرأ عبدالله: «وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ».

ويقال: ﴿أَوَّلُ الْعَابِدِينَ﴾: الجاحدين من عبد يعبد.

الشرح

• **[٤٤٢٩]** هذا الحديث على هذه الآية: ﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾.

قوله: «**سمعت النبي ﷺ يقرأ على المنبر: ﴿وَنَادَوْا يَٰمَٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ﴾**» المقصود أن النبي ﷺ كان يقرؤها على المنبر للتذكير والوعظ، كما كان يقرأ غيرها، وكما كان يقرأ سورة ق على المنبر(١).

---

(١) أحمد (٦/ ٤٣٥)، ومسلم (٨٧٢).

ثم فسر الكلمات بعد ذلك فقال : «**وقال قتادة** : ﴿مَثَلًا لِّلْآخِرِينَ﴾ [الزخرف : ٥٦] : **عظة لمن بعدهم**» .

قوله : «**وقال غيره** : ﴿مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف : ١٣] **ضابطين**» يعني : قال غير قتادة ، وهذا قريب من معنى مطيقين ، «**يقال : فلان مقرن بفلان : ضابط له**» .

قوله : «**والأكواب : الأباريق التي لا خراطيم لها**» يعني : التي ليس لها عروة ، وسبق أن الأباريق هي التي لها عروة ، والكأس هو الذي لا عروة له .

قوله تعالى : ﴿فِيٓ أُمِّ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الزخرف : ٤] فسرها قتادة فقال : «**جملة الكتاب أصل الكتاب**» ، والمراد به اللوح المحفوظ هنا .

قوله : ﴿أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ [الزخرف : ٥] فسر الآية بقوله : «**مشركين**» ، وهذا قول قتادة ، أخذه البخاري وذكره في معنى الآية .

وقوله : ﴿أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ﴾ أي : أفنرفع عنكم القرآن لأجل كونكم مشركين .

قوله : «**والله لو أن هذا القرآن رفع حيث رده أوائل هذه الأمة لهلكوا**» يعني : قريشًا .

قوله : ﴿فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ﴾ [الزخرف : ٨] يعني : «**عقوبة الأولين**» .

قوله : ﴿وَجَعَلُوا۟ لَهُۥ مِنْ عِبَادِهِۦ جُزْءًا﴾ [الزخرف : ١٥] قال البخاري : «**عِدْلًا**» ، وأما أبو عبيد فقال : ﴿جُزْءًا﴾ أي نصيبًا .

قوله : ﴿أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ [الزخرف : ٨١] «**أي : ما كان فأنا أول الآنفين ، وهما لغتان**» ، يقال : «**رجل عابد وعبد**» .

قوله : «**وقرأ عبد الله : «وَقَالَ الرَّسُولُ يَا رَبِّ»** ، **ويقال** : ﴿أَوَّلُ ٱلْعَٰبِدِينَ﴾ **الجاحدين من عبد يعبد**» .

وحاصل ما نقله الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ من كلام العلماء على هذه الآية قولان :

أحدهما : أن إنْ شرطية ، والمعنى : لو كان للرحمن ولد ، فأنا أول العابدين له بذلك .

ثانيهما : تكون إنْ نافية ، والمعنى : ما كان للرحمن ولد وأنا أول العابدين ، فتكون الفاء بمعنى الواو ، والأرجح الأول وأنها الشرطية .

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الدخان

وقال مجاهد : ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا﴾ [الدخان : ٢٤] : طريقا يابسا ويقال : رهوا ساكنا .

﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الدخان : ٣٢] : على من بين ظهريه .

﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان : ٥٤] : أنكحناهم حورا عينا يحار فيها الطرف .

وقال ابن عباس : ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ [الدخان : ٤٥] : أسود كمهل الزيت .

وقال غيره : ﴿قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ [الدخان : ٣٧] : ملوك اليمن وكل واحد منهم يسمى تبعا ؛ لأنه يتبع صاحبه ، والظل يسمى تبعا لأنه يتبع الشمس .

﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ [الدخان : ٤٧] : ادفعوه .

ويقال : ﴿أَن تَرْجُمُونِ﴾ [الدخان : ٢٠] : القتل .

و ﴿رَهْوًا﴾ [الدخان : ٢٤] : ساكنا .

﴿فَٱرْتَقِبْ﴾ [الدخان : ٥٩] : فانتظر .

الشرح

فسر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الكلمات التي تحتاج إلى تفسير في سورة حم الدخان .

قوله : ﴿وَٱتْرُكِ ٱلْبَحْرَ رَهْوًا﴾ فسرها بقوله : **«طريقًا يابسًا ، ويقال : رهوًا ساكنًا»** .

قوله : ﴿وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ﴾ [الدخان : ٣٢] يعني : بني إسرائيل ، وقوله : ﴿عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [الدخان : ٣٢] يعني **«على من بين ظهريه»** ، وفي اللفظ الآخر في التفسير : يعني على عالم زمانهم ؛ لأن بني إسرائيل أفضل عالم زمانهم ، وليسوا أفضل من هذه الأمة .

قوله : ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ﴾ [الدخان : ٥٤] يعني : **«أنكحناهم حورًا»** ، وسميت كذلك لأنه **«يحار فيها الطرف»** ، وعين يعني : واسعة العين .

قوله : ﴿كَٱلْمُهْلِ﴾ [الدخان : ٤٥] فسرها ابن عباس بقوله : «**أسود كمهل الزيت**» يعني : الكفار يسقون ماءً كعكر الزيت إذا قربه إليه سقطت فروة وجهه .

قوله : «﴿قَوْمُ تُبَّعٍ﴾ [الدخان : ٣٧] **ملوك اليمن ، كل واحد منهم يسمى تبعًا ؛ لأنه يتبع صاحبه ، والظل يسمى تبعًا ؛ لأنه يتبع الشمس**» ، قال أبو عبيدة : موضع تبع في الجاهلية موضع الخليفة في الإسلام ، وهم ملوك العرب الأعاظم .

قوله : ﴿خُذُوهُ﴾ [الدخان : ٤٧] يعني : الكافر ، وقوله : ﴿فَٱعْتِلُوهُ﴾ [الدخان : ٤٧] يعني : «**ادفعوه**» .

قوله : ﴿أَن تَرْجُمُونِ﴾ [الدخان : ٢٠] هو «**القتل**» .

* * *

المتن

[٢٦٩/ ٥٦] باب ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ [الدخان: ١٠]

• [٤٤٣٠] حدثنا عبدان، عن أبي حمزة، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، عن عبدالله قال: مضى خمس: الدخان، والروم، والقمر، والبطشة، واللزام.

الشرح

قوله: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ﴾ يعني: انتظر.

• [٤٤٣٠] قوله: «**مضى خمس: الدخان، والروم، والقمر، والبطشة، واللزام**» كذا قال عبدالله ابن مسعود أن الدخان قد مضى، وهو ما أصاب قريشًا من الجوع الشديد، حتى إن الواحد منهم ليرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من شدة الجوع؛ حتى أكلوا العظام والميتة، والروم: غلبة الروم للفرس وهذا مضى أيضًا، والقمر: يعني انشقاق القمر، والبطشة: ما أصاب المشركين يوم بدر من بطش المؤمنين بهم وقتلهم، واللزام: لزوم العذاب لهم يوم بدر.

وسبق أن الدخان دخانان: أحدهما مضى وهو ما عناه ابن مسعود رضي الله عنه، ودخان يأتي في آخر الزمان، وهو من أشراط الساعة الكبرى، وهو دخان يصيب المؤمن كهيئة زكام، أما الكافر فيصيبه منه شدة، حيث يدخل في منخريه وأنفه وفمه ويكون له عذابًا.

* * *

المَتْنُ

[٢٧٠/ ٥٦] باب قوله: ﴿يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان: ١١]

• [٤٤٣١] حدثني يحيى، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق قال: قال عبدالله: إنما كان هذا لأن قريشا لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف، فأصابهم قحط وجهد حتى أكلوا العظام، فجعل الرجل ينظر إلى السماء فيرى ما بينه وبينها كهيئة الدخان من الجهد؛ فأنزل الله ﷻ ﴿فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝ يَغْشَى ٱلنَّاسَ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [الدخان: ١٠- ١١] قال: فأتي رسول الله ﷺ، فقيل: يا رسول الله، استسق الله لمضر فإنها قد هلكت، قال: **«لمضر؟! إنك لجريء»**، فاستسقى لهم فسقوا، فنزلت ﴿إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾ [الدخان: ١٥] فلما أصابهم الرفاهية عادوا إلى حالهم حين أصابتهم الرفاهية؛ فأنزل الله ﷻ ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦] قال: يعني يوم بدر.

الشَّرْحُ

• [٤٤٣١] هذا الحديث فيه تفسير عبدالله بن مسعود ﵁ للدخان المذكور في سورة الدخان، أنه الذي أصاب قريشًا من شدة الجوع، وخفي عليه الدخان الذي جاء في الأحاديث أنه يكون في آخر الزمان، وهو دخان يملأ ما بين السماء والأرض، يصيب المؤمن كهيئة زكام، ويصيب الكافر منه شدة عظيمة.

قوله: **«إنما كان هذا لأن قريشا لما استعصوا على النبي ﷺ دعا عليهم بسنين كسني يوسف؛ فأصابهم قحط وجهد»** يعني: أصابهم الجوع والشدة.

قوله: **«فأنزل الله ﷻ: ﴿يَوْمَ نَبْطِشُ ٱلْبَطْشَةَ ٱلْكُبْرَىٰٓ إِنَّا مُنتَقِمُونَ﴾ [الدخان: ١٦]»** أي: انتقم الله منهم يوم بدر، فقُتل سبعون وأُسر سبعون.

* * *

المتن

[٢٧١/ ٥٦] **باب قوله: ﴿رَبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ﴾** [الدخان: ١٢]

• **[٤٤٣٢]** حدثنا يحيى، قال: حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق قال: دخلت على عبدالله فقال: إن من العلم أن تقول لما لا تعلم: الله أعلم؛ إن الله قال لنبيه: ﴿**قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ**﴾ [ص: ٨٦] إن قريشا لما غلبوا على النبي ﷺ واستعصوا عليه، قال: «**اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف**»، فأخذتهم سنة أكلوا فيها العظام والميتة من الجهد، حتى جعل أحدهم يرى ما بينه وبين السماء كهيئة الدخان من الجوع، قالوا: ﴿**رَبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ**﴾ [الدخان: ١٢]، فقيل له: إن كشفنا عنهم عادوا، فدعا ربه فكشف عنهم، فعادوا، فانتقم الله منهم يوم بدر؛ فذلك قوله: ﴿**فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ**﴾ إلى قوله: ﴿**مُنتَقِمُونَ**﴾ [الدخان: ١٠- ١٦].

الشرح

• **[٤٤٣٢]** أعاد المؤلف رحمه الله هذا الحديث على هذه الآية: ﴿**رَبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ**﴾ وقد ذكره فيما مضى عن مسروق قال: بينما رجل يحدث في كندة فقال: يجيء دخان يوم القيامة فيأخذ بأسماع المنافقين وأبصارهم، ويأخذ المؤمن كهيئة الزكام، قال: ففزعنا فأتيت ابن مسعود وكان متكئًا فغضب فجلس فقال: من علم فليقل، ومن لم يعلم فليقل: الله أعلم[1]، وسبق أن ابن مسعود رضي الله عنه أنكر هذا الدخان؛ لأنه لم يبلغه، وإلا فقد جاءت الأحاديث بأن هناك دخانًا في آخر الزمان، وفسر ابن مسعود هذه الآية بالدخان الذي أصاب قريشًا من شدة الجوع، فسألوا النبي ﷺ أن يدعو الله فدعا لهم فرجعوا إلى غيهم، فانتقم الله منهم يوم بدر بالقتل والأسر.

وفي هذا الحديث من الفوائد: أن من العلم أن يقول الإنسان لما لا يعلم: الله أعلم؛ لأن العلم نوعان: علم يعلمه الإنسان، وعلم لا يعلمه؛ ولهذا يقال: قول: لا أدري، أو لا أعلم يعدل نصف العلم.

---

(١) أحمد (١/ ٣٨٠)، والبخاري (٤٧٧٤)، ومسلم (٢٧٩٨).

المتن

[٢٧٢/ ٥٦] باب ﴿أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ﴾ [الدخان: ١٣]

الذكر والذكرى واحد

• [٤٤٣٣] حدثنا سليمان بن حرب، قال: حدثنا جرير بن حازم، عن الأعمش، عن أبي الضحى، عن مسروق، قال: دخلت على عبدالله، ثم قال: إن رسول الله ﷺ لما دعا قريشا كذبوه واستعصوا عليه، فقال: **«اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف»**، فأصابتهم سنة حصت، حتى كانوا يأكلون الميتة، فكان يقوم أحدهم فكان يرى بينه وبين السماء مثل الدخان من الجهد والجوع، ثم قرأ ﴿**فَٱرْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ**﴾ حتى بلغ: ﴿**إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ**﴾ [الدخان: ١٠-١٥].

قال عبدالله: أفيكشف عنهم العذاب يوم القيامة؟! قال: والبطشة الكبرى يوم بدر.

الشرح

• [٤٤٣٣] قوله: ﴿**أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكْرَىٰ وَقَدْ جَآءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ**﴾ [الدخان: ١٣] الاستفهام للاستبعاد، يعني: كيف يتذكرون وجاءهم رسول مبين وهو محمد ﷺ؟

كرر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ هذا الحديث أيضًا، ومن الفوائد من تكرار الحديث: الزيادات التي تكون في المتن، ومنها: تقوية الإسناد.

فالحديث الأول: حدثنا يحيى، حدثنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن مسلم.

والحديث الثاني: قال: حدثنا يحيى حدثنا وكيع عن الأعمش عن عبد الله.

وفي هذا الحديث: **«حدثنا سليمان بن حرب قال: حدثنا جرير بن حازم عن الأعمش»**، وهذا كله مما يتقوى به الإسناد.

قوله: **«﴿إِنَّا كَاشِفُواْ ٱلْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَآئِدُونَ﴾** [الدخان: ١٥] **قال عبدالله: أفيكشف عنهم العذاب يوم القيامة؟!»** استدل عبد الله بن مسعود رضي الله عنه بكشف العذاب عنهم على أن الدخان لا يكون يوم القيامة؛ لأن العذاب يوم القيامة لا يكشف؛ فدل على أن العذاب الجوع الذي أصابهم، فكشف عنهم وجاءتهم الرفاهية، فعادوا فانتقم الله منهم.

قوله: **«قال: والبطشة الكبرى يوم بدر»** حيث هزموا وقتل منهم سبعون وأسر سبعون.

المَتْنُ

[٢٧٣/ ٥٦] باب ﴿ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ﴾ [الدخان: ١٤]

• [٤٤٣٤] حدثني بشر بن خالد، قال: أخبرنا محمد، عن شعبة، عن سليمان ومنصور، عن أبي الضحىٰ، عن مسروق، قال: قال عبدالله: إن الله بعث محمدا وقال: ﴿قُلۡ مَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص: ٨٦]، فإن رسول الله ﷺ لما رأىٰ قريشا استعصوا عليه، قال: **«اللهم أعني عليهم بسبع كسبع يوسف»**، فأخذتهم السنة حتىٰ حصت كل شيء، حتىٰ أكلوا العظام والجلود، فقال أحدهم: حتىٰ أكلوا الجلود والميتة، وجعل يخرج من الأرض كهيئة الدخان، فأتاه أبو سفيان فقال: أي محمد، إن قومك هلكوا فادع الله أن يكشف عنهم، فدعا، ثم قال: **«يعودوا بعد هذا»** في حديث منصور، ثم قرأ: ﴿فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ﴾ إلىٰ: ﴿عَآئِدُونَ﴾ [الدخان: ١٠- ١٥]، أيكشف عنهم عذاب الآخرة؟! فقد مضى الدخان والبطشة واللزام، وقال أحدهم: القمر، وقال الآخر: والروم.

• [٤٤٣٥] حدثني يحيىٰ، قال: حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن مسلم، عن مسروق، عن عبدالله قال: خمس قد مضين: اللزام والروم والبطشة والقمر والدخان.

الشَّرْحُ

• [٤٤٣٤] كرر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الحديث في التراجم المتعددة لثلاثة أمور:

الأول: تفسير كل آية من الآيات.

الثاني: لأجل اختلاف الأسانيد، فيستفاد قوة في الحديث بالطرق المتعددة.

الثالث: الزيادة في بعض الطرق في متن الحديث، وتسمية من لم يسمَّ، كأبي سفيان هنا حيث، قال: **«فأتاه أبو سفيان فقال: أي محمد»**.

قوله: **«يعودوا»** حذف نون الفعل بدون ناصب ولا جازم علىٰ لغة قليلة الاستخدام.

• [٤٤٣٥] قوله: **«اللزام»** يعني: لزوم العذاب لهم.

قوله: **«والروم»** يعني: غلبتهم للفرس.

قوله: **«والبطشة»** يعني: ما أصاب المشركين من بطش بتسليط المؤمنين عليهم.

قوله: **«والقمر»** يعني: انشقاق القمر.

قوله: **«والدخان»** يعني: الجوع الذي أصابهم.

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة حم الجاثية

﴿جَاثِيَةً﴾ [الجاثية : ٢٨] : مستوفزين على الركب .

﴿نَسْتَنسِخُ﴾ [الجاثية : ٢٩] : نكتب . ﴿نَنسَىٰكُمْ﴾ [الجاثية : ٣٤] : نترككم .

الشرح

قوله : «﴿جَاثِيَةً﴾ : **مستوفزين على الركب**» المستوفز : هو الذي يجلس على رجليه ويرفع أليتيه ، وهذه إحدى جلسات النبي ﷺ فقد ورد أنه : «أكل تمرًا مقعيًا»[1] أي مستوفزا ولعله لما فعل ذلك كان متعجلا .

وهناك أنواع من الجلسات كان يجلسها النبي ﷺ ، كالجلسة بين السجدتين في الصلاة بأن يجعل الأليتين على العقبين ويعتمد على الركبتين ، ، وقد ورد أن النبي ﷺ كان يفعلها في بعض الأحيان ، ولكنه في الغالب كان يجلس على رجله اليسرى وينصب اليمنى بين السجدتين[2] .

وجاء أنه جلس على عقبيه مستوفزا ، بأن اعتمد على ركبتيه وجعل أليتيه على عقبيه ، وهذا يسمى الإقعاء ، والإقعاء نوعان : إقعاء جائز وإقعاء ممنوع ، فالإقعاء الجائز : هو أن يكون مستوفزا على الركب بأن يجعل أليتيه على عقبيه ويعتمد على ركبتيه ، وقد جاء عن ابن عباس رضي الله عنه أن النبي ﷺ فعله[3] . والإقعاء الممنوع : هو إقعاء الكلب ، وهو أن يجلس على أليتيه وينصب ساقيه ويعتمد على يديه ويجعلها من الخلف ، وهو منهي عنه في الحديث[4] .

قوله : ﴿نَسْتَنسِخُ﴾ فسرها بقوله : «**نكتب**» .

قوله : ﴿نَنسَىٰكُمْ﴾ [الجاثية : ٣٤] المراد : نترككم ونعاملكم معاملة المنسي .

---

(١) أحمد (٣/ ١٨٠) ، ومسلم (٢٠٤٤) .
(٢) أحمد (٦/ ٣١) ، والبخاري (٨٢٨) ، ومسلم (٤٩٨) .
(٣) أحمد (١/ ٣١٣) ، ومسلم (٥٣٦) .
(٤) أحمد (٢/ ٣١١) .

المتن

[٢٧٤/ ٥٦] باب ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤] الآية

• [٤٤٣٦] حدثنا الحميدي، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثني الزهري، عن سعيد بن المسيب، عن أبي هريرة قال: قال النبي ﷺ: **«قال الله تبارك وتعالى: يؤذيني ابن آدم؛ يسب الدهر وأنا الدهر، بيدي الأمر، أقلب الليل والنهار»**.

الشرح

• [٤٤٣٦] قوله: **«قال الله تبارك وتعالى: يؤذيني ابن آدم؛ يسب الدهر وأنا الدهر»** فهذا حديث قدسي؛ حيث أضافه النبي ﷺ إلى الله ﷻ، فيكون من كلام الله لفظًا ومعنى، أما الحديث النبوي فهي من الله معنى ومن الرسول ﷺ لفظًا، مثل: **«إنما الأعمال بالنية»**(١) فهذا من الله معنى ومن الرسول ﷺ لفظًا؛ لأن الرسول ﷺ لا يأتي بشيء من عنده قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ۝ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ﴾ [النجم: ٣، ٤] فالسنة وحي ثان قال ﷺ: **«ألا إني أوتيت الكتاب ومثله معه»**(٢) فالحديث القدسي تكلم الله به لفظًا ومعنى مثل القرآن، إلا أن له أحكامًا تختلف عن القرآن؛ فالقرآن يتعبد بتلاوته والحديث القدسي لا يتعبد بتلاوته، والقرآن لا يمسه إلا المتوضئ والحديث القدسي قد يمسه غير المتوضئ، والقرآن معجز والحديث القدسي ليس بمعجز.

وفي هذا الحديث من الفوائد: أن سب الدهر فيه أذية لله، فقد قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْـَٔاخِرَةِ﴾ [الأحزاب: ٥٧] ولكن لا يلزم من هذه الأذية الضرر، فإن الله سبحانه لا يضره أحد من خلقه، وفي الحديث القدسي يقول الله ﷻ: **«يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضري فتضروني ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني»**(٣) فالله سبحانه لا يناله نفع من أحد ولا يناله الضر من أحد بل هو النافع والضار سبحانه وتعالى.

---

(١) أحمد (١/ ٢٥)، والبخاري (٦٦٨٩)، ومسلم (١٩٠٧).

(٢) أحمد (٤/ ١٣٠)، وأبو داود (٤٦٠٤).

(٣) مسلم (٢٥٧٧).

قوله : «**بيدي الأمر أقلب الليل والنهار**» هذا تفسير فصل يعني : أنا خالق الدهر أقلب الدهر وأصرف الدهر . وفيه الرد على ابن حزم – مع ذكائه واطلاعه وحفظه للأحاديث – القائل أن الدهر من أسماء الله ، وقد غلطه العلماء في هذا ، ولو كان الدهر من أسماء الله لكان الدهريون مصيبون في قولهم : ﴿وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية : ٢٤] والدهرية ملاحدة منكرون للرب والميعاد فهم يقولون : ليس هناك رب ولا ميعاد ، فهي بطون تدفع بالولادة ، وقبور تبلع بالموت ، ولا رب ولا ميعاد ، وما يهلكنا إلا مرور الليل والنهار .

والحديث فيه ما يدل على أن معنى الدهر هو الليل والنهار ، وذلك في قوله : «**أقلب الليل والنهار**» .

❊ ❊ ❊

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة حم الأحقاف

وقال بعضهم : أَثَرَةٌ وأَثْرَةٌ وأَثَارَةٌ : بقيةٌ من علم .

وقال ابن عباس : ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [الأحقاف : ٩] ما كنت بأول الرسل .

الشرح

قوله : ﴿قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ يعني لست بأول الرسل .

* * *

المَتن

[٢٧٥/ ٥٦] باب ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِيٓ أَنۡ أُخۡرَجَ﴾ إلى قوله: ﴿أَسَٰطِيرُ ٱلۡأَوَّلِينَ﴾ [الأحقاف: ١٧] الآية

• [٤٤٣٧] حدثنا موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن يوسف بن ماهك قال: كان مروان على الحجاز، استعمله معاوية، فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه، فقال له عبدالرحمن بن أبي بكر شيئا، فقال: خذوه، فدخل بيت عائشة فلم يقدروا، فقال مروان: إن هذا الذي أنزل الله فيه: ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيۡهِ أُفّٖ لَّكُمَآ﴾، فقالت عائشة من وراء الحجاب: ما أنزل الله فينا شيئا من القرآن؛ إلا أن الله أنزل عذري.

الشَّرح

• [٤٤٣٧] قوله: **«عن يوسف بن ماهك»** ماهك كلمة فارسية كما في «التقريب»، ومعناها: قمير، تصغير قمر، وهو بفتح الهاء وكسرها.

قوله: **«كان مروان»** أي: مروان بن الحكم **«على الحجاز»** يعني: أميرًا على الحجاز.

قوله: **«استعمله معاوية»** أي: معاوية بن أبي سفيان وهو الخليفة بالشام في ذلك الوقت.

قوله: **«فخطب فجعل يذكر يزيد بن معاوية لكي يبايع له بعد أبيه»** أي أن معاوية أراد أن يأخذ البيعة لولده يزيد من بعده فخطب مروان الناس وقال: إن الخليفة يريد أن يبايع الناس لولده من بعده فاعترض عليه عبدالرحمن بن أبي بكر أخو عائشة، وجاء في اللفظ الآخر أنه قال: «هذه هرقلية»[1] نسبة لهرقل أي: هذه سنة هرقل.

وعبدالرحمن قال هذا من باب النصح، وأنه ينبغي للولاة أن ينظروا في مصلحة المسلمين ولا يجعلوها في أبنائهم، ومعاوية اجتهد ورأى أن ابنه يزيد أهلًا لها رضي الله عنهم أجمعين.

قوله: **«فقال: خذوه»** أي: أمر مروان حرسه أن يقبضوا عليه ليعاقبوه.

---

(١) البغوي في «معجم الصحابة» (٤/ ٤١٦)، وابن عساكر في «تاريخ دمشق» (٣٥/ ٣٥).

قوله : «**فدخل بيت عائشة فلم يقدروا**» أي : فهرب عبدالرحمن بن أبي بكر واختبأ في بيت عائشة ، فلم يقدروا عليه تقديرًا لعائشة أم المؤمنين .

قوله : «**فقال مروان : إن هذا الذي أنزل الله فيه : ﴿وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ﴾**» [الأحقاف : ١٧] قال مروان هذا الكلام ليبين أنه عاق لوالديه لكي لا يسمع له أحد .

قوله : «**ما أنزل الله فينا شيئًا**» يعني : نحن ما أنزل الله فينا آل أبي بكر أي شيء من القرآن .

قوله : «**إلا أن الله أنزل عذري**» يعني : في القرآن ، وهو تبرئتها مما رماها به أهل الإفك .

وذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ أن في رواية الإسماعيلي قالت عائشة : «كذب والله ما نزلت فيه» ، وفي رواية له : «والله ما أنزلت إلا في فلان بن فلان الفلاني» . وفي رواية : «كذب والله ما هو به ولكن رسول الله ﷺ لعن أبا مروان ومروان في صلبه»(١) .

❋ ❋ ❋

(١) النسائي في «الكبرى» (٦/ ٤٥٨) .

المتن

[٢٧٦/ ٥٦] باب قوله ﷻ: ﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ﴾ [الأحقاف: ٢٤] الآية

وقال ابن عباس: عارض: السحاب.

● [٤٤٣٨] حدثنا أحمد بن عيسى، قال: حدثنا ابن وهب، قال: أخبرنا عمرو، أن أبا النضر حدثه، عن سليمان بن يسار، عن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: ما رأيت رسول الله ﷺ ضاحكًا حتى أرى منه لهواته؛ إنما كان يتبسم، قالت: وكان إذا رأى غيمًا أو ريحًا عرف في وجهه، قالت: يا رسول الله، الناس إذا رأوا الغيم فرحوا رجاء أن يكون فيه المطر، وأراك إذا رأيت عرف في وجهك الكراهية، فقال: **«يا عائشة، ما يؤمني أن يكون فيه عذاب، عذب قوم بالريح، وقد رأى قوم العذاب فقالوا: ﴿هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا﴾ [الأحقاف: ٢٤]»**.

الشرح

هذه الآية المترجم بها في قصة عاد قوم هود قال الله تعالى: **﴿فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُم بِهِ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾** [الأحقاف: ٢٤].

قوله: **«عارض»** فسرها المؤلف بقول ابن عباس: **«السحاب»**، وذلك أنه جاءتهم سحابة وكان فيها هلاكهم، فقد قال الله ﷻ: **﴿رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا﴾** [الأحقاف: ٢٤، ٢٥] يعني: تدمر كل شيء يصلح للتدمير لأنها لم تدمر السموات والأرض والمساكن.

● [٤٤٣٨] في هذا الحديث أن النبي ﷺ كان لا يستجمع ضاحكًا حتى ترى منه نواجذه إنما كان يتبسم، وإذا رأى الغيم عرف في وجهه الكراهية، وفي لفظ آخر: «أنه كان يدخل ويخرج»(١) والناس يفرحون إذا رأوا الغيم وهو ﷺ يعرف في وجهه الكراهية فإذا أمطر سري عنه فتقول له عائشة: الناس يفرحون إذا رأوا الغيم وجاء المطر وأنت يعرف في وجهك الكراهية! فيقول لها ﷺ: **«ما يؤمني أن يكون فيه عذاب، عذب قوم بالريح»** هذا من خوفه من ربه ﷻ، فرغم استقامته على طاعة الله -وهو رسول الله ﷺ- فإنه إذا رأى غيمًا خاف وجعل يدخل ويخرج، ونحن مع عصياننا لا نخاف، ولكن من كان بالله أعرف كان منه أخوف.

---

(١) أحمد (٦/ ١٦٧)، والبخاري (٣٢٠٦)، ومسلم (٨٩٩).

المتن

سورة ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ [محمد: ١]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَوۡزَارَهَا﴾ [محمد: ٤]: آثامها حتى لا يبقى إلا مسلم.

﴿عَرَّفَهَا﴾ [محمد: ٦]: بيَّنَهَا لكم.

وقال مجاهد: ﴿فَإِذَا عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [محمد: ٢١] أي جد الأمر.

﴿فَلَا تَهِنُواْ﴾ [محمد: ٣٥]: لا تضعفوا.

وقال ابن عباس: ﴿أَضۡغَٰنَهُمۡ﴾ [محمد: ٢٩]: حسدهم.

الشرح

قوله: ﴿أَوۡزَارَهَا﴾ [محمد: ٤] فسرها بأنها «**آثامها حتى لا يبقى إلا مسلم**»، وقيل: حتى ينزل عيسى بن مريم، ويحتمل كما **قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ: «حتى تضع أهل الآثام فلا يبقى مشرك» ويحتمل أن الضمير يعود على الحرب، ويكون المراد هنا بالأوزار السلاح، والمعروف أن الأوزار هي الآثام.

قوله: ﴿عَرَّفَهَا﴾ [محمد: ٦] يعني: «**بيَّنَهَا**».

قوله: ﴿عَزَمَ ٱلۡأَمۡرُ﴾ [محمد: ٢١] يعني: «**جد الأمر**».

قوله: ﴿فَلَا تَهِنُواْ﴾ [محمد: ٣٥] يعني: «**لا تضعفوا**».

قوله: «**وقال ابن عباس**: ﴿أَضۡغَٰنَهُمۡ﴾ [محمد: ٢٩] **حسدهم**» يعني: ما في قلوبهم من الخبث والحسد.

* * *

المَتْن

[٢٧٧/ ٥٦] **باب ﴿وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾** [محمد: ٢٢]

• [٤٤٣٩] حدثنا خالد بن مخلد، قال: حدثنا سليمان، قال: حدثني معاوية بن أبي مزرد، عن سعيد بن يسار، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: **«خلق الله الخلق، فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت فقال: مه، قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة، قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟ قالت: بلى يا رب، قال: فذاك»**، قال أبو هريرة: اقرءوا إن شئتم: **﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾** [محمد: ٢٢].

• [٤٤٤٠] حدثني إبراهيم بن حمزة، قال: حدثنا حاتم، عن معاوية، قال: حدثني عمي أبو الحباب سعيد بن يسار، عن أبي هريرة بهذا، ثم قال رسول الله ﷺ: **«اقرءوا إن شئتم: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ﴾»**.

• [٤٤٤١] حدثنا بشر بن محمد، قال: أنبأنا عبدالله، قال: أخبرنا معاوية بن أبي مُزَرِّدٍ بهذا، قال رسول الله ﷺ: **«اقرءوا إن شئتم: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ﴾»**.

الشَّرْح

قوله تعالى: **﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ ۝٢٢ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ فَأَصَمَّهُمۡ وَأَعۡمَىٰٓ أَبۡصَٰرَهُمۡ﴾** [محمد: ٢٢، ٢٣] فيه الوعيد الشديد على قطيعة الرحم، وأنها من كبائر الذنوب ومن الفساد في الأرض ومن أسباب اللعنة.

• [٤٤٣٩]، [٤٤٤٠]، [٤٤٤١] قوله: **«معاوية بن أبي مزرد»** جاء في «التقريب»: «معاوية ابن أبي مزرد بضم الميم وفتح الزاي وتثقيل الراء المكسورة عبد الرحمن بن يسار مولى بني هاشم المدني ليس به بأس من السادسة خ م س»[١] ومزرد آخره دال مهملة.

قوله: **«فلما فرغ منه قامت الرحم فأخذت»** يعني: **«بحقو الرحمن»**[٢] كما جاء في اللفظ

---

(١) انظر «تقريب التهذيب» (ص٩٥٦).
(٢) أحمد (٢/ ٣٣٠)، والبخاري (٤٨٣٢).

الآخر، وفيه إثبات الحقو لله وسائر الصفات نثبتها للرب كما يليق بجلاله، ولا تشبه صفاته صفات المخلوقين، خلافًا لقول الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «مع اعتقاد تنزيه الله عن الجارحة».

وفيه عظم شأن صلة الرحم وعظم جُرم القطيعة.

قوله: **«قالت: هذا مقام العائذ بك من القطيعة»** العائذ: يعني المستعيذ، وهو المعتصم بالشيء المستجير به.

قوله: **«قال: ألا ترضين أن أصل من وصلك وأقطع من قطعك؟»** كذا أعطاها الله ما أرادت وهذا نؤمن به بلا تكييف.

قوله تعالى: ﴿فَهَلۡ عَسَيۡتُمۡ إِن تَوَلَّيۡتُمۡ أَن تُفۡسِدُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَتُقَطِّعُوٓاْ أَرۡحَامَكُمۡ﴾ [محمد: ٢٢] الأكثر في تفسير لفظ ﴿تَوَلَّيۡتُمۡ﴾ على أنها من الولاية، أي: ولاية الحكم، والمعنى: إن حكمتم ستفسدون في الأرض، وقيل: من الإعراض أي أعرضتم.

وذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ حديث عبدالله بن مغفل قال: **«هم هذا الحي من قريش أخذ الله عليهم إن ولوا الناس أن لا يفسدوا في الأرض ولا يقطعوا أرحامهم»**[(١)].

❊ ❊ ❊

---

(١) الثعلبي في «الكشف والبيان» (٩/ ٣٥).

المتن

سورة الفتح

بسم الله الرحمن الرحيم

وقال مجاهد : ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ [الفتح : ١٢] : هالكين .

﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ [الفتح : ٢٩] : السَّحْنة .

وقال منصور ، عن مجاهد : التواضع .

﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ [الفتح : ٢٩] : غَلُظَ .

﴿شَطْأَهُ﴾ [الفتح : ٢٩] : فراخه .

﴿فَاسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِ﴾ [الفتح : ٢٩] الساق حاملة الشجرة .

وقال : ﴿دَائِرَةُ السَّوْءِ﴾ [الفتح : ٦] كقولك : رجل السوء ، ودائرة السوء : العذاب .

وقال غيره : ﴿شَطْأَهُ﴾ [الفتح : ٢٩] شطء السنبل تنبت الحبة عشرًا وثمانيًا وسبعًا ، فيقوىٰ بعضه ببعض ، فذلك قوله : ﴿فَآزَرَهُ﴾ [الفتح : ٢٩] : قواه ، ولو كانت واحدة لم تقم علىٰ ساق ، وهو مثل ضربه الله للنبي ﷺ ؛ إذ خرج وحده ثم قواه بأصحابه كما قوىٰ الحبة بما ينبت منها .

﴿تُعَزِّرُوهُ﴾ [الفتح : ٩] : تنصروه .



قوله : ﴿قَوْمًا بُورًا﴾ قال مجاهد : «**هالكين**» .

قوله : ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم﴾ قال مجاهد : «**السَّحْنة**» ، يعني : علامة توجد في وجوههم .

قوله : «**وقال منصور ، عن مجاهد : التواضع**» يعني : سيماهم التواضع .

قوله : ﴿فَاسْتَغْلَظَ﴾ يعني : «**غَلُظَ**» .

قوله : ﴿شَطْأَهُ﴾ قال : «**فراخه**» .

قوله : ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ يعني : «**الساق حاملة الشجرة**» .

قوله : «﴿عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ﴾ [الفتح : ٦] **كقولك : رجل السوء ، ودائرة السوء : العذاب**» .

قوله : ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ [الفتح : ٩] يعني : «**تنصروه**» .

قوله : ﴿شَطْـَٔهُۥ﴾ [الفتح : ٢٩] فسر الشطء أيضًا بقوله : «**شطء السنبل تنبت الحبة عشرًا وثمانيًا وسبعًا فيقوى بعضه ببعض**» وكذلك الرسول ﷺ تقوى بأصحابه .

قوله : «**فذلك قوله : ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ قواه ، ولو كانت واحدة لم تقم على ساق**» يعني : السنبل ، «**وهو مثل ضربه الله للنبي ﷺ ؛ إذ خرج وحده ثم قواه بأصحابه كما قوى الحبة بما ينبت منها**» .

* * *

المتن

[٢٧٨/ ٥٦] باب ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١]

• [٤٤٤٢] حدثنا عبدالله بن مسلمة، عن مالك، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ كان يسير في بعض أسفاره وعمر بن الخطاب يسير معه ليلًا، فسأله عمر عن شيء فلم يجبه رسول الله ﷺ، ثم سأله فلم يجبه، ثم سأله فلم يجبه، فقال عمر بن الخطاب: ثكلت أم عمر؛ نَزَرْتَ رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك، فقال عمر: فحركت بعيري ثم تقدمت أمام الناس وخشيت أن ينزل في قرآن، فما نشبت أن سمعت صارخا يصرخ بي، فقلت: لقد خشيت أن يكون نزل في قرآن، فجئت رسول الله ﷺ فسلمت عليه، فقال: «**لقد أنزلت علي الليلة سورة لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس**»، ثم قرأ ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا**﴾.

• [٤٤٤٣] حدثني محمد بن بشار، قال: حدثنا غندر، قال: حدثنا شعبة، قال: سمعت قتادة، عن أنس: ﴿**إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا**﴾ قال: الحديبية.

• [٤٤٤٤] حدثنا مسلم بن إبراهيم، قال: حدثنا شعبة، قال: حدثنا معاوية بن قرة، عن عبدالله بن مغفل قال: قرأ النبي ﷺ يوم فتح مكة سورة الفتح فرجع فيها.

قال معاوية: لو شئت أن أحكي لكم قراءة النبي ﷺ لفعلت.

الشرح

• [٤٤٤٢] هذه القصة فيها بيان سبب نزول آية الفتح، فقد ذكر عمر أنه كان يسير مع النبي ﷺ فسأله عن شيء ثلاث مرات ولم يجبه رسول الله ﷺ؛ لأنه مشغول بشيء أهم، إما بالوحي أو بغيره، فتأثر عمر بما فعل وقال: «**ثكلت أم عمر، نَزَرْتَ رسول الله ﷺ ثلاث مرات كل ذلك لا يجيبك**» وكأنه رأى أن هذا فيه إساءة أدب، والنزر: هو الصوت المرتفع.

قوله ﷺ: «**لقد أنزلت علي الليلة سورة لهي أحب إلي مما طلعت عليه الشمس**» المراد بما طلعت عليه الشمس الدنيا كلها.

قوله: «**ثم قرأ: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾**» أي: النبي ﷺ، وكان ذلك في صلح الحديبية، وسماه الله فتحًا لما أعقب صلح الحديبية من النصر؛ لأن الناس أمنوا بهذا الصلح

حيث وضعت الحرب أوزارها، واختلط المشركون بالمسلمين، وسمعوا القرآن فأسلم جم غفير بسبب هذه الهدنة، وتفرغ النبي ﷺ لفتح خيبر والكتابة لرؤساء القبائل والعشائر فكان فتحًا عظيمًا، ثم نقضت قريش الصلح فغزاهم النبي ﷺ وفتح مكة بعد سنتين.

وهذا الحديث لم يبين لنا وقت نزول هذه الآية وأن نزولها كان في بعض الأسفار من غير تحديد، ولكن الأحاديث الأخرى بينت أنها نزلت في الحديبية.

• [٤٤٤٣] قوله: «﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾ [الفتح: ١] **قال: الحديبية**» سميت الحديبية فتحًا؛ لأنها مقدمة للفتح ومن أسبابه؛ لأن الناس أمنوا فيه وتمكنوا من سماع القرآن والنظر في الإسلام، واختلطوا بالمسلمين وذهبوا إليهم في المدينة فدخلوا في الإسلام.

• [٤٤٤٤] هذا حديث عبدالله بن مغفل في وصف قراءة النبي ﷺ لسورة الفتح يوم فتح مكة.

قوله: «**فرجع فيها**» الترجيع: هو ترديد الصوت بالقراءة تخشعًا وتدبرًا.

وجاء هذا الحديث من طريق أخرى في «كتاب التوحيد» بلفظ: «كيف ترجيعه؟ قال: ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا﴾، قال: آ ثلاث مرات[(١)]».

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال القرطبي: هو محمول على إشباع المد في موضعه».

وقيل: كان ذلك بسبب كونه راكبًا فحصل الترجيع من تحريك الناقة، وهذا فيه نظر؛ لأن في رواية علي بن الجعد عن شعبة عند الإسماعيلي: وهو يقرأ قراءة لينة فقال: «لولا أن يجتمع الناس علينا لقرأت ذلك اللحن»[(٢)].

* * *

(١) البخاري (٧٥٤١)، ومسلم (٧٩٤).

(٢) لم نقف عليه من رواية علي بن الجعد، وهو عند أحمد (٥/ ٥٥)، والطحاوي في «شرح المشكل» (١٤/ ٤٧٦) من طرق أخرى عن شعبة.

المتن

[٢٧٩/ ٥٦] باب قوله تعالى:

﴿لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ﴾ [الفتح: ٢] **الآية**

• [٤٤٤٥] حدثنا صدقة بن الفضل، قال: أخبرنا ابن عيينة، قال: حدثنا زياد هو ابن علاقة، أنه سمع المغيرة يقول: قام النبي ﷺ حتى تورمت قدماه، فقيل له: قد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر! قال: **«أفلا أكون عبدًا شكورا»**.

• [٤٤٤٦] حدثني حسن بن عبدالعزيز، قال: حدثنا عبدالله بن يحيى، قال: أخبرنا حيوة، عن أبي الأسود، سمع عروة، عن عائشة، أن نبي الله ﷺ كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه، فقالت عائشة: لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟! قال: **«أفلا أحب أن أكون عبدا شكورا»**، فلما كثر لحمه صلى جالسا، فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع.

الشرح

• [٤٤٤٥] هذا الحديث فيه بيان أن الرسول ﷺ كان يقوم الليل، وكان يتجشم المشقة ﷺ **«حتى تورمت قدماه»** وفي الحديث التالي: **«حتى تتفطَّر قدماه»** يعني: تشققت، فالنبي ﷺ يعمل بما لا يتحمله ويحمل نفسه عليه شكرًا لربه ﷻ وتعبدًا وتذللًا.

وأما سائر الأمة فإنه أمرهم بالاقتصاد في العبادة وأن يكلفوا من العمل ما يطيقون فقال ﷺ: **«عليكم بما تطيقون فوالله لا يمل الله حتى تملوا»**(١).

وفيه أن العبد إذا عظمت عليه النعمة وكثرت وتمت كان الواجب عليه أعظم، وهكذا الأخيار والأكياس إذا كثرت النعم زادوا في العبادة.

• [٤٤٤٦] قوله: **«لم تصنع هذا يا رسول الله وقد غفر لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر؟ قال: أفلا أحب أن أكون عبدًا شكورًا»** يعني: ألا أشكر الله على هذه النعم؟ فقد أُنعم عليه ما لم

---

(١) أحمد (٦/ ١٢٢)، والبخاري (٤٣)، ومسلم (٧٨٢).

يُنْعَم على غيره، قال تعالى: ﴿وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣] فقابل ﷺ ذلك بالشكر.

قوله: **«فلما كثر لحمه صلى جالسًا فإذا أراد أن يركع قام فقرأ ثم ركع»** جاء عنه ﷺ في قيام الليل ثلاث حالات:

الأولى: أنه يصلي قائمًا، كما جاء في حديث حذيفة رضي الله عنه أنه قال: صليت مع النبي ﷺ ذات ليلة، قال: فافتتح البقرة فقرأ حتى بلغ رأس المائة فقلت: يركع ثم مضى حتى بلغ المائتين فقلت: يركع ثم مضى حتى ختمها، قال: فقلت: يركع قال: ثم افتتح سورة آل عمران حتى ختمها، قال: فقلت: يركع، قال: ثم افتتح سورة النساء فقرأها، قال: ثم ركع، قال: فقال في ركوعه: **«سبحان ربي العظيم»**، قال: وكان ركوعه بمنزلة قيامه ثم سجد فكان سجوده مثل ركوعه وقال في سجوده: **«سبحان ربي الأعلى»**، قال: وكان إذا مر بآية رحمة سأل، وإذا مر بآية فيها عذاب تعوذ، وإذا مر بآية فيها تنزيه لله عز وجل سبح [١].

الثانية: أن يصلي قاعدًا إذا مرض أو كسل.

الثالثة: أنه يصلي قاعدًا فإذا بقي عليه قدر ثلاثين آية أو أربعين آية قام فقرأها ثم ركع.

* * *

(١) أحمد (٥/ ٣٨٤)، ومسلم (٧٧٢).

المتن

[٢٨٠/ ٥٦] باب ﴿إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الفتح: ٨]

• [٤٤٤٧] حدثنا عبدالله بن سلمة، قال: حدثنا عبدالعزيز بن أبي سلمة، عن هلال بن أبي هلال، عن عطاء بن يسار، عن عبدالله بن عمرو بن العاصي، أن هذه الآية التي في القرآن ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ [الفتح: ٨]، قال: في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدا ومبشرا وحرزا للأميين، أنت عبدي ورسولي، سميتك المتوكل، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق، ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح، ولن نقبضه حتى نقيم به الملة العوجاء، بأن يقولوا: لا إله إلا الله، فنفتح بها أعينا عميا، وآذانا صما، وقلوبا غلفا.

الشرح

هذه الترجمة فيها بيان مهمة الرسول ﷺ والحكمة من إرساله، وأن الله تعالى لم يرسله ليجمع الناس على أمر الدنيا ولم يرسله ليجمع المال أو ليجمع قصص التاريخ أو غير ذلك وإنما مهمته البشارة والإنذار، فأرسله الله بشيرًا وأرسله الله بالحق والهدى وبالقرآن والحكمة، فيبشر بالجنة والكرامة من أطاع الله ورسوله ووحد الله وأخلص له العبادة، وينذر من عصاه وخالف أمره بالنار، وهذه مهمة جميع الرسل.

• [٤٤٤٧] ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ على هذه الترجمة وهي قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا﴾ حديث عبدالله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما وأن هذه الآية التي في القرآن موجودة في التوراة بلفظها ومعناها، وذلك أن عبدالله بن عمرو رضي الله عنهما قد حصل على زاملتين من كتب أهل الكتاب يوم تبوك.

قوله: «قال: في التوراة: يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهدًا ومبشرًا» هذه الألفاظ التي وردت في التوراة، وفيها صفة النبي ﷺ واضحة بنفس الألفاظ التي جاءت في القرآن.

قوله: «وحرزًا للأميين» الأميون هم العرب، سموا أميين لأنهم في الغالب لا يقرءون ولا يكتبون نسبة إلى الأم، كأنهم على الحالة التي ولدتهم أمهاتهم عليها.

قوله : «**أنت عبدي ورسولي ، سميتك المتوكل ، ليس بفظ ولا غليظ ولا سخاب بالأسواق ، ولا يدفع السيئة بالسيئة ولكن يعفو ويصفح**» هذا وصفه ﷺ كما قال الله سبحانه في القرآن الكريم : ﴿وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران : ١٥٩] ولهذا اختبره اليهود ، وذلك في قصة اليهودي الذي كان له دين على النبي ﷺ ثم طالبه قبل وقت وفائه وأغلظ له لينظر أخلاقه ، ثم أسلم بعد ذلك .

قوله : «**ولن نقبضه حتىٰ نقيم به الملة العوجاء بأن يقولوا : لا إله إلا الله**» فسر الملة العوجاء بالتوحيد ، فالمراد : المعنىٰ والعمل وليس المراد اللفظ فقط ؛ لأن إقامة الملة العوجاء هي الفعل ، والقول هو : لا إله إلا الله ، ولابد أن يتطابق القول مع الفعل .

قوله : «**فنفتح بها أعينًا عميًا**» يعني : عميت عن الحق وإن كانت تبصر في الدنيا .

قوله : «**وآذانًا صمًّا**» يعني : لا تسمع الحق ، وإن كانت تسمع أمور دنياها .

قوله : «**وقلوبًا غلفًا**» أي : عليها غلاف معنوي وهو غلاف الكفر ، وإن كانت قلوبهم تفهم أمور الدنيا .

والملة العوجاء لها معنيان :

الأول : ما ذكره الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ وهو أن الملة العوجاء ملة الكفر ، والمعنىٰ : حتىٰ ينفي الشرك ويثبت التوحيد .

الثاني : أن الملة العوجاء هي التوحيد ، وسميت عوجاء لأنها مائلة عن الشرك ، كالحنيفية من الحنف وهو الميل ، والحنيف هو المائل عن الشرك إلى التوحيد ، ومنه وصف إبراهيم عليه السلام : ﴿مِلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا﴾ [البقرة : ١٣٥] فيكون المعنىٰ : حتىٰ يجعل الدين قائمًا به ومستقيمًا ، ومنه قوله تعالىٰ : ﴿دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَٰهِيمَ حَنِيفًا ۚ وَمَا كَانَ مِنَ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام : ١٦١] ومنه قوله تعالىٰ : ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ﴾ [التوبة : ٣٦] فالقيم يعني : القائم والمستقيم ، وهذا فيه بيان كمال الشريعة ، وأن النبي ﷺ لم يمت حتىٰ أكمل الله به الدين وأتم عليه النعمة ؛ ولهذا نزل في حجة الوداع يوم عرفة قول الله تعالىٰ : ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا﴾ [المائدة : ٣] .

* * *

المتن

[٢٨١/ ٥٦] **باب** ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ٤]

• [٤٤٤٨] حدثنا عبيدالله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: بينما رجل من أصحاب النبي ﷺ يقرأ وفرس له مربوط في الدار، فجعل ينفر، فخرج الرجل فنظر فلم ير شيئا، وجعل ينفر، فلما أصبح ذكر ذلك للنبي ﷺ، فقال: «**تلك السكينة تنزلت بالقرآن**».

الشرح

قوله: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ قيل: المراد بالسكينة الطمأنينة، وقيل: السكينة طائفة من الملائكة.

• [٤٤٤٨] قوله: «**تلك السكينة تنزلت بالقرآن**» فيه فضل القرآن، والبركة التي تحصل بقراءته من نزول السكينة والطمأنينة وحف الملائكة للقارئين، كما في الحديث: «**وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده**»(١).

* * *

(١) أحمد (٢/ ٢٥٢)، ومسلم (٢٦٩٩).

المتن

[٢٨٢/ ٥٦] باب قوله : ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الفتح : ١٨]

• [٤٤٤٩] حدثنا قتيبة بن سعيد ، قال : حدثنا سفيان ، عن عمرو ، عن جابر قال : كنا يوم الحديبية ألفا وأربعمائة .

• [٤٤٥٠] حدثنا علي بن عبدالله ، قال : حدثنا شبابة ، قال : حدثنا شعبة ، عن قتادة قال : سمعت عقبة بن صهبان ، عن عبدالله بن مغفل المزني ممن شهد الشجرة : نهى النبي ﷺ عن الخذف .

• [٤٤٥١] وعن عقبة بن صهبان قال : سمعت عبدالله بن المغفل المزني في البول في المغتسل يأخذ منه الوسواس .

• [٤٤٥٢] حدثني محمد بن الوليد ، قال : حدثنا محمد بن جعفر ، قال : حدثنا شعبة ، عن خالد ، عن أبي قلابة ، عن ثابت بن الضحاك ، وكان من أصحاب الشجرة .

• [٤٤٥٣] حدثني أحمد بن إسحاق السلمي ، قال : حدثنا يعلى ، قال : حدثنا عبدالعزيز بن سياه ، عن حبيب بن أبي ثابت قال : أتيت أبا وائل أسأله ، قال : كنا بصفين ، فقال رجل : ألم تر إلى الذين يدعون إلى كتاب الله ، فقال علي : نعم ، فقال سهل بن حنيف : اتهموا أنفسكم ؛ فلقد رأيتنا يوم الحديبية يعني الصلح الذي كان بين النبي ﷺ والمشركين ، ولو نرى قتالا لقاتلنا ، فجاء عمر فقال : ألسنا على الحق وهم على الباطل؟! أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟! قال : «بلى» ، قال : ففيم أعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا؟! فقال : «يا ابن الخطاب ، إني رسول الله ولن يضيعني الله أبدا» ، فرجع متغيظا فلم يصبر حتى جاء أبا بكر ، فقال : يا أبا بكر ، ألسنا على الحق وهم على الباطل؟! قال : يا ابن الخطاب ، إنه رسول الله ، ولن يضيعه الله أبدا ؛ فنزلت سورة الفتح .

الشرح

هذه الترجمة على لفظ الآية وهي قوله تعالى : ﴿إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ [الفتح : ١٨] وهذه في قصة الذين بايعوا

النبي ﷺ تحت الشجرة في الحديبية ، وهو مكان على حدود الحرم من جهة جدة يسمى الآن الشميسة ، وتسمى بيعة الرضوان ، وذلك لما كان النبي ﷺ وأصحابه محرمين يريدون العمرة فمنعهم المشركون وصدوهم عن البيت الحرام .

• [٤٤٤٩] قوله : «**كنا يوم الحديبية ألفًا وأربعمائة**» كذا جاء في حديث جابر ، والشاهد : أن هؤلاء هم الذين بايعوا النبي ﷺ تحت الشجرة .

• [٤٤٥٠] قوله : «**عن عبدالله بن مغفل المزني ممن شهد الشجرة**» الشاهد : أن عبدالله بن مغفل المزني ممن شهد بيعة الشجرة ، وفي الحديث نهي النبي ﷺ عن الخذف .

• [٤٤٥١] قوله : «**البول في المغتسل يأخذ منه الوسواس**» وهذا حديث آخر لعبدالله بن مغفل المزني يذكر فيه نهي النبي ﷺ عن البول في المغتسل ، وأن الوسواس يأتي من هذا ، والشاهد : أن عبدالله بن المغفل ممن شهد الحديبية .

• [٤٤٥٢] قوله : «**عن ثابت بن الضحاك ، وكان من أصحاب الشجرة**» هذا هو الشاهد ، فهو من أصحاب الشجرة عندما بايع الصحابة النبي ﷺ على الموت ؛ وذلك لما أرسل النبي ﷺ عثمان وحبسه المشركون فسمع بذلك المشركون فخافوا وأطلقوه .

• [٤٤٥٣] قوله : «**كنا بصفين**» صفين هذه معركة عظيمة وحرب ضروس بين معاوية ومعه أهل الشام وعلي ومعه أهل العراق ، فرأى بعض جيش معاوية أن يوقفوا القتال ورفعوا المصاحف وقالوا : نتحاكم إلى كتاب الله ، فانقسم جيش علي رضي الله عنه إلى قسمين قال بعضهم : نعم نتحاكم إلى كتاب الله وبعضهم قال : لا .

قوله : «**فقال رجل : ألم تر إلى الذين يدعون إلى كتاب الله**» يعني : في قصة التحكيم يدعون إلى كتاب الله ويمتنعون .

قوله : «**فقال علي : نعم**» يعني : تصديقًا لكلامه .

قوله : «**فقال سهل بن حنيف : اتهموا أنفسكم**» وفي لفظ آخر : «اتهموا الرأي»[١] ،

---

(١) أحمد (٣/ ٤٨٥) ، والبخاري (٤١٨٩) .

يعني : لا تثقوا في الرأي فإنه يخطئ ويصيب ، والعبرة بالنصوص الواردة عن الله ورسوله التي يعتمد عليها .

قوله : **«فلقد رأيتنا يوم الحديبية يعني الصلح الذي كان بين النبي ﷺ والمشركين ، ولو نرىٰ قتالًا لقاتلنا»** يعني : لو نستطيع أن نخالف أمر النبي ﷺ لخالفناه ؛ لأن النبي ﷺ قبل الشروط التي فيها غضاضة على المسلمين ، حيث تعنت المشركون وقالوا له : لا تكتب بسم الله الرحمن الرحيم ، واكتب باسمك اللهم ، وقالوا : لا نعرف الرحمن إلا رحمان اليمامة ، ثم لما كتب : هذا ما قاضىٰ عليه محمد رسول الله ، قالوا : لا تكتب رسول الله لو نعلم أنك رسول الله لاتبعناك ولكن اكتب اسمك واسم أبيك ، ثم أيضًا قالوا : من جاء منا إليكم تردونه علينا ومن جاءنا منكم لا نرده عليكم فشق ذلك على الصحابة وقالوا : كيف نرد من يأتي منهم ولا يردون علينا من يأتيهم؟! وكذلك أيضا لما جاء أبو جندل بن سهيل يرسف في قيوده طلبه النبي ﷺ وقال : **«فأجزه لي»**(١) ، قال : لا ، فشق هذا على المسلمين وقالوا : لو استطعنا أن نخالف أمر الرسول لخالفناه وقاتلنا وما نقبل هذه الشروط .

وبعد ذلك تبين لهم أن الخير في اتباع ما جاء عن الله وما جاء عن الرسول ﷺ ، وتبين بعد ذلك عاقبة هذا الصلح الحميدة ، وأن الحرب وضعت أوزارها عشر سنين ، وأن المشركين اختلطوا بالمسلمين ، ودخل جم غفير من الناس في الإسلام ، وتفرغ النبي ﷺ لفتح خيبر والكتابة لرؤساء القبائل والعشائر ، حتىٰ خافت اليهود أن يتقوىٰ ﷺ ، ثم بعد ذلك نقضوا العهد فغزاهم بعد سنتين في عقر دارهم إلىٰ غير ذلك من المصالح .

قوله : **«فجاء عمر فقال : ألسنا على الحق وهم على الباطل؟! أليس قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار؟! قال : بلىٰ ، قال : ففيم أعطي الدنية في ديننا ونرجع ولما يحكم الله بيننا؟!»** أي : من شدة وقسوة هذه الشروط على الصحابة ما صبر عمر! فقال : إذا كان قتلانا في الجنة وقتلاهم في النار إذن نقاتل ولا نقبل الشروط التي فيها غضاضة علينا ، فأجابه النبي ﷺ بقوله : **«يا ابن الخطاب ، إني رسول الله ولن يضيعني الله أبدًا»** يعني : الذي أعمله هذا بأمر الله .

---

(١) أحمد (٤/ ٣٢٨- ٣٣٠) ، والبخاري (٢٧٣٤) .

قوله : **«فرجع متغيظًا فلم يصبر حتى جاء أبا بكر»** وقال له مثل ما قال للنبي ﷺ ، رغم أن أبا بكر ما كان حاضرًا عند النبي ﷺ إلا أن مقالة أبي بكر وافقت مقالة النبي ﷺ ، وذلك في قوله : **«قال : يا ابن الخطاب ، إنه رسول الله ، ولن يضيعه الله أبدًا»** وزاد في اللفظ الآخر : **«فاستمسك بغرزه»**[1] ولما تبين لعمر في المستقبل قال : «فأعددت لذلك أعمالًا» يعني : اعتبر هذا ذنبًا ، فأعد أعمالًا صالحة من صدقة وصيام وصلة وعتق تكفر اعتراضه على النبي ﷺ ، وهذه القصة الشاهد منها بيعة الشجرة .

***

(١) البخاري (٢٧٣٤) .

المتن

سورة الحجرات

بسم الله الرحمن الرحيم

وقال مجاهد : ﴿لَا تُقَدِّمُوا﴾ [الحجرات : ١] : لا تفتاتوا على رسول الله ﷺ حتى يقضي الله على لسانه .

﴿لَا يَلِتْكُم﴾ [الحجرات : ١٤] : ينقصكم ، ألتنا نقصنا .

﴿ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ﴾ [الحجرات : ٣] : أخلص الله .

﴿وَلَا تَنَابَزُوا﴾ [الحجرات : ١١] : يدعى بالكفر بعد الإسلام .

الشرح

قوله تعالى : ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾ [الحجرات : ١] فسرها مجاهد بقوله : **«لا تفتاتوا** -في الكلام والفعل- **على رسول الله ﷺ حتى يقضي الله على لسانه»** .

قوله : ﴿لَا يَلِتْكُم﴾ [الحجرات : ١٤] يعني : **«لا ينقصكم»** .

قوله : ﴿ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ﴾ [الحجرات : ٣] فسرها بقوله : **«أخلص الله»** ، وجاء عن قتادة : أخلص الله قلوبهم فيما أحب .

قوله : ﴿وَلَا تَنَابَزُوا﴾ [الحجرات : ١١] فسرها المؤلف فقال : **«يدعى بالكفر بعد الإسلام»** ، وذلك أن يقول لأخيه : يا فاسق أو يا منافق ، أو يناديه بلقب يكرهه ، مثل : يا أعرج يا أعمى ، إلا إذا كان للتعريف وكان لا يُعرف إلا به .

* * *

المتن

[٢٨٣/ ٥٦] باب ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ الآية ﴿تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢]: تعلمون، ومنه الشاعر

• [٤٤٥٤] حدثني يسرة بن صفوان بن جميل اللخمي، قال: حدثنا نافع بن عمر، عن ابن أبي مليكة قال: كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر؛ رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ حين قدم عليه ركب بني تميم، فأشار أحدهما بالأقرع بن حابس أخي بني مجاشع، وأشار الآخر برجل آخر، فقال نافع: لا أحفظ اسمه، فقال أبو بكر لعمر: ما أردت إلا خلافي، قال: ما أردت خلافك، فارتفعت أصواتهما في ذلك، فأنزل الله ﷻ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] الآية.

فقال ابن الزبير: فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه.

ولم يذكر ذلك عن أبيه، يعني أبا بكر الصديق.

• [٤٤٥٥] حدثنا علي بن عبدالله، قال: حدثنا أزهر بن سعد، قال: أخبرنا ابن عون، قال: أنبأني موسى بن أنس، **عن أنس بن مالك**، أن النبي ﷺ افتقد ثابت بن قيس، فقال رجل: يا رسول الله، أنا أعلم لك علمه، فأتاه فوجده جالسا في بيته منكسا رأسه، فقال له: ما شأنك؟! قال: شر، كان يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ فقد حبط عمله وهو من أهل النار، فأتى الرجل النبي ﷺ فأخبره أنه قال: كذا وكذا، فقال موسى: فرجع إليه المرة الآخرة ببشارة عظيمة، فقال: اذهب إليه فقل له: **«إنك لست من أهل النار؛ ولكنك من أهل الجنة»**.

الشرح

هذه الآية التي في سورة الحجرات فيها أدب من الآداب التي أدب الله بها المؤمنين مع نبيهم ﷺ فقال ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُواْ لَهُۥ بِٱلْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢] والنهي فيها للتحريم، فيحرم على المؤمن رفع صوته على صوت النبي ﷺ، وأن هذا يخشى عليه من حبوط العمل، وكذلك

الآية التي قبلها وهي قوله ﷻ: ﴿لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [الحجرات: ١] وهذه السورة -سورة الحجرات- تسمى سورة الآداب، وهذا في حياة النبي ﷺ حيث نهى الله المؤمنين أن يفتاتوا عليه، وإذا كان هذا في التقدم وفي الكلام فكيف بمن قدم شيئًا من الدنيا على سنته؟! فهذا أعظم وأشد، وكذلك إذا كان رفع الصوت عند النبي ﷺ يخشى عليه من حبوط العمل فكيف بالذي يضرب بسنته عرض الحائط ويقدم عليها آراء الرجال؟!

• [٤٤٥٤] قوله: **«كاد الخيران أن يهلكا أبو بكر وعمر؛ رفعا أصواتهما عند النبي ﷺ»** هذا الحديث يحكي قصة الشيخين حين قدم على النبي ﷺ وفد بني تميم فأشار أبو بكر قال: قدم الأقرع، أو أمر الأقرع يا رسول الله، وعمر أشار بأن يقدم رجلا آخر، فحصل بينهما خلاف حتى ارتفعت أصواتهما، كما يحصل بين البشر؛ مع علو قدرهما، ومع سلامة صدر كل منهما، فأنزل الله ﷻ هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢].

قوله: **«فما كان عمر يسمع رسول الله ﷺ بعد هذه الآية حتى يستفهمه»** أي: كان عمر بعدما نزلت هذه الآية يخفض صوته، حتى إن النبي ﷺ ما كان يسمعه حتى يستفهمه، وفي رواية: **«حدثه كأخي السرار»**(١).

• [٤٤٥٥] هذا الحديث فيه قصة ثابت بن قيس لما نزلت هذه الآية حيث جلس في بيته؛ لأنه كان يرفع صوته على النبي ﷺ.

قوله: **«فقد حبط عمله وهو من أهل النار»** لأنه كان خطيبًا للنبي ﷺ أمام الوفود والخطيب يحتاج إلى رفع الصوت، فخاف لما نزلت هذه الآية: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ﴾ [الحجرات: ٢] وجلس في بيته يبكي، ففقده النبي ﷺ فسأل عنه وأرسل إليه من يأتي بخبره.

قوله: **«إنك لست من أهل النار، ولكنك من أهل الجنة»** هذه بشارة لثابت بن قيس وشهادة من النبي ﷺ له أنه من أهل الجنة.

---

(١) أحمد (٤/ ٦)، والبخاري (٧٣٠٢).

المتن

[٢٨٤/ ٥٦] باب ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ﴾ [الحجرات: ٤]

• [٤٤٥٦] حدثني الحسن بن محمد، قال: حدثنا حجاج، عن ابن جريج، قال: أخبرني ابن أبي مليكة، أن عبدالله بن الزبير أخبرهم، أنه قدم ركب من بني تميم على النبي ﷺ، فقال أبو بكر: أمر القعقاع بن معبد، وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، فقال أبو بكر: ما أردت إلى - أو إلا خلافي! فقال عمر: ما أردت خلافك، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما؛ فنزل في ذلك ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ﴾ [الحجرات: ١] حتى انقضت الآية.

الشرح

• [٤٤٥٦] في هذا الحديث إشارة إلى قصة وفد بني تميم، وذلك أن بني تميم لما قدموا وجاءوا إلى النبي ﷺ في وقت الظهيرة وهو في بيته جعلوا ينادون: يا محمد اخرج إلينا، وهذا فيه إساءة أدب، فأدبهم الله ﷻ وأنزل: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ الْحُجُرَاتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ۝ وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحجرات: ٤، ٥]، ثم بعد ذلك أراد النبي ﷺ أن يؤمر واحدًا منهم فاختلف الشيخان، فقال أبو بكر ؓ: أمر القعقاع بن معبد، وقال عمر: بل أمر الأقرع بن حابس، فتماريا حتى ارتفعت أصواتهما؛ فنزلت هذه الآيات في هذه القصة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ ۖ وَاتَّقُوا اللَّهَ ۚ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ۝ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلَا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَن تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾ [الحجرات: ١، ٢].

* * *

المتن

[٢٨٥/ ٥٦] باب قوله تعالى:
﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [الحجرات: ٥]

الشرح

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «باب قوله: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ هكذا في جميع الروايات الترجمة بغير حديث، وقد أخرج الطبري والبغوي وابن أبي عاصم في كتبهم في الصحابة من طريق موسىٰ بن عقبة، عن أبي سلمة، قال: حدثني الأقرع بن حابس التميمي أنه أتى النبي ﷺ فقال: يا محمد اخرج إلينا، فنزلت: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَاءِ الْحُجُرَاتِ﴾[1] الحديث وسياقه لابن جرير، قال ابن منده: الصحيح عن أبي سلمة أن الأقرع مرسل، وكذا أخرجه أحمد على الوجهين[2]، وقد ساق محمد بن إسحاق قصة وفد بني تميم في ذلك مطولة بانقطاع[3]، وأخرجها ابن منده في ترجمة ثابت بن قيس في «المعرفة» من طريق أخرىٰ موصولة» اهـ.

* * *

---

(١) الطبري في «تفسيره» (٢٦/ ١٢٢)، والبغوي في «معجم الصحابة» (١/ ١٩٣- ١٩٤)، وابن أبي عاصم في «الآحاد والمثاني» (٢/ ٣٦٠).

(٢) أحمد (٣/ ٤٨٨)، (٦/ ٣٩٤).

(٣) «السيرة» لابن هشام (٤/ ٢٧٥- ٢٧٦).

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ق

وقال مجاهد: ﴿مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ﴾ [ق: ٤] من عظامهم.

﴿بَاسِقَٰتٍ﴾ [ق: ١٠]: الطوال.

﴿فَنَقَّبُوا۟﴾ [ق: ٣٦]: ضربوا.

﴿رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ [ق: ٣]: رد.

﴿فُرُوجٍ﴾ [ق: ٦]: فتوق واحدها فرج.

﴿مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق: ١٦]: وريداه في حلقه، والحبل حبل العاتق.

﴿تَبْصِرَةً﴾ [ق: ٨] يقول: بصيرة.

﴿حَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ [ق: ٩]: الحنطة.

﴿رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨]: رصد.

﴿سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١] الملكان: كاتب وشهيد.

﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ [ق: ٢٣]: الشيطان الذي قيض له.

﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾ [ق: ٣٧]: لا يحدث نفسه بغيره.

﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ [ق: ٣٧]: شاهد بالقلب.

﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨] النصب.

وقال غيره: النضيد: الكفرى ما دام في أكمامه، ومعناه منضود بعضه على بعض، فإذا خرج من أكمامه فليس بنضيد.

وإدبار النجوم وأدبار السجود، كان عاصم يفتح التي في ق ويكسر التي في الطور وتكسران جميعا وتنصبا.

وقال ابن عباس: ﴿يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ [ق: ٤٢]: يوم يخرجون إلى البعث من القبور.

الشَّرْحُ

قوله : «قال مجاهد : ﴿مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ﴾ [ق : ٤] من عظامهم» هذا تفسير مجاهد ، وهذا ليس خاصًا بالعظام ؛ لأن الجسد كله يبلى وتأكله الأرض والله تعالىٰ عالم بما تأكله الأرض .

قوله : ﴿بَاسِقَٰتٍ﴾ [ق : ١٠] يعني : «الطوال» .

قوله : ﴿فَنَقَّبُواْ﴾ [ق : ٣٦] فسرها بأنهم «ضربوا» ، والسفر يسمىٰ ضربًا في الأرض ، قال تعالىٰ : ﴿وَءَاخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [المزمل : ٢٠] يعني : يسافرون .

قوله : ﴿رَجْعٌۢ بَعِيدٌ﴾ [ق : ٣] فسرها بقوله : «رد» ، يعني : الكفار الذين أنكروا الله وأنكروا البعث ، قالوا : ردنا إلى الدنيا بعيد ، فأنكر الله عليهم فقال سبحانه : ﴿أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ﴾ [ق : ١٥] يعني : فالذي قدر على الخلق قادر على الإعادة ، والمعنىٰ : كيف ينكرون البعث ولا ينظرون إلى الخلق الأول؟!

قوله : ﴿فُرُوجٍ﴾ [ق : ٦] يعني : «فتوق ، واحدها فرج» .

قوله : ﴿مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق : ١٦] فسرها بقوله : «وريداه في حلقه» ، فالإنسان له وريدان ، والدابة في حلقها وريدان ، وكذلك قصبتان واحدة للتنفس وواحدة للأكل والشرب ، وفي تذكية الدابة والشاة لابد من قطع الأربع : الوريدين المحيطين بالحلق ، والحلقوم مجرىٰ النفس ، وكذلك أيضًا المريء مجرىٰ الطعام والشراب ، والمراد بالحبل : حبل العاتق ، وقوله : ﴿وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ﴾ [ق : ١٦] فيها خلاف فقيل : ونحن بملائكتنا أقرب إليه من حبل الوريد ، كما قال شيخ الإسلام بدليل أنه قيده بالظرف فقال : ﴿إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ﴾ [ق : ١٧] يعني : نحن أقرب إليه وقت تلقي المتلقيين ، ولو كان المراد قرب الله لم يقيده بوقت تلقي المتلقيين ، وقال آخرون من أهل العلم : الضمير يعود إلى الله والمعنىٰ : ونحن أقرب إليه بالعلم من حبل الوريد ، وقال بعضهم : بالقدرة والرؤية .

قوله : «﴿تَبْصِرَةً﴾ [ق : ٨] يقول : بصيرة» .

قوله : «﴿حَبَّ ٱلْحَصِيدِ﴾ [ق : ٩] الحنطة» ، وهذا مما امتن الله به على عباده ، حيث أنزل المطر وأنبت حب الحصيد .

قوله: «﴿رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨] **رصد**»، والرصد هو الشخص الذي ينصب للإنسان ليرصده ويراقبه.

قوله: «﴿سَآئِقٌ وَشَهِيدٌ﴾ [ق: ٢١] **الملكان: كاتب وشهيد**»، والشهيد قال المؤلف في تفسيره: «**شاهد بالقلب**»، وفي رواية: «**بالغيب**»، والأظهر بالغيب؛ لمناسبة الشهادة، ولأن الملك يطلع على ما في القلب من نية وإخلاص وصدق وتوكل ورجاء وغير ذلك، حيث إن الله مكنه منه وأطلعه عليه.

قوله: ﴿وَقَالَ قَرِينُهُۥ﴾ [ق: ٢٣] فسره بالشيطان الذي قيض له.

قوله: ﴿أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ﴾ [ق: ٣٧] يعني: «**لا يحدث نفسه بغيره**»، يعني: منتبه حين أنشأكم وأنشأ خلقه.

قوله: ﴿وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨] يعني: «**النصب**».

قوله: «**وقال غيره: النضيد: الكفرى مدام في أكمامه**» كذا فسرها يعني: الكافور.

قوله: «**ومعناه منضود بعضه على بعض، فإذا خرج من أكمامه فليس بنضيد**» والأقرب أنه يسمى نضيدًا، حتى بعد أن يخرج من أكمامه؛ لأنه يبرز للناس.

قوله: «**وإدبار النجوم وأدبار السجود، كان عاصم يفتح التي في ق ويكسر التي في الطور**» يعني: التي في سورة ق ﴿وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [ق: ٤٠] كان عاصم يفتحها، والتي في سورة الطور ﴿وَإِدْبَٰرَ ٱلنُّجُومِ﴾ [الطور: ٤٩] هي التي كان عاصم يكسرها.

قوله: «**وقال ابن عباس**: ﴿يَوْمُ ٱلْخُرُوجِ﴾ [ق: ٤٢] **يوم يخرجون إلى البعث من القبور**» يعني: خرجوا بأجسامهم من القبور إلى الحساب.

***

المتن

[٢٨٦/ ٥٦] باب ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠]

• [٤٤٥٧] حدثنا عبدالله بن أبي الأسود، قال: حدثنا حرمي بن عمارة، قال: حدثنا شعبة، عن قتادة، عن أنس، عن النبي ﷺ قال: **«يلقى في النار ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾** [ق: ٣٠] **حتى يضع قدمه فتقول: قط قط»**.

• [٤٤٥٨] حدثني محمد بن موسى القطان، قال: حدثنا أبو سفيان الحميري سعيد بن يحيى ابن المهدي، قال: حدثنا عوف، عن محمد، عن أبي هريرة رفعه، وأكثر ما كان يوقفه أبو سفيان: **«يقال لجهنم: هل امتلأت؟ فتقول: هل من مزيد، فيضع الرب قدمه عليها فتقول: قِطْ قِطْ»**.

• [٤٤٥٩] حدثني عبدالله بن محمد، قال: حدثنا عبدالرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن همام، عن أبي هريرة، قال: قال النبي ﷺ: **«تحاجت الجنة والنار، فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين، وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم، قال الله ﷻ للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي، وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منهما ملؤها، فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله فتقول: قِطْ قِطْ قِطْ، فهنالك تمتلئ ويزوى بعضها إلى بعض، ولا يظلم الله من خلقه أحدا، وأما الجنة فإن الله ﷻ ينشئ لها خلقا»**.

الشرح

في هذه الآية إثبات الحساب في يوم القيامة وإثبات الجنة والنار والرد على من أنكرهما فمن أنكر الجنة والنار فهو كافر؛ لأنه مكذب باليوم الآخر، والجنة والنار موجودتان الآن خلافًا للمعتزلة القائلين بأنهما تنشئان يوم القيامة، ويقولون: إن وجودهما الآن ولا جزاء عبث، والعبث محال على الله، فهذه شبهتهم الفاسدة، ويرد عليهم بأنه يوجد جزاء فالجنة فيها أرواح المؤمنين وفيها الحور العين، والنار فيها أرواح الكفار، والمؤمن تفتح له أبواب إلى الجنة، والكافر تفتح له أبواب إلى النار، إلى غير ذلك.

• [٤٤٥٧] في الحديث الأول قوله: «**يلقى في النار ﴿وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ﴾ [ق: ٣٠] حتى يضع قدمه**» يعني: الرب، وفيه إثبات القدم لله ﷻ.

• [٤٤٥٨] هذا الحديث أيضًا فيه إثبات صفة القدم، وذلك على ما يليق بالله وعظمته.

• [٤٤٥٩] قوله: «**تحاجت الجنة والنار**» فيه إثبات المحاجة بين الجنة والنار، والله جعل فيهما تمييزًا حتى تتحاجا.

قوله: «**فقالت النار: أوثرت بالمتكبرين والمتجبرين**» فيه أن الكبر والتجبر من أسباب دخول النار.

قوله: «**وقالت الجنة: ما لي لا يدخلني إلا ضعفاء الناس وسقطهم**» يعني: في الغالب، وقد يدخلها الأغنياء، فأبو بكر وعثمان وعبدالرحمن بن عوف والزبير كانوا من الأغنياء، وقد قال النبي ﷺ: «**نعم المال الصالح للمرء الصالح**»[(١)] لكن الضعفاء – في الغالب – ليس عندهم ما يمنعهم من الإيمان، وأما الكبراء والأشراف والرؤساء – في الغالب – يمنعهم ما هم فيه من الرياسة والمال من قبول الحق والإيمان.

قوله: «**قال الله ﷻ للجنة: أنت رحمتي أرحم بك من أشاء من عبادي**» يعني: الجنة رحمة مخلوقة، وهذه غير الرحمة التي هي صفة من صفات الله ﷻ.

قوله: «**وقال للنار: إنما أنت عذابي أعذب بك من أشاء من عبادي، ولكل واحدة منهما ملؤها فأما النار فلا تمتلئ حتى يضع رجله**» يعني: الرب ﷻ يضع رجله في النار، وفيه إثبات الرجل لله ﷻ وإثبات القدم، والله تعالى لا يشبهه شيء من خلقه.

قال الحافظ ابن حجر ؒ: «واختلف في المراد بالقدم، فطريق السلف في هذا وغيره مشهورة وهو: أن تمر كما جاءت، ولا يتعرض لتأويله، بل نعتقد استحالة ما يوهم النقص على الله، وخاض كثير من أهل العلم في تأويل ذلك فقال: المراد إذلال جهنم».

طريق السلف في مثل هذه النصوص إمرارها كما جاءت مع إثبات المعنى واعتقاد أن المعنى صحيح، ولا يتعرض لتأويل الكيفية.

---

(١) أحمد (٤/ ١٩٧)، وابن حبان (٨/ ٦).

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «فإنها إذا بالغت في الطغيان وطلب المزيد أذلها الله فوضعها تحت القدم، وليس المراد حقيقة القدم، والعرب تستعمل ألفاظ الأعضاء في ضرب الأمثال ولا تريد أعيانها، كقولهم: رغم أنفه وسقط في يده وقيل: المراد بالقدم الفرط السابق أي: يضع الله فيها ما قدمه لها من أهل العذاب، قال الإسماعيلي: القدم قد يكون اسمًا لما قدم، كما يسمى ما خبط من ورق خبطًا، فالمعنى ما قدموا من عمل وقيل: المراد بالقدم قدم بعض المخلوقين، فالضمير للمخلوق معلوم، أو يكون هناك مخلوق اسمه قدم، أو المراد بالقدم الأخير؛ لأن القدم آخر الأعضاء، فيكون المعنى حتى يضع الله في النار آخر أهلها فيها، ويكون الضمير للمزيد، وقال ابن حبان في «صحيحه» بعد إخراجه: هذا من الأخبار التي أطلقت بتمثيل المجاورة، وذلك أن يوم القيامة يلقى في النار من الأمم والأمكنة التي عصي الله فيها، فلا تزال تستزيد حتى يضع الرب فيها موضعًا من الأمكنة المذكورة فتمتلئ؛ لأن العرب تطلق القدم على الموضع قال الله تعالى: ﴿**أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ**﴾ [يونس: ٢] يريد موضع صدق، وقال الداودي: المراد بالقدم قدم صدق وهو محمد والإشارة بذلك إلى شفاعته وهو المقام المحمود، فيخرج من النار من كان في قلبه شيء من الإيمان، وتعقب بأن هذا منابذ لنص الحديث؛ لأن فيه يضع قدمه بعد أن قالت: هل من مزيد، والذي قاله مقتضاه أنه ينقص منها، وصريح الخبر أنها تنزوي بما يجعل فيها لا بما يخرج منها، قلت: ويحتمل أن يوجه بأن من يخرج منها يبدل عوضهم من أهل الكفر، كما حملوا عليه حديث أبي موسى في «صحيح مسلم»: «**إذا كان يوم القيامة دفع الله** ﷻ **إلى كل مسلم يهوديًا أو نصرانيًا فيقول: هذا فكاكك من النار**»[(١)] فإن بعض العلماء قال: المراد بذلك أنه يقع عند إخراجه الموحدين وأنه يجعل مكان كل واحد منهم واحدًا من الكفار بأن يعظم حتى يسد مكانه ومكان الذي خرج، وحينئذ فالقدم سبب للعظم المذكور، فإذا وقع العظم حصل الملء الذي تطلبه، والتأويل البعيد قول من قال: المراد بالقدم قدم إبليس وأخذه من قوله: حتى يضع الجبار فيها قدمه وإبليس أول من تكبر فاستحق أن يسمى متجبرًا وجبارًا، وظهور بعد هذا يغني عن تكلف الرد عليه، وزعم ابن الجوزي أن الرواية التي جاءت بلفظ الرجل تحريف من بعض الرواة لظنه أن المراد بالقدم الجارحة فرواها

(١) مسلم (٢٧٦٧).

بالمعنى فأخطأ ثم قال : ويحتمل أن يكون المراد بالرجل إن كانت محفوظة الجماعة كما تقول : رجل من جراد ، فالتقدير : يضع فيها جماعة ، وأضافهم إليه إضافة اختصاص ، وبالغ ابن فورك فجزم بأن الرواية بلفظ الرجل غير ثابتة عند أهل النقل ، وهو مردود لثبوتها في «الصحيحين» ، وقد أولها غيره بنحو ما تقدم في القدم فقيل : رجل بعض المخلوقين ، وقيل : إنها اسم مخلوق من المخلوقين ، وقيل : إن الرجل تستعمل في الزجر كما تقول : وضعته تحت رجلي ، وقيل : إن الرجل تستعمل في طلب الشيء على سبيل الجد كما تقول : قام في هذا الأمر على رجل ، وقال أبو الوفاء بن عقيل : تعالى الله عن أنه لا يعمل أمره في النار حتى يستعين عليها بشيء من ذاته أو صفاته وهو القائل للنار : ﴿كُونِي بَرْدًا وَسَلَٰمًا عَلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [الأنبياء : ٦٩] فمن يأمر نارًا أججها غيره أن تنقلب عن طبعها وهو الإحراق فتنقلب كيف يحتاج في نار يؤججها هو إلى استعانة!» .

هذا الكلام تخبط في تأويل الصفات ، وهذا يدل على أن التحقيق عزيز ، ولاسيما في الاعتقاد ، وأن الحق قد لا يوفق له العالم الكبير ويوفق له من هو دونه ، فإذا كان ابن الجوزي وابن عقيل وابن فورك مع سعة علمهم تخبطوا وأولوا الصفات وأخطئوا فغيرهم ممن دونهم في العلم يخطئ من باب أولى ، وهذا يوجب للعالم الحذر والخشية من الغلط وطلب التحقيق من كلام الله وكلام رسوله وأقوال السلف وأئمة الدين ، وأن على طالب العلم أن يعض على مذهب أهل السنة بالنواجذ ويحمد الله أن وفقه لمن نشأه على معتقد أهل السنة والجماعة ، فهؤلاء علماء كبار إذا قاس الإنسان نفسه بهم في العلم ما يساوي معشارهم في العلم والفهم والتحقيق في مسائل الفروع ، ومع ذلك غلطوا وزلت بهم القدم في المعتقد ، ومن هذا التخبط في تأويل القدم فالذي يقول : رجل جراد ، والذي يقول : الرجل ، وكل هذا تحريف من أجل أنهم ظنوا أن هذا فيه تشبيه الخالق بالمخلوق ، فظنوا أن إثبات القدم لله والرجل فيه مشابهة للمخلوق ، وأين المشابهة في ذلك؟! فالله ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ، الله له صفات تخصه والمخلوق له صفات تخصه ، فهو أعلم بنفسه سبحانه ، وقد أثبتها لنفسه كما يليق بجلاله وعظمته .

❋ ❋ ❋

المتن

[٢٨٧/ ٥٦] باب قوله تعالى:

﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩]

- [٤٤٦٠] حدثنا آدم، قال: حدثنا ورقاء، عن ابن أبي نجيح، عن مجاهد، قال ابن عباس: أمره أن يسبح في أدبار الصلوات كلها، يعني قوله: ﴿وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾ [ق: ٤٠].

- [٤٤٦١] حدثنا إسحاق بن إبراهيم، عن جرير، عن إسماعيل، عن قيس بن أبي حازم، عن جرير بن عبدالله قال: كنا جلوسا ليلة مع النبي ﷺ، فنظر إلى القمر ليلة أربع عشرة، فقال: **«إنكم سترون ربكم كما ترون هذا، لا تضامون في رؤيته، فإن استطعتم أن لا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وقبل غروبها فافعلوا»**، ثم قرأ: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ [ق: ٣٩].

الشرح

قوله: ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ﴾ يشمل صلاة الفجر وصلاة العصر، وفيه دليل أيضًا على أذكار الصباح وأذكار المساء، فأذكار الصباح تكون قبل طلوع الشمس، يعني: بعد الفجر، وأذكار المساء قبل غروب الشمس، يعني: بعد العصر.

- [٤٤٦٠] قوله: **«أمره أن يسبح»** يعني: أمر الله نبيه ﷺ.

قوله: **«في أدبار الصلوات كلها، يعني قوله: ﴿وَأَدْبَـٰرَ ٱلسُّجُودِ﴾»** يعني: بعد الصلاة.

- [٤٤٦١] قوله: **«إنكم سترون ربكم كما ترون هذا، لا تضامون في رؤيته»** وفيه إثبات رؤية الله ﷻ يوم القيامة، وقد دل القرآن الكريم على ذلك في آيات، قال تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ۝ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ﴾ [القيامة: ٢٢، ٢٣] والسنة متواترة على إثبات الرؤية؛ ولهذا قال أئمة السنة: من أنكر رؤية الله فهو كافر على العموم.

وفيه رؤية المؤمنين ربهم رؤية واضحة كرؤية القمر، وهذا تشبيه الرؤية بالرؤية، وليس تشبيه المرئي بالمرئي.

وفيه دليل على أن مجالس النبي ﷺ كلها علم وفائدة ، حيث نظر الصحابة إلى القمر فأعطاهم هذه الفائدة .

وفيه دليل على أن المحافظة على صلاة الفجر وصلاة العصر والعناية بهما لها مزية في إثابة العبد برؤية الرب ﷻ والنظر إلى وجهه الكريم ، ومعلوم أن كل مؤمن له نصيب من هذا النعيم – يعني النظر إلى وجه الله الكريم – لكن المعتني بهاتين الصلاتين الكريمتين والمحافظ عليهما يكون له النصيب الأكبر والحظ الأوفر من هذا النعيم .

وفيه فضل التسبيح والذكر في أدبار الصلوات وفي أول الليل وأول النهار ، فالذكر له شأن في جميع الأوقات .



المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾ [الذاريات : ١]

قال علي : ﴿وَٱلذَّٰرِيَٰتِ﴾ : الرياح .

وقال غيره : ﴿تَذْرُوهُ﴾ [الكهف : ٤٥] : تفرقه .

﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات : ٢١] يأكل ويشرب في مدخل واحد ويخرج من موضعين .

﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ [الذاريات : ٢٦] : فرجع .

﴿فَصَكَّتْ وَجْهَهَا﴾ [الذاريات : ٢٩] : جمعت أصابعها فضربت به جبهتها .

والرميم : نبات الأرض إذا يبس وديس .

﴿إِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات : ٤٧] أي إني لذو سعة .

وكذلك ﴿عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ﴾ [البقرة : ٢٣٦] يعني القوي .

﴿خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ﴾ [الذاريات : ٤٩] الذكر والأنثى ، واختلاف الألوان حلو وحامض فهما زوجان .

﴿فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذاريات : ٥٠] معناه من الله إليه .

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات : ٥٦] ، يقول : ما خلقت أهل السعادة من أهل الفريقين إلا ليوحدون .

وقال بعضهم : خلقهم ليفعلوا ، ففعل بعض وترك بعض ، وليس فيه حجة لأهل القدر .

والذنوب : الدلو العظيم .

وقال مجاهد : ﴿ذَنُوبًا﴾ [الذاريات : ٥٩] : سبيلا .

﴿صَرَّةٍ﴾ [الذاريات : ٢٩] : صيحة .

العقيم: التي لا تلد ولا تلقح شيئًا.

﴿فِي غَمْرَةٍ﴾ [الذاريات: ١١]: في ضلالتهم يتمادون.

وقال غيره: ﴿مُسَوَّمَةً﴾ [الذاريات: ٣٤]: معلمة من السيما، ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَـٰنُ﴾ [عبس: ١٧] لعن.

الشَّرْحُ

قوله: ﴿وَٱلذَّٰرِيَـٰتِ﴾ [الذاريات: ١] يعني: «**الرياح**».

قوله: «﴿وَفِيٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ﴾ [الذاريات: ٢١] **يأكل ويشرب في مدخل واحد ويخرج من موضعين**» أي: هذا من العبر، وهناك عبر أخرى كثيرة لا تحصى مثل السمع والبصر والكلام، فإذا تعطل العضو تعطلت الوظيفة، فهذا الإنسان أعجوبة العجائب في تركيبه وفي خلقه ففيه الدورة الدموية والأمعاء والدماغ والتفكير واليدين والرجلين وما يؤديه الإنسان من الأكل والشرب والبول والغائط، والحب والبغض والكره والنوم واليقظة، وأحوال الإنسان وتقلباته بين الإيمان وبين الكفر، والإقدام والجبن والشجاعة إلى غير ذلك من الصفات والأخلاق التي في هذا الإنسان، كل هذا دليل على بديع صنع الله.

قوله: «﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ﴾ [الذاريات: ٢٦] **فرجع**» كأن سياق الكلام يقتضي أنه ذهب بسرعة.

قوله: «**الرميم نبات الأرض إذا يبس وديس**» وهو العصف المأكول كما في قصة الذين غزوا مكة قال الله تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍۭ﴾ [الفيل: ٣-٥].

قوله: «**وقال بعضهم: خلقهم ليفعلوا، ففعل بعض وترك بعض**» هذا هو المعتمد في تفسير قوله: ﴿إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦] وهو أنه خلقهم ليفعلوا، وليست هذه هي الحكمة وحدها، بل هناك حكم أخرى لخلق الخلق، منها أن يبلو العباد أيهم أحسن عملًا كما قال تعالى: ﴿ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا﴾ [الملك: ٢] ومنها أن يعرف بأسمائه وصفاته، وليعلم العباد أن الله على كل شيء قدير، وأن الله محيط علمه بكل شيء، كما قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ سَبْعَ سَمَـٰوَٰتٍ وَمِنَ ٱلْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ ٱلْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ ٱللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَىْءٍ عِلْمًۢا﴾ [الطلاق: ١٢].

قوله : «**وليس فيه حجة لأهل القدر**» يعني : ليس فيه حجة للنفاة ، وهم المعتزلة القائلون بأن العباد خالقون لأفعالهم ، ولا لأهل القدر المثبتة القائلين بأن العبد مجبور على أفعاله من الأشعرية والجبرية .

قوله : «**والذنوب : الدلو العظيم**» يشير إلى قوله تعالى : ﴿**فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ**﴾ [الذاريات : ٥٩] والمراد هنا الذنوب المعنوي ، يعني : المقدار من الجزاء ، وظاهر الآية أن الذنوب معناه الإثم ؛ ولهذا قال المؤلف كما جاء في بعض النسخ : «**سجلًا من العذاب**» ، يعني : مقدارًا من العذاب .

* * *

المتن

سورة ﴿وَالطُّورِ﴾ [الطور: ١]

بسم الله الرحمن الرحيم

وقال مجاهد: ﴿الطُّورِ﴾: الجبل بالسُّريانية.

﴿فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ﴾ [الطور: ٣]: صحيفة.

﴿وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ﴾ [الطور: ٦]: الموقد.

وقال الحسن: تسجر حتى يذهب ماؤها فلا يبقى فيها قطرة.

وقال ابن عباس: ﴿كِسْفًا﴾ [الطور: ٤٤]: قطعا.

وقال غيره: ﴿تَمُورُ﴾ [الطور: ٩]: تدور.

﴿أَحْلَامُهُم﴾ [الطور: ٣٢]: العقول.

وقال غيره: ﴿يَتَنَازَعُونَ﴾ [الطور: ٢٣]: يتعاطون.

﴿الْمَنُونِ﴾ [الطور: ٣٠]: الموت.

• [٤٤٦٢] حدثنا عبدالله بن يوسف، قال: أخبرنا مالك، عن محمد بن عبدالرحمن بن نوفل، عن عروة، عن زينب بنت أبي سلمة، عن أم سلمة قالت: شكوت إلى رسول الله ﷺ أني أشتكي، فقال: «**طوفي من وراء الناس وأنت راكبة**»، فطفت ورسول الله ﷺ يصلي إلى جنب البيت يقرأ بـ ﴿الطُّورِ ۝ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ﴾ [الطور: ١، ٢].

• [٤٤٦٣] حدثنا الحميدي، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثوني عن الزهري، عن محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه قال: سمعت النبي ﷺ يقرأ في المغرب بالطور، فلما بلغ هذه الآية ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ۝ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٥-٣٧] قال: كاد قلبي أن يطير.

قال سفيان : فأما أنا فإنما سمعت الزهري ، يحدث عن محمد بن جبير بن مطعم ، عن أبيه ، سمعت النبي ﷺ

يقرأ في المغرب بالطور .

ولم أسمعه زاد الذي قالوا لي .

الشرح

قوله : ﴿وَٱلطُّورِ﴾ فسره مجاهد بقوله : «**الجبل بالسُّريانية**» .

قوله تعالى : ﴿وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ﴾ [الطور : ٦] أي : «**الموقد**» .

قوله : «**وقال الحسن : تسجر حتى يذهب ماؤها فلا يبقى فيها قطرة**» ولا منافاة بين القولين ، فإن البحار تسجر أولًا حتى يذهب ماؤها ، ثم توقد بالنار ، وهذا في يوم القيامة ، فتضاف إلى النار فيزاد فيها ، كما قال تعالى : ﴿كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء : ٩٧] . وكذلك الجنة يزاد فيها ، فإن الله لا يزال يحدث لأهل الجنة نعيمًا بعد نعيم .

• [٤٤٦٢] قوله : «**قالت : شكوت إلى رسول الله ﷺ أني أشتكي ، فقال : طوفي من وراء الناس وأنت راكبة ، فطفت ورسول الله ﷺ يصلي إلى جنب البيت يقرأ بـ ﴿وَٱلطُّورِ ۝ وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ﴾** [الطور : ١ ، ٢]» كان هذا الطواف طواف الوداع في حجة الوداع في صبح اليوم الرابع عشر من ذي الحجة ؛ حيث كانت أم سلمة مريضة ، أما طواف الإفاضة فإن أزواج النبي ﷺ أفضن يوم النحر .

وفيه دليل على أن طواف الوداع لا يسقط عن المريض ، وأنه إذا عجز يطاف به محمولًا ، كما فعلت أم سلمة حيث طافت من وراء الناس وهي راكبة .

وفيه دليل على أن من طاف للوداع ثم صلى بعد الطواف الفريضة فإنه لا يعيد الوداع ؛ فالنبي ﷺ طاف للوداع ثم أدركته صلاة الفجر فصلى بالناس ثم قفل راجعًا إلى المدينة ، فكانت صلاة الفجر بعد طواف الوداع وقرأ في صلاة الفجر بالطور .

وفيه دليل على أن الطواف لا يجب أن يكون ملاصقًا بالبيت ، فهذه أم سلمة طافت راكبة على البعير من وراء الناس وهم يصلون حول الكعبة ؛ فدل على أنه إذا طاف من بعيد فلا حرج ما دام أنه في المسجد .

● [٤٤٦٣] في هذا الحديث – حديث جبير رضي الله عنه – أن النبي ﷺ قرأ في المغرب بالطور، وفي حديث أم سلمة الذي قبله قرأ في الفجر بالطور؛ فدل على أن النبي ﷺ قد يقرأ في المغرب بما يقرأ به في الفجر، خلافًا لما اعتاده كثير من الأئمة من ملازمة قصار السور في المغرب.

وقيل: إن مروان الحمار أول من سن ملازمة قصار السور في المغرب، فأما سنة الرسول فهي أحيانًا، وأحيانا.

هذه القصة في الحديث حدثت لجبير قبل أن يسلم حيث سمع النبي ﷺ لما قدم إلى المدينة – وهذا في الهدنة التي كانت بين النبي ﷺ وبين المشركين – يقرأ: ﴿أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ۝ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَلْ لَا يُوقِنُونَ ۝ أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ الْمُصَيْطِرُونَ﴾ [الطور: ٣٥ – ٣٧] وقوله: «**كاد قلبي أن يطير**» يعني: تأثرا بقراءة النبي ﷺ، فلا يمكن أن يكون الإنسان خالقًا لنفسه؛ لأنه كان قبل ذلك عدمًا، والعدم لا يوجد نفسه، وكذلك أيضًا لا يمكن أن يكون الوجود بدون خالق؛ لأن المخلوق لابد له من خالق، فإذا لم يكونوا أوجدوا أنفسهم ولم يكونوا وجدوا من غير شيء تعين أن لهم خالقا خلقهم، وفي هذا الرد على الملحدين الذين ينكرون وجود الله، وهو تعالى واجب الوجود لذاته، وهو الأحد سبحانه وتعالى المتوحد والصمد الذي تصمد إليه الخلائق لحوائجها، فليس له فرع ولا أصل، وليس له ولد ولا والد، من أجل ذلك تأثر جبير قبل أن يسلم ومال إلى الإسلام ثم هداه الله للإسلام بعد ذلك.

* * *

المتن

سورة ﴿وَٱلنَّجۡمِ﴾ [النجم: ١]

بسم الله الرحمن الرحيم

وقال مجاهد: ﴿ذُو مِرَّةٍ﴾ [النجم: ٦]: ذو قوة.

﴿ضِيزَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٢]: عوجاء.

﴿وَأَكۡدَىٰٓ﴾ [النجم: ٣٤]: قطع عطاءه.

﴿رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ [النجم: ٤٩]: هو مرزم الجوزاء.

﴿ٱلَّذِي وَفَّىٰٓ﴾ [النجم: ٣٧]: وفى ما فرض عليه.

﴿سَٰمِدُونَ﴾ [النجم: ٦١]: البرطمة هو ضرب من اللهو.

وقال عكرمة: يتغنون بالحميرية.

وقال إبراهيم: ﴿أَفَتُمَٰرُونَهُۥ﴾ [النجم: ١٢]: أفتجادلونه.

ومن قرأ: «أَفَتَمْرُونَهُ»: أفتجحدونه.

وقال: ﴿مَا زَاغَ ٱلۡبَصَرُ﴾ [النجم: ١٧]: بصر محمد.

﴿وَمَا طَغَىٰ﴾ [النجم: ١٧]: ولا جاوز ما رأى.

﴿فَتَمَارَوۡاْ﴾ [القمر: ٣٦]: كذبوا.

وقال الحسن: ﴿إِذَا هَوَىٰ﴾ [النجم: ١]: غاب.

وقال ابن عباس: ﴿أَغۡنَىٰ وَأَقۡنَىٰ﴾ [النجم: ٤٨]: أعطى فأرضى.

• [٤٤٦٤] حدثنا يحيى، قال: حدثنا وكيع، عن إسماعيل بن أبي خالد، عن عامر، عن مسروق قال: قلت لعائشة: يا أمتاه، هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد قف شعري مما قلت! أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب؟! من حدثك أن محمدا رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت ﴿لَّا تُدۡرِكُهُ ٱلۡأَبۡصَٰرُ وَهُوَ يُدۡرِكُ ٱلۡأَبۡصَٰرَۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلۡخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] ﴿وَمَا

كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١]، ومن حدثك أنه يعلم ما في غد فقد كذب، ثم قرأتْ: ﴿وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا﴾ [لقمان: ٣٤]، ومن حدثك أنه قد كتم فقد كذب، ثم قرأتْ: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ بَلِّغْ مَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ وَإِن لَّمْ تَفْعَلْ﴾ [المائدة: ٦٧] الآية، ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين.

الشرح

قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ﴾ [النجم: ٦] وصف لجبريل بالقوة، و﴿قَابَ قَوْسَيْنِ﴾ [النجم: ٩] يعني: كان قريبًا من النبي ﷺ قرب الوتر من القوس.

قوله: ﴿تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٢] فسرها بأنها **«عوجاء»**، والظاهر أن المراد بالقسمة الضيزى الجائرة، حيث يجعلون لله الأنثى ويجعلون لأنفسهم الذكر.

قوله: ﴿رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ﴾ [النجم: ٤٩] الشعرى نجم، و**«هو مرزم الجوزاء»**.

قوله: ﴿وَأَنتُمْ سَـٰمِدُونَ﴾ [النجم: ٦١] فسر السامدون بالبرطمة، وهي لغة غير عربية.

قوله: **«وقال عكرمة: يتغنون بالحميرية»**، فالسمود هو اللهو، والغناء من اللهو.

«أفتمرونه» و﴿أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ﴾ [النجم: ١٢] بألف وبدون ألف.

قوله: «﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ﴾ [النجم: ١٧] **بصر محمد»** يعني: في ليلة المعراج.

قوله: «﴿أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ﴾ [النجم: ٤٨] **أعطى فأرضى»** وهذا أحد قولين، وذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أن ﴿أَقْنَىٰ﴾ من القنية أي: أصول مال، وقيل: جعل له قنية من الرضا.

• [٤٤٦٤] قوله: **«هل رأى محمد ربه؟ فقالت: لقد قف شعري مما قلتَ! أين أنت من ثلاث من حدثكهن فقد كذب؟! من حدثك أن محمدًا رأى ربه فقد كذب، ثم قرأت»** أي: استدلت بقوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَـٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَـٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: ١٠٣] يعني: لا تنظر إليه إلا يوم القيامة، فلا يمكن أن تراه الأبصار في الدنيا، واستدلت أيضا بقوله: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآيِ حِجَابٍ﴾ [الشورى: ٥١] فالرسول كلمه الله من وراء حجاب، ولم ير ربه وهو محجوب عن الرؤية، وما قالته عائشة هو المعتمد والذي عليه الجماهير من أهل العلم، فالنبي ﷺ لم ير ربه في الدنيا، وفي ليلة المعراج لم يره بعين رأسه بل رآه بعين قلبه.

وذهب بعض العلماء منهم النووي والقرطبي وأبو الحسن الأشعري إلى أنه رأى ربه ليلة المعراج، وتوقف آخرون من أهل العلم، فقالوا: لا نقول: رآه، ولا نقول: لم يره؛ لأن النصوص متعارضة.

والصواب أنه لم يره، ففي حديث أبي ذر عند مسلم: هل رأيت ربك قال: **«نور أنى أراه؟»**[١]، وفي حديث أبي موسى: **«حجابه النور لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه»**[٢] فهو محتجب عن خلقه بالنور.

ويجمع بين الآثار التي وردت في هذا: أن ما جاء من الآثار في أن محمدًا رأى ربه محمول على رؤية القلب، وما جاء من الآثار على نفي الرؤية محمول على رؤية البصر، وبهذا تجتمع الآثار ولا تختلف، وهذا ما استدلت به عائشة، فالآية التي تنفي الرؤية بمعنى: لا تراه الأبصار في الدنيا، والمعنى الثاني: أن الآية تنفي الإدراك لا الرؤية، وهو قدر زائد على الرؤية، فالإدراك أخص من الرؤية.

والمعنى: أن المؤمنين يرون ربهم يوم القيامة ولا يحيطون به رؤية لكمال عظمته.

وقوله تعالى: ﴿أَفَتُمَـٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ﴾ [النجم: ١٢] الرؤية هي رؤية جبريل، كما قالت عائشة: **«ولكنه رأى جبريل في صورته مرتين»** يعني: إن النبي ﷺ رآه مرتين على صورته التي خلقه الله عليها له ستمائة جناح، رآه مرة في ليلة المعراج في السماء، ومرة في الأرض حين البعثة، ورآه في صور متعددة، فكان يأتي على صورة إنسان كما جاء على صورة دحية الكلبي.

* * *

---

(١) مسلم (١٧٨).

(٢) أحمد (٤/ ٤٠٥)، ومسلم (١٧٩).

المتن

[٢٨٨/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ﴾ [النجم: ٩] حيث الوتر من القوس

• **[٤٤٦٥]** حدثنا أبو النعمان، قال: حدثنا عبدالواحد، قال: حدثنا الشيباني، قال: سمعت زرا، عن عبدالله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ [النجم: ٩، ١٠]، قال: حدثنا ابن مسعود، أنه رأى جبريل له ستمائة جناح.

الشرح

• **[٤٤٦٥]** قوله: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝ فَأَوْحَىٰ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ﴾ قاب قوسين يعني: مسافة الوتر من القوس إشارة إلى القرب، ثم ذكر قول ابن مسعود: **«أنه رأى جبريل له ستمائة جناح»** يعني: في الصورة التي خلق عليها، فرآه ليلة المعراج ولم ير ربه؛ لأنه محجوب.

والقاب يكون ما بين القبضة والسية من القوس، والمراد القوس التي يرمى بها.

وقال آخرون من أهل العلم: المراد بها الذراع؛ لأنه يقاس بها الشيء.

* * *

المتن

[٢٨٩/ ٥٦] باب قوله: ﴿فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾ [النجم: ١٠]

• [٤٤٦٦] حدثنا طلق بن غنام، قال: حدثنا زائدة، عن الشيباني قال: سألت زرا عن قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوۡسَيۡنِ أَوۡ أَدۡنَىٰ ۝٩ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَىٰ عَبۡدِهِۦ مَآ أَوۡحَىٰ﴾ [النجم: ٩، ١٠]، قال: أخبرنا عبدالله، أنه محمد رأى جبريل ﷺ له ستمائة جناح.

الشرح

• [٤٤٦٦] **قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «الحاصل: أن ابن مسعود كان يذهب إلى أن الذي رآه هو جبريل، كما ذهبت عائشة، والتقدير: فأوحى أي: جبريل إلى عبدي أي عبد الله محمد... وكلام أكثر المفسرين من السلف يدل على أن الذي أوحى هو الله أوحى إلى عبده محمد ومنهم من قال: إلى جبريل» اهـ.

* * *

المتن

[٢٩٠/ ٥٦] **باب** ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾ [النجم: ١٨]

• **[٤٤٦٧]** حدثنا قبيصة، قال: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبدالله قال: ﴿لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ﴾، قال: رأى رفرفا أخضر قد سد الأفق.

الشرح

• **[٤٤٦٧]** قوله: «**رفرفًا أخضر**» هو جبريل.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «أبصر نبي الله ﷺ جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ على رفرف قد ملأ ما بين السماء والأرض، فيجتمع من الحديثين أن الموصوف جبريل والصفة التي كان عليها» اهـ.



المتن

[٢٩١/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾ [النجم: ١٩]

• [٤٤٦٨] حدثنا مسلم بن إبراهيم، قال: حدثنا أبو الأشهب، قال: حدثنا أبو الجوزاء، عن ابن عباس في قوله: ﴿ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ﴾، قال: كان اللات رجلا يلت سويق الحاج.

• [٤٤٦٩] حدثني عبدالله بن محمد، حدثنا هشام بن يوسف، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، عن حميد بن عبدالرحمن، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«من حلف فقال في حلفه: واللات والعزى، فليقل: لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك فليتصدق»**.

الشرح

• [٤٤٦٨] قوله: **«كان اللات رجلا يلت سويق الحاج»** يعني: كان رجلًا صالحًا فلما مات غلوا في قبره لصلاحه فعبدوه فصار وثنا لأهل الجاهلية، حتى صار من الأصنام الكبيرة، وهي اللات والعزى ومناة، وقد ذكرها الله في القرآن الكريم لإبطالها، وأنها لا تستحق شيئًا من العبادة.

واللات بالتشديد وبالتخفيف، وقيل: اللات اسم للصخرة التي يلت عليها السويق، والسويق هو الحب المحموس يبل بالسمن والماء.

• [٤٤٦٩] في هذا الحديث إرشاد إلى أن من حلف، فقال: واللات والعزى أن يقول: لا إله إلا الله؛ لأنها توحيد ويمينه شرك، والتوحيد يكفر الشرك.

قوله: **«ومن قال لصاحبه: تعال أقامرك فليتصدق»** لأن طلب القمار معصية، والصدقة طاعة؛ فتكون الصدقة تكفر طلب القمار.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال الخطابي: اليمين إنما تكون بالمعبود المعظم، فإذا حلف باللات ونحوها فقد ضاهى الكفار، فأمر أن يتداركه بكلمة التوحيد. وقال ابن العربي: من حلف بها جادًّا فهو كافر، ومن قالها جاهلًا أو ذاهلًا يقول: لا إله إلا الله يكفِّر الله عنه، ويرد قلبه عن السهو إلى الذكر، ولسانه إلى الحق وينفي عنه ما جرى به من اللغو».

وقول الخطابي : «من حلف بها جادًّا فهو كافر» ليس بجيد ، بل إذا حلف جادًّا يظن أن لا بأس بذلك ، أو قالها تساهلًا فلا يكفر ، وإنما يكفر إذا حلف بها معظمًا لها ، والجد لا يستلزم التعظيم .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «قوله : «ومن قال لصاحبه : تعال أقامرك فليتصدق» قال الخطابي : أي بالمال الذي كان يريد أن يقامر به ، وقيل : بصدقة ما ، لتكفر عنه القول الذي جرىٰ علىٰ لسانه» اهـ . وهذا هو الصواب فالتكفير عن هذه يكون بأي فعل من أفعال الخير .

❊ ❊ ❊

المتن

[٢٩٢/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلۡأُخۡرَىٰٓ﴾ [النجم: ٢٠]

• [٤٤٧٠] حدثنا الحميدي، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا الزهري، قال: سمعت عروة، قلت لعائشة، فقالت: إنما كان من أهل بمناة الطاغية التي بالمشلل لا يطوفون بين الصفا والمروة، فأنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]، فطاف رسول الله ﷺ والمسلمون.

قال سفيان: ﴿مَنَوٰةَ﴾ [النجم: ٢٠] بالمشلل من قديد.

وقال عبدالرحمن بن خالد، عن ابن شهاب، قال عروة: قالت عائشة: نزلت في الأنصار، كانوا هم وغسان قبل أن يسلموا يهلون بمناة مثله.

وقال معمر، عن الزهري، عن عروة، عن عائشة: كان رجال من الأنصار ممن كان يهل لمناة، ومناة صنم بين مكة والمدينة، قالوا: يا نبي الله، كنا لا نطوف بين الصفا والمروة تعظيمًا لمناة. نحوه.

الشرح

• [٤٤٧٠] قوله: **«إنما كان من أهل بمناة الطاغية التي بالمشلل لا يطوفون بين الصفا والمروة»** وذلك تحرجًا؛ لأنهم كانوا في الأول يهلون لمناة - يعني: يذبحون لها - ثم يطوفون بين الصفا والمروة، فلما جاء الإسلام تحرجوا وقالوا: كيف نطوف بها وكنا في الجاهلية نطوف بها؟!

قوله: **«فأنزل الله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلصَّفَا وَٱلۡمَرۡوَةَ مِن شَعَآئِرِ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١٥٨]»** أي: فلا جناح عليه أن يطوف.

قوله: **«فطاف رسول الله ﷺ والمسلمون»** أي: كون المشركين يطوفون بهما بعد أن يهلوا لمناة لا يمنع من أن يطوف المسلمون بهما في الحج والعمرة.

قول عائشة: **«يهلون بمناة»** مناة صنم بين مكة والمدينة.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «بقيته عند الطبري: فهل علينا من حرج أن نطوف بهما؟ فقال النبي ﷺ: **«لا حرج»**[1]».

---

(١) الطبري (٢/ ٤٨).

المتن

[٢٩٣/ ٥٦] باب ﴿فَٱسْجُدُوا لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا﴾ [النجم : ٦٢]

• [٤٤٧١] حدثنا أبو معمر، قال : حدثنا عبدالوارث، قال : حدثنا أيوب، عن عكرمة، عن ابن عباس قال : سجد النبي ﷺ بالنجم، وسجد المسلمون معه والمشركون والجن والإنس .

تابعه إبراهيم بن طهمان، عن أيوب : لم يذكر ابن علية ابن عباس .

• [٤٤٧٢] حدثنا نصر بن علي، قال : أخبرنا أبو أحمد يعني الزبيري، قال : حدثني إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن الأسود بن يزيد، عن عبدالله قال : أول سورة أنزلت فيها سجدة ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾ [النجم :١]، قال : فسجد رسول الله ﷺ وسجد من خلفه، إلا رجلٌ رأيته أخذ كفا من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافرا، وهو أمية بن خلف .

الشرح

هذه الآية وهي قول الله تعالى : ﴿فَٱسْجُدُوا لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا﴾ [النجم : ٦٢] فيها دليل على ثبوت السجدة في سورة النجم، والرد على من قال : إن المفصل ليس فيه سجدات .

• [٤٤٧١] قوله : «سجد النبي ﷺ بالنجم، وسجد المسلمون معه والمشركون والجن والإنس» وكذلك السجدة في سورتي الانشقاق واقرأ .

• [٤٤٧٢] قوله : «أول سورة أنزلت فيها سجدة ﴿وَٱلنَّجْمِ﴾» فيه دليل على أن فيها سجدة ثابتة .

قوله : «فسجد رسول الله ﷺ وسجد من خلفه، إلا رجلٌ رأيته أخذ كفًا من تراب فسجد عليه، فرأيته بعد ذلك قتل كافرًا، وهو أمية بن خلف» المراد أنه تكبر أن يسجد على الأرض فأخذ ترابًا ووضعه على جبهته .

وقال بعضهم : إن الذي لم يسجد هو الوليد ين المغيرة، وقيل : سعيد بن العاص بن أمية، لكن ما في الصحيح مقدَّم .

* * *

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ [القمر : ١]

وقال مجاهد : ﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر : ٢] : ذاهب .

﴿مُزْدَجَرٌ﴾ [القمر : ٤] : متناهٍ .

﴿وَٱزْدُجِرَ﴾ [القمر : ٩] : فاستطير جنونا .

﴿دُسُرٍ﴾ [القمر : ١٣] : أضلاع السفينة .

﴿لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر : ١٤] يقول : كفر له ، يقول : جزاء من الله .

وقال غيره : ﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ [القمر : ٢٩] : فعاطها بيده فعقرها .

﴿مُّحْتَضَرٌ﴾ [القمر : ٢٨] : يحضرون الماء .

وقال ابن جبير : ﴿مُّهْطِعِينَ﴾ [القمر : ٨] : النَّسلان الخبب السِّراع .

﴿ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ [القمر : ٣١] كحظار من الشجر محترق .

﴿وَٱزْدُجِرَ﴾ [القمر : ٩] : افتعل من زجرت .

﴿كُفِرَ﴾ [القمر : ١٤] : فعلنا به وبهم ما فعلنا جزاء بما صُنع بنوح وأصحابه .

﴿عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ﴾ [القمر : ٣٨] : عذاب حق .

يقال : ﴿ٱلْأَشِرُ﴾ [القمر : ٢٦] : المرح والتجبر .

الشرح

ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تفسير معاني الكلمات التي قد يشكل معناها في سورة : ﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ﴾ ، والساعة اسم من أسماء يوم القيامة ، ولها كذلك أسماء متعددة ، منها : الغاشية ، والصاخة ، والطامة الكبرىٰ .

قوله : «﴿مُّسْتَمِرٌّ﴾ ذاهب» ومعنىٰ ذاهب : باطل ، والمراد : أن الكفار إذا رأوا آيات النبي ﷺ قالوا : هذا سحر سيذهب ويبطل ، وهذا من كفرهم وعنادهم .

قوله : «﴿مُزْدَجَرٌ﴾ [القمر : ٤] **متناهٍ**» يعني : أن قوم نوح لما ردوا دعوته قالوا عن نبي الله : مزدجر ، ورموه بضعف العقل والجنون .

قوله : «﴿دُسُرٍ﴾ [القمر : ١٣] **أضلاع السفينة**» والمشهور أن الدسر المسامير ، وهذه رواية عن ابن عباس .

وقوله تعالى : ﴿فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ [القمر : ٢٩] يعني : «**فعاطها بيده فعقرها**» وقتلها ، وهو قيدار بن ثابت كما سيأتي وأقره الباقون على ذلك ، فأهلكهم الله فكانوا كالشجر المحترق .

قوله : «﴿مُهْطِعِينَ﴾ [القمر : ٨] **النَّسلان الخبب السِّرَاع**» يعني : مسرعين ، والخبب نوع من المشي السريع .

قوله : «﴿كُفِرَ﴾ [القمر : ١٤] **فعلنا به وبهم ما فعلنا جزاء بما صُنع بنوح وأصحابه**» والمعنى : أن الذي وقع بهم من الغرق ، كان جزاء لنوح وهو الذي كفر -يعني : جُحد وكُذب- فجوزي بذلك لصبره عليهم .

قوله : «﴿مُحْتَضَرٌ﴾ [القمر : ٢٨] **يحضرون الماء**» أي : في قصة قوم صالح عليه السلام .

* * *

المتن

[٢٩٤/ ٥٦] **باب قوله تعالى:** ﴿وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝ وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟﴾ [القمر: ١، ٢]

• [٤٤٧٣] حدثنا مسدد، قال: حدثنا يحيى، عن شعبة وسفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن أبي معمر، عن ابن مسعود قال: انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين؛ فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ: **«اشهدوا»**.

• [٤٤٧٤] حدثنا علي بن عبدالله، قال: حدثنا سفيان، قال: أخبرنا ابن أبي نجيح، عن مجاهد، عن أبي معمر، عن عبدالله قال: انشق القمر ونحن مع النبي ﷺ فصار فرقتين، فقال لنا: **«اشهدوا، اشهدوا»**.

• [٤٤٧٥] حدثنا يحيى بن بكير، قال: حدثني بكر، عن جعفر، عن عراك بن مالك، عن عبيدالله بن عبدالله بن عتبة بن مسعود، عن ابن عباس قال: انشق القمر في زمان النبي ﷺ.

• [٤٤٧٦] حدثني عبدالله بن محمد، قال: حدثنا يونس بن محمد، قال: حدثنا شيبان، عن قتادة، عن أنس قال: سأل أهل مكة أن يريهم آية، فأراهم انشقاق القمر.

• [٤٤٧٧] حدثنا مسدد، قال: حدثنا يحيى، عن شعبة، عن قتادة، عن أنس قال: انشق القمر فرقتين.

الشرح

• **[٤٤٧٣]، [٤٤٧٤]، [٤٤٧٥]، [٤٤٧٦]، [٤٤٧٧] هذه الأحاديث والنصوص فيها إثبات انشقاق القمر، وهي من معجزات النبي ﷺ ومن علامات نبوته وآية من آيات الله**، قال ابن عباس: **«انشق القمر على عهد رسول الله ﷺ فرقتين؛ فرقة فوق الجبل، وفرقة دونه، فقال رسول الله ﷺ: اشهدوا»** وفي حديث أنس: **«سأل أهل مكة أن يريهم آية فأراهم انشقاق القمر»**، لكنهم تكبروا وأعرضوا كما قال الله تعالى: ﴿وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ﴾ [القمر: ٢] يعني أنهم قالوا: محمد سحر أبصارنا، وسنسأل المسافرين الذين يأتون من بعيد، فسألوا كل من يأتي من المسافرين فأخبروهم أنهم رأوا انشقاق القمر ومع ذلك لم ينتفعوا بهذه المعجزة، قال تعالى: ﴿وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتْنَتَهُۥ فَلَن تَمْلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [المائدة: ٤١].

المتن

[٢٩٥/ ٥٦] باب ﴿تَجۡرِي بِأَعۡيُنِنَا جَزَآءٗ لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾ [القمر: ١٤]

وقال قتادة: أبقى الله سفينة نوح حتى أدركها أوائل هذه الأمة.

• [٤٤٧٨] حدثنا حفص بن عمر، قال: حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن الأسود، عن عبدالله قال: كان النبي ﷺ يقرأ ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ [القمر: ١٥].

الشرح

فسَّر قتادة قوله تعالى: ﴿وَلَقَد تَّرَكۡنَٰهَآ ءَايَةٗ﴾ [القمر: ١٥] بأنها سفينة نوح أبقاها الله حتى أدركها أوائل هذه الأمة، وروي عن قتادة أنه زاد: على الجودي، والجودي جبل بالموصل بالعراق، وروي عن قتادة أنه قال: أبقى الله السفينة في أرض الجزيرة عبرة وعظة حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة.

• [٤٤٧٨] قوله: «﴿مُّدَّكِرٖ﴾ [القمر: ١٥]» بالدال، وهناك قراءات فيها: «مذكر» وأصلها مذتكر فأدغمت التاء في الذال.

* * *

المتن

[٢٩٦/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ۝ وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٦، ١٧]

قال مجاهد: ﴿يَسَّرْنَا﴾ هَوَّنَّا قراءته

• [٤٤٧٩] حدثنا مسدد، قال: حدثنا يحيى، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن الأسود، عن عبدالله، عن النبي ﷺ، أنه كان يقرأ ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾.

الشرح

• [٤٤٧٩] هذه الآية فيها قراءة أخرى وهي: ﴿فَهَلْ مِن «مُذكرٍ»﴾.

* * *

المتن

[٢٩٧/ ٥٦] **باب** ﴿أَعۡجَازُ نَخۡلٖ مُّنقَعِرٖ ۝٢٠ فَكَيۡفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر: ٢٠، ٢١]

• [٤٤٨٠] حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا زهير، عن أبي إسحاق، أنه سمع رجلا سأل الأسود ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ [القمر: ٢٢] أو «**مذكر**»، فقال: سمعت عبدالله يقرؤها ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ دالًا، قال: وسمعت النبي ﷺ يقرؤها ﴿فَهَلۡ مِن مُّدَّكِرٖ﴾ دالًا.

الشرح

• [٤٤٨٠] **قوله: ﴿مُّدَّكِرٖ﴾ بتشديد الدال، والقراءة الثانية «مذَّكر» بتشديد الذال المعجمة.**

* * *

المتن

[٢٩٨/ ٥٦] باب ﴿فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ﴾ [القمر: ٣١] الآية

• [٤٤٨١] حدثنا عبدان، قال: أخبرنا أبي، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن الأسود، عن عبدالله، أن النبي ﷺ قرأ: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ٣٢].

الشرح

• [٤٤٨١] قوله: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ بتشديد الدال، والقراءة الثانية «**مذَّكر**» بتشديد الذال المعجمة.

* * *

المتن

[٢٩٩/ ٥٦] باب ﴿وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ۝٣٨ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ إلى ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ٣٨- ٤٠]

• [٤٤٨٢] حدثني محمد، قال: حدثنا غندر، قال: حدثنا شعبة، عن أبي إسحاق، عن الأسود، عن عبدالله، عن النبي ﷺ قرأ: ﴿وَلَقَد تَّرَكْنَاهَا آيَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ١٥].

الشرح

• [٤٤٨٢] قوله: ﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ بتشديد الدال، والقراءة الثانية «مُذَّكِرٍ» بتشديد الذال المعجمة.

* * *

المتن

[٣٠٠/ ٥٦] باب ﴿وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾ [القمر: ٥١]

• [٤٤٨٣] حدثني يحيى، قال: حدثنا وكيع، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن الأسود بن يزيد، عن عبدالله قال: قرأت على النبي ﷺ: **﴿فَهَلْ مِن «مذكر»﴾**، فقال النبي ﷺ: **﴿فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ﴾** [القمر: ٥١].

الشرح

• [٤٤٨٣] المقصود أن فيها قراءتين **«مذَكِر»** و﴿**مُّدَّكِرٍ**﴾ [القمر: ٥١]، وفيها قراءة أخرى «مذَّكِّر».

* * *

المتن

[٣٠١/ ٥٦] باب قوله: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥]

• [٤٤٨٤] حدثني محمد بن حوشب، قال: حدثنا عبدالوهاب، قال: حدثنا خالد، عن عكرمة، عن ابن عباس. ح وحدثني محمد، قال: حدثنا عفان بن مسلم، عن وهيب قال: حدثنا خالد، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن رسول الله ﷺ قال وهو في قبة يوم بدر: **«اللهم إني أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن تشأ لا تعبد بعد اليوم»**، فأخذ أبو بكر بيده فقال: حسبك يا رسول الله ألححت على ربك! وهو يثب في الدرع، فخرج وهو يقول: ﴿سَيُهْزَمُ ٱلْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ﴾ [القمر: ٤٥] الآية.

الشرح

• [٤٤٨٤] هذا من علامات النبوة، حيث أخبر رسول الله ﷺ بهزيمتهم، ووقعت الهزيمة. وقول أبي بكر: **«حسبك يا رسول الله»** يعني: يكفيك.

* * *

المَتْن

[٣٠٢/ ٥٦] **باب قوله تعالى: ﴿بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ﴾** [القمر: ٤٦]

يعني من المرارة

• **[٤٤٨٥]** حدثني إبراهيم بن موسى، قال: أخبرنا هشام بن يوسف، أن ابن جريج أخبرهم، قال: أخبرني يوسف بن ماهك، قال: إني عند عائشة أم المؤمنين قالت: لقد نزل على محمد ﷺ بمكة وإني لجارية ألعب ﴿**بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ**﴾ [القمر: ٤٦].

• **[٤٤٨٦]** حدثني إسحاق، قال: حدثنا خالد، عن خالد، عن عكرمة، عن ابن عباس، أن النبي ﷺ قال وهو في قبة له يوم بدر: «**أنشدك عهدك ووعدك، اللهم إن شئت لم تعبد بعد اليوم أبدا**»، فأخذ أبو بكر بيده وقال: حسبك يا رسول الله؛ فقد ألححت على ربك! وهو في الدرع، فخرج وهو يقول: ﴿**سَيُهۡزَمُ ٱلۡجَمۡعُ وَيُوَلُّونَ ٱلدُّبُرَ ۝ بَلِ ٱلسَّاعَةُ مَوۡعِدُهُمۡ وَٱلسَّاعَةُ أَدۡهَىٰ وَأَمَرُّ**﴾ [القمر: ٤٥-٤٦].

الشَّرْح

قوله: ﴿**أَمَرُّ**﴾ [القمر: ٤٦] من المرارة، يعني: أمر الساعة أدهى وأشد مرارة.

• **[٤٤٨٥]** قولها: «**لقد نزل على محمد ﷺ بمكة**» تعني: إنها مكية. وفي هذا الحديث الوعيد والتهديد للكفار حيث لم يؤمنوا بالنبي ﷺ.

• **[٤٤٨٦]** في الحديث فوائد، منها: أنه ينبغي للإنسان أن يلح على ربه في الدعاء ولو كان مقامه عاليًا، فالنبي ﷺ مع علو مقامه ألح على ربه وأكثر إلحاحه.

وفيه أن الله يحب الإلحاح في الدعاء ويحب سؤاله ﷻ بخلاف الآدمي فإنه لا يحب أن يلح عليه بالدعاء؛ ولهذا قال الشاعر:

الله يغضب إن تركت سؤاله ... وبني آدم حين يسأل يغضب

فالله تعالى يحب الملحين في الدعاء، وأحبهم إليه أكثرهم إلحاحًا، وأما بنو آدم فإنهم لا يحبون من يسألهم، فضلًا عمن يلح، فيكرهونه كراهة شديدة.

المتن

سورة الرحمن

بسم الله الرحمن الرحيم

وقال مجاهد : ﴿بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن : ٥] كحسبان الرحى .

وقال غيره : ﴿وَأَقِيمُواْ ٱلْوَزْنَ﴾ [الرحمن : ٩] يريد : لسان الميزان .

و ﴿ٱلْعَصْفِ﴾ [الرحمن : ١٢] بقل الزرع إذا قطع منه شيء قبل أن يدرك ، فذلك العصف .

﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾ [الرحمن : ١٢] رزقه .

﴿وَٱلْحَبُّ﴾ [الرحمن : ١٢] الذي يؤكل منه .

﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾ في كلام العرب الرزق .

وقال بعضهم : ﴿ٱلْعَصْفِ﴾ يريد : المأكول من الحب ، ﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾ النضيج الذي لم يؤكل .

وقال غيره : ﴿ٱلْعَصْفِ﴾ ورق الحنطة .

وقال مجاهد : ﴿ٱلْعَصْفِ﴾ ورق الحنطة و ﴿وَٱلرَّيْحَانُ﴾ [الرحمن : ١٢] الرزق .

وقال الضحاك : ﴿ٱلْعَصْفِ﴾ التبن .

وقال أبو مالك : ﴿ٱلْعَصْفِ﴾ أول ما ينبت تسميه النبط هبورًا .

وقال مجاهد : ﴿كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمن : ١٤] كما يصنع الفخار .

وقال مجاهد : المارج طرف النار الأحمر الذي يكون به الدخان .

وقال بعضهم عن مجاهد : ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ﴾ [الرحمن : ١٧] للشمس في الشتاء مشرق ومشرق في الصيف ﴿وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن : ١٧] مغربها في الشتاء والصيف .

﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن : ٢٠] لا يختلطان .

﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ [الرحمن : ٢٤] ما رفع قلعه من السفن ، فأما ما لم يرفع قِلعُه فليس بمنشآت .

الشواظ لهب من نار .

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن : ٤٦] يهم بالمعصية فيذكر الله فيتركها .

﴿فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ﴾ [الرحمن : ٦٨] قال بعضهم : ليس النخل والرمان بفاكهة ، وأما العرب فإنها تعدها فاكهة ، كقوله تعالى : ﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة : ٢٣٨] فأمرهم بالمحافظة على كل الصلوات ، ثم أعاد العصر تشديدًا لها كما أعيد النخل والرمان . ومثلها ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج : ١٨] ، ثم قال : ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحج : ١٨] ، وقد ذكرهم الله ﷻ في أول قوله : ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ .

وقال الحسن : ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ﴾ [الرحمن : ١٣] نعمه .

وقال قتادة : ﴿رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن : ١٣] يعني : الجن والإنس .

وقال أبو الدرداء : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن : ٢٩] يغفر ذنبا ، ويكشف كربا ، ويرفع قوما ، ويضع آخرين .

﴿ذُو ٱلْجَلَٰلِ﴾ [الرحمن : ٢٧] العظمة .

وقال غيره : ﴿مَّارِجٍ﴾ [الرحمن : ١٥] خالص من النار .

يقال : مرج الأمير رعيته إذا خلاهم يعدو بعضهم على بعض ، ويقال : مرج أمر الناس اختلط .

﴿مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ﴾ [الرحمن : ١٩] مرجت دابتك تركتها .

﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ﴾ [الرحمن : ٣١] سنحاسبكم لا يشغله شيء عن شيء ، وهو معروف في كلام العرب ، يقال : لأتفرغن لك وما به شغل ، يقول : لآخذنك على غرتك .

﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ [الرحمن : ٦٤] سوداوان من الري .

الشرح

قوله : «﴿بِحُسْبَانٍ﴾ [الرحمن : ٥] كحسبان الرحى» يعني : في الدوران ، فالشمس تجري ويتبعها القمر وهكذا ، والليل يجري ويتبعه النهار وهكذا ، كما قال الله : ﴿يُغْشِى ٱلَّيْلَ ٱلنَّهَارَ يَطْلُبُهُۥ حَثِيثًا﴾ [الأعراف : ٥٤].

قوله : «لسان الميزان» روي عن ابن عباس ، وذلك أنه لما رأىٰ رجلا يزن قال له : أقم اللسان . كما قال الله : ﴿وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ﴾ [الرحمن : ٩] والقسط هو العدل .

قوله : «و ﴿ٱلْعَصْفِ﴾ [الرحمن : ١٢] بقل الزرع إذا قطع منه شيء قبل أن يدرك» وقيل : هو التبن إذا داسته الدواب . ثم ذكر ذلك في تفسيرها وهذه كلها أقوال أوردها المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في ﴿ٱلْعَصْفِ﴾ منها أنه «المأكول من الحب» أو «ورق الحنطة» .

قوله : «وقال أبو مالك : ﴿ٱلْعَصْفِ﴾ [الرحمن : ١٢] أول ما ينبت يسميه النبط هبورًا» النبط أهل الفلاحة من الأعاجم ، وكانت أماكنهم بسواد العراق .

قوله تعالىٰ : ﴿كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمن : ١٤] وهو الطين إذا طبخ ويبس يقال له : الفخار ؛ لأنه يصلصل أي : يصوت ، ويقال الصلصال : هو المنتن ، وآدم خلق من طين كالفخار ، أما إبليس فقد خلق من الشواظ أي لهب من نار .

ومن المعلوم أنه يوجد مشرق واحد ومغرب واحد ، لكن الله ﷻ ثنَّىٰ فقال : ﴿رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ﴾ [الرحمن : ١٧] يعني : «للشمس في الشتاء مشرق ومشرق في الصيف» ، وكذلك «مغربها في الشتاء والصيف» .

قوله تعالىٰ : ﴿لَّا يَبْغِيَانِ﴾ [الرحمن : ٢٠] يعني : المالح والحلو «لا يختلطان» ، وهذا من حكمة الله .

قوله تعالىٰ : ﴿ٱلْمُنشَـَٔاتُ﴾ [الرحمن : ٢٤] فسرها المؤلف بـ«ما رفع قلعه من السفن» - و«قِلعُه» بكسر القاف وتفتح - أي المنشأة .

قوله : ﴿جَنَّتَانِ﴾ [الرحمن : ٤٦] أي : جنتان في الجنة .

قوله : «قال بعضهم : ليس النخل والرمان بفاكهة» ؛ لأنه قال : ﴿فِيهِمَا فَـٰكِهَةٌ﴾ [الرحمن : ٦٨] ثم عطف عليه النخل والرمان ، فدل علىٰ أن النخل شيء ، والفاكهة شيء والرمان شيء ، «وأما العرب فإنها تعدها فاكهة» وهذا هو الصواب ، ويكون عطف النخل والرمان على الفاكهة من عطف الخاص على العام وذكر لهذا أمثلة : مثل قوله تعالىٰ : ﴿حَـٰفِظُوا۟ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ [البقرة : ٢٣٨] حيث عطف ﴿ٱلصَّلَوٰةِ ٱلْوُسْطَىٰ﴾ علىٰ ﴿ٱلصَّلَوَٰتِ﴾ من باب عطف الخاص على العام ؛ ولهذا قال : «فأمرهم بالمحافظة علىٰ كل الصلوات ثم أعاد العصر تشديدا لها

كما أعيد النخل والرمان . ومثلها ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ [الحج : ١٨]، ثم قال : ﴿وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ﴾ [الحج : ١٨]، وقد ذكرهم الله ﷻ في أول قوله : ﴿مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ﴾ .

قوله : ﴿فَبِأَىِّ ءَالَآءِ﴾ أي : بأي نعم ﴿رَبِّكُمَا﴾ أيها الجن والإنس ﴿تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن : ٥٥] .

قوله سبحانه وتعالى : ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ﴾ [الرحمن : ٢٩] يعني : «يغفر ذنبًا ويكشف كربًا ، ويرفع قومًا ويضع آخرين» ، ويسعد قومًا ويشقي آخرين ، ويذل قومًا ويعجز آخرين ، فهو يتصرف في ملكه وفق مشيئته وحكمته ، فله الحكمة البالغة سبحانه وتعالى .

قوله تعالى : ﴿مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ﴾ [الرحمن : ١٥] أي : «خالص من النار» ، ويقال في اللغة : «مرج الأمير رعيته إذا خلاهم يعدو بعضهم على بعض» ، ومنه قوله تعالى : ﴿فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ﴾ [ق : ٥] أي : ملتبس .

وقوله تعالى : ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ [الرحمن : ٣١] هذا تهديد ، والمراد «سنحاسبكم» ، وليس المراد أن الله مشغول ؛ فالله سبحانه وتعالى «لا يشغله شيء عن شيء ، وهو معروف في كلام العرب» ، في لغة العرب يقول الشخص لمن يتهدده : «لأتفرغن لك» ، يعني : سوف أعاقبك ، يقول ذلك وليس بمشغول ، لكن المراد التهديد يقول : «لآخذنك على غرتك» ، والقرآن نزل بلغة العرب .

قوله : ﴿مُدْهَآمَّتَانِ﴾ [الرحمن : ٦٤] أي : «سوداوان من كثرة الري» ، يعني : من الخضرة للسواد .

❊ ❊ ❊

المتن

[٣٠٣/ ٥٦] باب قوله:

﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ۝ فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ٦٢، ٦٣]

• [٤٤٨٧] حدثني عبدالله بن أبي الأسود، قال: حدثنا عبد العزيز بن عبد الصمد العمي، قال: حدثنا أبو عمران الجوني، عن أبي بكر بن عبد الله بن قيس، عن أبيه، أن رسول الله ﷺ قال: **«جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما، وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن»**.

الشرح

• [٤٤٨٧] هذا الحديث فيه إثبات صفة الجنة، وأن من أنكر الجنة والنار فهو كافر؛ لأنه لم يؤمن بيوم الحساب.

وفيه إثبات الوجه لله ﷻ وهو صفة من صفاته.

وفيه إثبات رداء الكبر لله، وهو صفة من صفاته التي تدل على عظمته، وأنه احتجب به عن خلقه.

وفي الحديث الآخر يقول الرب ﷻ: **«العظمة إزاري، والكبرياء ردائي فمن نازعني واحدة منهما عذبته»**[1]، فالعظمة والكبر كلاهما صفة من صفات الله، ورداء الكبر على وجهه صفة من صفاته سبحانه وتعالى احتجب به عن خلقه.

* * *

(١) أحمد (٢/ ٣٧٦)، وأبو داود (٤٠٩٠)، وابن ماجه (٤١٧٥).

المتن

[٣٠٤/ ٥٦] باب ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ﴾ [الرحمن : ٧٢]

وقال ابن عباس : الحوراء سود الحدق .

وقال مجاهد : ﴿مَّقْصُورَٰتٌ﴾ [الرحمن : ٧٢] محبوسات قصر طرفهن وأنفسهن على أزواجهن .

﴿قَٰصِرَٰتُ﴾ [الرحمن : ٥٦] لا يبغين غير أزواجهن .

• [٤٤٨٨] حدثني محمد بن المثنى ، قال : حدثنا عبدالعزيز بن عبدالصمد ، قال : حدثنا أبو عمران الجوني ، عن أبي بكر بن عبدالله بن قيس ، عن أبيه ، أن رسول الله ﷺ قال : **«إن في الجنة خيمة من لؤلؤة مجوفة ، عرضها ستون ميلا ، في كل زاوية منها أهل ما يرون الآخرين ، يطوف عليهم المؤمنون ، وجنتان من فضة آنيتها وما فيها ، وجنتان من كذا آنيتها وما فيها ، وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبر على وجهه في جنة عدن»** .

الشرح

الحور : نساء أهل الجنة ، وقوله : **«وقال ابن عباس : الحوراء سود الحدق»** أي : سواد مع بياض .

قوله : **«وقال مجاهد : ﴿مَّقْصُورَٰتٌ﴾** [الرحمن : ٧٢] **محبوسات قصر طرفهن وأنفسهن على أزواجهن»** يعني : لا يبغين غيرهم .

• [٤٤٨٨] قوله : **«لؤلؤة مجوفة»** يعني : واسعة الجوف من لؤلؤ الجنة .

قوله : **«عرضها ستون ميلًا»** الميل يعادل كيلوين إلا ربعًا تقريبًا أي : تقارب مائة كيلو ، **«في كل زاوية منها أهل»** للمؤمن لا يرون الآخرين **«يطوف عليهم المومنون»** ، ثم يكشف الله - سبحانه وتعالى - الحجاب فيراه المؤمنون ، وأعظم نعيم يعطاه أهل الجنة رؤية الله ﷻ ، فإذا كشف الحجاب نظروا إليه فنسوا ما هم فيه من النعيم .

* * *

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة الواقعة

وقال مجاهد : ﴿ رُجَّتِ ﴾ [الواقعة : ٤] زلزلت .

﴿ بُسَّتِ ﴾ [الواقعة : ٥] فُتَّتْ ولُتَّتْ كما يلت السويق .

المخضود : لا شوك له .

والعرب المحببات إلى أزواجهن .

﴿ ثُلَّةٌ ﴾ [الواقعة : ١٣] أمة .

﴿ يَحْمُومٍ ﴾ [الواقعة : ٤٣] دخان أسود .

﴿ لَمُغْرَمُونَ ﴾ [الواقعة : ٦٦] لملومون .

﴿ يُصِرُّونَ ﴾ [الواقعة : ٤٦] يديمون .

﴿ مَدِينِينَ ﴾ [الواقعة : ٨٦] محاسبين .

الريحان : الرزق .

﴿ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [الواقعة : ٦١] في أي خلق نشاء .

وقال غيره : ﴿ تَفَكَّهُونَ ﴾ [الواقعة : ٦٥] تَعْجَبُون .

﴿ عُرُبًا ﴾ [الواقعة : ٣٧] مثقلة واحدها عروب مثل صبور وصبر ، يسميها أهل مكة العربة ، وأهل المدينة الغنجة ، وأهل العراق الشَّكِلَة .

وقال في ﴿ كَاذِبَةٌ ۝ خَافِضَةٌ ﴾ [الواقعة : ٢ ، ٣] لقوم إلى النار و﴿ رَّافِعَةٌ ﴾ [الواقعة : ٣] إلى الجنة .

﴿ وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴾ [الواقعة : ٣٤] بعضها فوق بعض .

﴿ مُتْرَفِينَ ﴾ ممتعين .

﴿مَّا تُمْنُونَ﴾ [الواقعة : ٥٨] من النطف يعني في أرحام النساء .

﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة : ٧٥] بمحكم القرآن .

ويقال : بمسقط النجوم إذا سقطن ، ومواقع وموقع واحد .

﴿مُّدْهِنُونَ﴾ [الواقعة : ٨١] مكذبون ، مثل ﴿لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم : ٩] .

﴿فَسَلَٰمٌ لَّكَ﴾ [الواقعة : ٩١] أي فسلام لك إنك ﴿مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة : ٩١] ، وألغيت «إن» وهو معناها كما تقول : أنت مُصَدَّق مسافر عن قليل ، إذا كان قد قال : إني مسافر عن قريب ، وقد يكون كالدعاء له كقولك : فسقيا من الرجال إن رفعت السلام فهو من الدعاء .

الشرح

الواقعة من أسماء يوم القيامة ، ويوم القيامة له أسماء عديدة ، منها : القارعة ، والصاخة ، والزلزلة ، وذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ فيها ما يزيد على ثلاثين اسمًا .

وقوله تعالى : ﴿إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ۝١ لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ۝٢ خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ [الواقعة : ١ - ٣] أي : إذا جاءت القيامة لا أحد يمنعها ، وهي حق ﴿خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ﴾ [الواقعة : ٣] ، تخفض أقوامًا وترفع أقوامًا ، فالمؤمنون يرفعهم الله ، والكفار يخفضهم الله .

قوله : «﴿رُجَّتِ﴾ [الواقعة : ٤] : زلزلت» المعنى : أن يوم القيامة ترج فيه الأرض وتزلزل ، فإذا أمر الله إسرافيل فنفخ في الصور رجت الجبال وزلزلت ، كما في الآية الكريمة : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة : ١] .

قوله : ﴿بُسَّتِ﴾ [الواقعة : ٥] أي : «فتت» الجبال المكونة من الصخور الصماء «ولتت كما يلت السويق» ، وفي الآية الأخرى : ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة : ٥] يعني : كالصوف المندوف .

قوله : «المخضود : لا شوك له» وقيل : الموقر حملًا ، ففي قصص المؤمنين : ﴿وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ۝٢٧ فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ﴾ [الواقعة : ٢٧ ، ٢٨] والسدر معروف ، وهو نوع من الفاكهة .

وقوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَنشَأۡنَٰهُنَّ إِنشَآءٗ﴾[الواقعة : ٣٥] يعني : النساء في الجنة ، ﴿فَجَعَلۡنَٰهُنَّ أَبۡكَارًا﴾ [الواقعة : ٣٦] أي : يخلقن خلقًا جديدًا ، ﴿عُرُبًا أَتۡرَابٗا﴾ [الواقعة : ٣٧] يعني : متحببات لأزواجهن .

قوله : «﴿ثُلَّةٞ﴾ [الواقعة : ٣٩] : **أمة**» **قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وقال أبو عبيدة : الثلة الجماعة ، والثلة البقية» ، هذا هو الأقرب .

قوله : «﴿يَحۡمُومٖ﴾ [الواقعة : ٤٣] **دخان أسود**» هذا جزاؤهم على أعمالهم الخبيثة ؛ لأنهم يكذبون بيوم الدين ، و﴿يُصِرُّونَ عَلَى ٱلۡحِنثِ ٱلۡعَظِيمِ﴾ [الواقعة : ٤٦] ، يعني : «**يديمون**» على الإثم العظيم .

قوله : «﴿عُرُبًا﴾ [الواقعة : ٣٧] **مثقلة واحدها عروب ، مثل صبور وصبر ، يسميها أهل مكة العربة ، وأهل المدينة الغَنِجة ، وأهل العراق الشَّكِلَة**» فالمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ حريص على إفادة طالب العلم وتصريف الكلمة .

رجع المؤلف إلى أول السورة فلم يرتب ، وكان الأولى الترتيب .

قوله : ﴿خَافِضَةٞ﴾ [الواقعة : ٣] يعني : أن الواقعة -القيامة- «﴿خَافِضَةٞ﴾ **لقوم إلى النار**» ، و﴿رَّافِعَةٌ﴾ للمؤمنين «**إلى الجنة**» .

وقوله : ﴿عَلَىٰ سُرُرٖ مَّوۡضُونَةٖ﴾ [الواقعة : ١٥] أي : «**منسوجة ، ومنه وضين الناقة**» أفاده في نسخة .

قوله تعالى : ﴿بِأَكۡوَابٖ وَأَبَارِيقَ﴾ [الواقعة : ١٨] فرّق المؤلف في بعض النسخ بين الأكواب والأباريق ، فالأكواب : لا آذان لها ولا عروة ، والأباريق لها آذان وعروة يمسك منها .

قوله تعالى : ﴿مُتۡرَفِينَ﴾ [الواقعة : ٤٥] يعني : أهل النار ؛ لأنهم كانوا قبل ذلك متمتعين يأكلون كما تأكل الأنعام .

قوله : «﴿بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ﴾ [الواقعة : ٧٥] **بمحكم القرآن**» ؛ لأنه كان ينزل على النبي ﷺ منجمًا على حسب الحوادث ، وقيل : المراد بالنجوم : النجوم التي في السماء بمساقطها .

قوله تعالى : ﴿أَفَبِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَنتُم مُّدۡهِنُونَ﴾ [الواقعة : ٨١] يعني : القرآن ، وهو إنكار عليهم ، والمعنى : أفأنتم تكذبون بالقرآن ، قوله : «**مثل** ﴿لَوۡ تُدۡهِنُ فَيُدۡهِنُونَ﴾ [القلم : ٩]» معنى ذلك : لو تكفر فيكفرون .

قوله تعالى : ﴿ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة : ٩١] «**سلام لك**» يعني : مسلم لك على تقدير «**إنك** ﴿ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾» ، وحذفت «**إن**» وهي منوية في المعنى ، ومثال ذلك كما تقول العرب : «**أنت مصدق مسافر عن قليل ، إذا كان قد قال : إني مسافر عن قريب ، وقد يكون كالدعاء له**» : يعني إذا قال : ﴿ فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ﴾ [الواقعة : ٩١] كأنه يدعو له بالسلامة ، كقولك : «**فسقيا من الرجال**» .

* * *

المتن

[٣٠٥/ ٥٦] **باب قوله تعالى: ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾** [الواقعة: ٣٠]

• [٤٤٨٩] حدثنا علي بن عبدالله، قال: حدثنا سفيان، عن أبي الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، يبلغ به النبي ﷺ قال: **«إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، واقرءوا إن شئتم ﴿وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ﴾** [الواقعة: ٣٠]**»**.

الشرح

• [٤٤٨٩] قوله: **«إن في الجنة شجرة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها»** هذا يدل على عظمة سعة الجنة، فشجرة واحدة يسير الراكب في ظلها مائة عام لا يقطعها، وليس المراد بالظل الذي يكون من الشمس؛ لأن الجنة ليس فيها شمس ولا قمر، بل فيها نور مطرد، فليس فيها ليل ولا نهار، قال تعالى: ﴿لَا يَرَوْنَ فِيهَا شَمْسًا وَلَا زَمْهَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٣].

* * *

المتن

سورة الحديد والمجادلة

بسم الله الرحمن الرحيم

وقال مجاهد : ﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد : ٢٥] جُنة وسلاح .

﴿لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الْكِتَابِ﴾ [الحديد : ٢٩] ليعلم أهل الكتاب .

﴿يُحَادُّونَ اللَّهَ﴾ [المجادلة : ٥] يشاقون .

﴿كُبِتُوا﴾ [المجادلة : ٥] أحزنوا .

﴿اسْتَحْوَذَ﴾ [المجادلة : ١٩] غلب .

﴿مَوْلَاكُمْ﴾ [الحديد : ١٥] أولى بكم .

أنظرونا : انتظرونا .

يقال : الظاهر على كل شيء علما ، والباطن على كل شيء علما .

الشرح

سورة «**المجادلة**» ويقال : المجادِلة أي المرأة التي جادلت النبي ﷺ في زوجها ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا﴾ [المجادلة : ١] ولم يذكر المؤلف هنا حديثا ، ولكن يناسبه حديث المرأة التي ظاهر منها زوجها .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «أخرجه النسائي والبخاري ذكر طرفًا منه في كتاب التوحيد» .

أشار في بعض النسخ إلى قوله تعالى : ﴿وَأَنفِقُوا مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ﴾ [الحديد : ٧] أي : أنفقوا من المال الذي جعلكم مستخلفين فيه ، أي : «**معمرين**» ومملكين «**فيه**» ، وهذا الأقرب ، فيكون المعنى : استخلفكم الله وأعطاكم هذا المال فهو عارية بين أيديكم ، فأنفقوا من هذا المال الذي أعطاكم الله في سبل الخيرات ، والاستخلاف هو أن يوكل المالك شخصًا يقوم مقامه وينفذ ما أمره به ، فالله تعالى استخلف الناس فأعطاهم المال وشرع لهم الشرائع في كتبه وعلى ألسنة رسله ليعملوا في هذا المال وفق شرعه .

قوله : «﴿فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ﴾ [الحديد : ٢٥] **جُنة وسلاح**» يعني : الحديد فيه قوة وصلابة ومنافع أخرى للناس ، والآن صار للحديد في آخر الزمان منافع لا حصر لها مثل صناعة السيارات ، والطائرات ، والسفن ، والمراكب ، والأسلحة ، والصواريخ ، والقنابل ، والأمتعة ، والقدور وغيرها .

قوله تعالى : «﴿لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [الحديد : ٢٩] **ليعلم أهل الكتاب**» و«**لا**» لزيادة التأكيد ، والتقدير : ليعلم أهل الكتاب . **قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ اللهُ : «قال الفراء : العرب تجعل «لا» صلة في الكلام» .

وقوله : ﴿يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ﴾ [المجادلة : ٢٠] يعني : «**يشاقون**» .

قوله تعالى : ﴿كُبِتُوا۟﴾ [المجادلة : ٥] أي : «**أحزنوا**» وفي نسخة : «**أخزوا من الخزي**» .

قوله : ﴿ٱسْتَحْوَذَ﴾ [المجادلة : ١٩] يعني : «**غلب**» .

قوله تعالى : ﴿مَوْلَىٰكُمْ﴾ [الحديد : ١٥] يعني : «**أولى بكم**» .

قوله : «**الظاهر على كل شيء علمًا ، والباطن على كل شيء علمًا**» يعني : لا يخفى عليه شيء ، والظاهر والباطن من أسماء الله ﷻ .

وتفسير المصنف للظاهر والباطن مرجوح ، والصواب ما فسره النبي ﷺ في قوله : «**اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء ، وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ، وأنت الباطن فليس دونك شيء ، اقض عني الدين وأغنني من الفقر**»[1] فمعنى الظاهر الذي ليس فوقه شيء ، وهو فوق المخلوقات - سبحانه وتعالى - وفوق العرش ، والباطن الذي لا يحجبه شيء من خلقه .

* * *

---

(١) أحمد (٢/ ٣٨١) ، ومسلم (٢٧١) .

المتن

سورة الحشر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ٱلْجَلَآءَ﴾ [الحشر: ٣] الإخراج من أرض إلى أرض

• [٤٤٩٠] حدثني محمد بن عبدالرحيم، قال: حدثنا سعيد بن سليمان، قال: حدثنا هشيم، قال: أخبرنا أبو بشر، عن سعيد بن جبير، قال: قلت لابن عباس: سورة التوبة؟ قال: التوبة هي الفاضحة، ما زالت تنزل: ﴿وَمِنْهُم﴾، ﴿وَمِنْهُم﴾، حتى ظنوا أنها لم تبق أحدا منهم إلا ذكر فيها، قال: قلت: سورة الأنفال؟ قال: نزلت في بدر، قال: قلت: سورة الحشر؟ قال: نزلت في بني النضير.

• [٤٤٩١] حدثني حسن بن مدرك، قال: حدثنا يحيى بن حماد، قال: حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير قال: قلت لابن عباس: سورة الحشر؟ قال: قل سورة النضير.

الشرح

قوله: «﴿ٱلْجَلَآءَ﴾ [الحشر: ٣] الإخراج من أرض إلى أرض» يعني: اليهود؛ لأن النبي ﷺ أجلاهم من بلاد الحجاز إلى الشام.

• [٤٤٩٠] قوله: «التوبة هي الفاضحة» تسمى الفاضحة لأنها ما زالت تنزل في وصف المنافقين «حتى ظنوا أنها لم تبقِ أحدًا منهم إلا ذكر فيها».

والشاهد من الحديث أن سورة الحشر «نزلت في بني النضير»؛ ولذلك تسمى سورة بني النضير.

• [٤٤٩١] قوله: «قل سورة النضير» كأنه كره تسميتها بالحشر؛ لئلا يظن أن المراد يوم القيامة، والمرد بالحشر هنا إخراج بني النضير، فهو حشر خاص.

* * *

المتن

[٣٠٦/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾ [الحشر: ٥] نخلة ما لم تكن برنية أو عجوة

• [٤٤٩٢] حدثنا قتيبة، قال: حدثنا ليث، عن نافع، عن ابن عمر، أن رسول الله ﷺ حرق نخل بني النضير وقطع وهي البويرة، فأنزل الله ﷻ ﴿**مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ وَلِيُخْزِيَ الْفَاسِقِينَ**﴾ [الحشر: ٥] الآية.

الشرح

قوله: «**باب قوله تعالى: ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ﴾** [الحشر: ٥]» بيان ذلك أنه لما حاصر المسلمون بني النضير صار بعضهم يقطع النخيل، وبعضهم لا يقطع، وكل له وجه، فمن قطع النخيل فهذا إغاظة للكفار فلا بأس، ومن تركها رأى أنه مال يئول للمسلمين وينتفعون به؛ فلهذا أقرهم الله ﷻ بقوله: ﴿**مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَائِمَةً عَلَىٰ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ اللَّهِ**﴾ [الحشر: ٥] فالله أذن لهؤلاء ولهؤلاء، وهذا إذن شرعي.

قوله: «**ما لم تكن برنية أو عجوة**» هذا اصطلاح، والأصل أن اللينة هي النخلة.

• [٤٤٩٢] هذا الحديث في سبب نزول هذه الآية التي ترجم عليها البخاري رحمه الله، وفيه إقرار الله ﷻ للمؤمنين الذين اجتهدوا فقطعوا شجر اليهود ونخيلهم إغاظة لهم، وإقرار لمن استبقوها لأنها تئول للمسلمين.

واللينة هي النخلة، «وهي من الألوان» كما قال الحافظ ابن حجر رحمه الله، وأصلها ليونة فسكنت الواو وكسر ما قبلها فقلبت الواو ياء؛ فصارت لينة.

* * *

المتن

[٣٠٧/ ٥٦] باب قوله: ﴿مَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ﴾ [الحشر: ٧]

• [٤٤٩٣] حدثنا علي بن عبدالله، قال: حدثنا سفيان غير مرة، عن عمرو، عن الزهري، عن مالك بن أوس بن الحدثان، عن عمر قال: كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة ينفق على أهله منها نفقة سنته، ثم يجعل ما بقي في السلاح والكراع عدة في سبيل الله.

الشرح

• [٤٤٩٣] قوله: **«كانت أموال بني النضير مما أفاء الله على رسوله»** لأن أموال بني النضير أخذها النبي ﷺ بدون قتال، وما كان بدون قتال فإنها تكون له ﷺ خاصة؛ وذلك قوله: **«مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا ركاب»**.

وفرق بين الفيء والغنيمة، فالفيء: ما أخذ من أموال المشركين بدون قتال وهذا يكون للنبي ﷺ، والغنيمة: ما أخذ من أموالهم بعد القتال ويكون للنبي ﷺ منها الخمس، ويوزع أربعة أخماسها على الغانمين.

وفي الحديث دليل على أنه لا بأس بكون الإنسان يدخر نفقة سنة، وأن هذا لا ينافي التوكل على الله؛ فالنبي ﷺ كان ينفق علي أهله نفقة سنة، ولكن تأتي عليه النفقات فينتهي عنده قبل سنة، حيث يأتي عليه الضيوف والمحتاجون بل كان يستدين ﷺ، وقد مات ورهن درعه عند يهودي بثلاثين صاعًا من شعير [١].

* * *

(١) البخاري (٢٩١٦)، ومسلم (١٦٠٣).

المتن

[٣٠٨/ ٥٦] باب ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾ [الحشر: ٧]

• [٤٤٩٤] حدثنا محمد بن يوسف، قال: حدثنا سفيان، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبدالله قال: لعن الله الواشمات، والمتوشمات، والمتنمصات، والمتفلجات للحسن المغيرات خلق الله، فبلغ ذلك امرأة من بني أسد يقال لها: أم يعقوب، فجاءت فقالت: إنه بلغني عنك أنك لعنت كيت وكيت، فقال: وما لي لا ألعن من لعن رسول الله ﷺ ومن هو في كتاب الله! فقالت: لقد قرأت ما بين اللوحين فما وجدت فيه ما تقول، قال: لئن كنت قرأتيه لقد وجدتيه، أما قرأت: ﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟﴾ [الحشر: ٧]، قالت: بلى، قال: فإنه قد نهى عنه، قالت: فإني أرى أهلك يفعلونه، قال: فاذهبي فانظري، فذهبت فنظرت فلم تر من حاجتها شيئًا، فقال: لو كانت كذلك ما جامَعَتْنا.

• [٤٤٩٥] حدثنا علي بن عبد الله، قال: حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، قال: ذكرت لعبدالرحمن بن عابس حديث منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبدالله قال: لعن الله الواصلة، فقال سمعته من امرأة يقال لها: أم يعقوب، عن عبدالله.

مثل حديث منصور.

الشرح

• [٤٤٩٤] هذا الحديث فيه أن الوشم والنمص من الكبائر؛ لأن اللعن لا يكون إلا على كبيرة، وكذلك المتفلجات للحسن.

والواشمة: هي التي تفعل الوشم، معناه: أن تغرز إبرة في الجلد حتى يخرج الدم ويصل إلى الجلد، ثم بعد ذلك يصب فيه شيء من الكحل، فيبقى ولا يزول، وقد يجعله البعض على صورة طير أو صورة صقر، والتوبة توجب إزالته، إلا إذا كان يضر فاعله إزالته ولا يستطيع فلا يكلف الله نفسًا إلا وسعها.

والمتفلجات للحسن: هي التي تفلج أسنانها حتى تكون فيه فتحات صغيرة لأجل الجمال، وهذا منهي عنه؛ لأن هذا فيه تغيير لخلق الله، أما التي تزيل عيبًا في الأسنان فهذا لا بأس به.

وكذلك الواصلات ، فقد جاء في الحديث الآخر : **«لَعن الله الواصلة»** ، والواصلة : هي التي تصل الشعر ، والموصولة : هي التي يفعل بها ذلك ؛ لما فيه من التزوير .

وفي الحديث من الفوائد أن اتباع أمر رسول الله ﷺ هو اتباع لأمر الله ؛ لقول الله تعالى : **﴿وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ﴾** [الحشر : ٧] والمعنى : أن الله تعالى أمر في كتابه الأخذ بما جاء به الرسول ﷺ ، والرسول ﷺ لعن الواصلة والمستوصلة .

قوله : **«لو كانت كذلك ما جامَعتْنا»** في نسخة : «ما جامَعْتها يعني : المراد بالجماع الوطء ، ويحتمل **«ما جامعتها»** أي : ما أبقيتها عندي ، وما اجتمعت معي في العصمة وطلقتها ، وهذا هو الأقرب ، **قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ : «ويؤيده قوله في رواية الكشميهني : **«ما جامعتنا»** والإسماعيلي : **«ما جامعته»**» .

وفي الحديث دليل على جواز اللعن من فعل المعاصي على العموم .

• [٤٤٩٥] هذا الحديث هو الحديث السابق ، جاء به المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ لفائدة حديثية وهي تنويع السند لتقوية الحديث وبيان تعدد طرقه .

* * *

المتن

[٣٠٩/ ٥٦] باب ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [الحشر: ٩]

• [٤٤٩٦] حدثنا أحمد بن يونس، قال: حدثنا أبو بكر يعني: ابن عياش، عن حصين، عن عمرو بن ميمون، قال: قال عمر بن الخطاب: أوصي الخليفة بالمهاجرين الأولين أن يعرف لهم حقهم، وأوصي الخليفة بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبل أن يهاجر النبي ﷺ، أن يقبل من محسنهم ويعفو عن مسيئهم.

الشرح

• [٤٤٩٦] الشاهد من الحديث قوله: **«وأوصي الخليفة بالأنصار الذين تبوءوا الدار والإيمان»** فبعد أن ذكر الله ﷻ في سورة الحشر المهاجرين الذين استوطنوا المدينة، ذكر بعدهم الأنصار فقال سبحانه: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾ [الحشر: ٩].

* * *

المتن

[٣١٠/ ٥٦] باب ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]

الخصاصة فاقة

﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩] الفائزون بالخلود. والفلاح البقاء. حي على الفلاح: عجل.

قال الحسن: ﴿حَاجَةً﴾ [الحشر: ٩]: حسدا.

• [٤٤٩٧] حدثني يعقوب بن إبراهيم بن كثير، قال: حدثنا أبو أسامة، قال: حدثنا فضيل بن غزوان، قال: حدثنا أبو حازم الأشجعي، عن أبي هريرة قال: أتى رجل رسول الله ﷺ فقال: يا رسول الله، أصابني الجهد، فأرسل إلى نسائه فلم يجد عندهن شيئا، فقال رسول الله ﷺ: **«ألا رجل يضيفه هذه الليلة رحمه الله»**، فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله، فذهب إلى أهله فقال لامرأته: ضيف رسول الله ﷺ لا تدخريه شيئا، قالت: والله ما عندي إلا قوت الصبية، قال: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم وتعالي فأطفئي السراج ونطوي بطوننا الليلة، ففعلت، ثم غدا الرجل إلى رسول الله ﷺ، فقال: **«لقد عجب الله -أو ضحك- من فلان وفلانة»**، فأنزل الله ﷻ ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

الشرح

قوله: «**باب ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾** [الحشر: ٩]» فيه فضل الأنصار، فالأنصار يؤثرون غيرهم عليهم ولو كان بهم حاجة ومجاعة.

قوله: «**﴿ٱلْمُفْلِحُونَ﴾** [الحشر: ٩] **الفائزون بالخلود والفلاح البقاء**» هو بمعنى إدراك الطلب.

قوله: «**حي على الفلاح: عجل**» **قال الحافظ ابن حجر** رحمه الله: «وقال ابن التين: معناه هلم وأقبل».

قوله: «**قال الحسن: ﴿حَاجَةً﴾: حسدًا**». يشير إلى تفسير الحاجة في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾ [الحشر: ٩] والمعنى: أنهم إذا أعطوا أحدًا لا يكون في أنفسهم حسد ولا يكون لهم تعلق.

• [٤٤٩٧] في الحديث فضل الأنصاري الذي آثر الضيف على نفسه وأهله وصبيانه .

قوله : «**وتعالي فأطفئي السراج**» ليس صريحًا في أن المرأة كانت تأكل معهم ، وإن كانت تأكل معهم فإما أن هذا كان قبل نزول الحجاب ، أو كان بعد الحجاب وهو معها محرم ، لكن الأقرب – والله أعلم – الأول .

وقوله : «**لقد عجب الله أوضحك**» فيه إثبات العجب والضحك لله وهو من الصفات الفعلية على ما يليق بجلال الله وعظمته .

وما نقله الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ عن الخطابي من قوله : «إطلاق العجب على الله محال ومعناه الرضا» نرد عليه : بأن تأويل العجب أو الضحك بالرضا تأويل لا وجه له . والصواب : إثبات الضحك والعجب لله على ما يليق بجلال الله وعظمته ؛ فالرسول ﷺ وصف ربه بذلك وهو أعلم الخلق بربه .



المَتْنُ

سورة الممتحنة

بسم الله الرحمن الرحيم

وقال مجاهد : ﴿ رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا ﴾ [الممتحنة : ٥] لا تعذبنا بأيديهم فيقولون : لو كان هؤلاء على الحق ما أصابهم هذا .

﴿ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ﴾ [الممتحنة : ١٠] أمر أصحاب النبي ﷺ بفراق نسائهم كن كوافر بمكة .

الشَّرْحُ

«سورة الممتحنة» -بالفتح- مشهورة بهذه التسمية ، وقد تكسر ، وعلى الأول فهي صفة المرأة التي نزلت السورة بسببها ، وقيل : إنها أم كلثوم بنت عقبة بن أبي معيط ، وقيل : سعيدة بنت الحارث ، وقيل : أميمة بنت بشر ، والممتحنة بالكسر صفة للسورة ، كما قيل لبراءة : الفاضحة .

قوله : ﴿ بِعِصَمِ ٱلْكَوَافِرِ ﴾ [الممتحنة : ١٠] هذا أمر لأصحاب النبي ﷺ وللمؤمنين أن يفارقوا النساء الكافرات بمكة وأن يخلوا سبيلهن .

والعصم : جمع عصمة ، و﴿ ٱلْكَوَافِرِ ﴾ جمع كافرة .

* * *

المتن

[٥٦/ ٣١١] باب

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١]

• [٤٤٩٨] حدثنا الحميدي، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا عمرو بن دينار، قال: حدثني الحسن بن محمد بن علي، أنه سمع عبيدالله بن أبي رافع كاتب علي يقول: سمعت عليا يقول: بعثني رسول الله ﷺ أنا والزبير والمقداد، فقال: «**انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ؛ فإن بها ظعينة معها كتاب، فخذوه منها**»، فذهبنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة، فقلنا: أخرجي الكتاب، قالت: ما معي من كتاب، فقلنا: لتخرجن الكتاب أو لتُلْقِيَنَّ الثياب، فأخرجته من عقاصها، فأتينا به النبي ﷺ؛ فإذا فيه: من حاطب بن أبي بلتعة إلى أناس من المشركين ممن بمكة يخبرهم ببعض أمر النبي ﷺ، فقال النبي ﷺ: «**ما هذا يا حاطب؟!**»، قال: لا تعجل علي يا رسول الله؛ إني كنت امرأ من قريش ولم أكن من أنفسهم، وكان من معك من المهاجرين لهم قرابات يحمون بها أهليهم وأموالهم بمكة، فأحببت إذ فاتني من النسب فيهم أن أصطنع إليهم يدا يحمون قرابتي، وما فعلت ذلك كفرا ولا ارتدادا عن ديني، فقال النبي ﷺ: «**إنه قد صدقكم**»، قال عمر: يا رسول الله، دعني فأضرب عنقه، فقال: «**إنه قد شهد بدرا، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**».

قال عمرو ونزلت فيه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١].

قال: لا أدري الآية في الحديث أو قول عمرو

حدثنا علي قال: قيل لسفيان في هذا، فنزلت ﴿لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ﴾ [الممتحنة: ١]. قال سفيان: هذا في حديث الناس، حفظته من عمرو ما تركت منه حرفا، وما أرى أحدا حفظه غيري.

الشَّرْحُ

• [٤٤٩٨] هذه الآية نزلت في قصة حاطب، وفي الحديث أن حاطبًا كتب كتابًا يخبر قريشًا بمسير النبي ﷺ إليهم، وتحكي السير أنه كتب إليهم: **«أن رسول الله ﷺ جاءكم بجيش كالليل يسير كالسيل، فخذوا حذركم»**(١) فجاء الوحي من السماء إلى النبي ﷺ بأن حاطبًا كتب كتابًا وأعطاه الظعينة - والظعينة: المرأة التي على الناقة، وأصل الظعينة: الناقة أو البعير ثم أطلق على المرأة - فبعث النبي ﷺ ثلاثة وهم علي والزبير والمقداد، وكلهم شباب أقوياء تتعادى بهم الخيل، فقال: **«انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ؛ فإن بها ظعينة معها كتاب، فخذوه منها»** قال: **«فذهبنا تعادى بنا خيلنا حتى أتينا الروضة فإذا نحن بالظعينة»** فلحقوها فقالوا لها: **«أخرجي الكتاب»** فأنكرت وقالت: **«ما معي من كتاب»**، فقالوا لها: **«لتخرجن الكتاب أو لتُلْقِيَنَّ الثياب»** أي: نجردك من الثياب، وفي اللفظ الآخر أنه قال: «ما كذبنا ولا كُذبنا»(٢) أي: ما كذبنا عليك، ولا كذب علينا رسول الله ﷺ، فإما أن تخرجي الكتاب وإلا نفتشك تفتيشًا دقيقًا ولو جردناك من الثياب.

وفيه دليل على أنه إذا اجتمعت مفسدتان فإنه ترتكب المفسدة الصغرى لدفع الكبرى، فتجريدها من الثياب مفسدة، ولا يجوز تجريد المرأة من الثياب وهي أجنبية؛ لأن هذا فيه كشف للعورة، والمفسدة الثانية إبلاغ المشركين حتى يتأهبوا للمسلمين ويعدوا العدة، وهذا أمر أشد ومفسدته أكبر، فترتكب المفسدة الصغرى وهي كشف المرأة؛ لأنه ضرورة، فلما رأت المرأة الجد أخرجته من عقاصها، فأتي به النبي ﷺ وأنكر على حاطب قائلًا: **«ما هذا يا حاطب؟!»** فاعتذر حاطب، وقال: يارسول الله لم أفعل هذا كفرًا ولا ارتدادًا ولكن لي قرابات ولي أموال بمكة وليس هناك أحد يحميها، وأنا لست من قريش ولا من أنفسهم ولكني امرأ ملصق فيهم، فلما فاتني هذا النسب أردت أن أتخذ يدًا عندهم يحمون بها قرابتي، وصدَّقه النبي ﷺ وقال: **«إنه قد صدقكم»** وفعل حاطب هذا من موالاة المشركين؛ ولهذا

---

(١) «الروض الأنف» للسهيلي (٤/ ١٥٠).

(٢) الطبراني في «الأوسط» (٦/ ٣٤٣).

أنزل الله فيه هذه الآية : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ ﴾ [الممتحنة : ١] .

وما فعله حاطب هو من التجسس على المسلمين ، ومسألة التجسس فيها خلاف بين أهل العلم ، حيث ذهب بعض الأئمة إلى أنه لا يقتل ، لكن الصحيح أنه يقتل ، لكن منع حاطبًا من القتل أمران :

أحدهما : التأويل الذي ذكره ، وصدَّقه فيه النبي ﷺ .

الثاني : كونه ممن شهد بدرًا ، ومن فعل ذلك بعد حاطب فإنه لا يقبل منه ولا يصدَّق ، ويكون عمله موالاة للمشركين وتجسسًا على المسلمين فيقتل ، ولا يمكن أن يتحقق فيه الأمران اللذان منعا حاطبًا من القتل .

قوله : «**قال عمر : يا رسول الله ، دعني فأضرب عنقه**» ، وفي اللفظ الآخر أنه قال : «**فإنه قد خان الله ورسوله والمؤمنين**»[١] فيه أن من رمى شخصًا بالنفاق عن اجتهاد لا للهوى فلا يشمله الوعيد .

وأما حديث : «**من قال لأخيه : يا كافر فقد باء بها أحدهما**»[٢] فيستثنى منه ما إذا قال شخص لآخر يا كافر متأولًا لأنه فعل شيئًا من الكفر ، أو قال : يا منافق لأنه فعل شيئًا من النفاق ؛ غيرة لله ، ومن ذلك قول أسيد بن حضير لسعد بن عبادة – في قصة الإفك : كذبت ، ولكنك منافق تجادل عن المنافقين ، قالت عائشة : وكان قبل ذلك صالحًا ولكن احتملته الحمية ، ولم ينكر النبي ﷺ على أسيد قوله من أجل ما قاله سعد .

قوله : «**إنه قد شهد بدرًا ، وما يدريك لعل الله اطلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم**» المراد : أن أهل بدر لا يصرون على المعاصي والذنوب بل يسددون ويوفقون للتوبة ، أو لما يمحو الله به المعصية التي تصدر منهم إما بحسنات ماحية أو بالمصائب أو بشفاعة النبي ﷺ .

---

(١) أحمد (١/ ١٠٥) ، والبخاري (٣٩٨٣) .

(٢) أحمد (٢/ ١٨) ، والبخاري (٦١٠٣) ، ومسلم (٦٠) .

وفيه دليل على أن أهل بدر ليسوا معصومين، ولو كان أهل بدر من المعصومين لما خاف عمر من النفاق وسأل حذيفة: هل عده الرسول ﷺ من المنافقين؟ وبدليل أنهم وقعت منهم المعاصي، كما كان من حسان بن ثابت وهو ممن شهد بدرًا، وكذلك مسطح بن أثاثة فقد وقعوا في الإفك وجلدوا، فكان الجلد طهارة لهم.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «**حدثنا علي**» هو ابن المديني «**قال: قيل لسفيان في هذا، فنزلت: ﴿لَا تَتَّخِذُوا عَدُوِّي وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَاءَ﴾** [الممتحنة: ١] **الآية قال سفيان: هذا في حديث الناس**» يعني: هذه الزيادة، يريد الجزم برفع هذا القدر، قوله: «**حفظته من عمرو ما تركت منه حرفا، وما أرى أحدا حفظه غيري**» وهذا يدل على أن هذه الزيادة لم يكن سفيان يجزم برفعها وقد أدرجها عنه ابن أبي عمر، أخرجه الإسماعيلي من طريقه فقال في آخر الحديث: قال: وفيه نزلت هذه الآية، وكذا أخرجه مسلم عن ابن أبي عمر وعمرو الناقد، وكذا أخرجه الطبري عن عبيد بن إسماعيل والفضل بن الصباح والنسائي عن محمد بن منصور كلهم عن سفيان.

واستدل باستئذان عمر على قتل حاطب لمشروعية قتل الجاسوس ولو كان مسلمًا وهو قول مالك ومن وافقه، ووجه الدلالة أنه ﷺ أقر عمر على إرادة القتل لولا المانع، وبيَّن المانع هو كون حاطب شهد بدرًا، وهذا منتف في غير حاطب فلو كان الإسلام مانعًا من قتله لما علل بأخص منه». ومعنى ذلك أن العلة الخاصة تقضي على العلة العامة، فالخاصة كونه شهد بدرًا، والعامة كونه مسلمًا.

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقد بيَّن سياق علي أن هذه الزيادة مدرجة، وأخرجه مسلم أيضًا عن إسحاق بن راهويه عن سفيان، وبيَّن أن تلاوة الآية من قول سفيان ووقع عند الطبري من طريق أخرى عن علي الجزم بذلك لكنه من أحد رواة الحديث حبيب بن أبي ثابت الكوفي».

***

المَتْن

[٣١٢/ ٥٦] **باب** ﴿إِذَا جَآءَكُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٍ﴾ [الممتحنة: ١٠]

• **[٤٤٩٩]** حدثني إسحاق، قال: أخبرنا يعقوب بن إبراهيم بن سعد، حدثنا ابن أخي ابن شهاب، عن عمه قال: أخبرني عروة، أن عائشة زوج النبي ﷺ أخبرته، أن رسول الله ﷺ كان يمتحن من هاجر إليه من المؤمنات بهذه الآية، بقول الله تبارك وتعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ إلى قوله: ﴿غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [الممتحنة: ١٢]، قال عروة: قالت عائشة: فمن أقر بهذا الشرط من المؤمنات قال لها رسول الله ﷺ: «**قد بايعتك**» كلاما، ولا والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة ما يبايعهن إلا بقوله: «**قد بايعتك على ذلك**».

تابعه يونس، ومعمر، وعبدالرحمن بن إسحاق، عن الزهري.

وقال إسحاق بن راشد، عن الزهري، عن عروة وعمرة.

الشَّرْح

• [٤٤٩٩] في الحديث دليل على أن النبي ﷺ بايع الرجال وبايع النساء، فالرجال يبايعهم بالمصافحة باليد، والنساء يبايعهن بالكلام دون المصافحة، ويدل على ذلك قوله: «**قد بايعتك» كلامًا**»، قالت: «**ولا والله ما مست يده يد امرأة قط في المبايعة ما يبايعهن إلا بقوله: «قد بايعتك على ذلك**» ولما مدت إليه امرأة يدها قال ﷺ: «**إني لا أصافح النساء**»[1] وعلى هذا فلا يجوز للإنسان أن يصافح المرأة الأجنبية وإن كانت من أقاربه وليس محرمًا لها، ولا يكون معها في خلوة، بل يكون معهم ثالث، كبنت العم وبنت الخال وزوجة الأخ وزوجة العم وزوجة الخال، بل يسلم عليها بالكلام من بعيد، فيقول كيف حالك يا فلانة؟ كيف حال أولادك؟

* * *

(١) أحمد (٦/ ٣٥٧)، والنسائي (٤١٨١).

المتن

[٣١٣/ ٥٦] باب ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ﴾ [الممتحنة : ١٢]

• [٤٥٠٠] حدثنا أبو معمر، قال: حدثنا عبدالوارث، قال: حدثنا أيوب، عن حفصة بنت سيرين، عن أم عطية قالت: بايعنا رسول الله ﷺ فقرأ علينا ﴿أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا﴾ [الممتحنة : ١٢]، ونهانا عن النياحة، فقبضت امرأة يدها قالت: أسعدتني فلانة أريد أن أجزيها، فما قال لها النبي ﷺ شيئا، فانطلقت ورجعت فبايعها.

• [٤٥٠١] حدثني عبدالله بن محمد، قال: حدثنا وهب بن جرير، قال: حدثنا أبي، قال: سمعت الزبير، عن عكرمة، عن ابن عباس، في قوله تعالى: ﴿وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ﴾ [الممتحنة : ١٢] قال: إنما هو شرط شرطه الله للنساء.

• [٤٥٠٢] حدثنا علي بن عبدالله، قال: حدثنا سفيان، قال الزهري حدثناه قال: حدثني أبو إدريس، سمع عبادة بن الصامت قال: كنا عند النبي ﷺ فقال: **«أتبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا، ولا تزنوا ولا تسرقوا»**، قرأ آية النساء، وأكثر لفظ سفيان: قرأ في الآية، **«فمن وفى منكم فأجره على الله، ومن أصاب من ذلك شيئا فعوقب فهو كفارة له، ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله فهو إلى الله؛ إن شاء عذبه وإن شاء غفر له منها»**.

تابعه عبدالرزاق، عن معمر في الآية.

• [٤٥٠٣] حدثني محمد بن عبدالرحيم، قال: حدثنا هارون بن معروف، قال: حدثنا عبدالله بن وهب، قال: وأخبرني ابن جريج، أن الحسن بن مسلم أخبره، عن طاوس، عن ابن عباس قال: شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان، فكلهم يصليها قبل الخطبة، ثم يخطب بعد، فنزل نبي الله ﷺ فكأني أنظر إليه حين يجلس الرجال بيده، ثم أقبل يشقهم حتى أتى النساء مع بلال، فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ﴾ [الممتحنة : ١٢] حتى فرغ من الآية كلها، ثم قال حين فرغ: **«أنتن على ذلك»**، وقالت امرأة واحدة لم تجبه غيرها: نعم

يا رسول الله ، لا يدري الحسن من هي ، قال : «**فتصدقن**» ، وبسط بلال ثوبه ، فجعلن يلقين الفتخ والخواتيم في ثوب بلال .

الشَّرْحُ

• [٤٥٠٠] في الحديث دليل على أن النبي ﷺ بايع النساء على ما بايع عليه الرجال .

قولها : «**ونهانا عن النياحة**» أي : النساء ؛ لأن النياحة تكثر في النساء ، وهي البكاء على الميت برفع الصوت وعد المحاسن .

قولها : «**فقبضت امرأة يدها**» ظاهره أنه صافح باليد ، وقد سبق أنه ﷺ لم يصافح باليد .

قولها : «**أسعدتني فلانة أريد أن أجزيها**» الإسعاد هي المقاصة والمكافأة بالبكاء معها على ميتها كما بكت هي على ميتها ، ، كأنها قالت : انتظر علي ، أريد أن أبكي مع فلانة على ميتها مقاصة لها ؛ لأنها بكت على ميتي ، وكانت المرأة إذا مات لها ميت تأتي النساء من الجيران والأقارب وحتى غير الجيران لتبكي معها ، ويسمى هذا أنها تسعدها ، فإذا مات للثانية أخرى قضته وقاصتها ، وكانت النياحة أولًا مباحة ثم حرِّمت .

قولها : «**فانطلقت ورجعت فبايعها**» أي : فذهبت بكت معها ثم رجعت فبايعها النبي ﷺ ، وتركها ﷺ حتى يتألف قلبها على الإسلام .

• [٤٥٠١] قوله : «**إنما هو شرط شرطه الله للنساء**» هذا قول ابن عباس ، وقد يقال : يحمل هذا على ما كان خاصًّا بهن ، وإلا فالرجال ليس لهم أن يعصوا النبي ﷺ .

• [٤٥٠٢] هذا الحديث حديث عبادة وفيه أن الرسول ﷺ بايع الرجال على ما بايع عليه النساء ؛ ولهذا قال : «**كنا عند النبي ﷺ فقال : أتبايعوني على أن لا تشركوا بالله شيئا ، ولا تزنوا ولا تسرقوا . قرأ آية النساء**» ، والأقرب أنه قرأ آية الممتحنة ، وذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ أن آية النساء هي آية بيعة النساء وهي : ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا**﴾ [الممتحنة : ١٢] .

قوله : «**ومن أصاب من ذلك شيئًا فعوقب فهو كفارة له**» فيه دليل على أن الحدود والتعزيرات مكفرات للذنوب .

قوله : «**ومن أصاب من ذلك شيئا فستره الله فهو إلى الله ؛ إن شاء عذبه وإن شاء غفر له منها**» يعني : إن الرسول ﷺ بايعهم على هذا ، فمن وفى فأجره على الله ، ومن أصاب من ذلك شيئًا فزنى أو سرق فهو بين أحد أمرين إن عوقب وأقيم عليه الحد فهو كفارة له ، وإن ستره الله فلم يعاقب ولم يقم عليه الحد صار تحت مشيئة الله ، إن شاء عذبه وإن شاء غفر له .

• [٤٥٠٣] قوله : «**عن ابن عباس قال : شهدت الصلاة يوم الفطر مع رسول الله ﷺ وأبي بكر وعمر وعثمان ، فكلهم يصليها قبل الخطبة**» فيه أن صلاة العيد قبل الخطبة .

وقوله : «**فنزل نبي الله ﷺ فكأني أنظر إليه حين يُجلس الرجال بيده**» فيه أنه يجلس الرجال عند الحاجة إلى ذلك ، ولعل الرسول ﷺ أجلسهم ليسمعوا موعظته للنساء ، فكأنهم لما قاموا ليشقوا الصفوف أشار النبي ﷺ لهم بيديه أن اجلسوا .

قوله : «**ثم أقبل يشقهم حتى أتى النساء مع بلال**» فيه دليل على مشروعية تخصيص النساء يوم العيد بموعظة وحدهن ؛ لأن النبي ﷺ لما فرغ من خطبة الرجال أقبل يشق الصفوف حتى أتى النساء مع بلال فخصهن بموعظة خاصة .

وهذا الحديث فيه أن النبي ﷺ بايع النساء على هذه الأمور التي جاءت في الآية الكريمة امتثالًا لأمر الله ﴿**يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُؤْمِنَٰتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰٓ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِٱللَّهِ شَيْـًٔا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَٰدَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَٰنٍ يَفْتَرِينَهُۥ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِى مَعْرُوفٍ**﴾ [الممتحنة : ١٢] فبايعهن بالكلام ﷺ .

قوله : «**ثم قال حين فرغ : أنتن على ذلك؟**» استفهام .

قوله : «**وقالت امرأة واحدة لم تجبه غيرها : نعم يا رسول الله ، لا يدري الحسن من هي**» هو الحسن بن مسلم .

قوله : «**فتصدقن . ويسط بلال ثوبه ، فجعلن يلقين الفتخ والخواتيم في ثوب بلال**» فيه دليل على جواز صدقة المرأة وعطيتها من مالها ولو لم يأذن لها زوجها ، فالنساء لم يستأذنّ أزواجهن لما حثهن النبي ﷺ على الصدقة ، فهذه تلقي خاتمًا وهذه تلقي فتخًا ؛ فدل هذا على أن المرأة إذا كانت رشيدة فلا بأس أن تتصدق من مالها ولا يجب استئذان زوجها ، ويؤيد هذا

أدلة كثيرة، ومن ذلك ما ثبت في «الصحيحين» من قصة ميمونة رضي الله عنها قالت للنبي ﷺ: أشعرت أني أعتقت وليدتي؟ - تعني: أمةً لي - فقال النبي ﷺ: **«أما إنك لو أعطيتها أخوالك لكان أعظم لأجرك»**[1] فأخبر ﷺ أن إعطاءها لأخوالها أعظم لأجرها ولم ينكر عليها أنها لم تستأذنه في عتقها؛ فدل على أنه لا بأس أن تتصدق المرأة من مالها ولا تستأذن زوجها، لكن إذا استأذنت زوجها من باب تطييب الخاطر فهو حسن.

وفي حديث ميمونة أن الصدقة أو الهدية لذوي الرحم المحتاج أفضل من العتق؛ ولهذا قال: **«لو أعطيتها أخوالك لكان أعظم لأجرك»**[1] يعني: لو أعطتهم الوليدة أو باعتها وأعطتهم ثمنها كان أعظم أجرًا من عتقها.

وأما حديث عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده عن النبي ﷺ قال: **«لا يجوز لامرأة عطية إلا بإذن زوجها»**[2] فهو شاذ في متنه ومداره على عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده وهو مختلف في سماعه منه، ولو صح سماعه منه لكان الحديث ضعيفًا أيضًا؛ لأن متنه شاذ لأنه مخالف للأحاديث الصحيحة الدالة على جواز تصرف المرأة الرشيدة في مالها بغير إذن زوجها كهذا الحديث، أو أنه يحمل على أنه ليس للمرأة عطية إلا بإذن زوجها إذا كان ذلك من مال زوجها.

***

(١) أحمد (٦/ ٣٣٢)، والبخاري (٢٥٩٢)، ومسلم (٩٩٩).
(٢) البخاري (٦٧٠).

المَتْن

سورة الصف

بسم الله الرحمن الرحيم

وقال مجاهد : ﴿ مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الصف : ١٤] من يتبعني إلى الله .

وقال ابن عباس : ﴿ مَّرْصُوصٌ﴾ [الصف : ٤] ملصق بعضه ببعض .

وقال غيره : بالرصاص .

الشَّرْح

قوله : «**سورة الصف**» تسمى أيضًا سورة الحواريين .

قوله : «﴿ **مَنْ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِ**﴾ [الصف : ١٤] **من يتبعني إلى الله**» فسر مجاهد الأنصار في هذه الآية بالأتباع ، فالناصر هو التابع .

قوله : «﴿ **مَّرْصُوصٌ**﴾ [الصف : ٤] **ملصق بعضه ببعض**» أي : مثبت لا يزول ، والمقصود أن الله يحب المتراصين في الصفوف في القتال في سبيل الله بأن تكون الصفوف متراصة منتظمة ليس بينهما خلل ، وكذلك في الصلاة يشرع أن تكون الصفوف متراصة ليس فيها خلل .

* * *

المتن

[٣١٤/ ٥٦] باب ﴿يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ﴾ [الصف: ٦]

• [٤٥٠٤] حدثنا أبو اليمان، قال: أخبرنا شعيب، عن الزهري، قال: أخبرني محمد بن جبير بن مطعم، عن أبيه يقول: سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماح الذي يمحو الله بي الكفر، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي، وأنا العاقب»**.

الشرح

• [٤٥٠٤] قوله: **«سمعت رسول الله ﷺ يقول: إن لي أسماء: أنا محمد، وأنا أحمد، وأنا الماح»** هذه أسماؤه ﷺ فله أسماء كثيرة فهو محمد؛ حيث ألهم الله أهله فسموه محمدًا، وهو أحمد في التوراة والإنجيل، ومن أسمائه الماحي، وفسره النبي ﷺ بقوله: **«الذي يمحو الله بي الكفر»** يعني: محا الله به الكفر وأنقذ الله به الكثير من الخلق ممن هداهم الله على يديه فدخلوا في الإسلام.

قوله: **«وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي»** لأنه ﷺ نبي الساعة؛ فإنه يحشر الناس بعده.

قوله: **«وأنا العاقب»** يعني: من أسمائه العاقب، أي الذي ليس بعده نبي، فهو آخر الأنبياء ﷺ، وله أسماء أخرى كثيرة غير هذه الأسماء.

والله تعالى له أسماء كثيرة ومنها تسعة وتسعون اسمًا من أحصاها دخل الجنة.

والقرآن له أسماء كثيرة كالفرقان والشفاء والهدى.

وبعض المخلوقات لها أسماء كثيرة، فالأسد له أسماء كثيرة بلغت خمسمائة اسم منها: الضرغام والقسورة والليث.

والسيف كذلك له ثلاثمائة اسم منها الصقيل والمهند، وغير ذلك مما يذكره أهل اللغة.

* * *

المتن

سورة الجمعة

بسم الله الرحمن الرحيم

[٣١٥/ ٥٦] باب ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣]

وقرأ عمر: «فامضوا إلى ذكر الله»

• [٤٥٠٥] حدثنا عبدالعزيز بن عبدالله، قال: حدثنا سليمان بن بلال، عن ثور، عن أبي الغيث، عن أبي هريرة قال: كنا جلوسا عند النبي ﷺ، فأنزلت عليه سورة الجمعة ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣]، قال: من هم يا رسول الله؟ فلم يراجعوه حتى سأل ثلاثا وفينا سلمان الفارسي، وضع يده رسول الله ﷺ على سلمان ثم قال: **«لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال أو رجل من هؤلاء»**.

• [٤٥٠٦] حدثني عبدالله بن عبدالوهاب، قال: أخبرنا عبدالعزيز، أخبرنا ثور، عن أبي الغيث، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ: **«لناله رجال من هؤلاء»**.

الشرح

قوله: **«وقرأ عمر: فامضوا إلى ذكر الله»** يعني: لما قرأ عمر رضي الله عنه قوله تعالى: ﴿فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩] قال: **«فامضوا إلى ذكر الله»** إما على أنها قراءة، أو أن ذلك تفسير لبيان أن معنى السعي المضي والمشي وليس معناه العدو والإسراع؛ لأنه منهي عنه في الذهاب إلى الصلاة.

• [٤٥٠٥]، [٤٥٠٦] هذان الحديثان في تفسير النبي ﷺ لهذه الآية: ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣].

قوله: **«وضع يده رسول الله ﷺ على سلمان ثم قال: لو كان الإيمان عند الثريا لناله رجال أو رجل من هؤلاء»** يعني: أنهم من فارس، وقد دخل في الإسلام من فارس جم غفير، وكانت عندهم رغبة شديدة في الإسلام ومنهم سلمان رضي الله عنه، فهذه منقبة لمن منَّ الله

عليهم بالإيمان من فارس ، وأهل فارس قيل : إنهم من ولد يافث بن نوح وقيل : من ولد لاوي بن نوح .

وهذه من الآيات التي فسرها النبي ﷺ ، وكان يفسر بعض الآيات مثل قوله تعالى : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمْ يَلْبِسُوٓاْ إِيمَـٰنَهُم بِظُلْمٍ﴾ [الأنعام : ٨٢] فسر الظلم بأنه الشرك .

❊ ❊ ❊

المتن

[٣١٦/ ٥٦] باب ﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا﴾ [الجمعة: ١١]

• [٤٥٠٧] حدثنا حفص بن عمر، قال: حدثنا خالد بن عبدالله، قال: أخبرنا حصين، عن سالم بن أبي الجعد، وعن أبي سفيان، عن جابر بن عبدالله قال: أقبلت عير يوم الجمعة ونحن مع النبي ﷺ، فثار الناس إلا اثني عشر رجلا، فأنزل الله: **﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗا﴾**.

الشرح

• [٤٥٠٧] هذا الحديث فيه أن النبي ﷺ كان يخطب الجمعة فجاءت عير فانفض الناس إليها ولم يبق مع النبي ﷺ إلا اثنا عشر رجلا فأنزل الله: **﴿وَإِذَا رَأَوۡاْ تِجَٰرَةً أَوۡ لَهۡوًا ٱنفَضُّوٓاْ إِلَيۡهَا وَتَرَكُوكَ قَآئِمٗا﴾**.

قوله: **«فثار الناس إلا اثني عشر رجلا»** هذا هو الموافق لقواعد اللغة العربية، وفي رواية أخرى: «إلا اثنا عشر رجلا» وقد جاءت على لغة من لغات العرب، وهي ملازمة المثنى للألف في جميع الحالات في الرفع والنصب والجر. وفي بعض الأقوال أنه بقي ثمانية وقيل: أحد عشر.

وكان خروجهم وانفضاضهم بسبب حاجتهم إلى الطعام لما أصابهم من شدة، أو لأن هذا كان في أول الإسلام ولم يأتهم ما يدل على أنه يجب عليهم البقاء، وقيل: إن هذا كان قبل أن تكون الخطبة قبل الصلاة، وقيل غير ذلك؛ فلهذا خرجوا ولم يبق إلا اثنا عشر رجلًا.

وأخذ البعض من هذا الحديث أن الجمعة لا تنعقد بأقل من اثني عشر رجلًا، وهذا ليس بصحيح؛ لأن هذه واقعة عين.

وذهب الحنابلة[١] وجماعة إلى أن الجمعة لا تنعقد بأقل من أربعين رجلًا واستدلوا بحديث ضعيف لا يستدل به.

والصواب أن الجمعة تنعقد بثلاثة أحدهم الخطيب إذا كانوا مستوطنين في بناء، أما البوادي وأهل الخيام فلا جمعة عليهم، وأما الجماعة فتصح باثنين.

---

(١) انظر «شرح المنتهى» (١/ ٣١٢).

المَتْن

سورة المنافقون



[٣١٧/ ٥٦] باب

﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ١] **الآية**

• [٤٥٠٨] حدثنا عبدالله بن رجاء، قال: حدثنا إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن زيد بن أرقم قال: كنت في غزاة فسمعت عبدالله بن أبي ابن سلول يقول: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، ولو رجعنا إلى المدينة من عنده ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي - أو لعمر، فذكره للنبي ﷺ، فدعاني فحدثته، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبدالله بن أبي وأصحابه فحلفوا ما قالوا، فكذبني رسول الله ﷺ وصدقه، فأصابني هم لم يصبني مثله قط، فجلست في البيت، فقال لي عمي: ما أردت إلى أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك، فأنزل الله ﴿قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون: ١]، فبعث إلي النبي ﷺ فقرأ فقال: «**إن الله قد صدقك يا زيد**».

الشَّرْح

• [٤٥٠٨] هذا الحديث يبين خبث المنافقين وما في قلوبهم من الضغينة والحقد وهذا يتبين عند الشدائد، فإذا حصلت للمسلمين شدة ومشقة ظهر النفاق.

وفي هذا الحديث لم يقبل النبي ﷺ خبر زيد بن أرقم في أول الأمر حتى نزل القرآن؛ لأن الحكم سيكون بالكفر والنفاق وهذا أمر عظيم، وإلا فخبر الواحد مقبول في الأخبار والرواية والشهادة ويعمل بخبر الواحد إذا كان عدلًا في الأحكام والعقائد كما دلت النصوص في الكتاب والسنة، وقد بوب البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في «الصحيح»: «**كتاب أخبار الآحاد**» وذكر نصوصًا وأخبارًا عن النبي ﷺ حينما أرسل رسله لرؤساء القبائل والعشائر

فقبلوا كتبه، وكذلك أهل قباء قبلوا خبر الواحد واستداروا وهم في الصلاة[١].

ولم يعاقب النبي ﷺ عبدالله بن أبي تأليفًا له ولأصحابه ولئلا يقول الناس: إن محمدًا يقتل أصحابه؛ لأن سبب القتل خفيٌّ؛ لأنه يدعي الإسلام ويدعي أنه من أصحاب النبي ﷺ فلو قُتل صار في ذلك تأثير على الإسلام، وصار من يسمع بقصة قتله يقول: إن محمدًا يقتل أصحابه فيكون فيه تنفير من الإسلام؛ ولهذا كان النبي ﷺ يترك المنافقين، أما بعد وفاة النبي ﷺ فلولي الأمر أن يقتل من ثبت عليه النفاق.

* * *

(١) البخاري (٤٠٣)، ومسلم (٥٢٦).

المتن

[٣١٨/ ٥٦] باب ﴿ٱتَّخَذُوٓاْ أَيۡمَٰنَهُمۡ جُنَّةٗ﴾ [المنافقون : ٢]

قال مجاهد : ﴿جُنَّةٗ﴾ [المنافقون : ٢] يجتنُّون بها .

● [٤٥٠٩] حدثنا آدم بن أبي إياس ، قال : حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن زيد بن أرقم قال : كنت مع عمي فسمعت عبدالله بن أبي ابن سلول يقول : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا ، وقال : لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فذكرت ذلك لعمي ، فذكر عمي لرسول الله ﷺ ، فأرسل رسول الله ﷺ إلى عبدالله بن أبي وأصحابه ، فحلفوا ما قالوا ، فصدقهم رسول الله ﷺ وكذبني ، فأصابني هم لم يصبني مثله قط ، فجلست في بيتي ؛ فأنزل الله ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ﴾ إلى قوله : ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ﴾ إلى قوله : ﴿لَيُخۡرِجَنَّ ٱلۡأَعَزُّ مِنۡهَا ٱلۡأَذَلَّ﴾ [المنافقون : ١-٨] ؛ فأرسل إلي رسول الله ﷺ فقرأها علي ثم قال : «**إن الله قد صدقك**» .

الشرح

● [٤٥٠٩] في هذا الحديث من الفوائد جواز تبليغ ولاة الأمور ما يخشى منه الضرر من الأخبار التي تصدر من الأشرار والذين يخشى من شرهم على المسلمين وعلى الدولة ، ولا يعد هذا نميمة بل هو نصيحة .

***

المتن

[٣١٩/ ٥٦] باب قوله تعالى:

﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا ثُمَّ كَفَرُوا فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ﴾ [المنافقون: ٣] **الآية**

• [٤٥١٠] حدثنا آدم، قال: حدثنا شعبة، عن الحكم، قال: سمعت محمد بن كعب القرظي قال: سمعت زيد بن أرقم قال: لما قال عبدالله بن أبي: ﴿**لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ**﴾ [المنافقون: ٧]، وقال أيضا: ﴿**لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ**﴾ [المنافقون: ٨]، أخبرت به النبي ﷺ، فلامني الأنصار، وحلف عبدالله بن أبي ما قال ذلك، فرجعت إلى المنزل فنمته، فأتاني رسول النبي ﷺ فأتيته، فقال: «**إن الله قد صدقك**»، ونزل ﴿**هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا**﴾ [المنافقون: ٧] الآية.

وقال ابن أبي زائدة، عن الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن ابن أبي ليلى، عن زيد، عن النبي ﷺ.

الشرح

• [٤٥١٠] في هذا الحديث دليل على أن المنافقين لا يبالون بالأيمان والعياذ بالله؛ لكفرهم ونفاقهم، فليس عندهم تعظيم لله وليس عندهم هيبة للأيمان، والواجب على المسلم أن يعظم الله ﷻ ولا يكثر من الأيمان قال الله تعالى: ﴿**وَٱحْفَظُوٓا أَيْمَٰنَكُمْ**﴾ [المائدة: ٨٩] ومن الثلاثة الذين لا يكلمهم الله رجل ينفّق سلعته بالحلف الكاذب(١)، وكذلك رجل جعل الله بضاعته لا يشتري إلا بيمينه ولا يبيع إلا بيمينه(٢)، فهذا والعياذ بالله كما قال الله: ﴿**ٱتَّخَذُوٓا أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً**﴾ [المنافقون: ٣] يعني: ستارة لهم؛ حيث كانوا يتخلفون عن الجهاد وإذا جاءوا إلى النبي ﷺ حلفوا أنهم معذورون، والنبي ﷺ يقبل علانيتهم ويكل سرائرهم إلى الله، قال الله تعالى: ﴿**ٱتَّخَذُوٓا أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ [المنافقون: ٢].

* * *

(١) أحمد (٥/ ١٤٨)، ومسلم (١٠٦).
(٢) الطبراني في «الأوسط» (٥/ ٣٦٨).

المتن

[٣٢٠/ ٥٦] باب ﴿وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ﴾ إلى ﴿يُؤْفَكُونَ﴾ [المنافقون: ٤]

• [٤٥١١] حدثنا عمرو بن خالد، قال: حدثنا زهير بن معاوية، قال: حدثنا أبو إسحاق قال: سمعت زيد بن أرقم قال: خرجنا مع النبي ﷺ في سفر أصاب الناس فيه شدة، فقال عبدالله بن أبي لأصحابه: لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا من حوله، وقال: لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فأتيت النبي ﷺ فأخبرته، فأرسل إلى عبدالله بن أبي فسأله فاجتهد يمينه ما فعل، فقالوا: كذب زيد رسول الله ﷺ، فوقع في نفسي مما قالوا شدة، حتى أنزل الله تصديقي في ﴿إِذَا جَاءَكَ الْمُنَافِقُونَ﴾ [المنافقون: ١]، فدعاهم رسول الله ﷺ ليستغفر لهم، فلووا رءوسهم.

الشرح

• [٤٥١١] هذا الحديث في تفسير قوله تعالى: ﴿تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ﴾ [المنافقون: ٤] فكانوا يتمتعون بجمال الهيئة وقوة الأجسام وحلاوة المنطق.

وهذا الحديث فيه بيان سبب هذه المقالة التي قالها المنافقون وأنه أصابهم شدة، فقال عبدالله هذه المقالة، وهذا دليل على أن المنافقين لا يصبرون على الشدائد، ففي أوقات الفتن وأوقات الشدائد ينجم النفاق ويظهر المنافقون مثل ما حصل حديثًا من الصحفيين الذين تكلموا بالكلام الباطل وطعنوا في المؤسسات الخيرية ومدارس تحفيظ القرآن وقالوا: إنه تطرف وإرهاب.

* * *

المتن

[٣٢١/ ٥٦] **باب ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ إلى قوله: ﴿وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ﴾** [المنافقون : ٥]

وحركوا استهزاء بالنبي ﷺ، ويُقرأ بالتخفيف من لويت

وقوله : ﴿خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ﴾ [المنافقون : ٤] قال : كانوا رجالا أجمل شيء .

• [٤٥١٢] حدثنا عبيدالله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي إسحاق، عن زيد بن أرقم قال : كنت مع عمي فسمعت عبدالله بن أبي ابن سلول يقول : لا تنفقوا على من عند رسول الله حتى ينفضوا، ولئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فذكرت ذلك لعمي، فذكر عمي للنبي ﷺ، فدعاني فحدثته، فأرسل إلى عبدالله ابن أبي وأصحابه، فحلفوا ما قالوا، وكذبني النبي ﷺ وصدقهم، فأصابني غم لم يصبني مثله قط، فجلست في بيتي، وقال عمي : ما أردت إلى أن كذبك رسول الله ﷺ ومقتك ؛ فأنزل الله : ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ﴾ [المنافقون : ١]، وأرسل إلي النبي ﷺ فقرأها وقال : «**إن الله قد صدقك**» .

الشرح

قوله تعالى : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ [المنافقون : ٥] أي : حركوها استهزاء بالنبي ﷺ وسخرية، وهذا من كفرهم .

• [٤٥١٢] كرر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ هذا الحديث خمس مرات في خمس تراجم، على كل آية يعيد الحديث، والمقصود من ذلك ما يلي :

أولًا : تقوية الحديث ؛ فالحديث يتقوى بكثرة طرقه .

ثانيًا : الاستدلال على تراجمه فالآية تكون مناسبة للترجمة التي يسوقها والحديث في معنى الآية .

ثالثًا : إثبات زيادات في المتن مثل ما سبق في الحديث السابق قال : «**أصاب الناس فيه شدة**» ففيه بيان سبب هذه المقالة .

رابعًا : لتفسير بعض الكلمات .

المتن

[٣٢٢/ ٥٦] باب ﴿سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ أَسۡتَغۡفَرۡتَ لَهُمۡ﴾ [المنافقون: ٦] الآية

• [٤٥١٣] حدثنا علي، قال: حدثنا سفيان، قال عمرو: سمعت جابر بن عبدالله قال: كنا في غزاة، قال سفيان مرة في جيش: فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال الأنصاري: يا للأنصار، وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذلك رسول الله ﷺ، فقال: **«ما بال دعوى الجاهلية!»**، قالوا: يا رسول الله، كَسَعَ رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال: **«دعوها؛ فإنها منتنة»**، فسمع بذلك عبدالله بن أبي فقال: فعلوها! أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ النبي ﷺ، فقام عمر فقال: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: **«دعه؛ لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه»**، وكانت الأنصار أكثر من المهاجرين حين قدموا المدينة، ثم إن المهاجرين كثروا بعد.

قال سفيان: تحفظته من عمرو، قال عمرو: سمعت جابرًا: كنا مع النبي ﷺ.

الشرح

• [٤٥١٣] هذا الحديث فيه بيان سبب هذه المقالة التي قالها عبد الله بن أبي، وذلك أن النبي ﷺ ومن كان معه من أصحابه كانوا في غزاة **«فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار»** يعني: بعض الشباب من المهاجرين ضرب دبر رجل من الأنصار بيده أو برجله فشق ذلك عليه، وهذا الفعل شديد عند أهل اليمن، والأنصار أصلهم من اليمن **«فقال الأنصاري: يا للأنصار وقال المهاجري: يا للمهاجرين، فسمع ذلك رسول الله ﷺ، فقال: ما بال دعوى الجاهلية! قالوا: يا رسول الله، كَسَعَ رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار، فقال: دعوها؛ فإنها منتنة»** في ذلك تحريم التعزي بعزاء الجاهلية وتحريم الدعوى بدعوى الجاهلية، وفيه التنفير الشديد من ذلك؛ لقوله ﷺ: **«دعوها؛ فإنها منتنة»** وفيه مضرة التحزبات والانقسامات، وإذا كان الانتساب والاعتزاء إلى المهاجرين وإلى الأنصار والتعصب لها وهي مسميات إسلامية سماها النبي ﷺ – من دعوى الجاهلية لما في ذلك من التحزب والانقسام، فكيف بمن دعا بدعوى غير إسلامية كدعوى القومية

أو العربية أو الاشتراكية أو دعا إلى حزب معين كحزب البعث مثلًا؟! لا شك في منع ذلك وتحريمه بل هو أشد، فالواجب الانتساب إلى الإسلام الذي يجمع المسلمين جميعًا.

ومن ذلك التحزبات الموجودة الآن التي بين الشباب فهذا يسمى تبليغيًا وهذا يسمى سروريًا وهذا إخوانيّ وهذا جاميّ، وغير ذلك من التحزبات التي صارت يوالون من أجلها ويعادون من أجلها فينبغي طرح هذه التحزبات، وعلى الشباب أن يقبلوا على طلب العلم ويكونوا حزبًا واحدًا وهو حزب الله وحزب أهل السنة والجماعة - وهم الصحابة والتابعون والأئمة من بعدهم - فإذا سئل الشاب: أنت تبليغي؟ أو أنت سروري؟ أو أنت إخواني؟ أو أنت كذا؟ يقول: أنا من أهل السنة والجماعة، إذا قيل له: ما تقول في الأحزاب الأخرى؟ يقول: ما أقول فيها شيئًا، أنا أطلب العلم فاسألوا أهل العلم، فهذه التحزبات شر وبلاء؛ فإنها فرقت الشباب وأضاعت أوقاتهم وأوجدت بينهم العداوة والبغضاء والسب والشتائم والغيبة والنميمة، ولا حول ولا قوة إلا بالله.

قوله: «**فسمع بذلك عبدالله بن أبي فقال: فعلوها! أما والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل، فبلغ النبي ﷺ، فقام عمر فقال: يا رسول الله، دعني أضرب عنق هذا المنافق، فقال النبي ﷺ: دعه؛ لا يتحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه**» فيه بيان المنع من قتل عبدالله بن أبي، وذلك أن سبب القتل خفي، فلو قتله وهو يظهر الإسلام لقال الناس: إنه يقتل أصحابه، وفيه أن الإمام له أن يترك قتل من يستحق القتل إذا كان سيترتب على قتله مفسدة تضر الإسلام والمسلمين - وذلك إذا لم يكن سبب قتله ظاهرًا لارتكابه ما يوجب حدًّا أو قصاصًا - فإن عبدالله بن أبي كان له أنصار وأتباع يؤيدونه وكادوا أن يتوجوه على المدينة قبل هجرة النبي ﷺ، فلما هاجر النبي ﷺ شرق بالإسلام وأخفى نفاقه حتى مات على النفاق فكانت المصلحة تركه وعدم قتله لإظهار الإسلام.

***

المتن

[٣٢٣/ ٥٦] باب ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُواْ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّواْ﴾ [المنافقون: ٧] الآية يتفرقوا

• [٤٥١٤] حدثنا إسماعيل بن عبدالله، قال: حدثنا إسماعيل بن إبراهيم بن عقبة، عن موسى بن عقبة، قال: حدثني عبدالله بن الفضل، أنه سمع أنس بن مالك يقول: حزنت على من أصيب بالحرة، فكتب إلي زيد بن أرقم وبلغه شدة حزني، فذكر أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: «**اللهم اغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار**»، وشك ابن الفضل في «**أبناء أبناء الأنصار**»، فسأل أنسا بعض من كان عنده، فقال: هو الذي يقول رسول الله ﷺ، هذا الذي أوفى الله له بأُذُنِه.

الشرح

• [٤٥١٤] قوله: «**حزنت على من أصيب بالحرة**» يعني: تلك المقتلة العظيمة التي كانت لأهل المدينة سنة ثلاث وستين من الهجرة، وكان فيهم كثير من الصحابة بسبب خلع أهل المدينة ليزيد بن معاوية وقتالهم له بسبب فسقه، فأمَّر الأنصار عليهم عبدالله بن حنظلة وأمَّر المهاجرون عبدالله بن مطيع، فلما علم يزيد أرسل الجيش إلى المدينة فقاتلهم وهزمهم واستباح المدينة ثلاثة أيام، فحصلت هذه المقتلة العظيمة.

ولا شك أن ما فعله أهل المدينة خطأ فلا يجوز نقض البيعة إذا تبين من الأمير فسق، بل يناصح ويصبر على ظلمه وجوره، وهذا الذي حصل من القتل والفساد في المدينة بشؤم هذه المعصية وهي الخروج على ولاة الأمور.

وفي الحديث الرد على من قال: إن هذه القصة غير صحيحة وغير ثابتة، فبعض الإخوان قال في قصة الحرة: أرجو ألَّا تكون ثابتة؛ لأنها كانت في القرن الأول فلا يحصل هذا القتل وهذا الفساد! وهذا عدم اطلاع، فالقصة ثابتة في «الصحيحين» كما في هذا الحديث وفي غيره.

ثم لما توفي يزيد سنة ثلاث وستين دعا عبدالله بن الزبير لنفسه بالخلافة فبايعه أهل الحجاز – مكة والمدينة والطائف – وبايعه أهل الحل والعقد فصارت ولايته ولاية شرعية لم يخرج على ذلك أحد، فتم الأمر لعبدالله بن الزبير بالخلافة في الحجاز وحتى في الشام وما

بقي إلا بلدة واحدة دعا فيها لنفسه مروان بن الحكم ثم ما لبث أن توفي ثم قام من بعده ابنه عبدالملك بن مروان ودعا لنفسه، فأخذ يقاتل ابن الزبير حتى أخذ المدن التي خضعت لعبدالله بن الزبير شيئًا بعد شيء حتى أخذ العراق وجعل أميرها الحجاج بن يوسف، ووكل المهمة إلى الحجاج في قتال عبدالله بن الزبير، فأرسل الجيوش إلى مكة وقتل عبدالله بن الزبير وصلبه على خشبة.

أما الحسين بن علي رضي الله عنه فإنه اجتهد وغرَّه أهل العراق وخانوه، ولما أراد الرجوع أبوا عليه حتى قُتِل رضي الله عنه.

وهذا فيه بيان أنه لا يجوز الخروج على ولاة الأمور، ولا يجوز تغيير المنكر إذا كان يترتب عليه منكر أكبر، فإذا كان بعض ولاة الأمور في بعض الأزمنة وفي بعض الأمكنة عندهم جور أو ظلم أو فسق وعندهم عصيان فلا يجوز الخروج عليهم، وإنما يناصحون من قبل أهل الحل والعقد، فإن قبلوا فالحمد لله وإن لم يقبلوا أدى الناس ما عليهم، كما أن الخروج على ولاة الأمور ليس من عقيدة أهل السنة والجماعة ولا من طريقتهم، إنما هذه طريقة الخوارج والمعتزلة والرافضة وأهل البدع، فهم الذين يخرجون على حكامهم بالذنوب والمعاصي فالخوارج يقولون: إذا فعل ولي الأمر معصية كفر ويجب خلعه وقتله، والمعتزلة كذلك من أصولهم أن من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر الخروج على ولي الأمر إذا عصى، والروافض كذلك لا يرون الإمامة إلا للمعصوم، ويرون أن غيره يجب قتله وإزالته، أما أهل السنة والجماعة فيرون أن الإمامة تجوز للبر وللفاجر، والحج ماض مع ولاة الأمور أبرارًا كانوا أو فجارًا إلى يوم القيامة، والجهاد ماض مع كل إمام لا يبطله جور جائر حتى يقاتل آخر هذه الأمة الدجال.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «قوله: «**حزنت على من أصيب بالحرة**» هو بكسر الزاي من الحزن زاد الإسماعيلي من طريق محمد بن فليح عن موسى بن عقبة: «من قومي» وكانت وقعة الحرة في سنة ثلاث وستين وسببها أن أهل المدينة خلعوا بيعة يزيد بن معاوية لما بلغهم ما يتعمده من الفساد»، قيل: وقد بلغهم ذلك من الدعاة الذين بثهم عبدالله بن مطيع داعية عبدالله بن الزبير، وهذه الدعايات كانت مغرضة لأجل المزاحمة على الملك كما صارحهم بذلك عبدالله بن عمرو ومحمد بن علي بن أبي طالب وزين العابدين علي بن الحسين ونصحوهم بالكف عن ذلك لما يترتب عليه من سوء العواقب وأن هذا مخالف لآداب الإسلام وسنته.

وهذا فيه نظر ؛ لأن عبدالله بن الزبير إنما دعا لنفسه بعد موت يزيد في وقت ليس فيه إمام .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «فأمَّر الأنصار عليهم عبد الله بن حنظلة بن أبي عامر وأمَّر المهاجرون عليهم عبد الله بن مطيع العدوي ، وأرسل إليهم يزيد بن معاوية مسلم بن عقبة المري في جيش كثير ، فهزمهم واستباحوا المدينة وقتلوا ابن حنظلة وقتل من الأنصار شيء كثير جدًّا ، وكان أنس يومئذ بالبصرة فبلغه ذلك فحزن على من أصيب من الأنصار ، فكتب إليه زيد بن أرقم وكان يومئذ بالكوفة يسليه ، ومحصل ذلك أن الذي يصير إلى مغفرة الله لا يشتد الحزن عليه ، فكان ذلك تعزية لأنس فيهم» .

قوله : «**وشك ابن الفضل في : أبناء أبناء الأنصار**» يعني : شك ابن الفضل هل دعا رسول الله ﷺ لأبناء أبناء الأنصار بالمغفرة أم للأنصار ولأبنائهم فقط .

قوله : «**هذا الذي أوفى الله له بأذنه**» يعني : أن الله صدقه فيما سمع بأذنه .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «قوله : «**أوفى الله له بأذنه**» أي : بسمعه وهو بضم الهمزة والذال المعجمة ويجوز فتحهما أي أظهر صدقه فيما أعلم به والمعنى أوفى صدقه وقد تقدم في الكلام على حديث جابر أن في مرسل الحسن أن النبي ﷺ أخذ بأذنه فقال : «**وفت أذنك يا غلام**»[1] كأنه جعل أذنه ضامنة بتصديق ما ذكرت أنها سمعت فلما نزل القرآن بتصديقه صارت كأنها وافية بضمانها .

تكميل : وقع في رواية الإسماعيلي في آخر هذا الحديث من رواية محمد بن فليح عن موسى ابن عقبة قال ابن شهاب : سمع زيد بن أرقم رجلًا من المنافقين يقول والنبي ﷺ يخطب : لئن كان هذا صادقًا لنحن شر من الحمير ، فقال زيد : قد والله صدق ولأنت شر من الحمار ، ورفع ذلك إلى النبي ﷺ فجحده القائل فأنزل الله على رسوله : ﴿يَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ مَا قَالُوا﴾ [التوبة : ٧٤] الآية فكان مما أنزل الله في هذه الآية تصديقًا لزيد . انتهى . وهذا مرسل جيد ، كأن البخاري حذفه لكونه على غير شرطه ولا مانع من نزول الآيتين في القصتين في تصديق زيد» .

* * *

---

(١) «تفسير الطبري» (٢٨/ ١١٤) .

المتن

[٣٢٤/ ٥٦] بابٌ

﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون : ٨] **الآية**

• [٤٥١٥] حدثنا الحميدي ، قال : حدثنا سفيان ، قال : حفظناه من عمرو بن دينار قال : سمعت جابر بن عبدالله يقول : كنا في غزاة فكسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار ، فقال الأنصاري : يا للأنصار ، وقال المهاجري : يا للمهاجرين ، فسمعها الله رسوله قال : **«ما هذا؟»** ، قالوا : كسع رجل من المهاجرين رجلا من الأنصار ، فقال الأنصاري : يا للأنصار ، وقال المهاجري : يا للمهاجرين ، فقال النبي ﷺ : **«دعوها فإنها منتنة»** ، قال جابر : وكانت الأنصار حين قدم النبي ﷺ أكثر ثم كثر المهاجرون بعد ، فقال عبدالله بن أبي : أوقد فعلوا! والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل ، فقال عمر بن الخطاب : دعني يا رسول الله أضرب عنق هذا المنافق ، قال النبي ﷺ : **«دعه ؛ لا يحدث الناس أن محمدا يقتل أصحابه»** .

الشرح

• [٤٥١٥] هذا الحديث فيه أنه لا يجوز الاعتزاء والدعاء والانتساب والتعصب إلى ما يدعو إلى التحزب والانقسام ولو كانت مسميات إسلامية فلا يقول : **«يا للأنصار»** والآخر يقول : **«يا للمهاجرين»** ؛ لأنها تدعو إلى الانقسام والتفرق ؛ ولهذا سماها النبي ﷺ من دعوى الجاهلية ونفّر منها بقوله : **«فإنها منتنة»** بل يقول : يا أيها **المسلمون** يا إخواني ؛ **لأن** هذا النداء يجمع المسلمين فينصرونه .

وإذا كان هذا في المسميات الإسلامية فكيف بالمسميات الجاهلية والكفرية كالشيوعية والاشتراكية والقومية والحرية والبعثية وغيرها؟! فهي من باب أولى .

ويدخل في ذلك التحزبات التي بين الشباب الآن فهذا تبليغي وهذا سروري وهذا تكفيري وهذا جامي ، كل هذه تحزبات تدعو إلى التفرق والانقسام .

وفي الحديث أنه ينبغي مراعاة مصلحة الإسلام من قبل ولاة الأمور ، وأن المصلحة العامة مقدمة على المصلحة الخاصة فالنبي ﷺ ترك قتل عبدالله بن أبي ؛ مراعاة للمصلحة العامة ؛ ففي إبقائه مصلحة للمسلمين وفي قتله ضرر عليهم .

المتن

سورة التغابن والطلاق

بسم الله الرحمن الرحيم

وقال مجاهد : ﴿يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن : ٩] غبن أهل الجنة أهل النار .

وقال علقمة ، عن عبدالله : ﴿وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ﴾ [التغابن : ١١] هو الذي إذا أصابته مصيبة رضي وعرف أنها من الله .

وقال مجاهد : ﴿إِنِ ٱرْتَبْتُمْ﴾ [الطلاق : ٤] إن لم تعلموا أتحيض أم لا تحيض ، فاللاتي قعدن عن الحيْض واللائي لم يحضن بعد فعدتهن ثلاثة أشهر .

وقال مجاهد : ﴿وَبَالَ أَمْرِهَا﴾ [الطلاق : ٩] جزاء أمرها .

• [٤٥١٦] حدثنا يحيى بن بكير ، قال : حدثنا الليث ، قال : حدثني عقيل ، عن ابن شهاب ، قال : أخبرني سالم ، أن عبدالله بن عمر أخبره ، أنه طلق امرأة له وهي حائض ، فذكر عمر لرسول الله ﷺ ، فتغيظ فيه رسول الله ﷺ ثم قال : **«ليراجعها ثم يمسكها حتى تطهر ، ثم تحيض فتطهر ، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرا قبل أن يمسها ؛ فتلك العدة كما أمره الله تعالى»** .

الشرح

قوله : **«وقال مجاهد : ﴿يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ﴾ [التغابن : ٩] غبن أهل الجنة أهل النار»** [التغابن : ٩] هذا هو الغبن العظيم حيث يغبن أهل الجنة أهل النار ، حيث يذهب بالإنسان الشريف الكبير الوسيم الذي قد يكون أميرا أو وزيرا أو وجيها أو غير ذلك إلى النار ويذهب بخادمه أو بالذي يعمل عنده إلى الجنة ، فيفوز أهل الجنة بالنعيم ويبوء أهل النار بالخزي والخسران والبوار والعذاب .

قوله : **«وقال علقمة عن عبدالله»** أي : عبدالله بن مسعود رضي الله عنه .

قوله: «**هو الذي إذا أصابته مصيبة رضي وعرف أنها من الله**» هذه العبارة نقلها الإمام محمد بن عبدالوهاب في «كتاب التوحيد» عن علقمة بلفظ: قال علقمة عن عبدالله: «هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم»(١).

ثم شرع المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير سورة الطلاق وتسمى سورة النساء القصرى، وسورة البقرة هي سورة النساء الطولى، وتسمى سورة الطلاق؛ لأن فيها أحكام الطلاق.

وقوله تعالى: ﴿**وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَ**﴾ [الطلاق: ٤] فسرها مجاهد فقال: «**إن لم تعلموا أتحيض أم لا تحيض؟ فاللاتي قعدن عن الحيض واللائي لم يحضن بعد فعدتهن ثلاثة أشهر**» فالمطلقة إن كانت تحيض فعدتها ثلاث حيضات وإن كانت لا تحيض - لكبرها وتسمى الآيسة أو لصغرها لكونها لم تحض - فعدتها ثلاثة أشهر، وإن كانت حاملًا فعدتها أن تضع الحمل.

• [٤٥١٦] في هذا الحديث عن سالم: «**أن عبدالله بن عمر أخبره أنه طلق امرأة له وهي حائض**» أي: وهي في الحيض، «**فذكر عمر لرسول الله ﷺ فتغيظ فيه رسول الله ﷺ**» يعني: تغيظ النبي ﷺ وغضب مما فعله عبد الله، فدل ذلك على تحريم الطلاق في الحيض.

قوله: «**ثم قال**» أي: النبي ﷺ «**ليراجعها**» وفي لفظ آخر: «**مره ليراجعها**»(٢) «**ثم يمسكها حتى تطهر، ثم تحيض فتطهر، فإن بدا له أن يطلقها فليطلقها طاهرا قبل أن يمسها؛ فتلك العدة كما أمره الله تعالى**» وفي لفظ آخر: «**فتلك العدة التي أمر الله أن تطلق لها النساء**»(٣) فالسنة طلاق المرأة في طهر لم يمسها فيه طلقة واحدة، أما الطلاق في الحيض فهذا طلاق بدعي، وكذلك الطلاق في الطهر الذي مسها فيه طلاق بدعي، وكذلك الطلاق بالثلاث فأكثر طلاق بدعي من جهة العدد.

وإذا طلقها في الحيض أو في طهر قد مسها فيه فهل يقع الطلاق أو لا يقع؟ اختلف العلماء في ذلك على قولين: فذهب جمهور العلماء إلى أنه يقع مع الإثم، وقد جزم بهذا البخاري في

---

(١) «كتاب التوحيد» (ص٩٦).
(٢) أحمد (١/ ٤٣)، والبخاري (٥٢٥٢)، ومسلم (١٤٧١).
(٣) أحمد (٢/ ٦٣)، والبخاري (٥٢٥٢)، ومسلم (١٤٧١).

«صحيحه» واستدلوا بقوله في الحديث: **«ليراجعها»** فالأمر بالرجعة دليل على وقوع الطلاق، واستدلوا أيضًا بأن عمر عدها طلقة، واستدلوا أيضًا بما ورد في بعض حديث ابن عمر: «فحسبت من طلاقها»[(١)] واستدلوا أيضًا بأن عمر كان يفتي بوقوع الطلاق، واستدلوا أيضًا بالعمومات مثل قول النبي ﷺ: **«ثلاث جدهن جد وهزلهن جد: النكاح، والطلاق، والرجعة»**[(٢)] وحديث ابن عباس عند مسلم: **«كان الطلاق طلاق الثلاث على عهد رسول الله ﷺ وأبي بكر وصدرًا من خلافة عمر كان طلاق الثلاث بواحدة»**[(٣)] فأطلق ولم يحدد وقتًا ولم يستثن وقت الحيض فدل على أنه يقع.

وذهبت طائفة قليلة من أهل العلم إلى أن الطلاق في الحيض لا يقع، وهو قول خلاس بن عمرو الحجري وقول طاوس بن كيسان اليماني ومحمد بن عبدالله الخشني، واختار هذا القول شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللهُ[(٤)]، واختاره شيخنا سماحة الشيخ عبدالعزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ، والشيخ محمد بن العثيمين رَحِمَهُ اللهُ أيضًا. وقال بعض العلماء: إن هذا القول هو قول الروافض والخوارج خاصة. وهذا ليس بصحيح، واستدل القائلون بأن الطلاق لا يقع بأن الطلاق في الحيض ليس عليه أمر الله ورسوله ﷺ وقد قال ﷺ: **«من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»**[(٥)] وأجابوا عن قوله في حديث ابن عمر: **«ليراجعها»** قالوا: معناه ليردها وليس المراد به الرجعة بعد وقوع الطلاق، وهو مثل قوله تعالى: ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنْهُمْ﴾ [التوبة: ٨٣] أي ردك؛ إذ لو كان المراد ذلك لكان قوله: **«فليطلقها طاهرا»** أمر بتكرير الطلاق والرسول ﷺ لا يأمر بتكرير الطلاق.

وأجابوا عن كون ابن عمر عدها طلقة أن هذا كان باجتهاد منه لا بأمر الرسول ﷺ؛ لأن الرسول ﷺ لم يقل: حسبت عليك طلقة لكن هو حسبها واحدة باجتهاده ويدل عليه قول ابن عمر: «أو قد عجزت واستحمقت».

---

(١) أحمد (٢/ ١٣٠)، ومسلم (١٤٧١).
(٢) أبو داود (٢١٩٤)، والترمذي (١١٨٤)، وابن ماجه (٢٠٢٩).
(٣) مسلم (١٤٧٢).
(٤) انظر «الفتاوى الكبرى» (٣/ ٢٦٤).
(٥) مسلم (١٧١٨).

وأجابوا عن أن عمر كان يفتي بذلك بأن هذا كان باجتهاد منه أيضًا .

ومحل الخلاف بين العلماء إذا علم أنه طلقها في الحيض ، أما إذا لم يعلم فإن الطلاق يقع ولا يقبل فيه قول الزوجة ؛ لأنها متهمة في خبرها .

ومثل هذا الخلاف الذي يجري في طلاق النفساء في الطهر الذي جامعها فيه ، فالحكم واحد .

* * *

المتن

[٣٢٥/ ٥٦] باب ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]

﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ﴾ واحدتها ذات حمل.

• [٤٥١٧] حدثنا سعد بن حفص، قال: حدثنا شيبان، عن يحيى، قال: أخبرني أبو سلمة قال: جاء رجل إلى ابن عباس وأبو هريرة جالس عنده، فقال: أفتني في امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة، فقال ابن عباس: آخر الأجلين، قلت أنا: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]، قال أبو هريرة: أنا مع ابن أخي؛ يعني أبا سلمة، فأرسل ابن عباس غلامه كريبا إلى أم سلمة يسألها، فقالت: قتل زوج سبيعة الأسلمية وهي حبلى، فوضعت بعد موته بأربعين ليلة، فخطبت فأنكحها رسول الله ﷺ، وكان أبو السنابل فيمن خطبها.

قال: وقال سليمان بن حرب وأبو النعمان: حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن محمد قال: كنت في حلقة فيها عبدالرحمن بن أبي ليلى، وكان أصحابه يعظمونه، فذكروا له، فذكر آخر الأجلين، فحدثت حديث سبيعة بنت الحارث عن عبدالله بن عتبة قال: فضمز لي بعض أصحابه، قال محمد: ففطنت له فقلت: إني إذن لجريء إن كذبت على عبدالله بن عتبة وهو في ناحية الكوفة، فاستحيا وقال: لكن عمه لم يقل ذاك، فلقيت أبا عطية مالك بن عامر فسألته، فذهب يحدثني حديث سبيعة، فقلت: هل سمعت عن عبدالله فيها شيئا؟ فقال: كنا عند عبدالله فقال: أتجعلون عليها التغليظ ولا تجعلون عليها الرخصة، لنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤].

الشرح

• [٤٥١٧] هذا الحديث فيه بيان أن الحامل عدتها بوضع الحمل، وهذا هو الصواب؛ لقول الله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤] وهذا عام في جميع الزوجات، فالحامل عدتها وضع الحمل سواء كانت رجعية أو مبتوتة أو متوفى عنها زوجها.

قوله: «**أفتني في امرأة ولدت بعد زوجها بأربعين ليلة، فقال ابن عباس: آخر الأجلين**» أي تكمل أربعة أشهر وعشرة أيام.

قوله : «**قلت أنا**» يعني : قال أبو سلمة .

قوله : ﴿ **وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ** ﴾ [الطلاق : ٤] الآية استدل بها أبو سلمة على ابن عباس .

قوله : «**قال أبو هريرة : أنا مع ابن أخي**» يعني : أنا أؤيد قول أبي سلمة أنها تخرج من العدة بوضع الحمل .

قوله : «**فأرسل ابن عباس غلامه كريبا إلى أم سلمة**» فيه الرجوع إلى أهل العلم كما قال الله تعالى : ﴿ **فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ** ﴾ [النحل : ٤٣] فإنه لما اختلف ابن عباس وأبو هريرة أرسل ابن عباس إلى أم سلمة يسألها فأفتته بفعل النبي ﷺ ، فيجب رد النزاع إلى الكتاب والسنة قال الله تعالى : ﴿ **فَإِن تَنَٰزَعۡتُمۡ فِي شَيۡءٖ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمۡ تُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِۚ** ﴾ [النساء : ٥٩] .

قوله : «**فقالت : قتل زوج سبيعة الأسلمية وهي حبلى ، فوضعت بعد موته بأربعين ليلة ، فخطبت فأنكحها رسول الله ﷺ**» أي : لم تعتد أربعة أشهر وعشرا فدل على أن الحامل عدتها وضع الحمل ولو كانت متوفى عنها .

قوله : «**فذكر آخر الأجلين**» يعني : للحامل إذا طلقت ، قوله : «**فحدثت حديث سبيعة بنت الحارث عن عبدالله بن عتبة قال : فضمز لي بعض أصحابه**» يعني : عض شفتيه ، والمعنى أشار إليه أن اسكت .

قوله : «**عمه**» هو عبد الله بن مسعود .

قوله : «**أتجعلون عليها التغليظ ولا تجعلون عليها الرخصة؟**» يعني : هل تجعلون على الحامل التغليظ فتعتد بأطول الأجلين ولا تخرج من العدة بوضع الحمل .

قوله : «**لنزلت سورة النساء القصرى بعد الطولى**» سورة النساء القصرى هي سورة الطلاق ، وسورة النساء الطولى هي سورة البقرة ، فسورة الطلاق جاء فيها : ﴿ **وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ** ﴾ [الطلاق : ٤] يعني : الحامل عدتها وضع الحمل ، وسورة البقرة جاء فيها : ﴿ **وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوۡنَ مِنكُمۡ وَيَذَرُونَ أَزۡوَٰجٗا يَتَرَبَّصۡنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَعَشۡرٗاۖ** ﴾ [البقرة : ٢٣٤] .

فعبد الله بن مسعود يقول: سورة الطلاق هي الآخر نزولًا فالمعول عليه هو قول الله تعالى: ﴿وَأُوْلَٰتُ ٱلْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤].

وكأن ابن مسعود أراد أن يقول: إن آية البقرة نُسخت بآية الطلاق.

والتحقيق أنه لا نسخ فالعموم في آية البقرة مخصص بآية الطلاق، فالمعنى المتوفي عنها تتربص أربعة أشهر وعشرًا إلا إن كانت حاملًا ووضعت حملها قبل العدة، فإنها تنتهي بوضع الحمل.

وهذا الخلاف في عدة الحامل كان بين السلف في العهد الأول ثم استقر الأمر على أن الحامل تعتد بوضع الحمل مطلقًا وهو كالإجماع بين السلف والعلماء.

* * *

المتن

سورة ﴿لِمَ تُحَرِّمُ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

[٣٢٦/ ٥٦] باب ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [التحريم: ١]

• [٤٥١٨] حدثنا معاذ بن فضالة، قال: حدثنا هشام، عن يحيى، عن ابن حكيم هو يعلى بن حكيم الثقفي، عن سعيد بن جبير، أن ابن عباس قال: في الحرام يكفر.

وقال ابن عباس: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ «إسوة» حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١].

• [٤٥١٩] حدثني إبراهيم بن موسى، قال: أخبرنا هشام بن يوسف، عن ابن جريج، عن عطاء، عن عبيد بن عمير، عن عائشة قالت: كان رسول الله ﷺ يشرب عسلا عند زينب بنت جحش ويمكث عندها، فواطَيْتُ أنا وحفصة عن أيَّتِنا دخل عليها فلتقل له: أكلت مغافير؟ إني أجد منك ريح مغافير، قال: **«لا ولكني كنت أشرب عسلا عند زينب بنت جحش فلن أعود له، وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدا»**، تبتغي بذلك مرضاة أزواجك.

الشرح

هذه سورة التحريم، وسميت سورة التحريم؛ لأن في أولها قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ﴾ [التحريم: ١].

• [٤٥١٨] قوله: **«أن ابن عباس قال: في الحرام يكفر وقال ابن عباس: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ «إسوة» حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]»** المعنى أن ابن عباس يرى أنه إذا حرم الإنسان شيئًا حلالًا فإنه يكفر كفارة يمين واستدل ابن عباس بأن هذا فعل النبي ﷺ والله يقول: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١] وروي عن ابن عباس في هذا روايتان إحداهما أنه يكفر كما في هذا الأثر، فإذا قال: هذا الطعام علي حرام فإنه يكفر كفارة يمين، فيطعم عشرة مساكين أو يكسوهم أو يعتق رقبة فإن لم يستطع صام ثلاثة أيام،

والرواية الثانية أن الحرام ليس عليه شيء ، ولكن هذه الرواية مطلقة فينبغي أن تقيد بالرواية الأولى ، وهي أنه يكفر كفارة يمين ؛ لأن المطلق يحمل على المقيد .

• [٤٥١٩] قولها : **«أكلت مغافير»** المغافير : نوع من الشجر له رائحة كريهة فإذا رعته النحل وأخذت منه عسلًا صار العسل له رائحة كريهة .

وقال العيني : «**«مغافير»** بفتح الميم بعدها غين معجمة جمع مغفور . . . والمغفور صمغ حلو كالناطف وله رائحة كريهة ينضجه شجر يسمى العرفط بعين مهملة مضمومة وفاء مضمومة نبات مر له ورقة عريضة تنفرش على الأرض وله شوكة وثمرة بيضاء كالقطن مثل زر قميص خبيث الرائحة» .

وهذا الحديث فيه تواطؤ حفصة وعائشة حتى لا يمكث النبي ﷺ عند زينب فكل واحدة إذا دخل عليها النبي ﷺ تقول : **«أكلت مغافير؟ إني أجد منك ريح مغافير»** ؛ لأن النبي ﷺ يكره الروائح الكريهة ؛ ولذلك قال : **«كنت أشرب عسلًا عند زينب بنت جحش فلن أعود له»** وفي بعض الروايات أن حفصة قالت : «حرمناه من أكل العسل ، فقالت لها : اسكتي» فأنزل الله تعالى : ﴿**وَإِن تَظَـٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَـٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ**﴾ [التحريم : ٤] .

والشاهد من الحديث أن النبي ﷺ حرم العسل فقال : **«فلن أعود له ، وقد حلفت لا تخبري بذلك أحدا»** فجعل الله في ذلك كفارة يمين .

وذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما أخرجه الضياء في «المختارة»[1] أن النبي ﷺ حرم مارية سريته أم إبراهيم فأنزل الله : ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ**﴾ [التحريم : ١ ، ٢] .

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «فيحتمل أن الآية نزلت في السببين معًا» أي تحريم العسل وتحريم سريته مارية ؛ وعلى هذا إذا حرم الإنسان على نفسه شيئًا من طعام أو شراب أو عسل أو حرم جاريته فإنه يكفر كفارة يمين ؛ لهذه الآية : ﴿**يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِىُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ ۖ تَبْتَغِى مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ۝ قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ**﴾ [التحريم : ١ ، ٢] .

---

(١) الأحاديث المختارة (٥/ ٧٠) .

أما تحريم الزوجة فيختلف فلو قال : حرمت زوجتي أو قال : هي علي حرام هذه مسألة فيها خلاف بين أهل العلم روي عن ابن عباس أنه يكفر كفارة يمين وهو قول طائفة من العلماء ، وقال آخرون من أهل العلم : إنه يكون ظهارًا فيكون فيه كفارة ظهار ، وهذا هو الراجح فيعتق رقبة فإن لم يجد صام شهرين متتابعين ، فإن لم يجد أطعم ستين مسكينًا ، فتحريم الزوجة يكون ظهارًا ، وتحريم غيرها كالجارية أو العسل أو غيره يكون يمينًا مكفرة .

أما إذا قال لزوجته : هي كظهر أمه فإنه يكون ظهارًا ولا يكون يمينًا مكفرة بالاتفاق .

❊ ❊ ❊

المتن

[٣٢٧/ ٥٦] باب
﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَـٰنِكُمْ ۚ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ﴾ [التحريم: ٢]

• [٤٥٢٠] حدثنا عبدالعزيز بن عبدالله، حدثنا سليمان بن بلال، عن يحيى، عن عبيد بن حنين، أنه سمع ابن عباس يحدث أنه قال: مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية، فما أستطيع أن أسأله هيبة له، حتى خرج حاجا فخرجت معه، فلما رجعنا وكنا ببعض الطريق عدل إلى الأراك لحاجة له، قال: فوقفت له حتى فرغ، ثم سرت معه، فقلت: يا أمير المؤمنين، من اللتان تظاهرتا على النبي ﷺ من أزواجه؟ فقال: تلك حفصة وعائشة، قال: فقلت: والله إني كنت لأريد أن أسألك عن هذا منذ سنة، فما أستطيع هيبة لك، قال: فلا تفعل؛ ما ظننت أن عندي من علم فاسألني فإن كان لي علم خبرتك به، قال: ثم قال عمر: والله إن كنا في الجاهلية ما نعد للنساء أمرا حتى أنزل الله ﷻ فيهن ما أنزل وقسم لهن ما قسم، قال: فبينا أنا في أمر أتأمره إذ قالت امرأتي: لو صنعت كذا وكذا، قال: فقلت لها: ما لك ولما هاهنا فيما تكلُّفُكِ في أمر أريده! فقالت لي: عجبا لك يا ابن الخطاب، ما تريد أن تراجع أنت وإن ابنتك لتراجع رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان، فقام عمر فأخذ رداءه مكانه حتى دخل على حفصة، فقال لها: يا بنية، إنك لتراجعين رسول الله ﷺ حتى يظل يومه غضبان، فقالت حفصة: والله إنا لنراجعه، فقلت: تعلمين أني أحذرك عقوبة الله وغضب رسوله، يا بنية، لا تغرنك هذه التي أعجبها حسنها حبُّ رسول الله ﷺ إياها يريد عائشة، قال: ثم خرجت حتى دخلت على أم سلمة لقرابتي منها فكلمتها، فقالت أم سلمة: عجبا لك يا ابن الخطاب دخلت في كل شيء حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله ﷺ وأزواجه! فأخذتني والله أخذا كسرتني عن بعض ما كنت أجد، قال: فخرجت من عندها وكان لي صاحب من الأنصار إذا غبت أتاني بالخبر، وإذا غاب كنت أنا آتيه بالخبر، ونحن نتخوف ملكا من ملوك غسان ذكر لنا أنه يريد أن يسير إلينا، فقد امتلأت صدورنا منه؛ فإذا صاحبي الأنصاري يدق الباب فقال: افتح افتح، فقلت: جاء الغساني؟ فقال: بل أشد من ذلك اعتزل رسول الله ﷺ أزواجه، فقلت: رَغِمَ أنف حفصة وعائشة، فأخذت ثوبي فأخرج حتى جئت؛ فإذا رسول الله ﷺ في مشربة له يُرقَى عليها بعجلة وغلام لرسول الله ﷺ أسود

على رأس الدرجة ، فقلت له : قل : هذا عمر بن الخطاب ، فأذن لي ، قال عمر : فقصصت على رسول الله ﷺ هذا الحديث ، فلما بلغت حديث أم سلمة تبسم رسول الله ﷺ ، وإنه لعلى حصير ما بينه وبينه شيء ، وتحت رأسه وسادة من أدم حشوها ليف ، وإن عند رجليه قرظٌ مصبورٌ وعند رأسه أهب معلقة ، فرأيت أثر الحصير في جنبه ، فبكيت ، فقال : **«ما يبكيك؟»** ، قلت : يا رسول الله ، إن كسرىٰ وقيصر فيما هما فيه وأنت رسول الله!! فقال : **«أما ترضىٰ أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة»** .

الشرح

• [٤٥٢٠] قوله : **«مكثت سنة أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن آية»** فيه أنه ينبغي لطالب العلم أن يطلب العلم من الكبار والرؤساء ولا ينبغي أن يحجم عن طلبه من الرئيس أو الكبير هيبة له .

وفيه أن الإنسان إن كان عنده علم فإنه يخبر به ، وإن لم يكن عنده علم فإنه يتوقف ويقول : لا أدري أو لا أعلم كما قال ابن مسعود : من كان عنده علم فليخبر به ومن لم يكن عنده علم فليقل : الله أعلم فإن من العلم أن تقول لما لا تعلم : الله أعلم فإن الله قال لنبيه ﷺ : ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلْمُتَكَلِّفِينَ﴾ [ص : ٨٦] .

قولها : **«ما تريد أن تراجع أنت وإن ابنتك لتراجع رسول الله ﷺ حتىٰ يظل يومه غضبان»** هذا فيه دليل علىٰ أن عمر لم يعلم أن ابنته تهجر النبي ﷺ .

قوله : **«فأخذ رداءه»** فيه دليل علىٰ أنهم كانوا يلبسون الأزر والأردية وقد يلبسون القمص .

وفيه دليل علىٰ أن الإنسان إن كان في بيته فله أن يتخفف من بعض الثياب فإذا أراد أن يخرج لبس ثياب الخروج ؛ ولهذا أخذ عمر رضي الله عنه رداءه وهو خارج .

قوله : **«لا تغرنك هذه التي أعجبها حسنها حبُّ رسول الله ﷺ إياها»** **«حب»** مرفوع ؛ لأنه بدل اشتمال من قوله : **«حسنها»** ، نقل الحافظ ابن حجر رحمه الله عن ابن التين : **«حسنُها»** بالضم لأنه فاعل ، و**«حب»** منصوب لأنه مفعول لأجله أي أعجبها حسنها من أجل حب رسول الله ﷺ إياها ، وفي رواية لمسلم : «التي أعجبها حسنها وحب رسول الله إياها»[١] بالواو . قال الكرماني :

---

(١) مسلم (١٤٧٩) .

«وهذا هو المناسب للروايات الأخر» أفادة العيني .

قوله في ذكر كلام أم سلمة : **«دخلت في كل شيء حتى تبتغي أن تدخل بين رسول الله ﷺ وأزواجه! فأخذتني والله أخذًا كسرتني عن بعض ما كنت أجد»** يعني : كلمته كلمةً ثنته عن الشيء الذي يريده فقد كان يريد أن يتكلم بكلام كثير لكن لما قالت له هذا الكلام اقتصد .

قوله : **«وكان لي صاحب من الأنصار إذا غبت أتاني بالخبر ، وإذا غاب كنت أنا آتيه بالخبر»** فيه استحباب حضور مجالس العلم واستحباب التناوب في طلب العلم إذا لم يتيسر لكل واحد الحضور بنفسه ؛ فكان عمر وزميله الأنصاري يتناوبا ، وفي الحديث الآخر : «فينزل يومًا وأنزل يومًا» كأنهم كانوا ساكنين بعيدًا عن مسجد النبي ﷺ فكان عمر ينزل يومًا يسمع العلم ويأتي بالخبر للأنصاري واليوم الثاني ينزل الأنصاري ويسمع العلم ويأتي بالفائدة لعمر وهكذا .

قوله : **«ونحن نتخوف ملكًا من ملوك غسان ذكر لنا أنه يريد أن يسير إلينا ، فقد امتلأت صدورنا منه ؛ فإذا صاحبي الأنصاري يدق الباب فقال : افتح افتح ، فقلت : جاء الغساني؟ فقال : بل أشد من ذلك اعتزل رسول الله ﷺ أزواجه»** أي : كان ملك من ملوك غسان يريد أن يسير إليهم فيغزوهم فامتلأت صدروهم خوفًا منه ، وكان في ذلك الزمان قوتان عظيمتان الروم والفرس مثل أمريكا وروسيا في هذا الزمان وكانت غسان تابعة للروم ، فلما جاء الأنصاري وضرب باب عمر ضربًا شديدًا ظن عمر أنه جاء الغساني؟ قال : بل أشد اعتزل رسول الله ﷺ نساءه ، وهذا دليل على اهتمام الصحابة ﷺ بأحوال رسول الله ﷺ والتأثر والانزعاج لما يقلقه أو يغضبه .

قوله : **«رغم»** بكسر الغين وفتحها فيقال رغَم ورغِم ، والمصدر رَغْم ورِغم ورُغم بتثليث الراء ورَغِم أي : لصق بالرغام وهو التراب .

قوله : **«فأخذت ثوبيَّ»** بالتثنية أي : الثوب والعمامة ، وفيه استحباب التجمل بالثوب والعمامة عند لقاء الأئمة والكبار احترامًا لهم .

قوله : **«في مشربة له»** المشربة : الغرفة المشرفة .

قوله : **«يرقى عليها بعجلة» «يُرقى»** على صيغة البناء للمجهول أي يُصعد عليها ، والعجلة : الدرجة ، فالرسول ﷺ اعتزل نساءه في غرفة مرتفعة شهرًا وهجرهن لما اجتمعن في طلب النفقة .

قوله : «**فلما بلغت حديث أم سلمة تبسم رسول الله ﷺ**» يعني لما قال له : إني جئت أم سلمة وأنها قالت : يا ابن الخطاب تريد أن تدخل بين رسول الله وبين أزواجه تبسم النبي ﷺ ، وعمر رضي الله عنه يريد أن يضحك النبي ﷺ ويسليه ويزيل الهم عنه .

قوله : «**وإنه لعلى حصير**» الحصير معروف وهو بساط مصنوع من سعف النخل يتميز باليبس والقوة .

قوله : «**ما بينه وبينه شيء**» أي : ليس عليه فراش ، وفيه تواضع الرسول ﷺ ، فالرسول ﷺ وهو أشرف الخلق نائم على حصير يابس ، وليس عنده ما عندنا الآن من الأرائك والفرش اللينة وغير ذلك .

قوله : «**وتحت رأسه وسادة من أدم**» أي : من جلد «**حشوها ليف**» .

قوله : «**وإن عند رجليه قرظٌ مصبورٌ**» القرظ ورق الشجر الذي يصبغ به ، و«**مصبور**» أي : مجموع من الصبرة وجاء في رواية عند الإسماعيلي : «مصبوبة» يعني مسكوبة عند رجليه .

قوله : «**وعند رأسه أهب معلقة**» «**أهب**» - بفتح الهمزة وضمها : جمع إهاب وهو الجلد الذي لم يدبغ .

قوله : «**فبكيت**» أي بكى عمر لما رأى ما فيه رسول الله ﷺ من شدة العيش حتى إن الحصير أثر في جسده ﷺ .

قوله : «**إن كسرى وقيصر فيما هما فيه**» أي : من الأبهة والترف وهم على الكفر وأنت رسول الله ﷺ .

قوله : «**أما ترضى أن تكون لهم الدنيا ولنا الآخرة**» هذا مثل ما جاء في الحديث الآخر : «**لا تشربوا في آنية الفضة والذهب ، ولا تأكلوا في صحافها ، فإنها لهم فى الدنيا ولكم فى الآخرة**»[(١)] يعني هذه الآنية للكفرة في الدنيا أما المسلم فيتسلى على ما يصيبه ويحصل له من قلة ذات اليد أو من المصائب والنكبات بما يرجوه ويؤمله من فضل الله وبما يعد الله للمؤمنين الصابرين الصادقين في الآخرة من الجنة والكرامة .

---

(١) أحمد (٥/ ٣٩٧) ، والبخاري (٥٤٢٦) ، ومسلم (٢٠٦٧) .

المتن

[٣٢٨/ ٥٦] باب ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا﴾ إلى ﴿ٱلْخَبِيرُ﴾ [التحريم: ٣]

فيه عائشة عن النبي ﷺ.

• **[٤٥٢١]** حدثنا علي، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، قال: سمعت عبيد ابن حنين، قال: سمعت ابن عباس يقول: أردت أن أسأل عمر بن الخطاب رضي الله عنه فقلت: يا أمير المؤمنين، من المرأتين اللتين تظاهرتا على رسول الله ﷺ؟ فما أتممت كلامي حتى قال: عائشة وحفصة.

الشرح

• **[٤٥٢١]** هذا الحديث تفسير لقوله تعالى: ﴿وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ﴾ [التحريم: ٤]، وفيه بيان أن المتظاهرتين عائشة وحفصة.

* * *

المتن

[٣٢٩/ ٥٦] باب ﴿إن تتوبا إلى الله فقد صغت قلوبكما﴾ [التحريم: ٤]

﴿بعد ذلك ظهير﴾ [التحريم: ٤] يعني عون.

﴿تظاهرون﴾ [البقرة: ٨٥] تعاونون.

وقال مجاهد: ﴿قوا أنفسكم وأهليكم﴾ [التحريم: ٦] أوصوا أهليكم بتقوى الله وأدبوهم.

• [٤٥٢٢] حدثنا الحميدي، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا يحيى بن سعيد، قال: سمعت عبيد بن حنين، قال: سمعت ابن عباس يقول: كنت أريد أن أسأل عمر بن الخطاب عن المرأتين اللتين تظاهرتا، فمكثت سنة فلم أجد له موضعا حتى خرجت معه حاجا، فلما كنا بظهران ذهب عمر لحاجته، فقال: أدركني بالوضوء فأدركته بالإداوة، فجعلت أسكب عليه الماء ورأيت موضعا، فقلت: يا أمير المؤمنين، من المرأتان اللتان تظاهرتا؟ قال ابن عباس: فما أتممت كلامي حتى قال: عائشة وحفصة.

الشرح

في بعض النسخ فسر المؤلف رحمه الله قوله: ﴿فقد صغت قلوبكما﴾ [التحريم: ٤] يعني: مالت، قال: **«صغوتُ وأصغيتُ»** أي: **«مِلْتُ»**، ومنه قوله تعالى: ﴿ولتصغى﴾ [الأنعام: ١١٣] أي **«لتميل»**.

وفسر المؤلف قوله تعالى: ﴿ظهير﴾ [التحريم: ٤] بأن الظهير: العون، و﴿تظاهرون﴾ [البقرة: ٨٥] يعني: **«تعاونون»**.

• [٤٥٢٢] قوله: **«فجعلت أسكب عليه الماء»** فيه جواز الإعانة في الوضوء، وقد جاء أن النبي ﷺ كان ربما صب عليه الوضوء أحد الصحابة، كما فعل المغيرة بن شعبة في قصة صلاة عبد الرحمن بن عوف بالناس[١].

* * *

(١) البخاري (٥٧٩٩)، ومسلم (٢٧٤)، وقصة صلاة عبد الرحمن بن عوف في مسلم فقط.

المتن

[٣٣٠/ ٥٦] بابٌ

﴿عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ﴾ [التحريم : ٥] الآية

• [٤٥٢٣] حدثنا عمرو بن عون، قال : أخبرنا هشيم، عن حميد، عن أنس، قال : قال عمر : اجتمع نساء النبي ﷺ في الغيرة عليه، فقلت لهن : عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجًا ؛ فنزلت هذه الآية .

الشرح

• [٤٥٢٣] هذا الحديث من المواضع التي وافق فيها عمر ﵁ القرآن فقد قال لزوجات النبي ﷺ : عسى ربه إن طلقكن أن يبدله أزواجا خيرا منكن فنزلت الآية .

ومما وافق فيه عمر القرآن أنه قال : يا رسول الله، لو اتخذت من مقام إبراهيم مصلى فأنزل الله : ﴿وَٱتَّخِذُواْ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة : ١٢٥] .

وكذلك قال : يا رسول الله يدخل على نسائك البر والفاجر فنزلت آية الحجاب .

* * *

المتن

سورة الملك

بسم الله الرحمن الرحيم

التفاوت الاختلاف ، والتفاوت والتفوت واحد .

﴿تَمَيَّزُ﴾ [الملك : ٨] تقطع .

﴿مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك : ١٥] جوانبها .

﴿تَدَّعُونَ﴾ [الملك : ٢٧] وتدعون واحد مثل ﴿تَذَكَّرُونَ﴾ [الصافات : ١٥٥] وتذكرون .

﴿وَنُفُورٍ﴾ [الملك : ٢١] الكفور .

الشرح

هذه الترجمة عقدها المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ لتفسير بعض الكلمات في «**سورة الملك**» ، ولم يذكر فيها حديثًا ؛ لأنه لم يجد حديثًا على شرطه .

قول الله تعالى : ﴿تَبَٰرَكَ ٱلَّذِى بِيَدِهِ ٱلْمُلْكُ﴾ [الملك : ١] تبارك وصف الله لا يوصف بها غيره ، فهو سبحانه المتبارك وعبده المبارك وما يقوله بعض الناس إذا زارهم شخص : تباركت علينا هذا غلط ولا ينبغي أن يقال ، ولكن يقال : تحصل البركة بزيارتك ، أو يقال : أنت رجل مبارك ، أو هذا من البركة التي جعلها الله فيك أو ما شابه ذلك .

قوله : «**التفاوت الاختلاف**» يشير المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ إلى قوله تعالى : ﴿مَّا تَرَىٰ فِى خَلْقِ ٱلرَّحْمَٰنِ مِن تَفَٰوُتٍ﴾ [الملك : ٣] أي : ليس في خلق الله من اختلاف .

قوله : «﴿تَمَيَّزُ﴾ **تقطع**» فسر المؤلف قوله تعالى : ﴿تَكَادُ تَمَيَّزُ مِنَ ٱلْغَيْظِ﴾ [الملك : ٨] أي تكاد النار تَقَطّع من الغيظ على الكفار .

قوله : «﴿مَنَاكِبِهَا﴾ **جوانبها**» فسر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ قوله تعالى : ﴿فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا﴾ [الملك : ١٥] أي : فامشوا في جوانبها ، أي : الأرض ، والمراد العمل والسعي طلبًا للرزق .

قوله : «﴿تَدَّعُونَ﴾ [الملك : ٢٧] **وتدعون واحد مثل** ﴿تَذَّكَّرُونَ﴾ [الصافات :١٥٥] **وتذكرون**» أي : بالتشديد والتخفيف واحد في المعنى .

قوله تعالى : ﴿صَـٰٓفَّـٰتٍ﴾ [الملك : ١٩] قال مجاهد : «**بسط أجنحتهن**» كذا في نسخة .

قوله تعالى : ﴿وَيَقْبِضْنَ﴾ [الملك : ١٩] «**يضربن بأجنحتهن**» .

قوله : «﴿وَنُفُورٍ﴾ **الكفور**» فسر النفور في قوله تعالى : ﴿بَل لَّجُّوا فِي عُتُوٍّ وَنُفُورٍ﴾ [الملك : ٢١] بالكفور ، وذلك على إرادة المعنى أي أنه نفر من شدة كفره .

قوله تعالى : ﴿غَوْرًا﴾ [الملك : ٣٠] يعني : غائرة لا تناها الدلاء .

❊ ❊ ❊

المتن

سورة ﴿نٓۚ وَٱلْقَلَمِ﴾ [القلم: ١]

بسم الله الرحمن الرحيم

وقال قتادة: ﴿عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ [القلم: ٢٥] على جد في أنفسهم.

وقال ابن عباس: ﴿يَتَخَٰفَتُونَ﴾ [القلم: ٢٣] ينتجون السرار والكلام الخفي.

قال ابن عباس: ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾ [القلم: ٢٦] أضللنا مكان جنتنا.

وقال غيره: ﴿كَٱلصَّرِيمِ﴾ [القلم: ٢٠] كالصبح انصرم من الليل والليل انصرم من النهار، وهو أيضا كل رملة انصرمت من معظم الرمل والصريم أيضا المصروم مثل قتيل ومقتول.

الشرح

فسر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ بعض الكلمات في سورة القلم على عادته في تفسير الكلمات التي قد يشكل معناها من أجل أن يفيد طالب العلم، فيكون «الجامع الصحيح» بذلك مشتملًا على التفسير وعلى الحديث وعلى الفقه وعلى اللغة ويكون قد ضرب في كل علم بسهم.

قوله: **«وقال قتادة: ﴿عَلَىٰ حَرْدٍ﴾ [القلم: ٢٥] على جد في أنفسهم»** كلمة حرد ذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ لها أربعة معان: المنع والقصد والغضب والحقد أي غدوا على منع المساكين أو على قصد منعهم أو على غضب أو على حقد على المساكين.

فأصحاب الجنة أرادوا أن يصرموا الثمر بالليل حتى لا يعطوا المساكين منها شيئًا فمشوا إليها سرًّا يتخافتون وتواصوا فيما بينهم ألا يدخل البستان عليكم مسكين، فالله سبحانه وتعالى عاقبهم فأُحرقت هذه الجنة ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ [القلم: ٢٠] يعني سوداء حتى إنهم فيما بينهم ذهلوا، فقالوا: هل أضللنا جنتنا؟ هل هذا هو مكان البستان؟ فإعطاء المساكين والعطف عليهم والرحمة بهم فيه خير عظيم يقول النبي ﷺ في الحديث الصحيح: **«هل تنصرون وترزقون إلا بضعفائكم»**[1] فهؤلاء ظنوا أن الصدقة تنقص المال ولم يعلموا أنه **«ما نقص مال عبد من**

(١) أحمد (١/ ١٧٣)، والبخاري (٢٨٩٦).

صدقة»[1] بل الصدقة تزيده ويبارك الله فيه ويخلف على صاحبه مع الأجر والثواب العظيم وما يحصل من العطف والترابط بين الفقراء والأغنياء كل هذه المصالح فاتت على هؤلاء، كما أن للمساكين حقًّا في أموال الأغنياء؛ ولهذا عاجلهم الله بهذه العقوبة العاجلة في الدنيا.

قوله: **«وقال ابن عباس: ﴿يَتَخَـٰفَتُونَ﴾** [القلم: ٢٣] **يتنجون السرار والكلام الخفي»** يعني أنهم ذهبوا وهم يتكلمون سرًّا فيما بينهم ويتناجون في التواصي بالكتمان وعدم إظهار الصرام حتى لا يأتي المساكين.

قوله: **«قال ابن عباس: ﴿إِنَّا لَضَآلُّونَ﴾** [القلم: ٢٦] **أضللنا مكان جنتنا»** يعني لما جاءوا فوجدوها قد أحرقت دهشوا وذهلوا وقالوا: لقد ضللنا الطريق فليس هذا مكانها.

قوله: **«﴿كَٱلصَّرِيمِ﴾** [القلم: ٢٠] **كالصبح انصرم من الليل والليل انصرم من النهار»** **«انصرم»** أي: ذهب، يعني أصبحت جنتهم كالشيء الذاهب أي: ذهب ثمرها ولم يبق منه شيء.

قوله: **«والصريم أيضًا المصروم مثل قتيل ومقتول»** أي أنه فعيل بمعنى مفعول.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«وقال الفراء: الصريم الليل المسود»**، وهذا هو الأقرب.

ووقع هنا في رواية النسفي **«﴿تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾** [القلم: ٩] **ترخص فيرخصون»** أي أن المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ فسر قوله تعالى: **﴿وَدُّواْ لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾** [القلم: ٩] أي: **«ترخص فيرخصون»**، وجاء من طريق عكرمة قال: ودوا لو تكفر فيكفرون.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: **«سورة ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾** [القلم: ١]، **بسم الله الرحمن الرحيم»** سقطت **«سورة»** والبسملة لغير أبي ذر والمشهور في ﴿نٓ﴾ أن حكمها حكم أوائل السور في الحروف المقطعة وبه جزم الفراء وقيل: بل المراد بها الحوت، وجاء ذلك في حديث ابن عباس أخرجه الطبراني مرفوعًا قال: **«أول ما خلق الله القلم والحوت قال: اكتب قال: ما أكتب؟ قال: كل شيء كائن إلى يوم القيامة ثم قرأ ﴿نٓ وَٱلْقَلَمِ﴾ فالنون الحوت والقلم القلم»**[2]».

---

(١) أحمد (١/ ١٩٣)، ومسلم (٢٥٨٨).

(٢) الطبراني في «الكبير» (١١/ ٤٣٣).

والأقرب أنها من الحروف المقطعة التي ابتدأ الله بها أوائل السور مثل: ﴿قٓ﴾، ﴿صٓ﴾، ﴿الٓمٓ﴾، ﴿الٓر﴾، ﴿الٓمٓر﴾، ﴿الٓمٓصٓ﴾، ﴿كٓهيعٓصٓ﴾، ﴿حمٓ﴾، ﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ﴾.

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: **«وقال قتادة: حرد جد في أنفسهم»** هو بكسر الجيم وتشديد الدال الاجتهاد والمبالغة في الأمر وقال ابن التين: وضبط في بعض الأصول بفتح الجيم قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: كانت الجنة لشيخ وكان يمسك قوته سنة ويتصدق بالفضل وكان بنوه ينهونه عن الصدقة فلما مات أبوهم غدوا عليها فقالوا: لا يدخلنها اليوم عليكم مسكين ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ﴾ [القلم: ٢٥] يقول: على جد من أمرهم قال معمر: وقال الحسن: على فاقة، وأخرج سعيد بن منصور بإسناد صحيح عن عكرمة قال: هم ناس من الحبشة كانت لأبيهم جنة فذكر نحوه إلى أن قال: ﴿وَغَدَوْا عَلَىٰ حَرْدٍ قَٰدِرِينَ﴾ قال: أمر مجتمع وقد قيل في حرد: إنها اسم الجنة وقيل: اسم قريتهم وحكى أبو عبيدة فيه أقوالًا أخرى: القصد والمنع والغضب والحقد».

والصواب أنه يمكن أن تفسر لفظة الحرد على هذه المعاني الأربعة على منع المساكين وعلى قصدهم لذلك المنع وعلى الغضب على المساكين وعلى الحقد عليهم.

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: **«وقال غيره: ﴿كَٱلصَّرِيمِ﴾ [القلم: ٢٠] كالصبح انصرم من الليل والليل انصرم من النهار»** قال أبو عبيدة: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ النهار انصرم من الليل والليل انصرم من النهار وقال الفراء: الصريم الليل المسود قوله: **«وهو أيضا كل رملة انصرمت من معظم الرمل»** هو قول أبي عبيدة أيضًا قال: وكذلك الرملة تنصرم من معظم الرمل فيقال: صريمة، وصريمة أمرك قطعه قوله: **«والصريم أيضا المصروم مثل قتيل ومقتول»** هو محصل ما أخرجه ابن المنذر من طريق شيبان عن قتادة في قوله: ﴿فَأَصْبَحَتْ كَٱلصَّرِيمِ﴾ [القلم: ٢٠] كأنها قد صرمت والحاصل أن الصريم مقول بالاشتراك على معان يرجع جميعها إلى انفصال شيء عن شيء ويطلق أيضًا على الفعل فيقال: صريم بمعنى مصروم».

***

المتن

[٣٣١/ ٥٦] باب ﴿عُتُلٍّ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣]

• [٤٥٢٤] حدثني محمود، حدثنا عبيدالله بن موسى، عن إسرائيل، عن أبي حصين، عن مجاهد، عن ابن عباس: ﴿عُتُلٍّ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣] قال: رجل من قريش له زنمة مثل زنمة الشاة.

• [٤٥٢٥] حدثنا أبو نعيم، حدثنا سفيان، عن معبد بن خالد، قال: سمعت حارثة بن وهب الخزاعي، قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعَّف لو أقسم على الله لأبره، ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عُتُلٍّ جواظ مستكبر»**.

الشرح

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: **«باب ﴿عُتُلٍّ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾** [القلم: ١٣]» اختلف في الذي نزلت فيه فقيل: هو الوليد بن المغيرة وذكره يحيى بن سلام في «تفسيره» وقيل: الأسود بن عبد يغوث ذكره سنيد بن داود في «تفسيره» وقيل: الأخنس بن شريق وذكره السهيلي عن القتيبي وحكى هذين القولين الطبري فقال: يقال: هو الأخنس وزعم قوم أنه الأسود وليس به وأبعد من قال: إنه عبدالرحمن بن الأسود فإنه يصغر عن ذلك وقد أسلم وذكر في الصحابة».

وعلى كل حال، فالعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، فإن كان هو الوليد بن المغيرة – أو كان غيره – فالآية تشمله وتشمل كل من اتصف بهذا الوصف.

• [٤٥٢٤] هذا الحديث في تفسير قول الله تعالى: ﴿وَلَا تُطِعۡ كُلَّ حَلَّافٖ مَّهِينٍ ۝ هَمَّازٖ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٖ ۝ مَّنَّاعٖ لِّلۡخَيۡرِ مُعۡتَدٍ أَثِيمٍ ۝ عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم ١٠ – ١٣].

قوله: ﴿عُتُلِّۭ بَعۡدَ ذَٰلِكَ زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٣] الزنيم فسره ابن عباس في الحديث بأنه: **«رجل من قريش له زنمة مثل زنمة الشاة»**.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: **«رجل من قريش له زنمة مثل زنمة الشاة»** زاد أبو نعيم في «مستخرجه» في آخره: **«يعرف بها»** وفي رواية سعيد بن جبير المذكورة: يعرف بالشر كما

تعرف الشاة بزنمتها وللطبري من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: نعت فلم يعرف حتى قيل: زنيم فعرف وكانت له زنمة في عنقه يعرف بها وقال أبو عبيدة: الزنيم المعلق في القوم ليس منهم قال الشاعر:

زنيم ليس يعرف من أبوه

وقال حسان:

وأنت زنيم نيط في آل هاشم

قال: ويقال للتيس: زنيم له زنمتان».

وقوله: ﴿حَلَّافٍ مَّهِينٍ﴾ [القلم: ١٠] الحلاف: كثير الحلف، والمهين: الحقير.

قوله: ﴿هَمَّازٍ مَّشَّآءِۭ بِنَمِيمٍ﴾ [القلم: ١١] الهماز: كثير الهمز. والمشاء بنميم: الذي يمشي بالنميمة في الناس.

قوله: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ [القلم: ١٢] كثير منع الخير.

قوله: ﴿مُعْتَدٍ﴾ [القلم: ١٢] وصف بالعدوان يعني يعتدي على الناس في دمائهم وأموالهم وأعراضهم أو يعتدي على محارم الله.

قوله: ﴿أَثِيمٍ﴾ [القلم: ١٢] يعني كثير الإثم.

• [٤٥٢٥] قوله: **«ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف»** المراد أن هذا وصف للأغلب وليس المراد أن أهل الجنة كلهم هكذا بل يدخل الجنة من الأغنياء الكثير مثل أغنياء الصحابة كأبي بكر الصديق وعثمان بن عفان وعبدالرحمن بن عوف والزبير فهؤلاء مشهود لهم بالجنة، فليس المراد من الحديث الحصر، ولكن المراد أن هؤلاء أغلب أهل الجنة؛ لأن الأغنياء والكبراء والأشراف في الغالب يردون الحق ولا يقبلونه لما عندهم من كبر؛ لأن الحق يمنعهم من الاستمرار في شهواتهم ويمنعهم من العظمة والكبرياء بخلاف الضعفاء فالغالب أنهم ليس عندهم مانع من اتباع الحق ولهذا كانوا هم أتباع الرسل؛ ولهذا قال قوم نوح عليه السلام له: ﴿قَالُوٓاْ أَنُؤْمِنُ لَكَ وَٱتَّبَعَكَ ٱلْأَرْذَلُونَ﴾ [الشعراء: ١١١] يعني: الضعفاء، ولما سأل هرقل أبا سفيان قبل أن يسلم عن أتباع النبي ﷺ قال: أيتبعه ضعفاء الناس أم شرفاؤهم؟ قال: ضعفاؤهم يعني في الغالب وإلا فقد تبعه أبو بكر وهو من الأشراف.

قوله : **«متضعَّف»** بفتح العين ، وفي لفظ آخر بكسرها ، والكسر أفصح ، يعني : متصف بالضعف ، وفي لفظ آخر : **«مدفوع بالأبواب»**(١) وفي الحديث الآخر : **«إن شفع لم يشفع وإذا استأذن لم يؤذن له»**(٢) أي : إذا استأذن على الكبراء لم يؤذن له ؛ لأنه ليس له مكانة بين الناس .

قوله : **«لو أقسم على الله لأبره»** يعني : هذا الضعيف من أهل التقوى والصلاح له مكانة عند الله ﷻ وإن لم تكن له منزلة عند الناس فلو أقسم على الله لأبر قسمه .

قوله : **«ألا أخبركم بأهل النار؟ كل عُتُلٍّ جواظ مستكبر»** أي : هذه أوصاف غالب أهل النار وهناك من أهل النار من لم يتصف بهذه الأوصاف لكنه اتصف بالكفر ، فبعض الكفار يدخل النار بسبب الكبر فغمط الحق ولم يقبله - مثل اليهود منعهم كبرهم من اتباع النبي ﷺ - وبعض الكفار يدخل النار بإشراكه مع الله ﷻ غيره فعَبَدَ الله وعبد معه غيره .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «قوله : **«ألا أخبركم بأهل الجنة؟ كل ضعيف متضعف»** بكسر العين وبفتحها وهو أضعف وفي رواية الإسماعيلي : **«مستضعف»**(٣) وفي حديث عبد الله بن عمرو عند الحاكم : **«الضعفاء المغلوبون»**(٤) وله من حديث سراقة بن مالك **«الضعفاء المغلوبون»**(٥) ولأحمد من حديث حذيفة : **«الضعيف المستضعف ذو الطمرين لا يؤبه له»**(٦) والمراد بالضعيف من نفسه ضعيفة لتواضعه وضعف حاله في الدنيا والمستضعف المحتقر لخموله في الدنيا» .

فالمراد بالضعيف الضعيف في نفسه ، والضعيف بتواضعه لضعف حاله ، وهو مستضعف ومحتقر لخموله في الدنيا فليس بمعروف وليست له مكانة بين الناس ولكن له مكانة عند الله ، وهذا يوجد كثيرًا فلو فتشت في الناس لوجدت بعض الأتقياء ليس معروفًا فقد يكون فلاحًا

---

(١) مسلم (٢٦٢٢) .
(٢) البخاري (٢٨٨٧) .
(٣) ابن ماجه (٤١١٥) .
(٤) الحاكم (٢/ ٥٤١) ، وأحمد (٢/ ٢١٤) .
(٥) الحاكم (١/ ١٢٩) .
(٦) أحمد (٥/ ٤٠٧) .

وقد يكون تاجرا وقد يكون عاملًا أو حدادًا أو خرازًا أو سباكًا والناس لا يرون له وزنًا، ولكنه تقي صادق ومخلص ورع متواضع ومؤمن ناصح.

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «**عتل**» بضم المهملة والمثناة بعدها لام ثقيلة، قال الفراء: الشديد الخصومة، وقيل: الجافي عن الموعظة، وقال أبو عبيدة: العتل الفظ الشديد من كل شيء وهو هنا الكافر، وقال عبدالرزاق عن معمر عن الحسن العتل الفاحش الآثم وقال الخطابي: العتل الغليظ العنيف، وقال الداودي: السمين العظيم العنق والبطن، وقال الهروي: الجموع المنوع، وقيل: القصير البطن، قلت: وجاء فيه حديث عند أحمد من طريق عبد الرحمن بن غنم - وهو مختلف في صحته - قال: سئل رسول الله ﷺ عن العتل الزنيم قال: «**هو الشديد الخلق المصحح الأكول الشروب الواجد للطعام والشراب الظلوم للناس الرحيب الجوف**»[(١)].

قوله: «**جواظ**» بفتح الجيم وتشديد الواو وآخره معجمة: الكثير اللحم المختال في مشيه حكاه الخطابي، وقال ابن فارس: قيل: هو الأكول، وقيل: الفاجر، وأخرج هذا الحديث أبو داود عن عثمان بن أبي شيبة عن وكيع عن الثوري بهذا الإسناد مختصرًا: «**لا يدخل الجنة الجواظ ولا الجعظري**»[(٢)] قال: و«**الجواظ**» الفظ الغليظ انتهى. وتفسير «**الجواظ**» لعله من سفيان و«**الجعظري**» بفتح الجيم والظاء المعجمة بينهما عين مهملة وآخره راء مكسورة ثم تحتانية ثقيلة قيل: هو الفظ الغليظ، وقيل: الذي لا يمرض، وقيل: الذي يتمدح بما ليس فيه أو عنده، وأخرجه الحاكم من حديث عبد الله بن عمرو أنه تلا قوله تعالى: ﴿مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ﴾ إلى ﴿زَنِيمٍ﴾ [القلم: ١٢، ١٣] فقال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «**إن أهل النار كل جعظري جواظ مستكبر**»[(٣)]».

ولا شك أن بعض هذه الأقوال ليست بشيء كقوله: القصير البطن، وكذلك قوله: السمين العظيم العنق والبطن، فالمراد الأفعال والأخلاق السيئة من الغلظة والجفاء والعنف والشدة، أما

---

(١) أحمد (٤/ ٢٢٧).

(٢) أبو داود (٤٨٠١).

(٣) الحاكم (٢/ ٥٤١).

السمن وعظم العنق فهذا قد يكون وقد لا يكون؛ فقد يحصل السمن بسبب تنعمه في دنياه وعدم اهتمامه بالآخرة كما قال تعالى: ﴿**يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ ٱلْأَنْعَٰمُ وَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ**﴾ [محمد: ١٢]، وكما في الحديث: «**ويظهر فيهم السمن**»(١) وقد يكون السمن خلقة وهو مؤمن مستقيم كما وجد في بعض الصحابة فعتبان بن مالك رضي الله عنه كان رجلًا ضخمًا.

* * *

(١) أحمد (٤/ ٤٢٧)، والبخاري (٢٦٥١)، ومسلم (٢٥٣٥).

المتن

[٣٣٢/ ٥٦] باب

﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ وَيُدْعَوْنَ إِلَى ٱلسُّجُودِ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ﴾ [القلم: ٤٢]

• [٤٥٢٦] حدثنا آدم، قال: حدثنا الليث، عن خالد بن يزيد، عن سعيد بن أبي هلال، عن زيد بن أسلم، عن عطاء بن يسار، عن أبي سعيد قال: سمعت النبي ﷺ يقول: **«يكشف ربنا عن ساقه، فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة، فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقا واحدا»**.

الشرح

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: **«باب ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾** [القلم: ٤٢]» أخرج أبو يعلى بسند فيه ضعف عن أبي موسى مرفوعًا في قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: عن نور عظيم فيخرون له سجدًا وقال عبدالرزاق عن معمر عن قتادة في قوله: ﴿يَوْمَ يُكْشَفُ عَن سَاقٍ﴾ قال: عن شدة أمر وعند الحاكم من طريق عكرمة عن ابن عباس قال: هو يوم كرب وشدة».

نقول: لا منافاة بين إثبات الساق لله ﷻ وبين رؤية النور العظيم على هذا الحديث، ولا بينه وبين ما يكون في يوم القيامة من شدة وكرب فهو يوم عظيم، وليس هناك يوم أشد من يوم القيامة حتى إن الناس يعرقون من شدة الكرب والأهوال منهم من يبلغ به العرق إلى حقويه ومنهم إلى ركبتيه ومنهم من يلجمه العرق إلجامًا(١) ومنهم من يخوض في عرقه كالسيل وهذا لا ينافي إثبات الساق لله ﷻ فالأمر شديد يوم القيامة والوصف ثابت لله ﷻ.

• [٤٥٢٦] الاستدلال بهذا الحديث على الترجمة فيه إشارة من البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ إلى أن الآية المراد بها الوصف فيكون في الحديث وفي الآية إثبات صفة الساق لله ﷻ على رغم أنوف الجهمية والمعتزلة والأشاعرة، كما تثبت اليد والأصابع لله ﷻ كما يليق به سبحانه وتعالى، وعند أهل السنة تمر الصفات كما جاءت ولا يتعرض لها بتأويل ولا تكييف ولا تحريف ولا تمثيل مع الإيمان بألفاظها وإثبات معانيها.

---

(١) أحمد (٣/٦)، ومسلم (٢٨٦٤).

قوله: «**يكشف ربنا عن ساقه**» صريح في إثبات الساق لله ﷻ، والضمير يعود إلى الله، والآية وإن كانت ليس فيها إضافة لله ﷻ لكن السياق يدل على أن المراد الوصف.

والكشف عن الساق علامة بين الله وبين المؤمنين يعرفون بها ربهم، فإذا كشف عن ساقه خروا له سجدًا جاء هذا في حديث عن أبي سعيد رضي الله عنه [1] ذكر هذا القول الحكيم الترمذي ونقل هذا الحديث العيني في هذا الموضع.

وتأول بعضهم قوله: ﴿يُكۡشَفُ عَن سَاقٖ﴾ [القلم: ٤٢] بشدة الأمر كما يقال: كشفت الحرب عن ساقها وهذا ليس بشيء والصواب إثبات الساق لله ﷻ على ما يليق به سبحانه وتعالى. والحديث فسر الآية فالسنة تفسر القرآن وتوضحه.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قال الخطابي: فيكون المعنى يكشف عن قدرته التي تنكشف عن الشدة والكرب، وذكر غير ذلك من التأويلات، كما سيأتي بيانه عند حديث الشفاعة مستوفى في كتاب الرقاق – إن شاء الله تعالى – ووقع في هذا الموضع «**يكشف ربنا عن ساقه**»، وهو من رواية «**سعيد بن أبي هلال عن زيد بن أسلم**» فأخرجها الإسماعيلي كذلك ثم قال في قوله: «**عن ساقه**» نكرة ثم أخرجه من طريق حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم بلفظ: «**يكشف عن ساق**»[2] قال الإسماعيلي: هذه أصح لموافقتها لفظ القرآن في الجملة لا يظن أن الله ذو أعضاء وجوارح لما في ذلك من مشابهة المخلوقين تعالى الله عن ذلك ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞ﴾ [الشورى: ١١]».

فالخطابي تأول الصفة بكشف القدرة التي تنكشف عن الشدة والكرب، وكذلك الإسماعيلي أحد رواة البخاري لا يظن أن الله ذو أعضاء وجوارح لما في ذلك من مشابهة المخلوقين، فماذا يضيره لو أثبت الصفة وسكت؟! فهؤلاء العلماء الكبار الخطابي والإسماعيلي والنووي والحافظ ابن حجر رحمهم الله الذين لا يصل الإنسان إلى عشر معشارهم من العلم يغلطون ويخطئون؛ لأنهم قد قلدوا علماء كبارًا وأخذوا عنهم، فتقليد الأكابر والشيوخ له تأثير عظيم، والواجب اتباع ما عليه السلف من الصحابة والتابعين ومن بعدهم من الأئمة الأربعة ومن وافقهم

---

(١) أحمد (٣/ ١٦)، والبخاري (٧٤٤٠)، ومسلم (١٨٣).

(٢) أبو عوانة في «مسنده» (١/ ١٤٦).

كسفيان الثوري والليث بن سعد وغيرهم فإنهم أثبتوا الصفات لله ﷻ قبل مجيء هؤلاء والواجب اتباع الحق والأخذ به ولو خالف هؤلاء الأكابر من المتأخرين؛ ولهذا قال عبدالله بن مسعود لعمرو بن ميمون الأودي ما معناه: الزم الحق ولو خالفك الناس كلهم، وقيل: إذا كنت على الحق فأنت الجماعة ولو كنت وحدك، هذا نقله ابن عساكر أنه ثابت عن عبدالله بن مسعود، فينبغي لطالب العلم أن يحذر تأويلات هؤلاء الشراح فإنهم على الرغم من سعة علمهم في الفقه والحديث وفي اللغة وفي الرجال لكنهم غلطوا في هذه المسائل العظيمة في العقيدة والتوحيد والصفات نسأل الله أن يعفو عنا وعنهم وأن يغفر لنا ولهم ونسأل الله أن يثبتنا على دينه القويم على عقيدة أهل السنة والجماعة وعلى ما دل عليه كتاب الله وسنة رسوله ﷺ.

قوله: **«فيسجد له كل مؤمن ومؤمنة ويبقى كل من كان يسجد في الدنيا رياء وسمعة فيذهب ليسجد فيعود ظهره طبقًا واحدًا»** هؤلاء هم المنافقون؛ لأنهم يسجدون رياءً.



المتن

سورة الحاقة

بسم الله الرحمن الرحيم

وقال ابن جبير : ﴿عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ﴾ [الحاقة : ٢١] يريد فيها الرضا .

و﴿ٱلْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة : ٢٧] الموتة الأولى التي متها لن أحيا بعدها .

﴿مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَـٰجِزِينَ﴾ [الحاقة : ٤٧] أحد يكون للجميع وللواحد .

وقال ابن عباس : ﴿ٱلْوَتِينَ﴾ [الحاقة : ٤٦] نياط القلب .

وقال ابن عباس : ﴿طَغَى﴾ [الحاقة : ١١] كثر .

ويقال : ﴿بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة : ٥] و﴿طُغْيَـٰنِهِمْ﴾ [البقرة : ١٥] .

ويقال : طغت على الخزان كما طغى الماء على قوم نوح .

الشرح

هذه الترجمة تفسير لبعض الكلمات في «سورة الحاقة» ، لم يذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديثًا في هذا لأنه لم يجد على شرطه حديثًا .

قوله تعالى : ﴿ٱلْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة : ١] الحاقة اسم من أسماء يوم القيامة .

قوله : ﴿مَا ٱلْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة : ٢] استفهام للتعظيم .

قوله : ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْحَاقَّةُ﴾ [الحاقة : ٣] تفخيم من الله لشأنها وعظمها .

قوله : **«و﴿ٱلْقَاضِيَةَ﴾ الموتة الأولى التي متها لن أحيا بعدها»** أي : فسر قوله تعالى : ﴿يَـٰلَيْتَهَا كَانَتِ ٱلْقَاضِيَةَ﴾ [الحاقة : ٢٧] يعني يقول : يا ليتني مت ولم أحي بعدها .

قوله : ﴿وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ ٱلْأَقَاوِيلِ﴾ [الحاقة : ٤٤] يعني : لو كذب الرسول ﷺ على الله لعاجله الله بالعقوبة ولا أحد يمنعه من الله ، وهو معصوم ﷺ وجميع الأنبياء من الكذب ، لكن الشرط هنا تقديري كقوله تعالى : ﴿لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ﴾ [الزمر : ٦٥] وهو معصوم من الشرك ﷺ .

قوله : ﴿فَمَا مِنكُم مِّنْ أَحَدٍ عَنْهُ حَاجِزِينَ﴾ [الحاقة : ٤٧] يعني لا أحد يمنعه من الله ﷻ .

قوله : «﴿ٱلْوَتِينَ﴾ نياط القلب» فسر ابن عباس قوله تعالى : ﴿ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ ٱلْوَتِينَ﴾ [الحاقة : ٤٦] بأن الوتين نياط القلب وهو عرق في القلب إذا قطع مات الإنسان من ساعته .

قوله : «﴿طَغَىٰ﴾ كثر» أي في قوله تعالى : ﴿إِنَّا لَمَّا طَغَا ٱلْمَآءُ حَمَلْنَٰكُمْ فِى ٱلْجَارِيَةِ﴾ [الحاقة : ١١] . والجارية : السفينة .

قوله : «﴿بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ و﴿طُغْيَٰنِهِمْ﴾ [البقرة : ١٥] **ويقال : طغت على الخزان كما طغى الماء على قوم نوح**» هذا ذكره المؤلف رحمه الله في تفسير قوله تعالى : ﴿فَأُهْلِكُوا۟ بِٱلطَّاغِيَةِ﴾ [الحاقة : ٥] .

فسر في بعض النسخ بعض الآيات منها قوله تعالى : ﴿فَهَلْ تَرَىٰ لَهُم مِّنۢ بَاقِيَةٍ﴾ [الحاقة : ٨] أي : من «**بقية**» .

قوله تعالى : ﴿وَلَا طَعَامٌ إِلَّا مِنْ غِسْلِينٍ﴾ [الحاقة : ٣٦] الغسلين : طعام أهل النار وهو «**ما يسيل من صديد أهل النار**» ، ويقال : «**كل شيء غسلته فخرج منه شيء فهو غسلين**» ، وغسلين على وزن «**فعلين**» .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : «لم يذكر في تفسير الحاقة حديثًا مرفوعًا ويدخل فيه حديث جابر قال : قال رسول الله ﷺ : «**أذن لي أن أحدث عن ملك من حملة العرش ما بين شحمة أذنه إلى عاتقه مسيرة سبعمائة عام**»[1] أخرجه أبو داود وابن أبي حاتم من رواية إبراهيم بن طهمان عن محمد بن المنكدر وإسناده على شرط الصحيح» .

* * *

(١) أبو داود (٤٧٢٧) ، وابن أبي حاتم في تفسير سورة الحاقة (١٠/ ٣٣٧٠) .

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ﴾ [المعارج : ١]

والفصيلة أصغر آبائه القربىٰ إليه ينتهي .

﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ [المعارج : ١٦] اليدان والرجلان والأطراف وجلدة الرأس يقال لها : شواة ، وما كان غير مقتل فهو شوىٰ .

﴿عِزِينَ﴾ [المعارج : ٣٧] حلق وجماعات واحدها عزة .

الشرح

هذه الكلمات في تفسير سورة ﴿سَأَلَ سَآئِلُۢ بِعَذَابٍ وَاقِعٍ﴾ [المعارج : ١] وهي سورة المعارج .

قوله : «**والفصيلة أصغر آبائه القربىٰ إليه ينتهي**» إشارة إلىٰ قوله تعالىٰ : ﴿وَفَصِيلَتِهِ ٱلَّتِى تُـْٔوِيهِ﴾ [المعارج : ١٣] والمراد أن في يوم القيامة يود الإنسان لو يفتدي من العذاب بآبائه وأقاربه ويسلم من العذاب .

وقوله تعالىٰ : ﴿لَظَىٰ﴾ [المعارج : ١٥] اسم من أسماء النار .

قوله : «**﴿نَزَّاعَةً لِّلشَّوَىٰ﴾ [المعارج : ١٦] اليدان والرجلان والأطراف وجلدة الرأس يقال لها : شواة ، وما كان غير مقتل فهو شوىٰ**» المعنىٰ أنهم يعذبون في النار فتشوي أطرافهم وجلود رأسهم .

قوله : «**﴿عِزِينَ﴾ حلق وجماعات واحدها عزة**» هذا تفسير قوله تعالىٰ : ﴿عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ عِزِينَ﴾ [المعارج : ٣٧] .

قوله تعالىٰ : ﴿يَوْمَ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ﴾ [المعارج : ٤٣] أي : من قبورهم .

قوله تعالىٰ : ﴿سِرَاعًا﴾ [المعارج : ٤٣] أي : شديدي السرعة .

قوله : ﴿كَأَنَّهُمْ إِلَىٰ نُصُبٍ يُوفِضُونَ﴾ [المعارج : ٤٣] النصب : الشيء المنصوب ، وفي بعض النسخ : «**الإيفاض : الإسراع**» ، فهم يسرعون في خروجهم من قبورهم يوم القيامة ، وفي إجابة الداعي كأنهم في شدة سرعتهم يتسابقون إلىٰ شيء منصوب .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «قوله : «**سورة** ﴿سَأَلَ سَآئِلٌ﴾ [المعارج : ١]» سقطت البسملة للجميع . قوله : «**الفصيلة أصغر آبائه القربىٰ إليه ينتمي**» هو قول الفراء ، وقال أبو عبيدة : الفصيلة دون القبيلة ثم الفصيلة فخذه التي تؤويه ، وقال عبد الرزاق عن معمر : بلغني أن فصيلته أمه التي أرضعته ، وأغرب الداودي فحكىٰ أن الفصيلة من أسماء النار . قوله : «﴿لِلشَّوَىٰ﴾ [المعارج : ١٦] **اليدان والرجلان والأطراف وجلدة الرأس يقال لها : شواة وما كان غير مقتل فهو شوىٰ**» هو كلام الفراء بلفظه أيضًا وقال أبو عبيدة : الشوىٰ واحدتها شواة وهي اليدان والرجلان والرأس من الآدميين قال : وسمعت رجلًا من أهل المدينة يقول : اقشعرت شواتي قلت له : ما معناه؟ قال : جلدة رأسي والشوىٰ قوائم الفرس يقال : عبل الشوىٰ ولا يراد في هذا الرأس لأنهم وصفوا الخيل بأسالة الخدين ورقة الوجه» .



المَتْن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة نوح عليه السلام

﴿أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤] طورا كذا وطورا كذا، يقال: عدا طوره أي قدره.

والكبار أشد من الكبار، وكذلك جمال وجميل؛ لأنها أشد مبالغة.

وقال ابن عباس: ﴿وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣] عظمة، وقال غيره: كُبَّار الكبير، وكذلك كُبارٌ الكبير بالتخفيف، والعرب تقول: رجل حسان وجمال وحسان مخفف وجمال مخفف.

﴿دَيَّارًا﴾ [نوح: ٢٦] من دور ولكنه فيعال من الدوران كما قرأ عُمر رضي الله عنه: الحي القيام، وهي من قمت.

وقال غيره: ﴿دَيَّارًا﴾ أحدًا.

﴿إِلَّا تَبَارًا﴾ [نوح: ٢٨] هلاكا.

قال ابن عباس: ﴿مِّدْرَارًا﴾ [نوح: ١١] يتبع بعضها بعضا.

الشَّرْح

قوله: «﴿أَطْوَارًا﴾ [نوح: ١٤] **طورًا كذا وطورًا كذا، يقال: عدا طوره أي قدره**» يعني أن الإنسان خلق طورًا بعد طور: نطفة ثم علقة ثم مضغة ثم يكمل خلقه بعد ذلك، فإذا خرج للحياة يكون طفلًا ثم صبيًا ثم شابًا ثم كهلًا ثم شيخًا.

قوله: «**والكبار أشد من الكبار، وكذلك جمال وجميل؛ لأنها أشد مبالغة**» يعني الكبَّار بالتشديد أشد من الكبار بالتخفيف؛ لأنه مضعف فزيادة المبنى تدل على زيادة المعنى.

قوله «**وقال ابن عباس: ﴿وَقَارًا﴾ عظمة**»: أي فسر ابن عباس رضي الله عنهما قوله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا﴾ [نوح: ١٣] يعني: ما لكم لا تعظمون الله وتوقرونه.

قوله : «**وقال غيره : كُبَّار الكبير وكذلك كبار الكبير بالتخفيف والعرب تقول : رجل حسان وجمال وحسان مخفف وجمال مخفف**» يعني : العرب تقول هذه الألفاظ بالتخفيف والتشديد ، والمضعّف أبلغ ؛ لأن التضعيف زيادة في المبنى فيدل على زيادة المعنى .

قوله : «**﴿دَيَّارًا﴾** [نوح : ٢٦] **من دور ولكنه فيعال من الدوران**» المعنى : لا تترك منهم أحدًا يدور ويمشي ، وذلك بعد أن مكث فيهم ألف سنة إلا خمسين عامًا ثم أخبره الله ﷻ بأنه لن يؤمن أحد منهم في المستقبل كما قال تعالى : **﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُۥ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلَّا مَن قَدْ ءَامَنَ﴾** [هود : ٣٦] فدعا عليهم بالهلاك ، فاستجاب الله له وأمره أن يصنع السفينة وأن يركب فيها هو ومن آمن ، وأغرق الله أهل الأرض .

قوله : «**كما قرأ عُمر** ؓ : **الحي القيام ، وهي من قمت**» يعني في قوله تعالى : **﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾** [آل عمران : ٢] .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وقد أخرج أبو عبيدة في «فضائل القرآن» من طريق يحيى بن عبد الرحمن بن حاطب عن أبيه عن عمر أنه صلى العشاء الآخرة فاستفتح آل عمران فقرأ : «**الله لا إله إلا هو الحي القيام**»» .

قوله : «**﴿إِلَّا تَبَارًا﴾** [نوح : ٢٨] **هلاكًا**» لأنهم لم يقبلوا الحق .

قوله : «**﴿مِّدْرَارًا﴾** [نوح : ١١] **يتبع بعضها بعضًا**» فسرها ابن عباس بأن الله ﷻ يرسل عليهم مطرًا كثيرًا يتبع بعضه بعضًا .

***

المَتْنُ

[٣٣٣/ ٥٦] **باب** ﴿وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ﴾ [نوح: ٢٣]

• [٤٥٢٧] حدثني إبراهيم بن موسى، قال: أخبرنا هشام، عن ابن جريج، وقال عطاء، عن ابن عباس: صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد، أما ود كانت لكلب بدُومَة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غُطَيْف بالجَوْف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لِحمْيَر لآل ذي الكلاع، أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم، ففعلوا، فلم تعبد حتى إذا هلك أولئك وتُنُسِّخ العلم عبدت.

الشَّرْحُ

• [٤٥٢٧] قوله: **«صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد»** يعني هذه الأصنام نفسها التي كانت في قوم نوح انتقلت إلى العرب في الجاهلية قبل بعثة النبي ﷺ وهي: ود وسواع ويغوث ويعوق ونسر.

ولكن كيف عادت هذه الأصنام إلى العرب وهي منذ قوم نوح؟!

قيل: إن هذه الأصنام سفت عليها الريح وصارت تحت الأرض ثم سعى الشيطان وجنوده من الكهان على استخراجها لما انتشر الشرك بين العرب في الجاهلية.

وقيل: إن هذه الأصنام ليست هي أصنام قوم نوح نفسها ولكن العرب نصبوا أصنامًا وسموها بأسمائهم فوافقتها في الاسم.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعد» في رواية عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: كانت آلهة تعبدها قوم نوح ثم عبدتها العرب بعد، وقال أبو عبيدة: وزعموا أنهم كانوا مجوسًا وأنها غرقت في الطوفان فلما نضب الماء عنها أخرجها إبليس فبثها في الأرض انتهى. وقوله: كانوا مجوسًا غلط فإن المجوسية كلمة حدثت بعد ذلك بدهر طويل وإن كان الفرس يدعون خلاف ذلك، وذكر السهيلي في التعريف أن يغوث هو ابن شيث بن آدم فيما قيل، وكذلك سواع وما بعده، وكانوا يتبركون بدعائهم فلما

مات منهم أحد مثلوا صورته وتمسحوا بها إلى زمن مهلائيل فعبدوها بتدريج الشيطان لهم، ثم صارت سنة في العرب في الجاهلية، ولا أدري من أين سرت لهم تلك الأسماء من قبل الهند؟ فقد قيل: إنهم كانوا المبدأ في عبادة الأصنام بعد نوح أم الشيطان ألهم العرب ذلك؟ انتهى. وما ذكره مما نقله تلقاه من «تفسير بقي بن مخلد» فإنه ذكر فيه نحو ذلك على ما نبه عليه ابن عساكر في «ذيله»، وفيه أن تلك الأسماء وقعت إلى الهند فسموا بها أصنامهم ثم أدخلها إلى أرض العرب عمرو بن لحي، وعن عروة بن الزبير أنهم كانوا أولاد آدم لصلبه وكان ودّ أكبرهم وأبرهم به، وهكذا أخرجه عمر بن شبة في «كتاب مكة» من طريق محمد بن كعب القرظي قال: كان لآدم خمسة بنين فسماهم قال: وكانوا عبادًا فمات رجل منهم فحزنوا عليه فجاء الشيطان فصوره لهم ثم قال للآخر... إلى آخر القصة، وفيها: فعبدوها حتى بعث الله نوحًا ومن طريق أخرى أن الذي صوره لهم رجل من ولد قابيل بن آدم، وقد أخرج الفاكهي من طريق ابن الكلبي قال: كان لعمرو بن ربيعة رئي من الجن فأتاه فقال: أجب أبا ثمامه وادخل بلا ملامه ثم ائت سيف جده تجد بها أصنامًا معده ثم أوردها تهامة ولا تهب ثم ادع العرب إلى عبادتها تجب، قال: فأتى عمرو ساحل جدة فوجد بها ودًّا وسواعًا ويغوث ويعوق ونسرًا وهي الأصنام التي عبدت على عهد نوح وإدريس ثم إن الطوفان طرحها هناك فسفى عليها الرمل فاستثارها عمرو وخرج بها إلى تهامة وحضر الموسم فدعا إلى عبادتها فأجيب وعمرو بن ربيعة هو عمرو بن لحي كما تقدم».

قوله: **«أما ود كانت لكلب بدُومَة الجندل، وأما سواع فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غُطَيْف بالجوف عند سبأ، وأما يعوق فكانت لهمدان، وأما نسر فكانت لِحِمْيَر لآل ذي الكلاع»** فيه دليل على حرص الشيطان وسعيه هو وجنوده من الكهان إلى إعادة هذه الأوثان.

قوله: **«أسماء رجال صالحين من قوم نوح»** يعني أصل هذه الأصنام رجال صالحون من قوم نوح: رجل اسمه ود ورجل اسمه سواع ورجل اسمه يغوث ورجل اسمه يعوق ورجل اسمه نسر.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قوله: **«أما ود فكانت لكلب بدومة الجندل»** قال ابن إسحاق: وكان لكلب بن وبرة بن قضاعة قلت: وبرة هو ابن تغلب بن عمران بن الحاف بن قضاعة ودومة بضم الدال والجندل بفتح الجيم وسكون النون مدينة من الشام مما يلي العراق».

ودومة الجندل الآن هي مدينة معروفة في الجوف تابعة للمملكة.

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «**وود**» بفتح الواو وقرأها نافع وحده بضمها «**وأما سواع فكانت لهذيل**» زاد أبو عبيدة: ابن مدركة بن إلياس بن مضر وكانوا بقرب مكة وقال ابن إسحاق: كان سواع بمكان لهم يقال له: رهاط بضم الراء وتخفيف الهاء من أرض الحجاز من جهة الساحل. قوله: «**وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطيف**» في مرسل قتادة فكانت لبني غطيف بن مراد، وهو غطيف بن عبد الله بن ناجية بن مراد، وروى الفاكهي من طريق ابن إسحاق قال: كانت أنعم من طيئ وجرش بن مذحج اتخذوا يغوث لجرش. قوله: «**بالجرف**» في رواية أبي ذر عن غير الكشميهني بفتح الحاء وسكون الواو، وله عن الكشميهني الجرف بضم الجيم والراء، وكذا في مرسل قتادة، وللنسفي بالجون بجيم ثم واو ثم نون، زاد غير أبي ذر: عند سبأ. قوله: «**وأما يعوق فكانت لهمدان**» قال أبو عبيدة: لهذا الحي من همدان ولمراد بن مذحج، وروى الفاكهي من طريق ابن إسحاق قال: كانت خيوان بطن من همدان اتخذوا يعوق بأرضهم. قوله: «**وأما نسر فكانت لحمير لآل ذي الكلاع**» في مرسل قتادة لذي الكلاع من حمير، زاد الفاكهي من طريق أبي إسحاق اتخذوه بأرض حمير. قوله: «**ونسر أسماء قوم صالحين من قوم نوح**» كذا لهم وسقط لفظ «**ونسر**» لغير أبي ذر وهو أولى وزعم بعض الشراح أن قوله: «**ونسر**» غلط وكذا قرأت بخط الصدفي في هامش نسخته ثم قال هذا الشارح: والصواب وهي، قلت: ووقع في رواية محمد بن ثور بعد قوله: وأما نسر فكانت لآل ذي الكلاع قال: ويقال: هذه أسماء قوم صالحين وهذا أوجه الكلام وصوابه وقال بعض الشراح: محصل ما قيل في هذه الأصنام قولان: **أحدهما**: أنها كانت في قوم نوح، **والثاني**: أنها كانت أسماء رجال صالحين إلى آخر القصة، قلت: بل مرجع ذلك إلى قول واحد قصة الصالحين كانت مبتدأ عبادة قوم نوح هذه الأصنام ثم تبعهم من بعدهم على ذلك».

قوله: «**فلما هلكوا**» جاء في اللفظ الآخر: «أنهم هلكوا في عام واحد وفي وقت متقارب فحزن الناس عليهم».

قوله: «**أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصابًا وسموها بأسمائهم**» يعني حتى تتذكروا عبادتهم.

قوله : **«ففعلوا فلم تعبد حتىٰ إذا هلك أولئك»** يعني هلك الجيل الذي صنع تلك الأصنام وهو لا يعتقد عبادتها بل فعلوا ذلك للتذكرة فقط ، وجاء جيل آخر لا يعلم شيئًا فأوقعهم الشيطان في الشرك .

قوله : **«وتنسخ العلم»** يعني : زال العلم من قوله : نسخت الشمس الظل يعني أزالته ، وفي لفظ آخر : «ونسي العلم» .

قوله : **«عبدت»** في لفظ آخر : أن الشيطان أوحىٰ إليهم صوروا صورهم ، فقال بعضهم : لو صورناهم كان أشوق لنا إلى العبادة فصوروهم فلما مات هؤلاء وجاء من بعدَهم دب إليهم الشيطان وقال : إنما صور آباؤكم هؤلاء ؛ لأنهم يستسقون بهم المطر فعبدوهم .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «قوله : **«فلم تعبد حتىٰ إذا هلك أولئك وتنسخ العلم»** كذا لهم ولأبي ذر والكشميهني : **«ونسخ العلم»** أي علم تلك الصور بخصوصها وأخرج الفاكهي من طريق عبيد الله بن عبيد بن عمير قال : أول ما حدثت الأصنام علىٰ عهد نوحٍ ، وكانت الأبناء تبر الآباء ، فمات رجل منهم فجزع عليه ، فجعل لا يصبر عنه فاتخذ مثالا علىٰ صورته ، فكلما اشتاق إليه نظره ثم مات ، ففعل به كما فعل حتىٰ تتابعوا علىٰ ذلك ، فمات الآباء ، فقال الأبناء : ما اتخذ آباؤنا هذه إلا أنها كانت آلهتهم فعبدوها ، وحكى الواقدي قال : كان ود علىٰ صورة رجل وسواع علىٰ صورة امرأة ويغوث علىٰ صورة أسد ويعوق علىٰ صورة فرس ونسر علىٰ صورة طائر وهذا شاذ ، والمشهور أنهم كانوا علىٰ صورة البشر وهو مقتضىٰ ما تقدم من الآثار في سبب عبادتها ، والله أعلم» .

والصواب أنها علىٰ كانت علىٰ صورة البشر وهو ظاهر ما في «الصحيح» من أن صورهم كانت علىٰ صور الصالحين الذين ماتوا ، والواقدي ضعيف ، وأخباره لا يعتمد عليها .

وهذا الحديث يفيد المسلم الحذر من الصور ، فتصوير ذوات الأرواح محرم ؛ لأن النبي ﷺ لعن المصورين [١] وقال : **«كل مصور في النار يجعل له بكل صورة صورها نفسًا يعذب بها في جهنم»** [٢] ، وقال ﷺ **«أشد الناس عذابًا يوم القيامة الذين يضاهئون**

---

(١) أحمد (٤/٣٠٨) ، والبخاري (٥٣٤٧) .

(٢) أحمد (١/٣٠٨) ، ومسلم (٢١١٠) .

بخلق الله»[١] ، وقال ﷺ : **«من صور صورة كلف أن ينفخ فيها الروح وليس بنافخ»**[٢] ، وقال علي ﷺ لأبي الهياج الأسدي : ألا أبعثك على ما بعثني عليه رسول الله ﷺ **«ألا تدع صورة إلا طمستها ولا قبرًا مشرفًا إلا سويته»**[٣] فالتصوير محرم وهو من كبائر الذنوب ؛ لأنه وسيلة من وسائل الشرك ولا سيما صور الرؤساء والعلماء ، وصور النساء من أسباب الشر والفواحش ، وفي التصوير مضاهاة لخلق الله فالعلة من التحريم متعددة ؛ فلا يجوز للإنسان أن يصور ذوات الأرواح من الآدميين والحيوانات والطيور والحيتان إلا ما دعت الضرورة إليه فهو مستثنى مثل : الصور التي تكون في الأوراق النقدية ؛ لأن هذا مما تميز به أنواع الدراهم ، والصور في بطاقة الأحوال وجواز السفر والشهادات وصور المجرمين .

* * *

(١) أحمد (١/ ٣٧٥) ، والبخاري (٥٩٥٤) ، ومسلم (٢١٠٧) .
(٢) أحمد (١/ ٢٤١) ، والبخاري (٥٩٦٣) ، ومسلم (٢١١٠) .
(٣) مسلم (٩٦٩) .

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾ [الجن: ١]

قال ابن عباس: ﴿لِبَدٗا﴾ [الجن: ١٩] أعوانا.

• [٤٥٢٨] حدثنا موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: انطلق رسول الله ﷺ في طائفة من أصحابه عامدين إلى سوق عُكَاظٍ وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب، فرجعت الشياطين فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب، فقال: ما حال بين خبر السماء وبينكم إلا ما حدث، فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث، فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء، قال: فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلى رسول الله ﷺ بنخلة، وهو عامد إلى سوق عكاظ وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر، فلما سمعوا القرآن تسمعوا له، فقالوا: هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء؛ فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعۡنَا قُرۡءَانًا عَجَبٗا ۝١ يَهۡدِيٓ إِلَى ٱلرُّشۡدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦۖ وَلَن نُّشۡرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدٗا﴾ [الجن: ١، ٢]، وأنزل الله تبارك وتعالى على نبيه ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ أَنَّهُ ٱسۡتَمَعَ نَفَرٞ مِّنَ ٱلۡجِنِّ﴾ [الجن: ١]، وإنما أوحي إليه قول الجن.

الشرح

قوله: «**سورة ﴿قُلۡ أُوحِيَ إِلَيَّ﴾** [الجن: ١]» تسمى سورة الجن فلها اسمان مثل سورة غافر تسمى سورة المؤمن، وهكذا سورة الصف تسمى سورة الحواريين - كما سيأتي - فبعض السور له اسمان وبعضها قد يكون له ثلاثة أسماء.

جرى المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في هذه السورة على عادته في «**كتاب التفسير**» حيث يفسر الكلمات التي تحتاج إلى تفسير في كل سورة؛ ليفيد طالب العلم، ثم يذكر ما ورد في هذه السورة على شرطه من الأحاديث، وإن لم يكن هناك حديث على شرطه اكتفى بتفسير الكلمات.

قوله: «**قال ابن عباس**: ﴿لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩]: **أعوانًا**» هذا التفسير عن ابن عباس وصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وعلي بن أبي طلحة لم يسمع من ابن عباس فهو منقطع.

واللبد هو الكثير المجتمع والمعنى: أن الجن اجتمعوا وتزاحموا لما استمعوا قراءة النبي ﷺ.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**قال ابن عباس**: ﴿مَالاً لُّبَدًا﴾ [البلد: ٦] **أعوانا**» هو عند الترمذي في آخر حديث ابن عباس المذكور في هذا الباب ووصله ابن أبي حاتم من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس هكذا وقراءة الجمهور بكسر اللام وفتح الباء، وهشام وحده بضم اللام وفتح الموحدة فالأولى جمع لبدة بكسر ثم سكون نحو قربة وقرب واللبدة واللبد الشيء الملبد أي المتراكب بعضه على بعض وبه سمي اللبد المعروف، والمعنى كادت الجن يكونون عليه جماعات متراكبة مزدحمين عليه كاللبدة، وأما التي بضم اللام فهي جمع لبدة بضم ثم سكون مثل غرفة وغرف، والمعنى أنهم كانوا جمعًا كثيرًا كقوله تعالى ﴿مَالاً لُّبَدًا﴾ [البلد: ٦] أي كثيرا وروي عن أبي عمرو أيضًا بضمتين فقيل هي جمع لبود»، أي: «**لُبُدا**» «مثل صبر وصبور وهو بناء مبالغة وقرأ ابن محيصن بضم ثم سكون» **يعني «لُبْدا»** قراءة ثالثة «وقرأ الجحدري بضمة ثم فتحة مشددة جمع لابد كسجد وساجد» هذه قراءة رابعة «**لُبَّدا**» جمع لابد كسجد وساجد فتكون فيها أربع قراءات ﴿مَالاً لُّبَدًا﴾ [البلد: ٦] «**لُبُدا**» «**لُبْدا**» «**لُبَّدا**»».

ففي سورة الجن قراءتان، قراءة الجمهور بكسر اللام وفتح الباء وهشام وحده بضم اللام وفتح الباء ﴿لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩] و«**لُبَدا**» وأما التي فيها أربع قراءات فهي في سورة البلد.

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وهذه القراءات كلها راجعة إلى معنى واحد، وهو أن الجن تزاحموا على النبي ﷺ لما استمعوا القرآن وهو المعتمد، وروى عبد الرزاق عن معمر عن قتادة قال: لما قام رسول الله ﷺ تلبدت الإنس والجن وحرصوا على أن يطفئوا هذا النور الذي أنزله الله تعالى».

- [٤٥٢٨] ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ على هذه الترجمة حديث ابن عباس في قصة ما حصل للشياطين لما أوحي إلى النبي ﷺ.

قوله: **«وقد حيل بين الشياطين وبين خبر السماء، وأرسلت عليهم الشهب فرجعت الشياطين فقالوا: ما لكم؟ قالوا: حيل بيننا وبين خبر السماء وأرسلت علينا الشهب قال:»** يعني إما قال كبيرهم أو قال بعضهم، والأقرب والله أعلم أنه شدد عليهم في الوحي في استراق السمع، وكانوا قبل بعثة النبي ﷺ يستمعون الوحي كثيرًا، وقد كثرت الكهان قبيل بعثة النبي ﷺ حتى صار لكل قبيلة كاهن وله رئي من الجن، وهذا الجني يأتيه بخبر السماء ويكذب معها كذبات، فلما بعث النبي ﷺ شددت حراسة السماء كما قال الله عن الجن: ﴿**وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَـٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا**﴾ [الجن: ٨] فلا يستمعون شيئًا وإن استمعوا إلى شيء قليل تأتي الشهب لتلاحقهم وتحرقهم كما جاء في الحديث الصحيح: **«إذا تكلم الله بالأمر أخذت السموات منه رجفة شديدة فإذا سمع الملائكة كلام الله صعقوا وخروا لله سجدا فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيتكلم بالوحي فيقول له أهل السماء: ماذا قال ربنا؟ فيقول جبريل: قال الحق»**[١] ثم ينزل الخبر إلى أهل السماء السادسة والخامسة والرابعة حتى ينزل إلى أهلِ السماء الدنيا والجن يركب بعضهم بعضا كما ثبت في الحديث المعروف حديث عن أبي هريرة[٢] والذي ساقه الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ في «كتاب التوحيد» ووصف سفيان تراكب الشياطين هكذا فرفع يده وحركها وبدد بين أصابعه، يعني يركب بعضهم بعضًا جعلهما حرفًا لكن غير متلاصقين في الهواء حتى يصلون إلى السماء أو إلى عنان السحب، فالملائكة تتكلم بالخبر بكلام الله ﷻ من السماء السابعة إلى السماء الدنيا، وقد يتكلمون في السحاب فيكون الشيطان الفوقاني يسمع الكلمة التي تكلم بها الملائكة من السماء أو من السحاب، ثم يلقيها إلى من تحته والآخر إلى من تحته والآخر إلى من تحته حتى تصل إلى الكاهن فيقرها في أذنه كقر الدجاجة، فإذا وصلت إليه خلط معها مائة كذبة فيحدث الناس بهذا الكذب الكثير، وتسمع كلمة واحدة من السماء فيصدق الناس الكاهن في هذا الكذب الكثير من أجل واحدة سمعت من السماء، وهذا فيه قبول الناس للشر كيف يعتبرون بواحدة ولا يعتبرون بمائة؟! وفي الحديث: **«والشهب تلاحقهم وتحرقهم»**[٣] فربما أحرق الشهاب الشيطان الأسفل قبل أن يلقي الكلمة

---

(١) البيهقي في «الأسماء والصفات» (١/ ٥١١-٥١٢).

(٢) البخاري (٤٨٠٠).

(٣) أحمد (١/ ٢٥٢)، والبخاري (٧٧٣)، ومسلم (٤٤٩).

في أذن الكاهن، وربما ألقاها قبل أن يحرقه الشهاب؛ ولهذا قال في الحديث: **«فربما أدركه الشهاب قبل أن يلقيها وربما ألقاها قبل أن يدركه»**[١] وهذا يدل على كثرة توالد الشياطين لأن الشهب تحرقهم ومع ذلك كل واحد معه قرين كما في الحديث: **«ما منكم من أحد إلا أوكل به قرينه من الجن»** قالوا: وأنت يا رسول الله قال: **«وأنا إلا أن الله أعانني عليه فأسلم»**[٢] قيل: يعني دخل في الإسلام فصار شيطانه مؤمنًا لا يوسوس له، وقيل: يعني أسلم من شره وإن كان لم يؤمن.

قوله: **«ما حال بين خبر السماء وبينكم إلا ما حدث فاضربوا مشارق الأرض ومغاربها فانظروا ما هذا الأمر الذي حدث فانطلقوا فضربوا مشارق الأرض ومغاربها ينظرون ما هذا الأمر الذي حال بينهم وبين خبر السماء»** لما شددت الحراسة وأحرقوا بالشهب استنكروا هذا الأمر فضربوا مشارق الأرض ومغاربها؛ وذلك لأن الجن والشياطين أرواح والأرواح خفيفة تطير في الهواء فضربوا مشارق الأرض ومغاربها بسرعة بخلاف الأجسام الثقيلة، وكذلك الملائكة أرواح خفيفة ينزلون بسرعة ويطيرون في الجو كما كان ينزل جبريل ﷺ، أما ابن آدم فإنه جسم ثقيل لا يستطيع الطيران ولهذا فإن أرواح المؤمنين تصعد إلى الجنة والأرواح تصعد وترجع إلى الجسد، ولهذا تجد الإنسان إذا نام خرجت روحه ولها صلة بالجسد فإذا ضربت رجله رجعت الروح بسرعة قد تكون في مكان بعيد، والمؤمن إذا مات وصلت روحه إلى الجنة ولها صلة بالجسد كما ثبت في الحديث الصحيح: **«نسمة المؤمن طائر يعلق في شجر الجنة حتى يرجعه الله إلى جسده يوم معاده»**[٣] يعني روحه، وأرواح الشهداء كما ثبت في الحديث: **«إن أرواح الشهداء في حواصل طير خضر تسرح في الجنة ترد أنهارها وتأكل من ثمارها وتأوي إلى قناديل معلقة بالعرش»**[٤] لأن الشهداء لما بذلوا أجسادهم لله وأتلفوها لله عوض الله أرواحهم أجسادًا تتنعم بواسطتها، أما المؤمن غير الشهيد فإن روحه تتنعم وحدها.

---

(١) البخاري (٤٧٠١).
(٢) أحمد (١/ ٢٥٧)، ومسلم (٢٨١٤).
(٣) أحمد (٣/ ٤٥٥)، والنسائي (٢٠٧٣)، وابن ماجه (٤٢٧١).
(٤) أحمد (٦/ ٣٨٦)، ومسلم (١٨٨٧).

قوله : **«فانطلق الذين توجهوا نحو تهامة إلىٰ رسول الله ﷺ بنخلة وهو عامد إلىٰ سوق عكاظ»** تهامة ومكة وما كان جهة اليمن كلها تسمىٰ تهامة لأنها منخفضة .

قوله : **«وهو يصلي بأصحابه صلاة الفجر فلما سمعوا القرآن تسمعوا له فقالوا : هذا الذي حال بينكم وبين خبر السماء»** يعني نزول الوحي على النبي ﷺ .

واستُنبط من حديث ابن عباس هذا أحكام كما ذكر الشارح ، من هذه الأحكام :

أولًا : إثبات وجود الجن ومن أنكر الجن فهو كافر ؛ لأنه مكذب لله إلا أن يكون لم يعلم بالقرآن ولم تقم عليه الحجة فيبين له أن الله قال : ﴿يَـٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ﴾ [الرحمن : ٣٣] وقال : ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات : ٥٦] ، وغير ذلك من الآيات الدالة علىٰ وجود الجن .

ولا يدخل في هذا من ينكر -وله شبهة- دخول الجن جسم الإنسان ، كإنكار المعتزلة والعقلانيين ، وهذا من جهلهم ، فمعروف أن المعتزلة كانوا يعتمدون على العقول ، قالوا : لا يمكن أن يدخل جسم في جسم ، والرد عليهم يكون من وجهين :

الوجه الأول : من النصوص الواضحة والآيات الصريحة في هذا ، قال تعالىٰ في سورة البقرة : ﴿ٱلَّذِينَ يَأْكُلُونَ ٱلرِّبَوٰاْ لَا يَقُومُونَ إِلَّا كَمَا يَقُومُ ٱلَّذِى يَتَخَبَّطُهُ ٱلشَّيْطَـٰنُ مِنَ ٱلْمَسِّ﴾ [البقرة : ٢٧٥] وقوله تعالىٰ : ﴿مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝ مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ﴾ [الناس : ٤ - ٦] والأدلة من السنة كثيرة .

الوجه الثاني : أنه يمكن الرد على الشبهة العقلية بأن يقال : الجسم الثقيل هو الذي لا يمكن أن يدخل في الجسم الثقيل ، أما الجسم الخفيف فلا مانع من دخوله ، فالنار تسري في الفحم والماء يسري في العود ، جسم في جسم والدم أيضًا جسم في ابن آدم والشيطان يجري من ابن آدم مجرىٰ الدم لأنه روح خفيفة ، هذا الرد عليهم من جهة العقل ، وكذلك الحس والواقع .

والجن فيهم المؤمن والكافر مثل الإنس ، والجن طبقات كما قال الله في نفس السورة عن الجن أنهم قالوا : ﴿وَأَنَّا مِنَّا ٱلصَّـٰلِحُونَ وَمِنَّا دُونَ ذَٰلِكَ ۖ كُنَّا طَرَآئِقَ قِدَدًا﴾ [الجن : ١١] فهم أقسام مثل الإنس منهم الكافر ومنهم المؤمن ومنهم اليهودي ومنهم النصراني ومنهم المجوسي ومنهم الوثني ومنهم الرافضي ومنهم المبتدع ومنهم السني مثل الإنس ، جميع الطبقات الموجودة في الإنس

موجودة في الجن؛ ولذلك تسمعون لمن يقرأ على الجن يقول: إن الجني يتكلم يقول: إنه يهودي وبعضهم يقول: إنه نصراني وبعضهم يقول: إنه مجوسي وبعضهم يتكلم بلغة غير اللغة العربية على لسان المصروع، والكافر من الجن يسمى شيطانا ومن أسلم لا يسمى شيطانًا.

ثانيًا: أن الصلاة في الجماعة شرعت قبل الهجرة؛ ولهذا قال: «**يصلي بأصحابه**» وفيه مشروعية صلاة الجماعة في السفر ومشروعية الجهر بالقراءة في صلاة الصبح؛ لأن النبي ﷺ صلى بهم صلاة الصبح وجهر بالقراءة وجعلوا يتسمعون والصلاة شرعت قبل الهجرة، لكن قيل: إنها أول ما شرعت كانت صلاتين، في أول النهار وفي آخره ولكن شرعية صلاة الجماعة والأذان هذا إنما كان في مكة.

ثالثًا: أن هؤلاء الشياطين الذين تسمعوا إلى النبي ﷺ أسلموا ولهذا قال: «**فهنالك رجعوا إلى قومهم فقالوا: يا قومنا ﴿إِنَّا سَمِعْنَا قُرْءَانًا عَجَبًا ۝ يَهْدِيَ إِلَى ٱلرُّشْدِ فَـَٔامَنَّا بِهِۦ وَلَن نُّشْرِكَ بِرَبِّنَآ أَحَدًا﴾** [الجن: ١، ٢]».

رابعا: أن الله أعطى الشياطين قوة التشكل والتصور بالصور المختلفة وكذلك الملائكة، فجبريل عليه السلام رآه النبي ﷺ في الصورة التي خلق عليها مرتين له ستمائة جناح[١] كل جناح يملأ ما بين السماء والأرض[٢] ورآه مرة في الأرض عند البعثة ومرة في السماء ليلة المعراج ورآه مرات في صور متعددة، وكان يأتي كثيرًا في صورة دحية الكلبي وكان رجلًا جميلًا، تقول عائشة: إنه يكلم النبي ﷺ تقول: والله ما أظن إلا أنه دحية الكلبي وهو جبريل وكذلك لما جاء ورآه الصحابة في صورة رجل أعرابي رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يعرفه أحد، فالأسفار عندهم ليست كالأسفار عندنا، فالعادة أن الذي يأتي من السفر تكون ثيابه متسخة ويكون شعره منتفشًا وهذا كأنه خرج من الحمام فمن أين جاء؟ جاء وأسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام ثم قال أخبرني عن الإيمان وكلما سأله قال: صدقت فعجب الصحابة يسأله ويصدقه هذا سؤال العارف! حتى قال النبي ﷺ: «**ردوه علي**»[٣] فلم يروا شيئًا وفي رواية أخرى قال: لبثنا مليا فقال: «**يا عمر أتدري من**

---

(١) أحمد (١/ ٣٩٨)، والبخاري (٣٢٣٢)، ومسلم (١٧٤).
(٢) أحمد (١/ ٣٩٥)، والترمذي (٣٠٦٨).
(٣) أحمد (٢/ ٤٢٦)، ومسلم (١٠).

السائل؟» قلت : الله ورسوله أعلم قال : **«هذا جبريل أتاكم يعلمكم دينكم»**(1) فهذا جبريل يأتي في صور وكذلك الجن فقد يتصور الجني في صورة حيوان أو في صورة قط أو في صورة إنسان ، أعطاهم الله قوة التشكل والله أعلم كيف يكون ذلك .

خامسًا : فيه دليل على أن الاعتبار بحسن الخاتمة وأن الإنسان قد يكون على الشر وعلى الكفر ثم يمن الله عليه بالهداية والإسلام وقد يكفر بعض الناس ويرتد عن دينه ؛ لأن هؤلاء الذين تسمعوا آمنوا وسمعوا للنبي ﷺ وكانوا عند الشيطان إبليس الذي قال لهم : انظروا ماذا حدث فالذين ذهبوا إلى تهامة تسمعوا وآمنوا والذين ذهبوا إلى الجهة الأخرى ما آمنوا ، ومثل ذلك ما حصل من سحرة فرعون كانوا في أول النهار يقسمون يقولون : ﴿**بِعِزَّةِ فِرْعَوْنَ إِنَّا لَنَحْنُ الْغَالِبُونَ**﴾ [الشعراء : ٤٤] وفي آخر النهار قالوا : ﴿**إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**﴾ [طه : ٧٣] ففي أول النهار كما يقول العلماء : كفرة فجرة وفي آخر النهار مؤمنون بررة فالعبرة بالخواتيم .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «قوله : **«بين الشياطين وبين خبر السماء وأرسلت عليهم الشهب»** بضمتين جمع شهاب وظاهر هذا أن الحيلولة وإرسال الشهب وقع في هذا الزمان المقدم ذكره والذي تضافرت به الأخبار أن ذلك وقع لهم من أول البعثة النبوية ، وهذا مما يؤيد تغاير زمن القصتين وأن مجيء الجن لاستماع القرآن كان قبل خروجه ﷺ إلى الطائف بسنتين ، ولا يعكر على ذلك إلا قوله في هذا الخبر : إنهم رأوه **«يصلي بأصحابه صلاة الفجر»** لأنه يحتمل أن يكون ذلك قبل فرض الصلوات ليلة الإسراء فإنه ﷺ كان قبل الإسراء يصلي قطعا وكذلك أصحابه ، ولكن اختلف هل افترض قبل الخمس شيء من الصلاة أم لا؟ فيصح على هذا قول من قال : إن الفرض أولا كان صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروبها ، والحجة فيه قوله تعالى : ﴿**وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا**﴾ [طه : ١٣٠] ونحوها من الآيات فيكون إطلاق صلاة الفجر في حديث الباب باعتبار الزمان لا لكونها إحدى الخمس المفترضة ليلة الإسراء ، فتكون قصة الجن متقدمة من أول المبعث وهذا الموضع مما لم ينبه عليه أحد ممن وقفت على كلامهم في شرح هذا الحديث» .

---

(١) أحمد (١/ ٢٧) ، ومسلم (٨) .

والصحيح أن هذا في أول البعثة قبل أن تفرض الصلوات الخمس .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ : «وقد أخرج الترمذي والطبري حديث الباب بسياق سالم من الإشكال الذي ذكرته من طريق أبي إسحاق السبيعي عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال : كانت الجن تصعد إلى السماء الدنيا يستمعون الوحي ، فإذا سمعوا الكلمة زادوا فيها أضعافًا ، فالكلمة تكون حقًّا وأما ما زادوا فيه فيكون باطلًا فلما بعث النبي ﷺ منعوا مقاعدهم ولم تكن النجوم يرمى بها قبل ذلك ، وأخرجه الطبري أيضًا وابن مردويه وغيرهما من طريق عطاء بن السائب عن سعيد بن جبير مطولًا وأوله : «**كان للجن مقاعد في السماء يستمعون الوحي** . . .» الحديث فبينما هم كذلك إذ بعث النبي ﷺ فدحرت الشياطين من السماء ورموا بالكواكب فجعل لا يصعد أحد منهم إلا احترق ، وفزع أهل الأرض لما رأوا من الكواكب ولم تكن قبل ذلك فقالوا : هلك أهل السماء وكان أهل الطائف أول من تفطن لذلك فعمدوا إلى أموالهم فسيبوها وإلى عبيدهم فعتقوها فقال لهم رجل : ويلكم لا تهلكوا أموالكم فإن معالمكم من الكواكب التي تهتدون بها لم يسقط منها شيء فأقلعوا ، وقال إبليس : حدث في الأرض حدث فأتي من كل أرض بتربة فشمها فقال لتربة تهامة : ها هنا حدث الحدث» .

أعطى الله الشياطين القدرة على ذلك يعني عندهم خفة في الطيران فيأتون من كل أرض بشيء فيشمها ، وكذلك أعطاهم الله قوة الشم .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ : «فصرف إليه نفرًا من الجن فهم الذين استمعوا القرآن ، وعند أبي داود في «كتاب البعث» من طريق الشعبي أن الذي قال لأهل الطائف ما قال هو عبد ياليل بن عمرو وكان قد عمي فقال لهم : لا تعجلوا وانظروا فإن كانت النجوم التي يرمى بها هي التي تعرف فهو عند فناء الناس وإن كانت لا تعرف فهو من حدث ، فنظروا فإذا هي نجوم لا تعرف فلم يلبثوا أن سمعوا بمبعث النبي ﷺ ، وقد أخرجه الطبري من طريق السدي مطولًا وذكر ابن إسحاق نحوه مطولًا بغير إسناد في «مختصر ابن هشام»» .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللهُ : «فهذه الأخبار تدل على أن القصة وقعت أول البعثة وهو المعتمد وقد استشكل عياض وتبعه القرطبي والنووي وغيرهما من حديث الباب موضعًا آخر ولم يتعرضوا لما ذكرته ، فقال عياض : ظاهر الحديث أن الرمي بالشهب لم يكن قبل مبعث النبي ﷺ لإنكار الشياطين له وطلبهم بسببه ولهذا كانت الكهانة فاشية في العرب ومرجوعًا

إليها في حكمهم حتىٰ قطع سببها بأن حيل بين الشياطين وبين استراق السمع كما قال تعالىٰ في هذه السورة : ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا ۝ وَأَنَّا كُنَّا نَقْعُدُ مِنْهَا مَقَٰعِدَ لِلسَّمْعِ فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن : ٨، ٩] وقوله تعالىٰ : ﴿إِنَّهُمْ عَنِ ٱلسَّمْعِ لَمَعْزُولُونَ﴾ [الشعراء : ٢١٢] وقد جاءت أشعار العرب باستغراب رميها وإنكاره إذ لم يعهدوه قبل المبعث، وكان ذلك أحد دلائل نبوته ﷺ ويؤيده ما ذكره في الحديث من إنكار الشياطين قال : وقال بعضهم : لم تزل الشهب يرمىٰ بها مذ كانت الدنيا، واحتجوا بما جاء في أشعار العرب من ذلك قال : وهذا مروي عن ابن عباس والزهري ورفع فيه ابن عباس حديثًا عن النبي ﷺ وقال الزهري لمن اعترض عليه بقوله : ﴿فَمَن يَسْتَمِعِ ٱلْـَٔانَ يَجِدْ لَهُۥ شِهَابًا رَّصَدًا﴾ [الجن : ٩] قال : غلظ أمرها وشدد انتهىٰ، وهذا الحديث الذي أشار إليه أخرجه مسلم من طريق الزهري عن عبيد الله عن ابن عباس عن رجال من الأنصار قالوا : كنا عند النبي ﷺ إذ رمي بنجم فاستنار فقال : **«ما كنتم تقولون لهذا إذا رمي به في الجاهلية؟»**(١) الحديث، وأخرج عبد الرزاق عن معمر قال : سئل الزهري عن النجوم أكان يرمىٰ بها في الجاهلية؟ قال : نعم ولكنه إذ جاء الإسلام غلظ وشدد وهذا جمع حسن» .

هذا هو الظاهر أن الجن أولًا كانت تأتيهم الشهب، ولكن إحراق الشهب ليس كإحراقها بعد بعثة النبي ﷺ .

ولا أعلم ذكرًا أو دعاء يقال عند رمي الشهب، وما تقوله العوام في ذلك لا دليل عليه .

* * *

(١) مسلم (٢٢٢٩) .

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة المزمل

وقال مجاهد : ﴿ وَتَبَتَّلْ ﴾ [المزمل : ٨] أخلص .

وقال الحسن : ﴿ أَنكَالاً ﴾ [المزمل : ١٢] قيودا .

وقال ابن عباس : ﴿ كَثِيبًا مَّهِيلاً ﴾ [المزمل : ١٤] الرمل السائل .

﴿ وَبِيلاً ﴾ : [المزمل : ١٦] شديدا .

﴿ مُنفَطِرٌ بِهِۦ ﴾ : [المزمل : ١٨] مثقلة به .

الشرح

فسر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ الكلمات التي تحتاج إلى بيان معنى ، والمزمل والمدثر بمعنى واحد ، المزمل : هو الذي تزمل بالثياب ، والمدثر : هو الذي تدثر يعني تغطى وتغشى بالثياب ، قال الله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُزَّمِّلُ ﴾ [المزمل : ١] وقال تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ﴾ [المدثر : ١] والخطاب للنبي ﷺ .

قوله : «**وقال مجاهد** : ﴿ وَتَبَتَّلْ ﴾ [المزمل : ٨] **أخلص**» لأن المراد من العمل ما كان خالصًا لله ، وقد يأتي التبتل بمعنى الاستمرار في العبادة .

قوله : «**وقال الحسن** : ﴿ أَنكَالاً ﴾ **قيودا**» أي : لأهل النار ، قال الله : ﴿ **إِنَّ لَدَيْنَآ أَنكَالاً وَجَحِيمًا ۝ وَطَعَامًا ذَا غُصَّةٍ وَعَذَابًا أَلِيمًا** ﴾ [المزمل : ١٢ ، ١٣] أي : عذابًا للكافرين .

قوله : «**وقال ابن عباس** : ﴿ كَثِيبًا مَّهِيلاً ﴾ [المزمل : ١٤] **الرمل السائل**» أي : يكون ذلك يوم القيامة من شدة الهول .

قوله : «**قوله** : ﴿ مُنفَطِرٌ بِهِۦ ﴾ [المزمل : ١٨] **مثقلة به**» الضمير يعود إلى يوم القيامة .

ولم يذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ في هذا الباب حديثًا لأنه لم يجد حديثًا على شرطه فاكتفى بتفسير الكلمات ، وذكر الشارح رَحِمَهُ اللَّهُ حديثًا مناسبًا أخرجه مسلم من حديث عائشة فيما يتعلق بقيام الليل ، فقد ذكر في آخر هذه السورة أن النبي ﷺ كان يقوم الليل قالت : فصار قيام

الليل تطوعًا بعد فريضته[١] وكذلك أيضًا ذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: أنه يمكن أن يدخل في قوله تعالى في آخرها: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا لِأَنفُسِكُم﴾ [المزمل: ٢٠] حديث النبي ﷺ أنه قال: «**أيكم مال وارثه أحب إليه من ماله؟**» قالوا: يا رسول الله ما منا من أحد إلا ماله أحب إليه من مال وارثه، قال: «**فإن ماله ما قدم ومال وارثه ما أخر**»[٢]، لكن الإمام البخاري رَحِمَهُ اللَّهُ ما ذكر هذين الحديثين لأنهما ليسا على شرطه لأن شرط مسلم يكتفي بالمعاصرة بين الراويين إذا كانا في عصر واحد ولم يكن مدلسًا فهو مقبول عنده، أما البخاري فاشترط المقابلة والالتقاء ولو مرة واحدة فكان شرطه أقوى.

❊ ❊ ❊

---

(١) مسلم (٧٤٦).
(٢) أحمد (١/ ٣٨٢)، والبخاري (٦٤٤٢).

المتن

سورة المدثر

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر: ٥١] ركز الناس وأصواتهم وكل شديد قسورة وقسْوَرًا.

﴿مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ [المدثر: ٥٠] نافرة مذعورة.

وقال أبو هريرة: القسورة قسور الأسد.

وقال ابن عباس: ﴿عَسِيرٌ﴾ [المدثر: ٩] شديد.

الركز: الصوت.

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ١، ٢].

• [٤٥٢٩] حدثني يحيى، حدثنا وكيع، عن علي بن المبارك، عن يحيى بن أبي كثير قال: سألت أبا سلمة بن عبدالرحمن عن أول ما نزل من القرآن، قال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١]، قلت: يقولون: ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، فقال أبو سلمة: سألت جابر بن عبدالله عن ذلك وقلت له مثل الذي قلت، فقال جابر: لا أحدثك إلا ما حدثنا رسول الله ﷺ، قال: **«جاورت بحراء، فلما قضيت جواري هبطت، فنوديت، فنظرت عن يميني فلم أر شيئا، ونظرت عن شمالي فلم أر شيئا ونظرت أمامي فلم أر شيئا ونظرت خلفي فلم أر شيئا، فرفعت رأسي فرأيت شيئا، فأتيت خديجة فقلت: دثروني وصبوا علي ماء باردا»**، قال: **«فدثروني وصبوا علي ماء باردا»**، قال: «فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر: ١-٣]».

الشرح

المدثر: هو المتغطي والمتلفف؛ وذلك لأن النبي ﷺ قبيل البعثة لما بلغ الأربعين حبب إليه الخلاء عليه الصلاة والسلام، فكان يتعبد في غار حراء ويصلي ويذكر الله، وظاهره أنه يتعبد على ما توارثه الناس من دين إبراهيم عليه الصلاة والسلام، كما كان الناس يحجون في

الجاهلية على ما توارثوه عن دين إبراهيم، ثم غيروا من دين إبراهيم من ذلك أنهم كانوا لا يطوفون إلا بثوب يأخذونه من أهل مكة لأنهم الحمس فإن لم يجد الواحد منهم ثوبا طاف عريانًا، يقول: ما أطوف بثوب عصيت الله فيه، حتى المرأة تطوف عارية وتضع يدها على فرجها وتقول:

اليـــوم يبـــدو بعضـــه أو كلـــه ومـــا بـــدا منـــه فـــلا أحلـــه

وهذا هو الجهل العظيم الذي وصل بهم إلى هذا الحد، ومما غيروه أيضًا ما كانت تفعله قريش في الحج حيث صاروا لا يقفون بعرفة، فالحجاج الآفاقيون يقفون بعرفة وهم يقفون بمزدلفة ويقولون: نحن أهل الحرم فلا نتجاوز حدود الحرم، لكن هناك أشياء بقيت على دين إبراهيم مثل: الطواف بالبيت ومثل: السعي بين الصفا والمروة.

فالرسول عليه الصلاة والسلام كان يتعبد قبيل البعثة وقبل أن يوحى إليه على ما توارثه من دين إبراهيم والله أعلم بكيفية العبادة التي يتعبد بها، كان يتزود من أهله ما يكفيه من الطعام والشراب في اليومين والثلاثة، ثم إذا انتهى ذهب إلى أهله وأخذ مثله حتى فجأه الحق وهو في غار حراء، جاءه جبريل ورآه على صورته التي خلق عليها له ستمائة جناح، جالس على كرسي بين السماء والأرض قد سد الأفق وهذه خلقة عظيمة وقال له: اقرأ قال: **«ما أنا بقارئ»** فأخذه وغطه حتى بلغ منه الجهد فقال: اقرأ قال: **«ما أنا بقارئ»**(1) وهذا ليس امتناعًا من النبي ﷺ لكنه نفي، يقول: أنا ما تعلمت القراءة أنا أمي لا أقرأ ولا أكتب كيف أقرأ وأنا لا أعرف؟ قال: اقرأ وغطه ثلاث مرات، قال العلماء: الحكمة من هذا حتى يتهيأ لتحمل أعباء الرسالة.

ثم بعد ذلك حصل له خوف عظيم ورعب شديد وذهب إلى أهله وقال: **«زملوني زملوني»**، فدثروه ثم جاءه الوحي بعد ذلك(2) قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ [المدثر: ١ - ٢] نبئ بـ ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ [العلق: ١] عليه الصلاة والسلام وأرسل بـ ﴿ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ أنزل عليه الوحي وأرسل إلى الناس قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝١ قُمۡ فَأَنذِرۡ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرۡ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ ۝٤ وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ ۝٥ وَلَا تَمۡنُن تَسۡتَكۡثِرُ ۝٦ وَلِرَبِّكَ فَٱصۡبِرۡ ۝٧ فَإِذَا نُقِرَ فِي ٱلنَّاقُورِ﴾ [المدثر: ١-٨].

---

(١) أحمد (٦/ ٢٣٢)، والبخاري (٤)، ومسلم (١٦٠).
(٢) أحمد (٣/ ٣٧٧)، والبخاري (٤)، ومسلم (١٦١).

قوله : «﴿قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر : ٥١]» فسرها المؤلف قال : «**ركز الناس وأصواتهم وكل شديد قسورة وقسورا**» .

قوله : «﴿مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ [المدثر : ٥٠] **نافرة مذعورة**» أي أن الحمار إذا جاءه الأسد يهرب وينفر ، وهؤلاء الكفار في نفورهم عن الحق وعدم قبولهم للوحي والإيمان بالنبي ﷺ نفروا نفورًا شديدا كنفور الحمر التي تفر من الأسد إذا رأته .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «قوله : «﴿مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ **نافرة مذعورة**» قال أبو عبيدة في قوله تعالى : ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ [المدثر : ٥٠] : أي مذعورة ومستنفرة نافرة ، يريد أن لها معنيين وهما على القراءتين فقد قرأها الجمهور بفتح الفاء وقرأها عاصم والأعمش بكسرها» .

ففيها قراءتان : **الأولى : «مستنفَرة» والثانية** : ﴿مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ وكل قراءة لها معنى «**مستنفَرة**» بفتح الفاء يعني مذعورة و﴿مُّسْتَنفِرَةٌ﴾ بكسر الفاء نافرة .

قوله : «**وقال أبو هريرة : القسورة قسور الأسد**» يعني أن الله تعالى شبه الكفار في نفورهم وإعراضهم عن قبول الحق وعن الموعظة بالذين يفرون من الأسد .

وذكر الشارح حديث أبي هريرة أنه كان إذا قرأ : ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍ﴾ [المدثر : ٥٠، ٥١] قال : الأسد ، قال الشارح : «وهذا منقطع» .

قوله : «**وقال ابن عباس** : ﴿عَسِيرٌ﴾ [المدثر : ٩] : **شديد**» يعني يوم القيامة يوم عسير ، ولكن الله يسهله على المؤمنين .

قوله : «**الركز : الصوت**» قال الله ﷻ : ﴿هَلْ تُحِسُّ مِنْهُم مِّنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا﴾ [مريم : ٩٨] فسر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ الركز بالصوت .

• [٤٥٢٩] هذا الحديث فيه بيان سبب نزول هذه السورة ، وهو أن النبي ﷺ لما نزل عليه الوحي أولا نزل : ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق : ١] فصار بذلك نبيًا ثم لبث الوحي فترة ، ثم بعد ذلك نزل عليه : ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر : ١، ٢] فصار بذلك رسولًا ؛ فلهذا يقول العلماء : إن الرسول نبئ بـ ﴿اقْرَأْ﴾ وأرسل بـ ﴿الْمُدَّثِّرُ﴾ كما قاله الإمام محمد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ في «الأصول الثلاثة»[١] .

---

(١) «الأصول الثلاثة وأدلتها» (ص٢٠) .

المتن

[٣٣٤/ ٥٦] ﴿قُمْ فَأَنذِرْ﴾ [المدثر: ٢]

• [٤٥٣٠] حدثني محمد بن بشار، قال: حدثنا عبدالرحمن بن مهدي وغيره، قالا: حدثنا حرب بن شداد، عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي سلمة، عن جابر، عن النبي ﷺ قال: **«جاورت بحراءٍ»**.

مثل حديث عثمان بن عمر عن علي بن المبارك.

الشرح

• [٤٥٣٠] قوله: **«جاورت بحراء»** حراء: جبل حراء معروف كان يتعبد قربه النبي ﷺ، بعض الخرافيون الآن يأتي إلى الجبل فيتمسح به ويأخذ منه التراب والحصباء وبعضهم يتجشم المشاق ويصعد الجبل وهو متعب، خصوصًا بعض الأعاجم الذين يأتون بكثرة خاصة في وقت الحج وفي وقت العمرة بعضهم يصعد ويجلس مدة طويلة وبعضهم يتعلم صعود الجبل، وهذا من جهلهم وهو باطل لا أصل له فلا يشرع صعود الجبل ولا يشرع المجيء إليه، ولكن لو جاء الإنسان من باب الاطلاع فلا بأس.

قوله: **«مثل حديث عثمان بن عمر عن علي بن المبارك»** يعني مثل الحديث السابق.

* * *

المتن

[٣٣٥/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر: ٣]

• [٤٥٣١] حدثني إسحاق بن منصور، قال: حدثنا عبدالصمد، قال: حدثنا حرب، قال: حدثنا يحيى قال: سألت أبا سلمة: أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١]، فقلت: أنبئت أنه ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، فقال أبو سلمة سألت جابر بن عبدالله: أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾، فقلت: أنبئت أنه ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ﴾، فقال: لا أخبرك إلا بما قال رسول الله ﷺ، قال رسول الله ﷺ: **«جاورت في حراء، فلما قضيت جواري هبطت فاستبطنت الوادي، فنوديت فنظرت أمامي وخلفي وعن يميني وعن شمالي؛ فإذا هو جالس على عرش بين السماء والأرض، فأتيت خديجة فقلت: دثروني وصبوا علي ماء باردا، وأنزل علي ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾ [المدثر: ١-٣]»**.

الشرح

• [٤٥٣١] هذا الحديث فيه أن أبا سلمة ﵁ قال: **«سألت جابر بن عبد الله: أي القرآن أنزل أول؟ فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١]»** المراد بالأولية هنا أولية مخصوصة، يعني بعد فترة الوحي أي أن أول ما أنزل إليه بعد فترة الوحي: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ جمعا بين الأدلة، وإلا فإن أول ما أنزل إليه ﷺ قوله تعالى: ﴿ٱقْرَأْ﴾ [العلق: ١] قطعًا فيحمل قول جابر على أن المقصود أولية مخصوصة، وليس المراد الأولية المطلقة كما بين الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

وذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ هنا كلاما جيدًا فقال: «وتقدم هناك أن رواية الزهري عن أبي سلمة عن جابر تدل على أن المراد بالأولية في قوله: أول ما نزل سورة المدثر أولية مخصوصة بما بعد فترة الوحي أو مخصوصة بالأمر بالإنذار، لا أن المراد أنها أولية مطلقة فكأن من قال: أول ما نزل: ﴿ٱقْرَأْ﴾ أراد أولية مطلقة ومن قال: أنها المدثر أراد بقيد التصريح بالإرسال، قال الكرماني: استخرج جابر أول ما نزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١] باجتهاد وليس هو من روايته، والصحيح ما وقع في حديث عائشة، ويحتمل أن يكون قوله في هذه الرواية: **«فرأيت**

شيئا»[1] أي جبريل بحراء **«فقال لي: اقرأ فخفت فأتيت خديجة فقلت: دثروني»** فنزلت ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١]، قلت: ويحتمل أن تكون الأولية في نزول ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ بقيد السبب أي هي أول ما نزل من القرآن بسبب متقدم وهو ما وقع من التدثر الناشئ عن الرعب، وأما: ﴿ٱقْرَأْ﴾ [العلق: ١] فنزلت ابتداء بغير سبب متقدم ولا يخفى بعد هذا الاحتمال».

* * *

(١) البخاري (٤٩٢٢).

المتن

[٣٣٦/ ٥٦] باب ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرۡ﴾ [المدثر: ٤]

• [٤٥٣٢] حدثنا يحيى بن بكير، قال: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب. ح وحدثني عبدالله بن محمد، قال: حدثنا عبدالرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري، قال: أخبرني أبو سلمة بن عبدالرحمن، عن جابر بن عبدالله قال: سمعت النبي ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي، فقال في حديثه: **«فبينا أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء، فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، فجئثت منه رعبا، فرجعت فقلت: زملوني زملوني، فدثروني، فأنزل الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ إلى ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾** [المدثر: ١-٥] **قبل أن تفرض الصلاة»** وهي الأوثان.

الشرح

• [٤٥٣٢] قوله: **«وهو يحدث عن فترة الوحي فقال في حديثه: «فبينا أنا أمشي إذ سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء»** جاءه الملك أولًا فقال له: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ [العلق: ١]، ثم جاءه ثانيًا فأنزلت: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر: ١] فهذا الحديث صريح في أن أول ما أنزل إليه: ﴿ٱقۡرَأۡ﴾ ثم أنزل إليه بعد ذلك: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ ويحمل قول جابر في الحديث السابق على ما بعد فترة الوحي.

قوله: **«فجثثت»** بالمثلثتين من الجث وهو القلع والرعب.

وقال بعضهم: روي: **«فجئثت»**[1] على صيغة المجهول من الجأث، بالجيم والهمزة والثاء المثلثة، وهو الفزع والرعب والخوف، يعني: رعبت وفزعت.

قوله: **«فأنزل الله ﷻ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ إلى: ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾** [المدثر: ١ - ٥] **قبل أن تفرض الصلاة»** يعني أنزلت هذه السورة قبل أن تفرض الصلاة؛ لأن الصلاة ما فرضت إلا متأخرًا.

قوله: **«وهي الأوثان»** أي الرجز، والمعنى: فاهجر الأوثان.

---

(١) أحمد (٣/ ٣٠٦)، والبخاري (٣٢٣٨)، ومسلم (١٦١).

المتن

[٣٣٧/ ٥٦] باب ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾ [المدثر : ٥]

يقال : الرجز والرجس : العذاب .

• [٤٥٣٣] حدثنا عبدالله بن يوسف ، قال : حدثنا الليث ، عن عقيل ، قال ابن شهاب : سمعت أبا سلمة قال : أخبرني جابر بن عبدالله ، أنه سمع رسول الله ﷺ يحدث عن فترة الوحي : «**فبينا أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض ، فجئثت منه حتى هويت إلى الأرض ، فجئت أهلي فقلت : زملوني زملوني فزملوني ، فأنزل الله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ ۝ قُمۡ فَأَنذِرۡ﴾ إلى قوله : ﴿وَٱلرُّجۡزَ فَٱهۡجُرۡ﴾** [المدثر : ١- ٥]» قال أبو سلمة : ﴿وَٱلرُّجۡزَ﴾ الأوثان ، ثم حمي الوحي وتتابع .

الشرح

قوله : «**يقال : الرجز والرجس : العذاب**» فسر هنا الرجز بالعذاب ، ثم ذكر عن أبي سلمة أنه قال : «**الأوثان**» والجمع بينهما أن عبادة الأوثان سبب في العذاب ، فمن مات على عبادة الأوثان فهو كافر يعذب في النار ويخلد فيها .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «ويروى عن مجاهد والحسن بالضم اسم الصنم وبالكسر اسم العذاب» يعني هذا على أنهما قراءتان ، فعلى قراءة ﴿وَٱلرُّجۡزَ﴾ [المدثر : ٥] يكون المعنى الأوثان ، وعلى قراءة «**والرِّجز**» يكون المعنى العذاب .

• [٤٥٣٣] قوله : «**يحدث عن فترة الوحي : «فبينا أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت بصري قبل السماء فإذا الملك الذي جاءني بحراء قاعد على كرسي بين السماء والأرض**» يعني على صورته التي خلق عليها ، جاءه في الأول فأنزل الله عليه : ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ﴾ [العلق : ١] ثم فتر الوحي ، ثم بعد فترة الوحي جاءه الملك وأنزل الله : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر : ١] .

قوله : «**قال أبو سلمة : ﴿وَٱلرُّجۡزَ﴾ الأوثان ، ثم حمي الوحي وتتابع**» يعني تتابع الوحي بعد ذلك ، وفسر أبو سلمة الرجز بالأوثان .

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة القيامة

[٣٣٨/ ٥٦] قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦]

وقال ابن عباس: ﴿سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦] هملا.

﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ [القيامة: ٥] سوف أتوب سوف أعمل.

﴿لَا وَزَرَ﴾ [القيامة: ١١] لا حصن.

• [٤٥٣٤] حدثنا الحميدي، قال: حدثنا سفيان، قال: حدثنا موسى بن أبي عائشة وكان ثقة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان النبي ﷺ إذا نزل عليه الوحي حرك به لسانه، ووصف سفيان، يريد أن يحفظه، فأنزل الله ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦-١٧].

الشرح

«القيامة»: الاسم المشهور والمعروف من أسماء الآخرة، سمي يوم القيامة لأن الناس يبعثون من قبورهم فيقومون بين يدي الله للحساب.

قوله: «قوله: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦]» أي: باب قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾.

قوله: «﴿لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ [القيامة: ٥] سوف أتوب سوف أعمل» المعنى: يفعل الفجور والمعاصي، ويقول: أريد أن أتوب.

قوله: ﴿لَا وَزَرَ﴾ [القيامة: ١١] فسرها بقوله: «لا حصن» أي: لا ملجأ من الله.

• [٤٥٣٤] هذا الحديث يفسر سبب نزول هذه الآية التي ترجم عليها البخاري رحمه الله، والمعنى أن النبي ﷺ كان في أول الأمر إذا قرأ جبريل عليه القرآن يحرك لسانه؛ حتى لا ينسى منه شيئًا، فوعده الله بأن يجمعه في صدره فلا ينساه، قال الله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة: ١٦] يعني بالقرآن ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧] يعني في صدرك ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾

يعني تقرؤه بعد ذلك ﴿فَإِذَا قَرَأْنَهُ﴾ [القيامة : ١٨] يعني قرأه جبريل ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة : ١٨] يعني استمع ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة : ١٩] فكان النبي ﷺ بعد ذلك ينصت ويسكت فإذا انطلق جبريل قرأه ولم ينس منه شيئًا.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وقوله : «﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ [القيامة : ١٦]» لم يختلف السلف أن المخاطب بذلك النبي ﷺ في شأن نزول الوحي كما دل عليه حديث الباب، وحكى الفخر الرازي أن القفال جوز أنها نزلت في الإنسان المذكور قبل ذلك في قوله تعالى : ﴿يُنَبَّؤُا ٱلْإِنسَٰنُ يَوْمَئِذٍۭ بِمَا قَدَّمَ وَأَخَّرَ﴾ [القيامة : ١٣] قال : يعرض عليه كتابه فيقال : اقرأ كتابك فإذا أخذ في القراءة تلجلج خوفًا فأسرع في القراءة، فيقال : ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة : ١٦- ١٧] أي أن يجمع عملك وأن يقرأ عليك، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَهُ﴾ [القيامة : ١٨] عليك، ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة : ١٨] بالإقرار بأنك فعلت ثم إن علينا بيان أمر الإنسان وما يتعلق بعقوبته، قال : وهذا وجه حسن ليس في العقل ما يدفعه وإن كانت الآثار غير واردة فيه، والحامل على ذلك عسر بيان المناسبة بين هذه الآية وما قبلها من أحوال القيامة حتى زعم بعض الرافضة أنه سقط من السورة شيء وهي من جملة دعاويهم الباطلة» وقول الرازي هذا ليس بشيء لأنه مخالف للنص، والرازي على طريقة الأشاعرة، والصواب أن المخاطب النبي ﷺ وهذا هو قول السلف قاطبة، وإن زعم الرافضة أنه سقط من السورة شيء فهم ليسوا بأهل لأن يؤخذ بأقوالهم فهم زنادقة؛ ولهذا ذهب شيخ الإسلام[1] إلى أن الرافضة تكثر فيهم الزندقة، فهم يعبدون آل البيت ويكفرون الصحابة.

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وقد ذكر الأئمة لها مناسبات، منها : أنه سبحانه وتعالى لما ذكر القيامة وكان من شأن من يقصر عن العمل لها حب العاجلة وكان من أصل الدين أن المبادرة إلى أفعال الخير مطلوبة، فنبه على أنه قد يعترض على هذا المطلوب ما هو أجل منه وهو الإصغاء إلى الوحي وتفهم ما يرد منه والتشاغل بالحفظ قد يصد عن ذلك، فأمر ألا يبادر إلى التحفظ؛ لأن تحفيظه مضمون على ربه وليصغ إلى ما يرد عليه إلى أن ينقضي فيتبع ما اشتمل عليه» وهذا واضح ليس فيه إشكال، وسياق الآية يدل عليه، وأيضًا حديث ابن عباس كاف يفسر الآية فالسنة تفسر القرآن وتوضحه؛ ولذلك أجمع السلف أن المخاطب هو الرسول ﷺ.

---

(١) انظر «مجموع الفتاوى» (٤/ ١٠٢).

المتن

[٣٣٩/ ٥٦] باب

• [٤٥٣٥] حدثنا عبيدالله بن موسى، عن إسرائيل، عن موسى بن أبي عائشة، أنه سأل سعيد بن جبير، عن قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ [القيامة: ١٦]، قال: قال ابن عباس: كان يحرك به شفتيه إذا أُنزل عليه، فقيل له: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ﴾ يخشى أن يتفلت منه، ﴿إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧] أن نجمعه في صدرك، ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧] أن تقرأه، ﴿فَإِذَا قَرَأْنَهُ﴾ [القيامة: ١٨] يقول: أنزل عليه، ﴿فَاتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨-١٩] أن نبينه على لسانك.

الشرح

• [٤٥٣٥] هذا من آيات الله وفضله فمع كون النبي ﷺ أميًّا إلا أنه يحفظ هذا القرآن العظيم، مع كثرته في ألفاظه ومعانيه، فمن فضل الله عليه أن الله جمعه في صدره، يسمعه من جبريل ثم يحفظه؛ لأن الله تكفل بحفظه وجمعه في صدره، لكن الإنسان الذي يحفظ القرآن يحتاج إلى مدة وإلى وقت يعيد فيه ويكرر، لكن الرسول عليه الصلاة والسلام كان إذا سمعه من جبريل عليه السلام حفظه بقدرة الله ﷻ.

وابن عباس فسر الآية – وهو ممن أعطاه الله الحكمة والتأويل ودعا له النبي ﷺ قال: «**اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل**»(١) – وهذا يُرد به على الرازي في الحديث السابق؛ لأن قول الرازي معارض لهذا الحديث، ومثله ابن بطال كذلك من أهل الكلام يعتمدون على عقولهم وآرائهم ويتركون النصوص.

❊ ❊ ❊

(١) أحمد (١/ ٢٦٦) واللفظ له، والبخاري (١٤٣)، ومسلم (٢٤٧٧).

المتن

[٣٤٠/ ٥٦] باب ﴿فَإِذَا قَرَأْنَهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨]

قال ابن عباس: ﴿قَرَأْنَهُ﴾ بيناه.

﴿فَٱتَّبِعْ﴾ يعني: اعمل به.

• [٤٥٣٦] حدثنا قتيبة بن سعيد، حدثنا جرير، عن موسى بن أبي عائشة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ﴾ قال: كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل بالوحي وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه وكان يعرف منه، فأنزل الله الآية التي في ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦-١٧]، قال: علينا أن نجمعه في صدرك ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ ﴿فَإِذَا قَرَأْنَهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾، فإذا أنزلناه فاستمع، ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٩] علينا أن نبينه بلسانك، قال: فكان إذا أتاه جبريل أطرق فإذا ذهب قرأه كما وعده الله ﷻ.

الشرح

قوله: «**قال ابن عباس: ﴿قَرَأْنَهُ﴾: بيناه، ﴿فَٱتَّبِعْ﴾ يعني: اعمل به**» هذا أحد التفسيرات، وهناك تفسيرات أخرى، منها: ﴿قَرَأْنَهُ﴾ يعني قرأه جبريل، فيكون معنى قول ابن عباس: «**بيناه**» يعني بعد قراءة جبريل له تعمل به، وسبق أن: ﴿فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨] يعني فاتبعه واقرأه وتفسير ابن عباس بالعمل بعد القراءة؛ فلهذا فسره بالنتيجة، نتيجة القراءة البيان، ونتيجة القراءة الاتباع والعمل.

• [٤٥٣٦] قوله: «**كان رسول الله ﷺ إذا نزل جبريل بالوحي وكان مما يحرك به لسانه وشفتيه فيشتد عليه**» أي: كان هذا في أول الأمر.

قوله: «**وكان يعرف منه**» أي: يعرف أنه يشتد عليه من حرصه على ألا ينسى.

قوله: «**فأنزل الله الآية التي في ﴿لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِۦ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِۦٓ ۝١٦ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُۥ وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٦ - ١٧] قال: علينا أن نجمعه في صدرك ﴿وَقُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٧] ﴿فَإِذَا قَرَأْنَهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٨] فإذا أنزلناه فاستمع ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ [القيامة: ١٩] علينا أن نبينه بلسانك**» هذا تفسير ابن عباس للآيات.

قوله : «**فكان إذا أتاه جبريل أطرق**» يعني أنصت .

قوله : «**فإذا ذهب قرأه كما وعده الله ﷻ**» هذا من قوله : ﴿**فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ**﴾ يعني قرأه عليك الملك جبريل ، وهذا تأويل آخر لابن عباس : ﴿**فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ**﴾ [القيامة : ١٨] : «**فإذا أنزلناه فاستمع**» قاله الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «قوله : «﴿**ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ**﴾ [القيامة : ١٩] **علينا أن نبينه بلسانك**» ، في رواية إسرائيل : «**على لسانك**» وفي رواية أبي عوانة : «**أن تقرأه**» وهي بمثناة فوقانية ، واستدل به على جواز تأخير البيان عن وقت الخطاب كما هو مذهب الجمهور من أهل السنة ، ونص عليه الشافعي لما تقتضيه ﴿**ثُمَّ**﴾ من التراخي وأول من استدل لذلك بهذه الآية القاضي أبو بكر بن الطيب وتبعوه ، وهذا لا يتم إلا على تأويل البيان بتبيين المعنى وإلا فإذا حمل على أن المراد استمرار حفظه له وظهوره على لسانه فلا ، قال الآمدي : يجوز أن يراد بالبيان الإظهار لا بيان المجمل» .

❋ ❋ ❋

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان: ١]

يقال: معناه أتىٰ على الإنسان، وهل تكون جحدا، وهل تكون خبرا، وهذا من الخبر.

ونُقرأ: ﴿سَلَٰسِلَاْ وَأَغْلَٰلًا﴾ [الإنسان: ٤] ولم يجر بعضهم.

﴿مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان: ٧] ممتدا البلاء.

يقول: كان شيئا فلم يكن مذكورا، وذلك من حين خلقه من طين إلىٰ أن نفخ فيه الروح.

وقال معمر: ﴿أَسْرَهُمْ﴾ [الإنسان: ٢٨] شدة الخلق، وكل شيء شددته من غبيط أو قَتَبٍ فهو مأسور، والغبيط شيء يركبه النساء يشبه المحفة.

﴿أَمْشَاجٍ﴾ [الإنسان: ٢] الأخلاط ماء الرجل، ماء المرأة الدم والعلقة.

ويقال: إذا خلط مشيج كقولك: خليط وممشوج مثل مخلوط.

والقمطرير: الشديد، يقال: يوم قمطرير ويوم قماطر.

والعبوس والقمطرير والقماطر والعصيب أشد ما يكون من الأيام في البلاء.

«جمالات»: حبال.

وقال مجاهد: ﴿ٱرْكَعُوا﴾ [المرسلات: ٤٨] صلوا ﴿لَا يَرْكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨] لا يصلون.

وسئل ابن عباس: ﴿هَٰذَا يَوْمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥] ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] ﴿ٱلْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَىٰٓ أَفْوَٰهِهِمْ﴾ [يس: ٦٥]، فقال: إنه ذو ألوان: مرة ينطقون، ومرة يختم عليهم.

• **[٤٥٣٧]** حدثني محمود، قال: حدثنا عبيدالله، عن إسرائيل، عن منصور، عن إبراهيم، عن علقمة، عن عبدالله قال: كنا مع رسول الله ﷺ، فأنزلت عليه: ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾ [المرسلات: ١]، وإنا لنتلقاها من فيه، فخرجت حية فابتدرناها فسبقتنا فدخلت جحرها، فقال رسول الله ﷺ: **«وقيت شركم كما وقيتم شرها»**.

• [٤٥٣٨] حدثني عبدة بن عبدالله ، قال : أخبرنا يحيى بن آدم ، عن إسرائيل ، عن منصور بهذا .

وعن إسرائيل ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبدالله مثله .

تابعه أسود بن عامر ، عن إسرائيل .

وقال حفص وأبو معاوية وسليمان بن قرم ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود .

• [٤٥٣٩] وقال يحيى بن حماد ، أخبرنا أبو عوانة ، عن مغيرة ، عن إبراهيم ، عن علقمة ، عن عبدالله .

وقال ابن إسحاق : عن عبدالرحمن بن الأسود ، عن أبيه ، عن عبدالله .

• [٤٥٤٠] حدثنا قتيبة ، قال : حدثنا جرير ، عن الأعمش ، عن إبراهيم ، عن الأسود ، قال : قال عبدالله : بينا نحن مع رسول الله ﷺ في غار ؛ إذ نزلت عليه ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾ [المرسلات : ١] ، فتلقيناها من فيه وإن فاه لرطب بها ؛ إذ خرجت حية ، فقال رسول الله ﷺ : «عليكم ، اقتلوها» ، قال : فابتدرناها فسبقتنا ، قال : فقال : «وقيت شركم كما وقيتم شرها» .

الشرح

ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ الكلمات التي تحتاج إلى تفسير في ظنه في رأيه ففسرها رَحِمَهُ ٱللَّهُ في سورة ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان : ١] .

قوله : «يقال : معناه أتى على الإنسان ، وهل تكون جحدًا» يعني أن «هل» تكون للإنكار كقولك إذا أردت أن تستنكر على شخص : هل يكون هذا؟!

قوله : «وهل تكون خبرًا» أي : تكون للتقرير كقولك : هل وعظتك؟ هل أعطيتك؟

ومعنى ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان : ١] أي : أتى على الإنسان ، فمقصود المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنها هنا خبر ؛ ولهذا قال المؤلف : «وهذا من الخبر» .

قوله : «﴿سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا﴾ [الإنسان : ٤] ولم يجر بعضهم» يعني بعضهم صرفها «سلاسلًا» أي قرأها بالتنوين ، وبعضهم لم يصرفها فمنعها من الصرف فهي بالفتحة بدون تنوين وهي قراءة حفص ، وهذا اصطلاح قديم للاسم المصروف : مجرى .

قوله : «﴿مُسْتَطِيرًا﴾ [الإنسان : ٧] : ممتدا البلاء» هو وصف لهول يوم القيامة .

وقال الله تعالى: ﴿هَلْ أَتَىٰ عَلَى ٱلْإِنسَـٰنِ حِينٌ مِّنَ ٱلدَّهْرِ لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] يقول المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: **«وذلك من حين خلقه من طين إلى أن نفخ فيه الروح»** يعني ليس له وجود وهل المعدوم شيء أو ليس بشيء؟ **قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «لا حجة فيه للمعتزلة في دعواهم أن المعدوم شيء» لأن المعدوم شيء في الذهن وليس شيئًا في الوجود؛ ولهذا قال الله: ﴿لَمْ يَكُن شَيْـًٔا مَّذْكُورًا﴾ [الإنسان: ١] فلما نفخ الله فيه الروح صار شيئًا مذكورًا.

قوله: **«وقال معمر: ﴿أَسْرَهُمْ﴾** [الإنسان: ٢٨] **شدة الخلق، وكل شيء شددته من غبيط أو قتب فهو مأسور»** فسر الغبيط فقال: **«والغبيط شيء يركبه النساء يشبه المحفة»**.

قوله: **﴿أَمْشَاجٍ﴾** [الإنسان: ٢] فسرها المؤلف فقال: **«الأخلاط ماء الرجل»** إذا اختلط ماء الرجل وماء المرأة يُخلق منه الإنسان بإذن الله كما قال الله تعالى في الآية الأخرى: ﴿فَلْيَنظُرِ ٱلْإِنسَـٰنُ مِمَّ خُلِقَ ۝ خُلِقَ مِن مَّآءٍ دَافِقٍ ۝ يَخْرُجُ مِنۢ بَيْنِ ٱلصُّلْبِ﴾ [الطارق: ٥ - ٧] أي: صلب الرجل ﴿وَٱلتَّرَآئِبِ﴾ أي: ترائب المرأة، وهي عظام الصدر.

قوله: **«ماء المرأة الدم والعلقة»** أي بمعنى أنه يكون أولًا ماء ثم يتحول إلى دم ثم يتحول إلى علقة ثم مضغة، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ﴾ [الحج: ٥].

قوله: **«ويقال: إذا خلط مشيج كقولك: خليط وممشوج مثل مخلوط»** فسر المؤلف الكلمة من جهة اللغة.

قوله: **«والقمطرير الشديد، يقال: يوم قمطرير ويوم قماطر»** يعني: تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا﴾ [الإنسان: ١٠].

قوله: **«والعبوس والقمطرير والقماطر والعصيب أشد ما يكون من الأيام في البلاء»** المراد: الشدة التي تكون يوم القيامة، وينجي الله المؤمنين من هذا البلاء والشدة، كما قال سبحانه: ﴿فَوَقَىٰهُمُ ٱللَّهُ شَرَّ ذَٰلِكَ ٱلْيَوْمِ وَلَقَّىٰهُمْ نَضْرَةً وَسُرُورًا﴾ [الإنسان: ١١] وقوله: ﴿نَضْرَةً﴾ بالفتح حسنًا في وجوههم ﴿وَسُرُورًا﴾ في قلوبهم، ولهذا قال المؤلف كما في بعض النسخ: **«وقال الحسن: النضرة في الوجه والسرور في القلب»** هذا للمؤمنين الأبرار.

وقوله تعالى: ﴿مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ﴾ [الإنسان: ١٣] أي: أهل الجنة الأبرار قال المؤلف كما في بعض النسخ: **«وقال ابن عباس: ﴿ٱلْأَرَآئِكِ﴾ السرر»**، وقال مقاتل: السرر الحجاب من الدر والياقوت.

وقوله تعالىٰ: ﴿وَذُلِّلَتۡ قُطُوفُهَا تَذۡلِيلٗا﴾ [الإنسان: ١٤] قال البراء كما في بعض النسخ «الصحيح»: «**يقطفون كيف شاءوا**»، والمعنىٰ أن قطوف أشجار الجنة مذللة لأهل الجنة يقطفون كيف شاءوا إن شاءوا قائمين أو قاعدين أو ماشين أو مضطجعين يقرب إليهم الغصن ويذلل لهم.

ثم ذكر ما يتعلق بكلمات في سورة المرسلات.

قوله: «**جمالات: حبال**» يعني في قوله تعالىٰ: ﴿كَأَنَّهُۥ جِمَٰلَتٞ صُفۡرٞ﴾ [المرسلات: ٣٣] وهذا في وصف شرر النار قال الله تعالىٰ: ﴿إِنَّهَا تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ﴾ [المرسلات: ٣٢] وقال مجاهد: و«**جمالات**» بضم الجيم هي الحبال التي تشد بها السفن، وبكسر الجيم جمع جمالة وهي جمع الجمل وهو زوج الناقة ولهذا نقل الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ عن ابن التين: ينبغي أن يقرأ في الأصل بالضم لأنه فسرها بالحبال.

قوله: «**وقال مجاهد**: ﴿ٱرۡكَعُواْ﴾ صلوا ﴿لَا يَرۡكَعُونَ﴾ [المرسلات: ٤٨] **لا يصلون**» عبر عن الصلاة بالركوع من باب ذكر البعض وإرادة الكل.

قوله: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥] يعني: لا يتكلمون وفي آية أخرىٰ ذكر الله أنهم تكلموا وأنكروا وقالوا: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] وفي آية أخرىٰ: ﴿ٱلۡيَوۡمَ نَخۡتِمُ عَلَىٰٓ أَفۡوَٰهِهِمۡ﴾ [يس: ٦٥] والجمع بين هذه الآيات كما قال ابن عباس: «**إنه ذو ألوان: مرة ينطقون، ومرة يختم عليهم**» والمعنىٰ أن مشاهد القيامة متعددة ففي بعض المشاهد والأوقات والحالات لا ينطقون ويختم علىٰ أفواههم، وفي البعض الآخر ينطقون وينكرون ويقولون: ﴿وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشۡرِكِينَ﴾ [الأنعام: ٢٣] رجاء المغفرة، فإذا رأوا المغفرة لأهل التوحيد رجوا ذلك فقالوا هذا، لكن لا حيلة لمن مات على الشرك.

ولم يذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديثًا في الباب متعلقًا بسورة ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾؛ لأنه لم يجد علىٰ شرطه حديثا.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويدخل فيه حديث ابن عباس في قراءتها في صلاة الصبح يوم الجمعة» أي قراءة: ﴿هَلۡ أَتَىٰ عَلَى ٱلۡإِنسَٰنِ﴾ [الإنسان: ١].

• [٤٥٣٧]، [٤٥٣٨]، [٤٥٣٩] قوله: «**عن عبدالله**» هو عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

قوله : «**كنا مع رسول الله ﷺ فأنزلت عليه : ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ﴾** [المرسلات : ١] **وإنا لنتلقاها من فيه ، فخرجت حية فابتدرناها فسبقتنا فدخلت جحرها ، فقال رسول الله ﷺ : وقيت شركم كما وقيتم شرها**» أي وقيت هي شركم فلم تقتلوها كما وقيتم شرها فلم تلدغ أحدًا منكم .

والشاهد من الحديث أن هذه القصة حصلت حين نزلت سورة المرسلات .

قوله : «**وسليمان بن قرم**» بفتح القاف وسكون الراء وهو ضعيف ، لكن المؤلف روى له هنا في المتابعات .

• [٤٥٤٠] هذه الرواية فيها زيادة على الحديث الأول وهي أن النبي ﷺ قال : «**عليكم ، اقتلوها**» ، فكأن الحديث الأول فيه اختصار .

* * *

المَتْنُ

[٣٤١/ ٥٦] **باب قوله:** ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ [المرسلات: ٣٢]

• [٤٥٤١] حدثنا محمد بن كثير، قال: أخبرنا سفيان، حدثنا عبدالرحمن بن عابس، قال: سمعت ابن عباس ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ [المرسلات: ٣٢] قال: كنا نرفع الخشب بِقِصَر ثلاثة أذرع أو أقل، فنرفعه للشتاء فنسميه القصر.

الشَّرْحُ

قوله: «**باب قوله:** ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ [المرسلات: ٣٢]» أي: قدر القصر.

• [٤٥٤١] **قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ: «قوله: «**كنا نرفع الخشب بقصر**» بكسر الموحدة والقاف وفتح الصاد المهملة وتنوين الراء وبالإضافة أيضًا وهو بمعنى الغاية والقدر، تقول: قصرك وقصاراك من كذا ما اقتصرت عليه.

قوله: «**ثلاثة أذرع أو أقل**» في الرواية التي بعد هذه أو فوق ذلك وهي رواية المستملي وحده.

قوله: «**فنرفعه للشتاء فنسميه القصر**» بسكون الصاد وبفتحها وهو على الثاني جمع قصرة أي كأعناق الإبل، ويؤيده قراءة بن عباس «**كَالْقَصَرِ**» بفتحتين وقيل: هو أصول الشجر وقيل أعناق النخل وقال ابن قتيبة: القصر البيت ومن فتح أراد أصول النخل المقطوعة شبهها بقصر الناس أي أعناقهم، فكأن ابن عباس فسر قراءته بالفتح بما ذكر وأخرج أبو عبيد من طريق هارون الأعرج عن حسين المعلم عن أبي بشر عن سعيد بن جبير عن ابن عباس: «﴿بِشَرَرٍ﴾ **كَالْقَصَرِ**» بفتحتين قال هارون: وأنبأنا أبو عمرو أن سعيدًا وابن عباس قرءا كذلك وأسنده أبو عبيد عن ابن مسعود أيضًا بفتحتين وأخرج ابن مردويه من طريق قيس بن الربيع عن عبد الرحمن بن عابس سمعت ابن عباس كانت العرب تقول في الجاهلية: أقصروا لنا الحطب فيقطع على قدر الذراع والذراعين، وقد أخرج الطبراني في «الأوسط» من حديث ابن مسعود في قوله تعالى: ﴿تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ﴾ [المرسلات: ٣٢] قال: ليست كالشجر والجبال ولكنها مثل المدائن والحصون»، والمراد به معنى الغاية والقدر.

* * *

المتن

[٣٤٢/ ٥٦] باب قوله: ﴿كَأَنَّهُۥ «جمالات» صُفۡرٞ﴾ [المرسلات: ٣٣]

• [٤٥٤٢] حدثني عمرو بن علي، قال: أخبرنا يحيى، قال: أخبرنا سفيان، قال: حدثني عبدالرحمن بن عابس، قال: سمعت ابن عباس، ﴿تَرۡمِي بِشَرَرٖ كَٱلۡقَصۡرِ﴾ [المرسلات: ٣٢] قال: كنا نعمد إلى الخُشُب ثلاثة أذرع أو فوق ذلك فنرفعه للشتاء فنسميه القصر، ﴿كَأَنَّهُۥ «جمالات» صُفۡرٞ﴾ [المرسلات: ٣٣] حبال السفن تجمع حتى تكون كأوساط الرجال.

الشرح

قوله: ﴿كَأَنَّهُۥ «جمالات» صُفۡرٞ﴾ [المرسلات: ٣٣] هذه قراءة، وقراءة حفص: ﴿جِمَٰلَتٞ﴾ [المرسلات: ٣٣].

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**«والجمالات»** حبال الجسور»، ثم قال: «ووقع عند ابن التين قول مجاهد: **«جمالات»** جمال يريد: بكسر الجيم وقيل: بضمها إبل سود واحدها جمالة، وجمالة جمع جمل مثل حجارة وحجر، ومن قرأ: **«جمالات»** ذهب إلى أنها الحبال الغلاظ، وقد قال مجاهد في قوله: ﴿حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلۡجَمَلُ فِي سَمِّ ٱلۡخِيَاطِ﴾ [الأعراف: ٤٠] هو حبل السفينة» ففيه خلاف هل هو حبل السفينة حتى يدخل في ثقب الإبرة أو الجمل الذي هو زوج الناقة.

• [٤٥٤٢] قوله: **«كنا نعمد إلى الخشب ثلاثة أذرع أو فوق ذلك فنرفعه للشتاء»** يعني: كأنه يعد للشتاء.

قوله: **«فنسميه القصر ﴿كَأَنَّهُۥ «جمالات» صُفۡرٞ﴾** [المرسلات: ٣٣] **حبال السفن تجمع»** يعني: يضم بعضها إلى بعض لتقوى.

قوله: **«كأوساط الرجال»** يعني كعرض وسط الرجل.

* * *

المتن

[٣٤٣/ ٥٦] باب قوله: ﴿هَٰذَا يَوۡمُ لَا يَنطِقُونَ﴾ [المرسلات: ٣٥]

• [٤٥٤٣] حدثنا عمر بن حفص بن غياث، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا الأعمش، قال: حدثني إبراهيم، عن الأسود، عن عبدالله قال: بينما نحن مع النبي ﷺ في غار؛ إذ نزلت عليه ﴿وَٱلۡمُرۡسَلَٰتِ﴾ [المرسلات: ١] فإنه ليتلوها وإني لأتلقاها من فيه وإن فاه لرطب بها؛ إذ وثبت علينا حية، فقال النبي ﷺ: **«اقتلوها»**، فابتدرناها فذهبت، فقال النبي ﷺ: **«وقيت شركم كما وقيتم شرها»**.

قال عمر حفظته من أبي في غار بمنى.

الشرح

• [٤٥٤٣] في هذا الحديث الأمر بقتل الحية، يقول النبي ﷺ: **«اقتلوها»**؛ وذلك لأنها من ذوات السموم، وجاء في الحديث الآخر **«خمس فواسق يقتلن في الحل والحرم: الفأرة والعقرب والحية والحدأة والكلب العقور»**[1]، وسميت الفواسق لفسقها ولكونها خارجة عن طبيعة غيرها بالإيذاء لأنها مؤذية فالفأرة مؤذية لأنها تدور في البيت وتؤذي وتقطع الأشياء وتخرب، والعقرب والحية من ذوات السموم يلدغان، والكلب العقور يعض الناس ويروعهم، والغراب يأكل سنبل الزرع وينقض الجرح الذي في الإبل إذا كاد أن يبرأ وذلك من فسقه، فلما خرجت عن غيرها بالأذى أمر بقتلها والفسق معناه الخروج، ومنه سمي العاصي فاسقًا لخروجه عن الطاعة إلى المعصية.

وهذا الحديث هو الحديث السابق، لكن فيه زيادة المكان وأنه **«في غار بمنى»**، فالمؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ يعيد الحديث ويكرره من أجل حصول الفوائد، منها الزيادة في ألفاظ المتن، وكذلك السند فيه اختلاف فيتقوى.

***

(١) أحمد (٦/ ٩٧)، والبخاري (١٨٢٩)، ومسلم (١١٩٨) واللفظ له.

المتن

سورة ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [النبأ : ١]

بسم الله الرحمن الرحيم

وقال مجاهد : ﴿لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾ [النبأ : ٢٧] لا يخافونه .

﴿لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا﴾ [النبأ : ٣٧] لا يكلمونه إلا أن يأذن لهم .

وقال ابن عباس : ﴿وَهَّاجًا﴾ [النبأ : ١٣] مضيئا .

﴿عَطَاءً حِسَابًا﴾ [النبأ : ٣٦] جزاء كافيا .

وقال غيره : ﴿غَسَّاقًا﴾ [النبأ : ٢٥] غسقت عينه .

﴿صَوَابًا﴾ [النبأ : ٣٨] حقا في الدنيا وعمل به .

ويغسق الجرح يسيل كأن الغساق والغسيق واحد .

أعطاني ما أحسبني أي كفاني .

الشرح

قوله تعالى : ﴿عَمَّ يَتَسَاءَلُونَ﴾ [النبأ : ١] عن : حرف جر والميم اسم استفهام والمعنى : عن أي شيء يتساءلون؟ وهذه السورة تسمى سورة عم وتسمى سورة النبأ . وروي عن ابن كثير بهاء السكت ، ثم جاء الجواب بقوله : ﴿عَنِ النَّبَإِ الْعَظِيمِ﴾ [النبأ : ٢] .

قوله : «**وقال مجاهد : ﴿لَا يَرْجُونَ حِسَابًا﴾** [النبأ : ٢٧] **: لا يخافونه**» أي : لا يخافون الحساب .

قوله : «﴿**لَا يَمْلِكُونَ مِنْهُ خِطَابًا**﴾ [النبأ : ٣٧] **لا يكلمونه إلا أن يأذن لهم**» أي يوم القيامة لا يستطيع أحد أن يتكلم إلا بإذن .

«**وقال ابن عباس ﴿وَهَّاجًا﴾** [النبأ : ١٣] **: مضيئًا**» يعني : الشمس .

قوله : «**وقال غيره : ﴿غَسَّاقًا﴾** [النبأ : ٢٥] **غسقت عينه**» ثم قال : «**ويغسق الجرح يسيل كأن الغساق والغسيق واحد**» يعني قوله تعالى : ﴿إِلَّا حَمِيمًا وَغَسَّاقًا﴾ [النبأ : ٢٥] يعني ماء منتنًا مثل ماء الجروح من الصديد وهو عرق أهل النار وصديدهم .

قوله : «**أعطاني ما أحسبني أي : كفاني**» العطاء هو الجزاء ، والحساب : الكافي .

المتن

[٣٤٤/ ٥٦] باب ﴿يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ فَتَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ: ١٨]

• [٤٥٤٤] حدثني محمد، قال: أخبرنا أبو معاوية، عن الأعمش، عن أبي صالح، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما بين النفختين أربعون»**، قالوا: أربعون يوما؟ قال: أبيتُ، قال: أربعون شهرا؟ قال: أبيتُ، قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت، قال: **«ثم ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل، ليس من الإنسان شيء إلا يبلى؛ إلا عظم واحد وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة»**.

الشرح

• [٤٥٤٤] قوله: **«ما بين النفختين أربعون»** فيه إثبات النفختين:

الأولى: نفخة الصعق، وبها يموت الخلائق.

الثانية: نفخة البعث، وبها يحيي الله الخلائق.

قال الله تعالى في سورة الزمر: ﴿وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا مَن شَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨] وهذه نفخة الصعق والموت، ﴿ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ﴾ [الزمر: ٦٨] هذه نفخة البعث، وجاء في حديث الصور أنها ثلاث نفخات: نفخة الفزع ونفخة الصعق ونفخة البعث، لكنه حديث ضعيف في سنده إسماعيل بن رافع وهو ضعيف والصواب أن نفخة الصعق ونفخة الفزع هي نفخة واحدة أولها فزع وآخرها صعق وموت؛ وذلك أن إسرافيل حينما ينفخ أولًا يمد بها صوته فيفزع الناس، ثم لا يزال الصوت يقوى حتى يموت الناس؛ ولهذا جاء في الحديث: **«لا يسمع أحد إلا أصغى ليتا ورفع ليتا»**(١) والليت: صفحة العنق يعني يلتفت يمينًا وشمالًا.

قوله: **«ما بين النفختين أربعون»**، سئل أبو هريرة قيل له: **«أربعون يوما؟ قال: أبيت»** يعني: ما عندي خبر فلا أعلم، **«قال: أربعون شهرا؟ قال: أبيت، قال: أربعون سنة؟ قال: أبيت»** يعني: ليس عنده علم هل هي أربعون سنة أو أربعون شهرًا أو أربعون يومًا

(١) مسلم (٢٩٤٠).

وجاء في حديث ضعيف : «أربعون خريفا»[١] ، لكن هذا الحديث الصحيح ليس فيه بيان تمييز الأربعين هل هي شهر أو سنة أو يوم .

وجاء في الحديث أن الله تعالى بعد نفخة الصعق يُنْزل مطرًا تنبت منه أجساد الناس ، وأن الله تعالى ينشئ الخلق تنشئة قوية ، وهي أن يعيد الله الذرات التي استحالت خلقًا جديدًا ، ثم إذا تكامل خلقهم أمر الله إسرافيل فنفخ في الصور نفخة البعث فتعود الأرواح إلى أجسادها ، فالأرواح لا تموت فهي باقية إما في نعيم وإما في عذاب ، فروح المؤمن تنقل إلى الجنة ولها صلة بالجسد إذا مات ، وروح الكافر تنقل إلى النار ولها صلة بالجسد ، فإذا بعث الله الأجساد يوم القيامة وأنبتها وأعادها خلقًا جديدًا وتم الخلق وأنزل المطر أذن الله لإسرافيل بأن ينفخ في الصور فإذا نفخ في الصور تطايرت الأرواح إلى أجسادها ودخلت كل روح إلى جسدها فيحيا الناس فيقومون من قبورهم ينفضون التراب عن روءسهم .

قوله : **«ليس من الإنسان شيء إلا يبلى ؛ إلا عظم واحد وهو عجب الذنب» «عجب»** بإسكان الجيم عظم صغير ، وهو آخر العمود الفقري في الصلب ويقال له : العصعص ، هذا يبقى لا يبلى ، وأما باقي الجسد فيبلى إلا أجساد الأنبياء ؛ لقول النبي ﷺ : **«إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء»**[٢] .

وفي هذا الحديث الشريف رد على ما يدرس لبعض الطلاب في مادة الفيزياء وهو قولهم : المادة لا تفنى ولا تستحدث من العدم ، وهذا مذهب المعتزلة وأهل الكلام الذين يقولون : إن الأجسام مكونة من الجواهر المفردة والجواهر المفردة أجزاء صغيرة حتى تجزئها فتكون كرأس الإبرة حتى تجزئها إلى ما لا نهاية فلابد أن تبقى ولا تفنى .

وكذا قال أنصارهم المتأخرون قالوا : المادة لا تفنى ولا تستحدث ، وهذا باطل ففي الحديث قال ﷺ : **«كل شيء يفنى إلا عجب الذنب ؛ لأن منه خلق ابن آدم وفيه يركب»**[٣] .

---

(١) «فتح الباري» (٨/ ٥٥٢) .

(٢) أحمد (٤/ ٨) ، وأبو داود (١٠٤٧) ، والنسائي (١٣٧٤) ، وابن ماجه (١٠٨٥) .

(٣) أحمد (٢/ ٣٢٢) ، والبخاري (٤٨١٤) ، ومسلم (٢٩٥٥) .

وذهب شيخ الإسلام ابن تيمية رَحِمَهُ اللَّهُ[(١)] إلى أن إثبات الجواهر المفردة فيه نزاع والصواب أنه لا توجد الجواهر المفردة وكونها لا تفنى أيضًا هذا باطل، وظاهر الكلام أنهم بنوا دينهم في الإيمان بالله والبعث على الجواهر المفردة.

وقولهم: ولا تستحدث معناه أن هذه المادة قديمة وأن هناك شيئًا باق ولا يستحدث وهذا يوافق قول الفلاسفة الذين يقولون: إن العالم قديم وهذا باطل أيضًا، وهذا الكلام خطير على دين من يعتقد هذا؛ إذ معناه أنه ما أثبت أن الله هو الأول بل جعل المادة قديمة وأن هناك شيئًا مع الله، والله تعالى هو واجب الوجود لذاته، وكل المخلوقات مخلوقة، فكل المخلوقات خلقها الله بعد أن لم تكن قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيۡءٍ﴾ [الرعد: ١٦]، فليس هناك مادة لا تستحدث فكل شيء خلقه الله وأوجده.

* * *

(١) انظر «مجموع الفتاوى» (٣/ ٣٣).

المتن

سورة ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا﴾ [النازعات : ١]

بسم الله الرحمن الرحيم

وقال مجاهد : ﴿ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾ [النازعات : ٢٠] عصاه ويده .

و الناخرة والنخرة سواء مثل الطامع والطمع والباخل والبخيل .

وقال بعضهم : النخرة البالية والناخرة العظم المجوف الذي تمر فيه الريح فتنخر .

وقال ابن عباس : ﴿ٱلۡحَافِرَةِ﴾ [النازعات : ١٠] إلى أمرنا الأول إلى الحياة .

وقال غيره : ﴿أَيَّانَ مُرۡسَىٰهَا﴾ [النازعات : ٤٢] متى منتهاها ، ومرسى السفينة حيث تنتهي .

● [٤٥٤٥] حدثنا أحمد بن مقدام ، قال : حدثنا الفضيل بن سليمان ، قال : حدثنا أبو حازم ، قال : حدثنا سهل بن سعد قال : رأيت رسول الله ﷺ قال بإصبعيه هكذا - بالوسطى والتي تلي الإبهام : **«بُعثت والساعة كهاتين»** .

الطامة تَطِمُّ على كل شيءٍ .



فسر المؤلف الكلمات التي تحتاج إلى معنى في سورة النازعات .

وقوله : ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ﴾ [النازعات : ١] أي : الملائكة تنزع روح الكفار بقوة وشدة .

وقوله : ﴿وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا﴾ [النازعات : ٢] أي : الملائكة تسل أرواح المؤمنين برفق كحل العقال من يد البعير .

و قوله : ﴿وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا﴾ [النازعات : ٣] أي : الملائكة التي تقبض أرواح المؤمنين قبضًا هينًا كالذي يسبح في البحر .

وقوله : ﴿فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا﴾ [النازعات : ٤] أي : الملائكة تسبق إلى الأمر .

وقوله : ﴿فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾ [النازعات : ٥] أي : الملائكة تدبر الأمر من أمر الله ﷻ .

فقوله تعالىٰ : ﴿وَٱلنَّٰزِعَٰتِ غَرۡقٗا ۝ وَٱلنَّٰشِطَٰتِ نَشۡطٗا ۝ وَٱلسَّٰبِحَٰتِ سَبۡحٗا ۝ فَٱلسَّٰبِقَٰتِ سَبۡقٗا ۝ فَٱلۡمُدَبِّرَٰتِ أَمۡرٗا﴾ [النازعات : ١-٥] كله وصف الملائكة .

قوله : «**وقال مجاهد : ﴿ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾** [النازعات : ٢٠] **عصاه ويده**» كأن مجاهدًا رَحِمَهُ ٱللَّهُ فسرها بالآيتين وجعل العصا واليد الآية الكبرىٰ ، وظاهر الآية أن العصا هي الآية الكبرىٰ .

وقوله تعالىٰ : ﴿فَأَرَىٰهُ ٱلۡأٓيَةَ ٱلۡكُبۡرَىٰ﴾ [النازعات : ٢٠] الآية في قصة فرعون يعني : موسىٰ أرىٰ فرعون الآية الكبرىٰ .

قوله : «**والناخرة والنخرة سواء مثل الطامع والطمع والباخل والبخيل**» أي : بمعنىٰ واحد .

قوله : «**وقال بعضهم : النخرة : البالية والناخرة العظم المجوف الذي تمر فيه الريح فتنخر**» هذا في إنكار الكفار للبعث يقولون : ﴿أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا نَّخِرَةٗ ۝ قَالُواْ تِلۡكَ إِذٗا كَرَّةٌ خَاسِرَةٞ﴾ [النازعات : ١١ ، ١٢] يعني : كيف نبعث مرة أخرىٰ بعد أن نكون عظاما بالية متفتتة؟ كيف تعود لنا الحياة مرة أخرىٰ؟!

قوله : «**وقال ابن عباس : ﴿ٱلۡحَافِرَةِ﴾ إلىٰ أمرنا الأول إلىٰ الحياة**» يعني تفسير قوله تعالىٰ : ﴿يَقُولُونَ أَءِنَّا لَمَرۡدُودُونَ فِي ٱلۡحَافِرَةِ﴾ [النازعات : ١٠] أي : أئنا لمردودون إلىٰ أمرنا الأول إلىٰ الحياة بعد أن نكون عظاما نخرة؟ فكفار قريش استبعدوا البعث ، وقالوا : إذا كانت أجسامنا عظاما نخرة بالية كيف تعود الحياة إلى العظام البالية اليابسة والحياة حارة رطبة؟ فلا يجتمعان فكيف تعود إلىٰ حالتها الأولىٰ؟ من أجل ذلك أنكروا البعث .

وقد ذكر الله في آخر سورة يس شبهة الكفار في البعث فقال : ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ﴾ [يس : ٧٨] وليس هذا بأعجز من الأمر الأول فقال : ﴿ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلۡأَخۡضَرِ نَارٗا فَإِذَآ أَنتُم مِّنۡهُ تُوقِدُونَ﴾ [يس : ٨٠] فالذي يخرج من الشجر الأخضر نارًا وهذا أخضر رطب أخرج الله منه النار والنار حارة يابسة – يخرج الشيء من ضده فالله تعالىٰ يعيد الأرواح ويعيد الحياة إلى الأجساد لأن الله علىٰ كل شيء قدير .

• [٤٥٤٥] قوله : «**رأيت رسول الله ﷺ قال بإصبعيه هكذا – بالوسطىٰ والتي تلي الإبهام : بعثت والساعة كهاتين**» أي : الوسطىٰ والسبابة ؛ وذلك لأنه نبي الساعة ﷺ فليس بينه

وبين الساعة نبي أو أمة من الأمم غير أمته والساعة تكون في آخر أمته، ويجوز في **«الساعة»** الرفع والنصب.

قوله: **«الطامة تطم على كل شيء»** أي: في قوله تعالى: ﴿ فَإِذَا جَآءَتِ ٱلطَّآمَّةُ ٱلْكُبْرَىٰ ﴾ [النازعات: ٣٤]، والطامة اسم من أسماء يوم القيامة، وكذلك الصاخة.

* * *

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة عبس

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [عبس: ١] يعني: كلح وأعرض

﴿مُّطَهَّرَةٍۭ﴾ [عبس: ١٤] لا يمسها إلا المطهرون وهم الملائكة.

وهذا مثل قوله تعالى: ﴿فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا﴾ [النازعات: ٥] جعل الملائكة والصحف مطهرة؛ لأن الصحف يقع عليها التطهير فجعل التطهير لمن حملها أيضا.

﴿سَفَرَةٍ﴾ [عبس: ١٥] الملائكة واحدهم سافر، سفرت: أصلحت بينهم، وجعلت الملائكة إذا نزلت بوحي الله وتأديته كالسفير الذي يصلح بين القوم.

﴿تَصَدَّىٰ﴾ [عبس: ٦] تغافل عنه.

وقال ابن عباس: ﴿تَرْهَقُهَا﴾ [عبس: ٤١] تغشاها شدة.

﴿مُّسْفِرَةٌ﴾ [عبس: ٣٨] مشرقة.

وقال مجاهد: ﴿لَمَّا يَقْضِ﴾ [عبس: ٢٣] لا يقضي أحد ما أمر به.

﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ﴾ [عبس: ١٥] قال ابن عباس: يعني كتبة.

﴿أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥] كتبا واحد الأسفار سفر.

﴿تَلَهَّىٰ﴾ [عبس: ١٠] تشاغل.

• [٤٥٤٦] حدثنا آدم، قال: حدثنا شعبة، قال: حدثنا قتادة، قال: سمعت زرارة بن أوفى، يحدث عن سعد بن هشام، عن عائشة، عن النبي ﷺ قال: **«مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران»**.

الشرح

قوله: «﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ﴾ [عبس: ١] **يعني: كلح وأعرض**» هذا فيه أن النبي ﷺ أمين على الوحي لم يكتم شيئًا منه، وكذلك الآية التي في سورة الأحزاب: ﴿**وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ**﴾ [الأحزاب: ٣٧].

وسبب نزول هذه السورة أن النبي ﷺ لما جاءه عبدالله بن أم مكتوم يسأله - وكان مشغولا مع كبراء قريش رجاء أن يسلموا - أعرض عنه النبي ﷺ، فالله سبحانه وتعالى عاتب نبيه ﷺ فأنزل هذه السورة: ﴿**عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ**﴾ [عبس: ١] يعني عبس بوجهه وأعرض.

قوله تعالى: ﴿**أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ**﴾ [عبس: ٢] وهو عبد الله بن أم مكتوم، فقال الله: ﴿**وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ**﴾ [عبس: ٣] وما يعلمك لعل هذا الأعمى جاء ليتزكى أي يتطهر من المعاصي بالتوبة والعمل الصالح ﴿**أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ**﴾ [عبس: ٤] أو يتذكر فيكون عنده موعظة ﴿**أَمَّا مَنِ ٱسْتَغْنَىٰ**﴾ [عبس: ٥] وهم كبراء قريش ﴿**فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ**﴾ [عبس: ٦] تقبل عليه، ولكن ليس عليك تزكيتهم وإيمانهم كما في الآية الأخرى: ﴿**إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ**﴾ [الشورى: ٤٨] وكذلك آية: ﴿**إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ ۝ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُم**﴾ [الغاشية: ٢٥، ٢٦] وهذا فيه عتاب من الله لنبيه؛ لعلو مقامه ﷺ؛ لأنه فعل خلاف الأولى، والنبي ﷺ اجتهد فيما فعل.

قوله: «﴿**مُّطَهَّرَةٍ**﴾ [عبس: ١٤]: **لا يمسها إلا المطهرون وهم الملائكة**».

وقوله: «﴿**فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا**﴾ [النازعات: ٥] **جعل الملائكة والصحف مطهرة؛ لأن الصحف يقع عليها التطهير، فجعل التطهير لمن حملها أيضا**» فتكون الصحف مطهرة والملائكة مطهرة.

قوله: «﴿**سَفَرَةٍ**﴾ [عبس: ١٥] **الملائكة واحدهم سافر، سفرت: أصلحت بينهم، وجعلت الملائكة إذا نزلت بوحي الله وتأديته كالسفير الذي يصلح بين القوم**» فهم سفرة وسفراء، أي: لكونهم يسافرون وينتقلون.

قوله: «**وقال ابن عباس**: ﴿**تَرْهَقُهَا**﴾ [عبس: ٤١] **تغشاها شدة**» يعني: في النار.

قوله: «﴿**مُّسْفِرَةٌ**﴾ [عبس: ٣٨]: **مشرقة**» وهم المؤمنون الفائزون.

قوله «**وقال مجاهد**: ﴿**لَمَّا يَقْضِ**﴾ [عبس: ٢٣] **لا يقضي أحد ما أمر به**».

• [٤٥٤٦] قوله: «**مثل الذي يقرأ القرآن وهو حافظ له مع السفرة الكرام البررة، ومثل الذي يقرأ وهو يتعاهده وهو عليه شديد فله أجران**»، هذا الحديث في «صحيح مسلم» بلفظ: «**الماهر بالقرآن مع السفرة الكرام البررة، والذي يقرأ القرآن ويتتعتع فيه وهو عليه شاق له أجران**»[1] ظاهر الحديث أن الثاني له أجران: أجر القراءة وأجر المشقة، والذي يقرأ القرآن وهو يتعاهده وهو عليه شديد له أجران: أجر القراءة وأجر المشقة والمعاهدة، لكن الأول أعظم منه؛ لأنه مع السفرة الكرام البررة وهم الملائكة؛ لأنه عالج واعتنى أولًا ثم تجاوز ذلك فصار حافظا له ماهرا فيه فكان أجره أعظم من الأول.

* * *

(١) مسلم (٧٩٨).

المتن

سورة ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾ [التكوير : ١]

بسم الله الرحمن الرحيم

وقال الحسن : ﴿سُجِّرَتۡ﴾ [التكوير : ٦] يذهب ماؤها فلا تبقىٰ قطرة .

وقال مجاهد : ﴿ٱلۡمَسۡجُورِ﴾ [الطور : ٦] المملوء .

وقال غيره : ﴿سُجِّرَتۡ﴾ [التكوير : ٦] أفضىٰ بعضها إلىٰ بعض فصارت بحرا واحدا .

﴿ٱنكَدَرَتۡ﴾ [التكوير : ٢] انتثرت .

و﴿ٱلۡكُنَّسِ﴾ [التكوير : ١٦] يكنس يستتر كما يَكْنِس الظبي .

و«الخنس» تخنس في مجراها ترجع وتكْنِسُ .

﴿تَنَفَّسَ﴾ [التكوير : ١٨] ارتفع النهار .

والظنين : المتهم .

والضنين : يضن به .

وقال عمر : ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتۡ﴾ [التكوير : ٧] تُزَوَّجُ نظيره من أهل الجنة والنار ، ثم قرأ : ﴿ٱحۡشُرُواْ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَأَزۡوَٰجَهُمۡ﴾ [الصافات : ٢٢] .

﴿عَسۡعَسَ﴾ [التكوير : ١٧] أدبر .

الشرح

قوله : «سورة : ﴿إِذَا ٱلشَّمۡسُ كُوِّرَتۡ﴾» يقال لها : سورة التكوير ، يعني كتكوير العمامة ، وهذا في يوم القيامة حيث تكور كما تكور العمامة ثم تلقىٰ هي والقمر في النار ، هما ومن عبدهما ، وقوله تعالىٰ : ﴿وَإِذَا ٱلنُّجُومُ ٱنكَدَرَتۡ﴾ [التكوير : ٢] يعني : تغيرت ، وفي سورة الانفطار : ﴿وَإِذَا ٱلۡكَوَاكِبُ ٱنتَثَرَتۡ﴾ [الانفطار : ٢] يعني : انتثرت فهي تنكدر بمعنىٰ تتغير ثم تنتثر : فوصفت في سورة التكوير بالانكدار وفي سورة الانفطار بالانتثار .

قوله «**وقال الحسن : ﴿سُجِّرَتْ﴾** [التكوير : ٦] **يذهب ماؤها فلا تبقىٰ قطرة**» .

قوله : «**وقال مجاهد : ﴿ٱلْمَسْجُورِ﴾** [الطور : ٦] **المملوء**» .

قوله : «**وقال غيره : ﴿سُجِّرَتْ﴾** [التكوير : ٦] **أفضىٰ بعضها إلىٰ بعض فصارت بحرا واحدا**» وفي سورة الانفطار : ﴿وَإِذَا ٱلْبِحَارُ فُجِّرَتْ﴾ [الانفطار : ٣] فتتفجر البحار وتكون بحرا واحدا وتسجر فلا يبقىٰ منها قطرة ثم بعد ذلك تكون جزءا من النار .

قوله تعالىٰ : ﴿فَلَآ أُقْسِمُ﴾ [التكوير : ١٥] لا مزيدة للتأكيد ، والمعنىٰ : أقسم بالخنس وهي النجوم تخنس في مجراها ، والجواري : السيارة ، والكنس : التي تكنس ؛ أي : تستتر في بيوتها كما تكنس الظباء ، وقوله : ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ﴾ [التكوير : ١٧] أدبر ، وبمعنىٰ : أقبل ، وقوله : ﴿وَٱلصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ﴾ [التكوير : ١٨] يعني إذا ارتفع النهار ، وقوله ﴿وَمَا هُوَ عَلَى ٱلْغَيْبِ بِضَنِينٍ﴾ [التكوير : ٢٤] يعني : الرسول ﷺ ، والظنين بالظاء بمعنىٰ : المتهم ، يعني : ليس بمتهم على الوحي ﷺ ، والضنين بالضاد بمعنىٰ : البخيل – فهما قراءتان – أي ليس ببخيل يضن به ، وهو لا يبخل به ؛ لقوله : ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾ [التكوير : ٧] يعني : قرنت بما يشاكلها ؛ ولهذا قال يزوج نظيره من أهل الجنة والنار ، والمعنىٰ : يقرن الأخيار بالأخيار والأشرار بالأشرار .

قوله : «**وقال عمر : ﴿وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ﴾** [التكوير : ٧] **تزوج نظيره من أهل الجنة والنار ، ثم قرأ : ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ﴾** [الصافات : ٢٢]» **قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «ولم يورد المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديثا مرفوعا ؛ لأنه لم يجد على شرطه حديثا» .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وفيها حديث جيد أخرجه أحمد والترمذي[(١)] والطبراني وصححه الحاكم من حديث ابن عمر رفعه : «**من سره أن ينظر إلىٰ يوم القيامة كأنه رأي عين فليقرأ : ﴿إِذَا ٱلشَّمْسُ كُوِّرَتْ﴾** [التكوير : ١] **، و﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتْ﴾** [الانفطار : ١]»» .

* * *

---

(١) أحمد (٢/ ٢٧) ، والحاكم (٤/ ٦٢٠) ، والترمذي (٣٣٣٣) .

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ [الانفطار : ١]

وقال الربيع بن خثيم : ﴿فُجِّرَتۡ﴾ [الانفطار : ٣] فاضت .

وقرأ الأعمش وعاصم : ﴿فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار : ٧] بالتخفيف ، وقراءة أهل الحجاز بالتشديد ، وأراد معتدل الخلق ، ومن خفف يعني : ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ﴾ [الانفطار : ٨] شاء ؛ إما حسن وإما قبيح وطويل أو قصير .

الشرح

هذه السورة يقال لها : سورة الانفطار ، ويقال : سورة ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنفَطَرَتۡ﴾ [الانفطار : ١] يعني : انشقت .

قوله : «**وقال الربيع بن خثيم : ﴿فُجِّرَتۡ﴾ : فاضت**» يعني في قوله تعالى : ﴿وَإِذَا ٱلۡبِحَارُ فُجِّرَتۡ﴾ [الانفطار : ٣] .

قوله : «**وقرأ الأعمش وعاصم : ﴿فَعَدَلَكَ﴾ [الانفطار : ٧] بالتخفيف ، وقراءة أهل الحجاز بالتشديد ، وأراد معتدل الخلق ، ومن خفف يعني : ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ﴾ [الانفطار : ٨] شاء ؛ إما حسن وإما قبيح وطويل أو قصير**» يعني يركب في أي صورة شاءها سبحانه وتعالى ، وذلك في قوله تعالى : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡإِنسَٰنُ مَا غَرَّكَ بِرَبِّكَ ٱلۡكَرِيمِ ۝٦ ٱلَّذِي خَلَقَكَ فَسَوَّىٰكَ فَعَدَلَكَ ۝٧ فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ مَّا شَآءَ رَكَّبَكَ﴾ [الانفطار : ٦، ٨] .

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله : «قوله : «**وأراد معتدل الخلق ومن خفف يعني ﴿فِيٓ أَيِّ صُورَةٖ﴾** [الانفطار : ٨] **شاء إما حسن وإما قبيح وطويل أو قصير**» هو قول الفراء بلفظه إلى قوله : «**بالتشديد**» ، ثم قال : فمن قرأ بالتخفيف فهو -والله أعلم- يصرفك في أي صورة شاء إما حسن إلخ ومن شدد فإنه أراد -والله أعلم- جعلك معتدلا معتدل الخلق ، قال : وهو أجود القراءتين في العربية وأحبهما إلي ، وحاصل القراءتين أن التي بالتثقيل من التعديل والمراد التناسب ، وبالتخفيف من العدل وهو الصرف إلى أي صفة أراد» ، والمعنى : صرفك إلى أي صفة أراد طويلا أو قصيرا حسنا أو قبيحا .

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين : ١]

وقال مجاهد : ﴿بَلۡۜ رَانَ﴾ [المطففين : ١٤] ثبت الخطايا .

﴿ثُوِّبَ﴾ [المطففين : ٣٦] جوزي .

وقال غيره : المطفف لا يوفي غيره يوم يقوم الناس لرب العالمين .

• [٤٥٤٧] حدثني إبراهيم بن المنذر ، قال : حدثنا معن ، قال : حدثني مالك ، عن نافع ، عن عبدالله بن عمر ، أن النبي ﷺ قال : «﴿يَوۡمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين : ٦] **حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه»** .

الشرح

هذه السورة يقال لها : ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾ [المطففين : ١] .

قوله : «**وقال مجاهد** : ﴿بَلۡۜ رَانَ﴾ [المطففين : ١٤] **ثبت الخطايا**» يجوز تسكين الباء ، والأرجح فتحها .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «**"ثبت الخطايا"** بفتح المثلثة والموحدة ثبت بعدها تاء فعل ماض ويجوز تسكين ثانيها فيكون مصدرا يعني ثبت الخطايا على قلوبهم» .

قوله تعالى : ﴿ثُوِّبَ﴾ [المطففين : ٣٦] بمعنى : «**جوزي**» .

قوله : «**وقال غيره : المطفف لا يوفي غيره**» يشير إلى قوله تعالى : ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾ يعني الذي ينقص غيره من حقه .

وقال ابن عباس : «لما قدم النبي ﷺ المدينة كانوا من أخبث الناس كيلا فأنزل الله : ﴿وَيۡلٞ لِّلۡمُطَفِّفِينَ﴾ ، فأحسنوا الكيل بعد ذلك»(١) .

---

(١) ابن ماجه (٢٢٢٣) .

• [٤٥٤٧] قوله : «﴿يَوْمَ يَقُومُ ٱلنَّاسُ لِرَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ﴾ [المطففين : ٦] **حتى يغيب أحدهم في رشحه إلى أنصاف أذنيه**» بفتح الشين يعني عرقه ؛ وذلك أن الشمس تدنو من الرءوس ويزاد في حرارتها ، وقوله : «**إلى أنصاف أذنيه**» هو من إضافة الجمع إلى المثنى ؛ لأن الأذنين مثنى ، والمعنى : لأن لكل واحد أذنين ، وقد روى مسلم من حديث المقداد بن الأسود عن النبي ﷺ قال : «**تدنو الشمس يوم القيامة من الخلق حتى تكون منهم كمقدار ميل فيكون الناس على قدر أعمالهم في العرق فمنهم من يكون إلى كعبيه ومنهم من يكون إلى حقويه ومنهم من يلجمه العرق إلجاما ومنهم من يخوض في عرقه**»(١) .

وقوله : «**كمقدار ميل**» ذكر في القاموس في تقدير الميل أقوالا منها : أن قدر الميل مد البصر ، وقيل : أربعة آلاف أصبع ، والميل ثلث فرسخ ؛ لأن الفرسخ ثلاثة أميال ، والميل يقارب كيلوين ، وقيل : إنها مقدار ميل ؛ ذكر بعض الشراح قال : «ما أدري هل مقدار الميل المساحة من الأرض ، أو الميل ميل المكحلة ، كما قال الله : ﴿فَذَٰلِكَ يَوْمَئِذٍ يَوْمٌ عَسِيرٌ ۝ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ غَيْرُ يَسِيرٍ﴾ [المدثر : ٩ ، ١٠]» .

* * *

---

(١) مسلم (٢٨٦٤) .

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ [الانشقاق : ١]

وقال مجاهد : ﴿كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ [الحاقة : ٢٥] يأخذ كتابه من وراء ظهره .

﴿وَسَقَ﴾ [الانشقاق : ١٧] جمع من دابة .

﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق : ١٤] ظن أن لا يرجع إلينا .

الشرح

هذه السورة يقال لها : ﴿إِذَا ٱلسَّمَآءُ ٱنشَقَّتۡ﴾ [الانشقاق : ١] ويقال لها : سورة الإنشقاق وسورة الشقق ، وهذا من بعض أهوال يوم القيامة أن تنشق السماء وتنفطر وتنكدر النجوم .

قوله : «**وقال مجاهد :** ﴿كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ [الحاقة : ٢٥] **يأخذ كتابه من وراء ظهره**» يعني يأخذه بشماله ومن وراء ظهره .

في آية الانشقاق هنا : ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ وَرَآءَ ظَهۡرِهِۦ﴾ [الانشقاق : ١٠] وفي آية الحاقة : ﴿وَأَمَّا مَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِشِمَالِهِۦ﴾ [الحاقة : ٢٥] والجمع بينهما أنه يأخذ كتابه بشماله ملوية وراء ظهره .

وقوله : ﴿فَلَآ أُقۡسِمُ بِٱلشَّفَقِ﴾ [الانشقاق : ١٦] يعني : أقسم به ، وقوله : ﴿وَٱلَّيۡلِ وَمَا وَسَقَ﴾ [الانشقاق : ١٧] يعني ما جمع من دابة وغيرها .

قوله : «﴿إِنَّهُۥ ظَنَّ أَن لَّن يَحُورَ﴾ [الانشقاق : ١٤] **ظن أن لا يرجع إلينا**» يعني ظن الكافر أنه لن يبعث ، وأصل يحور الحور بالفتح وهو : الرجوع يعني : ظن أنه لا يرجع إلى الله فيبعثه ، وحاورت فلانا أي : راجعته ، ويطلق على التردد في الأمر .

* * *

المتن

[٣٤٥/ ٥٦] باب ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]

• [٤٥٤٨] حدثنا عمرو بن علي، قال: حدثنا يحيى، عن عثمان بن الأسود، قال: سمعت ابن أبي مليكة، سمعت عائشة قالت: سمعت النبي ﷺ. ح وحدثنا سليمان بن حرب، قال: حدثنا حماد بن زيد، عن أيوب، عن ابن أبي مليكة، عن القاسم، عن عائشة، عن النبي ﷺ. ح وحدثنا مسدد، قال: حدثنا يحيى، عن أبي يونس وهو حاتم بن أبي صغيرة، عن ابن أبي مليكة، عن القاسم، عن عائشة قالت: قال رسول الله ﷺ: **«ليس أحد يحاسب إلا هلك»**، قالت: قلت: يا رسول الله، جعلني الله فداءك، أليس يقول الله ﷻ: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا**﴾ [الانشقاق: ٧، ٨]، قال: **«ذلك العرض، يعرضون، ومن نوقش الحساب هلك»**.

الشرح

قوله: **«باب: ﴿فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا﴾ [الانشقاق: ٨]»** هذه الآية من الآيات التي فسرها النبي ﷺ وبين أن المراد بالحساب اليسير العرض، وهناك آيات كثيرة أخرى فسرها النبي ﷺ كقوله تعالى: ﴿**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**﴾ [الأنعام: ٨٢] فسر النبي ﷺ الظلم بالشرك لما أشكل على الصحابة معناها قال لهم: **«إنه ليس الذي تعنون؛ ألم تسمعوا إلى قول العبد الصالح: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾** [لقمان: ١٣]»[١].

• [٤٥٤٨] فسر النبي ﷺ الحساب اليسير بالعرض، وذلك في قوله الله تعالى: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا**﴾ [الانشقاق: ٧- ٨] فقد أخبر الله أن المؤمن يحاسب حسابا يسيرا، وفي الحديث يقول النبي ﷺ: **«ليس أحد يحاسب إلا هلك»**، وفي لفظ: **«من نوقش الحساب عذب»**[٢] فأشكل على عائشة رضي الله عنها الجمع بين

---

(١) أحمد (١/ ٣٧٨) واللفظ له، والبخاري (٣٣٦٠)، ومسلم (١٢٤).

(٢) أحمد (٦/ ٤٧)، والبخاري (٦٥٣٦)، ومسلم (٢٨٧٦).

الآية والحديث، فجمع لها النبي ﷺ بينهما وبين لها أن المراد بالحساب في الآية العرض والمراد بالحساب في الحديث المناقشة، وعائشة ﵂ هي أفقه النساء وكانت حريصة على العلم والفهم فقالت: «**يا رسول الله، جعلني الله فداءك، أليس يقول الله ﷿**: ﴿**فَأَمَّا مَنْ أُوتِيَ كِتَابَهُ بِيَمِينِهِ ۝ فَسَوْفَ يُحَاسَبُ حِسَابًا يَسِيرًا**﴾ [الانشقاق: ٧، ٨] **قال: ذلك العرض، يعرضون، ومن نوقش الحساب هلك**» فبين لها النبي ﷺ ما أشكل عليها ونقلته لنا ﵂.

* * *

المتن

[٣٤٦/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق : ١٩]

• [٤٥٤٩] حدثنا سعيد بن النضر، قال: أخبرنا هشيم، قال: أخبرنا أبو بشر جعفر بن إياس، عن مجاهد، قال: قال ابن عباس: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق : ١٩]، قال: حالا بعد حال، قال هذا نبيكم ﷺ.

الشرح

قوله: «**باب قوله تعالى**: ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق : ١٩]» قال الله تعالى: ﴿فَلَآ أُقْسِمُ بِٱلشَّفَقِ ﴿١٦﴾ وَٱلَّيْلِ وَمَا وَسَقَ ﴿١٧﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا ٱتَّسَقَ ﴿١٨﴾ لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ [الانشقاق : ١٦-١٩] وهذا قسم من الله، أقسم بالشفق والليل والقمر، وله سبحانه أن يقسم بما شاء من مخلوقاته مثل الليل والنهار والنجم، لما في ذلك من بديع ما خلق سبحانه ومن الدلالة على قدرته ووحدانيته واستحقاقه للعبادة؛ فيقسم بما شاء؛ قال سبحانه: ﴿لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾ [الحجر : ٧٢] أقسم هنا بحياة النبي ﷺ، فالله سبحانه يقسم بما شاء من خلقه ولا أحد يحجر عليه، أما الإنسان فليس له أن يقسم إلا بالله وبأسمائه وصفاته، فإذا أقسم الإنسان بغير الله فقد أشرك؛ قال ﷺ: «**من حلف بغير الله فقد أشرك**»(١).

• [٤٥٤٩] هذا حديث ابن عباس يفسر قوله تعالى: «﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾، **قال: حالا بعد حال، قال هذا نبيكم ﷺ**» يعني: ابن عباس قال: إن الخطاب للنبي ﷺ وهذا على قراءة الفتح: «**لتركبَنَّ**» وهي قراءة ابن كثير والأعمش، وأما على القراءة المشهورة وهي بضم الباء الموحدة: ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ فالخطاب للأمة.

وعلى القول الأول: «**لتركبَنَّ**» إذا كان الخطاب للنبي ﷺ يكون المراد به حالا بعد حال، أي: الحالات التي مر بها النبي ﷺ في دعوته وجهاده، فكان في بدء الدعوة يدعو الناس سرا، ثم بعد ذلك جهرا، ثم اشتد الأذى عليه وعلى أصحابه، ثم هاجر، ثم أذن له بالجهاد، ثم مكن الله له.

---

(١) أحمد (٢/ ٦٩)، وأبو داود (٣٢٥١)، والترمذي (١٥٣٥).

وعلى القول الثاني : ﴿لَتَرْكَبُنَّ﴾ فيكون الخطاب للأمة ويكون المراد به الحالات التي مرت بها الأمة من كون الإنسان يكون جنينا في بطن أمه ثم إذا ولد صبيا ثم غلاما ثم شابا ثم كهلا ثم شيخا ، وهذان المعنيان متلازمان ؛ لأن ما مر به ﷺ مر به أصحابه وما مر بأمته مر به .

وقوله : «**حالا بعد حال**» قيل : المراد اختلاف الأحوال ، وقيل : المراد ما يقع من الشدائد يوم القيامة أي الحال المطابقة للتي قبلها في الشدة .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «قوله : «**قال ابن عباس : ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾** [الانشقاق : ١٩] **قال : حالا بعد حال ، قال : هذا نبيكم** ﷺ» أي الخطاب له وهو على قراءة فتح الموحدة وبها قرأ ابن كثير والأعمش والأخوان ، وقد أخرج الطبري الحديث المذكور عن يعقوب بن إبراهيم عن هشيم بلفظ : أن ابن عباس كان يقرأ : «**لَتَرْكَبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ**» يعني : نبيكم «**حالا بعد حال**» وأخرجه أبو عبيد في كتاب «القراءات» عن هشيم وزاد يعني بفتح الباء ، قال الطبري : قرأها ابن مسعود وابن عباس وعامة قراء أهل مكة والكوفة بالفتح والباقون بالضم على أنه خطاب للأمة ورجحها أبو عبيدة لسياق ما قبلها وما بعدها ، ثم أخرج عن الحسن وعكرمة وسعيد بن جبير وغيرهم قالوا : ﴿طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ يعني «**حالا بعد حال**» ، ومن طريق الحسن أيضا وأبي العالية ومسروق قال : السموات ، وأخرج الطبري أيضا والحاكم من حديث ابن مسعود إلى قوله : ﴿لَتَرْكَبُنَّ طَبَقًا عَن طَبَقٍ﴾ قال : السماء ، وفي لفظ للطبري عن ابن مسعود قال : المراد أن السماء تصير مرة كالدهان ومرة تشقق ثم تحمر ثم تنفطر ورجح الطبري الأول ، وأصل الطبق : الشدة والمراد بها هنا : ما يقع من الشدائد يوم القيامة ، والطبق : ما طابق غيره ، يقال : ما هذا بطبق كذا أي : لا يطابقه .

ومعنى قوله : «**حالا بعد حال**» أي حال مطابقة للتي قبلها في الشدة أو هو جمع طبقة وهي المرتبة أي هي طبقات بعضها أشد من بعض وقيل : المراد اختلاف أحوال المولود منذ يكون جنينا إلى أن يصير إلى أقصى العمر ، فهو قبل أن يولد جنين ، ثم إذا ولد صبي ، فإذا فطم غلام ، فإذا بلغ سبعا يافع ، فإذا بلغ عشرا حزور» . وهذه أسماء للأطوار التي يمر بها الإنسان في مراحله المختلفة .

ثم **قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ اللَّهُ : «فإذا بلغ خمس عشرة قمد ، فإذا بلغ خمسا وعشرين عنطنط ، فإذا بلغ ثلاثين صملى ، فإذا بلغ أربعين كهل ، فإذا بلغ خمسين شيخ ، فإذا بلغ ثمانين هم ، فإذا بلغ تسعين فان» . وهذه المسميات فيها نظر .

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة البروج والطارق

قال مجاهد: ﴿ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ [البروج: ٤] شق في الأرض.

﴿فَتَنُواْ﴾ [البروج: ١٠] عذبوا.

وقال مجاهد: ﴿ذَاتِ ٱلرَّجۡعِ﴾ [الطارق: ١١] سحاب ترجع بالمطر.

﴿وَٱلۡأَرۡضِ ذَاتِ ٱلصَّدۡعِ﴾ [الطارق: ١٢] تتصدع بالنبات.

الشرح

قوله: «سورة البروج والطارق» قال الله تعالى: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ﴾ [البروج: ١] البروج هي النجوم، أقسم الله بالسماء وله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، وفي هذه السورة لعن الله تعالى أصحاب الأخدود الذين حفروا في الأرض وأضرموها نارا وفتنوا المؤمنين، فمن لم يرجع عن دينه ألقاه فيها أصحاب الأخدود، وقيل: إنه في نجران، وقيل: في قصة الراهب الذي عند الملك الذي قال: إنك لست بقاتلي حتى تفعل ما آمرك به، تأخذ سهم من كنانتي وتضعه في صدري وتقول: باسم الله رب الغلام. ففعل ذلك فآمن الناس قالوا: آمنا برب الغلام، فقيل للملك: إن الذي كنت تحذر قد وقع، هذا الغلام ضحى بنفسه فداء للأمة فأراد أن يقتله الملك حتى يؤمن الناس، فآمن الناس، فأمر الملك بأن تحفر حفر في الأرض وتضرم نارا فمن لم يرجع عن دينه ألقي فيها، فأنزل الله هذه الآيات: ﴿وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلۡبُرُوجِ ۝١ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡمَوۡعُودِ ۝٢ وَشَاهِدٖ وَمَشۡهُودٖ ۝٣ قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ [البروج: ١-٤] والأخدود: هو الشق في الأرض.

وقوله: ﴿ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلۡوَقُودِ﴾ [البروج: ٥] أي: التي أضرموها في الأخاديد.

وقوله: ﴿إِذۡ هُمۡ عَلَيۡهَا قُعُودٞ ۝٦ وَهُمۡ عَلَىٰ مَا يَفۡعَلُونَ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ شُهُودٞ ۝٧ وَمَا نَقَمُواْ مِنۡهُمۡ إِلَّآ أَن يُؤۡمِنُواْ بِٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [البروج: ٦ - ٨] يعني: حنقوا عليهم لأنهم آمنوا بالله فلذلك ألقوهم في النار.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «**وقال مجاهد : ﴿ٱلۡأُخۡدُودِ﴾** [البروج : ٤] **شق في الأرض**» وصله الفريابي بلفظ : شق بنجران كانوا يعذبون الناس فيه ، وأخرج مسلم والترمذي[1] وغيرهما من حديث صهيب قصة أصحاب الأخدود مطولة ، وفيه قصة الغلام الذي كان يتعلم من الساحر فمر بالراهب فتابعه على دينه فأراد الملك قتل الغلام لمخالفته دينه فقال : إنك لن تقدر على قتلي حتى تقول إذا رميتني : باسم الله رب الغلام ، ففعل فقال الناس : آمنا برب الغلام ، فخد لهم الملك الأخاديد في السكك وأضرم فيها النيران ليرجعوا إلى دينه ، وفيه قصة الصبي الذي قال لأمة : اصبري فإنك على الحق ، صرح برفع القصة بطولها حماد بن سلمة عن ثابت عن عبد الرحمن بن أبي ليلى عن صهيب ، ومن طريقه أخرجه مسلم والنسائي وأحمد ووقفها معمر عن ثابت ومن طريقه أخرجها الترمذي وعنده في آخره يقول الله تعالى : ﴿قُتِلَ أَصۡحَٰبُ ٱلۡأُخۡدُودِ﴾ إلى : ﴿ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [البروج : ٤- ٨] ، قوله : «﴿فَتَنُواْ﴾ [البروج : ١٠] عذبوا» وصله الفريابي من طريقه ، وهذا أحد معاني الفتنة ومثله : ﴿يَوۡمَ هُمۡ عَلَى ٱلنَّارِ يُفۡتَنُونَ﴾ [الذاريات : ١٣] أي : يعذبون» . ولم يجد المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ أحاديث على شرطه لهذا اكتفى بتفسير بعض الكلمات .

❊ ❊ ❊

---

(١) مسلم (٣٠٠٥) ، والترمذي (٣٣٤٠) .

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى : ١]

• [٤٥٥٠] حدثنا عبدان، قال: أخبرني أبي، عن شعبة، عن أبي إسحاق، عن البراء قال: أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ مصعب بن عمير وابن أم مكتوم، فجعلا يقرئاننا القرآن، ثم جاء عمار وبلال وسعد، ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين، ثم جاء النبي ﷺ، فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به، حتى رأيت الولائد والصبيان يقولون: هذا رسول الله قد جاء، فما جاء حتى قرأت: ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى : ١] في سور مثلها.

الشرح

قوله: «**سورة ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾**» ﴿سَبِّحِ﴾ بمعنى نزه ربك، والأعلى اسم من أسماء الله ﷻ.

قوله: ﴿وَٱلَّذِى قَدَّرَ فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى : ٣] قال مجاهد: يعني قدر الشقاوة والسعادة، بمعنى أن الله سبحانه وتعالى كتب مقادير الخلائق كما ورد في الحديث الآخر: «**كتب الله مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء**»(١)، وكما في قوله تعالى: ﴿مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [الحديد : ٢٢] فقدر للإنسان السعادة والشقاوة، وقوله: ﴿فَهَدَىٰ﴾ [الأعلى : ٣] أي: هدى الأنعام لمراتعها وهدى الطيور لأوكارها وهدى الطفل لثدي أمه، وهذه الهداية عامة بمعنى الإلهام؛ قال تعالى: ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ﴾ [القصص : ٧] يعني ألهمها الله الوحي.

وهناك هداية عامة لبني آدم من المؤمنين والكفار وهي الهداية ببيان طريق الخير وطريق الشر كقوله تعالى: ﴿وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ﴾ [فصلت : ١٧] أي: دللناهم، وكقوله تعالى: ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد : ١٠].

---

(١) أحمد (٢/ ١٦٩)، ومسلم (٢٦٥٣).

وهناك هداية خاصة بالمؤمنين وهي هداية التوفيق والسداد والتسديد فيجعلهم يقبلون الحق ويرضون به .

وهناط هداية المؤمنين إلى مساكنهم في الجنة وهداية الكفار إلى مساكنهم في النار يوم القيامة كقوله تعالى : ﴿فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ﴾ [الصافات : ٢٣] أي : الكفار .

وفسر البخاري رَحِمَهُ ٱللَّهُ في كتاب بدء الخلق قوله تعالى : ﴿غُثَآءً أَحْوَىٰ﴾ [الأعلى : ٥] أي : هشيمًا متغيرًا .

• [٤٥٥٠] قوله : «**أول من قدم علينا من أصحاب النبي ﷺ**» يعني مهاجرًا إلى المدينة .

قوله : «**مصعب بن عمير وابن أم مكتوم ، فجعلا يقرئاننا القرآن**» يعني أن مصعب بن عمير وابن أم مكتوم هاجرا من مكة إلى المدينة قبل النبي ﷺ ، وجعلا يحفظان الناس القرآن .

قوله : «**ثم جاء عمار وبلال وسعد**» أي : هاجر بعد ذلك عمار بن ياسر وبلال بن رباح وسعد بن أبي وقاص فجعلوا يحفظون أهل المدينة القرآن .

قوله : «**ثم جاء عمر بن الخطاب في عشرين**» يعني : لما أسلم عمر رضي الله عنه هاجر إلى المدينة ومعه عشرون شخصًا .

قوله : «**ثم جاء النبي ﷺ**» أي : مهاجرًا ومعه أبو بكر رضي الله عنه .

قوله : «**فما رأيت أهل المدينة فرحوا بشيء فرحهم به**» أي : بقدوم النبي ﷺ .

قوله : «**حتى رأيت الولائد والصبيان**» الولائد : البنات الصغار .

قوله : «**يقولون : هذا رسول الله قد جاء**» فياله من يوم عظيم وخير جسيم ساقه الله إلى أهل المدينة وللمسلمين جميعًا .

قال أنس رضي الله عنه : اليوم الذي هاجر فيه رسول الله ﷺ ما رأيت مثله في النور والضياء والفرح والسرور ، واليوم الذي توفي فيه النبي ﷺ ما رأيت مثله في الغم والهم والكدر الذي أصاب الناس .

قوله : «**فما جاء حتى قرأت : ﴿سَبِّحِ ٱسْمَ رَبِّكَ ٱلْأَعْلَى﴾ [الأعلى : ١] في سور مثلها**» يقول : ما جاء النبي ﷺ حتى حفظت عدة سور منها سورة سبح وسور مثلها ، وكان حفظها من الصحابة الذين كانوا يحفظونهم قبل هجرة النبي ﷺ ، وهذا هو الشاهد للترجمة .

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾ [الغاشية : ١]

وقال ابن عباس : ﴿عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ﴾ [الغاشية : ٣] النصارى .

وقال مجاهد : ﴿عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ﴾ [الغاشية : ٥] آنه بلغ إناها وحان شربها .

﴿حَمِيمٍ ءَانٖ﴾ [الرحمن : ٤٤] بلغ إناه .

ويقال : الضريع نبت يقال له : الشبرق يسميه أهل الحجاز الضريع إذا يبس ، وهو سَم .

﴿لَّا تَسۡمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةٗ﴾ [الغاشية : ١١] شتما .

﴿بِمُصَيۡطِرٍ﴾ [الغاشية : ٢٢] بمسلط ، ويقرأ بالصاد والسين .

وقال ابن عباس : ﴿إِيَابَهُمۡ﴾ [الغاشية : ٢٥] مرجعهم .

الشرح

قوله : «**سورة ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾**» تسمى سورة الغاشية ، والغاشية من أسماء يوم القيامة ، وسميت الغاشية لأنها تغشى الناس بأهوالها .

قوله تعالى : ﴿هَلۡ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ٱلۡغَٰشِيَةِ﴾ [الغاشية : ١] هل هنا للتقرير بمعنى قد - فهل قد تكون للإنكار ، وقد تكون للتقرير بمعنى الخبر - والمعنى : قد أتاك حديث الغاشية .

قوله تعالى : ﴿عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ﴾ [الغاشية : ٣] أي : متعبة من كثرة العمل ، وقوله : «**وقال ابن عباس ﴿عَامِلَةٞ نَّاصِبَةٞ﴾ النصارى**» ، مقصود ابن عباس المثال وليس الحصر يعني : مثل النصارى ؛ لأن اليهود والوثنيين وغيرهم كفار أيضًا .

قوله : ﴿تَصۡلَىٰ نَارًا حَامِيَةٗ﴾ [الغاشية : ٤] ؛ لأن عملها ليس على التوحيد والإيمان .

قوله : «**وقال مجاهد : ﴿عَيۡنٍ ءَانِيَةٖ﴾ [الغاشية : ٥] آنه بلغ إناها وحان شربها**» وظاهر السياق أن معنى آنية : حارة شديدة الحرارة .

قوله : «**ويقال : الضريع نبت يقال له : الشبرق يسميه أهل الحجاز الضريع إذا يبس ، وهو سم**» يشير إلى قوله تعالى : ﴿لَّيْسَ لَهُمْ طَعَامٌ إِلَّا مِن ضَرِيعٍ﴾ [الغاشية : ٦] ، وروي عن ابن عباس أن الضريع شجر من نار ، وقيل : الحجارة ، وقيل : مشتق من الضارع وهو الذليل ، وقيل : هو شوك النخل .

قوله : «**﴿لَّا تَسْمَعُ فِيهَا لَٰغِيَةً﴾** [الغاشية : ١١] **شتمًا**» يعني : لا تسمع فيها سبابًا ولا كلامًا لا يليق فالجنة ليس فيها إلا الكلام الطيب .

قوله : «**﴿بِمُصَيْطِرٍ﴾** [الغاشية : ٢٢] **بمسلط ، ويقرأ بالصاد والسين**» : أي تقرأ : بمسيطر وبمصيطر .

وقال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «يدخل فيه حديث جابر : «**أمرت أن أقاتل الناس حتى يقولوا : لا إله إلا الله ، فإذا فعلوا ذلك عصموا مني دماءهم وأموالهم إلا بحقها وحسابهم على الله**» ثم قرأ : ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ۝ لَّسْتَ عَلَيْهِم بِمُصَيْطِرٍ﴾ [الغاشية : ٢١ ، ٢٢] أخرجه الترمذي والنسائي [(١)]» .

قوله : «**وقال ابن عباس** : ﴿إِيَابَهُمْ﴾ **مرجعهم**» يعني فسر ابن عباس قوله تعالى : ﴿إِنَّ إِلَيْنَآ إِيَابَهُمْ﴾ [الغاشية : ٢٥] أي : مردهم ومرجعهم إلى الله .

* * *

(١) الترمذي (٣٣٤١) ، والنسائي في «السنن الكبرى» (٦/ ٥١٤) ، وأخرجه مسلم بلفظه (٢١) .

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ﴿وَٱلۡفَجۡرِ﴾ [الفجر : ١]

وقال مجاهد : ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلۡعِمَادِ﴾ [الفجر : ٧] يعني القديمة ، والعماد أهل عمود لا يقيمون .

وقال غيره : ﴿سَوۡطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر : ١٣] كلمة تقولها العرب لكل نوع من العذاب يدخل فيه السوط .

﴿أَكۡلٗا لَّمّٗا﴾ [الفجر : ١٩] السف الأكل .

و﴿جَمّٗا﴾ [الفجر : ٢٠] الكثير .

وقال مجاهد : كل شيء خلقه فهو شفع السماء شفع ، والوتر الله .

﴿سَوۡطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر : ١٣] الذين عذبوا به .

«يحاضون» : يُحافظون .

ويحضون : يأمرون بإطعامه .

وقال الحسن : ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفۡسُ ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾ [الفجر : ٢٧] إذا أراد الله قبضها اطمأنت إلى الله واطمأن الله إليها ، ورضيت عن الله ورضي الله عنها ، فأمر بقبض روحها وأدخلها الله الجنة وجعلها من عباده الصالحين .

وقال غيره : ﴿جَابُواْ﴾ [الفجر : ٩] نقبوا جيب القميص قطع له جيب ، يجوب الفلاة يقطعها .

﴿لَّمّٗا﴾ [الفجر : ١٩] لممته أجمع أتيت على آخره .

﴿لَبِٱلۡمِرۡصَادِ﴾ [الفجر : ١٤] إليه المصير .

﴿ٱلۡمُطۡمَئِنَّةُ﴾ [الفجر : ٢٧] المصدقة بالثواب .

الشَّرْحُ

قوله تعالى: ﴿وَٱلْفَجْرِ﴾ [الفجر: ١] الفجر: هو أول النهار، وقد أقسم الله ﷻ بالفجر، ولله أن يقسم بما شاء من مخلوقاته.

قوله: ﴿وَلَيَالٍ عَشْرٍ﴾ [الفجر: ٢] قيل: هي عشر ذي الحجة.

قوله: «وقال مجاهد» أي في تفسير قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ﴾ [الفجر: ٣]: «كل شيء خلقه فهو شفع السماء شفع، والوتر الله»؛ لأن الله تعالى ليس له أحد يشفعه هو واحد سبحانه وتعالى.

قوله: «وقال مجاهد: ﴿إِرَمَ ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ [الفجر: ٧] يعني القديمة، والعماد أهل عمود لا يقيمون» إرم: اسم قبيلة وهي عاد الأولى؛ فهناك عاد الأولى وعاد الثانية، ذات العماد: أي أهل خيام لا يستقرون في موطن.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة: إرم قبيلة من عاد والعماد كانوا أهل عمود أي خيام، انتهى. وإرم وهو ابن سام بن نوح وعاد هو ابن عوص بن إرم، وقيل: إرم اسم المدينة، وقيل أيضا: إن المراد بالعماد شدة أبدانهم وإفراط طولهم». فيقال: إنهم كانوا طوالا؛ ولهذا قال الله تعالى عنهم: ﴿كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾ [الحاقة: ٧] أي لما أهلكهم الله بالريح كانت الريح ترفع الواحد منهم وتوصله إلى السماء ثم تنكسه على أم رأسه فتدق عنقه فيبين رأسه من جسده فصارت أجسامهم كأنها أصول نخل قطعت رءوسها.

قوله: «وقال غيره: ﴿جَابُوا﴾ [الفجر: ٩]: نقبوا جيب القميص قطع له جيب، يجوب الفلاة يقطعها» أي: قطعوا الصخر، وفي الآية الأخرى: ﴿وَكَانُوا يَنْحِتُونَ مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا ءَامِنِينَ﴾ [الحجر: ٨٢].

قوله تعالى: ﴿فَصَبَّ عَلَيْهِمْ رَبُّكَ سَوْطَ عَذَابٍ﴾ [الفجر: ١٣] ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ في تفسير الآية قولين:

القول الأول: ﴿سَوْطَ عَذَابٍ﴾: «الذين عذبوا به» وهو قول مجاهد.

والقول الثاني: «وقال غيره: ﴿سَوْطَ عَذَابٍ﴾: كلمة تقولها العرب لكل نوع من العذاب يدخل فيه السوط».

قوله: «**يحاضون: يحافظون. ويحضون: يأمرون بإطعامه**» أي فسر قوله تعالى: ﴿وَلَا تَحَٰٓضُّونَ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ﴾ [الفجر: ١٨] يعني تأمرون بإطعامهم وتحافظون عليهم.

قوله تعالى: ﴿وَتَأْكُلُونَ ٱلتُّرَاثَ أَكْلًا لَّمًّا﴾ [الفجر: ١٩] ذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تفسير كلمة ﴿لَّمًّا﴾ في موضعين:

الموضع الأول: قوله: «**﴿أَكْلًا لَّمًّا﴾ السف الأكل**» فتسفه سفا أي: تأخذ الشيء فتدخله فمك.

الموضع الثاني: قوله: «**﴿لَّمًّا﴾ لمته أجمع أتيت على آخره**».

قوله: «**و﴿جَمًّا﴾ الكثير**» أي فسر قول الله تعالى: ﴿وَتُحِبُّونَ ٱلْمَالَ حُبًّا جَمًّا﴾ [الفجر: ٢٠] يعني: حبًّا كثيرًا شديدًا.

وذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ تفسيرين لقوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ [الفجر: ٢٧]:

الأول: قوله: «**﴿ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ المصدقة بالثواب**».

الثاني: قوله: «**وقال الحسن: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ﴾ إذا أراد الله قبضها اطمأنت إلى الله واطمأن الله إليها، ورضيت عن الله ورضي الله عنها، فأمر بقبض روحها وأدخلها الله الجنة وجعلها من عباده الصالحين**».

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وإسناد الاطمئنان إلى الله من مجاز المشاكلة والمراد به لازمه من إيصال الخير ونحو ذلك، وقال عبد الرزاق عن معمر عن قتادة عن الحسن قال: المطمئنة إلى ما قال الله والمصدقة بما قال الله تعالى». والصواب أنه لو ثبت كلام الحسن فإنه لا يكون مجازا بل يكون حقيقة، وذلك مثل قوله ﷺ: «**من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه**»(١) فهذه محبة حقيقية.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «وأما قوله: ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ [الفجر: ٧] فقد فسره مجاهد بأنها صفة القبيلة فإنهم كانوا أهل عمود أي خيام، وأخرج ابن أبي حاتم من طريق الضحاك قال: ﴿ذَاتِ ٱلْعِمَادِ﴾ القوة، ومن طريق ثور بن زيد قال: قرأت كتابًا قديمًا: أنا شداد بن

(١) أحمد (٢/ ٣١٣)، والبخاري (٦٥٠٧)، ومسلم (٢٦٨٣).

عاد أنا الذي رفعت ذات العماد أنا الذي شددت بذراعي بطن واد . وأخرج ابن أبي حاتم من طريق وهب بن منبه عن عبد الله بن قلابة قصة مطولة جدًّا ، أنه خرج في طلب إبل له وأنه وقع في صحاري عدن ، وأنه وقع على مدينة في تلك الفلوات ، فذكر عجائب ما رأى فيها ، وأن معاوية لما بلغه خبره أحضره إلى دمشق ، وسأل كعبًا عن ذلك فأخبره بقصة المدينة ومن بناها وكيفية ذلك مطولا جدًّا ، وفيها ألفاظ منكرة وراويها عبد الله بن قلابة لا يعرف ، وفي إسناده عبد الله بن لهيعة» .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «لم يذكر في الفجر حديثا مرفوعا ، يدخل فيه حديث ابن مسعود رفعه في قوله تعالى : ﴿وَجِاْيٓءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ﴾ [الفجر : ٢٣] قال : **«يؤتى بجهنم يومئذ لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها»**[1] . أخرجه مسلم والترمذي» . ولم يخرجه البخاري ؛ لأنه ليس على شرطه .

* * *

(١) مسلم (٢٨٤٢) ، والترمذي (٢٨٤٢) .

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿لَآ أُقْسِمُ﴾ [البلد : ١]

وقال مجاهد : ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾ [البلد : ٢] بمكة ليس عليك ما على الناس فيه من الإثم .

﴿وَوَالِدٍ﴾ آدمَ ﴿وَمَا وَلَدَ﴾ [البلد : ٣] .

﴿لُّبَدًا﴾ [البلد : ٦] كثيرا .

و﴿ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد : ١٠] الخير والشر .

﴿مَسْغَبَةٍ﴾ [البلد : ١٤] مجاعة .

﴿مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد : ١٦] الساقط في التراب .

يقال : ﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ [البلد : ١١] فلم يقتحم العقبة في الدنيا ، ثم فسر العقبة فقال : ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَـٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ [البلد : ١٢-١٥] .

الشرح

هذه الترجمة في تفسير بعض الكلمات في سورة ﴿لَآ أُقْسِمُ﴾[البلد : ١] ويقال لها : سورة البلد والمراد بها مكة - شرفها الله - بالاتفاق .

قوله : ﴿لَآ أُقْسِمُ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾[البلد : ١] لا للتأكيد ، والمعنى : أقسم بهذا البلد .

قوله : «**وقال مجاهد : ﴿وَأَنتَ حِلٌّۢ بِهَـٰذَا ٱلْبَلَدِ﴾[البلد : ٢] بمكة ليس عليك ما على الناس فيه من الإثم**» **قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وصله الفريابي من طريق ابن أبي نجيح عن مجاهد بلفظ : يقول : لا تؤاخذ بما عملت فيه وليس عليك فيه ما على الناس . وقد أخرجه الحاكم من طريق منصور عن مجاهد فزاد فيه عن ابن عباس بلفظ : أحل الله له أن يصنع فيه ما شاء ، ولابن مردويه من طريق عكرمة عن ابن عباس : يحل لك تقاتل فيه» . والمتبادر في معنى الآية : أن الله

سيحل لك القتال في مكة يوم الفتح ، وليس عليك ما على الناس فيه من الإثم ؛ ولهذا قال النبي ﷺ : **«إن مكة حرمها الله ولم يحلها لأحد من الناس ، وإنها أحلت لي ساعة من نهار ، وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس»**(١) .

قوله تعالى : ﴿وَوَالِدٍ وَمَا وَلَدَ﴾ [البلد : ٣] فسرها مجاهد بأن الله ﷻ أقسم بآدم وما ولد .

وقوله : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِى كَبَدٍ﴾ [البلد : ٤] يعني : أقسم الله أن الإنسان خلق في شدة .

وقوله : ﴿وَهَدَيْنَٰهُ ٱلنَّجْدَيْنِ﴾ [البلد : ١٠] أي : هديناه طريق الخير والشر .

قوله : «﴿فَلَا ٱقْتَحَمَ ٱلْعَقَبَةَ﴾ [البلد : ١١] **فلم يقتحم العقبة في الدنيا ، ثم فسر العقبة فقال :** ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْعَقَبَةُ ۝ فَكُّ رَقَبَةٍ ۝ أَوْ إِطْعَٰمٌ فِى يَوْمٍ ذِى مَسْغَبَةٍ ۝ يَتِيمًا ذَا مَقْرَبَةٍ﴾ [البلد : ١٢- ١٥]» العقبة : النار ، والمسغبة : المجاعة ، يعني : الذي يقتحم النار هو الذي يتصف بهذه الصفات : يعتق الرقبة أو يطعم في يوم المجاعة يتيمًا قريبًا .

قوله تعالى : ﴿مِسْكِينًا ذَا مَتْرَبَةٍ﴾ [البلد : ١٦] سمي ذا متربة ؛ لأنه ساقط في التراب .

قوله تعالى : ﴿ثُمَّ كَانَ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [البلد : ١٧] هذا شرط ، فلابد أن يكون مؤمنًا حتى يقبل منه عمل الخير ، فلو أعتق رقبة أو أطعم وهو كافر لم ينفعه .

قوله تعالى : ﴿مُّؤْصَدَةٌۢ﴾ [البلد : ٢٠] أي : مطبقة مغلقة .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «لم يذكر في سورة البلد حديثًا مرفوعًا ، ويدخل فيه حديث البراء قال : جاء أعرابي فقال : يا رسول الله ، علمني عملًا يدخلني الجنة ، قال : **«لئن كنت أقصرت الخطبة لقد أعرضت المسألة ، أعتق النسمة أو فك الرقبة»** قال : أو ليستا بواحدة؟ قال : **«لا ، إن عتق النسمة أن تنفرد بعتقها ، وفك الرقبة أن تعين في عتقها»**(٢) أخرجه أحمد وابن مردويه من طريق عبد الرحمن بن عوسجة عنه ، وصححه ابن حبان» .

❊ ❊ ❊

---

(١) أحمد (٤/ ٣١) ، والبخاري (١٨٣٢) ، ومسلم (١٣٥٤) .
(٢) أحمد (٤/ ٢٩٩) ، وابن حبان (٢/ ٩٨) .

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾ [الشمس : ١] ، ﴿وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا﴾ [الشمس : ١٥]

وقال مجاهد : عقبىٰ أحد .

﴿بِطَغْوَىٰهَآ﴾ [الشمس : ١١] بمعاصيها .

• [٤٥٥١] حدثنا موسىٰ بن إسماعيل ، قال : حدثنا وهيب ، قال : حدثنا هشام ، عن أبيه ، أنه أخبره عبدالله بن زمعة ، أنه سمع النبي ﷺ يخطب وذكر الناقة والذي عقر ، فقال رسول الله ﷺ : **«﴿إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا﴾** [الشمس : ١٢] **انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل أبي زمعة»** ، وذكر النساء فقال : **«يعمد أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد ، فلعله يضاجعها من آخر يومه»** ، ثم وعظهم في ضحكهم من الضرطة وقال : **«لم يضحك أحدكم مما يفعل؟!»** .

وقال أبو معاوية : قال : حدثنا هشام ، عن أبيه ، عن عبدالله بن زمعة ، قال النبي ﷺ : **«مثل أبي زمعة عم الزبير بن العوام»** .

الشرح

قوله تعالىٰ : **﴿وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا﴾** [الشمس : ١] ضحاها : ضوؤها والواو واو القسم ، فهذا قسم من الله ﷻ بالشمس وضحاها .

قوله تعالىٰ : **﴿وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا﴾** [الشمس : ٢] يعني تبعها ؛ لأنه إذا جاء القمر في الليل والشمس في النهار فالقمر يتلو الشمس ؛ لأن الليل يتلو النهار .

قوله تعالىٰ : **﴿وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا﴾** [الشمس : ٦] أقسم الله تعالىٰ بالأرض وما طحاها يعني دحاها .

قوله تعالىٰ : **﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا﴾** [الشمس : ٩] يعني : قد فاز من زكىٰ نفسه وطهرها من المعاصي بالتوحيد والطاعة .

قوله : **﴿وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾** [الشمس : ١٠] خاب : خسر ، ودساها : أغواها .

قوله تعالى : ﴿ فَأَلْهَمَهَا ﴾ [الشمس : ٨] أي : عرفها .

قوله تعالى : ﴿ فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴾ [الشمس : ٨] أي : الشقاء والسعادة .

قوله : ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ﴾ [الشمس : ١٤] الدمدمة : الهلاك أي : فأهلكهم الله .

قوله : **«عقبى أحد»** أي فسر مجاهد قوله تعالى : ﴿ فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا ۝ وَلَا يَخَافُ عُقْبَٰهَا ﴾ [الشمس : ١٤ ، ١٥] بأن الله أهلك ثمود بالصيحة ولا يخاف عقبى أحد ، والمراد أن الله لا يخاف أن يرجع بعد إهلاكها ، والضمير في ﴿ عُقْبَٰهَا ﴾ يعود للدمدمة أو لثمود أو للنفس .

• [٤٥٥١] قوله : **«أنه سمع النبي يخطب وذكر الناقة»** يعني : ناقة صالح عليه السلام .

قوله ﷺ : **«﴿ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ﴾** [الشمس : ١٢] **انبعث لها رجل عزيز عارم منيع في رهطه مثل أبي زمعة»** يعني انبعث لها رجل قوي منيع في قومه عنده من يساعده ويحميه مثل أبي زمعة ، وهذا الرجل الذي تولى قتل الناقة هو قدار بن سالف – وقدار على وزن غراب – والباقون تواطئوا معه فهلكوا جميعًا .

قوله : **«وذكر النساء»** يعني في آخر الحديث .

قوله : **«فقال : يعمد أحدكم فيجلد امرأته جلد العبد ، فلعله يضاجعها من آخر يومه»** يعني : كيف يجلدها جلد العبد وهو محتاج إليها؟! فليس هذا من مكارم الأخلاق ، بل يكون الضرب آخر شيء ، فإذا لم ينفع الوعظ والهجر يكون الضرب الخفيف .

وفيه أن العبد يحتاج من الضرب ومن التأديب ما يجعله يستقيم ، وفيه الأمر بالإحسان إلى النساء والرفق بهن .

قوله : **«ثم وعظهم في ضحكهم من الضرطة وقال : لم يضحك أحدكم مما يفعل؟!»** وفيه أنه ينبغي للإنسان ألا يضحك من الضرطة وأن يتغاضى ويتغافل عنها كأنه لم يسمع شيئًا ؛ لأنه قد لا يتعمد ذلك بل قد يبتلى الإنسان بذلك عند التحرك بدون اختياره .

* * *

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل : ١]

وقال ابن عباس : ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الليل : ٩] بالخلف .

و ﴿تَلَظَّىٰ﴾ [الليل : ١٤] توهج .

وقرأ عبيد بن عمير : **«تتلظى»** .

وقال مجاهد : **«تردى»** مات .

الشرح

فسر المؤلف رَحِمَهُ اللهُ بعض الكلمات في سورة الليل ، ويقال : سورة ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل : ١] وهذا قسم من الله ، حيث أقسم بالليل ، وله سبحانه أن يقسم بما شاء من مخلوقاته .

قوله تعالى : ﴿إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّىٰ﴾ [الليل : ٤] أي : عملكم أيها الناس متفاوت ، فمنكم من يعمل الخير ومنكم من يعمل الشر .

وقوله : ﴿وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الليل : ٩] فسرها بقوله : **«بالخلف»** يعني : كذب أن الله يخلف عليه إذا أعطى ، مثل قوله تعالى : ﴿وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾ [سبأ : ٣٩] . وفسر بعضهم الحسنى : بشهادة أن لا إله إلا الله وهي كلمة التوحيد .

قوله : ﴿فَأَنذَرْتُكُمْ نَارًا تَلَظَّىٰ﴾ [الليل : ١٤] يعني : **«توهج»** ، وقرئت بتاءين : «تتلظى» قرأها عبيد بن عمير .

قوله : ﴿وَمَا يُغْنِي عَنْهُ مَالُهُۥٓ إِذَا تَرَدَّىٰٓ﴾ [الليل : ١١] **«قال مجاهد : تردى مات»** يعني : لا ينفعه ماله إذا مات .

* * *

المتن

[٣٤٧/ ٥٦] باب ﴿وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل: ٢]

• [٤٥٥٢] حدثنا قبيصة بن عقبة، قال: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن إبراهيم، عن علقمة قال: دخلت في نفر من أصحاب عبدالله الشام، فسمع بنا أبو الدرداء، فأتانا فقال: أفيكم من يقرأ؟ فقلنا: نعم، قال: فأيكم أقرأ؟ فأشاروا إلي، فقال: اقرأ فقرأت: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل: ١، ٢] والذكر والأنثى، فقال: أنت سمعتها من في صاحبك؟ قلت: نعم، قال: وأنا سمعتها من في النبي ﷺ، وهؤلاء يأبون علينا.

الشرح

• [٤٥٥٢] قوله: «**علقمة**» هو أحد أصحاب عبدالله بن مسعود رضي الله عنه.

قوله: «**دخلت في نفر من أصحاب عبدالله**» يعني: من أصحاب عبدالله بن مسعود، فلما دخلوا الشام سمع بهم أبو الدرداء فقال: أفيكم من يقرأ؟ فأشاروا إلى علقمة.

قوله: «**فقرأت: ﴿وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ ۝١ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ﴾ [الليل: ١، ٢] والذكر والأنثى**» هذه قراءة ابن مسعود.

قوله: «**أنت سمعتها من في صاحبك؟**» يعني: عبد الله بن مسعود.

* * *

المتن

[٣٤٨/ ٥٦] باب ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [الليل: ٣]

• **[٤٥٥٣]** حدثنا عمر بن حفص، قال: حدثنا أبي قال: حدثنا الأعمش، عن إبراهيم قال: قدم أصحاب عبدالله على أبي الدرداء فطلبهم فوجدهم، فقال: أيكم يقرأ على قراءة عبدالله؟ قال: كلنا، قال: فأيكم أحفظ؟ وأشاروا إلى علقمة، قال: كيف سمعته يقرأ: ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰ﴾ [الليل: ١]؟ قال علقمة: والذكر والأنثى، قال: أشهد أني سمعت النبي ﷺ يقرأ هكذا، وهؤلاء يريدونني على أن أقرأ: ﴿وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰٓ﴾ [الليل: ٣]، والله لا أتابعهم.

الشرح

• **[٤٥٥٣]** قوله: **«قال علقمة: والذكر والأنثى»** هذه قراءة منسوخة وهي قراءة عبد الله بن مسعود، وقد نسخت تلاوة ولم يبلغ النسخ أبا الدرداء، وقد حمل هذه القراءة الكوفيون عن علقمة عن ابن مسعود ولم يقرأ بها أحد منهم، وحملها أهل الشام عن أبي الدرداء ولم يقرأ بها أحد منهم، وهذا يقوي أن التلاوة بها نسخت ولم يبلغه النسخ.

* * *

المتن

[٣٤٩/ ٥٦] باب قوله: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ [الليل: ٥]

• [٤٥٥٤] حدثنا أبو نعيم، قال: حدثنا سفيان، عن الأعمش، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبدالرحمن السلمي، عن علي قال: كنا مع النبي ﷺ في بقيع الغرقد في جنازة، فقال: **«ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار»**، قالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل؟ فقال: **«اعملوا؛ فكل ميسر»**، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ﴾ [الليل: ٥] الآية.

الشرح

• [٤٥٥٤] قوله: **«ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار»** أي: هذا الذي قدر وكتب في اللوح المحفوظ.

قوله: **«قالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل؟»** يعني: أفلا نتكل على الكتاب ونترك العمل، فيكفينا أن كل منا سيصير إلى ما كتب له، وهذا فيه دليل على أن هذا الإشكال قديم من عهد الصحابة.

قوله: **«اعملوا؛ فكل ميسر»** يعني: لما خلق له، وفي اللفظ الآخر: **«أما أهل السعادة فسييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فسييسرون لعمل أهل الشقاوة»**[١].

ثم قرأ الآية: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠] فالإنسان يعمل، ولا يتكل على الكتاب، فهو ما يدري عن الكتاب شيء، وهذا من شئون الله ﷻ.

* * *

(١) أحمد (١/ ٢٩)، والبخاري (١٣٦٢)، ومسلم (٢٦٤٧).

المتن

[٣٥٠/ ٥٦] باب قوله: ﴿وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الليل: ٦]

• [٤٥٥٥] حدثنا مسدد، قال: حدثنا عبدالواحد، قال: حدثنا الأعمش، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبدالرحمن السُّلمي، عن علي قال: كنا قعودا عند النبي ﷺ.

فذكر الحديث نحوه.

الشرح

• [٤٥٥٥] قوله: «**فذكر الحديث نحوه**» يعني: الحديث السابق، وقد كرره المؤلف رحمه الله لفائدتين:

الأولى: أنه استدل به على الآية التي ترجم عليها، فالحديث قد يستدل به البخاري في أكثر من ترجمة.

الثانية: أنه ذكر إسنادًا مختلفًا، وهذا يقوي الحديث.

* * *

المتن

[٣٥١/ ٥٦] باب ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٧]

• [٤٥٥٦] حدثني بشر بن خالد، حدثنا محمد بن جعفر، حدثنا شعبة، عن سليمان، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبدالرحمن السلمي، عن علي ﷺ، عن النبي ﷺ، أنه كان في جنازة، فأخذ عودا ينكت في الأرض، فقال: **«ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار أو من الجنة»**، قالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل؟ فقال: **«اعملوا فكل ميسر، ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَاتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِالْحُسْنَىٰ﴾** [الليل: ٥، ٦] الآية».

قال شعبة: وحدثني به منصور فلم أنكره من حديث سليمان.

الشرح

• [٤٥٥٦] قوله: **«ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار أو من الجنة»** يعني: كتب في اللوح المحفوظ.

قوله: **«قالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل؟»** يعني: أفلا نتكل على الكتاب ونترك العمل، وهذه المسألة فيها إشكال قديم من عهد الصحابة.

قوله: **«اعملوا»** أي: اعملوا الصالحات وافعلوا الخيرات **«فكل ميسر»** يعني: لما خلق له، وفي اللفظ الآخر: **«أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة»**(١).

وفي الحديث من الفوائد: أن على الإنسان أن يعمل ما يستطيع من الخير، وأن يجتهد في طاعة الله ﷻ، فمن شب على شيء شاب عليه، ومن شاب على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بعث عليه، ومن مات على الطاعة كان من الفائزين.

* * *

(١) أحمد (١/ ٢٩)، والبخاري (٤٩٤٩)، ومسلم (٢٦٤٧).

المَتْنُ

[٣٥٢/ ٥٦] باب قوله: ﴿وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ﴾ [الليل: ٨]

• [٤٥٥٧] حدثني يحيى، قال: حدثنا وكيع، عن الأعمش، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبدالرحمن، عن علي قال: كنا جلوسا عند النبي ﷺ، فقال: «**ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من الجنة ومقعده من النار**»، قلنا: يا رسول الله، أفلا نتكل؟ قال: «**لا، اعملوا؛ فكل ميسر**»، ثم قرأ: ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ﴾ إلى قوله: ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ٥-١٠].

الشَّرْحُ

• [٤٥٥٧] هذا الحديث سبق شرحه في الأبواب السابقة.

* * *

المتن

[٣٥٣/ ٥٦] باب قوله: ﴿وَكَذَّبَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الليل: ٩]

• [٤٥٥٨] حدثني عثمان بن أبي شيبة، قال: حدثنا جرير، عن منصور، عن سعد بن عبيدة، عن أبي عبدالرحمن السلمي، عن علي قال: كنا في جنازة في بقيع الغرقد، فأتانا رسول الله ﷺ فقعد وقعدنا حوله ومعه مخصرة، فنكس فجعل ينكت بمخصرته، ثم قال: **«ما منكم من أحد، أي ما من نفس منفوسة إلا كتب مكانها من الجنة والنار، وإلا قد كتبت شقية أو قد كتبت سعيدة»**، قال رجل: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا وندع العمل؛ فمن كان منا من أهل السعادة فسيصير إلى عمل أهل السعادة، ومن كان منا من أهل الشقاوة سيصير إلى عمل أهل الشقاوة؟ قال: **«أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل السعادة، وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاء»**، ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنۡ أَعۡطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [الليل: ٥، ٦] الآية.

الشرح

• [٤٥٥٨] قوله: **«ما من نفس منفوسة»** يعني: مخلوقة.

وفي هذا الحديث وجوب العمل كما في الأحاديث السابقة.

* * *

المتن

[٣٥٤/ ٥٦] باب ﴿فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ﴾ [الليل: ١٠]

• [٤٥٥٩] حدثنا آدم، قال: حدثنا شعبة، عن الأعمش قال: سمعت سعد بن عبيدة، يحدث عن أبي عبدالرحمن السلمي، عن علي رضي الله عنه قال: كان النبي ﷺ في جنازة، فأخذ شيئا فجعل ينكت به الأرض، فقال: **«ما منكم من أحد إلا وقد كتب مقعده من النار ومقعده من الجنة»**، قالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا فندع العمل؟ فقال: **«اعملوا فكل ميسر لما خلق له، أما من كان من أهل السعادة فسييسر لعمل أهل السعادة، وأما من كان من أهل الشقاوة فسييسر لعمل الشقوة»**، ثم قرأ ﴿فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ﴾ [الليل: ٥، ٦] الآية.

الشرح

• [٤٥٥٩] كرر المؤلف رحمه الله هذا الحديث في هذه التراجم الست من طرق، لكن هذه الطرق كلها مدارها على سعد بن عبيدة عن أبي عبدالرحمن السلمي عن علي رضي الله عنه، وكان الأصل أن يسوق هذه الطرق بدون تراجم ولكنه قصد أن ينبه على كل جملة من هذه الآيات بخصوصها وأنها موجودة في الحديث.

قوله: **«قالوا: يا رسول الله، أفلا نتكل على كتابنا؟»** يعني بالكتاب: ما كتبه الله في اللوح المحفوظ من المقادير.

قوله: **«اعملوا فكل ميسر لما خلق له»** فيه أنه ينبغي للإنسان أن يعمل ولا يتكل على القدر، فالآية لا يحتج بها على القدر؛ لأن القدر أمره إلى الله عز وجل، والإنسان مأمور ومكلف بأن يعمل ولا ينظر إلى القدر؛ لأنه لا يعلم ما كتب له.

* * *

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ [الضحى : ١]

وقال مجاهد : ﴿إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى : ٢] استوى .

وقال غيره : ﴿إِذَا سَجَىٰ﴾ أظلم وسكن .

﴿عَآئِلًا﴾ [الضحى : ٨] ذو عيال .

الشرح

قوله تعالى : ﴿وَٱلضُّحَىٰ﴾ [الضحى : ١] هذا قسم من الله ﷻ ، والله ﷻ يقسم بما شاء من مخلوقاته ؛ لما في ذلك من بديع مخلوقاته ، ولما في ذلك من الدلالة على قدرته ووحدانيته ، وأنه مستحق للعبادة ، فأقسم بالضحى وبالليل وبالسماء وبالطارق وبالعصر وبالنازعات وبالمرسلات وبالذاريات وبالطور .

أما المخلوق فلا يجوز أن يحلف إلا بالله وأسمائه وصفاته ، وإذا حلف المخلوق بغير الله فهذا شرك ؛ قال ﷺ : **«من حلف بغير الله فقد كفر أو أشرك»**(١) .

وقوله : ﴿وَٱلَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى : ٢] هذا وصف لليل .

قوله : **«وقال مجاهد : ﴿إِذَا سَجَىٰ﴾ [الضحى : ٢] استوى ، وقال غيره : ﴿إِذَا سَجَىٰ﴾ أظلم وسكن»** والأقرب أن سجى استوى ، والمراد بقولهم : سكن أي سكن بالخلق ، والليل والنهار آيتان من آيات الله : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِ ٱلَّيْلُ وَٱلنَّهَارُ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ﴾ [فصلت : ٣٧] ، فأقسم الله ﷻ بهما لما فيهما من الدلالة على قدرته ووحدانيته .

قوله تعالى : ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى : ٣] يعني : ما تركك ربك وما أبغضك .

وقوله : ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا﴾ [الضحى : ٨] فسره المؤلف رحمه الله بقوله : **«ذو عيال»** . وقيل : فقيرًا .

---

(١) أحمد (٢/ ٦٩) ، وأبو داود (٣٢٥١) ، والترمذي (١٥٣٥) .

المتن

[٣٥٥/ ٥٦] **باب** ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣]

• [٤٥٦٠] حدثنا أحمد بن يونس، قال: حدثنا زهير، حدثنا الأسود بن قيس، قال: سمعت جندب بن سفيان قال: اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثًا، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثًا؛ فأنزل الله ﷻ: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ١-٣].

الشرح

• [٤٥٦٠] قوله تعالى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝٢ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ١-٣] ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ سبب نزول هذه الآيات بقول جندب: «**اشتكى رسول الله ﷺ فلم يقم ليلتين أو ثلاثا، فجاءت امرأة فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك لم أره قربك منذ ليلتين أو ثلاثا**» وهذا من جهل هذه المرأة لكفرها وضلالها، وقيل: إنها أم جميل امرأة أبي لهب، وقيل غير ذلك، والله أعلم بالصواب.

* * *

المتن

[٣٥٦/ ٥٦] باب قوله: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣]
يقرأ بالتشديد والتخفيف بمعنى واحد: ما تركك ربك

وقال ابن عباس: ما تركك، وما أبغضك.

• [٤٥٦١] حدثنا محمد بن بشار، قال: حدثنا غندر، قال: حدثنا شعبة، عن الأسود بن قيس قال: سمعت جندبا البجلي، قالت امرأة: يا رسول الله، ما أرى صاحبك إلا قد أبطأك، فنزلت: ﴿مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ٣].

الشرح

قوله تعالى: ﴿مَا وَدَّعَكَ﴾ [الضحى: ٣] قال المؤلف: «**يقرأ بالتشديد والتخفيف**» يعني: ما ودَعك، وما ودّعك، «**بمعنى واحد: ما تركك ربك**»، «**وقال ابن عباس: ما تركك وما أبغضك**»، وهناك أقوال أخرى للمفسرين فيها.

• [٤٥٦١] قوله: «**قالت امرأة: يا رسول الله، ما أرى صاحبك إلا قد أبطأك**» جاء في اللفظ الآخر الذي قبله: «فقالت: يا محمد، إني لأرجو أن يكون شيطانك قد تركك»؛ ولهذا قيل: إن المرأة في الحديث الثاني هي خديجة، والمرأة في الحديث الأول هي أم جميل امرأة أبي لهب، كما ذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ أنه قال: «إنه روى عن هشام عن أبيه قالت خديجة: لما ترى من جزعه».

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «فالذي يظهر أن كلا من أم جميل وخديجة قالت ذلك، لكن أم جميل عبرت لكونها كافرة بلفظ شيطانك، وخديجة عبرت لكونها مؤمنة بلفظ ربك أو صاحبك، وقالت أم جميل شماتة وخديجة توجعًا».

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «هذا السياق يصلح أن يكون خطاب خديجة دون الخطاب الأول، فإنه يصلح أن يكون خطاب حمالة الحطب لتعبيرها بالشيطان والترك ومخاطبتها بمحمد بخلاف هذه فقالت: صاحبك وقالت: أبطأ، وقالت: يا رسول الله، وجوز الكرماني أن يكون من تصرف الرواة، وهو موجه؛ لأن مخرج الطريقين واحد، وقوله: «**أبطأك**» أي: صيرك بطيئًا في القراءة».

المتن

سورة ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ [الشرح : ١]

بسم الله الرحمن الرحيم

و قال مجاهد : ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ [الشرح : ٢] في الجاهلية .

﴿أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح : ٣] أتْقَنَ أحْكَمَ .

﴿مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح : ٥] قال ابن عيينة : أي مع ذلك العسر يسرا آخر لقوله : ﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التوبة : ٥٢] ولن يغلب عسر يسرين .

وقال مجاهد : ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾ [الشرح : ٧] في حاجتك إلى ربك .

ويذكر عن ابن عباس : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح : ١] شرح الله صدره للإسلام .

الشرح

فسر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ بعض معاني الكلمات في سورة ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ﴾ [الشرح : ١] وتسمى سورة الشرح ، وقد يسميها البعض بالانشراح .

قوله تعالى : ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ﴾ [الشرح : ١] استفهام أتى للتقرير ، فيبين امتنان الله عَزَّ وَجَلَّ على نبيه ﷺ .

وقوله : ﴿وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ﴾ [الشرح : ٢] قال مجاهد : **«في الجاهلية»** .

وقوله : ﴿ٱلَّذِىٓ أَنقَضَ ظَهْرَكَ﴾ [الشرح : ٣] أي : الذي أثقل ظهرك .

وقوله : ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح : ٤] هذا من فضله سبحانه وتعالى على نبيه ﷺ أن شرح له صدره ووضع عنه وزره ورفع له ذكره .

ويذكر عن ابن عباس أنه فسر السورة قال : شرح الله صدره للإسلام ، ووضع وزره ، فغفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر ﷺ ، ورفع ذكره بأن قرن اسمه باسمه في الأذان وفي الإقامة وفي الخطب وفي كلمة التوحيد والدخول في الإسلام وهذه منزلة عظيمة .

فكلمة التوحيد لا تصح إلا بشهادة أن محمدًا رسول الله ، فمن شهد أن لا إله إلا الله ولم يشهد أن محمدًا رسول الله لا تصح منه ، ومن شهد أن محمدًا رسول الله ولم يشهد أن لا إله إلا الله لم تصح منه ، ولا يصح الأذان إلا بأن تقرن شهادة أن لا إله إلا الله بشهادة أن محمدًا رسول الله ، وكذلك الإقامة وخطبة الجمعة والمواعظ .

قوله تعالى : ﴿فَإِذَا فَرَغْتَ فَٱنصَبْ﴾ [الشرح : ٧] قال مجاهد : **«في حاجتك إلى ربك»** . والنصب معناه التعب ، يعني : اتعب في العبادة .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «قوله : **«**﴿مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح : ٥] **قال ابن عيينة : أي أن مع ذلك العسر يسرًا آخر كقوله :** ﴿هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ﴾ [التوبة : ٥٢]» وهذا مصير من ابن عيينة إلى اتباع النحاة في قولهم : إن النكرة إذا أعيدت نكرة كانت غير الأولى ، وموقع التشبيه أنه كما ثبت للمؤمنين تعدد الحسنى كذا ثبت لهم تعدد اليسر» .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «أو أنه ذهب إلى أن المراد بأحد اليسرين الظفر وبالآخر الثواب ، فلابد للمؤمن من أحدهما ، قوله : **«ولن يغلب عسر يسرين»** روي هذا مرفوعًا موصولًا ومرسلًا ، وروي أيضًا موقوفًا ؛ أما المرفوع فأخرجه ابن مردويه من حديث جابر بإسناد ضعيف ، ولفظه : **«أوحي إلي أن مع العسر يسرا إن مع العسر يسرا ولن يغلب عسر يسرين»** ، وأخرج سعيد بن منصور وعبد الرزاق من حديث ابن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : **«لو كان العسر في جحر لدخل عليه اليسر حتى يخرجه ولن يغلب عسر يسرين ثم قال :إن مع العسر يسرًا ، إن مع العسر يسرًا»**[١] وإسناده ضعيف ، وأخرجه عبد الرزاق والطبري من طريق الحسن عن النبي ﷺ ، وأخرجه عبد بن حميد عن ابن مسعود بإسناد جيد من طريق قتادة ، قال : ذكر لنا أن رسول الله ﷺ بشر أصحابه بهذه الآية فقال : **«لن يغلب عسر يسرين إن شاء الله»**[٢] ، وأما الموقوف فأخرجه مالك عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر أنه كتب إلى أبي عبيدة رضي الله عنه يقول : مهما ينزل بامرئ من شدة يجعل الله له بعدها فرجا وإنه لن يغلب عسر يسرين ، وقال الحاكم : صح ذلك عن

---

(١) الطبراني في «الكبير» (١٠/ ٧٠) .

(٢) «تفسير الطبري» (٣٠/ ٢٣٦) .

عمر وعلي وهو في «الموطأ»[١] عن عمر لكن من طريق منقطع، وأخرجه عبد بن حميد عن ابن مسعود بإسناد جيد».

ومعنى منقطع: أن أسلم لم يدرك عمر، لكن أسلم مولى عمر عاش معه، إلا إن أراد طريقًا أخرى، فكيف يكون منقطعًا.

وقول الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «إن النكرة إذا أعيدت نكرة كانت غير الأولى» يعني: إذا أعيدت النكرة نكرة أخرى كانت غير الأولى، وإذا أعيدت المعرفة معرفة كانت هي الأولى كما في الآية: ﴿فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۝ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا﴾ [الشرح: ٥، ٦] فقوله: ﴿يُسْرًا﴾ أعيدت نكرة مرة أخرى فهي غير الأولى، فكان اليسر الأول غير اليسر الثاني، والعسر أعيد معرفة فكان هو العسر الأول؛ فصح أن يقال: لن يغلب عسر يسرين في الآية.

وكذلك إذا أعيدت المعرفة نكرة كانت غير الأولى، كما في قوله تعالى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً﴾ [المزمل: ١٥] فرسولًا أعيدت نكرة فكانت غير الأولى: ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَآ إِلَيْكُمْ رَسُولاً شَٰهِدًا عَلَيْكُمْ﴾، فهذا محمد ﷺ، ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ رَسُولاً﴾، هو موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، وهذا واضح، أما إذا أعيدت النكرة معرفة فإنها تكون هي الأولى.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «ويدخل فيها حديث أخرجه الطبري وصححه ابن حبان من حديث أبي سعيد رفعه: **«أتاني جبريل فقال: يقول ربك: أتدري كيف رفعت ذكرك؟ قال: الله أعلم قال: إذا ذكرت ذكرت معي»**[٢]».

❋ ❋ ❋

(١) «موطأ مالك» (٢/ ٤٤٦).

(٢) ابن جرير (٣٠/ ٢٣٥)، وابن حبان (٨/ ١٧٥).

المتن

سورة ﴿وَٱلتِّينِ﴾ [التين : ١]

بسم الله الرحمن الرحيم

وقال مجاهد : هو التين والزيتون الذي يأكل الناس .

﴿تَقْوِيمٍ﴾ [التين : ٤] خَلْقٍ .

يقال : ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ﴾ [التين : ٧] فما الذي يكذبك بأن الناس يدانون بأعمالهم ، كأنه قال : ومن يقدر على تكذيبك بالثواب والعقاب .

• [٤٥٦٢] حدثنا حجاج بن منهال ، قال : حدثنا شعبة ، قال : أخبرني عدي قال : سمعت البراء ، أن النبي ﷺ كان في سفر فقرأ في العشاء في إحدى الركعتين بالتين والزيتون .

الشرح

قوله : «**سورة ﴿وَٱلتِّينِ﴾** [التين : ١]» الواو للقسم ، فأقسم الله بأربعة أشياء : بالتين والزيتون والطور ومكة . قوله : «**وقال مجاهد : هو التين والزيتون الذي يأكل الناس**» ، وروي عن مجاهد أنه قال : الفاكهة التي تأكل الناس .

قوله تعالى : ﴿وَطُورِ سِينِينَ﴾ [التين : ٢] الطور : الجبل الذي كلم الله عليه موسى ، وسينين : المباركة ، وقد يقال : سينين لغة في سيناء ، لكن الحافظ ابن حجر رحمه الله على أنه المبارك .

وقوله : ﴿وَهَٰذَا ٱلْبَلَدِ ٱلْأَمِينِ﴾ [التين : ٣] مكة .

وقوله : ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ فِىٓ أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين : ٤] قال : التقويم : الخلق ، والآية هي المقسم به .

وأورد الحافظ ابن حجر رحمه الله عن ابن عباس في قوله : ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ﴾ [التين : ٥] قال : من قرأ القرآن لم يرد إلى أرذل العمر ، وذلك قوله : ﴿ثُمَّ رَدَدْنَٰهُ أَسْفَلَ سَٰفِلِينَ ۝ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾ [التين : ٥، ٦] استثناهم الله ، قال : الذين قرءوا القرآن .

قوله تعالى: ﴿فَمَا يُكَذِّبُكَ بَعْدُ بِٱلدِّينِ﴾ [التين: ٧] فسره المؤلف قال: **«فما الذي يكذبك بأن الناس يدانون بأعمالهم، كأنه قال: ومن يقدر على تكذيبك بالثواب والعقاب؟»**، ويدانون بضم الياء والنون، من الدين وهو: الجزاء والحساب، ومنه: ﴿مَٰلِكِ يَوۡمِ ٱلدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، ومعنى: **«يدانون بأعمالهم»** أي: يحاسبون بأعمالهم، وعلى هذا يكون المخاطب به الرسول ﷺ، وقيل: المراد به الإنسان المذكور.

وروي عن مجاهد: ما الذي جعلك كاذبا؟ لأنك إذا كذبت بالجزاء صرت كاذبا؛ لأن كل مكذب بالحق فهو كاذب، وهذا ليس بوجيه، والصواب التفسير الأول.

• [٤٥٦٢] قوله: **«فقرأ في العشاء في إحدى الركعتين بالتين والزيتون»** هذا هو الشاهد أنه قرأ بهذه السورة، وفي لفظ أنه قال: **«فما سمعت صوتًا أحسن منه»**[(١)].

* * *

(١) أحمد (٤/ ٢٩٨)، والبخاري (٧٦٩)، ومسلم (٤٦٤).

المتن

سورة ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]

بسم الله الرحمن الرحيم

وقال قتيبة: حدثنا حماد، عن يحيي بن عتيق، عن الحسن قال: اكتب في المصحف في أول الإمام: بسم الله الرحمن الرحيم، واجعل بين السورتين خطا.

وقال مجاهد: ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُ﴾ [العلق: ١٧] عشيرته.

﴿الزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق: ١٨] الملائكة.

وقال معمر: ﴿إِنَّ إِلَى رَبِّكَ الرُّجْعَى﴾ [العلق: ٨] المرجع.

﴿لَنَسْفَعًا﴾ [العلق: ١٥] قال: لنأخذن ولنسفعن بالنون وهي الخفيفة، سفعت بيده أخذت.

• **[٤٥٦٣]** حدثنا يحيى بن بكير، قال: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب. ح وحدثني سعيد بن مروان، قال: حدثنا محمد بن عبدالعزيز بن أبي رزمة، قال: أخبرنا أبو صالح سلموية، قال: حدثني عبدالله، عن يونس بن يزيد، قال: أخبرني ابن شهاب، أن عروة بن الزبير أخبره، أن عائشة زوج النبي ﷺ قالت: كان أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة في النوم، فكان لا يرى رؤيا إلا جاءت مثل فلق الصبح، ثم حبب إليه الخلاء فكان يلحق بغار حراء فيتحنث فيه - قال: والتحنث التعبد الليالي ذوات العدد - قبل أن يرجع إلى أهله ويتزود لذلك، ثم يرجع إلى خديجة فيتزود بمثلها، حتى فجئه الحق وهو في غار حراء؛ فجاءه الملك فقال: اقرأ، فقال رسول الله ﷺ: **«ما أنا بقارئ»**، قال: **«فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني فقال: اقرأ، قلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثالثة حتى بلغ مني الجهد ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ۝ خَلَقَ الْإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ۝ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ الآيات إلى قوله: ﴿عَلَّمَ الْإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾** [العلق: ١- ٥]»، فرجع بها رسول الله ﷺ ترجف بوادره حتى دخل على خديجة فقال: **«زملوني زملوني»**، فزملوه حتى

ذهب عنه الروع، قال لخديجة: **«أي خديجة، ما لي، لقد خشيت على نفسي!»**، فأخبرها الخبر، قالت خديجة: كلا، أبشر؛ فوالله لا يخزيك الله أبدًا، فوالله إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة حتى أتت به ورقة بن نوفل، وهو ابن عم خديجة أخي أبيها، وكان امرأ تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العربي، ويكتب من الإنجيل بالعربية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخا كبيرا قد عمي، فقالت خديجة: يا ابن عم، اسمع من ابن أخيك، قال ورقة: يابن أخي، ماذا ترى؟ فأخبره النبي ﷺ خبر ما رأى، فقال ورقة بن نوفل: هذا الناموس الذي أنزل على موسى، ليتني فيها جزعٌ، ليتني أكون حيا، ذكر حرفا، قال رسول الله ﷺ: **«أومخرجي هم؟!»**، قال ورقة: نعم؛ لم يأت رجل بما جئت به إلا أوذي، وإن يدركني يومك حيا أنصرك نصرا مؤزرا، ثم لم ينشب ورقة أن توفي وفتر الوحي فترة حتى حزن رسول الله ﷺ.

• [٤٥٦٤] قال محمد بن شهاب: فأخبرني أبو سلمة بن عبدالرحمن، أن جابر بن عبدالله الأنصاري قال: قال رسول الله ﷺ وهو يحدث عن فترة الوحي، قال في حديثه: **«بينا أنا أمشي سمعت صوتا من السماء فرفعت رأسي فإذا الملك الذي جاءني بحراء جالس على كرسي بين السماء والأرض، ففرقت منه فرجعت فقلت: زملوني زملوني»**، فدثروه، فأنزل الله ﷻ: **﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ ۝١ قُمْ فَأَنذِرْ ۝٢ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ ۝٣ وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤ وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾** [المدثر: ١- ٥]، قال أبو سلمة: وهي الأوثان التي كان أهل الجاهلية يعبدون، قال: ثم تتابع الوحي.

الشرح

قوله: **«اكتب في المصحف في أول الإمام: بسم الله الرحمن الرحيم»** والإمام يعني: المصحف الذي جمعه عثمان ﷺ، وسماه الإمام لما جمع القرآن، وقال بعضهم: المراد بالإمام أم الكتاب.

قوله: **«واجعل بين السورتين خطًّا» قال الحافظ ابن حجر** رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «قال صاحب «الكشاف»: ذهب ابن عباس ومجاهد إلى أنها أول سورة نزلت، وأكثر المفسرين إلى أن أول سورة نزلت فاتحة الكتاب؛ كذا قال، والذي ذهب أكثر الأئمة إليه هو الأول، وأما الذي نسبه إلى الأكثر فلم يقل به إلا عدد أقل من القليل بالنسبة إلى من قال بالأول».

هذا هو المعتمد أن أول ما نزل سورة اقرأ، كما هو ثابت في الصحيح، وقول صاحب الكشاف ضعيف .

ثم قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «قوله : **«وقال قتيبة : حدثنا حماد عن يحيى بن عتيق عن الحسن قال : اكتب في المصحف في أول الإمام : بسم الله الرحمن الرحيم، واجعل بين السورتين خطًّا»** في رواية أبي ذر عن غير الكشميهني : «حدثنا قتيبة» وقد أخرجه ابن الضريس في فضائل القرآن . . . . . وقوله : **«في أول الإمام»** أي : أم الكتاب، وقوله : **«خطًّا»** قال الداودي : إن أراد خطًّا فقط بغير بسملة فليس بصواب ؛ لاتفاق الصحابة على كتابة البسملة بين كل سورتين إلا براءة، وإن أراد بالإمام أمام كل سورة فيجعل الخط مع البسملة فحسن، فكان ينبغي أن يستثني براءة، وقال الكرماني : معناه اجعل البسملة في أوله فقط واجعل بين كل سورتين علامة للفاصلة وهو مذهب حمزة من القراء السبعة، قلت : المنقول ذلك عن حمزة في القراءة لا في الكتابة، قال : وكأن البخاري أشار إلى أن هذه السورة لما كان أولها مبتدأ بقوله تعالى : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق : ١] أراد أن يبين أنه لا تجب البسملة في أول كل سورة، بل من قرأ البسملة في أول القرآن كفاه في امتثال هذا الأمر، نعم استنبط السهيلي من هذا الأمر ثبوت البسملة في أول الفاتحة ؛ لأن هذا الأمر هو أول شيء نزل من القرآن فأولى مواضع امتثاله أول القرآن» .

والصواب أن البسملة سنة في أول كل سورة، آية من أول كل سورة، فإذا أراد الإنسان أن يقرأ من أول السورة لابد أن يبسمل، أما إذا قرأ من وسط السورة فإنه يتعوذ، وكذلك في الصلاة يتعوذ ويبسمل في الركعة الأولى، ثم الركعة الثانية يبسمل بدون تعوذ .

قوله تعالى : ﴿فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ﴾ [العلق : ١٧] فسرها مجاهد فقال : **«عشيرته»** .

وقوله : ﴿سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ﴾ [العلق : ١٨] أي : **«الملائكة»** .

وقوله : ﴿إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ﴾ [العلق : ٨] يعني : المرجع إلى الله ليحاسب الخلائق .

قوله : **«﴿لَنَسْفَعًا﴾** [العلق : ١٥] **قال : لنأخذن، ولنسفعن بالنون وهي الخفيفة، سفعت بيده أخذت»** هذا وعيد له بأنه سيؤخذ ويلقى في النار .

قوله تعالى : ﴿بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ [العلق : ١٥] أي : بناصية أبي جهل .

وهذه الآيات نزلت في أبي جهل في قول جمع من أهل العلم ؛ لأنه هو الذي كان ينهى النبي ﷺ .

• [٤٥٦٣] قوله : **«سلمويه»** هو بفتح اللام .

وهذا الحديث فيه أن النبي ﷺ كان أول ما بدئ به الرؤيا الصادقة في النوم ، والرؤيا الصادقة نوع من الوحي ، وقيل : إن مدتها ستة أشهر من ربيع إلى رمضان ، فما كان ﷺ يرى رؤيا إلا وقعت مثل فلق الصبح ؛ ولهذا ففي الحديث : **«الرؤيا الصالحة جزء من ستة وأربعين جزءًا من النبوة»**(١) وفي رواية أخرى : **«من سبعين»**(٢) وفي رواية أخرى : **«من خمس وأربعين»**(٣) وذلك أن مدة الرسالة ثلاث وعشرون سنة ومدة الوحي ستة أشهر من أولها ، فإذا نسبت ستة أشهر إلى ثلاث وعشرين سنة تكون جزءا من ستة وأربعين جزءًا من النبوة ، وهذا تفسير للحديث عند البعض .

ورؤيا الأنبياء وحي ؛ قال الله تعالى عن الخليل إبراهيم : ﴿**قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلْمَنَامِ أَنِّيٓ أَذْبَحُكَ فَٱنظُرْ مَاذَا تَرَىٰ ۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ**﴾ [الصافات : ١٠٢] ثم قال بعد ذلك : ﴿**قَدْ صَدَّقْتَ ٱلرُّءْيَآ**﴾ [الصافات : ١٠٥] .

قولها : **«ثم حبب إليه الخلاء ، فكان يلحق بغار حراء فيتحنث فيه - قال : والتحنث التعبد الليالي ذوات العدد»** والأقرب أنه كان يتعبد على ما توارثه الناس عن دين إبراهيم عليه السلام ، كما كان العرب في الجاهلية في مناسك الحج يتعبدون على ما توارثه الناس من دين إبراهيم ، وقال بعضهم : على ما توارثه الناس من دين نوح ، وقيل غير ذلك ، لكن الأقرب الأول .

قولها : **«ويتزود لذلك»** يعني : يأخذ ما يحتاجه من الطعام والشراب ، فإذا انتهت رجع إلى أهله وأخذ مثلها .

قولها : **«حتى فجئه الحق وهو في غار حراء»** يعني : جاءه فجأة فنزل عليه جبريل بالوحي وهو في غار حراء .

---

(١) أحمد (٥/٣١٦) ، والبخاري (٦٩٨٩) ، ومسلم (٢٢٦٣) .
(٢) مسلم (٢٢٦٥) .
(٣) مسلم (٢٢٦٣)

قوله : «ما أنا بقارئ» ليس امتناعًا ولا إباءً عن القراءة ، ولكنه إخبار بأنه لا يقرأ ؛ لأنه أمي ﷺ .

قوله : «فأخذني فغطني حتىٰ بلغ مني الجهد» فعل هذا ثلاث مرات ، وهذا لأجل أن يستعد ويتحمل أعباء الرسالة من أذىٰ الناس ؛ لأنه سيواجه الناس وسيواجه الكفار وأنهم سيواجهونه بما يكره .

وفيه أن الرسل تبتلىٰ في أول الأمر ويحصل لها الشدائد - كما قال هرقل لأبي سفيان - ليكون ذلك توطئة لما سيتحملونه من القيام به من أعباء الرسالة ومواجهة الناس وتحمل الأذىٰ منهم .

قوله : «ثم أرسلني فقال : ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق : ١]» فيه تصريح بأن أول ما نزل من القرآن : ﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ﴾ وفيه الرد علىٰ صاحب «الكشاف» الزمخشري في قوله : إن أول ما نزل الفاتحة .

والزمخشري رئيس فرقة يقال لها : الزمخشرية من المعتزلة ، وكتابه «الكشاف» يقول عنه البلقيني : استخرجت من الكشاف اعتزالاً بالمناقيش . يعني أشياء خفية ، منها أنه قال في قوله تعالىٰ : ﴿فَمَن زُحۡزِحَ عَنِ ٱلنَّارِ وَأُدۡخِلَ ٱلۡجَنَّةَ فَقَدۡ فَازَ﴾ [آل عمران : ١٨٥] : أيّ فوز أعظم من الجنة؟! وقصده من ذلك إنكار رؤية الله سبحانه في الآخرة ؛ لأن الرؤية أعظم نعيم يعطاه أهل الجنة ، لكنه اعتزال خفي .

قولها : «ترجف بوادره» هو لحم بارز في الكتف قريب من العنق ، ترجف من شدة الخوف ؛ وذلك أنه رأىٰ أمرًا عظيمًا ، رأىٰ جبريل في الصورة التي خلق عليها ، له ستمائة جناح كل جناح يملأ ما بين السماء والأرض وقد سدت الأفق ، وملأ مد البصر وهو علىٰ كرسي جالس بين السماء والأرض .

وهذه الصورة المرعبة العظيمة لا يتحملها الإنسان ؛ ولهذا لما اقترح المشركون وقالوا : لماذا يرسل إلىٰ بشر مثلنا؟ لم لم يرسل إلينا ملائكة؟ فرد عليهم الله ﷻ : ﴿وَلَوۡ جَعَلۡنَٰهُ مَلَكٗا لَّجَعَلۡنَٰهُ رَجُلٗا وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ﴾ [الأنعام : ٩] فلو كان الرسول من الملائكة لصار رجلًا حتىٰ يمكن للناس أن يخاطبوه وينتفعوا منه ، أما على الصورة التي خلق بها فلا يستطيعون أن يخاطبوه ولا أن يقربوه ، وفي الآية الأخرىٰ : ﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ﴾ [الأنعام : ٨] يعني : لو كان الرسل من الملائكة لهلك الناس من هول المنظر .

قوله ﷺ : «**زملوني زملوني**» أي : غطوني ، «**فزملوه حتىٰ ذهب عنه الروع**» .

قولها : «**كلا ، أبشر ؛ فوالله لا يخزيك الله أبدا ، فوالله إنك لتصل الرحم ، وتصدق الحديث ، وتحمل الكل ، وتَكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين علىٰ نوائب الحق**» وتَكسب : بفتح التاء أفصح ، لما رأىٰ النبي ﷺ الملك علىٰ هذه الصورة فزع فزعًا شديدًا ، وخاف أن يعرض له عارض سوء ، حكىٰ لزوجه خديجة فبينت له خديجة أن الذي يتصف بهذه الصفات لا يمكن أن يخزىٰ ولا يمكن أن يعرض له عارض سوء ؛ لأنه يتصف بالمروءة ومكارم الأخلاق .

وهذا فيه الرد على الأشاعرة الذين يقولون : إن دلائل النبوة خاصة بالمعجزات الحسية .

والصواب أن دلائل النبوة كثيرة ؛ منها هذه الأدلة التي استدلت بها خديجة ، ومنها الأدلة التي استدل بها هرقل لما سأل أبا سفيان عشرة أسئلة ، واستدل بها علىٰ أنه نبي وقال : إن كنت صادقًا فهو نبي وسيملك موضع قدمي هاتين .

قوله : «**ذكر حرفًا**» يعني : قال : ليتني أكون حيًا حين يخرجك قومك .

وهذا فيه دليل علىٰ أن ورقة آمن بالنبي ﷺ وهو صحابي ، ويروىٰ أن النبي ﷺ رآه في المنام في الجنة وعليه ثياب خضر[1] ، وذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ ما يدل علىٰ هذا .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ : «وتمسك ابن القيم الحنبلي بقوله في الرواية التي في بدء الوحي : «**ثم لم ينشب ورقة أن توفي**» يرد ما وقع في «السيرة النبوية» لابن إسحاق : أن ورقة كان يمر ببلال والمشركون يعذبونه وهو يقول : أحد أحد ، فيقول : أحد والله يا بلال ، لئن قتلوك لاتخذت قبرك حنانًا ، هذا - والله أعلم - وهم ؛ لأن ورقة قال : وإن أدركني يومك حيًا لأنصرنك نصرًا مؤزرًا . فلو كان حيًا عند ابتداء الدعوة لكان أول من استجاب وقام بنصر النبي ﷺ كقيام عمر وحمزة . قلت : وهذا اعتراض ساقط ؛ فإن ورقة إنما أراد بقوله : «**فإن يدركني يومك حيًا أنصرك**» اليوم الذي يخرجوك فيه ؛ لأنه قال ذلك عنه عند قوله : أومخرجي هم؟ وتعذيب بلال كان بعد انتشار الدعوة وبين ذلك وبين إخراج المسلمين من مكة للحبشة ثم للمدينة مدة متطاولة» .

---

(١) «مصنف ابن أبي شيبة» (٧/ ٣٣٠) .

وهذا رد قوي من الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ ، والأقرب قول ابن القيم رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه ما عاش إلى وقت بلال ؛ لأن ظاهر الحديث : **«ثم لم ينشب ورقة أن توفي»** ، فقد توفي قريبًا وكان شيخًا كبيرًا قد عمي ، فالأقرب أنه لم يدرك بلالًا ، وأنه توفي قبل ذلك .

• [٤٥٦٤] قوله ﷺ : **«ففرقت منه»** يعني : فخفت .

قوله تعالى : ﴿وَٱلرُّجْزَ فَٱهْجُرْ﴾ [المدثر : ٥] الرجز : هي الأوثان التي كانت تعبد في الجاهلية ، أي : اتركها .

وهذا فيه دليل على أن سورة ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمُدَّثِّرُ﴾ [المدثر : ١] نزلت بعد سورة ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ﴾ [العلق : ١] وبعد فترة الوحي .

* * *

المتن

[٣٥٧/ ٥٦] باب ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ﴾ [العلق : ٢]

• [٤٥٦٥] حدثنا يحيى بن بكير ، قال : حدثنا الليث ، عن عقيل ، عن ابن شهاب ، عن عروة ، أن عائشة قالت : أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصالحة ، فجاءه الملك فقال : ﴿ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ۝ خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِنْ عَلَقٍ ۝ ٱقْرَأْ وَرَبُّكَ ٱلْأَكْرَمُ﴾ [العلق : ١-٣] .

الشرح

• [٤٥٦٥] قولها : «**أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصالحة**» فيه دليل على أن أول ما بدئ به الرؤيا الصادقة ، وكانت مدتها ستة أشهر من ربيع إلى رمضان ، وفيه دليل على أن الرؤيا الصادقة من الوحي .

والوحي أنواع :

منها : الرؤيا الصادقة .

ومنها : مجيء الملك يكلمه في صورة إنسان .

ومنها : أنه ينفث جبريل في روعه .

ومنها : أن يكلمه الله كما كلم موسى ﵇ والنبي ﷺ من وراء حجاب بدون واسطة ، كما حدث في ليلة المعراج .

قولها : «**فجاءه الملك**» يعني : ملك الوحي جبريل ، وكان ذلك في رمضان .

* * *

المتن

[٣٥٨/ ٥٦] باب ﴿ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ﴾ [العلق: ٣]

• **[٤٥٦٦]** حدثني عبدالله بن محمد، قال: حدثنا عبدالرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن الزهري. ح وقال الليث: حدثني عقيل، قال محمد: أخبرني عروة، عن عائشة: أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة، جاءه الملك فقال: **﴿ٱقۡرَأۡ بِٱسۡمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ۝١ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ مِنۡ عَلَقٍ ۝٢ ٱقۡرَأۡ وَرَبُّكَ ٱلۡأَكۡرَمُ ۝٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلۡقَلَمِ﴾** [العلق: ١-٤].

الشرح

• **[٤٥٦٦]** قوله: **«أول ما بدئ به رسول الله ﷺ الرؤيا الصادقة»** فيه دليل على أن أول ما بدئ به الوحي الرؤيا الصادقة.

قوله: **«جاءه الملك»** يعني: جبريل عليه السلام.

* * *

المتن

[٣٥٩/ ٥٦] باب ﴿ٱلَّذِى عَلَّمَ بِٱلْقَلَمِ﴾ [العلق: ٤]

• [٤٥٦٧] حدثنا عبدالله بن يوسف، قال: حدثنا الليث، عن عقيل، عن ابن شهاب قال: سمعت عروة، قالت عائشة: فرجع النبي ﷺ إلى خديجة، فقال: «**زملوني زملوني**».

فذكر الحديث.

الشرح

• [٤٥٦٧] قوله: «**زملوني زملوني**» أي: غطوني، فزملوه حتى ذهب عنه الروع.

* * *

المتن

[٣٦٠/ ٥٦] باب ﴿كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ﴾ [العلق: ١٥]

• **[٤٥٦٨] حدثنا يحيى**، قال: حدثنا عبدالرزاق، عن معمر، عن عبدالكريم الجزري، عن عكرمة، قال: قال ابن عباس: قال أبو جهل: لئن رأيت محمدا يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه، فبلغ النبي ﷺ، فقال: **«لو فعله لأخذته الملائكة»**.

تابعه عمرو بن خالد، عن عبيدالله، عن عبدالكريم.

الشرح

• **[٤٥٦٨]** هذا الحديث فيه دليل على أن هذه الآية نزلت في أبي جهل.

قوله: **«قال أبو جهل: لئن رأيت محمدًا يصلي عند الكعبة لأطأن على عنقه»**، فنزلت هذه الآية ﴿**كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًا بِٱلنَّاصِيَةِ ۝ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ**﴾ [العلق: ١٥، ١٦] فقال النبي ﷺ: **«لو فعله لأخذته الملائكة»**، وفي لفظ آخر: **«لأخذته الملائكة عضوًا عضوًا»**(١).

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «هذا مما أرسله ابن عباس؛ لأنه لم يدرك زمن قول أبي جهل ذلك؛ لأن مولده قبل الهجرة بنحو ثلاث سنين»، لكنه مرسل صحابي.

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: «وقد أخرج ابن مردويه بإسناد ضعيف عن علي بن عبد الله بن عباس عن أبيه عن العباس بن عبد المطلب قال: كنت يوما في المسجد فأقبل أبو جهل فقال: إن لله علي إن رأيت محمدًا ساجدًا... فذكر الحديث، قوله: **«لو فعله لأخذته الملائكة»** وقع عند البلاذري: «نزل اثنا عشر ملكا من الزبانية رءوسهم في السماء وأرجلهم في الأرض»، وزاد الإسماعيلي في آخره من طريق معمر عن عبد الكريم الجزري قال ابن عباس: «لو تمنى اليهود الموت لماتوا ولو خرج الذين يباهلون رسول الله ﷺ لرجعوا لا يجدون أهلا ولا مالا»، وأخرج النسائي من طريق أبي حازم عن أبي هريرة نحو حديث ابن عباس، وزاد في آخره: «فلم يفجأهم منه إلا وهو - أي أبو جهل - ينكص على عقبيه ويتقي بيده فقيل له: فقال: إن بيني وبينه لخندقًا من نار وهولًا وأجنحة، فقال النبي ﷺ: **«لو دنا لاختطفته الملائكة عضوًا**

---

(١) أحمد (٢/ ٣٧٠)، ومسلم (٢٧٩٧).

عضوًا»[1] وإنما شدد الأمر في حق أبي جهل ولم يقع مثل ذلك لعقبة بن أبي معيط حيث طرح سلى الجزور على ظهره ﷺ وهو يصلي كما تقدم شرحه في الطهارة ؛ لأنهما وإن اشتركا في مطلق الأذية حالة صلاته لكن زاد أبو جهل بالتهديد وبدعوى أهل طاعته وبإرادة وطء العنق الشريف ، وفي ذلك من المبالغة ما اقتضى تعجيل العقوبة لو فعل ذلك ؛ ولأن سلى الجزور لم يتحقق نجاستها» .

وعلى أية حال فمسألة النجاسة هذه متأخرة .

* * *

(١) النسائي في «السنن الكبرى» (٦/ ٥١٨) ، وهو في «صحيح مسلم» (٢٧٩٧) من هذا الوجه بمثله .

المتن

سورة ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ﴾ [القدر : ١]

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ﴾ [القدر : ١] الهاء كناية عن القرآن .

﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ﴾ مَخْرَجَ الجميع ، والمنزل هو الله ، والعرب تؤكد فعل الواحد فتجعله بلفظ الجميع ليكن أثبت وأوكد .

يقال : المطلع هو الطلوع ، والمطلع هو الموضع الذي يُطَلعُ منه .

الشرح

قوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ﴾ قال : «الهاء كناية عن القرآن» يعني : الضمير يعود إلى القرآن ، والمعنى : ابتدأ نزوله في رمضان في ليلة القدر .

وقوله : ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ﴾ قال : «مخرج الجميع» يعني : للتعظيم ، ولم يقل : إني أنزلته .

قوله : «والمنزل هو الله» والله أولى من غيره بالتعظيم ؛ لأن كل شيء بيده ، والملائكة جنوده وهم لا يعصون الله ما أمرهم .

قوله : «والعرب تؤكد فعل الواحد فتجعله بلفظ الجميع ليكن أثبت وأوكد» يعني : يجوز للإنسان أن يخبر عن نفسه بصيغة الجمع ، أو يأمر بصيغة الجمع إذا لم يكن على وجه الفخر والخيلاء والتعاظم والإعجاب بالنفس فيقول : نفعل كذا ، وكما نجد في المراسيم الملكية والرئاسية مثل : نحن كذا وكذا ، فلان بن فلان -بصيغة التعظيم- أمرنا بما هو آت ، هو أسلوب عربي معروف .

قوله : «المطلَع هو الطلوع ، والمطلِع هو الموضع الذي يُطَلعُ منه» يشير إلى قوله تعالى : ﴿سَلَـٰمٌ هِىَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ ٱلْفَجْرِ﴾ [القدر : ٥] .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «ويدخل فيه حديث : «**من قام ليلة القدر إيمانًا واحتسابًا**»[١] وقد تقدم في الصيام» .

وقد ورد أن القرآن نزل جملة واحدة في ليلة القدر إلى بيت العزة ، ثم أنزل منجمًا على حسب الحوادث ، وهذا ثابت عن ابن عباس ، وليس فيه حجة للأشاعرة الذين يقولون : إن الله لم يتكلم بحرف وصوت وإنما أخذه جبريل .

* * *

(١) أحمد (٢/ ٢٤١) ، والبخاري (١٩٠١) ، ومسلم (٧٦٠) .

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ﴿لَمْ يَكُنْ﴾ [البينة : ١]

﴿مُنفَكِّينَ﴾ [البينة : ١] زائلين .

﴿قَيِّمَةٌ﴾ [البينة : ٣] القائمة .

﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة : ٥] أضاف الدين إلى المؤنث .

• [٤٥٦٩] حدثني محمد بن بشار ، قال : حدثنا غندر ، قال : حدثنا شعبة ، قال : سمعت قتادة ، عن أنس بن مالك ، قال : قال النبي ﷺ لأبي بن كعب : **«إن الله أمرني أن أقرأ عليك : ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا﴾** [البينة : ١]» ، قال : وسماني؟!! قال : **«نعم»** ؛ فبكى .

• [٤٥٧٠] حدثني حسان بن حسان ، قال : حدثنا همام ، عن قتادة ، عن أنس قال : قال النبي ﷺ لأبي : **«إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن»** ، قال أبي : الله سماني لك؟! قال : **«الله سماك لي»** ، فجعل أبي يبكي .

قال قتادة : فأنبئت أنه قرأ عليه : ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ﴾ [البينة : ١] .

• [٤٥٧١] حدثني أحمد بن أبي داود أبو جعفر المنادي ، قال : حدثنا روح ، قال : حدثنا سعيد بن أبي عروبة ، عن قتادة ، عن أنس بن مالك ، أن نبي الله ﷺ قال لأبي بن كعب : **«إن الله أمرني أن أقرئك القرآن»** ، قال : الله سماني لك؟!! قال : **«نعم»** ، قال : وقد ذكرت عند رب العالمين؟!! قال : **«نعم»** ؛ فذرفت عيناه .

الشرح

هذه السورة لها ثلاثة أسماء هي : سورة ﴿لَمْ يَكُنِ﴾ [البينة : ١] ، ويقال : سورة القيمة ، ويقال : سورة البينة .

قوله : ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ﴾ [البينة : ١] فسر المؤلف ﴿مُنفَكِّينَ﴾ قال : **«زائلين»** .

قوله : «﴿قَيِّمَةٌ﴾ [البينة : ٣] : القائمة» .

قوله تعالىٰ : ﴿دِينُ ٱلْقَيِّمَةِ﴾ [البينة : ٥] قال : «أضاف الدين إلى المؤنث» يعني : دين القيمة علىٰ تقدير المحذوف ، وتقديره : دين الملة القيمة .

• [٤٥٦٩] قوله : «إن الله أمرني أن أقرأ عليك : ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾ [البينة : ١]» أي : خصص السورة التي سيقرؤها عليه .

فإنه لما كان أبي أقرأ الصحابة -كما في الحديث الذي رواه النسائي والترمذي وابن ماجه : «وأقرؤهم أبي بن كعب»[1]- أمر الله نبيه أن يقرأ عليه القرآن ؛ ليكون قدوة لغيره في العناية بالقرآن .

قوله : «فبكىٰ» تعظيمًا لله وخشية وخضوعًا ومحبة له .

• [٤٥٧٠] قوله : «إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن» المراد جنس القرآن ، وليس المراد جميعه ، وفي الحديث الأول خصص وقال : «إن الله أمرني أن أقرأ عليك : ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟﴾» .

• [٤٥٧١] قوله : «قال : آلله؟» يستفهم من النبي ﷺ حتىٰ يتأكد ويتبين هذا الأمر ، وهذه منقبة لأبي بن كعب رضي الله عنه أن الله سمَّاه ، وأمر نبيه أن يقرأ عليه القرآن ، فيا له من خير عظيم! ساقه الله إلىٰ هذا الصحابي الجليل!

* * *

(١) أحمد (٣/ ٢٨١) ، والترمذي (٣٧٩٠) ، وابن ماجه (١٥٥) ، والنسائي في «الكبرىٰ» (٥/ ٦٧) .

المتن

سورة ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ﴾ [الزلزلة : ١]

بسم الله الرحمن الرحيم

[٣٦١/ ٥٦] باب ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة : ٧]

يقال : ﴿أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة : ٥] وأوحى إليها ووحى لها ووحى إليها واحد .

• [٤٥٧٢] حدثنا إسماعيل بن عبدالله ، قال : حدثني مالك ، عن زيد بن أسلم ، عن أبي صالح السمان ، عن أبي هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال : «**الخيل لثلاثة ؛ لرجل أجر ، ولرجل ستر ، وعلى رجل وزر ؛ فأما الذي له أجر فرجل ربطها في سبيل الله فأطال في مرج أو روضة ، فما أصابت في طيلها في ذلك المرج والروضة كان له حسنات ، ولو أنها قطعت طيلها فاستنت شرفا أو شرفين كانت آثارها وأرواثها حسنات له ، ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقي به كان ذلك حسنات له ، وهي كذلك لرجل أجر . ورجل ربطها تغنيا وتعففا ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها ؛ فهو له ستر . ورجل ربطها فخرًا ورياءً ونواء ؛ فهي على ذلك وزر**» ، فسئل رسول الله ﷺ عن الحمر ، قال : «**ما أنزل الله علي فيها إلا هذه الآية الفاذة الجامعة : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة : ٧ ، ٨]**» .

الشرح

قوله تعالى : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ ٱلْأَرْضُ﴾ [الزلزلة : ١] تزلزل وترج من شدة الهول ، و﴿زِلْزَالَهَا﴾ [الزلزلة : ١] مصدر للتأكيد ، ﴿وَأَخْرَجَتِ ٱلْأَرْضُ أَثْقَالَهَا﴾ [الزلزلة : ٢] أي : ما في بطنها من أموات وكنوز ، ﴿وَقَالَ ٱلْإِنسَٰنُ مَا لَهَا﴾ [الزلزلة : ٣] أي شيء حصل لها؟! ﴿يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ۝ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزلة : ٤ ، ٥] أوحى إليها ، وأوحى لها ، ووحى لها ، ووحى إليها ، كلها بمعنى واحد .

• [٤٥٧٢] الشاهد قوله: «ما أنزل الله علي فيها إلا هذه الآية الفاذة الجامعة: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]» هذا هو شاهد الترجمة.

وهذا الحديث فيه أن الخيل بالنسبة للناس الذين يستعملونها ويقتنونها ثلاثة أقسام:

الأول: «**ربطها في سبيل الله**»، أي: أوقفها للجهاد في سبيل الله، «**فأطال في مرج أو روضة، فما أصابت في طيلها في ذلك المرج والروضة كان له حسنات**» طيلها المراد: الحبل الذي يطول للدابة، ويشد به أحد الطرفين في الوتد، فما أصابت في ذلك المرج والروضة وهي مربوطة تأكل أو تشرب كانت له بذلك حسنات، قوله: «**ولو أنها قطعت طيلها فاستنت شرفًا أو شرفين**» أي: ألحت في العدو والجري، والشرف أي الشوط، وسمي به لأن العادي به يشرف على ما يتوجه إليه، والآن الذين يلعبون الكرة يسمونها أشواطًا، فلو فعلت ذلك: «**كانت آثارها وأرواثها حسنات له**» أي: كانت خطواتها وما تخرجه من روث في ميزانه، «**ولو أنها مرت بنهر فشربت منه ولم يرد أن يسقي به كان ذلك حسنات له**» أي: كيفما تصرفت تكتب له حسنات؛ لأنه ربطها في سبيل الله، والله ﷻ أكرم الأكرمين.

والثاني: «**رجل ربطها تغنيًا وتعففًا**» أي: استغناء عن الناس، أو يستغني بنتاجها تعففًا عن السؤال؛ حتى لا يسأل الناس، قوله: «**ولم ينس حق الله في رقابها ولا ظهورها؛ فهو له ستر**» والمراد من عدم نسيان حق الله في رقابها قيل: إنه يؤدي زكاتها، وبه يحتج الإمام أبو حنيفة[1] على زكاة الخيل، ولكن ليس هذا الاستدلال بواضح؛ لاحتمال أن يكون الحق الذي في رقابها شيء آخر غير الزكاة وغير الحمل عليها، وقوله: «**ولا ظهورها**» قيل: بالحمل عليها في سبيل الله، وقيل غير ذلك.

والثالث: «**رجل ربطها فخرًا ورياءً ونِواءً**» أي: ربطها من باب الفخر والرياء، ونواء أي: معاداة لأهل الإسلام؛ «**فهي على ذلك وزر**».

قوله: «**فسئل رسول الله ﷺ عن الحمر**» جمع حمار، فقال: «**ما أنزل الله علي فيها إلا هذه الآية الفاذة الجامعة**» الفاذة: بتشديد الذال أي: المفردة التي لا نظير لها، والجامعة؛ لأنها

---

(١) انظر «تبيين الحقائق» (١/ ٢٦٥).

جامعة لكل أحكام الخير والشر : ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة : ٧، ٨] أي : فمن يعمل مثقال ذرة من الخير يجد ثوابه ، ومن يعمل مثقال ذرة من الشر يجده أمامه يوم القيامة .

وأي شيء يستعمله الإنسان في الخير ينفعه ، فالحمار إذا استعمله في الخير وفي الحمل والإحسان إلى الناس نفعه ، وإذا استعمله في الشر ضره ، وكذلك السيارة يستعملها في الخير وفي الدعوة إلى الله وفي حمل الأمتعة وحمل النفقات للمحتاجين صار ذلك خيرًا ، وإذا استعملها في الشر وفي الإيذاء صار ذلك إثمًا عليه .

* * *

المتن

[٣٦٢/ ٥٦] باب ﴿وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٨]

• [٤٥٧٣] حدثنا يحيى بن سليمان، قال: حدثني ابن وهب، قال: أخبرني مالك، عن زيد بن أسلم، عن أبي صالح السمان، عن أبي هريرة: فسُئل النبي ﷺ عن الحمر، فقال: «**لم ينزل علي فيها شيء إلا هذه الآية الجامعة الفاذة: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾** [الزلزلة: ٧، ٨]».

الشرح

• [٤٥٧٣] قوله: «**لم ينزل علي فيها شيء إلا هذه الآية الجامعة الفاذة**» الفاذة: بتشديد الذال أي: المفردة التي لا نظير ولا مثيل لها، والجامعة؛ لأنها جامعة لكل أحكام الخير والشر، وهي قول الله تعالى: **﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾** أي: أن الحساب دقيق، وأن الميزان يوم القيامة يزن كل شيء، فمن يعمل مثقال ذرة من الخير يجد ثوابه، ومن يعمل مثقال ذرة من الشر يجده أمامه يوم القيامة.

* * *

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ﴾ [العاديات: ١] و﴿ٱلْقَارِعَةُ﴾ [القارعة: ١]

وقال مجاهد: الكنود: الكفور.

يقال: ﴿فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا﴾ [العاديات: ٤] رفعن به غبارا.

﴿لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨] من أجل حب الخير.

﴿لَشَدِيدٌ﴾: لبخيل، ويقال للبخيل: شديد.

﴿حُصِّلَ﴾ [العاديات: ١٠] ميز.

﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة: ٤] كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضا، كذلك الناس يجول بعضهم في بعض.

كالعهن: كألوان العهن.

الشرح

سورة العاديات والقارعة هذه ذكرها بعد تلك، وفي بعض النسخ يقول: والعاديات والقارعة.

والمراد بالعاديات الخيل، وسميت بالعاديات؛ لأنها تعدو، وقد أقسم الله بها فقال: ﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ۝ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ۝ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ۝ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ۝ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا﴾ [العاديات: ١ - ٥] فكل هذه من أوصاف الخيل، فالموريات إذا مشت ضربت بأرجلها الحجارة، والمغيرات أي تغير على العدو صباحًا، فيثرن الغبار بالغارة، فتصبح القوم جميعا، ثم قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ﴾ [العاديات: ٦] هذا هو المقسم به، «وقال مجاهد: الكنود: الكفور» يعني جنس الإنسان، ﴿وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ۝ وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٧، ٨] إلا من هداه الله فيخرج عن هذا الوصف.

قوله : «﴿لَشَدِيدٌ﴾ لبخيل ، ويقال للبخيل : شديد» أي أن حب الإنسان للخير جعله بخيلًا .

والقارعة : من أسماء يوم القيامة ، فخم الله شأنها ، وسميت القارعة ؛ لأنها تقرع القلوب بأهوالها .

قوله : «﴿كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ﴾ [القارعة : ٤] كغوغاء الجراد يركب بعضه بعضا ، كذلك الناس يجول بعضهم في بعض» كما قال الله تعالى : ﴿خُشَّعًا أَبْصَٰرُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ ٱلْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ﴾ [القمر : ٧] .

قوله تعالى : ﴿وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ﴾ [القارعة : ٥] أي : كالصوف المنتوف من شدة الهول .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ : «وقال أبو عبيدة : الفراش طير لا ذباب ولا بعوض ، والمبثوث المتفرق ، وحمل الفراش على حقيقته أولى ، والعرب تشبه بالفراش كثيرا كقول جرير :

إن الفرزدق ما علمت وقومه مثل الفراش غشين نار المصطلي

وصفهم بالحرص والتهافت ، وفي تشبيه الناس يوم البعث بالفراش مناسبات كثيرة بليغة كالطيش والانتشار والكثرة والضعف والذلة والمجيء بغير رجوع والقصد إلى الداعي والإسراع وركوب بعضهم بعضا والتطاير إلى النار» اهـ .

* * *

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿أَلۡهَىٰكُمُ﴾ [التكاثر: ١] و﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ [العصر: ١] و﴿وَيۡلٞ لِّكُلِّ هُمَزَةٖ﴾ [الهمزة: ١] و﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ [الفيل: ١] و﴿لِإِيلَٰفِ﴾ [قريش: ١] و﴿أَرَءَيۡتَ﴾ [الماعون: ١]

وقال ابن عباس: ﴿ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١] من الأموال والأولاد.

الشرح

سورة ألهاكم وتسمى سورة التكاثر، وذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ عن ابن أبي حاتم قال: كان أصحاب رسول الله ﷺ يسمونها المقبرة.

فقوله تعالى: ﴿أَلۡهَىٰكُمُ ٱلتَّكَاثُرُ﴾ [التكاثر: ١] أي: شغلكم الأموال والأولاد والمباهاة، بالعمارات والسيارات والمؤسسات، قوله: ﴿حَتَّىٰ زُرۡتُمُ ٱلۡمَقَابِرَ﴾ [التكاثر: ٢] أي: حتى متم ودفنتم في المقابر، قوله: ﴿كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝ ثُمَّ كَلَّا سَوۡفَ تَعۡلَمُونَ ۝ كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ۝ لَتَرَوُنَّ ٱلۡجَحِيمَ ۝ ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ۝ ثُمَّ لَتُسۡـَٔلُنَّ يَوۡمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر: ٣ - ٨] فيه دليل على أن إقامة الإنسان في القبر مؤقتة وليس هو المثوى الأخير كما يقول بعض الناس: ذهب إلى مثواه الأخير، وهذا خطأ، وقد يكون ظاهره الكفر، فالله سماه زيارة، والزائر يرحل لا يبقى، فهي زيارة مؤقتة إلى يوم الحساب، ثم يبعث الناس ويقومون بين يدي الله، والمثوى الأخير إما في الجنة أو في النار، ولو صدرت هذه الكلمة من أحد يعتقد معناها كفر؛ لأنه أنكر البعث وأنكر الجزاء والحساب وأنكر الجنة والنار، لكن من يقولها عن جهل وهو لا ينكر البعث يبين له.

* * *

المتن

سورة ﴿وَٱلۡعَصۡرِ﴾ [العصر: ١]

العصر: الدهر أقسم به.

الشرح

قال المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «**العصر: الدهر أقسم به**» والمعنى: أن العصر هو الزمان، وهذا هو الأرجح من أقوال أهل العلم، أقسم الله به؛ لأنه محل الأعمال، فالإنسان حين يعمل أعمالًا صالحة أو طالحة، يكون الزمان ظرفا لها.

والله تعالى له أن يقسم بما شاء من مخلوقاته، أما المخلوق فلا يقسم إلا بالله وأسمائه وصفاته.

والمقسم به قوله سبحانه: ﴿إِنَّ ٱلۡإِنسَٰنَ لَفِي خُسۡرٍ﴾ [العصر: ٢]، والمراد بالإنسان الجنس، والمعنى: أن جنس الإنسان في خسارة وهلاك، ثم استثنى الله الرابحين الذين اتصفوا بالصفات الأربعة: ﴿إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلۡحَقِّ وَتَوَاصَوۡاْ بِٱلصَّبۡرِ﴾ [العصر: ٣] فالذين آمنوا يعني: الذين آمنوا عن علم وبصيرة؛ لأن الإيمان مبني على العلم، فوحدوا الله وأخلصوا له العبادة، ثم عملوا الصالحات؛ وهي: أداء الواجبات وترك المحارم، ثم دعوا إلى توحيد الله ﷻ، وإلى العمل الصالح الذي وفقوا له، ثم تواصوا بالصبر.

والصبر ثلاثة أنواع: صبر على طاعة الله، وصبر على محارم الله، وصبر على أقدار الله المؤلمة، فالداعية يصبر على طاعة الله، ويصبر عن معاصي الله؛ حتى لا يفعل ما يغضب الله، ويصبر على ما يصيبه من الأذى مما قدره الله.

ولم يذكر المؤلف رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديثًا في هذه السورة، وذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه يدخل فيه حديث ابن عمر: «**من فاتته صلاة العصر فكأنما وتر أهله وماله**»(١)، وكذلك أيضًا فات على الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ ٱللَّهُ حديث بريدة بن الحصيب: «**من ترك صلاة العصر فقد حبط عمله**»(٢) والحديثان على شرطه؛ فهما في البخاري.

---

(١) أحمد (٢/ ٨)، والبخاري (٥٥٢)، ومسلم (٦٢٦).
(٢) أحمد (٢/ ٢٧)، والبخاري (٥٥٣).

المَتْنُ

سورة ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حُطَمة اسم النار مثل ﴿سَقَرَ﴾ [القمر: ٤٨] و﴿لَظَىٰ﴾ [المعارج: ١٥].

وقال مجاهد: ألم تر: ألم تعلم.

قال مجاهد: ﴿أَبَابِيلَ﴾ [الفيل: ٣] متتابعة مُجمَّعة.

وقال ابن عباس: ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾ [الفيل: ٤] من سنْكِ وَكِل.

الشَّرْحُ

سورة ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١] تسمى سورة الحطمة، ويقال لها أيضًا سورة الهمزة، والويل: هو شدة العذاب والهلاك، والهمزة: كثير الهمز، واللمزة: كثير اللمز.

وذكر الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ حديث ابن عباس أنه سئل عن الهمزة فقال: المشاء بالنميمة الذي يفرِّق بين الإخوان.

والظاهر أن الهمزة اللمزة يحتمل أنه الكافر الذي جمع مالًا وعدده ولم يؤمن بالله، فهو مخلد في النار وإن كان عاصيًا فهو متوعد بالنار، وليطرحن فيها.

قال أبو عبيدة: يقال للرجل الأكول: حطمة، أي: كثير الحطم.

وسورة ﴿أَلَمْ تَرَ﴾، ويقال لها: سورة الفيل، «**وقال مجاهد: ألم تر: ألم تعلم**» أي أن المراد بالرؤية العلم، والرؤية تأتي بمعنى العلم، وتأتي بمعنى الرؤية البصرية، وتأتي بمعنى الحلم؛ فمجيئها بمعنى رؤية البصر كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ [إبراهيم: ١٩]، ومجيئها بمعنى العلم كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَابِ الْفِيلِ﴾ [الفيل: ١] يعني: ألم تعلم، وأصحاب الفيل هم الذين غزوا الكعبة بقيادة أبرهة ملك الحبشة – وكان معهم فيل عظيم – لهدمها فأهلكهم الله، وقوله تعالى: ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ﴾ [الفيل: ٣] أي: متتابعة مجتمعة.

قوله : «**وقال ابن عباس : ﴿مِّن سِجِّيلٍ﴾** [الفيل : ٤] **من سنْكٍ وكِل**» المراد ترجمتها إلى العربية ، وترجمتها : طين وحجارة ، قال ابن عباس : ترميهم بحجارة معها نار ، فإذا أصابت أحدهم خرج به الجدري .

وجاء عن بعضهم في تفسير كيفية إهلاكهم أنهم أهلكوا بحجارة صغيرة مطبوخة بالنار ، وأن هذا الطير تأخذ الحجر فترمي الواحد منهم فيدخل في وسط رأسه حتى يخرج من دبره فيتفتت جسمه ويتمزق – والعياذ بالله – فيصير كعصف – أي كالتبن أو الحشيش – مأكول أي الذي أكلته الدواب وداسته –نسأل الله السلامة– وهذا الحجر لا يخطئ واحدًا منهم .

والأبابيل ليس له واحد من لفظه كما قال الفراء ، وقيل : واحدها أبالة بالتخفيف ، وقيل : أبّالة ، وقيل : أبول وأبابيل كعجول وعجاجيل .



المتن

سورة ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾ [قريش: ١]

وقال مجاهد: ﴿لِإِيلَٰفِ﴾ ألفوا ذلك فلا يشق عليهم في الشتاء والصيف.

﴿وَءَامَنَهُم﴾ [قريش: ٤] من كل عدوهم في حرمهم.

وقال ابن عيينة: ﴿لِإِيلَٰفِ﴾: لنعمتي على قريش.

الشرح

هذه سورة ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيۡشٍ﴾ [قريش: ١] واللام متعلقة بالقصة التي في السورة قبلها، والمعنى: أهلك الله أصحاب الفيل لإيلاف قريش، ويؤيد ذلك أنهما في مصحف أبي بن كعب سورة واحدة، وقيل: متعلقة بشيء مقدر، أي: اعجب أو أعجب لنعمتي على قريش، فيكون المعنى كما قال: مجاهد وابن عيينة.

قوله تعالى: ﴿وَءَامَنَهُم﴾ [قريش: ٤] أي أن الله تعالى امتن على قريش بذلك وأمرهم بعبادة الخالق فقال: ﴿فَلۡيَعۡبُدُواْ رَبَّ هَٰذَا ٱلۡبَيۡتِ﴾ [قريش: ٣] والمراد بالبيت: الكعبة.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «فأما سورة الهمزة ففي «صحيح ابن حبان» من حديث جابر أن النبي ﷺ قرأ: ﴿يَحۡسَبُ أَنَّ مَالَهُۥٓ أَخۡلَدَهُۥ﴾ [الهمزة: ٣]، يعني: بفتح السين، وأما سورة الفيل ففيها من حديث المسور الطويل في صلح الحديبية قوله: «**حبسها حابس الفيل**»(١). وقد تقدم شرحه مستوفى في الشروط، وفيها حديث ابن عباس مرفوعًا: «**إن الله حبس عن مكة الفيل...**»(٢) الحديث، وأما هذه السورة فلم أر فيها حديثًا مرفوعًا صحيحًا».

قوله: «**وقال ابن عيينة: ﴿لِإِيلَٰفِ﴾ [قريش: ١] لنعمتي على قريش**» فالله تعالى امتن عليهم وأنعم عليهم، ويحتمل أن المراد بنعمتي نعمتيَّ بالتثنية؛ النعمة الأولى بإهلاك أصحاب الفيل، والنعمة الثانية رحلة الشتاء والصيف، وهو محتمل وليس ببعيد.

***

(١) أحمد (٤/ ٣٢٣)، والبخاري (٢٧٣٤).

(٢) أحمد (٢/ ٢٣٨)، والبخاري (٢٤٣٤)، ومسلم (١٣٥٥).

المَتْنُ

سورة ﴿أَرَءَيْتَ﴾ [الماعون: ١]

وقال مجاهد: ﴿يَدُعُّ﴾ [الماعون: ٢] يدفع عن حقه، يقال: هو من دععت.

﴿يُدَعُّونَ﴾ [الطور: ١٣] يدفعون.

﴿سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥] لاهون.

و﴿ٱلْمَاعُونَ﴾ [الماعون: ٧] المعروف كُلَّه.

وقال بعض العرب: الماعون: الماء.

وقال عكرمة: أعلاها الزكاة المفروضة، وأدناها عارية المتاع.

الشَّرْحُ

قوله: «سورة: ﴿أَرَءَيْتَ﴾»، ويقال لها: وسورة الماعون أيضًا، وقرأ ابن مسعود: (أرأيتك الذي يكذب)، بزيادة كاف، فتكون الكاف صلة مؤكدة، قال مجاهد: قوله تعالى: ﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ﴾ الهمزة للاستفهام.

فالله تعالى يخبر نبيه ﷺ عن حالة هذا الإنسان الذي يكذب بالدين وهو كافر، ومن أوصافه أنه يدع اليتيم، ولا يحض نفسه ولا غيره على طعام المسكين، وفيه التحذير من هذا الوصف، فالواجب الرحمة باليتيم وإعطاؤه حقه، والواجب الحض على طعام المسكين والحث في العطف على المساكين والأرامل.

ثم قال تعالى: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ﴾ [الماعون: ٤] والويل: شدة العذاب والهلاك، ثم وصف المصلين قال: ﴿ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ﴾ [الماعون: ٥] فليس الويل لكل مصل، بل المصلي الموصوف بهذا الوصف، والمراد بالسهو هنا أنهم يسهون عنها فيؤخرونها عن وقتها أو يتركون بعض واجباتها، ومن أوصافهم أيضًا أنهم يراءون الناس بأعمالهم ويمنعون الماعون.

قوله: «والماعون: المعروف كله» وقيل: الماعون: الماء خاصة، والصواب أن الماعون المعروف كله، فيشمل مثلًا إعارة الدلو، وإعارة السكين، وإعارة الإناء، وإعارة الفأس، وإعارة الكتاب إذا لم يكن يخشى عليه الضياع وكان الإنسان ثقة، فإذا طلب من أحد شيئًا يستطيعه ولا يضره أن يعيره فمنعه كان هذا من منع الماعون.

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر : ١]

وقال ابن عباس : ﴿شَانِئَكَ﴾ [الكوثر : ٣] عدوك .

• [٤٥٧٤] حدثنا آدم ، قال : حدثنا شيبان ، قال : حدثنا قتادة ، عن أنس قال : لما عرج بالنبي ﷺ إلى السماء ، قال : **«أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوفٌ ، فقلت : ما هذا يا جبريل؟ قال : هذا الكوثر»** .

• [٤٥٧٥] حدثنا خالد بن يزيد الكاهلي ، قال : حدثنا إسرائيل ، عن أبي إسحاق ، عن أبي عُبيدة ، عن عائشة قال : سألتها عن قوله الله تعالى : ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر : ١] قالت : نهر أعطيه نبيكم ﷺ ، شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم .

ورواه زكرياء ، وأبو الأحوص ، ومطرف ، عن أبي إسحاق .

• [٤٥٧٦] حدثنا يعقوب بن إبراهيم ، قال : حدثنا هشيم ، قال : أخبرنا أبو بشر ، عن سعيد بن جبير ، عن ابن عباس ، أنه قال في الكوثر : هو الخير الذي أعطاه الله إياه .

قال أبو بشر : قلت لسعيد بن جُبير : فإن ناسا يزعمون أنه نهر في الجنة ، فقال سعيد : النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه .

الشرح

قوله تعالى : ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر : ١] هذا من امتنان الله على نبيه ﷺ ، فامتن الله على نبيه بأن أعطاه الكوثر ، والكوثر نهر في الجنة ، على وزن فوعل من الكثرة ، ويقال بأنه الخير الكثير ، ولا منافاة ، فالخير الكثير أعم ويشمل النهر وغيره ، وسمي به النهر الذي في الجنة لكثرة مائه وعظم قدره وخيره ، وجاء وصفه في الأحاديث ، فحوض النبي ﷺ الذي يصب فيه من نهر الكوثر له ميزابان طوله مسافة شهر ، وعرضه مسافة شهر ، وآنيته

عدد نجوم السماء، وماؤه أشد بياضًا من اللبن وأحلى من العسل وأبرد من الثلج وأطيب ريحًا من المسك من شرب منه شربة لم يظمأ بعدها أبدًا[(١)].

وقرأ الحسن وطلحة بن مصرف: **«إنا أنطيناك»** بدل العين نون، وهذا معروف في اللغة، ففي شمال المملكة يقولون: أنطه كذا، أي: أعطه كذا.

• [٤٥٧٤] قوله: **«أتيت على نهر حافتاه قباب اللؤلؤ مجوفٌ، فقلت: ما هذا يا جبريل؟ قال: هذا الكوثر»** فهذا الكوثر لنبينا ﷺ في الجنة، وكذلك الحوض، ويصب من هذا الكوثر ميزابان على الحوض الذي في موقف القيامة؛ ولذلك يطلق على الحوض الذي في موقف القيامة الكوثر.

• [٤٥٧٥] قوله: **«خالد بن يزيد الكاهلي»** من شيوخ البخاري القدامى، قال فيه في التقريب: صدوق. ولكن الأظهر أن حالته أرفع من كونه صدوقًا، بل هو ثقة؛ لأنه قال فيه في التهذيب: وثَّقه ابن معين. فالذي ينبغي أن يقال في مثل هذا: ثقة؛ لأن مراتب التعديل ثقة ثقة، أو ثقة ثبت، ثم ثقة، ثم صدوق، ثم لا بأس به، ثم صدوق له أوهام.

قولها: **«نهر أعطيه نبيكم ﷺ، شاطئاه عليه در مجوف آنيته كعدد النجوم»** أطلقت الكوثر على الحوض.

• [٤٥٧٦] قوله: **«فقال سعيد: النهر الذي في الجنة من الخير الذي أعطاه الله إياه»** هذا الذي قاله سعيد صحيح؛ فإنه تفقه حسن، ويحتمل أنه سمعه من ابن عباس.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وحاصل ما قاله سعيد بن جبير أن قول ابن عباس: «إنه الخير الكثير» لا يخالف قول غيره: إن المراد به نهر في الجنة؛ لأن النهر فرد من أفراد الخير الكثير، ولعل سعيدًا أومأ إلى أن تأويل ابن عباس أولى لعمومه، لكن ثبت تخصيصه بالنهر من لفظ النبي ﷺ فلا معدل عنه، وقد نقل المفسرون في الكوثر أقوالًا أخرى غير هذين تزيد على العشرة؛ منها: قول عكرمة: الكوثر النبوة، وقول الحسن: الكوثر القرآن، وقيل: تفسيره، وقيل: الإسلام،

---

(١) أحمد (٣/ ٣٨٤)، ومسلم (٢٣٠٠).

وقيل : إنه التوحيد ، وقيل : كثرة الأتباع ، وقيل : الإيثار ، وقيل : رفعة الذكر ، وقيل : نور القلب ، وقيل : الشفاعة ، وقيل : المعجزات ، وقيل : إجابة الدعاء ، وقيل : الفقه في الدين ، وقيل : الصلوات الخمس» .

والصواب ما ورد بالنص أن الكوثر هو النهر الذي أعطيه نبينا ﷺ ، والقول بأنه الخير الكثير لا يمنع ؛ لأن الخير الكثير أعم .

* * *

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [الكافرون : ١]

يقال : ﴿لَكُمْ دِينُكُمْ﴾ [الكافرون : ٦] الكفر ﴿وَلِىَ دِينِ﴾ [الكافرون : ٦] الإسلام ، ولم يقل : ديني ؛ لأن الآيات بالنون فحذفت النون كما قال : ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء : ٧٨] و﴿يَشْفِينِ﴾ [الشعراء : ٨٠] .

﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون : ٢] الآن ولا أجيبكم فيما بقي من عمري ﴿وَلَآ أَنتُمْ عَـٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ﴾ [الكافرون : ٣] .

وهم الذين قال : ﴿وَلَيَزِيدَنَّ كَثِيرًا مِّنْهُم مَّآ أُنزِلَ إِلَيْكَ مِن رَّبِّكَ طُغْيَـٰنًا وَكُفْرًا﴾ [المائدة : ٦٤] .

الشرح

سورة الكافرون ، ويقال لها أيضًا : المقشقشة ؛ لأنها مبرئة من النفاق ؛ لأنها فيها إخلاص التوحيد لله ؛ ولهذا تسمى هذه السورة مع سورة الصمد سورتا الإخلاص ؛ لأن هذه أخلصت التوحيد لله ، والصمد أخلصت الصفات لله .

قوله تعالى : ﴿قُلْ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلْكَـٰفِرُونَ﴾ [الكافرون : ١] أي : قل يامحمد ، والكافرون يشمل كل كافر ، وإن كان المخاطب كفار قريش ، فيشمل اليهود والنصارى والوثنيين ، قوله : ﴿لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ﴾ [الكافرون : ٢] أي : لا أعبد ما تعبدون الآن ، وقوله : ﴿وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ﴾ [الكافرون : ٣] يعني : ولا أجيبكم فيما بقي من عمري .

قوله : «**ولم يقل : ديني ؛ لأن الآيات بالنون فحذفت النون كما قال :** ﴿فَهُوَ يَهْدِينِ﴾ [الشعراء : ٧٨] و﴿يَشْفِينِ﴾ [الشعراء : ٨٠]» ، ولم يذكر الياء مراعاة لفواصل الآيات .

وجاء في سبب نزول هذه الآيات أن المشركين قالوا : كف عن آلهتنا فلا تمسها بسوء ، فإن لم تفعل فاعبد آلهتنا سنة ونعبد إلهك سنة ، ويكون هذا صلح بيننا وبينك ؛ فنزلت هذه السورة[١] .

ولم يذكر المؤلف حديثًا ، ويدخل فيه حديث مسلم عن جابر أن النبي ﷺ كان يقرأ في ركعتي الطواف : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ [الكافرون : ١] و﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ﴾ [الإخلاص : ١][٢] .

* * *

(١) الطبري في «التفسير» (٣٠/ ٣٣١) .
(٢) مسلم (١٢١٨) .

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر : ١]

• [٤٥٧٧] حدثنا الحسن بن الربيع ، قال : حدثنا أبو الأحوص ، عن الأعمش ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : ما صلى النبي ﷺ صلاة بعد أن نزلت عليه سورة ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر : ١] ؛ إلا يقول فيها : **«سبحانك ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي»** .

• [٤٥٧٨] حدثني عثمان بن أبي شيبة ، قال : حدثنا جرير ، عن منصور ، عن أبي الضحى ، عن مسروق ، عن عائشة قالت : كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول في ركوعه وسجوده : **«سبحانك اللهم ربنا وبحمدك ، اللهم اغفر لي»** ، يتأول القرآن .

الشرح

• [٤٥٧٧]، [٤٥٧٨] هذا الحديث رواه المؤلف عن عائشة من طريقين ، الطريق الأولى قال فيها : **«سبحانك ربنا وبحمدك»** ، وفي الطريق الثانية كان يقول : **«سبحانك اللهم ربنا وبحمدك»** ، وفي هذا الحديث مشروعية هذا الذكر في الركوع والسجود .

وفيه أنه ينبغي للإنسان أن يكثر من هذا الذكر إذا تقدمت به السن ؛ لأن هذا الذكر فضله عظيم ومؤنته قليلة ، فينبغي الإكثار منه في كل وقت ولا سيما في آخر عمر الإنسان ؛ لأن الله تعالى أمر النبي ﷺ أن يأتي بهذا الذكر في آخر حياته حينما فتحت مكة .

فقوله تعالى : ﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ﴾ [النصر : ١] أي : فتح مكة ، ﴿وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا﴾ [النصر : ٢] أي : جماعات جماعات ، فأكثِر من التسبيح والذكر ، واستعد للقائنا ، فإن مهمتك قد انتهت من الدنيا .

وقول عائشة ﵂ : **«يتأول القرآن»** ، أي : يفسّر القرآن ويعمل به ، لما قال الله له : ﴿فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا﴾ [النصر : ٣] فتأويل فسبح العمل به ، وتأويل

الأمر الامتثال للأمر، وتأويل الخبر وقوع الخبر؛ لقوله تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُوا۟ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِى كُنَّا نَعْمَلُ قَدْ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٣] وتأويله وقوعه يوم القيامة، كما قال الله عن يوسف لما رأى الرؤيا: ﴿إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ﴾ [يوسف: ٤] ولما وقع تأويل الرؤيا بعد ثلاثين سنة أو أربعين سنة عندما سجد له أبواه وإخوته قال يوسف: ﴿يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰىَ مِن قَبْلُ﴾ [يوسف: ١٠٠] وتأويلها وقوعها، فقول عائشة في الحديث من التأويل بمعنى الحقيقة، وإلا فالتأويل له ثلاثة معان كما هو معلوم:

الأول: التأويل بمعنى الحقيقة التي يئول إليها الكلام.

الثاني: التأويل بمعنى التفسير.

الثالث: التأويل بمعنى صرف اللفظ عن الاحتمال الراجح إلى المرجوح بدليل يقترن به.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «وقال ابن القيم في «الهدي»: كأنه أخذه من قوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرْهُ﴾ [النصر: ٣] لأنه كان يجعل الاستغفار في خواتم الأمور؛ فيقول إذا سلم من الصلاة: «**أستغفر الله، ثلاثًا**»[(١)]، وإذا خرج من الخلاء قال: «**غفرانك**»[(٢)]، وورد الأمر بالاستغفار عند انقضاء المناسك: ﴿ثُمَّ أَفِيضُوا۟ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ﴾ [البقرة: ١٩٩] الآية. قلت: ويؤخذ أيضًا من قوله تعالى: ﴿إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًۢا﴾ [النصر: ٣] فقد كان يقول عند انقضاء الوضوء: «**اللهم اجعلني من التوابين**»[(٣)]».

***

---

(١) أحمد (٥/ ٢٧٩)، ومسلم (٥٩١).

(٢) أحمد (٦/ ١٥٥)، وأبو داود (٣٠)، الترمذي (٧)، وابن ماجه (٣٠٠).

(٣) الترمذي (٥٥).

المتن

[٣٦٣/ ٥٦] باب قوله: ﴿وَرَأَيْتَ ٱلنَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفْوَاجًا﴾ [النصر: ٢]

• **[٤٥٧٩]** حدثني عبدالله بن أبي شيبة، قال: حدثنا عبدالرحمن، عن سفيان، عن حبيب بن أبي ثابت، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أن عمر سألهم عن قوله تعالى: ﴿**إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ**﴾ [النصر: ٢]، قالوا: فتح المدائن والقصور، قال: ما تقول يا ابن عباس؟! قال: أجل أو مثل ضرب لمحمد ﷺ نعيت له نفسه.

الشرح

• [٤٥٧٩] قوله: **«ما تقول يا ابن عباس؟! قال: أجل أو مثل ضرب لمحمد ﷺ نعيت له نفسه»** هذا من التأويل الذي علمه الله تعالى لابن عباس تحقيقًا لدعوة نبيه ﷺ: **«اللهم فقهه في الدين وعلمه التأويل»**(١)، فإنه لما حصل عند بعض الصحابة شيء في نفوسهم من دخول ابن عباس معهم وهو لا يزال في سن مبكرة، أراد عمر أن يبين لهم أن ابن عباس وإن كان صغيرًا إلا أن الله أعطاه الفهم فسألهم عمر فلم يعرف الكبار من الصحابة وعرف ابن عباس.

وقد ذكر الشارح من فضيلة ابن عباس فقال: «فيه فضيلة ظاهرة لابن عباس، وتأثير إجابة في دعوة النبي ﷺ أن يعلمه التأويل ويفقهه في الدين. وفيه جواز تحديث المرء عن نفسه بمثل هذا لإظهار نعمة الله عليه وإعلام من لا يعرف قدره. وفيه جواز تأويل القرآن بما يفهم من الإشارات، وإنما يتمكن من ذلك من رسخت قدمه في العلم؛ ولهذا قال علي رضي الله عنه: أو فهمًا يؤتيه الله رجلًا في القرآن».

* * *

(١) أحمد (١/ ٢٦٦)، وهو عند البخاري (١٤٣)، ومسلم (٨٦٩) بشطره الأول.

المتن

[٣٦٤/ ٥٦] باب قوله: ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣]

تواب على العباد، والتواب من الناس التائب من الذنب.

- [٤٥٨٠] حدثنا موسى بن إسماعيل، قال: حدثنا أبو عوانة، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: كان عمر يدخلني مع أشياخ بدر، فكأن بعضهم وجد في نفسه فقال: لمَ تُدخل هذا معنا ولنا أبناء مثله، فقال عمر: إنه من قد علمتم! فدعا ذات يوم فأدخله معهم فما رُويت أنه دعاني يومئذ إلا ليُرِيَهُم، قال: ما تقولون في قول الله ﷻ: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]، فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا، وسكت بعضهم فلم يقل شيئًا، فقال لي: أكذاك تقول يابن عباس؟ فقلت: لا، قال: فما تقول؟ قلت: هو أجل رسول الله ﷺ أعلمه له، قال: ﴿إِذَا جَآءَ نَصْرُ ٱللَّهِ وَٱلْفَتْحُ﴾ [النصر: ١]، وذلك علامة أجلك ﴿فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَٱسْتَغْفِرْهُ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابًا﴾ [النصر: ٣]، فقال عمر: ما أعلم منها إلا ما تقول.

الشرح

قوله: «تواب على العباد، والتواب من الناس التائب من الذنب» مقصود المؤلف أن كلمة: «تواب» مشتركة فهي تطلق على الله بمعنى التواب على العباد، وتطلق على العبد بمعنى كثير التوبة من الذنب.

- [٤٥٨٠] قوله: **«فقال بعضهم: أمرنا أن نحمد الله ونستغفره إذا نصرنا وفتح علينا» ما قاله هؤلاء الأشياخ من الحمد والاستغفار عند النصر والفتح صحيح، لكن ما قاله ابن عباس وعمر من أنها علامة أجل النبي ﷺ فهم خاص، وهو من الفهم الذي يعطيه الله من يشاء في القرآن، وفي هذه القصة فضل عمر ﵁ وتواضعه في جمعه الصحابة ﵃ ومشاورتهم وعدم استبداده بالرأي دونهم، فكان ﵁ إذا حصلت له مسألة يجمع أهل بدر ويتوقف ولا يقدم، وقد نجد الآن كثيرًا من الشباب الصغار يسأل عن المسألة التي لو عرضت على عمر لجمع لها أشياخ بدر، ثم يجيب في الحال كما يقول العلماء: يقدها ولا يبالي، وهذا يدل على ضعف الإيمان وقلة الديانة، وضعف العلم والبصيرة، فيجب على الإنسان ألا يقدم على الفتوى إلا بعد تروٍّ وبصيرة، ويتوقف ويمهل ويحيل على غيره.**

المتن

سورة ﴿تبت﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ﴾ [المسد: ١]

تباب: خسران، تتبيب: تدمير.

• [٤٥٨١] حدثنا يوسف بن موسى، قال: حدثنا أبو أسامة، قال: حدثنا الأعمش، قال: حدثنا عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] ورهطك منهم المخلصين، خرج رسول الله ﷺ حتى صعد الصفا فهتف: «**يا صباحاه!**»، فقالوا: من هذا؟! فاجتمعوا إليه، فقال: «**أرأيتم إن أخبرتكم أن خيلا تخرج من سفح هذا الجبل أكنتم مصدقي؟**»، قالوا: ما جربنا عليك كذبا، قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**»، قال أبو لهب: تبا لك، ألهذا جمعتنا؟! فأنزل الله ﷻ: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١]، وقد تب، هكذا قرأها الأعمش يومئذ.

الشرح

قوله: «**تباب: خسران، تتبيب: تدمير**» كما قال الله تعالى في سورة هود، وقرأ الأعمش: «تبت يدا أبي لهب وتب، وقد تب».

• [٤٥٨١] قوله: «**لما نزلت: ﴿وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤] ورهطك منهم المخلصين**»، هذه قراءة كانت في نسخة، وقيل: إنها قراءة شاذة، والأقربين أي: المخلصين.

وأبو لهب هو ابن عبد المطلب، واسمه عبد العزى كما ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله، وأمه خزاعية، وكني بأبي لهب إما بابنه؛ لأنه أبو لهب، وإما لشدة حمرة وجنتيه، كما ذكر الفاكهي، قال: إنما سمي أبا لهب لأن وجهه كان يتلهب من حسنه وجماله، ووافق ذلك ما آل إليه أمره

من كونه يدخل نارا ذات لهب ، وذكر في القرآن بكنيته دون اسمه ؛ فلم يقل : تبت يدا عبد العزىٰ ؛ لأمرين :

الأمر الأول : لكونه اشتهر بهذه الكنية .

الأمر الثاني : لأن في اسمه إضافة إلى الصنم .

وأبو لهب من أعمام النبي ﷺ وهو ممن اشتدت عداوته للنبي ﷺ ، وقد ذكر الواقدي أنه أظهر العداوة من قديم ؛ لأنه كان حصل بينه وبين أخيه أبي طالب شيء فقعد على صدره فأزاله النبي ﷺ فقال : أنا عمك وهذا عمك ، فحصل في نفسه شيء ، والواقدي ضعيف في أخباره .

* * *

المتن

[٣٦٥/ ٥٦] باب قوله: ﴿وَتَبَّ ۝ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ﴾ [المسد: ١، ٢]

• [٤٥٨٢] حدثني محمد بن سلام، قال: أخبرنا أبو معاوية، قال: حدثنا الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أن النبي ﷺ خرج إلى البطحاء، فصعد إلى الجبل فنادى: «**يا صباحاه!**»، فاجتمعت إليه قريش، فقال: «**أرأيتم إن حدثتكم أن العدو مصبحكم أو ممسيكم أكنتم تصدقوني؟**»، قالوا: نعم، قال: «**فإني نذير لكم بين يدي عذاب شديد**»، فقال أبو لهب: ألهذا جمعتنا تبا لك؟! فأنزل الله ﷻ: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ﴾ [المسد: ١] إلى آخرها.

الشرح

• [٤٥٨٢] هذا الحديث فيه ابتلاء النبي ﷺ بأبي لهب، وهو من أقرب الناس إليه، وهذا من الابتلاء والامتحان، ولا شك أن هذا مصيبة على الداعية أن يكون أحد أقاربه عدوًا له ينفر الناس عنه، وفيه تحقيق لقول النبي ﷺ: «**أشد الناس بلاء الأنبياء ثم الأمثل فالأمثل، يبتلى الرجل على قدر دينه، فإن كان في دينه صلابة شدد عليه**»(١) وهذا الحديث يدل على أن المجتمع سيئ؛ حيث يقول هذا الفاسق مثل هذا الكلام ولم ينقل أن أحدًا أنكر عليه أو ردَّ عليه، رغم أنهم قالوا: ما جربنا عليك كذبًا، وكانوا يصدقونه، مما يدل على عظم الأمر وتمكن الجهل والكفر والظلم.

* * *

---

(١) أحمد (١/ ١٧٢)، والترمذي (٢٣٩٨)، وابن ماجه (٤٠٢٣).

المتن

[٣٦٦/ ٥٦] باب قوله: ﴿سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ﴾ [المسد: ٣]

• [٤٥٨٣] حدثنا عمر بن حفص، قال: حدثنا أبي، قال: حدثنا الأعمش، قال: حدثني عمرو بن مرة، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، قال أبو لهب: تبا لك ألهذا جمعتنا؟! فنزلت: ﴿تَبَّتْ يَدَآ أَبِي لَهَبٍ﴾ [المسد: ١] إلى آخرها.

الشرح

• [٤٥٨٣] قوله: **«تبًا لك ألهذا جمعتنا؟!»** التب يعني: الخسارة.

* * *

المتن

[٣٦٧/ ٥٦] باب قوله تعالى: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ [المسد: ٤]

وقال مجاهد: ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ تمشي بالنميمة.

﴿فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾ [المسد: ٥]، يقال: من مسد ليف المُقْلِ، وهي السلسلة التي في النار.

الشرح

قوله: «**وقال مجاهد**: ﴿حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾ [المسد: ٤] **تمشي بالنميمة**» هو أحد القولين، وهو معنى بعيد، والأقرب القول الآخر: وهو أنها كانت تحمل الشوك والحطب وتضعه في طريق النبي ﷺ، كما ذكر ابن جرير في تفسيره على هذه الآية آثارًا في ذلك.

قوله تعالى: ﴿فِي جِيدِهَا﴾ أي: عنقها، ﴿حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾ فسرها المؤلف قال: «**يقال: من مسد ليف المقل**» والمقل بضم الميم وسكون القاف: شجر يشبه النخل، وهو المسمى بالدوم، قال: «**وهي السلسلة التي في النار**» وهو أحد قولين.

قوله: ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ﴾، بالنصب ذمٌ لها، واسم امرأة أبي لهب -كما ذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله- العوراء، وتكنى أم جميل وهي بنت حرب بن أمية أخت أبي سفيان والد معاوية، وقيل: اسمها أروى والعوراء لقب، ويقال: لم تكن عوراء، وإنما قيل ذلك لجمالها.

وذكر الحافظ ابن حجر رحمه الله حديثًا يناسب هذا الباب رواه البزار عن ابن عباس قال: لما نزلت: ﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ﴾ [المسد: ١] جاءت امرأة أبي لهب، فقال أبو بكر للنبي ﷺ: لو تنحيت، قال: «**إنه سيحال بيني وبينها**»، فقالت: يا أبا بكر هجاني صاحبك: قال: لا ورب هذه البنية ما ينطق بالشعر ولا يفوه به، قالت: إنك لمصدق، فلما ولت قال أبو بكر: ما رأتك، قال: «**ما زال ملك يسترني حتى ولت**»(١).

وجاء في بعض الروايات أنها أخذت حجرًا لترمي به النبي ﷺ فأعماها الله فلم تر النبي ﷺ».
وذكر أبو عبيدة قال: في عنقها حبل من نار، والمسد عند العرب حبال من ضروب؛ أي أنواع.

---

(١) «مسند البزار» (١/ ٦٨).

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]

يقال: لا ينون ﴿أَحَدٌ﴾ أي واحد.

الشرح

قوله: «سورة ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾» ويقال لها أيضًا: سورة الإخلاص؛ لأنها تخلصت لصفات الله ﷻ، كما أن سورة: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [الكافرون: ١] تسمى سورة الإخلاص؛ لأنها أخلصت التوحيد لله ﷻ، فيقال للسورتين: سورتا الإخلاص، وكان النبي ﷺ يقرأ بهما في ركعتي الفجر وفي ركعتي الطواف وفي ركعتي المغرب وفي الوتر.

وجاء في سبب نزولها أن المشركين قالوا: انسب لنا ربك، فنزلت هذه السورة، وفي آخره قال: ﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ﴾ [الإخلاص: ٣]؛ لأنه ليس شيء يولد إلا سيموت، ولا شيء يموت إلا يورث، وربنا سبحانه لا يموت ولا يورث.

قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] أي: لا شبه ولا عدل.

والأحد من أسماء الله، فيقال عبدالأحد، وهو بمعنى الواحد.

* * *

المتن

[٣٦٨/ ٥٦] باب قوله: ﴿ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ﴾ [الإخلاص: ٢]

والعرب تسمي أشرافها الصمد.

قال أبو وائل: هو السيد الذي انتهى سؤدده.

• [٤٥٨٤] حدثنا أبو اليمان، قال: أخبرنا شعيب، قال: حدثنا أبو الزناد، عن الأعرج، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: **«قال الله ﷻ: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك؛ فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدا، وأنا الأحد الصمد لم نلد، ولم نولد، ولم يكن لي كفؤا أحد»**.

﴿لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٣، ٤] كفوا وكفئا وكفاء واحد.

• [٤٥٨٥] حدثني إسحاق بن منصور، قال: أخبرنا عبدالرزاق، قال: أخبرنا معمر، عن همام، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله ﷺ: **«قال الله ﷻ: كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك؛ فأما تكذيبه إياي أن يقول: إني لن أعيده كما بدأته، وأما شتمه إياي أن يقول: اتخذ الله ولدا، وأنا الصمد الذي لم ألد ولم أولد ولم يكن لي كفئا أحد»**.

الشرح

الصمد من أسماء الله، وهذا الاسم من خصائص الله، وإن كانت العرب في الجاهلية تطلقه على أشرافها.

والصمد يطلق على الذي ليس له جوف، ولا يأكل ولا يشرب، ويطلق أيضا على القائم بنفسه المقيم لغيره، فالله صمد لأنه قائم بنفسه ولا يحتاج لأحد، وهو صمد تصمد إليه الخلائق في حوائجها؛ ولهذا قيل للملائكة: صُمْد؛ لأنه لا يحتاج أحدهم لا إلى طعام ولا إلى شراب.

قوله: **«قال أبو وائل: هو السيد الذي انتهى سؤدده»** والله تعالى أولى باسم الصمد من غيره، وهي كلمة مشتركة بالنظر إلى المعنى، والله تعالى هو الذي انتهى سؤدده وكمل، أما غيره فإن سؤدده ناقص.

وقوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ﴾ [الإخلاص: ٤] كفوا وكفيئا وكفاء بمعنى واحد؛ أي ليس له مثيل.

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «ولما كان الرب سبحانه واجب الوجود لذاته قديمًا موجودًا قبل وجود الأشياء، وكان كل مولود محدثا، انتفت عنه الوالدية، ولما كان لا يشبهه أحد من خلقه ولا يجانسه حتى يكون له من جنسه صاحبة فتتوالد انتفت عنه الولدية، ومن هذا قوله تعالى: ﴿أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ﴾ [الأنعام: ١٠١]».

وقال رَحِمَهُ اللَّهُ: «ويؤخذ منه أن من نسب غيره إلى أمر لا يليق به يطلق عليه أنه شتمه».

أي أن الله سبحانه وتعالى واجب الوجود لذاته، فليس له ولد ولا والد، وليس له فرع ولا أصل، وهو الصمد القائم بنفسه، المقيم لغيره، الذي تصمد إليه الخلائق في حوائجها، وليس له مثيل من خلقه.

وهذه سورة عظيمة قال النبي ﷺ عنها: «**تعدل ثلث القرآن**»[1]؛ لأنها خبر عن الله وعن صفاته، والقرآن إما خبر أو توحيد أو أوامر.

• [٤٥٨٤] ذكر المؤلف رَحِمَهُ اللَّهُ حديث أبي هريرة، وهو حديث قدسي، والحديث القدسي من كلام الله لفظًا ومعنى، قال الله تعالى: «**كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك؛ فأما تكذيبه إياي فقوله: لن يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون علي من إعادته، وأما شتمه إياي فقوله: اتخذ الله ولدا، وأنا الأحد الصمد لم نلد، ولم نولد، ولم يكن لي كفؤا أحد**». فقولهم: اتخذ الله ولدًا، هذا تنقص لله وعيب وذم له سبحانه وتعالى، وفيه أن الذم والعيب والتنقص يسمى شتمًا، ولو لم يتلفظ بالشتم واللعن، ومنه قوله تعالى: ﴿وَٱلشَّجَرَةَ ٱلْمَلْعُونَةَ فِى ٱلْقُرْءَانِ﴾ [الإسراء: ٦٠] أي المذمومة، وهي شجرة الزقوم، فالمراد بالشتم هنا الذم.

• [٤٥٨٥] قوله: «**وشتمني ولم يكن له ذلك**» فيه أن قولهم: اتخذ الله ولدًا، هذا تنقص لله وعيب وذم له جلَّ وعلا، وأنه يسمى شتمًا، ولو لم يتلفظ به كما سبق.

---

(١) البخاري (٦٦٤٣)، ومسلم (٨١١).

المتن

سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق : ١]

بسم الله الرحمن الرحيم

وقال مجاهد : ﴿ٱلْفَلَقِ﴾ [الفلق : ١] الصبح ﴿غَاسِقٍ﴾ [الفلق : ٢] الليل ﴿إِذَا وَقَبَ﴾ [الفلق : ٣] غروب الشمس .

يقال : أبين من فرق وفلق الصبح .

﴿وَقَبَ﴾ إذا دخل في كل شيء وأظلم .

• [٤٥٨٦] حدثنا قتيبة بن سعيد ، قال : حدثنا سفيان ، عن عاصم وعبدة هو ابن أبي لبابة ، عن زر قال : سألت أبي بن كعب عن المعوذتين ، فقال : سألت رسول الله ﷺ ، قال : **«قيل لي فقلت»** ، فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ .

الشرح

هذه سورة الفلق ، وتسمى هي والسورة التي بعدها بالمعوذتين ، وقد فسَّر مجاهد الفلق بالصبح ، والغاسق بالليل ، والوقب دخول الظلام أي : إذا غربت الشمس ، واستعيذ منه ؛ لأن أهل الشر يعملون شرورهم في الظلام .

• [٤٥٨٦] قال العيني رَحِمَهُ اللَّهُ : «قوله : **«قيل لي»** أي إنهما من القرآن ، وهذا كان مما اختلف فيه الصحابة ثم ارتفع الخلاف ووقع الإجماع عليه فلو أنكر اليوم أحد قرآنيتهما كفر ، وقال بعضهم : ما كانت المسألة في قرآنيتهما بل في صفة من صفاتهما وخاصة من خاصتهما ، ولا شك أن هذه الرواية تحتملهما فالحمل عليها أولى . والله أعلم .

فإن قلت : قد أخرج أحمد وابن حبان من رواية حماد بن سلمة عن عاصم بلفظ : أن ابن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه ، وأخرج عبد الله بن أحمد في زيادات «المسند» والطبراني وابن مردويه من طريق الأعمش عن أبي إسحاق عن عبد الرحمن بن يزيد النخعي قال : كان عبد الله بن مسعود يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول : إنهما ليستا

من القرآن أو من كتاب الله تعالى . قلت : قال البزار : لم يتابع ابن مسعود على ذلك أحد من الصحابة ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قرأها في الصلاة وهو في «صحيح مسلم»[١] عن عقبة بن عامر وزاد فيه ابن حبان[٢] من وجه آخر عن عقبة بن عامر : **«فإن استطعت أن لا تفوتك قراءتهما في صلاة فافعل»** .

* * *

(١) مسلم (٨١٤) .
(٢) ابن حبان (٥/ ١٥٠) .

المتن

بسم الله الرحمن الرحيم

سورة ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ﴾ [الناس : ١]

وقال ابن عباس : ﴿ٱلْوَسْوَاسِ﴾ [الناس : ٤] إذا ولد خَنَسَهُ الشيطان ، **فإذا ذُكر الله ذهب** ، وإذا لم يذكر الله ثبت على قلبه .

• **[٤٥٨٧]** حدثنا علي بن عبدالله ، قال : حدثنا سفيان ، قال : حدثنا عبدة بن أبي لبابة ، عن زر بن حبيش . وحدثنا عاصم ، عن زر قال :

سألت أبي بن كعب ، قلت : يا أبا المنذر ، إن أخاك ابن مسعود **يقول كذا وكذا** ، فقال أبي : سألت رسول الله ﷺ فقال لي : **«قيل لي فقلت»** ، قال : فنحن نقول كما قال رسول الله ﷺ .

الشرح

قوله تعالى : ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ**﴾ [الناس : ١]، استعاذ هنا بربوبية الله ، وقوله : ﴿**مَلِكِ ٱلنَّاسِ**﴾ [الناس : ٢] الملك وصف ، وقوله : ﴿**إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ**﴾ [الناس : ٣] أي : المعبود ، وقوله : ﴿**مِن شَرِّ ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ**﴾ [الناس : ٤] الوسواس الشيطان ، والإنسان إذا ولد خنسه الشيطان فإذا ذكر الله ﷻ ذهب ، وإذا زال ذكر الله ثبت على القلب ، وسمي الخناس ؛ لأنه يخنس -أي يذهب- عند ذكر الله ، وقوله : ﴿**ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ**﴾ [الناس : ٥]؛ لأنه يجري من ابن آدم مجرى الدم ، وقوله : ﴿**مِنَ ٱلْجِنَّةِ وَٱلنَّاسِ**﴾ [الناس : ٦] فالوسواس نوعان : نوع من الجنة ونوع من الناس ، فالإنسي يوسوس بالكلام مثل الشبه والأباطيل ، والجن يوسوس بالوساوس التي تكون في الصدور .

• **[٤٥٨٧]** قوله : **«وحدثنا عاصم»** هو عاصم بن أبي النجود صاحب القراءة ، وله كتاب معروف في القراءات ، لكنه في الرواية أقل .

قال الحافظ ابن حجر رَحِمَهُ اللَّهُ: «**قوله: «يقول كذا وكذا»** هكذا وقع هذا اللفظ مبهمًا، وكأن بعض الرواة أبهمه استعظامًا له، وأظن ذلك من سفيان؛ فإن الإسماعيلي أخرجه من طريق عبدالجبار بن العلاء، عن سفيان كذلك على الإبهام، وكنت أظن أولًا أن الذي أبهمه البخاري؛ لأنني رأيت التصريح به في رواية أحمد عن سفيان، ولفظه: قلت لأبي: إن أخاك يحكها من المصحف، وكذا أخرجه الحميدي عن سفيان، ومن طريقه أبو نعيم في «المستخرج»، وكأن سفيان كان تارة يصرح بذلك وتارة يبهمه، وقد أخرجه أحمد أيضًا وابن حبان من رواية حماد بن سلمة، عن عاصم بلفظ: أن عبدالله بن مسعود كان لا يكتب المعوذتين في مصحفه. وأخرج أحمد عن أبي بكر بن عياش عن عاصم بلفظ: أن عبدالله يقول في المعوذتين. وهذا أيضًا فيه إبهام، وقد أخرجه عبدالله بن أحمد في زيادات «المسند»، والطبراني وابن مردويه من طريق الأعمش، عن أبي إسحاق، عن عبدالرحمن بن يزيد النخعي، قال: كان عبدالله بن مسعود يحك المعوذتين من مصاحفه ويقول: إنهما ليستا من كتاب الله. قال الأعمش: وقد حدثنا عاصم عن زر عن أبي بن كعب، فذكر نحو حديث قتيبة الذي في الباب الماضي، وقد أخرجه البزار وفي آخره يقول: إنما أمر النبي ﷺ أن يتعوذ بهما[1]. قال البزار: ولم يتابع ابن مسعود على ذلك أحد من الصحابة. وقد صح عن النبي ﷺ أنه قرأهما في الصلاة. قلت هو في «صحيح مسلم»[2] عن عقبة بن عامر، وزاد فيه ابن حبان[3] من وجه آخر عن عقبة بن عامر: «**فإن استطعت أن لا تفوتك قراءتهما في صلاة فافعل**». وأخرج أحمد من طريق أبي العلاء بن الشخير، عن رجل من الصحابة أن النبي ﷺ أقرأه المعوذتين، وقال له: «**إذا أنت صليت فاقرأ بهما**»[4]. وإسناده صحيح، ولسعيد بن منصور من حديث معاذ بن جبل، أن النبي ﷺ صلى الصبح فقرأ فيهما بالمعوذتين، وقد تأول القاضي أبو بكر الباقلاني في كتاب «الانتصار»، وتبعه عياض وغيره ما حكي عن ابن مسعود فقال: لم ينكر ابن مسعود كونهما من القرآن، وإنما أنكر إثباتهما في المصحف؛ فإنه كان يرى

---

(١) البزار (٥/ ٥٩).

(٢) مسلم (٨١٤).

(٣) ابن حبان (٥/ ١٥٠).

(٤) أحمد (٥/ ٢٤).

أن لا يكتب في المصحف شيئًا إلا إن كان النبي ﷺ أذن في كتابته فيه ، وكأنه لم يبلغه الإذن في ذلك . قال : فهذا تأويل منه ، وليس جحدًا لكونهما قرآنًا . وهو تأويل حسن إلا أن الرواية الصحيحة الصريحة التي ذكرتها تدفع ذلك حيث جاء فيها : «ويقول : إنهما ليستا من كتاب الله» ، نعم يمكن حمل لفظ كتاب الله على المصحف فيتمشى التأويل المذكور ، وقال غير القاضي : لم يكن اختلاف ابن مسعود مع غيره في قرآنيتهما ، وإنما كان في صفة من صفاتهما . وغاية ما في هذا أنه أبهم ما بينه القاضي ، ومن تأمل سياق الطرق التي أوردتها للحديث استبعد هذا الجمع ، وأما قول النووي في «شرح المهذب» : أجمع المسلمون على أن المعوذتين والفاتحة من القرآن ، وأن من جحد منهما شيئًا كفر ، وما نقل عن ابن مسعود باطل ليس بصحيح ؛ ففيه نظر ، وقد سبقه لنحو ذلك أبو محمد بن حزم فقال في أوائل «المحلى» : ما نقل عن ابن مسعود من إنكار قرآنية المعوذتين فهو كذب باطل ، وكذا قال الفخر الرازي في أوائل «تفسيره» : الأغلب على الظن أن هذا النقل عن ابن مسعود كذب باطل . والطعن في الروايات الصحيحة بغير مستند لا يقبل ، بل الرواية صحيحة والتأويل محتمل ، والإجماع الذي نقله إن أراد شموله لكل عصر فهو مخدوش ، وإن أراد استقراره فهو مقبول ، وقد قال ابن الصباغ في الكلام على مانعي الزكاة : وإنما قاتلهم أبو بكر على منع الزكاة ، ولم يقل : إنهم كفروا بذلك ؛ وإنما لم يكفروا ؛ لأن الإجماع لم يكن استقر ، قال : ونحن الآن نكفر من جحدها ، قال : وكذلك ما نقل عن ابن مسعود في المعوذتين يعني : أنه لم يثبت عنده القطع بذلك ، ثم حصل الاتفاق بعد ذلك ، وقد استشكل هذا الموضع الفخر الرازي فقال : إن قلنا إن كونهما من القرآن كان متواترًا في عصر ابن مسعود لزم تكفير من أنكرهما ، وإن قلنا إن كونهما من القرآن كان لم يتواتر في عصر ابن مسعود لزم أن بعض القرآن لم يتواتر ، قال : وهذه عقدة صعبة ، وأجيب باحتمال أنه كان متواترًا في عصر ابن مسعود ، لكن لم يتواتر عند ابن مسعود ، فانحلت العقدة بعون الله تعالى» .

والخلاصة أن ابن مسعود معذور في هذا ؛ فإنه لم يتكلم إلا بما بلغه .

* * *

فهرس الموضوعات



فهرس الموضوعات

الموضوع الصفحة

❊ ❊ ❊